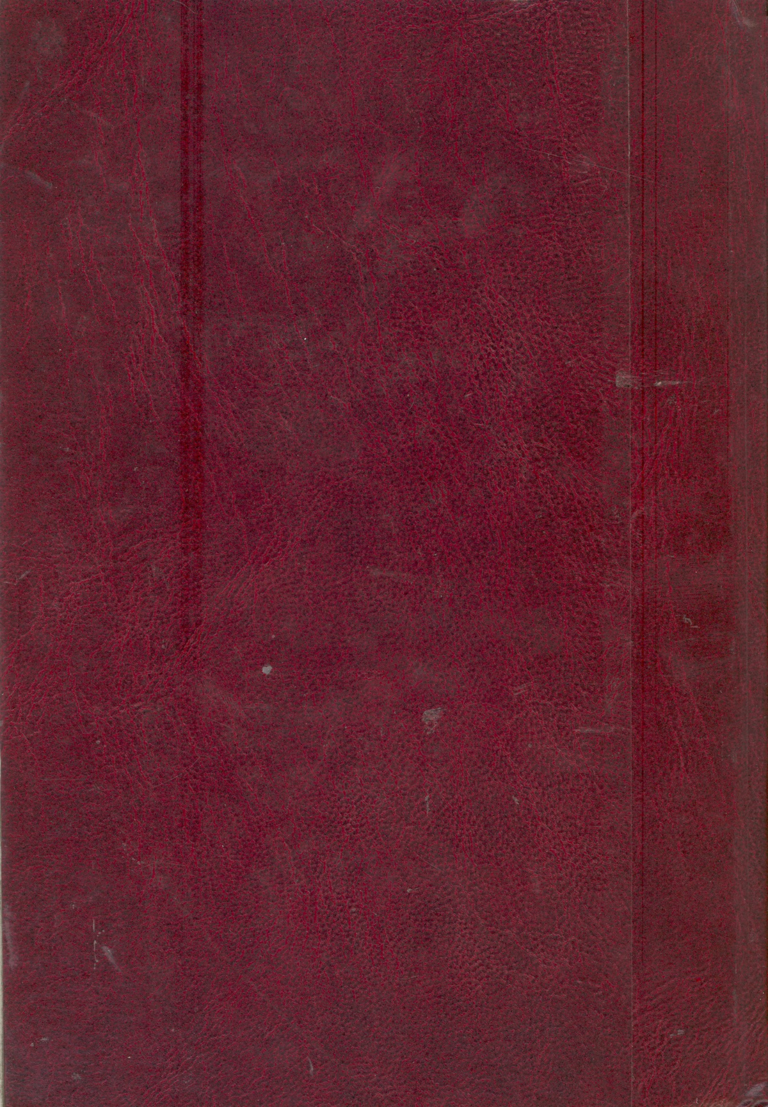
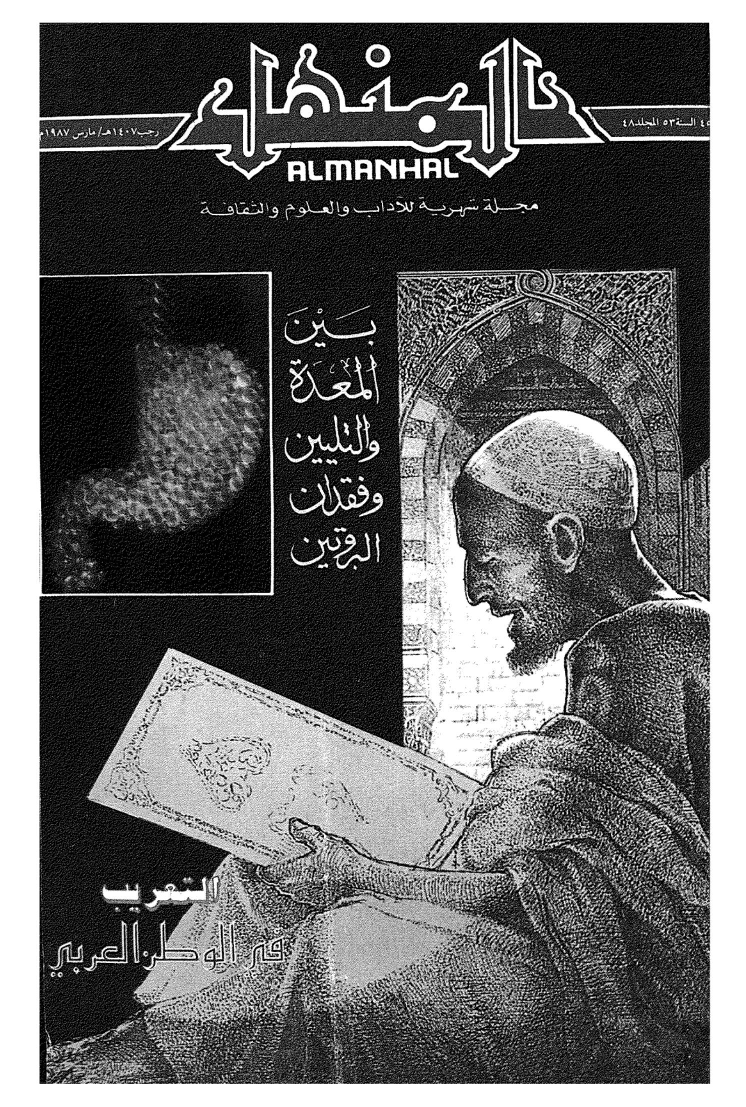




دوريات إهـــداء

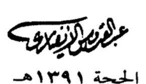


المنهل
ALMANHAL
السنة ٥٣ المجلد ٤٨
رجب ١٤٠٧هـ/ مارس ١٩٨٧م
مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة
بين المعدة والتليين وفقدان البروتين
التعريب في الوطن العربي



الصهيونية العالمية خططت وتخطط للشيوعية الطرق التى تسلكها لتحطيم مقدرات العالم وتهديم معتقداته وترديم أخلاقه بشتى شكول الخداع والتغرير والتزييف والآثام.

والشيوعية تنفذ ما خططته لها أمها الصهيونية من تحطيم بدقة واتقان وإمعان.. انهما شيء واحد.. فلا يغترر العالم بمظاهر ثنائيتهما فان هذا ايضاً من مخططات الصهيونية العالمية.. وآية هذا الامتزاج والانسجام التامين بين الأفعيين: الأم والبنت هى أن القادة الذين حملوا لواء الشيوعية وبثوا معتقداتهم فى العالم.. وسعوا وما زالوا يسعون لتبديد قوى الخير واذاعة الفساد واغراق العالم بالفتن والحروب ليصلوا من وراء ذلك إلى السيطرة على العالم.. هم كلهم من الصهيونيين قديماً وحديثاً.. فليفتح العالم الاسلامى عينيه على هذه الحقيقة الكبيرة وليقاوموا بكل قواهم هاتين الأفعيين ذواتى الرؤوس الكبيرة والسموم المبيدة حتى يسلموا من أخطارها وحتى ينجو العالم من فتكها الذريع وسمها المريع.



الحجة ١٣٩١هـ



بطاقة تقديم

أشكو لكم رئيس التحرير .. فهو رجل متعب حقا .
ولكن بعد صدور كل عدد من أعداد المنهل .. أضبط نفسى أقول : معه حق .

كنا قد أعددنا مواد العدد .. وأوشكت ماكينات الجمع على الانتهاء منه .. وكذلك تم ومنع "الماكيت" والخطوط ولم يعد سوى بضعة أيام لندفع بكل هذا إلى المطبعة، ولكن رئيس التحرير جاءنا من سفرة سريعة بمواد أخرى !! .

وتصفحنا المادة معا .. وكانت تحوى ملفا عن التعريب فى الجزائر .. ومواد اخرى كثيرة !! وهكذا أصبح على ماكينات الجمع أن تصل الليل بالنهار، وينكب المصححون والمطبخ الصحفى مرة اخرى على هذه المواد بينما تسمع هنا وهناك صرخات مخرجنا الفنى الذى يعمل بالحكمة القديمة " الوقت كالسيف "

ولكن لطموح رئيس التحرير مرهق متعب يسرق النوم ويعطى للراحة اجازة مفتوحة .

ولكننا مع صدور كل عدد نجد أنفسنا نقول :

معه حق

المنهل

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

المملكة العربية السعودية - جدة

أسسها سنة ١٣٥٥هـ ١٩٣٧م

عبد القدوس الانصاري

صاحب المجلة
رئيس التحرير

نبيه بن عبد القدوس الانصاري

مدير الادارة والتحرير
زهير نبيه الانصاري

مستشار التحرير
د. عبد الرحمن الانصاري

مراسلونا فى الخارج

- القاهرة: د. احمد الحفناوى
- عمان: روكس بن رائد العزيزى
- الرباط: عبد الرحيم عبد السلام
- تونس: د. نور الدين صمود
- انقرة: د. انور طاهر رضا
- الجزائر: د. بكرى عبد الكريم

- التحرير
  السمانى كمال الدين
  نادر صلاح الدين
- الجمع التصويرى
  عبد الفتاح السيد سليمان
- الارشيف
  الامين الصديق
- العلاقات العامة
  مصطفى محمد مصطفى

المخرج الفني
فريد ابو سعده

معلومات ادارية

المركز الرئيسى
جدة - الشرفية
ص.ب: ٢٩٢٥
رمز بريدى: ٢١٤٦١
برقيا: المنهل
ت: ٦٤٢٧٨٣١
ت: ٦٤٤٧٧٩٤
ت: ٦٤٣٩٧٦٥
ت: ٦٤٣٢١٢٤
مكتب الرياض
السليمانية
ص.ب: ٢٩٠
ت: ٤٥٤٢٤٣٢

الاشتراكات
- قيمة الاشتراك السنوى للمؤسسات الحكومية ٢٠٠ ريال
- قيمة الاشتراك للافراد ١٥٠ ريال

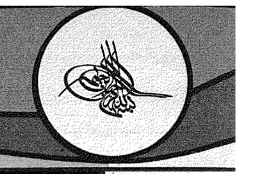
الاعلانات
تخاطب بشأنها الادارة
ت: ٦٤٣٢١٢٤

سعر النسخة
- السعودية: ٨ ريال
- البحرين: ٨٠٠ فلس
- قطر: ٨ ريال
- الامارات: ٨ دراهم
- اليمن: ٦ ريال
- الاردن: ٥٠٠ فلس
- مصر: ٥٠ قرشا
- السودان: ١٥٠ قرشا
- تونس: ٦٠٠ مليم
- المغرب: ٦ دراهم

المجلة السعودية الأم

العدد ٤٥٢
رجب ١٤٠٧هـ - مارس ١٩٨٧م

وكلاء التوزيع
تهامة للتوزيع/ جده ت:
دار المسيرة للطباعة/ ابو ظبى ت:



من كتاب هذا العدد


محمود درويش


د. نبيل سليم


د. صابر عبد الدايم

د. بكرى عبد الكريم

مجلاتنا الداخلية



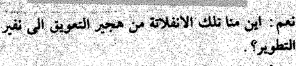




الأهرام للتوزيع/ القاهرة ت: ٧٥٥٥٠٠ - الشركة التونسية للصحافة/ تونس ت: ٢٤٢٤٩٩ - الشركة الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ت: ٢٤٥٧٤٥
الثقافة للطباعة/ الدوحة ت: ٤١٤١٨٢ - وكالة التوزيع الاردنية عمان ت: ٦٣٥١٥٢ - العربية للوكالات والتوزيع المنامة ت: ٢٥٥٧٠٦

افتتاحية العدد

الإبداع يتراوح بين



نعم: اين منا تلك الانفلاتة من هجير التعويق الى نفير التطوير؟ .

ثم: اين موقعنا «نحن» جمهرة الكتاب والادباء والمفكرين . . والفلاسفة والموجهين . . واصحاب الرسالات - فى ذلك الطوق المحكم الذى يحاصر ابداعاتنا المتوهجة فيسحقها فى مهدها أو يضغط عليها فى لفظها.

- نتحدث كثيرا . . أو قليلا عن **«الابداع»**
- ونستفز لواعجنا لطرح **«الانغلاق»**
- ونستحث اولى الامر فينا تيسير **«المعطيات»**

■ ونضاعف مناقشاتنا لتَلَمسُ عناصر **«الايجابيات . . والسلبيات»**. ونغرق خواطرنا فى تحليل مثبطات هويتنا الثقافية فى نفس اللحظة التى نحن فيها احوج ما نكون الى قفزة عصرية حضارية تحكم توجهنا العاطفى والوجدانى .

■ وتتناغم أهازيج كلماتنا المسجاة - وانفعالات خواطرنا المغطاة مع تلك المحاور اللامنتهية سابحة - معا - فى هلامات تشخيصنا العليل وتوصيفنا الكليم .

« وفاقد الشىء لا يعطيه »

والقضاء على الاثر مرحلة لاحقة للقضاء على مظاهره

وتنداح الرؤية الفاحصة الصادقة التى «قل» أن يناقشها المتحاورون والمتداولون على السواء لتكشف عن جذور العلة وبذور الدواء .

إنها الحرية . . وحرية الاديب فى الابداع هى الاساس الفاعل فى تأكيد عطاء الكلمة وتثبيت نبض الحرف .

إنها الحرية . . وحرية تيسير طرح الكلمة للطليعيين المكتفى الثقافة ممن يملكون ناصية العطاء المفعم والتعبير السامى - وهذا امر اصبح مُلِحّاً وضروريا .

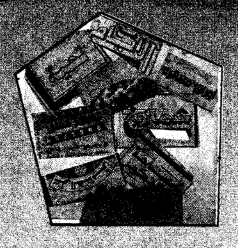
إنها الحرية . . والحرية فى حسن استعمالها وتسخير طاقاتها المبدعة فى ظروف الوطن العربي وهموم مواطنه - امر محسوب ومطلوب .

إنها الحرية . . وحرية الافصاح عنها هنا - وارسالها مدوية رنانة هناك - هى فى جوهرها دعوة بناء لا هدم تستوحى من اسس عقيدتنا وثوابت مناهجنا فعلها وزخمها واشراقها .

حرية : غير مُفْرِطَة ولا مُفَرِّطَة . . لا معتدية ولا مستعدى عليها تطلق عنان الابداع وتمسك بزمام الانتماء . . تنبذ الاقليمية وتركز على العالمية . . تجمع الاوطان وتذيب الفرقة وتقضى على الخلف والخلاف . . وما فرّقته السياسة آن لنا أن نوحده بالثقافة .

الأدبي

لقيود .. والعمود



بتليث صحافتنا ـ عموما ـ بالعامود اليومي وتوارى النقد ادف والتنظير المدروس . وأثر ذلك سلبا او ايجابا على ستحدثات حركة الابداع ـ بل قل قضى على مدركاته ـ اصة وان جل ما يتناوله «العمود» مغرق فى الانشائية لانفعالية والمجاملة . . وحل فيه المتحول محل الثابت الدخيل فى موقع الاصيل مما طبع نتاجنا ـ وكبار الكتاب نا بالذات ـ بطابع انعدام الهوية الثقافية المعطاءة . . انسلاخ المعابر المثرية التى يستقى منها الشداة واللدات عارفهم وتوجهاتهم وانطلاقاتهم . بل واصبح «العمود» كاتبه ذى الاسم المهاب والرمز المذاب سلعة يومية لا تجد ن يقتنيها او يتعامل معها . وترفع الاكاديميون الثقاة عن المشاركة فى طرح عطائهم الا لمن يدفع اكثر ويفرز أوفر ـ متعللين بالجامعة ورسالتها . . غير مدركين أن الحياة والأحياء والوطن والمواطنة هم الجامعة الاكبر والقاعدة الارحب والاشمل . . . ولم تكن الجامعات يوما الا لخدمة المجتمع .

واستدراكا فانعدام النقد من الناحية الادائية والتوصيفية له فى بعده القريب تأثير مباشر على النهج المعرفي والمد الابداعى اذ هو المجهر الفاحص للعمل الثقافى ايا كان شكله وحجمه . . . ومع انعدامه فى صحافتنا عموما ـ الا القليل النادر ـ اخذ الانتاج الفكرى والمعرفي يتراوح فى مكانه . . وسيطرت على الساحة الادبية فراغات وصفها ابرزهم بأنها اسطر ملتزمة تضغط على انامله لكى يتقيد باشغالها بلا رقيب او حسيب كأنه ـ سلفا ـ وبنقده الذاتى هذا وفى ذكاء . . . وكأننا به يصور ماهية العمود ويفلسف مناهجه وصولا للنقد الذى ضاع فعله وذاب اثره . . فشاهدنا المنابر الثقافية المرسلة التى تمثلها صحافة العصر قد اعتلى ناصيتها فراغات ممجوجة ممقوتة .

﴿ وأما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض﴾

من هنا وامام كل هذه الافتراضات لابد ان تتمحور الثقافة العربية المرسلة ـ والابداع جزء فاعل فيها ـ فى خطة عمل مقننة تعبأ لتفرز اشعاعات تتواصل من خلالها الثقافات وتتكامل الرسالات . . ولابد ـ وملكاتنا معطلة ـ ان يعمل ولاة الأمور فينا والقيمون على رحيق احاسيسنا وعميق تطلعاتنا على منحنا الحرية الخلاقة المعبرة التى تلد جديدا نتناغم معه ونتنشى بشدوه ونتنفس من خلاله . . . ولابد ان يعيد اولئك المتربعون على الساحة الثقافية النظر فيما هم فيه . . ومن حقنا عليهم ـ والحال هكذا ـ ان نطلب الى اكثرهم التوقف عن كتابة «العامود» ليحتل موضعه الزهر والعود .

ومن الحتمى ان تكون صحافتنا والمجلات الادبية ـ بخاصة ـ اكثر التزاما وابعد عمقا وادق اختيارا واكثر موضوعية . . لأنها فى اطار رسالتها هى والكتاب وجهان ثابتان لعملة واحدة .

نبيه الانصاري

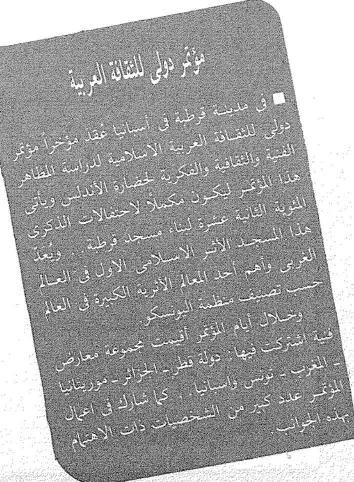


معرض القاهرة الدولى التاسع عشر للكتاب



يُعَدّ معرض القاهرة الدولى التاسع عشر للكتاب الذى أقيم فى أرض المعارض فى مدينة نصر بالقاهرة فى نهاية شهر يناير الماضى حدثاً ثقافياً ضخماً له مدلوله الثقافى وصداه الفكرى.. فقد تمت خلال ايام المعرض مجموعة من اللقاءات والندوات والمحاضرات فى الأدب والشعر والفكر والثقافة.. اشترك فيها عدد كبير من العلماء والمفكرين والادباء من مصر والعالم العربى.

وشاركت فى معرض الكتاب ستون دولة وهيئة دولية واكثر من ١٥٠٠ ناشر وبلغ عدد المطبوعات فيه ٣٧ مليون كتاب وشاركت فيه جميع الدول العربية.



مؤتمر دولى للثقافة العربية

■ فى مدينة قرطبة فى أسبانيا عُقد مؤخراً مؤتمر دولى للثقافة العربية الاسلامية لدراسة المظاهر الفنية والثقافية والفكرية لحضارة الأندلس ويأتى هذا المؤتمر ليكون مكملاً لاحتفالات الذكرى المئوية الثانية عشرة لبناء مسجد قرطبة.. ويُعدّ هذا المسجد الأثر الاسلامى الاول فى العالم الغربى وأهم أحد المعالم الأثرية الكبيرة فى العالم حسب تصنيف منظمة اليونسكو.

وخلال أيام المؤتمر أقيمت مجموعة معارض فنية اشتركت فيها: دولة قطر - الجزائر - موريتانيا - المغرب - تونس واسبانيا.. كما شارك فى اعمال المؤتمر عدد كبير من الشخصيات ذات الاهتمام بهذه الجوانب.



الفاو - والربذة

■ بعثة الآثار التابعة لجامعة الملك سعود عثرت مؤخراً على اكتشافات أثرية جديدة فى منطقتى الفاو - والربذة تضيف نتائج علمية مهمة عن تاريخ المنطقتين.. من هذه المكتشفات مقبرة يعتقد أنها لأحد نبلاء قرية الفاو وبعض المنازل والعديد من النقوش والكتابات والقطع الأثرية وبعض العملات منها عملة من البرونز لأحد أباطرة الرومان واخرى فضية.. وبعض الآثار الاخرى الفخارية والزجاجية والخزفية.

الاتحاد العالمى للجمعيات الطبية الاسلامية

■ تأسس هذا الاتحاد فى عام ١٩٨١ بدعوة من اتحاد الاطباء المسلمين فى الولايات المتحدة الامريكية وكندا المنبثق عن اتحاد الطلبة المسلمين فى امريكا وكندا. . والمقر الدائم له فى مدينة انديانا الامريكية. . ويضم الاتحاد جمعيات ومؤسسات طبية اسلامية فى كل من: كندا ـ مصر ـ الهند ـ الباكستان ـ اندونيسيا ـ نيجيريا ـ الولايات المتحدة الامريكية ـ جنوب افريقيا ـ السودان ـ المملكة المتحدة ـ ايرلندا ـ الاردن.

وفى مدينة عمان عاصمة الاردن عقد الاتحاد دورته الرابعة مؤخراً فى المستشفى الاسلامى بعمان. . وتأتى فى أوليات اهداف الاتحاد العالمى للجمعيات الطبية الاسلامية تنمية النشاطات الطبية الاسلامية. . بما فى ذلك الخدمات الصحية والتعليمية والابحاث وتنمية تبادل الخبرات الطبية والمعلومات الفنية بين الاعضاء. . كذلك تأكيد العلاقة المتناسقة بين تعاليم الاسلام ومتطلبات الرعاية الصحية لكل انسان.

جامعات الخليج تناقش بناء الانسان العربى المعاصر

يشارك عدد من جامعات الخليج العربى وجامعات العالم العربى فى المؤتمر التربوى الذى تستضيفه كلية التربية بجامعة الكويت تحت عنوان **«دور المناهج فى بناء الانسان العربى المعاصر»** وذلك فى مارس الحالى.

ويهدف هذا المؤتمر الى:

ابراز الاتجاهات الحديثة فى بناء المناهج المستقبلية، دراسة مدى واقعية الاهداف التربوية فى تحقيق متطلبات العصر، القاء الضوء على التقنيات التربوية العالمية الحديثة فى تطوير المناهج الدراسية فى البلاد العربية، اهمية دور الانشطة التعليمية فى بناء منهج عربى معاصر، ابراز السمات الرئيسية المعاصرة لجوانب اعداد وتدريب المعلم من اجل التوصل لبرامج تدريبية موحدة فى البلاد العربية، دراسة واقع الكتاب المدرسى لابراز مميزاته ومشكلاته الاساسية حتى يكون مواكبا لمتطلبات المناهج المعاصرة ودراسة واقع نظم تقويم المناهج المتبعة فى البلاد العربية بغرض التوصل الى افضل السبل التقويمية المعاصرة للمنهج.

الندوة العالمية للشباب الاسلامى

تتركز اهتمامات هذه «الندوة» على الأخذ بيد الشباب علميا وثقافيا وفكرياً وروحيا وذلك بمساهماتها الكثيرة والمتعددة فى كثير من مجالات الشباب المسلم فى انحاء العالم ومنها تقديم مساعدات مالية بلغت سبعة ملايين ريال اضافة الى دورها الفعال فى المشاركة فى انشاء وتأسيس عدد من المراكز والمدارس الاسلامية ومساعداتها لكثير من الجمعيات والمؤسسات القائمة على هذا الغرض. . وفى اطار خدماتها العلمية قامت (الندوة) بتوزيع اكثر من سبعة ملايين كتاب مترجم الى ستين لغة فى مختلف مناطق الاقليات المسلمة بكافة انحاء العالم.



إن الناظر المتفحص فى شريعة الاسلام يجد دون أدنى ريب أنها تتمتع بمزايا فريدة يأتى فى مقدمتها اتصافها بالعالمية وا[illegible]ل . . فهى الشريعة التى أنزلها الحق سبحانه وتعالى على رسوله ﴿ﷺ﴾ ليبلغها للناس كافة . . فكانت شريعة الفرد والأسرة والقبيلة والجماعة والدولة بل والعالم أجمع . . لا تخص زمناً أو جنساً أو مكاناً دون آخر . . وإنما هى منهج لكل زمان ومكان وإنسان .

وقد تضافرت النصوص الشرعية على تأكيد عالمية الاسلام وعلى كون نبوة رسوله للعالمين وختمه للنبيين وأستاذيته للبشر أجمعين . . يقول الحق جل شأنه **﴿تبارك الذى نزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾** . . ويقول **﴿قل يا أيها الناس إنى رسول الله اليكم جميعاً﴾** . . ويقول **﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾** . . وغير ذلك كثير فى كتاب الله . . كما جاءت السنة المطهرة لتقرر هذه الحقائق وتزيدها رسوخاً فى العقل والقلب . . يقول صلوات الله عليه وسلامه **«كان كل نبى يُبعث الى قومه خاصة وبُعثت الى الناس كافة»** ويقول **«ان الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول ولا نبى بعدى»** ويقول : **«بعثت الى الناس كافة الى الأحمر والأسْوَد»** .

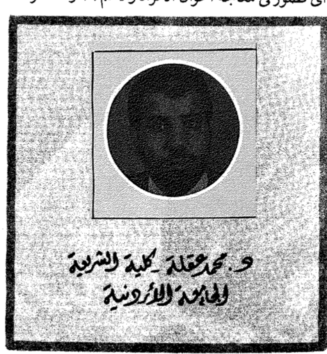
ومما يؤكد مفهوم عالمية الاسلام وعموم تعاليمه ما قام به رسول الله ﴿ﷺ﴾ من إرسال الكتب وبعث الرسل الى من عاصره من ملوك وحكام غير مستند فى ذلك الى قوته المادية أو مَنَعَة جيشه إذ لم يكن يملك من ذلك شيئاً . . ولكنه كان يبشر بدعوة الخير منطلقاً من يقينه بضرورة أن يشع نورها فى أرجاء المعمورة فيمحو ظلام النفوس . . ويعفى على فساد الواقع . . معتمداً قبل كل شيء على نصر الله وتأييده .

ومن ناحية أخرى فإن مدرسة محمد ﴿ﷺ﴾ هى بدورها آية أخرى على عالمية رسالته فقد ضمت بين جنباتها الصحابة رضوان الله عليهم على اختلاف أجناسهم . . فمن روادها أبو ذر الغفارى من تهامة وأبو هريرة من دوس باليمن . . وبلال بن رباح



الحبشى . . وصهيب الرومى . . وسلمان الفارسى . . نأت بهم الأوطان وفرقتهم الأعراق وجمعت بينهم العقيدة ووحدة الغاية والمصير فكانوا بنعمة الله اخواناً .

إن مُقْتَضَى تميّز شريعة الاسلام ودعوته بالشمول والخلود أن تكون كاملة مبرأة من أى نقص خالية من أى قصور فى معالجة أحوال الأفراد والأمم . . وهذا هو



شأنها فى الواقع . . فقد تناولت بالبحث والعلاج شعب الحياة ومجالاتها بغير استثناء من عقيدة أو عبادة أو أدب أو عادات أو أسرة أو اقتصاد او اجتماع أو سياسة أو ادارة . . فهى عقيدة تحرر العقل من الخرافة وتدعو الى العلم المستند الى الحجة والبرهان . . وهى عبادة تسمو بالروح وتشحذ العزيمة . . وهى خلق ينمى الشخصية ويحث على التعاون . . وهى قانون يحقق المصالح ويضمن العدالة . . يقول تبارك وتعالى : **﴿ما فرَّطنا فى الكتاب من شيىء﴾** ويقول : **﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيىء﴾** .

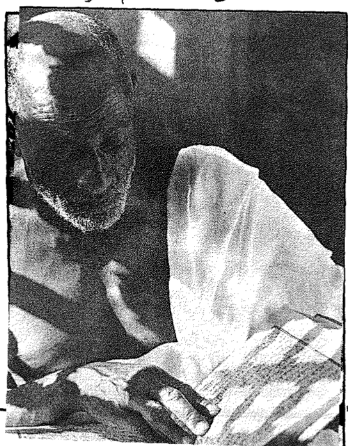
لقد استطاع الاسلام واعتماداً على قواعده الكلية بأصالتها ومرونتها أن يعالج جميع ما اشتملت عليه القوانين فى العصور الحديثة من وقائع وقضايا ومشكلات . . وأن يضفى عليها الصبغة الشرعية حتى وصل الفقه الاسلامى بأصوله وقواعده الى أن يكون بناء ضخماً يعتمد على أسس قوية صالحة قادرة على استيعاب كل جديد والتعامل مع كل تطوير واختراع . وإننا لعلى ثقة كاملة بأن التشريع

الاسلامى كفيل بمذاهبه المتعددة وما أرسيت عليه من أصول اجتهادية بأن يضع كل جديد على بساط البحث وأن يثمر النتائج الطيبة والحلول الناجعة التى تزيد من قناعة القاصى والدانى بصلاحية الشرع الالهى للتطبيق فى كل عصر ومكان . . ولا يحتاج ذلك اكثر من أن يشمر علماء الاسلام عن ساعد الجد وأن يبذلوا كل ما فى وسعهم فى مواجهة الحياة ومستجداتها مواجهة فعلية .

إن الناظر فى مسلك علمائنا من السلف الصالح يجدهم فيما حكموا به من المسائل متطورين بتطور عصرهم . متنقلين مع المصالح الشرعية المعتبرة مادامت لا تخالف نصاً أو إجماعاً أو قاعدة مقررة فكانوا جديرين بتقدير أمتهم وكان فقههم موضعاً للتطبيق دون أن يضيق به أحد ومن غير أن يعرض عنه حاكم أو محكوم .

وإذا كان المسلمون يبشرون بالاسلام ويدعون أهل الأرض الى أن يعيشوا حياتهم وفق منهجه نظراً لما هو عليه من اكتمال وصلاحية . . فالنتيجة الطبيعية لذلك أن يكون واقع المسلمين ومسلكهم منسجماً مع تعاليم دينهم . . وأن يحتكموا اليه بصورة الزامية فى شتى مجالات حياتهم . . ومرد ذلك الى كون هذا الدين يرتكز فى أول دعائمه على أن واضع أحكامه هو الحق جل وعلا وحده . . فليس لبشر أن يشرع أصولاً قانونية غير التى سنَّها سبحانه . . وليس للانسان فيها من دور الا حسن الفهم والتطبيق . . والى أن مصادر التشريع من كتاب وسُنَّة وغيرها هى وحدها التى يعرف منها مجموع الأحكام للوقائع التى تحدث للناس فى دنيا معاشهم . . يقول الامام الشافعى رحمه الله : كل ما نزل بمسلم ففيه حكم لازم وعلى سبيل الحق فيه دلالة موجودة . . وعليه إن كان بعينه حكم اتباعه وإذا لم يكن فيه بعينه طلب الدلالة على سبيل الحق بالاجتهاد والاجتهاد قياس» .

وفى قوله سبحانه ﴿**إن الحكمُ إلا لله**﴾ وقوله : ﴿**إنَّا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس فيما أراك الله**﴾ . . وما ماثلها من النصوص القرآنية أوضح دليل على اختصاصه سبحانه بالتشريع . . يضاف الى ذلك أن تحقيق معنى العبودية لله ـ وهى غاية خلق الانسان ـ يقتضى التحاكم الى شريعة الله . . إذ لما كانت العبادة تعنى الانقياد التام لأمر الله اعتقاداً



وعملاً فإن حياة المرء لا تكون عبادة الا إذا كانت قائمة على شريعة الله يحل ما أحله الله ويحرم ما حرمه ويخضع فيما يأتى ويدع لمنهجه وهداه متجرداً من حظ نفسه وهواه .

وعلى الرغم مما ذكرنا وأقمنا عليه الدليل من عالمية الاسلام واكتمال منهجه وصلاحيته لكل زمان ومكان ووجوب الاحتكام الى شرعه . . فاننا نرى فى ديار المسلمين اليوم وبفعل الحقب المظلمة التى مرت بها هذه الأمة فى ظل الاستعمار وسلبياته . . وتحت تأثير مؤامرات التغريب والغزو الثقافى ودعاوى أصحاب الدعوات المشبوهة والنظريات الضالة ـ نرى ـ صوراً من تمزق الواقع وعدم وضوح الهوية والنظر الى الاسلام كأجزاء وتفاريق لا ككل متكامل . . فهناك مَنْ يقبل من الاسلام أشياء ويرفض أخرى . . يقبلون العبادات فى الأعم ويتراجعون فى المعاملات والتشريع والأخلاق .

ويرجع هذا الانفصام الى أن المقولة التى رددها الحاقدون على الاسلام على اختلاف اسمائهم وصورهم والتى مفادها أن الاسلام دين عبادة فحسب وأنه لا ارتباط له بالتعامل مع الحياة وبعلاقة الأفراد والمجتمع ـ هذه المقولة ـ انطلت على نفر من أبناء الاسلام مما عرض الجانب الاكبر من الاسلام وهو المتعلق بالتعليم والاقتصاد والسياسة وما اليها لخطر كبير . . وفى ظل هذا الواقع المغلوط والفهم القاصر غدونا نرى الصور الشوهاء . . فالمسلم يتجاوز حدود الله فى ميدان التعامل ثم يرى أن حاله بخير ما دام يمارس الشعائر التعبدية . . أصبحنا نرى المرأة المسلمة تبرح بيتها سافرة متبرجة وتسلك سلوكاً يتجاوز حقوقها ومسؤوليتها ووظيفتها الفطرية ولا ترى فى ذلك بأساً ونرى من المسلمين من يعامل الناس معاملة طيبة . . ولكنه يفرط فى أمر العبادة أو يرى أن هذه السلوك لا صلة له بالصلاة والصيام إن كان من أهلها . . إن هذا النمط من الناس يرون فى الاسلام عبادة فقط . . ويتجاهلون أنه نظام مجتمع ومنهج حياة . . وأنهُ ينبغى على المسلم أن يعيش ويتعامل وفقه فى شتى مناحى حياته وبالتالى فإنه لا يجد غضاضة فى أن يصلى ومن بعد ذلك يتعامل بالربا أو القمار المحرمين . . أو أن يصوم ويقصر ويهمل فى القيام بواجبه واداء مهمات عمله أو أن يحج ولكنه لا يأمر ابنه او ابنته او زوجته او مسلماً بمعروف ولا ينهاهم عن منكر أو أن يزكى ثم يبالغ فى اغلاء مهر ابنته وشروط تزويجها أو أن يكثر من النوافل وفى الوقت ذاته يأتى ما نهى الله عنه من غيبة او كذب أو غش وما الى ذلك .

وقبل أن نضع النقاط على الحروف فى نقاش القائلين بفكرة فصل الدين عن الحياة لابد من القاء الضوء على أصل هذه المسألة ومنطلقها . . فهى بلا ريب فكرة غريبة عن الاسلام وتعاليمه هبت رياحها على بلادنا من أوربا حيث نبتت بذورها بعد عصر النهضة الذى ولد فى أعقاب الصراع المرير الذى خاضه العلماء ضد الكنيسة ورجالها الذين جاهروا بعدائهم للعلم والعلماء وأظهروا صنوفاً من الاستعلاء وادعوا



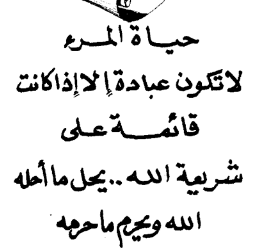
الواسع من الامتيازات وخنقوا الحريات . . وحين خرج رجال العلم ظافرين من معركتهم ضد رجال الكنيسة رأوا فى الدين خصماً لدوداً لأنه يقف فى وجه ما تريده عقولهم من تقدم وازدهار وحضارة .

وقد انتقلت هذه الفكرة الى ديار الاسلام على يد نفر تتلمذوا على فكر الغرب وتربوا على موائده ورأوا فى قشور حضارته مثلاً أعلى . . كما أن سيطرة الاستعمار بشقيه العسكرى والثقافى وما تركه من بصمات واضحة على مناهج التربية والتعليم قد أسهم فى تعزيز هذا الاتجاه وتعميقه .

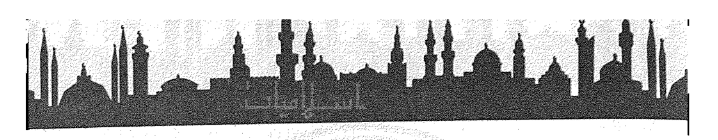
وواقع الامر أن شريعة الاسلام لا مجال فيها لمثل هذه الاتجاهات المنحرفة كيف وهى الشريعة التى أعلت من شأن العلم واحتفت بأهله ومنحت أتباعها الحرية فى البحث والتقصى والسعى لاكتشاف المجهول وحفلت بالاجتهاد وجعلت صاحبه مأجوراً ولو لم يحالفه الصواب فيما اجتهد .

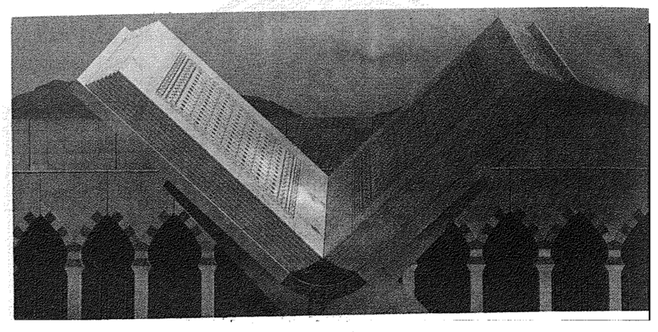
إن الدين فى الاسلام قسيم الدولة . . وهو يأبى أن تتجاوز العلمانية الملحدة وتعاليمه فى أى شكل كانت بحيث تحكم تعاليمه فى دائرة العقيدة والشعائر التعبدية فى حين تكون العلمانية هى الموجهة فى مجال التشريع . والدين بهذا لا يمكن أن يصطدم مع الدولة ولا أن ينفصل عنها لأن الدولة الحديثة لا تسعى الى اكثر مما يسعى اليه الاسلام بل انها لا تدانيه فى عظمته وسعة آفاقه وعمله على اسعاد المجتمع ورفع شأن الأمة . وعلى هذا فلا صدام

شريعة الاسلام
كاملة مبرّأة من أى نقص
خالية من أي
قصور فى معالجة أحوال
الأفراد والأمم



حياة المرء
لا تكون عبادة إلا إذا كانت
قائمة على
شريعة الله .. يحل ما أحله
الله ويحرم ما حرمه





بين الدين والعلم فى رحاب الاسلام بل إن الاسلام يؤاخى بينهما بل هو يجعل الدين علماً ويجعل العلم رائداً وهادياً الى الدين. كما أن الاسلام يقيم الروح المتآخية بين الدين والدولة فكانت محصلة ذلك إقامة حضارة خالدة زاهرة.

إن أحكام الشريعة لا تتجزأ ولا تقبل الانفصال.. لأن التجزئة تخالف الغرض من الشريعة ولأن نصوص الشريعة تمنع من العمل ببعضها وإهمال بعضها الآخر. كما تمنع من الايمان ببعضها والتنكر لبعضها الآخر.

إن وحدة أجزاء الشريعة كوحدة الجسد الانسانى فالعضو المقطوع من هذا الجسد لا يؤدى وظيفته كما لو كان مرتبطاً بالجسد الكامل.. ولو ربطنا ذلك العضو بجسد حيوان لما أحدث فيه من الانسانية بقدره كما أننا لا نحكم بحسن العضو وجماله وقيمته مفصولاً عن الجسد.

إن الاسلام بنظرته الجامعة المتكاملة الوسطية يعطى الاجابات الواضحة للنفس الانسانية والعقل الانسانى فى كل القضايا وازاء مختلف التحديات والأزمات.

ونقول أخيراً لمن يدعون بأن الاسلام دين أخلاق فردية وعقائد شخصية لا منهج حياة متكامل.. إنه لو كان الأمر كذلك لما وجدنا مسوغاً لتلك المغازى والفتوح التى قادها رسول الله وخلفاؤه من بعده.

لقد كانت دعوته إعلاناً لتحرير الانسان بصورة نظام يحكم البشر بشريعة الاسلام ويخرجهم حقاً من عبادة العباد الى عبادة الله تعالى. نذكر القائلين بالفصل والتجزئة بما قاله صلى الله عليه وسلم لأهل نجران حين شرطوا لانضمامهم للاسلام أن يحتفظوا لأنفسهم بشيىء من تراثهم الفكرى فقال لهم رافضاً عَرْضَهم «إن هذا الأمر لا يصلح إلا لمن أحاطه من جميع أطرافه».



يقف كثير منّا صباح كل يوم أمام المرآة الصقيلة يصُفُّ شعره ويصلح هندامه ويواسى رداءه ويلمع حذاءه.. وإذا كانت هذه المرآة لا تبدى إلا القشرة البادية فإنه حرىّ بنا أن نقف وقفة أخرى أمام مرآة أصفى وأنقى تصحيحاً لمسار حياتنا وتقويما لما اعوج منها.. لأنها إنما تظهر الجوهر الدفين ألا إنها مرآة القرآن.

ذلكم أن المسلم ليس بنهرٍ جمالُه فى رقة مائه وعليل هوائه.. وإنما هو بحر بكُنوزه وجواهره ولآلئه ومرجانه.. فاستخرجوا كنزكم المدفون فى بواطنكم ايها المسلمون.

قفوا أمام مرآة القرآن صباح مساء كل يوم وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا.

أصحاب العزمات المرجوة: اعلموا أن النفوس مجبولة على شيم مهملة وأخلاق مرسلة.. لا يستغنى محمودها عن التأديب، ولا المرضىّ منها عن التهذيب، فللمحمود وللمرضى فى نفسك أضداد مؤثرة، هوى مطاع وشهوة غالبة.. فإن أغفلت التأديب والتهذيب وأسندت ذلك الى العقل الفطرى أو الى الطبع الجِبِلّى قصَّرَ بك عن درجة المجتهدين، بل حط بك فى هاوية المقصرين.

أيها المهتدي بهدي القرآن: قف بنفسك عند قوله تعالى: **﴿فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هى المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى﴾**.

ثم انظر مع أي الفريقين أنت.. أأنت ممن آثر الحياة الدنيا؟. إذاً فشخص بنفسك داءك وابحث عن مواطن العلة فيك واذهب إلى أطباء النفوس وسلهم عن دوائك والتمسه عندهم.. فإن لم تجده

ند أحدهم فابحث عنه عند الآخر، وكن حريصاً لیه أكثر من حرصك على علاج القشرة البادية فإذا ا وجدته فَعُضّ عليه بنواجذك وإياك إياك أن يكون يصيبك منه مجرد المعرفة والعلم فإن مرض البدن يخلص منه بالموت.. ومرض النفس والقلب مرض يدوم أبد الابدين إلا ما شاء الله.

وإن كنت من الطائفة الثانية ممن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، أو ترجو ذلك، فابحث عن اخلاقك المحمودة فهذبها واستمسك بها وأبعد عنها كل ما يؤدى بها الى الغفلة أو يؤدى بها الى الهلاك.

أصحاب الآدمية المكرمة: أنتم بين داعيين.. داع نفسى يدعو الى الطغيان وإيثار الحياة الدنيا وما حُفَّ بالشهوات والملذات.. وداع ربانى يدعو الى مخافة الله وينهى عن اتباع الهوى.. وانت ياابن آدم بين الداعيين تميل الى هذا مرة والى ذاك أخرى ومقامك هذا مقام الابتلاء والامتحان وعليه تثاب أو تعاقب فاحرص على سلوك السبيل الذى به النجاة.

واعلم أن الدواء كل الدواء فى محاسبة النفس ومخالفتها.. فقد روى الامام احمد ـ رحمه الله تعالى ـ **«الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله»**. وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال: **«حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا فإنه أهون عليكم فى الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم وتزينوا للعرض الأكبر «يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية»**. وقال الحسن رحمه الله: **«ما الدابة الجموح بأحوج الى اللجام الشديد من نفسك»**. وقال سفيان الثورى ـ رحمه الله ـ ما عالجت شيئا أشد علىّ من نفسى مرة لى ومرة علی. وقال مالك بن دينار ـ رحمه الله ـ **«رحم الله عبدا قال لنفسه ألست صاحبة كذا ألست صاحبة كذا ثم ذمها ثم خطمها ثم ألزمها كتاب الله عز وجل فكان لها قائداً»**.

فإذا عزمت على تهذيب نفسك وتقويمها فاعلم أن أرباب القلوب جرَّبُوا قلوبهم فى حال الفرح والسرور فوجدوها قاسية نفرة بعيدة عن التأثر بذكر الله واليوم الآخر وجربوها فى حال الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة للتأثر فعلموا أن النجاة فى التباعد عن أسباب البطر وكثرة الضحك.

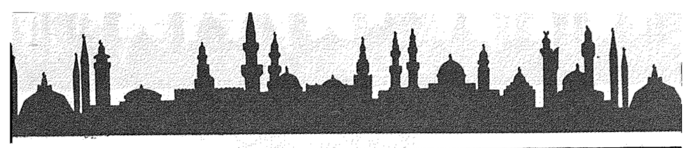
وإذا كان الأمر كذلك فافطم نفسك عن المعاصى والذنوب وروضها على الطاعات والأنس بذكر الله واعلم أنك ستكابد فى فطامها ـ بادىء الأمر ـ ما يكابده الطفل عند الفطام عن الثدى وستكابد فى ترويضها ما يكابده مروض الفرس للسرج واللجام والركوب ثم تستسلم لك بعد ذلك وتنقاد بل تصبح أسيرة لقلبك ينهاها عن هواها فتنتهى ويخوفها مقام ربها فتستجيب.

أيها المهتدون بهدى القرآن: ضعوا مرآة القرآن بين أعينكم صباح ومساء كل يوم، واعرضوا أنفسكم على قوله تعالى ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون﴾.

● ثم اعرضوها على قوله تعالى **﴿التائبون، العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين﴾**.

● ثم اعرضوها على قوله تعالى **﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذُكِرَ الله وجلتْ قلوبُهم وإذا تُليتْ عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾**.

فإن هذه الآيات هى مرآة القرآن الصافية فإذا وجدت فى نفسك هذه الأخلاق فأنت رجل قرآنى.



وظيفة المحتسب في

الحسبة فى اللغة كلمة مشتقة من كلمة أخرى هى «**حسبك**» **ومعناها** «**كفاك**» ومن هنا يتبين لنا أن مهمة الشخص الذى يقوم بها ـ ويقال له «**المحتسب**» هى بالدرجة الأولى محاسبة الناس على أعمالهم وردعهم عليها وذلك فيما لا يدخل فى اختصاص أولى الأمر الآخرين مثل: الوالى والقاضى وصاحب الشرطة وأمير الجيش . . . الخ.

وبكلمة أوضح نقول إن «المحتسب» هو منصب من مناصب الدولة الاسلامية كان صاحبه بمثابة «مراقب للتجار وأرباب الحرف يمنعهم من الغش فى تجارتهم وعملهم ومصنوعاتهم ويأخذهم باستعمال المكاييل والموازين. . وربما سعر عليهم بضائعهم»(١).

ومن هذا التعريف المبدئى يتبين لنا من أول وهلة أن المحتسب كان يقوم بالمهام التى يقوم بها رجال «**الشرطة البلدية**» و«**الضابطة التموينية**» فى هذه الأيام.

وبالرغم من أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مارس أثناء خلافته بنفسه بعض الوظائف التى أصبحت من مهام المحتسب فيما بعد إلا أن الرأى الراجح أن هذه الوظيفة ـ أى المحتسب ـ لم تظهر كوظيفة مستقلة إلا فى العهد العباسى فى زمن خلافة المهدى حسبما يؤكد أغلب الفقهاء والمؤرخين. . وفى رواية اخرى أن الحسبة نشأت فى زمن الرشيد حسبما يؤكد المؤرخ جميل نخلة مدور(٢) الذى يقول فى تبرير ذلك: «لما اتسع نطاق التجارة فى بغداد وأصبحت مورداً لأهل الأعواز من كافة البلاد يتناولون فيها حاجتهم من المال وقع غش فاحش فى التجارة وصارت الصيارف من اليهود وغيرهم يعطون مالهم بالربا على أن يعاد عليهم المثل فى آخر العام مثلين وأكثر منه. . فأقام الرشيد محتسباً يطوف بالأسواق ويفحص الأوزان والمكاييل من الغش وينظر فى معاملات التجار أن تكون جارية على سنن العدل حتى لا يتجاهل الشرفاء على الوصفاء والأغنياء على الفقراء. . إن الواجب على المنسلخين للتجارة الذين نراهم يتعرضون لشراء السلع والتجارات يفرضون لها من الثمن البخس ثم يبيعونها بما يشاؤون من الغلاء فإن ذلك الاحتكار يفضى الى إفساد العمران(٣)».

ومن المؤرخين الذين يرجعون بداية ظهور وظيفة المحتسب إلى عهد الخليفة المهدى المؤرخ الهندى المسلم «**سيد أمير على**» فى كتابه الذى نشره



بالانجليزية تحت عنوان «**مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامى**» حيث يقول فى ذلك: «هى وظيفة أنشأها المهدى وظلت من جملة التشكيلات التى أخذت بها الممالك الاسلامية فيما بعد . . وكان المحتسب يضطلع بمراقبة الناس وحمل الناس على المحافظة على الآداب كما يطوف مع توابعه فى الشوارع ليلا ونهاراً للتأكد من تنفيذ تعليمات الشرطة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومعاقبة من يحاول الغش فى المقاييس والمكاييل والأوزان ويذكر لنا الماوردى أن الحسبة درجة وسط بين القضاء والقوة التنفيذية».

والذى نعتقده نحن أن وظيفة «المحتسب» ليست مؤسسة إسلامية بحتة وإنما نقلها العرب المسلمون عن الرومان حيث عرف هؤلاء الأخيرون وظيفة باسم «المحاسب» QUAESTOR أيضا تشبه من حيث المهام والوظائف التى يمارسها صاحبها وظيفة «المحتسب» الاسلامى فيما بعد.

وقد يرد على رأينا هذا بأنه لو كان صحيحاً لكانت الحسبة ظهرت منذ العهد الراشدى أو الأموى على الأكثر وليس فى العهد العباسى كما حصل فعلاً . . وجوابنا على هذا أنه لم تظهر حاجة ماسة للأخذ بنظام الحسبة فى العهدين الراشدى والأموى لسببين:

(١) لأن الناس كانوا قريبى الصلة بالاسلام إلى درجة لم يكونوا فيها بحاجة الى موظف يقوم أعمالهم ويحاسبهم عليها إضافة للقاضى ولصاحب الشرطة.

(٢) إن المحتسب ـ بعكس القاضى وصاحب الشرطة ـ لا يستند إلى الشريعة فحسب بل يستند كذلك إلى الأعراف والعادات المحلية التى هى متنوعة ومتعددة بعكس أحكام الشريعة التى هى واحدة . . ولهذا السبب نرى إنه لما أتى العهد العباسى وأصبحت الدولة العربية الاسلامية تضم شعوباً شتى ذات أعراف وعادات متباينة ومتعددة قد يتطابق بعضها مع أحكام الشريعة وقد يختلف بعضها الآخر معها . . لذا أصبحت الحاجة ملحة لايجاد وظيفة المحتسب الذى يحاسب



الناس على تصرفاتهم وأعمالهم بالاضافة للقاضى ولرجل الشرطة .

وقد أخذ المحتسب الاسلامى بعض الوظائف الدينية الجديدة بالاضافة للوظائف المدنية التى كانت للمحاسب الرومانى .

وظائف المحتسب:

كان للمحتسب وظائف عديدة وبوسعنا القول فى هذا المجال إن كل مالا يدخل صراحة فى وظائف الوالى والقاضى وصاحب الشرطة حصراً كان من صلاحيات المحتسب .

ومع هذا بوسعنا أن نصنّف أهم الوظائف التى كان يمارسها المحتسب الاسلامى وذلك فى ست زمر رئيسة :

أ مراقبة أرباب الحرف: كان المحتسب يقوم بالمهام التى تقوم بها **(الضابطة البلدية)** و**(الضابطة التموينية)** فى هذه الأيام كما سبق أن قلنا . . وطريقة ذلك أن المحتسب كان يجمع أرباب المصالح الهامة فى حياة المجتمع (مثل الأطباء والمهندسين وأصحاب المطاعم والمخابز ومحلات الشواء . . . الخ) . ويلقى على مسامعهم التعليمات والوصايا التى عليهم أن يراعوها فى ممارسة مهنهم أو تصنيع إنتاجهم وتقديمه للجمهور.

وكانت له أساليب بارعة فى الكشف عن المخالفات التى يقوم بها أرباب الحرف وأهم هذه الأساليب هى بثّه لجملة من الأعوان السريين الذين يؤمّون الأسواق ويتعاملون مع الباعة وأرباب الحرف وكأنهم زبائن عاديين .

فمثلا فيما يتعلق بصنع الخبز كانت تعليمات المحتسب للخبازين تنص على وجوب «رفع سقائف أفرانهم وجعل منافس لها واسعة لخروج الدخان من سقوفها وبكنس بيت النار فى كل تعميرة وغسل البسليث وتنظيف مائه وغسل المعاجن وتنظيفها (. . . .) ولا يعجن العجان إلا وعليه ملعبة ضيقة الكُمّين ويكون ملثماً أيضاً لأنه ربما عطس أو تكلم فقطر شيء منه فى العجين ويشد على جبينه عصابة بيضاء لئلا يعرق فيقطر منه شيىء ويحلق شعر ذراعيه لئلا يسقط منه شيىء فى العجين وإذا عجن فى النهار فليكن عنده إنسان على يده مذبة يطرد عنه الذباب .

ويعتبر عليهم المحتسب ما يغشون به الخبز من الكركم والزعفران وما يجرى مجراه فإنهما يردئان الخبز ومنهم من يغشه بالحمص والفول .

ويلزمهم ألا يخبزوه حتى يختمر فإن الفطير (غير المختمر) يثقل فى الميزان وفى المعدة(٤) .

وكان المحتسب يأمر الخبازين بأن «يضع كل واحد منهم طابعاً (مِنْقَشاً) ينقش فيه اسمه ويطبعه على خبزه وتقوم الحجة به على صاحبه» . . ولهذا التدبير فائدة عظيمة لأنه يسهل معرفة اسم الخباز الذى يغش من جهة ولإثبات غشه عليه من جهة ثانية .

ب مراقبة المكاييل والموازين والمقاييس والأسعار: كان المحتسب يراقب تقيد التجار بالمكاييل الصحيحة والموازين والمقاييس الدقيقة المعتبرة من قبل الدولة والتى كانت غالباً تحفظ صورة منها فى المسجد أو لدى (**شيخ التجار**) أو (**أمين الكار**)(٥) وكان التاجر الذى يتلاعب بالوزن أو الكيل أو القياس يلقى من المحتسب جزاء قاسياً من الناحية

المادية والمعنوية حيث غالباً ما يجبر على امتطاء ظهر حمار بالمقلوب (أى أن يكون وجهه باتجاه مؤخرة الحمار) وهو يرتدى طرطوراً على رأسه ويحمل على صدره لافتة تدل على ذنبه وذلك بالاضافة لإلزامه بالتعويض على المتضرر«٦».

وبالاضافة لوظيفة المحتسب هذه المتعلقة بوجوب تقيد الباعة بالموازين والمكاييل والمقاييس الصحيحة ومعاقبة المخالفين تنفيذاً لحكم الآية الكريمة : **﴿ويل للمطففين، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾** فإنه كان يراقب الأسعار أيضاً ويأمر بالرد أو التعويض فى حال غبن المشترى. . بل إن بعض البلاد الاسلامية عرفت نظام «**التسعير الاجبارى**» أيضا وهو من مهام وزارة التجارة أو التموين اليوم ـ وذلك بتحديد أسعار المواد الأساسية وإلزام الباعة بتعليق الأسعار على البضائع. . ونجد هذا بشكل خاص فى الأندلس حيث يقول «المقرى» فى كتابه «**نفح الطيب**» من المصلحة أن يرسل المبتاع للصبى الصغير أو الجارية الرعناء فيستويان مع الحاذق فى معرفة الأوزان. . وكذلك اللحم تكون عليه ورقة بسعره ولا يجسر الجزار أن يبيع بأكثر أو دون ما حدّدالله المحتسب فى الورقة ولا يكاد يخفى خيانته فإن المحتسب يدسّ عليه صبياً أو جارية يبتاع أحدهما منه ثم يخبر المحتسب الوزن فإن وجد نقصاً قاس على ذلك حاله مع الناس. . فلا تسأل عما يلقى. . وإن كثر ذلك منه ولم يثب بعد الضرب والتجريس نفى من البلد»«٧»

ج مراقبة الأخلاق العامة : كان المحتسب يقوم بمهام (الشرطة الأخلاقية (Police Desmoeurs) فى عصرنا هذا أيضاً وذلك بمنع احتساء المسكرات ومنع تحرش الرجال بالنسوة والمحافظة على الحياء فى الحمامات العامة حيث على المحتسب «أن يتفقد المواضع التى يجتمع فيها النسوان مثل سوق الغزل والكتان وشطوط الأنهار وأبواب حمامات النساء وغير ذلك فإن رأى شاباً متعرضاً بامرأة ويكلمها فى غير معاملة من البيع أو الشراء أو ينظر إليهاعزَّره ومنعه من الوقوف. . هناك فكثير من الشباب المفسدين يقفون فى هذا الموضع وليس لهم حاجة»«٨» ومما يروى فى هذا المجال أن «**منكلى بُغا**» الذى تولى الحسبة فى القاهرة أيام السلطان المؤيد (وهو أول من تولى الحسبة فى القاهرة من غير العرب) قد تشدد فى حماية الأخلاق العامة ومنع تحرش الرجال بالنساء فى الشوارع إلى درجة أن بعض النساء كن يترنمن بالأغنية التالية فى مجالسهن: **لا تمسك طرفى**

منكلى خلفى

علقتو مائتين

قبل ما يعفى«٩»

د مراقبة الأبنية والطرق: كان المحتسب الاسلامى يمارس فى زمنه المهام التى تمارسها البلديات فى عصرنا هذا وخاصة فيها يتعلق بالنواحى التالية:

(١) مراقبة الطرق العامة لمنع التعدى عليها.

(٢) الأمر بهدم المنازل الخطرة التى تهدد بالسقوط.

(٣) إصلاح أسوار المدينة.

(٤) منع ذوى النوايا السيئة من تعلية منازلهم للاشراف على منازل غيرهم أو فتح نوافذ تطل على منازل غيرهم.

(٥) منع الذميين من تعلية منازلهم الى حد أعلى من منازل المسلمين المجاورين لهم.

(٦) الاشراف على نظافة الطرق بمنع أصحاب المخازن والمنازل المحيطة بها من إلقاء أقذار وفضلات فيها.

(٧) صيانة المساجد.

هـ اختصاصات دينية: كان للمحتسب أيضاً بعض الوظائف الدينية التى تعتمد على اختصاصه العام وهو **«الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر»** وذلك مثل:

- التأكد من تأدية الصلوات وخاصة صلاة الجمعة فى أوقاتها.

- التأكد من الحفاظ على حرمة المساجد بشكل تكون فيه للعبادة فقط. فإذا اتخذ واحد منها مكاناً للنوم أو للبيع والشراء أو لبثّ أفكار هدامة معادية للنظام العام فإن المحتسب يمنعه من ذلك.

●● ومن الوظائف التى تتعلق باختصاصاته الدينية هذه أيضاً:

(١) تأمين إعاشة المعوزين

(٢) إلزام المقصرين على القيام بمسؤولياتهم العائلية.

(٣) ملاحقة المفطرين فى رمضان

(٤) منع احتساء الخمور علناً حتى بالنسبة للذميين.

(٥) منع الربا.

(٦) منع معاملة الرقيق بشكل لا إنسانى

(٧) الرأفة بالحيوانات.

و اختصاصات قضائية: وأخيرا يمكن القول إن بعض المحتسبين كانوا يجمعون بين القضاء والحسبة معاً بتفويض من الوالى.

وحتى إذا كان المحتسب لا يجمع بين القضاء والحسبة فإن الفقهاء اعترفوا له ببعض الاختصاصات القضائية فى زمرة من الدعاوى التى لا تستلزم تمحيصاً فقيهاً وإنما معاينة حالة راهنة تتعلق باختصاصه فى الأصل وإعطاء حكم بها.

●● ويبدو هذا بشكل خاص فى الدعاوى التالية:

- دعوى البخس فى الكيل والوزن والمقياس

- دعوى التدليس (أى إخفاء العيوب بسوء نية) فى البيع.

- دعوى الغبن فى الثمن(١٠).

- دعوى المماطلة والتسويف فى دفع دين ثابت

ويتدخل المحتسب إما عفواً من تلقاء ذاته وإما بناء على طلب من الشخص المتضرر ويمكن تصور



كان من صلاحيات المحتسب كل مالا يدخل صراحة فى وظائف الـــوالى والقاضى وصاحب الشــرطة

الحالة فى حالة اشتكاء مشتر ضد بائع فى أنه غشه بالوزن أو السعر أو فى جودة البضاعة . . ويزيل المحتسب ضرر المتضرر بأن يحكم حسب الأعراف والعادات التى تتغير بين مدينة وأخرى (بعكس تعاليم الشريعة التى هى موحدة فى جميع الأقطار الاسلامية).

وأما التدابير الزجرية التى يمكن أن يحكم المحتسب بها فهى على التوالى وبحسب تسلسل أهميتها وخطورتها:

«الزجر ـ الغرامة ـ الحجز ـ الجلد ـ التشهير (التجريس) ـ السجن ـ منع مزاولة المهنة ـ النفى من المدينة».

وإن ما نعلمه عن نجاح المحتسب الاسلامى فى مهامه يجعلنا نتمنى لو عادت وظيفته فى أيامنا هذه الى البلاد الاسلامية(١١)

المراجع والهوامش

(١) الدكتور منير العجلانى: عبقرية الاسلام فى أصول الحكم، ص٣٠٣

(٢) جميل نخلة مدور: «حضارة الاسلام فى دار السلام».

(٣) كلمة «العمران» بمعنى «الحضارة» هنا.

(٤) النص للفقيه العربى «ابن الأخوة» وقد نقلناه عن الدكتور منير العجلانى فى كتابه الموسوم أعلاه.

(٥) لا يزال مقياس «الذراع» مثلا الذى اعتمدته الدولة الزيانية فى غرب الجزائر محفوراً حتى اليوم على جدار المسجد الكبير لمدينة تلمسان.

(٦) تسمى عملية التشهير هذه باسم «التجريس» لأنه كان يصاحبها إطلاق أجراس لزيادة فضح المذنب والتنديد به.

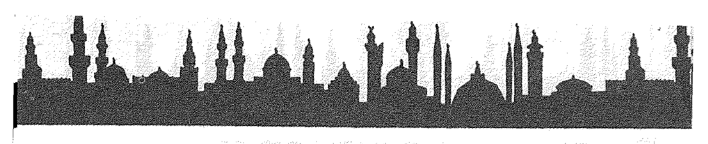
(٧) «نفح الطيب» للمقرى ـ ج٢ ـ ص١٠٢

(٨) عن «ابن الأخوة» مذكور قبلاً.

(٩) انظر «الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع» لشمس الدين السخاوى ـ مكتبة القدسى ـ القاهرة ١٣٥٣هـ ـ الجزء العاشر ـ ص١٧٣.

(١٠) لا يزال «التدليس» و«الغبن» من عيوب الرضى فى القوانين المدنية المعاصرة.

(١١) للتوسيع فى موضوع الحسبة والمحتسب انظر كتاب «آداب الحسبة» للسقطى.





عالجت الشريعة الاسلامية موضوع الربا بأسلوب حكيم اتبعت فيه اسلوب التدرج لاستئصال هذا الداء الذى احكم قبضته على المجتمع الجاهلى ولم يكن سهلاً أن يتخلى تجار مكة عن هذا الداء وهو أسلوب حياتهم المألوف فى تعاملهم التجارى.

لقد كان الربا متأصلاً فى دمائهم كالخمر الجارية فى عروقهم وكان التدرج التشريعى فى تحريمهما يشبه فطام الطفل فلابد فيه من المرحلية لأن قطعه مرة واحدة قد يحدث ارتباكا فى نفوسهم وأسواقهم ولو كان الأمر تصفية شركة أو تغيير عملة لاحتاج الى مراحل زمنية فكيف اذا استهدف الامر نسف النظام الاقتصادى وتغيير أسسه الراسخة الى نظام جديد.

لقد ذُكِرَ الربا فى أربعة مواضع من القرآن الكريم كانت بحسب نزولها تتضمن المراحل التالية:

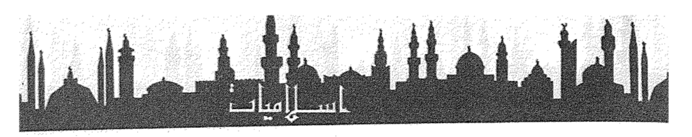
المرحلة الاولى

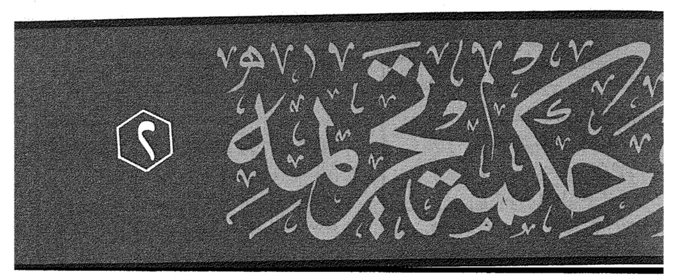
فى سورة الروم وهى مكية باتفاق المفسرين نزلت أول آية تعرضت لذكر الربا فى حياة المسلمين وهى قوله تعالى: **﴿وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضْعِفون﴾** (الروم ٣٩).

ويلاحظ القارىء الهدوء والسكينة تخيم على النص فلا تهديد ولا وعيد بل ولا نهى واقتصر الأمر على مقارنة بين نوعين من التعامل أحدهما مع الله وابتغاء وجهه الكريم والآخر مع الناس ابتغاء الزيادة ونتيجة المقارنة هى مضاعفة الله سبحانه لمن ابتغى وجهه ونفى ذلك عن الذى يبتغى ما عند الناس.

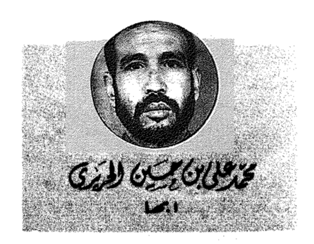
ومعنى الآية والله اعلم ـ ما أعطيتم من زيادة ربوية فانها لا أجر عليها عند الله ولا إثم أيضا ـ وجمهور المفسرين يرى أن الربا المقصود هنا هو الهدية بقصد المكافأة والزيادة عليها وكان هذا العمل محرماً على النبى ﴿ﷺ﴾ بقوله سبحانه ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ (المدثر) . . **أى لا تعطى فتأخذ أكثر منه عوضاً عن هديتك.**

قال عكرمة ـ الربا ربوان حلال وحرام فالحلال هو التماس الزيادة على الهدية. . وقيل ان الربا فى الآية هو الربا المحرم ومعنى لا يربو عند الله على هذا القول لا يحكم به بل هو للمأخوذ منه. . قال المهلب





ـ اختلف الفقهـاء فى من وهب يطلب بهبته الثواب فقال مالك ينظر فيه ان كان مثله يطلب الثواب من الموهـوب له فله ذلك كالفقير يهب الغنى والمخدوم يهب لخادمه وهو أحد قولى الشافعى وقال ابو حنيفة لا يكـون له ثواب مالم يشـترط وهـو قول الشافعى الآخر(١) . فهذه الآية موعظة سلبية فالربا لا ثواب له عند الله ولم تذكر الآية ان لآكله عقابا وهذا المعنى نظير ذكر الخمر فى آية ﴿تتخذون منه سكراً ورزقا حسنا﴾ . حيث أومأ برفق أن السكر ليس من الرزق الحسن وهو كاف لايقاظ النفوس الحية وتنبيهها الى الجهة التى سيقع عليها اختيار الشارع الحكيم(٢) . .



المرحلة الثانية

آية النساء ونزلت فى المدينة ونصها ﴿فبظلم من الـذين هادوا حرَّمنا عليهم طيباتٍ أُحِلَّتْ لهم وبصدِّهم عن سبيلِ الله كثيراً وأخذهم الربا وقد نُهوا عنه وأكلهم أموال الناسِ بالبـاطـل وأعتـدنا للكافرين منهم عذاباً أليما﴾ (النساء ١٦١) .

وهـذه الآيـة تلمس الـربا مباشرة وتُعرّض بقوم عُرفوا بعداوتهم للمسلمين كما عرفوا بماديتهم المفرطة وتعطشهم لسلب الناس وابتزاز اموالهم . . كما نبهت الآية الى أن الربا كان محرماً فى شريعة التوراة ولكن اليهود عصوا فأكلوا الربا فكان ذلك جزءاً في تحريم بعض الطيبـات عليهم وكـان تذييـل الآية بالوعيد الشديد ـ **وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليما** ـ والآية وإن كانت بحق اليهـود ولكنهـا تعـريض واضـح للمسلمين بضرورة ابتعادهم عن كل ما يسخط الله عز وجل مما اقترفته الأمم السابقة فكان ذلك خطوة أخـرى متقدمة فى طريق التدرج للتحريم القطعى للمعاملات الربوية .

وقد وضع هذا النصُّ جماعة المسلمين فى موقف ترقب وانتظـار لنهى قريب سيوجه إليهم وهو نظير المرحلة



الثانية فى الخمر ـ بالنهى عن الصلاة حالة السكر مما جعل المسلمين يقولون **اللهم بيِّن لنا فى الخمر بيانا شافياً** . وكأنهم يقولون بعد آية النساء (**اللهم بيِّن لنا فى الربا بيانا شافيا**).

المرحلة الثالثة

آيـة آل عمـران وهى تاليـة الآيـة السابقة نزولاً ونصها ﴿**يا أيها الذين آمنـوا لا تأكلوا الـربـا اضعـافـا مضـاعـفـة واتـقـوا الله لعلكم تفلحون**﴾ (آل عمران ١٣٠).

فبعد أن عرَّضت الآية السابقة باليهود خاطبت هذه الآية جميع المسلمين بإيمانهم وبنص صريح فيه بعض التقريـع والتوبيخ حيث ذكرت الآية تشنيع وقبـح صنيعهم بأكل الربا أضعافاً مضاعفة وامرتهم بتقـوى الله سبحـانـه ـ لعلكم تفلحـون ـ ترغيب وترهيب ـ خوَّفهم من عذاب الله وحثهم على تقواه ورغبهم فى الفلاح واطمعهم فيه ـ وقد اطبقت جماهير المفسرين ـ باستثناء ـ الشيخ المراغى ورشيد رضا ـ أن قيد الأضعاف المضاعفة فى الآية انما كان وصفاً لواقع التعـامل فى تلك الفترة وليست شرطاً يقيد التحريم بهذه الحالة فكون الربا اضعافاً مضاعفة حكاية حال وليس قيداً احترازيا يفيد حل ما سوى الاضعاف المضاعفة.

وقد حاول بعض المتسـاهلين فى قضية الربا التستر خلف هذا النص زاعمين ان الاسلام لم يحرم الا ما كان اضعافاً مضاعفة.

ومن المعروف عند الاصوليين أن القيد اذا قصد به بيان الحال اصبح لاغياً لا أثر له فى الحكم . . قال ابو السعود عند الآية : «اضعافاً مضاعفة ليس لتقييد النهى به بل لمراعـاة ما كانوا عليه من العادة توبيخاً وتشنيعاً لفعلهم»(٣) وقال الشوكانى «اضعافاً مضاعفة ليس لتقييد النهى لما هو معلوم من تحريم الربا على كل حال ولكنـه جيىء به باعتبار ما كانوا عليه من العادة التى يعتادونها فى الربا»(٤)

المرحلة الرابعة

آيـة البقـرة وهى من آخـر ما نزل ﴿**الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبَّطه الشيطانُ من المسِّ ذلك بأنهم قالوا إنَّما البيع مثل الـربـا وأحلَّ الله البيعَ وحرَّم الربا فمن جاءه موعظةٌ من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فاولئـك اصحـابُ النـار هم فيها خالـدون يمحق الله الربا ويُربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم**﴾.

أنه الاعجـاز البيانى فى تقنين وتقعيد الاحكام . . فاذا كانت آية آل عمران تصف المرابى بالجشع والهلع فهذه الآية تصفه بالهوس والجنون وتحرم الربا تحريماً قاطعاً لاطلاق اللفظ عن القيد بالمضاعفة . . وتوجه الناس الى طريق الكسب الحلال ـ البيع ـ فالشريعة تقدم البديل بعد استئصال الداء الراسخ فى شرايين اقتصاد الأمة.

وفى الآية مبدأ عدم رجعية القوانين (فانتهى فله ما سلف) التـوبـة تجبُّ ما قبلهـا ومن عاد ورفض الانقياد لأمر الله سبحانه ﴿**فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون**﴾ اصحابها المتخصصة لهم خلوداً ابديا ثم بيـان حقيقـة الـربـا أن مآلـه المحق والزوال اما الصدقة فيأخدها الله بيمينه يربيها لصاحبها كما يربى احدكم فلوه حتى تصير مثل أحد.

والآيـة ليست توجيهـاً فقـط بل لابـد للتشريع والتنظيم من قوة رادعة تنفذه وتحميه والا انقلب كلاماً استهلاكيا لا قيمة له . . ولذا جاء بعدها بآية وبنفس السياق . . النص النهائى الذى يردع كل طاغية وظالم ويحطم كل أنف اشمخر وأبى عن الطاعة.

﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسـولـه وان تبتم فلكم رؤوس امـوالكم لا**

تظلمـون ولا تظلمون﴾. . نداء يقرع الآذان وأمر بترك الـربـا واستئصـاله من حياة المجتمع . وبرفعه ارتفع الظلم وتوجه الجميع الى حياة فاضلة ومعاملة سامية ولكنها العملية الجراحية يبقى لها ندوب وآثار واعراض. . جاء القرآن الكريم بسرعة ليعالج الآثار الجانبية الناجمة عن جراحة السوق المسلم.

لكم رؤوس امـوالكم. . هذا هو العـدل الذى قامت به السموات. . ولكن اذا كان المدين لا يمكنه الـدفـع جاء الخطاب (فنظرة الى ميسرة) فان رافقه الاعسـار ابـداً **﴿وأن تصـدقـوا خير لكم ان كنتم تعلمـون﴾** ومن الـذى ينظـر المعسـر وهـو مخاطب بالتصـدق؟ . . انهم المرابون انفسهم فبعد أن كانوا يمصون دماء الأمة صاروا منارات الأمة فى عالم المثل والقيم ثم كانت خاتمة المطاف **﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله ثم تُوَفَّى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾**.



حكمة تحريم الربا

ان العبادات فى الاسلام لا تعلل ولكن ذلك لا يمنعنا من تلمس الحكمة الالهية فى جوانب متعددة من العبـادات وربنـا سبحـانه القائل **﴿الذى خلق المـوت والحيـاة ليبـلوكم أيكم احسن عمـلا﴾** (الملك٢). . له وحده الحق فى الابتلاء والحكم فى خلقه وملكه بما شاء.

فالابتـلاء وهـو أصـل العلل فى جميـع احكـام الشريعة ـ التكليف ـ الأمانة التى اعرضت عن حملها السموات والارض والجبال وحملها الانسان المكرم لأن التكليف نوع من التشريف. . وما من حكم فرضه الشـارع إلا وله حكمة خاصة واضحة او خفية. . معلومة او مجهولة لنا. . ولكن هذه الحكم كلها تندرج فى حفـظ الضروريات الخمس «**الدين ـ النفس ـ العقـل ـ العـرض ـ المـال**». . وهى ما أفـاض الشاطبى فى موافقاته مبينا مقاصد الشارع فأوجز هذه المقـاصـد فى ثلاثـة عنـاصر «**دفع المضار ـ جلب المصـالـح ـ الحث على مكارم الأخلاق**» ورتب الأصوليون على هذا ـ **الضروريات ـ الحاجيات ـ التحسينيات والكماليات**.

فأين موقع الربا من هذه الأمور؟ . . وما الحكمة فى تحريمه؟

لقد حاول الناس فى الجاهلية مقارنة البيع بالربا «انما البيع مثل الربا» وقد رد عليهم القرآن الكريم قائلا: **﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾**. . وعلى غير المألوف فى تشريع المحرمات لم توضح الآيات علة تحريم الربا كما جاء فى الخمر أنها رجس وأن الحيض أذى.

وظل الكتاب والباحثون يتلمسون حكمة تحريم الربا منذ عصـر التأليف حتى عام ١٩٥١ حيث انعقد المؤتمر الفقهى فى الأزهر فتعرض الدكتور محمد عبد الله دراز للموضوع ونقلها الدكتور السنهورى عنه.

وبـالتأمـل فى الآيـة **﴿وإن تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون﴾** نجد الربا اشير



اليه بأنه ظلم وهى أعظم حكمة يمكن رد المعاملات الـربـويـة إليهـا . . فالربا ظلم يضاف فى هذا الى العضب والسرقة والغش والتدليس ـ ولو رجعنا الى آية السرقة ﴿فمن تاب من بعد ظلمه﴾ فالسرقة ظلم والربا ظلم . .

وفى حديث السبع الموبقات ذكر الحديث الربا فى الرتبة الثالثة بعد الشرك والسحر وبما أن الشرك هو ظلم كبير فى قولـه تعـالى : ﴿**إن الشرك لظلم عظيم**﴾ فالشرك ظلم والـربا ظلم كالسرقة . . وأى ظلم اعظم من الربا الذى يأتى بعده فى حديث الكبائر ـ أكل مال اليتيم ـ فالربا ظلم اشنع وأفظع من اكل ماا اليتيم ـ فقد يكون اليتيم غنيا ولكن المقترض لا يقترض إلا لحاجة وعوز فكان أخذ الربا منه أشد ظلماً .

ومع هذا فإن الظلم ليس كل العلة وانما هو جزء منها يتعلق بالمدين المظلوم . . فهناك علة تتعلق بنفس المرابى الذى سولت له نفسـه ارتكـاب هذه الجريمة انها قسوة القلب وشـح النفس ومـوت الضمير وتبلد الحس الانسانى فيه فحسب الـدنيـا رأس كل خطيئة ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ .

ولخطورة الظلم فى المجتمع وهو علة مادية ـ وفظاعة شح النفس وموت الضمير وهى علة معنوية ـ اهتم الشارع بتحريم الربا وتهويل أمره حتى قال ﴿ﷺ﴾ : «**الربا بضع وسبعون باباً أدناها أن يأتى الرجل أمه علانية**» **وكذلك الايـمان بضـع وسبعـون شعبة أدناها** «**اماطة الأذى عن الطـريق وأعـلاهـا لا إلـه إلا الله**» فما العلاقة بين الربا والايمان فى هذا العدد .

أن اقرب ما يخطر على الذهن أن الربا ضد الايمان وأن كل باب من الربا ينسف شعبة من شعب الايمان . . فاذا كان الايمان يبدأ بإنسانية الانسان واخلاقه المتمدنة التى رعـاها الاسلام بإماطة الأذى عن الطريق ثم يتضاعف الايمان اكثر من سبعين مرة ليصل الى الشهادتين . . فإن الـربـا يبـدأ بمثـل أن يأتى الرجل أمه علانية فإلى أين سينتهى بعـد صعوده سبعين درجه . . (**درهم ربا يأكله الـرجـل أعظم عند الله من ست وثلاثين زنية يزنيها فى الاسـلام**) . . فالربا اذن خط مغاير ومناقض كلية لمفهوم الايـمان ويتضـاعف حتى يخرج آكله من قيـود الاخلاق والأديان والانسانية .

لقد قضى الربا على الكليات الخمسة التى جاء الاسلام بحفظها . . قضى على الدين بإعلان الله سبحانه الحرب على آكل الربا ولقد قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها لزيد بن أرقم عندما سمعت عنه بمعاملة تراها من الربا أنه ابطل جهاده مع النبى ﴿ﷺ﴾ . . وقضى على العقل ـ فآكل الربا لا يقوم إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس . . مس الجنون . . ان الخمر يغطى العقل لفترة زمنية أما الربا فيحجب العقل كله مدة الحياة . . وقد نص ابن دقيق العيد أن من المجرب أن المرابين لا يقضى لهم بحسن الخاتمة . . وذكر الامام مالك رضى الله عنه أن رجلاً رأى انسانا يمد يده الى القمر وهو شارب الخمر فحلف الرجل بالطـلاق أنـه لا يدخل جوف الانسان أخبث من الخمر فسأل مالكـاً فأفتى بطلاق زوجته لحنث يمينه لأن الربا أخبث من الخمر . . ولم أجد الله سبحانه توعد على شيىء كالوعيد على الربا(٥) .

أن التعامل بالربا يورث صاحبه اضطراباً نفسيا مستمرا عدا عن اضطـراب النظـام الاقتصـادى . . فآكـل الربا ينطلق من جشعه فى الكسب من جهد غيره وموكله ينطلق من جشع فى كسب ليس فى مقدوره ومن طبيعة الجشع أن يحدث اضطراباً وقلقا فى الأحاسيس والمشاعر قد يؤدى الى ضغط الدم والجلطة والذبحة الصدرية ونزيف المخ والموت المفاجىء . . بل لقد قرر الدكتور عبد العزيز اسماعيل فى كتابه «الاسلام والطب الحديث» أن الربا هو السبب فى كثـرة امـراض القلب الجسـمانيـة . . اما المرض الروحى فاسألوا علماء الشريعة عن آثاره وكوارثه فى حياة المرابين(٦) .

أما العرض فماذا يبقى بعد زنا المرابى بأمه . . **وأما المال فاى اتلاف له بعد وعيد الله سبحانه للربا بالمحق والهلاك** .

ان تحريم الربا يظهر كثيراً من الحكم الربانية البالغة ليس فقط فى البواعث الأدبية والخلقية بل هناك جوانب اقتصادية واجتماعية يضيق البحث عن حصرها .



البيع والربا: لقد احتج أكلة الربا فى الجاهلية أن البيع مثل الربا ـ وقد رد القرآن قياسهم فهناك فرق بين البيع والربا وان تشابها فى اتحاد هدفهما ـ الربح ـ وفى امكانية تأجيل كل منهما ولكن الربح عن طريق المعاملة (البيع) مختلف عن الربح بطريق المجاملة (القرض). . ليتصور أحدنا أنه اعار جاره آنية من البيت ثم طلب أجرتها أو أرشد ضالاً الى الطريق ثم طلب منه جعلاً على عمله. . إن هذا لا يتصوره الانسان السوى ـ ويجب ألا يختلف ذلك حينما تكون المعاونة على وجه القرض **«لأشياء ترد بمثلها»** لأن البيع يتعلق بمالين مختلفين لكل منهما قيمته ـ أما القرض فموضوعه مثلى عند الأداء والاقتضاء. . وقيمة المالين فى البيع يمكن ان تختلف الرغبة بهما تبعاً للعرض والطلب. . اما المقصود فى القرض كالإعارة هو استرداد الشيىء نفسه عينه او مثله فلا يوجد هنا ادنى قصد للمبادلة بين مالين. . ولا يجوز للمقرض الامتناع عن قبول عين ماله اذا رده المقترض.

ثم ان البيع عملية تقليب بين السلع والنقود وهى نوع انتاج بعكس الربا الذى لا يضيف الى الانتاج شيئا بل هو دائماً سلبى كل همه ابتزاز المدين وسرقة جزء من ماله.

قد يقول قائل ولكن أليس القرض فعلاً حسناً يحتاج لمكافأة؟.

بلى ـ ولكن يجب التمييز بين سلطان الحق وسلطان الواجب ـ بين القانون والاخلاق ولأن التشريع الاسلامى يمزج بين التقنين والاخلاق اعلن الحرب على آكل الربا. . ان وضع ربح مضمون للمقرض دون ان يكون مقابله ربح مضمون للمقترض هو عين الظلم الذى جاء الاسلام ليرفعه عن كاهل اهل الارض جميعاً. واوضح دستور لهذه السياسة قوله تعالى: **﴿كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم﴾**(٧). . لأنه بعملية رياضية بسيطة سيثبت لنا أن النظام الربوى سيجعل المال كله آيل الى ملك المقرضين حيث يصبح المرابى كالحوض الصغير الذى تنتهى اليه سواقى البلد او كحيل المغناطيس الذى جذب مسامير السفن فهلك اصحابها كما فى قصة السندباد البحرى(٨).

ويكفى أن الربا من الكبائر بنصوص السنة النبوية وقد لخص حكمة تحريمه فى الزواجر بالأمور التالية(٩):

أ ـ انتهاك حرمة مال المسلم بأخذ الزائد بلا عوض.

ب ـ الاضرار بالفقير لأن غالب الربا يقوم على غنى المقرض وفقر المقترض فإذا مكنا الغنى من أخذ أكثر من المثل أضر بالفقير ضرراً بالغا.

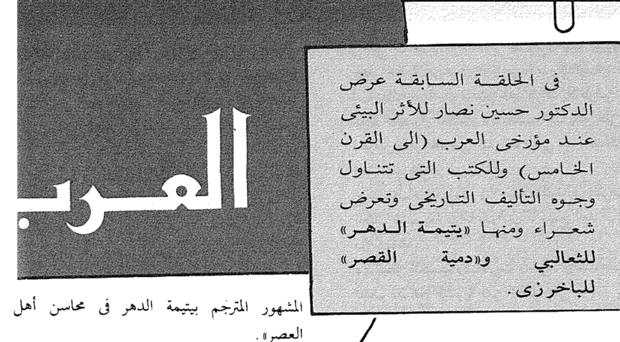
ج ـ انقطاع المعروف والاحسان المتوفر فى القرض فلو احلت الشريعة درهما بدرهمين لما سمح أحد أن يعطى درهماً بمثله.

د ـ تعطل الكسب والتجارات والحرف والصناعات التى تنتظم مصالح البشرية فمن يحصل على درهمين بدرهم كيف يتجشم مشقة كسب أو تجارة.

فلا عجب اذا نقل القرطبى عن ابن عباس أن آكل الربا يستتاب وإلا ضربت عنقه لأنه تتجسد فيه أعلى صور الجريمة الخلقية والاجتماعية.

فالتعامل بالربا من أشد المعاملات المالية حرمة وخطراً يمحق المال ويلعن المرابى ويفسد المجتمع (يأتى على الناس زمان لا يبقى فيه أحد إلا أكل الربا فإن لم يأكله أصابه من غباره أو دخانه او قتامه)(١٠) وهو لتداخله كالداء الدفين يفتك ولا يدرك. . قال عمر رضى الله عنه: **«ثلاث وددت لو أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ كان عهد إلينا فيهن عهداً ننتهى إليه ـ الجد والكلالة وأبواب من الربا»** وما من ذنب اعلن ربنا سبحانه الحرب على مقترفه إلا الربا ومعاداة أولياء الله الصالحين. . والله أعلم.

(١) فتح القدير للشوكانى ج ع ص٢٢٧
(٢) دراسات اسلامية فى العلاقات الاجتماعية والدولية ـ د. محمد عبد الله دراز ص١٦٠.
(٣) ارشاد العقل السليم ـ ج١ ـ الآية . . .
(٤) فتح القدير ج١ ص٣٨١
(٥) تفسير القرطبى ـ ٣/ ٢٦٤ ـ وقد استفدت هنا من بحث للشيخ عطية سالم فى محاضرات موسم حج عام ١٣٩٨هـ ـ رابطة العالم الاسلامى.
(٦) نقلاً من بحوث فى الربا ـ محمد ابو زهرة ص٢٤.
(٧) دراسات اسلامية ـ د. محمد عبد الله دراز ص١٦٧.
(٨) الربا ـ للمودودى.
(٩) الزواجر عن اقتراف الكبائر ـ ١/ ١٨٠
(١٠) ابو داود فى البيوت ـ باب اجتناب الشبهات ـ وفيه انقطاع بين الحسن وابى هريرة.



في الحلقــة السـابقـة عرض الدكتور حسين نصار للأثر البيئى عنـد مؤرخى العرب (الى القرن الخـامس) وللكتب التى تتنـاول وجـوه التأليف التـاريخى وتعرض شعـــراء ومنهـا «يتيمـة الـدهـر» للثعالبي و«دمية القصر» للباخرزى.

المشهور المترجم بيتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر».

وصرح انه حشا كل قسم بالحديث عمن ملكه ثم الكتاب والوزراء ثم أعيان الشعراء ثم المقلين منهم غير أنه لم يفصل بين كل فئة وأخرى لتداخلها ولذلك كثيرا مالا يتضح هذا المنهج.

وقال العماد الاصفهانى عن القاضى الرشيد أحمد بن على بن الزبير «صنف كتاب جنان الجنان ورياض الاذهان، وذيَّل به اليتيمة وطالعت منع جزءا ذكر فيه شعراً».

ويدل هذا القول أن القاضى الرشيد قسم كتابه على أسـاس جغرافى وان كان الكتاب مفقودا على الرغم من استفادة من كتبوا عن شعراء مصر منه مثل العماد فى الخريدة وابن سعيد فى المغرب ويؤكد هذا الاستنتاج قول الادفوى فى الطالع السعيد: «ذيل به على اليتيمة».

وعلى الرغم من ذلك لا أستطيع المواءمة بين هذه الاقوال وقول ياقوت الذى يدل على انه لم يتناول الا من عاش فى مصر من الشعراء.. قال: **«كتاب جنان الجنـان وروضة الأذهان»** فى أربع مجلدات يشتمل على شعر شعراء مصر ومن طرأ عليهم».

انتقـل المنهـج الى الانـدلس فى القـرن السادس فاتبعه على بن بسام الشنتريني فى كتابه **«الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة»** غير أنـه قصره على الاندلس وحدها من الاقطار العربية.

■ وجعل المؤلف كتابه فى اربعة أقسام:

الأول منها لأهل قرطبة وما يصاقبها من بلاد متوسطة الاندلس.
الثانى لأهل الجانب الغربى.
الثالث لأهل الجانب الشرقى.
الرابع للطارئين على الاندلس.

واستطـرد الى ثلاثـة عشـر أديبـا من المشـارقة المعاصرين الذين لا صلة لهم بالاندلس.. وأعلن انه عقـد هذا القسم «ائتســاء بأبى منصـور فى تأليفـه



الحلقة الاخيرة

... واثر البيئة

د. حسين نصار
كلية الآداب
جامعة القاهرة

وألف البيهقى ذيلا على دمية القصر جمع فيه أشعار أهل عصره وسماه «**وشاح الدمية**» ثم ألف تتمة له فى مجلد خفيف سماه «**درة الوشاح**» وقد اختلف العلماء فى اسم البيهقى فجعله السمعانى فى الذيل: أبا الحسن على بن زيد.. وجعله العماد الاصفهانى فى «**الخريدة**» شرف الدين أبا الحسن على بن الحسن.. والمرجح هو الاول فهو المنقول عن خط يده.. وقد عثر فى خزانة كتب حسين جلبى بمدينة بروسة فى تركيا على جزء من الدرة.

وألف أبو المعالى سعد بن على بن القاسم الانصارى الحظيرى المعروف بدلال الكتب «**زينة الدهر وعصرة أهل العصر**» الذى سماه ابن الدبيثى «**زينة الدهر فى لطائف شعراء العصر**» جمع فيه جماعة كثيرة من أهل عصره ومن تقدمهم.

وألف عماد الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد القرشى الاصبهانى كتاب «**خريدة القصر وجريدة العصر**» لأهل عصره وجعله فى أربعة أقسام:

١ - *القسم الاول لشعراء العراق*

٢ - *القسم الثانى لشعراء العجم وفارس وخراسان.*

٣ - *القسم الثالث لشعراء الشام والموصل وجزيرة بنى ربيعة وديار بكر وما يجاورها من البلاد والحجاز وتهامة واليمن.*

٤ - *القسم الرابع لشعراء مصر وأعمالهم وجزيرة صقلية والمغرب والاندلس.*

وفصل شعراء كل اقليم عن الاقاليم الاخرى التى جمعها تحت قسم واحد واتبع فى الترجمة نهجا مماثلا لنهج الثعالبى فى اليتيمة.

وبعد مدة من تأليف الخريدة عثر العماد على جماعة من الشعراء أهملهم أو أخل الحديث عنهم فاستدركهم فى كتاب فى ثلاثة مجلدات أورد العلماء اسمه فى صور متعددة فقيل السيل وقيل السيل، والذيل، وقيل السيل على الذيل.

واختصر الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى الخريدة.. ويبدو أن خزانة كتب المجمع العلمى العراقى تقتنى مختصرا عن هذا المختصر.

واختصرها أيضا على بن محمد المعروف برضائى الرومى فى كتاب يسمى «**عود الشباب**» أو «**الشهاب بطرد الذباب**» وتتوزع نسخه على برلين واستنبول

ر. ان

ثم اخـرج على بن موسى المعروف بابن سعيد الاندلسى كتابى «**المُغْرِب فى حلى المَغْرِب**» و«**المُشْرِق فى حلى المَشْرِق**» وأراد بالمغرب المنطقة من مصر الى المغـرب والاندلس وبالمشرق المنطقة من الشام الى أقصى العالم العربى شرقا وعالج كل واحد من هذه المناطق معالجة جغرافية.

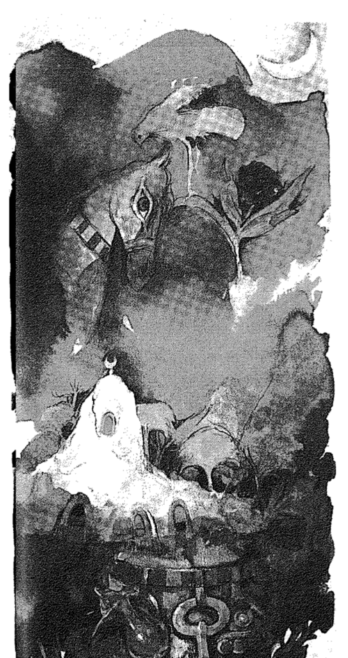
فقـد قسم منطقـة الاندلس الى غرب وموسطة وشـرق وأفرد لكل قسم منها كتابا.. فسمى كتاب الغـرب «**كتـاب العـرس فى حلى غرب الاندلس**» وسمى كتاب الموسطة «**كتاب الشفاه اللعس فى حلى موسطـة الانـدلس**» وسمى كتـاب الشـرق «**كتاب الأنس فى حلى شرق الاندلس**».

ولم يقنع بهذا بل قسم كل واحد من هذه الاقسام الثلاثة تبعا للممالك التى ظهرت فيه وأعطى كلا منها كتاباً.. فكان نصيب غرب الاندلس سبعة كتب هى:

١ ـ *كتاب الحلة المذهبة فى حلى مملكة قرطبة.*
٢ ـ *كتاب الذهبية الاصيلية فى حلى المملكة الاشبيلية.*
٣ ـ *كتاب الفردوس فى حلى مملكة بطليوس.*
٤ ـ *كتاب الخلب فى حلى مملكة شلب.*
٥ ـ *كتاب الديباجة فى حلى مملكة باجة.*
٦ ـ *كتاب الرياض المصونة فى حلى مملكة أشبونة.*
٧ ـ *كتاب خدع الممالقة فى حلى مملكة مالقة.*

ثم قسم كل واحدة من هذه الممالك تبعا لما تشتمل عليه من كور.. فقسم الأولى مثلا الى ما يلى:

١ ـ *كتاب الحلة الذهبية فى الكورة القرطبية.*
٢ ـ *كتاب الدرة المصونة فى حلى كورة بلكونة.*
٣ ـ *كتاب محادثة السير فى حلى كورة القصير.*
٤ ـ *كتاب الوشى المصور فى حلى كورة المدور.*
٥ ـ *كتاب نيل المراد فى حلى كورة مراد.*
٦ ـ *كتاب المزنة فى حلى كورة كزنة.*
٧ ـ *كتاب الدر النافق فى حلى كورة غافق.*
٨ ـ *كتاب النغمة الارجة فى حلى كورة استجة.*
٩ ـ *كتاب الكوكب الدرية فى حلى كورة القبرية.*
١٠ ـ *كتاب رقة المحبة فى حلى كورة استبة.*
١١ ـ *كتاب السوسانة فى حلى كورة اليسانة.*



●● ثم قسم كل كورة تبعا لما تشتمل عليه من مدن مشهورة فاشتملت الكورة الأولى من الكور السابقة على الكتب التالية :

١ ـ *كتاب النغم المطربة فى حلى حضرة قرطبة .*

٢ ـ *كتاب الصبيحة الغراء فى حلى حضرة الزهراء .*

٣ ـ *كتاب البدائع الباهرة فى حلى حضرة الزاهرة .*

٤ ـ *كتاب الوردة فى حلى مدينة شقندة .*

٥ ـ *كتاب الجرعة السيغة فى حلى قرية وزغة .*

وعد المؤلف كل قاعدة لمملكة عروسا لها ورأى أن العروس الكاملة الزينة تحتاج الى منصة وتاج وسلك وحلة وأهداب أما المنصة فخصصها للمعلومات الجغرافية عن القاعدة والمنشآت وأفرد التاج للمعلومات التاريخية بمن حكموها والسلك لتراجم من له شعر من الوزراء والكتاب والقضاة والعلماء والشعراء والحلة لتراجم من ليس له شعر من أعلام الفئات السابقة والأهداب للوشاحين والزجالين وأصحاب النوادر.

وواضح أن المؤلف أقام جميع أقسام كتابه على أسس جغرافية بينة .

وألف شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجى كتاب «**رحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا**» وقسمه الى اربعة أقسام :

١ ـ *القسم الأول فى محاسن أهل الشام ونواحيها .*

٢ ـ *القسم الثانى فى محاسن العصريين من أهل المغرب وما والاها .*

٣ ـ *القسم الثالث فى مصر وأحوالها .*

٤ ـ *القسم الرابع فى ذكر الروم (بلاد الاتراك العثمانيين) .*

وقد خصص فصلا من القسم الثانى لمكة المكرمة وأكثر من الحديث عن تجاربه الشخصية فى الكتاب خاصة فى القسم الاخير الذى أضاف فيه عددا من المعارف أيضا .

وألف محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين المحبى «**نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة**» ذيلا على ريحانة الألبا . . وبناه على ثمانية أبواب :

١ ـ *الأول فى محاسن شعراء دمشق ونواحيها .*

٢ ـ *الثانى فى نوادر أدباء حلب .*

٣ ـ *الثالث فى نوابغ بلغاء الروم .*

٤ ـ *الرابع فى ظرائف العراق والبحرين .*

٥ ـ *الخامس فى لطائف اليمن .*

٦ ـ *السادس فى عجائب نبغاء الحجاز .*

٧ ـ *السابع فى غرائب نبهاء مصر .*

٨ ـ *الثامن فى تحائف أذكياء المغرب .*

ولم يتبع المؤلف ترتيبا ما فى كتابه غير أنه خصص فصلا لبعض البيوت العلمية فى قسم دمشق مثل بيت حمزة وبيت العماد وبيت المحبى .

ونقد ناقدون «**نفحة الريحانة**» وتجمعت لدى مؤلفه معارف جديدة فشرع فى تدوين ذيل لها . . ولكن الأجل لم يمهله لينسق ما كتب وعندما عثر عليه تلميذه محمد بن محمود السؤالاتى الحنفى العثمانى عنى به ونظمه وأضاف إليه .

●● واقتصر السؤالاتى فى التقسيم على ثلاثة فصول هى :

١ ـ *الفصل الأول فى بلغاء دمشق الشام .*

٢ ـ *الفصل الثانى فى بلغاء المدينة المنورة .*

٣ ـ *الفصل الثالث فى نبهاء حلب الشهباء .*

وتقتني دار الكتب المصرية مخطوطة تحت رقم ٢٨٠ / أدب. . وعنوانها «**مختارات نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة**» وتتبع تبويب النفحة ولكن المخطوطة لم تشر الى صاحب هذه المختارات ولا زمن تدوينها.

وألف السيد على صدر الدين المدنى بن أحمد نظام الدين الحسينى الحسنى المعروف بابن معصوم كتاب «سلافة العصر فى محاسن الشعراء بكل مصر» ترجم فيه لمعاصريه وقسمه كما يلى:

١ ـ *القسم الاول فى محاسن أهل الحرمين الشريفين (مكة المكرمة والمدينة المنورة).*

٢ ـ *القسم الثانى فى محاسن أهل الشام ومصر ونواحيها.*

٣ ـ *القسم الثالث فى محاسن أهل اليمن.*

٤ ـ *القسم الرابع فى محاسن أهل العجم والبحرين والعراق.*

٥ ـ *القسم الخامس فى محاسن أهل المغرب.*

وفصل فى القسم الاول تراجم مكة عن المدينة غير أنه لم يفعل ذلك فى بقية الاقسام ولم يقصر حديثه على أبناء هذه الاقاليم بل تحدث عن نزلائها أيضا. . وان أخرهم الى ختام الفصول.

وألف عبد الغنى بن اسماعيل النابلسى «**ذيل نفحة الريحانة**».

وذكر المرادى فى سلك الدرر أن سعيد بن محمد بن احمد السمان الشافعى الدمشقى «أراد تأليف كتاب يترجم به شعراء عصره. . وارتحل للبلاد بقصد ذلك وأراد أن يجعله كالنفحة للأمين المحبى والريحانة للشهاب الخفاجى والسلافة لابن معصوم المكى. . فلم يتم له ذلك وبقى فى المسودات وانتشر وتبدد والمنية عاقته عن نشر هذه الفوائد السنية».

ولكن عبد الفتاح محمد الحلو ناشر نفحة الريحانة لاحظ أن المرادى نفسه يملأ كتابه سلك الدرر بالنقل عنه والرجوع اليه وذكر أسماء من نقل عنهم فى تراجمهم ثم قال: «ولعل أول ما يلاحظ على هؤلاء المترجمين أنهم دمشقيون فلعل السمان لم يمكّن الا من تراجم أبناء بلدته أو لعل هذا هو القسم الذى سلم من كتابه واعتمد عليه المرادى. . وهذا هو ما حدا ببروكلمان الى تسمية كتاب السمان «تراجم أعيان دمشق» وقد ذكر له مخطوطات فى عدد من المكتبات.

وألف عصام الدين عثمان بن على بن مراد العمرى الموصلى الحنفى كتاب «**الروض النضر فى تراجم أدباء العصر**».

■ يتبين من هذه الجولة أن الكتب التى ترجمت للادباء على اساس جغرافى استمرت منذ القرن الرابع الى الثانى عشر واذا كانت القائمة التى تتبعتها ينقصها بعض القرون فانى أظن أن ذلك راجع الى ضياع الكتب التى ألفت فيها أو عدم شهرتها فلم أهتد اليها ولا أظن أن هذه القرون خلت من هذا الصنف من التأليف وكانت بعض القرون من الثراء بحيث أنتجت أربعة كتب مثل السادس والثانى عشر غير أن الكثير منها اقتصر على كتابين. . ونلاحظ أن أربعة من المؤلفين أصدروا تتمات لمصنفاتهم وأن بعض هذه المصنفات وجدت من يختصرها أو يختار منها.

■ ونتبين أن كل واحد من هؤلاء المؤلفين كان يترجم



لمعاصريه ويتحرى ألا يأتى بمن أتى به سابقه من الأعلام الا اذا وجد بين يديه مادة وافرة عنه غير موجودة عنده أو خالفه فى بعض ما أورده عنه.

ونتبين أن الأساس الجغرافى لم يتطور وفق زمن التأليف بحيث يصير عند المتأخر أدق وأحكم منه عند المتقدم بل بقى كما هو فى ملامحه العامة ويتسع ويضيق وتكثر عناصره وتضيق تبعا لنظرة المؤلف لا لاستفادته من قصور سابقه وسعيه هو الى الكمال.. ولذلك نرى أكثرهم يجمع فى الفصل الواحد بين الاقاليم المتعددة بل المتباعدة وكثيرا ما يجمع بين أبناء اقليم واقليم آخر داخل الفصل الواحد.. ونجدهم يجمعون بين أبناء الأقاليم والطارئين عليها طالت مدد اقامتهم أو قصرت. ونجدهم يختلفون فى ترتيب الاقاليم فى كتبهم لا لسبب جغرافى.. وانما لأسباب شخصية.

■ ونتبين أن التقسيم الجغرافى يصل الى قمة كماله عند المغاربة أما ابن بسام فيمكن أن يعلل الأمر باقتصاره على الأندلس وحدها.. وأما ابن سعيد فقد تناول فى كتابيه العالم الاسلامى كله.. ووصل فى تصنيفه الى كمال لم يصل اليه احد قبله أو بعده.

ونبقى اشارة ضرورية الى كتاب «**نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**» لأحمد بن محمد بن محمد المقرى (١٦٣١) ذلك الكتاب الذى ينقسم الى قسمين: أولهما عن الاندلس.. وثانيهما عن الوزير الاديب.. فان ظاهر التقسيم يوحى بأن المؤلف اتبع المنهج الذى يسلكه المؤلفون المحدثون عن الادباء ويبدؤنه بالحديث عن بيئاتهم ويعقبونه بالحديث عنهم وانطلاقا من ايمانهم بما تخلفه البيئة فى حياة الادباء وانتاجهم من آثار.. ولكن المقرى لم يصرح بشىء من ذلك وانما أعلن أنه كتب أولا عن الاديب ثم رأى أن يكتب عن الاندلس وأن يجمع ما كتب فى كتاب واحد.. وغير بعيد أن يكون احساس قريب من احساس المحدثين هو الذى دفعه الى هذا الجمع الذى نعدم نظيره فى التراث العربى.



لنبدأ بالبداية

وها أنذا فى سنة ١٩٤٠ أقع لأول مرة على خبر لأدب فى الحجاز الحديث إذ تهيأ لى مصادفة اقتناء كتاب «أدب الحجاز» أو صفحة فكرية من أدب الناشئة الحجازية شعراً ونثراً.. جمعه ورتبه محمد سرور الصبان.. طبع على نفقة المكتبة الحجازية بمكة المكرمة وحقوق الطبع محفوظة لها.. المطبعة العربية بمصر - شارع المزين بالموسكى لصاحبها خير الدين الزركلى ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م - ٨٨ ص + ٢. وعلى غلافه الأخير: «المكتبة الحجازية بمكة المكرمة» لأصحابها محمد سرور الصبان واخوانه.. تجد فيها ما تحتاجه من الكتب النافعة بجميع أنواعها وهى مستعدة لخدمة المؤلفين وأصحاب المكاتب ببيع ما يرسلونه من الكتب على حسابهم».

وكنت قد تخرجت فى ثانوية مدينتى (الحلة) وعينت معلماً بعيداً عنها الى الجنوب وعثرت على الكتاب فى بلدة لم يكن منتظرا أن اجد فيها مكتبة أو كتابا عنوانه «أدب الحجاز».. ويلحق بالمصادفة مزاج بحب الاطلاع ومتابعة الأدب الحديث فى العراق ومصر على شكل هواية.

لابد من أنى قرأت كتاب «أدب الحجاز» أو قرأت فيه على الأقل كما هو طبيعى جدا ولكنى لا أذكر أى انطباع معين من آثاره فىَّ.. وكأن الأمر طبيعى جداً أن يكون فى الحجاز شعر ونثر وشعراء وكتاب كما هو طبيعى فى العراق وفى مصر وكل قطر عربى.. أما فيما عدا ذاك فلا تعنى أعلام الكتاب شيئا.. فمن عبد الوهاب آشى؟.. ومن محمد حسن عواد؟.. ومن..؟ ومن..؟.. فأسئلة لم ترد على البال ولم تلفت كلمة «الناشئة» الواردة على غلاف الكتاب



يسجل الدكتور على جواد الطاهر فى هذه الحلقات آراءه وانطباعاته عن حركة النشر فى بداياتها فى المملكة ونحن اذ نرحب بهذه النظرة الفاحصة فاننا نتوجه الى قرائنا آملين ان تكون هذه الحلقات ترسيخاً للمفهوم واستزاده من الوعى.. ونرجو استاذنا مواكبة ذلك الطموح.

ـودي

النظر.. وأولى ـ بعد ذلك ـ أن يغيب عن الذهن سؤال أو اسئلة عن الذين أخل بذكرهم الكتاب.. ولماذا أخل؟. ولم يمر بالبال أن يكون هؤلاء «الناشئة» مَنْ ذُكِرَ ومَنْ لم يذكر يكونون طليعة الأدب الحديث والجيل الجديد ويكونون ـ بعد ذلك ـ الرواد والرعيل الأول.

●● واستأنفت دراستى وتخرجت فى دار المعلمين العالية ـ قسم اللغة العربية سنة ١٩٤٥ وعينت مدرساً فى «الحلة» فاذا بى مشتركا بمجلة «المنهل» بدءاً بـ «مجلد٦ ـ عدد ٧، رجب ١٣٦٥هـ/ يونيو ١٩٤٦م» ولم تضع «المنهل» تعريفا لها تحت اسمها ولكنك لا تعدم أن تجد فى أحد أعدادها على الصفحة الثانية من الغلاف الخارجى ما يهمك إذا طلبته: **«المنهل ـ مجلة للعلوم والآداب ـ تصدر بمكة المكرمة ـ المملكة العربية السعودية ـ لصاحبها ورئيس تحريرها عبد القدوس الانصارى»** ويرد الفهرس على الوجه الأول من كل غلاف خارجى مذيلا باسم المطبعة: المطبعة العربية بمكة.

وإذا كنت أدرى أنى اشتركت حباً بالاطلاع فلا أدرى ولا أتذكر كيف اشتركت ولا أتذكر انطباعا معيناً تركته المجلة وكأن الأمر طبيعى جداً أن تكون فى الحجاز (مكة) مجلة ـ ففى الأقطار العربية كلها مجلات: مصر.. العراق.. سورية.. كما كان طبيعيا أن يكون فى الحجاز أدب من شعر ونثر وربما لفت نظرى لفتاً ما «استفتاء» تحمست له المجلة أيما تحمس» ومداره: «الأدب السعودى.. وهل يصلح للتصدير.. وكان المناسب أن أتصور السر الذى دفع صاحب المجلة الى هذا الاستفتاء فلابد من أن تكون له دلالة على ما فى البلد من أدب وما يمكن أن يشكو منه الأدباء من ضيق حدود انتشار هذا الأدب وما يحسنون بهذا الأدب من ظن أو يسيئون كما كان المناسب أن أسأل لم لا يكون فى سوقنا أدب سعودى كما هو الحاصل للأدب المصرى. كان المناسب ولكننا كنا فى العراق ـ كما هو شأن اخواننا فى كل مكان ـ على ضيق من انتشار أدبنا ومن غلبة الأدب المصرى وربما حملنا مصر بعضاً من العتاب.

●● المجلة (المنهل) جيدة.. ناضجة.. فى مرحلة اطمئنان.. لها كتابها السعوديون من كل ميدان أدبى ـ ومازلت أملك أربعة أعداد من المجلد ٦، وأربعة من المجلد ٧.

ولم أشترك إلا فى تلك السنة لأنى مضيت بعدها فى الحياة شرقاً وغرباً للدراسة فى مصر (وقد عرفت: حسن على غسال واهدانى ديوانه المطبوع بمصر

وأرخ الاهداء «يوليو ٤٧» وبى فرنسا وعوداً من فرنسا الى بغداد سنة ١٩٥٤ مدرساً بدار المعلمين العالية ولم يمر بى خلال هذا التجوال الطويل سياحياً وعلميا مع حب الاطلاع شيىء عما فى السعودية من أدب وقد أكون أنا المسؤول وقد تكون السعودية المسؤولة وقد وقد.. ولكن الذى حصل من جهل قد حصل.. ولم تكن الملايين من العرب غيرى أحسن حالا منى فالمسألة ـ اذا ـ أكبر من الفرد والأفراد.

ومضى سون.. ووجدتنى فى العام الدراسى ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م أستاذاً متعاقدا للعمل فى جامعة الملك سعود (الرياض) وشرعت استطلع وأطلع على شؤون من الأدب السعودى وفى نفسى ما هو أكثر من الاطلاع ولم لا أدرس الأدب السعودى؟ ولم لا أدرِّس الأدب السعودى؟ كيف يهمل الأدب السعودى حتى فى جامعة سعودية؟ واذا لم ينتبه السعوديون الى ذلك فلم لم ينبههم اخواننا المنتدبون ـ المصريون؟

وشرعت استعين بالقليل الموجود فى مكتبة الكلية وبالنابهين من الطلبة بعد استشارتهم وبما يدل عليه الكتاب من كتب أخرى.. وتذكرت رصيدى القديم: أدب الحجاز جمعه ورتبه محمد سرور الصبان واذا به فى طبعة ثانية وثالثة.. وشرعت أعلامه من طراز محمد حسن عواد تعنى ما يجب أن تعنيه وبدا الصبان نفسه أكبر كثيرا مما رأيته على غلاف كتاب.

ولكن «أدب الحجاز» للصبان صغير ولا يفى بالغرض.. وكان الجواب كتاب **«وحى الصحراء»** ـ صفحة من الأدب العصرى فى الحجاز جمعه محمد سعيد عبد المقصود.. وعبد الله عمر بلخير.. طبع بمطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر ١٣٥٥هـ ـ ٤١٦ص.. والكتاب نافع جداً فى بابه ـ حتى لو اعتراه نقص مقصود أو غير مقصود ـ وانه يعكس شبابا ناهضا وثابا شاعراً بمسؤليته الوطنية والقومية عاملاً على التقدم والنهضة متذكراً الماضى المجيد.. ثم إن فى النصوص الواردة ـ وهى كثيرة ـ من شعر ونثر ما يشير الى نهضة أدبية وعناصر من التجديد والتجويد.

وكان من دوافع صنعه غيرة المؤلفين على أدبهما الناشىء وإيصالاً به الى من يجهل شأنه وكثير هم الجاهلون جاء فى كلمتهما: «... وتجمعنا مواسم الحج فى كل عام بلفيف مثقف من شباب العرب فنجدهم يجهلون عن أدب هذا القطر الشيىء الكثير مما يأسف له كل غيور مخلص ويحفظ عنا صورة غير صحيحة تشوه السمعة وتوجب الاشمئزاز وعدم الرضا..».

فالسعى إذا ـ الى التعريق بالأدب المحلى قديم والدافع قديم مع شعور بأن هذا الذى لدى الشباب جدير بالاهتمام وشعور بالأسف على أن يبقى مجهولا.. ومن هنا كان العمل مجدياً بعض الشيىء.. أقول بعض الشيىء لأن الكتاب طبع فى مصر ولكنه وزع فى الحجاز.. وقرأ المقدمة التى كتبها حضرة الكاتب الكبير الدكتور «محمد حسين هيكل بك» الحجازيون ولم يقرأها المصريون.

ولكن عملا مثل **«وحى الصحراء»** لا يذهب سدى وأن غريباً مثلى محبا للاطلاع يجد فيه الكثير الذى ينفعه ويمتعه وينشىء فيه الرأى ويهيىء الدافع للمزيد.. وهكذا كان.

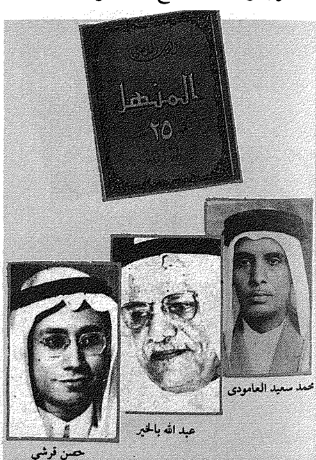
ويأتي دور كتابي عبد السلام طاهر الساسي : شعراء الحجاز في العصر الحديث (وأذكر لتلميذي يعقوب محمد إسحق فضل الحصول عليه) والشعراء الثلاثة في الحجاز: **«محمد حسن عواد - حمزة شحاته - أحمد قنديل»** . . فتزداد الصورة وضوحاً والأمثلة قيمة والشعراء الثلاثة ثلاثة فعلاً متميزون جديرون بالاهتمام هم - وغيرهم وفي غيرهم من هم من أمثال حسين سرحان .

وتتسع الدائرة وأمتلك كتابا مهماً جدا فيه الكثير الكثير عن البلاد وعن أدبها وعن تنوع فنون أدبها هو **«الكتاب الفضي»** المنهل في ٢٥ عاما ١٣٥٥هـ/ ١٣٧٩ / ١٩٣٧م - ١٩٦٠ : تطور المملكة العربية السعودية في ٣٥ عاما تاريخ مجلة المنهل في ٢٥ عاما - مختارات من مجلة المنهل في ٢٥ عاما - نشرته إدارة مجلة المنهل ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م - وما كنت لأمتلك هذا المصدر الأولي القيم لو لم يتقدم به تلميذ لي (هو محمد حسن باكلا) واستطيع أن أقول أني استثرت أريحية التلاميذ إذ أشعرتهم بضرورة الجد في الأمر وفي دراسة الأدب السعودي . . وسينضم الى التلميذين النجيبين آخرون أذكر منهم - هنا - **«فؤاد سندي ويحيى محمود ساعاتي»** .

«المنهل الفضي» عمل جليل نادر وربما كان فذاً في بابه لا نظير له في الأقطار العربية كلها وهو بعد ذلك دليل غيرة وحرص وابتكار . . ولكن . . أجل . . ولكن ذلك كله لا يؤدي المطلوب منه في تعريف القارىء العربي - خارج السعودية - لأن المنهل الفضي لم يخرج عن دائرة بلاده ونعود حينئذ الى المسؤولية الموزعة على أكثر من جهة .

ويؤدي البحث الى الاطلاع على كتب ومكتبات . . ولم يعد العلم وقفاً على الحجاز فهذه نجد في كتاب الاستاذ عبد الله بن إدريس **«شعراء نجد المعاصرون - دراسة ومختارات»** فترى التطور ما بين محمد بن عبد الله بن عثيمين وناصر أبو حميد مروراً بمحمد الفهد العيسى ومحمد العامر الرميح . . أقول مروراً وبلغت الحال ما هو أكثر من المرور فقد اطلعت على ديوان من له ديوان منهم مطبوع . . ثم الى صلة مباشرة بعدد من الأدباء قد يكون قليلاً ولكن فيه دلالة وفائدة وكان من اولئك الاستاذ حسن عبد الله القرشي والاستاذ عبد الله بن إدريس .

وتتسع الدائرة فأقع مرتاحاً على كتاب عبد



محمد سعيد العامودي

عبد الله بالخير

حسن قرشي

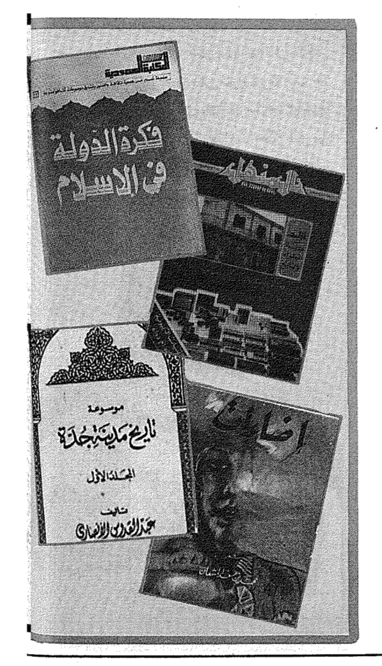
الرحمن العبيد «الأدب فى الخليج العربى» وهو يعكس الحركة الأدبية فى المنطقة الشرقية وفى القطيف خاصة. . ويؤدى الى محمد سعيد الخنيزى فى ديوانه: «النغم الجريح».

●● المسألـة تطـول ومـع الشعـر القصـة (حـامـد دمنهورى. . عبد الرحمن الشاعر. ابراهيم الناصر) ومـع القصة دراسات ومحاولات نقدية وجرائد جيدة ومجـلات تحاول ان تقـوم ولكنها تقعد. . حتى جاء الجـاسـر وجاءت «العرب» و«دار اليمامة» وسيكون ذلك إيذانا بفتح وانفتاح. . وتلفت المقالة النظر فى سعيها الى أن تكون فنا. .

●● المسألة تطول وما نحن بصدد الجد فى التأريخ. . فكـل شيىء فى نمو مطرد. . وتعود طلائع المبعوثين الـدكـاتـرة «الحـازمى. . والضبيب. . والشامخ. . يسبقهم الخويطر.»

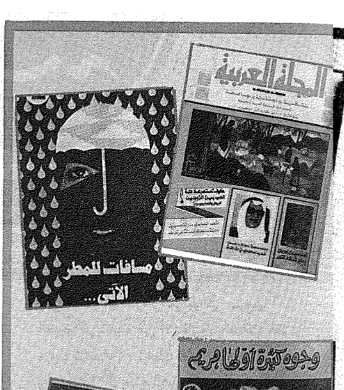
تطول. . والمسيرة طبيعية فى التطور ولكن التطور يبقى فى مجمله محليـاً ولا يخرج الى العـالم العـربى الأوسـع ويبقى الجـاهلون على جهلهم والمسؤوليـة تبقى موزعة بين السعودى وغير السعودى. . يحسن بالسعودى أن يبذل جهداً خاصاً فى إيصال صوته الى خارج البلاد ويحسن بغير السعودى أن يسعى لمعرفة ما هو حاصل خارج بلاده ـ السعى واجب كالجهد الواجب.

ونسأل عن مصير هذا العراقى «الغريب» الذى حل استاذاً متعاقداً فى الرياض سنة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م أى مصـير مشـروعـه فى الـدراسة والتـدريس. . فيختصر لك الجواب بأنه لم يستطـع ـ بحكم تعنته المنهجى ـ أن يعمل شيئـا مبـاشراً من ذلك ولكن يَسُرَّه أمران: الأول ما نبه اليه قدر المستطاع من ضرورة الاهتمام بالأدب السعودى. . والثانى ما نشره فى حلقـات كادت تبـلغ الستـين فى مجلة «العرب» بعنوان «معجم المطبوعات العربية السعودية) وستكون الحلقات كتابا معجما فى جزءين.



ونخلص من هذه الجولة السريعة الى ما صار مفهوما من سياقها من تطور الأدب فى السعودية شعرا ونثراً . . دراسة ونقداً ومع الأدب التاريخ ومع التاريخ فروع المعرفة الأخرى حتى تبلغ الفيزياء والطب والذرة . . ومع فروع المعرفة الصحافة ومع الصحافة الطباعة ومع الطباعة دور النشر . . . والجامعات ومراكزالبحث والنوادى الأدبية ومع الرجل والمرأة .

وكل شيء صار مهيئاً لاتساع دائرة الثقافة والأدب بحيث تخرج ـ ولو تدريجيا ، وقد حصل شيء قليل من هذا ـ الى عالم أوسع وصار لزاما على أبناء العالم الأوسع أن يعملوا ويتعلموا خارج حدودهم إذا حرصوا على استكمال كيانهم القومى واستكمال مواد بحوثهم التى يعتزمون عملها أو أصدروها من قبل .

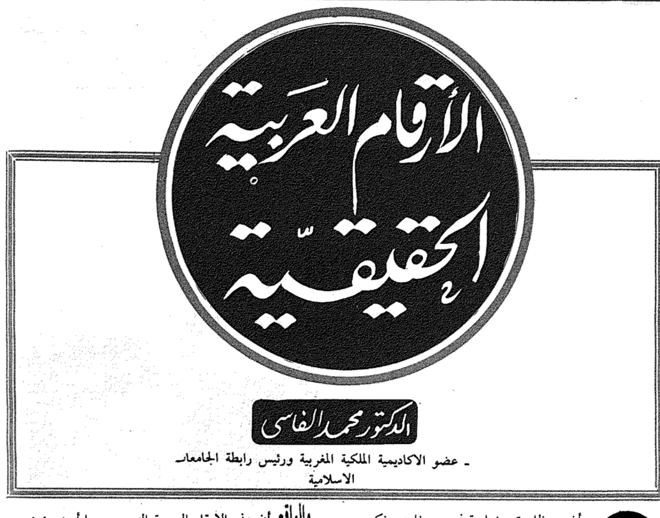


وتبقى المسؤولية فى ذلك موزعة . . مع ملاحظة عامة مؤسفة خلاصتها أن التواصل بين الأقطار العربية لم يعد كما كان من قبل أى انه تجاريا وفكريا دون ما كان وان القاهرة التى هى مركز التصدير ومركز الاشعاع ـ كما يقال ـ لم تعد كما كانت وصارت واحدة من عشر أو اكثر غيرها وكادت بيروت تتولى المهمة ـ المهمة التجارية فى الأقل ولكنها لم تستطع ـ أو لم يرد لها ـ أن تستمر فكان من أمرها الذى كان وكائن . . وهو الأمر مع اقطار الوطن العربى بشكل وبآخر .



وأقل ما يعنى هذا صعوبة مهمة «التصدير» أى تعقدا واستحالة أن تكون عامة كالسابق . . حرة كالسابق ـ وليكن ذلك فى حساب من يحسب للتصدير ـ الظاهرة ـ على أية حال غير صحيحة وما نحن بمعرض بحثها ودراسة أسبابها ولكنها ـ أى عملية التصدير فيما يبدو ـ كانت ثقافية أدبية علمية تجارية وصارت سياسية أولا وطبيعى أن يرتبط الاستيراد مع التصدير . ونمضى . . وقد يتكون اتحاد عام للناشرين العرب واذا تكون فمن المشكوك فيه أن يكون عاما فضلا عن أن يكون ذا نفوذ . . ونمضى .

الحديث موصول



الأرقام العربية الحقيقية

الدكتور محمد الفاسى

ـ عضو الاكاديمية الملكية المغربية ورئيس رابطة الجامعات الاسلامية

أغرب ظاهرة حضارية فى عصرنا هى نكر العرب او بعضهم لأعظم إختراع قام به اسلافهم فى ميدان العلوم الرياضية وعم نفعه العالم باسره واعترفت به كل الامم وهو اختراع الارقام العربية التى يستعملها المغاربة قاطبة وأهل الاندلس وصقلية أيام حكم الاسلام لها. . وهذا الاختراع هو ما يسمى الارقام العربية فى القارات كلها باستثناء الامم العربية الشرقية الذين يستعملون الارقام الهندية، إى الاجنبية. . والمؤسف ليس هو ان يستعملوا هذه الارقام وينبذوا أرقامهم الاصلية ولكن هو ان ينتقدوا من يستعملون الارقام العربية الاصيلة ظنا منهم انها أوربية وهذا سببه الجهل والجهل المركب أى جهل الشخص لشىء وجهله لكونه يجهله وهذا ناتج عن تشبثهم بما وجدوا عليه آباءهم بدون تفكير ولا تمحيص.

والواقع أن هذه الأرقام العربية التى يسميها أحد مؤرخى العلوم الرياضية من الايطاليين **«المعجزة العربية»** وهو عنوان كتاب له. . دخلت الارقام المغرب فى أول ظهورها بالمشرق قبل أن يعمد المشارقة لسبب نجهله إلى استعمالها بشكلها الهندى الذى يخالف تعريف الصفر كما صوره العالم النابغة الخوارزمى أى دائرة صغيرة فارغة لذلك تسمى الصفر كما يقال صفر اليدين أى فارغهما. . لا كما يصور فى التنكر الهندى بنقطة عامرة يتكون منها السطر فى علم الهندسة اذن لا علاقة لها بالصفر. . ثم إن العبرة مع ذلك ليست فى الشكل وإنما فى المبدأ الذى بنيت عليه اشكال الارقام العشرة التى فكر فى وضعها الخوارزمى اقتباسا من فكرة هندية طورها ورقاها وأعطاها شكلها النهائى منطلقا من فكرة ان الصفر ليس فيه زاوية فهو فارغ ولا معبراً عن قدر أو قيمة ما وإنما يصلح لتكوين العشرات

والمئين والالوف الى آخره وهذا الصفر هو ما سماه العالم الايطالي بالضبط IL Miracolo Arabe أي المعجزة العربية وإذن إذا أردنا أن نعبر عن واحد نرسم زاوية هكذا 1 وعن اثنين زاويتين إلى آخر التسعة على هذا الشكل:

987654321

وهذه هي الصور الاصلية كما توجد في المخطوطات المغربية والاندلسية ولما اقتبسها الاوربيون كوروا الزاويا كما يقول الفرنسيون مثلا ـ ومن هنا يلاحظ أولا أن كتابة الانكليز لسبعة هكذا 7 لا يتفق مع المبدأ الذى أسست عليه هذه الارقام كما أن تسعة احتيج لجعل ثلاث زوايا زائدة في قرنها اليساري ليس فقط للوصول إلى تسع زوايا ولكن أيضا لتمييزها عن ستة التي إن كتبت مفردة في ورقة بيضاء لا يعرف أهي ستة أم تسعة.

هذا واما قصة انتقالها إلى أوربا فذلك قد وقع على يد راهب مسيحي جاء حوالى سنة ألف مسيحية إلى مدينة فاس وانخرط في جامعة القرويين مدعيا الاسلام واخذ عن علماء الرياضيات بها ولما تم تحصيله من هذه المادة بما في ذلك علم الجبر رجع الى فرنسا عن طريق اسبانيا وادخل الارقام العربية والجبر الى أوربا باسميها أي بالفرنسية مثلا Algebre Les chiffres وهما يعرفان الى الان بهذين الاسمين في سائر لغات الدنيا. . وفي كل المؤتمرات عند مناقشة بنود قرارات أو توصيات تسمع المتكلمين عن الفِقَر التي يشرحونها أو يدخلون عليها تعديلات أو يودون حذفها للتعبير عنها بقولهم مثلا البند عربي احراز من الارقام الترتيبية للفصول التي تجعل لها مادة أرقام رومانية حيث يقولون مثلا ثلاثة روماني وهكذا ـ وهذا الراهب بلغ من امره ان اعتلى كرسي البابوية تحت اسم سيلفستر الثاني.

ولقد ناديت في مناسبات كثيرة بالرجوع الى الحق ونظمت منذ سنين طويلة عندما كنت رئيسا لجامعة محمد الخامس بالرباط ندوة حول هذا الموضوع وأحضرت لاعضائها من علماء مشارقة وجامعيين ومجمعيين مخطوطات قديمة تحتوى على هذه الارقام العربية كما نكتبها بالمغرب وكما يكتبها العالم حتى انك في كتابة روسية بالعرف السرياني تبين الرقم العربي وكذلك في اللغة الصينية واليابانية ولكن بعض أهل هذه الارقام العربية يصرون على كتابتها بالشكل المسمى الهندي. . ويلزم ذلك مصاريف باهظة إذا اعتبرنا ما يجب ان يصرفوه على لوحات السيارات وغيرها من وسائل النقل من اضطرارهم لكتابة الارقام العربية بجانب الارقام الهندية وكذلك أرقام الدور والمتاجر وغير ذلك من المرافق العصرية وذلك منذ عشرات السنين ولكن قوة العادة والتشبث بها مما هو من طبيعة البشر كل ذلك يحول دون الرجوع الى الحق وتحقيق لوحدة العرب الثقافية.

وفي النهاية اكرر أن المؤسف ليس فقط هذا الاستمرار في التنكر لتراث عربي خالد ولكن اكثر من هذا وذاك اتهام المحافظين عليه بأنهم يقلدون الغرب في شيء نحن الذين مكناهم منه واقتبسوه منا ـ وليس فوق هذا الجهل جهالة.

ومن هذا ما صدر في جريدة الشرق الاوسط بتاريخ ١٧ ربيع الثاني ١٤٠٤هـ الموافق ٢٠ يناير ١٩٨٤م وهو ما يلي:

«كما اتخذ المجمع (يعني المجمع الفقهي الاسلامي) قرارا مهما في عدم جواز استعمال الارقام الاجنبية المستعملة في أوروبا بديلا عن الارقام العربية» وهذا بهتان عظيم اذ كلما بينا قبله ما يسميه هذا القرار بالارقام العربية هو ارقام اجنبية والارقام العربية الحقيقية هي ما نستعمله نحن في المغرب العربي واخذه عنا الاوروبيون كما سلف بيانه والمولى تعالى يهدينا الى الصواب.



المنافقون

قال الله تعالى : ﴿إن المنافقين فى الدرْك الأسفل من النار﴾ والمشركون والكافرون على ما فيهم من الخروج عن الحقيقة وكفرهم بالله فإنهم ليسوا فى الدرْك الاسفل من النار . وإن كان النوعان فى نار جهنم . . وأحد المدرسين المصريين يعلق على المنافقين فيقول :

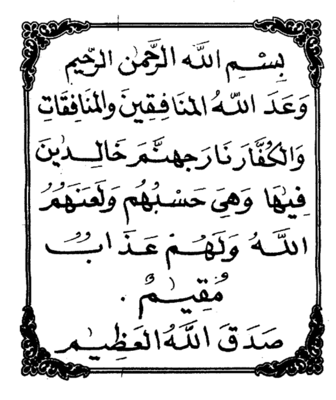
من صفات المنافقين كما يفهم من بعض الآيات القرآنية انهم يفسدون فى الارض بالخداع وبتضييع الفرائض وبالكذب وبالشك فى دين الله . . وبالسفه والتبجح والتطاول والتعالى واللؤم والمكر.

ويتناول افسادهم فيما يتناول علاقات الافراد وعقائدهم وضمائرهم وأخلاقهم ويعمل على تخريب علاقات الشعوب بعضها ببعض .

هؤلاء المنافقون المفسدون اذا قيل لهم : لا تفسدوا ولا تفعلوا القبائح لان الله تعالى مطلع على خفايا صدوركم قالوا فى تبجح : «انما نحن مصلحون» ولا شأن لنا الا الاصلاح وينكرون ما صدر منهم ويبررونه بأوهى الاسباب» . . ثم يجيء التعقيب الحاسم والتقرير الصادق ممثلا فى قول الله تبارك وتعالى : ﴿الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾

واذا كان المجتمع الاسلامى القديم لم يخل من منافقين اثاروا التعب والقلق والاضطراب والألاعيب والدس بقصد النيل من الصف الواحد للمسلمين فاننا الآن نحذر من خطر المنافقين الذين لا يخلو منهم زمان ولا مكان . . وحسبنا معهم ان نحذرهم بقول الله تبارك وتعالى الذى ورد بعد هذه الآية الكريمة : «اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين» .

ويكفى شاهدا على المنافقين اثنان هما : «ابن أبى الذى خلد نفاقه القرآن . . وعبد الله بن سبأ كان فاسقا ومفسداً» تولى خلق الفتن والخلاف بين المسلمين فاخزاه فى خلافة على إبن أبى طالب رضى الله عنه فحبسه فى قرية (حتى مات) .







قدرة الله لا حد لها

قال الله تعالى ﴿إن الله على كل شىء قدير﴾ وقدرة الله فى مخلوقاته وإن كانت سوية لكن فيها عبراً.. لكثير من الناس.. أما انها تكون عقوبة لمن تكون فيه؟.. واما أنها تكون عقوبة للابوين اللذين ربما أساءا فى سيرتهما الاجتماعية واما آية من الآيات ليعتبر بها الانسان أى إنسان.. فكما نرى ونسمع أن رجلا ولد باكثر من عضو.. وولد مقترنا بثان أو كان النوءم ناقصا أو كان اكثر من أعضاء الآخر.. أو كانا برأسين وجسم واحد.. او كانا باربع أرجل ورأس واحد.. تعالى الله الخالق.. لكن هذا الخبر الذى اخذته من جريدة الوطن العمانية والذى يقول:

«تثير راكيل ويب جدلا ساخنا فى اطار انتخابات لمجلس التعليم فى جنوبى لندن، ذلك ان راكيل المرشحة عن حزب العمال كانت فى الأصل رجلا تزوج مرتين بينما كان يعمل سائق شاحنة واسمه تيم سكوت وقد انجب خمسة اطفال.

وقد خضع سكوت الى عملية جراحية تم فيها تغيير جنسه الى امرأة اصبح اسمها راكيل ويب وهى فى الخامسة والاربعين من العمر حاليا.

لكن راكيل التى لم تتزوج بعد اجراء العملية الجراحية تعتقد انه ينبغى على الناخبين ان يركزوا على البرامج السياسية. إنتهى»

وإلى هنا والخبر عادى بالنسبة لتحول المرأة الى رجل والرجل الى امرأة كما حصل عندنا فى الطائف منذ سنوات تلك المرأة التى تحولت الى حميد أو هو رجل كان اسمه حامد تحول الى امرأة.. لكن فى عصرنا هذا لم يحصل كما حصل **(لراكيل ويب)** الذى تحول الى امرأة وقد انجب وكان قبل رجلا تزوج مرتين وانجب خمسة أطفال.. فهل حصل مثل هذه الحالة فى عصرنا الحاضر.. أما الذى اعرفه والذى قرأته فى احدى الكتب الفقهية القديمة أن عالماً معروفاً يقول كنت امشى مع جنازة ووراءها مشيعون فريقان أحدهم يبكى على أمه المتوفاة والفريق الآخر يبكى على إبيه المتوفى أى أن المتوفى كان امرأة فانجبت أولاداً.. ثم تحولت إلى رجل فتزوج وانجب اولاداً.. فلهذا هل لهذه الظاهرة فى عصرنا وجود؟.. وهل أن امرأة تحولت رجلا بعد ما انجبت.. وان رجلا تحول امرأة فانجبت؟؟.. نأمل ممن يطلع على هذه الكلمة ان يعلق عليها بما سمع أو رأى أو اطلع للفائدة والعبرة.



الانحسار الحضارى

تصعد الحضارة ثم تنحسر بنفس مقياس الصعود ونتساءل فى عفوية المبهوت ماذا اصاب هذه الحضارة أو تلك؟ وفى غمرة السؤال وانطلاق الجواب نعلل الانحسار بنفس تعليل الصعود فنقيس القضية على واقع المخلوقات حين تتدرج من العدم الى الوجود ومن الوجود الى العدم مرورا بمراحل القوة فى فترة ومراحل الضعف فى فترة أخرى.

وفى ضوء هذا التعليل نؤمن بتلقائية الانحسار الحضارى دون نقاش لأسبابه ومن ثم نجهل حقيقة هذه الاسباب فى قضية الانحسار فنقول ـ مثلا ـ ان حضارة الاغريق ولدت تلقاء وماتت تلقاء ونقول كذلك ان حضارة الرومان والصينيين وكل الحضارات البائدة وجدت لتموت وعلى هذا النمط ستتبعها الحضارات المعاصرة ويعنى ذلك أننا نؤمن بهذا كقانون أزلى ليس للانسان خيار فيه وانما عليه ان يعترف به كما هو.

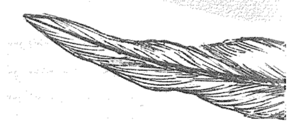
قلت: ان الانحسار الحضارى ليس قانونا فطريا أزليا وقياس قضية الحضارة على واقع المخلوقات قياس غير صحيح فالمخلوقات محكومة بقانون إلهى محكم ليس للكائن الحى خيار فيه اما الحضارة فمحكومة بقانون انسانى بسيط يتحكم فيه الانسان وجودا وعدما ويعنى ذلك انه اذا استطاع تكوين حضارة فى مكان ما يستطيع الاستمرار بها فمن يستطيع ـ فى عالم المادة ـ بناء حائط قوى يستطيع الحفاظ عليه كما هو الحال فى جدار الصين ذى الستة الاف سنة . . ومن يستطيع بناء



خواطر

الادب بمفهومه العام فيه متسع للاخذ من كل فن بطرف ولعله من هذا المنطلق جاءت هذه الخطرات النفيسة لفتات ذكية خفيفة الظل عميقة المعنى





القلاع والحصون فى اى مكان يستطيع المحافظة عليها. . ومن يستطيع - فى عالم الروح - الايمان بالمُثل والقيم يستطيع المحافظة عليها والدفاع عنها وهكذا.

واذا كان هذا أمراً صحيحا فى المنطق النظرى فإنه فى المنطق العملى يتوقف على مدى سيطرة الانسان على ما بناه وآمن به.
أى ان قدراته الذاتية تتحكم فى حضارته صعودا وانحسارا وجودا وعدما فالجزر الذى اصاب الاغريق بعد امتدادهم جعل حضارتهم أثراً بعد عين والانحسار الذى مُنِيَ به الرومان أعاد حضارتهم الى نقطة الصفر باستثناء ما شهدت به مدونة جوستنيان القانونية من أثر للدلالة على ما كان من تاريخ الرومان. والجزر الذى أصاب المد الحضارى الاسلامى اعاد هذا المد الى نقطة الضعف وما يصيب الحضارة المادية المعاصرة من امراض مختلفة يؤذن بزوالها او بالاحرى انحسارها فى فترة منظورة.

اذن فالانسان هو المسؤول عن الحضارة حين يوجدها ويصعد بها بفعل ايمانه وقدراته ومعطياته وهو المسؤول عنها حين ينحسر بها بفعل ضعفه وعدمية طاقاته وانسلاخه من ايمانه. . انه بالتأكيد محكوم بفعل قانون يضعه لنفسه فهو يصعد بها عندما يريد الصعود وينحسر بها عندما يريد الانحسار. والمشكل انه لا يدرك ارادة الانحسار عندما يكون تحت تأثير الضعف وعدمية الطاقة وانسلاخ الايمان وتلك من أعقد المشكلات التى واجهها ويواجهها الانسان فى تعامله مع الحضارة التى يعيشها ويحبها ثم تنتهى وينتهى معها وهو لا يدرى.



مؤرخو الأدب العربى يذكرون «أدب الرسائل» بابا من الأدب القديم . . ويثبتون نماذج من رسائل الأدباء والوزراء التى كانوا يتبادلونها فيما بينهم وقد كان هؤلاء المتراسلون يعنون عناية فائقة باختيار الالفاظ والجمل والاساليب الادبية البليغة لفظاً ومعنى فيما يكتب بعضهم لبعض من رسائل تتناول شؤونا شتى اجتماعية وسياسية وثقافية وعلمية ونقدية ايضا .

وقد فجع المجتمع السعودى فى منتصف شهر جمادى الأولى سنة ١٤٠٧هـ بوفاة ثلاثة من رجال التربية والتعليم **اولهم وزير التعليم العالى الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ ـ والثانى: الاستاذ عبد الرحمن التونسى** الذى اشتغل بادارة مدرسة الثغر النموذجية فى جدة فترة طويلة ـ والثالث: الاستاذ سراج خراز الذى ادار المدرسة العزيزية الثانوية فترة طويلة ثم اختير مستشاراً فى ادارة التعليم بمكة المكرمة وقد بدأ حياته العملية مدرساً باحدى المدارس الابتدائية ـ وكان شاعراً مبدعاً ممتعاً .

وكانت لى كلمة رثاء عن هؤلاء الاعزاء الثلاثة الذين افتقدناهم خلال اسبوع واحد ـ فى جريدة «المدينة» يوم الاثنين ٢٦/٥/١٤٠٧هـ .

اما هنا ـ خلال الذكريات ـ فأريد أن أتحدث عن الأخ العزيز الحبيب حسن بن عبد الله آل الشيخ . . فلى معه ذكريات سعيدة وجيدة .

فى بداية حياتى العملية تعرفت عليه وعلى والده الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ عندما كان رئيساً للقضاة فى مكة المكرمة ـ باعتبارها عاصمة الدولة حينذاك ـ فقد عملت بديوان الرئاسة سنة **١٣٥٩هـ** **«كاتب آلة»** بعد تخرجى من المعهد العلمى السعودى . . وكان أخواه محمد وعبد العزيز زميلين لى فى العمل نفسه .

ثم تخرج الاخ حسن ـ رحمه الله ـ من كلية الشريعة بمكة المكرمة وعين بعد وفاة أبيه نائباً لرئيس القضاة ـ وكنت خلال هذه الفترة أقوم بإدارة تحرير جريدة «الندوة» التى كان أخى الاستاذ صالح محمد جمال يملك امتيازها ويرأس تحريرها . . وكانت لى خلالها مقالات وكلمات ناقدة يعرفها المجتمع السعودى ويتنفس بها من آماله وآلامه .

وكنت ـ خلال هذه الأيام ـ أتلقى العديد من رسائل القراء كباراً وصغاراً شيوخا وشباباً رسميين وشعبيين ـ وكان الأخ حسن ـ رحمه الله من الاصدقاء الاحباء الذين اتبادل معهم الزيارات والرسائل وكنا نخوض فيما يهم المجتمع من قضايا ومشكلات .

■ **وقد تلقيت منه ـ وأنا مدير لتحرير الندوة ـ الرسالة التالية :**

حضرة الاخ الكريم الاستاذ الاجلّ أحمد محمد جمال ـ سلمه الله





الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ

أ ـ عبد الرحمن التونسى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : وبعد ـ فلقد كنت انتظر الفرصة لأكتب اليك ولأبلغك شكرى العاطر وتقديرى لمواقفك النبيلة فى الدعوة للاسلام والدفاع عنه وأتمنى أن أرى مثلك ـ وأخيك ـ كتاباً اسلاميين تَمثَّلوا سمو الهدف فاتخذوا طريقهم اليه.

هذا الغرض العام من رسالتى : أما الغرض الخاص.. فهو أننى طالعت قبل أيام تعقيباً فى جريدة الندوة الغراء على توجيه ـ بعث به أحد قضاة نجد على ما أتذكر حول كلمة (الله والنبى يحيِّيك) التى نشرت فى باب (شعبيات) فى عدد سابق من الندوة.. ويقول المعقب إن التلفظ بهذه الكلمة لا يكون (شركاً) وانما فيه عدم لياقة.. الخ.

ولا اكتمك اننى دهشت لهذا التعقيب لسبب بسيط هو أننى اعلم ان على شئون هذه الصحيفة ـ شابين مسلمين ـ فى ايمانهما ما يوضح لهما وجه الصواب فى هذه وأمثالها ولا أظنه يخفى على الأخ الكريم ما قرره العلماء على حديث حذيفة رضى الله عنه (قال ﴿ﷺ﴾ لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان) رواه ابو داود باسناد صحيح.

قالوا : «ان المعطوف بالواو يكون مساوياً للمعطوف عليه لكونها إنما وضعت لمطلق الجمع، فلا تقتضى ترتيبا ولا تعقيبا.. وتسوية المخلوق بالخالق شرك ـ إن كان فى الأصغر مثل هذا فهو ـ أصغر ـ وان كان فى الاكبر فهو أكبر ـ كما قال الله تعالى عنهم فى الدار الآخرة : ﴿تالله إنْ كنّا لفى ضلال مبين إذ نسوِّيكم بربِّ العالمين﴾.. بخلاف المعطوف (بثم) فان المعطوف بها يكون متراخياً عن المعطوف عليه بمهلة فلا محذور لكونه صار تابعاً.. كل هذا فى الحى الحاضر الذى له قدرة وسبب فى الشيىء ـ أما فى حق الاموات الذين لا احساس لهم بمن يدعوهم ولا قدرة لهم على نفع ولا ضر فلا يقال فى حقهم بشيىء من ذلك والقرآن يبيِّن ذلك.. الخ.) انتهى.

وهذا ينطبق على العبارة (موضوعة البحث) وان كنا نعتقد أن كاتبها لم يقصد معناها الشركى ولكن هذا لا يبرر نشرها أو إقرارها ولم يدفعنى الى ما أشرت اليه بعاليه الا التناصح الواجب بين المسلمين وتأكيدا لشعور الامتنان ولتكون مناسبة لأكتب اليك.

اتمنى لك التوفيق والسلام عليكم..

اخوكم

حسن بن عبد الله آل الشيخ

١٧/ ٩/ ١٣٧٨هـ

ورددت عليه ـ يرحمه الله ـ بالرسالة التالية :

اخى الكريم المفضال الاستاذ حسن بن عبد الله بن حسن آل الشيخ

حفظه الله ورعاه

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ـ وشهر مبارك



عليكم وعلينا وعلى المسلمين جميعاً وكل عام وانتم بخير وصحة وعافية وتوفيق ـ وبعد:

فقد تلقيت خطابكم الكريم وفيه من العواطف الاخوية الطيبة والمشاعر الاسلامية السامية ما أبادلكم بمثله وارجو الله لكم حسن المثوبة والجزاء.

اما موضوع العبارة التى قال عنها فضيلة قاضى سدير: انها شركية ـ وقد نشرتها الندوة فى صفحة «**الشعبيات**» التى كانت من سمات الجريدة فى عهدها السابق ـ عهد الاندماج مع الاستاذ السباعى ـ فارى انها لا تحمل المعنى الشركى.. فالعبارة هى قول المحرر الشعبى: «**الله والنبى يحييك**» وأمامنا الاعتبارات التالية:

أولا: ان التحية هى بمعنى السلام والصلاة والدعاء وقد جاء فى القرآن الكريم ـ عن الله تبارك وتعالى: ﴿**هو الذى يصلى عليكم وملائكته**﴾ وقوله أيضاً: ﴿**فسلموا على انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة**﴾.. وغيرذلك من آيات مماثلة.

ثانيا: رداً على ما جاء فى تعقيبكم القيم حول العطف بالواو وثم بين لفظ الجلالة «الله» وغيره والحديث النبوى: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان.. ولكن قولوا ما شاء الله ثم ما شاء فلان».. أرى ان الفرق بين «التحية» و«المشيئة» كبير جداً ولا قياس لاحداهما على الأخرى.. فالمشيئة من اختصاص الله وحده عز وجل وليست من الصفات والافعال التى يشترك فيها الخلق مع الخالق تبارك وتعالى.

ثالثا: جاءت فى القرآن الكريم تعبيرات ورد العطف فيها بالواو بين الله تبارك وتعالى وبين رسوله ﴿ﷺ﴾ مع إفراد الفعل المنسوب اليهما أو إفراد ضميره على أساس ان طاعة الرسول هى طاعة الله وفضل الرسول هو فضل الله اصلا ومصدرا ـ مثال ذلك قوله عز وجل ﴿ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا: حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله.. انا إلى الله راغبون﴾.. الخ.

والعبارة الشعبية ـ موضوع البحث ـ جاء الفعل فيها *مفرداً: (يحييك) ولم يجيء: (يحييانك) واذن فلا يقاس* على حديث: «بئس خطيب القوم انت» الذى قيل للرجل القائل: «ان الله ورسوله ينهيانكم» وقال صلى الله عليه وسلم له: قل ان الله ينهاكم ورسوله».

رابعا: كان المقصد من تعقيبى على قاضى سدير: الا يسرع المتسرعون الى تكفير الناس واتهامهم بالشرك.. فى هذه الأمور اليسيرة ولم يكن من مقصدى اقرار هذه العبارة الشعبية وتحبيذها وان كانت فى نظرى سليمة كما اسلفت.

كما ان القائمين على تحرير الندوة ـ الذين شملتهم بعطفك وحسن ظنك ونبيل شعورك ـ ابعد الناس عن تداول هذه العبارة وامثالها وعن اقرارها والدفاع عنها بغير حق.. وسوف لا يدخرون وسعاً ـ كدأبهم ـ فى عدم الافساح لنشر امثالها مستقبلاً وهم يعتقدون صادقين غير مجاملين انهم احوج الناس الى التوجيه والتنبيه ولفت النظر الى الأخطاء والزلات.

وكم هى فرصة سعيدة ومجيدة هذه التى تبادلنا فيها النصيحة والموعظة فى سبيل العقيدة الاسلامية.. التى هى اغلى ما نملك والتى نسأل الله عز وجل ان لا يجعل مصيبتنا فيها.

وبعد فلكم ولاخوتكم الافاضل ـ كما هو الحال بيننا وبينكم ابداً ـ المودة الخالصة والاخاء الصادق والتمنيات الطيبة بالصحة والتوفيق واسلموا للمحب المخلص:

احمد محمد جمال

١٩ رمضان ١٣٧٨هـ

واحدة من ذكريات المودة والمناصحة بينى وبين المغفور له الاستاذ حسن بن عبد الله آل الشيخ.. وعسى ان أجد نماذج اخرى من المراسلة بينى وبينه فى القضايا العامة التى تهم المجتمع وتتناول شؤون الامة فأتابع نشرها خلال هذه الذكريات.

هذه وليصدقنى قراء «المنهل» انى فجعت بنبأ وفاة الأخ حسن فجيعة مذهلة.. لانه كان ملء السمع والبصر والفؤاد خلال عمله كوزير للتعليم العالى ونشاطه فى اجتماعات مجالس الجامعات المتتابعة..

ولكن أجل الله اذا جاء لا يؤخر ـ وكل نفس ذائقة الموت.. *وانما يوفون أجورهم يوم القيامة*.. **نسأل الله ان** يحسن ختامنا كما احسن بدءنا انه غفور رحيم.



تغرّب عن الأوطان في طلب العلا
وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرّج همٍّ واكتساب معيشة
وعلمٌ وآدابٌ وصحبةُ ماجد



● رحلة الى سويسرا — عبدالله الحقيل

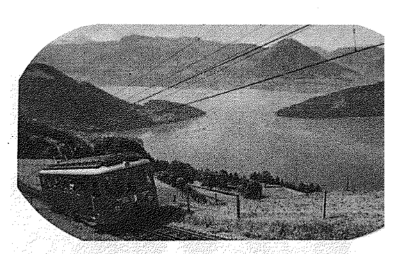
● الفلبين .. الارخبيل الجميل — مصطفى محمد مصطفى

من ادب الرحلات



رحلة إلى

في صبيحة يوم ٢٨/١١/١٤٠٦هـ وفى الساعة السابعة صباحا ودعنا المانيا متوجهين صوب سويسرا وفى الطريق مررنا على «ليشتنشتاتين» وهى كما فهمت من الدليل السياحى امارة صغيرة تقع على ضفة وادى الراين ومساحتها ١٦٥ كم وقمنا بزيارة لقلعتها التاريخية والتى يعود تاريخها الى القرون الوسطى ثم زيارة للمتحف القومى بها وهى مقر العديد من الشركات الدولية.. ثم غادرناها مواصلين السير نحو الحدود السويسرية.. وقد مررنا بالعديد من المزارع والغابات ومشاهدة سهل الراين ثم لاحت لنا الحدود وتوقفنا بضع دقائق واصلنا السير بعدها فى الاراضى السويسرية وبدأ الهواء البارد يلفح وجوهنا وكان الجو ممطرا وبديعا. كما ان سويسرا تشتهر بمشاهدها الجبلية الرائعة وهى تتألف من اتحاد مكون من ٢٢ مقاطعة ومساحتها ٤٢٠٠٠ كم مربعا وعدد سكانها ستة ملايين ونصف المليون.. ولها حدود مع المانيا وفرنسا وايطاليا.. ولذا فان لهذه البلاد ثلاث لغات







رسميـة . . الالمـانيـة ويتكلمهـا قرابـة ثلاثـة أرباع السكـــان . . والفـــرنسيـــة ويتكلمهـا اهــل جنيف والمقاطعات المتركزة حولها . . اما الايطالية فيتكلمها قسم منهم يقدر على حد تعبير الدليل السياحى ١٠٪ من السكان فى الجنوب . وهناك توجد لغة رابعة هى اللغة الرومانسية وتتكلمها اقلية صغيرة . . فسبحان من علم اللغات وعلم الانسان ما لم يعلم . . فهذا البلد الصغير يتكلم اهله اربع لغات الى جانب اللغة الانجليـزية فالكل يتحدث بها فى الفنادق والمطاعم والبيع والشراء بالنسبة للسائحين .

ان سويسـرا منتجع سياحى جميل ولذا فهى مليئة بالسواح ، والفنادق محجوزة طوال فصل الصيف ولذا حرصنـا ان يكـون سفرنا لها بواسطة شركة سياحية تتولى بدورها توفير المواصلات والفنادق والرحلات ومـا الى ذلك تجنبا للمتاعب وتوفيرا للوقت والجهد الذى يلقاه المسافر اليوم من صعوبة الحجز فى الفنادق وغيرها . . ومنذ دخولنا سويسرا ونحن ننعم بمناظر خلابة وجو جميل على حد قول الشاعر :

والــروض مخضــل الجـــوانب مشـرق
وشـــذى الـــزهـور يشيـع فى الأرجـاء

وقول الشاعر :

بلاد بها ما يملأ الــعــين بهجــة
ويـســـلى عن الاوطــان كل غريـب

وقول الآخر :

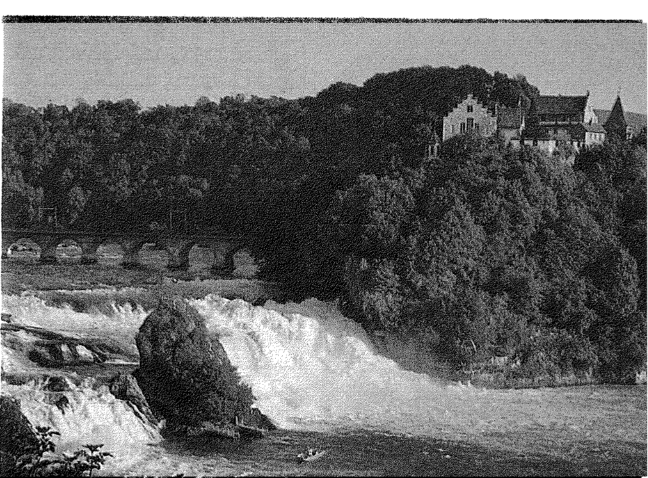
ووشّـــى للريــاض ثوبــا وحـــلّى
كل جيــد من الــربــا بعــقــود

لقد احاطنا المرشد علما ان سويسرا تتألف من منطقة تلال خصيبة واقعة بين جبال الالب التى تغطى اكثر من نصف مساحة البلاد وبين جبال الجورا فى الشمال الغربى . . وهو بلد قارى محاط بثلاث دول كبرى هى فرنسـا من الغـرب والمـانيـا من الشمال وايطاليا من

الجنوب وليس لها أى منفذ على البحر وبها الأنهار والمياه الغزيرة اذ يجرى بها نهر الراين ونهر الرون ونهر تيسان ونهر أين كما انها جبلية اذ ثلاثة ارباع اراضيها مؤلفة من الجبال. وبعد مسيرة ثلاث ساعات من الحدود وصلنا الى مدينة «لوسيرن» وتوجهنا صوب فندق «بيلفيدير» فى وسط المدينة ويطل على بحيراتها الجميلة..

وبعد استراحة بالفندق وتناول طعام الغداء خرجنا بعد العصر لنتجول فى المدينة فوجدناها روعة فى الجمال وفى طراز البناء والنظافة وزرنا المدينة القديمة والمناطق والمعالم الجديرة بالاطلاع والمشاهدة وفى اليوم الثانى خرجنا للبحيرات وقمم الجبال المغطاة بالضباب وهى مناطق سياحية بهيجة فاتنة وأودية خضراء تمثل الجمال الساحر.. وصعدنا بالقطار ثم بالسيارة اللاسلكية فوق الضباب وحينما هبطنا فى تلك الجبال لم يستطع بعضنا ان يرى بعضا من شدة الضباب والسحب الكثيفة وكان الجو باردا ثم هبطنا بواسطة «تلفريك» من علو مرتفع حيث كنا نشاهد نهر الراين والقرى وكأنها شيء صغير. ووصلنا الى الارض بسلامة الله وكانت رحلة ممتعة حيث امضينا يوما كاملا وسط مناظر رائعة ثم عدنا فى المساء بقلب منشرح على ما رأيناه. وقصدنا الفندق واسترحنا وحضرنا فى المساء حفل العشاء الذى نظمته الشركة السياحية فى احد مطاعم المدينة الفخمة ولقينا هناك مجموعات شتى من البشر من كل القارات والاجناس وكانت فرصة طيبة مع هؤلاء كما قال الشاعر:

اذا وجد الانسان للخير فرصة
فلم يغتنمها فهو لا شك عاجز



شلالات نهر الراين فى سويسرا



فندق «هيلتون» وهى مدينة جميلة.. تذكرنا بقول الشاعر:

متـع فؤادك بالجـلوس هنـيـهـة
بين الحـيـاة وروضـة خضـراء

وفى الصباح خرجنا لنشاهد بعض معالم مدينة جنيف.. وبعد جولة فى شوارعها ومشاهدة بحيرتها وحدائقها نزل المطر رذاذا فحاولنا تحمله.. ولكن سرعان ما هطل بغزارة فكان لابد من العودة الى الفندق.

وفى صباح الغد ودعنا تلك المدينة وما تحفل به من مناظر جميلة وركبنا سيارتنا متوجهين نحو شلالات نهر الراين وكانت تطوى بنا الارض والذهن يطوى بى التاريخ والذكريات وكان الجو لطيفاً باردا الى حد ما وكنا نشاهد قمم الجبال وهى مكسوة بالثلج تتلألأ تحت الشمس..

كما ان السفوح عابقة بالزهر والعطر والرياحين.. وجعلت استعرض فى ذهنى ما قيل من الشعر فى وصف مثل هذه المناظر ففيها يحلو الشعر وما يصفه من حسن وحب وجمال.. فان تراثنا الشعرى حافل بهذا اللون.

وكم تعطـرت بالـريحـان وامتـزجت
ريـاك بالـروض افـنـانـا وازهـارا
ما ان نشـقـتـك حتى خلت منتعشـا
ماء الحـيـاة جرى فى الجسـم انهـارا

ولَكَمْ يخفق القلب للربيـع الجـذاب والهـواء العليل. وسرَّحت النظر أجيل الطرف فى أرجاء تلك الرياض الفيحاء وقد تبرجت وتجلت فتنة للناظرين مما يذكرنى بقول الشاعر:



منظر عام لجنيف فى سويسرا

فكانت فرصة للتعريف ببلادى والحديث عن الاسلام وفضائله ومزاياه والحكمة فى تحريم لحم الخنزير والخمور.. ومن العجيب انهم حريصون ومتلهفون على ان يتعرفوا على الاسلام بانفتاح وبحب. ان الحوار مع غير المسلمين من الامور الهامة حتى يتمكن المسلم من ايصال حقيقة العقيدة الى غيره وتوضيح حقيقة الاسلام.. ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين.. ثم عدنا للفندق الذى كنا نازلين فيه للنوم والاستعداد للسفر.

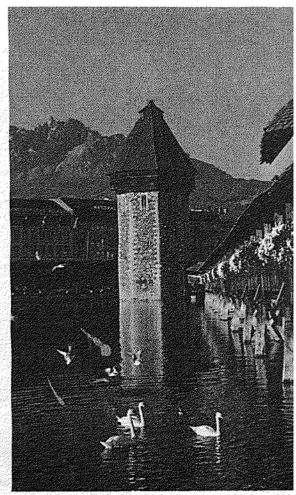
وفى صباح اليوم الثالث وفى الساعة الثامنة صباحا غادرنا مدينة لوسيرن بعد ان القينا عليها نظرة حب وود من بعيد وتوجهنا بعد ذلك الى جنيف ولوزان وهما مركزان تجاريان هامان ومن مراكز الاصطياف والتجارة.. كما ان منظر البحيرة يضفى عليها جمالا وروعة.. وفى جنيف امضينا يوما وليلة واقمنا فى

فلست تبصر الا واكفا خضلا
او يانعا خضرا او طائرا غردا

ومررنا فى الطريق بمدينة زيورخ وامضينا فى رحابها عدة ساعات . . حيث شاهدنا معالمها واسواقها وميادينها فهى المركز التجارى الهام وبها البنوك والمصانع . . ولا شك ان الحياد الذى عرفت به سويسرا اتاح لها ان تكون مركزا تجاريا هاما ومقرا للمؤتمرات الدولية وتجارة سياحية هامة فحققت بذلك مستوى عاليا من المعيشة رغم قلة الموارد الطبيعية فيها . . كما انها متخصصة فى صناعات الساعات بمختلف اشكالها والمجوهرات والمنسوجات وغيرها .

ووصلنا شلالات نهر الراين وتوقفنا لمدة ساعتين . . وكانت مليئة بالسواح يموج بهم المكان وكان منظر الشلالات رائعا وبديعا ومياهه العذبة البراقة صافية ورقيقة توحى بالبهجة فى الافئدة والانس فى النفوس وعلى ضفافه المطاعم والمقاهى وباعة التحف ومؤجرى «القوارب» فأخذنا مركبا نتجول به فى وسط هذه الشلالات الهادرة الراقصة . . واخذت اجيل بصرى فى جنان وبساتين المناطق المجاورة لها وراق النسيم وراق الجو فتذكرت قول القائل :

يانسيما هب مسكا عبقا
هذه انفاس ريا جلقا

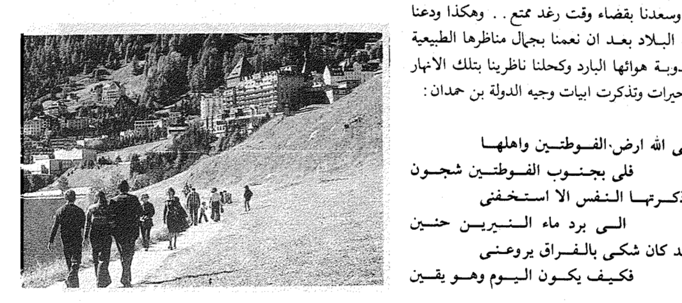




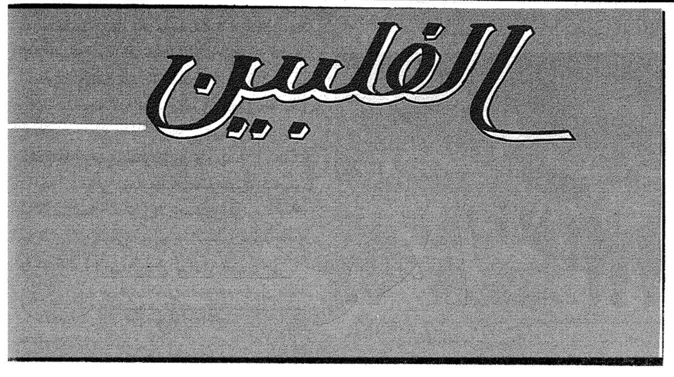


وسعدنا بقضاء وقت رغد ممتع . . وهكذا ودعنا تلك البلاد بعد ان نعمنا بجمال مناظرها الطبيعية وعذوبة هوائها البارد وكحلنا ناظرينا بتلك الأنهار والبحيرات وتذكرت ابيات وجيه الدولة بن حمدان :

سقى الله ارض الفوطتين واهلها
فلى بجنوب الفوطتين شجون
فما ذكرتها النفس الا استخفنى
الى برد ماء النيرين حنين
وقد كان شكى بالفراق يروعنى
فكيف يكون اليوم وهو يقين



مناظر عامة من سويسرا



تقع الفلبين فى منتصف الطريق ما بين جاكرتا وطوكيو وهى اكبر مجموعة جزر فى العالم حيث تبلغ جزرها ٧١٠٧ جزيرة تغطى مساحة قدرها ١٨٤٠ كيلو متر مربع موزعة على مدى شاطىء يبلغ ١٧٫٥٠٠ كيلو متر. وتبعد الفلبين مساحة ٨٠٠ كيلو متر عن جنوب شرقى اسيا على مسافة ١١٫٣٠٠ كيلو مترا من سان فرنسيسكو.

ولو عدنا للوراء لوجدنا ان مانيلا كانت مدينة مسورة يسكنها ٢٠٠٠ نسمه يقودهم زعيم مسلم وقد احتلت اسبانيا مانيلا فى عام ١٥٧١.

يبلغ تعداد الفلبين حوالى ٥٠ مليون نسمة يعيشون جميعا فى انسجام تام وعلى صلة وثيقة بأهالى الصين الجنوبية وتايلاند والملايو واندونسيا.. والشعب الفلبينى عنصر مميز عن باقى شعوب شرق اسيا فهو خليط من جنسيات وشعوب مختلفة وأهم صفاته تلك الخدمات الكثيرة التى يقدمها لكافة الزائرين.. كما يوجد بالفلبين ١١١ مجموعة لغوية وثقافية وعنصرية يتكلمون حوالى ٧٠ لغة ولهجة

واللغة الرسمية الوطنية بالفلبين هى اللغة الفليبينية وينطق معظم الشعب الانجليزية كما انها تستعمل فى مجال العمل.

تقع الفلبين على القرب من خط الاستواء وذلك يعطيها جوا استوائيا يتصف بالدفء والرطوبة واكثر الاشهر حرارة من ابريل وحتى اكتوبر وامطارها غزيرة ما بين شهرى يوليو ونوفمبر بينما يمتاز ديسمبر بالجو البارد اللطيف.

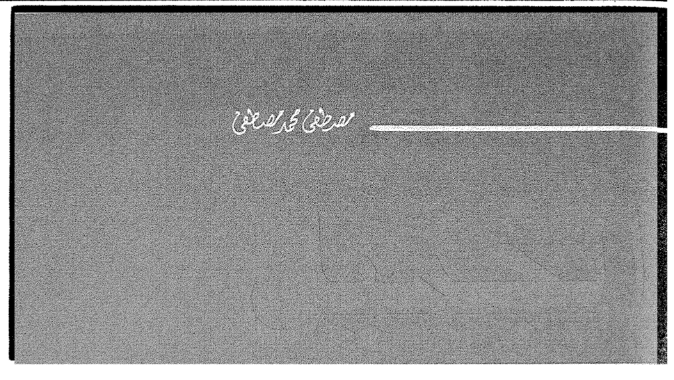
والحضارة الثقافية فى الفلبين خليط من الملاى.. الصين.. اندونسيا.. الهند.. والحضارة العربية.. بالاضافة إلى مؤثرات من أسبانيا.

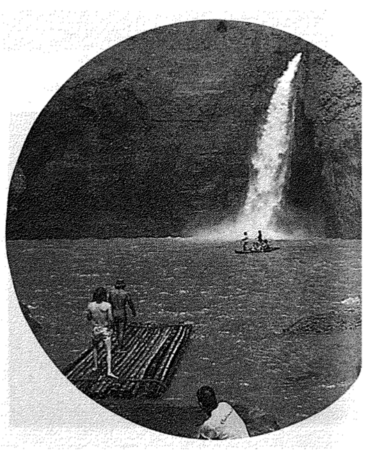
والفن الفلبينى يمر بمرحلة تكامل كما نرى فى مجالات الموسيقى والرسم والسينما والأدب ويظهر تأثير الحضارات الأخرى فى الفنون الشعبية.

الارخبيل الخلاب

الفلبين.. ذلك الارخبيل من الجزر الجميلة التى تتدفأ بمياه المحيط الهادى وبحر الصين أصبحت فى







شلالات باكسنجان

السنوات القليلة الماضية محل اهتمام الكثير من الناس وقبلة للسياح والزوار من جميع انحاء العالم. .

تتناثر غرب المحيط الهادى الى الشرق من بحر الصين الجنوبى مجموعة جزر مكوِّنة ذلك البلد الاسيوى الساحر الفلبين التى تستحق أن تُدعى لؤلؤة البحار الشرقية. . فهى تشدك اليها بسحرها وكرم اهلها الذين يشكلون مزيجاً رائعا من الملايو والصين واسبانيا وامريكا وشواطئها ذات الرمال الناعمة الممتدة على ساحل يبلغ طوله ضعف ساحل الولايات المتحدة وشلالاتها وغاباتها وجبالها المرصعة بأشجار الصنوبر.

وتشعر عندما تأخذ رحلة قصيرة بالطائرة من منطقة لأخرى فى الفلبين وكأنك انتقلت الى بلد آخر اذ انك ستلاحظ المبانى والكنائس وقد تغير طرازها واختلفت تصاميمها وتقاليدها المحلية وهذا امر ناتج عن اتساع نطاق الموروث الحضارى والثقافى للبلاد.

وحين تزور الفلبين فأول شىء ستجده بانتظارك اكاليل من الزهور البيضاء وهى اللغة التى ابتكرها

اهلها لتشجيع السياحة وجذب السائحين.. ويحتار السائح من أين يبدأ فالجزر كثيرة والبلاد شاسعة ووسائل الراحة مناسبة ومتوفرة.

مانيلا العاصمة:

يمكن القول بأن مانيلا هى المدخل الواسع لكل من يأتى لزيارة الفلبين فعندما يخرج الزائر من مطارها الدولى الفسيح ويستقبله الناس والتاكسيات بضجيجها وعربات النقل المزخرفة سوف يتأكد ان زيارته للفلبين ستكون حتما ممتعة.

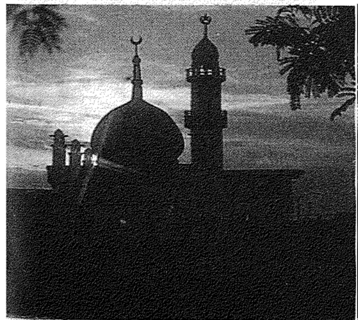
تتعدد أوجه المدينة بقدر عدد زوارها.. أحدهم يرى فيها مرتفعات «ماكاتى» واخر يرى اكواخ القش والشواطىء وآخر يأتى اليها من اجل حياة المرح.. وأخر يفد اليها قاصدا تقاليد العالم القديم.. وهناك مانيلا ذات المبانى القديمة وأخرى ذات نماذج خارقة من البناء مجهزة بأحدث الالكترونيات كل هذا علاوة على ان مانيلا تقع على بعد ساعات من منتجعات الشواطىء ومرافقها المعروفة برياضة المراكب والجولف اضافة الى عشرات الينابيع التى تعج بالحمامات الحارة.. ولابد ان تأخذك جولتك فى مدينة مانيلا الى «ماكاتى» العاصمة المالية والتجارية للفلبين و«اترامورس» المدينة المسورة التى بناها الاسبان قبل عدة قرون «وزيزال بارك» حى الجامعات وأقدم جامعة فى اسيا «ستوتوماس» التى تسبق هارفارد بخمسة وعشرين عاما.. وهناك المركز الثقافى المهيب والمرافق المصاحبة له.. ومركز المؤتمرات الدولى الاكبر من نوعه فى اسيا.. ومسرح الفنون الشعبية.

وهنالك قصر جوز الهند «كوكوتتابالاس» الذى شيدته «ايمليدا ماركوس» عام ١٩٨١م خصيصا لاستقبال البابا بولس الثانى.

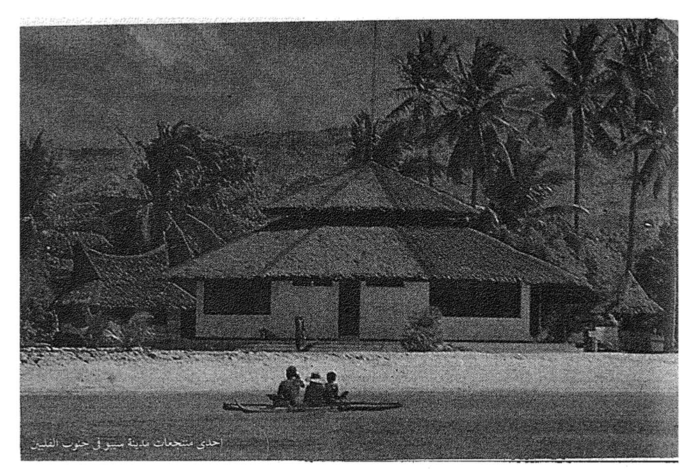
وفى مانيلا ستجد الخدمة الممتازة فى فنادقها الفخمة مثل «مانيلا هوتيل» والذى يشكل مؤسسة فنية على أحدث طراز وقد اختير كأحسن الفنادق فى العالم.. وهناك الفنادق المتعددة المعده بأحدث الالات التكنولوجية لتقديم الخدمات اللازمة لكل زائر على مساحة تبلغ حوالى ساعة بالطائرة باتجاه وسط البلاد تقع مدينة «سيبو» أحد اسرار الفلبين المخبأه وملكة المدائن المحيطة بها وهى تعتبر أقدم مدينة فى الفلبين على شواطئها هبط «ماجلان» عام ١٥٢١.. بيوتها مشيدة على الطراز الاسبانى وهى ملاذ كل من يبحث عن الجمال والهدوء.

كما تعد «سيبو» المدينة الثانية بعد «مانيلا» من حيث الأهمية الاقتصادية ويبلغ عدد سكانها ٧٥٠ الف نسمة.. وهى تشتهر بمنتجعاتها الرائعة وبرمال شواطئها الساحرة.. واذا أردت أن تعيش على الفواكه الطازجة مثل الاناناس والباباى والمانجو والبطيخ وغيرها فان «سيبو» هى المكان الانسب..

ومما يلفت النظر فى «سيبو» شعبها الهادىء الودود.. انهم يحبون السياح كحبهم للموسيقى



المركز الاسلامى



احدى منتجعات مدينة سيبو في جنوب الفلبين

والغناء مما جعل مدينتهم الاولى فى تصنيع الجيتارات التى تعتبر أهم ما يميز «سيبو» عن غيرها. . ولا تقل متعة الاقامة فى سيبو عنها فى مانيلا، اذ تجد هناك فندق سيبو بلازا وفندق ماجلان اللذين يقدمان خدمات رفيعة المستوى وذلك بفضل الامكانات الكبيرة المتوفرة لديهما. .

ويسيطر الصينيون على ٨٠٪ من اقتصاد المدينة ويشكلون ٤٠٪ من السكان.

وعلى مسافة ساعتين فقط بالباص من مانيلا تقع «باجسا نجان» احدى اروع المناطق الاستوائية فى العالم وهى متتجع تقليدى جميل يقوم فيه السياح والزوار برحلات عبر منحدرات الانهار وذلك فى قوارب خشبية صغيرة تأخذهم نحو شلالين يمكن للمرء عند نقطة التقائهما ان يمر من تحتهما الى أحد الكهوف الموجودة هناك أو يمتع ناظريه بمشاهدة منظر الطبيعة. . وعلى بعد اكثر من ساعة قليلا بالطائرة من مانيلا تقع «سيكوجون» التى تبلغ مساحتها ١٠٠٠ هكتار من الغابات والشواطىء الرملية البيضاء والمياه البلورية الصافية والى جانب متعة السياحة التى توفرها «سيكوجون» ففى الجزيرة ايضا مرافق لممارسة مختلف الالعاب المائية.

المتجعات السياحية:

تنتشر المراكز والمنتجعات السياحية الرائعة فى جميع انحاء الفلبين. . فالبعض منها لا يبعد اكثر من ساعتين بالسيارة من العاصمة وهذه المنتجعات الرائعة التى تجمع بين زرقة البحار وبياض الشواطىء حافلة بجميع انواع نشاطات الترفيه. . واذا ابتعدت قليلا عن المناطق المذكورة ستجد جزراً سياحية خلابة

عندما تمضى فيها بضعة أيام ستشعر أنك وجدت ملجأ الهروب المثالى من عناء الروتين اليومى ولذلك فليس من العجب اذا عاد اليها السواح مرة بعد أخرى.

جزيرة مندناو:

وجزيرة مندناو او ميلاناو كما يطلقون عليها أحيانا تعتبر الجزيرة الثانية بعد مانيلا من حيث الحجم وتعيش بها أغلبية مسلمة والمدينة الرئيسية فيها هى زامبونغا.. يطلق عليها مدينة الزهور. واهل هذه الجزيرة يعملون فى الصيد وبناء السفن الصغيرة وتصدير جوز الهند ويأكل اهلها الأرز فى اوراق اشجار الموز ثم يغسلون اوراق اشجار الموز ويعلقونها كأطباق طبيعية.

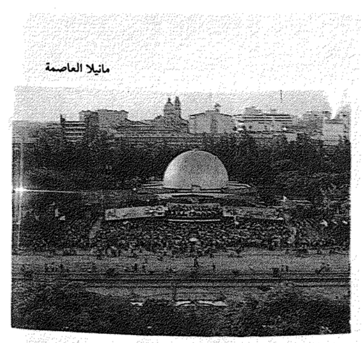
ويقال ان من ابناء ميندانا من يلقون بأطفالهم الصغار فى نهر اجوزان بضع دقائق فإذا عاش اعتقدوا انه سوف يكون قوياً.. واذا مات فقد أخذ الشر وراح.

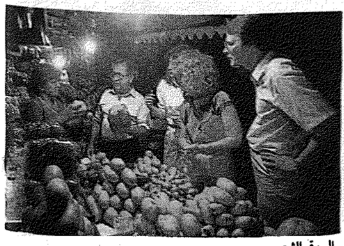
بورث أزور:

ومن أبرز المصايف وأجملها «بورث ازور» وتقع جنوب مانيلا وتعتبر أصغر فوهة بركانية فى العالم وتشتهر بزراعة الأرز ومن عادتهم ان يضعوا الأرز بعد ان ينضج فى الحقل على الطريق العام تفادياً لما تأكله العصافير وذلك حيث يقوم ضجيج السيارات بابعاد العصافير.

فى التنقلات تستخدم السيارة الشهيرة «الجيبنى» فهى عبارة عن احدى سيارات الجيب العسكرية ويجردونها من كل شىء عدا الاساسيات ويقومون بتطويلها بصورة معقولة وتجهيزها وتزويدها باللمبات المضيئة كشجرة الميلاد.. ثم يملأون جانبيها برسومات الكائنات الأسطورية مع اضافة هوائيات ووضع الزهور فى المرآه الخلفية وهذا ما يفعله الفلبينيون بالضبط حتى اليوم.. وتعود هذه القصة الى عام ١٩٤٥ عندما غمرت قلوب الشعب الفليبنى مشاعر الفرحة بالنصر والتحرير.. فعبروا عن ذلك بتحويل سيارات الجيب «ديلى» التى خلفتها القوات الامريكية الى الصورة التى نراها اليوم..

مانيلا العاصمة





السوق الشعبى

قبائل البجاو:

وتعيش قبائل الباجاو قرب شواطىء الجزيرة وهذه القبائل لا تعيش فى المدينة وليس لها بيوت فالاسرة بأكملها اب وام واولاد يعيشون فى قارب وعلى مقربة من المدينة يذهب أحدهم لقضاء ما يحتاجون اليه ثم يعد الطعام بداخل القارب ثم يعودون مرة ثانية الى عرض المحيط. . كما يقال عن قبائل «الباجاو» انهم على علم تام بأحوال الطقس والأنواء البحرية ولذلك فهم ينجحون فى الوصول الى البلدان المجاورة لهم والتى تبعد عنهم مئات الكيلومترات.

عش الزوجية فى «زامبوانغا» يكون على شكل شجرة مكون من غرفة ومطبخ وحمام ويهدى لمدة يومين فقط لكل عروسين مجانا وبالطبع فهو مشغول دائماً. .

وبالقرب من زامبوانغا توجد قرية اسلامية شهيرة اسمها «ساناى». . قرية جميلة جداً بنيت على سطح الماء على هيئة بيوت خشبية وتشتهر بصناعة السجاد «الياكان» ولا يوجد مثيل له فى أى مكان بالفلبين. . ولديهم تقاليد يشتهرون بها منها: عندما يطلبون منك نقود لا يأخذونها بأيديهم بل لابد ان ترميها لهم فى ماء البحر ثم ينزلون اليها بحركات بهلوانية لأخذها.

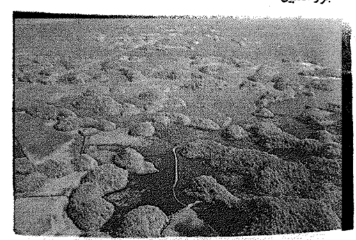
أما عن اسواق الفلبين فتفيض بكنوز لا حصر لها من المنتجات وتمتلىء واكثر بها محلات المصنوعات اليدوية

وهناك أيضا المحلات الكبرى ومطاعم الوجبات السريعة والبقالات ودور السينما ومراكز الترفيه واهم المراكز التسويقية الرئيسية فى مانيلا هى هاريسون بلازاومركز برودى. . اما التجار فأغلبهم من الصينيين والهنود. .

وكان العرب يقومون بزيارة منتظمة لجزر الفلبين قبل اكثر من ٥٠٠ عام.

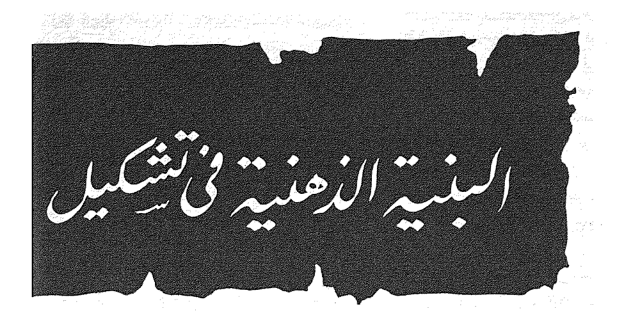
وبامكان المرء شراء بعض المنتجات مثل الحقائب الجلدية والمطرزات اليدوية والمنحوتات الخشبية والزخارف. . والتسوق يتم ايضا بالعملة المحلية «البيرو». . كما تهتم الفلبين بالسياحة اذ أصبح السفر مصدر دخل كبير للفلبين وذلك بفضل تعاون الحكومة مع القطاع الخاص. . وقد تم تعبيد الطرق وتحسين وسائل المواصلات وتكثر فيها الفنادق والمنتجعات الصيفية وغير ذلك من المؤسسات المتخصصة فى السفر والسياحة تسعى الى جذب الباحثين عن الراحة والاستجمام من جميع انحاء العالم. ويوجد فى مانيلا أيضا أحدث المراكز السياحية عالميا وتقدم تسهيلات من الدرجة الاولى من قبل الفنادق المتعددة والمعدة بأحدث الالات التكنولوجية لتقديم الخدمات اللازمة لكل مسافر.

جزر الفلبين





الحرف اليدوية فى الفلبين



اذا كان الشعر العربى القديم قد وصل الينا بهذه الصورة ـ المكتملة المثالية ـ التى بين ايدينا فلابد له من اوليات تأرجحت بين السهولة والخشونة والوضوح والغموض شأن بدايات كل الفنون والاحداث المستجدة . .

وشعرنا العربى لا يخلو من صعوبات اعترضت تطوره فى مهده الاول حتى وصل الى بنية البيت المفردة ليعطى صورة موضحة وربما مختلفة عن البيت الذى يليه دون تأثير فى ذلك .

وقبل التعرض الى مستوى ما وصلت اليه العقلية العربية فى تشكيل القصيدة لابد من القاء نظرة مركزة نلم بها إلمامة سريعة عن الظروف التى مرت بها القصيدة فى مهدها الاول ولو بصورة مختصرة ـ درءا للملل ـ لأن هذه أمور فصل فيها الحديث الكثير من الدارسين والباحثين من قدامى ومحدثين وحسبنا فى ذلك أن نجمل القول بما جاء به «**الدكتور عبد الله الطيب**» فى هذا الباب من كتابه «**المرشد الى فهم اشعار العرب**»(١)

يروى لنا عبد الله الطيب روايات مراحل تطور القصيدة التى كانت تدور على الاقسام والملائمة بينها عن طريق الموازنة حتى عرفت القافية وعرف الوزن وصار الشعر محكما رصينا واهم هذه المراحل فى رأيه :

١ ـ ان النظم كان يأتى بقسيم بعده قسيم من غير كبير نظر الى السجع او الوزن مثل :

ـ اذا كنت فى قوم فاحلب فى انائهم

ـ اذا ادبر الدهر عن قوم كفى عدوهم

ـ اذا حان القضاء ضاق الفضاء

ومثل هذا كثير فى مجمع الامثال «للميدانى» .

٢ ـ ثم تطور النظم الى خطى أخرى متجاوزا هذه المرحلة الى مرحلة مراعاة السجع والازدواج فى مثل قول الناظم :

أقسم برب الحرتين من حنش لتهبطن أرضكم الحبش

أقسم بما بين الحرتين من انسان لينزلن أرضكم السودان

وقد أدى السجع بطبيعته ـ فى رأيه ـ الى المجانسة الازدواجية فكان الازدواج :

ان المنبتّ لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى





وناَلت طريقتا السجع والازدواج رضا كل الناس لسهولة حفظها وما تحمله من وقع فى النفوس فاهتموا بها أكثر حتى أصبح الناظم يحكم «المزاوجة والسجع» فى مثل قولهم :

أمـر مبكيـاتك لا أمر مضحكاتك
أنـت تئـق وأنـامئـق فمـتى نتفق

لاتفاق «**المضحكات والمبكيات**» فى الوزن وكذا «**لتئق ومئق**» حتى بالنسبة لمخارج الحروف ومثل هذه الصور كثيرة فى مجمع الامثال للميدانى .

ولقد كانت طريقتا السجع والازدواج فى البدء تعنى بقسمين متوازيين سواء أكان ذلك من حيث التركيبة الخارجية فى تساوى الكلمات أم من حيث التركيبة الداخلية أم من حيث التموجات الصوتية والموسيقية الخاضعة للتقطعات النفسية وذلك فى مثل قول الناظم :

اذا قرح الجنـان بكـت العيـنـان
اذا تلاحت الخصـوم تسافهت الحلوم

ثم تجاوز النظم صورة «**التقطع الثنائية**» هذه المتمثلة فى القسيمين الى صورة متطورة قليلا الى ثلاثة تقطعات أو قسيمات كقولهم :

انه يحمى الحقيقة وينسل الوديقة ويسوق الوسيقة

بينما تجاوزت المرحلة الرابعة مجرد الموازنة فى الاقسام الى تكميل الوزن نفسه حتى يصير كل قسم مساويا للآخر من جهة العروض فى مثل قولهم :

شهـاد أندية
جوّاب أودية
حمّال ألوية

وقد كان هذا التقطع الموزون ـ قبل ان يصبح على هذا الشكل ـ يخضع للطابع النثرى الاخبارى العادى عند عامة الناس على هذه الصورة :

يشهـد النـادى
يجـوب الاوديـة
يحمـل اللـواء

وكذا بالنسبة الى قول الناظم :

ربّـــاء مرقبة
وهاب سلهبة
منّاع مغلبة

والتى كانت على صورتها الاولى بنفس طريقة المثال السابق :

انه يربأ المرقبة
ويهب السلهبة
ويمنع المغلبة

وربما كانت هذه المرحلة ـ مرحلة الاسجاع والمزاوجة الموزونة ـ هى السبيل الاسلم للتذوق العربى حسب ما اهتدت اليه الذهنية العربية ـ عفو الخاطر ـ دون وعى من الناظم فكان من شأن هذا التقبل أن اهتم الناظم بهذا النوع وطوره من مرحلته الثنائية ـ هذه ـ الى مرحلة أخرى أكثر تطورا جعل يعمل فيها الى التسميط معتمدا فى ذلك على اسجاع ثلاثة متوازية اتبعها سجعة ـ بينها ـ تخالفها وتوافق الاخرى التى تقع فى مواقعها بعد ثلاثة أقسام مسجوعة تالية وهكذا . . . كما جاء على لسان الناظم **«أبى صخر»** :

وتلك هيكلة
خود مبتلّة
صفراء رعبلة
من منصب سلم
عذب مقبلها
جزل مخلخلها
كالدعص أسفلها
مخضودة القدم

وكذا بالنسبة لقول الآخر:

جوّاب قاصية
جزّار ناصية
حمّال ألوية
للجيش جرّار
حلو حلاوته
فصل مقالته
فاش حمالته
للعظم جبّار

وبذلك تكون القصيدة العربية التى وصلت الينا على هذا الشكل الذى نعهده حسب هذه المراحل المتطورة قد اعتمدت فى بداية أمرها على القسيم أو مراعاة السجع والازدواج والتحكم فيه بدقة فيما بعد وتجاوز ذلك الى الموازنة فى الاقسام الى سلوك سبيل النظم الذى نعرفه الآن فى شكل القصيدة المحكمة البناء .

أن ما يهمنا هنا هو اتفاق الذهنية المبدعة فى تعاملها مع البنية الخارجية فى تشكيل القصيدة وتقبلها اياها بكل بساطة دون ان نعرف السبب ولا أن نسأل الى يومنا هذا لماذا جاءت القصيدة العربية بهذه النمطية التركيبية باعتمادها فى بداية الامر على الازدواج والثنائية فى التعبير سواء أكان ذلك من لفظين متساويين أو ثلاثة الفاظ متساوية فى التموجات الصوتية والتموجات الايقاعية ويكون بذلك من حقنا أن نتعرف عن السبب الذى من أجله اعتمدت الذهنية العربية على التركيبة الثنائية التى امتدت على هذا الشكل الى ان تطورت فيما بعد فوصلت الى وحدة البيت وتجزئته الى شطرين متساويين ثم وحدة الغرض المستقل عن الغرض الذى يليه فكان تعدد الاغراض التى تعمل مشتركة فى خلق اطار معين هو ما يسمى بالقصيدة .

أن القصيدة بهذا الشكل تظهر عند كثير من الباحثين



مفككة لا تحكمها أية وحدة. . والحقيقة عكس ذلك فللشعر العربى القديم وحدته الخاصة به وتظهر هذه الوحدة من خلال تأثير الواقع فى البنية الذهنية للشاعر ونظرته للحياة وانتمائه اليها. . من ذلك ان الانسان ابن بيئته ـ كما قيل ـ لأن البيئة تتحكم فيه سواء أكان ذلك من حيث البناء العضوى أم الفكرى.

وإذا نظرنا الى حياة العربى آنذاك وسط هذه الصحراء فاننا نجده يهتم بنفسه وكل ماله علاقة بحياته الشخصية أولا أى أنه يعتز بفرديته المستقلة قبل أن يهتم بغيره ممن حوله ثم بعد ذلك يهتم بـ «**العقد الاجتماعى**» الذى يربطه بقبيلته كمرتبة ثانية. . وبذلك تنصهر ذات الفرد فى الذات الجماعية للقبيلة التى تعيش فى محيط معين وزمن محدود ينتهى بانتهاء وجود الفرد من هذه الحياة.

وهذا النظام القبلى احتفظ العرب به زمنا طويلا خاصة نظام تعدد القبائل الذى استمر (حتى بعد ان وحد الاسلام قبائل العرب وضم شتاتهم فى دولة عربية واحدة ظل العرب محتفظين بكثير من خصائص النظام القبلى وظل الطابع القبلى هو الغالب على المجتمع العربى طوال العصر الاسلامى الاموى)(٢)

ولعل هذه النظرة التى تحكم الانسان كفرد تجعله يعتز بفرديته وانتمائه الى قبيلة ينتسب افرادها الى جد واحد ويعتقدون ان رابطة الدم الواحد تجمع بينهم(٣) لعل ذلك كله انعكس على بنية القصيدة وجاء بصورة عفوية من غير ادراك الشاعر نتيجة تأثير البيئة على حياة الفرد وهو ما يتبين على الشكل التالى :

التقطع الثنائى (العفوى) ـ وحدة البيت ـ تعدد الاغراض ـ بناء القصيدة ـ البحث عن الذات ـ الاعتزاز بالفردية ـ تعدد القبائل ـ الافق الدائرى المحدد زمنيا الذى يعيش فيه الفرد وسط هذه الصحراء المحدودة اقليميا.

ومعنى ذلك ـ كما مر بنا قبل قليل ـ ان العربى والاعرابى على وجه الخصوص فخور بالذات الفردية لما فى هذه الذات من عنجهية وخشونة لذلك (وصف

الاعرابى بالتفاخر والتباهى فهو فخور معجب بنفسه فترفع عن غيره حتى لكأنه النمر مع انه من افقر النـــاس ولهـذا صاروا اذا ارادوا وصف شخص متغطرس متجبر مع أنه لا يملك شيئا يفوق به نفسه على غيره قالوا عنه:

نبطى فى حبوته.. أعرابى فى نمرته.. أسد فى تامورته(٤)

ثـم يأتى بعد هذه الفردية المتطرفة الاهتمام بمن تربطه به رابطة النسب والعصبية والتضامن وهى «قبيلته» التى يحتمى بها فى الدفاع عن نفسه وحرمه وهى وحدة أساسية فى حياة الجماعة التى انحدرت من اصل واحد فى كونهم ينتمون الى جد واحد.

ولقد اندمجت هذه «**الذات الفردية**» فى الذات الجماعية للقبيلة فشكلت مجموعة يجمعهم نظام واحد وتفكير واحد واعتقاد فى (غالب الاحيان ـ لكل قبيلة) واحد وفى كل مكان واحد محدود الى حد ما بحدود الاقليم والمصير.

ومثل هذا التفسير انما يصدق تماما على القصيدة التى بنيت على البيت من الشعر الذى يشكل وحدة متكاملة مستقلا عن البيت الذى يليه يحمل فكرة ربما قد لا تكون لها علاقة بالفكرة الموالية التى يحملها البيت الذى يليه.

وقـد كانت براعة الشاعر فى الاهتمام بالبيت الاول من القصيدة فخصه بالتصريع وهو دليل على اعطاء القيمة للفردية الذاتية التى يمثلها نظام التصريع فى البيت المتشكل فى الوحدة الافرادية.. وقد انعكست هذه النظرة حتى فى انطباعاتهم وانتقاداتهم للشعر فكانوا يقولون ـ فى غالب الاحيان ـ مثلا: (أشعر بيت قالته العرب)(٥) كذا حينما يسألون عن أى بيت قالته العرب أشعر؟ كما قالوا ايضا على سبيل المثال: «أغزل بيت»(٦) و «أمدح بيت»(٧) و«أفخر بيت»(٨) و«أرثى بيت»(٩) و«أهجى بيت»(١٠).

ولم يسألوا عن أحسن قصيدة او احسن غرض شعرى قاله شاعر ما.

وكان حسان بن ثابت يقول:

وان احســـن بيــت أنــت قائــله
بيــت يقــال اذا أنــشــدتــه صدقــا

ولم يقل «**أحسن قصيدة**» أو «**أحسن شعر**» أو «**نظم**» مما يدل على مدى الاهتمام بالبيت من الشعر الذى يعكس صورة الفردية الذاتية للانسان العربى فإذا تشكل البيت مع الذى يليه أعطى صورة مصغرة لغرض ما عاكسا بذلك صورة وحدة القبيلة فى تماسكها مع ابنائها. وهكذا مع بقية الاغراض الاخرى التى تعكس بدورها صورة مجموعة من القبائل.. فاذا اجتمعت هذه الاغراض بعضها مع بعض فانها تشكل بذلك قصيدة تجمعها وحدة الوزن والقافية كما يتجمع التواجد العربى فى بيئة محدودة بحدود الاقليمية وبوجوده المتزامن فى رحلة محدودة لا علاقة لها بـ «الماورائية» مما أدى به الى الاندفاع الى الحيرة والتردد والتساؤل عن غاية وجوده وذلك نتيجة فراغه الدينى.

وهكذا بنيت القصيدة وفق تشكيلة انماط الحياة التى كان يعيشها الانسان فى هذا العصر او فى عصر سابق له على وجه الخصوص ثم استمرت القصيدة فى العصور التالية كنمط من التقاليد الادبية القديمة.

ولـذلك جاءت قصيدة الصعاليك مخالفة لهذا النمط.

التقليدى فى البنية التركيبية لها أى أنها لم تقف عند تعدد الاغراض بل تناولت غرضا واحدا (بحيث نستطيع ان نمضى مع مجموعة شعر الصعاليك فلا نكاد نخطىء الوحدة الموضوعية فى كل مقطوعاتها واكثر قصائدها.. سواء ما كان منها فى وصف المغامرات او الحديث عن سرعة العَدْو او الفرار او تقرير فكرة اجتماعية او اقتصادية أو غير ذلك من موضوعات شعر الصعاليك.. ولا نكاد نجد صعوبة فى وضع العناوين المختلفة لها الدالة على موضوعاتها)(١١).

وقد يظهر للبعض ان الشعراء الصعاليك تناولوا فى شعرهم طائفة متعددة من الاغراض لكنها فى الحقيقة على عكس ذلك.. اى انهم لم يلتزموا بنية القصيدة أو تعدد الاغراض بل كان شعرهم عادة يدور حول موضوع واحد وحتى فى بعض القصائد الطويلة التى وردت عند بعضهم كـ: **«لامية عبدة بن الطيب»**



و«لامية ذى الكلب الهذلى».. **و«رائية عروة بن الورد»** فان ذلك فى حقيقة الامر يرجع الى موضوع واحد رغم ما يبدو فى بعض القصائد من معان مختلفة لكنها لا تعدو أن تمثل الوحدة الموضوعية فى بنائها.

وحتى ان وجدت هناك بعض القصائد كـ: **«تائية الشنفرى» و«قافية صخر الغى» و«داليته»** فان هذه القصائد فى الحقيقة لا تخضع للوحدة الموضوعية وانما تتعدد موضوعاتها.. لكن ذلك لا يخرج من حقيقة ما نقصد اليه فى كونها لا تتجاوز الموضوعين(١٢) واكثر من ذلك فان هذا يعد شاذا والشاذ لا يقاس عليه بل وربما تكون هذه القصائد قد قالها هذا الشاعر الصعلوك او ذاك قبل ان تنفره قبيلته ويتشرد.

ومن ثمة يمكن القول: ان الشعراء الصعاليك لم يتوافر فى قصائدهم الا وحدتا البيت والقصيدة على خلاف الشعراء الاخرين الذين امتازوا عنهم بتعدد الاغراض فى قصائدهم او على الاقل فى كثير منها وهو ما يمكن اعتباره ـ عند الشعراء الصعاليك ـ تعبيرا عن حياتهم المشردة التى لم تنتم الى قبيلة معينة فكانت قصائدهم انعكاسا لحياتهم المتمثلة على الشكل التالى:

وحدة البيت ــ بناء القصيدة (وحدة الموضوع)

الاعتزاز بالفردية ــ الافق الدائرى المحدود زمنيا الذى يعيش فيه وسط هذه الصحراء المحدودة اقليميا.

ولذلك يمكن القول ان البنية التركيبية للقصيدة العربية القديمة جاءت تعبيرا عن واقع الانسان العربى القديم ـ عموما ـ الذى تجمعه علاقة النسب ضمن قبيلة معينة خضعت لنظام اجتماعى معين وفى

زمن محدود فجاء ذلك بصورة انعكاسية فى القصيدة ولو كان ذلك دون ادراك الشاعر.

بنية البيت:

اما بخصوص بنية البيت على نظام شطرين من حيث كونه يشكل ثنائية فى النمط التركيبى له فلعل السبب فى ذلك هو ان هذه الثنائية قد جاءت استجابة لطبيعة العصر بل لطبيعة نظرة الانسان القديم للكون المتشكل من ازدواجية لكل المخلوقات التى تتكون من عنصرين اثنين فقد وجد - هذا الانسان - حين ظهر للوجود امام مفارقات الحياة الطبيعية فى كل شىء يحيط به حتى انه اصبح ينظر للاشياء نظرة ثنائية بدءا من تكوينه العضوى الذى يمثل «**الانسجام التام بين شطرين (أ، ب)** فهناك تساوٍ بين الجزئين وتوازٍ وتوازن وتقابل بين جزئيات الوحدة (أ) والوحدة (ب) والوحدتان معا باجزائها المختلفة تجمعها وحدة عامة شاملة تنسجم فيها علاقة الاجزاء بعضها مع بعض وعلاقة كل جزء بالكل . . فادراكنا لانفسنا - واعين او غير واعين - يجعلنا نتقبل كل ما تتمثل فى تكوينه القوانين التى تتمثل فى بنيتنا ويبقى الشعور بالجمال فى توافق الادراك المباشر لعلاقة الاجزاء كل جزء بالاخر وعلاقة الجميع بالكل مثيرا نوعا من المتعة المباشرة والمطلقة(١٣) وهكذا مع بقية العناصر الاخرى التى كان يراها فى حياته والتى تتحكم فيها قوانين الثنائية المطلقة سواء فى عبادته كالشمس والقمر - مثلا - او فى نظرته لصورة الواقع من نور وظلام او ذكر وأنثى أو لنظرته من خلال الطبيعة - مثلا كالحر والبرد.

وهكذا يمكن ان تكون هذه النظرة الجمالية فى الانسجام بين شيئين متوازيين تجمعهما وحدة شاملة من خلال تأمل الانسان فى ما يحيط به من ظواهر طبيعية وكونية لما رأى فيها من ازدواجية فى خلقها حيث انعكست على تفكيره فتمثل فى ابداعه الفنى . . وسواء اكان ذلك فى نمط القصيدة التى تتحكم فيها نظام الشطرين ام فى النثر من (خطبة ومثل وحكمة) الذى احتوى هو الاخر على نظام الازدواجية فى التركيب تمثّل فى السجع خاصة.

وقد كان هذا النوع من الازدواجية فى التعبير كثيرا فى تاريخ ادبنا العربى القديم - شعره ونثره - مما جعل الجاحظ(١٤) يخصه بباب من كتابه «**البيان والتبيين**» سماه (باب من مزدوج الكلام) وهو نوع من السجع الذى اعتبره من اهم خصائص لغة العرب فى قوله: نحن ابقاك الله اذا ادعينا للعرب اصناف البلاغة من القصيد والارجاز من المنثور والاسجاع، ومن المزدوج وما لا يزدوج فمعنا العلم ان ذلك لهم شاهد صادق من الديباجة الكريمة والرونق العجيب والسبك والنحت الذى لا يستطيع اشعر الناس اليوم ولا ارفعهم فى البيان ان يقول مثل ذلك الا فى اليسير(١٥)

وليس ادل على هذه الازدواجية من التشبيه الذى يعد اساس شعرنا القديم باعتباره يمثل طرفين مقارنين «**سواء اكانت المشابهة بين (هذين) الطرفين** تقوم على اساس من الحس او اساس من العقل . . ان العلاقة التى تربط بينهما هى علاقة مقارنة اساسا وليست علاقة اتحاد أو تفاعل(١٦)

تسمية البيت:

وحتى تسمية البيت الشعرى فانها مأخوذة من واقع البيئة التى اصطلحت على تسمية الخيمة بالبيت كما يحدثنا عن ذلك ابن رشيق

بقوله(١٧):

(والبيت من الشعر كالبيت من الابنية قراره الطبع.. وسمكه الرواية.. ودعائمه العلم.. وبابه الدربة.. وساكنه المعنى.. ولا خير فى بيت غير مسكون.. وصارت الاعاريض والقوافى كالموازين والامثلة للابنية.. او كالأواخى والاوتاد للاخبية فاما ما سوى ذلك من محاسن الشعر فانها هو زينة مستأنفة ولو لم تكن لاستغنى عنها).

فكما ان للبيت من الابنية أدوات تتحكم فيه من أعمدة وحبال وأوتاد.. فكذلك الامر بالنسبة للبيت من الشعر قوانين تتحكم فيه من وحدة البيت وتقسيمه الى شطرين واعتماده ايقاعا معينا وقافية واحدة هذا من حيث الشكل.. اما من حيث المضمون فكما ان للبيت من الابنية معنى بوجود اهله وذويه ـ كما جاء فى قول ابن رشيق ـ فكذلك للبيت من الشعر معنى باعتباره يشكل صورة شعرية تحمل فكرة معينة والا كان ذلك نشازا ونفارا تنفر منه الاسماع ولا تتذوقه كما تنفر الناس من البيت المبنى الخالى من اهله ولا تستسيغه.

وبذلك يكون من شأن تأثير العامل البيئى المميز لحياة العربى بانتمائه الى قبيلة معينة ووجوده فى اطار معين من الزمن المحدود الذى ينتهى ـ فى نظره ـ بانتهاء حياته وامام مفارقات الطبيعة والكون من حوله يكون من شأن ذلك كله الاثر الكلى والمباشر فى تشكيل بناء القصيدة بكل ما فيها.

ومجمل القول انه اذا كان للانسان العربى القديم انتماؤه الذى يميزه عن غيره من الامم الاخرى فكذلك للقصيدة العربية القديمة وحدة معينة جاءت تعبيرا عن حياة الانسان العربى فى هذا العصر من غير شعور منه.

لذلك كان الشاعر حريصا على هذا النمط التقليدى المتمثل فى افتتاح القصائد متعددة الاغراض بوصف ديار الحبيبة ثم نعت ما خلفته هجرة الاهل والاحبة وما سكنها من حيوان ثم يمضى بعد ذلك الى وصف رحلته فى الصحراء وقطعه المفاوز متعرضا لكل ما يعترض طريقه من اخطار او ما تراه عينه من مناظر طبيعية فى صور تشبيهية رائعة ثم التعرض الى الموضوع وفيه يريد الشاعر ان يعبر عن الغرض المقصود الذى من اجله قال هذه القصيدة وقد يختلف من قصيدة لأخرى ثم يختم هذه القصيدة او تلك بأبيات يبرز فيها تجاربه فى الحياة وقد لا تكون لهذه الخاتمة علاقة بالموضوع الرئيسى.

الهوامش

(١) المرشد الى فهم اشعار العرب ٢/ ٧٠٢

(٢، ٣) احسان النص: العصبية القبلية واثرها فى الشعر الاموى ٥٣ ٥٧

(٤) جواد على: المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ٤/ ٣٠٨

(٥) ابن رشيق: العمدة ٢/ ١٧

(٦) المصدر نفسه ٢/ ١٢٠ والبيت لعمر بن ابى ربيعة.

(٧) نفسه ٢/ ١٣٩ (يروى عن الحطيئة ان البيت لشاعر نصرانى:

يغشون حتى ما تهر كلابهم
لا يسألون عن السواد المقبل

(٨) نفسه ٣/ ١٤٤ (قول امرىء القيس):

ما ينكر الناس حين نملكهم
كانوا عبيدا وكنا نحن اربابا

(٩) نفسه ٢/ ١٥٠ ولم يذكر اسم قائله والبيت هو:

ارادوا ليخفوا قبره من عدوه
فطيب تراب القبر دل على القبر

(١٠) نفسه ٢/ ١٧٥ قول الاخطل فى بنى يربوع:

قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم
قالوا لأمهم بولى على النار

(١١، ١٢) د. يوسف خليف: الشعراء الصعاليك فى العصر الجاهلى ٢٦٤، ٢٦٧

(١٣) د. عز الدين اسماعيل: الاسس الجمالية فى النقد العربى ١٢٤

(١٤) البيان والتبيين

(١٥) نفسه ٣/ ٥٠

(١٦) د. جابر عصفور: الصورة الفنية فى التراث النقدى والبلاغى ١٨٨

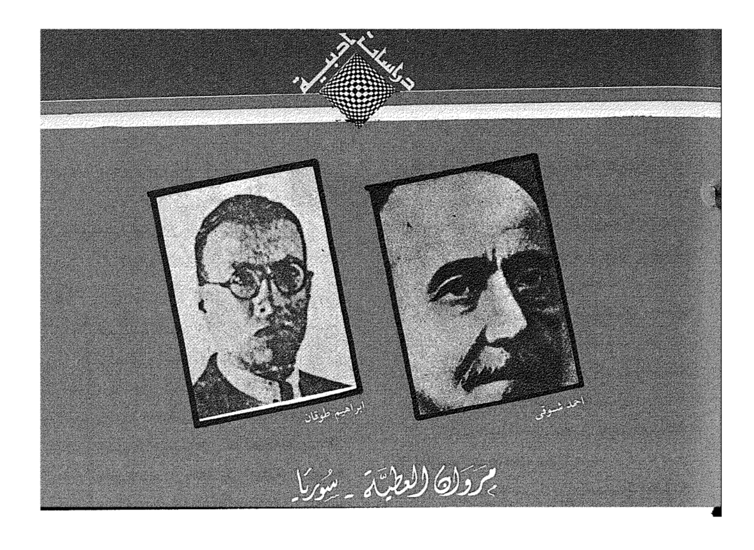
(١٧) العمدة ١/ ١٢١



المعلمون عظماء وأنصاف عظماء: فنصف العظيم موهوب فى فن التعبير عن ذاته أما العظيم فموهوب فى فن اثارة الآخرين . . ليحقق ذاته . .

إن الموازنة نوع من النقد وهى كذلك نوع من الوصف فالذى يوازن بين شاعرين انما يصف مالكل منهما وما عليه بأدق ما يمكن من التحديد فمن واجب الناقد أن يتعمق فى دراسة حياة الشاعر الذى يضع شعره فى الميزان وأن يجتهد فى أن يرى الأشياء بعينه ويدركها بشعوره ليستطيع وزن ما يقول . . فان الشاعر انما يؤدى «رسالته» الى جيل خاص فى قطر خاص ومن التحكم أن تطالبه بأن يرى الأشياء بعينك ويدركها ببصيرتك ويتذوقها بوجدانك مع أن بينك وبينه مئات الفروق وهو لم يعش معك ولا لك وانما خضع فى شعوره لغير ما تخضع له من ظروف الزمان والمكان . . وهذا يتطلب من الناقد تضحية خطيرة ولكنها ضرورية: يتطلب هذا أن ينسى الناقد شخصيته وأن يفنى فى شخصية الشاعر الذى يدرسه: بحيث يبصر بعينه ويسمع بأذنه ويفقه بقلبه ليسبر كما قلت أغوار نفسه وليرى مبلغ شعوره بما وصفه من الأشياء .

والآن ندخل فى بحث شيق هو الموازنة بين القصائد المشهورة التى جرت مجرى المعارضة والمماثلة كما فعل ابن المعتز فى معارضة الحسين بن الضحاك وابن عبد ربه فى معارضة مسلم بن



الـوليـد وابن دراج فى معـارضـة أبى نواس والبـارودى فى معـارضـة أبى فراس. . ولهذا البحث أهميـة كبـيرة لأنـه يمكننا من دراسة عرائس الشعـر دراسـة منظمة دقيقة وسيرينا كيف تتصاول العقول وكيف تتسابق القرائح اذا كانت معـارضـة الشاعر للشاعر نوعا من السباق فى عالم البيان.

ولنبدأ بالموازنة بين لامية شوقى «قم للمعلم وفه التبجيلا» «ولامية طوقان» «شوقى يقول ومادرى بمصيبتى» فان لهاتين القصيدتين أثرا فى أندية الأدب ومجالس التربية.

لقد استوقفتنى طويلا قصيدة شوقى وقد عظم قدرها فى نفسى وارتفعت منزلتها فى العيون وقد حفظها الصغير والكبير وهذه عظمة تتصاغر عندها الهمم ويخفض لها جناح الضعة وتملأ الصدور هيبة واجلالا . . . يقول الشاعر أحمد شوقى(١):

قم للمـعـلم وفـه الـتـبـجـيـلا
كاد المـعلم أن يكـون رسـولا(٢)
أعلمت أشـرف أو أجـلَّ من الـذى
يبنى وينشىء أنفسـا وعقـولا
سبـحـانـك الـلهـم خير معـلم
علمـت بالـقـلم الـقـرون الأولى
أخـرجـت هذا العقـل من ظلماتـه
وهـديتـه الـنـور المبـين سبيـلا
وطـبـعـت بيـد المـعلم تارة
صدى الحـديـد وتـارة مصقـولا(٣)
ربّـوا على الانصـاف فتيـان الحمى
تجدوهـم كهـف الحـقـوق كهـولا

فهو الذى يبنى الطباع قويمة
وهو الذى يبنى النفوس عدولا
ويقيم منطق كل أعوج منطق
ويريه رأيا فى الأمور أصيلا

نحن نجد فى هذه الأبيات المختارة من قصيدة شوقى الوصف الصحيح والصورة الصادقة.. ان شوقيا يخلق الغرض ليقذف الكلمة الحكيمة وتلك احدى سماته.. وجمال هذه الأبيات يرجع الى ما فيها من صدق وأصالة.. فشوقى يشعر بالمهمة العظيمة الملقاة على كاهل المعلم ويحس بصعوبتها ويجد الشبه بين رسالة المعلم ورسالة الرسول المرسل.. لذلك يحل المعلم محل التبجيل والتقديس.. ونظرة شوقى وان كانت مثالية فهى نظرة واقعية صائبة نحسها ونعيشها نحن معشر المعلمين.

وعجبت من الشاعر ابراهيم طوقان فى رده ومناقضته لقصيدة أمير الشعراء.. فقد ضاق ذرعا بمهنة التدريس ثم ساءت صحته فترك التعليم فيما يقولون.. ألذلك يقف هذا الموقف القاسى من المعلم ومن قصيدة شوقى..

● يقول الشاعر ابراهيم طوقان(٤):

(شوقى) يقول: وما درى بمصيبتى
قم للمعلم وفه التبجيلا(٥)
أقعد فديتك هل يكون مبجلا
من كان للنشء الصغار خليلا
ويكاد (يفلقنى) الامير بقوله
«كاد المعلم أن يكون رسولا»
لو جرب التعليم (شوقى) ساعة
لقضى الحياة شقاوة وخمولا
حسب المعلم غمة وكآبة
مرأى (الدفاتر) بكرة وأصيلا
مئة على مئة اذا هى صلحت
وجد العمى نحو العيون سبيلا
لا تعجبوا ان صحت يوما صيحة
ووقعت ما بين «البنوك» قتيلا
يا من يريد الانتحار وجدته
ان المعلم لا يعيش طويلا

ألست معى بأن الشاعر ابراهيم طوقان متحامل كثيرا فى قصيدته على المعلمين ومهنتهم السامية التى هى مهنة الأنبياء ناس أن المعلم حكيم مثل النحل وحكمته التربوية مثل عسله المصفى.. يتجول فى حقول الحياة مفتح العين والقلب والعقل يقرأ مئات الكتب فى مئات الحقول وبلهفة واخلاص وتواضع وانتباه.. يحاور أفكارها لتمنحه مادة منها يكوّن عصير الحكمة التربوية كما تكون النحلة عسلها غذاء وشفاء.

ونحن نرى أن أبيات شوقى فيها القوة والجزالة والحكمة بالاضافة للمغزى البعيد السامى.. كما نرى أن أبيات طوقان عادية فى ألفاظها ومعانيها.

وأنفاس شوقى فى هذه القصيدة أنفاس حر لا يدرك وقدها الا من ذاق التعليم وجربه وعاشه بكل انفعالاته وعواطفه وشعر شوقى فى هذا النص ككل شعره يمتاز بالوضوح والسهولة والصدق وجزالة الأداء فى غير عى أو حصر وفى غير تعمية أو لجج بل الفكرة واضحة والأداء سهل مباشر ولكنه يرتفع فى اشاراته المختلفة ودقة بنائه الى درجة من الاحكام واللمح البصير وكلها سمات تدل على خبرة الشاعر بفنه ووعيه بمسؤليته وقدرته على أداء ما يريد فى عصره وبيئته

صحيح أن المعلم فى رأى طوقان لا يعيش طويلا ولكن بجسمه فقط أما أفكاره وأما روحه وأما آثاره فستعيش طويلا وستخلد على مر الأيام والأزمان فى أذهان طلابه وتلاميذه.. سوف تتجدد حياة المعلم فى حياة الأطباء والمهندسين والمدرسين الذين تخرجوا من تحت يديه وهذا هو الخلود..

وقد يصدق قول طوقان بأن العمى سوف يدب سريعا الىٰ عيون المعلمين ولكن فى رأيى أن المعلم رغم عماه سوف يبقى مبصرا من خلال عيون طلابه وتلامذته.. وسوف يظل مفتح العين عبر الأفكار والمعانى التى غرسها فى أذهان الأجيال الصاعدة.. وعجيب قول طوقان عندما حمل على المعلم لأنه يعايش الصغار وهذه نظرة لا أراها صحيحة فما من أب فى الدنيا وما من عظيم فى الحياة الا وعاش مع الصغار وربى الأولاد.. أما المعلم فهو أعظم من كل هؤلاء لأنه فى هذا الزمان خاصة هو الأداة الوحيدة لتنوير العقول وتفتيح الأذهان..

---

(١) ألقيت هذه القصيدة فى حفل قام به نادى مدرسة المعلمين العليا.
(٢) ديوانه ج١ ص١٨٠
(٣) طبع السيف: صاغة ـ صدىء الحديد: أى غير مجلو ولا مصقول.
(٤) مارس إبراهيم مهنة التعليم فى المدرسة الرشيدية بالقدس وضاق ذرعا بتلك المهنة ثم ساءت صحته فترك التعليم.
(٥) ديوانه ص١٠٦.

٣ محاورات في الأدب والفكر والحياة

فى هذه الأمسية وصلت مبكراً إلى ركننا المفضل من «جنينة الليمون» وبعد فترة وجيزة وصل صديقنا وعلى وجهه لمحة من عبوس . .

قلت : اللهم اجعله خيرا . .

قال : ومن أين يأتى الخير؟ . . لقد أصبح الناس ذئابا أو أشر من الذئاب ، لو صاحبت ذئبا لما خانك أو خاتلك . .

ألا ما أحكم الشاعر الذى قال يوما :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى
وصوت إنسان فكدت أطير

قلت : مهلاً . . مهلاً . . لكأن القيامة قد قامت . . أزح ماران على صدرك من ضيق . . ماذا دهاك؟

قال : الناس . . ما عدت أعرف كيف أتعامل مع الناس . . أنا فى حيرة من أمرى معهم . .

قلت : لا تبتئس فالأمر أيسر وأهون لأن مشكلتك تدور حول النظرة . . نظرة العين.

وكأنها كان كلامى فكاهة فضحك منه وأغرب فى ضحكه حتى ترنح كرسيه من تحته .

قال : حسنًا أخذت أنت بزمام المبادرة هذه المرة .

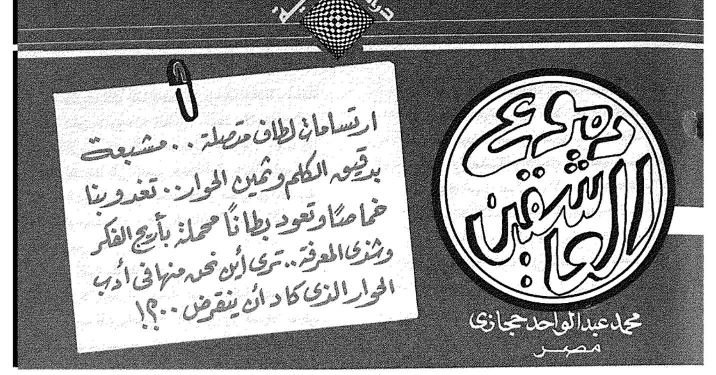
قلت : ليكن كما تقول فالذى أراه أن علاقتك بصديق أو زميل أو حتى عابر سبيل تحددها نظرتك إليه ونظرته إليك . . فأنت حين تنظر الى الغير فإن لديك الحرية فى أن تراه على الصورة التى تتلاءم وتكوينك النفسى والأخلاقى وغايتك التى تنشدها من وراء صلتك بالناس وتعاملك معهم . . لديك الحرية فى أن تراه على الصورة التى تستريح إليها . . ولعل النظرة الى الغير سر من أسرار شقاء الناس بالناس.

قال : فكأنه ليس هناك معيار عام أو قيمة أصلية أولية يمكن الرجوع إليها عند الاحتكام والتقييم؟

قلت : **هناك معيار عام وقاعدة أصلية هى قوله سبحانه : ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ فالايمان يقين بأن الله هو خالق كل شىء وأن الناس لديه سواء وأن شريعته إليهم سواء.**

فلا عنصرية ولا طبقية إنما يتفاضل الناس بالايمان بالله والعمل بشريعته.

والايمان بالانسان على هذه الشريعة هو إيمان بالذات الانسانية فى إيثار حيوى وتعاطف نبيل . .



ومن هنا فإن الاخاء الايماني - على شرعة القرآن الكريم - هو وحدة حياة ووحدة جهاد ووحدة مصير. فإذا نظر المؤمن للمؤمن على أنه أخوه فهو بذلك إنما ينظر إليه كذات لها كرامتها ومكانتها ولها حقوقها التي يجب أن ترعى وتصان.. وما كان أعظم رسول الله ﴿ﷺ﴾ حين قال: «إن أحدكم مرآة لأخيه فإذا وجد فيها شيئاً فليمطه».. إذن فعلى المؤمن ألا يضير أخاه ولو بنظرة فقال عليه السلام: «لا ينبغي لمسلم أن يشير الى أخيه ولو بنظرة تؤذيه».

ولعل الفيلسوف الألماني «كنت» كان على صواب كبير حين قرر في كتابه: «نقد العقل العملي» ألا يتخذ المرء من الآخر وسيلة بل يجب أن ينظر إليه على أنه غاية في ذاته.

قال : **الشُقَّة بعيدة بين «كنت» و«هيجل» بشأن النظرة الى الغير.**

قلت : أجل المقارنة تكاد تكون معدومة بين المفكرين الكبيرين ذلك لأن نظرة الذات الى الغير عند «كنت» هي نظرة إنسان إلى إنسان مثله يدرك آماله ويحس بآلامه ويقدر أعماله ويحترم أحلامه ويأسى على ما قد يصيبه.. أما عند «هيجل» فالنظرة الى الغير لا وجود لها لأنه لا يقر بما يمكن أن يسمى بالغير أو الذات كأشياء فردية لها مكانتها ودورها.. ولكن هناك المطلق الذي لا يعترف بالنظرات ولا يعبأ بالعبرات.

قال : **إنه جحود وجمود.. أنا لا أرى إنساناً إلا وأحسست كأن بيني وبينه صلة تعاطف عميق وكأنني أعرفه منذ ألف عام..**

قلت : لم تبالغ في قولك هذا فأنت فعلاً تعرفه منذ ألف عام فالإنسان قبل أن يعرف نفسه أو يدرك ذاته إنما يعرف الآخرين ويدرك وجودهم لأنه نشأ من الغير وبين الغير وتلقى من نظرات الغير تعاطفهم وحبهم واستنكارهم وغضبهمْ وإشفاقهم.

فكأن النظرة التي تقوم بين الذات وبين الغير هي أولا نظرة وجودية متعاطفة.

قال : **ترى هل معنى ذلك أن الاحساس الفطري بكيان الغير هو إحساس استسلام وتزلف وبناء على ذلك تكون النظرة نظرة انكسار وذلك..**

قلت : عند هذا وحسبك.. يا صديقي إن الاحساس الفطري بوجود الغير كذات هو كما

ذكرت لك آنفا إحساس بوحدة الحياة ووحدة الجهاد ووحدة المصير. . وهذا لا يؤدى الى الاستسلام ولكنه مسئولية والتزام. . فأنا إذا نظرت الى الغير فإنما أنظر إليه بدافع من الواجب على نحوه فهو ضرورى بالنسبة لوجودى أنا. . فأى إنسان لا يمكنه أن يعيش بغير الناس. .

قال : **نظرة منفعة؟.**

قلت : لا فنظرة المنفعة نظرة أنانية ونضوب فى العاطفة وتحجر فى الشعور ولا تعترف بوجود آصرة إنسانية ترتفع فوق المطالب والأوطار. . فإذا نظرت الى الغير على أنه وسيلة إلى غاية أو سلم ترقى عليه الى منفعه فأنت بذلك قد جردته من مقومات الانسانية فأصبح آلة من الآلات أو شيئا بين أشياء أو موضوعاً من الموضوعات. .

صحيح أن هناك مرحلة تنظر فيها الى من تريد أن تتخذه صديقاً أو صاحبا نظرتك الى شيء وعلى ذلك فأنت تنظر اليه كموضوع أو كيان مغلق له أبعاده وحدوده الخاصة أى أن له مقاماً أو منزلة.

وبتوالى التعرف تتطور النظرة الى نظرة استكشاف وتصور وهى فى ذاتها أشعة روحية مؤلفة من الحدس الفطرى والوعى القادر على التقييم والاستنباط.

قال : **وعلى هذا فقد ترتد النظرة فى سرعة توجساً أو بغضا فيحدث النفور. . وقد تأمن وتطمئن فتمعن فى التعرف والاستكشاف لأنها صادفت استجابة لا تصدها عن ارتياد أبعاد هذا الغير وأعماقه. . وعند ذلك ينشأ التآلف لا بين ذات وموضوع ولكن بين ذات وذات أو بين روح وروح.**

قلت : صحيح. . صحيح، ونفس هذه التجربة يقوم بها الغير نحوى فكأننى حين أراه وأتعرفه *فهو أيضا يرانى ويتعرف على فأنا «مرئى فى* عالم مرئى». . هو إذن نظرة وأنا كذلك وبالتقاء النظرتين ينشأ أولا تعارف يعجم كل منا فيه عود صاحبه. . ثم يصبح التعارف تآلفا بعد الاطمئنان والالتقاء وصدق رسول الله ﴿ﷺ﴾ حيث يقول: «الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف».

فالذرات أرواح والأرواح إرادة وإمكانية هى إمكانية الحياة التى تنشد الحق وتصر على تحقيقه.

إذن فالغير بتآلف روحه مع روحى يهيىء لحريتى حرية العمل، كما أننى أيضا أتيح لحريته حرية العمل معى. . وبذلك تنتفى الأبعاد والمسافات وتتبدد حجب الموضوعية أو الشيئية التى تستره عن عينى. . ويصبح لا معنى للزمان بصروفه وتقلباته ولا معنى للزمان بأحقابه وآنائه. . فالانسان مع صفيه وخليله وصديقه فى حضور دائم وهذا هو التآلف فى أسمى درجاته وأعمقها وأجملها. .

قال : **فذلك إذن هو الحب الذى يخشى عليه من كل ما فى الوجود لأن ما فى الوجود يصبح فى تصور الحبيبين عيونا ترمقه. . وتلك الخشية هى ما يمكن أن تسمى بنظرة القلق وهو ما عبرت عنه حفصة الركونية الشاعرة الأندلسية حين قالت لحبيبها:**

أخاف عليك من عينى رقيبى
ومنك ومن زمانك والمكان
ولو أنى خبأتك فى عيونى
إلى يوم القيامة ما كفانى

قلت : ـ ضاحكا ـ لها الحق يا سيدى إنها تخشى عيون الرقباء والمتلصصين وتخشى الزمان والمكان وكأن قد ركبت لهاعيون تنظر وتتجسس نفاسة وحسدا. . *لذلك لم تجد* شاعرتك آمن من عيونها ولا أصون من عيونها ولا *أغلى من عيونها مكانا تصون فيه حبيبها*

وتحميه. . وكذلك شأن الحب العظيم فى نظرته إنه يكون عينا تحمى وتعطف فى حدب وحنان. . ويكون عينا يجد فيها المحبوب الأمن والسلامة والرخاء فلا ترويع ولا تهديد ولا خيبة رجاء.

وبعين العناية رعى الله عباده وحمى رسله وأولياءه. . فقال سبحانه يخاطب موسى عليه السلام: **﴿وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى﴾** (سورة طه٣٩). . وقال سبحانه يخاطب رسوله ﴿ﷺ﴾: **﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا﴾** (سورة الطور٤٨).

قال : **ولكن نظرة الغير وإن منحتنى الحرية وائتلفت مع ذاتى إلا أنها تخلع على وجودى تصوراً خاصا من لدنها يسلبنى وجودى الذاتى أو بعضا منه. . فهو من ثم لا يفهمنى إلا من خلال تصوره. . فأنا إذن مسئول أمام ذاتى وأمام عين صديقى أن أكون كما تعود أن يرانى أى عند: «حسن ظنه» كما يقال عادة. . وفى نفس الوقت فأنا مسئول أمام ذاتى بأن احتفظ بحريتى فلا خنوع ولا استسلام. . إنها معادلة صعبة. . أليس كذلك؟.**



قلت : أفهم أنه إذا تعارفت الأرواح وتآلفت أصبحت الذاتان ذاتاً واحدة وهذا يجعل النظرة إلى الوجود واحدة. . فأنا أنظر إلى الشىء بعينك وأنت تنظر إليه بعينى وتلك هى نظرة الحب التى تعتقد وهى فى قمة فرحها ونعيمها أن الزمان قد أغمض عينه عنها. . وذلك ما يحسه كل من حقق نجاحاً فى عمل من أعماله وكل ما صادف صديقاً صدوقا. . إن نظراته وحدها تقول مع شاعرنا التنوخى (من فضلاء البصرة فى القرن الرابع الهجرى):

وارتد طرف الدهر عـ
ـنى وهو مطروق حسير
ورأيت أفلاك السرو
ر بكل ما أهوى تدور

قال : **ما أجمل الحب وما أشقى المحبين.**

قلت : ما أشقاهم حين يعانون محنة الهجران والصدود. . إن نظراتهم تكون خير معبر عن أحوالهم التى يعانون فيها من صراعات الأشجان والأحزان والقلق اللهيف.

قال : **أنت قريب مما ذهب إليه العالم النفسانى: «هيكتور تشيفنى» الذى يرى أن العين تستطيع أن تعطى الحركة التى تعبر عما قد يعانيه الشخص من صراعات نفسية. .**

قلت : أما أن العين تدل على ما قد يعانيه الشخص من صراع نفسى فذلك صحيح نتبينه بقليل من الملاحظة. .

ولكن ما يهمنى أنا هو الكيفية التى تظهر بها العين ذلك الصراع لا سيما إذا كان ناشئا عن صدع فى قلب كل من الحبيبين صبرهما على طرفى الهجران. . أريد أن أدرك الأسى من نظرة العين. . أن أشعر بشعور المعذب فى حبه من لمحات العين.

قال: طلبك عند الشاعر الحسين بن مطير، فلقد قال:

ولى نظرة بعد الصدود من الجوى
كنظرة ثكلى قد أصيب وليدها

فالتعبير هنا حى بالانفعالات المؤثرة.. فليس هناك من هو أكثر التياعا وأمض حزنا من الأم التى فقدت وليدها.. ففقدان الوليد بالنسبة لها هو فقدان الرجاء فى البقاء.. هو كارثة تشتت العقل وتزلزل الوجدان تبدو آثارها فى نظرات العين أسى وانكسارا..

قلت : ولا تنسى العذاب الذى يعانيه المحب حين يجد الصدود واضحاً فى عينى حسنائه المليحة إن عذابه ليتعدى عينه وقلبه ليشمل جسمه كله.. وصدق الشاعر أبو نواس حين قال:

إن العيون على القلوب إذا جنت
كانت بليتها على الأجساد

قال : **ولم تريد ألا يكون للعين تعبير سوى التعبير النفسى عما يعتمل فى الصدور؟.. لماذا لا يكون تعبير العين من واقع طبيعتها؟**

قلت : وماذا تقصد بواقع طبيعتها؟

قال : **الدموع.. ألا تعلم أن الدموع هى أصدق تعبير؟**

قلت : وقد تكون أكذب تعبير فكم من «النصابين» والمزيفين من يصطنعون الدموع تحقيقاً لمآربهم.. وما أغزر دموع المرأة ومع ذلك فكم دمعة هى صادقة فيها؟.. أى إنسان يستطيع أن يحصى عدد دموعها الصادقة؟.

قال : **لم هذا التجنى؟.. التجنى إساءة ظن وإساءة الظن تخفى عن البصر الحقيقة التى ينبغى إدراكها.. ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿إن بعض الظن إثم﴾؟..**

قلت : بعض الظن وليس كل الظن.. وما يجعلنى أو يحملنى على الارتياب هو أن هناك ألف صنف وصنف من الدموع..

قال : **وهذا يجعلها جديرة باحترامك لا أن ترميها بالزيف والبهتان.. فاختلاف الأصناف راجع الى اختلاف الطبيعة النفسية فالنفس الحية الغنية بالشعور الخصيبة الريانة بالعواطف تتنوع استجاباتها لدواعى الحياة وتتمايز ردود أفعالها وفاقاً لطبيعتها الحية.**

أما إذا واجه المرء ظروف الحياة بمسلك واحد معين ووجه واحد ذى قسمات جامدة لا تخطئها عينك فى الحالات المتشابهة فذلك هو الجمود الذى يثير الشك حقيقة إن لم يثر الغيظ والضيق و«القرف».. والمشاعر الجياشة والوجدان الحى الرقيق الذى يخفق لكل نسمة من نسمات الحياة ويستجيب لكل نبرة من نبرات الايقاع الوجودى العميق..

أفلا تختلف الدموع إذن؟.. ومع ذلك فكم من الناس عندهم القدرة على البكاء؟ وكم من الناس من تشرق أعينهم بالدموع عند الدعاء والنداء؟.. الدموع إذن كما قلت هى نبضات الوجدان الحى الخفيق.. ثم هى دلالة الايمان العميق والثقة الجليلة.. ومن هنا اختلفت أنواعها باختلاف الاستعداد النفسى أو الطبيعة الوجودية للانسان. فإذا سألتنى عن أكثر أنواع الدموع شيوعاً وأكثر العيون بها فيضا لقلت إنها عيون العاشقين..

ومع ذلك فدموع العاشقين نفسها أصناف تتفاوت تبعاً لطبقة الحب فمن العشاق من هو دجال محتال يدجل على المحبوب ويتحايل على الدموع بحيث اننا لو جمعنا دموعه لأربت على مياه البحر المتوسط.

ومن هؤلاء العشاق الدجالين ذلك الذى يقول:

وما فى الأرض أشقى من محب
وإن وجد الهوى حلو المذاق
تراه باكياً فى كل حين
مخافة فرقة أو لاشتياق
فيبكى إن نأوا شوقاً إليهم
ويبكى إن دنوا خوف الفراق

فتسخن عينه عند التداني
وتسخن عينه عند التلاقي

قلت : ما لنا وللدجالين والمخادعين؟ . . ما ينبغي أن نصرف الكلام إلى هؤلاء . .

قال : **بل ينبغي حتى نعرف الصادق من الكاذب والمخلص من المنافق . . فبغير نقد الكلام يصعب تقدير أصحابه . .**

قلت : **كلام جميل . . أفادك الله .**

قال : **وما هو أجمل من ذلك أن نعرف التعبير الذي نستشف منه نفسية صاحبه وحياته وما عاناه حين التقت العيون وتعانقت النظرات .**

قلت : نحن إذن بحاجة الى موقف حب متكامل أو نظرة حب متكاملة .

قال : **أجل وإن بغيتنا لعند مسلم بن الوليد الذي كان يلقب بصريع الغواني فهو يقول في موقف حب :**

سقتني بعينيها الهوى وسقيتها
فدب دبيب الراح في كل مفصل
فلما استمرت من دجى الليل دولة
وكاد عماد الصبح بالصبح ينجلي
تراءى الهوى بالشوق فاستحدث البكا
وقال للذات اللقاء ترحلي

أنظر أي حب تكنه له وأي حب يكنه لها؟ . . ثم انظر الى هاتين الكلمتين : «سقتني وسقيتها» . . إنهما تحملان خير تعبير عن تبادل الحنان الحلو والتعاطف الرقيق الوديع بينهما . . ثم انظر حين بلغ موقف الحب ذروته وعاطفة الشوق غايتها ـ كما في كل موقف عاطفي محتدم الانفعالات ـ قد فاضت العيون بالدموع لأن لحظة الوداع قد أزفت . . إنها لحظة العبرة الحائرة والنظرة المتأملة في أسى وجزع . .

أما الكلام . . أما اللغة فقد أخلت مكانها للنظرات والعبرات والهمس الحزين . . يقول الشاعر ذو القرنين التغلبي :

لو كنت ساعة بيننا
وشهدت حين نكرر التوديعا
أيقنت أن من الدموع محدثا
وعلمت أن من الحديث دموعا

تتنوع إذن دواعي البكاء كما يتنوع الاحساس بصورة الدموع فالإحساس بدموع المحرومين غير الاحساس بدموع المنكوبين غير الاحساس بدموع العاشقين وإحساس الأب بدموع ابنه غير إحساسه بدموع ابنته . .

قلت : هذا شيء طبيعي

قال : **وأكثر من طبيعي . . إن لدموع البنات معنى خاصا قد لا يدركه غير الآباء لا سيما إذا كن يشكين خصاصة أو خوفاً من الأيام . . وها هو ذا الشاعر كعب المخبل وقد أحزنه منظر بكاء ابنته فقال :**

ولقد قلت لابنتي وهي تلوى
بدخيل الهموم قلباً كئيبا
وهي تذرى من الدموع على الخد
ين من لوعة الفراق غدوبا
عبرات يكدن يجرحن ما جُزْ
ن به أو يدعن فيه ندوبا
اسكني قد حززت بالدمع قلبي
طال ما حز دمعكن القلوبا

قلت : آه لو تعلم مبلغ ما تحدثه الدموع في قلبي ونفسي وخيالي . . أشهدها فيشملني الأسى وتذهب نفسي حسرات . . لا يشجيني ويعذبني قدر الدموع . . هل تدرى لماذا؟ . . لأنني بكيت كثيراً . . كثيرا . . منذ خروجي

الى الدنيا الى هذا الوجود: بكيت وأنا طفل وبكيت وأنا صبى يختلف إلى كُتّاب القرية وبكيت وأنا شاب يطلب العلم فى مراحله.. وبكيت وأنا أخرج الى العيش مع الناس.. أجل بكيت للناس ومن الناس وعلى الناس. ولذا فإنه يخيل الى أن الانسان دمعة على خد الزمان. هل تدرى لماذا؟

لما تؤذن الدنيا به من صروفها
يكون بكاء الطفل ساعة يولد
وإلا فما يبكيه منها وإنها
لأفسح مما كان فيه وأرغد

قال : أنا معك ومع شاعرنا ابن الرومى فى أن صروف الزمان هى علة البكاء..

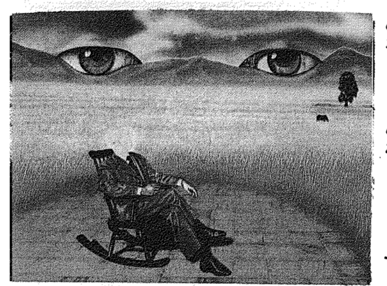
قلت : الحقيقة أن الوجود أمانة كلفنا بحملها الخالق الرحيم لننهض بتبعاتها ونحقق فرائضها.. وأمانتنا فصول ومشاهد متتابعة لا تتوانى ولا تتوقف وخلالها نستريح لحظات بالبكاء فنخفف عن القلوب وما أثقلها من هموم وأسى.. يقول أبو نواس:

لعل انسكاب الدمع يعقب راحة
من الوجد أو يشفى نجىّ البلابل

إن أبا نواس يود أن يقول لك إن الدموع تشيع فى النفس سكينة وتفرغ عليها صبرا.. حقاً ما أثمن الدموع.. إنها أغلى من الأحجار الكريمة..

قال : وماذا تقصد بالأحجار الكريمة؟ الدموع أثمن منها بغير شك..

قلت : من الناس من يقول فى الدموع مثل ما قال أبو نواس:



يبكى فيذرى الدر من عينيه
ويلطم الورد بعناب

قال : ألا ما أسمج أبو نواس.. لا يصف الدموع بأنها در يتناثر من العينين على خدين هما الورد الجنى الزاهر إلا عابث صرف قلبه وحياته إلى العبث والمجون.. فعاطفته سخيفة خبيثة ولو لم يكن ذلك شأنه فهل كان يرى فى الدموع دراً والدر تزدان به الحسان فى محافل السرور والبهجة؟.

قلت : لعلك فى رأيك هذا متأثر بمعرفتك بطبيعة أبى نواس وأخلاقه.

قال : الدموع كما قلنا دلالة على وجدان عامر بالحب والحياة.. ولا تجد وجداناً عامراً مؤمنا بالحب والحياة إلا كان قريبا من الله فهو يهتدى بحبه وايمانه إلى الحق وبنور الحب والايمان يرى فى كل ما يرى آثار رحمة الله بعباده.. فما من إنسان عرف الحق وأدركه وتذوقه إلا كان قريب دمع العين حين يشاهد نعم الله البادية فى الكون.. وإلا كان قريب دمع العين حين يتوصل بعلمه وفكره إلى ظاهرة كانت خافية على الأبصار تدل على قدرة الله وحكمته وبديع صنعه.. وإلا كان قريب دمع العين

حين يسمع آيات الله تذكر وتهدى إلى الحق. . يقول سبحانه: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق﴾ (٨٣ سورة المائدة). . أفلا يبكى الانسان إذن حباً لله؟. . أفلا يبكى شكراً لله؟. . أفلا يبكى تقرباً إليه سبحانه القريب المجيب؟. . أجل؛ قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: «اللهم ارزقنى عينين هطالتين تشفيان بذروف الدمع قبل أن تصير الدموع دماً والأضراس جمرا».

قلت : أنت تعشق الدموع فلا حرج عليك ولا ملام.

قال : أشكرك على هذه المجاملة الرقيقة وإن كنت لا أفهم ما ترمى إليه لأنك أحيانا تميل الى الاغراب فى التفكير. .

قلت: لا عليك إن اتهمتنى بها تشاء. . لكن تصور. . تصور أنت مخلوق من. . .

قال : أعتقد ـ إن لم تكن قد نسيت ـ أننا قد أشرنا إلى ذلك من قبل فهل نعيد ونزيد؟

قلت : نعم كانت مجرد إشارة تحتاج الى تفصيل وتأكيد وتحديد. . ولكنه لا يتيسر لنا ولا يكون أوقع فى النفس وألصق بالقلب وأوضح فى الفكر والتصور مالم نستخرج الدموع من حياةالناس. . ما لم نعان الحياة معاناة حية صادقة قادرة على المشاركة من ناحية ومن ناحية أخرى تكون على علم باتجاهات الحياة وكيف تسير خطاها. .

قال : هذا يحتاج إلى جهد كبير.

قلت ونحن لها. . إجازة صيف يا صديقى. . استفد منها بالطول والعرض. . خذ «بحقك حلفاء» كما يقول العامة. . هذه الاجازة جعلت للراحة فلماذا لا نستريح؟. . وجعلت للمتعة فلماذا لا نمتع أنفسنا؟. . وجعلت للبهجة فلماذا لا تبتهج قلوبنا وعيوننا بكل جميل رائق فتان؟. .

قال : ولكن حديثنا قد لا يبهج النفوس ولا يشرح الصدور.

قلت : ماذا تقول؟. . العيون الحلوة لا تشرح الصدور؟

قال : العيون شىء جميل ولكن الحديث عنها فى الأمسية القادمة قد لا يسر القلوب. .

قلت : ولماذا لا يسر ولا يطمئن؟. . هل هناك ما يجب إخفاؤه أو يحمد ستره؟. . لا عليك يا صاحبى الناس متسامحون جدا طالما أنك لا تعتدى على كسرة خبز لأحدهم. . فهم يسيرون على المنهاج القائل: عض قلبى ولا تعض رغيفى. .

قال : لو لم يكن لصاحب الرغيف هذا قلب لما استطاع الحصول عليه، ولو لم يكن له قلب لما حرص على الرغيف بمثل ذلك الحرص. . فهو بغير شك له قلب ولكنه قلب مجروح أو مقروح. .

قلت : ولماذا لا تكون قد أصابته طعنة من جحود أو كنود جعلته ينظر إلى الناس على أنهم أعداء يطمعون فى رغيفه أو رزقه؟.

قال : الرأى عندى أن ننصرف الآن. .

ثم نهضنا وغادرنا المنتزه وسرنا فى الطريق الزراعى لحظات صامتين. . ومرت بنا بعض السيارات الأنيقة تقودها حسناوات فوقف صديقى فى دهشة وقال: «شف» شىء يجنن، أنا لا أصدق عينى حسناوات يقدن سيارات؟. وبمثل هذه السرعة؟.

قلت : افتح عينيك جيداً فنحن الآن فى طريق زراعى والسيارات كما ترى فى سرعة الاعصار. . وإلا ذهبت شهيد الحور العين. .

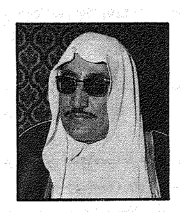
قال : أى والله فما أجمل دموعهن ساعتها. .

قلت : بل ما أحرها وأعزها. .

تم صرنا نضحك وودع كل منا صاحبه بعد أن تواعدنا على اللقاء الجديد.

وفيات الأعيان

في ذمة الله



الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ

العطاء المتميز والأداء الثر والإخلاص الجاد والعلم الغزير كان طابع حياته ومصاحب أيامه ولياليه . . عمل في ميادين القضاء والمعارف والتعليم فأعطاها كل جهده وفكره وعلمه وخبرته . . تفانى في أداء واجب الرسالة نحو وطنه وأبناء وطنه وحمل المسؤولية في أعماقه واجب دين وضريبة وطن .

اللهم تقبله قبولا حسناً واكرم وفادته مع الصديقين والأبرار فقد كان طيب النفس . . وفياً مخلصاً .



الاستاذ عبد الرحمن التونسي

فقدت التربية والتعليم واحداً من رجالاتها الذين تخرج على أيديهم المئات من الكفاءات العلمية في بلادنا . . وهو الاستاذ/ عبد الرحمن التونسي - المدير العام لمدارس الثغر النموذجية بجدة . .

وكان من المناصب التي شغلها منصب المدير العام لادارة رعاية الشباب بوزارة المعارف . .

والمنهل إذ تنعى بمزيد الأسى رائداً من رواد الحركة التعليمية نسأل الله له الرحمة وحسن المآب .



- يطير الحمام — محمود درويش
- الاطماع الصهيونية فى فلسطين فى العهد العثمانى — د. عبد العزيز محمد عوض
- العرق والاندماج فى الكيان الاسرائيلى — غازى ابو العينين
- اعلام من فلسطين (محمود عبد الرحيم) — زياد عودة

وقفة وموقف

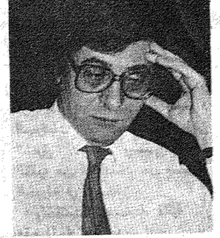
ان القضيـة الفلسطينية كانت وما تزال القضية المحورية فى سياسة المملكة العربية السعودية عربيا واسلاميا ودوليا وانـه ليس ثمة قضية استأثرت باهتمام الملك الراحل عبد العزيز طيب الله ثراه وابنائه من بعده استئثار القضية الفلسطينية.

فهد بن عبد العزيز



يطير

يطيرُ الحمام
يحطُّ الحمام
ـ أعدِّى لىَ الأرض كى أستريح
فإنى احبّك حتى التعب
صباحُك فاكهة للأغانى
وهذا المساء ذهب
ونحن لنا حين يدخل ظل الى ظله فى الرخام
واشبه نفسى حين اعلق نفسى
على عنق لا يعانق غير الغمام
وانت الهواء الذى يتعرى امامى كدمع العنب
وانت بداية عائلة الموج حين تشبث بالبر
حين اغترب
وانى احبك.. انت بداية روحى.. وانت الختام
يطير الحمام
يحط الحمام
■ انا وحبيبى صوتان فى شفة واحدة
انا لحبيبى أنا.. وحبيبى لنجمته الشاردة
وندخل فى الحلم. لكنه يتباطأ كى لا نراه
وحين ينام حبيبى اصحو لكى احرس الحلم مما يراه
واطرد عنه الليالى التى عبرت قبل ان نلتقى
واختار ايامنا بيدى
كما اختار لى وردة المائدة
فنم يا حبيبى
ليصعد صوت البحار الى ركبتى
ونم يا حبيبى
لاخبط فيك وانقذ حلمك من شوكة حاسدة
ونم يا حبيبى
عليك ضفائر شعرى.. عليك السلام
يطير الحمام



الحمام

شعر محمود درويش

يحط الحمام
ـ رأيت على البحر ابريل
قلت: نسيت انتباه يديك
نسيت التراتيل فوق جروحى
فكم مرة تستطيعين ان تولدى فى منامى
وكم مرة تستطيعين ان تقتلينى لأصرخ: إنى احبك كى تستريحى. ؟
اناديك قبل الكلام اطير بخصرك قبل الوصول اليك
فكم مرة تستطيعين ان تضعى فى مناقير هذا الحمام
عناوين روحى
وان تختفى كالمدى فى السفوح
لأدرك انك بابل. مصر . . وشام
يطير الحمام
يحط الحمام
الى اين تأخذنى يا حبيبى من والدى
ومن شجرى. . من سريرى الصغير ومن ضجرى.
من مراياى من قمرى. . من خزانة عمرى ومن
سهرى
من ثيابى ومن خفرى. .
الى اين تأخذنى يا حبيبى الى أين
تشعل فى أذنىّ البرارى. تحملنى موجتين
وتكسر ضلعين. . تشربنى ثم توقدنى. . ثم تتركنى
فى طريق الهواء اليك

حرام . . حرام. .
يطير الحمام
يحط الحمام
ـ لانى احبك . . خاصرتى نازفة
واركض من وجعى فى ليال يوسعها الخوف مما اخاف
تعالى كثيرا . . وغيبى قليلا
تعالى قليلا . . وغيبى كثيرا
تعالى تعالى. . ولا تقفى . . آه من خطوة واقفة
إحبك اذا أشتهيك . . أحبك اذ أشتهيك
وأحقن هذا الشعاع المطوق بالنحل والوردة الخاطفة
احبك يا لعنة العاطفة
اخاف على القلب منك. . اخاف على شهوتى ان تصل
احبك ان اشتهيك. .
احبك يا جسدا يخلد الذكريات ويقتلها قبل ان تكتمل
احبك اذ اشتهيك
اطوع روحى على هيئة القدمين. . على هيئة الجنتين
احك جروحى باطراف صمتك. . والعاصفة
اموت. . ليجلس فوق يديك الكلام
يطير الحمام
يحط الحمام.

■ لأنى احبك يجرحنى الماء
والطرقات الى البحر تجرحنى
والفراشة تجرحنى
وآذان النهار على ضوء زنديك يجرحنى
يا حبيبتى اناديك طيلة نومى . . اخاف انتباه الكلام

اخاف انتباه الكلام الى نحلة بين فخذى تبكى
لانى احبك يجرحنى الظل تحت المصابيح .
يجرحنى طائر فى السماء البعيدة . . عطر البنفسج
يجرحنى
اول البحر يجرحنى
اخر البحر يجرحنى
ليتنى لا احبك
ياليتنى لا احب
ليشفى الرخام
يطير الحمام
يحط الحمام
ـ أراك . . فانجو من الموت . . جسمك مرفأ
بعشر زنابق بيضاء . . عشر انامل تمضى المساء
الى ازرق ضاع منها
وامسك هذا البهاء الرخامى . . امسك رائحة
للحليب المخبأ
فى خوختين على مرمر . . ثم أعبد من يمنح البر
والبحر ملجأ
على ضفة الملح والعسل الاولين سأشرب خروب
ليلك
ثم انام
على حنطة تكسر الحقل . . تكسر حتى الشهيق
فيصدأ
اراك . . فانجو من الموت جسمك مرفأ
فكيف تشردنى الارض فى الارض
كيف ينام المنام
يطيرالحمام
يحط الحمام
حبيبى . . اخاف سكوت يديك
فحك دمى كى تنام الفرس
حبيبى . . تطير اناث الطيور اليك
فخذنى انا زوجة او نفس

حبيبى . . سأبقى ليكبر فستق صدرى لديك
ويجتثنى من خطاك الحرس
حبيبى . . سأبكى عليك عليك عليك
لأنك سطح سمائى
وجسمى أرضك فى الارض
جسمى مقام
يطير الحمام
يحط الحمام
رأيت على جسر اندلس الحب والحاسة السادسة
على وردة يابسة
اعاد لها قلبها
وقال : يكلفنى الحب مالا احب
يكلفنى حبها
ونام القمر
على خاتم ينكسر
وطار الحمام
رأيت على الجسر اندلس الحب والحاسة السادسة
على دمعة يائسة
اعادت له قلبه
وقالت : يكلفنى الحب ما لا احب
يكلفنى حبه
ونام القمر
على خاتم ينكسر
وطار الحمام
وحط على الجسر والعاشقين الظلام
يطير الحمام
يطير الحمام



الاطماع الصهيونية

فى فلسطين فى العهد العثمانى

د. عبد العزيز محمد عوض

اصبحت فلسطين وغيرها من الولايات العثمانية ملجأ لليهود المطرودين من الاندلس خلال القرن السادس عشر وقدر عددهم فى ذلك القرن بعشرة الاف نسمة وضمت مدينة صفد فى الجليل اكبر عدد منهم. وفى اواخر القرن الثامن عشر وجه نابليون بونابرت الى اليهود فى الدولة العثمانية نداءه المشهور لمساعدته فى حملته على مصر فى عام ١٧٩٨ فى مقابل وعده لهم باعادتهم الى القدس واعادة بناء هيكلهم فيها.

ولكن يهود الدولة العثمانية لم يهتموا بنداء نابليون.. وعلى الرغم من فشل نداء نابليون فى تحقيق اهدافه.. فان المؤرخين اليهود متفقون على انه قد حفزهم للتفكير بمشروع تأسيس دولة يهودية فى فلسطين.

وفى عهد الادارة المصرية لبلاد الشام (١٨٣١-١٨٤٠) اجتمع اليهودى البريطانى موسى مونتفيورى مع محمد على باشا فى عام ١٧٣٧ وقدم اليه مشروعه الذى يتضمن الحصول على اراضى مائة او مائتى قرية فى فلسطين لمدة خمسين عاما فى مقابل نسبة ١٠٪ - ٢٠٪ من الانتاج تدفع للباشا فى كل عام فى الاسكندرية فى مقابل اعفاء اراضى تلك القرى من الضرائب ولكن محمد على باشا رفض المشروع وعندما اشتد النزاع فى عام ١٨٣٩ بين السلطان عبد المجيد (١٨٣٩-١٨٦١) وتابعه القوى محمد على باشا اقترح رئيس الحكومة البريطانية وزعيم حزب الاحرار «بالمرستون» (١٨٣٧-١٨٥٢) على السلطان عبد المجيد اقامة دولة يهودية حاجزة فى فلسطين للفصل بين مصر وبلاد الشام.

ولكن السلطان عبد المجيد رفض الاقتراح البريطانى الذى يمكن اعتباره بداية الاهتمام البريطانى الرسمى باسكان اليهود فى فلسطين. . وكانت بريطانيا قد اقامت اول قنصلية لها فى القدس فى عام ١٨٣٨ لتقديم الحماية لليهود فى فلسطين. . ثم زاد بالمرستون من ضغطه على السلطان عبد المجيد فى عام ١٨٤٠ بواسطة سفيره فى استانبول الذى طلب من السلطات العثمانية تشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين والقبول باستيطانهم فيها زاعما انه اذا عاد اليهود الى فلسطين بموافقة السلطان العثمانى وتحت حمايته فسيشكلون سدا فى وجه اى رغبات قد يفكر فيها محمد على أو خلفاؤه من بعده وسيستفيد السلطان ايضا من الثروات التى سيحضرها اليهود معهم.

وكان «بالمرستون» يهدف من ذلك المشروع حماية خطوط المواصلات البريطانية مع الهند فاصدر تعليماته للقناصل الانجليز فى بلاد الشام باضفاء الحماية البريطانية على اليهود ومنع الاعتداء عليهم او الاساءة اليهم كما طلب من سفيره فى الاستانة الاحتجاج لدى الباب العالى ضد اى عمل عدائى قد يتعرض له اليهود فى الاراضى العثمانية.

وهكذا اخذ اهتمام بريطانيا باليهود يزداد بازدياد اطماعها فى الولايات العربية ولا سيما فلسطين. . وشرعت بريطانيا بمنح حمايتها لكل اليهود الاجانب الذين يرفض قناصل دولهم الاعتراف بهم واظهر القنصل البريطانى فى القدس «جيمس فين» (١٨٤٥-١٨٦٢) عطفا خاصا على اليهود كما اختارت بريطانيا لأستقفيتها فى القدس اسقفا انجليكانيا من أصل يهودى «ميخائيل الكسندر».

وانتهزت كل مناسبة لاظهار عطفها وبخاصة على اليهود الروس حيث سارعت الى منح حمايتها لكل يهودى نزعت منه الجنسية الروسية.

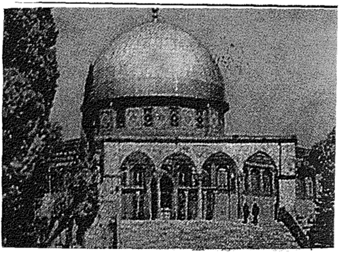
وكانت حكومة روسية القيصرية تمنح رعاياها من اليهود جوازات سفر مؤقته لمدة عام وترفض تجديدها لهم بعد انتهاء صلاحيتها لارغامهم على العودة خوفا من ان يصبح اليهود اكثرية فى فلسطين بعامة والقدس بخاصة مما يعرض الاماكن الدينية ولا سيما الارثوذكسية منها للخطر ويخل بالتوازن الطائفى القائم فيها آنذاك.

وبذلك تركت روسيا اليهود الذين لا يعودون اليها دون حماية قنصلية فسارعت بريطانيا لاضفاء حمايتها عليهم فى محاولة منها لإيجاد ركائز لها فى الدولة العثمانية تستطيع من خلالها التأثير فى شؤونها الداخلية. . مما شجع بالتالى على جذب اعداد كبيرة من اليهود الاوروبيين للاستقرار فى القدس حيث قدر عدد السكان فيها فى عام ١٨٦٥ بثمانية عشر الف نسمة نصفهم من اليهود الذين حفظوا لبريطانيا الود والعرفان.

وبعد عودة الحكم العثمانى لبلاد الشام فى عام ١٨٤٠ جدد موسى مونتفيورى محاولات الاستيطان فى فلسطين مرة اخرى فزار الاستانة عدة مرات وتمكن فى عام ١٨٥٦ من الحصول على فرمان من السلطان عبد المجيد يسمح له شراء عدة قطع من الاراضى بالقرب من القدس ويافا. . ولكن مشروع مونتفيورى فشل مرة اخرى لان الدولة العثمانية تراجعت عن موافقتها وجمدت المشروع وفى منتصف القرن التاسع عشر وصل الى قرية شفا عمرو قرب الناصرة ثلاثون عائلة من اليهود المغاربة للاستقرار فيها وعلى الرغم من المساعدات التى حصلت عليها تلك العائلات من الاغنياء والانجليز فقد اضطرت الى الانتقال الى حيفا والاشتغال فى التجارة بعد فشلها فى ممارسة الزراعة.

وهكذا استمر تدفق الهجرة اليهودية على فلسطين فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، على الرغم من تحرير دول اوروبا الغربية لرعاياها اليهود من القيود التى كانت مفروضة عليهم من قبل ولكن حركة اندماج اليهود فى المجتمعات الاوروبية فشلت لان الاندماج من وجهة النظر اليهودية يقضى على المميزات التى يزعم اليهود انفرادهم بها من ناحية ولان المجتمعات الاوروبية تحولت عن التعصب الدينى فى اوائل القرن التاسع عشر الى التعصب القومى فى اواخره من ناحية اخرى، . مما حفز المفكرين اليهود الى التنادى لايجاد حل للمسألة اليهودية واستقر رأيهم على ايجاد قومية يهودية لشعب يهودى يعيش فى وطن خاص به.

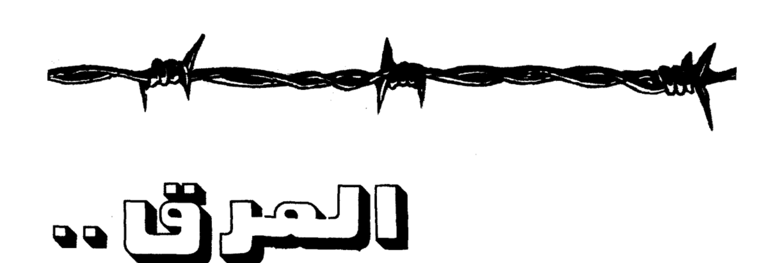
ومما ساعد على انتشار هذه الفكرة فى الاوساط اليهودية الاضطهاد الذى لحق باليهود فى اوروبا



الشرقية فى اعقاب اشتراك عناصر يهودية فى اغتيال قيصر روسيا الكسندر الثانى فى عام ١٨٨١ مما ادى الى هجرة يهودية جماعية وعلى نطاق واسع من روسيا بخاصة ودول اوروبا الشرقية بعامة ووصل الى فلسطين حوالى ثلاثة الاف يهودى من بينهم عدد من الشباب الصهيونى من طلاب الجامعات الذين انتظموا فى حركة «بيلو» الصهيونية وهى الاحرف الاولى لجملة فى التوراة تقول «يابيت يعقوب تعال ودعنا نسير» وبذلك شهد الربع الاخير من القرن التاسع عشر تحولا خطيرا فى عدد ونوعية المهاجرين اليهود الى فلسطين. . فقد كانت نسبة كبيرة من المهاجرين من الشباب الصهيونى من خريجى الجامعات وطلابها الذين يعتبرون انفسهم بناة الوطن القومى اليهودى ومن ثم بدأ الاستيطان الصهيونى على اسس استهدفت تحويل فلسطين إلى وطن قومى لليهود بامتلاك الاراضى وانشاء المستوطنات عليها واحياء اللغة والثقافة العبرية فيها.

ونجح اليهود فى انشاء مستوطناتهم الاولى فى فلسطين وهى: مكفا اسرائيل وتعنى بالعبرية «امل اسرائيل» فى عام ١٨٧٠ وبتاح تكفا وتعنى بالعبرية «باب الامل» فى عام ١٨٧٨ ثم شهد عام ١٨٨٢ انشاء ثلاث مستوطنات اخرى اصبحت فيما بعد من اهم المستوطنات الصهيونية وهى ريشون لزيون وتعنى فى العبرية «الاولى فى صهيونى وزكرون يعقوب وتعنى فى العبرية «ذكرى يعقوب» وروشبينا وتعنى فى العبرية «رأس الزاوية».

هذا وقدر عدد المهاجرين اليهود الى فلسطين خلال السنوات الثلاثين التى سبقت الحرب العالمية الاولى (١٨٨٢-١٩١٣) باكثر من مائة الف يهودى غادر حوالى نصفهم بعد اقامة قصيرة بسبب الظروف المناخية والصحية ونمط المعيشة فى فلسطين وبسبب الاجراءات التى اتخذتها السلطات العثمانية لمنع الهجرة اليهودية كما قدر عدد اليهود فى فلسطين فى عام ١٩١٣ بخمسة وثمانين الفا يمثلون حوالى ١٢٪ من السكان الذين قدر عددهم انذاك بسبعمائة الف نسمة واقام حوالى ٦٠٪ من اليهود فى القدس و٢٥٪ من يافا وصفد وطبرية وحيفا والخليل و١٥٪ فى اكثر من ٤٠ مستوطنة.



العرق..
في الكيان

إنَّ السمة الأساسية التي يمتاز بها الكيان الاسرائيلى تبرز فى كينونته الاستيطانية فهو مجتمع استيطانى تمت إقامته عن طريق هجرة مجموعات بشرية من مناطق جغرافية مختلفة قدمت الى فلسطين واقامت فيها وذلك على خلاف المجتمعات المعاصرة التى تمتاز بتطور نشأتها التاريخية ونموها الديمقراطى الطبيعى المرتبط اساساً بالارض التى تقيم عليها بصفة دائمة. . ولقد حاولت الحركة الصهيونية منذ البداية أن تتلافى مخاطر ذلك من خلال طرح شعارات متعددة (كوحدانية وتفرد الواقع الاجتماعى لليهودية) و(اقامة الوطن القومى لليهود) و(استعادة الشخصية الحقيقية للمواطن اليهودى) ولكن الواقع اليومى الذى يعيشه افراد هذا الكيان يثبت فشل وعجز هذه الشعارات على التطبيق مما دفع الحركة الصهيونية واداتها الرئيسية اسرائيل الى التركيز على شعارات جديدة كشعار (توحيد اليهود فى جميع البلدان التى يعيشون بها) وهذا الشعار طرح فى المؤتمر الصهيونى الـ ٢٦. . انعقد فى ديسمبر ١٩٦٤ حيث لم تستفحل الصراعات العرقية بين اجناس ذلك المجتمع فى تلك الفترة. . ويقدر عدد اجناسه بـ ٨٥ جنسية باستثناء بعض الحوادث (كحادثة وادى الصليب فى حيفا عام ١٩٥٩).

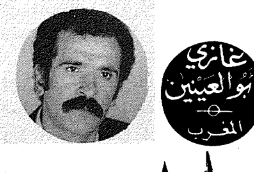
فالفترة الممتدة من قيام (الدولة) حتى المؤتمر الصهيونى المشار اليه لم تكن كافية للكشف عن المشاكل الخطيرة الناجمة عن الدمج العرقى القسرى فى البوتقة الصهيونية الواحدة (اسرائيل) والقانون الاسرائيلى الصادر فى مطلع سنة ١٩٧٠ والذى حدد الانتماء الى **(القومية اليهودية)** على اساس السمات العنصرية والدينية وطبقاً للقانون اليهودى لا يعتبر يهوديا إلا من ولد لأم يهودية أو اعتنق الديانة اليهودية وفقاً للمبادىء الدينية اليهودية الصارمة. . ان هذا القانون يحمل بين حروف معانيه النزعة العنصرية ويكشف القناع عن الحقيقة الاساسية للفلسفة الصهيونية ولقد اكد على ذلك العضو السابق لدى المحكمة العليا الاسرائيلية (حاييم كوهين) الذى قال: (إن سخرية الاقدار قد شاءت لأن تكون المعايير البيولوجية والعنصرية التى روجها النازيون والتى استوحيت منها قوانين نوربنرغ المخزية هى نفسها الاساس لتحديد المواطنة رسميا داخل هذا البلد).

والاندماج الاسرائيلي

ومن المعلوم ان المادة الرابعة من برنامج الحزب الاشتراكى الوطنى الالمانى (النازى) كانت تقرر بان المواطن الالمانى هو فقط الذى ينتمى الى الجنس الالمانى ومن تجرى فى عروقه الدماء الالمانية.

وفى ظل هذا القانون الذى وضعه الشرع الاسرائيلى نتساءل هل تمت مراعاة الوضعية التى يعيشها افراد هذا الكيان؟؟ وهل وضعت الحلول للمشاكل الناجمة عن وجود اجناس متعددة هناك؟؟.

ان تعدد العرقيات والطوائف داخل هذا الكيان وتمحور كل فئة حول نفسها والدفاع عن مصالحها بصورة فردية اعطت النتائج النهائية للانتخابات الاسرائيلية وتركت ملاحظات دقيقة عزرت بها الميزة



الرئيسة للمجتمع الاسرائيلى وهى انه مجتمع استيطانى يتخبط بمشاكله العرقية.. فما هو تأثير ذلك على موضوع الاندماج الاجتماعى داخل هذا المجتمع؟.

سيادة النمط الاوروبى على الحياة الاسرائيلية:

حتى عام ١٩٤٨ كان من ضمن عشرة مهاجرين يهود الى فلسطين تسعة من يهود اوروبا وكان اكثر من نصف هؤلاء من روسيا وهولندا فقط وأدت هذه الوضعية من بعد الى سيادة نمط الحياة الاروبية على القيم السلوكية فى الحياة اليومية (للمجتمع الاسرائيلى) حتى ان الحركة الصهيونية فى نشأتها وأساليب عملها ما هى الا أيدولوجية اوروبية وضعت لبنتها الاساسية فى لغة اوروبية (اليد يشيه) وبعد قيام الدولة نجد ان قمة الهرم السياسى والاجتماعى يتربع عليه اليهود القادمون من نفس القارة الاروبية حتى باتت الدولة مؤسسة تابعة لهم.. أى فى ملكية هؤلاء فقط.. وبعد الجدال الواسع والطويل داخل الحكومة ومكتب الهجرة اليهودية حول استقطاب (يهود الشتات) وخصوصاً اليهود الشرقيين وسيطرت الرأى القائل بوجوب استقبال اولئك على أمل ان دمج تلك

الطوائف فى النظام السياسى من خلال الاحزاب والاجهزة الفعالة الاخرى كالهستدروت والجيش والمدارس التعليمية سيجعل من السهولة التعامل مع المطالب والحاجات الجديدة وسيحد كذلك من العداوات السلالية لكن هذا التكهن لم يكن فيما بعد مطابقاً للواقع حيث إن التناقضات العرقية ازدادت وتساءل البعض داخل الكيان حول هذا الخليط المتنافر ومفهوم الامة الواحدة (اليهودية) وذهب بعض من المهتمين فى الاجابة عن ذلك بقولهم ان الهوية اليهودية هى هوية كل شخص لم يجد جواباً عن هذا التساؤل.

فهجرة الجماعات ذات العرق الشرقى (شمال افريقيا - اليمن - العراق - ايران - الحبشة - الهند - تركيا) كانت مزعجة جداً لليهود الغربيين ذلك ان اليهودى الغربى لم يكن يعرف شيئاً عن تلك العرقيات سوى ما كانت تكتبه بعض الكتب بشكل عام وان اليهودى الشرقى كذلك لم يكن يعرف عن اليهودى الغربى شيئاً قبل قيام تلك الدولة.. فهو عندما كان يذهب الى اوروبا فان اختلاطه بيهودها كان قليلا بالاضافة الى احساسه الذى كان يشعر به والمتعلق بالفجوة الشاسعة بينه وبينهم.. ولقد ازدادت نسبة اليهود الغربيين تأزما عندما شاهدوا المجموعات البشرية المهاجرة باعدادها الكبيرة وبجهلها التافه للثقافة الغربية او للغة اليديشيه وكذلك عندما شاهدوهم وهم يعبرون عن معتقداتهم الدينية ويقومون بالشعائر بطرق مختلفة لم يكن يعرفها اليهودى الغربى حتى ان البعض منهم قد أخذ يتساءل هل هؤلاء هم ايضا من شعب الله المختار؟.

إن كثيراً من اليهود الاوروبين الغربيين داخل المجتمع الاسرائيلى يرفضون هذه الفكرة ورفضهم هذا نابع بالاساس من تشبعهم بالعنصرية الصهيونية فهم يرون ان فلسفة هذه الحركة يجب أن يقتصر تبنيها على ابناء اوروبا فرؤيتهم للحركة من خلال قاداتها مثلا من هرتزل الى بن غوريون ومن جابوتسكى الى بيغن وشامير تجعلهم يصرون على أن يكون الكيان الصهيونى مجتمعاً اوروبياً غربياً ليس كهوية ذاتية فحسب بل وكتعبير عن رؤية فكرية وسياسية وثقافية واقتصادية.. ولقد أشار بذلك دافيد بن غوريون عندما حذر من المخاطر القادمة الى الدولة بقدوم المهاجرين الشرقيين اليها وأعلن:

«اننا لا نريد ان يصبح اليهود عرباً إن من واجبنا ان نحارب الروح الشرقية.. لا اريد لثقافة يهود العرب أن تكون عندنا هنا ولا أريد اية مشاركة يقدمها الايرانيون يجب ان نرسخ فى اذهانهم العقلية الغربية».

وبالفعل فقد أصر بن غوريون على أن يقص اليهود اليمنيون أظافرهم قبل أن يدمجوا فى المجتمع.

المواجهات العرقية المتكررة:

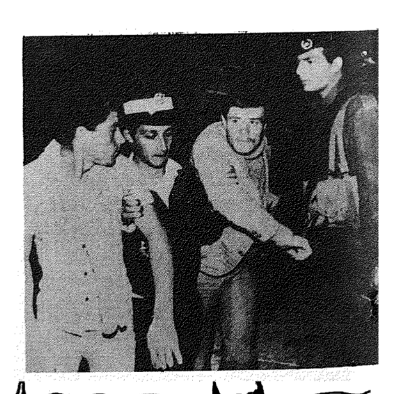
لقد واجه اليهود الاوروبيون بصفة عامة والاشكناز بصفة خاصة مشكلة تطبيق المفاهيم الديمقراطية الغربية فى نظام الحكم فكيف سيواجه هؤلاء المجموعات العرقية المنحدرة من أصل شرقى وقد اصبحوا يشكلون القاعدة الانتخابية الاكثر عدداً مع شعورهم التام بان هذه الطوائف تحمل حقداً يوازى على الاقل حقدهم إن لم يزد؟. وذلك نتيجة للمتاعب التى صادفوها والناجمة عن احتقارهم وإذلالهم ووضعهم فى أدنى المراتب ورشوة بعض شخصيات هذه الطوائف من خلال وضعهم فى بعض المهام المتقدمة سواء داخل الاحزاب أو فى المؤسسات السياسية لم يكن كافياً لنزع حقد الطوائف العرقية الشرقية.

فخلال أعوام عمر الكيان الماضية تفاقمت الازمة العرقية فى داخله واصبحت من ابرز معالمه الملموسة والتى يحزمها ويختص بها دون غيره من المجتمعات

وذلك بالرغم من العمليات التجميلية الدائمة التى تقوم بها الحكومات الاسرائيلية لتظهر للملأ نجاح عملية الاندماج الاجتماعى داخل الدولة.

ففى المجال الاجتماعى تقول دراسة إعدها الدكتور (نهون) ان يهود اوروبا أو الا شكناز يعملون فى الوظائف النظيفة بينما اليهود من عرق شرقى يعملون فى مجال الخدمات والانتاج ولم يتحسن الفرق بين الطوائف فى مجال العمل فى السنوات الاخيرة حيث يشكل الاشكناز ٩٠٪ من اصحاب الياقات البيضاء.. بينما ٩٠٪ من اصحاب الياقات الزرقاء هم من اليهود الشرقيين ويحتل ٨٥٪ من اليهود الغربيين الوظائف المرموقة كالمهن التعليمية والجامعية والمهن الحرة بينما يحتل ٨٥٪ من اليهود الشرقيين قطاع الخدمات و٥٥٪ من العاملين فى الصناعة هم ايضاً من ابناء تلك الطوائف.

ويقول رافى بيرنس عضو لجنة العمال الاجراء فى محاجر كعار جلعادى (لن تجد فى هذه المحاجر أى يهودى غربى ولم يأت احد منهم لكى يعمل فى هذا الغبار).



أما فى مجال الوظائف السياسية فان وضعية الطوائف العرقية الشرقية لم تشذ كثيرا عما كانت عليه فى سنوات الخمسينات أو الستينات فحكومات الليكود التى اعتمدت فى وصولها الى الحكومة باغلبية برلمانية داخل الكنيست على اصوات الطوائف ذات الاصول العرقية الشرقية وخصوصاً يهود الاقطار العربية فهذه الحكومات لم تعرف سوى بعض الوزراء أو المسؤولين القلائل من ابناء تلك العرقيات.

فالحكومة الاولى لم تشمل سوى اربعة وزراء اثنان من العراق وثالث من تونس ورابع من المغرب.. اما نواب الوزراء فكان عددهم ثلاثة من اصل يمنى.. ليبى وايرانى ولقد كان هناك خمسة امناء عامين للوزارات من سوريا - المغرب - العراق.. هذا هو اعلى نصيب مشاركة حصلت عليه العرقيات الشرقية فى ظل حكومة الليكود متعهدة الحقوق للطوائف الشرقية فكيف كان حال ابناء هذه الطوائف فى حكومات العمل السابقة..

حقيقة إن هذه المناصب الحكومية التى استحوذتها الطوائف الشرقية فى ظل حكومة الليكود لم تعبر عن نجاح عملية الدمج الاجتماعى لها فى داخل الكيان ولقد أقر بذلك الجنرال الاحتياطى وعضو الكنيست العمالى مردخاى غور الذى قال: «**إنه لا يوجد للطوائف الشرقية المكان المحترم فى قيادة الدولة أو فى الجهاز الاجتماعى وهذه حقيقة مؤلمة**».

أن هذه الوضعية لا تخفى شعور هذه العرقيات بالغبن والاضطهاد من جانب اليهود الغربيين ولقد تحدثت الباحثة الاجتماعية فيكى أشيزان فى التلفزيون الاسرائيلى قائلة (ان اليهود الغربيين جاؤا الى ارض اسرائيل واقتسموا الموارد الوطنية واخذوا الارض التى استصلحها ابناء المهاجرين من الدول الشرقية وعملوا على طرد زعمائهم وحرموهم من ثقافتهم وجعلوهم اشبه بزنوج المجتمع الاسرائيلى).

وبذلك اصبحت هذه الطوائف تشعر انها تشكل اقلية

داخل هذا المجتمع أى أن مشكلتهم الاساسية التى كانوا يعانون منها فى أوطانهم الاصلية قد استقرت هى بدورها فى (وطن الاباء والاجداد) ـ كما يزعمون ـ وانتقلوا بها الى هنـاك وذلـك لأنهم كانوا يشكلون فى السابق اقلية دينية واصبحوا يشكلون الآن اقلية عرقية وبذلك اخذوا يعملون على تكييف انفسهم وفق المعـايير الخاصة بهم بعد أن وجدوا فى معاملة الاخرين لهم بانهم طوائف هامشية داخل هذا الكيان ومن هنا رأوا أنه يجب المحافظة على هويتهم ووضعهم قبل ان يتم القضاء عليهم وعملوا على التكتل والالتفاف حول بعضهم البعض. . وبالفعل نجد ذلك فى نموذج السكن والاستيطان الذى يمثل تجسيد وحدة العرق الجنسى. . فهناك بعض الاحياء الكبرى فى كثير من المدن يقتصر ساكنـوها على طائفة واحدة وعرق واحد كحى كفار شاليم بتل ابيب أو حى الصرارة بالقدس ويمتد هذا النمـوذج ليشمـل المستوطنـات حيث نجـد ان هنـالك مستوطنات يقتصر مستوطنوها على طائفة معينة كمستوطنة نيتفـوت التى يقطنها يهود المغرب ومستوطنة روش هامين التى يقطنها يهود اليمن وان معظم المستوطنات التى تمت إقامتها فى الضفة الغربية لنهر الاردن كمستوطنة كريات أربع حيث يقطن غالبية هذه المستوطنات اليهود البيض القـادمين من الولايات المتحدة وهنالك بالقرب من بلدة ديمـوفا فى منطقة النقب بالجنوب مستوطنة تخص اليهود السـود الامـريكيـين البـالغ عددهم ٢٥٠٠ فرداً والذين يشكلون مجتمعاً خاصاً بهم كما اكدت على ذلك المحكمة العليا الاسرائيلية فى قرارها الخاص بابعادهم من اسرائيل.

وبخصوص مستوى الاختلاط بالزواج بين الطوائف الغـربيـة والشرقية أو العكس فلم تتعدّ هذه الحالات ما نسبته ٨٥٪ من حالات الزواج العامة داخل هذا الكيان ولم يقتصـر هذا الانطواء على الحياة الاجتماعية بل امتد ليشمل الحياة الانتخابية السياسية فاذا كانت حركة الفهود السـود التى تأسست فى مطلع السبعينات قد فشلت فى الاستمـرار كمتحـدث عن الطـوائف الشرقية فان قائمة حزب تابى التى يرأسها وزير الاديان السابق اهارون أبو حظيره قد نجحت بالدخول الى الكنيست عام ١٩٨١ على اســاس طائفى عرقى صرف. . ولقــد اظهــرت الانتخابات الاخيرة الانفلات العرقى داخل هذا المجتمع بهذا الميـدان و تجلى ذلـك فى استيعـاب أبناء الطوائف الشـرقيـة من حزب اغـودات اسـرائيـل وتشكيـل قائمة (شـاس) التى احـرزت ٦٣٦٠٥ صوتـاً وضمنت بذلك اربعـة مقـاعد ذات عرق شرقى خالص وبخروجها من حزب اعـودات اسـرائيـل تحول هذا الحزب الى تجمع اشكنـازى صرف ولابد من الاشارة فى هذا المضمار الى قائمـة الطـائفة الهندية الانتخابية المستقلة والتى تقدمت للانتخابات الاخيرة للمرحلة الاولى على اساس عرقى فى تمثيلها لليهود القادمين من الهند.

ان هذه النماذج البسيطة تثبت تمزق هذا المجتمع بالمشاكل العرقية الناجمة عن فشل الحركة الصهيونية فى دمـج هذه الطـوائف والاجناس ويعود ذلك الى الطبيعة الاستيطانية لهذا المجتمع.

التعددية العرقية والانعزالية الفئوية:

ان عدم الاقـرار بثقـافـة وسلوك (اجتـماعيات) العـرقيـات الاخـرى واحتقـارها من خلال مصادرة خصوصياتها الاجتماعية وابعادها عن امور المشاركة فى تسيير اجهـزة (الـدولـة) ومؤسساتها بشكل يضمن تمثيلهـا الحقيقى وفرض ثقافة خاصة ومعينة عليها، فان ذلك يدفع ابناء تلك العرقيات الى الانعزال كما كنـا قد اشـرنـا سابقـاً ويـزيـد من شعورهم بانهم مرفوضون ومحرومون واكد على ذلك الفرنسى جان مونــو الــذى يرى ان الانــدمــاج داخـل الكيـان الاسرائيلى لن ينجح أبداً بسبب الرفض الذى يسود المجتمع وليس بسبب ما يسمى بعدم الكفاءة الوراثية للمتوحشين (العرقيات الشرقية).

وتأتى مشكلة اليهـود الامـريكيين السود لتكشف حقيقة ذلك المجتمع الرافض لادماج هذه الفئة بالرغم من اعتناق افـرادهـا للديـانة اليهودية التى تعتبر فى حدّ ذاتها كافية لاكتسـاب الجنسيـة الاسـرائيليـة وذلـك حسب القانون

الاسرائيلي الصادر في بداية سنة ١٩٧٠ .. قصة هؤلاء انهم قدموا الى (ارض الآباء والاجداد) وأستقروا فيها وفي البداية تنكرت هذه الطائفة لجنسيتها الامريكية وقامت بتمزيق جوازات سفرها منذ وصولها الى مطار اللد وثارت عدة مشاكل بخصوصهم وفي عام ١٩٧٢ قضت المحكمة العليا في اسرائيل برفض دعوى (يهودية) هؤلاء واعتبرتهم غير مؤهلين لنيل المواطنة الاسرائيلية تلقائياً ومنذ تلك اللحظة منعت السلطات الاسرائيلية دخول أي من اليهود السود اليها ونتيجة للمشاكل الصعبة التي اصبح يواجهها افراد هذه الطائفة للرفض الذي قوبلوا به من جانب الطوائف الاخرى فانهم اصبحوا على حد تعبير رئيس بلدية ديمونا إيلي هلالي يشكلون طائفة انعزالية داخل (المجتمع الاسرائيلي) وهذه الحادثة تؤكد التصور الذي يرى بان مستقبل باقي الأجناس هناك سيتم بنفس الصورة التي وصلت اليها طائفة اليهود السود الامريكيين وذلك لاستحالة صهرها داخل كيان سيطر عليه من قبل فئة واحدة.

●● كيف تعالج الدوائر الحاكمة في اسرائيل المشاكل الناجمة عن هذا التعدد؟.

ان طبيعة التكوين لهذا المجتمع (الاستيطانية) والقائمة كما اشرنا على تعدد الاجناس تجعل الادارة الحاكمة والحركة الصهيونية بصفة خاصة تبحث دوماً على العنف والمغامرة ومن هنا ذهب الكثير الى تسمية هذا الكيان (بالدولة العسكر) أو (بالدولة الحركة) فهناك ميل دائم للحركة والمغامرة الامامية تحت شعار الامن القومي فتعمل بالاساس على محاولة دمج من هاجر اليها واستوطن وتسعى الى استيعاب مهاجرين آخرين وتعمل على اقامة سلام مبني على مبدأ عدم التراجع. فالحركة الصهيونية ومؤسستها العسكرية (الجيش الاسرائيلي) ترى أن افضل الحلول للمشاكل الناجمة عن تعدد الاعراق والاجناس واستحالة دمجها كوحدة واحدة في نهج سياسة الحروب والتوسع والاعتداءات وذلك لاشعار الجميع ان هنالك خطراً اقوى من المشاكل الداخلية يواجه الكل.

وبالفعل فالقاء نظرة على مؤسسات (الدولة) يظهر أن التماسك داخل المؤسسة العسكرية اكبر بكثير من التماسك الموجود لدى باقي المؤسسات الاخرى كالهستدرون والاحزاب فالجيش الاسرائيلي يلعب دوراً حاسما في صياغة نسيج الحياة الاجتماعية لهذا الكيان فالى جانب وظائفه العدوانية فهو يقوم بوظيفة بناء (الامة) حسب رأي قادته.. ولكن هل يعني ان هذا الكيان سيلجأ دوما لستر عيوبه الى الحروب والتوسع؟؟. وهل ستبقى مؤسسته العسكرية بعيدة عن هذا الصراع؟؟ والى متى؟؟.

ان حرباً أخرى قادمة تكون نتائجها متشابهة ان لم تكن اكثر لحرب اكتوبر ١٩٧٣م ستضع حدا لاستغلال هذه المؤسسة بهذا الميدان واما ابتعاد هذه المؤسسة في الوقت الراهن عن الصراعات العرقية لا يعني انها ستسلم بدورها من مخاطر المد العرقي والطائفي الذي يعرفه مجتمعها باكمله فهذه المؤسسة التي يعتبرها قاداتها بانها نواة المجتمع ستعرف بدورها مشاكل مجتمعها الذي يفرز لها دوماً وقود حيويتها واستمرارها المتمثل بابناء طوائفه.

ونخلص إلى ان هذا المجتمع لا يملك من روابط الوحدة الاجتماعية سوى الشعائر الدينية والتي بدأ يدور حولها الاختلاف خصوصاً بين الفئات المتدينة والعلمانية ليمتد هذا الصراع وليشمل جانباً آخر من جوانب المجتمع وان محاولات الحركة الصهيونية الدائمة تجعل هذه الأجناس المتعددة وحدة اجتماعية واحدة قد لا تستمر طويلا فهيهات.. اناس قادمون من كافة الدول ويتكلمون ٨١ لغة.. فالى جانب يهود اوروبا الوسطى والبلطيق والدول الاسكندنافية وشبه جزيرة ايريان وهناك الهنود الحمر.. اليهود القادمون من امريكا اللاتينية واليهود السمر القادمون من الحبشة والقادمون من الهند والسود الجدد القادمون من الولايات المتحدة والصفر القادمون من الصين وكلهم متمايزون بعضهم عن بعض بخصائص انتربيولوجية وسيكولوجية ولغوية يصعب دمجهم في بوتقة واحدة.



عبد الرحيم محمود

من الملاحظات التى كانت ومازالت تثير انتباه الباحثين والقراء على السواء قلّة الدراسات الخاصة حول حياة وشخصية وشعر الشاعر الفلسطينى الشهيد «عبد الرحيم محمود» الشاعر الذى ملأت شهرته الآفاق وتناقلت الألسن مطلع قصيدته الشهيرة «الشهيد» التى يقول فيها:

سأحمل روحى على راحتى
وألقى بها فى مهاوى الردى
فاما حياة تسر الصديق
وإما ممات يغيظ العدى
ونفس الشريف لها غايتان
ورود المنايا ونيل المنى

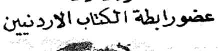
فهذه الأبيات التى انتشرت انتشار النار فى الهشيم وترجمت بصدق وإخلاص مشاعر الانسان العربى الذى وجد نفسه فى مواجهة حقيقية مع قوى الشر والظلام.. حملت له الشهرة والتقدير عند الجماهير العربية على امتداد الوطن العربى فهو الشاعر الذى حمل القلم بيد والبندقية بيد.. وجسَّد على أرض فلسطين أروع ملاحم البطولة والفداء حين قضى شهيد الواجب فى معركة «**الشجرة**» فى شمال فلسطين.

وقد صدر له ديوان شعرى ضم أكثر قصائده وحمل الديوان عنوان: «ديوان عبد الرحيم محمود» وقد جمع القصائد وقدم للديوان الدكتور كامل السوافيرى وصدرت الطبعة الأولى منه عن اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين سنة ١٩٧٤.. وكما نلاحظ فإن الديوان حمل إسم الشاعر إذ أن المتعارف عليه أن يكون لكل ديوان عنوان خاص يضعه الشاعر حتى يكون متميزا ومعروفا.

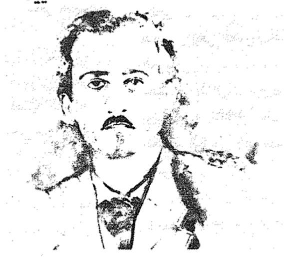
ولعل الظروف التى مرت بفلسطين العربية من اضطرابات ومظاهرات وثورات مسلحة حالت دون تفرغ الشعراء باعداد دواوينهم الشعرية بأنفسهم ووضع العناوين الخاصة بها.

ومن الشعراء الفلسطينيين الذين حمل الديوان اسمهم





زياد عودة
عضو رابطة الكتاب الاردنيين



شاعرا ومناضلا

الشاعر ابراهيم طوقان المتوفى سنة ١٩٤١ قبل أن يقوم بطبع أى ديوان له وهو على قيد الحياة.. عكس الشاعر عبد الكريم الكرمى «أبو سلمى» الذى كتب الله له أن يظل على قيد الحياة ليشاهد بأم عينيه سقوط وطنه ومأساة أبناء شعبه وهم يرتحلون بقوة السلاح عن مدنهم وقراهم وراح يسجل على مر الأيام والسنين بقلمه ومشاعره التى هزتها المأساة أجمل القصائد فى الشوق والحنين والأمل بالعودة حيث صدرت له عدة دواوين شعرية تحمل عناوين مختلفة اختارها بنفسه قبل أن ينتقل الى رحمته تعالى سنة ١٩٨٠م.

ومن أجل هذا ينهض دائما أكثر من سؤال حول تراث أولئك الشعراء والأدباء الذين رحلوا عن الدنيا خلال احداث فلسطين الدامية.. حيث بقى تراثهم مطويا بحاجة الى من ينقب ويبحث عنه من أجل إخراجه الى النور وتعريف العالم بالأدب الفلسطينى الحديث حتى لا يصير نسيا منسيا.. فجمع تراث هؤلاء الشعراء والأدباء واجب وطنى وقومى وإنسانى فيه خدمة للأدب والثقافة فى فلسطين التى ترزح تحت نير الاحتلال الصهيونى.

هذه المقدمة كتبتها إثر انتهائى من قراءة كتاب «**عبد الرحيم محمود شاعرا ومناضلا**» من تأليف الدكتور الشاعر محمود الشلبى.. وهذا الكتاب هو فى الأصل رسالة جامعية تقدم بها المؤلف للحصول على شهادة الدكتوراه.. وقد صدر الكتاب سنة ١٤٠٤هـ الموافق ١٩٨٤ فى عمان.. يقع الكتاب فى ثلاثمائة صفحة من القطع الكبير.. وقسمه مؤلفه الى مقدمة ومدخل وبابين وملحق.

●● والجدير بالذكر أن هناك رسالة جامعية عن الشاعر عبد الرحيم محمود أعدها الأستاذ نافع عبد الله وحصل بها على شهادة الماجستير من جامعة القديس يوسف ببيروت وقد تم طبع الرسالة فى كتاب سنة ١٩٧٩م فى دبى.

مدخل الى الكتاب

والكتاب الذى يقدمه لنا الدكتور محمود الشلبى يلقى

المزيد على حياة وشعر ونضال الشاعر عبد الرحيم محمود. . حيث أوضح المؤلف فى مقدمة الكتاب الأسباب والظروف التى حدت به الى الاهتمام بهذا الشاعر المتميز الذى قاتل بالكلمة والجسد وجاء فيها:

«تعود صلتى بموضوع هذا البحث الى سنوات بعيدة يوم كنت طالبا على مقاعد الدرس حين استهوانى الشعر واحتل فى نفسى جانبا أثيرا فأقبلت على قصائد الشعراء المختارة أتذوقها واستظهرها. . وذات يوم دخل علينا معلم العربية يحمل قصيدة لشاعرنا عبد الرحيم عنوانها «الشهيد» أملاها وطلب منا استظهارها.

وقعت القصيدة فى نفسى موقعا حسنا واحتل صاحبها فى ذاكرتى مكانا فبدأت الطريق لأتعرف الى شخصية هذا الشاعر وإلى ظروف حياته واستشهاده وشاعريته.

وفى الباب الأول تحدث المؤلف عن المضامين الشعرية وقسمه مؤلفه إلى ثلاثة فصول تناول فى الفصل الأول شعر عبد الرحيم محمود فى الاطار الوطنى وتحدث عن المواقف الثورية فى شعره وقسمها على النحو التالى:

- **التحريض على النضال. .**
- **مواقف ملتزمة (الرفض. . الغضب. . الأرض).**
- **الغربة والحنين. .**
- **الرؤية المستقبلية والحس النقدى. .**
- **الرغبة فى الشهادة. .**

وتحدث فى الفصل الثانى عن شعر عبد الرحيم فى الاطار الاجتماعى والانسانى والتأمل وكيف كرس عبد الرحيم جانبا من شعره للحديث عن الفقراء والعمال وكشف عن الملامح الانسانية فى شعره.

وتناول المؤلف فى الفصل الثالث شعر عبد الرحيم فى الاطار الوجدانى فعرض الخط العريض الذى يرسم وجدانه وتحدث عن لذة الحب وكبريائه وخصص المؤلف الباب الثانى للحديث عن **«التشكيل الفنى ومنزلة الشاعر»** وجاء فى فصلين:

الفصل الأول: عن التشكيل الفنى. . فتناول اللغة والتكرار والنمط الشعبى فى التعبير والصراحة والرمز ثم ملامح من القرآن الكريم والشعر العربى عنده. . وعن الصورة الفنية والموسيقى وبناء القصيدة العربية. .

الفصل الثانى: تناول فيه **«منزلة الشاعر»** وموقعه بين شعراء ١٩٣٦ أمثال: **«ابراهيم طوقان. . وعبد الكريم الكرمى (أبو سلمى)»** رفيقاه فى درب الجهاد الطويل.

وفى الملحق الأخير أضاف المؤلف عدة قصائد جديدة للشاعر عبد الرحيم محمود.

سيرة حياة

● ولد الشاعر الشهيد عبد الرحيم بن الشيخ محمود عبد الحليم عبد الله سنة ١٩١٤م على أصح الروايات الواردة عن ولادته فى قرية عنبتا قضاء طولكرم التى كبرت بعد نكبة ١٩٤٨ وصارت مدينة واسعة الأطراف. . وتم احتلالها فى حرب حزيران سنة ١٩٦٧ من قبل السلطات الصهيونية وهى تقع على الطريق الرئيسى بين مدينتى طولكرم ونابلس.

● درس حتى الصف الخامس ابتدائى فى مدرسة عنبتا الابتدائية ومن ثم درس الصفين السادس والسابع فى طولكرم وواصل تعليمه فى مدرسة النجاح الوطنية بنابلس احدى منارات العلم والثقافة فى فلسطين. . وكان الشاعر ابراهيم طوقان وقتها أحد المدرسين بها وقد تتلمذ شاعرنا عبد الرحيم على يديه حيث استفاد منه فى بواكير حياته.

وكان أبوه الشيخ محمود عبد الحليم عبد الله شيخا وقورا عالما بأصول اللغة اشتغل بالقضاء الشرعى وعمل مفتشا فى الدولة العثمانية وعمل فى المحاماة الشرعية وكان من الشعراء الظرفاء الذين ينظمون الشعر ويتعشقونه ويطربون له ولعل دراسته الأزهرية قد منحته ثقافة واسعة فظهرت له ميول أدبية ونقدية ودينية مبكرة.

● نشأ الصبى على حب العلم وواظب على الدراسة بانتظام وراح يقرض الشعر وهو على مقاعد الدراسة حتى تخرج من مدرسة النجاح الوطنية بعد أن انهى دراسته الثانوية. . حيث تعرف فيها على استاذه الشاعر ابراهيم طوقان فتلقى على يديه الأدب العربى ولمس الأستاذ بتلميذه مخايل النباهة والنجابة واكتشف فيه الموهبة الصادقة لقول الشعر فدفعه إليه بتشجيع واعجاب وأعجب التلميذ بأستاذه فأحبه وتأصلت فى نفسيهما صداقة قوية وحدتها روح الشعر وروح الوطنية.

وقد تخرج من مدرسة النجاح فى العام الدراسى ١٩٣٠-١٩٣١ حيث تعرف وهوعلى مقاعد الدراسة بعدد كبير من رجالات فلسطين وبعد تخرجه عمل شرطيا لثلاث سنوات فى عهد حكومة الانتداب البريطانى على فلسطين وترك الشرطة بعد أن أدرك خطورة الموقف إثر المناوشات بين الثوار العرب والقوات البريطانية حيث وجد من واجبه الوطنى أن يستقيل بعد أن كلف أكثر من مرة بمطاردة الثوار. . ولكن حسه الوطنى أبى عليه أن يكون أداة فى يد اعداء بلاده. . وقدم طلبا للتدريس فى مدرسة النجاح حيث عين معلما للأدب العربى وكان مثالا للمعلم الرائد الذى علم طلابه حب الوطن من خلال الكلمة الصادقة والحرف المضىء.

واستمر يعمل فى مهنة التعليم حتى عام ١٩٣٦ عام الثورة الفلسطينية الكبرى التى امتدت ثلاث سنوات تخللها إضراب طويل استمر ستة أشهر. . وفى هذا الوقت شعر الشاعر بنداء الوطن يشده الى العمل من أجل تحرير وطنه الغالى من المستعمرين. . وانضم الى صفوف الثوار الفلسطينيين العاملين فى مناطق جنين وطولكرم ونابلس بقيادة القائد عبد الرحيم الحاج محمد المعروف بأبى كمال حيث عمل سكرتيرا خاصا له يصيغ البيانات والبلاغات الصادرة عن قيادة الثورة.

وفى خضم الثورة العارمة التى شملت فلسطين اندفع الشعر الثورى على لسانه ليكون زادا له فى ثورته. . وكتب فى ذلك الزمن قصيدة «**الشهيد**» التى اكسبته شهرة واسعة وجاء ذكرها فى بداية هذا المقال. . وهذه أبيات أخرى من القصيدة وعدد أبياتها تسعة عشرة.

وما العيش لا عشت إن لم أكن
فخوف الجناب حرام الحمى
إذا قلت أصغى لى العالمون
ودوى مقالى بين الورى
لعمرك إنى أرى مصرعى
ولكن أغذ اليه الخطى
أرى مقتلى دون حقى السليب
ودون بلادى هو المبتغى

وهى تعتبر من أجمل القصائد التى قالها الشاعر فى قمة الكفاح ضد الاستعمار البريطانى والصهيونى وقد لفتت إليه أنظار السلطة البريطانية الحاكمة فى فلسطين وعملت على مداراته من أجل القاء القبض عليه ولكنه غادر فلسطين إلى العراق بعد استشهاد القائد عبد الرحيم الحاج محمد فى السابع والعشرين من شهر آذار سنة ١٩٣٩م.

■ وقد رثاه بقصيدة طويلة نقتطف منها الأبيات التالية:
أإذا أنشدت يوفيك نشيدى
حقك الواجب يا خير شهيد
أى لفظ يسع المعنى الذى
منك أستوحيه يا وحى قصيدى
لا يحيط الشعر فيما فيك من
خلق أستوحيه يا وحى قصيدى
كملت فيك المروءات فلم
يبق منها زائد للمستزيد

وهل بعد هذا الوفاء من وفاء . . ؟

وفى العراق تابع شاعرنا نشاطه العملى ودخل الكلية العسكرية مع عدد من المناضلين الفلسطينيين وعلى رأسهم القائد عبد القادر الحسينى وتخرج منها برتبة ضابط وعمل فى ميدان التعليم فى العراق فترة قصيرة من الزمن حيث شارك فى ثورة رشيد عالى الكيلانى فى العراق سنة ١٩٤١ التى انتهت إلى الفشل . . وعاد الى فلسطين وعمل من جديد فى مدرسة النجاح الوطنية ليعمل معلما للأدب العربى . . والتربية الرياضية . . وهناك تتفجر شاعريته فيكتب شعرا وطنيا واجتماعيا ووجدانيا . . ويعزز فى نفوس طلابه حب الشعر والوطن . . وليسد فراغا كبيرا بغياب الشاعر ابراهيم طوقان الذى كان أحد المدرسين فى الكلية . . وظل يمارس مهنة التعليم فى كلية النجاح لحين اعلان قرار التقسيم الجائر بتاريخ ١٩٤٧/١١/٢٩ . فأشتعلت الثورة الفلسطينية من جديد فى انحاء فلسطين وفى أوائل عام ١٩٤٨ يغادر الشاعر وطنه الى بيروت ومنها الى دمشق . . ويلتحق هناك الى معسكر التدريب فى فطنة . . والتحق بعد ذلك بجيش الانقاذ ليعود الى فلسطين يقاتل من جديد ويشارك فى أكثر من معركة على أرض وطنه الحبيب . . الى أن استشهد فى «معركة الشجرة» بمنطقة الناصرة فى الثالث عشر من تموز سنة ١٩٤٨م .

وهكذا طويت حياة إنسان وهب روحه وحياته لوطنه الحبيب فكان قدوة رائعة يضرب بها المثل فى الوفاء للأرض التى أحبها وسقط شهيدا يقبل ترابها الحنون .

إن هذا الكتاب الذى جاء ليسد فراغا كبيرا فى المكتبة العربية عن حياة ونضال وشعر الشاعر عبد الرحيم محمود الذى كان نسيج وحده بين الشعراء يعتبر من أهم الكتب التى رصدت بصدق واخلاص مسيرة شاعر ومناضل فذ .



جامع القلعة:

أنشأه السلطان الناصر محمد بن قلاوون فى داخل القلعة فى سنة ٧١٠هـ/ ١٣١٠م ويقع عند زاويتها القبلية الغربية .

ويدل على ذلك نقش كتابى تذكارى يبين اسم البانى وتاريخ البناء .

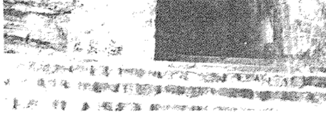
وجدد السلطان محمود الأول بن مصطفى عمارته فى سنة ١١٥١هـ/ ١٧٣٨م بسبب خراب لحق به .

اتخذه العثمانيون مخزناً للذخائر الحربية فى أثناء الحرب العالمية الأولى .

ويتكون هذا الجامع من بيت للصلاة ويتم الوصول اليه عبر مدخل شرقى صغير الحجم نسبيا وقد سقف بيت الصلاة بطريقة القبو البرميلى وله محراب مزخرف جميل الشكل ويقع فى منتصف الجدار الجنوبى لبيت الصلاة وهو عبارة عن حنية حجرية متوجة بطاقية يتقدمها عقد ترتكز أرجله على عمودين قائمين على جانبى المحراب .







باب الغوانمة:

ويسمى بهذا الاسم لأنه ينتهى الى حارة بنى غانم كما يذكر مجير الدين الحنبلى وكان يعرف قديما بباب الخليل وذكر أنه كان يسمى باب الوليد فى القرن الرابع الهجرى.

وهو باب من أبواب الحرم الشريف فى آخر الجهة الغربية من جهة الشمال بالقرب من منارة الغوانمة.

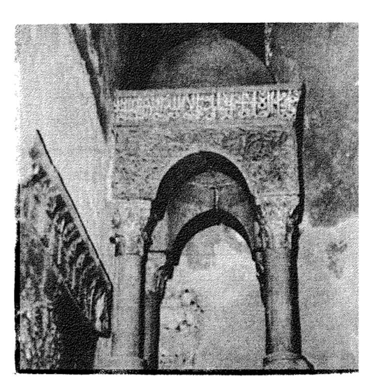
وذكر ابن فضل الله العمرى أنه كان يصعد إليه من الحرم الشريف بعشر درج وطوله أربعة أذرع وعرضه ثلاثة أذرع كما يذكر ابن فضل الله العمرى أيضا.

وقد قام بتجديده وإصلاحه وترميمه الملك السلطان محمد بن قلاوون فى أثناء بنائه الرواق الغربى للحرم الشريف.

ويرجح أن تجديده كان فى سنة ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧ـ١٣٠٨م.

ويتكون هذا الباب من مدخل بسيط التكوين متوسط الحجم قليل العرض بالمقارنة مع بعض أبواب الحرم الشريف الكبيرة الحجم والعرض.. ويقوم خارج الباب قبو باب الغوانمة وتشير بعض المصادر الى أنه كانت توجد فيه مجموعة من القبور ولكنها غير موجودة الآن. ويؤدى ممر القبو الى مدخل باب الغوانمة الذى يغطى فتحته باب خشبى.

ويؤدى المدخل الى رحبة مستطيلة الشكل من الغرب الى الشرق ويغطيها قبو نصف برميلى حيث تؤدى بدورها الى داخل الحرم الشريف.



ملف خاص

التعريب ومشكلاته

مع التـدفق الهـائـل فى المخـترعـات والمصنـوعـات فى العـالم وبعـد الثورة الصنـاعيـة والنمـو المتـزايـد فى حجم التبادل التجارى الدولى برزت حاجة ملحة لتنسيق مواصفـات المـواد المصنوعة وتنميط قياساتها وتوحيد مسمياتها. . فتأسست فى جنيف فى أوائل هذه القرن منظمة دولية تحت اسم (المنظمة الدولية للتقييس). ولهذه المنظمة فروع فى ٧٤ بلدا ومنها الاقطار العربية التى شكلت هى الاخرى منظمة تابعة لجامعة الدول العـربيـة تدعى «المنظمـة العـربيـة للمـواصفـات والمقـاييس» ومقـرهـا العـاصمة الاردنية. . وتتألف المنظمـة الـدوليـة للقيـاسـات من عشرات اللجان المتخصصة مثل لجنة (الكهرباء) ولجنة الكيمياء ولجنة الرياضيات التى تجتمع بصفة دورية لتوحيد قياسات ورموز هذه المواد وتنظيمها. . ومن هذه اللجان بل من أهمهـا الـلجنـة رقم ٣٧ التى تسمى «**لجنـة المصطلحـات**» ويعهـد اليهـا تنسيق المصطلحـات العلميـة والتقنية وتوحيدها. . وأول مبدأ أقرته هذه اللجنـة هو مبـدأ قيـام ـ كل لجنة ـ قبل كل شيء بتعـريف مصطلحات كل علمٍ تختص فيه. . ولهذا أصدرت هذه اللجنة نفسها كُتَيبًا يشتمل على تحديد مصطلحات علم المصطلحات وتعريفها.

وبيت القصيد هنا انه قبل الخوض فى التعريب ومشكلاته ينبغى أن نبين دلالة التعريب أو دلالاته ان كانت له أكثر من دلالة واحدة.

الدلالات المختلفة للفظ "التعريب":

يتفق الفـلاسفة وعلماء الدلالة على عدم وجود رابطة حتمية أو مادية أزلية بين الدال والمدلول أى بين اللفـظ ومعناه وانما يكتسب اللفظ معناه من تواضع جماعـة النـاطقـين عليـه. . ويستطيـع البـاحـث أن يستخلص معنى اللفـظ أو معـانيـه من استقـراء الاستعمال أى من دراسة النصوص المكتوبة والمنطوقة التى يرد فيها اللفظ.

وبعد استقـراء الاستعـمال اللغـوى الحـديث للفظ (التعـريب) وجـدنـا أن لهذه الكلمة أربع دلالات رئيسية نجملها فيما يلى مرتبة من الخاص الى العام:

أولا: التعـريب. . هو نقل الكلمة الاجنبية بلفظها ومعناها الى اللغة العربية كما هى دون تغيير فيها أو مع اجـراء تغيـير وتعديل عليها لينسجم نطقها مع النظـامـين الصوتى والصرفى للغة العربية لتتفق مع



في الوطن العربي

الـذوق العام للسامعين. . ولتيسير الاشتقاق منها. وعند نقل اللفظ الاجنبى كما هو الى اللغة العربية يسمى (دخيـلا) وعند تغييره يسمى (معربا). ومن أمثلة الدخيل ألفاظ الاوكسجين والنتروجين والنترون ومن أمثلة المعرب ألفاظ التلفون والتلغراف.

ويطلق على العملية برمتها الاقتراض اللغوى أو الاستعارة اللغوية وهى عملية تمارسها اللغات الحية باستمـرار إذ تقـترض اللغة ألفاظا معينة من لغات أخرى للتعبير عن مفاهيم جديدة لم يعهدها الناطقون بتلك اللغة من قبل.

و«التعـريب» بهذا المعنى عمليـة لغـوية صرفية يستخـدمهـا الاصطـلاحيون فى اثراء اللغة العربية بمفردات علمية وتقنية وحضارية جديدة.

ثانيا: التعريب هو نقل معنى نص من لغة أجنبية الى اللغة العربية. . وقد يتألف النص من فقرة أو كتاب كامـل. . والـتعـريب بهذا المعنى مرادف للفـظ (الـترجمة). وقـد نجـد على غلاف بعض الكتب المـترجمة الى العربية عنوان الكتاب من تأليف فلان البريطانى أو الفرنسى وتعريب فلان. . وقد يعترض بعض المتـزمتـين من اللغويين على هذا الاستعمال ويقـولـون بأن هذا خطأ وان الصواب هو (الترجمة) وليس (التعـريب) ولكن واقـع الاستعمال اللغـوى خلاف ذلـك. . فقـد استخـدم عدد من المؤلفـين العرب لفظ (التعريب) بهذا المعنى والقارىء العربى المثقف يفهم هذا المعنى من السيـاق الـذى يرد فيه اللفظ ونحن نعلم ان اللسانيات الحديثة تميل الى أن مهـمـة الـلغـوى والمـعجمى تنصب على وصف الاستعمال اللغوى لا على تصويبه أو تقريره.

ثالثا: التعريب هو استخدام اللغة العربية لغة للادارة أو التدريس أو لكليهما. . وقد استخدم لفظ التعريب بهذا المعنى مع اقدام الدول الاوربية وخاصة بريطانيا وفرنسا وايطاليا على استعمار البلاد العربية أو فرض الحماية والوصاية عليها. . وقامت هذه الاقطار بفرض لغاتها فى التدريس والادارة. . وعندها بدأت المطالبة باحـلال اللغـة العـربيـة محل اللغـات الاجنبية فى المجالين المذكورين. . وهكذا يصبح التعريب بهذا المعنى اختيـارا أسـاسيا وحضاريا. . (وهو موضوع



حديثنا هذا).

رابعاً: التعريب هو اتخاذ قطر بأكمله اللغة العربية لغة حضارية له أى تصبح لغة التخاطب والكتابة السائدة فيه وتمثل الثقافة العربية الاسلامية. وفى حقيقة الامر استخدم التعريب بهذا المعنى فى صدر الاسلام ابان الفتوحات الاسلامية وبعدها حينما قام العرب بفتح العراق والشام وغيرهما وتعريبهما خلال القرون الثلاثة الاولى.. والتعريب بهذا المعنى عملية تمت نتيجة لتضافر عوامل ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية تجلت فى توسيع الحدود الجغرافية والبشرية للعرب الذين حملوا الثقافة العربية الاسلامية معهم واستوطنوا الامصار ونشروا الاسلام.

هل التعريب ضرورة؟

رُبَّ قائل وَلِمَ التعريب؟ ألا نستطيع أن ندرس العلوم والمعارف بلغة عالمية أخرى تفتح لنا بابا واسعا على التطور العلمى والتكنولوجى فى العالم المتمدين وتيسر لطلابنا مواصلة دراستهم العالية فى أوربا وأمريكا وتسهل لاطبائنا ومهندسينا الاطلاع على ما ينشر من أبحاث ودراسات فى ميدان تخصصهم؟ لماذا نجشم أنفسنا عناء توليد مصطلحات علمية باللغة العربية وهى لغة ادب وفقه فحسب، وهل اللغة العربية قادرة على التعبير عن التكنولوجيا الحديثة؟ ولا أنكر أن مثل هذه المبررات استخدمت لبعض الوقت فى عدد من الاقطار العربية للحفاظ على اللغة الاجنبية لغة للتدريس فى المعاهد العليا والجامعات وأثارت مثل هذه الاراء مناقشات حادة ومناظرات حامية بين أنصار التعريب وخصومه.. ولكن العرب على اختلاف أقطارهم وتباين مشاربهم الفكرية والسياسية قد تجاوزوا مرحلة التساؤل عن قدرة اللغة العربية على التعبير العلمى كما تجاوزوا مرحلة التساؤل عن ضرورة التعريب ولم يعد التعريب موضع خلاف وانما يتفق جميعهم على أهميته وما استكمال التعريب الا مسألة تقنية تتطلب بعض الوقت لتوفير مستلزماتها التقنية مع ذلك فاننى من أجل استكمال الموضوع سأقدم خلاصة لضرورات التعريب.

فللتعريب ضرورات اجتماعية واقتصادية وحضارية ونفسية وتربوية ولغوية:

من ناحية اجتماعية: تقوم اللغة القومية بوظيفة اداة الاتصال التى تربط بين أبناء الامة الواحدة فى حاضرها وبين أجيالها السابقة واللاحقة.. فاللغة القومية هى عنوان وحدة الامة وتماسكها.. وليس من المعقول أن تقوم لغة أجنبية بهذا الدور لانها ستكون قاصرة على نخبة من الامة وليس باستطاعة جميع أبناء الامة على اختلاف مستوياتهم الاقتصادية والاجتماعية والفكرية اتقان هذه اللغة الاجنبية واستخدامها بطلاقة كأداة اتصال وتفاهم فى جميع الاغراض الحياتية.

ومن ناحية اقتصادية: تتوقف خطط التنمية الاقتصادية على تفهم جميع قطاعات الشعب لها وتعاونهم فى سبيل تنفيذها.. ولا يمكن تحقيق ذلك الا من خلال المؤسسات التعليمية والاعلامية كالصحافة والاذاعة والتلفزة وهذا يتطلب أساسا محو الامية أى تعليم جميع أبناء الشعب القراءة والكتابة وهى عملية صعبة تتطلب جهودا مركزة. ومعروف أن محو الامية لا يتم باستخدام لغة أجنبية وانما باستخدام اللغة الوطنية التى يستخدمها الناس فى حياتهم وتشكل جزءا من ثقافتهم فيسهل عليهم تعلمها.

ومن ناحية حضارية نعلم أن العرب حَمَلَةُ مشعل حضارة عالمية هى الحضارة الاسلامية ومن واجبهم تقديم العقيدة الاسلامية الى العالم أجمع خدمة

للانسان فى كل مكان وكانت ارادة الله عز وجل أن يتخذ الدين الاسلامى من اللغة العربية لغة أساسية له ينزل بها القرآن الكريم ويتلى بها فى الصلوات وتؤدى بها مناسك الحج وتتدارس بها الشريعة وفقهها . . وأصبح تعلم العربية من أولى واجبات المسلم الذى يرغب فى التفقه فى دينه . . وهكذا انتشرت العربية فى جميع بقاع العالم وهوت لها نفوس بليون مسلم فى ارجاء المعمرة . . واختيار الله تعالى للعربية لغة لدينه الحنيف تشريف للعرب وتكليف فى الوقت ذاته . . فقد أضحى من واجبهم تعليم العربية لغير الناطقين بها ونشرها فى كل مكان.

وكيف يستطيع العرب نشر العربية بين غيرهم اذا اهملوها فى ديارهم واستخدموا لغة أجنبية فى مدارسهم ومعاهدهم؟

ومن الناحية النفسية: اشار علماء النفس الى أن تلقين الطفل العلوم والمعارف بلغة أجنبية يخلق فيه عقدة النقص والشعور بالانحطاط لاحساسه بأن

التعريب
فى أحد معانيه عملية لغوية صرفية
يستخدمها الاصطلاحيون فى إثراء
اللغة العربية بمفردات علمية وتقنية
وحضارية جديدة.

اللغة التى يتحدث بها والداه ويتخاطب بها مجتمعه وامتلك ناصيتها ليست مؤهلة لتوصيل المعارف أو العلوم وبالتالى فإن ثقافته التى تشكل اللغة اساسها ليست على قدم المساواة مع الثقافة الاجنبية التى تستعمل لغتها فى التدريس.

ومن الناحية التعليمية والتربوية: ثبت بالخبرة والتجربة ان الطلبة الذين يتلقون المادة العلمية بلغتهم يستوعبونها بصورة أعمق مما لو تلقوها بلغة أجنبية ويتذكرونها لمدة أطول. وفى أواسط الستينات قامت الجامعة الامريكية فى بيروت وهى جامعة تستخدم اللغة الانكليزية لغة للتعليم فيها بتجربة حول هذه الفرضية فألفت مجموعتين من الطلاب العرب احداهما تلقت دروسا فى علم من العلوم باللغة الانكليزية والاخرى باللغة العربية ثم أعطيت المجموعتان اختبارا فى تلك المادة فوجد أن المجموعة الاولى استوعبت حوالى ٦٠٪ من المادة المدروسة فى حين أن المجموعة الثانية استوعبت حوالى ٧٦٪ من المادة نفسها . . وأعيدت التجربة بالقراءة فطلب من المجموعتين قراءة نصوص مكتوبة واختبرت المجموعتان لمعرفة استيعاب المقروء فكانت النتائج مقاربة للتجربة الاولى وقد قال لى استاذ جامعى بارز اننى لم أفهم بعض الموضوعات التى درستها فى بريطانيا حتى أخذت بتعليمها باللغة العربية فى مصر . . ان العربية ساعدتنى على هضم المعلومات وتمثلها فى ذهنى.

ومن الناحية اللغوية: نقضى على اللغة العربية بالجمود فيها اذا رفضنا استخدامها فى تدريس العلوم والتقنيات . . فنمو اللغة وتطورها يسير وفقا لقانون الاستعمال والاهمال المعروف فى علوم الحياة والقائل بأن كل عضو يستعمل ينمو ويكبر وكل عضو يهمل يضعف ويضمر . . فاذا استخدمنا اللغة العربية

لاغـراض الحيـاة اليومية واللغة الاجنبية فى تدريس العلوم والمعـارف فان العـربية ستنمو فى جانب منها وتتوقف عن النمو فى جانب آخر. . ان تدريس العلوم والتكنـولـوجيـا باللغة العربية فى جامعاتنا ومعاهدنا وتـدوين نتـائج الابحـاث والتجـارب العلميـة بها سيؤديان حتما الى اثرائها بمصطلحات علمية وتقنية بصورة مستمرة وبتراكيب نحوية مناسبة للاسلوب العلمى.

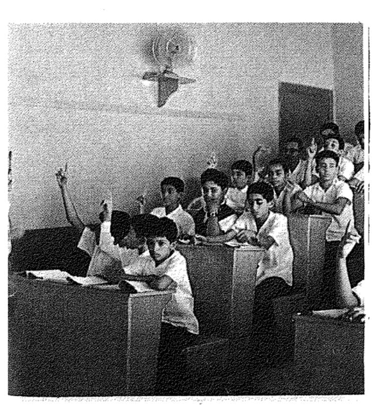
حالة التعريب فى الوطن العربي حاليا :

لقد رزحت معظم البلاد العربية لقرون طويلة تحت الحكم العثـمانى الـذى تبنى فى أواخـر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين سياسة التتريك ففرض اللغة التركية على المدارس الرسمية والاهلية على السـواء ودرست جميع الدروس بما فيها التربية الاسـلاميـة باللغـة التـركية. . وبعد سقوط الحكم العثـمانى تقـاسمت الـدول الاستعـمارية الاوربيـة بريطـانيـة وفـرنسية وايطالية البلاد العربية وفرضت لغاتها عليها فى الادارة والتعليم ولكن الوعى الوطنى المتنـامى فى هذه البلاد أدى الى مكافحة الاستعمار وتحقيق الاستقـلال الـوطنى والعـودة الى اللغـة العـربية. . ولكن هذه العودة الى اللغة العربية فى الادارة والتعليم تفاوتت من بلد عربى الى آخر تاريخا وكما وكيفا. . وبصورة عامة يمكن القول بأن اقطار المشـرق العـربى سبقت اقطار المغرب العربى الى التعـريب وذلـك لاسبـاب عديدة اهمها ان الاقطار العربية فى المشرق حازت على استقلالها فى النصف الاول من هذا القرن فى حين نالت الاقطار العربية فى المغرب استقلالها فى النصف الثانى منه.

ومن ناحية أخرى فان الاستعمار الفرنسى نظر الى أقطار المغرب العربى كجزء من فرنسا وحاول بشتى الـوسـائـل ومختلف الطـرق طمس الثقـافة العربية واحلال الثقافة الفرنسية محلها فحارب اللغة العربية وبذل جهودا جبارة فى سبيل نشر الفرنسية وتمكينها فى هذه البقاع.

ومن ناحيـة ثالثة كانت اقطار المشرق اسبق الى النهضة التربوية الحديثة. . فتوفرت لها أطر وطنية أكثر مما توفرت لاقطار المغرب العربى فقد بدأت البعثات المصرية والسورية تتجه الى أوربا للدراسة منذ مطلع النصف الثانى من القرن التاسع عشر وقد تبع ذلك فتح المدارس والكليات على نطاق واسع.

ولعـل سوريا أول قطر عربى عمم العربية فى جميع مراحـل الـدراسـة وعـرب الادارة والجيش منذ سنة ١٩١٩ وأخذت كليتا الحقوق والطب بدمشق تقدمان الـدروس باللغـة العـربية ومنذ ذلك الحين وجامعة دمشق تستخدم العربية لغة للتدريس.



وفى مصر دخلت الانكليزية مع الاستعمار البريطانى الى المدارس والمعاهد وهكذا كانت الانكليزية لغة التعليم فى مصر لمدة عقدين من ١٨٨٩ الى ١٩٠٨ . . ثم شرع بتعريب التعليم الابتدائى والثانوى الا أن التعليم الجامعى استمر باستخدام اللغة الانكليزية مدة طويلة حتى جاءت الثورة المصرية سنة ١٩٥٢م فشجعت تدريس المواد الانسانية باللغة العربية ومازال كثير من موضوعات العلوم كالطب والهندسة تدرس باللغة الاجنبية .

وفى السودان كانت اللغة الانكليزية لغة الادارة والتعليم حتى نالت البلاد استقلالها عام ١٩٥٦ فعمد الى العربية فى الادارة والتعليم فيما عدا التعليم الجامعى الذى استمر فى استخدام اللغة الاجنبية فى تعليم العلوم والقانون .

وبصورة عامة يمكن تلخيص وضع التعريب فى اقطار المشرق العربى على الوجه الاتى :

(١) تدرس جميع المواد الانسانية والعلمية فى التعليم العام (أى المدارس الابتدائية والثانوية) باللغة العربية .
(٢) تدرس جميع المواد الانسانية فى التعليم العالى (الجامعات والمعاهد العليا) باللغة العربية .
(٣) تدرس المواد العلمية خاصة الطب والهندسة فى التعليم العالى باللغة الانكليزية .
(٤) جميع مراحل التعليم بما فيها التعليم العالى معربة فى سوريا كما بدأ العراق والاردن مؤخراً بتعريب بقية مواد التعليم العالى ويأملان الانتهاء منها قريبا .

اما أقطار المغرب العربى فقد شرعت بالتعريب فور حصولها على الاستقلال ولكن التعريب أصيب بانتكاسات لأسباب متعددة ويمكن تلخيص الوضع فيما يأتى .

١ ـ فى المغرب :

أ ـ جميع المواد الانسانية معربة فى جميع مراحل التعليم (الابتدائى والثانوى والعالى) .
ب ـ المواد العلمية تدرس باللغة الفرنسية فى المدارس الثانوية والجامعات .
ج ـ وضعت وزارة التربية الوطنية وتكوين الاطر خطة لتعريب المواد العلمية وتقضى هذه الخطة بتعريب سنوات التعليم سنة بعد سنة .

٢ ـ فى تونس :

أ ـ تم تعريب جميع المواد الانسانية والعلمية فى المرحلة الابتدائية وأمدها ست سنوات .
ب ـ جميع المواد الانسانية معربة فى التعليم الثانوى والتعليم العالى .
ج ـ تدرس المواد العلمية فى التعليم الثانوى والتعليم العالى باللغة الفرنسية .

٣ ـ فى الجزائر :

أ ـ التعليم الابتدائى والثانوى معرب .
ب ـ توجد شعب معربة وشعب مزدوجة (عربية . . فرنسية) فى التعليم العالى فيما عدا الطب الذى يدرس بالفرنسية (تابع المقال الذى يليه «تعريب التعليم فى الجامعات الجزائرية») .

معوقات التعريب ؛

واذا قادنا الوضع الحالى للتعريب بما كان عليه صبيحة استقلال الاقطار العربية لوجدنا أن هذه الاقطار خطت خطوات هامة فى سبيل تعزيز استقلالها الثقافى واستخدام لغتها القومية ولكننا نلاحظ أيضا أن التعريب قد سار وئيدا وانتكس هنا وهناك وتوقف حينا فما هى الاسباب فى ذلك كله؟

وتتعلق هذه الاسباب بالمقومات الاربعة للعملية التربوية وهى:
«الاستاذ. . الطالب . . الكتاب المدرسى . . لغة التدريس».

١ ـ عدم وجود أطر وطنية معربة للقيام بتدريس الموضوعات المدرسية باللغة العربية. . فقد عمدت السلطات الاستعمارية الفرنسية والانجليزية الى عرقلة تكوين أطر وطنية لتبقى ادارة البلاد وتيسير شؤونها بيد المستعمر ولم تسمح الا بتكوين أطر وطنية ثانوية ومساعدة محدودة كمّاً وكيفا . . وقد تلقت تلك الاطر تكوينها باللغة الاجنبية وهكذا لم يكن فى مقدور البلاد المستقلة حديثا الدخول فى مغامرة تعريب فورى لعدم وجود أطر وطنية وحتى ان وجدت فان تكوينها لم يكن يسمح لها بالتدريس باللغة العربية.

٢ ـ النقص فى الكتاب المدرسى بل قل عدم وجود كتب مدرسية عربية لتدريس الموضوعات المختلفة فى المراحل التعليمية المتباينة ابان استقلال البلاد فالمواد كانت تدرس باللغة الاجنبية والمناهج المدرسية المعتمدة هى الاجنبية بعينها وكانت الكتب المدرسية هى الكتب التى تستعمل فى مدارس المستعمر بذاتها . . وهذه الكتب كتبت بلغة يتناسب مستواها مع أبناء اللغة الاصليين كما تناولت مفاهيم ومشكلات ذات صلة مباشرة بحضارتهم مما ادى الى صعوبة استيعابها من قِبَل أبناء البلاد المستعمرة وهكذا ساهمت هذه الكتب على تضييق التعليم واقتصاره على نخبة محدودة من أبناء البلاد . . ولم يكن بامكان السلطات الوطنية بعد الاستقلال اعداد الكتب المدرسية المطلوبة فى مختلف المراحل التعليمية . . وتباين السنوات الدراسية باللغة العربية بفترة وجيزة بل لم يكن بمستطاعها أن تجد بسهولة مؤلفى هذه الكتب.

٣ ـ ومن ناحية أخرى فان الطالب غير المعرب يجعل من الصعب على المسؤول التربوى اتخاذ قرار بالتعريب الشامل لان هذا الطالب لا يستطيع مواصلة التعليم عند تغير لغته فجأة ولهذا فلابد من تبنى التعريب من المراحل التعليمية الدنيا الى المراحل التعليمية العليا وهذا يتطلب وقتا وتخطيطا.

٤ ـ ولعل لغة التعليم كانت العامل الاساسى فى عرقلة التعريب وتبطيئها. فقد واجه العرب فى القرن العشرين مشكلة توليد مصطلحات علمية وتقنية عربية لسيل المفاهيم الجديدة المتدفق. . وكان تفاقم المشكلة ناجما أساسا عن عدم استخدام العربية فى التعليم والتعلم لاكثر من أربعة قرون وكذلك للتخلف العلمى الذى كانت تعانيه الامة العربية وانعدام البحث العلمى وتوقف حركة الاختراع والابتكار والاكتشاف وحتى المصطلحات العلمية العربية التى كانت مستعملة بغزارة أبان ازدهار الحضارة العربية الاسلامية كانت قد اندثرت وأصبحت فى عداد المفردات اللغوية الميتة أو المهملة. . وبعبارة أخرى فان مدرس العلوم ومؤلف الكتب المدرسية العلمية لا يجدان المصطلحات العربية التى تعبر عن المفاهيم العلمية المطلوبة. . ولهذه المشكلة شقان: **الشق الاول** وضع المصطلحات العلمية وتوليدها **والشق الثانى** تنسيق المصطلحات العلمية وتوحيدها.

وضع المصطلحات العلمية وتوليدها:

تتبع اللغات فى نموها وتطورها وسائل صوتية وصرفية ونحوية ودلالية للتعبير عن المفاهيم المستجدة وتمتاز اللغة العربية بخصائص حضارية واشتقاقية

تمكنها من توليد المصطلحات الجديدة بيسر وسهولة.. ويمكن ايجاز الوسائل اللغوية التى تتبعها اللغة العربية فى توليد المصطلحات بما يأتى:

« **التراث.. الاشتقاق.. المجاز.. الترجمة.. التعريب.. النحت**».

ولعل العربية تنفرد بين اللغات الحية بقدرتها على العودة الى تراثها واستقرائه لاستخلاص بعض المصطلحات العلمية منه.والسبب فى ذلك يعود الى كون اللغة العربية أطول اللغات الحية عمرا ففى حين ان اللغات الحية الحديثة لا يتعدى عمرها قرون معدودة تحسب على اصابع اليد الواحدة تجد أن اللغة العربية الحديثة يمتد عمرها الى أكثر من ألفى عام وفى حين لا يستطيع الانكليزى أن يفهم شعر جوسر الذى توفى عام ١٤٠٠م للبون الشاسع بين اللغة الانكليزية القديمة واللغة الانكليزية الحديثة نجد أن العربى اليوم يقرأ الشعر الجاهلى ويتذوقه ويطرب له.. ومن ناحية أخرى نعلم أن العربية كانت لغة حضارة مزدهرة أثرت الفكر العالمى وأغنت المعرفة الانسانية باسهامها الاصيل فى تطوير المعارف والعلوم.. وهكذا كان لها ثروة هائلة من المصطلحات فى مختلف فروع المعرفة الانسانية كالكيمياء والرياضيات والفلك والفلسفة والاداب والطب والهندسة ومصطلحاتها منبثة فى كتب التراث ومن العبث اضاعة الوقت فى وضع مصطلحات جديدة لهذه المفاهيم كما أن من الافضل استخدام المصطلحات ذاتها من أجل استمرارية العربية ووصل حاضرها بماضيها.

من يضع المصطلح العلمي ؟

ولقد شعرت الاقطار العربية بأهمية تحديث اللغة العربية وجعلها لغة عصرية تستوعب العلوم والتكنولوجيا الحديثة وذلك عن طريق استعارة مفاهيمها ووضع مصطلحات عربية لها تيسر للجماهير العربية استيعابها واستخدامها. فأسست لذلك الغرض المجامع اللغوية والعلمية والمراكز اللسانية التى عهدت اليها مهمة توليد المصطلحات.. فتأسس المجمع العلمى العربى بدمشق (الذى سمى فيما بعد بمجمع اللغة العربية بدمشق) عام ١٩١٩م ومجمع فؤاد الاول (الذى سمى فيما بعد بمجمع اللغة العربية بالقاهرة) عام ١٩٣٦ والمجمع العلمى العراقى عام ١٩٤٧ ومعهد الدراسات والابحاث للتعريب بالرباط عام ١٩٦٠ ومجمع اللغة العربية الاردنى عام ١٩٧٧ والاكاديمية الملكية المغربية عام ١٩٨٠ اضافة الى وجود لجنة للترجمة والتعريب فى كل وزارة من وزارات التربية والتعليم فى جميع الاقطار العربية تقريبا.

وتتبع هذه المؤسسات واللجان الوسائل اللغوية التى مرّ ذكرها فى توليد المصطلحات العلمية الجديدة ولكنها لم تستطع أن تولد مصطلحات تفى بآلاف المفاهيم العلمية والتقنية التى ترد الى البلاد كل عام ولهذا يضطر المؤلفون والاساتذة والمترجمون والصحفيون والمعنيون الى وضع المصطلحات التى يحتاجون اليها بانفسهم دون انتظار النتائج التى تتوصل اليها اللجان المتخصصة فى المجامع العلمية وادى ذلك الى نتيجتين خطيرتين:

أولاهما: تعدد المصطلحات للمفهوم الواحد فى القطر الواحد.

ثانيهما: ازدواجية المصطلح العربى فى موازاة الازدواجية اللغوية التى يعانيها المجتمع العربى.. فانت تجد مصطلحا يستعمله الجمهور وقد لا يكون فصيحا والى جانبه تجد مصطلحا ولده المجمع اللغوى يقبع فى صفحات مجلة المجمع أو منشوراته.

اختلاف فى منهجية وضع المصطلحات:

وعندما نتحدث عن الوسائل اللغوية التى تستخدم فى توليد المصطلحات العلمية الجديدة

كالتراث والاشتقاق والمجاز والترجمة والتعريب والنحت فان ذلك لا يعنى أن هناك منهجية موحدة فى هذا الخصوص فهنالك من المصطلحيين العرب من يصر على توليد المصطلحات عن طريق الاشتقاق والمجاز ويرفض استخدام التعريب بالمرة من أجل الحفاظ على نقاوة اللغة وفصاحتها . . وهنالك من يرى انه لا مندوحة لنا من استخدام التعريب بغزارة من أجل الاسراع فى نقل المفاهيم العلمية المتزايدة وان العربية قد أفادت من الدخيل والمعرب فى مختلف عصورها ولم تشح بوجهها عنها .

وأدى الاختلاف فى المنهجية الى اضطراب فى وضع المصطلحات ادى فى بعض الاحيان الى الترادف حيث يقف المصطلح المشتق والمصطلح المعرب جنبا الى جنب كما فى البرقية والتلغراف والهاتف والتلفون والمذياع والراديو وهكذا .

مشكلة قبول المصطلح وشيوعه :

ان قيام مجمع لغوى او مركز لسانى بتوليد مصطلح علمى أو تقنى لا يعنى بالضرورة قبول الجمهور له وشيوعه فقد يبقى هذا المصطلح حبرا على ورق كما يقولون دون أن يستعمله الناس ويتداولوه ونحن لا نعلم حتى الآن الأسباب الحقيقية لنجاح مصطلح أو فشله . . ولقد اطلعت على رسالة دكتوراه فى جامعة لندن يحاول فيها صاحبها الوقوف على بعض هذه الاسباب . . وقد تناول عدداً من المصطلحات المولدة الشائعة ودقق النظر فيها ليرى الوسيلة اللغوية التى استخدمت فى توليدها وليقف على خصائصها الصوتية والصرفية ولعل من المفيد جدا أن ينظر كذلك فى مدى استخدام وسائل الاعلام كالصحافة والاذاعة والتلفزة لها وكذلك فى مدى مطابقة المدلول اللغوى للمدلول العلمى . . ولنضرب مثلا على ذلك فى كلمات (برقية مقابل تلغراف وهاتف مقابل تلفون وخيالة مقابل سينما) وهى كلمات ولدتها المجامع اللغوية فى أوائل هذا القرن . . نجد أن الناس تقبلوا (برقية) وأخذت تلغراف بالانقراض وتقبلوا هاتف كمرادف لتلفون ونجد هاتين الكلمتين تستعملان معا فى المكان الواحد وفى الوقت نفسه وقد يستعملها الشخص ذاته فى موقفين مختلفين بينما نلاحظ ان الجمهور لم يتقبل كلمة (خيالة) ولم يكتب لها النجاح واستمر الناس باستعمال كلمة (سينما) لوحدها .

●● ويمكن حصر حالات فشل المصطلح المولد فى الشيوع بحالتين :

الحالة الاولى : عندما يولد المجمع اللغوى مصطلحا لمفهوم أو مخترع سبق للناس أن استعملوه واستخدموا اسماً له سواء أكان هذا الاسم دخيلا أو موضوعا . . وهنا قد لا يستطيع الاسم المولد منافسة الاسم الذى سبقه فى الشيوع .

والحالة الثانية : عندما يطرح المجمع اللغوى مصطلحا جديدا لمفهوم أو مخترع لم يسبق للناس أن عرفوه أو سموه مع ذلك لا يحظى هذا المصطلح الجديد بالقبول والشيوع .

■ ولمعالجة الحالة الاولى اقترح بعضهم أن لا نسمح بدخول مخترع جديد مستورد الى اسواقنا قبل أن نضع له اسما فصيحا يدخل معه الى الاسواق فيستعمله الناس من بداية الامر دون أن يطلب اليهم فيما بعد استخدام اسم جديد والتخلى عن الاسم الذى درجوا عليه .

■ ولمعالجة الحالة الثانية اقترح بعضهم أن لا ينفرد اللغوى فى وضع المصطلح العلمى والتقنى وتوليده وانما ينبغى أن يشترك معه فى ذلك كل من المختص والمستهلك لضمان دقة الدلالة العلمية للمصطلح واستحسان مستعمليه له . . وهذا مبدأ بلورته الخبرة وأقرته لجنة المصطلحات فى المنظمة الدولية للمقاييس .



في الجامعات الجزائرية



اللغة من أهم وأخطر الظواهر الاجتماعية لدى الانسانية على الاطلاق.. فلا يمكن تصور أي تعامل بين أصغر مجموعة من الناس دون لغة مشتركة تكون هي أساس هذا التعامل.. واللغة من أخطر الروابط التاريخية التى تصل بين الاجيال والفئات المختلفة.. ذلك أن اللغة هى «**صدى روح الأمة وأصالتها، وهى لسان شخصيتها والضامنة لاستمرارها الروحى، كما قال أحد الفلاسفة الالمان**.

وهى من جانب اخر من أقوى الاسلحة النفسية للسيطرة على الافكار واستمالة النفوس وصبغ الاذهان لانك اذا جعلت أجنبيا يتثقف بلغتك فانك انما جعلته أكثر استعداداً لان يشاركك شعورك وطموحك وعاداتك التى تعلمتها من لغتك.

ولقد تفطن الاوربيون الى ذلك منذ زمن بعيد فأنشأوا مدارس لهم كانت بمثابة الجسر الذى عبرت منه فلول غزو فكرى منظم استهدف العالم الاسلامى على الخصوص.

باللغة استقر فكر المستعمر وحضارته وقوانينه وطريقة تفكيره.. لذلك فان الدول الاستعمارية الغازية عندما عملت على نشر لغتها بين الشعوب المستضعفة لم تفعل ذلك من اجل التفاهم والتقارب ولكنها انما تهدف الى بسط هيمنتها الفكرية والثقافية على مستعمراتها بعد ان تجبر على الانسحاب منها.

كتب مراسل صحيفة لوموند بالجزائر غداة الاستقلال: ان عدد الناطقين بالفرنسية سيتضاعف على عكس ما يعتقده الفرنسيون.. وراح يشرح

نظريته الحالمه بالهيمنة اللغوية وكيف أن الجزائر التى جعلت التعليم مجانا وفتحت المدارس امام جميع التلاميذ الذين بلغوا سن التعليم ستضطر الى تعليمهم باللغة الفرنسية لانها ستعجز لا محالة عن توفير الاعداد الهائله اللازمة من معلمى اللغة العربية للتدريس فى المدارس الابتدائية والثانويات والجامعات والخيار الوارد والمفروض الان هو الاستمرار فى التعليم باللغة الفرنسية مع ادراج ساعات قليلة للغة العربية(١).

ولقد جاء هذا التنبؤ المتفائل بازدهار الفرنسية وثقافتها فى الجزائر نتيجة لاضطهاد اللغة العربية إبان الحكم الفرنسى الاستعمارى الصليبى اذ كانت تعتبر لغة اجنبية فى عقر دارها كما يقول الاستاذ توفيق احمد المدنى رحمه الله بل لقد بلغ الحقد بالسلطات الفرنسية ان منعت رجال الدين من القاء دروسهم الدينية فى المساجد ويطول بنا المقام لو استطردنا فى تصوير المحن التى عاشتها الثقافة العربية فى هذه الفترة الحالكة من تاريخها(٢).

ولولا أن مَنَّ الله على هذا الشعب العربى المسلم الاصيل الذى رفع راية التحرير بالامس ويرفع اليوم راية التعريب أقول لولا رحمة من الله لصدقت مقولة بول بالطا مراسل صحيفه لوموند السالف الذكر ولما وجد للغة القرآن ذكر فى هذا البلد العربى المسلم نسوق هذه الامثله وغيرها كثير لاؤلئك الذين يزعمون أن اللغة لا تعدو أن تكون أداة للتوصيل وأن العبرة بالمحتوى والاتجاه الفكرى غافلين أو متغافلين أهمية اللغة فى تحويل الافكار وفى فرض الهيمنة الثقافية والاقتصادية والاجتماعية.. ان هذه «الاداة» جعلت الشعوب المغزوة تتسابق لشراء جريدة المستعمر وتتابع بلهف وانتظام كل ما يجرى فى بلاده.. ان التبعية اللغوية معناها توجيه افكار وسلوك وأذواق الناطقين بها مباشرة عبر برامج اذاعية وكتب ومجلات وصحف ونشريات.

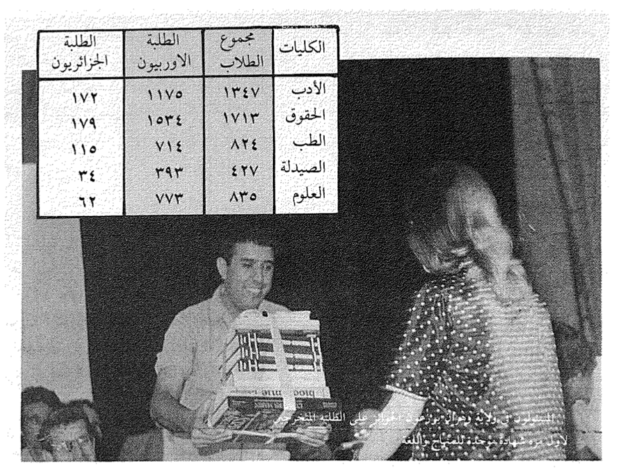
وعلى أية حال فلقد كان موقف الجزائر حاسما فى هذا الموضوع منذ أن بزغ فجر الاستقلال.. اذ أعطت للمؤمنين بعروبتهم وأمتهم ثقة كبيرة حينما جعلت اللغة العربية لغة التدريس فى المدارس الابتدائية والمتوسطة وفى جميع الاقسام الادبية فى التعليم الثانوى مع التعريب التدريجى للاقسام العلمية بحيث سيتم تعريب الثانوى بجميع فروعه فى سنة ١٩٨٩ بحول الله.

ولقد جاءت قرارات اللجنة المركزية لحزب جبهة التحرير الوطنى فى السنوات الاخيرة تجسيدا لرغبة الشعب فى احلال اللغة العربية محلها الطبيعى اذ قررت فى جلستها المنعقدة من ٣ الى ٩ مايو ١٩٨٠ الشروع فى تعميم استعمال اللغة العربية اداه للتعبير فى جميع الهيئات والمؤسسات كما قررت ان تنظم هذه العملية على مراحل: قريبة ومتوسطة وبعيدة المدى وقررت من ناحية ثانية تشجيع البحوث والدراسات اللغوية وتوفير المعاجم والرسائل التعليمية والاسراع بانشاء أكاديمية للبحث اللغوى والترجمة(٣).

حال التعليم الجامعى قبل الاستقلال

عانت الجامعة الجزائرية فى عهد الاحتلال اضعاف ما عانته المؤسسات التعليمية الاخرى ومن باب تحصيل الحاصل القول: ان التعليم بها كان فرنسى القلب والقالب: تخدم بالدرجة الاولى الاغراض التى رسمها المحتلون ويتوجه الى ابناء المعمرين.

وصف جماعة من الطلبة الفرنسيين أوضاع الجامعة اذ ذاك بأنها كانت **«تشبه بطبيعتها اية جامعة اقليمية فى فرنسا من جميع الوجوه وان الطلبة**



الكليات	مجموع الطلاب	الطلبة الاوربيون	الطلبة الجزائريون
الأدب	١٣٤٧	١١٧٥	١٧٢
الحقوق	١٧١٣	١٥٣٤	١٧٩
الطب	٨٢٤	٧١٤	١١٥
الصيدلة	٤٢٧	٣٩٣	٣٤
العلوم	٨٣٥	٧٧٣	٦٢

المسئولون فى ولاية وهران يوزعون الجوائز على الطلبة المتخرجين
لأول مرة شهادة موحدة للصباح واللغة

الجزائريين لم يدمجوا فيها فعليا بل الحقوا كشر لابد منه»(٤).

والقسم العربى الوحيد الذى كان موجوداً قبل الاستقلال فى جامعة الجزائر هو قسم الدراسات الاسلامية كان يحصر اهتمامه فى الغالب فى الدراسات الاستشراقية، وكان أساتذته من المستشرقين الفرنسيين بل ان معظم المواد كانت تدرس فيه باللغة الفرنسية مثل فقه اللغة العربية والادب المقارن والحضاره الاسلامية.

ولذلك لم يكن للغة العربية والادب العربى وتاريخه فى مختلف العصور مكانة معتبرة كما لم يكن للتاريخ الاسلامى حظ يذكر فى هذا القسم(٥).

هذا الجدول الصادر فى عام ١٩٥٤(٦) يوضح نسبة الطلبة الجزائريين الى الاوربيين

نحو تعميم استعمال اللغة العربية

أصبحت اللغة العربية أداة للتعليم فى معظم معاهد العلوم الاجتماعية والانسانية فى الجامعة الجزائرية وذلك بعد سنوات قليلة من الاستقلال خصوصا بعد القرار الوزارى الصادر فى عام ١٩٧١ والقاضى باصلاح التعليم العالى.. فمنذ هذا التاريخ أصبحت اللغة العربية لغة أساسية فى تدريس المناهج المقررة من السنة الاولى الى السنة النهائية وذلك الى جانب اللغة الفرنسية حيث كانت المناهج قسمين: قسم يدرس بالفرنسية مع ادماج مقاييس بالعربية وقسم كان يدرس كليا باللغة العربية.

وقد تخرجت منذ تلك الحين افواج من الاطارات

المعربة للعمل فى التعليم والمؤسسات العمومية وكان من نتائج هذا التعريب الجزئى للعلوم الانسانية أن كفلت الجامعة لنفسها أطرا معربة استطاعت أن تضطلع برسالة التدريس باللغة العربية بعد الحصول على شهادة الليسانس ثم الشهادات الجامعية الاعلى.

هذا فضلا على ضمان نسبة معتبرة من «الجزأرة» فى الاطار الجامعى.

غير أن الشروع فى التعريب الشامل لم يتم الا فى عام ١٩٨٠ بعد قرارات اللجنة المركزية القاضية بالتعريب الكلى للعلوم الاجتماعية والانسانية.

الحقوق.. الاقتصاد.. علم الاجتماع.. التاريخ.. علم النفس الديمغرافيا (علم السكان).

وعلى الرغم من المشاكل الموضوعية التى واجهتها الجامعة فى هذا الشأن فقد استطاعت ان تهيىء الشروط الممكنة لضمان التدريس باللغة العربية فى هذه الفروع مع الحفاظ على المستوى العلمى المطلوب بحيث تخرجت اول دفعة موحدة اللغة وبشهادة الليسانس المعربة فى شهر يونيو ١٩٨٥.. ويعود الفضل فى ذلك الى الجهود الكبيرة التى بذلها الاساتذه المتعربون (من الجزائر ومن البلدان العربية الشقيقة) كما تعود الى حماس الاساتذه المتحدثين أصلا باللغة الفرنسية الى التدريس باللغة(٧) العربية على الرغم من الصعوبات اللسانية التى تواجههم غير ان هناك مقاييس تقنية تدرس حتى الآن بالفرنسية نظرا لعدم وجود اساتذه مختصين فيها سواء فى الجزائر أم فى العالم العربى كبعض مواد الديمغرافيا وعلم النفس الكلينيكى فى معهد العلوم الاجتماعية والاحصاء والاعلام الالى والمحاسبة فى معهد العلوم الاقتصادية.. ونعتقد أن سد هذا النقص لا يأتى فى المدى القريب الا عن طريق عودة الطلبة الموفودين لدراسة هذه الاختصاصات فى الجامعات الاجنبية.

اما فى المعاهد (الكليات) العلمية فقد أدمجت فيها خمس مواد يتلقى من خلالها الطالب معارف فى العلوم والمصطلحات باللغة العربية هذا فضلا عن وجود ليسانس فى علم البيولوجيا معربا تعريبا كليا.

تعريب الاساتذة الناطقين بالفرنسية

يتم تدريس اللغة العربية للاساتذة غير الناطقين بها أما عن طريق المعاهد التى يعملون بها واما عن طريق مركز التعليم المكثف للغات. أما البعثات التى كانت توجه الى المشرق العربى قصد تحسين مستوى هؤلاء الاساتذة فى اللغة العربية فقد عدلت عنها الجامعة لاعتبارات مختلفة تعود بالخصوص الى عدم وجود منهاج أو خطة مرسومة لمتابعة الاستاذ المتعلم فى الجامعة التى أوفد اليها ثم الى كون معظم التخصصات العلمية والتقنية مازالت تدرس باللغات الاجنبية فى البلدان العربية اذ قامت الجزائر بارسال بعثات الى بعض البلدان فى المشرق العربى للاستعانه بهم عند تخرجهم فى تعريب المواد الاجتماعية والعلمية فى الجامعات ولكنهم رجعوا وقد اتقنوا لغات اجنبية أخرى غير اللغة العربية.

وفى ذلك يقول الدكتور أحمد مطلوب:

«وما تزال كثير من الاقطار العربية متمسكة باللغات الاجنبية فى تدريس العلوم لاسباب غير مقنعه علميا.. ولعل تلك الاقطار تحذو حذو زميلاتها التى سارت فى طريق التعريب وقطعت فيه شوطا طويلا(٩).

فالدروس التى يشرف عليها المعهد يتراوح حجمها من ست الى ثمان ساعات اسبوعيا للمستويات الثلاثه: القوى.. المتوسط..


[illegible] من الاساتذة والطلبة فى احدى الحفلات الجامعية

الضعيف . . ويقــوم بهذه الــدروس اما اسـاتـذة الاختصاص من المعاهد المعنية بالنسبة للمستويات القوية واما مدرسون للغة العربية بالنسبة للمستويات الضعيفة .

أما مركـز التعليم المكثف للغات الذى باشر أعماله منـذ عام ١٩٨١م فهـو يشرف اجمالا على تدريس العربية للاساتذه غير العاملين بها وقد تمثلت مهامه فيما يلى :

(١) توفير الاساتذة المختصين من داخل الجامعة وخارجها

(٢) اعـداد مقـررات تتنـاسب مع تخصص الاسـاتـذة المتعلمين ومع مستوياتهم الثقافية .

(٣) التنسيق فيـما بين المعـاهـد وادارة الجامعة لانتداب الاساتذه او تفريغهم جزئيا للدراسة .

(٤) مراقبـة مواظبـة الاسـاتـذة على الـدروس واشعار الجهات المعنية بالتغيبات المسجلة .

أما حجم الساعات التى حددها المركز لدراسة اللغة فيتوزع على النحو التالى :

حجـــم الســـاعات

الدروس	المستوى القومى	المستوى المتوسط	المستوى الضعيف
اللغة العربية	٦	٩	١٢
المصطلحات الخاصة بالاختصاص	٤	٤	—
الاشتراك فى التدريس باللغة العربية	٣	٣	—
المجموع	١٣ ساعة	١٦ ساعة	١٢ ساعة

غير ان المركز يعانى من صعوبات مختلفه أهمها :

(١) قلة الامكانيات البشرية من اساتذة مختصين وقاعات ومكاتب ادارية .

(٢) تعذر انتداب جميع الاساتذة المتعلمين الى الدراسة نتيجـة لانشغـالهم بالتـدريس فى الشعب التى تدرس بالفرنسية او باعداد رسائلهم الجامعية .

(٣) افتقار دروس العربية الى منهجية وخطة خاصة تتناسب مع المستوى الثقافى والتخصص الجامعى للمتعلمين.

(٤) عدم استقرار المسؤولين عن المركز فى مناصبهم لاسباب تعود بالخصوص الى المشاكل المذكورة آنفا.

وهذه بعض الاحصائيات المتعلقة بالنتائج التى حققتها عملية تعريب الاساتذة فى جامعة وهران على سبيل المثال (فى المواد الاجتماعية فقط)

- عدد الاساتذه الذين كانوا يدرسون بالفرنسية قبل عام ١٩٨١ : (١٣٠) أستاذا.
- عدد الاساتذة الذين تحولوا من التعليم بالفرنسية الى التعليم باللغة العربية : (٣٠) أستاذا.
- عدد الاساتذة الذين سيتحولون الى التعليم باللغة العربية فى السنة الجامعية المقبلة : (١٥) أستاذا.
- عدد الاساتذة الذين يتابعون دروسهم فى المستوى القوى: (٢٠) أستاذا.
- عدد الاساتذة المقيدين فى المستوى المتوسط: (٢١) أستاذا.

عدد الاساتذة الذين مازالوا يدرسون فى المستوى الاول: (٢٥) أستاذا.

أما بالنسبة لتعريب الاساتذة بالمعاهد العلمية فتعد الجامعة خطه لتعريبهم وتمكينهم من التدريس باللغة العربية قبل عام ١٩٨٩ وهو العام الذى تستقبل فيه الجامعة تلاميذ الثانوى معربين تعريبا كليا.

تعريب الكتاب الجامعى

لا يمكن لعملية التعريب أن تتم فى الجامعة بنجاح دون أن ترفد بمكتبة تضم عددا كافيا من المؤلفات العربية والمترجمة: كتب .. ومحاضرات مطبوعة .. ومجلات تواكب الركب العلمى المتطور.

ولقد عملت وزارة التعليم العالى فى الجزائر على اصدار كتب علمية متخصصة لتكون سنداً للاساتذة والطلاب فى الدراسات الجامعية وذلك عن طريق الديوان الوطنى للمطبوعات الجامعية.

■ وهذا جدول يبين كيف تطورت حركة تأليف الكتب العلمية وترجمتها من سنة ١٩٧٥ الى سنة ١٩٨٤م حيث بلغ عدد عناوين الكتب المترجمة فقط (١٢٧) مؤلفا: (١٠)

نماذج من الكتب الصادرة بالعربية (مترجمة او مؤلفه أصلا باللغة العربية) عن الديوان الوطنى للمطبوعات الجامعية.

السنة	المؤلفات	العدد الاجمالى للصفحات
١٩٧٥	٧	٢١٨١
١٩٧٦	٦	١١٧١
١٩٧٧	١١	٣١٥١
١٩٧٨	١٦	٥٧٧٤
١٩٧٩	٢٢	٩٩٧٨
١٩٨٠	٢٠	٤٧٦٩
١٩٨١	١٣	٦٨١٢
١٩٨٢	١٧	٣١٨٢
١٩٨٣	٩	٣٨٩٠
١٩٨٤	٦	٢١٦٩
المجموع	١٢٧	٤٣٠٧٧

أولا: علوم الارض:

١ ـ جغرافية السكان.
٢ ـ السكان والاستطانة.
٣ ـ مدخل فى الجغرافيا المناخية والحيوية.

ثانيا: الرياضات:

١ ـ مبادىء التحليل الرياضى.
٢ ـ المدخل الى الجبر الخطى.
٣ ـ الرياضيات العامة وخلافها.

ثالثا: الفيزياء:

١ ـ الميكانيكا.
٢ ـ أسس الميكانيكا التطبيقية.
٣ ـ الذبذبات والامواج وخلافها.

رابعا: الكيمياء:

١ ـ الكيمياء الفيزيائية.
٢ ـ مبادىء الكيمياء الحيوية.
٣ ـ بنية المادة وخلافها.

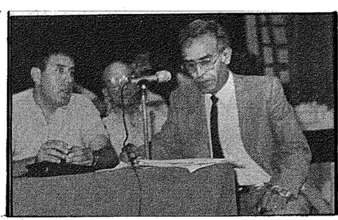
خامسا: الطب:

١ ـ الدراسات العلمية فى بيولوجيا الحيوان.
٢ ـ اسس اجراء العمليات الجراحية.
٣ ـ مبادىء علم الوراثة وخلافها

سادسا: التكنولوجيا:

١ ـ التكنولوجيا: الاقسام الميكانيكية.

نائب مدير الجامعة للدراسات يشرف على تخرج اول دفعة من الطلبة الحاصلين على شهادة اللغة العربية الموحدة



٢ ـ الحدود الوصفية.
٣ ـ مبادىء اساسيه فى الرسم وخلافها.

---

(١) قال وزير فرنسى سابق ردا على مطالبة بعض الصحافيين بقطع العلاقات السياسية مع الجزائر عندما أممت هذه الاخيرة شركات البترول العاملة بالجزائر قال: «ان قطع العلاقات السياسية مع الجزائر سيؤثر على وجود اللغة الفرنسية فى هذا البلد الذى يتوقع أن يقلد النموذج الثقافى الفرنسى الناتج عن انتشار اللغة الفرنسية هناك». انظر مجلة الاصالة عدد ١٨ نوفمبر ١٩٧٤ الجزائر.

(٢) انظر فى هذا الموضوع (هذه هى الجزائر) توفيق احمد المدنى مكتبة النهضة المصرية ص١٤١ وما بعدها. بدون تاريخ والتعليم القومى والشخصية الوطنية ـ د. تركى رابح. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ١٩٧٥ الجزائر ص١٨٨-١٩٤. وفنون النثر الادبى فى الجزائر ـ د. عبد الملك مرتاض ديوان المطبوعات الجامعية ١٩٨٣ ـ الجزائر ص: ٧٨-١٩٨٤.

(٣) جاء فى الميثاق الوطنى «ان الخيار بين اللغة الوطنية ـ اللغة العربية ـ وبين لغة اجنبية أمر غير وارد البتة ولا رجعة فى ذلك ولا يمكن ان يجرى النقاش بعد الان الا فيما يتعلق بالمحتوى والوسائل والمناهج».

(٤) التعليم القومى والشخصية الوطنية ص١٥٢.

(٥) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٦) المرجع السابق عن كتاب الجزائر الثائرة ترجمة علوى الشريف واخرين ـ دار الهلال ١٩٧٥ ص١٢٨.

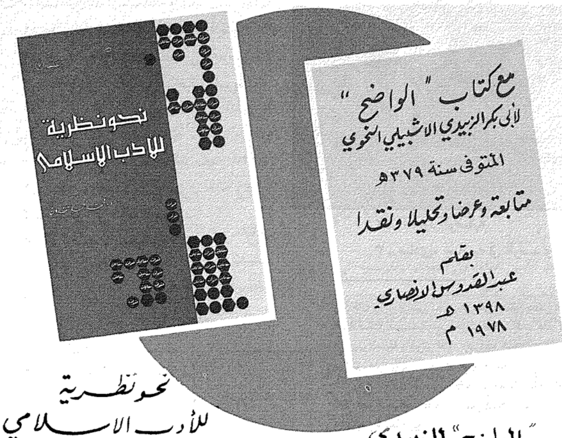
(٧) على نحو ما سنبينه فى احدى الصفحات القادمة.

(٨) زاول معظم هؤلاء الاساتذة دراستهم الابتدائية والثانوية والعالية باللغة الفرنسية لذلك نجد منهم من مازال فى حاجة الى تعلم مبادىء اللغة العربية.

(٩) حركة التعريب فى العراق ـ د. احمد مطلوب ـ معهد البحوث والدراسات العربية بغداد ١٩٨٣ ص ٢١.

(١٠) سلمت لنا هذه الاحصائيات من ادارة الديوان الوطنى للمطبوعات الجامعية

الجديد من الإصدارات



مع كتاب "الواضح" للزبيدي

تزامناً مع الذكرى الرابعة للأستاذ عبد القدوس الأنصارى وعملاً على نشر التراث العربى...

أصدر نادى القصيم الأدبى بالتعاون مع دارة المنهل كتاب: «الواضح لأبى بكر الزبيدى الأشبيلى» تحقيق الدكتور عبد الكريم الخطيب. قام بدراسته وعرضه وتحليله ونقده الأستاذ عبد القدوس الأنصارى. الكتاب دراسات فى علم النحو والصرف وبعض مسائل اللغة..

نحو نظرية للأدب الإسلامي

● محاولة تؤكد أن هذه النظرية يجب أن تقوم على وجدان لا يخلط بين عالمى الغيب والشهادة، وتدرك أثر البناء والمضمون والوعى فى «**إسلامية الأدب**»، مع ضرورة إفراز التراث النقدى العالمى حتى نقيم دعائمها على أساس من التميز والعالمية معاً.

● والمؤلف د. **محمد احمد حمدون** خريج كلية اللغة العربية بالأزهر (**الأول بامتياز مع مرتبة الشرف ١٩٦٥**) وحاصل على الدكتوراه من جامعة تمبل فى أمريكا (**بتقدير ممتاز ١٩٧٧م**) وعضو رابطة العلماء الاجتماعيين المسلمين بأمريكا وكندا (AMSS) وعضو اتحاد أساتذة جامعات كاليفورنيا (CPC) وحاليا أستاذ مساعد الأدب بكلية التربية للبنات بجدة.



إذا الشعر لم يهززك عند سماعه فليس خليقاً أن يقال له شعر

قصائد العدد

العدد الثانى والثلاثون . رجب ١٤٠٧ هـ

محمود عارف



بعد تأمل القصائد المنشورة بالعدد (٤٥١) من مجلة «المنهل» الغراء.. وجدت أن هذه القصائد تضم عدة تجارب شعرية وتبزغ من مشارق متنوعة وتطلع من عدة آفاق، ومن هذه الآفاق الفنية:

أ ـ أفق الوجدان الديني: ومن هذا الأفق تطلع قصيدتان هما «سر الحياة» للشاعر الحسيني عبد العاطي، وقصيدة «وحدي في جنيف» للشاعر عمر بهاء الدين الأميري.

ب ـ أفق الوجدان الذاتي: ومن هذا الأفق تبزغ عدة قصائد دافئة وهي «أغنيات لعينيها» للشاعر يس الفيل، وقصيدة «على ضفاف نهر الراين» للشاعر محمد بن احمد العقيلي، وقصيدة «في كل حال أحبك» للشاعر محجوب موسى، وقصيدة «أحب بكبرياء» للشاعر الدكتور محمد العيد الخطراوي، وقصيدة «رماد القرنفل» للشاعر فريد أبو سعدة.

ج ـ أفق التقدير والتكريم: ومن هذا الأفق تبزغ قصيدتان هما «تحية للمنهل» للشاعر محمد حسن علوى الحداد وقصيدة «عبد القدوس الانصاري في ذكراه» للشاعر الدكتور احمد عامر.

د ـ أفق الوجدان الاجتماعي: ومن هذا الأفق تطل علينا برغم تراكمات الزمن وغيوم التاريخ ناصعة مشرقة قصيدة «أقلي اللوم» لعروة بن الورد الشاعر الجاهلي.

● وإلى هذه الآفاق نرحل.. ومع تلك التجارب نسافر..

لعلنا نرجع وملء حقائبنا الفنية كنوز من المشاعر والأحاسيس تشارك مرة أخرى في تجوالنا عبر العوالم الشعرية المتباعدة.

أ ـ أفق الوجدان الديني.. وقصيدة «سر الحياة» للشاعر الحسيني عبد العاطي تتشكل من نبضات هذا الأفق ويبني الشاعر معمارها الفني من لبناته وهو في هذه التجربة تهوله تقلبات الحياة فيفزع إلى ربه ويعلن أنه لم يقع فريسة التوتر العصري والقلق الوجودي بل يعلن عن هويته قائلا:

لا أرتضي نفساً يمزقها الهوى
أبدا فلست مكبلا مجنونا
أو أنني أمشي بلا هدف سوى
أني أكون الصب والمفتونا

وينطلق الشاعر من دائرة ذاتيته إلى استجلاء معالم القدرة الإلهية في هذا الكون بما يضم من عوالم شتى حتى عوالم النباتات والحيوانات والجمادات.. **«ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير»**.

يقول الشاعر:

وأقمتَ للنمل الضعيف ممالكا
ورفعت للرطب الجنيِّ غصونا
أنت الذي وهبَ الحياة جمالَها
ورعى الجميع تحركا وسكونا



آفاق التجربة الشعرية

مقاربة لقصائد العدد (٤٥١)

د. صابر عبد الدايم   جامعة أم القرى - مكة المكرمة

● والتجربة هنا صيغت فى قالب مباشر والصور الشعرية فيها باهتة. وكان بإمكان الشاعر أن ينزع إلى التأمل فى ملكوت السموات والأرض.. وأن يثرى تجربته بالخيال الشعرى الموحى المحلق وبخاصة إذا كان المضمون سامقاً محلقا كما فى هذه القصيدة وعنوانها «سر الحياة».

وهناك تجاوزات فنية كان بمقدور الشاعر عدم الوقوع فيها لو أنه تأمل وتدبر تجربته ونقحها وهذبها كما كان يفعل كبار الشعراء القدامى.

● فقوله: «جاءوا بكل الهدى كى يهدونا» فيه إسهاب لأن قوله «كى يهدونا» لم يضف جديداً لأن الرسل جاءوا للهدى. فلا ثمرة للتعليل.. وبخاصة أنه بدأ الشطر الأول بقوله: «وهديتنا بالأنبياء جميعهم» فالشطرة الثانية إطناب يضير التجربة ويصيبها بالعطب لأن الشعر كما قال القدماء وأقر بذلك المحدثون.

والشعر لمح تكفى إشارته
وليس بالهذر طولت خطبه

● وقد جانب الشاعر الصواب التعبيرى فى قوله: «وصراطك القدسى سار طريقهم» فالفعل سار لا يفيد معنى التحول - والصواب أن يستعمل الشاعر الفعل «صار» بدلا من «سار»

● ولم يوفق الشاعر فى صياغة هذه الشطرة «وإذا تلوت من الكتاب وآيه» فالتعبير هنا ركيك وبخاصة حين عطف الآى على الكتاب؛ فإذا كان المسلم يتلو من القرآن آيات فكيف يتلو من الآيات؟؟ وأى خواطر وأى شجون يقصدها الشاعر فى قوله:

أسعدتنا يارب بالنور الذى
ملأ القلوب خواطرا وشجونا

والشجون تعنى الأحزان.. والخواطر إذا أطلقت تعنى التشتت. وهل النور الربانى له هذه الآثار غير الحميدة - حاشا الله - إنه النور الذى يغمر الكيان الإنسانى كله. فيضىء البصيرة ويفتح للرؤى نوافذ الإبداع ويأخذ بيد الانسان إلى طريق النجاة من يم الحياة المتلاطم.

● أما قصيدة «وحدى فى جنيف» للشاعر عمر بهاء الدين الأميرى فهى تجربة تأملية منطلقة من منظور إسلامى يرصد الواقع المعاصر ويدين ما فيه من تكالب على المغريات وابتعاد عن طريق الضياء ومن هنا يتولد الشعور بالاغتراب الزمانى والمكانى لدى الشاعر. فهو فى «جنيف» غريب الوجه واليد واللسان.. وعبر عن ذلك فى عنوان القصيدة «وحدى» وموحيات هذا الاغتراب تتجسم فنيا فى هذه المتناقضات التى ألقت بالشاعر فى أتونها فهو بين التأمل والتألم.. وهو حيران غامت فى عينيه كل الأشياء.. ولم يعد يفرق بين الحجاب والنور، وهو يغفو ويصحو ويرحل من دنيا الشعور الى اللا شعور..

● ويفتح الشاعر كتاب المستقبل ويتأمل مستقبل هذا العالم المادى المبتعد عن القيم الإسلامية فيراه بحراً من الظلمات يموج بالظلم المؤجج والشرور، فينطق الشاعر مصوراً هذا العالم.

«الكون بالغربان عج فلا صقور ولا نسور»

● وهذه الرؤية التشاؤمية لم تسلب الشاعر إرادته بل رأى أنه «المسلم» وعليه أن يحمل الأمانة ولذلك قاوم هذا الانهيار والتدنى فى السلوك الإنسانى وبدأ يبنى عالمه ووجوده المؤمن من لبنات الحق والقوة والصدق، ويصور هذه القوة الإيمانية فى قوله:

وحدى تسلقتُ الرياح الهوج سوراً إثر سور
وسمعتُ ثَمَّ هواتف الأقدار: حى على العبور
وفتحت عينى والخلافة فى رؤى أملى الغيور
والروح يقظى والأمانة فى دمى نار ونور

● الشاعر هنا يدافع عن قضية وجوده وعن خلافة الإنسان فى الأرض وعن مقومات هذه الخلافة، وعن أمله فى العبور بالإنسانية من الظلمات إلى النور مدفوعاً بالعهد الذى يطوق عنقه، وبأمر الله له بالجهاد والكفاح. فالأمانة فى دمه نار تبيد أعداء الحق.. ونور يضىء الحياة.

● والقصيدة من الوجهة الفنية مترابطة متماسكة البناء تتسم بالعنصر القصصى.. وألفاظها ثرية بالدلالات والرموز وصورها الشعرية تعتمد على رصد الواقع النفسى والخارجى ولكن يعيب بعضها البعد عن الجدة والابتكار والوقوع فى أسر التقليد فهو يشبه نفسه بالأسد الهصور وهذه صورة لكثرة تداولها أصبحت لا توقظ الحس ولا تنفذ إلى الوجدان.. والشاعر أيضا يتصور العالم بحراً من الظلمات ومثل هذا التصور بهت مدلوله وخبا تأثيره وهو أحيانا يلح على استقصاء الصورة الوصفية لرسم حالته الشعورية فيقع فى تقريرية النثر ويبتعد عن الأجواء الشعرية الموحية كما فى قوله:

أسهو وأصحو والدجى ساج.. وفى نفسى فتور
وأظل فى شبه الكرى متقلبا حتى أخور

هـ ـ **أفق الوجدان الذاتى**: وأول قصيدة تبزغ من هذا الأفق هى «**على ضفاف نهر الراين**» ويخوض فيها الشاعر تجربة غزلية وصفية والوصف غرض قديم لم يعد يحتفظ بذلك البريق الذى كان له فى عصور الشعر الزاهية والشاعر «**محمد بن أحمد العقيلى**» يقف على ضفاف نهر «**الراين**» فى فرنسا ويرى مرائى



الجمال.. ومشاهد الأنس فيخاطب قلبه.. فى مناجاة حالمة:

تأمل جمال الكون أروع ما ترى
وحور حسان النهر سرب يلى سربا
أوانس يوقظن الغرام وإن خبت
شرارته يشببن نار الهوى شبا

والشاعر هنا صادق التجربة برغم أنها تجربة وصفية حسية.. ودلائل هذا الصدق أنه وصف كل ما وقعت عليه عينه من حور حسان.. ورياض.. وربوات.. وحقول.. وبساتين.. وهضاب..

وصياغته لهذه التجربة جاءت فى ثوب كلاسيكى رصين.. ومجال الوصف لا يحتمل هذه الفخامة اللفظية.. وهذه النبرة الإيقاعية، فحركة الموج المنسابة ووثبات الغيد الحسان، وتوسدهن للعشب النضير.. وكل هذه المرائى الحالمة يكون التعبير عنها بأسلوب يذوب رقة ويقطر حنانا وينساب ايقاعاً ويرفرف صوراً موشاة حالمة.

ومن الصور الشعرية الطريفة فى هذه القصيدة قول الشاعر.. وهو يستوحى روح ابن المعتز وابن زيدون تثاءبت الخلجان فابتسمتْ لها.. ثغور وزهور الورد مزهوة عجبا.

وتلك الروابى الناعسات عشية
تموج اخضراراً كالخضم إذا عبَّا
وفى غفوة الغيم الرقيق وضحوه
مناظر تستهوى اللواحظ واللبّا

● ويحمد للشاعر أنه لم يغرق من رأسه حتى قدميه فى مفاتن هذه المرائى المغرية حيث يحدد موقفه قائلا:



صرفت عرام النفس عنها تعففاً
وتقوى وخوفاً من مآب ومن عقبى

● وتنطوى القصيدة على عدة مثالب لغوية وفنية منها قوله فى البيت الأول:

على الرين يا قلبى وجدت لك الحبا
فارشف رحيقاً من رضاب اللمى عذبا

● فالقصيدة من بحر «الطويل» وتفاعيله: **فعولن.. مفاعيلن.. فعولن مفاعلن**.. والشطرة الثانية مثلها مع بعض التنويعات فى الأعاريض والأضرب، والشطرة الثانية خالفت هذا الوزن الشعرى فلكى يستقيم الوزن يضطر القارىء إلى إظهار الهمزة يرغم أنها همزة وصل.. وكذلك يضطر إلى تسكين الفاء بدون مبرر نحوى ويمكن أن نقول مع التحفظ إن البيت حدث فيه «خرم» والتفعيلة أصبحت عُولُنْ.. بدلا من فعولُنْ.. والخرم نادر الوجود فى الشعر القديم.. وقد شدد الشاعر حرف الميم فى لفظ الفم حتى يستقيم الوزن.. وهذا لا يجوز.. فالشاعر المطبوع لا يخضع للضرورات الشعرية «**تدانى جناها يفعم الفم والقلبا**».

● ومن هذه المثالب قوله: «**صواهل خيل فى الوغى احتمت غضبا**» حيث اضطر الشاعر إلى إظهار همزة الوصل فى قوله «**احتمت**» حتى يستقيم الوزن الشعرى؛ وفى قوله «**نشاوى يرنحها النسيم إذا هبّا**» خروج على الوزن المعهود لبحر الطويل؟ فقوله يرنحها على وزن مفاعلن.. وليست على وزن مفاعيلن؛ ولا يجوز تسكين الحاء.

● ومن المثالب الفنية تشبيه الشاعر لذراعى الفتاة بالسيفين الهنديين.. وأى علاقة حسية وشعورية بين طرفى هذه الصورة إن عنترة بن شداد خاض تجربة الحب والحرب فى لحظة واحدة ولذلك قال:

وودت تقبيل السيوف لأنها
لمعت كبارق ثغرك المتبسم

● فإذا كانت هذه الصورة تتسم بالأصالة فى شعر عنترة فهى عند «العقيلى» صورة تقليدية غير موحية.

يقول الشاعر:

توسدت العشب النضير وأشرعت
ذراعين كالسيفين هندية عضبا

● أما قصيدة: «**أحب بكبرياء**» للشاعر الدكتور محمد الخطراوى فقد صيغت فى قالب حوارى وفيها صوتان متضادان.. كل منهما يرى الحب من منظوره الخاص.. هى تراه فى إذلال المحب والسيطرة عليه وهو يراه عزة وكبرياء ومنعة ويعبر الشاعر عن رؤيته للحب قائلا:

سلام على الدنيا إذا لم أعش بها
كريما وبئس الحب يرتع فى الذلِّ

● وهى من واقع غرورها وإغرائها تقول:

وقلبى ربيع مورق متوثب
ينام بصدرى ناعم البال كالطفل

● فيرد الشاعر عليها وهو صوت آدم الموجه إلى «حواء» الأنثى:

طردتك من قلبى وطهرت ساحه
بأيامى الخضراء فى أعين الطل

● وهذه الصيغة الحوارية أضفت على القصيدة طابعا قصصيا.. وصبغتها بعنصر التشويق. وهى تتميز عن قصيدة «العقيلى» بعمق العاطفة وصفاء الشعور وإباء المحب وكلاهما من بحر الطويل والصور الجزئية تغمر قصيدة الدكتور الخطراوى مثل قوله:

وقلبى ربيع مورق متوثب
ينام بصدرى ناعم البال كالطفل

وقوله:

ومزقت أحلامى على مذبح القول
قبرت مشاعرى ذبحت أحاسيسى

● ونزعة الفخر فى ختام القصيدة أطفأت من وهجها الشعرى وتحولت بالتجربة الى مسار آخر بعيد عن لغة الوجدان وكذلك أغرق الشاعر فى رومانسيته حين وصل به كبرياؤه إلى هذا الموقف:

أقلى فإنى قد قبرت مشاعرى
ذبحت أحاسيسى أسفت على قولى

●● أما قصيدة الشاعر محجوب موسى «**فى كل حال أحبك**» فهى على النقيض من قصيدة الدكتور الخطراوى، فالخطراوى لا يحبها إلا طائعة مستسلمة ولا يتنازل عن كبريائه بل يفتخر عليها بأصوله وأمجاده؛ أما «محجوب موسى» فهو يحبها فى كل أحوالها ولا يقدم شروطاً لذلك الحب:

أنا ما عشقتك وفق شروط
فما الحب بالصفقة الرابية

ويقول:

أحـــبـــك قاتـــلة ضاريـــة
وأهـــواك عاصـــفـــة عاتـــيـــة
وأنـــت كما أنـــت مهـــما يكـــن
أحـــبـــك قاصـــيـــة دانـــيـــة

● والشاعر «محجوب موسى» عهدى به قوى طموح يحب صعود الجبال ويأبى أن يعيش فى الظل بين الحفر وظنى به أنه يضع قيمة الحب فوق أى انفعالات طارئة وأى جراحات ذاتية وفى ضوء هذا يمكن أن نفسر موقفه من هذه المحبوبة القاتلة الضارية والعاصفة العاتية والقاصية الدانية ويمكن أن تتجاوز هذه المحبوبة دائرة الذاتية لتصبح قيمة انسانية أو عاطفة قومية تتجه بكل الإصرار إلى بيئتها وموطنها منتصرة على كل المثبطات ومتخطية لجميع الحواجز. . أو أن شاعرنا يسير فى ظل القول القديم «حبك الشيىء يعمى ويصم»

● والشاعر برغم تمكنه اللغوى والعروضى وممارساته النقدية أحيانا لم يسلم من بعض العثرات ولكل جواد كبوة فقصيدته يبدو أنها من أوليات تجاربه الشعرية فليس فيها ذلك العمق الذى تتسم به أشعاره الأخرى، وقد جانبه الصواب فى قوله: «فما الحب إن لم يكن غافرا» حيث أدغم أداة الشرط فى أداة الجزم وكتبها هكذا «إلَّم» ولا أدرى لماذا لجأ إلى ذلك فالوزن مستقيم فى كلتا الحالتين. . فالقصيدة من بحر «المتقارب» والقافية أحياناً تأتى بلا ثمرة فنية كقوله «أحن من البرء والعافية» فكلمة «العافية» جاءت تكميلا للبيت واضطرته القافية إلى ذلك فالبرء والعافية بمعنى واحد.

●● والشاعر «يس الفيل» يلتقى فى قصيدته «أغنيات لعينيها» مع الشاعر محجوب موسى فهما محبان فى كل حال وهما يسموان بالحب عن قيود الشروط. . ولكن «يس الفيل» يدفعه الوفاء إلى الحب لأن الحبيبة غابت شمسها عن أفق حياته ولم تعد إلا صدى فى جنانه. . و«محجوب موسى» يشتاق للحبيبة الثائرة العاصفة. . وهو يقابل هذه الثورة بالحنان الوثير حفاظا على الحب. . وتجربة «يس الفيل» أعمق وأصدق وأنفذ شعوراً وأرق عاطفة. . وهى فى دائرتها الوجدانية من أرق وأصدق القصائد الموجودة فى هذا العدد من المنهل العذب؛ ويلتقى «يس الفيل» مع الدكتور الخطراوى فى نزعة الكبرياء ولكن شتان ما بينهما. . فكبرياء الدكتور الخطراوى تدفعه اليه الرغبة فى الثأر. . ومحاولة الرد على الاتهام الموجه إليه بأنه يلعب بالنار؛ وما أشبهه فى هذا بكبرياء المتنبى وهو فى عمومه يبُعد الانسان عن منابع الحب وروافده؛ أما كبرياء «يس الفيل» فهو بدافع من عاطفة القرب وارتعاشات الشوق. . وعدم الاستسلام للحزن والمعوقات التى تحاول تمزيق شرايين العاطفة المتوقدة.

● والمحبوبه عند «يس الفيل» تصبح رمزاً للعطاء واخضرار الزمان. . إنه يصور محبوبته الغائبة تصويراً يزرع الأمل فى نفسه بأنها مازالت فى كيانه تتراءى له فى مرائى الحياة ومظاهر الطبيعة. . يقول:

أراك على شرفـات الـصـبـاح
سنـابـل تهفـو ليـوم الـعطـاء
فيـورق بين يدى الأمـان
ويـنـسـل من مهـجـتـى ألـف داء

● ولغة «يس الفيل» الشعرية فيها عذوبة وإيحاء وصوره جزئية يؤازر بعضها البعض الآخر. يقول:

ونـحـن الـلذان انطـلقـنـا فراشـا
جريئـاً يرفـرف حول الـضـيـاء
فما ارتـاع فى الـقـاع منـا ذراع
ولا ضل عبر الـصـحـارى نداء

● وكما قلت «لكل جواد كبوة» . . فقد كبا جواد «يس الفيل» اللغوى فى وهدة لغوية وقد تكررت هذه الكبوة ثلاث مرات فى قوله «ونحن اللذان» فالضمير «نحن» ضمير رفع منفصل لجمع المتكلمين. . واللذان: اسم موصول للمثنى المذكر؛ فكيف يستقيم التركيب اللغوى مع هذا الخلط فى الاستعمال. . ولو قال «ونحن اللذين» أو ونحن اللذون. . لكان التعبير مستساغاً ومقبولا نحويا. .

● والجزء الثانى من القصيدة من البيت الرابع عشر إلى الحادى والعشرين لم يضف إلى بناء التجربة لبنة مؤثرة بل أضعف نبضها وقلل من كثافتها والشاعر فى هذا أشبه بالفارس الذى أتعب نفسه حتى تصبب عرقا فظل يدور بجواده حول نفسه وما أروعه لو توقف عند هذا البيت:

هو الـحـب كم يصـنـع المـعـجـزات
وكـم يتـخطـى حدود الـفـنـاء

● وتأتى قصيدة «رماد القرنفل» للشاعر فريد أبو سعدة نجمة متألقة تبزغ من أفق الوجدان الذاتى وهى لها خصوصيتها رؤية وأداء فقد صاغها الشاعر فى قالب شعر التفعيلة وحرص على الايقاع الممتد والصورة المتنامية مما كثف الرؤية الشعرية فيها. فرؤية الشاعر تنطلق من عاطفة الحزن والقلق والتوتر والانتصار على دواعى اليأس.. وهو لم يقع فى أسر المباشرة والتقريرية بل وظف الوسائل اللغوية والصور الشعرية والعلاقات الجديدة بين الألفاظ فى اكتساب النص أبعاداً جمالية جديدة؛ فتكرار الاستفهام والوقوع تحت ضغط اللبنات المتضادة من الورود والشظايا.. يجسم حيرة الشاعر وقلقه وتوتره.

● إنه ينادى فى حيرة:

أعاشقة أنت أم وردة وشظايا؟؟
رميت قرنفلة الوقت فى النار
ماذا تبقى سوى وردة من رماد المحبين
تصرخ داخلة فى المرايا

● والشاعر «فريد أبو سعدة» يلتقى فى عاطفته وتجربته مع الدكتور الخطراوى ومع «يس الفيل» ولكنه يختلف عنهما رؤية وأداء نظراً لاختلاف الصيغة الشعرية.. فجانب الايحاء والتكثيف يعطى لقصيدة «فريد أبو سعدة» طعماً متميزاً.. وكنت أود أن يسير الشاعر فى قصيدته على نظام إيقاعى متناسق فهو تارة يتبع السطر الشعرى وتارة يصوغ بعض مقاطع القصيدة فى شكل «التدوير» فنحسبها من القصائد المدورة..

وفى تصويره للوجه الآخر من تجربته يقول: «تنامين حقلا من القمح والورد يغرى الطيور سوايا» والقمح عطاء محبب ورمز الاستمرار والخصوبة والسعادة وكذلك الورد من شذاه تتفتح نوافذ الحياة فكيف تصبح المرأة التى تفر حافية للأغانى البليدة مشكلة من هذه الصورة المحببة وبخاصة أنها أصبحت مستباحة لكل الطيور... إن الصورة هنا تحتاج إلى تأمل فنى أكثر هدوءاً.. وأعمق تصوراً وأشمل رؤية.

ج ـ <u>أفق التقدير والتكريم</u>: ومن هذا الأفق تبزغ قصيدتا الشاعرين محمد حسن علوى الحداد؛ ود/ أحمد عامر حيث يجمعهما غرض واحد هو الإشادة بالدور الريادى لمجلة المنهل ومؤسسها العلامة الأستاذ/ عبد القدوس الأنصارى وهى مشاعر حميدة وأحاسيس صادقة ورصد لما قدمته المجلة ومؤسسها ومن بعده أبناؤه الكرام من زاد فكرى وغذاء روحى ومحاولة جادة لنشر الثقافة العربية الإسلامية والشاعر الحداد يبدأ قصيدته باستهلال بارع قائلا:

يا أيها الظمآن هذا المنهل
من نبعه الصافى نعل وننهل
ينبوع علم لم يزل متدفقاً
منه ارتوى فكر وأخصب ممحل

● ود/ أحمد عامر يفصل ما أجمله «الحداد» فيخاطب الرائد الأديب عبد القدوس الأنصارى:

فقهاؤنا جاءوك طلابا وفيضك ما نضب
وجدوا بمنهلك الرواء فعش على مر الحقب

د ـ <u>أفق الوجدان الاجتماعى</u>: ومن هذا الأفق تشرق قصيدة «أقلى اللوم» لعروة بن الورد وهى أم قصائد هذا العدد فهى إحدى الوجبات الدسمة التى يقدمها المنهل إلى قرائه.. وهذه القصيدة عدها النقاد القدامى من «المنتقيات» وهى موجهة من عروة بن الورد إلى امرأته سلمى التى تلومه كثيراً على كثرة مخاطراته ومغامراته فى الغزوات.. وهو لا يستطيع القعود لأنه عليه واجبات وحقوق لأقربائه المحتاجين من قبيلته وعروة يعطى بسلوكه نموذجا إيجابيا لحياة الصعاليك فقد كان يلقب بعروة الصعاليك لأنه كان كالرئيس عليهم ويقول الحطيئة «كنا نأتم بشعر عروة بن الورد» ولا غرو فقد كان شاعراً فارساً وفى قصيدته هذه يصور نموذجين من الصعاليك أحدهما مرفوض لأنه ضعيف الهمة.. والآخر له دوره الإيجابى فى مساعدة الفقراء والمعوزين والنموذج الأول تحدده الأبيات من (١٣ـ١٧) والنموذج الثانى تحدده الأبيات من (٢٠ـ٢١) والقصيدة فى حاجة إلى إضاءات لغوية ومعنوية وبيئية لا يتسع المجال للتفصيل فيها.. ويا حبذا لو صاحبت هذه الاضاءات القصيدة المختارة ووضحت فى الهامش المعانى اللغوية.

● وبعد: فهذه مقاربة سريعة خاطفة لقصائد العدد ٤٥١ من مجلة المنهل الغراء وفى الحقيقة ان كل قصيدة تحتاج لدراسة خاصة ترصد أبعادها الفكرية والجمالية وتنفذ إلى صميم التجربة وتتعرف على موقع النص من خريطة الحياة الأدبية ومدى تجاوزه لما هو كائن أو مدى وقوفه عند باب إبداعى محدد.



ورحـ



نورُ الهدايةِ فى أعماقِنَا سُكبا
ومارِدُ الاثمِ عن أرواحِنا غربا
كُنَّا كساعة بندول مؤرجحة
لا الإثمُ ساد ولا الايمانُ قد غلبا
فساعةً يملكُ الشيطانُ أنفسنا
فلا نُرُدُّ له أمراً إذا طلبا

وساعةً يأسِرُ الايمانُ مهجتنا
والقلبُ نلقاه من أدواحِه اقتربا
فنحنُ صرعى رياح الشَّك ليس بنا
إلا بقايا يقين صار مُنسحِبا

نظلُّ نبحثُ والأوهامُ تقتُلُنا
والشكُّ يعصرُ حسّاً [illegible]
نغوصُ نبحثُ عن دُرِّ الحقيقة [illegible]
قاع المحيط ولا [illegible]

نرتدُّ واليأسُ أسرابٌ بأضلعنا
أعصابُنا لم نعُد [illegible]
وبينما نحنُ فى لُجَّات حِيرتنا
نُصارِعُ الموج منّا [illegible]
نلقى ضياك رسولَ اللهِ ينقذُنا
من لُجَّة الشَّكِّ إذْ قد [illegible]
هناك نلقاك حُبّاً لا حدود [illegible]
يطيرُ بالروح حتى [illegible]

والروحُ تسبحُ فى الأسرار صادحةً
هنا الخلودُ لمن من أحمد اقتربا
فنُورُهُ من سنا الرَّحمن مقتبسٌ
على مدى الدَّهْر والأيَّام ما احتجبا
وذكرُهُ من جلال الله هيبتُهُ
فى الجاه والحُكم والسلطان ما رغبا
هو الفقيرُ ويأبى أن تكون له
جبالُ مكة فى دُنيا الورى ذهبا
فنفسُهُ من صفاء الخلد معدنها
واللهُ أغناه بالقرآن حين أبى

فإن مشى كان قرآنا جوانبُهُ
تفيضُ بالذكر للقلب الذى نضبا
وإنْ تحدَّث فالآيات منطقُهُ
تردُّ للكبد [illegible] قد سُلبا

وفى تواضعه أسرارُ روعته
هو النبىُّ ولكنْ [illegible] الحطبا
وفى تسامُحِه أسرارُ هيبته
والحبُّ فى الله [illegible]

وفى تعاطفه [illegible] قوَّته
قد [illegible] بالإقناع [illegible]
[illegible]

ـــــلة اليقين

هو الحقيقة فى أسمى مراتبها
وإن تبدّت غدت لا تعرف الرُّتبا
هو الضياء الذى ماجت أشعّتهُ
بالنّفس حتى غدت لا تعرف الوصبا

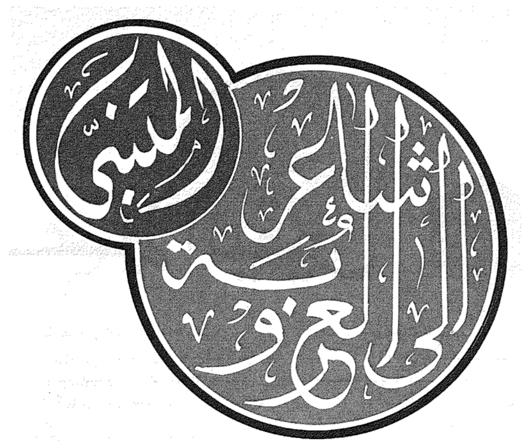
يا رحمة مزّقت أنوارها سدفاً
من الضلال وشادت كلّ ما كُتبا
قد كنتَ فى حُلم الانسانِ أمنيةً
وطالما لمناه الصَّعب قد ركبا

وطالما شقيت أحلامُه وقست
أيامُهُ وغدا لا يعرفُ اللّقبا
[illegible] بالظلم وانطفأت
شموعُهُ وغدت أعماقُه [illegible]
[illegible] السمحاء وارفة
ظلالها فجنينا الشهد والعنبا

وبين أيديك ألفينا حقيقتنا
بعد الضياع وكان الكلُّ مغتربا
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

وغرّدتْ مُهجةُ الدُّنيا لِمَقْدَمِكُم
فحين جئتَ اليها زدتها حسبا
صببتَ فيها عُطورَ الحبِّ فانبثقت
أفراحُها بعد ما أنسيتها التَّعبا
يا سيِّد الكونِ يا مُختارُ لى أملٌ
أن يغدوَ القلبُ للمختارِ مُنتسبا
فأمةُ الحقِّ تاهتْ عنْ معالِمِها
والدينُ أصبح معزولا ومجتَنَبَا
والهدْىُ أصبح أشلاء مبعثرة
وقد تناساه قومٌ ألْهوا النُّصُبا
فادرك الأمةَ الحَيْرى وردَّ لها
[illegible]ـها وأزل عن قلبها الحُجُبا
أعِدْ إليها أبا الخطاب مُتشحاً
بالعدلِ والحزم حتى يُحدث العجبا
أعد إليها أبا بكر وخالدها
[illegible]ـوا صدعها إذ أصبحت شُعبا
[illegible] عليها أنت كوكبُها
وطالما الليلُ من أنوارِكُمْ هربا
[illegible] النورُ فيها بعض آونة
[illegible] نورك يا مختارُ ما احتجبا
نورُ [illegible] فى أعماقنا سُكبا
[illegible]ـاردُ الإثم عن أرواحنا غربا
[illegible] فى الأسرار صادحة
[illegible] الخلودُ لمن مِنْ أحمد اقتربا

ــتار



شعر: عبدالله حمد الحقيل - الرياض

أشـاعِـرَنـا جئـتَ بالمـعـجزاتِ
وذِكـرُكَ فى الكـونِ يسمـو ذيُـوعـا
ركـبـتَ الـصـعـابَ فذلـلتـهـا
ولم يكُ شيئـا عليـك منـيِـعَـا
يمـرُّ عليـكَ الـزمـا ن وتـبـ
ـقـى مُـنيراً وروضـاً بديـعـا
ملأتَ الـدهـورَ أديـبـاً عظـيـمـاً
كشـمسِ النهـارِ لدينـا سُطُـوعَـا
تصـارعُ ريحـاً شديـدَ الهـبـ
ـوبِ بدهـرٍ عصـيٍّ أبى أن يُطيعِـا
قريـضُـكَ من عبـقـرٍ نابـع
وهـل أنت إلا البـليـغ الضـليعـا

وذكـرُكَ فى الـدَّهْـر نفـح الخـزا
مى كأنَّـك منهـا تشـمُّ الـربيـعـا
قهـرتَ الخـصـوم بنـحـث بليـغ
ولـسـنـا نرى لك نِدّاً قريـعـا
أديـب الـعـروبـة فهـا أضـا
ت لنـا بدروب القـريض الشمـوعـا
ومـا الـكـونُ والـسـاكـنـوه لعمـ
ـرى لقـولـك إلا بصـيرا سميعـا
أخـذتَ الـصـدارة عن قدرةٍ
وحُـزت على الـكُـلِّ مجداً رفيعـا
ومـا كفـروا بِكَ يا أحـمـدا
مقـامـا ولم تنس يومـا صنيـعـا

رحلة في زورق اليأس

شعر : حسين احمد النجمي - أبها

تموتُ فى نبراتِ الحزنِ آهاتى
وتزدهى فى فم الترنيم أنّاتِى
ويستفيقُ بقلبى همسُ أمنيةٍ
ثارتْ لتخنق بالأحزانِ أصواتِى
وصورة اليأسِ في عينى شاخصة
لكى تُرينى جراحَ الأمسِ فى الآتى
تُجسِّدُ الفجرَ أحلاماً ممزقة
وتفرغُ الألم المشبوبَ فى ذاتِى

فتبحرُ الروحُ بين الموج هائمةً
تحطُّ فى شاطىء الأحلام مِرساتِى
لكن مجدافي المكسور يخذلنى
واليمُّ يأخذُنى فى موجه العاتى
يضمُّنى البحرُ فى عينيه يسألنى
هديرُ أمواجه عن لون مأساتى
أجبتُ يا بحرُ آلامى تؤرقُنى
وتعكسُ اليأسَ فى أحداقِ مِرآتِى
وتزدرينى جراحُ العمرِ فى لجج
لترسم الحزن فى أعماقِ لوحاتى
فإن تلاشَتْ بليل الحزنِ أغنيتى
فسوف تبعثها فى الكونِ أبياتى



شعر : عمر بهاء الدين الاميرى   الرباط

كان الشاعر يصطاف مع أسرته فى أحد المصايف اللبنانية (قُرْنايلْ) ولما اقترب موعد افتتاح المدارس تركت الأسرة المصيف وعادت الى حلب وبقى الشاعر بعدها اياما وحده ينظر الى آثارهم وتأبى عليه نفسه أن يمسحها أو يزيلها من مكانها بل على العكس إنه راح يتقراها بيديه ويمسح عليها بعينيه ويضعها على قلبه . . ويمزجها بدموعه الفياضة . . ولقد أوحى إليه ذلك كله بهذه الرائعة الخالدة :

ايـنَ الـضـجـيـجُ الـعـذبُ والشغبُ
أيـنَ الـتّـدارُسُ شابَـهُ الـلّعِـبُ
أيـن الطُّـفـولـةُ فى توقّـدهـا
أيـن الـدُّمى فى الأرضِ والـكـتـبُ
أيـن الـتـشـاكسُ دونـما غرض
أيـن الـتّـشـاكـى ما له سببُ
أيـن الـتّـبـاكى والـتضـاحـكُ فى
وقـت معـاً والـحـزن والطَّـربُ
أيـن الـتّـسـابـقُ فى مجاورتـى
شغـفـاً إذا أكـلُوا وإنْ شربُـوا
يتـزاحـمُـون على مُجالـسـتـى
والـقُـربِ منى حيثُـما انقلبـوا
يتـوجَّـهُـون بسـوقِ فطـرتهم
نحـوى إذا رغِـبُـوا وإن رهـبـوا
فنـشـيـدُهـم «بـابـا» إذا فرحـوا
ووعـيـدُهـم «بابـا» إذا غضـبـوا
وهتـافُـهُـم «بـابـا» إذا ابـتـعـدوا
ونـجـيُّـهُـم «بـابـا» إذا اقـتَرَبُـوا

* * *

بالأمس كانُـوا ملء منـزلـنـا
والـيـومَ ويـح الـيـوم قد ذهبُـوا
وكأنـما الـصـمـتُ الـذى هبطت
أثـقـالُـهُ فى الـدّار إذ غربُـوا
إغـفـاءة الـمـحـمـوم هَدْأتُهـا
فيـهـا يشـيـعُ الهـمُّ والـتّـعَـبُ
ذهبُـوا أجـل ذهبُـوا ومسكـنُـهُـمُ
فى الـقـلـب ماشطُـوا . . ومـا قرُبـوا
إنـى أراهـم أيـنـما الـتـفـتـتْ
نفـسـى وقـد سكـنُـوا وقـد وثـبُـوا
وأحس فى خلدى تلاعُـبـهُـم
فى الـدّار ليس ينالُـهم نصبُ



وبـريـق أعـيـنـهـم إذا ظفـرُوا
ودمـوع حرقـتـهـم إذا غُلبُـوا
فى كلِّ رُكـنٍ منهُـمُ أثـرٌ
وبـكـلِّ زاويـةٍ لهُمْ صخـبُ
فى النَّـافِـذاتِ زجـاجُها حطمُـوا
فى الحـائـطِ المـدهـونِ قد ثقـبُوا
فى الـبـاب قد كسـرُوا مزالجـه
وعـليـهِ قد رسـمُـوا وقـد كتبُـوا
فى الـصَّـحْـن فيـه بعضُ ما أكلُوا
فى عُلبـة الحـلوى الـتـى نهبُـوا
فى الـشَّطْـر من تفَّـاحـة قضمُـوا
فى فضـلة المـاء الـتـى سكـبُـوا
إنِّـى أراهُـمْ حيـثُـما اتجـهـتْ
عيـنـى كأسـراب الـقطـا سربُـوا
بالأمسِ فى «قـرنـايـل» نزلـوا
والـيـوم ضمَّـتـهُـم حلبُ
دمـعِـى الـذى كتَّـمـتُـهُ جلداً
لمَّا تبـاكـو عـنـدمـا ركـبُـوا
حتـى إذا ساروا وقـد نزعُـوا
من أضـلُعـى قلبـاً بهم يجبُ
ألـفـيـتـنـى كالطِّـفـلِ عاطـفـة
فإذا به كالـغـيـثِ يـنـسـكِـبُ
قد يـعـجـبُ الـعُـذَّالُ مِنْ رجَـلٍ
يبـكـى ولـو لم أبـك فالـعـجـبُ
هيـهـات ما كلُّ الـبُـكـا خورٌ
إنِّـى وبـى عزمُ الـرِّجـالِ أبُ



جاءت تسيرُ على أهداب أشعارى
تدنُو .. تُهدهِدُها أنّاتُ قيثارى
العطرُ نكهتُها والسحرُ ضحكتُها
والرقصُ خطوتُها يا بؤس أقدارى

قالت أحِبُّكَ .. قلتُ الحبُّ يا نغمى
نارٌ .. وأخشى عليك الخوضَ فى النارِ
لا .. لن تكونى لقلبٍ جاعَ مائدة
صونى صباكِ فما أرضاكِ للعارِ

لا تُكبرينى كأنى فى الهوى ملكٌ
أنا الصغيرُ وإن أدمنْتِ إكبارى
لا .. لَنْ تكُونى لقلبى لعبةً أبداً
ولا أريدُكِ قُرباناً لأوْزارِى

هذا البريقُ الذى أغراكِ من ألقى
ألهاكِ أن تلحظى حُزنى وأكدارى
أنا ابنُ خمسينَ لا تنسىْ.. يقرِّبُنى
الى النهايةِ.. ما أقبلت إدبارى

شاخ الزمانُ على قلبى فأوهنهُ
وأخرسَ الدهرُ قيثارى ومزمارِى
الحزنُ فى أضلُعى غاصتْ أظافرُه
واستوطن السهدُ أحداقى وأنظارى
سيرى .. دعينى ولا تأسىْ على رجُل
أفضَى بِهِ اليأسُ من دنياكِ للنار

لا لن تكُونى لروضى زهرة عبقتْ
بالعطر.. كم ذبُلت بالشَّمِّ أزهارِى
عُذْرِى اليك فما استبقيتُ من جسدى
غيرَ الفُتَاتِ.. وقد أفنيتُ أعمارى

بحثتُ عنك طويلاً والصِّبا عِبقٌ
وأنهرُ الحبِّ تروى حرف أشعارى
فما وجدتك الا والصِّبا مزقٌ
وزهرة الحبِّ قد جفَّتْ بأشجارى

أنا أحُبُّك فى يأس يعذبنى
وسوف أحميك من طيشى.. بإيثارى



د. نورالدين صمود - تونس

مرَّ بى ذاتَ صباحٍ مرَّ بِي
ثغـرُهُ مبتسمٌ كالكـوكبِ
ملأ الدَّرْبَ ضياء وشذى
فسرى فى الكونِ روحُ الطرب
طلعه كالشمسِ سحراً وسنى
تختفي منها جميعُ الشُّهب
ترك القلبَ بجنبي راقصاً
خافقاً كالطائرِ المضطرِبِ
كلما أخفيتُ فى قَلبِى الهوَى
فضحَ السرَّ فيا للعجب
وتـراءى الشَّوقُ فى مُقْلته
لاهـبا كالأُفـقِ الملتهبِ
ومشَى فوق مروج غضَّةٍ
والندى يلمع مثلَ الذهبِ
والفراشاتُ كأسراب المُنى
حائماتٌ حولهُ لم تَهربِ
إنَّـهُ مثـلُ ربيـعٍ حالِم
باسِم الزهر بروض مُخضبِ
يا لـهـذا الحسن ما أروعـه
يستبى الأرواح فيما يستبى



ولــن أراكِ وان أضـنـت سرائـرَنـا
رعـونـةُ الحبِّ أو أبكـاكِ إصـرارى
وسـوفَ أرحـلُ لا أدنُـو الـى بلد
أراكِ فيـه فلا تسـتـوحِ أخـبـارى
أنـا أُحـبُّـك حُبًّـا عاش فى خلدى
حتى سكنتُـكِ واستـوطنتِ أفكـارى
فخضتُ حُبَّـكِ كالاعصـار منـدفعاً
حتـى رآكِ على عيـنـىَّ سُمَّارى
تدنـو الفراشاتُ مِنْ نارى فأحـرقُها
وقـد دنـوتِ فكنتِ الـوهْـج للنَّـارِ
لُمِّ جراحَـكِ . . لن أنسـاك يا قدرى
مهـما نأيت . . ومهـما طال مشـوارى
إنــى أراك ملاكـاً لن أدنِّـسِـهُ
لا نزوةً عبرتْ فى كهـف أسـرارى
وسـوف أبكيـكِ مهما طالَ بى أجلى
ودمَّـر الحـزنُ آصـالى وأسحـارى
هذا مصـيرى ولا منـجـاة من قدر
لا شيىء يُمكِنُـه تغيـيرَ أقـدارِى

ستار

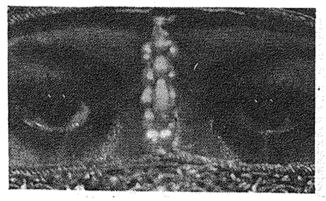


أهواك عشقاً..!!

شعر
أحمد دوغان
حلب

فى زحمةِ الأشواقِ والتَّحنانِ
أصحو.. وأحيا يقظة الوجدانِ
تتجمَّعُ الأحلامُ فى غسقِ الدجى
تغدو كغصنٍ مورقِ الأفنانِ
تتلمّسُ القلبَ المُعنَّى فى النوى
وتخاطبُ الأسفارَ فى أجفانى
مازلتُ أبحثُ عن رسومِ حكايتى
والدربُ فيه مواسمى ودنانى
دنيا من الترحال تأخذ مركبى
أنَّى تشاء على هدى الشطآنِ
فى دفترى عنوانُ كلِّ سفينة
وعلى الذرا فى أفقها عنوانِى
أصحو وتذكرنى مواويلُ النوى
والعشقُ عندى سلوة الألحانِ
صحبى وأين الصحبُ يا هذا الضنى
بينى وبينَ الصحب ما أشجانى
وأغوصُ فى الذكرى أنادى طيفهُم
وأصوغُ من دمعى رُؤى الخلانِ

وألمٌ من سقط العيونِ أجنة
فيها الحنينُ وغربةُ الأحزانِ
يا دارُ فيك أحبتى وحديثُهُم
مازال فى الذكرى ندى الريحان
فيهزُّنى ويعيدُنى حيث المُنى
بلدى تعيشُ مواجدى وبيانى



بينى وبينك يا حبيبةُ رحلةٌ
أرنُو اليكِ بدمعى الهتَّان
أشكُو وهل شكوى الغريب غريبة؟
فى كلِّ يوم أشترى كتمانى

حُدُودَ لَهُ

وأعلّم الاعصابَ ما معنى النوى
ويمرّ صبرُ الآه فى الشريانِ
وطن الغريب غمامةٌ عبر السما
فيها يغازلُ صورة الأوطانِ
أو موجة يرنو إليها سارحاً
يغزو نسيجَ الماء كالولهانِ
ويسيرُ باسم الله أين تحطُّه
أطيافُهُ والبحرُ كالإنسان
وأعودُ من سفر الخيال مجرَّحاً
فى واقعى ما ليس بالحُسبانِ
يا أُم مازالتْ جوارحُ مهجتى
فى الدار تحكى غربتى وحنانى
يا أُم . . كيف الدارُ؟ وكيف أحبَّتى؟
أحيا هنُاك . . تسافرُ العينانِ
يا أُم . . كيفَ البابُ؟ هل مَلَّ السؤا
لَ؟ وما الجوابُ؟ . . كلاهما مُرَّانِ
يا أُم . . قولى إننى وطنُ الهوى
وتبسَّمى فالصبرُ فى الإيمان



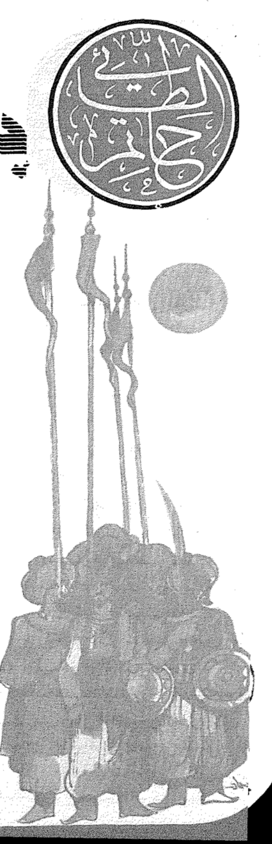
شعر : لطفى عزالدين

تونس

جافيتِني عمداً . وعزّ رضاكِ
لَمّا تحكّم في الفؤادِ هواكِ
فلئن نأيتِ فإنّ لي روحاً يرفّ
على حماكِ ومقلةً ترعاكِ
ولئن هجرتِ فإنّ لي في وحدتي
قلباً يردّد في النّوى ذكراكِ

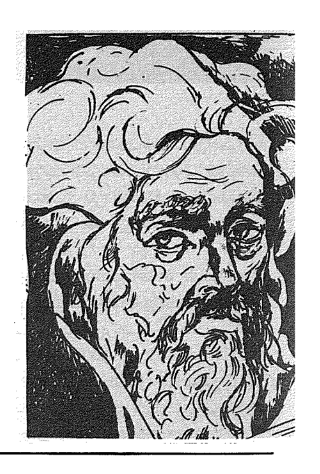
ما فاحتِ الأزهار فوق غصونها
إلّا شممتَ بها عبير شذاكِ
فلأنتِ فى قلبى وفي نفسي وفي
رُوحي وفي سمعي برغم جفاكِ
إنْ ضاعَ حظي في هواكِ على النوّى
فلقد قنعتُ بأنّني أهواكِ
أو غبتِ عن عيني فحسبي أنني
في كلّ وجهٍ للجمال أراكِ

يقولون لي



وعــاذلــةٍ هبّتْ بليـلٍ تلومُنى
وقـد غابَ عيّـوقُ الثـريّـا فعرّدا(١)
تلوم على إعطـائـى المـالَ ضِلّةً
إذا ضنَّ بالمـالِ الـبخيـلُ وصـرّدا(٢)
تقـول: ألا أمْسِـكْ عليـك فإننى
أرى المـالَ عنـد المُمسكينَ مُعبَّدا(٣)
ذرينـى وحـالـى إن مالـك وافـرٌ
وكـلُّ امـرىء جارٍ على ما تعـوّدا
أعـاذِلَ لا آلـوكِ إلاّ خليـقـتـى
فلا تجعـلى فوقـى لسـانـك مبردا(٤)
ذَرِينـى يكُنْ مالـى لعِـرْضِـى جُنَّـة
يقى المـالُ عرضى قبـل أن يتبـدّدا(٥)
أرِينـى جواداً مات هَزْلاً لعـلّنـى
أرى ما تريـن أو بخِيـلاً مُخلَّدا
وإلا فَكُفّـى بعض لومـك واجـعلى
إلى رأى من تلحـين رأيـك مُسنـدا(٦)
ألم تعـلمـى أنـى إذا الـضيـفُ نابنى
وعزّ القِرَى أقرِي السديف المُسرهدا(٧)

أهلكت مالك



أُســوِّدُ ساداتِ الـعــشــيرة عارفــاً
ومن دونِ قومى فى الشـدائدِ مذودا(٨)

وأُلـفَـى لأعــراضِ الـعشــيرةِ حافظـاً
وحـقِّـهـم حتـى أكـون المســوَّدا(٩)

يقـولـونَ لى: أهلكت مالـك فاقتصِدْ
ومــا كنتُ لولا ما تقــولــونَ سيِّــدا

كُلُوا الآن من رزق الإلــهِ وأيسِــرُوا
فإنَّ على الــرحـمــانِ رزقــكُــمُ غدا

سأذخَــرُ من مالى دلاصــاً وســابحـاً
وأســمــر خَطّيّــاً وعضبــاً مُهَنّــدا(١٠)

وذلــك يكــفــيـنــى من المــال كله
مصــونـــاً إذا ما كان عنـدى متلدا(١١)

---

(١) العيوق: نجم يتلو الثريا ولا يتقدمها. عرد: مال للغروب.

(٢) صرد: قلل العطاء.

(٣) الممسكين: البخلاء. المعبد: المكرم كأنه معبود.

(٤) آلوك: أبطىء، أقصر يقول: أعاذلتى إنى لا أبطىء ولا أترك شيئاً مما فى طاقتى إلا جعلته لك، ما عدا طبيعتى. فلا تجعلى لسانك كالمبرد يأكل منى وينقصنى.

(٥) ذرينى: اتركينى. الجُنّة: السترة.

(٦) تلحين: تلومين.

(٧) السديف: شحم سنام البعير وهو أطيب لحمه. المسرهد: المقطع.

(٨) أسود: أعطى السيادة على سادات قومى. المذود: الذى يذود عن قومه يدفع عنهم.

(٩) حقهم: معطوف على أعراض العشيرة.

(١٠) الدلاس: الدرع اللينة الملساء. السابح: الفرس. الأسمر: الرمح. الخطى: المنسوب إلى الخط وهو مرفأ السفن فى البحرين تباع فيه الرماح. العضب: السيف. المهند: المصنوع فى الهند.

(٤) المتلد: المال القديم.



ويستمر خط الحركة العلمية عند العرب في تصاعد مستمر عندما كان الخلفاء أكثر حرصاً على اكرام العلماء واجلال العلم واقامة الصالونات له وأوقفنا الدكتور الدمرداش في الحلقة الماضية على طرف من بدايات علوم الطب والكيمياء والفلك والحساب عند العرب والمسلمين.. مبيناً مدى اهتمام العلماء آنذاك بالتفوق والاجتهاد في التحصيل منه..

حلقات العلم ودور الحكمة

في القرآن الكريم: **﴿يرفعُ الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾**.. وفي الحديث الشريف: «**لا خير فيمن كان من أمتى ليس بعالم ولا متعلم**».. «**لموت قبيلة أيسر من موت عالم**».

هذه الآية من القرآن وهذان الحديثان من السُّنَّة وغيرها من الآيات الاخرى والاحاديث المتدافعة كانت المظلة التى استظل بها علماء العرب فى جميع العصور والحقب.

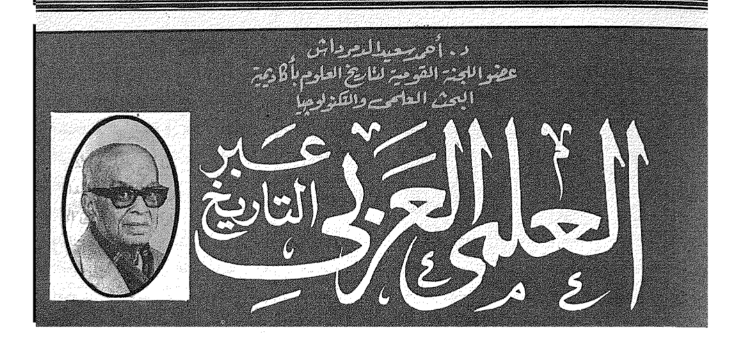
قبيل انتشار المدارس كانت حلقات العلم لا تعقد في امكنة من طراز واحد بل تعقد فى امكنة مختلفة كالمساجد وقصور الخلفاء والامراء ومنازل العلماء والمكتبات.. وكان الخلفاء يعدون انفسهم حماة للعلم ويرون ان قصورهم يجب ان تكون مركزا يشع منه الثقافة والعرفان.. بدأت بقصر معاوية بن ابى سفيان الخليفة الاموى الاول ثم خالد بن يزيد بن معاوية المؤسس الاول لعلم الكيمياء عند العرب وازدهرت في عصر عبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك.

ونشطت حركة الترجمة نشاطا واسعا فى عصر الرشيد والمأمون وراسل المأمون ملك الروم وانفذ اليه جماعة من العلماء للحصول على الكتب النادرة من علوم الاوائل منهم الحجّاج بن مطر وابن البطريق ويوحنا بن ماسوية وحنين بن اسحاق.

واجتمعت فى عاصمة الخلافة العباسية اهم كتب الفلاسفة والعلماء من الاغارقة فى مختلف الفروع من طب لأبقراط وجالينوس ومن رياضيات وفلكيات.. وطائفة من الكتب العلمية والحكمية الفارسية والهندية والسريانية.. فتسنى لطلاب المعرفة والعلم فى العالم العربى أن يهضموا فى سنوات قليلة ما انفق اليونان وسواهم القرون فى انشائه..

ما من امة تستطيع استيعاب التراث العلمى لغيرها من الامم التى تفوقها حضارة الا اذا كانت قد وصلت الى هذا المستوى من التراث.. وقد كانت الامة العربية جديرة بذلك فى وقت قصير ذلك لان مظلة العلوم الفقهية وعلوم القرآن والسنة قد أمدتها باشعاعات أسرعت فى تكوينات الفيتامينات للفكر العلمى الجديد.

كانت الكتب تهدى الى الخلفاء على سبيل



الاسترضاء ولكن هارون الرشيد لما فتح عمورية وانقرة حمل معه الى بغداد كل ما وجد فيها من المخطوطات واقتدى به ابنه المأمون. . منذ اوائل عهده كما سبق ان ذكرنا بل بعث الى حاكم صقلية المسيحى يطلب منه ان يرسل مكتبة صقلية التى جمعت من كتب الفلسفة والطب ونفائس العلم عددا كبيرا فتردد الحاكم ثم خاف فأرسلها الى المأمون.

وكان العلماء يلحفون فى طلب المخطوط بلا هوادة وقد حدثنا حنين بن اسحاق عن مخطوط عرف باسم (فى البرهان) بقوله (اننى بحثت عنه بحثا دقيقا وجبت فى طلبه أرجاء العراق وسوريا وفلسطين ومصر. . الى ان وصلت الاسكندرية لكنى لم أظفر الا بما يقرب من نصفه فى دمشق.

وفى غضون حكم المأمون (٨١٣-٨٣٣م) وصلت الجهود الثقافية الجديدة قمتها. . فقد انشأ الخليفة فى بغداد سنة ٨٣٠م معهدا رسميا للترجمة مجهزا بمكتبة اطلق عليه اسم «**بيت الحكمة**» فكان هذا المعهد من وجوه كثيرة - اعظم المعاهد الثقافية التى نشأت بعد الفتح الاسكندرى والتى أسست فى القرن الثالث قبل الميلاد وقد اسسه المأمون على نسق المدارس النسطورية والزرادشتية. . وقد انتقل الى بيت الحكمة معظم اطباء جند يسابور وصيادلتها وجمع المأمون فيه كتب العلم من لغاتها المختلفة وفيها اليونانية والفارسية والهندية والقبطية.

ونبه فى هذا العهد من المترجمين يوحنا بن ماسويه (اول رئيس له) ومن رؤسائه حنين بن اسحاق العبادى وقسطا بن لوقا البعلبكى واسحاق ابن حنين وثابت بن قرة والكندى والحجاج بن مطر وعثمان الدمشقى وابن البطريق ويحيى بن عدى. . وغيرهم.

كان المال وافرا والاقتصاد الاسلامى فى رخاء لأنه كان يمتلك مصادر الذهب والفضة فى الارجاء كافة كما كان يمتلك طرق التجارة بين الشرق والغرب لذلك لم يقتصر العطاء من الخلفاء فقط بل امتد الى الاسر الثرية والاعيان وفى المقدمة يأتى البرامكة وبنو موسى بن شاكر المنجم وكان المأمون يدفع للمترجمين ذهبا بثقل ما يترجمون.

وفى حدود سنة ٨٥٦م جدد المتوكل مدرسة الترجمة ومكتبتها فى بغداد والقى عبء ادارتها على عاتق حنين بن اسحاق الذى سبق له أن اثرى فى عهد المأمون اذ كان يختار ورقا ثقيلا ليكتب عليه منجزاته فى الترجمة.

وقد استفادت مجالس العلم من التطور العلمى والترجمة اللذين كانا طابع ذلك العصر. ولما ضعفت الخلافة العباسية فى بغداد انتقل مركز الثقل الى الممالك والدويلات الشبيهة بالمستقلة فالديلم كانت لهم مجالس علم ثم السلاجقة ثم الغزنويون والساسانيون.

ومن هذه المجالس مجلس الوزير ابن الفرات ابو الفضل جعفر فى عشر ينيات القرن الرابع الهجرى.. ومجلس ابى عبد الله الحسين بن سعدان فى سبعينيات القرن نفسه وكان مجلسه حافلا بجلة العلماء والادباء وكان يباهى بمجلسه بامثال ابى حيان وابن مسكويه وابى الوفاء.. ثم مجلس السلاجقة وكان يتصدره الوزير الطغرائى العالم الشاعر.. ومجلس رابع كان يزدان بامثال البيرونى والفردوسى. يقول العيى «وكان السلطان محمود الغزنوى يحب العلم والعلماء يكرمهم ويجالسهم ويحسن اليهم وكانت تعقد مناظرات طويلة بين يديه».

وقد بدأت هذه «الصالونات» او الجمعيات العلمية فى القصور المصرية منذ ظهرت الدولة الطولونية. يقول ابن زولامة انه فى عهد الطولونيين والاخشيديين لم تكن هناك مدارس فكانت الدروس تلقى فى قصور الامراء والوزراء ومنازل العلماء.. وفى بلاط الاخشيد كانت تلقى بحوث تاريخية كل مساء واصبح كافور حاميا للعلم والعلماء ومع ذلك فان مجالس الطولونيين والاخشيدين تتضاءل أمام «صالونات» الفاطميين بالقاهرة.

يروى ان يعقوب بن كلس المسيحى رتب مجلسا فى داره يوم الثلاثاء من كل أسبوع يجتمع فيه العلماء والادباء والفقهاء والقضاة تجرى بينهم المناظرات وتصرف المنح والارزاق.. وفى عام ٤٠٣هـ احضر جماعة من دار ـ العلم من اهل الحساب والمنطق وجماعة من الفقهاء وجماعة من الاطباء الى حضرة الحاكم بأمر الله وكانت كل طائفة تحضر على انفراد للمناظرة بين يديه ثم خلع على الجميع ورحلهم.

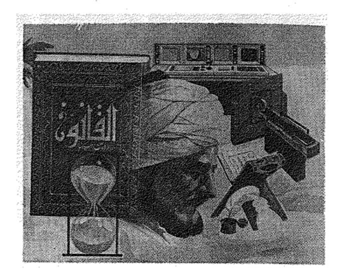
وكانت دار الحكمة قد انشئت بالقاهرة فى عهد الحاكم بأمر الله عام **٣٩٥هـ** على غرار بيت الحكمة فى بغداد وقد حملت اليها الكتب من خزائن القصور وحمل اليها من خزائن الحاكم من الكتب ما لم ير مثله مجتمعا لإحد الملوك قط واجريت الارزاق على من فيها من العلماء والفقهاء والاطباء.

ومن اشهر العلماء فى العصر الفاطمى الطبيب ابن بطلان وعالم البصريات ابن الهيثم: استدعى الحاكم بأمر الله الاول من سوريا والآخر من العراق.

وكان للعلماء زى خاص يميزهم عن غيرهم.. انه طيلسان لعله أشبه «**بالروب**» لدرجة ان الصاحب بن عباد لما اراد ان يحدث وهو وزير دخل فخلع لباس الوزراء ولبس لباس العلماء قبل ان يجلس الى سامعيه. وفى عهد الفاطميين كانت كسوة رجال التعليم مذهبة تتكون من ست قطع اهمها القلنسوة والطيلسان والعمامة ويرى البعض أن أزياء جامعات أوربا منقولة عنها «**فالجون**» هو الجبة و«**الهود**» قريب الشبه بالطيلسان المبرقش و«**الكاب**» القلنسوة.. كذلك كان للعلماء والمعلمين نقابة شأنهم فى ذلك شأن بقية المهن وكان نفوذ نقبائهم يرجح احيانا نفوذ الخلفاء ولم يكن يؤذن لاحد بالتدريب دون اذن النقيب.

وفى تاريخ العلم عند العرب ـ ستة يوضعون على القمة فى قيادة الحركة العلمية وريادتها هم: المأمون ونظام الملك ونور الدين زنكى والحاكم بأمر الله وصلاح الدين الأيوبى والسلطان اولغ بيك فى سمرقند.

ارتبطت هذه الاسماء ارتباطا رائعا وثيقا فالاول انشأ بيت الحكمة والثانى اسس المدارس النظامية والثالث **(٥٦٩هـ)** كان راعيا للعلوم فى سوريا والرابع انشأ دار الحكمة فى القاهرة وجلب العلماء والمخطوطات لها من الارجاء كافة وأنشأ مرصد المقطم بإشراف ابن يونس



الفلكى والخامس حمى التراث العلمى من غوغاء التتار والسادس هو مؤسس النهضة العلمية فى الدولة التيمورية ونبغ فى عصره جمشيد غياث الدين الكاشى وقاضى زادة رمى وشرع فى تأسيس مرصد المراغة.

وفى الاندلس اصبحت قرطبة فى ظل عبد الرحمن الثانى (٨٢١ ـ ٨٥٢م) مركزا هاما للرخاء الاقتصادى والنشاط الفكرى جميعا وتبوأت مقاما عالميا فى عهد الخليفة الاول عبد الرحمن الثالث (٩١٢ ـ ٩٦١م) حامى العلوم والاداب، وبفضل تشجيع مطرد النمو ايضا تزايدت هذه النهضة فى حكم ابنه وخليفته الحكم الثانى (٩٦١ ـ ٩٧٦م) الذى أبى الا أن يكون هو نفسه من العلماء فأرسل وكلاء عنه الى جميع اصقاع العالم الاسلامى لابتياع الكتب أو استنساخها ووفق فى جمع مكتبة غاية فى الثراء تقدر محتوياتها بأربعمائة الف كتاب كما كانت فهارس كتبها تملأ أربعة وأربعين جزءا. . وكان يساعد الخليفة فى هذا النشاط العلمى وزيره محمد بن أبى عامر المتوفى عام ١٠٠٢م واخيرا كان حكم هشام (٩٧٦ ـ ١٠٠٩م) الذى ازدهرت العلوم على يديه.

ولم ينضج العلم العربى فى الاندلس الا متأخرا عن نظيره فى الشرق الاسلامى لأن الحكم فيه بادىء ذى بدء كان مضطربا ولم تترك المنازعات المحلية كثيرا من الوقت للعناية بتنمية الحياة العقلية برغم ظهور بوادر النشاط الاسلامى فى شمال افريقيا والسيطرة على البحر المتوسط من قبل الاغالبة ثم من قبل الفاطميين ثم فتح صقلية (٨٧٧ ـ ١٠٧٢م).

وعندما سقطت خلافة قرطبة (١٠٣١م) استمرت العلوم والآداب والفنون مزدهرة مثمرة بل نشطت عن ذى قبل إذ كان قد تم تمهيد البيئة الصالحة واعدادها فعلا فاستكثر ملوك الطوائف فى مختلف عواصمهم من مهاد الحضارة الخصيبة وضربوا مثلا جديدا لما يمكن ان يفعله الذكاء والتنافس بل التفاخر احيانا.

وتغيرت الاحوال بقيام سلطان المرابطين تحت قيادة يوسف بن تاشفين وانتصاره على الاسبان فى واقعة الزلاقة (١٠٨٦م) ولكن هذه السيادة الجديدة لم تقف حجر عثرة دون تقدم العلوم وازدهارها بل غدت على مدى الايام اكثر مسالمة وتسامحا مع العلماء البارزين.

وانتهت دولة المرابطين عام ١١٤٣م واعقبتها دولة الموحدين تحت قيادة ابن تومرت البربرى وبلغ فيها التزمت مبلغه فكان هذا إيذانا باضمحلال العلم العربى فى اسبانيا واكتفى المجتمع باجترار العلم الماضى دون اضافات جديدة.

واصبحت الدويلات الاسلامية فى اسبانيا عاجزة عن الدفاع عن نفسها امام الدويلات المسيحية الشمالية الفقيرة مفضلة ان تدفع لها الجزية ذهبا لكى تحميها من منافسيها أضف الى ذلك غزو التجار والمغامرين من قطالونيا ومرسيليا وجنوة والبندقية للحصول على اكبر كمية من ذهب السودان الذى يصل الى شمال افريقيا عن طريق بيع الرقيق الابيض بالعملات الذهبية فاختل الميزان الاقتصادى وأصبح لمصلحة الحكام المسيحين فى اسبانيا وجنوة والبندقية ونفق سوق العلم و«صالونات» العلماء تبعا لذلك فيما تبقى من الدويلات الاسلامية فى اسبانيا وشمالى افريقيا.

للمنهل خاصة

مظاهر الحضارة المعماري

في

شعر



مركز الاشعاع الحضاري الاسلامي على مدى ثمانية قرون .. الاندلس بلاد الطبيعة والفنون .. ابن زيدون شاعرها وكاتبها .. كيف صور شعره مظاهر الحضارة المعمارية والفنون .. اطلالة على الاندلس يقدمها لنا هذا البحث المتابع ..

٥ مجالات الفنون والصناعات في شعر المغرب والاندلس

ونعود الآن الى المغرب لنرى الشعر العربى يعالج مجالات الفنون والصناعات من مجالات الحضارة كشكل السفينة والسيف والثريا والسراج وفن النحت والساعات المائية على سبيل المثال لا الحصر.

فمما قيل فى وصف السفن المغربية نقدم أبياتا من قصيدة محمد بن غالب البلنسى المعروف بالرصافى وكان مستوطنا مالقة يمدح عبد المؤمن بن على(١) أمير الموحدين:

ذو المنشآت الجوارى فى أجرتها
شكل الغدائر فى سدل وتضفير
أعدى المياه وأنفاس الرياح لها
ما فى سجاياه من لين وتعطير
من كل عذراء حبلى فى ترائبها
ردعان من عنبر ورد وكافور
نجالها بين أيد من مجاذفها
يفرقن فى مثل ماء الورد من جور(١)

●● ويدخل فى وصف السفن المغربية كذلك ما رواه ابن صاحب الصلاة عن عبور السيد الأعلى أبى حفص الى أخيه السيد أبى سعيد ولقائهما بجبل الفتح جبل طارق عام ٥٦٠ هجرية وانشاد أبى عمر بن حربون قصيدة حسنة من أولها الى آخرها نذكر منها:

انظر الى مجمع البحرين كيف حوى
من الفضائل مالم يحوه بلد
لاقى الكليم على الشاطى به خضرا
وفيه لاقى أخاه السيد السيد
صنوان ما اجتمعا فى أرض أندلس
الا ليحيى فيها دينه الأحد
يا من رأى الفلك فوق الموج طافية
كما كفأت قبابا وسطها العمد

●● وقال أبو العباس بن أحمد بن عبد المنان الخزرجى الشاعر الفاسى(٢) فى ذكر سيف الامام ادريس بن

إبن زيدون



ادريس رضى الله عنهما الذى وضعه الأمير أحمد بن أبى بكر الزناتى بأعلى صومعة القرويين :

أنكـر السيف بالمنـار بفـاس
قائــل ان ذاك داعى اغتـمام
لا يرعـك الحسام سل عليها
جنـة الخلد تحت ظل الحسام

■ وفى ذكر نفس السيف كذلك كثرت الأشعار ومنها قول أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن(٣) :

ومــا خص ادريس المــنــار بسيـفــه
لغــم ولــكــن كى يعــم نداؤه
مشــيرا أجــيـبــوا داعــى الله تأمـنــوا
ومــن لم يجب داعــيــه هذا جزاؤه

■ كما قال الأمير أبو الوليد اسماعيل بن فرج بن الأحمر فى سيف المولى ادريس(٤) :

ومــا الســيــف فى رأس المنــار لذلــة
بفــاس ولــكــن أمــره أيــما أمــر



د. عثمان عثمان إسماعيل
عضو اتحاد المؤرخين العرب
أستاذ التاريخ والآثار بجامعة محمد الخامس

رآهــا ابــن ادريس قصــر خلافــة
فجــرده عزمــا لأفــلاكهــا الغــر(٥)

●● وفى الثريا الكبرى بجامع القرويين قيلت أشعار عديدة نورد نماذج مختصرة منها :

تحكى الـثـريــا الثـريــا فى تألقهــا
وقــد لواهــا نســيــم وهــى تتـقــد
كأنهــا لذوى الايــمان أفئـدة
من الـتخشــع جوف الليــل ترتعــد

● وفيها قال عمر بن خلف(٦) :

باهــى بها الاســلام ما أشــرقــت
كاســاتهــا عنــد مغيــب الـشـفـق

وقد ذكر صاحب الجذوة عن أبى راشد البدرى أن السلطــان أبــا عنان المرينى هو الذى أحدث العلم الأزرق فى الصومعــة يوم الجمعــة وأنــه أمر بنصب سارى مخشب بأعلى الصومعــة ينشر فيه علم فى أوقــات الصــلاة وفنار فيه سراج أوقات صلاة الليل ليستدل من لم يسمع النداء(٧) ومما قيل فى ذلك :

نور به علم الايــمان مرتــفــع
للمــهــتــديــن به للحــق ارشــاد
يأتــون من كل صوب نحــوه فلهــم
لديــه للرشــد اصــدار وايــراد

■ *ومما قيل فى السرج(٨) :*

انظــر الــى سرج الـلـيــل مشــرقــة
من الــزجــاج حواهــا وهــى تلتـهب

كأنما ألسن الحيات بارزة
عند الهجير فما تنفك تضطرب

ومن أهم ما يستلفت النظر فى الشعر المغربى تلك الدقة البالغة فى وصف الأمور التقنية حسبما قيل فى وصف المنجانة . . وكان السلطان أبو عنان المرينى قد أمر بصنع منجانة بطيقان وطسوس من نحاس مقابلة لباب مدرسته بفاس وجعل شعار كل ساعة أن تسقط صنجة فى طاس وتفتح طاقة وذلك فى عام ٧٥٨ هجرية على يد مؤقته على ابن أحمد التلمسانى المعدل(٩) :

روح من الماء فى جسم من الصفر
مولد بلطيف الحسن والنظر
مستعبد لم يغب عن عينه سكن
ولم يبت من ذوى ضغن على حذر
وفى أعاليه حسبان يفضله
للناظرين بلا ذهن ولا فكر
اذا بكى دار فى أحشائه فلك
خلف المسير وان لم يبك لم يدر
مترجم عن مواقيت يخبرنا
بها فيوجد فيها صادق الخبر

●● وننتقل مرة أخرى الى الأندلس لنرى الفراش والسفينة والسيف وفن النحت فى الشعر العربى . . فمما قاله ابن اللبة الدانى من شعراء المعتمد يصف محبوبته ولباسها والأرائك والبرد : (١٠)

ومعاطف تحت الذوائب خلتها
تحت الخوافق ماله من سمهرى
حسنت أمامى فى خمار مثل ما
حسن الكمى أمامه فى مغفر

■ ومن وصف ابن اللبانة للأسطول الاسلامى يوم مهرجان(١١):

بشرى بيوم المهرجان فانه
يوم عليه من احتفائك رونق
طارت بنات الماء فيه وريشها
ريش الغراب وغير ذلك شوذق
وعلى الخليج كتيبة جرارة
مثل الخليج كلاهما يتدفق
وبنو الحروب على الجوارى التى
تجرى كما تجرى الجياد السبق

●● ويحظى السيف بنصيبه من الشعر العربى فى الأندلس ومن ذلك ما أنشده الطليق القرطبى(١٢) فى حضرة أمير المؤمنين عبد المؤمن بعد جوازه الى جبل طارق بأرض الأندلس عام ٥٥٥ هجرية :

وكر الى نصر الجزيرة بعدما
أتاه مع الركبان ناع وناعق
بجيش تضيق الارض عنه بطولها
وترهبه لو عاينته العمالق
وأبيض وردى القميص كأنما
تفتح فوق النصل منه شقايق
تجرده أيدى الأحبة فى الوغى
وتغمده هام العدى والمفارق

● وعندما صنع الصناع لأمير المؤمنين أبى يعقوب يوسف الموحدى سنان رمح بسنانين اثنين متصلين فى سعة السيف كل واحد منهما أعجب بذلك وأمر بالقول فى وصفه فأنشد أبو عمر بن حربون قصيدة منها(١٣) :

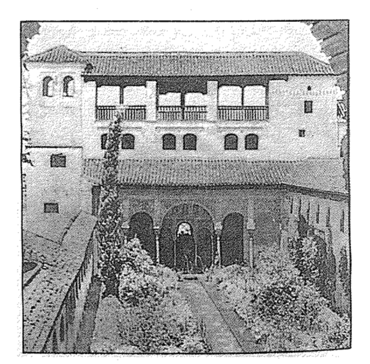
طبع الامام من الأسنة لهذما
لم يعهدوه فى أسنة معضب
رمح تمثل للأعادى شكله
رأس شجاع أو زبانا عقرب
إن هزَّت الهيجاء روقى ذابل
يوماً تلقاه العدو باغضب
ماذان الاناظران تشوفا
نحو الجهاد تشوف المتوثب
أو مسمعان تحسسا من نبأة
أوفى لها سعد السعود بمرقب

●● كما تناول الشعر العربى بالأندلس فن النحت الاسلامى كذلك وقد نقشت على فجوة صغيرة من الرخام بنهاية أحد أجنحة بهو السفراء (١٤) بالحمراء ستة أبيات نذكر أولها وآخرها:

أعجب شىء حادث أو قديم
مرابض الأسد بيت النعيم
من كأبى الحجاج سلطانا
لازال فى نصر وفتح عظيم

●● وفى بهو السباع بقصر الحمراء نقشت أبيات من قصيدة ابن زمرك فوق دائرة صحن النافورة التى تحمل الأسود منها(١٥):

ومنحوتة من لؤلؤ شق نورها
تحلى بمرفض الجمان النواعيا
يذوب لجين سال بين جواهر
غدا مثلها فى الحسن أبيض صافيا
تشابه جار للعيون بجامد
فلم ندر أيا منهما كان جاريا
ألم تر أن الماء يجرى بصفحها
ولكنها مدت عليه المجاريا



حظ العمارة والفنون من شعر ابن زيدون

وبعد، ها نحن قد استرجعنا الصورة السياسية للحقبة الزمنية التى عاشها ابن زيدون منذ أواخر الحكم الأموى بالأندلس وعلى طول عصر ملوك الطوائف(١٦) من بدايته الى نهايته ثم تعرفنا على أهم المميزات الحضارية لتلك الفترة والتى تمثلها جوانب الحضارة المادية من عمارة وفنون تطبيقية ترتقى من مرتبة المادة للتعبير كذلك عن نوعية الحياة الثقافية والفكرية ثم استعرضنا نصيب تلك المآثر وغيرها من الشعر العربى فى المغرب والأندلس.

والآن ما هو حظ تلك المآثر من عمائر وتحف وصناعات وفنون من شعر ابن زيدون؟

ولعله من الواضح لدينا الآن أن البحث يقتضى الوصول الى حصر شامل أولا لشعر ابن زيدون الذى تناول ذكر أو وصف تلك المعالم الحضارية لهدفين:

الأول: وهو الهدف الخاص أن تكون بأيدينا حجة للحكم على مدى استجابة الشاعر الكبير لأهم مميزات عصره الحضارية وتقييم هذه الاستجابة ونقد جوانبها..

أما الثانى: الهدف العام فهو وضع ذلك المحصول بين يدى الباحثين فى تاريخ العمارة والفنون الاسلامية بسبب العلاقة الوثيقة والأهمية القصوى التى تجمع بين علم الآثار والشعر العربى كما أسلفنا سابقا.. وبالاضافة الى هذا وذاك فان شعر ابن زيدون الذى نقدمه الآن يدخل فى نطاق الشعر الوصفى وهو غرض من أغراض الشعر الزيدونى ليس واضح المعالم الى الآن فى بعض الدراسات إذ ان احدى تلك الدراسات الجيدة(١٧) أشارت الى مثال واحد فقط لوصف ابن زيدون تمثالا من المرمر بأحد حمامات المعتضد بن عباد.

ونبدأ الآن بعرض نماذج من شعر ابن زيدون تتناول

ذكر العمارة من مدن وقصور ومصانع ومظاهر الملك والرياسة وبعدها نعرض نماذج الفنون التطبيقية المختلفة من نسيج وخلع ونحت وزجاج ومعادن وحلى وفراش:

العمارة وذكر المدن والقصور والقباب

يتذكر ابن زيدون أثناء سجنه أيام صباه وملهاه ويذكر قرطبة وحسنها وكنف الدنيا المجتمع لديها وقصور العقاب والرصفاة والجعفرية وقصر العقيق ومجلسه والجسر والجوسق النصرى ويقول(١٨):

أقرطبة الغراء هل فيك مطمع؟
وهل كبد حرى لبينك تنقع
وهل لليالك الحميدة مرجع؟
اذ الحسن مرأى فيك واللهو مسمع
واذ كنف الدنيا لديك موطأ

●● وواضح أن قرطبة الغراء لا تكون لياليها الحميدة والحسن المرئى فيها وكنف الدنيا المجتمع لديها لا يكون كل ذلك بغير اكتمال أسباب التحضر والعمران وتوفر الأنواع الرفيعة من مختلف منتجات التحف والأدوات.. ويستطرد ابن زيدون ذاكرا العقاب والرصافة والجعفرية:

أأنسى زمانا بالعقاب مغفلا
وعيشا بأكناف الرصافة وغفلا
ومغنى ازاء الجعفرية أقبلا
لنعم مراد النفس روضا وجدولا

● ثم يذكر فى المقطع التالى العقيق ومجلسه بقوله:

ويارب ملهى بالعقيق ومجلس
لدي ترعة ترنو باحداق نرجس

● وبعدها يذكر الجسر والجوسق النصرى:

وكأن عدونا مصعدين على الجسر
الى الجوسق النصرى بين الربى العفر
ورحنا الى الوعساء من شاطىءالنهر
بحيث هبوب الريح عاطرة النشر

●● وفى هذه الأبيات فضلا عن ذكر الجسر والجوسق النصرى ذكر لحقائق تتعلق بطبوغرافية تلك المواقع بتحديد موقع القصر النصرى بين الربى وقربه من الرابية المتاخمة للنهر وتعرض المنطقة لهبوب الرياح العطرة.

ثم يستطرد ابن زيدون فى نفس القصيدة ذاكرا المبانى والقصر والأباطح والطبيعة الغنية بموارد الحياة.

وأحسن بأيام خلون صوالح
بمصنعة الدولاب أو قصر ناصح

■ ثم يستلهم ذكرياته من مدينة الزهراء ومنظرها وليس بخاف ما يحمل ذلك من معانى العمران الزاهرة:

ويا حبذا الزهراء بهجة منظر

●● وعندما يبكى ابن زيدون فانه يبكى تلك المعاهد والديار والقصور ولا يبكى عمارة بدائية أو منشآت عادية.. لقد بلغت من الرقة والروعة حدا جعله يؤثرها على الورد الجنى الممثل للبيئة التى عشقها وعاش لها وتغنى بها:

معاهد أبكيها لعهد تصرما
أغضّ من الورد الجنى وأنعما

■ وفى قصيدة أخرى يتشوق فيها ابن زيدون الى وطنه يذكر المصانع (المبانى) التى تجتذب بعظمتها وروعتها ورونقها القلوب:

فحيى منه ما أرى الجنوبا(١٩)
مصانع تجتذب القلوبا

■ وفى موشح آخر يذكر حبه ولهوه بقرطبة وقصورها ويقول:

سقى جنبات القصر صوب الغمائم

وغنى على الأغصان ورق الحمائم
بقرطبة الغراء دار الأكارم

ومنها : ويوم بجو فى الرصافة مبهج

وبمقطع آخر : وأكرم بأيام العقاب السوالف

●● وها هو عند ذكر محبوبته يلحق ذكراها العزيز على نفسه بالزهراء فى قوله :

إنى ذكرتك بالزهراء مشتاقا
والأفق طلق ومرأى الأرض قد راقا[٢٠]

■ ويذكر القباب والعمارة خلال مدحه أبى الحزم بن جهور قائلا :

وفى الكلة الحمراء وسط قبابهم[٢١]
فتاة كمثل البدر قابله السعد

■ كما يذكرها فى قصيدة أخرى مادحا بنى جهور ويذكر لون القباب واتساعها :

لعمر القباب الحمر وسط عرينهم
لقد قصرت فيها السروب العقائل[٢٢]

●● وبعد فراره من السجن والتجائه عند بنى عباد فى اشبيلية لم تنسه قصورها وعمائرها ومجالسها ومظاهر حضارتها ذكريات مضت فى قرطبة وينشد مترنما بأسماء وأوصاف القصور والمقاصير والمجالس كالعقيق والزهراء :

وأيام وصل بالعقيق اقتضيته
فإلا يكن ميعاده العيد فالفصحا
ألا هل الى الزهراء أوبة نازح
تقضى تنائيها مدامعه نزحا
مقاصير ملك أشرقت جنباتها
فخلنا العشاء الجون أثناءها صبحا[٢٣]
يمثل قرطيها لى الوهم جهرة
فقبتها فالكوكب الرحب فالسطحا

●● ويستحق البيتان الأخيران الوقوف أمامها للتدبر فى كنه ضخامة الثريات وأساليب الاضاءة التى حولت العشاء المظلم صبحا جليا فبدت الثريا كالكوكب الرحب يتوسط القبة .

فاذا ما انتقلنا مع شاعرنا الى اشبيلية لنجوس معه خلال قصور بنى عباد لانعدم صدى شعره فى تلك الرحاب متناولا ذكر ووصف قصورهم ونقتبس تلك الأبيات من قصيدة يمدح بها المعتضد ويذكر القباب ويصف المصانع (المبانى) والقصور :

أَلمَوْعِدٍ فى تلك القِباب مُراد
لو ساعف الكَلِفَ المشوقَ مرادُ[٢٤]
ألمحب عذر فى الفراق لمن نأى
ليرى المصانع منه كيف تشاد
فى قصر ملك كالسدير أو الذى
ناطت به شرفاتها سنداد
تتوهم الشهباء فيه كتيبة
بفناء، اليحموم فيه جواد
يحتال من سير الأشاهب وسطه
بيض كمرهفة السيوف جعاد

وها نحن نرى ذكر القباب وعظمة المبانى المشادة التى تعوض الفراق والمنتأى وذلك القصر الذى يذكر بقصر النعمان (السدير) تمتطيه الشرفات العالية ويبتلع فناؤه أكبر الكتائب ولو كانت الشهباء كتيبة النعمان وقد بلغ ارتفاع القصر مبلغ الأطواد وودت الشهب لو أنها كانت له أوتاداً وقد رفع على عمد بيضاء .

ومن قصيدة لتهنئة المعتضد بن عباد بعيد الأضحى نختار هذا البيت :

يتيه بمرقاه سرير ومنبر
ويحمد مسعاه حسام ومصحف[٢٥]

■ وفى رثاء إبن زيدون للمعتضد يمدح خليفته المعتمد بن عباد ويقول[٢٣] :

اذا ما استوى فى الدست عاقد حبوة
وقام سماطا حفله فلى الصبر
ورحت الى القصر الذى غض طرفه
بعيد التسامى ان غدا غيره القصر

●● ومن أهم وأرق ما صاغه بيان ابن زيدون تلك الأبيات التى وردت فى قصيدة(٢٦) كتبها الى المعتمد بن عباد يشوقه فيها لتعاطى الحميا فى قصوره البديعة التى منها المبارك والثريا:

يا أيها الملك الذى لولاه لم
تجد العقول الناشدات كمالا
أما (الثريا) فالثريا نصبة
وافادة وأناقة وجمالا
قد شاقها الاعباب حتى انها
لو تستطيع سرت اليك خيالا
رفه ورودكها لتغنم راحة
وأطل مزاركها لتنعم بالا

الفنون التطبيقية من نسيج وخلع ونحت ومعادن وحلى

وسوف نبدأ أولا بذكر أبيات تتعلق بالنسيج ولكنها وإن لم تكن مباشرة فى وصف ثياب معينة غير أن كثرة اشاراته الى البرد وجمالها يؤكد المعلومات المستفيضة التى سجلها ابن حيان القرطبى فى المقتبس(٢٧) حول الاهتمام بدور الطراز وصاحب الطراز والأنواع التى كانت تنتجها ومن هذا القبيل تشبيه ابن زيدون أيامه الناعمة الطافحة بالنعيم بمذهبات البرود رقيقة الحواشى الشهيرة فى النسيج الأندلسى فى قوله:

وأيامنا مذهبات البرود
رقاق الحواشى صوافى الأدم(٢٨)

■ ويشير البيت الآتى الى شيوع عادة الخلع التى كانت من أسباب الاهتمام بدور الطراز لرغبة الملوك والأمراء فى تقديم الخلع بمقدمة هداياهم:

ولبسنا الجديد من خلع الحـ
ـب ولم نأل أن خلعنا اللبيسا(٢٩)

●● وفيما يتعلق بفن النسيج وألوانه المفضلة فى الاستعمالات المعينة نقتبس بيتا من قصيدته فى رثاء والدة أبى الوليد بن جهور:(٣٠)

لعمر البرود البيض فى ذلك الثرى
لقد أدرجت أثناءها النعم الخضر(٣١)

■ وفى رثاء أم المعتضد ومدحه يذكر البرد المطرزة:

شهدنا لقد طرزت برد جماله
وقلدته عقد البهاء مرصعا(٣٢)

■ وفى تهنئة المعتضد بعيد الأضحى يذكر الحلة السيراء والرقم والمئزر والمطرف:

وفى السيراء الرقم وسط قبابهم
بعيد مناط القرط أحور أوطف
تباين خلقاه فعبل منعم
تأود فى أعلاه لدن مهفهف(٣٣)

●● ومن أبيات تلك القصيدة ما ينم عن رفعة اللباس الاسلامى بالأندلس والاعتزاز به:

وكم نعمة ألبستها سندسية
أسربلها فى كل حين وألحف

ويخص الشاعر ابن زيدون فن النحت بتحفة جليلة من شعره تفصح عن تفوق الفن الاسلامى فى نحت الرخام وإبداع التماثيل التى تنطق بخدها الأسيل ومحياها الطلق والظرف الغضيض والابتسام والالتفات بمهارة الفنان المسلم فى محاكاة المخلوقات إذا أراد.. ولنستمع إليه يصف تمثالا مرمريا نصب بجانب حمام من حمامات المعتضد فى قصيدة يشكر بها المعتضد على سماحه له بالتنزه داخل الجنبات الخاصة فى قصره بإشبيلية.. كما يتضح من الأبيات كذلك طريقة بناء الحمة ونقاء مادة الرخام المستعمل فى التشييد ونوع المرمر:

جاورتْ حمّةً مشيدة المبـ
ـنى لبرق الرخام فيه وميض (٣٤)
مرمرٌ أوْقد الفِرنْدَ عليه
سلسلٌ بحرُهُ الزلال يفيض
وسطها دمية يروق اجتلاء الـ
ـكل منها ويفتن التبعيض

■ ويذكر ابن زيدون الحلى الأندلسية الاسلامية فى أكثر من مناسبة ففى تشوقه لمحبوبته ولادة يقول:

والروض عن مائه الفضى مبتسم
كما شققت عن اللبات أطواقا (٣٥)

ويذكر ابن زيدون السيف فى مدحه لأبى الوليد بن جهور:

مهذب أخلصته أوّليته
كالسيف بالغ فى إخلاصه الصنع (٣٦)

●● وفى البيت الثانى دراية بصنع السيوف مادة وإنتاجاً.

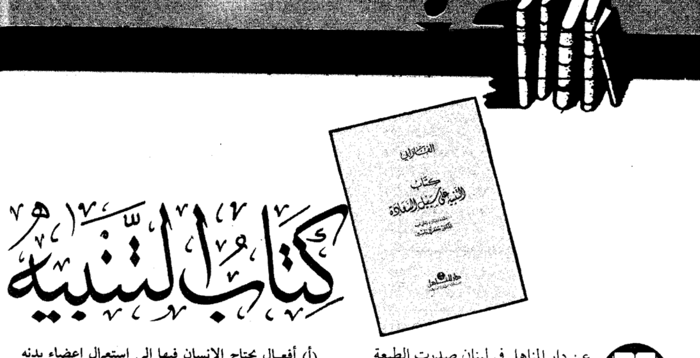
وبعد قرطبة والزهراء وإشبيلية نجد شاعرنا ابن زيدون فى بطليوس يمدح صاحبها ويصف جانبا من مجلسه ويذكر الوسائد:

وأنى إن زرت لم تحتجب
وإن طال بى مجلس لم تمل ٣٧
تبسمت ثم ثنيت الوساد
فحسبى من خطر ما أجل

---

(١) المعجب ص ٢١٩
(٢) زهرة الآس ص٤٨ وقد توفى الشاعر عام ٧٩٢ هجرية والأمير أحمد بن أبى بكر الزناتى المذكور هو بانى صومعة القرويين الحالية وعليها نقش تأسيسى بذلك.
(٣) زهرة الآس ص٤٨ وتثبت تلك الأشعار واقعة رفع ابن أبى بكر الزناتى لسيف المولى ادريس فوق صومعة القرويين.. ولم يقصد الشاعر بالبيت الأول أن المولى ادريس هو الذى وضع السيف لان صومعة القرويين لاحقة على عصر ادريس رضى الله عنه.
(٤) زهرة الآس ص٤٩ وقد اخترنا البيتين لابن الأحمر للدلالة على شهرة السيف المذكور بأنحاء المعمور.
(٥) زهرة الآس ص ٦٩
(٦) نفس المصدر ص٧٠ وفى البيت اشارة الى كاسات الثريا.
(٧) الاستقصاج ٣ ص٢٠٦/ ٢٠٧
(٨) زهرة الآس ص ٦٩
(٩) زهرة الآس ص٥٣
(١٠) المعجب ص١٥١
(١١) المعجب ص١٥٣ والغراب فى البيت الثانى مرادفة لقطعة بمعنى السفينة.
(١٢) تاريخ المن بالامامة نفس الطبعة ص١٤٧، ١٦٧
(١٣) نفس المصدر ص ٣٥١
(١٤) الآثار الأندلسية الباقية ص١٩٨
(١٥) نفس المصدر ص ٢٠٢
(١٦) راجع أعمال الاعلام للسان الدين عن عصر الامارة والخلافة الأموية ص ٧/ ٤٣ والدولة العامرية ص ٥٩ ثم ملوك الطوائف الحموديون ص١٢٨ وبنى جهور ص ١٤٥ وبنى عباد باشبيلية وغيرها ١٥٢ وبنى هود بسراقسطة ١٧٠ وبنى ذى النون بطليطلة ص١٧٧ ربنى الأفطس ص١٨٢ وبنى صمادح بالمرية ص١٨٩.
(١٧) نديم مرعشلى دراسة تفصيلية عن الشاعر بديوان ابن زيدون نشر الشركة اللبنانية للكتاب.
(١٨) ديوان ابن زيدون نشر الشركة اللبنانية للكتاب القسم الثانى ص٤٤ وما بعدها.
(١٩، ٢٠) ديوان ابن زيدون نفس الطبعة ص ٥١، ص١٠٠
(٢١) نفس المصدر ص١٠٣ والقباب ليست خياما وانما هى القاعات الكبيرة ذات القباب العالية المزخرفة.. وبجلال تلك القباب يشار الى القاعة بالقبة.
(٢٢) نفس المصدر ص ١٧٤
(٢٣) نفس المصدر ص ٧١/ ٧٢
(٢٤) ديوان ابن زيدون نفس الطبعة القسم الثانى ص ٩٦ ـ للوقوف على وصف بقايا قصر اشبيلية الذى كان مقر اقامة بنى عباد راجع:
TORRES BALBAS Ars Hispaniae, IV, PP.30-31

(٢٥) نفس المصدر القسم الثانى ابتداء من ص ١٤٦ وخاصة ص ١٤٨
(٢٦) ديوان ابن زيدون القسم الثانى ص ١٦٥/ ١٦٦
والقصر الذى مر بنا دفن المعتمد للشاعر ابن عمار فيه.. كان من المعالم الشهيرة بالأندلس ويقول صاحب المعجب أن قصر المعتمد المعروف بالقصر المبارك باق الى وقتنا هذا ـ انظر المعجب ص ١٢٥.
(٢٧) المقتبس تحقيق عبد الرحمن على الحجى صفحات ٦٦، ٩٢ وغيرها.
(٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣) ديوان ابن زيدون القسم الأول ص ٧٩، ص١١١، ص١٤١، ص٣٠، ص١٣١، ص١٤٦.
(٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧) ديوان ابن زيدون القسم الثانى ص ١١٧/ ١١٨، ص١٩، ص٧٢، ص١٥٣، ص١٤١، ص١٨٩



كتاب التنبيه

عن دار المناهل فى لبنان صدرت الطبعة الأولى عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م من كتاب «التنبيه على سبيل السعادة» للفارابى . . تحقيق وتعليق الدكتور جعفر آل ياسين .

والكتاب يقع فى اكثر من مائة صفحة من القطع المتوسط ـ وطبع طباعة راقية على أحسن ما تكون الطباعة العربية وهو رسالة منطقية فى الأخلاق يقدمها لنا الفيلسوف العربى والمعلم الثانى الفارابى الذى توفى فى ٣٣٩هـ واننا لنجدها لشدة صدقها وكأنها كتبت اليوم لجيلنا والأجيال القادمة . . وخلال صفحات المجلة نستعرض الكتاب كما قدمه لنا المحقق الدكتور جعفر آل ياسين لتعم الفائدة على القراء .

التعريف العام بالكتاب:

فى هذا الكتاب نجد أن الفارابى (ت ٣٣٩هـ) يقرر أن الكمال هو الغاية الأصيلة التى يتشوقها الانسان فى تطلعه نحو حياة اكثر سعادة وسلامة . . لأن السعادة الحقيقية هى آثر الخيرات طراً باعتبار أنها تطلب لذاتها لا لشىء آخر يتوسل به اليها .

وهذه السعادة فى ضوء تطبيقاتها العملية ـ تتصف افعالها بحالين : إما حال مذّمة أو حال محمدة وهى فى الحالين لا تتعدى كونها أحد ثلاثة :

(أ) أفعال يحتاج الانسان فيها إلى استعمال اعضاء بدنه وآلاته كالقيام والقعود والنظر والسماع .

(ب) أفعال مصدرها عوارض النفس كاللذة والغضب والشوق والفرح والخوف .

(ج) أفعال تخضع فى قيامها لعامل التمييز الذهنى عند الانسان وجميع هذه الأفعال ـ إذا قيست من وجهة نظر اخلاقية تخضع لما يسميه الفيلسوف الفارابى بجودة التمييز أو رداءته .

ولكن من اين لنا هذه الجودة فى التمييز؟ ذلك هو الأصل وهو الغاية فى مبحث (التنبيه على سبيل السعادة) التى قصدها الحكيم .

● يقول المحقق الدكتور جعفر آل ياسين : نحن لا ننال السعادة بالأفعال الجميلة ما لم تكن تلك الأفعال قاصدة هادفة من جهة ومتحققة بصناعة معينة من جهة اخرى بحيث يعود الكائن الناطق يمتلك قدرة على التمييز فى افعاله المختارة طيلة حياته بأسرها .

● ويقول : وفى سبيل تحقيق الغاية التى قصدها الفيلسوف (الفارابى) ينبغى أن نسلك طريقين لنقف منها على مقاصد ابى نصر بالذات :

الأول : محاولة أن تصير الأخلاق الجميلة ملكة لنا بحيث لا يمكن للصواب أن يزول إلا بعُسر ومشقة .

الثانى : أن تكون لدينا القدرة على إدراك الصواب

على سبيل السعادة للفارابى

إدراكاً سليماً لا عوج فيه ولا ضلال.

فما هى الوسيلة التى تحقق لنا الوصول الى المهيع الأول من هذين الطريقين.؟ إنها وقبل كل شيء وسيلة الاعتياد والمقصود به «تكرير فعل الشيء الواحد مراراً كثيرة زماناً طويلا فى أوقات متقاربة».

ويتساءل المحقق عن الآلة التى ينبغى أن نستعين بها كى تقودنا إلى الفعل الجميل حقاً؟ فيأتيه رد الفيلسوف بانها آلة (الوسط الاخلاقى) فالأفعال متى كانت متوسطة حصل الخُلقُ الجميل. وما يقوله الفارابى عن (الوسط الاخلاقى) هو ذاته الذى تبناه من قبل المعلم الأول أرسطو طاليس فى كتابه المعروف (الاخلاق إلى نيقوما خوس).

ويحاول الفارابى ها هنا سوق نماذج لأفعال الوسط الاخلاقى محتذيا بها الى حد كبير حذو ارسطوطاليس فى كتابه المشار اليه سابقا فمثلا: «إن الشجاعة خلق جميل يحصل بتوسط فى الإقدام على الاشياء المفزعة والاحجام عنها.. والزيادة فى الاقدام تكسب التهور

تحقيق وتقديم
د. جعفر آل ياسين
عرض
فؤاد نصر الدين حسين
مصر

والنقصان فى الاقدام يكسب الجبن وهو خلق قبيح» والسخاء يحدث بتوسط فى حفظ التقتير وهو قبيح والزيادة فى الانفاق.. والنقصان فى الحفظ يكسب التبذير.. ومن ثمة يشير الى اوساط أفعال اخرى كالعفة والظرف والهزل والمجون والتودد وغيرها.

هوية الكتاب:

فى تحقيق هوية (**التنبيه على سبيل السعادة**) نحو من الاطمئنان حيث اشار إليه ابن ابى أصيبعة «ت ٦٦٨هـ» فى كتابه الموسوم عيون الانباء فى طبقات الأطباء تحت عنوان: «**رسالة فى التنبيه على أسباب السعادة**».. ويذكر صلاح الدين الصفدى (ت٧٦٤هـ) فى كتابه الوافى بالوفيات تحت عنوان «**التنبيه على أسباب السعادة**» وأقدم إشارة إليه اوردها عبد اللطيف البغدادى (ت ٦٢٩هـ) فى إملاء سيرته الموسوم (الافادة والاعتبار) حيث نعته بـ (التنبيه على سبيل السعادة).. وأورد القفطى (ت ٦٤٦هـ) فى كتابه إخبار العلماء بأخبار الحكماء اسم كتاب «**فى السعادة الموجودة**» لعل المقصود منه كتاب «التنبيه» ويرد بذات الاسم كذلك فى فهرس مكتبة الاسكوريال بأسبانيا.

يقول المحقق: ونحن من حيث عنوان الكتاب اكثر

ميلاً إلى اختيار لفظة (سبيل) بدل (اسباب) وقد استوحينا ذلك من طبيعة النص الداخلي من جهة وما ذكرته بعض نسخه المخطوطة التي أشرنا إليها في كتابنا الموسوم (مؤلفات الفارابي) من جهة اخرى.

وانه ليلفت النظر حقا ما وجدنا عليه اكثر مخطوطاته في التزامها بلفظه (سبيل) بدل (أسباب) رغم انها غير متأخرة النسخ والتدوين.. أما وضعنا لفظة (كتاب) في بدء عنوان (التنبيه) فقد اعتمدنا في ذلك على تنظير المؤلف بالذات الذي يقول فيه (بحسب الوسط المحدود في هذا الكتاب) لذا اجزنا لأنفسنا هذه الاضافة بدل لفظة (رسالة) التي اصطنعها بعض الناسخين.

منهج التحقيق..

يقول المحقق: اننا لم نعتمد نصاً معيناً من المخطوطتين بل تم تحقيق النص على قاعدة (التكامل) بينهما حيث يساعد بعضهما بعضاً في كشف الشكل الحقيقي الذي أراده الفيلسوف ـ مع بذل البصيره الاجتهادية قدر المستطاع في تنقية النص من الشوائب الاخرى.

وقد اجزنا لأنفسنا أن نعيد المختصرات الى أصولها في الرسم السليم للكلمة.

فمثلا:

(مح = محال، ح = حينئذ، فح = فحينئذ، أيض = ايضاً، مط = مطلوب، ظ = ظاهراً، كك = كذلك، يق = يقال، ثلثه = ثلاثة، مهية = ماهيه).

وكذلك أصلحنا إملاء بعض الكلمات واصلحنا أمر التنقيط وكذلك فإن النسختين خاليتان من حركات الضم والفتح والكسر وغير ملتزمتين بقواطع النص باستثناء النسخة المطبوعة في حيدر آباد.. ومن هنا فإن علامات الوقف وتقسيم النص إلى فِقَر هو من عملنا الخاص وفي ضوء فهمنا للنص.

وقد اعتبرنا نشرة حيدر آباد لكتاب التنبيه على سبيل السعادة رقماً ثالثاً يضاف إلى المخطوطتين اللتين استعملتا في التحقيق على الرغم من أن نشرة الهند مفتقرة إلى التحقيق العلمي الدقيق.

ومما تجدر الاشارة إليه أن كتاب التنبيه على سبيل السعادة ترجم إلى عدة لغات اجنبيه كاللاتينية والألمانية والروسية والفارسية والتركية.

المخطوطتان..

(أ) نسخة المكتبة البريطانية (المتحف البريطاني سابقاً) يقع كتاب (التنبيه على سبيل السعادة) ضمن المجموع المرقم Add. 7518 Rich وتسلسله العاشر بين الرسائل الفارابية ويبدأ من ورقة ١٢٥ظ ـ ١٣٦ و. وتاريخ نسخ المخطوط هو ١١٠٥هـ.

(ب) نسخة مكتبة مشكاة.. وهي المجموعة التي أهديت الى المكتبة المركزية لجامعة طهران وكتاب (التنبيه على سبيل السعادة) يقع ضمن المجموع المرقم (٢٤٠ ـ كتابخانه مشكوه) ويبدأ من الورقة (٧٣ط ـ ٨٠ظ) وكتاب التنبيه على سبيل السعادة يقع في ٧ ورقات وتسلسله الحادى عشر وحجمه (٢٢٫٥ × ١٣٫٥ سم) ومسطرته (٢١) سطراً ١٥×٨سم وخطه نستعليق حديث كسائر خط المجموع وتاريخ نسخه الحادى عشر للهجرة (ظاهراً)..

مقتطفات من الكتاب المخطوط..

نختار هنا بعض ما جاء به الكتاب المخطوط لنقف على محتواه وليتعرف القارىء الذى لم يقع

الكتاب فى يديه على المضمون الذى يحتويه فكر الكتاب ومؤلفه الفارابى.

وينبغى أن نعلم أولا أن الأفعال الجميلة قد يمكن أن توجد للانسان باتفاق أو بأن نُحْمَل عليها من غير أن يكون فعلها طوعاً واختياراً والسعادة ليست تنال بالأفعال الجميلة متى كانت عن الانسان بهذه الحال لكن أن يكون قد فعلها طوعاً وباختياره ولا ايضاً إذا فعلها طوعاً فى بعض الأشياء وفى بعض الأزمان بل أن يختار الجميل فى كل ما يفعله وفى زمان حياته بأسره. وهذه الشرائط بأعيانها يجب أن تكون فى عوارض النفس الجميلة.. وأيضاً فإن جودة التمييز ربما وجدت للانسان باتفاق فإنه ربما يحصل للانسان اعتقاد حق لا بقصد ولا بصناعة والسعادة ليست تنال بجودة التمييز مالم تكن بقصد وبصناعة ومن حيث يشعر الانسان بها يُميز كيف يُميز. وقد يمكن أن يكون للانسان من حيث يشعر بها لكن فى اشياء يسيرة وفى بعض الأزمان ولا بهذا المقدار من جودة التمييز تنال السعادة.. (صفحة ٥١، ٥٢).

●● فلنبتدىء الآن فى التى بها نصل إلى أن تصير لنا الأخلاق الجميلة ملكة ثم نتبع بالتى بها نصير الى أن تصير لنا القوة على إدراك الصواب ملكة.. وأعنى بالملكة أن يكون الصواب بحيث لا يمكن زواله أو يعْسُر فنقول: إن الأخلاق كلها الجميل منها والقبيح هى مكتسبة.. (صفحة ٥٥)

والناس منهم من له جودة الرؤية وقوة العزيمة على ما أوجبته الروية فذلك هو الذى جرت عادتنا أن نسميه الحر باستيهال ومن لم تكن له هاتان ففى عادتنا أن نسميه الانسان البهيمى.. ومن كانت له جودة الروية فقط دون قوة العزيمة سميناه العبد بالطبع وقوم ممن ينسب إلى العلم أو يتفلسف قد عرض لهم ذلك فصاروا فى مرتبة من ليس له دون الأول فى الرِّق وصار ما ينسبون إليه عاراً عليهم ومسبة إذا صار ذلك باطلا لا ينتفعون به.. (صفحة ٧٠).

أبو القاسم الزجاجي من خلال كتاب حروف المعاني

بنيونس الزاكي

اختصت كثير من كتب العربيه بتناول موضوع: «حروف المعانى» وهو فن نشأ فى ركاب تفسير القرآن الكريم حين كان علماء العربية والمفسرون يفصلون المعانى المختلفة للأداة الواحدة فى النصوص القرآنية ثم شبّ هذا العلم وترعرع حتى استقل بميدانه الخاص المتميز(١)

ولقد أوْلى القدماء عنايتهم بهذا الموضوع حتى إن إمام النحاة سيبويه قد أفرد له باباً خاصاً(٢)

ولقد ظلت أقوال المتقدمين فى موضوع معانى الحروف منتشرة بين طيات المصادر اللغوية والنحوية وكتب التفسير إلى أن شعر النحاة بضرورة تصنيف كتب خاصة تضم هذه المعانى وتبسط أصولها وأبوابها وشواهدها والمذاهب المختلفة فيها فكان أن صدرت مؤلفات كثيرة فى هذا الموضوع(٣).

ولقد اختُلف فى أول من أفرد مصنَّفا مستقلا لموضوع «**معانى الحروف**» فذهب محققا «**الجنى الدانى**» الى القول بأن أول كتاب جامع فى هذا الموضوع كان على يد محمد بن جعفر التميمى القيروانى المعروف بالقزاز واستند المحققان فى ترجيح هذا القول الى رواية ساقها القفطى فى إنباه الرواة ونصها هو:

«**ما علمت أن احداً سبق الى تأليف مثل هذا الكتاب ولا اهتدى أحد من أهل هذه الصنعة الى تقريب البعيد وتسهيل المأخذ وجمع المفرق على مثل هذا المنهاج**»(٤).

وإذا علمنا أن الكتاب المذكور قد صُنِّف سنتى إحدى وستين وثلاثمائة وأن الزجاجى قد توفى سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة تأكد لنا أن القول الذى اعتمده المحققان الفاضلان مرجوح وأصح من القول بأسبقية الزجاجى الى التصنيف فى هذا الفن وهذا هو ما ارتضاه محقق حروف المعانى إذ قال: ولعل أبا القاسم الزجاجى - رحمه الله - أول من أفرد مصنفا مستقلا للأدوات وحروف المعانى إحساسا منه بأهمية هذا الاتجاه لتعميق البحث فيها واستشعارا بأهمية وسهولة الرجوع اليها عند الحاجة بلا عناء فسبق بذلك غيره فى هذا المضمار(٥).

مادة الكتاب ومنهج المؤلف فيه:

طابَق عنوان الكتاب مضمونه فقد صنفه الزجاجى - رحمه الله - فى حروف المعانى وكذلك عَنْوَن له وبهذه الصيغة ختمه. قال فى آخره: تم كتاب حروف المعانى. ولقد مهد الزجاجى - رحمه الله - لكتابه سيرا على السُّنَّة التى درج عليها القدماء - بخطبة أبان فيها عن الباعث له لتصنيف الكتاب فقال:

«أما بعد فإنك سألتنى أن أضع لك كتاباً أشرح لك فيه جميع معانى الحروف وعلى كم وجه يتصرف الحرف منها فأجبتك إليه وأحسنت عوناً عليه»(٦).

ويستفاد من مقدمة خطبته هذه أمران:

الأول: ان تصنيفه لهذا الكتاب قد تم استجابة لرغبة سائل ألح عليه فى ذلك.

الثانى: ان المصنف - رحمه الله - قد التزم وضع كتاب يشرح فيه معانى الحروف وتوضيح المعانى التى يؤديها كل حرف على حدة.

ولقد فطن الزجاجى - رحمه الله - الى أن سياق الكلام هو الذى يكشف عن حقيقة المعنى اللغوى للكلمة وأنها - منفردة منعْزلة - لا تفيد دلالة جلية.

وقد تجلى فهمه هذا عند تناوله لأكثر الأدوات فهو مثلا حين تناول لفظة: «عِنْدَ» قال فيها: أداة لحضور الشيىء ودنوه كقولك: كنت عند زيد أى بحضرته، وكان هذا عند انتصاف النهار فتحتمل الزمان والمكان(٧).

قال محقق الكتاب: فقوله: «فتحتمل الزمان والمكان» استخلصه وقرره بعد ذكر تركيبين فهى فى الأول أفادت الدلالة على المكان وفى الثانى أفادت الدلالة على الزمان وهكذا فلابد من وضع اللفظة فى تركيب حتى تفهم دلالتها الدقيقة المعنية(٨).. وعند كلامه عن «هل» يقول: تكون استفهاما كقولك: هل خرج زيد؟ وتكون بمعنى «قد» كقوله تعالى: ﴿**هل أتى على الانسان حين من الدهر**﴾ (الانسان/ ١)

قالوا: معناه قد أتى . . ويدخلها معنى التقرير والتوبيخ ما يدخل الألف التي يستفهم بها كقوله تعالى: **﴿هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء﴾** (الروم/٢٨) وكقوله تعالى: **﴿هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده﴾** (يونس/٣٤) فهذا استفهام فيه تقرير وتوبيخ. ويجعلونها أيضاً بمعنى «ما» في قوله تعالى: **﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة﴾** (الأنعام/١٥٨) و(النحل/٣٣). . **﴿هل ينظرون إلا تأويله﴾** (الأعراف/٥٣). . **كل هذا بمعنى «ما»**(٩).

ولقد عرض الزجاجي - رحمه الله - إلى سبع وثلاثين ومائة أداة فأوسعها شرحاً وتعليقاً وتناول بالدراسة والتحليل الحروف على اختلافها دون أن يهمل بعض الأسماء والمصادر وأسماء الأفعال وحتى بعض الافعال(١٠). . **غير أنه - رحمه الله - لم يسلك في كتابه منهجاً منظماً بل غلب عليه الخلط والتداخل.**

قال محقق الكتاب: فلم يرتب هذه الادوات على أساس بنيتها الأحادية أولا فالثنائية فالثلاثية. . ولم يرتبها هجائيا على حروف المعجم كما أنه لم يرتبها ترتيباً موضوعياً(١١).

أقول: ولعل مما يشفع لأبي القاسم الزجاجي - رحمه الله - أنه كان سباقا في هذا المجال حيث أنار السبيل لمن جاء بعده فمصنفه في هذا الفن وكتابه يعتبر بذلك رائداً في بابه.

---

(١) الجنى الداني . ص٣ تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة والاستاذ محمد نديم فاضل - طبعة دار الآفاق الجدديدة. ط٣/ ١٩٨٣.

(٢) الكتاب: تحقيق عبد السلام هارون ص: ٢١٦ - ٢٣٥ طبعة عالم الكتب ط٣/ ١٩٨٣.

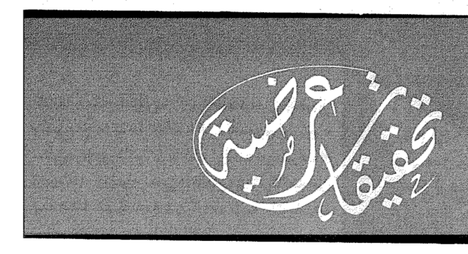
(٣) الجنى الداني ص: ٣.

(٤) إنباه الرواة: ٣/ ٨٦-٨٧ تحقيق محمد أبنى الفضل إبراهيم - ط دار الكتب المصرية.

(٥) حروف المعانى - تحقيق الدكتور على توفيق الحمد - القسم الاول - ص١٩ طبعة مؤسسة الرسالة ودار الأمل ط٣/ ١٩٨٦.

(٦، ٧، ٩) حروف المعانى: القسم الثانى ص١ - ص١ - ص٢

(٨، ١٠، ١١) حروف المعانى القسم الأول ص٢٤ - ص٢١ - ص٢٨.



سعد صائب ـ شعراء وأدباء من الشرق والغرب ـ دمشق ـ منشورات اتحاد الكتاب العرب ـ دار الأنوار للطباعة بدمشق ١٩٧٦-٢٠٥ص.

١ ـ ص ٣٣ «بول فاليرى . . المولود فى «سيت Sete» على حفاف البحر الأبيض المتوسط» . . حفاف كلمة مفردة بمعنى الجانب.

٢ ـ ص ٧٥ «حـالـه الـعـليـلة الـتى أنيطت . . بالاستعمال المنبعث من الحياة: الصحيح: نيطت.

٣ ـ ص ٧٨ «أن تضحي فنانا ليس معناه أن تعد السنين والأعوام» . . ص٨٦ «ان أمراً واحداً . . سيضحي . . موضوعا» كذا وردت يضحي بالياء والصحيح: يضحى بالألف ـ وقد يكون ذلك من الخطأ المطبعى.

٤ ـ ص ٨٠ «يغدو من البدهى أن يهب روحاً لكل ذى حياة»: الصحيح: من البديهى.

٥ ـ ص ١٠٢ «ولست أشك فى أن الشاعر جورج لانـز . . هوالوجه النير الذى تألق لافى سماء الأدب البلجيكى فحسب بل فى سماء العالم الغربى كذلك . .».

هذا الضرب من التركيب يشى بالأصل الأجنبى وهو غريب عن البناء العربى ويمكن أن نقول عوضه: هو الوجه الذى تألق فى سماء الأدب البلجيكى وفى سماء العالم الغربى كذلك.

أو نقـول: ليس الشاعر . . هوالوجه النير الذى تألق فى سماء الأدب البلجيكى فقط وإنما تألق فى سماء العالم الغربى.

أو أى شىء من هذا لا يصعب على الاستاذ سعد صائب وقد اوتى قلما مطواعا.

٦ ـ ص ١٣٨ «لقد نشأ الشعر . . لا بفعل أناس قصدوا أن يغدو شعراء بل بفعل أناس أدركوا الشعر برؤيتهم الوجود . .».

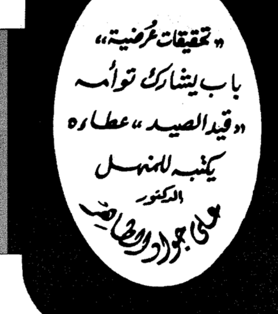
يقال فيها ما قيل فى سابقتها: عبارة تشى بالأصل الأجنبى لتركيبها.

٧ ـ ص ١٤٨ «ولدت الشاعرة «جانين مولان» فى بروكسل . . ثم مالبثت أن عكفت على نشر البحوث والدراسات الجادة التى تناولت فيها أعمال شعراء غربيين أفذاذاً مثل: «جيرار . . دونرفال . . وغيوم ابولينير . ومارسلين ديبور فالمور . . الذين اصطفتهم من بين الشعراء الفحول . .».

قد يحتاج القارىء العربى ازاء هذا التعبير من يوضح له أن «مارسلين ديبور فالمور» شاعرة (وليست شاعراً) . . وأفذاذا: أفذاذ.

٨ ـ ص ١٥٠ «مكائد الحب»: الصحيح: مكايد.

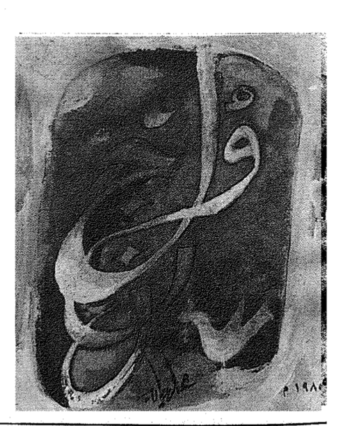
٩ ـ ص ١٦٢ «جواد أفعمت النجوم عرفه ـ وطبعت عليه أخفى قبلى ـ يالد يالدأداء الجواد . . ياويحها سعادة جاثحة . .»



وشرح في الحاشية: «**جواد دأداء: سريع السير**»

ونقول للاستاذ سعد صائب ذى القلم المطواع: أمـا وجـدت كلمـة غير «دأداء» أخف على الفهم والسمع ولا تدعو الى الشرح؟.

وفي القاموس: «**دأدأة دأدأة ودئداء . .**» وهو ـ كما في لسان العرب ـ أخص بالبعير (وليس بالجواد) قال: «**دأدأة: الدئداء: أشد عَدْوِ البعير**. .



<u>اللغة العربية كائن حي ـ جرجي زيدان ـ بيروت ـ دار الجيل ١٩٨٢ .</u>

لا يوجـد بين مؤلفـات جرجي زيـدان الكثيرة المتنوعة كتاب بهذا العنوان (اللغة العربية كائن حى) واننا لنعرفها جيدا في متابعة وفي رجوع بها الى مصادرها . .

ـ فمن أين أتى؟

ـ نعرف جيداً أن له مكانة من البحث اللغوى (المبكر) وله في ذلك كما يقول يوسف أسعد داغر في كتابه القيم «مصادر الدراسة الأدبية» ج٢ بيروت ١٩٥٦ :

١ ـ الألفاظ العربية والفلسفة اللغوية ـ بيروت ١٨٨٦ طبعة ثانية مصر ١٩٠٤ ـ ١١٨ص .

٢ ـ تاريخ اللغة العربية باعتبارها كائن حى خاضع لناموس الارتقاء، القاهرة، مطبعة الهلال ١٩٠٤ .

وعليـه تكون دار الجيل ١٩٨٢ قد تصرفت بما ليس لها وليس من حقها التصرف فيه فجعلت عنوان الكتاب الثانى «تاريخ اللغة العربية باعتبارها كائن حى . . .» . . اللغة العربية كائن حى .

وتصرف آخرون بالكتاب نفسه فكان هكذا :

<u>جرجي زيدان ـ تاريخ اللغة العربية ـ تقديم عصام نور الدين ـ دار الحداثة ـ الطبعة الثانية ١٩٨٠ .</u>

وهـو تصرف أقل من تصرف دار الجيل ولكنه تصرف على أية حال . . وهو علمياً غير مقبول .

قيد الصيد!

قال أبو تراب: الآصرة والإصار فى اللغة القِدُّ يضم عَضُدَى الرجل. . والسين فيهما لغة، يقال آسرة وإسار، كما فى لسان العرب، وهذا من الابدال، لأن السين تبدل من الصاد كثيراً فى لغة العرب، الا أن هذه المادة لم يذكرها الزجّاجى ولا ابوالطيب الحلبى فى كتابيهما فى الابدال والمعاقبة ولا استدركها عليهما محقق كتابيهما التنوخى.

وفى لسان العرب: قال ابن الأعرابى: أَصَرْتُهُ عن حاجته وعما أردته أى حبسته، والموضع مَأْصِرٌ ومَأْصَرٌ والجمع مآصِرُ والعامة تقول: معاصِرُ.

قال أبو تراب: كون معاصر عامية للمآصر لم يذكره الزبيدى فى لحن العوام. وذكر الصَّقلى فى تثقيف اللسان (ص٣٤٢): أن الهمزة فيه أصل قال: والإصار والأيصَرُ حبل قصير يُشدُّ به فى أسفل الخباء الى وتد وجمعُ الإصار أُصُرٌ وجمع الأيصر أياصرُ والهمزه فى هذا كله أصل، وأنشد لتميم بن أبيّ بن مقبل (انظر الديوان ص٣٦٦).

فكم لِيَ من أُمٍّ لعبْتُ بِشَدْيِها
كِلابيَّةٍ عادتْ عليها الأواصرُ

■ جاء فى تفسير القرطبى (ج٣ ص ٤٣٠) قول النابغة:

يا مانعَ الضَّيْم أن يغشى سراتهمو
والحاملَ الإصرِ عنهم بعدما عُرِفُوا

الصواب (بعد ما غرقوا) وهى رواية الزمخشرى فى أساس البلاغة.

نقل الزبيدى فى تاج العروس (أصر) من أساس الزمخشرى قوله: (لعن المآصِرَ، قال الزبيدى ولم يفسره.

قال أبو تراب: لفظ الأساس: ولعن الله أهلَ المآصِر وتفسيره هو ما ذكره الزبيدى عقبه نقلا من اللسان وهو أن المأصِرَ يُمَدُّ على طريق أو نهر يُؤْصَرُ به السفن والسابلة أى تحبس ليؤخذ منهم العُشُور. وايضا ففى الأساس والمأصِرُ مفْعَلٌ من الأصْرِ، أو فاعل من المصر بمعنى الحاجز فكيف يقول الزبيدى: إنه لم يفسره وهذا تفسيره وقد ذكره نصاً.

قال أبو تراب: ولم يذكر الفقيه الدامغانى الإصر فى كتاب الوجوه والنظائر فى القرآن وذكره الثعالبى فى الأشباه والنظائر وذكره ايضاً الحافظ ابن الجوزى فى نزهه الأعين والنواظر.



■ جاء فى تكملة الصاغانى (أصل) قال ابو وجزة السعدى:

فهزَّ روقىْ رمالىٍّ كأنهما
عُودا مداوِسَ يأصولٌ ويأصُولُ

وهو شاهد اليأصول وهو الأصل الذى يُبْنَى عليه غيره عن ابن دريد. وعلق على الشاهد ابراهيم الأبيارى ومحمد خلف الله بإحالته الى الجمهرة (ج٣ ص٣٨٥).

قال أبو تراب: والمُعلِّقانَ فى ذا مقلِّدان لفهرسة الجمهرة ولم يراجعا الجمهرة لأنه ليس فى الجمهرة هذا الشاهد وانما فيها فى هذا الموطن كلمة (يأصول) فقط بهذا المعنى، فلما جاءت كلمة اليأصول فى الفهرسة ظَنَّا أن الشاهد فيها لأنه منقول عن ابن دريد ولو راجعا الجمهرة لعرفا أن الشاهد لم يورده ابن دريد فى الجمهرة ولا وجدته أنا فى كتاب الاشتقاق له ولعله فى غيرهما من كتب ابن دريد.

■ **جاء فى شرح ديوان الأعشى (ص١٦٠) تحت قوله:**

آفِقاً يُجبى اليه خَرْجُه
كلُّ ما بين عُمانٍ فمَلَحْ

● **الملحُ من بلاد بنى جعدة باليمامة وهكذا فى معجم ياقوت.**

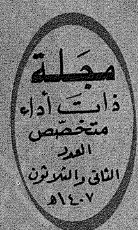
قال أبو تراب: ولم يذكره الشيخ عبد الله بن خميس فى معجم اليمامة.

■ جاء فى تاج العروس فيما نقل عن ابن عبّاد من قوله: أَفَقَ بمعنى كذب كأَفَكَ. . وايضا الأفيقة: الأفيكة.

قال أبو تراب: هذا ظاهره الابدال غير أن هذا الحرف لم يذكره الزجّاجى ولا ابو الطيب فى كتابيهما ولا استدركه عليهما محققهما التنوخى، وقد عقدا فى كتابيهما باب إبدال القاف والكاف وذكرا فيه أحرفاً كثيرة وشواهد دون هذا الحرف، وفى سر صناعة الإعراب لابن جنى (ج١ ص٢٧٨) القاف حرف مجهور يكون اصلا لا بدلاً ولا زائداً.

قال أبو تراب: وعلى هذا فهما لغتان أفق وأفك الا أن تسويغ الابدال فيهما يؤيده كون الكاف والقاف لهويَّتين فهما أختان اتحدتا مخرجاً فى الشدة والاصمات والانفتاح غير ان القاف مجهورة والكاف مهموسة.





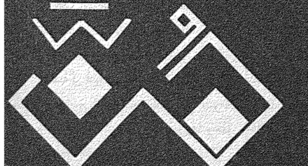


النساء.. شقائق الرجال

الاشراف

د. ابتسام صادق — الرياض

حياة عبدالحميد عنبر — جدة







ثارت آراء النقاد والباحثين فى ادب القصة طويلا حول آثار القاص المشهور «غى دوموباسان» فكان ناقدوه يرون براعته تضاهى فى صنع القصة القصيرة براعات معاصريه جميعا ـ لو أنها جمعت فى واحدة ـ فلقد كان قديرا على عرض الحياة كما هى دون ان يزخرف الحوادث ويسكب عليها توابل الصنعة والفن ـ ان صح أن أشبه المرغبات الفنية بالتوابل. . وكان حذقه فى الخلوص من الحوادث التى يرويها على قصرها قد دعا اولئك النظارين فى الأدب والعارفين لموازين الفن أن يلوموه اذ لم يكن كاتبا للقصة الطويلة.

حقا ان فن القصة الكبيرة يضع صاحبها فى عالم زاخر بالمشاهد مشحون بالأفكار بل هو دنيا تعج بالحوادث والشخوص وما يعترك بينها من المواجد والرغائب. وقد بان لى هذا الوجه ضاحيا منذ قرأت رواية **«آنا كارينينا»** لتولستوى. فقد وجدتها عالما وأسرا متداخلة الصِّلات وجموعا تعيش فى مجال متواصل. . وكلما قرأت اشباه هذه القصة فى فنها وسردها عدت بالخاطر اليها فلقد كان مؤلفها ذا طوابع انسانية ثابتة على الزمان كما أن العواطف والسجايا التى ذكرها وصوّرها وحلل اخلاق اصحابها تصلح لكل زمان وجيل.

وأدب القصة الكبيرة او المطولة قد دخل فى نظامنا الفنى المعاصر. . بل كانت الآثار الباقية فيه هى البدء بفنه لدينا فمذ كتب فى العصر الحديث محمد حسين هيكل قصة «زينب» وطه حسين قصة **«أديب»** والعقاد **«سارة»** وتوفيق الحكيم **«الرباط المقدس»** وتيمور قصصه الكبيرة. . صار فى مكنة الناقد الأدبى أن يعتبر ادبنا المعاصر ذا قصة كبيرة وان تكن قليلة الوجود والتكرر.

غير أنّا حين ننظر فى هذه القصص على ما هى عليه من نقاء وجودة لا نستطيع أن نعدها جميعا مناصبة للقصص الغربية الكبيرة اللواتى تعد فى الرائعات لأن السرد العادى قد سيطر على اكثرها وراحت القصص المطولة التى صدرت بعدها ومازالت تصدر مثيلاتها حتى اليوم مما يكتبه كتاب متمرسون بفن القصة او بادئون ناشئون لا تعنى بتحليل نفسى ولا تحدث فيها فجاءات تغير مجرى الرواية فتغرى القارىء وانما هى كلام يدور فى المعانى العادية والمبتذلة كوصف مطول كيف دخل الشخص وسرد مستمر مملول يصف خروجه او طعامه او نومه.

وإذا رحنا نتمثل شكلا عاما للقصة المطولة عسر علينا ان يقوم له تصور فى اذهاننا لأنه قلما جاء واضحا وقد ركب



وداد سكاكيني
دمشق

بعضه على بعض واختلطت معالم الحوادث فيه واحدة بواحدة. . واذا جئنا نلخص رواية من تلك الروايات لم نجد سهلا ادراكنا لخلاصتها من طول ما تهجم علينا فيها الحوادث العادية التى لا تعلق بالذهن لقلة خطرها. . ومرد ذلك الى أن هيكل القصة لا يقوم واضحا ـ على ما يظهر ـ فى ذهن المؤلف. . وهو قد يهجم على غمار الموضوع والمعالم البعيدة لم تتشكل لديه بعد او انها شاردة او مستعصية او يداخلها كثير من الافتعال فيبعدها عن الواقع فتعيش فى عالم تجريدى دون ان تخضع للحس والتصورات الحقيقية.

كل ذلك يدور فى شأن القصة الطويلة ولعل قصصنا الطويلة جميعا حتى الآن مازالت تخلو من شخصية المؤلف فى ذاته وفكره وصورته فالمؤلف فى معزل عن شخوصه فليس يديرهم وكأنه يتلعب بهم من خلف ستار كما يدير صاحب «**الكراكوز**» اخيلته الجلدية والخشبية أو كما ينطط بالخيوط مديرها المطل على الملعب ما تعلق فى اواخرها من الشخوص المصنوعة لمسرحيات العرائس.

ان لصوق القاص باشخاص قصته شرط من شروط الاجادة وقد لا تكون له بهم صلة حقيقية لكنه يوجد هذه الصلة الروحية فى رواياته اذ يصبحون ملكا له فيحملون آراءه وافكاره ويلتمسون غاياته الاجتماعية والمذهبية.

انك حين تقرأ القصص الكبيرة لأناتول فرانس تحس انه امامك فى كل شخص. . فهو تارة يبدو رجلا عجوزا متولعا بابنة صغيرة كان يعرف امها الراقصة فيبدو فى اهاب «**سيلفستر بونار**» وحينا تجده لابسا المسوح الممزقة ساعيا من ارض «طيبة» بمصر فى عهدها القديم يغذ السير الليل والنهار حتى يدرك الاسكندرية وراء الغانية تاييس وقد تقمص شخصية بطله «**يافنوس**»

قلت لنفسى كأنى ارى من كتاب القصص الكبيرة لدينا من يعيش فى عزلة عنها وكأنه راح يمسكها بقفاز عازل. . وكم كان جديرا أن يكون بينه وبينها ولو رباط التبنى ان لم يكن رباط الصلة الفكرية والروحية اننى لأبحث فى شخوص اكثر هذه القصص لأرى المؤلف فلا اجد الا اسمه عليها. . ولكن اين افكاره هووما غايته من الرواية ـ وهل كان تأليفه اياها بسبيل تسلية الجمهور او لوضع فكرة ومذهب او جريا الى غاية.

ولست انفى أن فى ادبنا المعاصر قصصا كبيرة جيدة قد احتوت كل ما يراد لها من الشروط ولكن فى حد ضيق ونادر.

وأحسب اخيرا أن القصص القصيرة متعبة للقاص اذ تقوم كل واحدة منها بحادث له مبدأ وله خاتمة أو انه يكون مشهدا من المشاهد لا مبرر له ولا ختام او هو حادث موصوف وكأنه صورة ضمن اطار. . ولا غنى لكل هذه القصص القصار عن العقدة وحلها والمفاجأة واستحكامها.

ولست اجد كتابة القصة الطويلة امرا اقل عسرا وتكاليف ذهن وفن فان القصة الكبيرة التى توضع نفيسة يجىء تأليفها شاقا لا ينهض به الا العصبة اولو القوة من القصاصين.

وحين نجد فى ادبنا المعاصر امثال القصة التى يسميها الغربيون (Roman) ويكتبها افاضل كتابهم يومئذ نستطيع ان ندعى بأن لدينا فنا للقصة الطويلة يسير نحوالكمال.





سهام اسماعيل حجي

■ استوقفنى ـ خلال ساعاتى بين الكتب ـ وجود نصين شعريين ـ يختلفان فى الصياغة ـ فى أدبنا المعاصر لشاعرين قاما بترجمة قصيدة آسية للشاعر المسرحى البلجيكى المعروف: (**موريس ماترلنك**)، تحمل عنوان: «**حوار بين شقيقتين إحداهما فى دور الاحتضار**».

وقد رأيت أن أبعث للمنهل الغراء بالترجمتين معا وهما للشاعرين الكبيرين: «**محمد سعيد العامودى**.. **وأحمد مصطفى حافظ**» واعتقد أن أحدا منهما لم يطلع على ترجمة الآخر من قبل لاختلاف المنحى والأسلوب لدى كل منهما.. ومن ثم يستبعد التأثر والتأثير فيما بينهما.. وكم نود أن نلفت نظر من يتصدون لكتابة: «**أسطر فى الشعر**» لهذين النصين عسى أن نظفر من أحدهم بأسطر تقدم لنا رشفة من ينابيع الأدب المقارن. وتبرز أبعاد كل نص على ضوء ما ورد بـ (رسالة الجلال) للناقد اليونانى: «**لنجينوس**» الذى عاش فى القرن الأول الميلادى والذى تعد رسالته تلك أول عمل متكامل فى النقد الأدبى المقارن لموازنته فيها ما بين أسلوب أديب يونانى وآخر رومانى وثالث عبرى(١).

وكذلك على ضوء ما ورد بموازنات الجرجانى والآمدى وغيرهما فى القديم والحديث.. ففى ذلك ما فيه من متعة وإفادة للقراء الأعزاء.

وأذكر أننى سبق أن قرأت ترجمة نثرية حرفية لهذا النص الشعرى نفسه لأول مرة بأحد أعداد مجلة (الكتاب) القاهرية ـ على ما أذكر الصادر فى الأربعينات.. وأذكر أيضا أن الدكتور محمد رجب البيومى سبق أن نوه عنها وأشار إليها فى إحدى مقالاته الضافية.

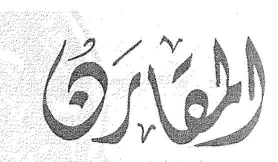
●● وبمناسبة الحديث عن ترجمة الشعر كم نود معرفة رأى الأستاذ أحمد حافظ فيها ـ أى فى ترجمة الشعر على ضوء قوله القديم الذى قرأناه له بمجلة «**الرسالة**» عام **١٩٥١**، حول ذاتية الشعر وخصوصيته بقوله إن «الشعر تعبير ذاتى ممتاز».. وقد يعترض معترض على ذاتية الشعر فتقول إن كون الشعر خاصا لا يمنعه أن يأخذ صفة العموم بوصفه تعبيرا والتعبير خروج من الذاتية إلى الموضوعية..» إلى أن يقول عن القافية: «ليست القافية مجرد لفظة ولكنها لمحة تكرُّ على وحدة الموضوع».. اذ كيف ينسجم قوله هذا مع الاقدام على نقل مشاعر شاعر آخر فى تجربة شعورية خاصة به ولم يمر بها الشاعر المترجم أى أنها مشاعر الغير وليست مشاعره هو المنبثقة عن (ذاتيته) مما يجعله أقرب ما يكون إلى الشاعر الناظم منه الى الشاعر المبدع..

● **وبعد هذا الاستطراد الذى لابد منه نثبت فيما يلى نص الترجمتين الشعريتين:**

(١) ترجمة الشاعر السعودى: محمد سعيد العامودى(٢)

حدِّثينى ماذا أقول إذا ما
عاد يوما أيا شقيقة روحى
ينشد الحب سائلا كل من يلقا
ه بين الربى.. وبين السفوح





حدثيــه بأن زهــرة أيــا
مى تقـضـت فى لوعـة وانـتـظـار
غير أن الـقـضـاء شاء أن يقـسـ
ـو حتـى قضـى علىَّ انـتـظـارى
وإذا ما الـشـكـوك والـوهـم والحيـ
ـرة أوحـت بأن يعـيـد سؤالـى
ما الـذى. . ما الـذى أقـول لُمِلتـا
ع شقـىٍّ معـذَّب الآمـال؟

حدثـيـه فى حرقـة الأخت عن حبـ
ـب تسـامـى فى صدقـه ووفـائـه
حدثـيـه. . وحـدثـيـه عن المـو
ت الـذى راح باحثـا عن شقـائـه
وإذا ما أعـاد. . يا أخـت روحـى
سؤلـه: أيـن أنت يا أجيـب؟
إنــه الـصـب. . والـصـبـابـة قد أو
دت بآمـالـه وأودى الحـبـيـب
أسـلـمـيـه - ولا تحيرى جوابـا
إذ ينـاديـك - «خـاتمـى الـذهبيـا»
إنـه كان عاشـقـا صادق الـلو
عة إذ كان شاعـرا عبـقـريـاً
وإذا ما تسـاءل الـعـاشـق الـولـ
ـهـان ما بال خدرهـا بات قفـرا؟
أنـبـئـيـه يا أخـت أنـى تواريـ
ـت فما عاد ذلـك الأمـر سرا

(٢) ترجمة الشاعر المصرى: أحمد مصطفى حافظ[٣]

بماذا أجـيـب إذا عاد يومـا
وراح يلح ويـسـتـعـطـف؟
أجـيـبـى بأنـى انـتظـرت وقـد
قضـى الانـتـظـار بما يؤسـف
فإن ظل فى بثـه يُلحـفُ
ولا شىء عنـى. . بدا. . يعـرف؟
أفـيـضـى بعـذب الحـديث عليـه
كأخـت له . . قلبـهـا يعطـف
فإن عاد يسأل: أيـن تقـيـم
وظـل يكـرر. . ما بيـديًـا؟
دعى الـصـمـت يشـرح مالا يقـال
وأعطـيـه خاتمـى الـذهـبـيـا
فإن هالـه الخـدر يبـدو كئـيـبـا
وأبـدى التـيـاعـا وشجـوا مذيبـا
ومـاذا عسـاك له تذكـريـن
سوى أن نفـخـة ريـح المـنـون
قضـت بانطـفـاء سراج الأجـل
وأمـر الإلـه. . له. نمتـثـل
فإن قال: كيـف غدت للمـصـيـر
وكـيـف بدت فى الـوداع الأخـير؟
أجـيـبـى بأنـى تبـسـمـت. . ويـك
مخافـة أن يتـهـاوى. . ويـبـكـى

وإلى اللقاء فى «رشفة» أخرى لترجمتين أخريين أيضا لنص شعرى واحد لفلذة من قصيدة (فينوس وأدينوس) لشكسبير. وإحدى الترجمتين لعملاق من أدبنا المعاصر: الأستاذ عباس محمود العقاد والأخرى لشاعر السويس الراحل: محمد فضل إسماعيل.

---

(١) أنظر كتاب (مذاهب النقد وقضاياه) للدكتور عبد الرحمن عثمان ص ١٩٤ . ونحن لا ننشد الموازنة اللفظية فقط وإلا كان الأمر كما يقول «نعمة قازان» إذا الشعر قام بألفاظه تكون القواميس . خير الكتب.

(٢) اطلعنا عليها بكتاب (الشعر والتجديد) للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ص ٢٣٢ .

(٣) نشرت بديوانه : «أنداء وظلال» ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب.





« البدر فى الهالة »

عرفت الصافى شاعراً مبدعاً فذًا له أحاسيس متنوعة ونابعة من لوعته فى الغربة والوحدة والمرض وعرفته يحب الجمال ويتذوقه تذوقاً يفوق الحد الطبيعى لدى البشر فكم كان يقول شعراً مرتجلا عندما تمر من أمامه سيدة رائعة الجمال او يلمح الجمال فى شيىء ما - يا ليتنى استطعت فى تلك السنين تسجيل بعض الابيات التى كان يقولها حينذاك. . وبالامس وانا اعود لمطالعة بعض دواوينه التى اصدرها فى لبنان بلاد الطبيعة الساحرة الخلابة التى اوحت له بذلك الحس المرهف والرقة فى الشعور بالرغم من شظف العيش والبساطة فى المأكل والملبس والمأوى. . فى ديوانه الامواج وجدت الوصف الجميل والفن الشعرى الجميل فى قصيدته «البدر فى الهالة» :

أيها البدرُ الى كم
انت فى الجو تسير؟
سابحاً فى كل آن
ببحار فى أثير

أنت هل اضللت إلفاً
لك ما بين النجوم

* * *

أنت تبدو كمليكٍ
ولك الهالةُ تاج
أو كضوء كهربائى
بدا بين الزجاج

* * *

أنت وجه لمليح
لاح ما بين اللثام
أو أمير فى كفاح
حوله ثار القتام

* * *

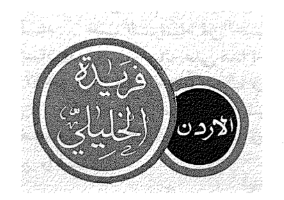
أنت قرص فى خوان
من حرير ابيض
أنت كالجوهر يبدو
فى لباس العرض
أنت ملك يتجلى
لابساً ثوب سنا
انت روح الليل حلت
من شعاع بدنا

* * *



فـي قصيـدة للشاعر العراقـي أحمد الصافي النجفي

أنــت مرآة عليـهـا
دار للنــور اطــار
تنـجـلى ليـلاً فيـبـدو
مشــرقـاً فيـهـا الـنـهـار
أنــت عين للديـاجـى
ولهـا اهـداب نور
او رحـى تذرى ضيـاء
حولهـا وهـى تدور
* * *
أنــت ماء فى غديـر
حولـك الجـرف استـنـار
ولجـين ذاب حتـى
قد علا منـه الـبـخـار



أبيـات شاعرنا الصافى هذه تصور جمال التشبيه وجمال الاستعارة وجمال الخيال ووثبات الخيال فهل فى هذا الـوصف الجـمالى للشعـر ما هو فوق المستوى العادى. . ؟ ان الشاعر يصور لنا مخلوقاً فاقد الحبيب وهى وثبـة من وثبـات الخيـال كما ويصـور البدر فى اختفائه وظهوره كوجه الحسناء الرائعة الجمال متنقبة تخفى شيئاً من جمالها ووجهها تحت ذلك النقاب. . وجمال التشبيه هنا فى تصوره القمر بصورة فتاه جميلة ومن لا يعشق ويركض وراء جمال الجميلات.

■ ويتخيـل الشاعر البدر وكأنه الامير فى معركة ثار غبـارهـا. . هذه الصورة المتنوعة تشير الى انطلاق خيـال الشـاعـر ورحـابـة آفـاقـه النفسيـة ولواعجه المتأججة. . وينطلق فى خياله ممتداً كامتداد المحيط فيتخيـل البدر انساناً مترفاً ينعم بحلل بهية وجذابة وانيقـة ويتصور هذا المخلوق شيئاً روحياً يتجلى فى اشكال ومناظر عدة فهو مرة فتاة جميلة رائعة او امير فى معركة واحياناً ملك بها يرفل فى حلله الملكية الحريرية الخلابة.

ولعل من أجمل وثبات الخيال تصوره للقمر كالعين التى يبصر بها فى ظلماته. . والبدر ماء فى غدير ينير ما حوله وهو كالفضة الذائبة وما فيه من لمعان هو بخار منبعث من تلك الفضة.

هذه الصـور المتعـددة والتشبيهات المحلقة الجميلة تدل دلالـة كبـيرة على سعـة آفـاق الشـاعـر وعلى اندماجه بالطبيعة الذى يدل على رهافة الحس وسمو الروح وابداع الشاعرية الخلاقة وحب الجمال اى جمال الطبيعـة الخـلاب. . وقد كان الصافى ـ رحمه الله ـ يتمتـع بمـزايـا حبه للجمال لان حبه لجمال الطبيعة وظـواهـرهـا يبعده عن الشقاء الروحى الذى صهر روحه وجعله يعيش فى عوالم بعيدة عن مألوف الناس العاديين لان حياته كانت غير اعتيادية وافكاره كانت غير اعتيـاديـة أيضـا وقديما قالوا: **ان كل عظيم فى الادباء والشعراء والمفكرين كان جبل شقائه شاهقاً وعالياً.**







بقلم : بنت الجزيرة

الى الأمّ نهدى ندىّ الــزّهــر
وللأم ننـشــرُ خيرَ الـسِّـيَر
فكم ضمّنا صدرُها فى الصِّغر
وكم حاطنـا ظلُّهـا فى الكِـبَر
دُعـاؤكِ يا أمُّ حصنٌ حصـين
لقـاؤكِ يا أمُّ فتـحٌ مبـين
وانتِ الحنـانُ وانت الحنين
وانـت السعـادة للعـالمـين
هى الأمُّ مشــرقُ آمـالـنـا
هى الأمُّ مغـربُ آلامـنــا
هى الأمُّ مصـدرُ الهـامـنـا
هى الأمُّ شعـلةُ ايـمانـنـا
حفظنـا الـودادَ رعينا العهود
لمن علمتنـا العلى والصُّعُـود
ومهـما علا قدرُنـا فى الوجود
فيـا أمُّ انـت سبيـلُ الخلود



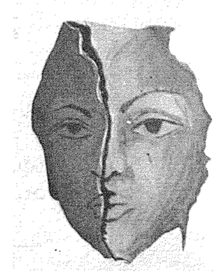
مع بدء الحياة وُضِعَ لكلّ شيىء ميزانه وقُدّر لكـل فرد أجله . . فهو مع انتهاء الاجل لابد راحل الى الحياة الاخروية . . ولكن ما الميزان الذى يخلد به ذكر الانسان بعد مماته؟؟ انه ميزان الحب . . فقد شبه الموت بالكأس ولابد من أن يشرب منه المرء مهما عاش على وجه البسيطة وشبه الحب بالابريق وقد قيل ان القلوب لابد أن تهوى وأن تحب لأن للحـب حلاوة وعذوبة واساس عذوبة الحب هو حب الله والرسول . . والايمان بهما لا ينجم الا عن حب . . ولا حب فى الدنيا يعلو على حب الله .

وميزان هذا الحب الخالص يقيم حياة الانســان على حب الخـير . . حب العطـاء . . حب الـوفـاء لمن أحب . . والانسان إذا ما سار حياته على هذا الحب فان الآخرين سيبادلونه حباً بحب وخيراً بخير . . واذا ما رحل عن دنياهم سيبقى فى نفـوسهم وفى أعماقهم نموذجاً ومثالاً للخير والحب .



السيارة البيضاء

هدى محمد فرحات



تُشْبه سيارتَك البيضاء
مرتْ
والدربُ مليءٌ بالأضواء
والدربُ مليء بالمارة
وهَمَمْتُ وراء السيارة
ووقفت
ودنوتُ ولى قلبٌ مشحون
أملًا أو خوفاً لا أدرى
أو فيضاً من شوق مجنون
ونظرتُ مليًّا . .
داخلها . .

إنسانٌ يرمقُنى ببرود
ليس ملاَكاً
ليس ربيعاً يُحْيى عندى أملًا مفقودْ
ليس المقصود
وسحبتُ بطيئا أقدامى
وبدأتُ أعودْ
ورجعت أراقب كل السيارات البيض
ومشاعر ود تعلمها
تتمكن من قلبى وتفيض
ووقفتُ وراحت تأكلنى نظراتُ الناس
وسمعت كلاما مقذوفاً
يدمى الاحساس
الناس تلوم ولا تدرى
ماذا يجرى
بقلوب الغير
ونفوس الغير
المرء كتاب مقفول
أنىَّ للواقف أن يدرى
أسرار الغير
وحملت حديثى فى صدرى
وبدأت السَّير





خواطر في الصداقة

صديقتي هي من تآلفت نفسي بنفسها وتبادل قلبانا الحب والولاء . . ومن عرفتني لشخصي واحبتني لخلقي وأبت على نفسها معنى الحب والوفاء .

وهي من لا تعرفني من أبي وأمي ولكن عرفتني من الاخلاص والوفاء .

صديقتي من اذا ناديتها وقت الشدة أجابتني قبل الرخاء وهي من لا تعرف أنا ولكن تعرف أننا في الخير والشر سواء . .

وهي من اذا رأتني الى المجد أسمو دفعتني بكفيها إلى وسط السماء . .

صديقتي من اذا هتفت باسمها اجابت ولم تسأل لم هذا النداء؟

وهي من اذا شعرتُ بأمر سرى الى قلبها سريان الكهرباء .

ومن اذا شكوت الما وضعتْ يدها على موضع الداء .

وهي من اذا رأتني حزينة قالت : رب اكشف عنها هذا البلاء .

واذا رأتني باكية غلب عليها دمع الرجاء

وهي من اذا أصابتها مني اساءة قالت : ما أجمل عفو الأصدقاء .

وهي من اذا مال عليّ الدهر جنبا كانت لي خير اتكاء

وهي مَنْ صارحتُها وصارحتني لأن الصراحة شيمة الأوفياء .

صديقتي من فتشت عنها في هذه الدنيا الى أن وجدتها بين الأحياء !!

فاطمة النجار





الى الذى لم استطع ان اجد الكلمة التى اعنون رسالتى لك بها.

لست ادرى كيف؟ وبماذا اعبر عن شعورى وتقديرى لك.

ولا اجد للكلمات معنى يوازى ما انا عليه من سعادة وانا استلم رسالتك واقرؤها لانسى كل شيىء حولى . . اقرأ كل حرف فيها واستفيد من كل جملة فيها . . اكتشفت ان لى عقلا وانى لازلت موجوده . . ؟ حقيقة انا لا افتعل الكلام . . ولست شاعره . . لكم هذين البداية التى عنونت بها الرسالة وكنت اتمنى ان لا اكتب لك ولكننى لم استطع ان اكبح مشاعرى.

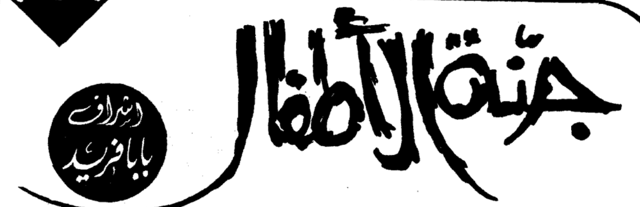
اكتب لك وفى النفس شجون واحزان . . انت صديقى ايضا وكما يقول المثل: **«الصديق وقت الضيق»** فى النفس شجون واحزان لما مضى من العمر ولكن لله فى خلقه شؤون ـ اذ ربما لو كنا التقينا من قبل لم نكن نحس بصدق ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا . اكتشفت ان لى عقلا لانه مال اليك دون اى احد آخر ممن تقدموا لاخذ يدى . . احتار قلبا داخل انساناً . وانسانا داخل قلباً. وانا اجله فيك . . حمداً لك يارب على هذه الهدية والعطاء الذى اكرمتنى به.

تحول

ومددتُ اليه اليدْ
أبصرتُه يسقط اعياء
بحثا عن قلب ينتشله
من جبل البرد
بحثاً عن نبض الحب ودفء الصحبه
ومددت اليه اليدْ
دفئاً وعبيراً ومحبة
لكن : حين أفاق من الاعياء
وارتد اليه النبضْ
أومأ للايدى المنتشله
وبناب القتله . .
انقض
مسكين يا قلبى المعطاء
مسكين يا قلبى المعطاء

ـ ٢ ـ
قدم لى زهرة
انا اعطى باقات زهورْ
لكنى لا ألقى أبدا ازهارى فى قلبٍ بورْ
اشعل لى شمعه
فأشرق شمساً من صدرى
لكن لا تجحد ومضاتى وتهبنى أمنحك النور

عطيات احمد دسوقى



كلمة أولى

رسالة جاءت من الأخت (حصة) تقترح اشياء جميلة لجنة الاطفال.. الرسالة الرقيقة تطالب باعطاء الفرصة للابداعات البريئة فى الرسم والقصة وغيرها

ونحن مع كل ما جاء فى رسالة (حصة) وسيجد احبابنا الحلوين رسماً فى هذه الصفحة ارسله لنا:

عمرو محمد عبد الفتاح (٤ سنوات)

كما سنجد قصة شعرية بعنوان (فيروز وعين القمر) نرجو ان تروق لكم.

وفى النهاية لقد اسعدتنى الرسالة ويسعدنى اكثر لو وصلت رسائل اخرى بها اقتراحات جميلة ومفيدة كما فى رسالة الأخت (حصة).

بابا فريد

هل تعلم أن أكبر

١ ـ حقل زيت بالعالم.. حقل زيت (الغوار) بالمملكة العربية السعودية.. طوله ٢٤١ كلم ويبلغ عرضه ٤٠ كلم فى بعض النقاط.

٢ ـ نموذج مصغر فى العالم.. ليجولاند فى بيللوند بالدنمارك.. فهو يعتبر ملعباً للصغار والكبار.. مساحته ١٠٠٠٠٠ متر مربع، يستقبل مليون زائر سنويا، يحتوى على منازل وطرق وسيارات وقطارات.. وقد صنع من ٢٥ مليون حجر (ليجو).

٣ ـ قصر فى العالم.. القصر الامبراطورى جوغونغ بكين بالصين.. مساحته ٧٢ هكتار، يشكل مستطيلا من ٩٦٠م × ٧٥٠م يحتوى على ٥ قاعات و١٧ قصرا.

٤ ـ حديقة ملاهى بالعالم.. عالم والت ديزنى بفلوريدا بالولايات المتحدة الامريكية.. مساحتها ١١ر١٠٥ هكتارات.. افتتحت عام ١٩٧١م وكان عدد زوارها ١٠ر٧ مليون نسمة فى العام الاول فقط.

٥ ـ قمة جبل ايفرست فى الهملايا على الحدود بين التيبت ارتفاعها ٨٨٤٨ متر.

٦ ـ شبه جزيرة بالعالم.. شبه الجزيرة العربية.. مساحتها ٣٢٥٠ر٠٠٠كم مربع.

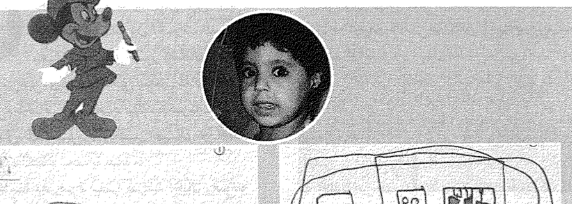
٧ ـ شجرة موجودة فى العالم.. شجرة (فير) العملاقة فى سوكيويا بحديقة كاليفورنيا.. ارتفاعها ٨٣ر٠٢متر.. جذعها ٢٤ متر ويبلغ وزنها ٦٠٠٠ طن تقريبا.

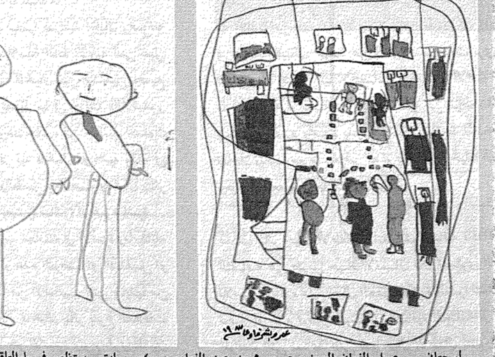
حنان عبد الحميد حسن
الاسكندرية

لهم وذلك لتنشر مع ابداعاتهم وان يكتبوا على المظروف مجلة المنهل (جنة الأطفال) جدة - ص ب ٢٩٢٥



منى عبد العزيز الجحدلي — امل عادل قطب — اسراء عبد الحكيم البدري — عبير محمد عبد الفتاح — رويدا حلمي عز العرب — عـالي هشـام

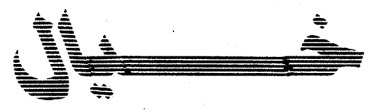




لوحتان من عمل الفنان الصغير عمرو محمد عبد الفتاح (٤ سنوات) تظهر فيهما التلقائية في استعمال اللون والميل الواضح إلى التكوين ودقـة الملاحظة ، كما تظهـر لديه ميول كاريكاتيرية واعـدة .







الخيال عملية عقلية تقوم على انشاء علاقات جديدة بين الخبرات السابقة بحيث تنظمها فى صور واشكال لا خبرة للفرد بها من قبل اى . . ان التخيل يستعين بتذكر الماضى ويستضىء بالحاضر ويستطرد ليؤلف تكوينات عقلية جديدة فى المستقبل . . ويعتبر الخيال من اعظم القدرات . . لكننا لم نجد اية عناية به .

فالفلاسفة وغيرهم لم يهتموا بدراسة الخيال رغم انه يشبه ما يطلق عليه الفلاسفة المادة الاولية التى تقبل التشكيل بكل ما يعطى لها . فالخيال يقبل التشكيل بجميع الصور التى يستقبلها ويحتفظ بها فى خزانته «اللاشعور عند فرويد» كما انه لا يوجد جانب من جوانب السلوك الانسانى الا وللخيال اثر فيه فالخيال ذو اهميه بالغة فى حياة الانسان بعامة والطفل بخاصة والخيال يتأثر بالظروف المحيطة بالفرد بصورة مباشرة او غير مباشرة . . فخيال الطفل يتأثر بأسلوب معاملته فى الاسرة وما يقابله فيها من رضا وقبول او عدم الرضا او التدليل او الاحباطات او غير ذلك من الاساليب التى يقابلها من جانب الوالدين او الكبار. فالخيال يتأثر بنوع العلاقات الاجتماعية التى تسود جو الاسرة ونوع الروابط بين الوالدين . . والخيال عند الطفل يتأثر ايضا بالمستوى الاجتماعى للأسرة حيث إن اختلاف المستويات الاجتماعية يؤدى لاختلاف فى المدركات الحسية الموجودة فى البيئه المحيطة بالطفل مما يؤدى لإختلاف نوع الصور التى يتم تخزينها فى خيال الطفل والتى تعد المصدر الاساسى لخياله . . فالطفل يتخيل ما يعرفه لا ما يراه .

كما ان خيال الطفل يتأثر ايضا بالمستوى الاقتصادى للاسرة . . فالطفل الذى لا يجد صعوبة فى شراء اي شىء قد يختلف عن طفل آخر لا يملك تلك الميزة لكنه قد يجد فى عالمه الخيالى عوضا عن ذلك . . من ذلك نرى ان المستوى الاجتماعى ثم الاقتصادى متغير بالغ الاهمية نظرا لما يقترن به او يصاحبه ويترتب عليه من انماط سلوكية يتمثلها الفرد وتحدد بدورها تفكيره وتوجه استجاباته تفاعلاً وتكيفاً مع ما يتعرض له او يعايشه فى حياته اليومية وحياة مجتمعه من أحداث وتطورات .

كذلك يتأثر خيال الاطفال بالمتغيرات الثقافية فاذا كانت الثقافة هى طريق حياة الانسان فان المستوى الثقافى للاسرة له تأثيره على خيال الطفل بصورة مباشرة تتمثل فى توفير او عدم توفير الوسائل الثقافية المختلفة او تهيئة المواقف التى تساعد على نمو خيال الاطفال بصورة غير مباشرة تتمثل فى انعكاس ثقافة الوالدين على اسلوب معاملة الاطفال وتربيتهم . . والخيال يميز بين الانسان



الاطفال



والحيوان حيث ان الفارق بينهما يتمثل فى القدرة على تكوين عالم خيالى يفوق بآفاقه الواسعة الحدود الضيقة التى تحصر بين جوانبها الجزء اليسير من العالم الواقعى الذى يقع فى دائرة إدراكنا الراهن.

والخيال هو معالجة رائعة للتصورات.. فهو يتصل بالتجارب التى وقعت فى الماضى او يتوقع حدوثها ويكون متحرراً من تأثير البيئة كما انه يعتبر نوعا من التفكير التعبيرى.. ولذا يعتبر عملية ضمنية؟ غير موجهة.

ويوجد تصنيفات للخيال منها التخيلات التى تنشأ عن كبت احلام اليقظة الشعورية والقبشعورية والتى تستقر بعد الكبت فى النظام اللاشعورى والتخيلات التى تتكون من القبشعور وتظل فيه ومن ثم فهى تخضع للتعديل والمعالجة طبقا للعمليات الثانوية.. والخيال الابتكارى هو نشاط عقلى يعمل خاصه فى لحظة الاسترخاء ويتصل بعمق بالعوامل اللاشعورية التى تترجم لأنشطة واقعية.. وتخيلات احلام اليقظة وهى وسيلة لاشباع رغبات الفرد التى لا يمكن اشباعها فى الواقع كما انها تكشف عن الرغبات الدفينة والنزعات المكبوتة.. وقد تحل احلام اليقظة محل الاشباع الجنسى المباشر مع موضوع الحب المناسب او المرغوب فيه او عن طريق التسامى فى العمل او اللعب كما انها قد تؤدى لبعض الحصارات فى الحياة اليومية بحيث تتملك الناحية النفسية للفرد ويلجأ الفرد لها فى اوقات كثيرة مما يحولها لناحية مرضية تقلل من قدرة الفرد على القيام بمسؤلياته ودوره الاجتماعى.

وعندما نأتى لنتعرف على الخيال عند الطفل فى مرحلة ما قبل المدرسة نجد ان بعض النظريات فى علم النفس تشير الى ان هذه المرحلة تزخر بصعوبات نمو كثيرة.

فالحياة اليومية للطفل مليئه بالضغوط لكن الطفل يستطيع ان يجد فى الخيال طريقا لتخفيف تلك الضغوط وحل تلك الصعوبات.. فكلام الطفل مع العروسة او الدمية او حديثه عن صديق وهمى او غير ذلك.. كل هذا يحكى عن خبرة داخل نفس الطفل ولكنه يلبسها بشىء خارجى خارج نفسه لذلك يمكن دراسة ما بداخل الطفل من محتوى خيالى تزخر به مخيلته عن طريق بعض الاسقاطات خلال لعبه او رسمه او من خلال حكاياته الوهمية

وللخيال وظائف كثيرة عند الاطفال منها معاونة الطفل على تجاوز حدود الزمان والمكان ليتعدى مقتضيات الواقع بما يتفق مع آماله واحكامه.. ويعد الخيال وسيلة لاشباع رغبات الطفل التى يحول الواقع دون اشباعها.. ويساعد الطفل على الاستمتاع واللعب عن طريق تخيل المواقف والتجارب الماضية التى تبعث السرور فى نفس الطفل وتوجيه افعاله حيث انه يستخدم للتعبير عن توقعات الفرد بالنسبة للمستقبل وعن سلوك الفرد المتوقع تجاه المستقبل ويعبر عن سلوك الفرد اثناء حل المشكلات ويساعد على

نمو التفكير الابتكارى ويساعد على خفض القلق عن طريق تخيل مواقف تبعث السرور فى نفس الطفل اثناء حالة القلق . . وكثيراً ما يأتى الطفل ببعض الحكايات من نسيج خياله فى احلام اليقظه ارضاء لحاجاته ودوافعه ورغباته التى لم يتمكن من تحقيقها فى عالم الواقع . .

وهناك صله وثيقة بين الخيال واللعب وخاصة فى مرحلة الطفولة ونوع اللعب الذى يميز تلك المرحلة العمرية هو اللعب الايهامى وفيه يقوم الاطفال بالعاب تتضمن شخصيات خيالية ويستخدمون اشياء خيالية فى العابهم استخداماً ايهامياً وتزيد طريقة استخدام الاطفال للاشياء تعقيدا بتقدم النمو . . والطفل فى هذه المرحلة يزداد ادراكه للحب الذى يكنُّه لأبويه فهو يشعر نحو امه بشعور خاص هو حب خيالى قائم على الرغبة فى التملك مما يؤدى لنشوء تيار خفي من المنافسة بين الابن والاب وبين البنت والام لكن مثل هذه المنافسه لا تظهر على السطح لأن الطفل يبذل قصارى جهده لكبت هذا الشعور لأن الوالدين يحافظان على العلاقة السليمة لاحدهما مع الاخر ومع الاطفال ويعد الكذب من المشكلات التى تتصل بالخوف والغرض الاساسى منه هو حماية النفس . . والكذب الخيالى يعد نوعا من انواع الكذب التى تحركها القوة الخيالية الرائعة التى تتسم بها مرحلة الطفولة .

فميل الطفل للقصص الخيالية اوتأليفه لها لا يعد جنوحاً او ميلا الى الانحراف او الكذب المرضى بل يدل على ان الطفل لا يزال لا يفرق كثيرا بين الواقع والخيال ويقرب من هذا النوع من الكذب نوع آخر وهو الكذب الالتباسى الذى يلتبس فيه على الطفل الحقيقية بالخيال ويكون سبب ذلك ان الطفل لا يمكنه التمييز بين ما يراه حقيقة واقعة وبين ما يدركه واضحا فى مخيلته .

ويلجأ بعض الاطفال الذين يعانون من الشعور بالنقص الى تغطية هذا الشعور بالمبالغة فيما يملكون او فى صفاتهم او صفات ذويهم بهدف الشعور بالمركز فى وسط اقرانهم فيما يعرف بالكذب الادعائى . . وقد يلجأ الاطفال للكذب لاستدرار العطف اوتحقيق غرض شخصى بتخيل قصص وحكايات من وحى خيالهم .



قصة شعرية من كليلة ودمنة

محمد فريد ابو سعدة

فَيْرُوز . . و

جفَّ الماءُ بأرضِ الفِيَلةْ
واشتدَّ العطشُ بها وبكتْ
صرختْ وشكتْ
فأصابَ الهمُّ الفيلَ الأعظمْ
من أين يجيءُ لهم بالماء
« فكِّرْ
فكِّرْ من أين تجيءُ لهم بالماء»
جفَّت كلُّ عيونِ الأرض
اجتمعَ المجلسُ للشوري
اجتمعَ المجلسُ ثم انفضْ
قررَ ملكُ الفِيَلةْ
أن يرسلَ مندوبيهِ هنا وهناكْ
بحثاً عن ماء.

● ●



عادَ رسولٌ
ورسولٌ
ورسولْ
لم يجدوا شيئاً
واصابهُمُ الاعياء.
ثم أتى مَن يحملُ خبر الماء
عينٌ يا مولايَ تُسمّى القمريّةْ
فرحَ الفيلُ الاعظم
فرحتْ كلُّ الفِيَلَةْ
وتقدّمَ جمعُ الفيلةِ نحو عيونِ القمريّةْ
كانت تلك الأرضْ
أرضَ أرانبْ



عَيْنُ القَمَرْ

وطئتْ اقدامُ الفيلةِ
حجرتَها
هلكتْ اكثرُها
وأصابَ الخوفُ بقيّتَها
ذهبتْ وشكتْ
قالت للملكِ : ابحث عن حلْ
وأصابَ الملكَ الهمْ
«ماذا يفعلْ
الفيلةُ إن عادت للعينْ
ستهلكُ الباقينَ
فأين سنذهبُ
سنهربُ
أين»
تقدّمَ فيروزُ المعروفُ بحسنِ الرأيْ
لا تهتم
ابعثنى للفيلةْ
فلعلى أحتالُ عليها
ولعلى أجدُ الحلْ»

●●

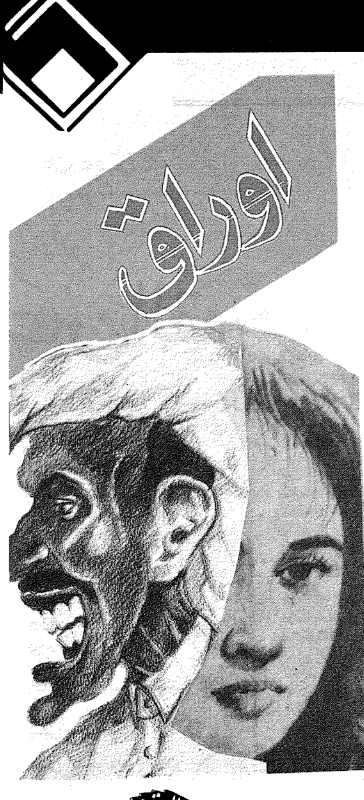
الليلةُ كانت مقمرةً
فأتاهُ الحلْ
انطلقَ الأرنبُ حتى أعلى التلْ
نادَى : «يا ملكَ الفيلةْ
أرسلنى القمرُ اليكْ»
ضحكَ الفيلُ الأعظمْ
قال بصوتِ المغرورْ
قلْ ما عندكْ
قال الأرنبُ :
القمرُ قويٌّ وبهىٌّ
وأنا مأمورْ
«القمرُ يقولُ : احذرْ غضبى
إن كنتَ قويّاً بين دوابِّ الأرضِ
فلا تغترَّ علىّ
لا تشربْ من مائى وتعكرْ عينى
انى انذرُكَ فإن خالفتَ ستفقدُ عينيكَ
وستفقدُ نفسَكْ»
ضحكَ الفيلُ الاعظمْ
ضحكت باقى الفيلةْ
قال الأرنبُ : «ان كنتَ تشكُّ تعالَ معي للعينْ»

●●

ذهبا للعينْ
وجد الفيلُ الأعظمْ
قمراً يتقوّسُ فوقَ الماءْ
ارتعدَ الفيلُ وداخلَهُ الخوفْ
قال الأرنبُ : «أدْخِلْ خرطُومَكَ فى الماء
اغسلْ وجهكْ
اخضعْ للقمرِ الأقوى
اخضعْ كي لاَ يُعشى بصرَكْ»
خافَ الفيلُ الأعظمْ
وفعلْ
فتحركَ سطحُ الماءِ فقالْ :
« ارتعدَ القمرُ فهل يغضبْ
هل يغضبُ مِنْ ادخالى خُرطُومِى فى الماء»
قال الأرنبُ : طبعاً طبعاً
سجَدَ الفيلُ وتابْ
وتعهّدَ ألّا يرجعَ للعينْ

●●

وبهذا احتالَ الأرنبُ ضدَّ القوةْ
ونجـا
ونجتْ أرضُ الأرنبْ





١٦١

أرأيت من يسعى فى خراب البيـوت؟.. وتفـريق الشمل؟.. واذكاء المشاحنات التى خمدت نارها من زمان؟..

انهم يا سيـدتى من يدعـون لأنفسهم إعـمار بيتـك وادخال السعادة الى عشك..

طبعـا كانت مفـاجأة.. ان يكـون حاميهـا.. حراميهـا.. انهـا سخـرية الأيـام يا سيـدتى أن تتأكد الزوجة.. أن اكثر النساء نبشا فى اساس بيتها هى أقرب الناس إليها..

الورقة

١٦٢

توصلت الى حقيقـة مُرَّة.. صعقتنى.. لكننى حاولت أن أخفيها عنك.. لأن الصدمة ستكون شديدة عليك.. ولكن خرج الأمر من يدى.. وأصبحت وجهاً لوجه أمـامهـا.. اعـتراك الصداع ـ والهزال.. وارتفع رصيدك من الهموم.. يجرحك أقرب الناس اليك.. وانا اسدد الفواتير.. لعلك بعد كل هذا تعرفين من أكون..

الورقة

١٦٣

حاولت جاهـدا أن اوظف امكاناتى المادية والمعنوية لبنـاء جسـور من المـودة والتآلف مع أهلك.. لقناعتى بآثارها الجانبية فى اضفاء شيىء من الرضا بالنسبة لك.. واجتهدت أن تكون علاقتى بأهلك على أحسن ما تتمناه زوجة لعلاقة تربط زوجها بأهلها.. فكنت أنت الشاهد الأول على ما بادرونى به من جحـود.. ومـا كالوه من تهم.. وما روّجوه من دعاية..

اننى أجـد نفسى فى أشد الأسف أن اطلب منك يا سيـدتى ان تتركى مشـاعـرك تجاه الأهـل خارج اسوار كوخنا.. اذا كنت حريصة حقا على مواصلة المشوار فى شارع الحياة..

الورقة

١٦٤

اننى على استعـداد ان احـترمـك وأن أقدم الدليل تلوالآخر مبرهناً على عظيم حبى وتقديرى لك.. ولكن لا تطـالبينى بشىء من هذا القبيل لأحد سواك... ان الحب يا سيـدتى يهبـط كالقطر على بتلات الأزهار ولا يُعتصر كالليمون.



١٦٥

إن الذين لا يحترمون أزواج بناتهم أو ارحامهم . . ولا يحرصون على اقامة علاقات طيبة معهم مبنية على التفاهم والاحترام المتبادل انهم أناس يستوى عندهم سترة بناتهم وارحامهم أو فضيحتهم . .

١٦٦

لا أدرى لماذا زاد عطفى وحنانى عليك . . اكثر من أى وقت مضى . . ورغم المواقف السلبية التى قابلنى بها اهلك منذ أن بدأنا مشوارنا . . ربما لأننى اكتشفت أن اهلك أول من يسعى فى خراب بيتك . . فاستوى عندى وجودهم من عدمه . . واصبحت فى نظرى كأنك بلا أهل .

١٦٧

نعم . . أحياناً أندب حظى . . على قسمتى معك لكن ابحثى عن الاسباب . . قبل التشبث بنتائجها . .



١٦٨

قلبى هو صاحب القرار فادخلى علىَّ من نافذته . . اما سمعى وبصرى . . أو حتى فمى . . فانهم لو كالوا لك الثناء . . وفرشوا لك بساط الاطراء . . ليس بيدهم من مفاتيح الأمور . . ولا مفتاح .



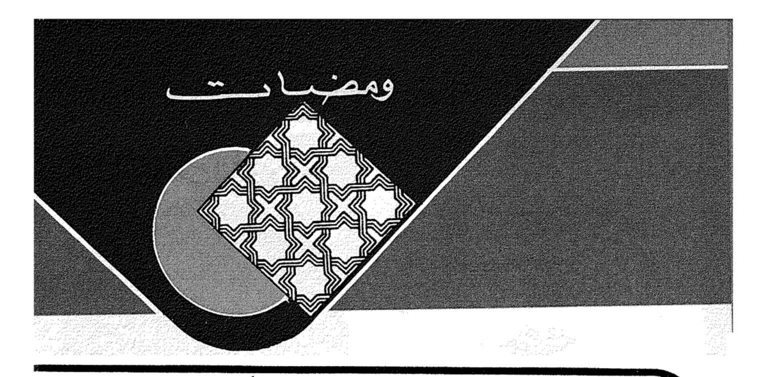
١٦٩

لا تستجدى تعاطفى مع اولئك اللواتى تزوج عليهن ازواجهن ولا تكيلى التهم للرجال . . فإذا كان البعض منهن بحاجة الى مثل هذا التعاطف . . فصدقينى أن الغالبية كن سببا مباشراً فى الاتيان بشريكة ثانية لهن فى أزواجهن . . حين فقدن القدرة على العطاء . . وفقدن مغناطيسيتهن ولم يعد لهن القدرة على جذب اهتمام الرجل .



١٧٠

اريدك كالرجال فى عقولهم . . وكالنساء فى أنوثتهن . . اريدك أن تتنكرى لمفردات كثيرة فى قاموس حواء . . اريدك أن تكونى واقعية واتركى الخيال للشعراء . . . ومالك وأحلام اليقظة؟ .





روكس بن زائد العزيزي
الاردن

﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين..﴾

قلت ومازلت اقول: «ان الكرم يكلفنا اقل مما يكلفنا البخل..» لكن الكرم شيىء والتبذير شيىء آخر.. فالكرم فضيلة من اسمى الفضائل لما فيه من ايثار.. اما التبذير فرذيلة لان غرضه التباهى الذى يقود الى العجرفة.. من اجل هذا نهت عنه الاديان.

فالذى ينظر الى حفلات الاعراس يهوله ما يرى فيها من البذخ والتبذير الامر الذى جعل الشبان يهربون من الزواج خوفاً من طلبات اهل العروس التى تبدأ متواضعة وتنتهى بما يشبه غرامات الحرب التى يدفعها المهزوم صاغراً. وكأن اهل العروس لا يقدرون مسئوليتهم نحو هذا الذى يريدون منه ان يكون اميناً على شرفهم.

ان الديون التى تتراكم على العريس، تفسد الحياة الزوجية فقد قيل قبل اليوم: اذا دخل الفقر من الباب هرب الحب من الشباك وقفزت السعادة وراءه وانتحرا فى الحال.

ان الزواج المبارك هو الذى يتم من غير ديون فشروط الزواج السعيد هى:

أ - الحب المتبادل.

ب - التكافؤ.

ج - صحة الزوجين.

د - والتفاهم التام

هـ - والاكتفاء المالى

و - والبعد عن الاستدانة

فرأس الحكمة بعد خوف الله.. الخوف من الدين.

فقد آن للاهل ان يعلموا ان التبذير خال من اية بركة.

■ انا لا اعترض على اصحاب الملايين اذا انفقوا عن سعة لان مركزهم الاجتماعى يفرض عليهم من الواجبات مالا يفرضه على غيرهم، فاعتراضى على الاهل الذين ينغصون حياة صهرهم بالطلبات غير

الكلمة جسر المعرفة .. والخاطرة .. تحمل بين ثناياها الفكرة .. ونتلمس بين طياتها الرأى .. وعلى وميض الكلمات نستقرئ ما بين السطور ..
(وومضات) باب استحدثه محبو المنهل .. بالفكرة يلتقون .. وعلى الرأى يجتمعون وحول الطرفة يتسامرون .. هو منهم واليهم ..
فاهلاً بشداة الأدب .

المعقولة بالنسبة لموارد العريس المالية . . فنحن نأمن هذا الشاب على اشرف ما نعتز به وهو عرضنا فلا يجوز لنا ان نثقل كاهله بالديون . وقد آن للناس ان يعلموا انهم لو انفقوا كل ما يملكون لما ارضوا الناس فقد قال الذين قبلنا: «**العرس ابو الفضايح**» لان رضى الناس غاية لا تدرك والتبذير لا يزيدنا جاهاً ولا يكسبنا مجداً وهو يضع الاساس لتدمير هناءة العروسين.

ولكى يتعظ من له اذنان سامعتان وعينان مبصرتان تقودانه الى التفكير السليم اسوق هذا الحديث:

«وفى الحديث كانت ضجعة رسول الله ﴿ﷺ﴾ أدماً حشوها ليف. لسان العرب مادة (ض ج ع).

وفى حديث جهاز (فاطمة) رضى الله عنها احد فراشها محشو بحذوة الحذائين والحذوة والحذاوة ما يسقط من الجلود حين تبشر وتقطع مما يرمى به ويقى . لسان العرب مادة (ح ذ ذ).

■ انا لا انكر تغير الازمان وتطور الحياة والمجتمعات لكن مهما حدث فان المثل العربى المشهور يظل قائما: «بقدر بساطك مد رجليك ـ ومنهم من يقول ع قد فراشك مد رجلك ـ ويروى على قد غطاك مد رجليك».

فليتق الله الذين يرهقون الناس للتفاخر والمباهاة ويرغمونهم على التبذير الذى يكرهه الله ـ وهم عاجزون عنه.

جلست .. يستغرقنى البحر

جلست . . يستغرقنى البحر . . ويلفنى الليل . . وحدى الا من طيفها . . ضحكتها فى عينى . . قبلتها مازالت تضوع فى فمى . . همستها تذوب فى أذنى . . متوسلة .

دعنى أحبك . . لا تبتعد عنى . . ارجوك . . فقط دعنى أحبك . .

ياليل . . هذه القيود التى تكبلنى . . كأسير مجروح ألقى به القراصنة فى جزيرة بركانية . . نبتت فى عرض المحيط . . أنينه السكون بالألم يتبدد . . يتبخر بين أوديتها المرجانية الجرداء . . ومن بين أمواه البحر . . خرجت اليه . . عروس البحر . . كلؤلؤة غضة . . وانحنت كمتبتلة . . تأسو جراحه . . تحنو عليه . . تواسيه . . تناغيه . . تسامره . . تحاول فك قيوده . . لكن مفاتيح الأغلال ليست فى يدها . . انها هناك ترقد فى قاع المحيط . . رمى بها القرصان فى ثورة غضبه .

أيها الليل . . كيف أحطم هذه القيود . . . حتى أضم حبيبتى . . قبل أن يتبدد العمر .

أيتها النسمة الحانية فى صحراء حياتى . . كيف ألقاك كيف أشفيك . . كيف أمسح أطياف الحزن . . الساكنة بين أهداب عينيك الساحرتين . . كيف أرويك . . وأرتوى منك . . وكل هذه الأغلال فى يدى . .

أيها الليل . . سأحطم هذه الأغلال . . وأحتضن حبيبتى . . الى الأبد . .

يحيى توفيق حسن ـ جدة



لكل شيء حكمة . . لكل خلق مقدار . . لكل اجل كتاب . . لك مقام مقال . . لكل نار دخان . . لكل ليل نهار ولكل نهار ليل . . لكل بداية نهاية . . لكل صالح ثواب ولكل طالح عقاب . . لكل نائم صحوة . . لكل قصة عبرة . . لكل كلمة معنى . . لكل داء دواء . . لكل مشكلة حل . . لكل بيت اهل ولكل مسجد مصلين . . لكل ارض صاحب ولكل مال رب . . لكل خلف مستخلف . . لكل زوج زوجة ولكل زوجة زوج . . لكل قفل مفتاح . . لكل شجرة تراب . . لكل بحر امواج . . لكل مطر سحاب . . لكل نعمة زوال . . ولكل منع مانع وما أعظمك يا الله لقد خلقت كل شيء بقدر وبميزان . . تلك النجوم وتلك الكواكب تسير بحساب دقيق بحكمتك العظيمة . . فلو لم تكن هذه الكواكب تسير بنظام محكم من الله عز وجل لانطبقت السماوات على الأرض ولتصادمت الكواكب فى بعضها . . ولما كان هناك ولوج الليل فى النهار والنهار فى الليل . . ولما كان هناك تقلب فى الصيف والشتاء .

وهذا جسم الانسان كم فى خلقه دقة وعظمة لا يصح ان يكون غير الله خالقه ، تلك العينان التى تبصر ان كل شيء . . ذلك الأنف الذى يميز الروائح . . وذلك اللسان الذى ينطق ويتذوق . . ذلك القلب الذى ينبض بالحياة . . فلو لم تكن تلك المخلوقات قد خلقت بقدر وبحكمة من الله لما أصبحت هذه الحياة متزنة كالتى عليها الآن .

فالموت مقدر ولكل شيء فى هذه الحياة قدر لحكمة لا يعلمها الا الله سبحانه وتعالى الاعظم .

ايمن عثمان قاضي - جدة

اربعة وصايا الى...



الوصية الاولى:

اذا حاصرتك الثوانى الصعاب
تشكلى فى دربى القفر ثغرا
وكونى بقلب الهجير ظلالا
وبالصدر منى تعالى استظلى
تكونين للقلب شعرا ونثرا
تشكلى فى دورة العمر مثلى..

الوصية الثانية:

وان شردتك السنون سنينا
وذوبت ما فى دروبى حنينا
اصير لديك شذى ازليا
يعم دم القلب حينا وحينا.

الوصية الثالثة:

لأن فؤادك مازال غـرا
يحن.. يحن الى الحب دوما
وإنْ دمـى يقتفى الاثـر منك
تعالى إلىّ قصيـدة شعـر

الوصية الرابعة:

وان غرّبتك دروب المآسى
تحنين للكون يرقص بشرا
ويصهل فى دورة الدم منى
بريق من البعث يهفو اليك
أحن اليك ولا بأس حِنى..

بلقاسم بن سعيد - المغرب



العلم وتطور طب العيون

لا شك أن طب العيون قد دخل عصر التقنية الحديثة (التكنولوجيا) من أوسع الأبواب مما أضفى على أجهزة فحص العين المختلفة والأجهزة المستخدمة فى تشخيص أمراض العين دقة اكثر فى التشخيص مع امكانية تشخيص هذه الأمراض فى مراحلها المبكرة. ومعظم هذه الأجهزة تعمل بالكمبيوتر بكفاءة عالية وعلى مستوى رفيع وبدقة بالغة وسرعة فائقة.

ويعتبر اختراع مثل هذه الأجهزة بمثابة وثبة عالية وطفرة كبرى ومساعدة فعالة بالنسبة لأطباء العيون المتخصصين مما يمكنهم من أداء مهمتهم سواء فى التشخيص أو العلاج فى وقت قياسى وبكيفية هائلة. ومن ناحية أخرى إن استخدام هذه الأجهزة قد زودهم بالمعلومات الهامة والوسائل الناجحة فى سبيل الوصول الى التشخيص الدقيق السليم.

الاجهزة التشخيصية الحديثة:

هناك العديد من الأجهزة الحديثة المستخدمة فى مجال تشخيص أمراض العيون والتى ساهم فى اختراعها مجموعة من العلماء الذين كرسوا حياتهم فى خدمة البشرية ومن أهم هذه الأجهزة ما يلى:

(١) أجهزة فحص قاع العين:

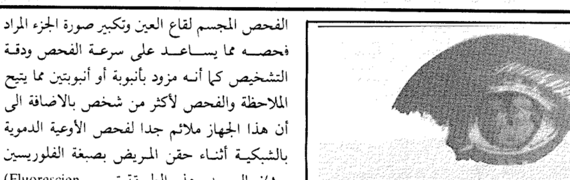
أ - جهاز فحص قاع العين بالطريقة المباشرة Direct Ophthalmoscope . . وهذا الجهاز يقوم بتكبير قاع العين بحوالى ١٥ مرة مما يتيح فحص قاع العين بدقة والالمام بحالة الشبكية والعصب البصرى. ويوجد من هذا الجهاز نوعان: نوع يعمل بالكهرباء والآخر يمكن تشغيله بالبطارية. والأخير متوفر منه أحجام مختلفة والحجم الصغير منه يمكن حمله فى حقيبة الطوارىء لفحص الحالات الطارئة والعاجلة.

ب - جهاز فحص قاع العين بالطريقة غير المباشرة Indirect Or Fison's Ophthalmoscope ويكبر هذا الجهاز قاع العين بحوالى ٥ مرات وهو هام جدا فى فحص حالات الشبكية الطرفية مثل قطوع وتمزقات الشبكية وأيضا حالات إضمحلالات الشبكية الطرفية التى يصعب تشخيصها بمنظار قاع العين العادى.

ج - جهاز فحص قاع العين المجسم Stereophthalmoscope يمكن باستخدام هذا الجهاز ملاحظة وفحص قطاع كبير من قاع العين باتساع زاوية قدرها ٤٠ درجة. ومن ميزاته العديدة



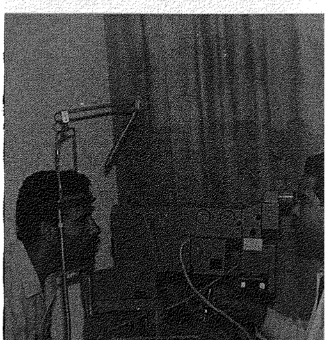
د. ابراهيم محمد عامر
مركز جدة الطبي



الفحص المجسم لقاع العين وتكبير صورة الجزء المراد فحصه مما يساعد على سرعة الفحص ودقة التشخيص كما أنه مزود بأنبوبة أو أنبوبتين مما يتيح الملاحظة والفحص لأكثر من شخص بالاضافة الى أن هذا الجهاز ملائم جدا لفحص الأوعية الدموية بالشبكية أثناء حقن المريض بصبغة الفلوريسين ١٠٪ بالوريد وهذه الطريقة تسمى Fluorescien) . Angioscopy)

(٢) جهاز تصوير قاع العين: Fundus Photography

هذا الجهاز له فائدة عظيمة فى تصوير حالات الشبكية والعصب البصرى مما يسمح بمتابعة الحالات بطريقة عملية ومفيدة. . كما أنه يستخدم فى تصوير الأوعية الدموية بالشبكية باستعمال صبغة الفلوريسين تركيز ١٠٪ Fluorescin Angiography وهذا ضرورى وحيوى فى حالات اعتلال الأوعية الدموية بالشبكية. يسبب بعض الأمراض ومن أهمها وأخطرها مرض السكرى وأيضا حالات انسداد الشريان الشبكى المركزى وتخثر الوريد الشبكى المركزى وأورام الأوعية الدموية بالاضافة الى بعض



جهاز تصوير قاع العين

الحالات الأخرى مثل تأدم الماقوله (المنطقة المركزية بالشبكية) ومرض إيلز Eales,s Disease (التهاب حول الأوعية الشبكية) ومرض فون - هيبل - لنداو Von-Hippel-Lindau Disease (التورمية الوعائية الشبكية) . . ومما هو جدير بالذكر أن فحص وتصوير الأوعية الدموية بصبغة الفلوريسين له أهميه كبرى فى تحديد العلاج باستخدام أشعة الليزر Laser therapy

وفى الآونة الأخيرة تم اختراع جهاز حديث لفحص وتصوير قاع العين ملحق به جهاز فيديو مزود بشاشة تليفزيونية خاصة وكاميرا للتصوير ومن ثم يمكن مشاهدة الحالة على شاشة الجهاز وتسجيلها على شريط خاص للاستفادة به فيما بعد فى متابعة الحالة. وهذا يعتبر انجازاً علمياً رائعاً.

كما أنه هناك أجهزة أخرى لتصوير قاع العين ولا تحتاج الى توسيع حدقة العين باستعمال موسعات الحدقة المعروفة. . وهذا بلا شك يعتبر تطوراً فنياً فى تشخيص أمراض الشبكية والعصب البصرى مع امكانية تصوير هذه الحالات بسهولة ويسر.

(٣) جهاز المصباح الشقي: Slit Lamp

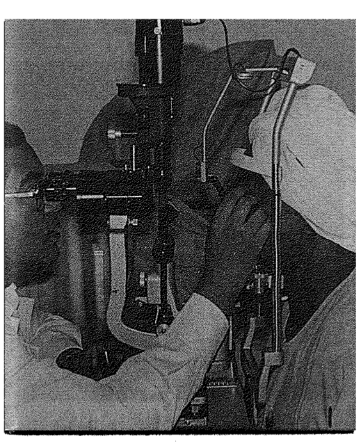
هذا الجهاز يستخدم الآن على نطاق واسع لفحص طبقات العين وأجزائها المختلفة وهى بالترتيب من الأمام الى الخلف: القرنية - الخزانة الأمامية وزاويتها - القزحية - العدسة البللورية - الجسم الزجاجى - الشبكية.

ويعتبر هذا الجهاز ضرورياً وحيوياً فى تشخيص بعض أمراض العيون منها على سبيل المثال:

حالات القرنية: مثل حالات التهابات القرنية. . قرحة القرنية بأنواعها المختلفة. . تحديد نوع عتامات (سحابات) القرنية. . حالات القرنية المخروطية. . إضمحلالات القرنية. . تحديد مكان جسم غريب على سطح القرنية.

حالات الجلوكوما (الماء الأزرق): Glaucoma تحديد نوع الجلوكوما سواء أكانت جلوكوما إحتقانية أم جلوكوما مزمنة بسيطة عن طريق فحص عمق الخزانة الأمامية وكذلك تنظير زاوية الخزانة الأمامية بواسطة عدسة جولدمان لمعرفة درجة Gonioscopy انفتاحها أو انغلاقها. . وأيضا قياس ضغط العين بطريقة التسطح Applanation Tonometry

حالات القزحيه: مثل التهابات القزحية بأنواعها المختلفة. . وجود التصاقات أمامية بين القزحية والقرنية. . وجود التصاقات خلفية بين القزحية والعدسة.



جهاز المصباح الشقي

حالات العدسة البللورية: لفحص مدى شفافية العدسة.. تشخيص عتامات العدسه المعروفه بالماء الأبيض Cataract إنخلاع العدسة من مكانها سواء أكان هذا الخلع جزئياً أم كلياً.. متابعة حالات تركيب العدسة الصناعية التى تم زرعها داخل العين.

حالات الجسم الزجاجى فحص شفافية الجسم الزجاجى.. اكتشاف أى رواسب بالجسم الزجاجى والتى يطلق عليها الذباب الطائر.. تشخيص حالات نزيف بالجسم الزجاجى.

حالات الشبكية: يمكن باستخدام عدسة خاصة تسمى Rhubi Lens تشخيص حالات وجود حويصلة بالشبكية أو وجود تمزق (قطع) بالشبكية قد يؤدى الى حدوث انفصال شبكى.. فحص المنطقة المركزيه للشبكية (الماقوله) Macula لاكتشاف أى تغيرات مرضية بها.

(٤) الأجهزة الحديثه لقياس ضغط العين:

جهاز قياس وتخطيط ضغط العين الاليكترونى

. Electronic Tonography

فكرة الجهاز: تعيين مقدار انخفاض ضغط العين باستخدام ثقل معين قدره ١٠ جم على سطح القرنية لمدة ٤ دقائق متتالية. فاذا كان مقدار الانخفاض فى ضغط العين كبيرا فان ذلك يعنى أن هناك سهولة ويسراً فى تعريف السائل المائى والعكس صحيح.

وأهمية هذه الطريقة تكمن فى تحديد معدل تصريف السائل المائى فى المسالك المخصصه لذلك.. وبهذه الطريقة يمكن تشخيص حالات الجلوكوما ذات الزاوية المفتوحة حتى لو كان ضغط العين فى الحدود الطبيعية والتى يطلق عليها Low Tension Glaucoma ويتم تسجيل النتائج اليكترونيا بواسطة الجهاز فى شكل منحنى دقيق ومميز.

جهاز قياس ضغط العين باستخدام ضغط الهواء

Pneumatic Tonometry

هذه طريقة حديثة لقياس ضغط العين باستخدام الهواء المضغوط الصادر من الجهاز فى اتجاه العين ويسبب ذلك تسطيح مساحة صغيرة من القرنية وميزة هذه الطريقة أنها لا تحتاج الى تخدير موضعى للعين.

جهاز قياس ضغط العين بطريقة المط:

Elastometry

وهذه طريقة اخرى تعتبر طريقة دقيقة الى حد كبير وتعتمد على تخطيط منحنى لأربع قراءات باستخدام أوزان متزايدة بواسطة مقياس المط وهى على التوالى ٥، ٧، ١٠، ١٥جم.

(٥) جهاز قياس انكسار العين الاليكترونى:

Electronic Auto-refractometer

لا شك أنه بعد اختراع هذا الجهاز أصبح عمل كشف النظارة لا يستغرق سوى ثلاثين ثانية.. وهذا وقت قياسى بالنسبة لعمل كشف النظارة بالطريقة العادية التى تسمى منظار الشبكية Retinoscopy ومن ناحية أخرى أنه لا يحتاج الى توسيع حدقة العين بالعقاقير الخاصة بذلك مثل الأتروبين والهوماتروبين... الخ.

فكرة الجهاز: أنه يقوم بتكوين صورة الهدف المضيء بالجهاز على شبكية العين المراد فحصها وتحديد قوة العدسة اللازمة لرؤية هذا الشيء المرئى كما تفعل بالضبط العين الطبيعية السديدة.

ويمكن الحصول على نتيجة الفحص مطبوعة على ورق خاص وبمقتضى هذه النتيجة يمكن عمل كشف النظارة وأيضا كشف العدسة اللاصقة التى تحتاجها العين اذا لزم الأمر لذلك فى بعض الحالات.

(٦) جهاز تخطيط المجال البصرى بالكومبيوتر:

Perimetrom

هذا الجهاز يقوم بتخطيط المجال البصرى (ميدان النظر ـ مجال الرؤية) المركزى والطرفى بالكومبيوتر مما يساعد على تشخيص بعض الأمراض ومتابعة بعض الحالات الهامة كما يلى:

● **حالات الجلو كوما (الماء الأزرق)** فهذا هام وحيوى فى متابعة الحالة المرضية وكذلك فى تقرير العملية الجراحية فى الوقت المناسب.

● **أمراض العصب البصرى:** مثل حالات تأدم الحلمة البصرية Papilloedema حالات التهاب العصب البصرى Papillitis .. وأيضا حالات ضمور العصب البصرى Optic Atrophy بأنواعها المختلفة.

● **اصابات أو إختلالات** فى مسار الألياف البصرية والضوئية Visual Pathway.

● **اصابات وأورام المخ** التى تؤثر على مجال الابصار.

(٧) جهاز الموجات فوق الصوتية: Utrasonogram

فكرة الجهاز: هذا الجهاز يعطى فكرة دقيقة عن أنسجة العين المختلفه وتسجيل أى تغيرات تحدث فى انسجة العين أو الأوساط الانكسارية بطريقة المسح الاليكترونى.. ومن ثم يمكن تشخيص حالات العين تشخيصا دقيقا والتى يصعب تشخيصها أكلينيكيا.

■ ويستخدم هذا الجهاز فى تشخيص الحالات الآتية:

ـ حالات الانفصال الشبكى.

ـ أورام المشيمية والشبكية.

ـ نزيف الجسم الزجاجى وعتامات (رواسب) الجسم الزجاجى.

ـ تحديد مكان أى جسم غريب قد اخترق أنسجة العين واستقر داخلها أو استقر داخل تجويف الحجاج (محجر العين) وأهمية ذلك هو اكتشاف الأجسام الغريبة التى لا يمكن اكتشافها باستخدام أشعة اكس مثل الأجسام غير المعدنية كالزجاج والخشب والمواد العضوية... الخ والتى لا تظهر فى صور الأشعة.

ـ أورام أو وجود تجمع دموى فى تجويف الحجاج.

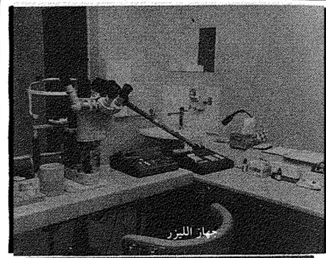


عمليات انفصال شبكى بطريقة الكي بالتبريد

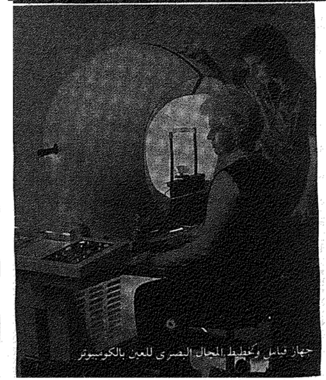
(٨) جهاز رسام العضلات الكهربائى:

Electromyogram (E.M.G)

يعتبر هذا الجهاز أداة تشخيصية هامة لأنه يساعد على تحديد نوع الحَوَل سواء أكان حولا متلازماً أو حولا شللياً أو حولا كامناً (مستتراً) وأيضا يساعد فى التمييز بين الحول المتلازم والحول الشللى الذى قد يأخذ الصورة الاكلينيكية للحول المتلازم فى بعض



جهاز الليزر



جهاز قياس وتخطيط المجال البصرى للعين بالكومبيوتر

الحالات بعد مضى فترة من وقت حدوث الشلل بعضلات العين الخارجية. ومن ناحية أخرى يعتبر هذا الجهاز عاملا أساسيا فى تحديد نوع العملية الجراحية لتصحيح درجة الحصول مع تقدير قيمة التقهقر أو التقصير المطلوب للعضلة المراد اجراء العملية بها.

فكرة الجهاز: عن طريق فحص عضلات العين الخارجية يمكن عمل منحنيات بيانية لكل عضلة لأن لكل عضلة منحنى بيانياً مميزاً من حيث التردد (عدد انقباضات الألياف العضلية فى الثانية الواحدة) وأيضا قوة انقباض الألياف العضلية (بالميكروفولت) ويمكن تصوير هذه المنحنيات التى تظهر على شاشة الجهاز باستخدام كاميرا بولارويد خاصة بذلك الغرض.

(٩) جهاز رسام الشبكية الكهربائى:

Electroretinogram (E.R.G)

الغرض من هذا الجهاز هو اكتشاف وتشخيص بعض أمراض الشبكية مبكرا مثل ظهور علامات المرض الاكلينكية مثل اضمحلالات الشبكية وأهمها الالتهاب الشبكى الصبغى (التلونى) والعشى الليلى وعمى الألوان وأيضا حالات انسداد الشريان الشبكى المركزى وتخثر الوريد الشبكى المركزى وكذلك حالات الصدأية التى تنتج عن استقرار مادة الحديد داخل أنسجة العين.

فكرة الجهاز: تسجيل الاستجابات الكهربائية من بعض أجزاء الشبكية بعد استثارتها بالمؤثرات الضوئية فى شكل منحنيات مميزة وبدراسة هذه المنحنيات يمكن تشخيص حالات الشبكية المختلفة.

بين المعدة والتليين و... فقدان البروتين



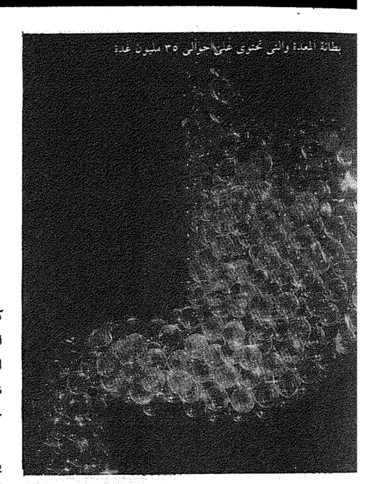
كثير من الناس يظنون - خطأ - أن الملينات غير ضارة ولـذلك يتناولونها دون تمييز. . إنها صيحة تحذير يجب أن تجد صداها لدى الأطباء والمواطنين.

ولا جدال فى أن كل واحد منا يهتم بأمر معدته أكثر من اهتمامه بأى عضو آخر من أعضاء الجسم إنك تظن أنها عضو فى غاية الأهمية التى لا تعلو عليها أية أهمية أخرى. لكن الواقع يقول أن المعدة بالقياس إلى الأعضاء الأخرى نوع من الكماليات أو هى مصدر راحة - اذا صح التعبير - إنهـا مستودع للطعام يسمح لنا بأن نعيش دون ضيق أو إزعاج إذا تناولنا ثلاث وجبات فى اليوم بدلا من خمس أو ست وجبات كبيرة وهو العدد الذى لابد من تناوله لو كان الانسـان بلا معـدة. . وفيـما يتعلق بعمليـة الهضم فإن الأمعاء الدقيقة هى البطل الحقيقى فى هذه اللعبة.

إلا اننا كثيرا ما نسىء إختيار أنواع طعامنا مما يربك أمعاءنا فيسبب لنـا عدم القدرة على الافراز الطبيعى لفضلاتنا الآدميـة مما يترتب عليـه ما نسميه «امساك» أى إحتجاز الفضلات داخل المعدة وعدم تفريغها وهنا قد يفتى من ليس له علم انطـلاقا من المثل القائل «إسأل مجرب ولا تسأل طبيب» لينصح من أصابه إمساك باستخدام الملينات سواء كانت عقاقيرية أو طبيعية ولأن المريض تصيبه حالة من الذعر إذا امسكت معدته عدة أيام دون أن تفرغ ما فى جعبتهـا بالشكـل الطبيعى فإنه يلجأ سريعا لتنفيذ هذه الفتوى والعمل بها وقد يستجيب الامساك أول الأمر فيهدأ أو يترك عصيانه ويفك اضرابه. . ولكن إذا تكرر ما يسببه ثانيا أو ثالثا فربما يعود الاضراب والعصيان العام فلا ينفع تليـين ولا تهوين. . والأمـر الأخطـر هو إستجابة المعدة للملينات إذ تتعامل معها وتفرغ محتوياتها باستمرار وكلما دخل الملين «الغازى» يشعر المريض بأنه آن عليه ألا يتنازل عن مقاومة العصيان إلا بالملينات وربما أصبح مدمنا لها. وهنا تكون الطامة الكبرى حيث تبدأ الأضرار والمضاعفات.

إن أخطـر الآثـار الجـانبية التى تسببها الملينات هو ما نسميه «الفقدان البروتينى» وكما يؤكد العلماء والباحثون أن الملينات تحدث فقدانا كبيرا فى بروتينات «البلازما» والخلايا المعوية.

وبـإجراء الفحوص والاختبارات قبل تناول الملينات وبعدها ثبت أن فقدان الخلايا المعوية تتضاعف إلى عشرة أمثالها بعد تناول «زيت الخروع» مثلا وتتضاعف مرتين بعد تناول «سلفات الماغنسيوم» فضلا عما يحدثه الاكثار من تعاطى الملينات من التهاب فى القولون كما ثبت أيضا لدى فريق باحثى «أنسيرم» أن كثيرا من الناس لا يقدرون خطـورة هذه الملينات ويتخيلون أنها تذهب خارجيا مع الفضـلات التى تتعامل معها ولذلك فهم يتناولونها دون أدنى تمييز. . وكما أن الملينات ليست وحدها هى السبب فى فقدان البروتينات من الجسم فإنه توجد أدوية أخرى تحدث هذا الفقدان.



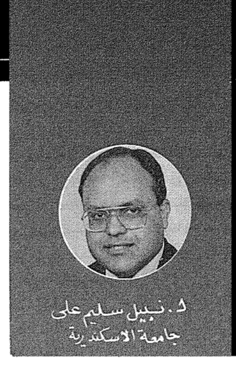
خمسون مليار خلية معوية يفقدها الإنسان يوميا

ولتقدير الفقدان البروتينى أهمية كبرى ويمكن ارجاع أسباب هذا الفقدان الى عوامل عدة:

١ - فقدان الأفرازات الهضمية سواء اللعاب أو العصاره المعدية أو العصارة البنكرياسية أو الصفراء وهذه الإفرازات تمد الأمعاء يوميا بها مقداره ٦ : ٨ لترات من السوائل فى حالة فقدان ما بين ١٢ : ٣٢ جراما من البروتين.

٢ - فقدان البلازما بما يعادل ما بين ٢ر٣ الى ٧ر٣ جراما من الزلال فى المعدة والأمعاء و٦ جرامات من «جاما جلوبيين» وهونوع من بروتينات الدم يلعب دورا هاما فى الدفاع المناعى للجسم.

٣ - فقدان الخلايا المعوية هذه الخلايا التى تتجدد باستمرار فنجد أن الفأر مثلا يغير الغشاء المخاطى لأمعائه



كل ثلاثة أيام وللمرة الأولى أمكن تقييم ضخامة هذه الظاهرة لدى الانسان إذ أنه يفقد يوميا ٥٠ مليار من خلايا الأمعاء تعادل ما بين ٥، ٦ جرامات من البروتينات على شكل خلايا قشرية ومن السهل أن يفقد ما بين ٣ : ٤ جرامات من البروتين عن طريق أجهزة أخرى.

وباجراء الحسبة النهائية نجد أن الشخص العادى يفقد ما بين ٢٠ : ٤٤ جراما من البروتينات عن طريق الجهاز الهضمى ويضاف اليها ما بين ٦٠ : ٩٠ جراما من البروتينات الغذائية التى يجب على الأمعاء أيضا هضمها.

لذلك فإننا نتدارك عندما نريد اراحة أمعاء مريض بمنع تغذيته عن طريق الفم وتغذيته عن طريق الوريد ومع ذلك فإن الأمعاء تستمر فى العمل ما دام يجب عليها أن تهضم يوميا ما بين ٢٠ : ٤٤ جراما من البروتينات التى يفقدها الجسم ومن ثم فليس هناك فترة راحة للأمعاء.

وهذه المجموعة من الطرق «التكنيكية» توفر لنا فهما أكبر للأمراض التى يصاحبها «فقدان بروتينى» مثل الاعتلال المعوى التضخمى وهو مرض يبدو ذا طابع مألوف ومن عناصره هبوط نسبة البروتين فى الدم أحيانا «أو دائما» وأسهال وأوجاع جسمانية.

إختبار جديد

ولمعرفة كمية الفقدان البروتينى هناك اختبار جديد

يجرى لمقارنة كمية «**ألفا ـ ل.**» فى البراز بالنسبة لكميته فى الدم.

وقد أصبح هذا الاختبار مبسطا وهو يتلخص فى أن يجمع الشخص براز ثلاثة أيام متوالية فى وعاء ويذهب به الى المعمل أو المختبر فى اليوم الثالث حيث تؤخذ عينة من دمه ويحسب عدد ملليمترات البلازما الضائعة يوميا من الأمعاء وذلك بأن تقسم الكمية المتوسطة من «ألفا ـ ل.» فى البراز على البلازما المركزة.

وهذا الاختبار يمكن اجراؤه عدة مرات دون أدنى ضرر خلافا للإختبارات الأخرى التى تستدعى الحقن ببروتينات مشعة.

●● وعلاوة على ذلك فان هذا الاختبار الجديد كذلك الاختبارات الأخرى مكنت العلماء من تحديد مقدار البروتين الذى يفقده الجسم عن طريق الجهاز الهضمى لدى كل من الأصحاء والمصابين ببعض الأمراض المعوية ومن يتناولون الملينات.

واذا كانت المعدة هى التى تركز جهودها على البروتينات فتحللها وتحولها الى مولدات الخمائر الا أنها حتى فى هذا المجال تترك المهمة النهائية للأمعاء الدقيقة التى تتولى معالجة الكربوهيدرات «السكريات والنشويات والمواد الدهنية والأطعمة الأخرى، فالأمعاء هى البطل بلا شك.

لكن ماذا من أمر هذه المعدة؟

ليس منظر المعدة من الأشياء التى ترتاح لرؤيتها العين فهى ملساء لامعة زهرية اللون من الخارج.. أما فى الداخل فهى أشبه بطيات القطيفة اللامعة ومكانها فى أعلى البطن عند حدود الضلع السفلى وأشبه بالبالون المفرغ من الهواء عندما تكون فارغة.. ولكن عندما تمتلىء بالطعام والشراب فهى تتمدد بانحراف عبر الجسم.. ويكون حجمها كبيرا فى الأعلى وصغيرا فى الأسفل.. وهى تتسع لكمية من السوائل والأطعمة المثلة لا تتجاوز ربع الجالون أو ثلاثة أثمان الجالون أى أن معدة الكلاب الكبيرة تتسع لأكثر مما تتسع له معدتك أيها الانسان.

ومع أنها ليست بالأهمية التى يظنها البعض فانها تؤدى كثيرا من الأعمال التى تجعل حياتنا بهيجة وتحتوى بطانتها على حوالى ٣٥ مليون غدة قد تفرز نصف جالون أو خمسة أثمان الجالون من العصارات الهضمية فى اليوم الواحد وبصورة رئيسية حمض الهيدروكلوريك وهذا الحمض ينشط الى العمل إفرازا آخر من إفرازات المعدة وهى «خميرة البيبسين» التى تبدأ بها عملية تمثيل البروتين.. ولولا البيبسين لاستعصى عليك أن تتمتع باللحم المشوى الذى تحبه.

ان غدد المعدة تفرز خمائر أخرى أيضا بعضها على سبيل المثال يخثر الحليب ويحوله الى مادة سهلة الهضم.

ليست آلة عنيفة

ويتخيل بعض الناس أو جميعهم بأن المعدة آلة عنيفة تسحق و«تطحن» كل ما يبتلعه الانسان.. ان الأمر ليس كذلك فأنت بعد تناولك طعامك يتجمع هذا الطعام فى شكل طبقات بعضها فوق بعض الطابق الأول.. أولا: ثم الطابق الثانى وبعدها الحلوى وتقوم المعدة فى بدء الأمر بمعالجة الطبقة الموضوعة مباشرة على جدارها فتتحرك عضلاتها بشكل انقباضات متموجة من أعلى الى أسفل وتمزج الأطعمة فى داخلها مزجا كاملا بواسطة الأحماض الهضمية ولا تلبث أن تتحول الأطعمة مادة لزجة سميكة القوام.. ثم تقوم بدفع هذا المزيج نحو الباب (وهو الفتحة السفلى فى المعدة) المنفتح على الأثنى عشر وهى الجزء العلوى من الأمعاء الدقيقة التى يبلغ طولها اثنى عشر بوصة.

«والاثنا عشر» هذا منطقة خطرة.. فإذا وضعت أى كمية كبيرة من الأحماض فيه فإن هذه الأحماض تشرع فى مهاجمة جدار الأمعاء وربما خرقته ولهذا السبب فإن الاثنى عشر تعمل بشكل دفقات قلوية صغيرة حيث تستطيع هذه المواد القلوية والموجودة عادة فى الاثنى عشر أن تعالجها وتقضى على الحموضة المؤذية فيها.

إن الأطعمة المختلفة تحتاج الى أوقات مختلفة لكى يتم هضمها فالبطاطا المهروسة لا تحتاج الى أكثر من بضع دقائق.. أما اللحم فيحتاج الى مدة أطول من هذه

والخضروات ذات الألياف تحتاج الى وقت أطول من ذلك أيضا . .

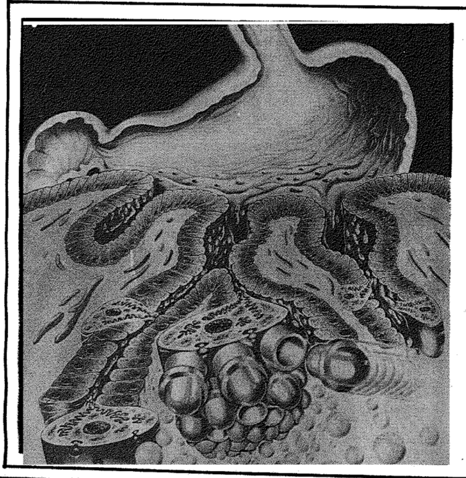
فكم تطول مدة الهضم؟ إن هناك إختلافات كبيرة وهذا يعتمد بالاضافة الى تركيب الأطعمة على حالتك النفسية والجسدية . . إن أربع ساعات يمكن إعتبارها حدا وسطا لهضم الأطعمة المذكورة . . ولكن إذا أضيفت اليها السبانخ مثلا فإن عملية الهضم تحتاج الى وقت طويل قد يمتد الى ٢٤ ساعة .

تسبب الأطعمة الدهنية الدسمة مشاكل من نوع خاص . . فلو فرضنا أن إنسانا تناول فطورا دسما فى الساعة السابعة صباحا فإن الاثنى عشر تجد نفسها مضطرة بحكم غريزة الدفاع عن النفس أن تنتج هرمونا من شأنه أن يبطىء عملية التقلصات العضلية . . فهى لا تستطيع أن تواجه مثل هذا الحمل الكبير من المواد الدهنية مرة واحدة ولذلك فإن طعام الافطار الدسم هذا يبقى فى المعدة مدة طويلة فلا يكون هضمه قد تم حتى عندما يحين الغذاء .

وهناك شىء آخر يحملها على أن تبطىء حركتها . . هى المواد المثلجة . . فإذا تناولت طبقا كبيراً من «الآيس كريم» مثلا فإن حرارتها تنخفض بمقدار احدى عشرة درجة مئوية وعندئذ يتوقف العمل داخلها لمدة نصف ساعة إلى أن تعود درجة الحرارة الى الارتفاع المطلوب . . ولا ضرر فى هذا التوقف أبدا فهى ليست فى عجلة من أمرها .

●● الحقيقة أن المعدة تعيش حياة مسترخية لا داعى فيها للعجلة أبدا . . وهى أحسن حالا من أعضاء حيوية كثيرة فى الجسم . . ففى حين أن الكبد والقلب والرئتين والكليتين يعملون ليل نهار لمدة ٢٤ ساعة متواصلة فى اليوم الواحد فإنها تستطيع أن تجزىء آخر المهام التى توكل اليها وهى طعام العشاء قبل أن تذهب الى فراشك لتنام .

أى أنها تستطيع التوقف عن العمل والنوم فى اللحظة التى تنام فيها أنت . . ولكن . . إذا كانت المعدة تقوم بهضم المواد البروتينية (كاللحوم مثلا) فلماذا لا تهضم نفسها؟ .



ان اخطر الآثار التى تسببها الملينات هى (الفقدان البروتينى)

السبب فى ذلك هو أن جدار المعدة الداخلى أو بطانتها مغلفة بمواد مخاطية حامية فإذا انفعل واحمر الوجه واستشاط غضبا تحول لونها الى الاحمرار. . وإذا اصفر الوجه غضبا تحول لونها أيضا الى اللون الاصفر. . وإذا انفعل حماسة وهو يشهد مباراة رياضية استجابت لهذا الانفعال بانقباضات عنيفة.

وعندئذ تتضاعف إفرازاتها ثلاثة أضعاف وعندما يستنشق رائحة طعام شهى أو يرى قطعة لذيذة من الحلوى فى واجهة أحد المحال فإنها تنشط إلى العمل فورا وتأخذ فى التقلص وهو ما يسمى بألم الجوع.

كذلك فهى تشارك صاحبها همومه وانقباضاته فعندما ينقبض تتوقف انقباضاتها العضلية أو تكاد وكذلك يتوقف افراز العصارات الهضمية. . ولكن المرء إستجابة للعادة لا يتوقف عن تناول الطعام ولذلك فإن ما يدفعه من أطعمة الى داخلها يتكدس هناك كما هو مما يسبب تمددها وإنزعاجها ولذلك فياحبذا لو توقف المرء عن الطعام عندما يحس بالانقباض أو الكآبة.

ارهاق عاطفى = قرحة

وأوقات الشدة والارهاق العاطفى تسبب لها مشكلة أخرى فهى تزيد نسبة افرازاتها من الاحماض وقد يصل الى حد التسبب فى القرحة. . ولذلك أنصحك كلما شعرت بمثل هذا الارهاق العاطفى أن تغير من عادات طعامك. . تناول عددا من الوجبات الصغيرة بدلا من ثلاث وجبات عادية. . فهذه خير طريقة للحد من زيادة الأحماض فى داخلها. . والواقع ان هناك عددا كبيرا من الناس أصيب فى حياته بالقرحة دون أن يدرى. . فلقد رأيت أمامى طالبا جامعيا كان يحس بقلق عظيم فى موعد الفحوص. . ولذا كانت نسبة الأحماض تتكاثر فى داخل معدته.

وقد استطاعت هذه الأحماض فى النهاية أن تجد نقطة صغيرة ضعيفة فى الغلاف المخاطى وشعر صاحبنا بنوبات قليلة من الألم عزاها الى اضطراب مواعيد الطعام. . ولكن ما أن انتهت الفحوص حتى زال هذا الألم لأن نفسه هدأت وطابت. . وبذلك انخفضت نسبة الافرازات من الأحماض واستطاعت أن تهيىء لنفسها الفرصة لكى تفرز القدر الكافى من المواد المخاطية وتطيب جرحها.

وإذا استثنينا القرحة والسرطان فقلما تصاب المعدة بعلة خطيرة. . فهى تستطيع أن تشفى نفسها من خدش يصيبها بسبب عظمة سمك مثلا خلال ٢٤ ساعة. . ولو حدث نفس هذا الخدش على الجلد لاحتاج شفاؤه الى أسبوع.

ومن الطريف والعجيب أنك لو وضعت قطعة من اللحم الفاسد فى الماء المقطر تجد أن الجراثيم قد تناوشتها ولكن ضع نفس القطعة بعد انتشالها من الماء فى عصارات المعدة الهضمية تجد أن كثيرا من الجراثيم قد اضمحل بسرعة.

بيد أن هنالك جراثيم تستعصى على العصارات الهضمية وهى الجراثيم التى يجب أن يوليها المرء مزيدا من اهتمامه.

وهذا هو السبب الذى يحتم على الانسان أن يهتم اهتماما خاصا بأمر ما يأكله فى المناطق المفتقرة الى الوسائل الصحية الكافية.

هناك أشياء تهيج المعدة ولا سيما الفلفل والى درجة ما «الخردل» والفجل الحريف» فإذا وصلت هذه المواد وأمثالها الى داخل المعدة ولامست بطانتها تحولت الى الحمرة النارية. . كذلك فإن القهوة والنيكوتين والكحول تزيد من إفرازاتها الحمضية.

ولهذا السبب ينبغى للمصابين بالقرحة أن يكفوا عن تعاطى مثل هذه الأشياء.

وأنا لا أريد أن أقسو على صاحب هذه المعدة المصابة فأحرمه من هذه الأشياء ولكننى أريد أن أذكره بأن تركها يجعل المعدة أسعد وأهدأ حالا مما يساعد على أداء وظائفها الهامة على أكمل وجه.

دواء جديد لعلاج القرحة

وقد حدث منذ خمس سنوات أن وضع عقار «السيمتدين» تحت التجربة السريرية فى علاج القرحة

قرحة الاثنى عشر

إن أكثر المعلومات التى حصلنا عليها عن فائدة السيمتدين وقيمته العلاجية تمت عن طريق إعطائه بمقدار جرام واحد يوميا ولمدة أربع أسابيع للمرضى وكانت نسبة الشفاء ٧٠٪ منهم وإذا استمرت المعالجة لمدة ستة أسابيع ترتفع النسبة لـ ٨٠٪ بينما كانت النسبة فى المرضى الذين أعطوا دواء موهما حوالى ٤٠٪.

إن الهدف الحقيقى للمعالجة هو منع نكسة المرض وليس الشفاء ويبدو أن جرعة ٤٠٠ ملليجرام ليلا أو مرتين فى اليوم تحقق وقاية معقولة لمنع نكسة القرحة أى عودتها.

لقد نكست القرحة فى ١٠٪ من المرضى الذين أعطوا جرعة واقية (٤٠٠ ملليجرام) مرتين يوميا بعد شوط دوائى واحد لمدة ستة أشهر، بينما عادت القرحة فى ٤٥٪ من الذين أعطوا دواء موهما. . وكانت النسبة ٢٥٪ عند الذين أعطوا ٤٠٠ ملليجرام يوميا لمرة واحدة.

وهناك ملاحظة هامة بالفحص المنظارى قد تعود القرحة دون أن يشكو المريض أية أعراض وأيضا ملاحظة أخرى هى أن الوقاية من النكسة المرضية تدوم ما دام الدواء يؤخذ بانتظام.

ولكى يستخدم السيمتدين بشكل عملى فى علاج قرحة الاثنى عشر يجب أن يعطى المريض المصاب بقرحة فعالة (أى ثبت وجودها بالأشعة والمنظار) جراما واحدا يوميا من السيمتدين لمدة ستة أسابيع بجرعة ٢٠٠ مج ثلاث مرات يوميا مع ٤٠٠ مج ليلا لانقاص الافراز الليلى للحمض الذى هو إضطراب أساسى بقرحة الاثنى عشر.

ويجب أن يثبت الشفاء بعمل منظار للاثنى عشر ولكن متى أصبح المريض بلا أعراض بعد ستة أسابيع بجرعة من المعالجة فيجب أن تنقص الجرعة الى ٤٠٠ مج تؤخذ ليلا وتستمر لمدة عام.

وفى حالة وجود نزف قرحى سابق يجب التأكد من تمام الشفاء بعمل منظار للمعدة وفى حالة الفشل يكون العلاج الجراحى هو الحل الوحيد.



المعدية وأثبتت نجاحا طبيا ولكى يحصل الطبيب على فائدة قصوى من استعمال السيمتدين يمكنه أن يشرح لبعض مرضاه آلية عمل هذا الدواء مؤكدا لهم ضرورة وواجب أخذه فى المواعيد المنتظمة حتى تحدث الفائدة المرجوة منه.

آلية العمل:

يعمل السيمتدين عن طريق إبطال فعل أو تأثير الهستامين على الخلايا المنتجة للحمض فى الأغشية المخاطية الهضمية وذلك بتثبيط الخلايا بالآستيل كولين وهرمون «الفاسترين» معا.

هذا التثبيط ليس دائما وإنما موقتا حيث تكفى ٢٤ ساعة من إيقاف الدواء لاعادة إفراز الحمض لمستواه السابق قبل المعالجة لا أكثر ولا أقل حتى لو كانت مدة أخذ الدواء لسنة أو أكثر. . ولكن فى نفس الوقت علينا أن نعلم جيدا أنه إذا تسبب السيمتدين فى شفاء القرحة فيمكن أن تعود ثانية إذا كان السبب الأصلى المهيىء للقرحة ما زال موجودا.

وقد لا تكفى جرعة جرام واحد فى اليوم لتعديل الحموضة الزائدة حيث يظهر هذا بعدم تحسن المريض بعد أسبوعين من تناول الدواء فتزداد الجرعة هنا إلى ١٫٦٠٠ جرام أى ٤٠٠ ملليجرام أربع مرات يوميا.

وهنا يجب على الطبيب أن يتأكد أن استمرار الالم هو بسبب القرحة وليس بسبب آخر كألم المرارة أو البنكرياس أو القولون. أما تلك القرحات التى تشفى باستعمال «السيمتدين» فيجرب فيها المعالجة العرضية وفى حالة الفشل يلجأ للجراحة كحلٍ أخير.

وإذا زالت الأعراض تماما يبقى على جرعة واقية ٤٠٠ مج مرتين يومين وإذا نكست القرحة بالرغم من المعالجة الواقية فيجب أن نلجأ الى الجراحة.

ما هى مدة العلاج الوقائى

إن آثار أو أخطار الدواء الجانبية هى من القلة بحيث نسمح باستعماله لفترة طويلة. لذا فإنه من السابق لأوانه تحديد فترة معالجة معينة بسبب قصر المدة التى استعمل خلالها بالمجال السريرى ولكن بشكل نسبى نقول أنه بالنظر لمضاعفات القرحة المعدية الكثيرة والخطرة والمميتة أحيانا فإنه لا يسمح بأن تستمر المعالجة أكثر من ثمانية أسابيع بجرام واحد يوميا إذا لم يحدث الشفاء خلال هذه المدة بينما يختلف الامر لقرحة الاثنى عشر السليمة نسبيا.

إن المرضى ذوى الأعراض الحادة والمتكررة بكثرة يحدث قبل أخذ الدواء غالبا أن تعود عندهم القرحة بمجرد إيقاف الدواء مما يحتم اللجوء للجراحة فإن السيمتدين هنا هو الاختبار المتوسط وكذلك إذا نكست القرحة بعد العملية الجراحية فان السيمتدين هو الاختبار الباقى ومن السابق لأوانه كما ذكرت تحديد فترة العلاج. ولكنها على الأغلب تابعة للأعراض والمضاعفات.

وفى القرحة المعدية أظهرت التجارب أن شوطا دوائيا لمدة تتراوح ٨ أسابيع بجرام واحد يوميا كاف لشفاء ثلثى القرحات المعدية (هذه النسبة مقارنة بالمعالجات الأخرى) وكما هو الحال فى بقية الأدوية فإن عودتها ممكنة الحدوث بعد إيقاف العلاج بالدواء. وإذا تأكدنا بعمل المنظار من سلامة القرحة فإن المعالجة يمكن أن تستمر بجرام يوميا لمدة ثلاثة أشهر أو أكثر فى محاولة لشفاء القرحة بعد التأكد دائما من سلامتها بالمنظار. وبالفعل فإن عددا كبيرا من المرضى بحاجة الى عملية جراحية لاتمام العلاج.

ولقد درس المقدار الدوائى المؤثر وتبين أن بعض المرضى يحتاج لفوق الثلاث جرامات من السيمتدين يوميا لتحقيق تثبيط الحمض المعدى. وقد يصبح العلاج طويل المدى هو البديل الجيد عن استئصال المعدة التام.

وبالرغم من هذه المعالجة الطويلة المدى فلا تلاحظ أية آثار جانبية هامة سوى بعض التعب بسبب الكمية الكبيرة المعطاة.

القرحة المعدية النازفة

ليس هناك أى دليل إحصائى حول ما إذا كان السيمتدين عن طريق الفم يوقف النزف أو يمنع تكراره. إن الاستثناء الوحيد هو عند المرضى ذوى القرحات والذين يعانون من قصور كبدى حاد حيث أظهر السيمتدين بالوريد قد يكون له بعض الفوائد الوقائية لمنع النزف ويجب أن يوضع تشخيص تفريقى واضح بين النزف المعدى وقرحة الاثنى عشر وبين أشكال النزيف الأخرى مثل نزف الدوالى الرئيسية حيث لا يفيد السيمتدين.

الآثار الجانبية للدواء

الحقيقة أنه لا تحدث آثار جانبية هامة أو مزعجة بالمعالجة السريرية الصحيحة ولكن قد يحدث بعض الألم العضلى أو التعب أو الاسهال أو إرتفاع عابر بخمائر الكبد. أما خارج المعالجة السريرية المحكمة فقد حدثت بعض الظواهر ولم يتأكد بعد هل هى بسبب السيمتدين أم أنها وجدت صدفة مرافقة له وهى ليست كافية لاعتبارها ناجمة عنه.

وتتضمن هذه الآثار إنخفاض الضغط والطفح الجلدى والدوار والاضطرابات النفسية واضطرابات التبول.

كذلك سجلت بعض حوادث إنخفاض الكرات

الحمراء والبيضاء والصفائح الدموية كما ذكرت حوادث من تشعب القرحة لمجرد إيقاف الدواء الفجائى وهذا يضيف تأكيدا آخر على وجوب التدرج بإنقاص الجرعة قبل إيقافها تماما. أو الابقاء على جرعة دائمة (واقية).

ولو علمنا أن السيمتدين يطرح عن طريق الكليتين لذلك يجب التنبيه عند إعطاء هذا الدواء لذوى القصور الكلوى وأن هذه الآثار أيا كانت مازالت تفتقد أو تحتاج لبعض التقويم فى العلاج الطويل المدى كما أن الزمن والمراقبة الجدية والاحصاءات. . كل هذه الأمور كفيلة بأن تعطى فى المستقبل نتائج أفضل فى استعمال السيمتدين هذا الدواء الجديد لعلاج القرحة.

ولكن . . ماذا عن باقى الأدوية؟.

فى الواقع ان جميع الأدوية تقريبا تهيج المعدة إن المعدة حتى ولو كانت سليمة صحيحة تماما فإنها لا تسلم من النزف القليل إذا ما أسرف الانسان فى تعاطى الأسبرين مثلا ولكن هذا النزف يجب ألا يقلق البال شريطة أن يراعى الانسان جانب الاعتدال فى تعاطى الأدوية

هنالك علاج أثير على نفوس الكثيرين وهو كربونات الصودا التى تستخدم لازالة حموضة المعدة ولكننى أنصح سائر الناس بتجنب الاسراف فى تعاطى هذه المادة القلوية. . فالمواد القلوية سريعة الوصول عن طريق الامتصاص إلى الدورة الدموية. . فإذا أكثر الانسان من تناولها قد يؤدى ذلك الى زيادة القلويات فى الدم وهو أمر يجب أن يخشاه الانسان أكثر مما يخشى زيادة الحموضة لأن تكاثف القلويات فى الدم يسبب إرهاقا مخيفا للكليتين.

وقد يوجه المرء الملامة لمعدته لأمور ليست من صنعها كتلك الغازات (القرقر) المحرجة التى يسمعها منبعثة من جوفه أحيانا. . إن هذا الصوت لا يصدر عنها وإنما عن الأمعاء فهى ليست مولدا للغاز. . وإذا أساء الشخص طريقة تناول الطعام فهى تلجأ الى طريقتها المعروفة فى التنظيف والتقيؤ.

وقد تستغرب يا صديقى إذا قلت لك ان الأمر بإفراغ المعدة من محتوياتها لا يصدر عنها وإنما يصدر عن الدماغ. . وهو يؤدى الى حدوث سلسلة من الأعمال العنيفة فعضلات البطن والصدر تأخذ فى الضغط عليها. . والصمام الفؤادى فى أسفل المرىء ينفتح إلى أقصى مداه والبقية تعرفها أنت.

إن «الحرقان» والنقطة المؤلمة التى يشعر بها الناس قرب منطقة عظام الصدر شىء آخر. . فقد يحتسى المرء مقداراً كبيرا من الأشياء المتسببة فى ذلك ويعطى الدماغ أمرا بإفراغ المعدة ولكن الفؤاد (فتحة المعدة القلوية) لا ينفتح إنفتاحا مناسبا ولذلك لا يحدث التفريغ. . فيحدث فى مثل هذه الحالة أن فقاعة الغاز تصعد إلى أعلى حاملة معها شيئا من حمض الهيدروكلوريك المهيج وهو ما يسبب الحرقان.

وهناك قاعدة يجب أن يعيها كل الناس:

إذا شعر المرء بألم حاد منبعث فى ظنه من المعدة واستمر هذا الألم أكثر من ساعة واحدة فعليه أن يستشير طبيبا فى الأمر.

إن هناك عللا كثيرة وآلاما متعددة يظن الانسان أنها ناشئة عن المعدة ولا سيما آلام المرارة وما أكثر الأشخاص الذين توفوا بنوبات قلبية يظنون أنها مجرد اضطرابات فى المعدة. .

كن حريصا واتخذ جانب الحيطة. . إن أى اضطراب فى المعدة السليمة يمضى بسرعة. . فإذا استمر طويلا عليك بالطبيب.

وربما ينعت الكثيرون المعدة بأنها أكثر أعضاء الجسم تحملا لسوء المعاملة وربما كان هذا صحيحا فلقد بنيت على هذا الأساس.

ولو أن المرء أولى قسطا مناسبا من عنايته لمعدته فإنها تستطيع أن تعده بأنها سترافقه طوال حياته وتخدمه خدمة خالية من مسببات الاضطرابات بل وتتحدى أى عضو من أعضاء الجسم الأخرى أن يعد المرء مثل هذا الوعد.

إنها ترفع صوتها كى تنصحك بما تفعل وتنهاك عما لا يحسن بك فعله. . إنما نصائح ثمينة تجنبك الكثير من الازعاج والاضطرابات الهضمية وتحمى صحتك وجسدك من الآفات والأمراض.

اعمل بهذه النصائح تعش طويلا باذن الله سبحانه. . رضى البال. . جم النشاط. . موفور الصحة. .



لمسات لم تتم

مصطفى عبد الشافى مصطفى
مصــر

■ لوحات مبعثرة وضعت هنا وهناك، جلس فى ركن من أركان الحجرة مكتئب النفس، أمامه (ألبوم) من الصور من خلاله يرى عمره الذى ولّى، على الحائط صورة زيتية حديثة. الوجه فيها قريب الملامح منه، تلك الملامح القمحية رسمها صديق له.. ينظر الى صور الألبـوم.. فهذه فى طفولته يوم كان لا يحمل هما، هذه فى صباه فيها تلك الابتسامة البريئة التى تحمـل أشيـاء كثـيرة وراءها يومها كانت السعادة لا تفارقه كان أكثر حرية منطلقا لا يعرف القيود، وقف عند صورة تمثل شبابه تأملها كثيرا.. آه...
ربيع العمر الذى مر وهأنذا فى الخريف.

رسم لوحات كثيرة أستوحاها من الواقع.. أراد رسم صورة لحبيبة أحلامه.. أحس انه قابلها من قبل رغم انه لم يقابلها بعد، يرسم لوحاته أحيانا مستعينا (بـالموديلات)، يقلب (الألبوم) فيجد صورة له بين رفاقه فى معرضه الأخير..

نال الكثير من شهادات التقدير قال لنفسه: «ما الفائدة؟».

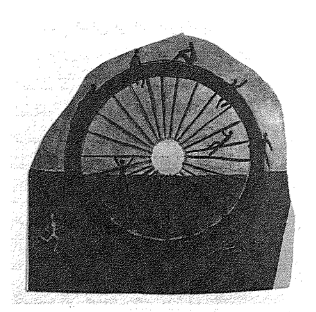
تذكر آخر (موديل) وقفت أمامه فى مرسمه حين أرتعشت يداه وانــزلقت الألـوان فامتـزجت باللون الأحمـر القـانى السائل من يديه، كان وجهها جميلا وعيناها يشع منهما بريق يجذبه، فكان يهرب من عينيها خشية تلاقى العيون، مضطربا كان، أشعل سيجارة وهـو يضـع اللوحـة البيضـاء يعـدها لرسم الصورة العـالقة بذهنه وهو يستعيد تلك الملامح

تذكر تلك اللوحة التى

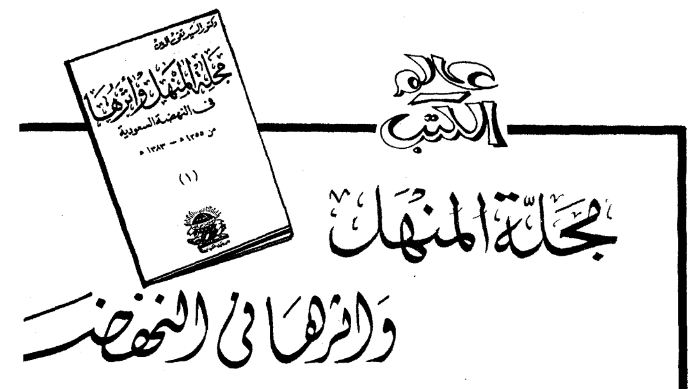
كلما مر من أمام ذلك المعرض أعجبته تلك اللوحة المرسومة لطفل باك، مرسومة كانت داخل القلب، كم تمنى ان يكون له طفل لا يعرف البكاء . . يرى من خلاله طفولته ويخلد ذكراه فى هذه الحياة . . أشعل سيجارة أخرى وهو يحدث نفسه قائلا :

«لكن ماذا أعددت لهذا الطفل حين يجيء؟» . .

إذا جاء سوف يجد عالما متصارعا . . رغم ذلك يتمنى مجيئه، أمنية لم تتحقق، وضع الألوان أمامه تمنى لو رسم صورة لطفل لا يعرف البكاء، تعلو وجهه الابتسامة، أخذ يمزج الألوان حتى أصبح أمامه لون برونزى . . فتح النافذة دخل هواء رطب استنشقه واستنشق معه أملا جديدا، كانت الملامح التى بدأت تظهر لجسد أنثوى بدون وجه كملامح أى جسد أنثوى . . لاحظ انه أعطى البشرة قليلا من اللون الأسمر مما جعلها قمحية اللون . . تذكر الحلم الذى دائما يراه، سمراء، كانت وملامح الوجه الذى لم يتبين بعد على اللوحة يتبين أمامه من خلال تذكره الحلم، يتأمل الوجه الذى يتجسد أمامه كشبح يتراءى ثم يختفى حين بدأ يضع ملامح الوجه على اللوحة، تعجب . . فكلما رسم وجها تلاشى، انتابه الخوف، هذه أول مرة يحدث فيها ذلك، يحاول ثانية يتلاشى وجه قديم يتخيله لكنه الآن ضاع . . أخيرا ترك اللوحة بدون الوجه، وقف بعيدا واللوحة أمامه، جلس على مقعده ناظرا إليها . . كانت الساعة قد قاربت الثانية بعد منتصف الليل، شعر بالاجهاد . . اللوحة ينقصها الوجه وبعض الرتوش، وجد نفسه يضع ملامحا لوجه غريب.



لاحظ انه رسم الوجه مائلا الى الاسمرار، رسم الشعر مائلا الى الاصفرار، وضع على الخد بعض الاحمرار، وجد اللوحة حزينة سألها: أين ابتسامتك؟ . . يقولون ان لوحاتى دائما تنبىء بالتشاؤم، تركها على حالها، عاد يقلب فى (ألبوم) الصور وجد صورة له حديثة غابت فيها ابتسامته . . تذكر آخر مرة رسم فيها وجهها، كانت حزينة، لا يذكر جيدا انه رسم حديثا وجها مبتسما، شعر بضيق فى صدره تناول الدواء قال لنفسه: «لقد أشعلت سجائر كثيرة الليلة» شعر بالبرودة تسرى فى بدنه، أغلق النافذة، قبل ان ينام حاول ان يتذكر الوجه بملامحه، يتذكر لون البشرة تميل الى السمرة والوجه يتلاشى . . يبحث عن صورتها عبر الزمن فتغيب كل الوجوه من مخيلته، يحاول ان يتذكر (الموديلات) القديمة والحديثة، يتذكر الأجساد ويغيب الوجه وسط آلاف الوجوه الغريبة الضائعة عبر الزمن، يعود الى (الألبوم) فلا يجد إلا وجهه.



مجلة المنهل وأثرها في النهضة

صديقاى الجليلان :

● المرحوم الأديب والصحفى والمؤلف والشاعر الأستاذ عبد القدوس الأنصارى صاحب المنهل الذى توفاه الله عز وجل فى جمادى الآخرة عام ١٤٠٣هـ فرحل عن الدنيا بعد كفاح أدبى طويل وبعد أن قام بجلائل الأعمال فى خدمة دينه ولغته لغة القرآن الكريم وآدابها وفى خدمة أمته ووطنه ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ وقد امتدت صداقتنا أكثر من أربعين عاماً وكان يقضى دائماً صيفه فى القاهرة فكنت أنعم حقا بزياراته وبمودته وبطيب حديثه .

● والصديق الآخر هو الأستاذ الدكتور السيد تقى الدين مؤلف هذا السفر القيم والاستاذ فى جامعة الأزهر الشريف فى كلية اللغة العربية بالقاهرة والذى عرف بفضله وأدبه وعلمه . . وحين أهدى إلىَّ كتابه الذى أتحدث عنه غمرتنى فرحة كبيرة لأنى رأيته دليل وفاء للأصدقاء الراحلين ولأنه خرج فى العيد الخمسينى (١٣٥٥هـ/ ١٤٠٥هـ) لمجلة المنهل صاحبة الفضل على النهضة الأدبية والصحفية والثقافية فى المملكة العربية السعودية فجزاه الله عنا خير الجزاء .

ويقع الجزء الأول من هذا الكتاب القيم فى ٤٧٦ صفحة ويشتمل على :

١ ـ مقدمة عن أهمية البحث ومنهجه .

٢ ـ الفصل الأول عن نشأة الصحافة السعودية وتطورها من خلال مجلة المنهل .

٣ ـ الفصل الثانى عن تكوين المجتمع السعودى وقضاياه وبيئته .

٤ ـ الفصل الثالث عن نمو الوعى وظهور الرأى العام وقضايا الثقافة والتعليم .

٥ ـ الفصل الرابع عن تطور الأدب السعودى .

٦ ـ الفصل الخامس عن فن المقالة والدراسات الأدبية والنقدية .

وبهذا الفصل ينتهى الجزء الأول من الكتاب إلا أن الخطة التى رسمها المؤلف للكتاب تذكر :

١ ـ الفصل السادس عن القصة والمسرحية .

٢ ـ الفصل السابع عن الشعر السعودى المعاصر .

٣ ـ الفصل الثامن عن التراجم والسير.

وبالرجوع الى المؤلف فى هذا الأمر أفاد أن خطة الكتاب كما وردت فى المقدمة صحيحة إلا أن ظروف الطباعة حالت دون إتمام الكتاب على النحو الذى عرضته الخطة ومن ثم وقف بالجزء الأول عند نهاية الحديث عن فن المقالة .

وسيبدأ الجزء الثانى إن شاء الله بالفصل السادس عن القصة والمسرحية . . الخ . . وحسب التقدير المبدئى قد يقع فى خمسمائة صفحة تقريبا .

فظروف الطباعة وضخامة الكتاب قد دفعت الى تقسيمه إلى قسمين بعد البدء فى الطباعة .

●● والكتاب دراسة عميقة لنهضة الصحافة والأدب

تأليف د. السيد تقى الدين
عرض د. عبد المنعم خفاجى

ـة السّعوديّة

والمجتمع فى السعودية وأثر المنهل فى ذلك كله. . وبجلة المنهل كما يحدثنا المؤلف فى الكتاب صدر العدد الأول منها فى ذى الحجة من عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م بهدف نشر العلم والمعرفة وإحياء التراث العربى ومسايرة مواكب النهضة فى الدولة السعودية الفتية وكان صدورها فى المدينة المنورة ثم انتقل طبعها الى مطبعة الحكومة فى مكة المكرمة ثم فى جدة وقد حملت المجلة ألوانا من الثقافات الى قرائها وحملت كذلك طموح صاحبها الأستاذ عبد القدوس وهو طموح كبير صاحبَ نهضة بلاده.

وواكبت المجلة مسيرة النهضة السعودية فى شتى جوانبها وعبرت عنها أصدق تعبير ورفعت لواء الدعوة إلى البناء والتقدم والاصلاح والتجديد وكان لها ريادة فى شتى نواحى الحياة الفكرية والثقافية والأدبية والصحفية والاجتماعية فى الدولة السعودية وكانت صدى كبيراً للفكر والمفكرين وللأدب وللأدباء فى المملكة العربية السعودية مما جعلها موضع عناية الشباب السعودى وحرصهم على الافادة منها وعلى متابعتها شهراً بعد شهر وعدداً بعد عدد.

■ وصاحب المنهل يرى أن الأدب الحديث نشأ فى بدايات الربع الثانى من القرن العشرين وأنه تأثر بالأدب المصرى والأدب المهجرى تأثراً كبيراً فى بدايات نشأته وهو على حق فيما رآه وقد حلل المؤلف الباحث الدكتور تقى الدين آراء المنهل وصاحبه فى النهضة الأدبية فى المملكة تحليلاً وافيا، وأفاض فى شرح آراء الأدباء السعوديين فى آداب بلادهم من خلال مجلة المنهل. . واستعرض تطور فنون الأدب السعودى كافة من خلال دراسات المنهل وصاحبه ويفيض المؤلف فى عرض آراء المنهل فى الشعر وفى النثر السعودى وفى دراسة هذا الأدب دراسة منهجية موضوعية.

●● والكتاب ولا ريب صورة واضحة لأراء الأنصارى ولفكره ولدعواته إلى التجديد والبناء والنهضة. . وهو كذلك دراسة واسعة للأدب السعودى ومذاهبه وتياراته ومدارسه فى الشعر والنثر وفى المقالة وفى الدراسة الأدبية وفى القصة والمسرحية والتراجم والسير الأدبية مما يجعله وثيقة صادقة مصورة للنهضة فى البلاد السعودية بكل جوانبها وتياراتها ومذاهبها.

■ وآثار المنهل وصاحبه فى كل جوانب النهضة الثقافية والفكرية والأدبية ظاهرة فى كل فصول الكتاب ودراساته العميقة ولقد أفادنا المؤلف الدكتور تقى الدين بكتابه فوائد عدة:

فهو أولا: أبدع ترجمة لفكر المنهل ومنشئه الاستاذ عبد القدوس الانصارى.

وهو ثانيا: ترجمة للنهضة السعودية ودراسة لها فى شتى مناحيها.

وهو ثالثا: دراسة عميقة للأدب السعودى بكل ملامحه وتياراته
ومدارسه ومذاهبه.

●● والكتاب ولا ريب موسوعة أدبية كبيرة وهو خير وفاء للأستاذ عبد القدوس الانصارى وهو أيضا خير عمل أدبى يكتب عن الأدب فى السعودية.

ولا أجد ما أقوله فى خاتمة هذه الكلمة إلا أن أهنىء المؤلف الفاضل على الجهد الكبير الذى قام به وعلى سفره النفيس الذى يعد من أجمل الدراسات التى كتبت عن النهضة الصحفية والأدبية فى السعودية وعن مجلة المنهل.

الأثر والآثار

العدد السنوي المتخصص

اعتـادت مجلة «المنهل» اصدار عدد سنوى متخصص، تتخير له موضوعاً تحاول بقدر جهدها واجتهادها ان يكون هاماً وحساساً فى حياتنا.

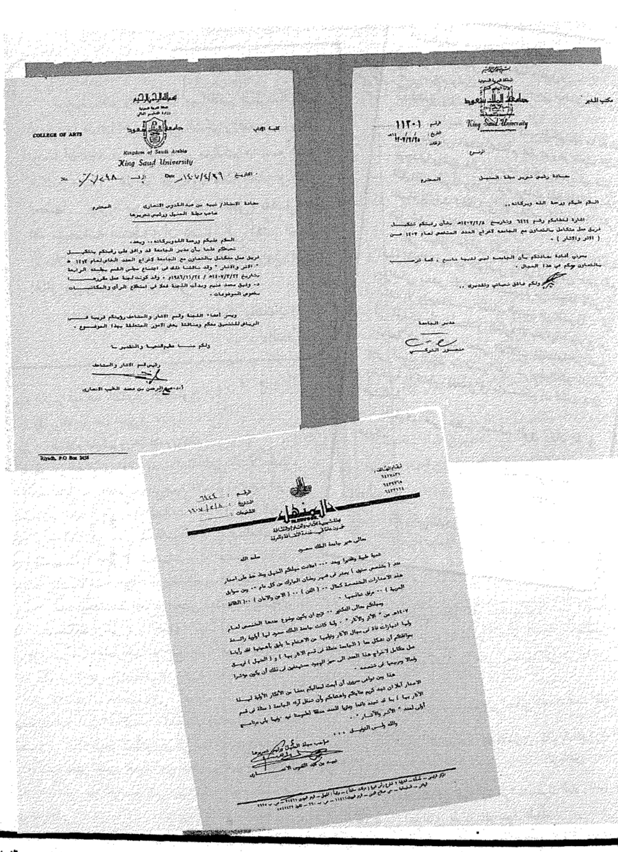
تفجّـر منـاقشتـه من كل الجـوانب والـزوايـا وبأقـلام نخبه من المتخصصـين على امتـداد رقعـة العـالم العربى والاسلامى . . طاقة خلاقة فى فهم مسيرتنا العلمية والثقافية والحضارية.

والمجلة تطمح فى ان تكون هذه الاصدارات لبنة فى سبيل تأسيس فهم واحـد ونظـرة واحدة تطبع العقل العربى والاسلامى . . فبهذا الفهم وهذه النظرة تتوحد الأفكار والمشاعر وترى المنهل ان وحدة العقل والقلب هى ما يمكن ان تعطى الصحوة الحقيقية لهذه الأمة.

ولعلنا لا نكون مبالغين اذا قلنا ان عددنا الذى نعد له من الآن **(الأثر والآثار)** هو أول عدد من نوعه يصدر بجهود مشتركة بين مجلة شهرية طموحة «المنهل» وبين مؤسسة علمية لها امكاناتها وهيبتها هى **«جامعة الملك سعود بالرياض»** والتى لها فضل السبق فى الدراسات الأثرية

لقد كوّنا تصورنا حول هذا الموضوع الحيوى الخطير وقمنا بالاتصال بالجامعة من أجل اشراكهم معنا فى تقديم خدمة ثقافية متميزه لقراء العربية . . وقد اثلج صدرنا هذا الاهتمام الذى ابدته الجامعة وسارعت - كما املنا - بتقديم كل ثقلها العلمى لمؤازرة هذا العدد المتخصص **(الأثر والآثار)** ونحن كما نتوجه الى الجامعة بالشكر نتوجه الى قراء العربية الكرام نجدد لهم العهد دائماً بأنهم سيجدوننا ان شاء الله حيثما وكيفما طمحوا.

والله المستعان . . .



بسم الله الرحمن الرحيم
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك سعود
Kingdom of Saudi Arabia
King Saud University

كلية الآداب — COLLEGE OF ARTS

الرقم: ٢٦٨/٢/٧ No.
التاريخ: ١٤٠٧/٤/٢٩هـ Date

سعادة الاستاذ/ عبد القدوس الانصاري — المحترم
صاحب مجلة المنهل ورئيس تحريرها

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد،

نحيطكم علما بأن مدير الجامعة قد وافق على رغبتكم بتشكيل فريق عمل متكامل بالتعاون مع الجامعة لاخراج العدد الخاص لعام ١٤٠٢ هـ " الاثر والآثار " وقد ناقشنا ذلك في اجتماع مجلس القسم بجلسته الرابعة بتاريخ ١٤٠٧/٣/٢٢هـ / ١٩٨٦/١١/٢٤م . وقد كونت لجنة عمل مقررها د. وفيق محمد غنيم وبدأت اللجنة فعلا في استطلاع الرأي والمكاتبات بخصوص الموضوعات .

ويسر أعضاء اللجنة وقسم الاثار والمتاحف رؤيتكم قريبا في الرياض للتنسيق معكم ومناقشة بعض الامور المتعلقة بهذا الموضوع .

ولكم منا عظيم التحية والتقدير ،،

رئيس قسم الاثار والمتاحف
أ.د. عبد الرحمن بن محمد الطيب الانصاري

Riyadh, P.O Box 2456

بسم الله الرحمن الرحيم
المملكة العربية السعودية
جامعة الملك سعود
King Saud University

مكتب المدير

الرقم: ١١٢٠١
التاريخ: / / ١٤هـ
الموافق: ١٤٠٢/٢/٢٥
المرفق:

سعادة رئيس تحرير مجلة المنهل — المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

اشارة لخطابكم رقم ٦٤٢٤ وتاريخ ١٤٠٢/٢/٨هـ بشأن رغبتكم تشكيل فريق عمل متكامل بالتعاون مع الجامعة لاخراج العدد المتخصص لعام ١٤٠٢ عن (الاثر والاثار) .

يسرني افادة سعادتكم بأن الجامعة ليس لديها مانع ، كما ترحب بالتعاون معكم في هذا المجال .

ولكم فائق تحياتي وتقديري ،،

مدير الجامعة
منصور التركي

المنهل
أرقام الهاتف: ٦٤٢٧٨٣١ – ٦٤٣٢٣٦٨ – ٦٤٣٢١٢٤
الرقم: ٦٤٢٤
التاريخ: ١٤٠٧/٤/٨هـ
المشفوعات:

معالي مدير جامعة الملك سعود — سلمه الله

تحية طيبة وتقديرا وبعد ... اعتادت مجلتكم المنهل وبقية على اصدار عدد (متخصص سنوي) يصدر في شهر رمضان المبارك من كل عام .. ومن سوابق هذه الاصدارات المتخصصة كمثال .. (القن) .. (الامن والامان) .. الطاقة العربية) .. وغيرها .

ويسعدكم معالي الدكتور .. نرجو ان يكون موضوع عددها المتخصص لعام ١٤٠٧هـ عن " الاثر والآثار " . ولما كانت جامعة الملك سعود لها الجهة الرائدة ولها انجازات هامة في مجال الآثار وتوليها من الاهتمام ما يليق بأهميتها فقد رأينا بموافقتكم أن تشكل معا (الجامعة ممثلة في قسم الاثار بها) و (المنهل) فريق عمل متكامل لاخراج هذا العدد الى حيز الوجود مستهدفين في ذلك أن يكون مؤشرا فعالا ومرجعا في تخصصه .

هذا ومن دواعي سروري أن أبعث لمعاليكم بعضا من الافكار الاولية لهيئة الآثار بها) بما قد تجدونه نافعا ومثريا للعدد منطلقا لطموحنا نحو تحقيق الاصدار آملا ان تجد كريم عنايتكم واهتمامكم بأن تشكل آراء الجامعة (ممثلة في قسم أولي لعدد " الأثر والآثار " .

والله ولي التوفيق ...

صاحب مجلة المنهل ورئيس تحريرها
عبد القدوس الانصاري



القراء الكرام:

نسعد بكم وتسعدنا رسائلكم الكريمة التى تحمل بين طياتها اجمل معانى الشكر والتقدير. . وكان بودنا أن نجد من المساحة فى منهلكم ما يسع لنشر الكثير منها. . ونرجو ان يكون معنا العذر فى نشر بعضها. . ويزيد من سعادتنا ان (المنهل) بفضل من الله سبحانه استطاع أن يصل الى اكثر الدول الاسلامية والعربية مما نجد صداه واسعاً فى هذا الكم الهائل من رسائل الاخوة القراء.

ونكرر . . لكم التحية والشكر والتقدير.

«التحرير»

الاستاذ العزيز نبيه عبد القدوس الانصارى

رئيس تحرير مجلة المنهل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بفضل من الله قرأت بعض اعداد مجلة المنهل وقد لاحظت هذا الكم الهائل من المقالات والمواضيع الادبية والثقافية التى يستفيد منها الجميع لانها من المجلات النادرة فى هذا الوقت الذى كثر فيه الغث من بعض المجلات وانه مما يؤسف له ان هذه المجلة وشبيهاتها تختفى فى المكتبات وراء اعداد هائلة من المجلات ذات الاغلفة البراقه المتزينة بالصور مما يجعل العثور على مثل هذه المجلات الرائعة فيه بعض الصعوبة وصدقونى هذه ليست مبالغة بل هى عين الحقيقة. . وان ما فى هذه المجلة من مواضيع شيقة وتجاوبكم مع جميع القراء هو الذى دفعنى لاعبر لكم عن بعض ما يجول فى صدرى لهذه المجلة الرائعة.

ولى ملاحظات صغيرة وهى: ان يتم وضع صفحة او صفحات تحت اسم اصدارات جديدة بدل وضعها فى صفحات متعددة. . كذلك ارجو ان يكون فى كل عدد موضوع عن قضية او قضايا يعلق عليها مجموعة من العلماء والشيوخ الافاضل واتمنى ان تكون من المواضيع التى تهم الشارع العام وتفيد جميع من يقرؤها.

وكما تعلمون فقد كثر المتكاتبون وليست الكتاب فى هذا الوقت، ولهذا ارجو ان تنبروا الطريق للطلاب العائدين فى نوعية الكتب المقروءة ومؤلفيها حتى يبتعدوا عن من يدس السم فى الدسم.

وختاما ارجو ان ترسلوا لى بعض اعداد هذه المجلة الرائعة ان امكن.

خالد عبد الله العنزى ثانوية اليرموك الشاملة
الرياض

المنهل: ــــــــــ

اهلا بك فى المنهل وشكرا لمشاعرك تجاه (المنهل). . وما طلبته من اعداد فى طريق الوصول اليك.

الاستاذ نبيه عبد القدوس الانصارى
رئيس تحرير مجلة «المنهل»
سلام وتحية طيبة مع أسمى معانى الود والاخاء
والتقدير والاحترام.

اما بعد ولأول مرة أكتب اليكم بعد ما تصفحت أول عدد من اعداد مجلتكم الغراء وهو العدد الأخير. فوجدتها والحق يقال موسوعة لما تحتويه من كم هائل من الثقافة والمعرفة ووفرة الموضوعات المختلفة الى جانب احياء التراث الحضارى الاسلامى كل هذا فى اخراج جميل شدنى ليلا ونهارا.

انى أسجل احترامى لكم واعبر عن اعجابى الشديد بهذه المجلة لجهدكم المتواصل لها كما أرجو من حضرتكم موافاتى ببعض الاعداد القديمة من المجلة لأننى لا املك إلا واحدة بسبب فقدان القديم من السوق. . كما أنى أفيدكم بأننى أستاذ فى العلوم الاسلامية متخرج من الجامعة التونسية ولي بعض المقالات المختلفة المواضيع فإنى أبعث اليكم مستفسرا عن شروط النشر لديكم وامكانية الانتداب للعمل فى مؤسستكم إن كانت هناك استطاعة.

اشكركم على عظيم عملكم الوفى وكان الله فى عونكم.

الاستاذ مراد العامرى
تونس

المنهل: ــــــــــ
نشكر لكم ثناءكم ومشاعركم الطيبة وقد ارسلنا اليكم المطلوب. وأهلا بانتاجكم.

الاخ رئيس التحرير . .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

لا أخفيك سراً يا أخى ان قلت لك انى لم اطلع على الاعداد السابقة من مجلتكم المنهل - لا بل مجلتنا وأم المجلات السعودية - وليس فى ذلك فخر، بل انه نقص منى نحو نفسى وغفلة . . ولن اقول لك بأنى سأعود الى المكتبات العامة لأكدس من الاعداد السابقه كلها لأقرأها عدداً عددا لأن فى ذلك مبالغة تصل الى حد الكذب والرياء . . ولكن يكفينى أننى قد عرفت الآن وقدرت مكانة مجلتنا الرائدة لأبدأ بالتزود من غذائها الفكرى مطلع كل شهر وأعود اليها كمرجع كلما دعت الحاجة . . لذا فإنى اتقدم لك بالشكر واطلب لك خير الجزاء من الله سبحانه وتعالى على كل ما قمت وتقوم به من جهد فى سبيل اخراجها اخراجاً علمياً وأدبياً وثقافياً بشكل متميز وجدير بالتقدير . . وفقك الله وسدد خطاك لما فيه الخير.

أخى . . كل ما أريده منك الآن هو أن تساعدنى للحصول على المجلة مطلع كل شهر بموافقتك على طلب اشتراكى بها . . وبما أننى ممن يتفاءلون بالخير ليجدوه (بإذن الله ومشيئته) فأنا كلى ثقة بالله بأنى سوف أسعد بقراءة المجلة على مدى أيام كل شهر من شهور السنة .

فشكراً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوك فى الله

عبد اللطيف بن ابراهيم بن عبد العزيز

المنهل ______

شكرا لك . . وبالنسبة للاشتراك يمكن ان ترسل للمجلة على عنوانها مبينا العنوان الذى تصلك فيه .

الاستاذ نبيه بن عبد القدوس الانصارى

صاحب ورئيس تحرير مجلة «المنهل» الغراء

تحية واحتراما وبعد . .

تابعت خلال أشهر متوالية اعلانكم عن مجلدات المنهل الفاخرة . . ونحن نعتز بالمنهل وبأصحابه ونعتبره هو مجلة «الرسالة» السعودية فهى شقيقة الرسالة المصرية لصاحبها المرحوم احمد حسن الزيات، بل إن المجلة السعودية تفوقت فى الصمود والاستمرار والنجاح .

إنها منبع الأدب الاصيل وممثلة العراقة العربية . . فيها غزارة المادة وفيها عمق المضمون وفيها الجزالة والطلاوة .

ولما كان مركزنا ناشئا لا تمكنه امكاناته المحدودة من تحقيق الامل الكبير فى اقتناء هذا الكنز الثمين، ولما كنا قد عهدنا الكرم من الأشقاء السعوديين خاصة أهل الأدب والثقافة منهم . . لذا فإننا نتجه اليكم بالرجاء بالتفضل بالموافقة على اهدائنا نسختين من مجلدات هذا المنهل ليستفيد منه عامة المترددين علينا فكم يكونون لكم شاكرين مع هذه الخدمة الكبيرة للثقافة العربية الاصيلة وقرائها فى مصر .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

رئيس مجلس الادارة

مصطفى كمال احمد

المنهل ______

نحن بصدد طبع المجموعة كاملة ونظرا لتكلفتها المادية العالية فإننا نعتذر عن امكانية اهدائها . . ولكم منا الشكر على هذه الرسالة الكريمة .

الأخ رئيس تحرير مجلة المنهل

أخى الكريم لا يسعنى فى مستهل هذه الرسالة إلا أن أبارك مجهوداتكم المبذولة للنهوض بمجلتنا «المنهل» فهى شاهد على المكانة التى تولونها للثقافة والآداب والعلوم: هذا لا يستغرب من أرض عبقر، من أهل الحرمين الشريفين، من رجالاتها الأفذاذ.

أخى الكريم . . مجلتنا منهل عذب للقراء العرب أينما كانوا، وهى صدر حنون يلجأ اليها القارىء لسعة ثقافة الساهرين عليها والعمل على السمو بها الى أرقى درجات العلم والمعرفة . اعلم يا أخى الكريم أن القراء فى تونس يتهافتون عليها . وأعدادكم الممتازة أعجبتنى كثيرا لما تحويه من مواد ثقافية علمية أكاديمية يحن اليها الدارس . . لذا أرجو أخوتكم مدّى بما أشرت إليه آنفا كى يكتمل النصاب وتزداد مكتبتى بمنهلنا الغراء .

ودمتم بخير وعافية .

محمد العربى كسيكسى

الجمهورية التونسية

المنهل ______

شكرا لثنائك . وما طلبته من أعداد ارسلناه اليك وأهلا بك .



الاجتهاد

يتساءل البعض عن علاقة قفل باب الاجتهاد فى الفكر الاسلامى وما يبدو من جمود على حركة ذلك الفكر؟.

ويرتد بصر الناظر الى واقع الفكر الاسلامى المعاصر خاسئا وهو حسير لما يراه من جمود فى حركته فى الوقت الذى ينهال على الامة من كل صوب شتى انواع الغزو الفكرى. ومما يزيد الامر تعقيدا هو موقف قادة الفكر الاسلامى الذى يدعو للدهشة والاستغراب لأنه موقف المتفرج على ما يلف الامة من قضايا ويحيط بها من مشكلات فى حياتها المعاصرة.

ويرتد بصر الناظر حسيرا لأن الأمة قد خلا فكرها عن مبادرات واقعية شجاعة تأخذ بزمام الامور وتضع الحلول العملية لما يعترى الامة من قضايا. وانشغل الكثير من مفكرى الأمة الاسلامية بالبحث فى امور ليست بالضرورة ضمن قائمة الامور المهمة واكتفى البعض منهم باجترار الماضى وكأنه لا يعيش انفجار المعرفة فى القرن العشرين.

ومن المنطق الربط بين الاجتهاد ومعدل حركة الفكر الاسلامى المعاصر القادر على ايجاد حلول للمشكلات والقضايا المعاصرة التى تواجه المجتمعات المسلمة والقادر على ابداع البدائل لما يسود تلك المجتمعات من انظمة وافدة اجتثت من فوق ارضها لتزرع فى ارض الامة الاسلامية عنوة وقسوة فبقدر الجهد المبذول فى البحث عن حلول معاصرة للقضايا التى تجثم على صدر الامة الاسلامية بقدر ما يزداد معدل الحركة الفكرية فى المجتمعات المسلمة.

والاجتهاد بهذا المعنى هو فى واقعه إعمال العقل وتقليب البصر فى مصادر التشريع بحثا عن حلول ايجابية لمشكلات معاصرة يرزح تحتها المجتمع المسلم. والفكر صفة مرتبطة بالعقل فكل انسان وهبه الله عقلا سليما يصبح قادرا على التفكير.

والبحث عن الافكار البناءة والآراء الصائبة التى تركز جميعها على مصدرى التشريع كتاب الله جلت قدرته وسُنّة رسوله ﴿ﷺ﴾ يحتاج الى جهد وعناء



وحركة الفكر

يشترط توفر الكفاءة العلمية والقدرة عند من يبحث
ن الامر هنا يتصل بقضايا الافتاء وبالتالى فان
روطا موضوعية لابد ان تتوفر فيمن يتصدى لهذا
لامر.

ـن اهم تلك الشروط الموضوعية التى يجب ان تتوفر
من يتصدى للاجتهاد وابداء الرأى ليعين الامة
ى مواجهة تحديات العصر ومشكلاته: الايمان
تقوى والعلم الغزير والادراك الواعى وبُعد النظر
وضوعية وسعة الافق ولا نشك مطلقا ان الامة
خرة بطاقات علمية تتوفر فيها تلك الصفات النبيلة
وف يتوفر بها ـ اذا ما قامت بدورها ـ درء الكثير من
رور التشريعات الوضعية والنظم البشرية التى
عى فى بعض ارجاء الامة ان تزاحم شرع الله فى
ضه .. والله متم نوره ولو كره الكافرون.

ونحسب ايضا ان نوع المشكلات الحضارية قد
ر تغييرا جذريا مما يستدعى اعادة النظر فى طرائق
اعداد المجتهدين ونظمه ان وسائل الاعداد الحالية غير كافية على الاطلاق لتخريج جيل من الفقهاء والمفكرين قادرا على ان يتصدى لهذه المشكلات فى ضوء عقيدته السمحة.

ونحسب ايضا ان قضية ازدواج التعليم بين تعليم دينى وتعليم مدنى قد اسهمت اسهاما كبيرا فى تعقيد هذا الامر بحيث اصبح عقل الامة فى حالة ازدواج لا يقدر معه على العطاء ولا النماء كما ان المتجهين الى التعليم الدينى منذ نعومة اظافرهم قد قلت اعدادهم وضعفت نوعياتهم كذلك فان حصيلة الذين يتجهون للعلوم المدنية من العلوم الشرعية والدراسات الاسلامية ضئيل للغاية.

ولن يتصلح هذا الاعوجاج حتى نعود للتعليم فنعيد تخطيطه كمنظومة متكاملة ليست قابلة لهذا التجزيء وحينئذ تنمو بنعمة الله سبحانه عقول مستنيرة تحمل فوق اكتافها بناء الامة العقلى والفقهى. ولن نشكو يومئذ من قلة الاجتهاد باذن الله.



ترقبوا مجلدات المنهل الفاخرة

تعتزم مجلتكم إصدار أعدادها خلال خمسين عامًا في مجلدات أنيقة فاخرة وذلك استجابة لرغبة الكثيرين من محبي المنهل وتأصيلًا لمسيرته في العطاء الفكري والأدبي وحتى تكون هذه المسيرة حاضرة وماثلة بين أيدي الباحثين والمؤرخين ومحبي الأدب وطلابه وسوف يبدأ المشروع على دفعات لذا تهيب الإدارة بالراغبين في شراء المجموعة الكاملة إرسال طلباتهم على العنوان التالي:-

جدة - الشرفية - ٢ شارع رأس تنورة (عرفات سابقًا)
ص ب : ٢٩٢٥ الرمز البريدي : ٢١٤٦١
تليفون : ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٤٧٧٩٤ - ٦٤٣٢١٢٤



الثقافة عملية مستمرة تبدأ من الانسان وتنتهى اليه عبر وسائط مختلفة على رأسها الصحافة . وايمانا منا باهمية المشاركة بين المجلة وقرائها فقد اقدمنا على اعداد هذا الاستبيان لاستطلاع رأيك عزيزنا القارىء رغبة فى استمرار التناغم والتفاعل آملين ان نجد منك الاستجابة والاهتمام . فالتطوير الذى تنشده المجلة فى مطلع عامها الرابع والخمسين لن يتأتى الا بمعرفة رجع الصدى وآراؤك ومقترحاتك هى الصدى وهى المعين لنا فى التطور المرتجى .

(ضع علامة (✓) على الاجابة التى تراها)

(١) مدى انتظامك فى قراءة المجلة : ( ) منتظم ( ) أحيانا ( ) نادرا

(٢) هل يشاركك أحد فى قراءة نسختك من المجلة : ( ) لا أحد ( ) اثنان ( ) ثلاثة فما فوق

(٣) أى الابواب ـ الموضوعات ـ الثابتة تفضل؟

١ ـ ٤ ـ

٢ ـ ٥ ـ

٣ ـ ٦ ـ

(٤) هل هناك موضوعات اخرى تحب ان تتناولها المجلة؟ ( ) نعم ( ) لا

اذا كانت الاجابة بنعم فما هى تلك الموضوعات :

١ ـ ٤ ـ

٢ ـ ٥ ـ

٣ ـ ٦ ـ

(٥) هل التبويب وترتيب المواد فى المجلة : ( ) جيد ( ) مقبول ( ) غير مناسب

(٦) هل هناك كُتَّاب معينون تحرص على متابعة مقالاتهم فى المجلة؟ ( ) نعم ( ) لا

اذا كانت الاجابة بنعم فمن هم الذين تحرص على متابعتهم؟

١ ـ ٤ ـ

٢ ـ ٥ ـ

(٧) مقالات العدد: ( ) طويلة ( ) مناسبة ( ) قصيرة

(٨) الاخراج الفنى للمجلة :

أ ـ النسبة بين توزيع الصور والمادة الصحفية : ( ) مناسبة جدا ( ) مناسبة ( ) غير مناسبة

ب ـ العناويـــن : ( ) جيدة ( ) مقبولة ( ) غير مناسبة

ج ـ الصور (من حيث الوضوح) : ( ) واضحة جدا ( ) واضحة ( ) غير واضحة

د ـ عدد الصفحات : ( ) كثيرة ( ) متوسطة ( ) قليلة

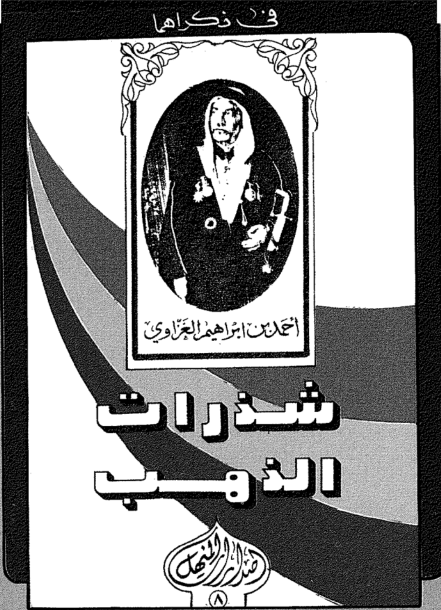
هـ ـ حجم الأحـرف : ( ) كبير ( ) مناسب ( ) صغير

و ـ اخراج الغلاف : ( ) جيد ( ) مقبول ( ) غير مناسب

معلومات شخصية (اختيارية)

الاســـــم : المهنة المؤهل الدراسى

* يمكن للقراء الافاضل الكتابة بتوسع فيما ورد فى هذا الاستبيان أو فيما يرونه من مقترحات اخرى



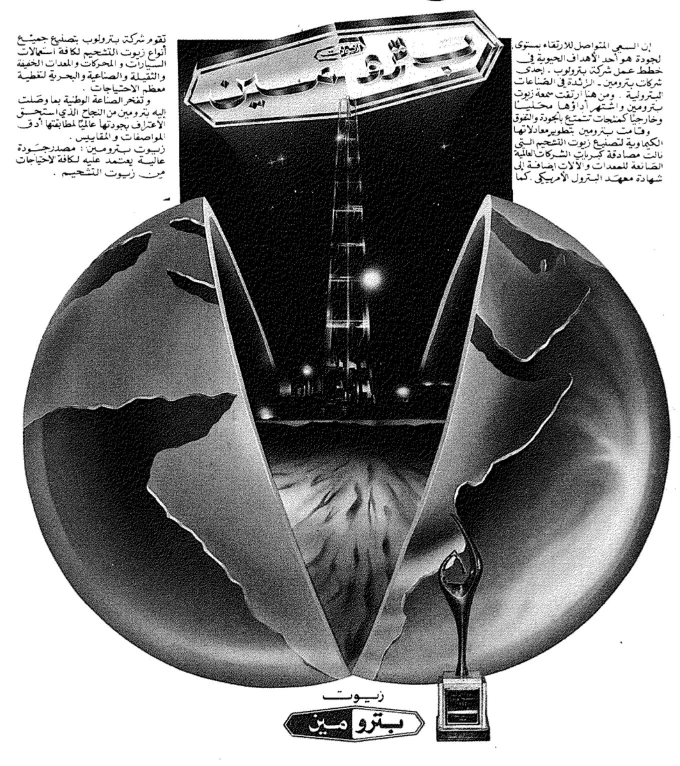
● صدر عن دارة المنهل. كتاب شذرات الذهب للشيخ أحمد بن إبراهيم الغزاوى. وهو موسوعة شاملة جامعة للأدب واللغة والثقافة والعلوم المختلفة. ختم بفهرس تصنيفى للموضوعات وآخر للأعلام وثالث للأماكن والبلدان التى وردت فى الشذرات.

وقد سبق نشر موضوعات الكتاب فى مجلة المنهل تحت نفس العنوان على مدى سنوات من أوائل سبعينيات القرن الهجرى الماضى والى أن توفاه الله برحمته.

● كان الشيخ احمد بن ابراهيم الغزاوى أحد كبار الرواد فى عالم أدبنا وشعرنا المعاصرين، وقد اختير فى المؤتمر الأول للأدباء السعوديين واحدا من كبار الرواد المعترف لهم بالتحليق فى آفاق الشعر والأدب أمدا مديدا ظل فيه عملاقا مرموقا من هذا الجانب ومن جوانب اخرى مضيئة فى عالم الأدب والفكر واللغة العربية الكريمة. وكانت له مساجلات شعرية كثيرة. اجراها مع كبار شعراء العرب من الحجاز ونجد ومن الشام ومصر، ومن فلسطين والمغرب ولبنان واليمن وحضرموت. ونشر بعض هذه المساجلات فى الصحف المحلية وفى الصحف العربية. كما رأس تحرير صوت الحجاز وأسهم فى العديد من اعداد المجلات والصحف بدءا بالبلاد السعودية والمنهل وجريدة المدينة المنورة. وقبل ذلك فى مجلة الاصلاح وغيرها. وكان كريما بنتاج فكره لطالبيه بلا منٍّ ولا تكلفٍ.

● والكتاب يصدر فى ذكراه السادسة. كما يتزامن فى إصداره مع كتاب الواضح لأبى بكر الزبيدى. نقد وتعليق الأستاذ عبد القدوس الأنصاري وفاءاً لذكرى راحلين جليلين تزاملا فى عطائهما الثر وجمع القدر بين وفاتهما فى يوم واحد وشهر واحد.

فخر الصناعة السعودية
وموضع إعجاب العالم



وحدات بترومين التسويقية :

المنطقة الغربية :
شركة بترومين لزيوت التشحيم (بترولوب)
المركز الرئيسي :
ص.ب : ١٤٣٢ جدة ٢١٤٣١
هاتف : ٦٣٦٧٨٢٩/ ٦٣٦٦٤٢٠
تلكس : ٦٠١٦٧٥ PETLUB SJ

شركة مصفاة جدة للبترول
المركز الرئيسي :
ص.ب : ١٦٠٤ جدة ٢١٤٤١
هاتف : ٦٣٦٧٨١١/ ٦٣٦٧٤١١
تلكس : ٦٠١١٥٠ PETROMN SJ

المنطقة الوسطى :
شركة بترومين لزيوت التشحيم (بترولوب)
ص.ب : ٣٧٩٩ الرياض ١١٤٨١
هاتف : ٤٦٥١٢٧٠/ ٤٦٥٩٠٧٠(٠١)
تلكس : ٤٠٣٠٤٥ SJ

بترومين للتسويق (بتمارك)
ص.ب : ٢٣٩٦ الرياض ١١٤٥١
هاتف : ٤٩٨١٧٧١/ ٤٩٨٢٩١٢(٠١)
تلكس : ٤٠٢٣٨٦ PETMARK SJ

المنطقة الشرقية :
بترومين للتسويق (بتمارك)
المركز الرئيسي
ص.ب : ٥٠ الظهران ٣١٤١١
هاتف : ٨٩١٥٦٧٦/ ٨٩١٠٤٢٦(٠٣)
تلكس : ٨٧٠٠٠٩ PETMARK SJ

مصنع بترومين لخلط الزيوت وصناعة الشحوم (سعودى لوب)
ص.ب : ١٠٨٣٢
الجبيل الصناعية ٣١٩٦١
هاتف : ٣٤١١١٤٠/ ٣٤١١١٤٢
تلكس : ٨٣٢١٦٨ DILUB SJ

مجموعة شركات تابعة للمؤسسة العامة للبترول والمعادن (بترومين)



المنهل
ALMANHAL
٤٥٣ السنة ٥٣ المجلد ٤٨
شعبان ١٤٠٧هـ/ ابريل ٨٧
مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة
الصعاليك في الأساطير العربية
تقدير الدرهم والدينار بأوزاننا المعاصرة
الدينار الإسلامي وحوارمع
د. أحمد محمد علي



إن العالم الاسلامى والعربى اليوم فى وضع هو أحوج ما يكون فيه إلى السعى الحثيث والجدّ المخلص فى سبيل الاستمرار فى ممارسة البحوث الجامعية المتفتحة للتجارب التقنية والدراسات التى ترفع المستوى العام لأقطارهم من وهدة الخمول والذبول . . وتجلسهم على قمة التطور الناجم من دفع محصول الدراسات والأبحاث العلمية الدقيقة المركزة المجدية الشاملة لجزئيات وكليات ما يحتاجون الى الارتقاء به من مطالب الحياة والى النهوض به من أعباء وشؤون .

جامعاتنا الاسلامية والعربية مدعوة اذن الى التشبث بعروتين حيويتين .

أولاهما : تكليف أساتيذها بممارسة اعتناق شبابنا الجامعى رجال المستقبل للعقيدة الاسلامية الصحيحة عن حب واقتناع واستيعاب وايمان . . وهذه العقيدة الاسلامية الصحيحة ستكون الملهمة لهم والمشجعة والدافعة الى زوال الغشاوة عن أبصارهم وبصائرهم فيعرفون الصالح من الطالح من العقائد والمبادىء ويميزون بين الحق والباطل وذلك من شأنه أن يشق لهم الطريق القويم الى الصعود لأعلى مستويات الحياة والحضارة المنشودة .

والعروة الثانية هى : مزاولتهم المستمرة - التى لا تتقيد بزمن ولا مكان ولا جوّ - لأبحاثهم العلمية النافعة كل واختصاصه . . وتصميمهم المتشبث بتقديم كل منهم شيئا جديدا يضاف الى سجل المبتكرات والمستنبطات العالمية والمخترعات العلمية التطبيقية .



ربيع الأول ١٣٩٣هـ

بطاقة تقديم

الإنسان.. الإنسان كله أمانة نفسه "إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا" كل ما في الإنسان أمانة لديه عليه حفظها وصيانتها ليفيد هو ويفيد الآخرون ...

الإنسان ليس عضواً "سالباً" في الحياة ... لا.. بل هو إيجابي فاعل له أداؤه في ميدانه .. ولكي يحقق هذه الإيجابية لابد أن يكون بكامل إدراكه - وعيه - قوته .. إن أي شيء يؤدي إلى قتل أو إنقاص هذه الفاعلية الواجبة في الأداء مما يكون الفرد سبباً فيه فإنه يُحاسب عليه لامحالة .. وعلى هذا الفهم فإنَّ ما يتناوله الفرد بمحض اختياره مما يؤثر عليه سلباً في تكوينه النفسي أو العقلي أو الصحي فهو جريمة يُعاقب عليها .. وهنا نتلو قول الحقّ سبحانه " إنَّ السمعَ والبصرَ والفؤادَ كلّ أولئك كان عنه مسئولاً "

المنهل

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

المملكة العربية السعودية - جدة

أسسها سنة ١٣٥٥هـ ١٩٣٧م

عبد القدوس الانصاري

صاحب المجلة
رئيس التحرير

نبيه بن عبد القدوس الانصاري

مدير الادارة والتحرير
زهير نبيه الانصاري

مستشار التحرير
د. عبد الرحمن الانصاري

مراسلونا فى الخارج
● القاهرة: د. احمد الحفناوى
● عمان: روكس بن زائد العزيزى
● الرباط: عبد الرحيم عبد السلام
● تونس: د. نور الدين صمود
● انقرة: د. انور طاهر رضا
● الجزائر: د. بكرى عبد الكريم

● التحرير
السمانى كمال الدين
نادر صلاح الدين
● خطوط يعقوب السيد
● الجمع التصويرى
عبد الفتاح السيد سليمان
● الارشيف
الامين الصديق
● العلاقات العامة
مصطفى محمد مصطفى

المخرج الفني
فريد أبو سعده

معلومات ادارية

المركز الرئيسي
جدة - الشرفية
ص. ب: ٢٩٢٥
رمز بريدى: ٢١٤٦١
برقيا: المنهل
ت: ٦٤٢٧٨٣١
ت: ٦٤٤٧٧٩٤
ت: ٦٤٣٩٧٦٥
ت: ٦٤٣٢١٢٤
مكتب الرياض
السليمانية
ص. ب: ٢٩٠
ت: ٤٥٤٢٤٣٢

الاشتراكات
● قيمة الاشتراك السنوى للمؤسسات الحكومية ٢٠٠ ريال
● قيمة الاشتراك للافراد ١٥٠ ريال

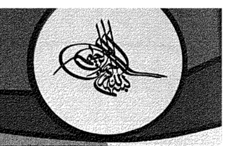
الاعلانات
تخاطب بشأنها الادارة
ت: ٦٤٣٢١٢٤

سعر النسخة
● السعودية: ٨ ريال
● البحرين: ٨٠٠ فلس
● قطر: ٨ ريال
● الامارات: ٨ دراهم
● اليمن: ٦ ريال
● الاردن: ٥٠٠ فلس
● مصر: ٥٠ قرشا
● السودان: ١٥٠ قرشا
● تونس: ٦٠٠ مليم
● المغرب: ٦ دراهم

المجلة السعودية الأم

العدد ٤٥٣
شعبان ١٤٠٧هـ - ابريل ٨٧

وكلاء التوزيع
تهامة للتوزيع/ جدة ت: ...
دار المسيرة للطباعة/ أبو ظبى ت: ...



من كتاب هذا العدد

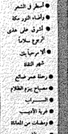
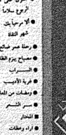
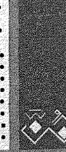
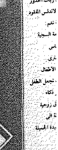
مصطفى محمد الفار — د. عبد الملك مرتاض

سعد البوارذى — مصطفى القصرى

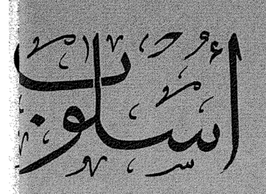
مجلاتنا الداخلية





الأهرام للتوزيع/ القاهرة ت: ٧٥٥٥٠٠ ـ الشركة التونسية للصحافة/ تونس ت: ٢٤٢٤٩٩ ـ الشركة الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ت: ٢٤٥٧٤٥
الثقافة للطباعة/ الدوحة ت: ٤١٤١٨٢ ـ وكالة التوزيع الاردنية عمان ت: ٦٣٥١٥٢ ـ العربية للوكالات والتوزيع المنامة ت: ٢٥٥٧٠٦






لكل أمة أسلوب فى تربية ناشئتها وما اكثر الأساليب المقررة وما أوفر خلافاتها وما أوسع خصوماتها وما أهول احداثها وأحقادها وبلاياها.

اما اسلوب الاسلام فى تربيته لناشئته فهو ميثاق هدى من معجزات وحى الله فى الكتاب والسنة وسلوك انسانى عال على أضوائها.

● ألا تراه ميزان عدل واستقامة خلق ورفاهية أمن ومعونة إيثار وتلبية نجدة وغياث لهفة . . أجل هو اسلوب تربية قويمة ذات مسؤولية حساسة لكل ما يأخذ به الناشىء أو يترك من أعمال مقررة أداء أو نهياً فى نصوص الكتاب والسنة .

● هذا هو اسلوب تربية الاسلام لناشئته ولن تسمو سموها بحال اساليبُ تربيات ملَّفقة عاسفة منطلقة من أهواء النفوس المريضة وبواعث غرائزها العمياء وانطباعاتها المتخلفة الباغية ووراثاتها الحاقدة . . *واليك النصوص المقنِّنة لأسلوب التربية الاسلامية ، لتلمس هذه الحقيقة وتتغنى بها* وتسمو وتسمو إن كنت مؤمنا حيا . . ودأب المؤمن الحى السمو.

● ولماذا لا تتغنى بالحق وتسمو به إنسانيا بصدق وأنت تلمس بكل حواسك الخمس أن تربية الاسـلام لنـاشئته مقيدة بمُثُل وحى الله العليا التى تجعل امة الاسلام فى كل عصر خير امة أخرجت للناس . . تحمل روح الانسانية والمودة ودعامة الأمن والسلام ودعوة العقيدة السمحة وحريتها وتعايشها السلمى والتزامها بيقين الوحى والعلم .

● اجل هى خير أمة اخرجت للناس وكل التزامات تربيتها الثقافية لناشئتها تقوم على حقيقة الايمان العلمى القطعى . . وساطع نوره العامر المنزَّل على خاتم رسل الله سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾ .

ومن اجل ذلك تجد الناشىء المسلم بحق فى كل بيئة تقدم إليه فى صميم دراسته وفى أدوارها



كافة، من الحديقة الى الجامعة، حقائق تربية الايمان العلمي اليقيني ورحمته ﴿وما أرسلناك الا رحمة للعالمين﴾.

ومن أجل ذلك يشب الناشىء المسلم صادقاً اميناً ويكون فى كل وطن يقطنه دعامة مكينة فى صرح بنائه الحضارى وهذا السبب الذى جعل الدنيا تفتح ذراعيها للافادة من عليا مزاياه.

ويكفى أن ايمان الناشىء المسلم الحق يحول ما بينه وبين انحلال الالحاد واستهتاره وبغيه وحسده وفساد ضميره. ولماذا لا يكون كذلك ويقين ايمانه عملى وموثق على يقين العلم والوحى.

وهذا الذى جعل قول رب العزة أبداً يصرخ فى أعماق ضميره ملازماً قائداً:

﴿ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم إنَّ السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾.

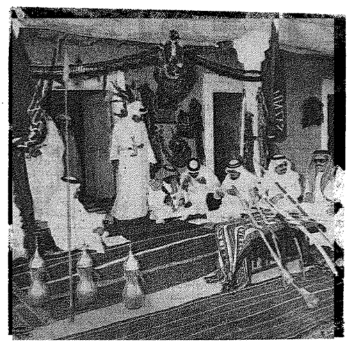
﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوَّامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنَّكم شنآن قوم على ألا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾.

﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها﴾

ونصوص المُثُل العليا المقيد بها الناشىء المسلم فى تربيته ليكون مسلما حقاً هى كثيرة وحسبك أن تعود الى الكتاب والسنة الصحيحة لتعلم أن موضوع التربية الاسلامية موضوع خطير وقدره عظيم وفوائده النافعة لا حدود لها.. عد اليهما تجد صدق ما أقول.

هاشم دفتردار المدني

الجنادرية الماضى والحاضر



الماضى . . ليس لوحات جميلة تختار لها أجمل «البراويز» لتوضع فى أرفف «الديكور» . . والماضى . . ليس ترفاً حلواً يُستدعى فى لحظات وساعات الاسترخاء . . بل الماضى حياة وعمق حياة . . تراث أمة خالد عاشته واقعاً تخلل أنماط حياتها . . فاذا تمثلناه الآن فإنا نتمثل أجمل ما فيه واخلد ما فيه من فكر وثقافة وفن . . من عادات وتقاليد ومثل . . وهكذا يلتحم الماضى بالحاضر . . فى الثامن عشر من شهر رجب الماضى افتتحت أعمال المهرجان الثالث للثقافة والتراث فى الجنادرية . . ولقد اتسعت فيه دائرة المشاركات الثقافية والتراثية والفنية وكان المهرجان عملاً رائداً وأداء إبداعياً فى مجالاته المتعددة . . وكانت تظاهرة فنية وثقافية وتراثية . . وأدبية وفكرية .

الفيصل تدخل عقدها الثانى





أ. علوى الصافى

الزميلة «مجلة الفيصل» بعددها الصادر فى شهر رجب دخلت عامها الحادى عشر . . وهى حافلة بصنوف الفكر والأدب والعلم . . وخلال عقدها المنصرم كانت ـ ولا تزال ـ شعلة مضيئة فى طريق المعرفة عاملة على توطيد وتعميق الثقافة الاسلامية والعربية وتأكيدها كما كانت إحدى روافد الأداء الملتزم فى التعريف بمعطيات أمتنا الحضارية مع الانفتاح على معطيات العقل الانسانى النافع.

الشيخ سعد العبد الله الصباح

معرض الكويت للفن التشكيلى

تشهد مدينة الكويت فى نهاية هذا الشهر المعرض العاشر للفنانين التشكيليين العرب تحت رعاية سمو الشيخ سعد العبد الله الصباح ولى عهد الكويت رئيس مجلس الوزراء وتشارك المملكة العربية السعودية باعمال فنية لثمانية من الفنانين التشكيليين والمعرض تقيمه الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية.

المؤتمر العالمى الخامس للتربية الاسلامية

فى شهر رجب الماضى اختتم هذا المؤتمر أعماله فى مدينة القاهرة التى ناقش فيها اكثر من مائتى بحث حول قضايا التربية الاسلامية . . وقد صدرت عنه عدة توصيات اهمها :

● انشاء مركز عالمى للتربية الاسلامية لتنفيذ ومتابعة توصيات المؤتمرات الاسلامية للتربية .

● دعوة الصفوة المتخصصة من علماء المسلمين لوضع النظرية الاسلامية فى التربية لتكون استراتيجية تخطط على اساسها المناهج الدراسية واعداد المعلمين .

● القيام بدراسة تحليلية للمناهج التعليمية الحالية فى البلاد الاسلامية فى مختلف المراحل من الحضانة وحتى المرحلة الثانوية على ضوء كتاب الله وسنة رسوله .

● دعوة الامة الاسلامية الى الاهتمام بتحفيظ وتدبر القرآن الكريم والعناية بالسيرة النبوية فى مختلف مراحل التعليم .

● الاهتمام باللغة العربية لتكون لغة التعليم الاساسية .

● العناية بالاقليات الاسلامية والمحافظة على شخصيتها من الذوبان فى المجتمعات غير الاسلامية بامدادها بالمناهج والكتب واعطائها الاولوية فى المنح . . ومناشدة الدول التى بها اقليات اسلامية الاعتراف بالتعليم الاسلامى، واعطاء المسلمين الحرية فى تعليم ابنائهم تعليما اسلاميا وعدم المساس بهم اثناء تأديتهم لواجبات الدين الاسلامى وتهيئة الجو لهم لممارسة شعائر دينهم بكل يسر وسهولة .

● ضرورة الاهتمام بالانشطة المدرسية التى من شأنها اكمال العملية التعليمية بما يحقق الاهداف الاسلامية فى التربية المتكاملة .

● تشكيل هيئة علمية تشترك فيها كافة الدول المشاركة فى المؤتمر ويكون مركزها جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة مهمتها التعاون مع المؤسسات المعنية فى البلاد الاسلامية لتنمية مدارك الطفل المسلم الحسية والعقلية وتنمية معارفه واخلاقه وفقا للأصول الاسلامية النابعة من كتاب الله وسنته .

● انشاء مراكز لتدريب المدرسين والاخصائيين الاجتماعيين على اداء ارشادات اسلامية لغرس الفضائل فى نفوس الاطفال المدرسيين .

● الاهتمام بالمعوقين ورعايتهم وتوجيههم التوجيه الصحيح المتفق مع ما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله وذلك من خلال برامج التأهيل المختلفة التى تقدمها تلك الدول ايمانا منها بضرورة مساعدة هذه الفئة من المسلمين ودفعهم لاداء دورهم فى الحياة على اكمل وجه .



د. فؤاد عبد السلام الفارسى

مؤتمر وزراء الاعلام لدول الخليج العربى

رأس الدكتور فؤاد عبد السلام الفارسى وكيل وزارة الاعلام للشؤون الاعلامية وفد المملكة العربية السعودية الاعلامى فى المؤتمر الحادى عشر لوزراء اعلام دول الخليج العربية فى البحرين.

وقد ناقش المؤتمر عددا من القضايا الاعلامية الخليجية وتنمية التعاون الاسلامى وأدوار المنظمات والمؤسسات والمراكز الاعلامية الخليجية المشتركة وخطط عملها ومشروعاتها وموازناتها المالية.

مجمع اللغة العربية فى القاهرة

فى الشهر الماضى أنهى المجمع اعمال دورته الثالثة والخمسين وحضر الدورة نخبة من العلماء العرب والمستشرقين والمهتمين بفقه العربية وعلومها . . وناقش المؤتمر مصطلحات العلوم التجريبية والانسانية . . ناقش المؤتمرون ستة عشر بحثا كان معظمها حول (المعاجم فى اللغة العربية) وخلال جلسات المؤتمر نوقشت المصطلحات التى تتعلق بمجالات الهندسة ـ الكيمياء ـ الصيدلة ـ الاقتصاد ـ الجغرافيا ـ التاريخ ـ الآثار الاسلامية ـ العلوم الطبيعية ـ المسرح . . وركز المؤتمر على اهمية العناية باللغة العربية فى الحياة العامة وكان من توصياته فى هذا الموضوع :

● **يؤكد المؤتمر توصياته السابقة التى تنص ان يكون التعليم فى مرحلتى التعليم العالى والجامعى باللغة العربية الفصيحة أسوة بالمتبع فى البلدان العربية .**

● ***يوصى المؤتمر بضرورة الحرص على تعليم قدر كاف*** **من القرآن الكريم حفظا وتلاوة وتفسيرا فى مراحل التعليم الاساسى .**

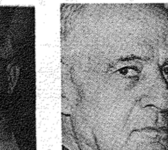
● **يوصى المؤتمر بضرورة ان يلتزم المدرسون فى مرحلة التعليم الاساسى باللغة العربية الفصيحة فى مختلف المواد حتى تعتادها الناشئة .**

● **يوصى المؤتمر بالعناية بعرض مختارات منتقاة من المأثور فى الادب العربى شعرا ونثرا مع دراستها دراسة جيدة لكى يتمثل التلاميذ الصياغة العربية السليمة .**

● **يوصى المؤتمر بأن يعنى فى مراحل التعليم العام بتدريس قواعد اللغة العربية وزيادة الساعات المقررة لها .**

● **يؤكد المؤتمر ضرورة العمل بحزم على مقاومة كتابة لافتات المحال التجارية ونحوها والمؤسسات بأى لغة غير العربية السليمة ويوصى بتجنب كتابة الاسماء الاجنبية بحروف عربية حفاظا على الانتماء العربى .**


د. ابراهيم مدكور


أ. عبد السلام هارون

● **يؤكد المؤتمر ضرورة العمل على توحيد المصطلحات العلمية فى الوطن العربى ويوصى بتكوين هيئة قومية تتولى ادارة مركز للمعلومات تسجل فيه جميع المصطلحات باستخدام الآلة الحاسبة .**

● **يوصى المؤتمر بالعناية بنشر ما وضعه المجمع من مصطلحات فى مجال الحاسبات الالكترونية بهدف توحيدها على امتداد الوطن العربى .**



هموم الوطن العربى . . فى عمان

فى الشهر الماضى افتتح الدكتور ناصر الدين الأسد وزير التعليم العالى ورئيس المجمع الملكى الأردنى لبحوث الحضارة الاسلامية **(ندوة الصحوة الاسلامية وهموم الوطن العربى)** . . والندوة نظمها منتدى الفكر العربى ومؤسسة آل البيت . . وحضر الندوة نخبة من كبار العلماء والمفكرين من الدول العربية .

اجتماع رؤساء الأندية الأدبية

افتتح صاحب السمو الملكى الامير عبد المجيد بن عبد العزيز - امير منطقة المدينة المنورة الشهر الماضى فعاليات الاجتماع السنوى الرابع لرؤساء الاندية الادبية ومتحف التراث الحضارى والمعرض الاول للكتاب بالنادى ومعرض الفنان عمر علوان عن مدينة العلا ومدائن صالح بين الامس واليوم.

ومتحف التراث ضم العديد من النماذج المختلفة التى تمثل مختلف جوانب التراث الحضارى

والمعرض الاول للكتاب.. شاركت فيه العديد من كبريات المكتبات بالمدينة المنورة.. ثم تجول سموه فى الجناح الخاص باصدارات النوادى الادبية بالمملكة حيث اطلع على حجم انشطة النوادى فى مختلف مجالات الفكر.



الامير عبد المجيد بن عبد العزيز

عبد الله الشهيل



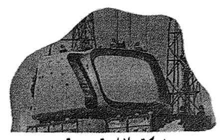
لامير محمد بن فهد بن عبد العزيز

د. بكر عبد الله

الأسبوع الثقافى الثامن للجامعات السعودية

فى جامعة الملك فهد للبترول والمعادن فى الظهران

افتتح الامير محمد بن فهد بن عبد العزيز امير المنطقة الشرقية الأسبوع الثقافى الثامن للجامعات السعودية بحضور الدكتور بكر عبد الله بن بكر مدير جامعة الملك فهد وممثلى الجامعات السعودية.. واقام المعرض سوقاً شعبية على هامش الأسبوع ضمت عدة اجنحة للتراث الشعبى السعودى فى مختلف مناطق المملكة.. هذا اضافة الى الاعمال الطلابية فى مسابقة المعرض السنوى للحاسب الآلى.. والاعمال الفنية الأخرى واللقاءات الثقافية والعلمية والأدبية.



شبكة تلفازية عربية

يجرى حالياً التحضير لانجاز مشروع شبكة تلفازية عربية فى أوروبا تبث براجها عبر الاقمار الصناعية فى أوروبا الغربية..

وتتولى إنجاز المشروع الشركة العربية للاتصالات الفضائية (اورينسات) التى يوجد مقرها فى زيوريخ بسويسرا ويرأس مجلس إدارتها (على شمو) وزير الاعلام السودانى السابق وكانت الشركة قد تأسست على يد مجموعة من الاعلاميين والاقتصاديين والمهندسين العرب والأوروبيين.

عظمة الأخـ

دكتور
محمد شلبي شتيوي
كلية الشريعة
جامعة الكويت

الاسلام ـ وهو آخر الأديان السماوية ـ قام على مجموعة من الأخلاق رأى فيها ـ وبحق ـ وسيلة نافعة لتصفية النفس وطهارة الجسد والسمو بالانسان والرقى به الى أعلى الدرجات .

والأخلاق الاسلامية كانت ومازالت ـ أخلاقا لها مذاقها الخاص وتفاعلها القوى ومجالها الواسع ونتائجها الباهرة مما أعطاها تقدما وتميزا على غيرها من المبادىء الاخلاقية الأخرى . . وإنه لمن اليسير التأكد أن وجها من وجوه النشاط الانسانى لم يفلت من تقنين تلك الأخلاق (أى الأخلاق القرآنية) ومن هذا الجانب لم تعرف الانسانية أخلاقا أخرى أكمل من الأخلاق القرآنية(١)

ولقد كان من كمال الأخلاق الاسلامية وعلو قدرها أنها قامت على عدة قواعد وأسس لم تستطع الأخلاق الوضعية أن تصل الى ما هو قريب منها، ويكفينا فخرا أن من هذه المصادر مصدرين يتصلان بالسماء لأنهما وحى الله العلى القدير . . **هما «القرآن والسنة»** .

والأخلاق فى الاسلام وازنت بين متطلبات الافراد والجماعات حيث لا يطغى بعضهم على الآخر.

ولم تكن الغاية من الأخلاق الاسلامية اللذة الجسدية أو صلاح الجسد تاركة الروح فى غياهب الظلمات كما هو الحال فى بعض المذاهب الوضعية القديمة والحديثة .

كذلك لم تكن الغاية من الأخلاق الاسلامية صلاح الروح ورقيها دون اهتمام بمطالب الجسد كما نلحظه فى الأخلاق النصرانية . . وإنما كانت الأخلاق الاسلامية وسيلة ناجحة وطريقة سديدة لصلاح كل من الجسد والروح كى يكون الانسان المسلم الذى تمسك بهذه الأخلاق وطبقها على نفسه ومجتمعه الصغير والكبير ـ زاكى النفس طاهر الجسد .

وبعيدا عن التفسيرات والاصطلاحات الفلسفية والاجتماعية للأخلاق فإنى أريد فقط إبراز بعض القواعد والأسس التى قامت عليها الأخلاق الاسلامية وإعطاء صورة مبسطة وواضحة عن هذه القواعد والأسس التى تتمثل فى :

١ ـ مصادر الأخلاق الاسلامية .

٢ ـ مجالات الأخلاق الاسلامية .

٣ ـ غايات وأهداف االأخلاق الاسلامية .

...لاق الاسلامية

أولا: مصادر الأخلاق الاسلامية:

سواء كان مصدر الاخلاق الاسلامية هو القرآن والسنة والاجماع والقياس كما يراه البعض أو كان القرآن والسنة والاجماع فقط كما هو رأى البعض الآخر.

الأخلاق الاسلامية هدفت الى إقامة مجتمع تسوده الألفة والمحبة وبذل الخير

سواء هذا أو ذاك فإن الذى يعنينى فى هذه المقالة هو التركيز على المصدرين الأولين «القرآن والسنة» باعتبار أنهما مصدران لا يشك فيهما إلا جاحد أو معاند أو جاهل.. وذلك لأنهما وحى الله تعالى الذى لا يخطىء ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

فأما القرآن الكريم فهو وحى الله الذى أنزله على رسوله محمد ﴿ﷺ﴾ وهو كتاب صادق لا شك فى هذا عند العقلاء لأنه الذكر الذى حفظه الله من عوامل الهدم والضياع والتبديل والتحريف التى لحقت بالكتب السماوية الأخرى.. قال عز وجل: **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** (الحجر/٩).

ولما كان هذا الكتاب محفوظا بيدى الرحمن وإذا كان هذا الكتاب وحيا مبرأ عن الزيف والباطل كان ما اشتمل عليه من الأخلاق مثلا عليا مبرأة عن الخلل والزلل وفضائل عالية خالية من الباطل والضلال بعيدة كل البعد عن الهوى ودوافع النفوس المريضة.. وبهذا تكون هذه الأخلاق الاسلامية نورا وهداية لمن يريد لنفسه ولأسرته ولمجتمعه الخير والنجاح والفلاح.

■ والانسان المتزن فى فكره وعقله يكون مطمئنا للأخلاق الاسلامية متمسكا بها لأنها جاءت من المولى عز وجل وحيا سماويا والوحى السماوى كله خير وكله نور وكله صلاح وفلاح جاء لخير الانسان وسعادته فى الدنيا والآخرة(٢).. قال عز وجل: **﴿إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين**



يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا﴾ (الاسراء/٩) ويقول سبحانه: **﴿ويرى الذين أوتو العلم الذى أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد﴾** (سبأ/٦) ويقول: **﴿قل أوحى إلىَّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنَّا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا﴾** (الجن: ١/٢). وفى سنن الدارمى أنه عليه الصلاة والسلام قال: «إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم إن هذا القرآن حبل الله والنور والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يزيغ فيستعتب ولا يعوج فيقوم ولا تنقضى عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد».

●● والقرآن الكريم لم يترك صغيرة ولا كبيرة من حسن الأخلاق وفضائل الأعمال وعظيم الصفات إلا ودعا إليها وحث على التمسك بها، ولست بمستطيع حصر هذه الأخلاق العظيمة فى مقالة من المقالات لكنى أشير إلى بعضها فقط:

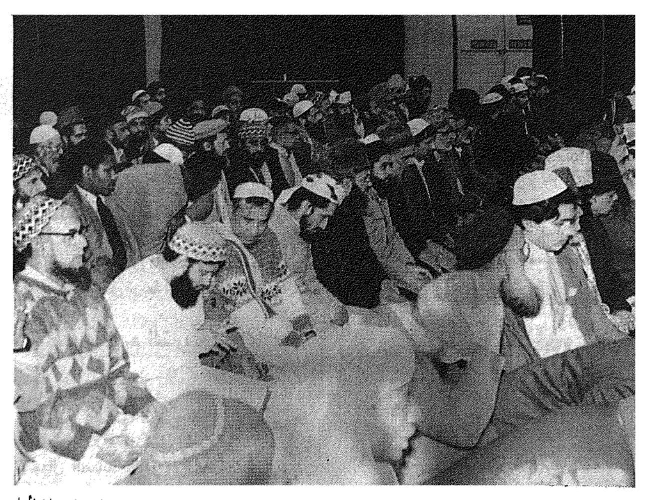
ففى خلق الصبر على المصائب والأذى وترك الانتصار لوجه الله تعالى يقول عز وجل: **﴿إنما يوفَّ الصابرون أجرهم بغير حساب﴾** (الزمر/١٠) ويقول: **﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾** (الشورى/٤٣).

وفى خلق الصدق يقول سبحانه وتعالى **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾** (التوبة/١١٩) ويقول عز وجل **﴿قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم﴾** (المائدة/١١٩) ويقول سبحانه **﴿والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون﴾** (الزمر/٣٣).

وفى خلق الاستقامة يقول الله تعالى: **﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون﴾** (الأحقاف ١٣/١٤) والاستقامة فى رأى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أن يقوم المسلم على الأمر والنهى ولا يروغ عنه روغان الثعلب.(٣)

وفى دعوة الأخلاق الاسلامية الى عمل البر وتقوى الله تعالى والتواصى بالحق يقول تعالى: **﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾** (المائدة/٢) ويقول: **﴿والعصر إن الانسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾** (سورة العصر)

أما المصدر الثانى وهو السنة النبوية الشريفة فهذا قد جاء به بشر إلا أنه بشر يوحى إليه، إنه المصطفى عليه الصلاة والسلام الذى أوجب الله علينا اتباعه والعمل بسنته فقال سبحانه: **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾** (الحشر/٧) وهو الرسول الذى أمرنا الله تعالى بطاعته فقال سبحانه: **﴿يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شيىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾** (النساء/٥٩).. وهو الصادق الأمين الذى أكد الله صدقه وأمانته بوحى من السماء يقرأ آناء الليل وأطراف النهار وهذا قوله تعالى: **﴿والنجم إذا هوى ما ضلَّ صاحبُكم وما غوى وما ينطق عن الهوى﴾** (النجم١-٣) وكذلك قوله تعالى: **﴿ولو تقوَّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾** (الحاقة ٤٤-٤٧).



كما أكد الله قوة عقله عليه السلام ووضوح بصيرته فقال سبحانه: ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾ (التكوير/٢٢) فنفى الله عن نبيه محمد ﴿ﷺ﴾ صفة الجنون التى ادعاها عليه قومه وحينئذ يثبت له حسن التفكير وقوة العقل.

ولما كان محمد ﴿ﷺ﴾ بشرا يوحى إليه ولما كان صادقا أمينا ولما كان قوى العقل سليم البصيرة.. كانت الأخلاق الاسلامية التى وردت على لسانه عليه السلام ذات مصدر قدسى هو الوحى الالهى وكانت بذلك أخلاقا فاضلة ومثلا رفيعة فيها الخير للانسانية والسعادة كل السعادة للبشرية جمعاء.

وقد اشتملت السنة النبوية على جميع ما يحتاجه الفرد والجماعة والحاكم والمحكوم والكبير والصغير والآباء والأبناء من أخلاق تسعد الجميع وتأخذ بيدهم إلى بر الأمان وحياة الأمن والاطمئنان.

●● نعم لقد اهتمت السنة النبوية بحسن الأخلاق وفضائل الأعمال فدعت إلى هذا جملة وتفصيلا فأما جملة فذلك مثل قوله عليه الصلاة والسلام: «**أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا**» (رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح) وقال عليه السلام: «**إنما بعثت لأتمم حسن الأخلاق**» (رواه أبو هريرة وغيره وهو حديث صحيح، رواه مالك فى الموطأ، حديث رقم ٨ كتاب حسن الأخلاق) وقال عليه السلام: «**إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**» (رواه أبو داود).

وأما تفصيلا فإنه وإن كنا لا نستطيع استيفاء كل ما قاله الرسول ﴿ﷺ﴾ فى باب الأخلاق فى هذه المقالة فلا أقل من أن نذكر طرفا منها.. من ذلك فى خلق الحياء والحث عليه يقول عليه السلام: «إن الحياء من الايمان» (متفق عليه) ويقول: «الحياء لا يأتى إلا بخير» (متفق عليه) ويقول: «الحياء شعبة من الايمان» (متفق عليه).

● وفى المحافظة على أسرار الأسرة يقول عليه السلام: «إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة

الرجل يفضى الى المرأة وتفضى إليه ثم ينشر سرها» (رواه مسلم) والنهى فى الحديث وارد على إفشاء الرجل ما يجرى بينه وبين زوجته فى خلوتهما.

● وفى الوفاء بالعهد وانجاز الوعد يقول عليه السلام: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب.. وإذا وعد أخلف.. وإذا اؤتمن خان» (متفق عليه).

● وفى باب طيب الكلام وطلاقة الوجه يقول عليه السلام: «الكلمة الطيبة صدقة» (متفق عليه).

● وفى جملة من الفضائل والأعمال الطيبة يقول عليه السلام: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت (متفق عليه).

والآيات والأحاديث التى تدعو الى مكارم الأخلاق وتحث على فضائل الأعمال كثيرة وصورها متعددة ومن أراد الاستزادة فعليه الرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله.

وبعد أن أخذنا صورة مبسطة عن أهم مصدرين للأخلاق الاسلامية نأتى الى المقارنة فى هذا الجانب بين الأخلاق الاسلامية وغيرها من الأخلاق التى عند الأمم الأخرى.

فى هذه المقارنة نجد أن الأخلاق التى عند الأمم الأخرى إما أن يكون مصدرها بشريا فقط أو وحيا سماويا لكن عَدَتْ عليه عاديات الزمان.

فالأخلاق التى عند اليونانيين أو الصينيين أو الهنود أو الأوربيين - فى العصر الحاضر - كلها من وضع البشر، وكل بيئة تضع ما يناسبها من أخلاق وما يتواءم مع طبيعة حياتها من فضائل كما أن القوانين الأخلاقية قد تتغير من زمن إلى زمن حسب طبيعة الحياة فى هذا العصر أو ذاك الزمن.. ولذلك فإن هذا القانون الأخلاقى الوضعى «لا يصلح أن يكون مقياسا أخلاقيا لأنه يختلف باختلاف الزمان والمكان فلكل أمة قانونها كما لكل أكة عرفها والمقياس الأخلاقى لابد أن يكون عاما ثابتا»(٤)

أما الأخلاق التى كان مصدرها الوحى السماوى قبل الاسلام فهذه نجدها فى التوراة أو فى الانجيل.. إلا أن هذه الأخلاق قد فقدت قدسيتها وقيمتها ومصداقيتها بسبب ما اعترى مصادرها من تحريف وتبديل.

ذلك أن بنى إسرائيل قد حرفوا كلام الله تعالى عقيدة وشريعة وأخلاقا كما قال سبحانه وتعالى: **﴿ومن الذين هادوا سمّاعون للكذب سماعون لقوم آخرين يحرفون الكلم من بعد مواضعه﴾** (المائدة/١٤) وحينئذ لا يأمن العاقل أن يأخذ الأخلاق من هذا الكتاب فلعله قد حرف فيه هذا الخلق أو ذاك العمل وهذا كادعائهم بأن الله تعالى قد أمر بنى إسرائيل بالنصب والاحتيال كمثل تحريفهم **(أن تطلب كل امرأة منهم (أى من نساء بنى إسرائيل) من جارتها أو من نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون العصريين)** (سفر الخروج ٣-٢٢).

وبنو إسرائيل أنفسهم قد تخلوا عن أخلاق التوراة بما وضعوه وقننوه من أخلاق سجلوها فى أهم كتاب لديهم ألا وهو التلمود الذى من أخلاقه إباحة السرقة **لليهودى لكن بشرط أن يكون هذا مع غير اليهودى.**

وبروتوكولات حكماء صهيون شاهدة على سفالة أخلاق هذه الأمة وانحطاطها وذلك بما اشتملت عليه من خداع ومكر ودهاء.

فإن تركنا التوراة وذهبنا الى الانجيل فإننا سنجده هو الآخر قد دخله التحريف والتبديل كما قال

سبحانه: ﴿ومن الذين قالوا إنّا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذُكِّروُا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون. . يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ (المائدة: ١٤/١٥).

ويكفى دلالة على فساد مصدرية الانجيل للأخلاق الفاضلة اشتماله على دعوى التثليث التى تأباها الفطر السليمة والنفوس الصالحة والعقول الواعية المتزنة. . ومن يكذب فى العقيدة التى هى أهم ركن فى أى ديانة سماوية فليس ببعيد عليه أن يكذب فى هذه الأخلاق فيغير فيها ويبدل حسب ما يراه هواه وتسول له نفسه.

والنصارى أنفسهم قد تخلوا عن أخلاق الانجيل الى ما فى رسائل بولس من أخلاق، التى وضعها بولس قاصدا بها تشويه رسالة سيدنا عيسى عليه السلام.

ويكفى دلالة على سوء الأخلاق التى اشتملت عليها هذه الرسائل أنها دعت إلى الرق والعبودية حيث طالبت العبيد بالخضوع والذلة لأسيادهم كما جعلت طاعة الأسياد أساسا مهما من أسس الدين. . يقول بولس: «أيها العبيد أطيعوا سادتكم بخوف ورعدة فى بساطة قلوبكم كما قال المسيح لا بخدعة العين كمن يرضى الناس بل كعبيد المسيح عالمين مشيئة الله من القلب خادمين بنية صالحة كما للرب ليس للناس». . ويقول فى مكان آخر «جميع الذين هم عبيد تحت نير فليحبوا سادتهم مستحقين كل إكرام لئلا يفترى على اسم الله وتعليمه» (تيموثاوس الأولى ٦: ١) فأين هذا من أخلاق الاسلام التى دعت إلى حرية العبيد أو على الأقل مساعدتهم فيما يقومون به من أعمال وعدم تكليفهم مالا يطيقون كما هو الحال فى الأخلاق الاسلامية حيث يقول عليه الصلاة والسلام لأبى ذر الغفارى - ولكل مسلم تحت يده خادم - حين عير بلالاً بسواد أمه «إنك امرؤ فيك جاهلية، هم إخوانكم وخولكم، جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم» (متفق عليه).

●● وأين هذا من الأخلاق الاسلامية التى جعلت عتق العبيد وتحريرهم من الاستعباد والذلة والهوان عبادة يتقرب بها العبد الى الله تعالى فمن حلف يمينا ثم حنث فيه وجبت عليه الكفارة ومنها عتق رقبة ومن قتل قتيلا عمدا أو خطأً وجبت عليه الكفارة ومنها عتق رقبة، ومن ظاهر من زوجته ثم عاد وجبت عليه الكفارة، ومنها عتق رقبة.

وهكذا نجد الأخلاق الاسلامية قد نبعت من مصدرين مقدسين لا يخطئان لأنهما من رب العالمين ولم يحرفا ولم يبدلا كما هو الحال فى مصادر الديانات السابقة على الاسلام.

ثانيا: مجالات الأخلاق الاسلامية:

الأخلاق الاسلامية تسير مع الفرد المسلم فى جميع جوانب حياته فهى تسير معه فردا وهى تسير معه عضوا فى الأسرة وعضوا فى جماعة العمل وعضوا فى المجتمع الكبير.

لقد كان من ميزة الأخلاق الاسلامية أنها لم تعن بالفرد على حساب الجماعة ولم تعن بالجماعة على



حساب الفرد، وإنما عنيت بكل من السلوك الفردى والسلوك الجماعى، «فالقانون الأخلاقى فى القرآن الكريم (وهوالمصدر الأول والأساسى للاخلاق الاسلامية) لم يدع صغيرة ولا كبيرة تتعلق بالنشاط الانسانى إلا وقد رسم لها منهجا للسلوك تفصيلا حينا وإجمالا حينا آخر، فنظم القرآن الكريم علاقة الانسان بربه تبارك وتعالى ونظم علاقة الانسان بنفسه ونظم علاقته ببنى جنسه بل تخطى ذلك إلى علاقة الانسان بالكون»(٥).

■ ونشير فى جانب علاج الأخلاق الاسلامية للسلوك الفردى الى قوله تعالى: **﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾** (الشمس: ٧-١٠).. ففى هذه الآيات دعوة لكل فرد فى الأمة الاسلامية لكى يصلح من خلقه وذلك بتزكية نفسه وتنقيتها من كل خلق ذميم وكل سلوك رذيل.. وهذا يعنى اهتمام الأخلاق الاسلامية بالفرد وسلوكه.

ومن هذا أيضا قوله تعالى: **﴿وإما ينزغنَّك من الشيطان نَزْغٌ فاستعذ بالله إنَّه سميع عليم﴾** (الأعراف/٢٠٠) وقوله سبحانه: **﴿ولا تُصَعِّر خدَّك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور، واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾** (لقمان: ١٨/ ١٩).

أما اهتمام الأخلاق الاسلامية بالجماعة وسلوكها فهذا يشهد له قوله تعالى: **﴿وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن﴾** (الاسراء/٥٣) وقوله تعالى: **﴿يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها﴾** (النور/٢٧)

وتتمثل عناية الأخلاق الاسلامية بالجماعة وسلوكها أنها جعلت للوالدين حقا على الأبناء كما فى قوله تعالى: **﴿وقضى ربُّك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغنَّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍّ ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربِّ ارحمهما كما ربيانى صغيرا﴾** (الاسراء ٣٣/ ٣٤).. كما جعل للأبناء حقوقا على الآباء ومن أهم هذه الحقوق حسن تربيتهم وتأديبهم كما قال عليه الصلاة والسلام: «ما نحل والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن» (رواه الترمذى) وقوله عليه السلام: «لأن يؤنب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع» (الترمذى).

●● ثم ارتقت الأخلاق الاسلامية من الجماعة الصغيرة وهى الأسرة الى ميدان جماعى آخر ارحب اتساعا من السابق ذلك هو سلوك الجيران مع بعضهم البعض.. وفى هذا الجانب نجد الأخلاق الاسلامية قد جعلت للجار حقوقا على جاره ولا شك أن لكل مسلم جيرانا من جهات متعددة وبذلك تتحقق رعاية الاسلام لأخلاق الجماعة وتحسين السلوك الجماعى فى البيئة الاسلامية، وفى هذا المجال يقول عليه الصلاة والسلام: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه» (رواه مسلم• ويقول عليه الصلاة والسلام: فيما رواه البخارى: «مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه».

ويرتقى الاسلام فى تطبيق الأخلاق الاسلامية الجماعية شيئا فشيئا فتراه يحبب المسلم فى إلقاء تحية الاسلام على كل مسلم يلقاه فيقول عليه السلام: «والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيىء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم» (مسلم).

وفى مرحلة تالية لتطبيق الأخلاق الاسلامية على الجماعة نرى الرسول ﴿ﷺ﴾ يقول: «الدين النصيحة، قلنا لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة

المسلمين وعامتهم» (مسلم).

ومن أقوى الدلائل على اهتمام الاسلام وعنايته بأخلاق الفرد والجماعة قوله عليه الصلاة والسلام: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته: الامام راع ومسؤول عن رعيته والرجل راع فى أهله، ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع فى مال سيده ومسؤول عن رعيته، فكلكم راع ومسؤول عن رعيته» (متفق عليه) ويقول عليه السلام: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة» (متفق عليه).

وعلى كل فإن قناعة الانسان بما أنعم الله به عليه متبعا فى هذا قول الرسول ﴿ﷺ﴾ «ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله» (متفق عليه)، خلق فردى يتناول السلوك الانسانى الفردى.

●● والزهد الذى يتفق مع تعاليم الاسلام، يؤديه صاحبه عملا بقول الرسول ﴿ﷺ﴾ «ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس» (حديث حسن رواه ابن ماجه)، خلق فردى يتناول السلوك الانسانى الفردى.

واتقان الانسان عمله الذى وكل به أو الذى يقوم به بنفسه كل هذا من الأخلاق الفردية التى تتناول السلوك الانسانى الفردى وكل هذا دعت إليه الأخلاق الاسلامية.

■ وصدقُ الانسان مع الآخرين وحفظه لأمانات الغير وعفته عما فى يد الآخرين وتسامحه معهم، كل هذا من الأخلاق الاجتماعية التى تتناول السلوك الاجتماعى لجماعة المجتمع الذى يعيش فيه الانسان سواء اكان مجتمع الأسرة أو الحى أو المصنع.. الخ، وكل هذا حثت عليه الأخلاق الاسلامية.

ثالثا: الغاية من الأخلاق الاسلامية:

لم تكن الغاية من الأخلاق الاسلامية هى العناية بالجانب الروحى فى الانسان وإصلاحه على حساب الجانب المادى فيه وهو الجسم كما هو الحال فى الأخلاق النصرانية وإنما كان للجانب المادى نصيب كبير من اهتمام الأخلاق الاسلامية وعنايتها به.

كذلك لم تهتم الأخلاق الاسلامية بالجانب المادى فى الانسان على حساب الجانب الروحى فيه كما هو الأمر فى الأخلاق التلمودية اليهودية وإنما نظرت إلى الناحية الروحية فى الانسان باهتمام فأولتها رعايتها وعنايتها.

وبذلك تكون الأخلاق الاسلامية علاجا للأمراض الباطنية والظاهرية فى الانسان أو قل إصلاحا للجانب الروحى والجسدى فى الانسان.

فالصلاة لا تصح إلا بوضوء، وفى كليهما تهذيب للنفس وطهارة للجسد، والصوم فيه صحة للبدن ونقاوة للنفس، والزكاة فيها علاج لرذيلة الشح والبخل فى الانسان الذى هو مريض بهذه الأمراض كما أنها علاج لمرض الحقد والحسد الذى قد يكون فى قلب الفقير أو المسكين أو الأرملة أو اليتيم.. قال عز وجل: ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**﴾ (التوبة/١٠٣).

ولما مالت نفس أحد الصحابة إلى الروحانية الصرفة على حساب المادية البشرية وحاجات الجسد نصحه الرسول ﴿ﷺ﴾ ووجهه الوجهة الصحيحة التى تؤدى الى المواءمة بين متطلبات الجسد وحاجات الروح فقال عليه السلام له ولكل مسلم متمسك بدينه وبأخلاق الاسلام: إن لجسدك عليك حقا، وإن لعينيك عليك حقا وإن لزوجك عليك حقا، وإن لِزَوْرِكَ عليك حقا» (البخارى ومسلم فى الصوم).



وقد جمع القرآن الكريم بين الجانب الروحى والجانب المادى فى الانسان وذلك فى قوله تعالى: **﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾** (القصص/٧٧).

ومن هذا الاستعراض يتبين لنا أن الأخلاق الاسلامية قد اهتمت بالانسان فوجهته فى سلوكه الوجهة الصحيحة حيث عنيت به فردا وعضوا فى جماعة وعضوا فى المجتمع الكبير، كذلك عنيت بالجماعة فوجهت سلوكها ونظمته بحيث يعود هذا بالخير والسعادة على الفرد والجماعة.

ولأن الأخلاق الاسلامية نابعة من الوحى الالهى، والله عالم بما يصلح النفس البشرية وجدنا أن هذه الأخلاق قد وفقت بين حاجات الجسد ومتطلبات الروح ومن سار على هدى هذه الأخلاق أصبح إنسانا سويا فليس بجشع تحركه المادة وتسيره الرغبات الجسدية وليس من المرضى النفسيين الذين تسيطر عليهم الكآبة والأحزان بسبب ما وقع على نفوسهم من ظلم واضطهاد.

وإذا أردنا للشباب المسلم الاستقامة وصحة الجسد وسلامة الروح والسير فى هذه الحياة سيرا طبيعيا لا شذوذ فيه ولا انحراف إذا أردنا هذا فعلينا بالأخلاق الاسلامية نتمسك بها ونطبقها على أنفسنا أفرادا وجماعات فى المنزل والمدرسة والمصنع والمتجر.. الخ ومن سار على هدى الله فلن يضل أبدا.

---

(١) د. محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق فى القرآن (ط١ سنة ١٩٧٣م) ص٦٧٦.

(٢) وهذا لا ينطبق على الوحى السماوى الذى حرف من قبل اليهود والنصارى إذ أنه بعد هذا التحريف لم يعد وحيا سماويا خالصا.

(٣) د. مصطفى سعيد الخن وآخرون، نزهة المتقين شرح رياض الصالحين (ط٥ سنة ١٩٨١م) ج١ ص١١٩.

(٤) منصور على رجب، تأملات فى فلسفة الأخلاق (ط٣ سنة ١٩٦١م) ص٢٩٠، والمؤلف لا يريد بالثبات الجمود وإنما يريد أن المبدأ الأصيل له ثابت لا يتغير بتغير الزمان والمكان وإن تغيرت الفروع. (٥) منصور على رجب، تأملات فى فلسفة الأخلاق



لقد كان أول أثر من آثار القرآن فى الفكر الانسانى.. اهتمامه الواسع بالعلم.. وذلك أن العلم أساس التقدم والتعاون، وتبادل الخبرات والمنفعة، وقد كانت عناية القرآن بالعلم.. تفوق حد الوصف..

تأمل القرآن وتدبر آياته تجده يدعو الى تحكيم العقل والمنطق فى مظاهر الكون وأحداث الماضى.

ولقد اشتمل القرآن على ستة آلاف ومائتين وستة

بقلم الدكتور
أحمد عبد الرحيم السايح
القاهرة



وثلاثين آية.. منها سبعمائة وخمسون آية كونية وعلمية.. احتوت اصولا وحقائق تتصل بعلوم الفلك والطبيعة وما وراء الطبيعة والاحياء والنبات والحيوان وطبقات الأرض، والأجنة والوراثة والصحة والصحة الوقائية والتعدين والصناعة والتجارة والمال والاقتصاد.. الى غير ذلك من أمور الحياة.. واحتوت باقى الآيات على الأصول والأحكام فى المعاملات وعلاقات الأمم والشعوب، فى السلم والحرب وفى سياسة الحكم واقامة العدل والعدالة الاجتماعية وكل ما يتصل ببناء المجتمع.

وهذا كله بخلاف العبادات والعقائد والتكاليف والقصص والمواعظ والامثال وغير ذلك من شتى أمور الدين والدنيا.. مما كان محلا للدراسة والاستنتاج والتخريج والتأصيل والبحث والتنقيب.. وكان أساسا لعلوم الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب.. ذلك أن القرآن من العمق والاتساع والعموم والشمول.. بما يقبل تفهم البشر له.. أيا كان مبلغهم من العلم وبما يفى بحاجاتهم فى كل عصر ويتجاوب مع أهل البداوة فى يسر ويبهر فى عمقه أهل الحضارة الذين صعدوا فى سلم الرقى وبرعوا فى فنون العلم والمعرفة..

واسم القرآن نفسه مشتق من القراءة، والقراءة ادنى مفاتيح العلم للانسان.. وللقراءة اهميتها الكبرى، في التقدم العلمي والفكري.. ومادام الانسان يقرا فانه الى نمو ثقافي رائع.

واول مانزل على محمد ﴿ﷺ﴾، خمس ايات.. هي قوله تعالى: ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الانسان من علق. اقرأ وربك الأكرم الذي علَّمَ بالقلم، علَّمَ الإنسان مالم يعلم** ﴾..

فالقراءة مفتاح العلم، والطريق الدائم للمعرفة.. لذلك كما ترى كان الامر القرآني الاول لرسول الله ﴿ﷺ﴾ امرا متكررا للقراءة، واوضحها مؤكدا ما رمى اليه من معنى وهو: العلم، والتعلم، والتعليم.. بكل ماتحمله الكلمات الثلاث في اصلها الصرفي من ابعاد خيرة، ومجالات نافعة..



وزاد القران التأكيد بذكر القلم . . والقلم من اعظم نعم الله على عباده . . اذ به تخلد العلوم، وتثبت الحقوق ، وتعلم الوصايا وتحفظ الشهادات ويضبط حساب المعاملات الواقعة بين الناس . . وبذا تفيد اخبار الماضين للباقين اللاحقين . . ولولا الكتابة لانقطعت أخبار بعض الأزمنة عن بعض ودرست السنون وتخبطت الأحكام ولم يعرف الخلف مذهب السلف، وكان معظم الخلل الداخل على الناس فى دينهم ودنياهم ، انما يعتريهم من النسيان الذى يمحو صور العلم من قلوبهم فجعل لهم الكتاب وعاء حافظا من الضياع . . كالأوعية التى تحفظ الأمتعة من الذهاب والبطلان .

وأول قسم فى القرآن أقسم به رب العزة . . صدر بحرف من حروف الهجاء ، وكان بالقلم وبما يسطر العالمون . . قال تعالى : ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ .

فأول سورة نزلت من القرآن . . سورة العلق . . ومن العلق يخلق الانسان . . وفى سورة القلم يقسم رب العزة بالقلم ، وبالقلم يكتب ويتعلم الانسان .

فانسانية الانسان لا تكون الا بالخلق ولا تتم الا بالعلم . . وما ألطف قول الشاعر :

اذا افتخر الابطال يوماً بسيفهم
وعدّوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب مجدا ورفعة
مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

وأقسم الله سبحانه وتعالى فى سورة القلم . . بالقلم والكتب فتحا لباب التعليم بهما ولا يقسم ربنا الا بالأمور العظام . فاذا أقسم بالشمس والقمر والليل والفجر فانما ذلك لعظمة الخلق وجمال الصنع واذا أقسم بالقلم والكتب فانما ذلك ليعم العلم والعرفان وبه تتهذب النفوس وترقى شئوننا الاجتماعية والعمرانية .

وما أروع لفظ «وما يسطرون» حيث يشمل كل فنون الكتابة والتعبير عما فى الضمير بالرسم والرمز ويشمل كل آلة أو نظام استحدث للتوصل الى ذلك من آلات ومعدات حدثت أو ستحدث .

●● والقرآن . . يهتف بالانسانية : ﴿وما أوتيتم من العلم الا قليلا﴾ . . وبجانب هذا يرفض أن يقف بالعلم عند حد . . بل يفتح للانسانية باحة ليس لها نهاية . .

ولقد وضع القواعد السليمة لوزن المعلومات وتمييز صحيحها من زائفها فقرر أن المسائل لا تأخذ الطابع العلمى ولا ترقى الى درجة المعلومات . . الا اذا قامت عليها بينة واستندت الى دليل ومن ثم كان القرآن ولا يزال ينادى دائما : **﴿هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين﴾** . . **﴿قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا﴾** . . **﴿ولا تقفُ ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾** .

وهذه الآية الأخيرة . . تنهى عن اتباع مالم يقم به علم يستند الى حجة سمعية أو رؤية بصرية أو براهين عقلية . . وهى طرق الاستدلال التى تنحصر فى العقليات والسمعيات والمحسوسات .

وهذا الميزان الذى وضعه القرآن دفع بالناس دفعا الى تلمس الأدلة ومعرفة ما يفيد المجتمع . . قال تعالى فى سورة البقرة : **﴿ان فى خلق السموات**



والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون﴾.

فأمعن الناس فكرهم فى هذا الكون الفسيح وأنعموا النظر فيما حوى من عجائب ليستغلوا ما حواه من موارد.

وتتكرر كلمة العلم بجميع اشتقاقاتها وتصريفاتها فى سور وايات القرآن تكرارا يكفى لتقدير منزلة العلم والعلماء.



وكلمة العلم فى القرآن عامة.. تشمل مختلف أغراضه ومراميه.. ويرشدنا هذا العموم الى أن العلم فى القرآن ليس خاصا بعلم الشرائع والأحكام.. انما المراد هو كل علم يفيد الانسان توفيقا فى القيام بمهمته التى على كاهله منذ قدر الله خلقه وجعله خليفة فى الأرض..

فادراك ما يصلح النبات والاشجار علم.. وادراك ما يصلح الحيوان والطير علم.. وادراك موارد الصناعة وكيفياتها علم.. وادراك الأمراض وعللها والوقاية منها علم.. وادراك الأمم لكل ما يفيد المجتمعات الانسانية علم.

●● فالعلم فى القرآن يشمل كل أنواع المعرفة التى تتصل بكل ما يفيد الناس فى دينهم ودنياهم وفى معاشهم ومعادهم وفى أجسادهم وأرواحهم.

ولهذا كله.. فسح القرآن مجال العلم للعقل الانسانى وتعدى به أسوار الطبيعة وتغلغل به فى أسرار الكون والحياة.. ولم يقف به عند حدود الماديات الطبيعية بل تعداها الى كل شىء فى الحياة يفيد المجتمع ويعود عليه بالتقدم والرقى.. ومن هذا المنطلق.. عرف المسلمون منزلة العلم وفضله.. وأدركوا مبلغ الحاجة اليه.. وأنه هو الذى يوضح لهم معالم الطريق ويفتح أمامهم آفاق الحياة.. فوجهوا عزائمهم الى طلب العلوم.. ولم يشغلهم عنها ترف الحضارة ولا ثنت عزائمهم بأساء الحياة وضراؤها.

بحثوا عن العلوم حتى أقاموا لها فى كل قطر منارا عاليا، وحملوا مشاعلها فى مشارق الأرض ومغاربها.. ولم يقفوا بجهودهم عند نتاج عقولهم وأفهامهم بل اتجهوا بها أيضا الى علوم السابقين.. يدرسونها ويمحصونها ويأخذون عنها ويزيدون عليها ما هداهم اليه البحث والنظر والاستدلال.. فاستخرجوا العلوم من زوايا الاهمال والنسيان وزادوها نقاء وصفاء وكانوا يطلبون العلوم طلب الناقد البصير.

وبهذه النهضة العلمية.. استطاعوا أن يعملوا عمل الأقوياء لان العمل لبناء المجتمعات لا يصدر إلا عن ارادة قوية والارادة القوية لا تأتى الا من العلم..





زيارة

د. صالح بن غانم السدلان
كلية الشريعة بالرياض

الحمد لله: نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه الى يوم الدين.

أما بعد

فقد أمر الشارع الحكيم بزيارة القبور للاتعاظ والاعتبار وفى ذلك خير وإحسان للأحياء والأموات ولم تشرع الزيارة لمناجاة أهل القبور وسؤالهم والتضرع عندهم لقضاء الحوائج وكشف الكربات كما يفعل الجهلة والمبتدعة والمنحرفون.

لكن زيارة القبور إنما شرعت للاستغفار والدعاء للميت والعبرة للحى ليستعد لرحلة الموت الواقعة لا محالة. . ومما يؤسف له أن يقع بعض أبناء امتنا الاسلامية أسرى للهوى والضلال وتستحوذ على عقولهم الأفكار البالية والخرافات الهدامة فينساقون طائعين مختارين الى الوقوع فيما وقع فيه المشركون بصرفهم جل العبادات للقبور المقدسة لديهم كالنحر لها والطواف عندها والاستغاثة بها والتبرك بترابها وطلب الشفاء منها وشد الرحل اليها وتعفير الخدود على أعتابها وصرف الأموال الباهظة من أجل تشييدها وتزيينها معتقدين عن جهل أو تقليد أن ذلك قربة عظيمة وطاعة نافعة وحسنة متقبلة ناسين أو متناسين أنها مفسدة عظيمة يستحق فاعلها غضب الله وسخطه لأنها تفضى بصاحبها الى ما يفضى به اعتقاد الألوهية فى الأموات وبذلك تتزلزل أقدامه شيئا فشيئا عن الدين ويتنكب الصراط المستقيم ويضل سعيه فى الحياة الدنيا وهو فى الآخرة من الخاسرين.





لقد كثر القبوريون فى زمننا هذا وادعياء الولاية الذين زيفوا حقائق الدين وشوهوا معالمه وما يدور حولنا فى كثير من بلدان الاسلام خير شاهد على هذا ولا يخفى حالهم على من عنده أدنى تأمل . . وشعورا بالمسؤلية وبدافع من الغيرة الاسلامية أرى أن أقدم بين يديك هذه الصفحات لأميط اللثام عن كثير من أحكام زيارة القبور ليكون المسلم فى مأمن من غوائل البدع والخرافات ويسير على هدى وبصيرة من أمره فى دينه ودنياه . . وذلك فى النقاط التالية :

أولا : معنى الزيارة

الزيارة مأخوذة من زرته أزوره زورا وزيارة وزوارة أيضا . والزورة المرة الواحدة والمعنى أتاه بقصد الالتقاء به . . والمزار: بفتح الميم موضع الزيارة . . والمفرد: زائر وزور والجمع زائرون وزوار. والأنثى زائرة وجمعها زائرات وزوارات(١) والقصد من زيارة القبور: الدعاء للأموات وتذكر الآخرة واحياء السنة .

ثانيا: الزيارة المشروعة

من هدى النبى ﴿ﷺ﴾ زيارة القبور والدعاء للأموات والترحم عليهم والاستغفار لهم وهذه هى الزيارة التى سنها لأمته وشرعها لهم . . ففى حديث عائشة رضى الله عنها قالت «كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ يخرج من آخر الليل فيقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غدا ، مؤجلون وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الفرقد(٢) .



وأمرنا صلى الله عليه وسلم بزيارة القبور فقال: « . . نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها . . » فمن كان قصده من زيارة القبور هذه المعانى التى جاءت فى هدى النبى ﴿ﷺ﴾ فى زيارة القبور وغالبها يرجع الى نفع الميت وذلك من حيث الصلاة عليه فإن الصلاة على الميت دعاء له وترحم عليه وإن قصد الزائر تذكره مصيره ومآله وأن الموت تخطاه الى غيره وسيتخطى غيره اليه فحسن لأن الانسان مأمور بإصلاح قلبه والأخذ بالاسباب الشرعية التى تجعله اكثر انابة وأكثر خشوعا .

واختلف العلماء فى حكم زيارة القبور المشروعة؟ فعامة أهل العلم على أنها مستحبة ، لفعله صلى الله عليه وسلم ولقوله : «**نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها**» وقيل مباحة وقيل منهى عنها وقال ابن حزم رحمه الله إنها فرض فى العمر مرة .

والصحيح أن زيارة القبور سنة بدليل فعله صلى الله عليه وسلم وأمره بذلك وأما النهى عن الزيارة فكان لمانع وذلك أن الناس كانوا حدثاء عهد بالاسلام ولم يزل عندهم بقايا من أمور الجاهلية ألفوها وأحبوها فلما زالت تلك الموانع ولم يبق محظور وترجحت المصلحة بما يحصل من اصلاح القلب وتذكرة الآخرة والدعاء للميت أذن صلى الله عليه وسلم بزيارة القبور .

وهذه المعانى هى التى دل عليها هديه صلى الله عليه وسلم الذى فعله وشرَّعه لأمته .

ولعل الذين ذهبوا الى المنع من زيارة القبور لم يبلغهم الناسخ وهو الاذن بالزيارة .

وأما القول بالوجوب فى العمر فغايته صيغة الأمر الوارد فى الحديث «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها**» .

والجواب أنه لم يرد أن النبى ﴿ﷺ﴾ ألزم كل أحد بزيارة القبور ولا أمر بذلك على سبيل الايجاب وأما القول بالاباحة فإن أمره صلى الله عليه وسلم بزيارة القبور وتكرر ذلك منه يرد هذا القول ويدل على معنى أكثر من مجرد الاباحة وهو تأكد مشروعية ذلك واستحبابه .

ثالثا : الزيارة المباحة

تجوز زيارة القبور لقصد الاعتبار أو تذكر الميت والبكاء عليه كما زار النبى ﴿ﷺ﴾ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله .

فلم تكن زيارته صلى الله عليه وسلم لأمه إلا لتذكر الآخرة والبكاء عليها فقد روى مسلم فى صحيحه قال : «زار النبى ﴿ﷺ﴾ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله» . . وقال : «**استأذنت ربى فى أن أستغفر لها فلم يأذن لى واستأذنته فى أن أزور قبرها فأذن لى فزوروا القبور فإنها تذكر الموت**» . . فهذا الحديث دليل على جواز زيارة القبر لتذكر الميت والبكاء عليه . . ولأن الأصل فى البكاء على

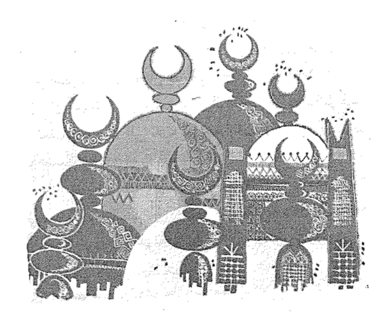


الميت الاباحة ولما كانت النياحة على الميت ممنوعة أذن فى البكاء لتخفيف وطأة الحزن والأسى، ولكن لا ينبغى أن يكثر هذا أو يتكرر فإن النبى ﴿ﷺ﴾ لم يفعله إلا مرة فدل على الجواز. . وبكاؤه صلى الله عليه وسلم على أمه لعله أن يكون من أجل مافاتها من ادراك أيامه والايمان به.

رابعا: الزيارة الممنوعة

الزيارة الممنوعة على نوعين: احداهما البدعية والثانية الزيارة الشركية المحرمة.

الزيارة البدعية: الزيارة البدعية المحرمة تتناول كل من زار القبور لقصد تعظيمها أو رجاء البركة بالوقوف عندها أو اعتقاد أن الدعاء عندها مستجاب أو للصلاة عندها ونحو ذلك من الأمور التى لم يرد فيها نص من كتاب الله تعالى ولا من سنة رسول الله ﴿ﷺ﴾ ولم يفعله السلف رضوان الله عليهم. . وكذلك يعد من الزيارة البدعية المحرمة. . زيارة القبور لقصد الندب والنياحة واظهار التسخط بشق الجيوب وضرب الخدود ونتف الشعور.



وكذلك من الزيارة البدعية زيارة القبر لقصد القراءة عنده والتحلق حوله وتلاوة بعض الأذكار وترديد الأناشيد ونحو ذلك. . إذ أن كل هذه الأمور وأمثالها من الأمور المبتدعة التى لم يأذن الله بها ولم يفعلها رسول الله ﴿ﷺ﴾ ولا أحد من أصحابه ولا التابعين لهم باحسان. . ومن كان حريصا على نجاة نفسه وقبول عمله فليخلص عمله لله وليكن على هدى رسول الله ﴿ﷺ﴾ وليرتفع عن السفاسف والمهازل ويفهم حقيقة الدين ويتحرر من أدران الجهل والضلال.



الزيارة الشركية: الشرك دعوة غير الله أو دعوته ودعوة غيره معه أو بأن يصرف نوعا من انواع العبادة لغير الله جل وعلا كالذبح والاستعانة والدعاء والاستغاثة.. فمن قصد قبور الأولياء من أنبياء الله ورسله والصالحين من خلقه لقصد الاستغاثة والاستعانة وقضاء الحاجات أو تفريج الكربات ونحو ذلك فهذا شرك صريح يعد فاعله ومعتقد جوازه كافرا بالله.. وإن مات على هذه الحالة فهو مخلد فى النار والجنة عليه حرام.. قال تعالى: ﴿**إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة**﴾(٣).. وزيارة القبور لهذه المقاصد توجد فى كثير من البلدان المنتسبة الى الاسلام وذلك بسبب الغلو فى القبور والاعتماد على أمور حصل بسببها التلبيس على كثير من الناس منها أن الولى له مكانة عند الله فهو بمثابة الواسطة والشفيع وقد أنكر الله على المشركين حينما تعلقوا بمثل هذه المبررات الواهية.. قال تعالى: ﴿**ألا لله الدينُ الخالصُ والذين اتّخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقرِّبونا إلى الله زُلْفَى إنَّ الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إنَّ الله لا يهدى من هو كاذب كفار**﴾ (سورة الزمر آية٣).. فحكم عليهم بالكذب والكفر بسبب شبهتهم الواهية.

خامسا: شد الرحال لزيارة القبور

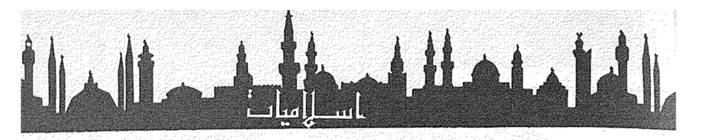
تبين أن الزيارة الشرعية للقبور ما كانت على هدى النبى ﴿ﷺ﴾ حيث كان يزور البقيع فى أى وقت تيسر له من ليل أو نهار فيذهب الى البقيع ويسلم على أهله ويدعو لهم ولكنه لم يعرف عن النبى ﴿ﷺ﴾ أنه شد الرحال الى زيارة القبور ولا أمر به ولا أقره من أحد.

بل لم يكن هذا معروفا فى عهده ولا فى عهد الخلفاء الراشدين ولا الأئمة لزيارة القبور. قال عليه الصلاة والسلام: «**لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدى هذا ومسجد الاقصى**» (رواه البخارى فى صحيحه ج٢/٥٦).

●● ونص العلماء على أن من نذر الصلاة فى مسجد غير أحد هذه المساجد الثلاثة أو زيارة مقبرة تحتاج الى شد الرحال فإنه لا يجب عليه الوفاء.. بل لا يجوز له لأن ذلك مما نهى عنه لقوله صلى الله عليه وسلم «لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد».

وارتكاب ما نهى عنه النبى ﴿ﷺ﴾ معصية لقوله صلى الله عليه وسلم «من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه».

●● فمن شد الرحال الى غير المساجد الثلاثة أو إلى شىء من القبور حتى قبره صلى الله عليه وسلم أو مسجد قباء وغيره بأن أنشأ سفرا خاصا لذلك معتقدا أن ذلك سنة أو أنه من فضائل الأعمال فقد جانب الصواب وخالف السنة وتكلف ما لم يؤمر به لا سيما وأن المطلوب التزام سنته صلى الله عليه وسلم واتباع هديه فى كل صغيرة وكبيرة.





وسر النهى - والله أعلم - أن شد الرحال لزيارة البقاع والمساجد غير الثلاثة والقبور تعظيم لها والتعظيم على هذا الوجه نوع من أنواع العبادة ولهذا قصر على المساجد الثلاثة؛ فإن تعظيمها والصلاة فيها من أفضل الصالحات وأجل القربات ولهذا قال النبى ﴿ﷺ﴾: «لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد.. الحديث».

●● وأما شد الرحال الى ما سوى ذلك لزيارة الصالحين والأقارب والأصدقاء والسفر لطلب العلم والتجارة والسياحة ونحو ذلك لا يعد تعظيما فليس منهيا عنه بل هو مأمور به.. ولأن شد الرحال فى مثل هذه الأمور تترتب عليه مصالح عظيمة ومنافع كثيرة لأن كثيرا من قضاء المصالح لا تحصل إلا بشد الرحال والتنقل فى الأقطار ونحو ذلك فكان مباحا ومطلوبا.

فلله الحمد والمنة على كمال شرعه وتمام نعمته.

---

(١) القاموس المحيط - ج٢/ ٤٢، والصحاح للجوهرى ج٢/ ٦٧٤ والمنجد فى اللغة والأعلام ص٣١٨

(٢) صحيح مسلم ج٢/ ٦٦٩ - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى

(٣) سورة المائدة آية ٧٢

(٤) سورة الزمر آية ٣

(٥) رواه البخارى فى صحيحه ج٢/ ٥٦



د. علي جواد الطاهر

١

العطاء الثقافى حاصل ومتنوع ومتطور كمّاً وكيفا لدى المحلية ولدى الخروج عن المحليــة.. والمتلقــون مختلفــون اختلاف المرْسِلِين.. ومع هذا فلا يخلو نتاج من خفة أو عجلة أو ضآلـة أو محليـة مطلقـة.. مما يجب أن يتصدى له الناقد لوقفه عند حد إن لم يمكن القضاء المبرم عليه.. ولا يقف واجب الناقد عن ردع السوء وإنما الاعلام بالخير شرط فى رسالته.

ووقع العطاء الثقافى فى حدود من يهمه أمر العطاء ممن رأيناهم ـ ونراهم ـ ممن عاش فى «السعودية» حينا الوقع حسن والعطاء جدير بالاطلاع عليه ودراسته وفيه ما هو أكثر من جيد وأكثر جدارة بالاطلاع عليه ودرسه.. وتدريسه كذلك.

ولولا ذاك لما كان لى أن استمر فى مشروع «**معجم المطبوعات العربية ـ السعودية**» وما كان للاستاذ بكرى شيخ أمين أن ينال الدكتوراه حقا بكتابه القيم صدقاً: «**الحركة الأدبية فى المملكة العربية السعودية**»

وربما أدرك غير السعودى من محاسن الكتاب السعودى أكثر مما يدرك السعودى نفسه وربما كان أسفه على احتباسه يزيد على أسف السعودى نفسه ولا عبرة بمن عاش فى السعودية من العرب المنتدبين وهمهم الارتزاق أولا وأخيرا وفى مخططهم التجهيل أخيراً وأولا.. وأرجو ـ بهذه المناسبة ـ من الأساتذة المنتدبين أن ينفذوا فى معرفة السعودى الى أبعد من الحدود التى يرسمونها سلفا واذا ألفوا فليؤلفوا بعمق وصدق.. وليميزوا فى موقف السعودى بين الجهل والتغاضى وبين الغفلة والصبر على المكاره وكل شعوذة الى افتضاح.. ولا تعدم الحقيقة فى المنتدبين المخلصين من ينصرها.

ولا يقل تقدير الذى يصل اليهم الكتاب السعودى خارج السعودية عن تقدير المخلصين المنتدبين داخلها واذا كان هؤلاء قلة فمصدر القلة ضيق نطاق الكتاب الذى يعبر حيز المملكة.. ان الوسيلة الأولى التى يجتاز بها الكتاب الحدود هى الاهداء والاهداء وسيلة



كانت اطلالة
الدكتور على جواد الطاهر
علـى «الكتـاب السعودي» بداية
ومتابعة . . عملا بالغ الاصالة والافادة
ونحـن اذ نسعـد مـع القـراء بهـذه
الاطلالة . . نود لو واصل استاذنا
عطـــاءه فـــى زوايـا
ومناطـق جديـدة
للمعـــرفة

ودي

فردية على أية حال مؤقتة قاصرة ولكنها فى محاسنها خير من لا شيىء وفى محاسنها أنها تختار فلا تصدر عن أصحابها الا عن علم بالذى ترسل اليه. ولى هنا أن اشكر ـ ان لم اكن قد شكرت ـ اساتذة كراما تفضلوا علىّ بما جعلنى على صلة دائمة بالكتاب وعلى علم بمسيرته وتطوره وهم كثيرون اذكر منهم الجاسر والرفاعى وساعاتى. . ومحمد سعيد طيب رئيس «تهامة» وعذرا لمن لم اذكر لقد زادونى نوراً وخدموا الكتاب من حيث يقصدون ولا يقصدون وأحسب ان شأنهم معى شأنهم مع غيرى لأن الاهداء خلق فيهم وسيتضح فضلهم فى «**معجم المطبوعات العربية السعودية**» وسترد اسماء لأولى فضل غيرهم ولكن الإهداء ـ وحده ـ لا يكون وسيلة علمية ثابتة مطردة واسعة الدائرة.

وإنك إن سألت عن آفاق انتشار العطاء السعودى اجبتهم أنها محدودة ولنضف الى الاهداء، من يقع على الكتاب مصادفة وعلى ندرة فى سوق ومن يقتنصه عند صديق وفى تصورى أنه لو وصل الى آخرين لكسب آخرين علمياً وتجارياً ولكنه لم يصل وقلّما يصل. . انه غير منتشر.

وصحيح وصار أكيدا واضحا أن فى المملكة عطاء ثقافيا ومطابع ودور نشر ومكتبات عامة وخاصة تجارية وعلمية. . ولكن الذى أراه أنه لم يأخذ مداه اللازم داخل المملكة نفسها ولم يصل الى حد ازدهار يعتمد على القارىء أكثر من اعتماده على الدولة.

وانتشاره ليس انتشاراً حتى فى الخليج وهو أقرب العرب اليه. . **فكيف بما بَعُدَ عن ذلك من أقطار؟ وكيف بالقطر او الاقطار التى اعتادت التصدير دون الاستيراد؟**.

وشرع ينتشر على استحياء بسبيل من التوسع بالاهداء والخروج قليلا عن الدائرة الفردية الى جهات ومؤسسات دينية واعلامية وفى المؤسسات والجامعات السبع ومراكز البحث فى الجامعة التى فيها مركز بحث (ولها مطبعة خاصة بها) والملحقيات الثقافية والنوادى الأدبية والجمعية السعودية للثقافة والفنون ومحاولات حذرة تمتد بها دور النشر التجارية خارج الحدود وربما كانت «تهامة» أول ما يرد على الذهن من تلك الدور. . ولدار الرفاعى تجربة المساهمة مع مكتبة الخانجي (ولما نعرف نتائجها).

وتحاول الصحف أن تخرج وهى محاولة فقط وقد رأيت عددا منها فى القاهرة (سنة ١٩٨٢) واعلانات على الجدران منها اعلان عن عكاظ ولكنى أشك فى ان يتعدى الباحثون عن الجرائد السعودية هناك حدود السعوديين فى الخارج إقامة او اصطيافا.

وحاولت المجلات (الرسمية) بخطى أوسع (أو واسعة) الامتداد خارج الحدود وتأتى فى المقدمة من تلك المجلات المجلة العربية والفيصل أو الفيصل والمجلة العربية. وكانتا توزعان فى العراق ولم تلقيا ـ فى حدود علمى ـ الرواج اللازم ثم اختفت المجلة العربية من الأسواق وبقيت الفيصل ـ بعد انقطاع

قصير ـ وكان لثباتها ومثابرتها مع تنوعها مادة وكتّاباً ما جعلها مطلوبة لا تكاد تنزل اعدادها الى السوق حتى تنفد ويبقى السؤال عنها أياماً بما يدل على أن العرض أقل من الطلب.

أما الاهلية فلا وجود لها ـ على علمي ـ فى سوق وأذكر أنى اقترحت ـ يوما ـ على كلية الآداب بجامعة بغداد وعلى المكتبة المركزية فيها الاشتراك بمجلة «**العرب**» ومجلة «**المنهل**» ونجح الاقتراح. وقد يكون فى طبيعة المجلتين ما يحول دون توزيعها فى السوق لتخصصها الكلى أو الجزئى وشرعت المنهل فى تجربة جديدة فى استعادة الشباب والتفكير بالجمهور الواسع والتجربة فى بدايتها ولابد من الانتظار مع وجوب المتابعة وتلافى النقص حيث يبدو. ولمجلة «**عالم الكتب**» دلالة خاصة مستمدة من اسمها ومن منهجها ومادتها وهى فريدة فى العالم العربى كله ولكل العرب وتحول أسباب دون انتشارها وعلى رأس هذه الأسباب ما التزمه القائمون عليها من الاقتصاد على الاشتراك فقط فلا يراها أو يعرفها أو ينتفع بها او يدل عليها من لم يكن مشتركا ويا حبذا لو فك الاساتذة القائمون على المجلة النادرة الفذة العامة مع خصوصيتها شرط الاشتراك وجربوا توزيعها كما توزع أية مجلة وقد يفعلون ولو على سبيل التجربة والتضحية ولابد للمثابرة من جدوى.

وإذ نعود الى المجلات الرسمية نذكر باحترام «**الدارة**» ومجلة كلية الآداب بجامعة الملك سعود ومجلات متخصصة أخرى تصدر عن الكليات والمؤسسات لا يستغنى عنها الباحثون فى الخارج ولكنها خاصة جداً ولا ينتظر لها السوق الواسعة وما أحسبها تفكر فيها ومن هنا كان اعتمادها الأول فى ايصال صوتها وعلمها وكيانها على الاهداء والمبادلة وليست المبادلة مما يستهان به.

٢

لا يوجد عطاء ثقافى جدير كله أن يحتل مكانة ويتبوأ موقعاً بين عطاء الآخرين من مجاورين وغير مجاورين ففى ما تخرجه المطابع ـ فى كل قطر من أقطارنا ـ ما هو محلى جداً مرتبط بأهله المباشرين وما هو سطحى أو ردىء سمح له بالنشر لسبب خارج عن أسباب العلم والحقيقة.. وما يقال عن غير السعودى ـ هنا ـ يقال عن السعودى وربما ـ وبغير ربما ـ كان ضرر من خروج هذا النتاج إذا خرج بعيداً عن حدوده المحدودة ـ أكثر من نفعه ففى الناس من يعمم الحكم على أول كتاب يقع بين يديه وإذا كان الكتاب من هذا الضرب وسم النتاج الباقى كله ـ وهو الأكثر ـ بالمحلية او السطحية أو الرداءة.

وطبيعى الا يدخل هذا العطاء فى العطاء الذى يراد له أن يحتل مكانة ويتبوأ موقعا.. أجل وهو هنا فيما يتعلق بالعطاء السعودى ما يمكن ـ أو يحسن ـ طرحه..

ويبقى الخير بالباقى وهو غير قليل وآخذ بالازدياد وجدارة الخروج الى مجاوريه والى من هم أبعد من مجاوريه خدمة له من حيث جدير وخدمة للقارىء الباحث عما يهمه استفادة واستزادة أو استمتاعا وخدمة ما ننشده من وحدة عامة يأتى الفكر فيها دعامة متينة ووحدة الفكر خاصة أو قبل العامة. ويصعب بعد ذلك النص بالأسماء والتفصيل على الأبواب. واذا كان ولابد فليكن تمثيلا وفى حدود العلم المتيسر لقارىء بعيد عن «**موضع الأحداث**».. ولا يكاد عمله يبعد عن الأدب والتاريخ وانه ليذكر لمن يهمهم أمر الجزيرة كلها ولابد من أن يكون لهؤلاء وجود: مؤلفات حمد الجاسر كلها تأليفا وتحقيقا ومجلة وعدداً من مؤلفات عبد القدوس الانصارى ومؤلفات أمين مدنى وحسين باسلامة وعبد الله بن خميس ومحمد

على مغربى (للحجاز فى القرن ١٤هـ) ويمكن ان نستخرج من المنهل على مدى نصف قرن سلسلة كاملة من الكتب ـ فهل؟.. ذلك فى العموم اما فى الخصوص فمؤلفات قائمة على مدينة بعينها: (جدة) للأنصارى.. (المدينة) لحافظ. (مكة) للسباعى.. (جازان) للعقيلى.

ومؤلفات قائمة على موضوع وليكن الصحافة وفيها «**تطور الصحافة**» لعثمان حافظ و«**موجز تاريخ الصحافة**» لمحمد ناصر بن عباس.. أما عمل الدكتور منصور ابراهيم الحازمى فى «**معجم المصادر الصحفية**(١) **صحيفة أم القرى**» فهو قدوة يحسن ويجب أن يسير عليها باحثون عرب خارج المملكة ونذكر كذلك «**الصحافة فى الحجاز**» للدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ.

ويطالعك فى تاريخ الأدب ـ فيما يطالعك: كتاب الدكتور ابراهيم بن فوزان الفوزان: «الأدب الحجازى الحديث» وكتاب الدكتور عبد الله الحامد: «الشعر فى الجزيرة العربية»..

ويدخل فى هذا الباب ما نشر من رسائل علمية فعلا.

وتدخل كتب عامة فى مناطق خاصة وبكتاب الصبان: أدب الحجاز حاجة الى طبعة رابعة، وحسناً فعلت تهامة إذ أعادت طبع «وحى الصحراء» وعلمت أن الاستاذ عبد الله ابن ادريس يستعد لاعادة طبع «**شعراء نجد المعاصرون**» بعد التنقيح والزيادة ويا حبذا لو بلغنا خبر مثل خبره عن كتاب الاستاذ عبد الرحمن العبيد: «الأدب فى الخليج العربى».

وإزاء من يهمهم الابداع شعراً: **محمد حسن عواد، حمزه شحاته، حسين سرحان، أحمد قنديل.. محمد حسن فقى.. محمد الفهد العيسى.. ناصر بوحميد** ويدخل الشباب ميدان الشعر الجديد كما دخله زملاؤهم فى الأقطار الأخرى.. ويتقدمون حتى إذا كان مهرجان شعراء الأمة للشباب وقد عقد ببغداد ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤ حاز شباب السعودية المساهمون التقدير والاعجاب والتعجب فكانوا دليلا جديداً على إمكان «تصدير» الأدب السعودى.. ومن ثم اصدرت مجلة الأقلام العراقية ملفاً خاصاً بالقصيدة الجديدة فى السعودية (العدد الثامن آب ١٩٨٤) ويمكن ان يجمع فى «نقد الشعر» ما يهيىء كتابا جيداً.

وتتقدم القصة وتتطور قصيرة وطويلة.. لدى الكهول والشباب.. وتدخلها المرأة وتكتب أمل محمد شطا قصة طويلة ممتعة هى: غداً أنسى.

ونما مع القصة شيىء من نقد القصة وللحازمى فيه مكان مرموق أقرأت كتابه عدداً من المهتمين بالقصة فقدروه عاليا.

وللمقالة تعليما او قصداً الى الابداع مكان خاص هو ثمرة الصحافة فى نشاطها وتنافسها وتأثرها بالجيد من الصحافة العربية. وكتابها كثيرون وحسنا كان العمل على الجمع وإصدار المجموعات فكان من ذلك ما قرأنا: للسباعى وسرحان وزيدان.. وأبى عبد الرحمن بن عقيل الظاهرى.. وعبد الله جفرى.. وفاتنة امين شاكر..

ويحتل الاستاذ عزيز ضياء مكاناً مرموقا فى الترجمة عن الانكليزية وقد جاءك فيما جاءك نبأ ترجمته «قصص من سومرست موم» وغيرها وليس الذى يترجمه الاستاذ عزيز ضياء محلياً خاصاً بالمملكة فهو للعرب كلهم.

ومثله أعمال يصنعها أدباء باحثون محترمون ومن ذلك كتاب الدكتور الحازمى عن «محمد فريد أبو حديد» ويمكن أن تخرج سلسلة «المكتبة الصغيرة» التى تصدرها دار الرفاعى الى العالم الواسع ويزداد الامكان بعناية خاصة بمعنى التصدير.

وأكرر أنى أتحدث فى حدود علم محدود وعلى وجه من الاختصار والتمثيل والقليل يدل على الكثير وحانت فرصة اطلعت فيها على بحث للدكتور عبد الله محمد الغذامى بعنوان «**بحث عن الشعر الحر والموقف النقدى حول آراء نازك الملائكة**» فكان أصيلا لا يستغنى عنه باحث عربى.

وعليه وتعويضاً عن الفائت واستدراكا للنسيان واستكمالا للصورة يحسن الرجوع الى الفهارس التى يصدرها الدكتور يحيى محمود ساعاتى وانها لدليل أمين وتصلح قدوة للعرب خارج المملكة ثم دليل الكاتب السعودى الذى أصدرته جمعية الثقافة والفنون والادلة كثيرة بعد ذلك والى أعداد مجلة «**عالم الكتب**».

وبقى أن نشير بصدد ما يهم القارىء العربى عموماً الى التحقيق الجامعى وتبدأ طليعته بالدكتور عبد العزيز الخويطر ويثنى الدكتور أحمد محمد الضبيب ثم «ينهمر» المطر فتتبناه الجامعات وتكون له مراكزه الخاصة وثمراته المهمة عادة.

ونلمح الى ما شرعت السعودية ـ ممثلة بمؤسسة «تهامة» ـ تنشره لباحثين من خارجها فكان من ذلك «لغويات» النجار و«الشعر المعاصر» للسحرتى وسلسلة للكتاب اليمنى.. وأسهمت دار الرفاعى فى معالجة موضوعات «عربية» اجتذبت لها مؤلفين «عربا» ويذكر على سبيل المثال كتابها: الزيات والرسالة.. هيكل والسياسة.

والقائمة تطول.. ولابد من أن يكون فى قوائم دور النشر ما هو أهل لأن يخرج خارج الحدود بوجه من التميز وحاجة من هم فى الخارج اليه استفادة وانتفاعاً.. واستمتاعا.. وقد قلت إنى مقتصر فى كلامى على الأدب والتاريخ ولكن لابد من الاشارة الى كتاب «مشاهير علماء نجد» للشيخ عبد الرحمن آل الشيخ، و«علماء نجد» للشيخ عبد الله البسام ـ ولا أجمل من «شيخ» يلتزم الموضوعية.

ثم من يستغنى عن المخزون اللغوى الذى ..... به أبو تراب الظاهرى حد التعجيز ودراسة دينية على منهج حديث: الوحدة الموضوعية فى سورة يوسف للدكتور حسن باجودة.

ويستطيع القارىء أن يقف على عالم أوسع بالرجوع الى ما تثبته «تهامة» من اصداراتها فى خاتمة أى من مطبوعاتها.. وتتسع الدائرة الى الاقتصاد وعلم النفس والعلم الصرف.. وكتب الناشئة والأطفال.

ومناسب أن تتوجه أقسام المكتبات فى الجامعات بدراسة الحال دراسة علمية جادة تصل فيه الى ما جرى استقباله من الكتاب السعودى خارج السعودية عن طريق الاهداء وما كان له صلة بالقادمين والخارجين منها واليها من اساتذة وزائرين وعاملين مثقفين.. وما تتوفر فيه الصفات اللازمة للتصدير فيما هو مطبوع فعلاً ثم ما صدر فعلا.

أجل فمن الكتب السعودية ما خرج «تجاريا» بوجه وآخر عن الحدود وعلمى فى هذا قليل وقد تكون «تهامة» مرشحة لأن تقول كلمتها فهى إحدى الدور الجادة فى الموضوع ـ موضوع إخراج مطبوعاتها خارج الحدود ـ ولابد من دور أخرى لا يبلغها علمى.. ثم دراسة عن الكتاب السعودى فى المعارض العربية خارج المملكة.

ويبقى ميدان آخر للدراسة هو الكتاب السعودى الذى طبع أصلا فى الخارج. وهذا الكتاب درجات الأولى ـ التى لا تهمنا ـ هنا ـ كثيراً، ان يطبع الكتاب فى مصر او لبنان ويحمل كاملا الى بلاده، هذه الدرجة مبكرة جدا وكانت تتولاها الحكومة منذ عهد الملك عبد العزيز ثم تضاءلت فى الوقت الحاضر.

واخراها أن يطبع الكتاب السعودى فى قطر عربى ويتولى ذلك البلد توزيعه فى العالم، ولا أحسب ذلك

وقع فى مصر على وجه الوضوح بل انه وقع نادراً ولقى نجاحاً يذكر ومن ذلك مؤلفات الاستاذ حسن عبد الله القرشى التى صدرت عن دار المعارف فكانت مناسبة لتوزيع على وجه واسع اسهم فى إعادة طبع بعضها.

وتبدو الظاهرة ـ وهى محدودة حتى لو اتسعت ـ على شكل أوسع فى الكتاب السعودى الذى طبعته لبنان ونعود معه ـ مرة أخرى ـ الى الاستاذ القرشى، وهو فى سعيه الخاص يهيىء لكتابه هذه الفرصة ولابد للذى يطبع فى لبنان على اتفاق فى التوزيع من أن يجد مجالا ويبقى النقاش فى مدى المجال هذا وأحسب أن الاستاذ القرشى لو اقتصر للتوزيع الواسع على المجلد الثانى من مجموعة أشعاره الكاملة للقى استقبالا أكثر.

وأكثر من طبعَ فى الخارج (لبنان) ووزع فى العالم العربى **«سميرة بنت الجزيرة العربية»** وقد وجد الشباب والشواب من «المراهقين» خاصة شيئا مما يبحثون عنه فى القصص التى تصل اليهم أنيقة مثيرة ـ ولكن آثار «سميرة بنت الجزيرة ليست مقياساً وليست مثلا أنموذجياً للكتاب السعودى».

وجرت ـ أخيراً ـ محاولة طبع الكتاب السعودى فى تونس فطبعت كتب باشميل وطاهر زمخشرى وعبد الله جفرى ـ ولا ادرى مدى ما حققت.

عزيز ضياء

د. منصور الحازمى

عبد الله بن ادريس

ان طبع الكتاب السعودى يهيىء على أية حال قارئا غير سعودى ويبقى مدى ذلك مادة لدراسة علمية. ولكن المطلوب الأول: هو الكتاب السعودى الذى تطبعه السعودية ويخرج عن حدودها.



وأحسب أننا رأينا ـ ضمناً ـ ردود الفعل فعل الخارج عندما يصل اليه الكتاب السعودى المؤلف سعوديا المطبوع سعوديا. ليس كل ما طبع أهلا لأن يخرج ويلقى التقدير ولكن فى الكثير الذى طبع وخرج لقى التقدير والاعجاب فخدم المؤلف والناشر والبلاد ولكن هذا الذى خرج قليل ولم يتعد ـ فى غالبه ـ الوسائل الشخصية وعلى رأسها الاهداء أو الاستهداء.

وقيمة هذه الاستجابة أن تدخر أساساً وخميرة ودليلا وأحسب ـ فى ضوئها ـ أن الاستجادة تزداد لدى العناية بالايصال الى عالم أوسع وعدد أكبر بشرط الحرص على الجودة وأحسب ـ كذلك ـ خلال تجارب خاصة وعلم بطموح المؤلف السعودى والناشر السعودى ـ ان دائرة الكتاب السعودى فى الخارج تتسع مع الأيام وان المستقبل فى مصلحته ما بقى الحرص على الجودة والاحساس بالمنافسة الخيرة.



والمقترحات قليلة ـ وكثيرة وشيىء منها ضمنا وعرضا.. ويأتى على رأسها التفكير الجدى بالجودة وبالموضوع الواسع أو المحلى الموسع المعمق وبالقارىء فى حاجاته ورغباته محلياً وعربياً مادة وأسلوبا ـ ولا اشك فى أن شيئا من هذا قد حصل ولابد من أن يكون كتاب المستقبل خيراً من كتاب الحاضر ـ ولابد أحيانا من حسن الظن وأفضل للبدء المنهجى اعداد سلسلة من المختارات: الشعر..

القصة . . المقالة . . النقد . . الترجمة . . صفحات من التاريخ . . صفحات من البلدان . . من تراجم الأعلام .

ويبقى الجد فى ايصال العطاء الى الخارج بسبله المختلفة مع الاصدار وحساب الخسارة فى اول الأمر.

وقد ذكرنا وسيلة الاهداء ولا نريد ـ هنا ـ أن نستهين بها ولا سيما لدى البداية وإذا أحسن اختيار المُهدَى اليهم من علماء وأدباء وباحثين ومن جرائد ومجلات ومن مكتبات عامة ومكتبات جامعات.

والاشتراك بالمعارض التى تقام فى الأقطار العربية وسيلة أخرى للتعريف والايصال واجتذاب «هواة» الكتب ـ وقد لاحظت تقصيراً فى هذه الناحية ونكرر لدى التنفيذ التشدد فى اختيار الكتاب المعروض.

وإغراء دور التوزيع العربية وسيلة مهمة وأول الاغراء المفاتحة فكثير من هذه الدور مشغولة بما لديها ومنها مالايعرف عن الكتاب السعودى شيئا . . وثانيه التسهل بالنسبة المئوية المستوفاة وبالمرجوع . . الخ ـ وذلك ضرورى فى أول الأمر.

وخطوة يمكن ان تنفذ دون أن تكلف كثيراً وهى ان تتصل دور النشر السعودية مباشرة بدور النشر العربية وتتفق وإياها على نوع من المقايضة ترسل دور النشر السعودية قوائمها وتعريفا بمطبوعاتها وتتلقى من الدور العربية قوائمها وتعريفاً بمطبوعاتها ثم يتم الاتفاق على التصدير مقابل الاستيراد . . وأحسب أن هذه الخطوة ضرورية فى هذه الأيام خاصة حيث تضطرب الأوضاع فى بعض الأقطار وتضطرب العملات كذلك وتختلف الأنظمة كذلك.

ولابد ـ فى نتيجة الحساب ـ من تفاهم بين الناشرين السعوديين أنفسهم ومن اتحاد لهم ويتولى هذا الاتحاد مهمة خدمة الكتاب السعودى داخلا وخارجا ويأخذ على عاتقه التفكير بالسبل المناسبة.

لست أدرى ماذا كان يدور بخلدى حين حملت اليراع وقررت أن أكتب فى هذا الموضوع سوى أننى رأيت الفكر فى واد ونحن فى وادٍ آخر. ولمست أن الفكر الذى كان محلقاً بأجدادنا قد حط رحاله بنا ولا أريد أن أقول بهذا الصدد ما قال شاعرنا القديم :

ورثنا المجد عن آباء صدقٍ
أسأنا فى ديارهم الصنيعا
إذا المجد الرفيع توارثته
بناة السوء أوشك أن يضيعا

فلم نبلغ هذه الدرجة من (السوء) ولأننا ـ بحمد الله ـ نعيش ضمن مجتمع يحترم القيم ويتصرف من خلال الدين الحنيف وينطلق فى تجربته من منطلقات طاهرة مباركة . . ولكنى أقول إن الفكر لم يعد محلقاً (بنا) مع أنى لم أفقد الأمل فى أن يستعيد مجده ويحلق من جديد فى ظلال حضارتنا العربية المسلمة من جديد.

أما لماذا خطر المنطق بالذات على خاطرى؟ . . وهو ـ العلم الذى لم أدرك كنهه بعد ـ حتى بعد أن ولجت بابه وحاولت التشبث فيه حقبة من الزمن . . وكل ما عرفته منه وعشت فيه . . أنه أداة التفكير ومفتاح العلوم . . فلست أدرى . . ترى هل هذا كاف فى تصور القارىء العزيز ليكون دلالة (واعية) عليه؟ .

والخلاصة واذا تركنا كل شىء من جيد وردىء وبداية وتطـور ومحلى وغـير محلى . . يبقى فى الكتـاب السعودى ما هو صالح للتصدير وما يجب أن يصدر خدمة للخارج والداخل وأقل ما فى الخدمة العامة الوحدة الفكرية واتصال الوشائج فى تكوين الشخصية العربية

المنطق من زوايا أربع

احمد جبر

الأردن

أم لأنه شىء (ربما) يحل قضايا الحياة ويعالج مضمونها ويبحث فى جوهرها بصورة (سهلة) أو بالغة التعقيد . . ؟ الله أعلم .

وما دامت قوانين الفكر الانسانى ثلاثة :

(١) قانون الذاتية : ومضمونه أن الشىء هو نفسه ولا يمكن أن يكون شيئاً غير نفسه . . ولو اعتبرنا الشىء (أ) لكانت (أ هى أ) . وفى هذا صورة ايجابية للمنطق وعنه .

(٢) قانون عدم التناقض : ومضمونه أن الشىء لا يمكن أن يكون ذاته ونقيضه فى آن واحد . . وهذا يعنى أن (أ) لا يمكن أن تكون (أ وليست أ) فى ذات

الوقت. وهذه الصورة من المنطق تعتبر صورة سلبية.

(٣) قانون الوسط الممتنع أو الثالث المرفوع: وفحواه أن الشيء إما أن يكون نفسه أو لا يكون نفسه فى ذات الوقت.. بمعنى أن (أ هى ليست أ) وهى صورة شرطية من صور المنطق؟.

● أقول انه ما دامت قوانين الفكر الانسانى أى أسس هذا الفكر (ثلاثة) وهى الأسس التى يقوم عليها (علم المنطق) فلماذا نعالج هذا الموضوع من (أربع) زوايا..؟ وهل رائدنا فى ذلك (منطلقنا) سليم وصحيح..؟ - وإذا كان الواقع كذلك - فأية درجة من الصحة التى يرصدها هذا الواقع.؟ وكيف نصل الى مثل هذه النتائج دون تحليل وبحث مستفيضين يضعان الأمور فى نصابها ويؤكدان صدق القضية التحليلية جملة وتفصيلا. وللتأكد من صدق القضية التحليلية ينبغى أن يوجد اتساق بين مفهوم المحمول(١) والموضوع(٢) وإذا انعدم هذا الاتساق تعتبر القضية كاذبة. مثلا «**المثلث سطح مستو ذو ثلاثة أضلاع مستقيمة ومتقاطعة**»(٣) نجد أن المحمول يتسق مع الموضوع وهو المثلث ولذلك تعتبر هذه القضية صادقة لكننا لو قلنا أن «**المثلث شكل ذو أربعة أضلاع متقاطعة**»(٤) فإن الاتساق بين المحمول **(الرباعى)** والموضوع **(الثلاثى)** ينعدم وتصبح القضية كاذبة.

وسبيل التأكد من صدق القضية التركيبية يكمن فى مطابقتها للواقع لا سيما إذا كان هذا التطابق شاملا أو كاملا.

فهل كان قصدى حين أردت علاج المنطق من زوايا (أربع) أن أخالف المنطق..؟ ما أؤكده وأجزم عليه بل وأشدد هو أن هذا لم ولن يكون قصدى. إذن ما القصد من الزاوية (الرابعة)..؟ أن أجد منطقاً جديداً مثلاً وكيف..؟ أن أصل الى مفهوم يثرى المفاهيم القديمة التى تعرف عليها الناس واستساغوها وساروا على نهجها فى الفكر منذ مئات السنين..؟

●● هذا ما أردت أن أبينه من خلال دراستى لهذا الموضوع وتتبعى لحيثياته للسببين الآتيين:

أولا: ان القضايا الفكرية (المحضة) فى المنطق المادى الجدلى الواضح غير قضايا الرياضيات.

ثانيا: ان المنطق الصورى الأرسطوطاليسى المنهجى لا يتسق ومنطق الاستقراء والتجريب الذى سارت عليه أمتنا فى عصور الازدهار العلمى وهى فى أوج حضارتها وهو ما يسمى بالمنطق المادى المثالى.

لذلك فقد أضحى فى حكم المؤكد أننى لست أزعم أن المثلث أصبح مربعاً لكننى مع وجود المثلث ذى الاضلاع الثلاثة والزوايا الثلاث أيضاً لا أستطيع إنكار الشكل الرباعى (المربع) والخماسى (المخمس) والسداسى (المسدس) والسباعى (المسبع) والثمانى (المثمن).. الخ.

وفى هذا نظرة **(إضافية)** تزيد عن أربع زوايا إلى ما شاء الله من الأشكال والأنماط المنطقية الواقعية المتواجدة فى جوهر الأشياء وأشكالها.

أليس هذا المنطق وليد الصورة التى تنبع من خلال

الفهم الأعمق للأشيـاء . . الأعم والأشمـل؟ ومن خلال الاطلاع الواسع على منطق الأشياء . ؟ والرؤية الشفافة لعناصر الطبيعة والموجودات والقيم؟ . حتى فى الـريـاضيات فإن أصل الأشكال الهندسية كلها **خـط** يتحول الى خطوط بل هو أبسط من ذلك إنه (**نقطة** تتحـرك فترسم الأشكال كلها) وعليه فلماذا نحصر المنطق فى دائرة ضيقة . . ؟ ونحدده؟ لماذا لا نعتبره كالأفق رحباً . . واسعاً . . وعلى امتداد الرؤية . . ؟

وكيف نبلغ هذه المرحلة من النضج والتقدم إن لم نرجع الى الأصول ونبنى عليها . . ؟ مثلنا إن لم نرجع الى الأصول كالذى يبنى بيتاً يرتفع فى الفضاء أدواراً سامقة عالية دون أن يقيم أساساً لهذا البنـاء . . والأساس لا يكون إلا بالحفر والحفر حتى القرار حتى الصخر الذى يعنى القوة والمتانة والتحمل ليقف عليها المحمول (البناء) .



وهذا الكلام منطقى وصحيح ومعقول إذ لابد من الرجوع إلى الأولويات الثابتة نرسى عليها بناءنا ونجعلها نقطة انطلاق فى مسيرتنا الفكرية . . وهل أثبت من الدين أساس تقوم عليـه أفكارنا . . ؟ وتنطلق من خلاله دعوتنا إلى الـوجـود معـاذ الله أن يكـون هناك أثبت أو أقوى أو أمتن منه . وهل أعز من رسالة السماء لتكون دستوراً ومنجى ومعتصماً بل ملجأ ـملاذاً ومناراً هادياً يعتمد عليه فى ترسيخ بناء الحياة الشامخ .

فهل أخطأت . . ؟ إن كنت قد أخطأت فحسبى أن من حاول الاجتهـاد فأخطأ فله أجـر واحد ومن أصـاب فله أجـران . . من أيهـما أكـون . . ؟ لست أدرى . ولكنى آمل أن أكون مصيباً وأدعو الله سبحانه وتعـالى أن يوفقنى إلى مرضاته فى هذا البحث . . وسأحـاول أن أركـز على مفهـوم المنطق من زاويته الـرابعـة من خلال ست تطبيقـات جدليـة وراجيـا القـارىء العـزيـز أن يتكرم علىّ بالمزيد من الصبر والانتبـاه وعـذراً إن نسيت أو أخطأت سائلا المولى سبحانه أن يهدينى إلى سواء السبيل .

التطبيق الأول: لما كانـ ـنارة الاسكندرية من المنائر المشهورة فى التاريخ وهى تنشر ضوءها ليلا فتعطى أربعة معان أو مفاهيم :

أولها : هداية السفن إلى موقع الميناء . . وهو معنى انسانى نبيل تجاه السفن الغريبة .

ثانيها : لحماية السفن الراسية فى الميناء . . هو يعطى معنى التخوف والتحوط .

يليهما منطقان متضادان هما :

ثالثها: المنارة دلالة على الحضارة والرقى الاجتماعى وفيها شموخ وكبرياء وهو معنى مجرد لم يقصده الناظر الى المنارة رغم أنه يتعرف إليه بالمقارنة مع الموانىء التى لا يوجد بها مثل هذه المنارة.

رابعها: المنارة علامة على وجود الأسطول الذى يحمى الزمار ويرهب الأعداء.

التطبيق الثاني: زهرة الياسمين التى يقول فيها الشاعر وأظنه (البهاء زهير).

وياسمين قد بدت
أشجاره لمن يصف
كمثل ثوب أخضر
عليه قطن قد ندف

- لونها: أبيض ناصع.
- رائحتها: شذية عطرية.
- محيطها (ثوبها): أى الساق التى تحملها والأوراق التى تحيط بها وهى خضراء.
- طعمها: الرحيق الحلو الذى تعيش عليه النحلة لتعطيه لنا قوتاً (عسلاً مصفى) ﴿**فيه شفاء للناس**﴾.

التطبيق الثالث: الماء الذى يقول فيه البارى ﴿**وجعلنا من الماء كل شيىء حيّ**﴾

- لونه لون الماء (ما هو موضوع فيه)
- طعمه. طعم الاناء
- رائحته.. رائحة المواد (المطعم بها).
- شكله.. تجسيمه تجسيده شكل الحيز الذى وضع فيه.

التطبيق الرابع: حياتنا المعاصرة ولابد هنا من الإشارة الى مقال سابق لى بعنوان: ظاهرة اللؤم فى القرن العشرين يبين فضل هذه الأمة على سواها. إذ لابد من البحث فى:

- أخلاقنا.. معطياتها ومدلولاتها المستمدة من قوله تعالى: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر**﴾.
- سلوكنا: ومدى انطباقه الفعلى على أخلاقنا.
- تأثرنا بالمحيط (أمماً شعوباً).
- تأثيرنا فى غيرنا من الأمم والشعوب.

ترى
هل نستطيع
أن نستقرئ المنطق
من زوايا
جديدة؟

التطبيق الخامس: الخير والشر: ولماذا كان الخير خيراً؟ ولماذا كان الشر شراً؟ وأيهما أسبق إلى فطرة الانسان وهو (الخير).

- الخير: العنصر النقى النافع الذى لا تأثير للشيطان فيه، كيف نفعله؟
- الشر: العنصر الملوث الضار الذى للشيطان فيه دور كبير.. كيف نتجنبه؟.
- سند الخير: ما يؤدى إليه وما يدعم وجوده.
- سند الشر: ما يقود إليه وما يؤكد وجوده وكيف.

التطبيق السادس: أدبنا قديمه وحديثه (شعرا ونثراً).

- فاعليته فى النفوس وتأثيره
- ضياعه وعدم الاهتمام به من قبل العامة.. ولماذا؟



ـ بنائيته وما يقدم للنفوس من زاد فكرى مفيد.
ـ عوامل الهدم فيه وكيف نشأت؟ وكيف يمكننا التغلب عليها.

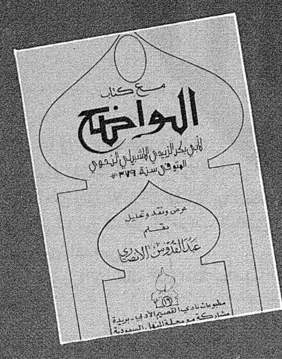
■■ نتيجة لهذه التطبيقات المنطقية ـ على المنارة وزهرة الياسمين والماء وحياتنا المعاصرة والخير والشر وعلى الأدب وهى أشياء موجودة فى الواقع.. الثلاث الأولى لها حضور جسمى.. والثلاث الأخيرة لها حضور معنوى.. بمعنى أن الأولى تأخذ حيزا مكانيا.. والثانية تأخذ حيزا فكرياً ـ نجد أن المنطق كالشجرة الباسقة التى لا يمكن تحديدها بثلاثة أغصان وأن لها امتدادات كثيرة من الفروع الصغيرة والثمار والأوراق يصعب عدها وحصرها.

■■ من هذه النقطة دخلت الى المنطق (زاويته الرابعة) التى تذكر الناس بها أغفله (أهل المنطق) على مدى حقب التاريخ أو غفلوا عنه (ربما بحسن نية) والتى فى تقديرى: أنها تفتح أمامنا مغاليق الكثير من أبواب الحياة (العلمية الخصبة) على مصاريعها لا سيما وأن المنطق أداة الفكر ومفتاح العلوم.

■ إنى أفكر بذلك (ولست أدرى إن كنت أفكر وحدى أو أن هناك من يفكر بمثل هذا الاسلوب) خدمة للعلم والأدب أردت بها وجه الله طالما كانت أمتنا قادرة على الاشتغال بالعلم باسلوبها الاستقرائى التجريبى الذى تفوقت به على كل أمم الأرض فى غابر الزمان.

(١) المضمون أو الدلالة أو الفحوى (النتيجة).
(٢) مدار البحث أو القضية ذاتها.
(٣) كتاب المنطق الثانوى لمؤلفه سماح محمد رافع ـ القاهرة، ط أولى ١٩٦٦م.
(٤) المصدر السابق.

الجديد من الاصدارات



تزامنا مع الذكرى الرابعة للأستاذ عبد القدوس الأنصارى وعملا على نشر التراث العربى...

أصدر نادى القصيم الأدبى بالتعاون مع دارة المنهل كتاب: «الواضح لأبى بكر الزبيدى الأشبيلى» تحقيق الدكتور عبد الكريم الخطيب.. قام بدراسته وعرضه وتحليله ونقده الأستاذ عبد القدوس الأنصارى.. الكتاب دراسات فى علم النحو والصرف وبعض مسائل اللغة..



لقد كنا فى حقيقة الامر أومأنا الى هذه المسألة أكثر من مرة فى أكثر من موطن ونود الآن التوقف لديها انطلاقا مما وقع لنا من أشعار الاعراب البادين وأخبار المؤرخين القدامى.

وسنجتزىء فى هذه الدراسة بتقديم أسطورتين اثنتين عربيتين:

أولاهما: زواج عمرو بن يربوع بالسعلاة.
وثانيتهما: زواج الهدهاد من الجنية فارعة.

سعلاة عمرو بن يربوع

من أشهر الاساطير العربية التى تحكى حول زواج بعض الاعراب من السعالى ما ذكر فى مصادر كثيرة من أن عمرو بن يربوع بن حنظلة تزوج سعلاة فمكثت لديه زمنا أولدها فيه بنين، ولكنها شاهدت يوما برقا على بلاد السعالى فطارت الى أهلها الذين كانوا زعموا له أنه سيجدها خير امرأة ما لم تر برقا(١) وكانوا يزعمون ان السعالى تمقت البرق فتفر منه.. وقد أنشدوا لذلك شعرا(٢) وقد سجل هذا المعتقد الشعبى علباء بن أرقم فقال:

يا قاتل الله بنى السعلاة
عمرو بن يربوع شرار النات(٣)

وانما كانوا شرار الناس لانهم استطاعوا أن يجمعوا بين الشرين: شر الانس.. وشر الجن؛ وذلك أنهم كانوا يزعمون أن الجن أذكى من الانس فان تزوج إنس جنية أى سعلاة فان ولده يكونون أذكى خلق الله انسانا.

ولم نر أطرف من هذه الاسطورة ولا أغرق فى الخرافية فى الادب العربى منها:

الاولى: كيف يجوز لأنسى والحال ما تذكر الاخبار من أن «الاناسى» أضعف جلدا وأقل عددا وأقصر حيلة وأدنى ذكاء وأضيق طولا من الجن؟ فكيف تتزوج امرأة قوية قادرة على التحليق والطيران متمكنة من

دكتور
عبد الملك مرتاض
جامعة وهران (الجزائر)



كل الحركات الممكنة وغير الممكنة فى البر والبحر والجو، ذكية.. عاقلة.. لبقة.. لطيفة.. محتالة.. ماكرة.. خبيثة.. الى آخر الاوصاف التى تصفها بها الاساطير العربية بأعرابى جلف قاصر ذهنياً الى حد بالقياس اليها كان يجوب الفيافى ويضرب مغامرا فى القفار؟.

والثانية: كيف كان يجوز لعمرو بن يربوع أن يعرف أهل هذه السعلاة مع أن الغيلان فيما تزعم الاساطير تتغذى بلحم البشر؟. وكيف كانوا عقلاء معه متحضرين فى سلوكهم.. انسانيين فى معاملتهم فهل كان ذلك لمجرد انه تزوج سعلاة منهم أو أن أطوارا كانت تعتورهم يستحيلون فيها الى أناس يعقلون؟.. ولكن كيف هذه الاطوار لا تكاد تعتورهم ولا تخامرهم فيما نعرف من سيرهم وأنبائهم وكيف اذن وقع هذا الحظ السعيد المجيد لهذا الاعرابى فاذا هو لا يقترن بسيدة من سيدات الجان فحسب وانما أتيح له أن يعرف قومها فيعرف ايضا الارض التى كانوا بها يقطنون واللغة التى كانوا بها يتحدثون؟.

والثالثة: ثم كيف أتيح لها أن تقيم بديار قومه فتطيل المقام وقد كان ذلك بقدر الزمن الذى أنجبت فيه عدة أطفال(٤) أى بقدر عدد من السنوات قد لا يقل عن أربع أو خمس افتراضا دون أن تصادف برقا مومضا مع ما نعرف من العواصف التى لا تكاد تزايل الطبيعة الصحراوية شتاء وصيفا وربيعا وخريفا؟ فكيف استطاع هذا البرق أن يغيب؟ أو كيف استطاع عمرو بن يربوع أن يحول بينها وبين رؤية البرق طوال تلك الفترة مع ما نعرف من هشاشة الخيام التى كانوا بها يقطنون؛ ثم مع ما نعرف من ان الضوء كان قادرا على اكتساحها متى شاء ومن حيث شاء: دون أن يلقى ممانعا أو يلقى معارضا؟.. بل كيف لم تفكر هذه السعلاة فى أهلها الا لحظة رؤيتها البرق؟.. ثم كيف يعقل أن تسلو عن فلذات أكبادها - اذا كانت حقا كائنا سامى العواطف - بهذه السهولة العجيبة التى تطير فيها غير لاوية على شىء وغير مفكرة فى شىء الا ذاك الوجه من أرض اهلها؟.

والرابعة: أين هذه الارض التى تذكرها الاسطورة: فهل هى حقا أرض تنتمى الى عالم الجغرافيا أم هى مجرد أرض خرافية يستوى فيها البعد واللابعد.. وتلتقى عليها المساحة واللا مساحة.. ويغيب فيها كل ما يجب أن يحضر فى أرضين ذوات وديان وجبال او ذوات سهول ورواب؟.. فأين اذن هذه الارض التى وصفت بانها «بلاد السعالى»(٥) أتوجد ضمن الكرة الارضية أم ضمن عوالم أخرى نجهلها ولا نعرفها ونتخيلها ولا نتحققها؟.

ذلك كله ونحن نناقش هذه الاسطورة من موقع المنطق؛ اما حين نعيد الكرّة اليها بالرؤية الساذجة والمجاراة البريئة فانها حقا رائعة وروعتها تتمثل فى أن مجرد أعرابى محروم استطاع أن يشغف هذه السعلاة حبا فتستحيل شراستها لطفا.. وقساوتها لينا..

وبطشها رحمة.. وخشونتها رفقا.. وكل ما لا تشاء ما تشاء.. فاذا هى فتاة تبادل هذا الرجل الانسى الحب بالحب.. وتعلق منه أطفالا تضعهم له.. وتندمج مع نساء الحى.. وتصادقهن فتصدقهن الود فتزور وتزار.. كل ذلك وهن يعلمن انها من بنات الجان بل انها من شياطين هؤلاء الجان وشرارهم.. ولكن بفضل هذا الحب السامى استحال المستحيل الى ممكن.. والشر الى خير.. والعداوة الى صداقة..

والبغضاء الى مودة.. فقد أقلعت هذه السعلاة عن عبثها القديم بالسفّار وازعاجها للنوام وقررت العيش فى ظل النظام الانسى.. لقد قررت أن تسير وكانت من قبل تطير.. وقررت أن تظهر للناس على شكلها الحقيقى وكانت من قبل تتحول فى ألف لون وتظهر للناس فى ألف صورة.. ثم قررت أن لا تؤذى وكانت من قبل سعلاة شريرة خبيثة لا شىء ألذ لديها من العبث والمكر والكيد والاستدراج.

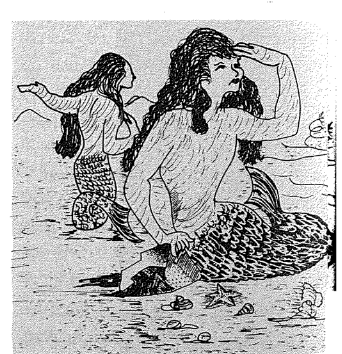
ولكن ما بال ابن يربوع يخلّى بينها وبين هذا البرق الذى أومض على جبال أهلها؟.. انه البرق المشؤوم الذى مزق حبل هذه الاسرة وترك صبية بدون أم وقطع السبب الى الابد بين هذا الزوج المغامر وهذه البعلة التى لا ندرى كيف تخلصت رجلاها من صفة الحافرية التى تلزم الدواب ولم تستطع الغيلان والسعالى التخلص منها فى أى حال من احوال تلونها؟.

ولكن الذى نلحظ على هذه الاسطورة انها قدمت الينا فى شكل مادة خام أى أنها قدمت فى شكل خبر مقتضب ومضمون خرافى مركز: فهى كل شىء الا أن تكون أسطورة بالصورة التى ألفنا عليها قراءة الاساطير العربية او العالمية. فكأن الذهنية العربية كانت لا تبرح غير قابلة لتقبل الاساطير بالطرق السردية التى طورها فيما بعد القصاص وأصحاب الاسرائيليات من أمثال عطاء بن السايب ووهب بن منبه وكعب الاحبار سامحها الله.. كما يعبر ابن كثير فيما نقله الى هذه الامة من أخبار بنى اسرائيل من الاوابد والعجائب والغرائب: مما كان وما لم يكن(٦).

ان هذه الاساطير كانت لا تزال الى ذلك العهد توجز فى بيت واحد أو عدة أبيات من الشعر - وكل هذه الاسطورة على أبعادها العميقة وتخطيها لكل المفاهيم وثورتها على المعتقدات التى تذهب فى معظمها الى أن «الجن» لا ترى وجرأتها على تحويل القيم من طور الى طور فانها أوجزت فى بيت واحد من الشعر زعم الرواة أن معاد الضمير فى «رأى» يعود على الضيف الذى يقصد به عمرو بن يربوع زوجه السعلاة:

رأى برقـا فأوضـع فوق بكـر
فلا بك ما أسـال ومـا أغـاما

وربما حفظ هذا البيت وعنى به الناس لمجرد ان النحاة العرب ألفوا فيه شاهدا على ضبط بعض قواعدهم وتثبيتها في الاذهان. ولكن ما لا نرتاب فيه أن عمرو ابن يربوع ان كان قد وجد حقا، أي ان لم يك مجرد شخصية من هذه الشخصيات الاسطورية فان هذا البيت او هذا البيت ونصفه (وقد زعموا أنه ضاع عجز البيت الثاني ونحن نعلم أن ليس هناك قوم أقدر على نحل الشعر الى غيرهم ودس القصائد الطويلة ونسبتها الى شعراء دون أن تكون من شعرهم ودون أن يستطيع النقاد أن يهتدوا الى ذلك في كل الاحوال وبأيسر الطرق - من رواة الاخبار ونقلة الاساطير فكيف تورعوا عن اتمام هذا البيت باضافة صدره اليه وهو أيسر ميسور لو لم تكن هذه النية مقصودة من أجل اقناع الناس بأن هذا الشعر صحيح وان الرواية أمينة وان الرواة ضاع منهم الصدر حقا فزهدوا فيه على مضض حملهم عليه صدقهم وأمانتهم وتورعهم؟) يوجز أسطورة كبيرة في حيز صغير.



والحق ان ابا زيد لم يزد في نوادره على ايراد هذه الاسطورة هو أيضا قبل أن يروى هذا البيت في أقل من ثلاثة أشطار(٧).

فكأن اللغة الفنية المتخذة للسرد لم تكن قد استوت على نحو كان يسمح للرواة من التعبير عن هذه الاساطير وروايتها في شكل يشبه أساطير ألف ليلة وليلة فيما بعد أي يوم نضجت اللغة الفنية واستوت العربية اداة للسرد الرفيع.

فالاسطورة هنا تقدم في ثوب يشبه الرواية الحقيقية للاخبار الصحيحة او المفترضة كذلك فالجاحظ مثلا يورد هذه الاسطورة قبل اثبات البيت الشعرى الذى جئنا عليه منذ حين في صورة خبر صحيح حين يقول: «وذكر أبو زيد عنهم أن رجلا منهم تزوج السعلاة وأنها كانت عنده زمانا وولدت منه حتى رأت ذات ليلة برقا على بلاد السعالى فطارت اليهن»(٨).

فلم يكن هناك شكل فنى «للسرد الاسطورى» (الا هذه العقدة الفنية المتمثلة في ارتكاب المحظور أي في تعريض السعلاة لضوء البرق وأن الشر يحصل مجرد ارتكاب هذا المحظور) كما نلفيه فيما بعد.. اما في بعض المقامات الهمذانية او في ألف ليلة وليلة او حتى في رسالة الغفران لابى العلاء المعرى او حى بن يقظان لابن طفيل - فالاسطورة هنا شديدة التركيز كأن الرواة تعمدوا تقديمها خاما لتكون أبهر.. ولتكون أدعى الى التساؤل.. ولتكون أدنى الى الحيرة والاعتقاد جميعا - فليس هناك خيط واحد يمكن التمسك به من أجل الوصول الى حقيقة ما الا حقيقة الاسطورة:

فالاولى: أن رجلا منهم.. لا تعنى في الحقيقة رجلا بذاته قدر ما تعنى شخصية أسطورية قبل اى شيء آخر - والا فقد كان يجوز لابى زيد هذا أن يعزو الخبر الى شخص بعينه على الرغم من أن الرواة فسروا

هذا الشخص بأنه «عمرو بن يربوع بن حنظلة»(٩) عبثا.

والثانية: ماذا يعنى قوله: **«تزوج السعلاة» (هكذا بالتعريف العهدى)؟ فأى سعلاة؟. ومتى اقترن بها؟.. وأين كان ذلك؟.. وكيف وقع عليها؟.. وكيف شغفها هوى؟.. وما المهر الذى مهرها؟.. وما الشروط التى اشترطها عليه أهلها؟.. وكيف قبلوه انسيا بينهم وهم من الجن؟..** الى ما لا يحصى من الاسئلة التى يمكن أن تثار.. وانما تعمدوا كل هذا - كما كنا عللنا بعض هذا فى الفقرة الفارطة - للتهويل من الموقف وللترهيب ولجعل المتلقى لا يرتاب فى أمر الاسطورة التى تحكى له فى شكل خبر صحيح.

والثالثة: «وأنها كانت عنده زمانا» فأى زمان هذا؟.. فهل هو أعوام أو هو عشرات الاعوام؟.. ولم لم يحدد بأدوات الزمن الدقيقة كالشهر والسنة ونحوهما مثلا؟.

والرابعة: «وولدت منه» فماذا ولدت منه؟.. وهل هم بنون او بنات او هم بنون وبنات جميعا؟.. وهل كانوا يشبهون الانس أم كانوا يشبهون الجن؟.. وعلى انه لقائل أن يقول بأن «ولدت منه» يفسره تفسيرا زمانيا قوله الآخر: «كانت عنده زمانا» فيصبح من اجل ذلك المجهول معلوما والغامض واضحا.. ذلك بأن الزمن الذى يمكن أن تحمل فيه امرأة وتضع حملها معروف لدى الناس بحيث لا يقل عن تسعة شهور.. بيد أن هذا التفسير الاحتمالى لا يزيد هذا الامر الا تعمية والغازا ذلك بأن الراوية قال: «ولدت له» وسكت.. ولو قال: ولدت له ولدين او ثلاثة او أربعة أو واحدا بتحديد العدد لكان لنا أن نتمثل بعض هذا الزمن لا كله، ذلك بأنه يبقى عليه أن يحدد لنا عدد السنين التى مكثتها عنده ويستريح فيرح لأن أطوار النساء تختلف فمنهن المنجاب المكثار ومنهن المقلة المشحاح اذ منهن من تضع كل سنة ومنهن من تضع كل سنتين ومنهن من لا تضع الا بعد مرور بضع سنوات على الوضع السابق وهذا معروف فكيف اذن تكون حجة ما فى قوله: «وولدت منه»؟.

أسطورة زواج الهدهاد من فارعة الجنية

من أروع ما ذكر فى القرآن الكريم(١٠) من القصص وأجملها وأدعاها الى الاثارة وأكظها بالحركة وأفخمها مناظر واوسعها حيزا وأكثفها زمانا، قصة بلقيس كما يفسر المفسرون قوله تعالى: **﴿انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم﴾**(١١).

ولكن ما علاقة هذا بالاسطورة التى نود الحديث عنها والخوض فيها؟ ذلك أن هذه القصة العجيبة ازدجت بعض الاخباريين الى الذهاب أبعد مما ذهب القرآن فحاولوا التحدث عن أم بلقيس وأبيها وأسرتها والذى يعنينا فى كل ذلك هو أمها التى تزعم الاخبار القديمة انها كانت من الجن.

واذن فنحن لا نريد أن نعرض لهذه القضية العظيمة دينيا فذلك شأن كفاناه المفسرون قديما وحديثا وانما نريد التوقف فقط لدى شىء ليس له من العلاقة ببلقيس ملكة سبأ والتى تحدث القرآن الكريم عنها الا علاقة أمومة كما أسلفنا القول.. فقد زعم قتادة أن أمها كانت جنية وكان مؤخر قدميها مثل حافر الدابة من بيت مملكة.. وقال زهير بن محمد: هى بلقيس بنت ذى شرحيل بن مالك بن الريان وأمها فارعة الجنية.. وقال ابن جريج: بلقيس بنت ذى شرخ وأمها بلتعة(١٢).

أما المسعودى فى سياق حديثه عن اليمن القديمة فقد زعم أن بلقيس هى «بنت الهدهاد» وكان لمولدها خبر



طريف ذكره الرواة فيما روى انه تصور لأبيها فى بعض منصه حيتان: سوداء وبيضاء فأمر بقتل السوداء منهما.. وما ظهر له بعد ذلك من شيخ وشاب «من الجن».. وأن الشيخ زوجه بابنته واشترط عليه شروطا لها فعلقت منه ببلقيس.. ونقض تلك الشروط المأخوذة عليه لها فغابت عنه فى خبر طريف.(١٣)

ولم يتعد الزمخشرى فى بعض هذا فى كشافه حيث ذكر فى معرض حديثه عن بلقيس وقصة زواجها من سليمان بأن الجن كرهت أن يتم هذا الزواج من هذه الملكة ولأنها كانت بنت جنية... فقالوا له: ان فى عقلها شيئا وهى شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار(١٤).

وقد علق ابن كثير على ذكر هذا الخبر المتمثل فى سبب الكشف عن ساقى بلقيس وأنها كانت شعراء وان الشياطين هى التى كانت جعلت لها «صرحا ممردا من قوارير فيه السمك» [illegible] أنه «منكر غريب جدا ولعله من اوهام عطاء الله بن السائب على ابن عباس»(١٦).

اما أبو عثمان الجاحظ فقد أومأ الى بعض هذا فقال: «فمن هذا النتاج المشترك وهذا الخلق المركب عندهم بنو السعلاة من بنى عمرو بن يربوع وبلقيس ملكة سبأ» [illegible]

ولكن [illegible] اذا تتحدث عن بلقيس وهى فيما تزعم الرواة ونقلة الاخبار ابنة جنية فقط وليست سعلاة ولا غولا؟ والحق ان لا [illegible] الاصناف الثلاثة الا فى الاستحالة [illegible] الصورة.. لان ابا عثمان كان يرى [illegible] اذا تعرضت (....) [illegible] فهى شيطانة.. ثم غول [illegible] فى كلام العرب الداهية(١٨) فما هى اذن الا [illegible] الجنية وتتلون وتعبث واذا هى [illegible] الى صورة الشياطين التى تصبح قابلة للتغول. فكأن أدنى طبقة الغيلان الجن ثم الشياطين.

وبناء على هذه الملاحظة فى الفروق الدلالية التى أومأ اليها أبو عثمان فانه من حقنا أن نتحدث عن بلقيس التى تزعم الاساطير العربية وربما الاساطير الاسرائيلية التى كان وهب بن منبه وكعب الاحبار كما قرر ذلك ابن كثير نفسه (وكما يومىء اليه ايضا ابو عثمان فى بعض روايات نص كتاب الحيوان من أن كعب الاحبار كان ينتحل الاخبار حين يقرر: «وكان الشيخ يصنع الاخبار»(١٩) فى تفسيره(٢٠) من ان امها كانت جنية - يروجان لها.

ولما كنا نسلم بوجود بلقيس تاريخيا وأن القرآن الكريم لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى فان هذه التفاصيل لم تك الا من صنع أصحاب الاسرائيليات ونسجة الاساطير الذين دخلوا الاسلام ببعض ما كانوا يعتقدون او يعرفون فى الديانة اليهودية وبما كان فى كتبهم التى فضحهم القرآن العظيم بما بدلوا فيها تبديلا.

ومن الآيات على اسطورية قصة أم بلقيس وانها لا صلة لها بالجن ولا بالشياطين ولا بالأغوال:

(١) أن الاقدمين أنفسهم على ما نعرف من ورعهم وترددهم فى اتخاذ مثل هذه الاحكام فى مثل هذه المواطن نلفيهم اما يومئون الى هذه الاسطورية او يصرحون بها جهارا. فالزمخشرى حين يتحدث عن بعض هذه القضية يقول: «وزعموا أن الجن كرهوا أن يتزوجها فتفضى اليه بأسرارهم»(٢١) وذلك على أساس انها نصف جنية لان امها كانت قد علمتها حيل الجن وأسرارهم على الرغم من أن بلقيس فيما تزعم الاساطير ايضا لم تقم مع امها الا عاما واحدا ثم أسلمت امرها الى الكلبة التى لم تك الا مربية.. ونلاحظ ان الشيخ هنا اصطنع عبارة «زعموا» كما كان

عبد الله بن المقفع يصطنع فى روايات خرافات «كليلة ودمنة» حذو النعل بالنعل. ولا نحسب الشيخ هنا اصطنع الزعم بمعنى القول. . فمعرض حديثه هذا يأتى فى سياق الشك لا فى سياق اليقين.

اما ابن كثير فقد تحدث عن اسطورية هذه الاخبار المتصلة بأم بلقيس فقرر أن: «الأقرب فى مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن اهل الكتاب مما وجد فى صحفهم كروايات كعب ووهب سامحهما الله تعالى»(٢٢).

وليس يعنى طلب المغفرة والصفح لكعب الاحبار ووهب بن منبه اللذين نلفيهما وراء معظم الاساطير التى نسجت حول قصص القرآن الا أن ابن كثير كان مرتابا فى بعض هذه الاخبار التى كانا ينسجانها.

(٢) أن قصة الحيتين: البيضاء والسوداء التى يقتصها وهب بن منبه ببراعة خرافية فائقة والتى أفضت الى وقوع الهدهاد بن شرحبيل بين أيدى الجن الذين بادروا الى مكافأته على ما كان سقى صاحبهم الظمآن (الحية البيضاء) بتزويجهم اياه من أخت الجان الامير وهى رواحة (او أى اسم ما دام كل مؤرخ يطلق عليها اسما غير الذى يطلقها عليه الآخر كما سنرى. .) بنت سكن التى أولدها الهدهاد ابنين اثنين وبنتا واحدة هى بلقيس - ليست الا محض اسطورة من أساطير الاولين، وقد أومأ المسعودى الى هذه الخرافة ووصفها - هو نفسه - بانها «خبر ظريف»(٢٤) ولا يعنى الشيخ بظرافة هذا الخبر الا أسطوريته.

ونلاحظ ان هذه الاسطورة الجميلة كانت مصدرا - فيما يبدو - لأسطورة زواج عمرو بن يربوع من السعلاة التى كانت علقت منه هى أيضا ببعض البنين ولكنها لم تلبث ان زايلته حين شاهدت برقا على بلاد السعالى. فهذه الجنية لا تلبث أن تزايل الهدهاد بعد أن تلد له صبيين وصبية وذلك بعد أن نقض الشروط التى كان تعهد بها على نفسه والمتمثلة فى عدم سؤالها عن أى تصرف غريب يصدر عنها(٢٥).

(٣) يختلف المؤرخون وأهل الاخبار فى اسم أبى بلقيس. . فيذهب الحسن البصرى وزهير بن محمد الى انه شراحيل(٢٦). . ويذهب ابن جريج الى انه ذو شرخ(٢٧). . ويذهب ابن خلدون نقلا عن المسعودى فيما يبدو لانه يذكره كثيرا فى تاريخ المشرق او نقلا عن وهب بن منبه الى انه الهدهاد(٢٨). . ويذهب الطبرى الى ان اسمه اليشرح بن الحارث بن قيس.

فما اسم أبى بلقيس اذن؟ وما علة هذا الاختلاف الشديد فى هذا الاسم مع ان الروايات كلها تزعم أن الرجل كان ملكا واذا كان من الجائز الاختلاف فى ميلاد ملك من الملوك. . او فى سنة وفاته. . أو فى عهد ملكه. . فانه لا يجوز الاختلاف بهذا الوجه المحير حول اسمه؟. . وان مثل هذا لا يعنى الا ايغال هذه الحكاية الاسطورية واغراقها فى الخرافية وابعادها من التاريخ الصحيح - أى إنآها عن الحقيقة: أى لا يعنى ذلك الا لصقها بالخيال الشعبى العربى القديم ولعل الذى أضفى عليها هذا البهاء وهذه الهالة من الاسطورية الغامرة بالطلاوة انما هو الشيخ وهب بن منبه.

وواضح أن تفسير قصة بلقيس فى القرآن ما كان ليتخذ هذا الحجم الاسطورى وهذا الوجه المفصل وهذا البعد الاختلافى لو لم تغامره الاسرائيليات التى روج لها وهب بن منبه وصاحبه كعب الاحبار بشكل خطير. ولعل الذى حمل بعض هؤلاء الاخباريين على نسج هذه الاسطورة والخروج من قصة بلقيس من الدائرة التاريخية والدينية التى ذكرها القرآن الكريم الى الدائة الاسطورية هو الرغبة فى تفسير قضية الدخول الى الصرح الذى أعده لها سليمان: **﴿قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها﴾**(٢٩) بينما قضية الكشف عن

لساقين فى قصة بلقيس لا يفتقر العربى القح ولا لعربى المولد فيها الى تفسير. فلما كانت ارضية لصرح من زجاج.. ولما كان الماء يجرى من تحت لزجاج.. لم تملك المرأة أن كشفت عن ساقيها تحت بطأة العادة لاعتقادها بأنها ستخطو أو تقع على ماء ـ وهذا كل ما فى الامر.

ولم يقل القرآن اكثر من هذا فَلِمَ يتزيد الرواة والقصاص على القرآن على ما لم يقل؟.

ولعل الذى أيضا أفضى الى كل ذلك بالاضافة الى بعض ما ذكرنا أن قصة بلقيس بعضها عربى محض تدور وقائعه باليمن وبعضها الآخر غير عربى أصلا. فكان لا مناص لعلماء التفسير الاوائل وأشهرهم ابن عباس من الاخذ عن هذين الشيخين الاختصاصيين فى الاسرائيليات وهما كعب ووهب. وزاد هذا الموضوع اغراقا فى الاسطورية (ونحن انما نعنى فى كل حال من احوال اشاراتنا فى هذه القضية الى قصة أم بلقيس لا الى ما بعدها) ما كتبه وهب بن منبه او ما يعزى اليه على الاقل فى «كتاب التيجان» حيث أطلق لخياله العنان وحيث سجل الخيال الشعبى العربى القديم وثبة شاسعة فى مضطرب بدون حدود فكانت حقا أسطورة رائعة.

(٤) ونلاحظ ايضا أن نقلة الاخبار ورواة الآثار يختلفون اختلافا شديدا حول اسم أم بلقيس الجنية التى وهبت للهدهاد مصادفة فى يوم قائظ يمّم فيه شجر أراك للتظلل ففوجىء «بقوم من الجن» يحيطون به(٣٠). ففى تفسير الالوسى اسمها ريحانة بنت السكن.. وفى كتاب التيجان: رواحة بنت سكن(٣١).. وفى تفسير ابن كثير: اسمها بلتعة فى قول ابن جريج وفارعة فى قول زهير بن محمد(٣٢).

لكن اذا كان الاختلاف شديدا فى اسم أبيها فقد كان الاختلاف شديدا فى اسم امها وان كان التاريخ القديم كاد يجمع على جنية جنسها.

واذا كان الرواة متفقين اذن على جنية امها فلعل ذلك من باب ما يسميه المسعودى بالخبر الظريف.. وقد كان ابن حزم قرر بعد ذكر ملوك التبابعة: «وفى أنسابهم اختلاف وتخليط وتقديم وتأخر ونقصان وزيادة. ولا يصح من كتب التبابعة وأنسابهم الا طرف يسير لاختلاف رواتهم وبعد العهد»(٣٣).

ولكن الذى يعنينا فى كل هذا ان الذهنية العربية كانت تتقبل تقبلا شديدا (مثلها فى ذلك مثل الذهنيات الشعبية فى اطوار معينة من تاريخها وحياتها العقلية) مثل هذا الادب الاسطورى وتهيم به حبا وتحترق اليه رغبة.. ولا سيما ما كان يتصل بالاغوال والشياطين والسعالى والجن بوجه عام فما هو الا أن رأوا هذه السيدة ستحكم اليمن واذا هم يتصورون كيف كان يجوز لامرأة فى تلك العهود الموغلة فى القدم (القرن العاشر قبل الميلاد) أن تصبح ملكة سبأ فلما لم يجدوا لذلك سببا للرد او الرفض من الناحيتين التاريخية والدينية أيضا أسلموا أعنة أخيلتهم وجاؤا يسلكون الى التاريخ شعابا من الاساطير فلم يروا شيئا أليق بذكاء هذه المرأة ودهائها وعقلها بل حكمتها غير ادعاء أن امها كانت من الجن ثم اختلقوا لها اسما بل اسماء متعددة كما اختلقوا جنيتها: فاختلفوا فى الاسم واتفقوا على الجنية.

واذا كانت سعلاة عمرو بن يربوع لا تترك فى انفسنا أثرا عميقا لسذاجة رواتها وضعف براعتهم فى تلفيق الاساطير ونسجها نسجا قصصيا مثيرا كالذى حدث لقصة رواحة أم بلقيس التى وضعت ثلاثة أطفال وكانت كلبة تأتى اليهم فى كل مرة يبلغون فيها سنة من العمر فتذهب بهم ولا تعود... فلما أنكر الهدهاد عليها هذه السيرة قررت مزايلته وفسرت له قصة الكلبة التى كانت تأتى لاطفالها فتذهب بهم ثم أخبرته ان واحدا من اولاده قد توفى وان الثانى

سيموت ايضا واما البنت فستعيش . . ثم زايلته الى الابد.

فالاولى: ان سعلاة ابن يربوع لا اسم لها ولا لأبيها.

والثانية: انا لا نعرف كيف وقع بين أيدى الجن فزوجوه ابنتهم من حيث نعرف التفاصيل الاسطورية لقصة زواج الهدهاد من فارعة (او بلتعة أو رواحة او ريحانة - فهى اربعة اسماء لمسماة واحدة) . . وانهم جزوه مقابل صنيعة كان قدمها الى اخيها عن غير قصد.

والثالثة: انا لا نعرف كم أنجبت سعلاة عمرو بن يربوع من الاطفال بينما نعرف تفاصيل أبناء فارعة.

والرابعة: اننا نجهل ما قالت السعلاة لابن يربوع قبل ان تزايله بينما نجد سعلاة الهدهاد تحاوره وتحاجه فتبين له عاقبة خطئه فى سلوكه وتقصيره فى حسن الظن بها وبحكمتها فانها كانت تلك الكلبة تذهب بأطفالها لتربيهم ثم تعيدهم اليه بعد خمس سنوات(٣٤).

والخامسة: أن ابناء عمرو بن يربوع اذا كانوا اشرارا الى حد أن قال فيهم احد شياطين الرجاز:

يا قاتــل اللهُ بنــى السعــلاة
عمرو بن يربوع شرار النات

وأنهم كانوا صعاليك فان بلقيس كانت ملكة من الملوك وربما كانت أول ملكة عربية وآخرها ملكت قومها وأحسنت السيرة فيها وأحسنت السيرة فيهم الاستشارة اليهم كما يومىء الى ذلك القرآن الكريم(٣٥).

فلعل هذين النموذجين اللذين جئنا عليهما ذكرا فى هذا الفصل أن يكونا هما الاشهر والأعرف فى التراث العربى المتعلق بزواج الانس من الجن.

احـــــالات

(٢،١) ابو عثمان الجاحظ، الحيوان - ٦/ ١٩٧ - ابو العلاء المعرى، الفصول والغايات، ص٢١٠ وابن سيده المخصص ١٤/ ٥٢ وابن دريد الجمهرة ٣/ ١٥٢ وابن جنى الخصائص ٢/ ١٩
(٣) الجاحظ م.م.س ٦/ ١٦١.
(٤،٥) م. س. ٦/ ١٩٧
(٦) ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٥/ ٢٤٠
(٧) الجاحظ م.م.س.
(٨،٩) م.س.
(١٠-١١) سورة النمل الآية ٢٣
(١٢) ابن كثير م.م.س. ٥/ ٢٢٩
(١٣) المسعودى، مروج الذهب، ومعادن الجوهر، ٢/ ٤٩-٥٠.
(١٤) الزمخشرى، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل فى وجوه التأويل ٣/ ٣٧٠
(١٥) ابن كثير م.م.س، ٥/ ٢٤٠
(١٦) م . س .
(١٧) الجاحظ م . م . س، ٦/ ١٩٧
(١٨) م . س . ٦/ ١٩٥
(١٩) م . س ، ٤/ ٢٠٣
(٢٠) ابن كثير م . م . س .
(٢١) الزمخشرى م . م . س.
(٢٢) ابن كثير م . م . س .
(٢٣) وهب بن منبه ، كتاب التيجان فى ملوك حمير ص ١٤٤-١٤٦
(٢٤) المسعودى م . م . س
(٢٥) ابن كثير م . م . س ٥/ ٢٢٩
(٢٦) وهب بن منبه م . م . س ١٤٦-١٤٧.
(٢٧) ابن كثير م . م . س
(٢٨) م . س .
(٢٩) ابن خلدون ، كتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر، فى ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر ٣/ ٩٦ و١٠٧.
(٣٠) وهب بن منبه م . م . س . ١٤٥.
(٣١) م . س ، ص١٤٦
(٣٢) ابن كثير م . م. س.
(٣٣) ابن خلدون م . م . س. ٣/ ١١١
(٣٤) وهب بن منبه ١٤٦-١٤٧
(٣٥) سورة النمل، الآيات: ٢٩-٣٥.

السائح

المجلة الأولى

العدد التاسع والعشرون - شعبان ١٤٠٧هـ

تغرب عن الأوطان في طلب العلا
وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة
وعلم وآداب وصحبة ماجد

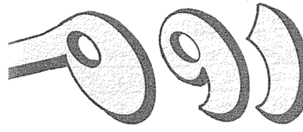


- روما — عبدالله الحقيل
- دول اوربا الصغرى "أندورة" — د. إحسان هندي

من أدب الرحلات







دول أوروبا الصغرى.. تاريخ كل دولة.. طبيعتها.. عادات وتقاليد سكانها - رحلات متابعة.. نظير في أولها مع الدكتور إحسان هندي إلى.. " أندورة " ومع أدب الرحلات نحن على موعد متجدد مع الأستاذ عبدالله الحقيل ورحلة إلى.. روما..

غادرنا فرنسا متوجهين الى ايطاليا فى صبيحة يوم حافل بالحركة والنشاط ٢-١١/١٤٠٦/١١هـ واتجهنا صوب الحدود الايطالية وبعد أن توقفنا قليلا عند بوابة الدخول وقدمنا جوازاتنا للموظف الذى اعادها فى الحال عبرنا الحدود ودخلنا ايطاليا واجتزنا طريقا تكثر فيه المرتفعات والتعاريج والالتواءات الجبلية لقد اجتهد الايطاليون كثيرا فى شق الطرق وسط الجبال حيث مررنا بأكثر من ١٧٠ نفقا ومثلها جسور معلقة تضج بالحركة والنشاط ومررنا بعشرات القرى والبلدان التى تزدان بالحدائق النضرة والتى لا تفتر الحركة فيها والمصانع تنفث دخانها.. والوان من الناس وأشكال شتى من البشر وزحام شديد فى محطات الاستراحة من السائحين من مختلف الجنسيات وتسمع مختلف اللغات وتشاهد شتى



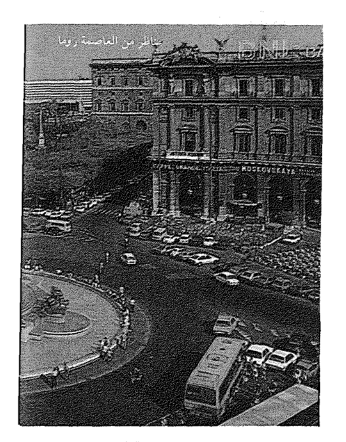
الملامح . . وكانت السماء صافية والشمس طالعة وواصلنا السير فى أرض مستوية تتخللها بعض التلال والاودية .

وتنقسم ايطاليا الى مجموعتين فإيطاليا القارية عبارة عن سهل فسيح يحيط به جبال الألب اما ايطاليا الممتدة على سواحل البحر الابيض المتوسط فهى تتكون من شبه جزيرة طويلة تشكل سلسلة جبال وكنا نشاهد جبال الألب الايطالية والمياه الغزيرة التى تصل منها . . كما أن شبه الجزيرة الايطاليه كانت عرضة للزلازل .

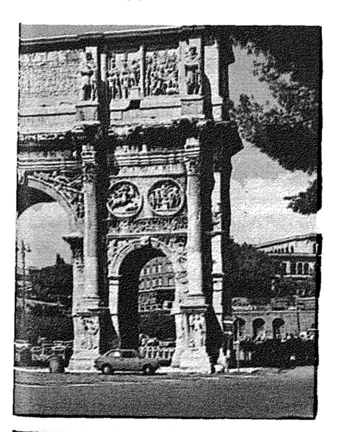
وتجمع هذه البلاد بين مناخات متعدده وفصول متباينة فى الشمال والجنوب . . وسكانها أكثر من ستين مليوناً ومساحتها ٣٠٠٫٠٠٠كم . . زرنا خلال جولتنا فى هذه المناطق كلا من (جنوا) ثم (نابولى) وهى مدينة جميلة وميناء هام لانها على مقربة من روما وبها المصانع والمعامل والشركات وبها البيوت المختلفة الاحجام والاشكال . . وكان الجو يغرى بالنزهة فتجولنا فى متاجرها ومعروضاتها وشوارعها الفسيحة ثم توجهنا الى مدينة (بيزا) الثغر الجميل حيث التاريخ والمناظر القديمه وجمال منظر النهر الذى يخترقها والحركة السياحية النشيطة الدائبة فى المدينة القديمة بمطاعمها المتناثرة على الارصفة .

كما قمنا بزيارة الى برج بيزا الشهير وقد عُدّ من عجاب الدنيا السبع . . وقد كان العالم (جاليلو) يلعب بالحصى من أعلى البرج حتى اكتشف قانون الجاذبية . . ثم واصلنا السير حتى وصلنا الى مدينة (فلورنسا) وهى مدينة مفعمة بتاريخها المعمارى والفنى وفى فندق «الاسكندر» وهو فندق سياحى جميل كان مقامنا وكان المطر ينزل خفيفا حيئذ والسماء متلبدة بالغيوم وكان مثل هذا الجو لا يسمح لنا بالتجول

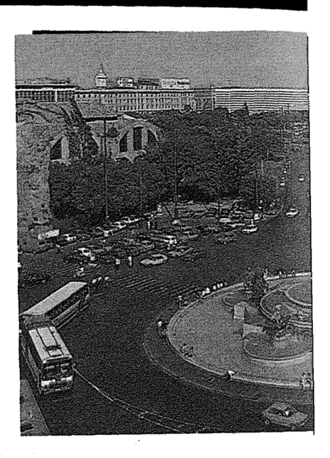
براحة فبقينا فى الفندق وأمضينا تلك الليلة. . وفى الصباح رحنا نتجول فى بعض أحياء المدينة ونشاهد المعالم والصناعات اليدوية المحلية والاسواق القديمة. . وكانت المدينة تعج بالسياح والزوار وبعد تمضية يوم فى ربوعها توجهنا نحو الريف الايطالى ومررنا بعشرات القرى وسط السهول الفساح المترامیات والحقول والمروج ثم يأخذ الطريق نحو الجبال والمرتفعات حيث الانفاق والجسور المعلقة بحيث يطل المرء على المدن من علٍ وبشكل مذهل وجميل وكنا نشاهد القلاع والجبال وبجانبها مصانع الرخام.


مناظر من العاصمة روما

وفى مدينة (جيتو) توقفنا بها لتناول طعام الغداء ثم قمنا بجولة فى ربوعها وأطرافها وكم يستمتع المرء بالرحلات البرية حيث يتمكن من مشاهدة الطبيعة الساحرة الخلابة. . وفى احدى الاستراحات السياحية التقينا بأحد الايطاليين فحدثنا عن مدينة بيزا وقال إنه من ابنائها فأخبرناه اننا كنا بالأمس فى زيارتها. .



فقال: وهل أكلتم «البيزاء» الايطاليه التى اشتهرت بها تلك المدينة ومنها شاعت فى العالم. . ثم سألته عن برج بيزا وأن هناك مرشدا سياحيا أخبرنا بأن البرج على وشك السقوط ولقد زرت البرج من داخله فلم أجد فيه ميلانا كما يشاع وقد صعدنا الى شرفة البرج العالية حيث شاهدنا الحدائق الغناء ومنظر المدينة ومیناءها الشهير وقد كان له دور فى الحروب الصليبية وله دور نشط فى التجارة بين الشرق والغرب وقد بنى البرج عام ١١٧٥م. . وقال الايطالى ان حكاية السقوط قد أصبحت شائعة منذ اوائل هذا القرن عندما لاحظ العلماء أن الميلان يزداد فى كل عام ولميلان هذا البرج يعود فضل اكتشاف قانون الجاذبية وسرعة سقوط الاجسام وان الاهتمام من العلماء بالبرج قد بدأ منذ اكثر من سبعين عاما حيث شكلت





لجنة من الاخصائيين لمعرفة انظمة وقوانين هذا البرج وفحص مواده وعمارته وهناك من اقترح تفكيك البرج واعادة بنائه من جديد بعد ترسيخ قاعدته وهناك من يطمئن الناس بسلامة البرج.

والواقع أن مثار الدهشة هو ميلان البرج وهو مثار الجدل بين العلماء والسياح.. له وافاد بأنه أول من عالج الميلان عام ١٢٧٣م مهندس ايطالى يدعى «جوفانى سيمونى».

وتوجهنا بعد ذلك الى مدينة «جيتو» وزرنا معالمها وهى مدينة صغيرة وبها شارع كبير تموج فيه الحركة والنشاط ثم واصلنا السير الى مدينة «سورينتو» حيث وصلناها الساعة السابعة والنصف مساء وهى مدينة جميلة تقع على شاطىء البحر الابيط المتوسط.. وتكتظ بالسياح وتزدان بالحدائق والمتاجر والشاطىء الجميل.. حيث شاهدنا صيادى الأسماك.

وقمنا برحلة الى جزيرة (كابرى) وتقع قرب المدخل الجنوبى لخليج نابلى فى جنوب ايطاليا فى مواجهة شبه جزيرة «سورينتو» والجزيرة عبارة عن كتلة منعزلة من الحجر الجيرى بطول ٦٫٢٥ كيلومتر وبأقصى عرض ٢٫٨٠ كيلومتر ومساحتها عشرة كيلومترات مربعة ويرتفع جبل سولارو الى ١٩٣٢ قدما وتستخدم تعاريج الشاطىء كمراسى للسفن، والمرسى الكبير يقع على الشاطىء الشمالى ويحميه حاجز للأمواج ويقع المرسى المفتوح (مارينابيكولا) فى الجنوب وهو يستخدم فى حالة هبوب الرياح الشمالية بقوة.

والجزيرة مسكونة منذ ما قبل التاريخ، ثم اصبحت مستعمرة يونانية ثم منتجعا للاباطرة فى بداية عهد الامبراطوريه الرومانية فقد اقام الامبراطور اغسطس هناك كما بنى الامبراطور تيبيريوس عدة فيلات احداها فيلا لوفيس على القمة الشمالية الغربية المطلة على نابولى وقد تم الكشف عنها خلال الحفريات الاثرية.

وحين خاف سكان الجزيرة من هجمات القراصنة فى القرن العاشر انتقلوا من مساكنهم على ساحل البحر الى المدينة الحالية وهى (كابرى) فى الشرق و(آناكابرى) فى الغرب اعلى الشاطىء ولا يمكن الوصول الى المدينة الثانية الا عبر طريق البحر الى ان تم بناء طريق للعربات فى القرن التاسع عشر بين المدينتين ـ وكان ـ قبل بناء الطريق يلزم صعود سلم من ٨٠٠ درجة يطلق عليه السلالم الفينيقية . . وخلال العصر الوسيط كانت كابرى تابعة لكنيسة فونت كاسينو والى جمهورية (امالفى) قبل أن تنضم الى مملكة نابلى وقد تبودلت بين الفرنسيين والانجليز عدة مرات خلال الحروب النابليونية قبل أن تعاد الى مملكة المصنفليتين عام ١٨١٣م وقد وجدت ادوات حجرية فى احد الكهوف فى الشواطىء الصخرية التى تحيط بالجزيرة واشهرها هو الكهف الازرق الذى اعيد استكشافه عام ١٨٢٦ ولم يمكن الوصول اليه الا بالقارب ويعطى ضوء الشمس الذى ينعكس من صفحة الماء الى مدخل الكهف منظرا غريبا من الضوء الازرق ومن هنا اشتق الاسم . . كما توجد آثار قلاع من العصور الوسطى مثل قلعة باربارسو وقلعة كاستيليون واقدم الكنائس كنيسة القديس كوستانزو الرئيس الروحى للجزيرة وقد اقيم فى مكان فيلا تيبيرويس فيلا اخرى تسمى فيلا سانت ميشيل بناها الكاتب السويدى «اكسيل مونث» .

ومنذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر أصبحت كابرى احد اشهر المنتجعات فى جنوب ايطاليا نظرا لمناظرها الرائعة وطقسها المعتدل والخضرة النضرة وبها انواع عديدة من الطيور المهاجرة تحط هناك لعدة ايام .

وقد يكون لاسم المدينة اصلان . . إما كابرا وهى العنزة أو كابروس وهو الدب الوحشى . . وترتبط كابرى بنابولى وسورينتو بخدمات القوارب البخاريه



برج بيـزا الشهير

والى جانب السياحة هناك النشاط الزراعى وصيد الاسماك .

وبعد زيارة جزيرة سورنيتو ـ كابرى زرنا ميدان القرية الملونة ثم عدنا بالمركب الى سورنيتو حيث اقمنا فى فندق «كاساراوجت» بعد رحلة يوم على ارتفاع مئات الأقدام فى الجبال ووسط المغارات فى البحر . . وقد كان البحر هائجا مخيفا وتزدحم هذه الجزر بآلاف السياح . . والواقع أن ايطاليا محور جذب قوى للسياحة بحكم آثارها ومناخها وشواطئها وجزرها ومرتفعاتها الجبلية ومدنها الريفية ذات الطبيعة الرومانية وطبيعتها ومناظرها الجميلة والانهار والبحيرات والاطلال والمناظر التى تعود الى حضارة تلك البلاد وما مر بها من تطور ثقافى وفنى ، ولتاريخها البعيد وانتشرت ثقافتها عبر معظم بلاد أوروبا والبحر المتوسط . . وما كان للرومان والاغريق من آثار وحضارة وتجارة وفنون ومخترعات . .

وبعد تمضية وقت غير قليل غادرنا مدينة «سورنيتو» الى ميدان القرية الاثريه ثم زيارة المناظر والمشاهد التاريخية فى «بومبى» عاصمة الرومان . . وقد

دفنت هذه المدينة نتيجة ثورة احد البراكين وبدأ حفرها فى القرن الثامن عشر وهى تضم اشياء كثيرة عن آثار الرومان وتاريخهم. . ومررنا ببلدان كثيرة وقرى وحدائق وبساتين وبحيرات وجبال وأنهار وأوديه وغابات قبل أن نصل الى العاصمة روما التى برزت بعد انهيار الامبراطوريه الرومانية كعاصمة للمسيحيه وقد كانت «تورينو» خلال حقبة طويلة عاصمة لايطاليا وهى اليوم احد المراكز الهامة لصناعة السيارات.

ووصلنا العاصمة بعد الظهر وتوجهنا صوب فندق «فيلابامفيلى» واستقر المقام بنا فيه حيث الهدوء والمرافق السياحية.

وخلال الطريق الى روما كان الطريق ممتعا وجميلا ومليئا بالحركة وتذكرت قول الشاعر:

كست الطبيعة وجه ارضك سندسا
وحبت نسيمك اذ تضوع طيبا

ومررنا بالجسور والمزارع والبحيرات والبساتين التى تمتلىء بالزهور ومنها بكثرة ما نسميه «عباد الشمس» وقد تبين انهم يستخرجون منه الزيوت النباتية وغيرها من المأكولات وقد شاهدنا ذلك فى مناطق اخرى من اوروبا وكنت استغرب من كثرته وتعدد زراعته على هذا النحو وقد سألت احد الايطاليين فعدد لى مزاياه وفوائده الاقتصادية.

ولم تكن روما بالنسبة لى مدينة جديدة فقد سبق ان زرتها قبل هذه الزيارة فى عام ١٣٩٣هـ وكذا عام ١٣٩٥هـ ولكن هذه المرة جئتها من البر بعكس الزيارات السابقة كانت من الجو وما اعظم الفارق من حيث الفائدة والاطلاع والتعرف على طبيعة البلاد وحياتها وعمرانها واوجه الحياة فى قراها ومدنها واحوالها وطبائع شعبها وعاداتهم وتقاليدهم ولا شك ان السفر بواسطة السيارة فيه عناء وطول وقت وتصحبه متاعب لكنه متعة وفائدة حيث يتمكن المرء من التجوال والاطلاع الواسع على المعارف والاثار والعادات والتقاليد والمقومات الحضارية وشتى الوان المعرفة المختلفة.

وفى روما يشاهد المرء الاثار والمعالم والمتاحف والمعاهد والاماكن الاثرية القديمة والقصور التاريخية واينما اتجه السائح سيجد ما يستحق النظر ويملأ العين بما يغرى بالمشاهدة. . فالمرء امام تاريخ ممتد طويل عبر الاف السنين الى جانب الحدائق العامة والميادين واماكن الفنون. . وهم فى الواقع يهتمون كثيرا بالاثار والفنون لدرجة ان المبانى التى مضى عليها اكثر من مائة عام تصبح اثرا يجرى ترميمه ويعوض اصحابها. . وقد حكى لنا ذلك احد المرشدين السياحيين التابع لادارة الاثار وروى امورا كثيرة فى هذا المجال وقلت له ان اثاركم تدل عليكم فحرصكم على صيانة الاثار جعلها مدينة بل عاصمة الآثار والفنون حتى الصخور حافظتم عليها من خلال النحت وحفر الاعمدة وكتابة النقوش عليها ولكن ينبغى ان تدركوا ان العرب سبقوكم فى هذا الميدان الذى تفتخرون بانكم رواده فقد نحت العرب الجبال وجعلوها سكنا وهو نحت ذكره المؤرخون بانه لا يوجد له مثيل فالتفت الجميع من شتى الوجوه السياحية وصفقوا لهذه المقارنة العلمية التى لم يستطع الايطالى ان ينكرها والتفت إلى احد الاخوة التونسيين فقال هكذا يكون الاعلام والدعاية لأمتنا وتاريخها.

فقلت لقد صبرت على مكابرة ومغالطة المرشدين السياحيين هنا وفى اسبانيا بحيث ينسبون كل تقدم وعلم لهم وحدهم ويسلبون اسلافنا كل علم ومعرفة.

ان الزائر لروما سيشاهد شتى المناظر الطبيعية الجميلة والبحيرات المتعددة فى ضواحيها حيث تحلو

الجلسة على ضفافها ويتناول المرء من المطاعم المجاورة لها الاسماك المشوية اللذيذة من اسماك تلك البحيرات.

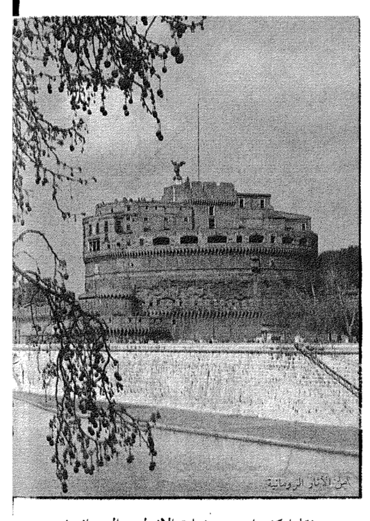
وقمنا برحلة الى «براتشانو» تقع فى شمال العاصمة وتبعد عنها حوالى ٣١ كيلا وبحيرة «لوكو» وغيرها.. كما قمنا بزيارة الى حديقة الملاهى ويحتاج خروجها ودخولها الى نوع من اليقظة والانتباه حيث توجد بها شتى الالعاب الرياضية وغرفة الزجاج المتعددة الابواب وكثيرا ما ضل الناس فى كيفية الخروج من تلك الابواب فقد ارتطم الكثيرون بزجاجها وبها حديقة جميلة رائعة ذكرتنا بقول الشاعر:

نزلنا بها واستوقفتنا محاسن
يحن اليها كل قلب ويهواها

ومنها عدنا الى الفندق بعد تمضية يوم حافل مفعم بالمناظر والمشاهد والذكريات.

وفى الصباح ذهبنا نتجول فى شوارع روما وميادينها وسألنا احد الاخوة المصريين من هواة الرسم والفن حيث امضى فى هذه المدينة سبع سنوات يمارس هذه المهنة عن تمثال الشاعر احمد شوقى فارشدنا اليه وهو قد كتب عليه اسمه كما رأينا بعض المسلات المصرية الموجودة فى بعض الميادين.. ثم تجولنا فى روما القديمة وقصورها ومتاحفها ولقد ترك الاقدمون اثارهم وتعيد اليك خوالى الايام واحداث الزمان.. انها اطلال من الروائع يجليها رخامها واعمدتها ومرمرها وتنوع المناظر والمظاهر.

انها مناظر تذهل العقول ولا غرو فقد كانت هذه المدينة مركزا هاما للثقافة والمعرفة ولقد قرأت فى بعض الكتب التاريخية ان الايطاليين كانوا يفدون الى غرناطة وقرطبة ابان مجدهما وتقدم العلوم والفنون بهما وبكثير من المدن الاندلسية وتلقوا العلوم عن اعلامها


من الآثار الرومانية

ونقلوا كثيرا عن حضارة الاندلس التى انبعثت من جنباتها اضواء العلم تنير العالم كله وارتفعت فى نواحيها منائر العرفان تهدى سبل الحياة للسالكين.

وذهبنا فى اليوم الرابع الى رحلة خارج روما لزيارة ومشاهدة قصر «ديستى» الذى يعود تاريخه الى ٤٠٠ سنة ومازالت حدائقه ونوافيره وشلالاته فى غاية الابداع والجمال.. والمنطقة التى يقع فيها القصر من المناطق الشهيرة حيث المناظر الطبيعية الساحرة وهى تبعد عن روما حوالى خمسين كيلا وكان يمتلك هذا القصر أحد الأثرياء الايطاليين ويهذا القصر المناظر والحدائق والخمائل والاجنحة والبرك المائية والشلالات التى هى آية فى الجمال.. والحدائق درجات بعضها فوق بعض والواقع ان هذا القصر يزدان بابهائه



الفخمة وافنيته الكثيرة ومن روائع الفن والابداع كما ان الزهور والاشجار مهندسة مرتبة مختلفة الالوان بحيث تجمع لك كل المناظر الطبيعية . . وتركنا هذا القصر التاريخى حيث تجولنا فى اسواق هذه البلدة وكانت جولة قصيرة ثم مضينا الى احد المطاعم المجاورة للقصر والمطل على بعض المناظر الجميلة وتناولنا طعام العشاء مع مجموعة كبيرة من السياح من كندا واستراليا وامريكا وغيرهم وقد اشتهر هذا المطعم بتقديم الوجبات الايطالية التقليدية فالمكرونة بأنواعها وكذا تقديم بعض الفنون الشعبية القديمة.

ورجعنا الى العاصمة روما من طريق آخر وكانت الساعة الثانية عشرة ليلا وكما يقال كل الطرق تؤدى الى روما ووصلنا الفندق وكنا فى حاجة الى الراحة والنوم . . وفى الصباح غدونا مبكرين الى زيارة المركز الثقافى الاسلامى ثم الى مقر الفاتيكان وزيارة المكتبة والمتحف . . والفاتيكان هو دولة عبارة عن مدينة اصغر من اية دولة صغيرة مشابهة فى اوروبا مثل اندورا وموناكو وليختنشتين . . تقع ضمن قلب مدينة روما العاصمة الإيطالية ـ ورغم ضآلة حجم هذه الدويلة فانها تملك نفوذا اعظم من نفوذ ايطاليا ذاتها ذلك لانها مركز رئاسة اكبر فرع للديانة المسيحية وهى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية . . وهذه الدويلة مستقلة عن ايطاليا ويحكمها لجنة من الاحبار الرومان يعينها البابا.



من الآثار الرومانية

اما كيف تكونت تلك الدويلة فذلك له تاريخ طويل منذ كان البابوات يمارسون لقرون طويلة سلطتهم الزمنية على وسط ايطاليا فيما يسمى بالولايات البابوية والتى كانت تضم مساحة ١٦٠٠٠ كيلو متر مربع وما يزيد على ثلاثة ملايين من السكان ثم دخلت هذه الاراضى فى مملكة ايطاليا الجديدة فى القرن التاسع عشر وصدر قانون عام ١٨٧١م بتحديد سيادة البابا بحيث تقتصر على قصور الفاتيكان واللاتيران فى روما وضمن هذا القانون ميزانية سنوية للبابا.

وتقع مدينة الفاتيكان بجوار الجانب الغربى لنهر التيبر فى روما وتشكل اسوارها التى بنيت فى عصر النهضة فى العصور الوسطى حدود تلك الدولة عدا الحدود الجنوبية الشرقية ناحية ميدان القديس بطرس فهذه الناحية مفتوحة للجميع ومساحتها ٥ كم تقريبا ولها ست مداخل اهمها ميدان القديس بطرس وقوس الأجراس والمدخل المؤدى الى المتاحف وأهم المبانى فيها هى كنيسة القديس بطرس وكنيسة جون لاتيران وكنيسة مارى ماجور والقصر البابوى وفيلا البابا الصيفية وقلعة جاندوفلو وبعض تلك المبانى يمتد الى خارج الحدود . . هذا الى جانب محطة السكة الحديد ومحطة الاذاعة المقامة داخل الاراضى الايطالية.

يسكن مدينة الفاتيكان حوالى ١٠٠٠ نسمة معظمهم من الموظفين الدائمين فى الحكومة ويمثل القساوسة والرهبان اكبر نسبة منهم واذا حضر الاحبار ورؤساء الكنائس الى الفاتيكان فى ظروف انتخاب البابا فانهم يمنحون جنسية الفاتيكان وعندما يخرجون تنزع عنهم تلك الجنسية ليعودوا الى جنسيتهم الاصلية . . وللمدينة نظام للتلفزيون والاذاعة والبريد وكذلك عملتها الخاصة ونظامها البنكى . . اما الجيش فقوامه مائة جندى من الحرس السويسرى

المميز بزى خاص فاخر وتصدر فيها صحيفة يومية اسمها (الابوزيرفاتور رومانو) كما توجد فيها مطبعة تصدر الكتب بكل اللغات حتى لغة التاميل الهندية. . وقمنا بزيارة الى المكتبة بعد دفع رسم الدخول.

تضم هذه المدينة واحدة من اعظم المكتبات فى العالم هى مكتبة الفاتيكان وتقع فى الطابق العلوى من القصر البابوى وتشتمل على جناحين فى صالة مستطيلة. . ووضعت الكتب داخل ٥٠ دولابا مغلقا كل دولاب يبلغ ارتفاعه ١٫٧٥ مترا ومثبت فى الحوائط وفى الاعمدة الوسطى. . وزخرفت الدواليب برسومات تشير الى محتوياتها ولكنها منسجمة مع التصميم الفنى العام للاعمدة والحوائط والاسقف المقوسة المزخرفة بالفريسكو اللوحات المعبرة عن روما فى القرن السادس عشر والتطور الباهر لفن الكتاب عبر العصور وتوجد مثل تلك الزخارف فى الغرف الاخرى مثل غرفة الفهارس وقاعة مطالعة المواد المطبوعة ويزيد من جمال القاعة مجموعة الفازات والهدايا الملوكية التى قدمها الامراء والملوك والقادة السياسيون للمكتبة.

تشتمل المكتبة على حوالى ٦٣٠٠٠ مخطوط و٩٢٠٠٠٠ كتاب مطبوع وينقسم قسم المخطوطات الى ١٦ قسما مفتوحا و٣٦ قسما مغلقا تضم المجموعات التى جاءت الى المكتبة كاملة وجرى تقسيمها حسب لغتها مثل المجموعة التى جلبت من هيدليرج عام ١٦٢٣ ومجموعة الكاردينال انجلوا ماى التى اضافها بيوس التاسع عام ١٨٥٦ وتقدر باربعين الف مخطوطة.

ويتولى ادارة المكتبة مدير وهو فى نفس الوقت مدير المتحف الوثنى والمتحف المسيحى ومسئول عن مجموعة المسكوكات اما الوثائق فهى تحت اشراف كردينال ومجموعاتها الرئيسية هى المجموعة السرية ثم وثائق الدولة. . ويقصد هذه المكتبة يوميا آلاف الباحثين فى العلوم الكنسية واللاهوت وخاصة أتباع المذهب الرومانى الكاثوليكى ولهذه المكتبة شهرة فى الشرق والغرب. . وهكذا فالفاتيكان مكان واسع وكثير الاقسام.

وبعد ان امضينا برهة من الزمن فى هذا المكان ومشاهدة ما يحيط به من المبانى عدنا الى الفندق للراحة وقد كان الفندق الذى نسكنه على درجة من الاناقة والجمال فاذا دخله المرء مجهدا مكدودا نسى التعب حيث انه يقع فى مكان هادىء خارج روما. . كان الجوع قد اخذ منا كل مأخذ بعد جولة طويلة فى متحف ومكتبة الفاتيكان.

فدخلنا مطعم الفندق وجاء النادل لنا بقائمة الطعام الايطالى فاخترنا منها ما رايناه مناسبا.

وفى المساء قمنا بزيارة لمكتبة المجمع العلمى الايطالى حيث تشتمل على مجموعة من المخطوطات العربية المصورة كما ان بها قاعات للمطالعة ثم ذهبنا لاحدى المكتبات التى تباع بها الصحف العربية فى قلب روما حيث اخذنا مجموعة من الصحف وتوجهنا بعد ذلك الى الفندق للراحة والنوم استعداداً للسفر غدا الى مدينة البندقية. . فينيسيا عبر جبال الانباين ومررنا بعشرات الأنفاق الجبلية والجسور المعلقة الشامخة وتوقفنا عدة مرات فى الطريق حتى وصلنا الى مدينة البندقية الخامسة والنصف عصرا.

وقد كان الطريق حوالى ٥٠٠ كيلا ورغم طوله فقد كان جميلا وممتعا حيث الحدائق ومزارع العنب بل جنات الفافا وأقمنا فى فندق «بلازا». .

البندقية فينسيا

مدينة فريدة بديعة. . وميناء رئيسى فى شمال ايطاليا. . وعاصمة منطقة فينيتو والمركز السابق للجمهورية البحرية التى عرفت قوتها السياسية


فينيسيا

والبحرية فى كل ارجاء اقليم البحر الابيض لاكثر من الف عام . . ورغم ان هناك مدنا انشئت فوق جزر وتغشاها القنوات وغنية بالفن والعمارة وذات قوة علمية الا انه لا يوجد سوى فينيسيا واحدة فقط فربما لا يوجد مدينة اخرى فى العالم ظلت لزمن طويل مثلها لان قوارب الجندول وبحارتها فى قنواتها ومبانيها واثارها تجعل منها متحفا حيا للماضى ونظرا للمحيط الشامل الذى قد يميزها ليس فقط عن جميع المدن الاخرى فى العالم بل عن العالم المعاصر ذاته .

والبندقية تقع فى مركز بحيرة هلالية الشكل تمتد من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربى بطول **٣٢** ميلا (**٥١** كيلومترا) وهذا الكيان المائى يختلف فى العرض بين **٩،٥** اميال ويفصله عن بحر الادرياتيك حاجز ضيق من الجزر وشبه الجزر وتم بناء مركز المدينة التاريخى فوق ارخبيل من الجز والشواطىء الطينية بطول ميلين تقريبا وعرض ميل واحد اما حدود المدينة الحديثة التى تحتضن محيط البحيرة البالغ **٩٠** ميلا فتشتمل على الجزر العشر الرئيسية بخلاف جزر المدينة الام والضاحيتين الصناعيتين : مستر ومازغيرا فى الارض الرئيسية وكلها اندمجت فى المدينة عام **١٩٢٧** .

وسكان فينيسيا حوالى **٣٥٠،٠٠٠** نسمة . . وقد فقدت البندقية جزءا منها عام **١٨٤٦** عندما اقيم كوبرى علوى بطول حوالى ميلين فوق **٢٢٢** قوسا لمد الخط الحديدى من الارض الرئيسية .

وفى عام **١٩٣٢** اقيم كوبرى موازٍ للسيارات وقد قاوم السكان هذين الرباطين ونجحوا فى اجبار العربات على الانتظار فى طرف الجزيرة ومازالت المعارك مستمرة بين انصار القديم والمحدثين ولكن اكثر المشاكل الحاحا اليوم انما هى اقليمية . . فبالاضافة الى الدمار الناتج عن حركات المد والجزر المتكررة بكثرة والفياضانات فقد اكتشف ان الجزر تغوص فى البحيرة بسرعة اكبر عما كان فى القرون الماضية . . ومثل سائر المدن التى تتعرض اثارها وأعمالها الفنية للاندثار .

ويقال ان اكتشاف الامريكيين اثر على فينيسيا فى الركود الاقتصادى خلال القرن السادس عشر الميلادى ورغم انها كانت فترة النهضة الاوروبية فقد كانت تنشط الحياة الفنية والفكرية فيها الى آفاق جديدة .

ولقد نجح نابليون فى انهاء حكم الاقلية فى فينيسيا وبعد ان صارت تتقاذفها القوى الاوروبية المتصارعة لعدة عقود زمنية اندمجت اخيرا فى ايطاليا عام **١٨٦٦**م بعد ان توحدت ايطاليا واعتمد نموها على دورها فى الحياة التجارية لايطاليا وعلى استثمار امكاناتها الطبيعية والجمالية التى جذبت الزوار لقرون عديدة من كل ارجاء العالم . .

ويشق المدينة ١٨٠ قناة ـ منها متوسط عرضها ١٢ قدما تشق مجراها الاصلى بين الجزر الاصلية البالغ عددها ١١٨ جزيرة ـ اما القناة الكبرى التى تجرى حول قوسين كبيرين خلال المدينة فهى تشكل النهر الرئيسى خلال الجزر ويسمى نهر «التو» وتحور الى اسم ريـالتو وطولها حوالى ميلين ومتوسط عمقها ٩ اقدام واقصى اتساع لها ٢٢٨ قدما واقل اتساع هو ١٢٠ قدما يقع على ضفافها ٢٠٠ قصر بنيت بين القرنين ١٨،١٢ وعشر كنائس ومحطة غاز بحرية وتلتقى مع ٤٦ قناة جانبية لتشكل اجمل شارع فى العالم . .

لم يوجد فيها سوى كوبرى واحد حتى القرن التاسع عشر فوق هذا الشارع الضخم واسمه كوبرى ريالتو . فهذا الكوبرى العالى ذو القوس الواحد والمزدحم بالدكاكين الصغيرة اقيم طبقا لخطط المهندس انطونيا دابونتا الذى ربح المنافسة من مايكل انجلو والفنانين العظام فى ذلك العصر (عام ١٥٩٠) ـ وهو الان خامس كوبرى فى هذا المكان اذ يوجد جسران مسطحان من الحديد المطروق اقامهما المحتلون النمساويون عام ١٨٥٤م واستبدلا بغيرهما ليلائما الاتوبيسات النهرية الكبيرة واعيد بناء كوبرى محطة السكة الحديد بالحجر وبنيت جسور خشبية اخرى مؤقتة ـ ومن بين الجسور الدائمة التى يبلغ عددها ٤٠٠ جسر ـ ذلك الجسر الشهير باسم جسر التنهدات وهو ممر مغطى يعلو القناة بين قصر الدوق وسجن الجمهورية .

وفى عام ١٨٨١ ادخلت شركة فرنسية الاتوبيسات البخارية النهرية فى القناة الكبرى وتسمى فابوريتى . .

وانخفض عدد قوارب الجندول من ١٠،٠٠٠



الى ٤٠٠ لان الجندول اليوم امام منافسة ٧٥ تاكسيا مائيا تسير بالموتور.

وتوجد انواع مختلفة وعديدة من المراكب فى فينيسيا تبدأ من الصندل الصغير ويسيره البحار واقفا بالتجديف بمجدافين متقاطعين وكذلك قوارب اسعاف زرقاء تسير بالموتور وقوارب للمطافىء والبريد وقوارب مجمع القمامة وقوارب تبيع المشروبات وقوارب الشرطة السريعة وقوارب صيد السمك عالية السوارى . . وعلى اليابسة التى فيها حمامات سباحة توجد سيارات الاجرة وعربات السكة الحديد ـ وتمر بين تلك القوارب سفن الشحن وتشكيلة ضخمة من قوارب التسلية .

وتشتمل فينيسيا على ٣٠٠٠ شارع يابس يبلغ مجموع طولها ٩٠ ميلا والعمارة لها شكل فينيقى كما انها طعمت بالاساليب الفنية المتتالية عبر القرون فنجد التأثير الايطالى والعربى والبيزنطى والقوطى وعصر





النهضة . . فنجدها منفردة او مشتركة مثل الفينيتو - بيزنطى كما ساهمت عوامل اخرى فى تنسيق التجميع المعمارى مثل التصميم المتكرر للشارع او الكبرى او القناة . . تظهر الحجر كما لو كان شفافا وتحيل المبانى الى اشكال غير مادية فى انعكاسات صورة على صفحة الماء وكل شىء غارق فى انعكاس الانوار الملونة ومتكرر بين البحر والسماء .

ومن اهم الميادين :

ميدان سان مارك :

الانغام غير العادية للاحجار والهواء والماء . . وسان مارك احد اشهر ميادين العالم فهذا الصالون الرخامى الذى طوله ٥٧٤ قدما وعرضه ٢٦٠ قدما كان المركز الاجتماعى والسياسى للسيرنيسيما (اسم فينيسيا القديم) فالبواكى على ثلاثة جوانب وتتغلق نهايته الشرقية بكنيسة سان مارك ذات برج الاجراس الذى يرتفع الى ٣٢٤ قدما الى جانب قصر الدوق - الكنيسية ذات لون ذهبى والقصر بلون احمر . .

وقد بنى المدخل المائى الى الميدان حيث تلتقى القناة الكبرى مع حوض سان مارك وتسمى درجات السلم الرصيف باسم «المولو» ومن هناك الى داخل اليابسة وبين المكتبة القديمة وقصر الدوق - الرصيف المنمط للميدان الصغير - تؤدى الى برج الاجراس فى الميدان الرئيسى - ويتميز المولو عن الميدان الصغير بعمودين من الجرانيت مجلوبين من شرق البحر الابيض المتوسط فى القرن الثانى عشر الميلادى .

اما قصر الدوق فقد بنى اول مرة عام ٨١٤م وكنيسة سان مارك بنيت بعد ١٦ عاما من ذلك التاريخ والتهمتهما النار فى عام ١٩٧٦م واعيد بناؤهما فورا - واحترق القصر فى عدة حوادث حريق متتالية اما وجوده الحالى فيرجع الى القرن الرابع عشر الميلادى حين اعيد بناؤه ثم جرى توسيع القصر فى القرن التالى .

وعلى الجانب الشمالى من الميدان توجد المحكمة القديمة التى بنيت فى بداية القرن السادس عشر وعلى الجانب الجنوبى المحكمة الجديدة التى بنيت فى القرن السابع عشر ويشغل الطابق الارضى من هذه المبانى محلات تجارية فاخرة ومقاهى . . والادوار العليا تضم المتحف المدنى الذى يعرض المومياء المحلية والاوانى والاعمال الفنية .

كما يوجد فى نفس المبانى متحف الريزجويمنتو الذى يعرض تاريخ فينيسيا . . وعلى زاوية تواجه الميدان الصغير توجد المكتبة القديمة الرائعة العمارة وفى طرفها تجاه القناة توجد دار ضرب السكة - وكلاهما تم بناؤهما فى منتصف القرن السادس عشر على يد المهندس جاكويو سانسوفينو عندما هرب من

روما الى فينيسيا عندما اجتاحت اسبانيا روما ـ كما صمم المباني التى اصبحت مقر الشرطة والهاتف ومتحف الارخبيل والمكتبة الوطنية مارسيانا ومكتبة المدينة المركزية التى تقتنى المخطوطات المزخرفة للقرن الخامس عشر ومطبوعات فينيسيا.

ولا يزال ميدان سان مارك هو مركز فينيسيا ولا يخلو ابدا حتى فى ساعات ما قبل الفجر الثلجية فى الشتاء من الناس ـ وفى الصيف تخرج مناضد المقاهى لتلقى السياح بينما المرشدون السياحيون يخطبون والفرق الموسيقية تترنم بالحانها والحمام ياكل بشراهة مما يلقيه السياح عليه.

والحمام الشره احد اعداء الكنوز الفنية فى فينيسيا كما يقول لنا المرشد السياحى لان فضلات الحمام تلوث تلك الكنوز وتتراكم على اسطح الاعمدة والقصور واللوحات المرسومة فى السقوف.

وتجد فى الميدان ـ كما فى كل مكان اخر من فينيسيا الأسد الرمزى وفى جميع الاشكال والاحجام.

والمدخل الرئيسى لقصر الدوق يضم ٧٥ منها كما لا يزال يوجد صناديق الخطابات البحرية على شكل اسود تلقى فى افواهها العرائض الموجهة الى مجلس العشرة وامام الترسانة البحرية توجد تماثيل عديدة من الرخام لحيوانات ووحوش خطط عليها المرتزقة الثورمانديون الذين كانوا فى خدمة البيزنطيين ذكرياتهم.

بنيت الترسانة البحرية فى القرن الثانى عشر يحيطها حائط طوله ميلان وكان يعمل بها ١٦٫٠٠٠ عامل فى وقت مجدها فى القرن ١٦ وكانت تنتج سفينة جديدة كل يوم خلال ١٠٠ يوم اثناء الحرب ضد الاتراك ـ وكلمة الارسينال اى الترسانة ماخوذة من اللغة العربية وهى احدى الكلمات العديدة.

ويمتد من اسفل القوس الخاص ببرج الساعة شارع تجارى انيق يسمى المارزريا ويصل حتى الريالتو ـ وكان الريالتو هو البقعة التى تدار فيها اعمال اوروبا التجارية خلال القرون الثلاثة حتى اصبحت فينيسيا حلقة الوصل بين الشرق والغرب واقدم بنك حكومى هو بنك جيرو الذى اسس فى القرن الثانى عشر الميلادى ملاصقا لمكاتب الملاحة والتجارة والشحن وقد ذكر كمكان لتجمع التجار والمرابين فى مسرحية شكسبير «تاجر البندقية» عام ١٥٩٦ وما تزال توجد بنوك قليلة فى هذا الحى

وتقع قيصرية التجارة التركية القديمة بعيدا على ضفة القناة الكبرى وقد تحولت الان الى متحف التاريخ الطبيعى ـ والتجارة التى تغرق المحلات الان ذات طابع محلى: **السمك ـ اللحوم ـ الجبن ـ الدواجن ـ الخضروات والفواكه** والمشترون الفينسيون يتبعون التقاليد بشراء ما يكفى لوجبة واحدة بعكس غيرهم من المدن الاخرى والسياح.

وتتعرض فينيسيا للفيضان عندما تتوافق عدد من العوامل الجوية والمائية لاحداث مد نافورى فوق مياه البحيرة التى وصلت مسبقا الى مستوى مرتفع ـ وقد تكرر حدوث الفيضان ٥٨ مرة بين ١٨٦٧-١٩٦٧ وقد عملت الحكومة الايطالية بالتعاون مع الخبراء العالميين على وضع اجهزة إنذار تعطى اشارة قبل ١٢ ساعة من حدوث الفيضان واقترحوا وضع سدود متحركة للتحكم فى تيار الماء عند الفتحات التى يمر خلالها البحر الى البحيرة وخارجها.

واصبح واضحا ان فينيسيا تغوص بثلاثة امثال معدل الغوص فى القرون الغابرة بمعدل ١٢ بوصة كل قرن بينما كان المعدل السابق ٤٫٥ بوصة فى القرن بينما يرتفع مستوى سطح البحر بمعدل ٤ بوصات فى القرن وهذا الغوص ناتج عن ثقل المدينة فوق طبقة الطين البالغة ١٦٠٠ قدم القابضة فوق الطبقة الصلبة تحت قاع البحيرة وهناك سبب آخر واضح هو استنزاف مياه الشرب بالآلات الميكانيكية من ينابيعها الجبلية تحت الارض لاغراض الصناعة فعندما

تستنزف المياه تتحطم الجيوب التى كانت تحتويها وتهبط الارض التى فوقها. . هذا دفع الى التحكم والسيطرة على استهلاك المياه والى اغلاق اكثر من ٢٠٫٠٠٠ بئر وذلك بعد بناء سدود مياه تستمدها من الجبال.

وفى عام ١٩٦٩ اكتشفت ان احدى الصناعات التقليدية القديمة وهى صناعة الزجاج والمنسوجات تستخدم عددا كبيرا من اهل فينيسيا كما ان ٢٠٪ - ٣٠٪ من القوى العاملة ترتبط بانشطة الميناء ولكن اليوم نجد ميناء مارغيرا وهو احد احياء فينيسيا يملك ٨ اضعاف طاقة المدينة القديمة كما ان حوالى ٢ مليون سائح يوفرون العمل لثلث القوة العاملة ولكن هذه الحركة كلها تتركز فى خلال ثلاثة شهور فى فصل الصيف. . حيث تتحول المدينة الى متحف يعج بالسياح من شتى الاجناس.

كانت الجزر المحيطة بها خالية تماما من السيارات فالمواصلات فيها هى القوارب والمراكب فقط بين البيوت وتشتمل على المطاعم والفنادق والاسواق المليئة بالكرستال والزجاجيات. . وقمنا بزيارة لاحد المصانع الخاصة بالزجاجيات الفاخرة وتناولنا طعام الغداء فى احد مطاعم تلك الجزر الفاتنة وذات الجو البارد الجميل ثم قمنا بزيارة لقصر «دودجيس» الذى مضى على بنائه ستمائة عام ومازال شامخا حقا ان هذه الجزر لآية فى الحسن والجمال.

ولقد وضعت بلدية البندقية لافتات بمنع السياسح من النوم خلال الليل بجانب القنوات وقال رئيس البلدية ان المدينة لا تلقى الاحترام اللازم من السياح ويجب الا يسمح لهذا المركز التاريخى بان يتحول الى موقع مخيم.
وقد قام رجال البوليس بدوريات حيث ايقظوا مئات


شاطىء سورينتو

من السياح الشباب الذين لا يستطيعون دفع اجور الفنادق الغالية وينامون فى العراء.

ثم غادرنا هذه المدينة الجميلة الرائعة تحت وابل من المطر كان ينهمر فى هذه الاثناء وكان يوما ممتعا يشد لاقامة أطول فى هذه المدينة لما تمتاز به من جمال الطبيعة ونسق الحياة وروعتها وسحرها.

ثم اخدنا باخرة الى شواطىء المدينة وكنت أتذكر كم شهد هذا البحر من وقائع وكم حمل من سفن وكم وافق من حوادث جسام. . وكان فى انتظارنا حافلة فصعدنا بها متوجهين نحو بلاد اخرى مرددا قول الصديق عبد الكريم الجهيمان:

ارحل وشاهد بها ما قد سمعت به
شتان عندى بين الخبر والخبر
وسوف تلقى بها اضعاف ما سمعت
اذنان من منطق قد ليث بالحصر
وسوف تبهرك الانوار ساطعة
بكل علم حباه الله للبشر
فاشدد رحالك واعجل فالدنا فرص
وما سماعك بالاثار كالنظر

دول أوروبا

دكتور
إحسان هندي
جامعة العين ـ الامارات العربية المتحدة



يعرّف فقهاء القانون الدولى الدولة بأنها «مجموعة من البشر تسكن بشكل ثابت ومستقر فى حيز جغرافى محدد من الأرض وتخضع فى شؤونها لسلطة سياسية منبثقة عنها».

وهكذا فالدولة ـ كما يظهر من هذا التعريف ـ تتكون من ثلاثة عناصر تشكل أركانها المادية وهى. «العنصر الديموغرافى أو السكانى ـ العنصر الجغرافى أو الاقليمى ـ العنصر القانونى ـ السياسى أو السيادة. . وبمجرد اجتماع هذه العناصر الثلاثة تكتمل مكونات الوجود القانونى للدولة بصرف النظر ما إذا كان إقليمها واسعاً وضيقا وعدد سكانها كبيراً أو صغيراً والسلطة السياسية التى تحكمها قوية أو متراخية:

وهكذا نجد دولا يتجاوز عدد السكان فيها المليار نسمة كحالة الصين مثلا كما نجد دولا أخرى ـ فى المقابل ـ لا يتجاوز عدد سكان الواحدة منها ٢٥٠٠٠ نسمة أى أقل من سكان حى واحد من أحياء مدينة القاهرة مثلا.

ومن حيث المساحة هناك دول تمتد أراضيها على ثلاث قارات (الاتحاد السوفيتى مثلا) وهناك بالمقابل دول أخرى تقل مساحتها عن مساحة طوابع البريد





التى تصدرها سنوياً كما هو الحال بالنسبة لامارة (موناكو) التى مساحتها أقل من كيلو مترين مربعين وإذا أخذنا رقم ٣٠٠ر٠٠٠ نسمة كمعيار لتمييز «الدول الصغرى» عن غيرها ورقم ٣٠ر٠٠٠ نسمة كمعيار لتمييز الدول الصغيرة جدا فإننا نجد داخل قارة أوربة فقط سبع دول يقل عدد الواحدة عن ٣٠٠ر٠٠٠ ومن بينها خمس دول ـ أو بالأحرى دويلات صغيرة جدا لا يبلغ عدد سكان الواحدة منها ٣٠ر٠٠٠ نسمة وهى حسب الترتيب الأبجدى: أندورة ـ ليختشتاين ـ موناكو ـ سان مارينو ـ الفاتيكان.

وسنتكلم فيما يلى عن الدويلات الأربع الأولى كل منها فى حلقة خاصة بحسب ترتيب ذكرها هنا وأما (الفاتيكان) فلن نأتى على بحثها نظراً لطبيعتها الدينية الخاصة من جهة ولأن عدداً كبيرا من الفقهاء ينكر عليها صفة الدولة من جهة ثانية.

أولا: أندورة

أ) التاريخ: إذا اعتبرنا أندورة دولة مستقلة فإنها تكون واحدة من أقدم دول العالم لأن تاريخ إنشائها كدولة يعود لعام ١٢٧٨م بل يقال إن تاريخ استقلالها الفعلى يعود الى ما قبل ذلك بحوالى خمسة قرون وذلك حين أعطاها الامبراطور (شارلمان) استقلالها عام ٧٩٠م وكلف سكانها بأن يحرسوا الممرات الجبلية ضد هجمات المسلمين الذين كانوا فى الأندلس تلك الأيام.

ثم أتى لويس ابن شارلمان فأعطى سكانها عام ٨١٩م أول لائحة لحقوقهم الدستورية مما يجعل هذه اللائحة أقدم من لائحة (الماجناكارتا) البريطانية بعدة قرون.

وإذا كان هناك من يجادل فى صحة اعتبار تاريخ ظهور دولة (وديان أندورة) منذ عام ٧٩٠ أو ٨١٩م فإن أغلبية المؤرخين يعترفون بتاريخ ٨ أيلول/ سبتمبر ١٢٧٨م كتاريخ لتشكيل هذه الدولة حيث إنه فى هذا التاريخ اجتمع فى مدينة (ليريدا) الاسبانية كونت مدينة (فوا) الفرنسى وأسقف مدينة (أورجيل) الاسبانية واتفقا على تسوية النزاع بينهما بخصوص أندورة عن طريق إنشاء (إمارة مشتركة) فيها تخضع لسيادتهما معا وقد صدق البابا مارتن الرابع على هذا الاتفاق الاقطاعى عام ١٢٨٢م(١).

وقد تأكد هذا الاتفاق الأول باتفاق ثان تم التوقيع عليه فى ٦ كانون الأول/ ديسمبر ١٢٨٨م من قبل حوبيرده أورجو أسقف مدينة أورجيل والكونت روجيه

بيرنـار الثـالث كونت مدينـة فوا الفرنسية وقد اتفق الأمـيران على أن تخضـع الامارة لسيادتهما المزدوجة وعلى أن يكون لكل منهما حق تعبئة الأهالى بشرط الا تكون هذه التعبئة ضد الأمير الآخر كما يكون لكل منهما حق فرض الجزية بالتناوب مع الأمير الآخر أى أن كونت فوا الفرنسى يقبض الجزية سنة ثم يقبضها أسقف أورجيل الاسبانى فى السنة التالية وهكذا . .

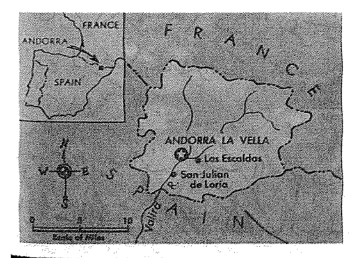
وقـد انتقلت كونتية فوا إرثاً الى مملكة نافار فى أوائل القرن السادس عشر ثم لما انضمت مملكة نافار الى المملكة الفرنسية فى زمن دوق فوا هنرى ده نافار الذى أصبح ملكاً على عموم فرنسا سنة ١٥٨٩ أصبحت أنـدورة تابعـة إقطـاعياً لرئيس الدولة الفرنسية وقد تكرس ذلك بموجب مرسوم ملكى صدر عن الملك لويس الثـالث عشر فى ١٩ أكتوبر/ تشرين الأول ١٦٢٠ ومنذ ذلك الوقت يعتبر رئيس الدولة الفرنسية ـ سواء أكان ملكاً أو امبراطوراً أو رئيس جمهورية ـ واحـداً من أمـيرين يمارسان السيادة بصورة مزدوجة على (وديان أندورة).

وأمـا الأمير الثانى فهو أسقف أورجيل الذى يعين من قبـل البـابـا ـ وليس الحكـومة الاسبانية ـ وهو أحد الأساقفة القلائل الذين لازالوا يمارسون صلاحيات دنيوية حتى اليوم ومر على مدينة أورجيل منذ عام ١٢٧٨م وحتى اليوم ٥٦ أسقفا شاركوا رئيسى الدولة الفرنسية فى السيادة على وديان أندورة.

وقد عاشت هذه الدويلة فى عزلة دولية شبه كاملة طيلة خمسة قرون ولما نشبت الثورة الفرنسية تم إلغاء الاقطاع ورفضت حكومة الثورة تلقى الجزية السنوية من حكـومـة الوديان كما رفضت ممارسة المشاركة فى السيـاسـة مع أسقف أورجيـل. ولكن عنـد إنشاء الامـبراطـوريـة الفـرنسيـة الأولى تقدم الأندوريون بالتماس الى الامبراطور نابليون الأول يطلبون فيه منه إعادة العلاقات الى ما كانت عليه قبل عام ١٧٨٩ فأصدر نابليون مرسوم ٢٧ آذار/ مارس ١٨٠٦ يجدد فيه علاقات فرنسا من جديد بأندورة. . وأهم أحكام المـرسـوم المـذكور هى إعادة الوضع القانونى لنظام السيـادة المزدوجـة الذى كان قائماً قبل عام ١٧٨٩ وتحـديـد مبلغ الجزية السنوية بـ ٩٦٠ فرنكاً فرنسياً وإلحاق شؤون أندورة بمحافظة الآريج الفرنسية(٢).

وإذا استثنينا هذه التبديلات الجزئية فإنه يمكن القول إن أنـدورة قد حافظت على وضعها الدولى وعلى عزلتها الخارجية فى الوقت نفسه وهذا الانعزال جعلها تهمل الاتصال بمواصلات جيدة مع الدول المجاورة وبقية أنحاء العالم بشكل مقصود حيث لا يوجد فيها مطـارات أو قطـارات وأول طريق سيـارات يصلها بالخـارج هو الذى وصلها بإسبانيا عام ١٩١٣ وأما الطريق الذى يصلها بفرنسا فلم يشق إلا بعد ١٩٣٠.

وقـد تكون هذه العزلة من أهم الأسباب التى جعلتها بمنأى عن أى احتلال أجنبى حيث إن كلا من الامبراطور نابليون الثالث وهتلر والجنرال فرانكو قد احـترمـوا حيادها وكذلك لم تؤثر جميع التغييرات الدستورية والسياسية فى فرنسا وإسبانيا على وضعها الدستورى والدولى.





ب) الجغـرافيـا: تقع هذه الدويلة على المنحدر الجنـوبى لجبال البيرينه الشرقية التى تفصل اسبانيا عن فرنسـا بين مقـاطعة (ليريدا) الاسبانية ومحافظة (الآريـج) الفرنسية حيث تحدها الأراضى الفرنسية من الشمال والشرق والأراضى الاسبانية من الجنوب والغرب ضمن الاحداثيات الجغرافية: ٢٧َ ٤٢ْ إلى ٣٠َ ٤٢ْ شمالا و٢٧َ ١ْ الى ٣٠َ ١ْ شرقا.

واقرب مدينة لها من الجانب الفرنسى هى (فوا) ومن الجانب الاسبانى هى (أورجيل) التى تبعد عن عاصمتها (أندورة لافيلا) حوالى عشرة أميال (١٦ كيلومترا).

تبلغ مسـاحـة أراضى أنـدورة ١٧٩ميلًا مربعاً (٤٦٥ كيلومتر مربع) وهى تتشكل من سبعة جبال أعلاها هى قمة (كوما بيدروزا) التى يبلغ ارتفاعها ٩٦٦٥ قدماً (٢٩٧٥م) عن سطح البحر وبين هذه الجبال توجد ثمان بحيرات تقع على ارتفاع ٦٥٠٠ - ٨٥٠٠ قدم وأهمها البحيرة التى تحمل اسم (إنجولا سترز).

ويشق أراضى هذه الـدويلة نهر (فـاليرا) الذى يشكل مجرى على شكل حرف (Y) ويقسم أراضيها الى ثلاث منـاطق: فاليرا الشـرقيـة (لافـاليـرا دل أوريـين) وفاليرا الشمالية (لافاليرا دل نورث) وفاليرا الكبرى (لافاليرا كراندیه).

وبقية أراضيها عبارة عن هضاب ووديان يتراوح ارتفاعها بين ٣٠٠٠ و٩٦٠٠ قدم (٩٠٠-٢٩٠٠م) مما يجعـل الثلوج تغمرها طيلة فصل الشتاء وأما فى الصيف فطقسها معتدل يميل الى البرودة (متوسط الحرارة ٩ درجات وتغطى أراضيها الغابات والمراعى الخضراء التى تحتل مساحة ٤٣٪ من جملة أراضيها وتشكل ملكية جماعية مشتركة للسكان.

ج) الاقتصـاد: إن اقتصاد أندورة يقوم على الزراعة بشكـل أسـاسى ومنتـوجها الرئيسى هو التبغ الذى يصنع جزء منه ويهرب الجزء الباقى الى فرنسا (٣٠ كغ من التبغ على ظهر المهرب تؤمن له مبلغاً محترماً إذا وصل بها الى فرنسا).

والمنتـــوج الـــزراعى الثـــانى هو العنب وأهم المـزروعـات الأخرى هى أشجار الزيتون والصنوبر الـبرى بالنسبـة للأشجـار والقمـح والشعـير والذرة والحمص والفول والبطاطا بالنسبة للحبوب والبقول، وأمـا بالنسبة للنباتات العشبية والزهور فهى عديدة وأهمهـا النـرجس والليلك والـدفلى وبالاضافة إلى ذلـك تربى المـواشى وخـاصة الخيول والبغال التى تستخـدم كوسـائط للركوب والنقل الداخلى ضمن أراضى الدولة كما تربى وتسمن قطعان الغنم والماعز والخنازير والبقر لاستهلاك جزء منها وتصدير الباقى

الى البلدين المجاورين (فرنسا وإسبانيا) وبالنسبة للحيوانات البرية تجد فيها الإبل والأرانب كما نجد فى بحيراتها المنخفضة نوعاً من سمك الترويث المعروف.

وفيما يتعلق بالصناعة لا توجد فى أندورة صناعات ثقيلة إذا استثنينا منجمين ينتجان كميات متواضعة من الحديد والرصاص وهناك محاولة للاستفادة من الطاقة التى يولدها نهر (فاليرا) فى استخراج الكهرباء.

أما الصناعات الخفيفة فنجد فيها بعض الصناعات التقليدية اليدوية أو نصف الآلية مثل صناعة السجاير والسيجار والكبريت وتمشيط الصوف وغزله وقص الاخشاب وصنع الصنادل الجلدية.

وتصدر أندورة قطعان المواشى ـ بعد تسمينها ـ وبعض مصنوعاتها التقليدية المشار إليها أعلاه كما أن السكان يضيفون إلى هذه الأصناف تهريب بعض السلع من فرنسا الى اسبانيا وبالعكس مثل التبغ وأجهزة الراديو وقطع غيار السيارات والجوارب والمستحضرات الدوائية كما يتم شراء السيارات من فرنسا حيث تسجل فى أندورة ثم تباع بربح طيب الى اسبانيا.

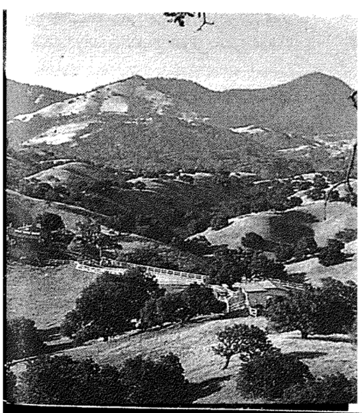
وبعد الحرب العالمية الثانية حققت الدولة انفتاحا جزئياً أمام حركة السياحة الأجنبية ويزيد من إقبال السياح إليها وأغلبهم من فرنسا وإسبانيا ـ أن الأسعار فيها أقل من أسعار الدول الأوروبية الغربية الأخرى بشكل ملحوظ.

وقد قفز عدد السواح من ١٠٠٫٠٠٠ عام ١٩٥٠ إلى أكثر من ٨٠٠٫٠٠٠ عام ١٩٦٥ وقد تجاوز العدد مليون سائح سنوياً الآن مما جعل الحكومة تخرج من عزلتها التقليدية وتزيد من عدد المنشآت السياحية الحديثة وهكذا قفز عدد الفنادق السياحية إلى أكثر من ٧٠ فندقاً فى أيامنا هذه.

وبما أنه لا يوجد فيها مطارات أو سكك حديدية فإن أغلب السواح يأتون إليها بالسيارات من مضيق (ياس ده لاكازا) الذى يفصلها عن الأراضى الفرنسية.

وليس لأندورة عملة وطنية بل هى تستخدم الفرنك الفرنسى والبيزيتا الاسبانية على قدم المساواة وتشكل واردات الدولة من الرسوم الجمركية على الواردات بنسبة ٣٪ من قيمة البضائع المستوردة ومن الرسوم على المحروقات وعلى دور الاذاعة والشركات التى تستثمر الماء والكهرباء (٢٧ مليون بيزيتا سنوياً).

وأهم مصروفات الدولة هى رواتب الموظفين ونفقات إصلاح الطرق حيث يصرف ربع الميزانية السنوية على فتح طرق جديدة وصيانة الطرق القديمة وتحسينها.. وتستفيد الخزانة الأندورية بشكل خاص من أثمان طوابع البريد التى تستخدم



فيها حيث ان إدارة البريد الفرنسية تطبع ما يلزمها من طوابع أندورية بالفرنك الفرنسى وإدارة البريد الاسبانية تطبع ما يلزمها من طوابع أندورية بالبيزيتا الاسبانية ويعود الربح مناصفة لأندورة والدولة ذات العلاقة ويقدر ربح طوابع البريد بـ ١٨٫٥ مليون بيزيتا سنويا.

وتؤمن حكومة أندورة خدمة البريد الداخلى مجاناً داخل الأراضى الأندورية وأما البريد الخارجى فيمكن فيه استخدام طوابع البريد الاسبانية أو الفرنسية بلا تمييز إلا بالنسبة للبريد الموجه الى اسبانيا فيجب أن ينطلق من مكاتب البريد الاسبانية فى أندورة وبالطوابع الاسبانية والبريد الموجه الى فرنسا يجب أن ينطلق من مكاتب البريد الفرنسية وبالطوابع الفرنسية.

ومن غرائب هذه الدويلة أخيراً أنها مكلفة بدفع ضريبة اقطاعية كل سنتين وذلك بالتناوب: سنة إلى فرنسا والسنة التى تليها الى أسقف أورجيل الاسبانى ولا تزال هذه الضريبة تحمل اسما عربيا وهو «الجزية».

والضريبة التى يدفعها الأندوريون الى فرنسا تعادل ٩٦٠ فرنكا كل سنتين والضريبة التى يدفعونها الى أسقف أورحيل بقيمة ٤٦٠ بيزيتا اسبانية بالاضافة الى هدايا سنوية تتكون من ١٢ فخذ خنزير مملح و١٢ ديكاً و٢٤ قطعة من الجبن ويحق للأسقف رد هذه الهدايا إذا لم تعجبه.. ويلاحظ من هذه الهدايا وقيمتها الطابع الاقطاعى لأندورة إذ هى إقطاع يتبع عاهلين أكثر مما هى دولة كاملة السيادة.

د) السكان: يعود السكان الأندوريون الأصليون لعرق بشرى قديم يسمى (الأندوزان) استقر فى المنطقة قبل مجيىء الرومان ثم اختلط بالشعوب الأخرى وخاصة القشتاليين الذين أخذ لغتهم (الكاتالانية).

وقد تزايد عدد سكان أندورة بنسبة ملحوظة بعد الحرب العالمية الثانية حيث كان عددهم ١١٫٠٠٠ نسمة فقط عام ١٩٦٥، وارتفع الى ٢٠٫٨٠٠ سنة ١٩٧١ وإلى ٢٣٫٠٠٠ عام ١٩٧٥ وأما اليوم فيبلغ العدد الاجمالى للسكان ٢٧٫٥٥٠ نسمة: ٦٠٪ منهم من الأندوريين والبقية من الأجانب المقيمين فى الدولة ومن أصل هؤلاء الأجانب هناك ٣٠٪ من الاسبان و٧٪ من الفرنسيين والباقى من ٣٥ جنسية مختلفة.

ويسكن نصف السكان تقريبا فى العاصمة المسماة (أندورة لافيلا) وأما المدينة الثانية فى الدولة فهى (ليزيسكالد) الشهيرة بمتاجرها ومياهها المعدنية.

اللغة الأساسية للسكان هى الكاتالانية (لهجة اسبانية) ويفهم أهلها الفرنسية والاسبانية أيضاً وهاتان اللغتان هما لغتا التعليم اللتان تعلمهما المدارس الأندورية ولكن ليس معاً حيث إن أولياء التلاميذ (ويبلغ عددهم ٦٠٠٠ تلميذ) هم الذين يختارون لأولادهم اللغة الفرنسية أو الاسبانية (٤٨٪ من التلاميذ الأندوريين يدرسون اليوم بالفرنسية و٥٢٪ بالاسبانية) والتعليم عموماً ليس إلزامياً - حتى للأولاد - بل هو اختيارى.

الديانة الرسمية للدولة هى الكاثوليكية الرومانية ولا يمكن الزواج إلا فى الكنيسة والطلاق ممنوع.

ولا يوجد فقر ولا جرائم تقريبا فى أندورة وليس هناك حروب ولا جيش محترف ولا أبطال قوميون وليس هناك ثقافة وطنية أو أدب أو طرق خاصة بالطبخ فى أندورة وإذا استثنينا وجود رقصة وطنية لهم تسمى (الساردانا) بوسعنا القول إنه لا توجد فنون أندورية كذلك.

ولا تحوى الدولة أية صحافة يومية وطنية ولكن فيها مجلة شهرية باسم (أندورة ماجازين) تصدر فى مدينة (ليزيسكالد) ويعوض هذا النقص الاعلامى وجود محطتى إذاعة شهيرتين فوق أراضى الدولة.

هـ) نظـام الحـكم والادارة: تقسم الأراضى الأندورية إلى ست بلديات ويدير كل بلدية مجلس فنى من قبل الشعب لمدة خمس سنوات وعلى رأس كل مجلس من المجالس الستة موظف منتخب يحمل اسم (القنصل) وهذه البلديات تحمل الأسماء التالية:

«أندورة لافيلا ـ كانيللو ـ إنكامب ـ لاماسانا ـ أوردينو ـ سانت خوليان».

وهذه التقسيمات تعتبر تقسيمات إدارية وكنسية فى الوقت نفسه حيث إن كل بلدية هى (أبريشته) فى الوقت نفسه ولكل أبريشيته (عميد) تطلب منه شهادات المعمودية التى هى بمثابة بطاقات هوية للمواطنين الأندوريين حيث إن الولد الذى لا يعمد فى الكنيسة لا يحصل على شهادة تسجيل وبالتالى لا يعتبر حاملا للجنسية الأندورية.

وينظم هذه الجنسية عموماً عدة مراسيم أهمها: **مرسوم ١٧ يونيو/ حزيران ١٩٣٩، و٢٦ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤١، و١٦ كانون الثانى/ يناير ١٩٤٢، و٢٤ آذار/ مارس ١٩٥٨.**

هذا بالنسبة للجنسية الطبيعية أو الأصلية وأما بالنسبة للتجنس فهو عملية صعبة ومحدودة للغاية إذ لا يمكن الحصول على الجنسية الأندورية اكتساباً إلا عن طريق الزواج من الفتاة البكر لمواطن أندورى أصيل بالولادة ليس له وريث ذكر وبهذا يبقى حق الانتخاب بشكل خاص والحقوق السياسية بشكل عام مقصورة على نفر من رؤساء العائلات الذين لا يتجاوز عددهم ٣٠٠٠ شخص.

هذا بالنسبة لنظام الادارة وأما بالنسبة لنظام الحكم فى أندورة فتنظمة جملة وثائق دولية وداخلية أهمها:

١ ـ باريتاج (اتفاق اقطاعى) عام ١٢٧٨ بين كونت فوا وأسقف أورجيل وهو الاتفاق الذى أنشأ الدولة.

٢ ـ التعديل الذى جاء عليه باتفاق ٦ كانون الأول/ ديسمبر ١٢٨٨ بين هوبير ده أورجو أسقف مدينة أورجيل والكونت روجيه بيرنار الثالث كونت مدينة فوا.

٣ ـ التعديل الثانى الذى جاءت به الكونكوردا(٣) التى وقعها كونت مدينة (فوا) مع الأسقف بيرده ناربون عام ١٣٤٧.

٤ ـ الاتفاق الذى وقعه المركيزده موستييه وزير خارجية نابليون الثالث مع أسقف أورجيل فى ١٢ نيسان/ أبريل ١٨٦٨.

٥ ـ جملة التشريعات والأعراف الداخلية التى تحمل اسم (ألبوليتار) والتى بدىء بجمعها وتطبيقها منذ سبعة قرون.

وبموجب أحكام هذه الوثائق الدولية والداخلية تكون السيادة فى (وديان أندورة) لكل من رئيس الدولة الفرنسية وأسقف مدينة أورجيل (وليس الحكومة الاسبانية) معاً بشكل مشترك وهما يمارسان مباشرة أو بوساطة ممثلين عنهما الاختصاصات التشريعية والتنفيذية والقضائية وتكون ممارسة رئيس الدولة الفرنسية لشؤون الحكم فى أندورة حقاً شخصياً لا وظيفياً ولهذا فهو يخرج عن أى رقابة دستورية أو تشريعية أو قضائية.

ويعين أسقف أورجيل بصك بابوى بناء على اقتراح من الحكومة الاسبانية وذلك بموجب الكونكورد الموقعة بين الجانبين (البابا والحكومة الاسبانية) فى **٢٧ آب/ أغسطس ١٩٥٣** ولكن بالرغم من أنه اسبانى فهو لا يتبع رسمياً الحكومة الاسبانية(٤)

وبالرغم من أنه من المفروض أن يمارس الأميران (رئيس الجمهورية الفرنسية وأسقف أورجيل) صلاحياتهما معاً فإنهما يمارسانها فى الواقع بواسطة (مندوبين عامين) ولم يحدث أن اجتمعا منذ بداية القرن التاسع عشر حتى اليوم سوى مرة واحدة حين

١) **السلطة التشريعية** : يمارس السلطة التشريعية فى أنـدورة منذ عام ١٧٦٣ مجلس يسمى (**المجلس العـام للوديـان**) وهـو مجلس يتكون من ٢٤ عضواً ينتخبون لمدة أربع سنوات ويجدد نصف الأعضاء كل عامـين ويتم الانتخـاب حالياً ضمن الأبـريشيات (البلديـات) الست بمعـدل أربعـة أعضاء عن كل أبرشية وذلك بالاقتراح العام. وقد كان الانتخاب يتم قبل عام ١٨٦٦ من قبل (رؤساء العائلات الممتازة) الـذين يحملون الجنسية الأندورية منذ ثلاثة أجيال على الأقل ثم أصبح يتم من قبل رؤساء العائلات الأندورية بشكل عام منذ ١٩٣١ وبعد عام ١٩٤٤ أصبـح الانتخـاب حقاً لجميع المواطنين الأندوريين الـذكـور الذين بلغوا الخامسة والعشرين من العمر دون النسـاء اللواتى لم يَحُزْن هذا الحق إلا بموجب مرسوم خاص صدر فى ٨ أيلول/ سبتمبر ١٩٧٣.

ويعقـد (المجلس العـام للوديـان) اجتماعاته فى دورتين مقفلتين (سريتين) كل عام: **الأولى فى فترة أعيـاد الميـلاد والثانية فى فترة عيد الفصح** وذلك فى مبنى قديم يسمى بلغـة أهل البلاد (بيت الوديان) ويصـل الأعضـاء إليه عادة فى موكب تقليدى على ظهـور البغال وهم يرتدون كاباتهم وقبعاتهم الزرقاء المميـزة لمنـاصبهم. ويحمل أعضاء المجلس المذكور اسم (مستشارين) وانتخابهم لوظيفة المستشارين هو من قبيـل الـتكليف لا التشـريف حيث انهم لا يتقاضون أية رواتب عن أعمالهم. وعلى من ينتخب لأى وظيفـة فى أنـدورة أن يؤدى مهام هذه الوظيفة كاملة ولو لم يرشح نفسه شخصيا لها وإذا رفض ذلك يمكن أن يتعرض للطرد من الوديان طيلة المدة التى تستغرقها الوظيفة التى رفضها.

وضمن هذا المنظور يمكن أن يفهم المرء سبب عدم وجـود أحـزاب سياسية فى الامارة وسبب عدم عقـد اجتـماعـات انتخابية للدعاية للمرشحين قبل عمليـة الانتخاب نفسها لأن الانتخابات شرفية ولا



اجتمع الرئيس جورج بومبيدو مع أسقف أورجيل فى مدينة (كاهور) الفرنسية يوم ٢٥ آب/ أغسطس سنة ١٩٧٣(٥).

والطـريف فى الأمـر أن أسقف أورجيـل رفض المجيىء الى اندورة لاستقبال الرئيس الفرنسى شارل ديجول لما زارها هذا الأخير فى يوم ٢٣ تشرين الأول/ أكتـوبـر ١٩٦٧ وكـذلك فعل عندما زارها الرئيس فالـيرى جيسكـار ديستان يوم الخميس ١٩ تشرين الاول/ أكتوبر ١٩٧٨.

ومن المفـروض مبـدئيـاً أن تكون ممارسة الحكم فى أندورة مناصفة بين الأميرين ولكن اختلاف طبيعتهما جعل لكل منهما اختصاصاً متميزاً فأسقف أورجيل لا يمكن بصفته رجل دين أن يمارس الشؤون الجزائية وعلى العكس فإن جميع ما يتعلق بالحالة المدنية من اختصاصه حيث يخضع هذه الحالة لأحكام (القانون الكنسى) فى الدولة.

وبعد هذه اللمحة العامة عن نظام الحكم فى دويلة أنـدورة سنتعـرض فيـما يلى لذكر بضعة أسطر عن نظـامهـا الـدسـتـورى فيما يتعلق بممارسة السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية.

تخص إلا عدداً محدوداً من المواطنين وهم من يتمتعون فعلا بحق الانتخاب وعددهم لا يتجاوز ٣٠٠٠ شخص كما قلنا سابقاً.

وبالرغم من أنه أصبح من الممكن انتخاب النساء منذ المرسوم الذى أصدره الأميران فى ٨ أيلول/ سبتمبر ١٩٧٣ فإنه لم تنتخب حتى اليوم أية امرأة لوظيفة مستشار فى (المجلس العام للوديان) ومن الجدير بالذكر أخيراً أن المجلس العام للوديان لا يمارس السلطة التشريعية كاملة وإنما (سلطة تنظيمية) فقط فى مجال حقوق الملكية.. منح تراخيص العمل.. تحديد رسوم الاستيراد.. المواصلات... الخ.

ويتمتع الأميران بحق النقض (الفيتو) بالنسبة لقرارات المجلس العام للوديان كما يمكنهما أن يمارسا بنص مشترك السلطة التشريعية فيما يتعلق بمنح أو سحب بعض (الامتيازات) فى الأراضى الأندورية.

٢) السلطة التنفيذية: تتم ممارسة السلطة التنفيذية فى أندورة من قبل أحد أعضاء المجلس العام للوديان يتم انتخابه من قبل بقية أعضاء المجلس الآخرين ويسمى (المفوض الأول) وتسميته الرسمية هى «السيد العظيم الشهير جداً المفوض والنائب العام للوديان». ويقوم المفوض الأول هذا بمهام رئيس الدولة ورئيس النيابة العامة ورئيس الحكومة معاً وله نائب يسمى (المفوض الثانى) يعاونه فى مهمته.. وينوب عن عاهلى الدولة (رئيس الجمهورية الفرنسية من جهة وأسقف أورجيل من جهة ثانية) مندوبان عامان يسمى كل واحد منهما Viguier حيث يعين المندوب الاسبانى من قبل أسقف أورجيل لمدة ثلاث سنوات وأما المندوب الفرنسى فهو محافظ مقاطعة البيرينيه الشرقية إضافة لوظيفته الأصلية ووظيفتهما الأساسية تمثيل ا لأميرين فى إدارة الدولة ولكنهما لا يتدخلان إلا ضمن أضيق الحدود منذ مرسوم ٢٧ شباط/ فبراير ١٨٨٤(٦).

وليس هناك وزراء بالمعنى المفهوم للكلمة ولكن هناك موظفون سامون من أعضاء (المجلس العام للوديان) يشرف كل منهم على قطاع خدمات معينة فى الدولة علماً بأن بعض المصالح مثل التعليم والبريد والبرق هى على مسؤولية الحكومتين الفرنسية والاسبانية وبعض المصالح الأخرى مثل الهاتف.. مكافحة الحريق.. التأمينات الاجتماعية.. المواصلات. هو من مسؤولية الادارة الأندورية نفسها.

هذا ومن الجدير بالذكر أخيراً أن الاعضاء الستة الأكبر سناً فى (المجلس العام للوديان) والذين يمثلون الأبرشيات الست (عضو من كل أبرشية) يكلفون بالاحتفاظ بمفاتيح أرشيف الدولة الكائن فى بناء عتيق لا يمكن فتحه إلا بوجود حاملى المفاتيح الستة معاً.

٣) السلطة القضائية: يتدرج التنظيم القضائى فى أندورة كما يلى:

أ - المحكمتان العامتان الأساسيتان: محكمتان بدائيتان للقضايا العامة المدنية والتجارية إحداهما فرنسية والثانية اسبانية والقاضى فى كل منهما منفرد يقال له (BAILLIS) أو (BAYLES).

ولا يزال يطبق فى كل منهما الاعراف من جهة والقانون الكنسى من جهة ثانية والقانون الرومانى العتيق فى الأعم الغالب.

ب - محكمة الجزاء: تتشكل من ثلاثة قضاة: «المندوبان العامان الفرنسى والاسبانى بالاضافة لقاضى الاستئناف الذى سنتكلم عنه بعد قليل. ويمثل النيابة العامة (المفوض الأول) أو (المفوض الثانى) الوارد ذكرهما أعلاه.

ومن الجدير بالذكر أنه خلافا لقاعدة (إقليمية القانون الجزائى) فإن المحاكم الفرنسية الجزائية تحتفظ باختصاصها بالنظر فى الجرائم التى يرتكبها المواطنون الفرنسيون فوق تراب أندورة(٧).

ج ـ **قاضى الاستئناف**: وهو قاضى وحيد محترف يعين على التناوب من أحد الأميرين ثم من الآخر سنة فسنة وينظر فى الأحكام التى تصدرها المحكمتان الأساسيتان.

د ـ **المحكمة العليا لأندورة**: وتنظر بالدرجة النهائية فى القضايا المدنية والتجارية والجزائية المرفوعة إليها من مختلف محاكم أندورة.

وقد تأسست هذه المحكمة بموجب مرسوم ١٣ يوليو/ تموز ١٨٨٨ ويكون قضاتها الثلاثة من الفرنسيين ومقرها فى مدينة (بيربينيان) الفرنسية.

هـ ـ **المحكمة الروحية العليا**: مقرها فى مدينة (أورجيل) الاسبانية وهى تنظر فى القضايا الروحية وقضايا الأحوال الشخصية التى لها مساس بالكاثوليكية وتستند فى قراراتها إلى أحكام القانون الكنسى حصراً.

هذا بالنسبة للمحاكم وأما بالنسبة لتنفيذ الأحكام فتطبق فى أندورة إجراءات خاصة موروثة منذ زمن قديم فى مجال تنفيذ الأحكام الجزائية: فأحكام الاعدام ـ التى نادراً ما ينطق بها ـ تنفذ بطريقة الخنق.

وإذا حكم على أحد الأندوريين بالسجن فله الحق بقضاء فترة محكوميته فى السجون الفرنسية أو الاسبانية حسب رغبته الخاصة.

ويحرس الأمن فى الدولة شرطة مدينة برشلونة الاسبانية لمدة عام ورجال الأمن الداخلى الفرنسى لمدة عام آخر بالتناوب ولكن يحق للحكومة الفرنسية أن تدخل قوة بوليس أودرك إضافية خاصة إلى أراضى أندورة إذا استدعت الحال ذلك وقد استخدمت الحكومة الفرنسية هذا الحق عدة مرات بعد عام ١٨٧٠.

هذه هى باختصار بعض المعلومات العلمية ـ التى لا تكون كلها معلومات سياحية ـ عن دويلة أندورة..

قد يقول البعض إن خضوع هذه الدويلة لسيادة كل من اسبانية وفرنسا ينفى عنها صفة الدولة ولكننا لسنا إلى جانب هذا الرأى حيث لها عيدها الوطنى المستقل فى الثامن من شهر أيلول/ سبتمبر من كل عام ولها نشيدها الوطنى كذلك وهو نشيد يقول فى مطلعه: «شارلمان العظيم هو أبى» أى بلغتهم الكاتالانية.. كما أنه لها علمها الوطنى المتميز ويتكون من ثلاثة أقسام متساوية شافولياً: الأيسر بالأزرق والأيمن بالأحمر والأوسط بالأصفر.. وفى وسط القسم الأصفر شعار الدولة.

ولعله من الأفضل النظر الى أندورة على أساس أنها دولة مستقلة موروثة من العهد الاقطاعى وفى هذا يقول أحد الكتاب بسخرية: «إنها دولة يحكمها أميران أجنبيان لم يعد أى منهما أميراً منذ زمن طويل».

يبين الجدول التالى مساحة هذه البلديات وعدد سكانها

اسم البلدية	المساحة		عدد السكان حسب احصاء ١٩٧١
	ميل مربع	كم٢	
أندورة لافيلا	٢٣	٥٩	١٤٠٠٠
كانيللو	٤٧	١٢١	٤٠٠
إنكامب	٢٩	٧٤	٢٠٠٠
لاماسانا	٢٤	٦١	١٠٠٠
أورد ينو	٣٤	٨٩	٤٠٠
سانت خوليان	٢٣ر٥	٦٠	٣٠٠٠
المجموع	١٨٠ر٥	٤٦٤	٢٠ر٨٠٠ نسمة

(١) CHARLES ROUSSEAU: DROIT international Public-Tome 2-P.342-Paris 1974

(٢) روسو ـ المرجع المذكور أعلاه ـ ص٣٤٣.

(٣) الكونكوردا هى المعاهدة التى يشترك بها أو يصدق عليها البابا.

(٤) روسو ـ مذكور قبلا ـ ص٣٤٣.

(٥) Charles Rousseau: L'entrevue Des Deux Co-Princes D'andorre in Rgdip 1974- No 3-P.740

(٦) روسو ـ القانون الدولى العام ـ ج٢ مذكور قبلا ص٤٥

(٧) Cassation Criminelle- 12 Mai 1859-D. 1859 ET S.1859-1-975



عاتق البلادي

٦٤ كسوة الصغير وتنديه البعير من قلة التدبير:

فى كل أمة من الامم أمثال وحكم موروثة هى أبلغ ما يتحدثون به.. وأصوب للمعنى.. واجزل لفظاً ذلك أنها نتاج تجارب مفكريهم وثمرات عقول عقلائهم.

والعرب لهم فى ميدان الأمثال باع ضافٍ فيه الحكمة وجزالة اللفظ وصدق التعبير.

وفى عصور تقدمت كانت مواردهم شحيحة بحيث كان يعز على العاقل منهم أن يرى الصغير يمزق ثيابه بين الأشجار والحجارة رغم أن أباه لم يأت بها الا بالجهد الجهيد.

فرأوا أن كسوة هذا الصغير بالمعنى الذى نعرفه اليوم هو ترف يدل على قلة تدبير وليّه.. وأنه يكفى أن يكسى ما يستر ما لابد من ستره.

أما البعير هنا فيقصدون: الجمل فقط - إذ أنه لا يلقح ولا يحلب فاذا ندهته أى أعفيته من الحمل والركوب فان السنين تذهب به دون أن تستفيد منه وهم فى مثل هذا قولهم «مثل الحمار ما فيه غير ظهره».

هذا قول صواب: فالحمار لا يلد ولا يحلب ولا يؤكل لحمه ولا يستعمل غزله ولا جلده.. فكله محرم ما عدا الحمل عليه.. فاذا لم تستفد من ظهره فما استفدت منه.

ونحن اليوم فى آخر عهد هذا الحيوان فلم يعد أحد ينتفع به.. وأصبحت الحمير سائبة فى القرى تطرد كل مطرد وتحاربها البلديات.. وهى فى تناقص قد يفنيها خلال عشر سنوات.

٦٥ أطوار المرأة

المرأة فى صغرها: ريحانة.. وفى شبابها: فاكهة.. وفى كهولتها: مستودع حنان.. وفى شيخوختها: راوية.

٦٦ من حكم السلف الصالح

ينسب الى ابى بكر الصديق.. ثلاث من كن فيه كن عليه «المكر.. والبغى.. والنكث».

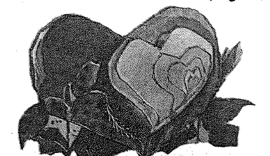


٦٧ ثلاثيات

ثلاثة تغلب العقل: «الطمع.. والهوى.. والحقد».

وثلاث تزيد فى العقل: «العلم.. والسفر.. ومجالسة العلماء والعقلاء».

وثلاث تشين الانسان: «الشح.. والجبن.. والحمق»..



٦٨ جامعوا الاضداد

قيل للحداد: ما صناعتك؟ قال: ما يغنى ويفنى.. وقيل للطباخ: ما صناعتك؟ قال: ما يصح ويمرض.. وقيل للجلاد: ما مهنتك؟ قال: تمحيص الذنوب باحداث الندوب.. وقيل للحائك: ما صناعتك؟ قال: زينة الأحياء وجهاز الأموات.

٦٩ يأكل الجراد

قال أحدهم:

إذا أكل الجراد حروث قومٍ
فحرثى همه أكل الجراد

وقال محدث:

إذا قيل: الجراد تسابقوه
كأن ألذ زادهم الجراد

فهذان أكلان، ولكل طريقته.

٧٠ العنوان: الكنيف

كتب أحدهم الى صديق له شرب مسهلا فقال:

كم لبست نعلك وكم حدا برقك وكم تخطيت الى باب الكرامة؟.

وكتب آخر الى صديق:

أبِنْ لى كم تخطيت الى باب الكرامه
كم حدا برقك من رعد وكم سحت غمامه

فلم يجبه.. فكتب إليه:

أبِنْ لى كيف أصبحت
على حال من الحال
وكم سارت بك الناقة
نحو المنزل الخالى

فكتب إليه يجيبه:

كتبت إليك والنعلان ما إن
أغبهما من السير العنيف
إذا رمت الكتابة إلىّ فاكتب
على العنوان يوصل للكنيف

ومعذرة لذوى الوزن الكبير.

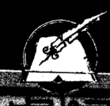


رمضان . . . حديث الروح

طالب فى الثلاثين من عمره رحل من بلاده فى قلب الصحراء الى مدينة غربية كبيرة تزخر بكل متع الحياة وزينتها . . أدركه شهر رمضان فصامه فيها سنوات طوال كما كان يصومه فى بلاده وما كان يشق عليه ـ الا اذا أدركه الافطار وهو فى فصله المسائى لا يفطر إلا على الماء من صنبور فى احد الممرات فى مدرسته.

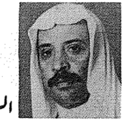
●● وفى الساعة العاشرة يصل الى غرفته منهكا بعد معاناة مضنية من الحافلات فتسرع اليه صاحبة البيت الذى يسكن فيه لتضع له الطعام فتذهل عندما يخبرها انه كان صائما عن الطعام منذ الساعة الرابعة من صباح ذلك اليوم . . ثم تسأله فى عفوية ساذجة . . إنه لشيىء يشق على النفس ويضنيها أفلا تدرك تعاليمكم حق الجسد وحق الحياة؟ . . إن هذا الأمر غريب حقا لا ادرى كيف أفسره . .

●● يترك الطالب طعامه جانبا ليقول لها : ليس فى الامر غرابة كما تتصورين فصيامنا ليس قضية قسرٍ مادى فرضته تعاليم صماء . . وليس قضية سلوك نمارسه ممارسة مادية مجردة من أى معنى بل هو فى حقيقته سلوك معنوى يُثْبِتُ فيه الملتزم ان الانسان يملك «إرادة» وهذه الارادة هى المقياس الجامع لكل معانى الحياة . . بها يدرك الانسان دوره اثناء وجوده وما يتشعب عن هذا الدور من اصول وفروع تتعلق اولا بالعلاقة مع نفسه فيما ينبغى ان يكون له من اداء والتزام فاعل فى هذا الوجود . . وتتعلق ثانيا بالعلاقة مع جنسه وما ينبغى ان تتميز به هذه العلاقة من ادراك حقوق غيره عليه.



خواطر

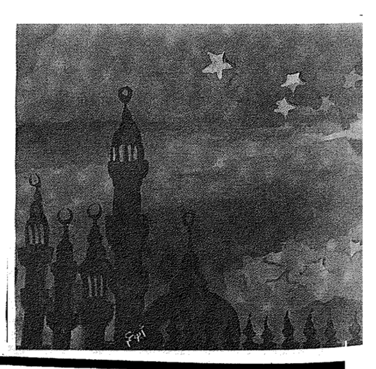
الأدب بمفهومه العام فيه متسع للأخذ من كل فن بطرف ولعله من هذا المنطلق جاءت هذه الخطرات النفيسة لفتاة ذكية خفيفة الظل عميقة المعنى





د. عبدالرحمن حسن النفيسة
الرياض

●● لو كانت هذه الارادة عند الانسان القوى فى القرنين الماضيين لما اعتدى على حقوق غيره من بنى



جنسه يغتصبه ويقتله ويسلبه كل ما يملك . . . ولو كانت هذه الارادة عنده لما كان هو الحكم والخصم فى قضية العلاقة مع جنسه . . ولو كانت هذه الارادة عند الانسان المعاصر لما مات الانسان الآخر جوعا بينما ترمى فى البحر ملايين الاطنان من الطعام.

●● الصيام تلبية لنداء سماوى يختبر ارادة الانسان وعندما يدرك هذا الانسان المعنى الحقيقى لهذه الارادة فى الصيام وفى غيره سوف ينتصر على «المادية» فى نزعاته وبالتالى يعرف حقيقة الالتزام فى نفسه، ومعنى العلاقة مع جنسه . . وعندها سوف تتغير العلائق فى الارض لتسود فيها شريعة السماء التى وضعها الله لعباده.

بعد هذه الكلمات ارتعشت صاحبة البيت فى نفسها وبدأت تبحث عن معنى الارادة فى الصيام.



لازالت فى وقتنا الحاضر تطرح مجموعة من القضايا والاشكالات على الصعيد الادبى فلقد عرفت الساحة العربية فى خضم الصراع والمجادلات لمعالجة المواقف الادبية فى اطار البحث عن جملة قواعد وتعريفات وصياغة المفاهيم المعقدة التى غيرت مجرى الاتجاهات الفكرية وخلخلة البنيات الذهنية قصد اعطاء مفهوم موحد يأخذ صيغة الموضوعية فى الممارسة والتحليل ولعل اهم ميدان طرحت فيه الاشكالات وتبودلت فيه الآراء قصد تأطير الواقع كميدان ممهد للارضية التى يتعامل فيها المتخصصون والادباء هو النقد .

لقد شهدت القرون (١٨، ١٩، ٢٠) ظهور جملة من الاتجاهات النقدية تدلى باسهاماتها فى الساحة الادبية وتخوض المعارك الفكرية التى دارت رحاها فى البحث عن النقد داخل الاصناف المعرفية الاخرى ولعل النقد كتيار عام ظل مثار جدل عنيف بين المفكرين والنقاد. علينا ان نتفق مبدئيا بان النقد كنشاط ادبى يستمد مقوماته من الواقع المعاش او المتمثل فى الاعمال الادبية والفنية على السواء فالنقد رؤية تحاول صياغة البنيات الذهنية ومعرفة الوعى الانسانى فى حركاته وسكناته اى فى ادراك البناء الاجتماعى والفكرى الذى راج فى اطار الطرح والتناول مع اختلاف الاتجاهات والمستويات الفكرية . .

لم يكن ظهور النقد عبثا بل هناك لزومية تستدعى ظهوره لدراسة المتحولات وصياغة الاراء والافكار التى قيلت وتقال فى عصرنا ونحن نستكشف بين الفينة والاخرى بروز النقد كفعالية ابداعية ووظيفة تظهيرية وممارسة تحليلية لتقويم العمل الادبى فى جميع انواعه .

فالتاريخ خير دليل على ما كان للنقد من فضل فى تحريك الاقلام والرفع من المستوى الفكرى والانتاجى بحيث عمل النقد على تنشيط الفعاليات الابداعية الاخرى وتوظيف الواقع للتحصيل الثقافى . . ونعود تارة لنأكد بأن النقد كان مقصودا فى

شعبية كبرى فى جميع المجتمعات خاصة منها المتقدمة فتفرع النقد الى جملة تعريفات مهمة تأخذ صيغة التبريرات المنطقية الواقعية كالنظم الجمالية والرسائل المسرحية والمقالات الاجتماعية والاشكال الادبية . .

الغلاب سعيد
المغرب

وبهذا يدخل النقد فى شتى المجالات المعرفية لانه يحاور ويصوغ ثم يبرز فى نظام نقدى موحد فالنقد فى جل مواصفاته مرتبط بالسياق الثقافى العام وبطبيعة الممكنات الاجتماعية والسياسية اى بطبيعة النظام ككل لانه فى جل احواله لا يمكن ان نعزل النقد عن المجتمع والثقافة . . ومما تجدر الاشارة اليه هو اعتبار النقد كمادة للدراسة الموضوعية لجميع الاعمال الادبية ومع هذا يمكن ادراج النقد داخل المنظومة البنائية للتفسير الموضوعى للواقع لكن دون اغفال لتوسيع الرقعة داخل المحيط النقدى الذى يعمل فى دائرة الهدم والبناء فالمقصود بمفهوم الهدم تحطيم جميع الاصناف السلبية المعروفة واعادة بناء المكونات النظرية للنقد من جديد والسعى قدما نحو تقرير خطوة تقدمية لبناء مفهوم اساسى لتجاوز معضلة النقد بباقى السياقات الثقافية . . وتجدر الاشارة الى نقطة مهمة وهى معقدة وهى بادية للعيان وهو ان النقد خطى خطوات محسوسة منذ ظهوره الى الآن اى منذ نشأته وتكونه وحداثته قد مر من جملة اطوار ظل فيها محصورا فى اطار ضيق اى غير متصل بالانماط المعرفية السائدة ونقصد من خلال هذا الكلام ان الحقول المعرفية الاخرى ظلت منفتحة بينما ظل النقد يواجه اشكالات شائكة منها ان النقد لم ينفتح على انماط معرفية اخرى مما جعله يفتقر للمنهج الذى يعد وسيلة اساسية لتحقيق غايته لمسايرة الركب المعرفى .

الا ان الملاحظين والمهتمين اشاروا بشكل صريح الى ان النقد حاليا اصبح يتلمس طريقه نحو المنهج مما جعله يلبس حالة من الخصوصيات الفكرية والواقعية فى علاقتها بالنقد كخطاب وممارسة .

جل احواله الا ما استلزمته الظروف الاجتماعية والعصر والمحيط الثقافى الذى يستحوذ على الانسان فكانت حاجته للنقد ضرورية لمعرفة الواقع واعطائه تفسيرا منطقيا . . والا كيف يمكن معرفة الواقع بتضميناته دون ان نوجه نقدا او دون ان نضع مقياسا منهجيا نصوغ به خصوصيات هذا الواقع . . فموضوع حديثنا يرتكز بالاساس على المجال النقدى حتى لا نقصر من جهدنا فى نصب العداء للنقد ونحن ندرك جيدا ان الاهتمامات النقدية منصبة فى جل اعمالها على اتخاذ الواقع كمناط للدراسة اى من خلال ما تعكسه المتون الادبية .

ولعمرى ان مضمون النقد متضح بجلاء وهو مدى ادراك طبيعة الموضوع ودراسته وصياغته . . إذاً فعمل الناقد لازال غامضا لدى جمهرة المتخصصين والصراع قد بلغ مداه فى اطار التمييز بين ذهنية الناقد كأديب وبين الواقع كتضمين اجتماعى وسياسى وأيديولجى ثم يدخل النقاد والمفكرون فى بؤرة الصراع غير مدركين بأنهم يعيشون خلفيات فالنقد حاليا لقى رواجا هائلا واكتسب



الجامعيون والصحافة

تتردد أحيانا عبر صحفنا ومجلاتنا المحلية اسئلة حول «الجامعيين ودورهم فى المشاركة فى العمل الصحافى، والكتابة الأدبية». . ومن ذكرياتى فى هذا المجال ما دار بينى وبين المغفور له الاستاذ عبد الله عريف سنة ١٣٧٨هـ اى قبل نحو ثلاثين عاما - على صفحات جريدة «حراء» التى كان يملك امتيازها ويرئس تحريرها اخى الاستاذ صالح جمال - فقد كتبت أعقب على الاستاذ عريف - رحمه الله - بالسطور التالية:

«مرة أخرى: مرحبا بالاستاذ عريف مجادلا فى الصحافة والجامعيين على بصيرة وتجربة.

ولكنى اريد ان ابدأ تعقيبى على ما كتب فى العدد الماضى من «حراء» باعزائنا الجامعيين. . الذين يفتقدهم الاستاذ عريف فى ميداننا الصحافى ويعتبر موقفهم السلبى خطيراً ويحاول تحريكهم الى مشاركة النفر الضئيل منهم فى التأثير على المجتمع العام. .

يقول الاستاذ عريف ما معناه: انه يعلم العدد الذى ذكرته من الجامعيين ولكنه نفر ضئيل وهو إنما يبحث عن مزيد ومزيد. .

وانا حين ذكرت عددا محدودا من الجامعيين الذين يساهمون معنا فى الحقل الصحافى ما اكتفيت بهذا الذكر فحسب. . ولكنى اردفت ذلك بقولى:

«ان هؤلاء ومعهم اخرون قلائل هم الذين يدفع بهم استعدادهم الادبى الى الكتابة فى الصحف».

ومعنى هذا ان الذين ليس لديهم استعداد أدبى من موهبة فطرية وتمرس بالأدب لن تحظى صحافتنا بفيض اقلامهم وصيد خواطرهم.

وقلت أيضا - فى مقالى السابق - إن «الجامعية» تؤهل للعلم النظرى ولا تؤهل للأدب التجريبى.

ومعنى ذلك انه لا يكفى ان يكون «فلان» جامعيا لكى نطالبه بممارسة الكتابة الأدبية والكتابة الصحافية على الاقل. . الا ان يكون على استعداد فطرى وتجريبى معا لمسك القلم يصور به ما يجد فى نفسه من عقل علمى ووجدان فنى.

وهذا الذى قلته من قبل وأعدته هنا يشمل الجامعيين فى غير بلادنا واعتقد أن الاستاذ عريف يعرف - أكثر منى - أساتذة فى جامعات مصر يجيدون القاء محاضراتهم وادارة احاديثهم. . فى قاعات التدريس ومجالس العلم ولكنهم لا يجيدون كتابة ما يُدِّرسون وما يتحدثون بالأسلوب الادبى



ذكريات ماتعة تتدفق عبر قنوات الزمن فتلد جديدا عبقا مسلسلا من سجف الحياة الفكرية والأدبية.. لأديب وباحث ومفكر له قيمته وقدره ومكانته.. استجاب بكرم الأحافل لدعوتنا فى رصد هذه (المذكرات) إن صحت التسمية فأفرغ بعض وقته المكثف لتطالع القارىء الخصيف فى حلقات يتضاعف بها عطاؤنا وتتعاظم بها مسيرتنا ونهجنا.

الرائع أو بالاسلوب الصحافى السريع على الاقل.

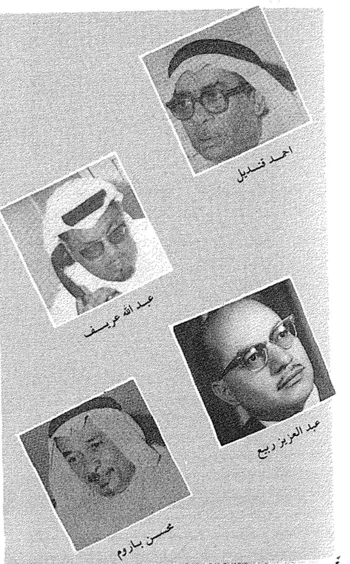
والدكتور حسن نصيف - كالدكتور سعيد عبده فى مصر مثلا - بما لديه من روح ادبية واستعداد فطرى وتجريبى للتحرير الأدبى استطاع ان يطربنا كثيراً بأدبياته الشعرية والنثرية وبحوثه الطبية فى أسلوب ادبى أخاذ.. خلافا لما نقرأه لغيره من الاطباء(١).

أفليس ذلك دليلا على أن الادب والصحافة: موهبة وتجربة وأن «الجامعية» المجردة لا يلزم منها التاهيل للأدب والصحافة.

وقد نسيت فى المقال السابق - أن أذكر الاستاذ محسن باروم والاستاذ عبد العزيز الربيع.. واريد اليوم ان اتخذ بذكرهما برهانا على أن «الجامعية» المجردة لا تكفى للتأهيل للأدب والصحافة.

● اما الاستاذ الباروم فليسأل الاستاذ عريف عنه مكتباتنا الأدبية التجارية ليعلم انه زبون دائم وقارىء محترف.. إن صح هذا التعبير كوصف للأستاذ الباروم بمواصلة الدرس والبحث والتزود بمزيد ومزيد من المعارف والافكار.

ولذلك نجد الاستاذ محسن باروم أديباً ممتعاً عندما يتحدث وعندما يكتب على سواء.


احمد قنديل
عبد الله عريف
عبد العزيز ربيع
محسن باروم



ثم ليسأل الاستاذ عريف ـ بعد ذلك ـ عن زملائه الجامعيين السابقين له واللاحقين به؟ ليكتشف السر ويعرف الجواب.

● واما الاستاذ الربيع فقد كان زميلى فى الدراسة المعهدية.. وكنا نصدر معا مجلات ادبية متعددة.. وكنا منذ ذلك العهد نكتب القصص وننظم الاشعار ونمارس النقد.. ايضا.. وكنا نتأثر فيما نكتب ـ من أدب ابتدائى ضعيف ـ بقراءتنا فى الرسالة والثقافة والراية والهلال والمقتطف.. الخ.. وكان لكل منا كاتب مفضل كالزيات والعقاد وطه حسين والحكيم.. الخ.

فهل يريد الاستاذ عريف ان نكلف الأيام غير طباعها؟ وحينئذ نكون ـ كما قال الشاعر ـ متطلبين فى الماء جذوة نار؟.

إن الحقيقة التى يجب أن يأسف الاستاذ عريف معى من مرارتها هى قصور بعض الجامعيين ـ او معظمهم بدون مجاملة ـ فى تطويرنا عمليا اى فى ميدان أعمالهم ووظائفهم الرسمية أو الاهلية.. بما حملوا من علوم وفنون وقوانين ونظريات حديثة فى تطوير المجتمعات وترقيتها(٢).

ولست وحدى اقول هذا الكلام.. فان كاتبنا الكبير الاستاذ احمد قنديل قد كتب منذ اسبوع فى «البلاد السعودية»(٣) كلمة عن «الجامعيين» يقول فيها:

«ان الدراسة كقواعد ومقررات ومعلومات جامدة لا تكفى وحدها فى ايجاد الموظف بل المواطن العامل الصالح ـ وان التنظيم والتدبير والايجاب هى وليدة الشخصية والتجربة والعمل مع الاستعداد الفطرى والمكتسب.

ثم يروى الاستاذ قنديل حديثا لجامعى جاء فيه «إن هناك فرقا بين الدراسة والثقافة وان الثقافة هى هضم المعلومات اولا والقدرة ثانيا على التصرف فيها وبها.. واننا بحاجة الى مثقفين لا دارسين وان النسبة بين شبابنا الجامعيين من المثقفين ضئيلة جدا».

ولعل فى هذا الذى يقوله الاستاذ قنديل والذى يرويه عن «جامعى» منهم ـ ما يصلح ردا على معاذير الصديق الاستاذ احمد طاشكندى.. فى كلمته بعدد ماض حول زملائه الجامعيين.

وبعد ـ فأعتقد انى كنت ـ فى مقالى هذا ـ اكثر صراحة من قبل ـ فى مواجهة اعزائنا الجامعيين بواقعهم وأرجو الا يسيئوا الظن او يخطئوا الفهم فيما كتبت فإنها الحقيقة التى قد تكون مريرة.. وانه الحق الذى قد يكون صعباً.

ولكن هذه الحقيقة وهذا الحق لا ينتقصان مقام «الجامعية» المعلوم ومكانتها الرفيعة.. ورسالتها السامية.

وكل ما هدفت اليه وهدف الاستاذ عريف معى ـ من حديثنا حول الجامعيين: هو ان يساهموا معنا فى نهضة وطننا العزيز بما يحملونه من علم كبير، لا فى ميدان الادب والصحافة فحسب بل فى ميدان العمل والوظيفة ايضا.

---

(١) من الاطباء الادباء فى الجيل الحاضر الدكتور عصام عوقير والدكتور عبد الله مناع والدكتور عبد الله باسلامة.
(٢) تنشر صحفنا الآن مقالات قيمة بالقلام كتاب جامعيين فى موضوعات اقتصادية وتربوية واجتماعية وسياسية ايضا.
(٣) جريدة «البلاد السعودية» هى خلف جريدة «صوت الحجاز» وقد كان الاستاذ عريف ـ يرحمه الله ـ مديراً لجريدة البلاد السعودية ورئيسا لتحريرها، وكنت اعمل سكرتيرا للتحرير واشتغل معنا فيها فى اعمال التحرير الاستاذ عبد العزيز ساب والاستاذ عبد الرزاق بليلة وكان الاستاذ حامد مطاوع امينا للصندوق ـ واسندت مسؤولية الادارة والتحرير فيها فى فترة متأخرة الى اخى الاستاذ صالح محمد جمال.

العدد التاسع عشر

شعبان ١٤٠٧هـ

فلسطيننا



- في الأدب الصهيوني (يهودا عميحاي)
- مجدل عسقلان
- شمس الدين العجلاني
- محمد حسن شراب



القضية الفلسطينية قضية شعب وارض ووطن.. قضية تاريخ ومصير أمة.. وهى لا تنتهى بتقادم الزمن ولا يسقطها من بين أيدينا إرهاب العدو الغاصب المحتل.. ورغم ما قدمه الشعب الفلسطينى من تضحيات فان صاحب الحق يظل قوياً بقوة حقه.

ياسر عرفات

من صور العطاء

روحي عبد الغني صالح السعودية

يا قدسُ يا أحلى مدينه
بالقَيْدِ - ويْلاه - سجينَه
أدماكِ قيدُ مُعَرْبدٍ
قد باعَ للشيطانِ دينَهْ
ضَحَّى لأجلِكِ فِتيَةٌ
كالأسدِ هِمتُهُم مكينه
يتقدَّمُونَ صَواعِقاً
يا نَفْسُ ذا ما تكرهينَهْ
فَجرَتْ دماؤكِ أنْهُراً
كمْ أنتِ غاليةٌ ثمينَهْ

* * *

أمُّ الشَّهيدِ تبسَّمَتْ
فى عبرة فاضَتْ سَخينَهْ
وأزاحتِ القلبَ الرحيـ
ـم لعلها تخفى أنينَهْ
هذا أخُوه مكانه
هَل غيره يحمِى عَرينَه
لوكان لى ولدٌ سوا
هُ لصنتُهُ أيضاً رهينَهْ
بدلُ الشهيدِ دماؤنا
قالت لِى الأمُّ الحزينَه

* * *

يا أمُّ جئنَا مِن ذُرَى
صَفَد وبيسانَ الحَصينَهْ
ماتَ الصغيرُ شهيد حـ
ـقٍّ من جراحاتٍ ثخينَهْ
فتصبَّرتَ وتحامَلتْ
وأبَتْ للدمعِ أن تُهينَه
نظرتْ بإصرارٍ وقا
لتْ لستُ بالشانِى ضَنينَهْ
ومضتْ بصَمتٍ والأسَى
يَقتاتُ أعماقَ السَّكينَه





إبراهيم طوقان

موطني الجلالُ والجمالُ والسناء، والبهاء، فى رباكْ
والحياةُ والنجاةُ والهناء، والرجاء فى هواكْ
هل أراكْ
سالماً منعماً وغانماً مكرماً
هل أراكْ فى علاكْ
تبلغ السماكْ
موطني

موطنى الشباب لن يكلَّ همُّه أن تستقلَّ أو يبيدْ
نستقي من الردى ولن نكون للعدى كالعبيدْ
لا نريدْ
ذلّنا المؤبدا وعيشنا المنكدا
لا نريد بل نعيد
مجدنا التليدْ
موطني

موطني الحسامُ واليراعُ لا الكلامُ والنزاع رمزنا
مجدنا وعهدنا وواجب الى الوفا يهزّنا
عزّنا
غايةٌ تشرّفُ وراية ترفرفُ
يا هناكْ فى علاكْ
قاهراً عداكْ
موطنى



في الأدب الصهيوني

يهودا عميحاي

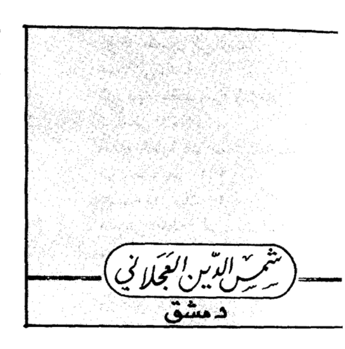
ونماذج من شعره

تنبهت الاجهزة الصهيونية فى وقت مبكر لدراسة الوثيقة الادبية العربية فترجمت النصوص الادبية العربية وانشأت الدراسات حولها للتعرف على المجتمع والنفسية التى تحرك الفرد والمجتمع العربى . . وجاء الاهتمام العربى بما اصطلح على تسميته بالادب الصهيونى متأخرا وعبر محاذير الخوف والشك وكانت اولى المحاولات لتعرية وكشف هذا الادب الصهيونى من قبل الأستاذ غسان كنفانى حين اصدر كتابه «فى الادب الصهيونى» ومما جاء فيه «قاتلت الصهيونية بسلاح الادب قتالا لا يؤديه الا قتالها بالسلاح السياسى» . . ان الصهيونية الأدبية سبقت الصهيونية السياسية وما لبثت ان استولدتها وقامت الصهيونية السياسية بعد ذلك بتجنيد الادب فى مخططاتها ليلعب الدور المرسوم له . .

●● والمتتبع للادب الصهيونى يعرف تماما ان هذا الادب ادب عنصرى استيطانى يدعو للجريمة ويبرر اغتصاب الارض العربية . . فهو ليس ادبا انسانيا بمعنى انتمائه الطبيعى والحر لتاريخ الادب فى العالم بل هو ادب يسير ضمن دائرة محددة واضعا لنفسه شروطا لا اخلاقية تعزله عن الادب الانسانى . . وايضا شذ هؤلاء الادباء الصهاينة عن باقى الادباء فى العالم فهم قبل ان يسلكوا طريق الادب سلكوا طريق القتل والارهاب ضمن عصابات منظمة تعمل على تدمير القرى العربية وتهجير اهلها بالاكراه والتعذيب.

●● فالروائى يزهار سميلانسكى كان عضوا فعالا فى العصابات الصهيونية التى قامت بتدمير القرى العربية عام ١٩٤٨ حيث كان ضابط استخبارات فى الكتيبة ١٥١ التى قامت بتدمير القرية العربية «خربة خزعه» ويقول عن ذلك «كنت ضابط استخبارات للكتيبة التى عملت فى المنطقة شاهد عيان لما حدث فى القرية العربية التى لم يعد لها وجود الآن . .» وعن





شمس الدين العجلاني
دمشق

بداية الهجوم الصهيوني على هذه القرية العربية يقول سميلانسكى انهم زودوا بأمر قتالى يتضمن «احرقوا ـ انسفوا ـ اعتقلوا ـ حطّموا ـ اطردوا».

■ والاديب هارى وابـين كذلـك كان ضابطا فى عصابات البالماخ عام ١٩٤٨ ثم التحق بها يسمى بقيادة الاركان العامة فى الكيان الصهيونى أما الأديب الصهيونى شراجا اغافنى فهو احد اعضاء مقاتلى عصابة شيترن التى قامت بأبشع الجرائم ضد الاطفال والنساء والشيوخ فى القرى العربية.

عميحاى:

ويبقى يهودا عميحاى الشاعر الروائى والمسرحى الصهيونى مثالا حيا على ازدواجية الاديب الصهيونى فى عمله بين العصابات الارهابية والادب الصهيونى.. عمل عميحاى فى مجال التدريس والعصابات الصهيونية وشارك فى الحرب ضد العرب اكثر من مرة واعتبر الادب الصهيونى سلاحه الأمضى كما شارك فى الحرب العالمية الثانية كجندى فى الوحدات الاسرائيلية التى اشتركت ضمن القوات البريطانية.

ويعتبر عميحاى من اكثر شعراء الصهاينة شهرة لكونه بوقا لدعوة الاستيطان وصوتاً تلموديا وذلك من خلال كافة اعماله فى المسرح والشعر والقصة..

●● ولد عميحاى عام ١٩٢٤ فى المانيا وتلقى دراسته الدينية على يد الحاخامات اليهود فى المدارس اليهودية ـ الالمانية وهاجر الى ارضنا الطيبة فلسطين فى عامه الثالث عشر ونشر اول كتاب له عام ١٩٥٥ وحظيت مجموعته القصصية «لا من الآن ولا من هنا» التى نشرها عام ١٩٦٧ باهتمام دور النشر الصهيونية فى كل من فلسطين المحتلة والولايات المتحدة الامريكية وكانت سببا فى اتساع شهرته.

قصائد من اورشليم:

صدرت للاديب الصهيونى عميحاى سلسلة قصائد تدعى اورشليم عام ١٩٦٧ ضمن مجموعة «الان فى هذا الضجيج» من وارشوكن للنشر فى تل أبيب عام ١٩٧١ وابدى عميحاى رأيه فى هذه القصائد حيث قال: «عن كتابى هذا استطيع القول انه احسن ما كتبت ان الشاعر كغيره من الناس يستعمل تجربته ويهذبها ويحاول بواسطتها ان يصل الى قمم جديدة ان التجربة تشبه آلة الكمان كلما تستعلمها تحسن العزف عليها اكثر فاكثر».

من قصائد اورشليم ١٩٧٦

سافرت بعيد هذه السنة
فى اشهر الصمت الذى فى مدينتى
طفل يبدأ بالتحريك
هدنة تبدأ فى البعد
سكنت فى الاشواق
لعبت لعبة اربعة المربعات الجديده
التى يهودا هليدى
قلبى انا المشرق . . المغرب
سمعت اجراسا تدق
بديانات الزمن
لكن الصراخ الذى سمعته فى داخلى
كان دائما صراخ صحراء يهود
فى يوم الغفران من عام ١٩٦٨
لبست ثياب العيد السوداء
وذهبت للبلدة القديمة فى اورشليم
وقفت طويلا امام حانوت عربى
ليس بعيدا عن باب الخليل
حانوت للاجرار والابر
وكرارات الخيوط
من جميع الالوان
والمشابك والدبابيس
نور ثمين والوان متعدده
مثل تابوت قدمى مفتوح
قلت له فى قلبى
ان ابى ايضا كان عليك
حانوتا كهذا للخيوط والادوار
شرحت له فى قلبى ايضا
عن عشرات السنين والعوامل
والمصادفات التى يسببها
انا هنا الآن وحانوت ابى مدفون هنا
عندما انتهيت كانت
ساعة الاقفال
انزل العربى الحاجز واقفل الباب
اما انا فعدت
مع كل المصلين الى البيت
عدت الى المدينة
التى فيها اعطيت اسماء وللابعاد
كما تعطى للانسان
وارقام الخطوط التى ليست للباصات
انها سبعون بعد ١٩١٧
خمسمئة قبل الميلاد ٤٨
هذه هى الخطوط التى يسافر بها الناس
ها هى شياطين الماضى تلتقى
بشياطين المستقبل
ويبحثون بشأنى وقوتى
يتفاوضون ولا يتفاوضون
بتحديات عالية فى طرق القذائف
فوق رأسى
الذى يرجع الى اورشليم
يشعر ان الامكنة التى كانت
توجع لم تعد توجع
انها الحذر الخفيف
سيبقى فى كل الاشياء
كمنديل خفيف يشير الحذر

ومن خلال هذه القصائد يتبين لنا بوضوح محاولة الادعاء وتزوير حقائق التاريخ بان ارضنا المحتلة هى فى حقيقتها اراضى اليهود «الصراخ الذى سمعته بداخلى كان دائما صراخ صحراء يهود» وكذلك يحاول عميحاى اثبات حق الملكية لليهود لارضنا الطيبة وبأن العرب جاؤوا على فلسطين محتلين لها (ان ابى ايضا كان يملك حانوتا كهذا).

وايضا يستطيع القارىء ان يلمح الصوت التلمودى المتعصب ينبع من خلال احرف هذه القصائد.



مجدل عسقلان

في مركز الوثائق والأبحاث

محمد حسن شراب

● فى كل يوم جديد يزداد إعجابى ويشتد تعلقى بأهلنا فى فلسطيننا العربية المحتلة.. ففى كل يوم يقدمون جديداً من أجل عروبة فلسطين وبقاء الصيغة العربية الاسلامية فى فلسطين العرب مع ما يعانونه من كبت الحريات والتضييق فى العيش والارهاب المستمر. ولو وقفت على صورة حياتهم لقلت: يكفى هؤلاء جهادا أنهم يحصلون على لقمة العيش وهم يعيشون بين نابى الأسد ومخالبه.. فكيف يجدون الوقت لجهاد عدوهم ومنازلته بكل ما استطاعوا إعداده من قوة.. ومتى يتفرغون للعلم والدراسة.

إنها الخصائص العربية الذاتية التى أودعها الله فى نفوس هؤلاء فمكنتهم من الجمع بين عناصر الحياة الضرورية لكل أمة تريد أن تصمد أمام الطوفان.

● لم يقنع الفلسطينيون فى الأرض المحتلة بما يتلقونه من العلم الأولىّ فى المدارس فأصروا على إنشاء الجامعات الخاصة بهم فكانت فى هذا الجزء الصغير علة جامعات تقدم لأبناء الوطن أرقى ما وصل اليه العلم فى الدول الأخرى وحرصت على تدريب الشباب على البحث والدراسة الواسعة فأنشأت مراكز الابحاث وأمدتها بكل ما يحتاج اليه الباحث فى موضوعه.

■ ومن أشهر جامعات الوطن المحتل جامعة بئر زيت العريقة التى كانت بدايتها سنة ١٩٢٤م عندما بدأت مدرسة ابتدائية فثانوية سنة ١٩٣٠ فبداية الدراسة الجامعية سنة ١٩٤٢م فجامعة تضم عدداً من الكليات بعد سنة ١٩٦٧م. . وبلدة بير زيت التى تنسب اليها الجامعة تقع فى الضفة العربية على مسافة أحد عشر كيلا شمال رام الله ودعيت بهذا الاسم لشهرتها فى صناعة زيت الزيتون وبلغ عدد سكانها سنة ١٩٨٠ حوالى سبعة ملايين نسمة.

وقد أنشأت جامعة بير زيت مركز «الوثائق والأبحاث» وجعلت من أهم أهدافه دراسة تاريخ وجغرافية فلسطين وجمع المعلومات والوثائق وفهرستها للاستفادة منها، ومن أضخم المشاريع التى بدأ المركز بتنفيذه توثيق ما يقارب الأربعمائة من المدن والقرى والتجمعات السكانية الفلسطينية التى كانت قائمة سنة ١٩٤٨م.

فقد كانت فى فلسطين حتى سنة ١٩٤٨م سبع وثمانمائة قرية ومدينة عربية وقعت ٤٧٩ من هذه القرى والمدن ضمن المنطقة التى احتلها الأعداء أثناء حرب سنة ١٩٤٨م وقد دمر الأعداء من هذا العدد، من سنة ١٩٤٨ ـ ١٩٥٠م ما يزيد على ٣٧٠ قرية وتفاوتت درجة تدمير المبانى والعمران من موقع الى آخر ففى بعض القرى مثل «عين حوض» قرب يافا و«عين كارم» قرب القدس بقيت معظم البيوت قائمة كما هى وسكنتها عائلات يهودية بعد أن أخليت من سكانها الأصليين العرب الفلسطينيين وفى حالات أخرى مازالت بعض جدران البيوت قائمة، وبعض معالم القرية ظاهرة ولكن الأكثرية من هذه القرى أبيدت ومحيت من الوجود وأقيمت مكانها مستعمرات اسرائيلية أو حرثت مواقعها واستعملت للزراعة ولكنها تشترك جميعها فى أنها دمرت وأبيدت وأزيلت عنها صفتها العربية.

وقد رأى مركز الأبحاث أنه بعد سنوات قليلة سيكون السكان الذين طردوا من تلك القرى وهم فى سن النضج قبل ما يقارب الأربعين سنة سيكون هؤلاء قلة يصعب العثور عليهم، ومع ذلك الجيل تضيع المعلومات عن تلك القرى وتصبح أسماء على الخرائط القديمة. . فتداعى خبراء مركز الابحاث الى مشروع «توثيق القرى الفلسطينية المدمرة» وجمع المعلومات من الناس الذين عاشوا فى تلك القرى وعرفوها بصورة مباشرة ثم تنسيقها وتدوينها لكى تحفظ للأجيال القادمة الهوية الخاصة والشخصية المميزة لكل قرية.

■ وصدر من هذا المشروع كتابان عن قريتين عربيتين مدمرتين اخترت أحدهما لتعريف قراء فلسطيننا المنهلية به وهو الكتاب الثانى من السلسلة ويتناول مدينة «المجدل» أو مجدل عسقلان.

ويتضمن الكتاب أربعة فصول وأربعة ملاحق:

الفصل الأول: فى تاريخ القرية الرسمى والشعبى.

الفصل الثانى: فى الحارات والحمايل (القبائل).

الفصل الثالث: القرية فى الأربعينات.

الفصل الرابع: فى السياسة والحروب والهجرة.

وفى الملحق الأول: احصائية بعدد كبير من أبناء المجدل الذين يحملون أوحملوا الشهادات الجامعية. . والملحق الثانى: احصائية بالتجار والحرفيين فى المجدل فى الأربعينات. . والملحق الثالث: وثائق تثبت امتلاك أهل المجدل أرضهم. . والملحق الرابع: وثائق ومستندات مختلفة.

تقع مدينة «مجدل عسقلان» على بعد خمسة وعشرين كيلا شمال الشرقى من مدينة غزة. .





وحوالى خمسة أكيال عن شاطىء البحر المتوسط وكانت حتى سنة ١٩٤٨م بلدة عربية فلسطينية خالصة وكان عدد سكانها حسب احصائية حكومة الانتداب سنة ١٩٤٥م حوالى عشرة آلاف نسمة.

وأضيفت البلدة الى عسقلان لتمييزها عن غيرها من قرى فلسطين التى تسمى المجدل حيث توجد أربع قرى فلسطينية بهذا الاسم ولأنها تقع بجوار مدينة عسقلان التاريخية القديمة التى شهرت بكثرة علمائها وكثرة من نسب اليها من العلماء أشهرهم «ابن حجر العسقلانى» صاحب (فتح البارى بشرح صحيح البخارى) وقد جاء فى الأثر «أبشركم بالعروسين غزة وعسقلان» ولكن مدينة عسقلان قد تهدمت اثناء الحروب الصليبية ولم يبق منها إلا أطلال.

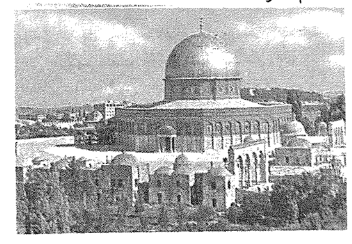
ومدينة المجدل: بلدة كنعانية غربية قديمة كانت تعرف باسم «مجدل جاد» نسبة إلى «جاد» إله الحظ عند الكنعانيين وأصبح اسمها «المجدل» قبل القرن الرابع الميلادى.. وقد أصبحت بعد خراب عسقلان فى القرن السابع الهجرى مركزاً يأوى إليه العسقلانيون العائدون بعد نهاية الحروب الصليبية ولذلك كثر فيها العلماء وأصبحت من مراكز العلم حتى ذكر المؤرخ السخاوى فى ترجمة نفسه أنه سمع الحديث فى المجدل والقدس ودمشق.

وأهل المجدل: أهل صناعة وعمل وزراعة بالاضافة الى عنايتهم بالعلم.. ومن اشهر صناعاتهم النسيج فقد برعوا فيه وشهروا حتى بلغ عدد أنواع النسيج فى المجدل أثناء الحرب العالمية الثانية الى ما يزيد على ثلاثة آلاف نول.. واستطاعت المجدل بفضل صناعتها ومصانعها أن تحوز على الجائزة الأولى فى صناعة النسيج فى المعرض العربى القومى فى القدس سنة ١٩٣٤م وكان لهم أثر فى تطور صناعة النسيج فى غزة بعد الهجرة حيث كانت هجرة جل أهل المجدل الى قطاع غزة.

●● ويحدثنا الكتاب عن قبائل مدينة المجدل أصولها وبطونها وأفخاذها ومن برز من رجالها ويضع لكل عائلة شجرة يذكر فيها الأصل والفروع.

فيذكر قبيلة «أبو شرخ» وهى من قبيلة جذام التى كانت تسكن فى شمال جزيرة العرب قرب مدينة العقبة وسكنت قبيلة جذام فى فلسطين مع قبيلة لخم منذ آلاف السنين قبل الاسلام ويقال: إن الذى استخرج يوسف عليه السلام من الجب هو مالك بن ذعر من قبيلة لخم. ومن أشهر رجالات القبيلة فى العصر الحديث السيد أبو شرخ الذى عمل رئيسا لبلدية المجدل حتى سنة ١٩٤٨م ثم سكن غزة وكان له نشاط مشكور إبان الحرب شهد له به عدد من قواد الجهاد.

ومن عائلات المجدل المشهورة عائلة «زقوت» وهم فرع من قبيلة الصبحيين من زبيد الطائيين قدمت أثناء الفتح الاسلامى لفلسطين من شمال الحجاز وسكنت جنوب فلسطين ما بين رفح وبئر السبع وبعضها سكن المجدل واسدود وسميت باسمهم قرية «الزقوت» التى تعرف حاليا باسم «الساكوت» قرب بلدة طوباس. . **ومن عائلات المجدل**: المدهون وحمدونة والشريف والكحلوت وغيرهم مما لا يتسع المقام لذكره.



●● ويحدثنا الكتاب عن دور أهل المجدل فى السياسة والحروب وبخاصة أثناء ثورة سنة ١٩٣٦م وحرب سنة ١٩٤٧. . وفى هذا الفصل يحدثنا على ألسنة الذين عاصروا وشاهدوا الأحداث وشاركوا فيها ولذلك يعتبر أصدق تاريخ يكتب عن هذه الفترة وقد قيل قديماً «فما راءٍ كمن سمع» ولذلك فإن فى هذا التسجيل ميزتين: الأولى: أنه أخذ مشافهة عمن رأى وشاهد وشارك. . والثانية: انه يثبت الحديث باللهجة العامية المجدلية التى تكلم بها المتحدث. . وفى هذا فوائد لغوية واجتماعية عند دراسة اللهجات والمجتمعات.

وثورة سنة ١٩٣٦م هى التى أعلن فيها أهل فلسطين الاضراب مدة لم تحصل فى تاريخ جهاد أى شعب من الشعوب ويذكرنا بأهازيج الأطفال فى شوارع المدن الفلسطينية وهى تنادى «سكر يا قليل الدين راحت منك فلسطين» «فلسطين بلادنا واليهود كلابنا» ويحدثنا عن الحظر الذى فرضته دولة الانتداب على أهل فلسطين بأن لا يقتنوا السلاح بينما كانت تمد اليهود بأكداس من آلات الحرب. وكانت الأحكام تقضى على كل من امتلك طلقة (فشكة) بارودة بالحبس سنة وقد حكموا على أحدهم خمس سنوات سجنا لأنهم أمسكوا معه خمس طلقات. . ولكن أهل المجدل لم ييئسوا فقد تم تشكيل قوة فى المدينة يزيد عدد أفرادها على ثمانين رجلا مسلحا كان بعضهم من ذوى الخبرة فى صيانة واستعمال الأسلحة وكانوا قد اكتسبوا خبرتهم من عملهم فى الجيش العثمانى.

وفى حرب سنة ١٩٤٨م كَوَّنَ أهل المجدل لجنة قومية تشرف على دعم المجاهدين واشتروا الأسلحة من ثمن قوتهم وأساور النساء.

وبعد: فإن هذه السلسلة من الكتب التى يصدرها مركز الأبحاث فى جامعة بير زيت تعتبر من أصدق المصادر التى يرجع اليها المؤرخ فى العصر الحديث. . وقد تحققت منها شروط الرواية التاريخية التى تقوم على صحة السند والمتن فمن أراد ان يعرف الحقيقة كاملة فليرجع اليها. . ومركز البحوث فى الجامعة يدعو جميع الدارسين والباحثين الى الاطلاع والاستفادة مما عندهم من المعلومات الموثقة والتى لم يضعوا فى هذه الكتب إلا جزءاً منها. . ومن هنا أدعو مراكز البحث والجامعات فى البلاد العربية محاولة الحصول عليها لتضعها بين يدى أبنائها الدارسين بدلا من الرجوع الى الأقاويل المزيفة والخرافات الباطلة التى يكتبها ويشيعها أعداء العرب ونتخذها مصدراً لنا فالحق أحق أن يتبع وأما الزبد فيذهب جفاء.





التربة السعدية:

وقفهـا الأمير سعد الدين مسعود بن الأمير بدر الدين سنقر بن عبد الله الجاشنكير الرومى الحاجب فى بلاد الشام فى عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ٧١١هـ/ ١٣١١م وكان تاريخ الوقف فى السابع والعشرين من شهر ربيع الأخر من السنة ذاتها.

وتتكون هذه التربة من غرفة شبه مربعة ويقع القبر فى وسطها. ويبدو أنه كانت تغطيها قبة ثم حل سقف بسيط محلها.

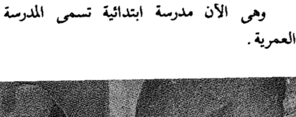
ومن أهم ما يميز مبناها مدخلها المملوكى الجميل وقد بنى من حجارة بيضاء وحجارة سوداء وتحف به مكسلتان حجريتان. ويعلو عتبته العليا شريطان من الزخارف الهندسية وفوقهما ثلاث حطات من المقرنصات الجميلة يعلوها ربع قبة.

باب المغاربة:

ويسمى بهذا الاسم لأنه يجاور جامع المغاربة وينتهى الى حارة المغاربة أيضا ويسمى باب النبى وباب البراق أيضاً.

وهو فى أواخر الجهة الغربية من المسجد جُدِّد هذا الباب أو أعيد بناؤه فى عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون فى الفترة التى أقيمت فيها الأروقة الغربية من الحرم الشريف.

ويتكون هذا الباب من مدخل وعقد حجرى مدبب وهو مدخل صغير بالمقارنة مع أبواب الحرم



الأخرى ويغطى فتحة المدخل مصراعان من الخشب القوى.

المدرسة الجاولية:

تنسب هذه المدرسة إلى واقفها الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله الجاولى نائب القدس وناظر الحرمين الشريفين بين سنتى ٧١٢هـ/ ١٣١٢م و٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م فى عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان علم الدين من محبى العلم وقد أنشأ منشآت عمرانية كثيرة فى القدس وغيرها.

وقامت هذه المدرسة بدورها فى الحركة الفكرية فى القدس حتى بداية القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى.. ثم حولت إلى دار للنيابة وكان الأمير شاهين الذباح نائب السلطنة فى القدس أول من اتخذها داراً للنيابة.. ثم جددها الأمير شاهين الشجاعى نائب القدس وناظر الحرمين الشريفين كما ورد فى نقش كتابى فوق عتبة الباب العليا ثم حُوِّلت هذه المدرسة الى سكن لنواب القدس.

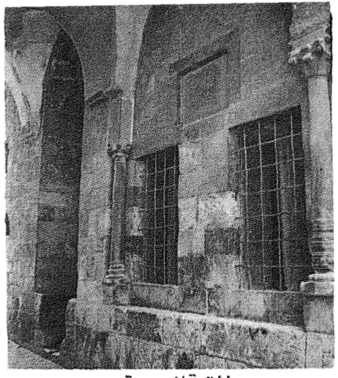
وفى العصر العثمانى حولت هذه المدرسة الى قشلاق ودار للحكم.

وبعد الاحتلال البريطانى اقام المجلس الاسلامى الأعلى كلية روضة المعارف الوطنية فيها ثم أصبحت داراً للشرطة وفيها الآن المدرسة العمرية للبنين.

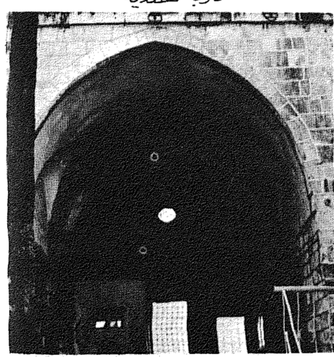
وتتكون هذه المدرسة من طابقين من البناء يطلان على ساحة مكشوفة كما يطلان على الحرم الشريف بواجهة جنوبية عالية الارتفاع وتقوم فى الطابق الأول مجموعة غرف وإيوان جنوبى متوسط الحجم ويضم الطابق الثانى عدداً من الغرف المتوسطة الحجم.

وقد أضيف إليها طابق بناء آخر بعد قرن من الزمان ويضم عدداً من الغرف يطل بعضها على ساحة الحرم وبعضها الآخر على الساحة المكشوفة.

وهى الآن مدرسة ابتدائية تسمى المدرسة العمرية.

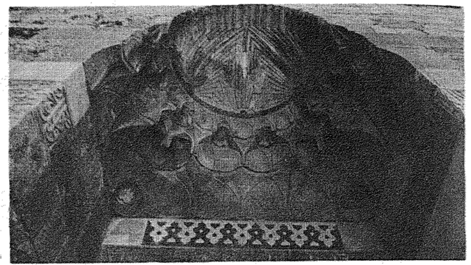


التربة السعدية



المدرسة الجاولية





المدرسة التنكزية

المدرسة التنكزيّة:

أنشأ هذه المدرسة الأمير سيف الدين تَنكز بن عبد الله الناصري ووقفها في سنة ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨-١٣٢٩م كما يبدو في نقش كتابي كُتِب على واجهتها الخارجية فوق الباب الشمالي. وأنشأ الأمير سيف الدين مسجداً للمدرسة كما جاء في نقش كتابي كتب على حائط بهو المدرسة القبلي.

وقد عمر الأمير سيف الدين منشآت عمرانية أخرى وكان من المهتمين بالعلم ومحبي أهله.

وكانت هذه المدرسة من المدارس المشهورة في القدس وكان فيها خانقاه ودار للأيتام ودار حديث وذكر أنها صارت مدرسة في العصر المملوكي.

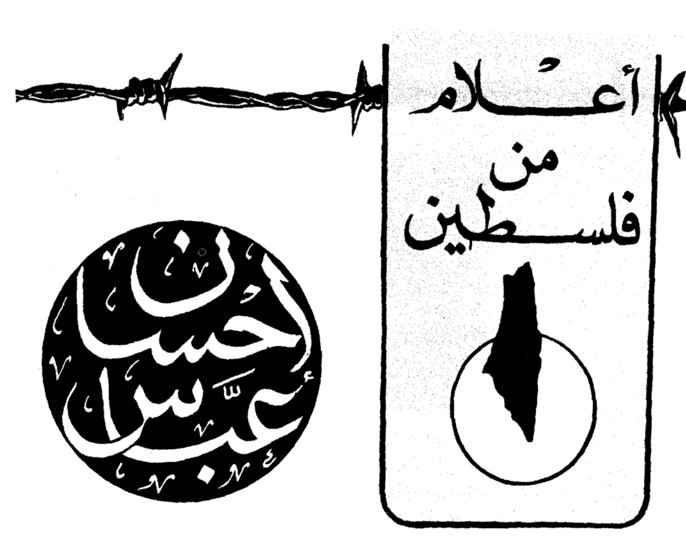
وقد قامت هذه المدرسة بدورها في الحركة الفكرية في القدس وتولى مشيختها والتدريس فيها عدد من العلماء واستمرت تؤدي دورها حتى أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي.

ثم اتخذت هذه المدرسة مركزاً للقضاة والنواب وديواناً للقضاة ودار سكن لهم في عهد السلطان قايتباي ثم عادت لتقوم بدورها الفكري في أواخر القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي وفي القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي. ثم حولت الى محكمة شرعية في العصر العثماني.. ثم اتخذت داراً لسكن رئيس المجلس الاسلامي الأعلى الحاج أمين الحسيني. ومن ثم اتخذت مدرسة لتعليم الفقه الاسلامي.

وفي سنة ١٩٦٩م قامت السلطات الاسرائيلية بالمرابطة فيها.

وتتكون هذه المدرسة من طابقين من البناء ويتم الوصول إليها عبر مدخل جميل الشكل وتقوم مكسلة حجرية على كل جانب من جانبيه وتعلو فتحة المدخل مجموعة صنج حجرية معشقة وفوقها شريط كتابي يبين اسم الباني وسنة البناء.. وتوجد فوقه مجموعة صنج حجرية معشقة أخرى، لتقوم فوقها ثلاث حطات من المقرنصات الجميلة التكوين وترتكز فوقها محارة حجرية تمثل أشعة الشمس منذ شروقها.

ويؤدي المدخل الى دركاه ويتوصل منها الى الطابق الأول وفي هذا الطابق صحن مكشوف وفسقية في وسطه وتتعامد عليه أربعة إيوانات وفي الايوان الجنوبي منها محراب.. وبجانبه قاعة كانت تستعمل مكتبة للمدرسة.. وأما الطابق الثاني فيتم الوصول إليه عبر سلم حجري شرقي الدركاه ويضم عدداً من الغرف لسكنى المدرسين وطالبي العلم.



اصـاب (احسـان) من المجـد الأدبى سهـما موفـورا.. وبلغ من ذيـوع الصيت والصـوت شأوا بعيدا.. ولكنه وهو العامل فى صمت وهدوء.. يزهد بالمجد ويصد عن ذيوع الصيت والصوت لتفكيره الدائم بشعبه المشرد وبوطنه المصفد.. لذا تراه يردد مع الزعيم الخالد مصطفى كامل قوله:

«ان الصخور تسد الطريق امام الضعفاء بينما يرتكز عليها الأقوياء ليصلوا الى القمة».

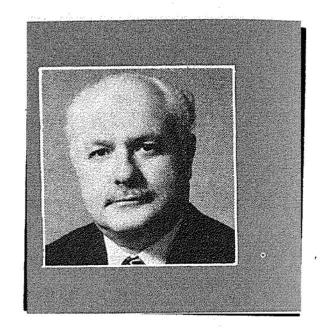
النشأة والتعليم:

ولد «احسان عباس» فى قرية عين غزال الواقعة على مسافة خمسة وعشرين كيلومترا الى الجنوب من حيفا بفلسطين عام ١٩٢٠م.. وفى تلك القرية الوادعة وقد محتها معاول الاحتلال الصهيونى من خارطة فلسطين نشأ احسان ودرس فى مدرستها الابتدائية حتى الصف الثالث الابتدائى وقد حبذ مدير المدرسة لوالده يرحمه الله ارساله الى مدرسة المدينة ليكمل تعليمه.. اذ توسم فيه الخير والنباهة.. فاستجاب الوالد لنصح المدير وأرسل احسانا الى مدينة حيفا.. رغم الصعوبات الكبيرة التى كان يواجهها القروى يومئذ فى اكمال تعليمه اذ لم تكن هناك منازل لمبيت الطلاب الغرباء او وسائل أخرى تسهل على الطالب متابعة دراسته..

والذين عرفوا (احسانا) فى تلك الحقبة لا يزالون يذكرون ان السنوات التى قضاها فى حيفا كانت من أقسى السنوات فى حياته لا لضيق الريفى ذرعا بحياة المدينة بل لأن صبيا فى العاشرة من عمره كان يحاول أن يشق طريقه فى حياة العلم دون عون أو سند.

وحين انهى (احسان) المستوى الثانوى الذى كانت توفره مدرسة حيفا ثم مدرسة عكا من بعدها كان فى عداد الذين اختيروا لاكمال الدراسة فى الكلية العربية بالقدس. فأمضى فيها أربع سنوات (١٩٣٧-١٩٤١) وكانت الشهادة المتوسطة التى أحرزها حينئذ تؤهله لأن يكون مدرسا فى احدى المدارس الثانوية بفلسطين.. فعين معلما بمدرسة صفد الثانوية حيث امضى فيها خمس سنوات كاملات وقصد بعدها مصر لاكمال دراسته فى جامعة

القاهرة.. وفى عام ١٩٤٩.. نال منها شهادة الليسانس فى الأدب العربى.



الحياة العملية:

فى عام ١٩٤٩م كانت عودة إحسان عباس الى الوطن المغصوب قد اصبحت مستحيلة بسبب التغيرات التى طرأت بعد أحداث ١٩٤٨، ولهذا قضى سنة كاملة فى القاهرة مدرسا بمدرسة العائلة المقدسة، وحين اتيحت له الفرصة لمغادرتها للعمل بكلية غوردن فى الخرطوم (جامعة الخرطوم) حاليا.. سافر اليها فى أوائل عام ١٩٥١ حيث ظل يعمل مدة عشر سنوات.

وأثناء عمله فى جامعة الخرطوم نال شهادة الماجستير عام ١٩٥٢ من جامعة القاهرة، وكان موضوع رسالته (حياة الشعر العربى فى صقلية) وبعد عامين حصل على شهادة الدكتوراه من الجامعة نفسها، وكان موضوع الأطروحة التى قدمها لجامعة القاهرة (نزعة الزهد وأثرها فى الأدب الأموى).

وفى عام ١٩٦١م عين استاذا للأدب العربى فى الجامعة الاميريكية ببيروت.

مؤلفاته:

خلال الفترة الطويلة التى أمضاها الدكتور احسان فى حقل التدريس صدر باسمه كثير من الكتب والبحوث والمقالات وكان بعض الكتب التى صدرت باسمه تأليفا وبعضها تحقيقا وبعضها ترجمة.

●● ففى ميدان التأليف:

١ ـ الحسن البصرى ـ دار الفكر العربى بالقاهرة ١٩٥٠.

٢ ـ عبد الوهاب البياتى والشعر العراقى الحديث ـ دار بيروت ١٩٥٢

٣ ـ فن الشعر ـ دار بيروت ١٩٥٦.

٤ ـ فن السيرة ـ دار بيروت ١٩٥٦.

٥ ـ أبو حيان التوحيدى ـ دار بيروت ١٩٥٦.

٦ ـ الشعر العربى فى المهجر الأمريكى (بالاشتراك مع الدكتور محمد نجم) ـ دار صادر وبيروت ١٩٥٧.

٧ ـ تاريخ الأدب الاندلسى ـ عصر سيادة قرطبه ـ دار الثقافة بيروت ١٩٦٠.

●● *وفى مجال التحقيق أصدر الدكتور احسان ما يزيد عن عشرين كتاباً منها:*

(١) خريدة القصر للعماد الأصفهانى ـ بالاشتراك مع الدكتور احمد أمين والدكتور شوقى ضيف (جزءان) لجنة التأليف والترجمة ـ القاهرة ١٩٥٢.

(٢) رسالة فى التعزية لأبى العلاء المعرى ـ دار الفكر بالقاهرة ١٩٥٢.

■ كما أصدر فى ميدان الترجمة عدداً من الكتب مستقلا أو بالاشتراك مع عدد من اعلام الأدب العربى المعاصر منها:

١ ـ كتاب الشعر لأرسطو طاليس ـ دار الفكر بالقاهرة ١٩٥٠.

٢ ـ النقد الأدبى ومدارسه الحديثه لستانلى (مجلدان بالاشتراك مع الدكتور محمد يوسف نجم) بيروت ١٩٥٨-١٩٦٠.

٣ ـ دراسات فى الأدب العربى (بالاشتراك مع مجموعة من الأساتلة) بيروت ١٩٥٩.

٤ ـ ارنست همنغواى (لكارلوس بيكر) بيروت ١٩٥٩.

ملف خاص



نظرة الاسلام الى المال

إن الاسلام أقام حدودا ووضع أصولا نظم بها شؤون الانسان المالية والاقتصادية وجعل تلك الحدود والاصول وفق قواعد الحق والصدق والعدل والامانة.

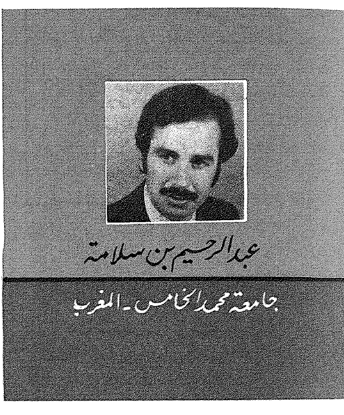
فنظرة الاسلام الى المال نظرة موضوعية فهو وسيلة لا غاية ، وجد لتحقيق العدالة الاجتماعية التى ينشدها الاسلام.

فالاموال فى الشريعة الاسلامية لم تكن الا وسيلة من وسائل تبادل المنافع وقضاء الحاجات لانها فى الحقيقة اموال مملوكة لله وما الانسان الا مستخلف فيها على وجه الارض سيما وأن الخالق تعالى يقول فى كتابه العزيز: **﴿وأنفقوا من مال الله الذى آتاكم﴾** و**﴿أنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾**.. فاذا استعمل هذا المُسْتَخْلَف تلك الاموال فى غير ما يأمر به المالك الحقيقى لها انقلبت الى شهوة تورث صاحبها الهلاك وتفتح على الناس أبواب الفساد.

يقول تعالى: ﴿زُيِّن للناسِ حبّ الشهوات من النساء والبنينَ والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا﴾.. وليس معنى هذا ان الاسلام عدو للمال - لان القرآن ذكره ستا وسبعين مرة مفردا وجمعا ومعرفا ومنكرا ومضافا ومنعطفا على الاضافة - بل على العكس فان الاسلام يرى الخير كل الخير اذا انفق فى مقتضاه والشر كل الشر اذا رصد انفاقه نحو الرذيلة والمحرمات.

يقول تعالى: ﴿قل من حرَّم زينةَ الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾.. فالواجب يقتضى التحلى بزينة الحياة والتمتع بالطيبات لما فى ذلك من





عبد الرحيم بن سلامة
جامعة محمد الخامس - المغرب

ما هو المال الذى ينشده الاسلام

ان المال الذى ينشده الاسلام هو المال الذى يكسبه الانسان بالطرق المشروعة بكده واجتهاده وسعيه يقول ﴿ﷺ﴾: «ان افضل الكسب كسب الرجل من يده» ويقول: «ما اكل احد طعاما قط خيراً من عمل يده»(٣) اذ لا يجوز لاحد ان يسأل الناس وهو قادر على الكسب فالاسلام يسمح بكل طريق خير يسلكه الانسان للتملك كالارث والهبة والوصية والعارية والقرض.. الا ما كان عن طريق الظلم والغش والخديعة والمكر والاكراه والسطو والسرقة والسلب والنهب والقمار والرشوة والربا فالاسلام يحرم مثل هذه الاعمال.

تشجيع للانتاج واستثمار للاموال وتداول للنقد.

فالمال فى ذاته ليس شرا وليس خيرا هو أداة خاضعة لمشيئة الانسان ان شاء كان عليه نعمة وفضلا ورزقا ينال به الطيبات.. وان شاء حول نعمة هذا المال الى نقمة وذلك اذا ترك لسلطانه ان يطغى عليه.

بهذا التقدير ينظر الاسلام فى سياسته الى المال فهو يقر بفعاليته فى الحياة ومكانه فى القلوب لأن حب التملك فى ذاته ضرورة من ضرورات الحياة لا يعيش الكائن الحى الا اذا دبّ فيه دبيب هذه الغريزة.. وفى هذا الصدد نجد الرسول ﴿ﷺ﴾ يقول: «لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا.. ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من يتوب»(١) ويقول عليه السلام: «قلب الشيخ شابّ على حب اثنين: صون الحياة وحب المال»(٢).

لقد اباح الاسلام كل وسيلة كريمة للكسب المشروع فللمرء ان يقوم بأى عمل من الاعمال المباحة التى من شأنها ان تكسبه رزقا حلالا طيبا فليس هناك عمل خاص بطبقة معينة فالاسلام اقام المساواة المطلقة فى مجالات العمل فلم يخص أحدا أو جماعة بعمل دون عمل فالناس كلهم سواء يرتفعون وينخفضون حسب استعدادهم ومواهبهم وثقافتهم وكدهم واجتهادهم فى مجالات الكسب الحلال(٤) فعندما يحترم الاسلام طرق الكسب ويبيح المنافسة المشروعة لا يقبل ان تتحول ثمار المال المكتسب الى قوة باطشة مستبدة تتحكم فى مصير الفرد والجماعة وتجعل من الانسان عبدا للمادة يعبد معها العجل الذهبى - فى الصباح يركع امام قرنيه وفى المساء وراء ذيله متمردا على كل القيم الدينية والانسانية.. لذته فى الحياة البحث عن المادة وتكديس الثروات.. واذ يصير الامر الى هذا الحد فان الشريعة الاسلامية تتدخل

لتضع حدا لطغيان المال على الانسان ولتبسط حمايتها على المجتمع وتضع بين الناس موازين الحق والعدل والانصاف.

ولعل اول ظاهرة لتسلط المال على حقوق الناس هي تلك التي تتجلى فى تفشي المعاملات الربوية بين الناس هذه الظاهرة التي تمثل أبشع صورة من صور الاستغلال التي لازالت مجتمعاتنا الاسلامية تعاني منها نتيجة تعاملها بأساليب الاقتصاد المعاصر وتخليها عن تعاليم الشريعة الاسلامية التي تنطوى على اقتصاد اسلامي متكامل البنيان.

فمن المؤسف ان يكون موقف الاسلام من المعاملات الاقتصادية الحديثة موقف الصرامة والحدة والوعد الجهنمى ومع ذلك لا تتحاشى الامة الاسلامية ـ وهى تنص فى دساتيرها الوضعية التى وضعتها باختيارها ورضاها على ان دينها الرسمى هو الاسلام ـ عن التعامل بالاساليب الربوية والله يقول فى كتابه العزيز: ﴿يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين، فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾.

ولعل من الاخطار التى تنطوى عليها المعاملات الربوية تكديس الثروات فى أيد قليلة من المجتمع فيصبح بذلك البعد شاسعا بين الطبقات ـ وهذا ما نهى عنه القرآن الكريم فى عدة سور ففى سورة الحشر يقول الله تعالى فى وجوب اعطاء الفقراء نصيبا من الغنائم: **﴿كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم﴾** ولعل فريضة الزكاة وغيرها مما سنعلمه بعد شرعت كشريان متجدد بين افراد المجتمع الاسلامى ـ الذين يملكون والذين لا يملكون ـ شريان يحمل معه الرحمة والتعاون والايثار والمنفعة العامة حتى يتحقق بذلك التكامل الاجتماعى المنشود لصالح افراد الامة الاسلامية.

التصور الاسلامى للهياكل المالية

لم يكن المجتمع الاسلامى بمكة قبل الهجرة مجتمعا آمنا مستقرا يستطيع ان ينظر فى أموره السياسية والمالية ويستكمل مقومات وجوده وانما كان المسلمون فى وجه ظلم كالح واضطهاد قاهر لا يرحم ولكن بانتشار الاسلام الذى عم معه الأمن والرخاء ازدهرت التجارة والاقتصاد فوضعت الدولة الاسلامية اول لبنة فى صرح النظام المالى حيث تأسس مباشرة بعد غزوة بدر «بيت مال المسلمين» الذى اصبح خزينة الامة التى تجمع بها الموارد وتصرف من دخلها النفقات ولم تكن تلك الموارد والنفقات تشكل ميزانية الدولة على النمط المتعارف عليه فى المفهوم المالى الحديث بل كانت مالية الدولة الاسلامية مرنة تستجيب لمتطلبات الامة وما تقتضيه مصلحة الدين الاسلامى.

فاذا كانت السياسة المالية لكل دولة تقوم على تحقيق التوازن بين مواردها ومصاريفها فان الدولة الاسلامية على الرغم من التطورات التى حدثت فى بداية الاسلام حافظت على التوازن المالى فلم تلجأ فى يوم من الايام الى المساومة بحق من حقوق الامة فى مقابل عطاء مالى وهكذا كانت اموال متوفرة لبيت المال تأتى من موارد مختلفة كالخراج.. والجزية والزكاة.. والفيء.. والغنيمة.. والعشور..

ونظرا لكون هذه الاصناف المالية سبق لعدد من العلماء الاجلاء ان كتبوا فيها الشيء الكثير فاننى سأكتفى فى هذا البحث باعطاء تعاريف مختصرة عن كل صنف من اصناف موارد بيت مال المسلمين.. غير انى سأركز ـ بصفة خاصة ـ على الزكاة باعتبارها احد اركان الاسلام الخمس ولما تنطوى عليه من



فلسفة اجتماعية.. ثم سأحاول مناقشة موضوع الضرائب فى الاسلام على ضوء الآراء المختلفة التى تنفى وجود الضرائب المباشرة أو غير المباشرة فى النظام المالى الاسلامى وبالتالى وجود مالية اسلامية منظمة فى شكل ميزانية عمومية بالمفهوم الحديث للمالية.

مالية الدولة الاسلامية

ان موارد الدولة الاسلامية لا تشكل فقط.. الخراج.. والجزية والزكاة.. والفيء.. والغنيمة.. والعشور - بل هناك اموال اخرى تجنيها الدولة من جهات اخرى مثل الاملاك العامة وميراث من لا وارث له.. ومداخل الوقف.. والتبرعات الخصوصية وغير ذلك والى جانب هذه الموارد هناك نفقات التكافل الاجتماعى من زكاة وصدقات وغيرها.. واعطيات الموظفين والقضاة والجند.. ونفقات التعليم والصحة واصلاح الطرقات والترع والقناطر.. وسنتعرض باختصار الى اهم ما فى هذا الموضوع.

اولا: موارد بيت المال:

الخراج

هو مقدار معين من المال او الحاصلات.. ويفرض على الارض التى صولح عليها المشركون.. ويؤخذ عن الارض التى فتحها المسلمون عنوة.. وعن الارض التى أفاء الله بها على المسلمين فملكوها وصالحوا اهلها على ان يتركوهم بخراج معلوم يؤدونه الى بيت المال وكان للخراج ديوان خاص.

الجزية

هى مبلغ معين من المال توضع على الرؤوس وتسقط بالاسلام وثبتت بنص القرآن لقوله تعالى: ﴿**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون**﴾(٥). والفرق بينها وبين الخراج ان الخراج على الارض (وليس على الرؤوس) ولا يسقط بالاسلام وثبت بالاجتهاد لا بنص القرآن.

وقد فرضت الجزية على الذميين فى مقابل الزكاة على المسلمين حتى يتكافأ الفريقان لان الذميين والمسلمين رعية لدولة واحدة ويتمتعون بحقوق واحدة وينتفعون بمرافق الدولة العامة بنسبة واحدة وليست الجزية من مستحدثات الاسلام بل هى قديمة فرضها اليونان على سكان آسيا الصغرى حوالى القرن الخامس قبل الميلاد - كما وضع الرومان والفرس الجزية على الامم التى خضعت لهم(٦).

الفيء

مأخوذ من فاء يفيء اذا رجع وهو كل مال وصل من المشركين للمسلمين عفوا من غير قتال ولا بايجاف خيل(٧) ولا ركاب - فهو كمال الهدنة والجزية والخراج.

وخمس الفىء يقسم على خمسة اسهم: سهم لرسول الله ﴿ﷺ﴾ اما اربعة اخماس الخمس.. فسهم لذوى القربى.. وسهم لليتامى.. وسهم لابن السبيل.. وسهم للمساكين وفى ذلك يقول تعالى: **﴿ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾** (٨)

الغنيمة المراد بها مال الكفار اذا ظفر به المسلمون على وجه الغلبة والقهر وهى قديمة بقدم الحرب لانها نتيجة وثمرة لها.. فلم يعرف المسلمون الغنائم الا بعد هجرتهم الى المدينة لان المراحل التى اجتازتها الدعوة الاسلامية فى اول امرها كانت مقتصرة على الارشاد واكتساب العرب عن طريقها بالحكمة والموعظة.

وفى غزوة بدر نزل قوله تعالى: **﴿واعلموا انما غنمتم من شىء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾**(٨) فكانت هذه الآية حكما قاطعا فى شأن الغنائم التى تقع فى يد المسلمين من جيوش المشركين فكان للمحاربين فى الغنائم أربعة أخماس اما الخمس الباقى فيقسم بدوره الى خمسة اقسام: قسم لذوى القربى.. وقسم لليتامى.. وقسم للمساكين.. وقسم لابن السبيل.

وفى كتاب الخراج لابن يوسف ـ وكذلك فى الاحكام السلطانية للماوردى.. والجامع لاحكام القرآن.. شروح كثيرة للكيفية التى كانت تقسم بها الغنائم فى مختلف العهود الاسلامية.

العشور هى الضرائب التى كانت تفرض على اموال التجارة الصادرة من البلاد الاسلامية والواردة اليها وهذا ما نسميه فى الوقت الحاضر بالضرائب الجمركية.

فمن التنظيم المالى الذى اقتضته سياسة الدولة الاسلامية فرض ضرائب على تجارة اهل الذمة وكذلك على اهل الحرب اذا مروا بتجارتهم فى ارض المسلمين ـ ذلك ان التجارة هى مورد من موارد الرزق تنمو وتثمر فى ظل الدولة وفى حمايتها وبما يدور من الاخذ والعطاء بين افراد المجتمع فكان من المنطق ان يعود للدولة شىء مما يجنيه التاجر من ربح فى تجارته وقد شملت هذه الضريبة المسلمين والذميين والمحاربين جميعا فهى على المسلمين زكاة.. ومن ثم فانها تخرج مخرج الزكاة ربع العشر اذا بلغت قيمتها مائتى درهم او عشرين مثقالا فان كانت اقل من ذلك فلا شىء عليها.

اما الذمى فان عليه فى تجارته نصف العشر من قيمتها «من الحول الى الحول» وأما المحارب فان عليه العشر كاملا(٩).

الزكاة هى الركن الثالث فى الاسلام جاء الامر بها مقرونا بالصلاة فى نحو ثلاثين موضعا.. وكلمة الزكاة فى اللغة العربية لها مدلول مزدوج ـ الاول: انها تزكية وتطهير للروح. والثانى: انها تزكية وتنمية للمال، فهى اولا تزكى نفس مؤديها بما تتيح له من تدريب مستمر على حرمان النفس لمنفعة الغير وشفاء لها من سيطرة الشح عليها ثم هى بما تبثه من تراحم بين طبقات المجتمع وما تنزع من غل عند الطبقات المحرومة للطبقات الموسرة تكفل تنمية التعاون الاجتماعى.. كذلك يلاحظ ان الزكاة بما تقتطعه سنويا من رأس المال تساعد على توزيع الثروة فى ثنايا المجتمع وتحول دون تكدسها فى أيد قليلة

والزكاة عرفت كضريبة فى الامم القديمة وفى الشريعة الموسوية.. وفى العهود الاولى للاسلام كانت مجرد احسان ولم يكن لهذا الاحسان نظام معين او تشريع خاص(١٠) لكن نزلت آيات كثيرة تجعل الزكاة واجبة على الاغنياء يقول تعالى: ﴿خذ من

اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾ ثم يقول: **﴿والـذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم﴾**.. ويقول: **﴿قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى﴾**(١١) وروى عن النبى ﴿ﷺ﴾ انه قام فى الناس فقال: «يا ايها الناس انه اتانى آت من ربى فى المنام فقال لى يا محمد لا صلاة لمن لا زكاة له ولا زكاة لمن لا صلاة له مانع الزكاة فى النار والمتعدى فيها كمانعها».

أن اكثر من خمسين آية موزعة بين سور القرآن الكريم تتحدث عن الزكاة وهى فى مجموعها تؤلف دستورا لهذه الضريبة الاسلامية التى لأهميتها جعلها القرآن ركنا من أركان الاسلام الخمس كما ان عشرات الاحاديث النبوية تكشف عن اهمية الزكاة ودورها فى تحقيق التكافل الاجتماعى كما ان العلماء الكبار خصوها بمؤلفات كثيرة تشرح فلسفتها وأهميتها ومن اين تجيء ونوع الاصناف المستحقين لها.. فالزكاة ما هى فى الواقع الا علاج لمشكلة الغنى والفقير.. فهى حق معلوم للسائل والمحروم.. فريضة من الله فى الاموال والانعام والزروع.. تصرف من أموال الاغنياء لا منحة يمنون بها على الفقراء وانما هى حقهم الذى اوجبه الله فى كتابه العزيز حيث قال تعالى: **﴿انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾**.

■ وفى هذا الصدد يروى ابن حزم فى كتابه المحلى عن سيدنا على ابن ابى طالب: **«ان الله فرض على الاغنياء فى اموالهم بقدر ما يكفى فقراءهم فان جاعوا او عروا فبمنع.. فمنع وحق على الله ان يحاسبهم يوم القيامة ويعذبهم عليه.. والسلطان يجبر الاغنياء على اعالة الفقراء فان لم تقم الزكواة فانهم يطعمونهم** من القوت الذى لابد منه ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك وبمسكن يقيهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة»(١٢).

هذا وتجب الزكاة فى الاموال االنقدية وفى عروض التجارة بنسبة ٢٫٥٪ وفى المواشى بنسبة كتلك النسبة تقريبا.. وفى الزروع والثمار بنسبة العشر فى الاراضى المروية من غير كلفة كالتى تروى بمياه الامطار والينابيع.. ونصف العشر فى الاراضى التى تروى بآلة ونحوها.

وكانت مداخيل الزكاة تشكل نسبة عظمى فى موارد بيت المال الشيء الذى جعل دولة الاسلام فى عهود كثيرة فى ازدهار ورخاء انعدم معه كل فقر وخصاصة.

هل تصلح الزكاة فى هذا العصر؟

كثير من الحاقدين على الاسلام يرون أن الزكاة لم تصبح صالحة للتطبيق فى عصرنا هذا الذى فرضت فيه ضرائب على الاغنياء حلت محل الزكاة، وهذا تأويل خاطىء سيما وأن الزكاة خصها الاسلام لأصناف معينة فى المجتمع الاسلامى وهم الفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل، فهى فى الواقع ضريبة على الاغنياء تدفع للفقراء، ولا نعنى بالاغنياء ذوى الثروات الكبيرة وانما كل من عنده مال زائد عن الحاجة.. *فالزكاة عامل من اهم عوامل توزيع الثروة* وانتقالها بين ايدى الشعب.. وهى عامل كبير من عوامل نشر الالفة والمحبة بين الناس وهو ما يحرص عليه الاسلام ولذلك فالزكاة ضريبة من نوع خاص(١٣).

أما «الضرائب» التى تؤدى فانها تدفع فى مقابل

الخدمات العامة التى يعود نفعها على دافعيها وغيرهم لصيانة الامن الداخلى والدفاع الخارجى واقامة العدالة وتمويل المرافق الصحية والتعليمية وانشاء الطرق - وهى ضرائب موجودة فى كل الدول التى تدين بديانات مختلفة . . اما الزكاة فهى ضريبة خاصة تبقى بعد هذا شريعة من شرائع الاسلام وحكما من احكامه لرعاية جانب كل ضعيف فى المجتمع تحقيقا للتكافل الاجتماعى الذى ينشده الاسلام .

نفقات الدولة الاسلامية :

يمكن اجمال هذه النفقات فى ثلاث عناصر وان كانت مصاريف الدولة الاسلامية متنوعة :

(١) فايراد الدولة من ضريبة الارض والرؤوس وأموال التجارة - تجارة اهل الحرب والذمة - كان يوجه للنفقات فى المصالح العامة كرواتب الخلفاء والولاة والقضاة والجند . . وبناء القناطر واقامة الجسور وسد الثغور وحفر الترع واصلاح الانهار ونحو ذلك .

(٢) اما ايراد الزكاة فكان ينفق فى النواحى التى ذكرت فى الاية الكريمة : **﴿انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾**(١٤) .

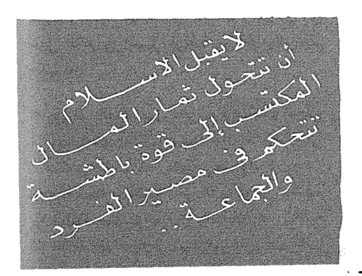
(٣) اما ايرادات خمس الغنائم فكان يوجه للانفاق على الجهات التى فى قوله تعالى : **﴿واعلموا انما غنمتم من شىء فإن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾**(١٥) .

من هنا نستطيع القول بأن مالية الدولة الاسلامية كانت عبارة عن ثلاثة أبواب لكل واحد من هذه الابواب دخل وانفاق خاص فلا يجوز الجمع بين بند وآخر وفى هذا الصدد ، يذكر ابو يوسف أنه «لا ينبغى ان يجمع مال الخراج الى مال الصدقات والعشور»(١٦) كما انه لا يجوز ان يصرف ايراد احد البنود فى مصرف آخر(١٧)

والى جانب هذه النفقات التى هى مقيدة بنصوص قرآنية كانت الدولة الاسلامية تتولى الانفاق على متطلبات الصحة والتعليم فاتسم انفاقها بالعدالة الاجتماعية وتحقيق الرخاء للافراد والجماعات .

وهكذا رصدت نفقات ضخمة للتعليم فجند الفقهاء وفتحت المساجد ودور العلم كما هيئت امكانات البحث العلمى - وكل ذلك مكن الامة الاسلامية من ان تكون امة العلوم والمخترعات وامة حضارة ورقى وازدهار .

اما نفقات الصحة العامة : فقد كان نصيبها كبيرا ايضا اذ تستلزم التعاليم الاسلامية نظافة الاجساد والاماكن كما تستلزم الوقاية اللازمة من الامراض ومكافحة الاوبئة وعلاج المرضى وكل ذلك كان يتطلب من بيت مال المسلمين مصاريف كثيرة لم تبخل بها الدولة الاسلامية على افراد مجتمعها مسلمين وغيرهم(١٨) .



هذا وقد اوجد الاسلام قوانين لنفقات التكافل الاجتماعى يتجلى فى الاتى :

المدين

اذا لزمت المدين الديون بسبب التجارة او غيرها ولم يستطع دفع ديونه ـ عن حسن نية ـ (وكان فى حالة افلاس) فان ديونه تسدد نيابة عنه (من بيت المال).

القاتل

اذا قتل خطأ: فان دية القتيل لا يتحملها وحده بل تتحملها عائلته وهم عصبته من اقربائه أو أهل ديونه.

المنقطع

فى بلد غير بلده ويسمى «ابن السبيل» فيعان حتى يصل الى بلده ولو كان فيها غنيا.

وهناك قوانين للإنفاق لا تجب على الدولة وانما تجب على افراد الدولة الاسلامية تتجلى فى النفقة على الضيف فهى واجبة ثلاثة أيام وما بعدها يكون صدقة. . **وقانون المشاركة** الذى يعنى انه عندما يحين وقت المواسم الزراعية ـ فان من حق المواطنين الذين لا يجدون ما يشترون به الثمار ابان قطفها لغلائها ان يأكلوا منها من غير مَنّ(١٩) **وهناك قانون الماعون** وهو كل ما ينتفع به من شؤون البيت أو الحقل ويستعيره الناس فيما بينهم كالقدر والدلو وأمثالها(٢٠) وهناك **قانون الاعفاف**: فالزواج واجب على القادر عليه فان كان فقيرا لا يجد نفقات الزواج وجب على قريبه الموسر تزويجه كما تجب عليه نفقة طعامه ولباسه وسكناه. . وهناك **قانون الاسعاف**:

ويعنى انه اذا جاع انسان او عطش أو مرض بحيث أشرف على الهلاك وجب على من يعلم بحاله ان يبادر الى انقاذه. . فان كان عنده فضل من طعام او شراب أو دواء أو مال يدفع به الهلاك عن ذلك الانسان وجب ان يدفعه اليه فانِ امتنع كان لذلك المضطر ان يأخذه منه بالقوة ويقاتله عليه.

ومن اهم قوانين الانفاق لتحقيق التكافل الاجتماعى يوجد قانون الطوارىء او (القروض الاجبارية) بالمفهوم الحديث للمالية حيث انه اذا اصبح العدو يهدد سلامة البلاد ولم يكن فى خزينة الدولة ما يكفى للانفاق على الجيش وتجهيز المقاتلين وشراء السلاح وجب ان تأخذ الدولة من أموال الناس بقدر ما يندفع به الخطر. . وتأمن الامة على ارواحها وأموالها واستقلالها لان الجهاد ـ فى تلك الحالة ـ واجب بالمال والنفس على كل مستطيع وحق الانسان فى استبقاء ماله بيده يصبح باطلا فى الوقت التى تكون بلاد الاسلام مهددة والدولة فى حاجة الى المال. . وقد وقع فى التاريخ الاسلامى تنفيذ قانون الطوارىء عدة مرات.

وعندما تحل الكوارث العامة كالفيضانات والزلازل والمجاعة وأمثالها فان من واجب الدولة ان تسعف المنكوبين بتمكينهم من الحياة الكريمة التى يحياها سائر الناس. ولما كانت خزينة الدولة تعجز فى الغالب عن القيام بهذا الواجب الاجتماعى نحو المنكوبين فانها تستطيع ان تفرض ضرائب خاصة لهذه النكبات تستوفيها من الاغنياء كل حسب ثروته ـ فلما كان عام المجاعة فى عهد عمر ارسل الى ولاة الأمصار ليمدوه بالطعام والاموال فارسل له كل والٍ ما استطاع ارساله وكان هذا الطعام يوزع على المحتاجين بالمساواة.

وقد لا يتسع هذا البحث استيعاب كل الموضوعات التى تتعلق بنفقات التكامل الاجتماعى ولذلك نكتفى بالاشارة الى ان هناك عدة قوانين ـ منها قانون الوقف. . وقانون الوصية. . وقانون الركاز. . وقانون النذور. . وقانون الكفارات. . وقانون الأضاحى. .

وقانون الكفاية . . وهى قوانين تفرض الانفاق على الفرد المسلم إما لاخيه المحتاج أو لبيت المال الذى يقوم بدوره بانفاقها فى النواحى المخصصة لها بمقتضى احكام الشريعة الاسلامية .

هل عرف الاسلام نظام الضرائب والميزانية؟ .

يعتقد بعض خبراء المالية العامة ولا سيما الاوروبيون منهم ان الشريعة الاسلامية والفقه المتفرع عنها لا يتضمن مفهوما للنظام الضرائبى وبالتالى مفهوما للميزانية ويوجد على رأس هؤلاء الاستاذ الفرنسى مارك لوز الذى اصدر كتابا بعنوان مالية الدولة :

جاء فيه : «يعترف المؤرخون ان موسوعات الحقوق الاسلامية لا تتضمن اى عرض للمسائل الضريبية لان المفهوم الضريبى ـ وفقا للمفهوم الغربى ـ انما هو مفهوم غريب اطلاقا بالنسبة للاسلام . . فهو لا يتضمن اى مفهوم للميزانية كما ان المصادر الضريبية متعددة وتسمح بشكل خاص لتمويل الحملات العسكرية»(٢١) .

وقد رد الاستاذ خالد عيد فى رسالته الجامعية(٢٢) عن ادعاءات هذا الكاتب فحلل كل فقرة من فقرات رأى البروفسور مارك لوز حيث قال :

(١) ان الاستاذ لوز لم يقدم لنا كمثل أيًا من هؤلاء المؤرخين .

(٢) نحن يكفى ان نقدم (للبروفسور لوز) ما ورد فى كتاب المؤرخ الالمانى كارل بروكلمان : «تاريخ الشعوب الاسلامية» الذى تكلم فيه عن مالية الدولة ـ فى عهد المقتدر الذى يعتبر عهد انحلال الخلافة ـ حيث يذكر بأن سنوية الميزانية وتقسيمها لأبواب الواردات والنفقات كان معروفا لدى الجهاز الادارى فى الدولة الاسلامية فى عهود انحلالها وضعفها وتقطع اوصالها فبالاحرى ان تكون هذه المفاهيم موجودة فى عهد قوتها . . ثم يشرح بروكلمان مصادر ايرادات الميزانية فيقول : «بينما كان العراق يقدم لخزانة الدولة من طريق الخراج والرسوم المفروضة على الملاحة والانهار والمكوس ١ر٥٤٧ر٧٣٤ دينارا والولايات الشرقية تقدم ٢٨٣ر٢١٣ر٦ دينارا ومصر وسوريا تقدمان ٤٩٢ر٧٤٦ر٤ دينارا كان الخليفة لا يكتفى برقم اجمالى لا يتجاوز ٤٩٢ر٧٤٦ر٤ دينارا من آذربيجان وأرمينيا تضاف الى هذا كله ١ر٧٦٨ر٠١٥ دينارا من موارد الضياع والاوقاف .

اما قول مارك لوز : فإن المفهوم الضريبى وفقا للمفهوم الغربى انما هو مفهوم غريب اطلاقا بالنسبة للاسلام فان هناك ما يدحض هذا القول فاذا ما اردنا ان نعرف الضريبة فى المفهوم المالى الحديث فاننا نعرفها بأنها «فريضة من المال تستأديها الدولة او السلطة المحلية من الافراد القاطنين فى ديارها على قدر يسار كل مكلف لتمكينها من اداء المرافق العامة التى تضطلع بها»(٢٣) .

فاذا اخذنا هذا التعريف وسرنا نطبقه على موارد الدولة الاسلامية نجد ان (الزكاة) ضريبة وكذلك (الجزية) و(الخراج) وعشور التجارة والقطائع لانها جميعها متكررة ومتجددة فى أوقات معينة على المسلمين ومَنْ تمتع بحماية الاسلام . . وقد فرض بعضها عن طريق القرآن والبعض عن طريق الاجماع . وقد تكفل التشريع الاسلامى بتحديد الانصبة . ومقادير الضرائب والاشخاص المكلفين بدفعها وكيفية ذلك . . ووقت التحصيل وأوجه النفقات . . وأبواب الصرف الواجب على الدولة القيام بها . . اما ما عدا ذلك من الموارد : «كخمس الغنائم وتركة من لا وارث له» : فهذه لا يشملها معنى الضرائب لعدم دوام المورد ولعدم نص تشريعى يقضى بهذا التجدد والتكرر فى مواعيد منتظمة(٢٤) .

فمن التحليل الذي قدمناه يمكن القول بأن القواعد التي التزمها علماء المالية في شأن الضريبة توجد في قواعد المالية الاسلامية فالعدالة الضريبية التي ذكرها علماء المالية الحديثة هي مطلب الشارع الحكيم حيث قرر المساواة في الاموال والافراد لا فرق بين شخص وآخر، وهكذا فلم يعف من الضريبة اقطاعي او رئيس أو امير أو نبيل كما كانت تفعل بعض الشرائع الوضعية مما اشعل لهيب بعض الثورات كالثورة الفرنسية التي كان من اسبابها عدم المساواة في فرض الضرائب. . فضريبة الزكاة - التي هي ضريبة من نوع خاص - ان كمل نصابها المحدد لها اخذ منه الواجب بنسبة ميسورة والا فالعفو والجميع في ذلك سواء.

وكذلك ضريبة الجزية: لا يطالب بها الا الموسرون القادرون على الاداء وكل على قدر يساره واحتماله.

فقد روى أبو يوسف في كتابه الخراج ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بباب قوم وعليه سائل يسأل - وكان شيخا أعمى ويبدو عليه انه ذمي فضرب عمر بعضده وقال «من أي اهل الكتاب انت؟ فقال يهودي، قال ما الجاك الى ما أرى؟. . قال اسأل الجزية والحاجة والسن. . فأخذ عمر بيده وذهب به الى منزله واعطاه شيئا مما عنده ثم استقدم خازن بيت المال وقال له انظر هذا وضرباءه فوالله ما انصفناه ان اكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم وقال رضي الله عنه «انما الصدقات . . . »(٢٥) الآية.

وإذا كانت آراء علماء المالية الحديثة تميل في معظمها الى الاخذ بنظام تعدد الضرائب لما فيه من عدالة اجتماعية واقتصادية فاننا نجد الاسلام قد بنى نظامه المالي على اساس تعدد الضرائب حتى تقوم كل واحدة منها بنصيب من العبء المشترك ولم يقصر مؤنة الدولة المالية على ضريبة واحدة لما في ذلك من المساوىء والعثرات التي فيها عرقلة الحياة الاقتصادية وارهاق الافراد وارتفاع تكاليف الجباية.

الاسلام ايضا كان سباقا الى الاخذ بنظام عدم ازدواج الضريبة. . بمعنى الا يلزم المكلف الواحد بدفع الضريبة اكثر من مرة عن نفس المال لنفس السبب وعن نفس المدة. . وهكذا نجد الرسول ﴿ﷺ﴾ يقول «لا ثنى في الصدقة» ومن اوجهه ان لا يؤخذ الصدقة عن عام مرتين(٢٦).

والاسلام طبق فكرة شخصية الضريبة. . بمعنى انه اعفى الحد الادنى اللازم للمعيشة حيث قرر ان لا تفرض الزكاة الا اذا بلغ المال نصابا ونصابا فائضا عن الحاجات الاصلية. . ولم تقتصر هذه على الطعام والكسوة وانما امتدت ايضا الى الدين لأن المشغول بالدين مشغول بالحاجة الاصلية.

كذلك قال علماء المالية ان الوعاء الذي تغترف منه الدولة ضرائبها لابد ان يكون وعاء واحدا هو المال الذي في حوزة الافراد - اما الضرائب الشخصية التي توضع على الرؤوس فهي من مظاهر عصور البداوة الغابرة(٢٧) فاذا نظرنا الى ضريبة الزكاة والخراج والعشور الفينا ان هذه الضرائب ليس لها الا وعاء واحد هو المال الذي في حوزة الافراد. . اما ضريبة الجزية فحقيقة هي ضريبة شخصية وضعت على رؤوس اهل الذمة ولكن باعتبار ما يملك الفرد من الثروة فكأنها في الواقع موضوعة على المكلفين باعتبار ما يملكونه من المال - بدليل ان الفقير المعدم من اهل الذمة اعفى من هذه الضريبة فلو كانت على الرؤوس - بغض النظر على الثروة - لما سقطت عن الشخص العاجز.

هذا، واذا اردنا ان نقيم مقارنة بين بناء النظام الضريبي في الشريعة الاسلامية وفي التشاريع الوضعية نجد أن الضرائب في النظام المالي الاسلامي كانت كما في النظام المالي الوضعي على

نوعين ضرائب مباشرة وضرائب غير مباشرة.

فكانت الضرائب المباشرة: تتجلى فى الخراج والزكاة بجميع فروعها وعشور التجارة والجزية.. وعلى رأس المال حيث تؤخذ من الدخل المنتظر نتاجه والضرائب الاسلامية تتمثل فيها الضريبة العينية وهى التى تصيب المال دون نظر الى الشخص المكلف كالزكاة. وضريبة عينية وهى التى ترتبط بالعين كالخراج.

■ اما الضرائب غير المباشرة: فتتجلى فى العشور وفى ما يفرضه النظام الاسلامى فى المعادن والركاز وقد افتى الشافعى بان للإمام ان يزيد فى المأخوذ عن العشور وأن ينقص عنه الى نصف العشر.. وأن يرفع عنهم اذا رأى فيه مصلحة.. وهذا احدث ما وصلت اليه التنظيمات المالية الحديثة فى نطاق الضرائب غير المباشرة ولا سيما ضرائب الجمارك (٢٨)

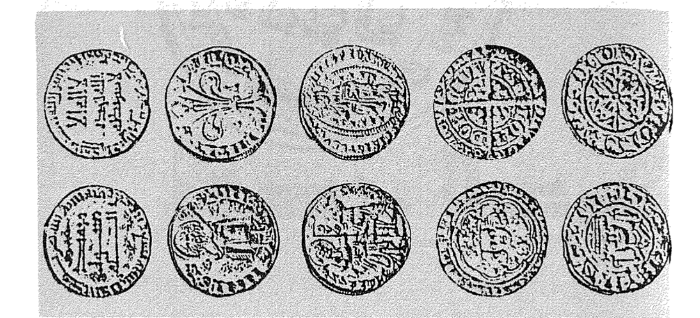
هذا كل ما يتعلق بالنظام المالى الاسلامى ومقارنته بالانظمة المالية الحديثة فى باب الموارد ولكن الا يحق لنا أن نقيم بعض المقارنات بين الشريعة والمالية الحديثة فى باب المصارف.. فقد رأينا مما تقدم فى هذا البحث عند الحديث عن النفقات أن المصاريف العامة التى كانت تقوم بها الدولة الاسلامية فى مرافقها العامة لا تخرج عن كونها رواتب ومعاشات للعمال والجند الى جانب الانفاق على المرافق العامة وموظفيها فان نظام الدولة الاسلامية جعل للموظفين رواتب واعطيات ومعاشات. ولذلك فان ايرادات الدولة الاسلامية كانت تصرف لسداد حاجات الكافة ومصالح الجميع ولم تخصص حصيلتها لتغذية المنافع الفردية او تؤثر طائفة على اخرى أو اقليما على آخر لانه اكثر موردا او أجزل اخراجا ـ فايراد الخزينة كما ذكرنا وكذلك الخراج قد خصص لاعطيات الجند والولاة والقضاة وما يلزم الدولة: كالاسلحة ومعدات الجهاد ونحو ذلك.. وايراد الصدقات يتناول الاحسان العام للمعدمين ومنح الهبات ولبعض الافراد الذين يقدمون للدولة خدمة نافعة سياسية او دينية وكذلك خمس الغنائم(٢٩).

اننا باختصار نقول ان الاسلام وضع الاسس الحديثة للنظام المالى الاسلامى ـ هذه الاسس التى لازالت تهتدى بهديها التشريعات الوضعية الحديثة.

انه نظام رتب أصوله ونظم قواعده عمر بن الخطاب فلو انه استقر فى العالم وانتظمت به الحياة لتبدلت الانسانية غير الانسانية ولانهارت المبادىء العقيمة وقامت المبادىء السامية التى توجه العالم الى الخير وتوصل الناس الى السعادة ومحو الشقاء المتمثل فى الربا والقمار وأكل اموال الناس بالباطل.

ونختم هذا البحث بما قاله الدكتور بدوى عبد اللطيف عطية فى كتابه النظام المالى المقارن: «ان الانسان اذا اراد الموازنة بين النظام المالى الاسلامى والانظمة المالية فى الدولة الحديثة والشرائع المختلفة لحكم فى اطمئنان بأن النظام المالى الاسلامى لا نظير له فى حضارة من الحضارات.. ولم يأت حتى اليوم ما هو خير منه فى أى عصر من العصور».

فالامل معقود على الشباب المسلم العامل فى الحقل المالى ان ينهل من معين شريعته ففيها كل خير وبركة.. فالسياسة المالية التى وضعها الاسلام سياسة حكيمة تنبنى على عدالة اجتماعية تامة والنظام المالى الاسلامى نظام متكامل رأينا جوانبه من خلال المقارنات البسيطة التى قمنا بها فى هذا البحث.. فما على ابناء الامة الاسلامية الا ان يرجعوا الى الاصل الاصيل وينهجوا فى معاملاتهم وتجاراتهم وسلوكهم الى احكام الشريعة الاسلامية ـ شريعة الماضى والحاضر والمستقبل بحول الله.



(٢،١) صحيح مسلم الجزء الثالث الصفحة ٩٩

(٣) رواه البخاري في صحيحه

(٤) راجع البحث الذى نشرناه بمجلة «دعوة الحق» العدد الاول السنة ١٢ صفحة ١٥٧ ديسمبر ١٩٦٩ حول «المساواة فى الاسلام» وكذلك يمكن الرجوع الى كتاب ابى الاعلى المودودى «نظام الحياة فى الاسلام» صفحة ٦١ التى نقتطف منها هذه الفقرات: «ان الاسلام لا يقول بالمساواة فى الرزق، وانما يقول بالمساواة فى فرص العمل والجد والسعى فى اكتساب المعاش والتماس الرزق.

(٥) آية ٢٩ من سورة التوبة.

(٦) من أراد التوسع فى هذا الموضوع عليه ان يرجع الى كتاب «الاسلام واهل الذمة» للدكتور على حسنى الخربوطلى (مطبوعات المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ـ القاهرة).

(٧) أى سرعة السير والركاب (راجع كتاب النظم الاسلامية للدكتور حسن ابراهيم حسن ـ ص٢٣٢.

(٨) سورة الانفال الاية ٤١

(٩) انظر الخراج لابى يوسف صفحة ١٢٣

(١٠) دائرة المعارف الاسلامية ـ المجلد الرابع ص ١٢٠٢

(١١) من سورة الاعلى.

(١٢) راجع المحلى لابن حزم ص ٢١٨

(١٣) راجع البحث الذى نشرناه بالمنهل حول موضوع «النظام المالى فى الدولة الاسلامية» العدد ١١ السنة ٣٦ ص٨

(١٤) من سورة التوبة ـ آية ٦٠.

(١٥) من سورة الانفال ـ آية ٤١.

(١٦) راجع مؤلف الخراج لابى يوسف ص ٨٠ وكتاب «النظام المالى المقارن» للدكتور بدوى عوض ص ١٠٢ والاحكام السلطانية للماوردى ص ١٢٢

(١٧) راجع (نفقات الدولة الاسلامية) للدكتور ابراهيم دسوقى اباظة مجلة التضامن الاسلامى ـ السلسلة الاولى ـ العدد العاشر مايو ١٩٧٣.

(١٨) راجع كتاب (اشتراكية الاسلام) للدكتور مصطفى السباعى ص٤٦.

(١٩) تفسير ابن كثير الجزء الرابع صفحة ٥٥٥.

(٢٠) مالية الدولة لمارك لوز ص ٢٥٢.

(٢١) (٢٢) العدالة الضريبية فى التشريع الضريبى المغربى صفحة ٦٢ وهو عبارة عن رسالة جامعية نال بها الاستاذ خالد عيد دبلوم الدراسات العليا من كلية الحقوق سنة ١٩٧٢.

(٢٣) مالية الدولة للدكتور ابراهيم اباظة ومبادىء المالية العامة للدكتور عبد العالى المكبان ج١ ص١٢٠.

(٢٤) راجع المحاضرة التى القاها الدكتور «على عبد الواحد وافى» فى الملتقى السادس للتعرف على الفكر الاسلامى بعنوان «موقف الاسلام من الاديان الاخرى» الصادرة فى الجزء الثانى من سلسلة محاضرات الملتقى صفحة ٤٠٣.

(٢٥) الاموال ـ لابى عبيد القاسم بن سلام فقرة ٩١٨ صفحة ٣٧٥.

(٢٦) مبادىء علم المالية العامة للدكتور فوزى ج٢ ص٩١ ومالية الدولة للدكتور ابراهيم اباظة الدسوقى.

(٢٧) النظم الاسلامية ـ للدكتور حسن ابراهيم ص٢٨٥.

(٢٨) نظام الضرائب بين القانون والاسلام للدكتور محمد كمال الجرف صفحة ٢٦٦.

(٢٩) كتاب الاموال ـ فقرة ١١٩ صفحة ٤٥.



لقد حدثنا القرآن الكريم عن قوم شعيب أنهم كانوا يخسرون المكيال والميزان فأرسل الله سبحانه وتعالى نبيَّه شعيباً عليه السلام ليعيد تلك الأمة الى جادة العدل وينهاهم عن الافساد فى الأرض.. قال تعالى: **﴿وياقوم أوفوا المكيالَ والميزان بالقسطِ ولا تَبْخَسوا الناسَ أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين﴾**.

وما أروع لفتة الامام القشيرى فى تفسيره ـ ان المراد بالآيات الكريمة والله أعلم ـ عدم انقاص حجم المكيال عن المعهود والمتعارف فالصنجات ـ الأوزان ـ يجب أن تكون وافية مضبوطة وليس المراد إيفاء ما يكال أو يوزن فذلك مضمون قوله تعالى: **﴿وأَوْفُوا الكيلَ إذا كِلتُم وزنُوا بالقسطاس المستقيم ذلك خيرٌ وأحسنُ تأويلا﴾.. فالأمر بإيفاء الكيل غير الأمر بإيفاء المكيال فالآيات تقرر بوضوح ضرورة تحقق العدل فى المكيل وآلة الكيل وفى الموزون وآلة الوزن ولا يقال هنا ان آية قوم شعيب شَرْع لما قبلنا فالراجح أن شرع مَنْ قبلنا شرع لنا إذا لم يرد ما ينسخه فكيف إذا جاءت شريعتنا تؤكد هذا المعنى وتدعمه فالعدل أمرت به كل الشرائع السابقة ولهذا كانت الأكيال والأوزان ضرورية لقيام العدل بين الناس وقد روى ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال لأهل الكيل والميزان «إنكم قد وليتم أمرين هلكت فيها الأمم السالفة قبلكم».. قال عنه الترمذى حديث حسن صحيح(١).**

وقد عرف المسلمون فى صدر الاسلام عدداً من المكاييل والموازين منها ما يختص بهم ومنها ما أخذوه من الأمم المجاورة ومن أشهر الأوزان المتعارفة بينهم «الدرهم والدينار» فقد كانا معروفين فى العصر النبوى يتعامل بهما الناس بدليل ذكرهما فى القرآن الكريم ولا يعقل أن يخاطب الشارع الأمة بما لا تعقله ولا تدرك معناه أو تعرفه ـ فمن ذلك قوله تعالى متحدثاً عن أهل الكتاب: **﴿ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً﴾ وقوله تعالى فى سورة يوسف ﴿وشروه بثمن بخس دراهم معدودة﴾** كما ذكرت الأحاديث النبوية الدرهم والدينار فى أحاديث



متعددة ومن أشهرها الحديث النبوى: «منعت العراق قفيزها ودرهمها ومنعت الشام مديها ودينارها ومنعت مصر إردبها ودينارها وعدتم من حيث بدأتم»(٢).

وقد فهم المستشرق - ولها وزن - من الحديث عكس معناه تماماً عندما ظنَّ أن الحديث يعنى استحالة توحيد العملة الاسلامية وعودة أقطار الاسلام الى انفصالها القديم بينها الراجح فى معنى الحديث والله أعلم أن النبى ﴿ﷺ﴾ أخبر بها لم يكن وهو فى علم الله كائن بأن هذه البلاد ستدخل فى الاسلام فتمنع بإسلامها ما يوظف عليها من الخراج والجزية(٣).

ولا يفهم من مجمل النصوص أن الحجاز عرفت سكة خاصة لضرب هذه النقود بل كانت النقود المتداولة من ضرب الفرس والرومان فكان الدرهم فارسى الضرب بينها كان الدينار من بلاد الروم.. وكان العرب يتعاملون بهذه النقود وزناً لا عدداً وكأنها تبر غير مضروب نظراً لاختلاف القطع النقدية حجماً ووزناً.. وهناك ما يدل على أن أهل المدينة تعاملوا بالدراهم عدداً وقت قدوم النبى ﴿ﷺ﴾ واستدل النووى على ذلك فى المجموع بقول عائشة رضى الله عنها فى قصة شرائها بريرة «إن شاء أهلك أن أعدها لهم عدة واحدة فعلت» فأرشدهم النبى ﴿ﷺ﴾ الى الوزن وجعل عيار صنج الوزن بها يعرفه أهل مكة(٤).

ما هو الدرهم؟:

قال ابو عبيد ان الدراهم التى كانت نقد الناس على وجه الدهر لم تزل نوعين: هذه السود الوافية وهذه الطبرية العتق فجاء الاسلام وهى كذلك.. والدراهم السود المذكورة هى المعروفة بالدراهم البغلية وزنها ثمانية دوانق «الدانق سدس الدرهم بعد الاصلاح النقدى» ولذا سميت وافية وتنسب إلى ملك يدعى - رأس بغل - من الفرس أما الطبرية فهى أربعة دوانق وتنسب الى طبرية بالشام - فلسطين - كما فى المصباح المنير ونسبها محقق الأموال الى طبرستان وهو الصحيح لأن العرب ما عرفوا الدراهم إلا من الفرس أما الشام فعملتها الدينار الرومانى وعرف

العرب الدراهم المغربية وزنها ثلاثة دوانق ودرهم اليمن ووزنه دانق واحد(٥) . . وقال فى دائرة المعارف الاسلامية - الدرهم اسم للمضروب من الفضة وهو ستة دوانق أو (نصف الدينار وخمسه) ٧/١٠ أى سبعة أعشار الدينار وكانت مختلفة الوزن فى الجاهلية فمنها الطبرية الخفيفة والبغلية الثقيلة(٦) . . وهو عند اللغويين بكسر الدال وفتح الهاء وكسرها، وأصل الكلمة عند المؤرخين مشتق من لفظ «دراخمة» اليونانية وكانت العملة السائدة فى الأقاليم الشرقية من العالم الاسلامى لأن منطقة فارس كانت منطقة فضة وقد اضطرب وزنه عبر التاريخ حتى أخذ وزنه الشرعى ستة دوانيق ونسبته الى المثقال ٧/١٠ وهى النسبة الشرعية التى وحدت وزن الدرهم فى العالم الاسلامى وقبل أن يتحدد الدرهم بالنسبة الشرعية كان المسلمون يزكون أموالهم بشطرين من الكبار والصغار كما نقله عبد الحق بن عطية عن صاحب الأموال(٧).

أنواع الدرهم عند الفقهاء:

إذا أطلق الدرهم فيراد به درهم الفضة الجيد الخالص وللفقهاء فى انواع الدراهم بحسب الغش التى تتعرض له اصطلاحات لابد من معرفتها لمن يمارس كتبهم فمن ذلك:

الجياد: وهى الفضة الخالصة وتروج فى التجارات وتوضع فى بيت المال.
الزيوف: وهى المغشوشة وما يرده بيت المال للزيف ولكن يتعامل بها التجار ويجوز الشراء بها بشرط بيان عيبها وأول من ضربها عبيد الله بن زياد.
النهرجة: ما يرده التجار ويضرب فى غير دار السك التابعة للسلطان.
الستوفة: أو الستّوف بوزن التنور وهو صفر مموه بالفضة(٨) وقد يكون الطاق الأعلى والأسفل فضة وبينهما صفر وليس لها حكم الدراهم . . أما الدراهم الجياد فقد انتشرت فى التعامل بين أهل مكة والمدينة وفى الحديث عن على رضى الله عنه قال: «زوجنى رسول الله ﴿ﷺ﴾ فاطمة على (٤٨٠) درهماً وزن ستة»(٩).

ما هو الدينار؟:

مشتق من كلمة لاتينية يونانية - ديناريوس - وهو الوحدة الرئيسية من وحدات العملة الذهبية المتداولة فى الاسلام وكثيراً ما يشبه بالشمس كما يشبه الدرهم بالبدر كقول الشاعر:

ويظلم وجه الأرض فى أعين الورى
بلا شمس دينـار ولا بدر درهـم

والأشهر فيه أنه لم يختلف وزنه فى جاهلية ولا اسلام وأن وزنه بدقة كما سنرى فى الصفحات القادمة هو ٤٫٢٥ غرام وهو ٦٦ حبة بحسب الوزن الذى ضربه عبد الملك بن مروان ومن ذلك الوزن كان مصدر التقديرات الشرعية عموماً وهذا الوزن هو نفس وزن (الصوليدوس) البيزنطى المعاصر لعبد الملك ولكن التقدير بـ ٦٦ حبة لم يقل به أحد فهناك شبه اتفاق على أن الدينار ٧٢ حبة(١٠).

وقد ضرب عبد الملك الدينار الاسلامى أول مرة عام ٧٦هـ/ ٦٩٦م فى دمشق ثم ضرب فى القاهرة وقرطبة بعد المائة الأولى للهجرة.

وصار بعد عام ٢١٢هـ يضرب فى أكثر الحواضر الاسلامية ولم يجر على الدينار أى تعديل فى وزنه إلا فى اليمن حيث ضرب دينار ذهبى بوزن ٢٫٩٧غ أى بوزن الدرهم تماماً.



وضـرب آخر دينار فى بغداد بعد سقوط الدولة العباسية واختفت كلمة دينار بعد الاجتياح المغولى حوالى عام (٦٦١هـ/ ١٢٦٢م)(١١).

وهذا الدينار كان معروفا لقريش فى الجاهلية فقد ذكر البلاذرى فى فتوح البلدان (كانت لقريش أوزان فى الجاهلية فدخل الاسلام فأُقِرَّتْ كما كانت عليه فقد كانت قريش تزن الفضـة بوزن تسميه درهماً وتزن الذهب بوزن تسميه ديناراً ولهم وزن الشعيرة أو الحبة $\frac{1}{60}$ من وزن الـدرهم وكـانت لهم الأوقيـة وزن أربعين درهماً . كما أورد البلاذرى رواية أخرى حيث قال: (كـانت دنـانـير هرقـل ترد إلى أهـل مكة فى الجاهلية وترد عليهم دراهم الفرس البغلية ـ العبدية ـ فكانوا لا يتبايعون إلا على أنها تبر وزناً لا عدداً وكان المثقال عندهم معروف الوزن ـ اثنين وعشرين قيراطاً إلا كسـراً ووزن العشـرة دراهم سبعة مثاقيل فكان الرطل اثنتى عشرة اوقية وكل أوقية أربعين درهماً فأقر ذلـك النبى ﴿ﷺ﴾ والخلفـاء الـراشـدون الأربعـة ومعاوية رضى الله عنهم أجمعين(١٢).

وهذا الدينار الذى كان يحمل من بلاد الروم هو الذى ضربه عبد الملك عام ٧٦هـ وسأل عندها عن أوزان الجاهلية فأخبروه أن المثقال اثنان وعشرون قيراطاً إلا حبـة بالشـامى وأن عشرة من الدراهم تعادل سبعة مثاقيل فضربها كذلك واستقر الأمر عليه فيما بعد(١٣).

المثقال والدينــار:

المثقال من أوزان الكيل أما الدينار فهو من أوزان النقـد وهذا الأمر أحد أسباب الاشتباه بين الوزنين وهما فى الحقيقة كمية واحدة وهو الراجح عند الفقهاء(١٤).

فالدينار عند الزيلعى من الحنفية هو المثقال وقال ابن الهـمام فى فتح القدير: والظاهر أن المثقال اسم للمقدار المقدر به والدينار اسم للمقدر به بقيد ذهبيته.

وكذلك الأمر عند ابن الرفعة من الشافعية الذى يعتبر درهم الكيل ودرهم وزن النقد واحداً فكذلك الأمـر فى المثقـال والـدينار ويرجح الدكتور صبحى الصالح أن المثقال والدينار شيىء واحد باتفاق الفقهاء(١٥).

ولكن الـدكتـور ضياء الدين الريس يميل الى وجود اختلاف بين الدينار والمثقال وهو ممن يهتم برأيه فى هذا المجال وبخاصة إذا علمنا أن على مبارك فى ـ «الميزان فى الأقيسة والأوزان» يرى نفس الرأى ولكن الـدكتور الريس ـ يجزم أن الدينار الاسلامى الذى ضربه عبد الملك هو المثقال المكى بلا خلاف ومن هنا نشأ القول بأن المثقال والدينار شيىء واحد أى بميزان مكة.

ويمكننى أن أضيف الى ما سبق أن الآثار الواردة فى نصاب الذهب كانت تعبر بالمثقال حيناً وبالدينار حيناً آخر. ففى حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى ﴿ﷺ﴾ قال: «ليس فى أقل من عشرين مثقالا من الذهب ولا فى أقل من مائتى درهم

صدقة» وفى حديث ابن عمر وعائشة رضى الله عنهم أن النبى ﴿ﷺ﴾ كان يأخذ من كل عشرين ديناراً نصف دينار» . . ومهما قيل فى ضعف هذه الأحاديث فهى تقوى بعضها بعضاً ويعرف رواتها ألا فرق بين المثقال والدينار(١٦) .

النسبة الشرعية تتعلق بالوزن لا بالقيمة:

لقد أرشد النبى ﴿ﷺ﴾ أمته الى توحيد المكاييل والموازين للدولة المسلمة فى حديث ابن عمر رضى الله عنهما: «المكيال مكيال أهل المدينة والوزن وزن مكة»(١٧) . . وهذا يدل على أن وزن الدرهم والدينار ـ المثقال ـ كان معروفاً لأهل مكة بشكل جيد ولولا معرفتهم به لما دعا النبى ﴿ﷺ﴾ الى الاعتماد عليه فى تقدير فروض الزكاة والأنكحة والديات وأروش الجنايات . . ومن المعروف تاريخياً أن الدرهم يساوى (٢٫٩٧٥) غرام وأن الدينار ـ المثقال يساوى (٤٫٢٥) غرام وهو ما انتهى إليه الباحثون من الفقهاء والمؤرخين بعد تجارب متعددة أجراها العلماء على وزن الحبوب فكان مثقال الذهب (٧٢) حبة وكان الدرهم خمسين حبة وخمسى الحبة ٥٠ ٢/٥ وتكون نسبة الدرهم الى الدينار ٧/١٠ أى أن الدرهم يساوى سبعة أعشار المثقال وهذه النسبة ٧ : ١٠ تعرف بالنسبة الشرعية أو وزن بيت المال فهى الصفة المميزة لنقود الدولة الاسلامية منذ تعارفها تجار مكة حتى ضربها عبد الملك بن مروان عام ٧٦هـ ويفهم من الحديث النبوى السالف الذكر أن هذه النسبة الشرعية تكاد تكون حكماً شرعياً بإقرار النبى ﴿ﷺ﴾ لها تبعاً لاقرار موازين مكة(١٨) .

وقد شاع استعمال هذه النسبة فى جميع أوزان المسلمين كما ذكر الدكتور عبد الرحمن فهمى فى موسوعته عن النقود الاسلامية حتى ان صناعة الموازين تأثرت بهذه النسبة فقد ذكر إيليا المطران المتوفى ١٤٠٦م فى ذلك . . «اتخذ ميزاناً يكون عموده مستقيماً صحيحاً واقسم عموده هذا الى سبعة عشر قسما متساوية واجعل علاقته ـ وسطه ـ على بعد سبعة أقسام من أحد طرفيه وعلى بعد عشرة أقسام من الطرف الآخر وركب عليه الكفتين وصححه وإذا أردت أن تستخرج صنج المثاقيل من الدراهم فخذ سنجة الدرهم وضعها فى الكفة التى تلى العشرة أقسام وضع فى الكفة الأخرى ـ السنجة ـ المجهول فإذا صححته فذلك وزن المثقال»(١٩) .

وأما عن سبب اتخاذ هذه النسبة ٧/ ١٠ بين الدرهم والمثقال فقد اختلف الباحثون حولها إلى فريقين نعرضهما فيما يلى :

المذهب الأول: أن هذه النسبة هى العلاقة القائمة بين كثافة الذهب وكثافة الفضة وهو تطبيق لقانون الوزن النوعى المعاصر فى الكيمياء.

المذهب الثانى: أن هذه النسبة تمثل القيمة التبادلية لسعر صرف النقدين ببعضهما فى الأسواق.

المذهب الأول:

يتزعم هذا القول الفقيه الشافعى ابن الرفعة فى كتابه ـ الايضاح والتبيين فى المكيال والميزان ـ حيث قال فى كتابه ينقل كلام القمولى الشافعى ٧٢٧هـ من كتابه «**البحر المحيط شرح الوسيط**»وانما جعلت كل عشرة دراهم بوزن سبعة مثاقيل من الذهب لأن الذهب أوزن من الفضة فكأنهم جربوا حبة من الفضة ومثلها من الذهب ووزنوهما فزاد وزن الذهب على الفضة مثل ثلاثة أسباعه فلذلك جعلوا كل عشرة دراهم بوزن سبعة مثاقيل فإذا أضيف للدرهم ثلاثة أسباعه صار وزن المثقال»(٢٠) وهذا الكلام

صحيح حسابيا كما يلى :

وزن الدرهم ٢ر٩٧ + [٢ر٩٧× $\frac{٣}{٧}$] = ٤ر٢٥ غرام وزن الدينار.

ولكنه إن صح حسابياً فلا يصح فيزيائياً فكثافة الفضة (١٠ر٥) وكثافة الذهب (١٩ر٢٦) وهذه الأرقام لا تمثل تلك النسبة الشرعية وقد تابع ابن الرفعة على قوله هذا ـ الذهبى ـ من متأخرى الشافعية فى رسالته عن النقود وكذلك المقريزى وكلامهما مثبت فى كتاب النقود العربية وعلم النميات ـ الذى أصدره ـ مارى انستاس الكرمللى(٢١) ـ وقد افترض العلماء مسبقاً أن تكون نسبة حبة الدراهم الى حبة الدينار ١٠/٧ حيث جعلوا سنجة حبة الدينار منذ انشائها تعادل ١٠٠ حبة خردل برى بينما تكون حبة الدرهم ٧٠ خردلة برية ويستقيم ذلك بوزن الغرام كما يلى :

الدينار ٤ر٢٥ × ٧ = ٢٩ر٧٥
الدرهم ٢ر٩٧٥ × ١٠ = ٢٩ر٧٥

وتكوين الحبة لكل منهما بحب الخردل هو غير الحبة التى تشكل $\frac{١}{٦٠}$ من كل من الدرهم والدينار وتبقى حقيقة النسبة الشرعية اصطلاحاً للمجتمع أكثر منها واقعاً علمياً ولا علاقة لذلك بالكثافة أو الوزن النوعى للذهب أوالفضة.

المذهب الثانى:

ذهب فريق آخر الى تعليل هذه النسبة الشرعية بأنها تمثل آخر رمز أو قيمة حسابية وصلت إليها علاقة الذهب بالفضة فى سلم علاقات هذين المعدنين فى التجارة الدولية منذ أقدم العصور. فالنسبة تعبر عن القيمة التبادلية لسعر صرف أحد المعدنين بالآخر فمنطقتنا هذه ـ الشرق الأوسط ـ كانت منذ أقدم العصور تنقسم الى منطقتين تجاريتين :

الاولى : بلاد ما بين النهرين وما يتبعها من أقاليم فارس وكانت تعتمد على الفضة فى نقدها ومبادلاتها بمعنى أن الفضة هى قاعدتها النقدية.

الثانية : بلاد الشام ومصر وأوربا وهى التى تتبع الرومان اقتصادياً وكانت قاعدتها النقدية هى الذهب.

وكانت كل منطقة من هاتين المنطقتين تدعم نقدها خلال تعاملها مع المنطقة الأخرى وكان سعر صرف احدى النقدين بالنسبة للآخر يختلف متأثراً بموازين التجارة العالمية ففى مرحلة ما كانت النسبة بين النقدين ١/١٠ ثم صارت ٢، ٣، ٤/١٠ حتى وصلت نسبة ٧/١٠ وشاعت هذه النسبة فى بلاد العرب بعد أن انتشرت عند البطالسة وظلت كذلك حتى ظهر الاسلام فأقرها فى أوزان سك النقود حيث كانت عرفاً لتجار مكة(٢٢).

وهذا التعليل الثانى يقبله المنطق الاقتصادى أكثر من سابقه وإذا صح التعليل بأن النسبة كانت سعر صرف أحد النقدين بالآخر فهل تعتبر هذه النسبة الشرعية حكما لا محيد عنه فى المستقبل والذى يبدو لى والله أعلم ـ أن الحديث لا يلزمنا بهذه النسبة كحكم شرعى وإنما هى واقع عاشه مجتمع المسلمين الأول ويمكن سك النقود المستقبلية بحسب اختلاف سعر الصرف ولنا على ذلك دليلان :

الدليل الأول : أن عمر رضى الله عنه ضرب الدراهم بوزن ستة دوانق لا سبعة فقد قال زياد لمعاوية رضى الله عنه «يا أمير المؤمنين إن العبد الصالح عمر بن الخطاب صغر الدرهم ـ وزن ستة

بدلا من سبعة وكبر القفيز وصارت تؤخذ عليه ضريبة ارزاق الجند وترزق عليه الذريه طلباً للاحسان الى الرعية»(٢٣) فتصرف عمر رضى الله عنه كان منوطاً بمصلحة الأمة حيث اضطرته ظروف اقتصادية إلى تخفيف عيار الدرهم الفضة وهو اجتهاد منه ولو كانت النسبة الشرعية حكما شرعياً لما أقره الصحابة ولما اجتهد عمر رضى الله عنه فى ذلك.

صحيح أن روايات المؤرخين اضطربت فى صحة ذلك فقد ذكر ابن الأخوة فى «**معالم القربة فى أحكام الحسبة**» أن عمر ضرب وزن سبعة إلى عشرة - ورواية ابن الأخوة مخالفة لجمهور المؤرخين وقد وفق بعضهم أن عمر رضى الله عنه ضرب وزن ستة دوانق أى وزن سبعة مثاقيل والراجح أن عمر لم يضرب الدراهم وإنما ضربت له فارس على نقش الدراهم الكسروية وإذا صح أنها بوزن ستة فهى اجتهاد لضرورة تقدر بقدرها.

الدليل الثانى: اختلاف سعر الصرف بين الفضة والذهب عن النسبة الشرعية منذ عصر النبوة إلى العصور التالية وبالرغم من أن الفقهاء يحبذون ثبات أسعار صرف العملات ببعضها ولكن يبدو من الأحاديث اختلاف هذا السعر عبر العصور فقد كان سعر الصرف بين الدرهم والدينار فى عهد النبى «ﷺ» وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما هو ١ : ١٠ فالدينار يعادل عشرة دراهم ويتضح ذلك من الأمور التالية:

- **نصاب زكاة النقدين ٢٠٠ درهم فضة يساوى ٢٠ مثقالا من الذهب.**
- **حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كانت قيمة الدية على عهد النبى «ﷺ» ثمانمائة دينار أو ثمانية آلاف درهم فالدينار يعادل عشرة دراهم(٢٤).**

وهذا التقدير هو قيمة الابل الواجبة فى الدية فلما استخلف عمر رضى الله عنه قام خطيباً فقال: إن الابل قد غلت ففرضها على أهل الذهب ألف دينار وعلى أهل الورق اثنى عشر ألفاً وهذا يعنى أن الدينار بلغ فى عهد عمر (١٢) درهماً(٢٥).

جعل عمر رضى الله عنه الجزية أربعة دنانير على أهل الذهب وأربعين درهما على أهل الورق.. وروى أبو يوسف عن ابن مسعود أنه قال «لا يقطع إلا فى دينار أو عشرة دراهم» ويقول ابو عبيد فى الأموال «لأن أصل الدنانير أن يعدل الدبنار بعشرة دراهم» فهذا كان سعر الصرف وقد أخذ هذا السعر يتغير فيها بعد حتى صار فى العصر الأموى الدينار يعادل اثنى عشر درهما ووصل فى العصر العباسى إلى مساواته لخمسة عشر درهماً وأكثر ونقل على مبارك عن المقريزى أن الدينار فى زمن الفاطميين صار بأربعة وثلاثين درهماً(٢٦).



درهم أموي
بتاريخ ٨٦ هـ

الدليل الثالث: ـ روى البخارى فى الحدود ـ السرقة ـ عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قطع فى مجن ثمنه ثلاثة دراهم وهى ربع دينار كما فسرته الأحاديث الأخرى عند البخارى ولم يقطع النبى ﴿ﷺ﴾ فى أقل من ثمن المجن(٢٧).. فالأحاديث تدل على أن ربع الدينار ثلاثة دراهم وهى أصح من كل الأحاديث التى تدل على أن الدينار يعادل عشرة دراهم.

إنه يصعب قبول قول من قال بأن نصاب الزكاة من الدراهم والدنانير قيمة واحدة لا تتغير لمجرد أن الدينار كان يعدل عشرة دراهم (٢٠ دينار = ٢٠٠ درهم).

فالنسبة الشرعية من قبيل السياسة الشرعية فى سك النقود ولا بأس أن تراعى هذه النسبة فى تنظيم اصدار النقود ولا أثر لها على النصاب فيبقى نصاب الذهب مستقلا عن نصاب الفضة فكل منهما نصاب مستقل لا علاقة له بالآخر.

رد اعتراض وتصحيحه: انتقد الدكتور الريس فى الخراج وتابعه الدكتور القرضاوى فى فقه الزكاة مؤلفى كتاب الفقه على المذاهب الأربعة عندما قدر أنصاب العملة الورقية بنصاب يختص بالذهب وآخر بالفضة وهما محقان فى ذلك من وجه كون العملة الورقية جنساً واحداً يحسب لها نصاب واحد أما الذهب وإما بالفضة فنصاب كل منهما نصاب مستقل يصلح للتقدير به ولكن الاعتراض على كتاب الفقه على المذاهب الأربعة بأن نصاب الذهب والفضة نصاب واحد غير مقبول فى ضوء الأدلة المتقدمة ونصاب الورق النقدى يحدد كما قررته لجنة مجمع البحوث الاسلامية بأقل النصابين من الذهب والفضة ولنا مع النقد الورقى جولة مقبلة(٢٨).

إن النسبة الشرعية (٧ : ١٠) هى نسبة تتعلق بسك النقود بمعنى أن تخرج دار الضرب درهماً وزنه سبعة أعشار المثقال.. أما سعر صرف الدرهم بالدينار فقد عرفنا أن الدينار يصرف بعشرة دراهم ١ : ١٠ وهى نسبة صرف قد ترتفع وقد تنخفض فى المستقبل فقد بلغت نسبة الصرف بين الدرهم والدينار فى عهد المعز الفاطمى (١ : ١٥ر٥) حيث كان دينار المعز يصرف بـ ١٥ر٥ درهماً(٢٩) فنسبة الوزن ثابتة ولا علاقة بسعر الصرف المتغير فالدرهم الذى هو $\frac{٧}{١٠}$ ، المثقال كان يصرف بـ $\frac{١}{١٠}$ من الدرهم.

ومن المعروف أن تحديد النصاب الزكوى فى النقدين الثمينين إنما حدده الشارع بالوزن لا بالقيمة فهو تابع للوزن فقط ولا يتأثر النصاب بتغيير سعر الصرف بين الذهب والفضة.

أقول هذا لأن بعض اساتذتنا المعاصرين قال:(٣٠).. إن قيمة العشرين ديناراً من الذهب مساوية لقيمة مائتى درهم فضة وبالعكس فوزن المعدن الذهب فى العشرين ديناراً يعادل فى الحقيقة من الفضة مائتى درهم ما زنته:

٢٠٠ × $\frac{٧}{١٠}$ = ١٤٠.. **فتكون النسبة ١ : ٧ وليس ١ : ١٠**

وهذا يصح وزناً ولا يصح قيمة بدليل:

٢٠٠ × ٢ر٩٧ = ٥٩٤

١٤٠ × ٤ر٢٥ = ٥٩٥

فالنسبة ١ : ٧ هى نسبة وزن وليست نسبة قيمة إطلاقاً ـ وتبقى نسبة ١ : ٧ تتعلق بوزن سك النقود ولا صلة لها بالقيمة ونصاب الزكاة يقدر بالوزن لا بالقيمة فلا داعى لربطه بسعر صرف الفضة إلى الذهب حتى يظهر نص جديد تشريعى يأمرنا بذلك ثم إن هذا الرأى يستلزم كون نظام المعدنين ـ النقد المردوج من الذهب والفضة حكماً شرعياً يجب اتباعه وهو ما يحتاج لدليل مستقل.

مراحل الاستقراء النقدى فى القرن الأول:

المرحلة الأولى: بزغ فجر الاسلام وعرب الجزيرة يتعاملون بالدينار والدرهم على ما فى الدرهم من اضطراب تبعاً لتعدد أنواعه ولهذا نجدهم يتعاملون بها وزناً وجاءت الاشارة الأولى الى ضرورة توحيد المكاييل والموازين بالحديث النبوى الشريف «**المكيال مكيال أهل المدينة والميزان ميزان أهل مكة**».. والسبب فى ذلك واضح فأهل مكة تجار يتعاملون بالوزن فهم فيه حجة أما أهل المدينة فمزارعون يتعاملون بالوسق والصاع والمد فهم فيها أدق واضبط.

وكان الحديث توجيهاً إلى الأمة لتوحيد مكاييلها وموازينها وسائر المقاييس والمعايير لتستقيم معاملات الناس وكان المفترض ان تقتدى بلاد الاسلام بقبلتها الأولى ـ مكة ـ فى موازينها وأن تكون الاوامر موحدة فى كل البلاد الاسلامية فكان من الواجب أن تحفظ نماذج صحيحة من الصاع والمد والدرهم والدينار وتبقى محفوظة مختومة يلزم الولاة والقضاة وأهل الحسبة باتخاذها معياراً للتبادل لكن واقع الأمر أن هذه المعايير اختلفت فالرطل شامى وبغدادى ومصرى ومدينى.. والدرهم (١٢، ١٤، ١٥، ١٦) قيراطاً مما جعل بعض فقهاء الحنفية يقولون (يفتى فى كل بلد بوزنهم) وهو ما يراه ابن حبيب الأندلسى «أن أهل كل بلد يتعاملون بدراهمهم»(٣١).

المرحلة الثانية: إذا كان الحديث النبوى السابق يرسى الأساس النظرى لتوحيد المكاييل والموازين فإن الخطوة العملية قد اتخذها عمر بن الخطاب رضى الله عنه والمنطق التاريخى يؤكد أن عمر توصل الى تحديد الوزن الموحد للدرهم بعد اتساع رقعة الفتح وحاجته الى تقدير الخراج وقد رجح ذلك دائرة المعارف الاسلامية والفيومى فى المصباح المنير وابن خلدون فى المقدمة والماوردى فى الأحكام السلطانية والبلاذرى فى فتوح البلدان.

فقد نظر عمر رضى الله عنه فى الدراهم الفارسية المختلفة الأوزان فوجدها كما يلى (٢٠-١٢-١٠) قيراطاً فمجموع أوزانها ٤٢ قيراطاً وبقسمتها على (٣) فالمتوسط (١٤) قيراطاً من قراريط المثقال ونسبته $\frac{١٤}{٢٠}$ = $\frac{٧}{١٠}$ وهى النسبة الشرعية المعتمدة فكل (١٠) دراهم تعادل (٧) مثاقيل وتعادل ١٤٠ قيراطاً هذه رواية عن فعل عمر رضى الله عنه أوردها الدكتور ضياء الدين الريس فى الخراج(٣٢) وهناك رواية أخرى أن عمر رضى الله عنه أخذ المتوسط بين الدرهم البغلى (٨) دوانق والدرهم الطبرى (٤) دوانق فجعل الدرهم نصفها وهو ستة دوانق وهو الدرهم الشرعى المعروف بوزن سبعة أى العشرة منه تساوى سبعة مثاقيل وهو ايضا ستة دوانق(٣٣).. وهذه الرواية تفسر لنا الخلاف الذى ذكره ابن الأخوة فى معالم القربة من أن عمر رضى الله عنه أنقص الدرهم فضربه على ستة والصحيح أنه جعله على ستة دوانيق بوزن سبعة مثاقيل لكل عشرة دراهم.

ثم ذكر النووى أن أهل العصر الأول أجمعوا على التقدير بهذا الوزن وهو أن الدرهم ستة دوانيق وكل عشرة منه تعادل سبعة مثاقيل.

ومما يؤكد ذلك ما ذكره ابو عبيد فى الأموال قال: «فلما كان زمن بنى أمية قالوا إن ضربنا البغلية ظن الناس أنها هى المعتبرة فى زكاة الأموال فيضر الفقراء ـ وإن ضربنا الطبرية تضرر أرباب الأموال فجمعوا الدرهم البغلى والطبرى وأخذوا متوسطها ٨+٤ = $\frac{١٢}{٢}$ = ٦ دوانق(٣٤).. ثم ذكر الماوردى بعد أن نسب الفعل إلى عمر رضى الله عنه فقال: «ومتى زدت على الدرهم الواحد ثلاثة اسباعه كان مثقالا ومتى نقصت

من المثقال ثلاثة أعشاره كان درهماً فكل عشرة دراهم بوزن سبعة مثاقيل من الذهب. . وعلل المسعودى أن هذه النسبة ٧ : ١٠ ترجع الى كون الذهب أرجح من الفضة وزناً بمثل ثلاثة اسباعها(٣٥) وسنرى عدم صحة هذا القول فى الصفحات القادمة.

بقي أن نشير الى ما ذكره بعض المؤرخين أن عمر رضى الله عنه حاول ضرب الدراهم من جلود الابل فقيل له ستهلك الابل فأمسك عن ذلك وجزم الكتانى فى التراتيب الادارية نقلا عن توفيق البكرى فى شرحه «صهاريج اللؤلؤ» أن عمر رضى الله عنه كاد أن يستعمل الورق والجلود كنقود. . وأنشد لأبى تمام:

لم ينتدب عمراً للابل يجعل من
جلودها النقد حتى عزه الذهب(٣٦)

المرحلة الثالثة: إذا تجاوزنا كل روايات المؤرخين التى ذكرت ضرب الدراهم والدنانير قبل عبد الملك بن مروان وهى بجملتها روايات يشك فى صحتها فإن اجماع المؤرخين منعقد على أن عبد الملك كان أول من ضرب النقود فى الاسلام فقد ضرب الدنانير المنقوشة عام ٧٤هـ ثم ضربها له الحجاج عام ٧٥هـ ثم عممت التجربة عام ٧٦هـ ويعلل المؤرخون هذه الخطوة بسبب استياء العلاقات بين الروم والدولة الأموية بعد حربهم عام ٧٣هـ حيث صالحهم عبد الملك بسبب مشاكله الداخلية على أن يدفع لهم أتاوة سنوية ثم رفض دفعها وهاجم الروم ثانية فى عهد ـ جستنيان الثانى ـ الأخرق (٦٨٥ـ٦٦٥م) وتوالت انتصارات المسلمين واستعدوا للهجوم على القسطنطينية.

وذكر الطبرى فى حوادث عام ٧٣هـ وفيها غزا محمد بن مروان الصائفة فهزم الروم واقترنت هذه الحرب بمسألة خطيرة تعرف بمسألة القراطيس حيث كانت الروم تستورد الورق من مصر مقابل دنانير الروم وكان الأقباط يكتبون على القراطيس ما ينسب المسيح الى الربوبية فأبدلها عبد الملك بعبارة. . (قل هو الله أحد). . مما ساء ملك الروم وهدد عبد الملك بأن يكتب على الدنانير ما يسيىء الى نبى الاسلام عليه الصلاة والسلام وكان ذلك سببا لضرب عملة خاصة به بإشارة خالد بن يزيد بن معاوية وتوقف التبادل بين الدولتين فى الأوراق والدنانير.

وأنشأ عبد الملك داراً للضرب عام ٧٤هـ (٣٧) وضربت الدنانير الدمشقية والحقيقة أن عبد الملك كان يفكر منذ زمن فى ايجاد نقد للدولة المترامية الأطراف ولا يعقل أن تعتمد دولة فى نقدها على دولة معادية تحدد علاقتها حرب مستمرة. . وإذا أضفنا الى ذلك أن دراهم فارس شاع فيها الغش وفسدت فساداً كبيراً ـ كما أن عدم وجود نقد للدولة يسبب حرجاً للرعية فى مبادلاتهم وفى دفع زكاتهم ومختلف معاملاتهم وهكذا وجه عبد الملك صفعة للقيصر باستقلاله النقدى عن الذهب الرومانى وأصبح للدولة الاسلامية داراً للضرب وأصبح ضرب العملة فى غيرها أمراً محظوراً يعاقب عليه النظام كما يعاقب من يسيىء الى النقد وسلامة نظامه وقد أرسل عبد الملك جزءاً من نقوده الى القيصر من الأتاوة التى كان يدفعها وباسلوب ساخر متهكم مهذب يخبره بأن الخلافة أصبحت تتمتع بسلطة اصدار النقود وكان من نكد جستنيان أن تخلى عنه فيلق الصقالبة فى وقت لابد له من مواجهة عبد الملك الذى انتصر على الروم انتصاراً ساحقاً ورفع على حرابه معاهدة عام ٦٨٦م المنقوضة(٣٨).

●● وظهر دينار عبد الملك الذى يزن (٧٢) حبة شعير كما ظهر الدرهم الذى يزن خمسين حبة وخمسى

الحبة . . روى البلاذرى قال : حدثنا وهب بن كيسان أنه قال : رأيت الدنانير والدراهم قبل ان ينقشها عبد الملك فوجدتها ممسوحة وهى وزن الدنانير التى ضربها عبد الملك وروى أيضا عن عبد المطلب بن وداعة السهمى أنه أراه وزن المثقال قال فوزنته فوجدته وزن مثقال عبد الملك ومثقال أبى وداعة كان عنده فى الجاهلية(٣٩) ولم ينكر الصحابة التعامل بها بعد ضربها .

لقد استبدل عبد الملك صورة القيصر بصورته وأبقى العمود القائم على المدرجات الأربعة لكنه حذف شارات الصليب وما يدل عليه . . وقد اعترض الصحابة على صورة عبد الملك على نقده الدمشقى وكان هذا رأيا لبعضهم ولا شك أن النبى ﴿ﷺ﴾ وأصحابه تعاملوا بالنقد الرومانى وعليه صور ملوكهم . . كان ضرب عبد الملك للدينار الاسلامى سبباً لنزاعه مع الروم من جديد حيث استقل المسلمون بنقدهم المنقوش بعبارات اسلامية «محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله» . . «بسم الله ضرب فى سنة سبع وسبعين» وحصر الأمويون دار الضرب فى دمشق والفسطاط .

أما وزن هذا الدينار فكان ٢٥ر٤ غرام وهو محفوظ الى اليوم فى متحف بغداد(٤٠) .

وفى عهد عبد الملك تمتعت الدولة الاسلامية بما يعرف بالاستقرار النقدى أو الاستقلال عن النفوذ النقدى لفارس والروم .

هل ضربت نقود اسلامية قبل عبد الملك؟ .

ذكر المقريزى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ضرب الدراهم على نقش الكسروية بصورها زاد عليها عبارة «الحمد لله» . . «لا اله إلا الله وحده» . . «محمد رسول الله» . . وضربها على وزن ستة لظروف اقتصادية عند من يرى أن وزن ستة فيه نقص عن التمام وقد رجحنا أن درهم الستة وافٍ لا نقص فيه كما ضرب عثمان دراهم نقش عليها «الله اكبر» .

وهناك أقاويل أن خالد بن الوليد ضرب الدنانير الرومية عام ١٥-١٦هـ وكتب عليها اسمه ويرى المرحوم مصطفى الذهبى أن هذا الأمر كان سبّب عزل خالد وهو مردود بأن العزل قد تم قبل فتح دمشق بل ذهب بعضهم الى أن عمر ضرب الدراهم الفارسية ولم يضرب الدنانير الرومية ازعاجاً لخالد وإهمالا لرأيه . . وكلها أقاويل لا صحة لها ولا خطام ولا زمام(٤١) .

وقد نقش عبد الله بن الزبير دراهم مستديرة بمكة ونقش عليها «عبد الله» وعلى اطارها بالخط الكوفى «بسم الله ربى» . . «محمد رسول الله» وعلى الوجه الآخر «أمر الله بالوفاء والعدل»(٤٢) .

وذكر آخرون أن معاوية رضى الله عنه (٤١-٦٠هـ) قد ضرب دنانير عليها صورته وما تزال بعض دراهمه محفوظة فى المتحف البريطانى . . أما الدنانير التى ذكرها المقريزى على أنها من ضرب معاوية فلم يصلنا منها شيء وربما استهلكت خلال عملية الاصلاح النقدى لعبد الملك(٤٣) .

وجملة هذه الروايات يرفضها ثقات المؤرخين ولكن يعكر عليهم رفضهم هذا ما جاء فى الأحاديث من النهى عن كسر سكة المسلمين والمحافظة على سلامة النقد فى ديار الاسلام بمنع قرضها وتشويهها إذا كانت سكة الامام . . وعقد ابو داود فى سننه باباً خاصاً للنهى عن كسر سكة المسلمين واشترط للنهى ثلاثة شروط :

(كون النقود رائجة . . كونها من ضرب الامام . . ألا يكون بها بأس كزيف أو عيب)(٤٤).

ومجيء مثل هذه الأحاديث كالصريح فى أنه كان للمسلمين سكة رائجة متداولة فى عهد النبى ﴿ﷺ﴾ والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم . . وقد ادعى جرجى زيدان مثل هذه المقولة ورد عليه محمد أمين الحلوانى منكراً أن أحداً من الخلفاء الراشدين قد ضرب نقداً نحاسياً أو غيره - وذلك فى كتابه - «نشر الهذيان من تاريخ جرجى زيدان» ولكن جاء فى شرح العينى على البخارى انه نقل عن المرغينانى أن الدراهم كانت شبه النواة ودورت على عهد عمر رضى الله عنه لما بعث معقل بن يسار وحضر نهره المشهورة فضرب عمر الدراهم على نقش الكسروية وهذه الروايات كلها لا ترفع اتفاق المؤرخين أن النقد الرسمى للدولة الاسلامية إنما أخذ شكله الرسمى على يد عبد الملك بن مروان عام ٧٦هـ(٤٥).

أما أحاديث النهى عن كسر سكة المسلمين فلا تدل بالضرورة على وجود نقد رسمى متداول ضربه الخلفاء ويمكن حملها على ما سيكون فى المستقبل أو على العملة نفسها المستوردة من فارس والروم.

وما قاله المؤرخون فيمكن حمله على أنه محاولة فردية وخاصة إذا عرفنا أن سك النقود كان مهنة للأشخاص وليس من عمل الحكومة وأن السكة الاسلامية كوظيفة رسمية للسلطان إنما اتخذت إطارها الرسمى فى عهد عبد الملك بن مروان.

نستنتج ما يلى:

(١) إن الدرهم الاسلامى المعروف لدى أهل مكة كان معروفا للمسلمين منذ أن وجههم الرسول ﴿ﷺ﴾ إلى الاقتداء بأهل مكة فى ميزانهم وهذا الدرهم المعروف بوزن الاسلام الذى هو ستة دوانيق ونسبته الى المثقال ٧ : ١٠ هو الذى تؤدى به الواجبات المالية وتقدر به الديات وتعقد به الأنكحة والضمانات وأروش الجنايات وغير ذلك . . وعرف فيما بعد بوزن بيت المال.

(٢) إن ما روى من أن عمر رضى الله عنه هو أول من ضرب الدرهم يمكن حمله على أن ملك الفرس «رأس بغل» كان يضرب له الدراهم ويرسلها إليه بناء على طلبه وهذا ما يحتمله كلام العينى فى شرح البخارى من أن عمر ضربها على نقش الكسروية فليس فيه ما يدل أن عمر اتخذ داراً للضرب والسكة.

(٣) إن مفهوم الدرهم الاسلامى كان يعرفه تجار مكة كلهم معرفة دقيقة يعرفون وزنه ويتخيلونه ولا يضيرنا ألا يكون للدولة نقد مطبوع فى أرضها حتى عام ٧٦هـ ولكن المقادير معروفة معلومة بدليل حديث عائشة عندما اشترت بريره فأرشدهم النبى ﴿ﷺ﴾ الى الوزن وهو وزن مكة وحديث سماك بن حرب أن مالكاً أبا صفوان قال بعث للنبى ﴿ﷺ﴾ سراويل بثلاثة دراهم فوزن لى فأرجح وأعطى الوزان أجره . . فلولم يكن الدرهم معلوماً فى هذا البيع لما صح البيع ولما عرف الرجحان(٤٦).

(٤) بالرغم من تعامل المسلمين بنقد أجنبى فإنهم كانوا يتعاملون بهذه النقود وكأنها مادة خام وتبر غير مضروب أو سبائك توزن وزنا بسنج الوزن الشرعية التى قررها الرسول ﴿ﷺ﴾.

(٥) إن ضرب النقود الاسلامية رسميا من قبل عبد الملك بن مروان وصفة السنج الزجاجية على العيار الشرعى الذى قرره النبى ﴿ﷺ﴾ وعرفت السنج بسنج السكة الاسلامية لم يكن إلا تقريراً لمقادير معروفة مقننة وكان ضرب السكة الاسلامية ليستغنى الناس عن الميزان فى التعامل بها وهذا المعنى الذى صرح به النووى فى قوله: «فرأوا فى زمن عبد الملك صرفها الى ضرب الاسلام ونقشه وتصييرها وزناً

واحداً لا يختلف وأحياناً يستغنى بها عن الموازين»(٤٧).

●● فصنيع عبد الملك من موقعه كمسؤول أول فى الدولة ليس إلا تبنيا لحكم شرعى أقره المشرع وتعميم هذا الحكم على أرجاء الدولة واحياء للسنة النبوية وتخليصاً للمسلمين من المتاعب وارساء لدعائم الدولة باختصـاص بنقـد رسمى خاص بها. . ولـذا قال المؤرخـون ان سكـة عبـد الملك عدلت بين الكبـار والصغـار من الـدراهم وجعل كل عشرة منها سبعة مثاقيل وأن عمله موافق لسنة النبى ﴿ﷺ﴾.

(٦) إن مقدار الدينار لم يحدث حوله أى خلاف كما حصل حول الدرهم.

الهوامش

(١) الايضاح والتبيان - لابن الرفعة تحقيق د. محمد خاروف - مركز البحث العلمى لجامعة ام القرى ص٤٦.
(٢) رواه مسلم وابو داود.
(٣) النظم الاسلامية د. صبحى الصالح ص٤١٠
(٤) المجموع للنووى ٦/ ١٤ والاموال ص٤٦٧
(٥) الخراج والنظم المالية - د. محمد ضياء الدين الريس ص٣٤٢.
(٦) دائرة المعارف الاسلامية - شنتناوى ٩/ ٢٢٧.
(٧) النقود العربية وعلم النميات - الكرمللى ص ٢٤ والتواتيب الادارية للكتانى ١/ ٤١٣.
(٨) حاشية ابن عابدين - رد المختار ٥/ ٢٣٣
(٩) الأموال - ابو عبيد القاسم بن سلام ص٤٦٨
(١٠) دائرة المعارف الاسلامية ٩/ ٣٢٧ والنقود للكرمللى ص٢٥
(١١) دائرة المعارف ٩/ ٣٢٧
(١٢) فتوح البلدان للبلاذرى - تحقيق د. صلاح الدين المنجد ص٥٧٢
(١٣) قطع المجادلة للسيوطى فى كتابه الحاوى ١/ ٩٥ - ينقل عن الخطابى فى معالم السنن والاحكام السلطانية.
(١٤) رد المحتار ابن عابدين ٢/ ٢٩٢
(١٥) الايضاح والتبيان لابن الرفعة - مصدر سابق ص٥٩ والنظم الاسلامية ص٤٢٥
(١٦) فقه الزكاة د. يوسف القرضاوى ١/ ٢٤٨ - يراجع فيه تخريج الاحاديث.
(١٧) اخرجه ابو داود فى البيوع عون المعبود ٣/ ٢٤٩ والنسائى فى الزكاة وصحيحه ابن حبان وغيره - الفتح الربانى ٨/ ٢٤٤
(١٨) الخراج والنظم المالية - د. الريس ص٣٤٦.
(١٩) مجلة البحث العلمى لجامعة ام القرى العدد (٤) ص٤٣٥ - مقال د. محمد خاروف عن الموازين.
(٢٠) الايضاح والتبيان - مصدر سابق ص٥٨.
(٢١) النقود العربية للكرملى ص٤١ وص٧٦ والوجيز للغزالى بحاشية المجموع ٦/ ٦
(٢٢) مقال د. خارف فى مجلة البحث العلمى لجامعة ام القرى العدد٤ ص٤٣٨
(٢٣) المقريزى فى شذور العقود ضمن كتاب الكرمللى ص١٤.
(٢٤) سنن ابى داود - باب الدية كم هى
(٢٥) نيل الاوطار للشوكانى ٧/ ٢٤٠
(٢٦) فقه الزكاة - د. القرضاوى ص٢٦٤ ج١
(٢٧) فتح البارى ١٢/ ٩٧
(٢٨) الخراج للدكتور الريس ص٣٥٨ وفقه الزكاة - د. القرضاوى ١/ ٢٦٢
(٢٩) تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق - د. محمد جمال الدين سرور - ص١٦٢ والنقود العربية عبد الرحمن فهمى.
(٣٠) فقه الزكاة - د. القرضاوى - والتطبيق المعاصر للزكاة د. شوقى شحاته ص١٠٨
(٣١) د. القرضاوى فقه الزكاة ١/ ٢٥٥
(٣٢) الخراج والنظم المالية ص٣٦٤ - د. الريس.
(٣٣) الاحكام السلطانية - الماوردى ص١٥٤ والمجموع للنووى ٦/ ١٥
(٣٤) الاموال - ابو عبيد ص٤٦٧
(٣٥) الوجيز للغزالى بحاشية المجموع ٦/ ٦
(٣٦) فتوح البلدان للبلاذرى ص٥٧٨ والتراتيب الادارية للكتانى ١/ ٤٢٢
(٣٧) البلاذرى فى فتوح البلدان والطبرى فى حوادث عام ٧٣هـ والخراج - د. الريس ص٢٠٩
(٣٨) بحوث فى التاريخ الاقتصادى لعدد من المستشرقين - تعريب - توفيق اسكندر ص١٢٠
(٣٩) فتوح البلدان - البلاذرى ص ٤٧٢
(٤٠) النقود العربية ماضيها وحاضرها - عبد الرحمن فهمى ص٤٥
(٤١) النقود للكرمللى ص٣٢-٩٠
(٤٢) المصدر السابق ص٩٢ والطبرى ٤/ ٤١٦ فى تاريخه طبعة بيروت.
(٤٣) النقود العربية - عبد الرحمن فهمى ص٢٩
(٤٤) عون المعبود ٣/ ٢٨٦
(٤٥) التراتيب الادارية للكتانى ١/ ٤١٩
(٤٦) رواه النسائى فى باب البيوع وهو متفق عليه.
(٤٧) المجموع ٦/ ١٥



أجرى الحوار : زهير الأنصاري

الدول التي يضمها كيان واحد أو يجمع ذات بينها منهج يقرب بينها.. تسعى إلى توطيد هذا التقارب وتأكيده فيما هو ممكن من معطيات مشتركة.. وجانب (العملة) من الجوانب ذات الأهمية في الوضع الاقتصادي.. وبنك التنمية الاسلامي عندما قرر التعامل بـ(الدينار الاسلامي) كوحدة حسابية قد وضع البادرة لهذا المنهج المبتغى.

وهذا ما نود أن يدور حوله هذا الحوار.

يرجى التكرم بنبذة عن نشأة الدينار الاسلامى وسبب اعتماده من قبل البنك؟

الدينار الاسلامى :

الـديـنـار الاسـلامى هو عبارة عن وحدة حسابية شأنه شأن حقوق السحب الخاصة أو وحدة حساب العملات الأوربية ويساوى الدينار الحسابى وحدة من وحدات حقوق السحب الخاصة لصندوق النقد الدولى.

وقد أراد محافظو البنك الاسلامى للتنمية وهم يعتمدون اتفاقية تأسيسه أن ينشئوا للبنك وحدة حسابية تجنبه والدول الأعضاء التعامل فى عملات عرضة للتقلبات السريعة وكان ربط هذه الوحدة بحقوق السحب الخاصة على أنها أقرب الى الثبات وقد بدأ استخدام حقوق السحب الخاصة من قبل صندوق النقد الدولى كاحتياطى يخصص للدول الاعضاء لاستكمال الاحتياطيات القائمة لديها ثم أصبحت حقوق السحب الخاصة هذه وحدة الحساب فى كل معاملات الصندوق وعملياته.. وفى البداية كانت قيمتها مرتبطة بالذهب الا انه مع ظهور أسعار الصرف العائمة، بدأ تحديد قيمة حقوق السحب الخاصة بسلة عملات اعتبارا من أول يوليو/ تموز ١٩٧٤م. وكانت السلة الأصلية تتألف من ١٦ عملة رئيسة فى التجارة والمدفوعات الدولية غير أن الصندوق قرر فى أول يناير/ كانون الثانى ١٩٨١م تخفيض عدد العملات فى السلة الى أهم خمس عملات فى التجارة العالمية والمالية الدولية.

ويرجع ذلك جزئيا الى أن وجود عدد كبير من العملات فى السلة قد اعتبر عقبة أمام اتساع استخدام حقوق السحب الخاصة خارج صندوق النقد الدولى وتحدد قيمة حقوق السحب الخاصة فى الوقت الحاضر حسب النسب التالية:

دولار أمريكى	**٤٢٪**
مارك ألمانى	**١٩٪**
ين يابانى	**١٥٪**
جنيه استرلينى	**١٢٪**
فرنك فرنسى	**١٢٪**
المجمـــوع	**١٠٠٪**



وتستخدم حقوق السحب الخاصة الآن استخداما واسعا كوسيط للتبادل والتسويات بين صندوق النقد الدولى ودوله الأعضاء.. وقد ربطت نحو ١٥ دولة سعر عملاتها بحقوق السحب الخاصة ويستخدم نحو نفس هذا العدد من المنظمات الدولية والاقليمية حقوق السحب الخاصة كوحدة حساب (مثل البنك الاسلامى للتنمية) كما تستخدم حقوق السحب الخاصة فى عدد من الاتفاقيات الدولية للتعبير عن المقادير النقدية وخاصة حدود المسؤولية فى النقل الدولى للبضائع والخدمات.

ان الغرض من استعمال الدينار الاسلامى بالبنك الاسلامى للتنمية فى معاملاته وفى مسك حساباته هو التقليل من الخسائر التى يمكن أن تحصل نتيجة للاضطرابات التى أصبحت من سمات الأسواق المالية فى هذا العصر.

كيف يعامل مصرفيا؟

تعامل الوحدات الحسابية بصفة عامة معاملة النقود حيث يمكن ابرام العقود والصفقات واجراء التحويلات بها وعند تعامل البنك الاسلامى للتنمية بالدينار الاسلامى مع دوله الاعضاء فانه يحدد قيمته على

أساس السعر اليومى لعملات الدفع مقابل حقوق السحب الخاصة.

ما هى المعاملات التجارية التى يدخل فيها؟

يدخل الدينار الاسلامى فى كافة عمليات البنك الاسلامى للتنمية العادية مثل المشروعات الصناعية والزراعية وغيرها ومساعداته الفنية الى جانب عملياته الخاصة ببرنامجه لتمويل التجارة الخارجية لدوله الأعضاء.. أما عن استعمال الوحدات الحسابية بصفة عامة فى التجارة العالمية فان المنظمات الدولية والمقترضين والمستثمرين الذين يبحثون عن مخرج من التغيرات السريعة والشكوك فى تطورات أسعار الفائدة وأسعار الصرف قد بدأوا يستخدمون نفس وحدة الحساب وأوجدوا بذلك ما يعرف بحقوق السحب الخاصة «التجارية» وتقدر قيمة حقوق السحب الخاصة التجارية على أساس نفس سلة العملات المستخدمة فى حقوق السحب الخاصة الرسمية.



كيف يقوم هذا الدينار بالنسبة لوحدات السحب الخاصة أو ما شابهها؟

سبق القول ان الدينار الاسلامى يساوى وحدة من وحدات حقوق السحب الخاصة لصندوق النقد الدولى.

هل الدينار الاسلامى يمكن أن يكون مقدمة أو فكرة أو نموذجاً لاصدار عملة خليجية موحدة؟

ان مجموعات الدول المتجانسة تلجأ عادة الى هذا النوع من الوحدات الحسابية لتسهيل التعامل التجارى بينها واجراء المعاملات بعملات أقل حساسية وتأثرا بالتقلبات كما فعلت المجموعة الاقتصادية الأوروبية .

ومن الجدير بالذكر أن وحدة العملة الأوروبية التى أوجدها النظام النقدى الأوربى كوحدة حسابية له حين نشأ فى ١٩٧٩م والتى تتألف من عملات بلدان الجماعة الاقتصادية الأوروبية (باستثناء اليونان) تعد مثالا لحقوق السحب الخاصة .

وقد نما استخدام وحدة العملة الأوربية بسرعة أكبر من حقوق السحب الخاصة وقد أوشك أن يتم وضع نظام للمقاصة لوحدة العملة الأوروبية وكثيرا ما تعامل باعتبارها عملة قائمة بذاتها . . ويرجع نجاحها جزئيا الى أن كل العملات الداخلة فى تقدير قيمتها موجودة فى منطقة متجانسة تجاريا ، لكنه يرجع أساسا الى الدعم الرسمى الذى تقدمه مؤسسات الجماعة الأوروبية مما أطلق الطلب عليها فى السوق الخاصة .

وكما تعلمون فان الدول الخليجية تجمع بينها مقومات وحدة وتكامل أقوى وأكثر ايجابية فيما بينها بالمقارنة مع الدول الأوروبية ذات الخصائص السياسية والثقافية المتباينة .

ما العملة الخليجية الموحدة التى بدأ التفكير فيها؟ وكيف تتم مقارنتها بالدينار الاسلامى فى اطار هذا التفكير؟

والافضل أن يتم توجيه مثل هذا السؤال الى الجهة ذات الاختصاص فى أمانة مجلس التعاون لدول الخليج .

وبإحالة هذا السؤال لقسم الشئون الاقتصادية فى أمانة مجلس التعاون لدول الخليج العربى أفادنا بقوله :

«تنص المادة ٢٢ من الاتفاقية الاقتصادية الموحدة على ما يلى : تقوم الدول الأعضاء بتنسيق سياساتها المالية والنقدية والمصرفية وزيادة التعاون بين مؤسسات النقد والبنوك المركزية بما فى ذلك العمل على توحيد العملة لتكون متممة للتكامل الاقتصادى المنشود فيما بينها» .

وقد أجرت الأمانة ثلاث دراسات فنية حول موضوع توحيد العملة كلها تؤيد فكرة عدم الذهاب إلى إصدار عملة موحدة لان المبررات الاقتصادية لهذه الخطوة غير متوفرة فى الوقت الحاضر بسبب ضعف حركة التبادل التجارى بين دول المجلس . . غير انه من المفروض أن يعمل على تقليل التذبذب فى أسعار العملات الخليجية فيما بينها عن طريق ارتباط هذه العملات بقاعدة مشتركة .

وتحقيقا لهذا الهدف فقد تم الاتفاق من حيث المبدأ على دراسة إيجاد مثبت مشترك لعملات دول المجلس ووضع تصور كامل حول نوعية المثبت المقترح وتوضيح الجوانب الفنية اللازمة للعمل به .

والموضوع مطروح الآن على لجنة محافظى مؤسسات النقد والبنوك المركزية التى تتولى جوانب التنسيق فى السياسة النقدية .

المختار

إذا الشعر لم يهززك عند سماعه فليس خليقاً أن يقال له شعر

قصائد العدد

المختار

العدد الثالث والثلاثون - شعبان ١٤٠٧ هـ

المشرف

محمود عارف



الشعر ديوان العرب .. فهو مستودع أسرارهم وأفكارهم، والنهر الذى يجرى منذ أقدم العصور بذوب أفئدتهم ودفق عواطفهم.

و«المنهل» الصافى يترقرق منذ تأسيسه بأعذب الكلام وأحلاه، فى شعره ونثره. وكعادته فى كل عدد من أعداده حمل فى عدد شهر رجب ١٤٠٧هـ مجموعة من قصائد جميلة من عذب الشعر الموزون المقفى، هى ثمان قصائد فى عددها تفاوتت فيما بينها فى الطول والقصر ولكنها اجتمعت جميعها فى وحدة فنية واحدة فى انتمائها الى البحور الصافية.. فثلاث منهن كن من البحر البسيط هى: «**محمد صلى الله عليه وسلم ورحلة اليقين**».. و«**رحلة فى زورق اليأس**».. و«**صغيرتى لا تبكى**».. وثلاث أخريات جئن من بحر «الكامل» هن: «**أين الطفولة فى توقدها**».. و«**أهواك عشقا لا حدود له**».. و«**جافيتنى عمداً**».

والقصيدتان الباقيتان جاءت احداهما من بحر «المتقارب» وهى: «**الى شاعر العروبة المتنبى**».. والثانية من بحر «الرمل» وهى: «**جل هذا الحسن**».

وكما التزم شعراء تلك القصائد بأوزان الشعر المتوارث فى بحوره الصافية.. فإنهم جميعهم كذلك قد التزموا بوحدة الروى والقافية فى كل قصيدة من قصائدهم تلك.

أما من حيث الموضوع فإن ملامح الإنتماء الاسلامي الأصيل تبدو فى كل قصيدة من تلك القصائد على اختلاف أغراضها وصورها الفنية وميادين البوح النفسى وأساليب التعبير وأدواته فيها.

فالرحلة التى جعلها الشاعر صابر عبد الدايم موضوع قصيدته هى رحلة الانسانية كلها من لجج الشك إلى شواطىء اليقين فى رحاب الدين القويم الذى جاء به خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد

مقاربة لقصائد العدد "٤٥٢"

رأي ... وملاحظات





د. عمر الطيب الساسي

صلى الله عليه وسلم من عند الله الحق عز وجل فبدد به ظلام الكفر بنور الايمان.. وهو ضياء متصل منذ بدء نزول الوحي تموج أشعته بكل نفس مؤمنة في كل زمان ومكان.. هو الضياء الذى ماجت أشعته بالنفس حتى غدت لا تعرف الوصبا.

في رحاب أنوار الدعوة المحمدية الخالدة اكتشفت الانسانية بعامة ووجد العرب بخاصة حقيقة الوجود الإنساني الفعال في هذه الحياة.. لهدف نبيل.. ولرسالة سامية.. وليس عبثا.. أو اعتباطا ومصادفة.. ولكن الشاعر في تعبيره عن هذه الحقيقة نسى أن الرسول بشر، له صفاته الخلقية فلم تكن له سوى يدين فقط فليت الشاعر قال: **«وفى رحابك»** بدلا من **«وبين أيديك»** الفينا حقيقتنا..».

وتعمد الشاعر في قصيدة **«محمد صلى الله عليه وسلم ورحلة اليقين»** أن يضمن شعره بعض المعاني المأخوذة من الحديث الشريف.. وهو شيء جميل.. الا أنه أتى في بعض المواضع ليس في مستوى الأثر المأخوذ عنه.. دقة وايجازا مع الشمول.. من ذلك.. مثلا: ما يروى عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عن النبى «ﷺ» أن «خلقه كان القرآن».. وقد حاول الشاعر تفصيل هذا الوصف الموجز الشامل في صفات محددة مثل **«المشى»** و**«الحديث أو المنطق»** و**«التواضع»** و**«التسامح والتعاطف»**.. فحول بلاغه الايجاز الشامل في الأصل الى تعداد لا يؤدى الغرض الأصلي في الخروج بالانسانية من تخبط الحيرة والشك إلى أمن اليقين في رحاب الايمان.

ولكن قصيدة **«محمد صلى الله عليه وسلم ورحلة اليقين»** من الشعر الاسلامي الجيد الذى يقدم مقارنة بين حال الشرك والشك في ظلام الفساد وبين حال التوحيد الخالص في نور اليقين الذى يشع من الايمان.

أما الشاعر عبد الله حمد الحقيل فقد اختار بحراً سهلاً لتمجيد شاعر عظيم قوى فى شعره فناجى روح أبى الطيب المتنبى بحماس شديد فى بحر «المتقارب» حتى انه قد نسى فى غمرة حماسه أنه لا يجوز أن يقال إلا لنبى مرسل من عند الله حقاً: «جئت بالمعجزات» ولقد تمادى الشاعر فى حماسه للمتنبى أكثر حيث قرر أن الكون بكل ساكنيه من دون تحديد ما هو إلا من أتباع المتنبى «بصراً وسمعاً» حتى لقد استخدم فى هذا الحماس ضرورة شعرية لا داعى لها وهو يقول للمتنبى فى مناجاة روحه:

وما الكون والساكنوه لعمـ
ـرى لقولك إلا بصيراً سميعا

فضرورة «والساكنوه» على ما فيها من مبالغة غير مقبولة من حيث المعنى فهى فنياً أيضا لا تبلغ مقام الممدوح الفنان البارع حقاً والذى ختم المادح اسرافه فى مديحه بقوله:

وما كفروا بك يا أحمدا
مقاما ولم تنس يوما صنيعا

انها غفلة يغفرها الحماس فأحمد المتنبى لا يجوز أن يقاس بمقاييس الايمان والكفر به.. فهو شاعر وإن قيل له «المتنبى».

أما قصيدة **«رحلة فى زورق اليأس»** فهى نفثات «رومانسية» حزينة صاغها الشاعر حسين أحمد العجمى فى بحر «البسيط» وخاض بها فى بحر الحياة التى تتلاطم أمواجها العاتية مثيرة ضبابا من اليأس فى رؤية الشاعر إليها ولكن على طريقة الرومانسيين فى تنازع بين الحزن والفرح.. فيها تموت آهات الشاعر فى نيران الحزن تزدهى فى اللحظة ذاتها أناته فى فم الترنيم.. وقد أجاد الشاعر كثيراً.. وببساطة «الرومانسيين» فى استخدام رموز الطبيعة وتجسيدها شخوصاً يحاورها ويضمها وتضمه:

يضمنى البحر فى عينيه يسألنى
هدير أمواجه عن لون مأساتى
أجبت يا بحر آلامى تؤرقنى
وتعكس اليأس فى أحداق مرآتى

وعلى الرغم من العنوان الموحى باليأس فإن الشاعر يتحدى أسباب اليأس بأغانيه وهو ينهى رحلته الحزينة بقوله:

فإن تلاشت بليل الحزن أغنيتى
فسوف تبعثها فى الكون أبياتى

قصيدة **«أين الطفولة فى توقدها»** فهى قصيدة قديمة مشهورة للشاعر الكبير عمر بهاء الدين الأميرى وهى من أجمل ما قيل من شعر فى تصوير عواطف الأبوة الحانية فى دفق فياض وصور محلقة جميلة فى بحر «الكامل».

أما قصيدة الشاعر يحيى توفيق حسن: «**صغيرتى لا تبكى**» فهى ليست كما قد يوحى به عنوانها عن طفلة لاهية ولكنها مزاوجة «رومانسية» ناجحة بين أحاسيس الحب ولواعج الهوى.. والبراءة فيه من جهة.. وبين التعبير عن الخوف من النهاية بعد تقادم العهد ووطأة السنين الخمسين فى الحياة من جهة أخرى.



هذا البريق الذى أغراك من ألقى
ألهاك أن تلحظى حزنى وأكدارى
انا ابن خمسين لا تنسى يقربنى
إلى النهاية ما أقبلت إدبارى

أما قصيدة «**جل هذا الحسن**» للشاعر نور الدين صمود فهى أغنية من أغانى الطبيعة الجميلة التى تبعث الأمل فى النفوس بالبسمة وروح الطرب التى صاغها الشاعر فى بحر «الرمل» فى صور فنية التقط ملامحها من الطبيعة فى لحظات الصفاء والاشراقة الحية تبدو فيها آثار مدرسة على محمود طه فى هذا الشعر الجميل على أنه يصعب الحصول على مضمون فكرى فيه سوى جمال التعبير والصور الفنية.. «**يا لهذا الحسن ما أروعه**».. ولا أكثر..

أما الشاعر أحمد دوغان فقد حلق تحليقا وطنيا حالماً فى تعبيره عن عشق الوطن ومراتع الطفولة والصبا: «**عشقا لا حدود له**».. وقد أبحر الشاعر بذكرياته فى شعره هذا فى بحر «الكامل».. ماراً على شطآن ذكرياته.

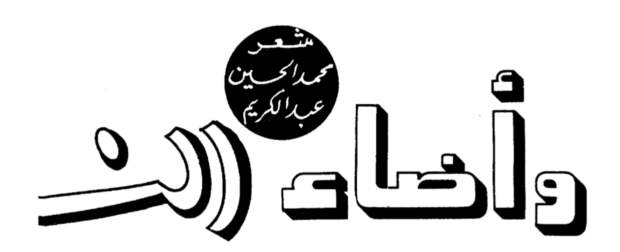
دنيا من الترحال تأخذ مركبى
أنى تشاء على هدى الشطآن
فى دفترى عنوان كل سفينة
وعلى الذرى فى أفقها عنوانى

ومن الصور الفذة فى هذا الشعر تحول الوطن فى ضمير المواطن المغترب الى خيال يرتبط بكل غمامة يرنو إليها:

وطن الغريب غمامة عبر السما
فيها يغازل صورة الأوطان

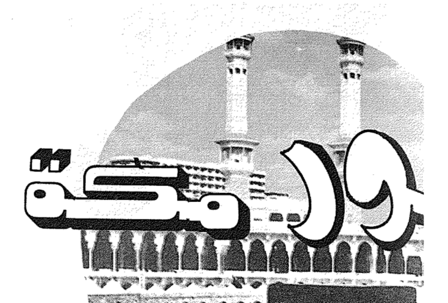
وأما آخر العنقود فى شعر «المشتار» فهو أغنية صاغها فى بحر «الكامل» الشاعر لطفى غز الدين وهى وإن كان موضوعها من المواضيع التى يطرقها كل شاعر عاطفة الا انها لم تخل من لفتات فنية بارعة فى جمال أخاذ مثل خاتمة أبياتها:

أو غبت عن عينى فحسبى أننى
فى كل وجه للجمال أراك



أضاء النورُ مكة والشعابا
بمولد أحمد والجوُّ طابا
يتيمٌ قد رعاه الله طفلا
فشبَّ وما أتى فُحشاً وعابا
بفطرته السليمةِ كان ينأى
عن الجهلاء أو ما قد أرابا
رعى غنما وكان بها رحيما
يُقيّلها ويمنعها الذئابا
وسافر للتجارة فى صباه
ليأكل من حلالِ الكسبِ طابا
وكان القومُ فى غيٍّ وجهل
وللأوثانِ يحنون الرِّقابا
فكانَ محمدٌ يأوى لغار
يفكرُ فى الذى خلق السحابا
ومَنْ رفع السماء بلا عِمادٍ
ومن خلق الكواكب والشهابا
وفجّر من أصمِّ الصخر ماء
ليحيى الناس والقفرَ اليبابا
إلى أن جاءه جبريلُ يوما
بغار حراء يُقرئه الكتابا

فعادَ إلى خديجةَ فى ارتعاشٍ
تدثِّره الى أن قد أثابا
وصدَّقهُ أبو بكر وزوجٌ
كذاك عليٌّ من شرُفَ انتسابا
وفى القرآنِ اعجازٌ فأعيا
فحولهمُو فما استطاعوا جوابا
وكان النبعَ فى خُلقٍ وفضل
ومن كالمصطفى فقه الخطابا
وقام مُبلِّغاً أهلاً وقوماً
ولاقى من أذى الكفارِ صابا
ونذكر مُصعباً وكذا صُهيبا
وياسرَ حين ساموهُم عذابا
وكم لاقى بلالٌ من قُساة
لكى يرتدَّ بل زاد اصْطحابا
هاجر من صحابته كثيرٌ
كما أُمروا وقد ألفُوا الغيابا
شبابٌ مؤمنٌ ضحَّى وأبلى
وسار على الهُدى يبغى الثوابا
رأى الكفارُ دينَ الله يسرى
كسيلٍ فتّتَ الصُّمَّ الصِّعابا



فقالوا ساحرٌ يقضى علينا
وقالوا جُنَّ نسقيه الشرابا

أليسَ هو الأمين كما نطقتم
وأصدقكم وأحسنكم شبابا؟!

أليسَ هو الذى حكّمتمُوه
على حجر فقال لكم صوابا؟

رضيتم حُكمهُ ورفعتمُوه
وأسكنتُمْ سيوفكُمُ القرابا

لقد طاشت عقولُكُمُو فهمُّوا
بقتل المصطفى والسعيُ خابا

فقد علم الرسولُ بما أرادوا
فودع أرضَ مكة والرِّحابا

وهاجر نحو يثرب مع صديقٍ
وكانت «ثورُ» تأويهمْ ذهابا

ونام عليٌّ الكرارُ ليلا
مكان المصطفى أسداً مُهابا

وقد دخلُوا فلم يجدوا سواه
فطاشَ العقلُ وانقلبُوا انقلابا

وساروا فى فجاج الأرض بحثاً
وتنقيباً وقد شدُّوا الرِّكابا

وعند الغار قد وقفُوا حيارى
نسيجُ العنكبوتِ أظلَّ بابا

وتلكَ حمامةٌ باضت عليه
فعاد القوم واكتأبُوا اكتئابا

حماهُ الله من كيد الأعادى
و«يثربُ» ضمتِ النورَ المذابا

وجاهَدَ فى سبيل الله حقاً
وكَمْ فى غزوه لاقىَ الصعابا

وسوّى الدِّينُ بين الناس طُراً
وان تقيُّهم أعلى ثوابا

إلى أن تَمّ دينُ الله نشراً
وجاور ربّه وإليهِ آبا

فسيرُوا فى طريق النور وامضُوا
تنالُوا كُل خَير والرغابا

فى استقبال شهر الصيام



أشرقْ على هذى الربوع سلاما
أشرقْ هُدى واخطر بها بسّاما

واملأ تجاويف القلوبِ سماحةً
وأضىء رحابَك جَمْع الأرحاما

واحملْ إلى ملأ السماء تحيةً
من أمّةٍ فى ليلها تتسامَى

إنّا وطهرك لانزال كما ترى
نستقبلُ الشهرَ الكريمَ كرَاما

ونعودُ من دنيا الخطايا أنفساً
ظمْأى وأرواحاً تهيمُ هياما

ومشاعراً لله فاضَ عطاؤها
وتألفاً ومحبّةً ووئاما

وضراعة ألا يكون جزاؤنا
يوم الحساب من الإله خصاما

* * *

أشرق على هذى الربوع وكنْ لنا
فى عالم ضلّت خطاه إماما

إنّا وطهرك لانزال كما ترى
نحيا زمانا بالخطيئة هاما

إسرافُنا فى اللهو طيلة عامِنا
ملأ القلوبَ ضغينةً وظلاما

نسعى إلى العصيانِ وهو مطيّةٌ
لجهنّم وعن الهدى نتعامَى

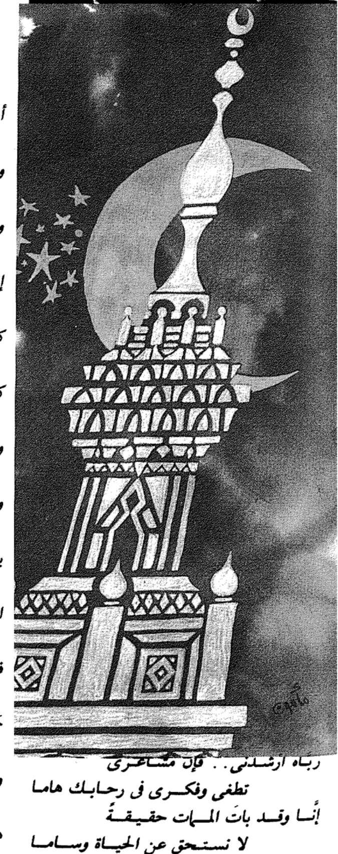
نغتابُ لا ندرى ونظلمُ لا نعى
وكأننا نستعذبُ الآثامَا

وكأنَّ تجريحَ البيوتِ وهَدْمَها
قد باتَ فى هذا الزمانِ لزاما

وكأنّ تجميعَ الحرامِ بجوفنا
ما عاد فى هذا الزمان حراما

وكأننا لا مسلمين ولا لنا
بالمصطفى نسبٌ به نتسامى

وكأنّ يومَ الحشرِ ليس بواردٍ
أبداً.. وأنّا لن نذوق ضراما



أشرق على هذى الربوع فلم تزل
بك تهتدى عاما يواكب عاما
وانزع ثيابَ الجهلِ عن أفكارِنا
وعن النوايا طاردِ الأوهاما
وامْحُ الرياء من النفوس ولا تدعْ
بلداً يُعانى فى الحياة سِقاما
إنا وطهرك لانزال كما ترى
كل يغازل فى الصراع حساما
كلٌّ يُبيّتُ فى الظلام مكيدة
وبرغم ذلك نَدَّعِى الاسلاما
كلٌّ يقدم للتسامح لَطْمَةً
تشوى ويسكب فى يديه حماما
وكأنّما بات التسامحُ بيننا
ضَجِراً يعرْبِدُ فى القلوبِ زؤاما
وكأنّما الآثامُ عن صفحاتنا
سقطتْ ونلنا بعد ذاك مُراما
يا مشرقَ التقوى يكادُ يطيح بى
ألمى وأوشك أن أذوب هياما
السرّ أعجزنى وأعجزَ خاطرى
وأذاقنى من راحتيه ضراما
فاكشف عن العين الغطاء ونجِّنى
واملأ حياة المسلمين سلاما
جَمِّع قلوبَهُمُ وطيِّبْ جرحهم
واشْفِ النفوسَ وعالجِ الأسْقاما
واجعلْ صيامَهُمُ لذاتك مِرْفأ
يحميهُمُو من لجّة تترامى
هذا زمانٌ ضلَّ فاحفظْ أمّةً
بلغتْ بدينك رفعةً ومقاما

رباه أرشدنى .. فإن مشاعرى
تطغى وفكرى فى رحابك هاما
إنّا وقد باتَ المهات حقيقةً
لا نستحق عن الحياة وساما

* * *

تار

ألا مرحباً بكَ شهرَ التقاةِ

لقد عُدْتَ يا رمضانُ لنا
فمرحى بوجهكَ إذ يُسْفِرُ
يُضيءُ بنوره دنيا الوَرَي
فتزهو المآذنُ والمنبرُ
ومنك تضوعُ زهورُ الهُدى
عبيراً من الخير يَنْتشرُ
فننشُقُهُ نفحاتِ إخاء
ونبعَثُه عملاً يُشْكَرُ
فبوركتَ يا شهرُ من زائرٍ
وبُوركَ مقدمُك الخيِّرُ
فكم فيك من روعةٍ وسناء
وكم فيك من ألقٍ يَبْهرُ
يحسُّ به كلُّ قلبٍ طهورٍ
فيغدو طليقا بما يشعرُ
ويسمو إلى عالمٍ من صفاء
على مَرْكَب بالتُّقى يَزْخَرُ
فيا سعدَ مَنْ صامه زلفةً
بأعمال خيرٍ بها يظفرُ
وأحيَى لياليَهُ قانِتاً
إلى الله يدعو. ويستغفرُ
ويا سوء من ظلَّ فى غيِّهِ
يؤمُّ الهلاكَ.. ولا يحذرُ
كأنَّ على مُقلتيه حجاباً
يُحسّ الضياء ولا يُبصرُ
فيا هائماً فى دروب الضَّلالِ
وقد غرَّه المالُ والمظهرُ
فلا الحسنُ يُنقذُ صاحبه
ولا المالُ إنْ فَسَدَ الجوهرُ
وذا خيرُ شهرٍ أتى بالمُنى
يذكّر بالوعدِ من يَذَّكَّرُ
تزوَّدْ لأخراك قبل الرحيل
ليوم به البعثُ والمحشرُ
وسارعْ إلى عملِ الصالحاتِ
فقد فاز من حظُّه أوفرُ
وزادُ الحياة رهينٌ بها
وزادُ المعادِ هو المثمرُ



ولا ينفـع الجـوعُ إن لم تصم
نفـوسٌ يُزوِّدُهـا المـنكـرُ

وإنَّ غنـى النَّفسِ أزكى طعـامٍ
وجـوعُ النفـوسِ هو المفقِـرُ
ألا مرحبـاً بك شهـر التقـاة
وأهـلا بنـورك يا أطْهَـرُ
بأيّـامـك الغُـرِّ تصفـو القلوبُ
ويسـرى بها النـورُ والكـوثـرُ
وبـين ليـاليـك يا رمـضـان
يطـيـب التهـجُّـدُ والسَّهـرُ
فأكـرِمْ بشـهـرٍ يزكّي النفـوسَ
وكـلّ الخطـايـا به تُغْـفَـرُ
وأعظِـم بليـلةِ قدرٍ به
يخرّ لها الـدهـرُ والأشْهُـرُ
بها أنـزل الله آيـاتِـهِ
على خيرِ عبـدٍ أتـى يُنْـذرُ
فقـاد الأنـام لنهـجٍ قويـمٍ
هو الحـقُّ والمسـلكُ النَّـيِّرُ
به قدْ بلغـنـا لهامِ السُّـهـى
ودانـتْ لأمجـادنـا الأعْـصُـرُ
إلاهِـي سألـنـاك من فيضـهـا
سألـنـاك والـدمـعُ مُنْهـمِـرُ
فقـد أرْهـقتْنـا خطـوبٌ جسـامٌ
ينـوء بأثـقـالها الحـجـرُ
وكـادتْ تضـيـعُ معـالِمُـنـا
كأنَّ حضـارتـنـا خبرُ
وجار على القُدسِ مسرى الرسولِ
عدوٌّ بدينـك يسـتـهـترُ
يُذلّ الشـيـوخَ ويسْبي النسـاء
ويُـردي الصـغـارَ ويستحقـرُ
فيـاربّ وحِّـد خُطى المسلمين
على منهج الحقِّ يا أكبر



رحلة عُمْرٍ ضائع

بين يومٍ مضى كئيبا وآتى
نازعتنى على الحياة حياتى
إنَّ يومى وما مضى مثل ما فا
ت حزيناً ملفع القسمات
يزرع الحلمُ حقلهُ . . يطعم الهمْـ
ـمُ جناهُ فى أسْغَبِ الوجبات
ليس بالحلم وحده يعمرُ القلْـ
ـبُ لقد جفَّ فى ثراه نباتى
عشتُ للحلم طيِّعاً لا أوارى
سوأة الذَّات . . مُذْ تلمَّستُ ذاتى
جئتُ طفلا مشتَّتَ الفكرِ مهزو
م الأمانى . . مجندل الخطوات
أستعيد الأسى وأجترُّهُ لحْـ
ـناً شجيًّا . . مرجَّع النَّغمات

وصبيّا أمدّ كفَّىْ للأفْقِ
وللنّاس . . . وللمغيْبِ الآتى
يُغْرِقُ الليلُ مُقْلتىَّ على الحُلـ
ـم لأصحو وقد تعرَّى سباتى

أصرفُ العمرَ . . حسبُهُ أنَّه أرْ
خص مني دقائقى . . ساعاتى
أرسم الحُلمَ . . فوقَ صدرى أشْبا
حاً من الضَّنا . . مُثْقلاتِ

* * *

أيُّها العمرُ أيُّها التائهُ فى تابو
تِك العاري . . الزائغ النظرات
أيّها العمرُ أيّها التافهُ الذا
وى على عوده بلا ثمرات
ما مضى منك كتلة تُشْبهُ الصخْـ
ـرة صماء ميتةً . . كمواتِى
ليس فى رحلتِى سطور من الحبّ
تُغنِّى . . يتيمة صفحاتى
ليت أنى وقد أتيتُ الى الدنْـ
ـيا على فرحةٍ نهلتْ حياتى
عشتُ عمرى كما يقضيه عصفوْ
ر يُغنِّى . . لتنتهى مأساتى

مصباح يهزم الظلام



يشُقُّ دُجى الليل جلبابُها
ويهدى سنى الفجر محرابُها
ومن معدن الطهر أخلاقُها
ومن جنّة الخلدِ أثوابُها
ومن سورة النورِ اكليلُها
وهدى النبوة أطيابُها
يقول الدعيّ: لمن تنتمي
لطه وللآل أنسابُها
وفاطمُ بنتُ النبيّ الكريم
وأترابُ فاطم أترابها
لجيشِ الهداة رجالِ الفتوح
وأبطال حطين أنسابُها
صنعتِ الرجال ليومِ الجهاد
فعزّتْ على الفتح أحسابُها
فما وهنوا عند لفحِ الحديد
ولا ضيّع العربَ أعرابُها
وما ضعفوا عند وهج اللقاء
ولا ضيّع الأرضَ أحزابُها
حطمتِ الضلالَ وأوثانه
فأرْغى وأزبد كذّابُها
يمينُك من عزمِ بأس الخليل
تهاوتْ ليمناه أنصابُها
وعرّيتِ أقنعة الظالمين
فراح يولول أربابها

* * *

على جنّتَيْها يجودُ الربيع
ويلقى الفضيلة طلابُها
وتمضى الحياةُ على رُشدها
وتزهر بالحق آدابُها

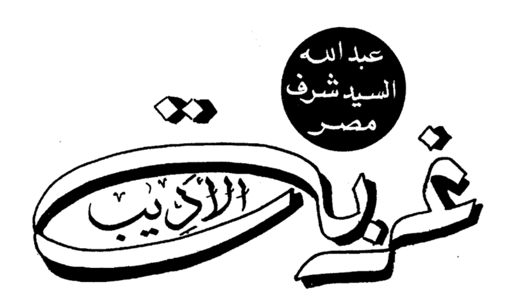
شعر
د. إبراهيم زيد الكيلاني
الأردن

شعر
محمد الحلوي

هل أبصرت عيناك يوما أى شىء فى الضباب؟
اسمعت يوما فى الصحارى مَنْ تروَّى بالسراب؟
أخشَشْتَنى يا شاعرى فيما كتمت بالاغتراب
أجهدت نفسى فى طلاسم مُلْقياتٍ فى الغباب
وسمعتُ صوتا ناشزا وجرعت ما لا يُسْتَطاب
ونفضتُ ما بين الشطور فلم أجد غير التراب
فى هيكل من مَرْمَرٍ عالى المسارج والقباب
ومدينةٍ مسحورة غُرُفاتُها من دون باب
وأزاهر لا روعة فيها ولا عطر مذاب
ومقاطع مقطوعة فكأنها مزق الثياب
هذا يطول وذاك يَقْصُرُ خَطْوُه دون انسياب
فتَّشْتُ عن عربيتى فيها فكانت فى غياب
عبثتْ بها أيدى بنيها وهى أنقى من سحاب
لقى الخليل وسيبويه بها سياطا من عذاب
جاءت معانيها الصعاب لتُنْسِيَ الناسَ الصعاب
لم أتهم من قبلُ عقلى فى حديثٍ أو خطاب
حتى شدهتُ أمامَ لُغْزِكَ فالتجأتُ إلى الصِّحاب
وقصدتُ (عرَّاف الجديد) فجاء بالعجب العُجاب
ما لى بمعرفة الغيوب يدٌ ولا أى اكتساب

* * *

جُلْ فى رياضِ الشِّعرِ وارتَعْ فى [illegible] الخِصاب
واسمَعْ بلابلَ يعرُبٍ تشدو ملاحِنَها العِذاب
لم يُبْلِها كرُّ [illegible] ولم يُودِّعها شَباب
ومضاتُها متجدِّدات لم تضِقْ عنها رحاب
عربيةُ النَّبراتِ لم يُفسِد محاسِنَها استلاب
حسناء لا يُخْفِى روائِعَها عن الدنيا حجاب
فارقصْ علي إيقاعها وارشُفْ كؤوساً من رُضاب
لا يُنْسِينَّكَ بُلْبُلاً فى الروضِ [illegible] الغراب
[illegible] طريقاً لاحِباً لا تستتر خلف الشِّعاب
واكتبْ كما تختار لكن دون خبط فى [illegible]
فالشـ[illegible]ـادلات فى مجاهيل [illegible]
[illegible] وهاجةً لا تُخْنَقُ فى وسط غاب



هى الأيامُ . . شيمتُها العنادُ
وديدنُها التعنُّتُ والفسادُ

تروحُ على بنيها بالأمانى
وتغدو والشقاءُ لها حصادُ

تُخادِعُنَا لنضْحَكَ ثم نَصْحُو
على وهم يضيقُ به الفؤادُ

حياة . . كلُّها . . همٌّ . . وضيقٌ
وعيشٌ بين جنبيه الحِدَادُ

يضيقُ بها الأديبُ ويزدريها
ويرجو أن يُلاقيهِ السَّدادُ

غريبٌ فى الدِّيار ولا رفيقٌ
... ـوداد

يعيش على التعلل ...
ويُنْكِره ـ لما يدعو ـ العبادُ

يرومُ صلاحَ أخلاقِ البَرَايَا
وفى جنبيهِ آمالٌ شِدادُ

يناضلُ . . لا يخافُ . . ولا يُبالى
وفى الآمالِ والاحلامِ زادُ

وكمْ ضاقتْ عليه سبيلُ عيشٍ
فلم يحفلْ وظلّ هو الجوادُ

وكم سهم ينالُ من الأعادى
تكسَّرَ فى الدروع . . ولا نفادُ

فضمَّدَ جُرْحه وسعى يُنادى
بأسمى غايةٍ وهو العِمادُ

طهورٌ يعشقُ الأخلاقَ تسمو
عفيفٌ . . لا يضلُّ ولا يُقادُ

نبيلٌ . . لا يُبَالى جَمْعَ مالٍ . .
ولا يأسره فى الدنيا التلاد

ويحيا لا يكلّ وان تمادتْ
به الآلام وازدادَ الجِلادُ

ويقضِى إنْ قضى شهما كريما
أبىَّ النفس ... الرشَّادُ

ويوقِنُ أنَّ هذا العيشَ يمضى
وفى الأخرى سيشكره الجِهادُ

شعر : حسين احمد النجمى

السعودية



تخطَّلُ من دَمْعِ العيونِ محاجري
وتموتُ بالأحزانِ كلّ أزاهرى

ويذوبُ شعرى فى الشِّفاه وتنتهى
فى غابة الآلام كلّ بشائرى

وتهبُّ عاصفةُ الخرابِ شديدة
تجتاحُ أقلامى وكلَّ محابرى

وتشبُّ ناراً همّ فى كلماتها
وحروفها حتى تذيب دفاترى

أنا لا أنوء بهمِّ ماضىَّ الذى
أدمى الجراح فكيف همّ الحاضر

لكنَّ شعرى سوف يأتى زائراً
ومخففاً أنْعِمْ به من زائر

فأصوغ منك قصيدة مزهوة
من فَرْط إحساسى وصدقِ مشاعرى

تقتاتُ من همسِ اللحون حروفَها
وتكونُ خير نديمةٍ للساهرِ

أنا إنْ تَهاوَى القلبُ فى أحزانه
ومضى بها متخبِّطاً كالحائر

أشعلتُ من نورِ الهدايِة مشعلاً
وأضأتُ قنْديلا بدرب السائرِ

أنا لا ألومُ حياتَنا إنْ أظْهَرتْ
نحوى الجفا وبدتْ بسوء الطائر

فلربَّما ضحكتْ لنا بعد البُكَى
فالَّيْلُ يُنْسَى بالصباحِ السافرِ

فلكمْ بَدَتْ أنيابُها فى قسوة
ومضتْ تحزُّ رقابنا بخناجرِ

لكنَّها عادتْ وألقتْ رحْلَهَا
بين الزهورِ وفى ثراها العاطرِ

فهى الحياة فمَنْ تجرَّع عَلْقَماً
من مُرِّهَا قد نالَ أجرَ الصابرِ

عُرِفَ التَّغيُّر والتَّقلب دائما
فى طبعها مُنْذُ الزمانِ الغابرِ

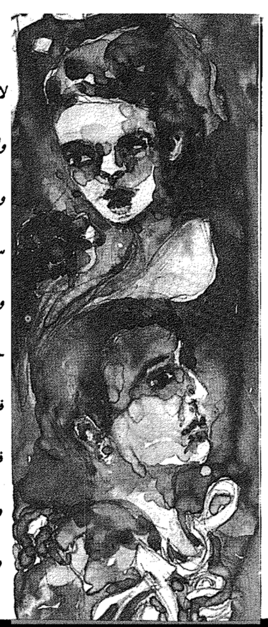
لكنَّ دينَ الحقِّ جاء موضِّحاً
لحقائقٍ من أمرها وبصائرِ

فيها السعادة للذى لزم الهُدَى
وبها الشقاء جزاء كلِّ مكابرِ

فإذا سلكتَ مع النبىِّ صراطهُ
وقبست من نورِ الكتابِ الطاهرِ

ولزمْتَ شرع الله ترجو فضْلَهُ
وثوابَهُ فى السِّرِّ أو فى الظاهرِ

من المعاناة



لا تشتكى جورَ الحياة ومكـرَهـا
أو تشتكى ظلمَ الـزمـانِ الجائـرِ
ولســوف يمضى العمـرُ فى سنواته
متعجِّلا مثـل السحـابِ العـابـرِ
والمـوتُ يأتـى ثم تمضـى مسـرعـاً
ومـفـارقـاً بحـرَ الحـيـاة الهـادرِ
ستـنـالُ جنَّـات الـنـعـيـم نديَّـة
نعمَ الـثـواب نعيـمـهـا للصـابـر
ولســوف نعلمُ عنـدهـا ماذا جنـوا
كلُّ الـذيـن استـهـزؤوا بالـزاجـر
جعلوا على دربِ الضَّـلالـة سيْرهُم
وتـتـبَّـعـوا دَرْبَ الـلـئـيـمِ الفـاجـرِ
فجـزاؤهـم نار يزيـد وقـودهـا
عدلُ الإلـه ولـيس ظلمُ الجـائـرِ
فاصلح إلـه الـعـالمـين سريـرتى
واجعلْ على النهج القويم مشاعرى
وافتـحْ لنفسى مسلكـاً من رُشْـدِهـا
واقـبـلْ إذا أخطأتُ كلَّ معـاذرى
واغـفـرْ ذنـوبى حين يَثْقُـلُ حمْلُهـا
فى ذلـك الـيـومِ الـعظـيـمِ الآخـرِ

ستار



آراء و..

ذَريني لكِ الـويـلاتُ آتي الغـوانِيا
متى كنتُ ذرَّاعـاً أسوقُ السَّوانِيا[1]
تُرجِّـى ثراء من سيـاسٍ ومِـثْلها
ومن قَبْلِهـا ما كنتُ للمالِ راجيا[2]
سأوصى بصـيراً إنْ دنـوتُ من البلى
وكـلُّ امرىء يومـاً سيصْبِحُ فانيا[3]
بأنْ لا تأنَّ الـودَّ من مُتبـاعـدٍ
ولا تنْـأَ إنْ أمْسَى بقـرْبِـكَ راضِيـا
فذا الشَّنْء فاشْنَـأه وذا الـودَّ فاجْـزه
على ودّه أو زدْ عليـه الـعَـلانيـا[4]
وآسِ سراة الحـيِّ حيـثُ لقِيتهُمْ
ولا تكُ عنْ حَمْلِ الـرِّبـاعةِ وانيا[5]
وإنْ بشـرٌ يومـا أحـال بوجـهـه
عليـك فَحُـلْ عَنْـهُ وإنْ كان دانيـا
وإنَّ تُقَـى الـرَّحْـنِ لا شىء مثـلُهُ
فصبرا إذا تلقي السِّحاقَ الغرائيا[6]
وربَّـكَ لا تُشْـرِكْ به إنَّ شِركَـهُ
يحطُّ من الخـيراتِ تلك البـواقيـا

عظات

شعر الأعشى

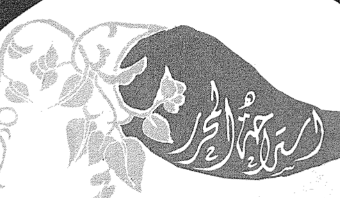


بل الله فاعبدْ لا شريكَ لوجهـهِ
يكنْ لكَ فيما تكدحُ اليومَ راعيا
وإيَّاكَ والميتاتِ لا تَقْرَبَنهـا
كَفَى بكلامِ الله عن ذاك ناهيا
ولا تَعدَنَّ الناسَ ما لستَ مُنجزاً
ولا تَشْتمنْ جاراً لطيفاً مُصافيا
ولا تَزهدنْ في وصلِ أهلِ قرابةٍ
ولا تكُ سَبْعاً في العشيرةِ عادِيَا
وإن امرُؤٌ أسدى إليكِ أمانةً
فأوفِ بها إنْ متَّ سُمِّيتَ وافيا

وجارة جنب البيتِ لا تَنْعِ سِرَّهَا
فإنَّكَ لا تَخْفَى على الله خافيا(٧)
ولا تحسُدَنْ مولاكَ إنْ كانَ ذا غِنَى
ولا تجفُهُ إنْ كنتَ في المالِ غانِيَا
ولا تخذُلَنَّ القومَ إنْ نابَ مَغْرمٌ
فإنَّك لا تعدمْ إلى المجد داعيا
وكن من وراء الجارِ حِصنا مُمنَّعاً
وأوقِد شهاباً يسفعُ الوجهَ حاميا

---

(١) الذراع لعله من قولهم: رجل ذريع، أى سريع، بعيد الخطو. . السوانى، الواحدة سانية: الناقة التى يستقى عليها الماء.
(٢) سياس: لعله اسم امرأة، أو اسم موضع.
(٣) بصير: لعله اسم ابنه، وكان الأعشى يلقب بأبى بصير. . ويقال إنه لقب كذلك تلطفاً فى مخاطبته لأنه كان أعشى أو أراد رجلا عاقلا.
(٤) العلانى: لفظة من علن الأمر ظهر وشاع.
(٥) الرباعة: أراد بها ما يحتمله سيد القوم من الديات والمغارم.
(٦) الصبر، من صبر نفسه به: عاله . . السحاق الغرائى: أراد الهزلى الجياع.
(٧) لا تنع: لا تفش، وتظهر.



سجعة من قديم الحي

من الذكريات .. القريبة منا

حديث الذكريات حديث فيه نوى وشذى . . ونواه يعود الى ما قبل أربعين عاما خلت عند انتقالنا من مكة المكرمة الى جدة و (للشرفية) بالذات . . ولدارة ـ فلة ـ تكاد تكون فى الصدارة فى الرسم والشكل والمحتوى . . لها حديقة بها شجيرات ـ لندرة الماء آنذاك ـ يحسدها أقرانها عليها . . ولها «مراح» يحفها وتزهو به بين اضرابها . . بُنِيَتْ وزُيِّنَتْ بالأقواس الاسلامية المختلطة فأكدت اهابها . . هى بعض قليل من كل . .

كنا «نُفَاجأ» برؤيته فى جُدَّة أيام كانت . . وهى كثرة دانية
وقاصية «نطرب» بوجودها فى أمهات مدننا أين كانت

***

ولنعد الى «ذكرياتنا قديما» ولنعد الى «الشرفية حديثا» والتى كانت كما نصت عليه الصكوك الشرعية احدى أعمال حي البغدادية ان جازت التسمية .

ونوى الذكريات ـ تلك ـ التى شهدتُ فيها مرابعَ صباى . . تنحصر فى موقع له اسم بغير مسمى . . موقع مكموش ملموم يتناثر على أديمه أشباه مساكن لا ترتقى كثيرا لمؤثرات الوصف ولا تتسامى الى مستحدثات العصر . . يتوسطها ـ بل قل ينتهى بها ـ فسحة رحبة تضاعف فراغه . . اقتطعت كساحة لملعب فريق الاتحاد الكروي . . هذا الفريق كان له فضل منظور على «الشرفية قديما» . . لقد كان يثريها بالحركة والتظاهرة الشعبية الكروية . . ويوقدها بالانفعال والتفاعل فى عصارى أيام بِطانٍ . . وجُمع أسابيع سمان . . وكنا مجاميع هذا الحي المميزة ساحته المتناثرة مساكنه المتباعد اهله . . المظلم رحابه . . المبعثر جواره . . لا تثبت لنا راحة بال ولا ينام لنا جنان متى ما أرخى الليل سدوله وتقاطر الهجير بزفيره .

فالليل والخيل والبيداء . . والوحشة والحر والرمضاء
وطوى البطن على مجاعة اذا لم يُدَّخر لها ـ من قبل ـ متاع



في الصورة: عبد القدوس الانصارى - محمد سعيد العمودى - منصور دفتر دار - نبيه الانصارى - حسين سرحان - احمد السباعى - خالد النحاس - صالح جمال - عبد الله القرشى - هاشم نحاس.

كان ذلك (نوى) ما لمسته وخبرته قديما.. وكان هذا (شذى) الذكريات فيما عشته ورأيته حديثا...

مما أزال الكربة.. وذوّب الفرقة.

فها هو ذا: حي يتوسط جُدَّة فى اتساع رقعتها
وها هو ذا: حي يتصدر عريق الاحياء فى بهائها
وهذا هو ذا: حي حفي بأهله وقاطنيه حفاوتهم بمنظميه ومنظريه.
رأيته: وقد «مُلئت» له مساجد يُذكر فيها اسم الله
وعشته: وقد «أفرزت» له جنان غر خضراء
* مردودها الارض ونحن - عامة الناس - منها واليها
* وموفورة الجهد ونحن - الانسان - شداته ولداته
** لقد أصبح منمقا مجملا بجدة فى عهد أمينها الهمام.
** وسيظل عَلَماً فى سماء أمجاد بانيها المقدام
** لقد بات معلما لا ينثنى له حسام
وسيبقى رمزا يحوط به كل وسام
وسيمسى بمتابعة بذل - بلديته - موضع تقدير واستلهام
هو الرحى التى هيَّأته.. وهم الغلال الذى وفرته
ما اسعدنا بهم معا.. وما احوجنا بالاشادة بهم
﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسولُه والمؤمنون﴾.

نبيه الأنصاري



الدكتور احمد سعيد الدمرداش ـ عليه رحمة الله ـ من العلماء الذين وهبوا حياتهم للدراسة والتحليل والعلم واعطى فيه عطاءاً رائعا . وهذه الدراسة لمسيرة الفكر العلمى العربى كانت من آخر ما خصَّ به (المنهل) .

متغيرات جديدة فى المجتمع العربى تفرعت

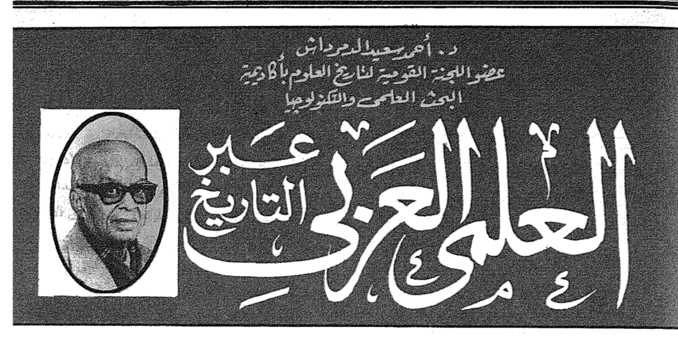
ما ان تلاحمت علوم الاوائل او علوم القدماء كما تسمى عند العلماء العرب بعد ترجمتها ونسخها حتى برزت فوق السطح كطفح جلدى دخيل فوق العلوم المحدثة . . ونظر اليها اهل السنة المتشددون فى شيء من الشك وعدم الثقة والاطمئنان . . وكلما ازدادت شوكة اهل السنة كان الهجوم عنيفا وهذا يفسر لنا المضايقات التى صادفها الكندى الفيلسوف العالم فى عهد المتوكل . . وما ظهر فى شعر العصر من نقد شديد كالذى قاله ابن الرومى فى هجاء صاعد وابنه ابى عيسى :

وثنى بابنه السفيه المعنى
بأساطير رسطاطاليس
والذى لم يصخ باذنيه الا
نحو ذوثوريوس او واليس
عاقدا طرفه بهرام او كيْـ
ـوان او هرمس او البرجيس
أو بشمس النهار والبدر والزهـ
ـرة عند التثليث والتسديس
واجتماعاتهن فى كل قيد
وافتراقاتهن عن كل قيس

فابن الرومى يذكر الفلاسفة والرياضيين الاغارقة باسمائهم المعروفة فى الكتب المنقولة ويذكر اكثر الكواكب بأسمائها الفارسية .

غير ان هذه المضايقات لم تفلح لحسن الحظ فى أن تجعل العناية المستمرة بهذه العلوم تضيع سدى ويرجع الفضل فى ذلك الى الخلفاء العباسيين كالرشيد والمأمون والمعتضد . . قيل عن الاخير انه كان يمشى مع ثابت بن قرة فى بستان للخليفة وقد اتكأ على يد «ثابت» فنتر الخليفة يده من يد ثابت بشده وقال له : يا «أبا الحسن سهوت ووضعت يدى على يدك واستندت عليها وليس هكذا يجب ان يكون فان العلماء يعلون ولا يعلون» .

ويتدرج النقد من انصار القديم حتى يصل للذروة عند الغزالى حيث يقول عن العلوم الرياضية «لا يتعلق شيء منها بالامور الدينية نفيا واثباتا بل هى امور برهانية لا سبيل الى مجاحدتها . . وعلى الرغم من هذا كله فقد نجمت عنها آفتان : وذلك ان من



> هذه الدراسة العلمية القيمة تناولت فى حلقاتها السابقة المنحى العقلي للمسلمين واهتمام المسلمين بالعلوم والمعارف وحرصهم عليها.. فألفوا فى: الفلك - والطب - الكيمياء والفيزياء - والفلسفة والتاريخ.. وغيرها من المعارف.. واستعرض فيها تشجيع الخلفاء والأفراد للعلماء.
> وفى هذه الحلقة الاخيرة من الدراسة يتناول بالشرح والتحليل مجموعة من المتغيرات فى المجتمع العربى مما نتج عنها بعض الخمول والكسل.

نظر فيها يتعجب من دقائقها ومن ظهور براهينها يحسن بسبب ذلك اعتقاده فى الفلاسفة فيحسب ان جميع علومهم فى الوضوح وفى وثاقة البرهان كهذا لمعلم (الرياضى) ثم يكون قد سمع من كفرهم وتعطيلهم وتهاونهم بالشرع ما تداولته الالسنة فيكفر بالتقليد المحض... فقلَّ من يخوض فيه (أى العلم الرياضى) الا وينخلع من الدين وينحل عن رأسه لجام التقوى».

ومن جهة اخرى نجد العالم الكفيف البصر حسن بن محمد بن نجاء الاربلى (المتوفى عام ٦٦٠هـ) الذى عاصر ابن خلكان - نجده فى آخر ايامه يختم حياته ساعة الموت بقوله:

«صدق الله العظيم وكذب ابن سينا»

وفى الفلكيات نرى الشك متحفزا: فهذا السلطان السنى خوارزم شاه يتهم احد الرحالة بالالحاد والقرمطة حينما أخبره عن بلاد «الشمس طالعة فيها فى منتصف الليل» ذلك لان صحة هذا الخبر تقتضى الشك فى صحة قواعد مواقيت الصلوات المختلفة.

غير ان البيرونى العظيم الذى كان يعيش آنئذ فى بلاط هذا السلطان طمأنه على صدق ما اخبر به هذا الرحالة ثم كيف يتفق مع حقائق علم الفلك ان تشرق الشمس من المغرب.

وفى الاندلس برغم ازدهار العلم فى أيام دولة الموحدين فى القرن الثانى عشر نرى ابن جبير الرحالة الشهير يندد بعلوم الاوائل قائلا:

قد ظهرت فى عصرنا فرقة
ظهورها شؤم على العصر
لا تقتدى فى الدين الا بما
سن ابن سينا وابو نصر

أما فى الطب فقد وضحت «عقدة النصرانية» عند العرب لان الخلفاء العباسيين قد شجعوا مدرسة جنديسابور الطبية التى كان يحتكر العمل بها الاطباء السريان، فهذا يوحنا بن ماسويه يقيم «بيمارستانا» ثم يجعله الخليفة المأمون سنة ٢١٥هـ رئيسا لبيت الحكمة ـ وهنا نرى النقد اللاذع للجاحظ (٨٦٩م) فى كتابه البخلاء عن أسد بن جانى الطبيب البغدادى:

وكان أسد بن جانى طبيباً فاكسد مرة فقال له قائل: السنة وبئة.. والامراض فاشية.. وأنت عالم.. ولك صبر وخدمة ولك بيان ومعرفة.. فمن اين تؤتى فى هذا الكساد؟ قال:

أما (واحدة) فانى عندهم مسلم ـ وقد اعتقد القوم قبل أن اتطبب لا بل قبل ان أخلق أن المسلمين لا يفلحون فى الطب... واسمى (ثانية) أسد وكان يجب ان يكون اسمى صليبا ومرايل ويوحنا وبيرا... وكنيتى ابو الحارث ـ وكان يجب ان تكون ابو عيسى وابو زكريا وابو ابراهيم.. وعلىّ رداء قطن ابيض ـ وكان يجب ان يكون رداء حرير اسود..و(اخيرا) لفظى لفظ عربى ـ وكان يجب ان تكون لغتى لغة اهل جند يسابور.

وهكذا يقول الطبيب العربى بصراحة انه لن يكون له «زبائن» الا اذا كان مسيحيا ذا اسم سريانى ولهجة سريانية.. ويلبس رداء من الحرير وهو محرم على المسلم.. ويدرس فى المدرسة السريانية الفارسية المشهورة.

أمثال هذه السلبيات التى صدرت من المجتمع العربى كثيرة فهى أشبه ما تكون بتليف فكرى على غرار ذلك التليف الذى يصيب النسيج الانسانى عندما ينفذ اليه جسم غريب.. ونختتم تلك السلبيات باحدى نكات العصر على كارهى الهندسة والرياضيات، ويذكرها ابو حيان التوحيدى فى كتاب الوزيرين فى ترجمة ابن ثوابة اذ جاؤا له بمعلم مسلم يعلمه الرياضيات بعد معلم نصرانى وكيف استعظم هذا المعلم المسلم عليه ان يدرك النقطة وقال له:

«وهل بلغت انت أن تعرف النقطة؟ فقلت استجهلنى ورب الكعبة.! وأخذ يخط وقلبى مروَّع يجبُ وجيبا وقال لى غير متعظم: ان هذا الخط طول بلا عرض فتذكرت صراط ربى المستقيم وقلت له: قاتلك الله اتدرى ما تقول؟ تعالى صراط ربى عن تخطيطك وتضليلك: انه لصراط مستقيم.. وانه لاحد من السيف الباتر والحسام القاطع وادق من الشعرة.. واطول مما تمسحون وابعد مما تذرعون.. اتطمع ان تزحزحنى عن صراط ربى وحسبتنى غرا غبيا لا اعلم ما فى باطن الفاظك ومكنون معانيك؟.. والله ما خططت الخط واخبرت انه طول بلا عرض الا ضلة بالصراط المستقيم لتزل قدمى عنه وان تردينى فى جهنم! اعوذ بالله وابرأ اليه من الهندسة ومما تدل عليه وترشد اليه.. انى برىء من الهندسة ومما تعلمون وتسرون».

على ان مثل هذه السلبيات قد شجبتها انطلاقات وايجابيات لا يحدها حصر بل نجد أن ذلك الطفح الجلدى الدخيل يتلاشى شيئا فشيئا وتظهر روح الحضارة الاسلامية تغلف جميع العلوم العقلية والنقلية

■ على ان اعمق الجذور رسوخا واصلبها عودا فى روح الحضارة الاسلامية هو «التوحيد» مما عنى به توحيد القيم

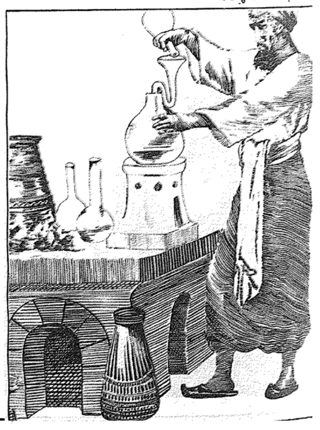
التى تصبح ينبوعا تتدفق منه المعرفة فتمسى بؤرة تومض من آن لآخر فتضيىء الطريق امام العلماء والمفكرين.

■ فها هو ذا جابر بن حيان العالم الكيمياوى يحدثنا فى كتابه «الايضاح» عن الوحدة الاولى للفلزات والتى منها تتألف جميع الفلزات الاخرى اذ يقول بلفظه:

«ونقول ايضا ان الاجساد (المعادن) كلها فى الجوهر زئبق انعقد بكبريت المعدن المرتفع اليه من بخار الارض وانما اختلفت لاختلاف اغراضها واختلاف اغراضها لاختلاف كباريتها».

■ ويخبرنا «الجلدكى» العالم الكيمياوى المصرى السورى فى عصر السلطان قلاون (١٣٤٢م) فى مخطوطه «البرهان فى علم الميزان» عن الزئبق بلفظه:

«فللزئبق» الفضل على جميع الاحجار لأنه اصلها وسببها «قد كونه الله تعالى فى بطون أعماق الارض قبل النطفة فى قرار الرحم فهو أصل لتكوين الاجساد كلها».



ولنقبض قبضة اخرى فى مفهوم الوحدة:

ففى مخطوطة «رسالة فى ان الاشكال كلها من الدائرة» للعلامة نصر ابن عبد الله (توفى عام ٤٠٠هـ) نجده يقول بلفظه:

«قد بينا فى كتابنا الذى حملناه لخزانة الملك المنصور أن الاشكال كلها من الدائرة على طريق الاجمال والاختصار.. وجمعناها فى شكلين فقط - ان الدائرة سبب الاشكال والاشكال كلها فيها».

ولهذا نجد الفنان العربى يرسم الدائرة اولا ويخطط داخلها اشكالا هندسية على هيئة مثلثات او نجوم يزخرفها بماء الذهب فتصبح الوحدة الاولى فى التكوين الفنى الزخرفى المتكرر - نشاهد ذلك فى تزيين القبلة فى المساجد وفى غيرها من المعمار الاسلامى.

فن براق واضح المعالم لا خفاء فيه.

ولهذا ايضا - من جهة اخرى - نجد ان البيرونى فى مخطوطة «القانون المسعودى» يعتبر الدائرة بمثابة انبوبة اختبار يجرى فيها بحوثه واستدلالاته الرياضية على غرار ما يفعله الكيمياوى فى معمله. انه يستنتج من الاشكال والقسى فيها جداول الجيوب والظلال فى حساب المثلثات.

على ان اهم ابتكار لهذا العالم الجهبذ هو فى اختياره الوحدة لكى تكون اساسا لقيمة نصف القطر للدائرة اى أن نق = ١ بدلا من ٦٠ فى النظام الستينى.

كان البابليون يفرضون لنصف القطر ٦٠ وحدة وتبعهم بطليموس القلوذى عالم الاسكندرية الكبير.. اما الهنادكة فكانوا يفرضون له ٢ر٥ وحدة.

معطيات افتراضية ادت بهم الى تعقيد فى جداول الجيــوب والظــلال اما العلم العـربى متمثـلا فى رياضيات البيرونى فقد افترض الوحدة لنصف القطر فسهلت العمليات الحسابية والجداول التى مازالت تسير وفقا لذلك.

العلم العربى علم براق واضح المعالم لاسرية فيه

على أن اعظم تحول فى النظر الى العلوم ما قدمه علماء العـرب من تقسيم العلوم الى حكمـة نظرية تبحث فيـها هو موجــود لا باختبــار الانســان ولا بقـدرتـه.. وحكمـة عمليـة تبحث فيـها هو موجود باختبـار الانســان وقـدرته ـ وهذا يؤدى الى صلاح المعـاش ومنفعـة البشـر.. لقد كان فلاسفة اليونان يتجنبون الاشتغال ـ بالامور والمسائل العملية التى من شأنهـا فى نظـام الطبقتـين ان يختص بها العمال والسـوقـة والـرقيق فاستأثـروا هم بالعلوم النظـريـة والإلهيـة.. وعلوم السياسة.. وتدبير امور الرعية ـ وتركوا الصناعات والحرف وما يتعلق بها من معارف وعلوم لأربابها من افراد الطبقة الدنيا.

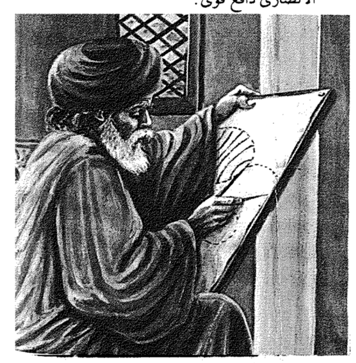
غير ان هذا الوضع لم يلبث ان تعدل فى الاسلام.. فالذين تناولوا النظر بوجه عام فى تقسيم العلوم ادرجوا الصناعات فى جملتها وسموها العلوم العملية وجعلوها قسيمة العلوم النظرية وقالوا: صناعة الطب والفلاحة والصيدنة وما اليها... مدلول لفظ الصناعة لا ما هو عمــل فحسب بل ما يتعلق بكيفيــةعمــل فقيـل للحســاب مثـلا: صناعة وللمنطق صناعة.. ولقد شرفت الصناعات فى تقديرهم حتى صارت جديرة بان يفرد لها اخوان الصفا احدى رسائلهم فى القسم الرياضى.

■ وتتبـين عناية المؤلفين عامة بفائدة العلم ومنفعته والاعتبارات التى اعتبروا بها فى تقديم بعض العلوم على الاخرى من اقوال «التهانوتى» فى كتابه كشاف اصطلاحات الفنون نقلا عن بعض الكتب فيقول:

«شرف الصناعة اما بشرف موضوعها واما بشرف غرضها واما بشدة الحاجة اليها».

■■ ثم تطورت العلوم عند العرب تدريجا الى الناحية التطبيقية: فالانصارى فى كتابه ارشاد المقاصد حيث يبين اقسام العلم ويفصل فروعه ـ يفرع على علم الهندسة عشرة علوم يعرفها بموضوعاتها ويعنى بذكر منـافعها فى الحياة فعلم عقود الابنية مثلا: «منفعته عظيمة فى عمارة المدن والقلاع والمنازل وفى الفلاحة وعلم المسـاحـة منفعته جليلة فى امر الخراج وقسمة الارض وتقدير المساكن وغيرها.

■ وبحـوث البـيرونى فى الاوزان المائية.. وبحوث الـرازى والاسفـرازى والخـازن وغيرهم فى موضوع الميزان واقتنائهم فى هيئات تركيبه واعداده للاغراض المختلفـة كان اليهـا من مثـل المنـافـع التى ذكـرها الانصارى دافع قوى.



■ وفى مقدمة مخطوطة البيرونى (استخراج الاوتار فى الدائرة) يقول عن المنفعة فى علم الهندسة «انها معرفة نسبة الاجناس التى تحت الكمية بعضها الى بعض.. وانها هى التى تتوصل بها لمعرفة مقدار كل ما تحتاج اليه من مزروع ومكيل وموزون ما بين مركز العالم وبين اقصى محسوس عنه».

لقد كان العلم القديم احتكارا على فئة من الناس.. وكان ارستوقراطيا عند فلاسفة الاغريق.. وفى بعض الاحيان يكتب بطرق معقدة ذات رموز واحاجى حتى لا يفهمها الجميع.. فجاء العلماء العرب وجعلوه واضحا يدرسه الدارسون بغير مشقة وها هو ذا ابو بكر الرازى الطبيب الفيلسوف يستهل كتابه «سر الاسرار» فى صناعة الكيمياء بما يلى:

«ان الذى دعانى الى تأليف هذا الكتاب مسألة شاب من تلاميذى من اهل بخارى يقال له محمد بن يونس عالم بالرياضيات والعلوم المنطقية والطبيعية ممن كثرت خدمته لى ووجب حقه عندى فسألنى بعد فراغى من الكتب الاثنى عشر فى الصناعة والرد على الكندى ومحمد بن الليث ومن صناعة الرسائل الملوكية ان اجمع له شيئا من اسرار علم الصناعة ليكون له اماما يقتدى به ودستورا يرجع اليه - فألفت له كتابى هذا.. واتحفته بما لم اتحف به احدا من الامراء والملوك.. وبنيت له من علم الصناعة ما يستغنى به عن جميع كتبى فى هذا المعنى.. وسميته بكتاب سر الاسرار.. فحرام على من وقع كتابنا ان يفسره لمن ليس بنا.. او يطلع العامة على ما فيه.. او فاسقا وسم نفسه باسمنا وادخله فى حملتنا ويزينه بعلمناء.

لقد كان الرازى على حق فى ذلك اذ بمجرد ترجمة كتابه الى اللاتينية استغله المغرضون فيما جاء فيه عن الاكسير للتحايل على البسطاء لتحويل المعادن الخسيسة كالرصاص الى ذهب مما سبب خطورة للمجتمع الاوربى فى عصر النهضة فاضطر البابا جون الثانى عشر الى اصدار قانون عام ١٣١٧م يعاقب كل من يتحايل على البسطاء باقصى العقوبات وتصادر املاكه اذ يعتبر مجرما.

قلنا ان العلم العربى قد تطور تدريجا منذ ان ضمَّن العلماء العرب العلوم النظرية العلوم العملية فى وعاء واحد فأمسي هذا العلم تطبيقا برزت ملامحه فى المناشط التكنولوجية التالية:

(١) المناجم والمركبات الجيولوجية والاحجار الكريمة والاصداف
(٢) الالات والادوات الزراعية.
(٣) تصنيع وتشغيل الذهب والفضة والنحاس والحديد.
(٤) صناعة الجلود والكاغد (الورق).
(٥) صناعة الروائح والعطور والبخور.
(٦) صناعة الغزل والنسيج المصبوغ الكاردينالى.
(٧) صناعة الاثاث.
(٨) الخزف والقيشانى.
(٩) صناعة الزجاج وما يتبعها.
(١٠) صناعة بناء السفن التجارية والحربية.
(١١) الصناعات الكيمياوية (زيت الزاج) وحمض الخليك والكحول والماء الحلّال (حمض النيتريك).
(١٢) الصناعات الحربية كالمنجنيق والبارود والمدافع والسيوف والفولاذ الدمشقى.
(١٣) هندسة المبانى والطرقات والموانىء والقلاع والمنارات.
(١٤) صناعة الالات الهندسية والفلكية كالاسطرلاب وغيرها.

وفي مخطوطة الجلدكي الكيمياوي المصري السوري ١٣٤٢م عن الحديد يصف لنا كيفية صناعة الحديد ومن خاماته أصغر الاهرة فكان العلماء العرب على معرفة بالفن العالي في احد اشكاله البدائية.. وفي كتاب زيد بن علي الحداد الدمشقي وصف مسهب لصناعة فولاذ البوطفة في دمشق ثم السيوف من الترمامن (الحديد الطرى) والروسختغ (مركب النحاس والكبريت) والمرقشيتا (زبد يعلو المعدن عند سبكه) وفي كتاب «المختار من بدائع الزهور في وقائع الدهور «يحدثنا ابن اياس عن التجارب التي كان السلطان قانصوه الغوري يجربها بين (١٥٠٥-١٥١٠م) لتطوير المدافع التي كانت تسبك من البرونز ثم من الحديد.

انحسار للعلم العربي بعد اوج - ثم يقظة

إيه يا تاريخ العلم.! . جوّاب آفاق ترامت سفرتك!!

رافد من روافدك هو تاريخ العلم عند العرب ارشدتنا إليه فسرنا مع ذلك العربي الجاهلي وهو يحمل سيفه وسهامه وقوسه محاربا منذ عهد الفروسية.. سرنا معه في ذلك الاخدود وهو يجتاز المفاوز تارة وينام فوق الحسك تارة اخرى حتى ومض عقله بنور القرآن والسنة والفقه فاتخذ لنفسه منهجا فريدا لم ينهب البلاد التي فتحها ولم يسلبها ليعود الى بيئته الاولى في بيداء الجزيرة كما فعل المغول حينما اغاروا على اواسط آسيا حتى بغداد او شمالاً عبر الفولجا يقتلون وينهبون ثم يعودون الى صحراء جوبي «مرة ثانية» بل مكث غير بعيد ينهل من علوم الاوائل ويترجمها ليهضم معانيها ثم يتمثلها فيعبر عنها باساليب جديدة منذ اوائل العصر العباسي ثم استبق الابواب واستوعب ما كان مغلقا امامه.

قائل مسئول ينادي اتركوا علم الماضي واهجروه فهو دفائن تاريخ وعضوا بالنواجذ فوق علم المستقبل ففيه امل وفيه رخاء..!! انه غافل يريد ان يجتث سنابل الحنطة يحسبها عاقولا فعلم المستقبل سوف يصبح علم الحاضر وعلم الحاضر سوف يرجع الى الوراء ليصبح علم الماضي معلبا في شرائط «الكاسيت» ما كنا نتشدق به من قانون الجاذبية لنيوتن اصبحنا نتندر به امام قانون النسبية لانيشتين وما كنا ندرسه من خرائط للخلية النباتية أو الحيوانية تحت الميكروسكوب الضوئي امسى مضحكا امام الخرائط التي ينسجها الميكروسكوب الالكتروني اليوم.

بالتاريخ وحده نستطيع ان نفهم العلم حق الفهم وان نعرف انه وحدة متماسكة من اسائن متعاقبة هي حصيلة الجهد البشري وأوعيته هي العقل الانساني فان العلم ليس صورة فوتوغرافية آلية لعالم خارجي لا نعرفه ولن نعرفه ابدا في جوهره بل العلم هو صنع عقولنا وما هو الا وسيلة لوصف الواقع وعليه فهو مقيد بحدوث المشاهدات ولا يؤكد شيئا خارج هذه المشاهدات او الحواس.

هذه الاسائن المتعاقبة ما هي الا ضربات في سيمفونية الحياة تقرع دائما وابدا في الزمان الوجودي ولا سبيل الى انكارها وجحود قيمتها.

ما وافي القرن الثالث الهجري الذي عاش فيه الرازي الطبيب حتى التقت تيارات الفكر الاسلامي وتيارات الفكر الاجنبي فظهرت فيه عقليات جديدة عقليات موضوعية امتازت بالنضج والدقة وصفاء التفكير وسيطرة المنطق والميل الى الاستقصاء في البحث واستقلال الرأي.

فقد ترك العلماء العرب الآراء التى وصلت اليهم عن الاشياء الى الاشياء نفسها لقد تركوا التحدث عن كتاب الاصول لاقليدس مثلا الى التحدث فى علم الهندسة نفسها وتركوا التحدث عن فلكيات المجسطى والسند هند الى التحدث والبحث فى علم الفلك نفسه ليكون فلكا اسلاميا بحتا . . لقد تركوا التحدث عن طب ابقراط وجالينوس الى البحث عن طب اسلامى فى مظان اسلامية .

فكان الرازى ينظم الملفات لكل ما قاله الفاضل جالينوس ويترك فراغا كبيرا لكل نوع من الامراض يملؤه بنفسه من مشاهداته الاكلينيكية فى بغداد فتصبح هذه الموسوعة الكبيرة **(الحاوى فى الطب)** المعوّل الرئيس فى جامعات اوربا . بعد ظهور عدة تراجم لاتينية لها منذ عام ١٤٨٦ وعام ١٥٤٢م فى ايطاليا .

بيد أن معظم المفكرين ورجال العلم فى الشرق الاسلامى كانوا من المدن والحواضر البعيدة عن مركز الخلافة امثال الفارابى والرازى وابن سينا والغزالى والبيرونى وابن الهيثم وغيرهم كثيرون فى الرياضيات امثال ويجن رستم القوهى ابو سهل وقوشيار بن لبان الجيلى وابن يونس مؤلف الزيج الحاكمى فى القاهرة .

وفى تصورى ان السبب هو تشجيع امراء وحكام الولايات المستقلة عن جسم الدولة العباسية للعلماء والباحثين وتكريمهم للعلم اما رغبة فى العلم او للمنافسة والمفاخرة وكذلك على ما أعتقد ان توافر الامن وتأمين الاستقرار للباحثين شجع عملية البحث العلمى وادى الى ظهور العدد الكبير من جهابذة رجال العلم خارج نطاق مركز الخلافة فى بغداد او بمعنى آخر بعيدا عن مجال خطوط القوى للحنابلة التى تتنافر هى وكل رأى يخالف مذهبهم .

ويقول المستشرق **«نيكلسون»** لقد كان العلماء العرب فى العصر الاسلامى يقومون برحلات هى اقرب الى الاساطير وان احدهم ليقطع القارات الثلاث وليس له من دابة تحمله سوى قدميه . . ثم يعودون الى اوطانهم كما يعود النحل محملا بالعسل وما ذلك الا ليبحث عن كتاب او يناقش عالما او يحضر على آخر وان احدهم ليعود باحمال من الكتب .

مثل من الامثلة ما يخبرنا به **«البيرونى»** فى كتابه **«الآثار الباقية عن القرون الخالية»** انه اخذ يبحث عن كتاب سر الاسرار لما فى قرابة اربعين عاما فى طول البلاد وعرضها حتى عثر عليه فى خوارزم لكى يدفع عن الرازى تهمة الالحاد فيقول :

«لست اعتقد فيه مخادعة بل انخداعا لما يعتقده هو فيمن نزههم الله عن ذلك» .

وساح البيرونى فى الهند قرابة ثلاثين عاما ليقتبس شيئا من علوم الهند ويسجله فى كتاب **«ما للهند من مقوله»** .

أوج العلم العربى فى المشرق أنتج لنا الكندى والبوزجانى والخازن والبتانى والقوهى والبيرونى وابن سينا والخجندى والنسوى وأبا الجود بن محمد بن الليث وغيرهم .

واوج العلم العربى فى المغرب انتج لنا المجريطى وابن طفيل والادريسى وابن زهر والبطروجى وابى محمد جابر بن افلح وابن رشد وغيرهم .

ويلاحظ ان الكثيرين من العلماء الموسوعيين كانوا يربطون العلم بالفلسفة فهم علماء فلاسفة او فلاسفة علماء . . ومن الذين برزوا فى هذا المضمار فى المشرق الاسلامى على سبيل المثال لا الحصر ما يلى : «ابن سينا فى الدولة السامانية - الفارابى فى الدولة الحمدانية - ابو البركات هبة الله فى الدولة السلجوقية - القطب الشيرازى فى دولة ايلخانات التتار فى القرن الثالث عشر الميلادى وفى المغرب الاسلامى ابن رشد وابن طفيل وغيرهم .

ثم بدأ العلم العربى فى التناقص والهبوط بعد صعود شأنه كشأن أى كائن عضوى. . فتح المغول بغداد عام ١٢٥٨م وجعلوا المدينة التى كانت لامعة مزدهرة من قبل كومة من الخرائب وقضوا على السلطان الاسمى الذى كان للخليفة العباسى ووصل ما اقترفوه من صنوف التخريب والتدمير حتى حدود مصر تقريبا، عند ذلك انطفأت جذوة العلم فى الشرق اذ صاحب انهيار السلطان العربى السياسى، انهيار صرح الفكر والعلم المسمى بالعلم العربى.

وفى القرن الثالث عشر بدأ المغرب الاسلامى يتفكك الى دويلات بعدد ما كان من مدن تجارية أما الدويلات الاسلامية فى الاندلس فقد عجزت عن الدفاع عن نفسها امام الدويلات المسيحية الشمالية الفقيرة مفضلة ان تدفع لها الجزية على تحمل آثار النهب المستمر لغزوات فرسانها واشتد فى الوقت نفسه غزو التجار المسيحيين لدويلات البربر فى شمال افريقيا وكان غزوا عنيدا مستمرا متعدد الاشكال من قطالونيا ومرسيليا وجنوة والبندقية.

وفى عام ١٤٦٠م وصل الكاشفون البرتغال الى مشارف خليج غينيا واقاموا المحطات التجارية هناك واستولوا على مصادر الذهب الافريقى والسودانى ومن هذا التبر سيطروا على شرق افريقيا وتجارة الهند والمحيط الهندى، وانقطع تبر السودان الى الوصول الى شمال افريقيا وعم الكساد الاقتصادى فى الدويلات الاسلامية وساعد على ذلك وصول اولى شحنات الذهب والفضة من امريكا الى اسبانيا ولم تلبث اشبيلية ان اصبح لها اهمية ضخمة بقدر ما تناقص نفوذ العرب والعلم العربى.

يقول ابن خلدون فى مقدمته ـ وكلامه يخلو من دور التحول فى الميزان التجارى والمالى لمصلحة الاسبان والبرتغال ولكنه يطرقه ضمنا:

«وأما العقليات فلا اثر ولا عين وما ذاك الا لانقطاع سند التعليم فيها بتناقص العمران وتغلب العدو على عامتها الا قليلا بسيف البحر. . شغلهم بمعايشهم اكثر من شغلهم بها بعدها والله غالب على امره. . واما المشرق فلم ينقطع سند التعليم فيه بل اسواقه نافقة وبحوره زاخرة لاتصال العمران الموفور واتصال السندفيه وان كانت الامصار العظيمة التى كانت معادن العلم قد خربت مثل بغداد والبصرة والكوفة الا أن الله تعالى قد ادال منها بامصار اعظم من تلك وانتقل العلم منها الى عراق العجم بخراسان وما وراء النهر من المشرق ثم الى القاهرة وما اليها من المغرب».

لقد ثأر الاسلام لنفسه بعد سقوط الاندلس على ايدى الفرنجة عام ١٤٩٢م حيث طرد آخر مسلم من جزيرة الاندلس فكان ان تأسست دولة جديدة فى السودان عام ١٥٠٥م عندما تلاقى عمارة دونقس زعيم (الفونج) وعبد الله جماع زعيم العرب القواسمة لاسقاط دولة الفنج فى سوبا وتم تشكيل مجموعة بشرية متحدة متجانسة انصهر فيها العنصر العربى بالعنصر السودانى الافريقى فى بوتقة الحضارة الاسلامية فكانت بعدا استراتيجيا لمصر.

ومن قبل استمر العثمانيون يثأرون لغزوات الفرنجة وذلك بالاستيلاء على القسطنطينية عام ١٤٥٣م ثم انتطارات متعاقبة احرزها سليمان الثانى الكبير (١٥٢٠-١٥٦٦م) وكان العلم العربى ومؤلفات نصير الدين الطوسى تدرس فى غاليولى والكليات الحربية فى الاناضول ويقوم بالتدريس فيها «مسيوم جلبى» الرياضى الشهير الذى تعلم فى سمرقند.

ومن قبل ازدهرت العلوم العربية فى سمرقند وترمذ وبخارى وفرغانة كما سبق ان اشرنا اليها فى الدولة التيمورية.

واستولى العثمانيون على مقاليد الامور فى سوريا ومصر بقيادة السلطان سليم الثانى عام ١٥١٧م.

وانحسر المد للعلم العربى بعد ان ضمر واكتفى باجترار العلم الماضى . . ولكن . . بقى علم الفلك ناميا متدفقا فى دمشق والقاهرة واليمن يسير جنبا الى جنب مع علم الميقات .

●● وابرز العلماء فى سوريا هو «**ابن السراج**» وهو من علماء القرن الرابع عشر ثم يأتى بعده «**ابن الشاطر**» وقد ظهرت له بعض المخطوطات التى نشرت فى معهد التراث بجامعة حلب ١٩٧٦م وكان ابن الشاطر مدرسا للفلك للشيخ جمال الدين الماردينى الكبير الذى توفى عام ١٤٠٦م والماردينى كان بدوره مدرسا للعالم الفلكى المصرى ابن المجدى (توفى عام ١٤٤٧م) .

واشتغل الماردينى بالمواقيت بالقاهرة وكثيرا ما يختلط اسمه مع اسم حفيده الشهير سبط الماردينى الذى عاش من عام ١٤٢٣م الى عام ١٤٩٥م .

ويقول عنه المؤرخ السخاوى : ان اسمه مشتق من مسجد الماردينى بالقاهرة ومن اهم مؤلفاته وبحوثه الآله المسماة بربع الشكازية التى لم يذكرها كل من سوتر وبركلمان وربع الشكازية ربع دائرة تحيط به قوس هى دائرة نصف النهار وخطان مستقيمان يلتقيان على زاوية قائمة احدهما مدار الاستواء والآخر افق الاستواء وقطع الدوائر التى فى سطح الربع مجتمعة على نقطة من الممرات . . الخ ومخطوط الماردينى محفوظ بالمكتبة الظاهرية بدمشق .

وعلم الميقات هو علم تحديد الزمن من خلال ارتفاعات الشمس نهارا وحركة الكواكب ليلا ، كما انه يهتم بتوقيت الصلاة وكان يدرس بالجامع الازهر قديما .

●● ومن علماء الفلك اليمنيين العالم «**محمد بن ابى بكر الفارسى**» (١٢٦٠م) وله الزيج المظفرى وهو محتسب على خط عن مدينة صنعاء .

ثم العالم «**محمد بن احمد**» الشهير بأبى العقول وكان يعمل لدى السلطان المؤيد داود بن يوسف فى اواخر القرن السابع الهجرى (١٣٠٠م) وله زيج المختار وهو اكبر بكثير من الزيج المظفرى بل له اهمية خاصة لتاريخ علم الفلك نظرا لاحتوائه على الكثير مما جاء فى زيج مصرى يسمى بالزيج الحاكمى من وضع الفلكى الفاطمى ابن يونس المصرى وقد امكن استخدام زيج المختار لاستعادة المفقود من الزيج الفاطمى .

ولابى العقول جداول تتضمن ما يزيد على مائتى صفحة مملوءة تحتوى على حوالى ٨٠٫٠٠٠ قيد وهذه الجداول الميقاتية تدل على قدر كبير من استغلال الفكر ونظرا لاهمية هذا العالم الفلكى فقد تولت مؤسسة سمثونيان تقديم اسم هذا العالم الى اللجنة التابعة للاتحاد الفلكى الدولى المختصة باعطاء التسميات لتضاريس سطح القمر للجانب غير المرئى منه منذ سنوات قليلة .

وقد ضمن ابو العقول جداوله الميقاتية بعض المعلومات عن فصول السنة والفصول الزراعية وقد استخرج هذه المعلومات ودونها فى رسالة مستقلة اسماها «**اليواقيت فى المواقيت**» وهى حتى الان فى عدة مخطوطات له .

وهناك مؤلَّف آخر يشتمل على مجموعة اخرى من الجداول لتوقيت الصلاة عند خط عرض اليمن من وضع محمد بن عبد اللطيف الثابتى وهو سورى الاصل وكان من اهالى زبيد فى منتصف القرن الحادى عشر الهجرى (١٦٤٠م) ويستخدم اهالى حضرموت حتى الآن التقويم المسمى بالحساب الشبامى المقتبس من الثابتى . .

■ ترى هل يعود علم الفلك الاسلامى لسابق مجده فى الجامعة الازهرية كما كان فى الماضى او فى ثوب جديد لحمته وسداه التقاليد الموروثة مع شمول فى الانطلاقات الجديدة؟ ان غدا لناظره قريب .

مظاهر الحضارة المعمارية في شعر

د. عثمان عثمان إسماعيل
عضو اتحاد المؤرخين العرب
أستاذ التاريخ والآثار بجامعة محمد الخامس

خاتمة في تقييم استجابة ابن زيدون لأهم مميزات عصره.

اتفقنا بادىء ذى بدء على أهم مميزات عصر ابن زيدون الحضارية معتمدين فى ذلك على ما رواه التاريخ وما تشهد به الآثار التى تخلفت واتفاق الفكر الأندلسى مع هذا وذاك :

بأربع فاقت الأمصار قرطبةٌ
منهن قنطرة الوادى وجامعها
هاتان ثنتان والزهراء ثالثة
والعلم أعظم شىء وهو رابعها

وهكذا تمثلت مميزات عصره الحضارية فيما شيد هناك من عمائر وما اشتملت عليه القصور من نفائس وصناعات تعكس جميعها صورة الفكر والعلم والثقافة للمجتمع الذى أبدع تلك الروائع. وقد كان ذكر تلك المعالم والابداعات ووصفها يشغل بال بعض الباحثين الذين أصيبوا بخيبة أمل شديدة عندما واجهوا ذلك السؤال الضخم: ما هو حظ تلك الجوانب من شعر ابن زيدون؟ . . لقد رأى بعضهم أن السفر الجليل الذى خلفه الشاعر الكبير لا يضم سوى قطعة واحدة قيلت على سبيل الاستقلال بفن الوصف(١). وقد تبين لنا من العرض السابق أن دراسة فن الوصف وخاصة ما يتعلق بالفنون والآثار كان بحاجة الى متخصص يكشف عن حقيقة جوانبه المخبوءة فى ثنايا جواهره الشعرية. . وقد كان لتبيان حظ العمارة والفنون فى شعر ابن زيدون على النحو الذى مر بنا نصيب فى إعادة رفع الرجل إلى مكانه المرموق.

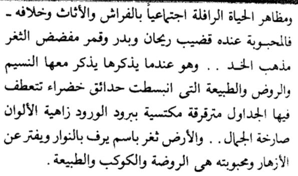
وعلى الرغم من محاولاتنا لإنصاف الرجل: فهل كان هذا القدر الذى نقبنا عنه فى جنبات ديوانه الكبير يتناسب مع إمكانيات ابن زيدون كرجل دولة وأديب وشاعر ووزير وسفير استقى إلهامات شعره من نبع البيئة الأندلسية ذاتها وغذت روافدها المترعة ومباهج حضارتها المشعة مقومات فكره وثقافته. . لقد كان الشاعر الأصيل ولا يزال عينا متغلغلة فى أعماق الكون. . نافذة على قرارة الحياة. . (شاملة للكليات ملمّة بالجزئيات. . إن وقفت على شىء انسلخ عن أصوله ليستقر على القرطاس لوحات تمثل الحقائق بصور متعددة الألوان متباينة الأوضاع. كما تنقله أحاسيس الحاضر الى أحاسيس الماضى وتتجاوز ذلك إلى أحاسيس الآخرين فى كل قطر وعصر تبعا لنوعية ثقافته)(٢) ولهذا فقد بتنا نعتقد أن القدر الذى أمطنا عنه اللثام من ديوان ابن زيدون كما وصل الينا لا يكاد يشفى الغليل وعلى الخصوص بالنسبة لدارسى الحضارة المتخصصين فى العمارة والفن(٣) المجلّين لقدر الشعر وفضل الشعراء على بحوثهم ودراساتهم.

فلننظر مثلا فى أبيات كتبها ابن زيدون فى السجن ونقارن ذلك بوصف الشاعر ابن عمار لسجن شقورة الذى سبق أن أوردناه فى عرض الشعر الأندلسى المتعلق بوصف الآثار. يقول ابن زيدون.

أفـصبر مئين خمساً من الأيام
ناهيك من عذاب أليم(٤)

وإذا كان الغزل من أبرز موضوعات شعره لكنه لم يشمل إلا نادراً وصف المحبوب من حيث اللباس وأدوات الزينة





ومظاهر الحياة الرافلة اجتماعياً بالفراش والأثاث وخلافه - فالمحبوبة عنده قضيب ريحان وبدر وقمر مفضض الثغر مذهب الخد . . وهو عندما يذكرها يذكر معها النسيم والروض والطبيعة التى انبسطت حدائق خضراء تتعطف فيها الجداول مترقرقة مكتسية ببرود الورود زاهية الألوان صارخة الجمال . . والأرض ثغر باسم يرف بالنوار ويفتر عن الأزهار ومحبوبته هى الروضة والكوكب والطبيعة .

وها هو ابن زيدون عندما يذكرها بالزهراء تحفة الحضارة المعمارية والفنية الفريدة بالأندلس يذكر معها فقط الأفق الطلق ومرأى الأرض واعتلال النسيم والروض والزهر والندى وكأن ذلك فقط كل ما تبقى فى باطنه من ذكريات مدينة الزهراء .

إنى ذكـرتـك بالـزهـراء مشتـاقـا
والأفق طلق ومـرأى الأرض قد راقـا .

ثم نراه عندما يستلهم ذكرياته عن الزهراء يتغنى برقة الأنفاس والخمائل والرياح البلائل دون وصف دقائق العمارة وفنون الحياة التى بهرت العالم قروناً طويلة .

ويـا حبـذا الـزهـراء بهجـة منظـر
ورقـة أنـفـاس وصـحـة جوهـر

وفى المقطع الأخير يقول :

كساهـا الـربيع الطلق وشى الخمائل
وراحت لها مرضى الـريـاح البلائل

وعلى الرغم من كل هذا فقد دفعتنى قواعد النقد ونزاهة الحكم أن أفكر بعقليته هو التى كانت نتاج ظروف المكان الطبيعية وظروف الزمان السياسية وأن أخضع ذاتى لظروف حياته النفسية .

وقـد ذكرت فى مستهل هذا البحث أن العظيم كيفما كان وجه عظمته لا يكون عظيماً إذا عاش لنفسه فقط . . وأن الشاعر الفحل لا يكون كذلك إن هو اقتصـر على تصـويـر نفسـه ورغـائبـه دون تصوير المجتمع والعصر .

وإذا كان قد خيل إلينا أن شاعر الطبيعة والمرأة بالأندلس أحمد بن عبد الله بن غالب بن زيدون قد أمضى حياته منتشياً بالحب وصبابة الكأس والوتر على رقصات الحريم وأغاريد القيان قانعاً من حياته بالمتعة الشخصية دون رسالة يتركها للخلف يضمنها حالة العمران ومستوى الحضارة الفنية مما خالطه بالقصور وعاينه فى السفارات وأنه اقتصر على حبه للمرأة والطبيعة دون المجتمع المعاصر والأجيال القادمة فلا زالت أمامنا حقائق لابد من الافصاح عنها .

●● وأول تلك الحقائق أن الشاعر أحب منذ صباه الأديبة الشاعرة ولادة ابنة الخليفة الأموى محمد بن عبد الرحمن الملقب بالمستكفى بالله وصدح الشاعر بترانيم الهوى تعطر رياض قرطبة وتشمل العالم القريب والبعيد . . وعلى الرغم من نجاح منافسه الآخر(*) أبو عامر بن عبدوس وزير أبى الحزم بن جَهْور فى نهاية الأمر بالاستحواذ على المحبوبة لتعيش فى كنفه وحماه فقد ظل وفاء ابن زيدون لحبه الرومانطيقى مضرب الأمثال بعد أن أعطى نفسه بسخاء الى ذلك الحب :

أخـذتُ ثُلثَ الهـوى غضبـاً ولـى ثُلثُ
ولـلمـحـبـين فـيـما بيـنهـم ثُلثُ(٦)

تالله لو حلف العشاق أنهمو
موتى من الوجد يوم البين ما حنثوا
قوم إذا هُجروا من بعد ما وُصلوا
ماتوا فان عاد مَنْ يهوونه بعثوا
ترى المحبين صرعى فى عراصهم
كفتية الكهف ما يدرون ما لبثوا

■ وأكثر من ذلك أن حبه لولادة وحبه للطبيعة قد ملكا عليه فؤاده فأحب الطبيعة ممتزجة بذكريات هواه فشغف بحبيبته بين مجالات الطبيعة الباسمة كقوله :

ويا ربَّ ملهى بالعقيق ومجلس
لدى ترعةٍ ترنو بأحداق نرجس
بطاح هواء مُطْمِعِ الحالِ مؤيس

وقوله كذلك :
إنى ذكرتك بالزهراء مشتاقا
والأفق طلق ومرأى الأرض قد راقا
وللنسيم اعتلال فى أصائله
كأنه رق لى فاعتل إشفاقا

ومنها :
نلهو بما يستميل العين من زهر
جال الندى فيه حتى مال أعناقا

وقوله فى محبوبته :
يا روضة طالما أجنت لواحظنا
ورداً جلاه الصبا غضاً ونسرينا(٧)

وفى رأينا الخاص ان الشاعر متفتح البصيرة صادق الفراسة رقيق الاحساس، كان يشعر حتما بحقيقة المصائر الجبرية لمجتمعات الأندلس الاسلامية فى ذلك الوقت وأنها لن تحتل مكاناً مرضيا فى تاريخ النضال الاسلامى فتحول عن حبها الى عشيقته وإلى الطبيعة . . وسجل أحاسيسه نحو هذا الحب . . وقاوم طبيعة الشاعر فى صدق التعبير عن المجتمع بالقدر الذى سمح له بإعطاء الصور التى عرضناها من شعره .

وثانى تلك الحقائق : أنه ربما لفرط إعجابه بالايقاع المعجز لقدرة الخالق فى جمال المحبوبة وروعة الطبيعة أغناه عن النظر فى صنع الانسان الذى لم يكن فى قرارة نفسه يحمل له التقدير والاجلال على ضوء فوضى الأحوال السياسية .

كما نرى كذلك أن ابن زيدون لم يكن مصطنعا لعلم التاريخ كغيره من الشعراء المؤرخين كلسان الدين بن الخطيب على سبيل المثال على الرغم من اشتراكه الفعلى فى صنع التاريخ ووزنه وثقله فى كفة الأحداث السياسية .

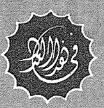
وآخر تلك الحقائق : وأجلها خطراً : أن ابن زيدون يمكن النظر إليه من جهة أخرى على أنه بحياته الخاصة قد رسم لنا صورة صادقة عن حياة العصر . . فقد كان كل عظيم خطير الشأن فى ذلك العصر بما فى ذلك القادة والملوك . . يعيش لنفسه أولا ولنفسه أخيرا . . الأمر الذى أدى إلى ضياع ملك الاسلام بالأندلس واعتلال المريض خلف المضيق بداء عضال فلم تكن محاولات المرابطين والموحدين من بعدهم سوى جرعات مسكنة أمدت فقط فى حياة المريض دون أن ترد إليه أنفاسه الحقيقية لاستمرار الاسلام فى إسبانيا التى أصبحت الشذوذ البارز عن القاعدة التاريخية التى تسجل دوام استقرار الاسلام حيثما انتشر فى أراضى الله الفسيحة فيما عدا الأندلس . . وهذا هو الشعر الذى يصور حالة ملوك الطوائف التى عاشوها :

مما يزهدنى فى أرض أندلس
أسماء معتضد فيها ومعتمد(٨)
ألقاب مملكة فى غير موضعها
كالهر يحكى انتفاخا صورة الأسد

(١) ديوان ابن زيدون نفس الطبعة ـ الدراسة التفصيلية بقلم نديم مرعشلى ص٩٨.
(٢) ديوان ابن زيدون ـ نفس الطبعة ـ دراسة نديم مرعشلى ص٩٧
(٣) اذا كان من المحمود احياء ذكرى الرجال وتقييم الأحداث والمواقف فان احياء الذكرى لا يفى بالقصد المنشود اذا اقتصرت على دق الطبول وضرب الأكف مع غض النظر عن التقييم الحقيقى للشخصية وبحث جوانبها المختلفة للوقوف على النقص وعلاجه وتبيانا لقدرة المجتمع العربى المعاصر على دقة الفحص وسلامة التقييم ليكون فى ذلك العبرة الحسنة للجيل الحاضر.
(٤) نفس الديوان والدراسة ص٦٤ بالقسم الأول وصفحة ١٩٦ بالقسم الثانى.
(٥) وكان سبب القطيعة بين ولادة وابن زيدون افصاحه فى شعره عن هيامه بها وفضح سرها معه وافتضاح هواه السياسى وتنسم ميله الى البيت الأموى ومحاولة إعادة سلطانه، الأمر الذى دفع به الى السجن ودفع بها الى الاحتماء برجل خطير المكانة مثل ابن عبدوس.
(٦) ديوان ابن زيدون ص٢٢٦.
(٧) نفس الديوان ص٩٤ من القسم الأول.
(٨) راجع ذلك فى أعمال الاعلام شعرا ونثرا ص١٤٤.



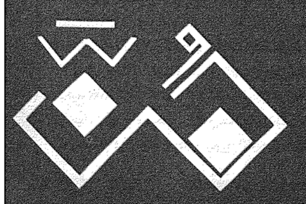


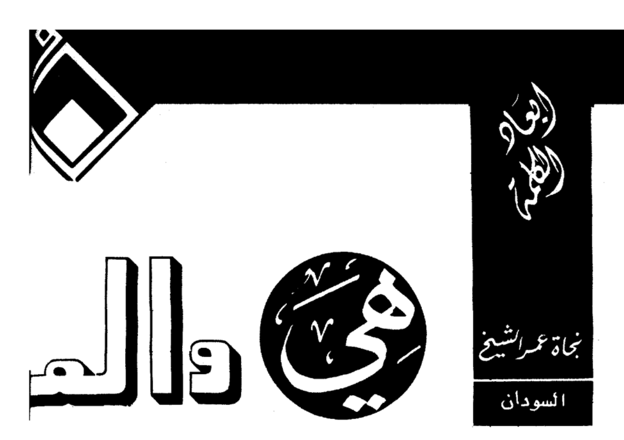


النساء .. شقائق الرجال

الاشراف

د. ابتسام صادق — الرياض
حياة عبد الحميد عشير — جدة





المرأة فى التصور الاسلامى ليست كمّاً مهملا ولا مجهولة الهوية ولا ينبغى لها أن تكـون كذلـك.. وإذا كانت كل النظم المتعـاقبة عبر العصور قديمها وحديثها لم تجد المرأة فيها شخصيتها المتَّزنة حسب مقوماتها الطبيعية وكلها ظلت تتأرجح بها بين دفتى الافراط والتفريط فى حقـوقهـا ومتطلبـاتها وحريتها وانسانيتها وقيمها فإن الاسلام قد سلك بها طريقاً وسطاً لا إفراط فيه ولا تفـريـط كعضـو فى مجتمع إنسانى يقيم للقيم وزنها ويعمل على بناء حياة نظيفة طاهرة مطهرة.. بعيدة عن شوائب انحـدارات الغـريـزة الهـوجاء والشهوة العميـاء التى تحطم كلَّ قيمـة وتنسف كلَّ فضيلة وتجعـل الحيـاة طبقات متراكمة من تشوّهات الخُلق الانسانى وتخرصات نواعق الضلال والهوى..

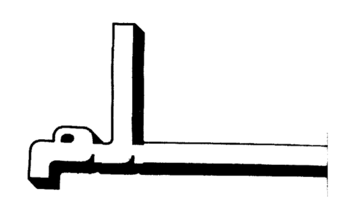
والمرأة فى التصور الاسلامى كائن إنسانى يتمتع بكل معطيـاتـه الانسـانية والحضارية القائمة على عمد الخير والحق النابضة بمعانى الجمال فى المعتقد والسلوك، والفهم والادراك، والطبع والتطبع.. ومن هذا المنطلق الانسانىّ الـرفيع يحدد الاسلام للمرأة منهجها فى حياتها ويبيّن لها طريقها.. وهى كغيرها لها حقوق وعليها واجبات.. هى عضو فاعل فى الحياة له دوره ودوره الايجابى الفاعل..

﴿والمؤمنـون والمؤمنـاتُ بعضهم أوليـاء بعضٍ يأمرون بالمعـروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسولَه أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيزٌ حكيم﴾.. ﴿.. فاستجاب لهم ربُّهم إنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض﴾.. ﴿ومَنْ يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا﴾.

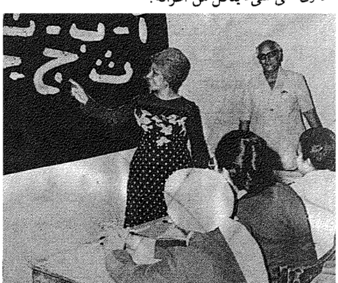
هـذا هو المنهج واضـح المعـالم بيِّن القسـمات محدّد السـمات (بـعـضـكـم من بعض) الحيـاة بينهم (الرجال.. والنساء) مسؤولية مشتركة لكل دوره فى بنائها وإقامة صرحها على قواعد من الايمان الخالص ومن غير أن يتعدى أحدهم على دور الآخر أو يميت فيه خصائص تفرده التى خُلِقَ عليها أو يُعيقه بعوائق تنسف عطاءه أو على أقل تقدير تخرجه عن السَّواء..

ومعلوم أن من يتحمل مسؤولية يلزمه الالمام بأطرافها وقـواعـدها والوسائل الكفيلة لتحقيقها وأدائها على أحسن الـوجوه.. وهذا الالمام لا يكون الا عن طريق العلم والمعـرفة فكـل شىء من غير علم خواء وكل شيىء من غير إدراك حطام لا محالة..





ينطوى النصور الاسلامى على المرأة ـ كما على الرجل ـ أن تكون على درجة من العلم يفى بالواجب فى أدنى مراتبه (على أقل تقدير) ومالا يقوم الواجب إلا به فهو واجب وبنص الحديث النبوى الشريف «طلب العلم فريضة على كل مسلم» والمسلم يجمعهما معاً (الرجل والمرأة) وهذا الحد الواجب هو ما يقيم الايمان على بصيرة ويؤدى تعاليم الشرع على هدى. . حتى لا تجرفها تيارات جاهلة هوجاء يموج بها بحر الحياة. . وإذا ما خَلُصَ الايمان والمعتقد جاء كل شيىء تبعاً له. . والفارق كبير بين إيمان قام على علم ومعرفة فهو ينمو ويزداد وتزهو به الحياة وتزدهر. . وبين إيمان قام على جهل وتقليد فهو هش لا يقوى على شىء يتآكل من اطرافه.



وبهذا الادراك الواعى القائم على العلم والمعرفة تستطيع المرأة التصرف بحكمة تجاه مسؤوليتها بل وتصنيفها حسب أهميتها وأولويتها الى أهم ومهم ثم تتحرك فى هذا الاطار المحدد الواعى. . (مسؤوليتها فى بيتها تجاه زوجها وأطفالها. . مسؤوليتها تجاه مجتمعها الصغير والكبير. . . . الخ). . (مسؤوليتها العلمية ـ الفكرية ـ الخلقية . . . الخ) كل هذه امانات فى عنق المرأة لها أولويتها ومتعلقاتها وتتصرف حيالها باعتبارها أداة إنسانية فاعلة واعية. .

ولا أحسبنى بحاجة الى تأكيد دعوة الاسلام للعلم وحرصه عليه (للجنسين الذكر والأنثى على السواء) إذ هما معاً على اكفهما ترتفع رايات التقدم الحضارى. . هما معاً شريكا درب ومسيرة (بعضكم من بعض) وضمن هذا العمل المشترك لبناء المجتمع كل يجد نصيبه من الجزاء والمثوبة ﴿**إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً**﴾.

وإذا ما تصفحنا سور القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وكتب السيرة والتاريخ الاسلامى يشدنا هذا الكم الهائل منها الداعى للتعلم والتفكر والتبحر لاستخراج ما يحقق خلافة الانسان واستعماره الارض وبناء حضاراته وتسيير حياته. . ﴿**هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون**﴾. . ﴿**ويرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم منكم درجات**﴾. . ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾. ﴿**فلينظر الانسان مما خلق**﴾. . ﴿**أو لم يرو الى الطير فوقهم صافات ويقبضن**﴾. . ﴿**وفى أنفسكم أفلا تبصرون**﴾. . ﴿**أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون**﴾. . الخ.

ولا حصر. . دعوة صريحة للنظر والملاحظة والرصد والدراسة والاستنتاج لاستخراج ما تنمو به الحياة وتزدهر. .

وكتب السيرة تسجل وتؤكد دور المرأة فى الحياة العلمية والأدبية والفكرية على مدار أزمنة التاريخ الاسلامى . . حيث كان النسـاء يتـزاحمن على مجالس العلم بين يدى رسـول الله ﴿ﷺ﴾ وكن يتمتعن بحـريـة الـرأى . . فى الحـديث ان امـرأة جاءت للرسول ﴿ﷺ﴾ فقالت : (يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتى إليك فيه تعلمنا مما علمك الله) فكان لهن ما طلبن .

وأم المؤمنين السيدة عائشة الصديقة عليها رضوان الله تعالى خير قدوة ومثال . . قال عروة بن الزبير (ما رأيـت امـرأة أعـلم بطب ولا فقـه ولا شعـر من عائشة) . . وروى عن أبى موسى الأشعـرى (مـا أشكل علينا أصحاب رسول الله حديث قط فسألنا عائشة الا وجدنا عندها منه علم) .

وهذا الصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف نراه فى شأن تحديد الخليفة الجديد بعد وفاة عمر رضى الله عنه يستشير فضليات النساء لما يعلمه فيهن من علم وحكمة وحسن رأى . . يقول : «والله ما تركت ذا رأى من الرجال ولا صاحبة فضل من النساء إلا أخذت رأيـه وأخـذت رأيهـا» وهـذا تأكيد لدورها ومكانتها وتمتعها بحقوقها التى كفلها لها الاسلام . . وما كانت المرأة تصل درجة أن تستشار ويؤخذ رايها فى مثل هذه المسـائـل الـدقيقـة والحساسة لولا ما نالته من علم ومعرفة وما عرفت به من حكمة ورصانة رأى .

يروى عن أم الـدرداء الفقيهة الزاهدة حرصها على العلم وتفضيله على كل ما سواه إذ تقول : (لقد طلبت العبادة فى كل شيىء فما أصبت لنفسى شيئاً أشفى من مجالسـة العلماء ومـذاكـرتهم) وقد وصفها الامام النووى بالفقه والعقل والفهم . .

والتاريخ الاسلامى يسجل كثيرا ممن برعن ونبغن فى كثير من العلوم والآداب والفقه وكان لهن دورهن فى تنمية الحياة . . وإن كنا نسوق هذا الحديث فالأمر لا يعدو أن نسجل مجرد نماذج وأمثلة لحقائق علمية حية عاشتها المرأة المسلمة وأعطت فيها عطاء خيّرا منطلقة من مسؤوليتها فى الحياة .



الأندلس . . بلد الحسن والجمال والماء والظـلال . . الفـردوس المفقود . . كم هام الشعراء بجمالها وحسنها . . من منا لم يطرب الى ابن خفاجة عندما شدا :

يا أهـلَ أنـدلسٍ لله دركـم
ماء وظـلّ وأنهـار وأشجـار

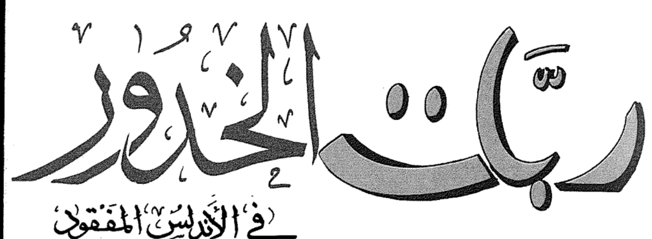
وقد افتتن ابن خفاجة بجمال الأندلس وسحرها الذى يأخـذ بمجـامع القلوب والأفئدة حتى سُمِّى شاعر الطبيعة الأكبر وهو القائل :

إنَّ للجـنَّـة بالأنـدلس
مجتـلى حسـن وريَّـا نفس
فسـنـا صبحهـا من شنب
ودجـى ليلتـهـا من لعس
وإذا ما هبَّت الـريـحُ صبـاً
صحتُ وا شوقى الى الأندلس

وهل ننسى أيامَ الوصل بالأندلس حيث قال الشاعر :

جادك الغيثُ إذا الغيثُ همى
يا زمـان الـوصـل بالأندلس





ربات الخدور
في الأندلس المفقود

لم يكـن وصـلك إلاّ حُلماً
في الكرى أو خِلسةَ المخْتَلِسِ

وكم أنبتت تلك الطبيعـة الجميلة من فحـول الشعـراء فى عصـرهم كالمعتمـد بن عبـاد . . وابن خفاجة . . وابن زيدون . . وغيرهم .

أما ربَّات الخدور من الاندلسيات فقد عُرِفْنَ برقة العاطفة ورهافة الحس وصفاء الذهن . . أما قرائحهن إذا فاضت بالمشاعر والأحاسيس فإنهن ينظمن أجمل الكلمات وأعذب الألفاظ وأرق المعانى ـ كيف لا وقد تربين فى أحضان الطبيعة الخضراء فى مغانى الأنس والوصال حيث الرياض والجنان التى تفتر عن ثغرها البسام والسواقى والغدران التى تنساب بأعذب الماء وأرق الهـواء . . ومن هؤلاء الأنـدلسيات من تغزلن بأنفسهن وتباهين بحسنهن وجمالهن فمنهن :

محمد الخالد عبد الحفيظ علوان
المدينة المنورة

حفصة بنت الحاج الركونية الأندلسية :

شاعـرة انفـردت فى عصـرهـا بالتفـوق والأدب والظرف والحسن وسرعة الخاطر بالشعر . . قال ابن دحية : حفصة من أشراف غرناطة رخيمة الشِّعر رقيقة النظم والنثر . . كما نعتها ابن بشكول بأستاذة وقتها وكانت تعلم النساء فى دار المنصور أمير المؤمنين بن على ولهـا معـه أخبار وكانت وفاتها فى مراكش سنة ٥٨٦هـ ومن شعرها ما كتبته إلى فتى اشتهرت به :

أزورُكَ أم تزورُ فإنَّ قلبـى
إلـى ما تشـتـهـى أبـدأ يمـيـلُ
فثـغـرى مورد عذبٌ زلال
وفـرعُ ذؤابـتـى ظلٌّ ظليـلُ
وهـلْ تخشـى بأن تَظمَـى وتَـضْـحَـى
إذا وافى إلـيـك بِىَ المـقِـيْـلُ

ومن شعـرهـا وقـد أرسلته الى الأمير أبى جعفر بن سعيد فى مجلسه كأنها تستأذنه بالدخول :

زائـرٌ قد أتـى بجـيـدِ غزالِ
طامـع من محبّـه بالـوصـال
بلحـاظٍ من سحـر بابـل صيـغـتْ
ورضـاب يفـوقُ بنـت الـدوالـى



وقد سمح لها بالدخول عليه فى وقت لم يكن وقت زيارة وشفع لها فى ذلك حسنها وأدبها وغرامه بها.

قسمونة بنت اسماعيل: شاعرة من الأندلس كانت تتغزل بنفسها وتذكر محاسنها مع مسحة من الحزن والأسى فقد نظرت فى المرآة فرأت جمالها وقد بلغت أوان التزوج ولم تتزوج فقالت:

أرى روضةً قد حان منها قطافها
ولست أرى جانٍ يمد لها يدا
فوا أسفى يمضى الشباب مضيّعاً
ويبقى الذى ما إن أسميه مفردا

فسمعها أبوها فنظر فى تزويجها.

وقالت فى ظبية عندها:

يا ظبية ترعى بروضٍ دائم
إنى حكيتك فى التوحش والحور
أمسى كلانا مفرداً عن صاحب
فلنصطبر أبدا على حكم القدر

وهناك نساء قلن الغزل فى بنات جنسهن وهذا نادر فى شعر ربات الخدور منهن:

حمدة بنت زياد. ويقال حمدونة بنت زياد العوفى من قرية بادى من أعمال وادى آش بالأندلس.. كان أبوها مؤدباً وكانت أديبة نبيلة شاعرة ذات جمال ومال مع العفاف والصون إلا أن حب الأدب كان يحملها على مخالطة اهله مع نزاهة موثوق بها - وكانت تلقب بخنساء المغرب.

وشاعرة الأندلس وقد خرجت متنزهة بالرملة من نواحى وادى آش فرأت ذات وجه وسيم أعجبها فقالت:

أباح الدمعُ أسرارى بوادى
له للحسن آثارٌ بوادى
فمن نهر يطوف بكل أرضٍ
ومن روضٍ يطوف بكل وادى
ومن بين الظباء مهاة إنس
سبتْ لبِّى وقد ملكتْ فؤادى
لها لحظٌ ترقده لأمر
وذاك الأمرُ يمنعنى رقادى

■ أما من قلن الغزل والنسيب فى الحبيب من نساء الأندلس فهن عديدات أشهرهن:

أمة العزيز: قال الحافظ أبو الخطاب ابن دحية فى كتاب (المطرب من أشعار المغرب» أنشدتنى أخت جدى الشريفة الفاضلة أمة العزيز الشريفة الحسينية لنفسها:

لحاظكم تجرحنا فى الحشا
ولحظنا يجرحكم فى الخدود
جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا
فما الذى أوجب جرح الصدود

حفصة بنت حمدون: شاعرة أديبة من شواعر وأديبات وادى الحجارة بالأندلس فى القرن الرابع للهجرة.. كثر اختراعها للمعانى وإبداعها فى نظم الشعر فمن شعرها:

لى حبيبٌ لا ينثنى لعتابٍ
وإذا ما تركته زاد تيها
قال لى هل رأيتِ لى من شبيهٍ
قلت أيضاً وهل ترى لى شبيها

وقالت أيضاً:

يا وحشتى لأحبتى
يا وحشة متمادية

يا ليلة ودَّعْتُهم
يا ليلة هى ما هية

زينب بنت فروة المرية: أديبة شاعرة من شواعر الأندلس قالت فى ابن عم لها يقال له المغيرة:

يا أيها الراكب الغادى لطيَّته
عرّج أنبِّئك عن بعض الذى أجدُ
ما عالجَ الناسُ من وجد تضمَّنهم
إلا ووجدى بهم فوق الذى وجدوا

العبادية جارية المعتضد بن عباد: أديبة ظريفة كاتبة شاعرة ذاكرة للكثير من اللغة.. وسهر عباد ليلة لأمر حزبه وهى نائمة فقال:

تنام ومُدْنِفُها يسهر
وتصبر عنه ولا يصبر

فأجابته بديهة بقولها:

لئن دام هذا وهذا له
سيهلك وجداً ولا يشعر

أم العلاء بنت يوسف الحجارية: شاعرة من شواعر الأندلس فى القرن الخامس للهجرة قالت:

كل ما يصدر منكم حسن
وبعلياكم تحلَّى الزمن
تعطف العين على منظركم
وبذكراكم تلذ الأعين

وعشقها رجل أشيب فكتبت إليه:

الشيب لا يخدع فيه الصبى
بحيلة فاسمع الى نصحى

غاية المنى: متأدبة أندلسية كانت تقول الشعر وتحسن المحاضرة: قال ابن الأبار حملت الى الأستاذ ابن الفراء الخطيب ليختبرها وكان كفيفاً فلما وصلته قال: ما اسمك؟ فقالت غاية المنى فقال: أجيزى:

سل هوى غاية المنى
من كسا جسمها الضنا

فقالت تجيزه:

وأرانى متيماً
سيقول الهوى أنا

فحكى ذلك للمعتصم بن صمادح فاشتراها

الغسانية البجانية: أديبة شاعرة من أهل بجانة فى القرن الرابع للهجرة كانت تمدح الملوك، قالت من أبيات لها:

عهدتهم والعيش فى ظل وصلهم
أنيق وروض الوصل أخضر فينان
ليالى سعد لا يخاف على الهوى
عتاب ولا يخشى على الوصل هجران

قمر جارية إبراهيم بن حجاج اللخمى: من أرباب الفصاحة والبلاغة والمعرفة بصوغ الألحان.. جلبت لابراهيم بن حجاج من بغداد وجمعت أدباً وظرفاً ورواية وحفظاً مع فهم بارع وجمال رائع - وكانت تقول الشعر فلها فى مولاها تمدحه:

ما فى المغارب من كريم يرتجى
إلا حليف الجود إبراهيم
إنى حللت لديه منزل نعمة
كل المنازل ما عداه ذميم

وأنشد لها السالمى قولها تتشوق الى بغداد:

آهاً على بغدادها وعراقها
وظبائها والسحر فى أحداقها
ومجالها عند الفرات بأوجه
تبدو أهلتها على أطواقها

أم الكرام بنت المعتصم بن صمادح ملك المرية: شاعرة من شواعر العرب فى الأندلس.. كانت تنظم الشعر وعشقت الفتى المشهور بالجمال من دانية المعروف بالسمار وعملت فيه الموشحات.. ومن شعرها فيه

يا معشر الناس ألا فاعجبوا
مما جنته لوعة الحب

لولاه لم ينـزل ببـدر الـدجـا
من أفـقـه الـعـلوى للترب

مريم بنت أبى يعقوب الأنصارى : أديبة شاعرة من أديبات وشواعر إشبيلية بالأندلس . . كانت تعلم النساء وسكنت إشبيلية واشتهرت بها بعد القرن الرابع . . وذكرها الحميدى وأنشد لها جوابها لما بعث المهدى صاحب إشبيلية إليها بدنانير وكتب إليها :

مالى بشكـر الـذى أوليت من قبـل
لو أننـى حزت نطق اللّسن فى الحلل
يا فذة الظـرف فى هذا الـزمـان ويـا
وحيـدة العصر فى الاخلاص والعمل

فقالت تجيبه :

ماذا يجاريـك فى قول وفى عمـل
وقـد بدرت الـى فضـل ولم تُسَـل
مالى بشكـر الـذى نظمت فى عنقى
من الـلآلى ومـا أوليت من قبـل
حليَّتنى بحلى أصبحـت زاهيـة
بها على كل أنـثـى من حلى عطـل
لله أخـلاقـك الـغـر التى سقيت
ماء الـفـرات فرقـت رقـة الـغـزل
أشبـهـت مروان من غارت بدائـعـه
وأنجـدتْ وغـدتْ من أحسن المثـل
من كان والـده الـعَضْبَ المهنَّـد لم
يلد من النسـل غير البيض والأسـل

وهكـذا فإن الشواعـر من النساء الأندلسيات كن يضارعن شعـراء الأنـدلس فى قرض الشعر وعلى الأخص فى مجال الغزل والنسيب لما تمتعن به من رقة فى العاطفة وعذوبة فى الألفاظ وسهولة فى المعنى . . وكان لجمال الطبيعة الفتان وسحر منظرها الذى يأسر القلب والجنان الى جانب الرخـاء والـترف الذى وصلت إليه بلاد الأندلس النصيب الأوفى فى إذكاء الروح الشاعرية فى نفوس هؤلاء النسوة وغيرهن من ربات الخدور.



شعر

جليلة رضا

اهـبطى . . اهبطى وكـونى سخيـه
واستقـرِّى فوق السفـوح النـديّـه
أيـن يا دمـعـتـى الـعـنيـدة عمـر
عشت فيـه . . مع الـلقـاء هنيَّـه
كلما . . كلما ترقـرقـت نشـوى
وعـبرتِ المـسـارب الخـلفـيّـة
واعـتـزمـتِ الهـروب من ظلمـة الـ
كهف . . سجينـا هفـا الى الحـريّـه
وتـرددتِ فى هبـوطـك حَيْرى
فارتـفـقـت المشـارف الهـدبيـة
وتـدحـرجـت حمرة تـتـلظّـى
وحـصـاة على فمـى ملجـيّـة
ثم أرخـيـتِ للفـنـاء زمـامـا
وتـلاشـيـت فى يدىّ ضحـيّـة
كلما زرتـنـى ولامـسـت خدى
وتألـقـت نجـمـة فضيـه
صفَّـقـتْ للقـاء أجـنـحـة الـرو
ح . . ونـامت أحـزانهـا البشـريـه



إلى وحيدي الراحل

الدمعة السجينة

واستحمَّ الفؤادُ فى نبعك الصا
فى وأرخى أعصابه الدمويه
وتعرى من الهموم وليدا
وتجلَّى قطيفة مخمليّه
وتغنى على لقائك حرا
وتغنى.. ويالها أغنيَّه



* * *

فتعالىْ .. يا دمعة فى عيونى
تتأبى.. عنيدة وعصيَّه
إنَّ روضى مستوحش وجديب
والماشى مصفرة رمْليّة
فاعبرى من خلال قضبانه السو
د ورقِّ كنسمةٍ فجْريَّه
رطِّبى.. رطِّبى جفاف زهورى
وأعيدى دماءها الورديّه
واسكبى طلَّك النقىّ عليها
وأريقى عطورك القدسيّه

●●●

لست ضعفا ولست دمعة ذلّ
بل إباء وكبرياء.. حيّه
يا لكنز من الصفاء دفين
يا لنبع من راحة نفسيّه
أنت ريح تطوى الهشيم وتبقى
فى رياضى .. على جذوعى القويّة



إحساس

فوزية حمزة غوث

أحسست بك تناديني
فقط أحسست
وباحساسي هذا سلمت
قلت الهوى إحساس
دقة قلب
نظرة تشرق كالماس
نظرة أحرقتني
نظرة أخذتني
ملأتني حياة وأملا
هدأت في صدري الانفاس
اعجبت بك
حسبتك وحي الهامي
رسمت في ذهني لك صورة
أغرقت نفسي بأوهامي
تجلت في خاطري رائعة
من روائع حبي واحلامي
اسطورة انا فيها
ام الخيال تجسد
فالوحي لي بأنك
دنيتي . . كتابتي واقلامي

وارتوت نفسي العطشى
وخاضت بنفسي ذكرى
وحقيقة لشعور بالحب نامي
يا كوني يا املا لي
استصرخك الاحساس بي
اناشدك الوفاء لقلبي الظامي
انا احسست بك
والاحساس وحده يكفيني
يحجيني من غزاة الارض
في هواك تنمو وتحييني
وخلي عنك فكرة الجفوه
سأعلل الحرمان بغلطه
جاءت منك . . بهفوة
سأقول قدرا
سأقول نصيبا
سأقول سقط حظي سهواً
لا تقل يوما وداعا
قل سنلتقي
قل التقينا



لا تفترى

شعر

كمال عبدالكريم الوحيدي

قطر

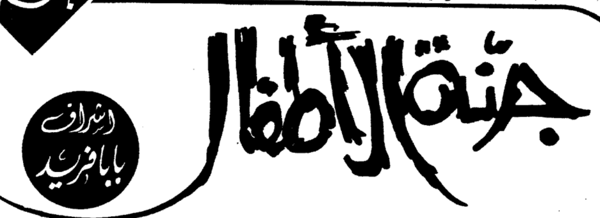
مهداة الى كل فتاة عربية تعتز با سلامها وتقاليد أمتها والى اللواتى جرفهن التيار وغرَّهن زيف الاستعمار . .

لا تفترى يا بنتنا
بنت الكرام الغاليه
ما أنت إلا درة
من فرع تلك الدَّاليه
من دوحة آسادها
فخر القرون الخاليه
أهل المواضى والقنا
نورٌ ونارٌ صاليهْ
سيرى على آثارهم
ولتحذرى عذاليهُ
يحميك ربّى يا ابنتى
من كل عين قاليه
من كل نفس لم تخف
ربًّا بدنيا باليه
من كل قلب ميِّت
قد زاد من أهواليه
من كل خسٍّ ساقط
لم ترضه أقواليه
والنار عُقْبى مُفْتر
عقَّ النصوصَ العاليه
فيها سيهذى صارخا
«لم يُغْنِ عنّى ماليه»
يا بنتنا أرجوزتى
ضمَّنتها آماليه
أرجو بها أن تسلمى
والأهل فى الدنيا ليه
كونى مثالا للتُّقى
والذكرِ نفح الغاليه
والله يحمى من دَنا
منه بدار تاليه
والبنت تسمو بالحيا
والدين بنتى الغاليه

لك وحدك اهديك فؤادى
ليعيش بقربك
زاخرا بعطفك

يلعب
ويضحك
ويهوى

تدعو (جنة الأطفال) اصدقاءها الذين يرسلون لها أفكاراًوطرائف ان يقرنوا ما يرسلونه بالصور الملونة



كلمة أولى



احبابنا الحلوين.. نلتقى دائما حول فاكهة القلب «الحب».. نسعد بلقائكم دائماً. لأنه لقاء البراءة والعفوية.

ونود بهذه المناسبة ان نحيى اهتمامكم بجنة الاطفال وستكون سعادتناكبيرة اذا ما وجدنا اسماءكم فى استمارة الاستطلاع التى ارفقت بالعدد الماضى لنعرف مقترحاتكم ولنحققها بقدر الممكن والمتاح مفتتحين بها وبمقترحات الكبار عامنا الجديد.

عباقرة دون الثلاثين

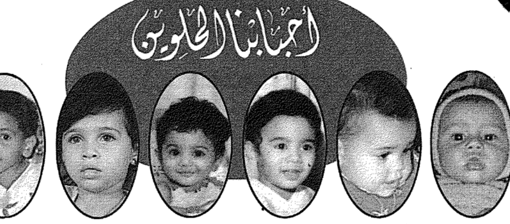
صدق أو لا تصدق أن شاباً فى الثالثة والعشرين من عمره ابتكر نظرية رياضية خطيرة بينما هو عائد من الجامعة الى داره عقب حصوله على درجة علمية وأن هذا الشاب اسمه اسحق نيوتن مكتشف قانون الجاذبية وأنه فى نفس السنة ابتكر نظرية خطيرة أخرى.

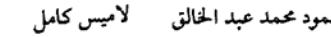
وأن شكسبير كان مشهوراً فى السابعة والعشرين ولم يدخل فى الثلاثين حتى كان مؤلفاً مسرحياً عبقرياً يؤلف الروايات لفرقته فتقبل عليها الجماهير زرافات ووحدانا.

وأن صلاح الدين الأيوبى كان شاباً فى مقتبل الصبا لما استوزره «العاضد» آخر الخلفاء الفاطميين ولقبه بالملك الناصر فى سنة ٥٦٤هـ فأبت الجيوش السورية الرضوخ له لصغر سنه وكانت مصر وسوريا فى ذلك الوقت تحت حكم الفاطميين فأخذهم باللين فنجحت حيلته فى إخضاعهم لنفوذه وقد هزم جيش الصليبيين لأول مرة ولما يبلغ الثلاثين.

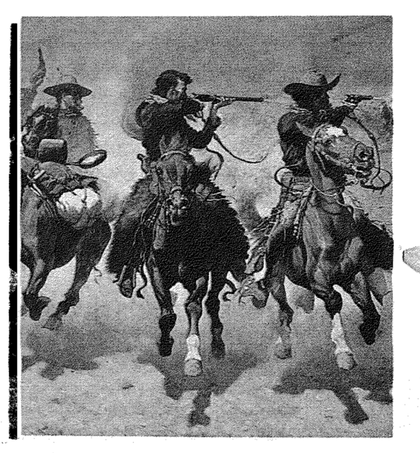
وأن مدينة الاسكندرية اختار موقعها ورسم تخطيطها الاسكندر المقدونى بنفسه قبل أن ينقضى العقد الثالث من عمره وعهد ببنائها إلى المهندس اليونانى «يتوكراتس».







محمود محمد عبد الخالق — لاميس كامل — عادل إقبال ششتي — أريج إقبال ششتي — وسام طلعت — سيد محمد نبيل السيد



●● قدمنا فى العدد الماضى محاولات الفنان الصغير عمرو محمد عبد الفتاح وهنا نقدم عملاً لفنان عبقرى هو الفنان الامريكى ريمنجتون وهو فنان وهب حياته كلها لرسم الحروب وما يهمنا فى هذه اللوحة هو هذه الحركة العنيفة التى استطاع الفنان ان يدخلنا فيها بمهارته الفذة.



ليلى عبد السلام حسني
دراسات تربية وعلم نفس

كيف نجعل الطفل أذكى

يحرص علماء النفس المحدثون بالدرجة الأولى على إطلاق المزيد من إمكانات المخ البشرى التى تكاد تكون لا حدود لها.. وفى كتاب «الذكاء والخبرة» لأستاذ علم النفس - فى جامعة الينوى - د. جوزيف فيكر.. يقول: بإمكاننا رفع المستوى العادى للذكاء على شرط أن نبدأ فى سن مبكرة لأن نموالطفل يكون أسرع فى الخمس السنوات الأولى من عمره ويكون أطوع للتعديل.. وفيه يكتسب القدرات التى ستقوم عليها قدراته فيما بعد وعلى شكل تنظيم هرمى اكتسبت فيه واحدة بعد أخرى بالتتابع.. والمخ كمنسق كبير للمعلومات أكثر تعقيدا بكثير من أى مخ اليكترونى».

ويمكن تعريف الذكاء: بما يكتسبه الطفل لتنسيق معلوماته التى زودته بها حواسه فالطفل لا يوهب ذكاء جاهز الصنع بل يوهب فقط قوة عقلية. ويتوقف مدى نجاحه على المهارات التى يكتسبها خلال تجاربه الأولى لتنسيق معلوماته.. ويقول العالم الشهير «د. اليكس كاريل» إن الذكاء علم قبل أن يكون موهبة.. كيف يكون علما؟ يعتمد هذا على شيئين أساسيين:

أولا: الحرية كى يجرب بنفسه. يسير. يتسلق.. يقفز.. يقذف الأشياء ويعمل بيديه فى نطاق حدود الأمان.

ثانيا: يحتاج إلى أشخاص كبار محبين يكفلون الاستجابة له بالاصغاء إليه ويردون على أسئلته التى لا تنتهى ويسألونه أيضا حتى يضطر الى استخدام الكلمات لكى يجيب.

متى يبدأ الطفل؟: منذ ولادته: عليه أن يتعلم لتنسيق حواسه والربط بينها وبين حركات جسمه: كالتنسيق بين حركة اليد والعين - كما يتعلم استخدام الكلمات.. والأبوان يسهلان الأمر عليه بالتحدث دائما معه والقراءة له والتفكير بصوت عال.. فيسبح فى نغمات أصواتهما حيث يجعلون الاصغاء الى الكلام متعة - حتى ولو كان أصغر من أن يفهمها.

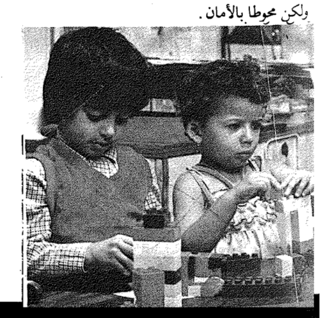
وهنا يتضح توهج ذكاء الأطفال الذين يوجدون فى





بيوت تناقش فيها القرارات.. وتظهر نتيجة ذلك فى اختبارات الذكاء.. فى حين أن الأطفال الذين يكون آباؤهم إما متساهلين غير مكترثين أو مستبدين يطلبون الطاعة دائما - فيظهرون نقصا فى اختبار الذكاء.

حين يقول الأب: افعل هذا لأننى أريد ذلك.. هذا الأب حقيقة يقول: لا تفكر ولا تعمل عقلك فى شىء.. إن الطفل قبل أن يحبو يجب أن يكون حرا يجرب بنفسه ويحاول فهم ما يعمله ونتيجته.. حرا.. ولكن محوطا بالأمان.



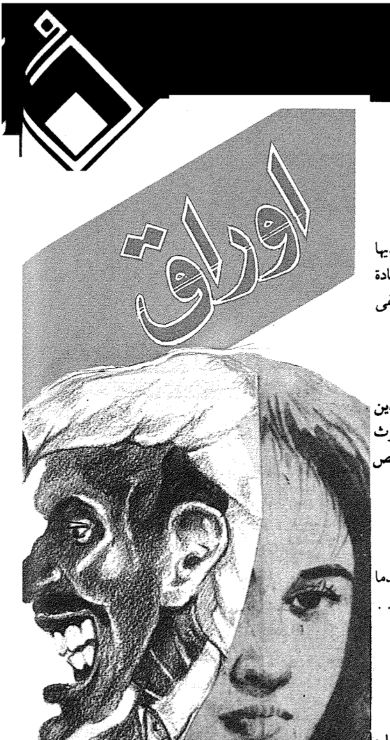
كيف تنمى هذه الأعمال الذكاء؟ إن معالجة المشكلات البسيطة فى سن مبكرة تنشىء أمثلة يستطيع الطفل الاعتماد عليها فى معالجة مشكلات أكثر تعقيدا فيما بعد فكل موقف جديد يشبه موقفاً سبق أن تغلب عليه.

ولماذا يتأخر أطفال الأحياء الفقيرة عادة فى النمو العقلى؟.. ذلك لأن اتصالهم بالعالم محدود والكبار غير مستجيبين لأحد يوجه أسئلة أو يلفت نظره الى ملحوظة.. وفى ولاية متشجان تعهد أب ابنه بتدريبات النمو العقلى والذكاء حتى حصل على أجازته العالية فى الخامسة عشرة من عمره بتفوق.

بينما يوجه عالم النفس الأمريكى هوارد جاردنر نظر الآباء الى عدم ظلم أبنائهم عندما يحاسبونهم على فشلهم أو عدم تقدمهم (وبخاصة فى سنى الدراسة الاولى).

■■ فالذكاء أنواع.. وما نقيس به الذكاء فى المختبرات العلمية يكشف غالبا عن نوعية واحدة - مقدرة لغوية أو رياضية مثلا.. وبقية الأنواع قد تظهر فى شكل غريب أو لا يخطر على بال.. فالمقدرة الموسيقية نوع من الذكاء لأن تأليف الموسيقى عملية ذهنية راقية.. والمقدرة على فهم الألغاز وحلها نوع من الذكاء.. والمقدرة على فهم الآخرين ثم إقناعهم نوع أرقى من الذكاء.. فالذكاء يتبدى فى نوع العمل الذى يمارسه الانسان بنجاح - وعلى الآباء أن يكتشفوا أين تكمن مهارات ابنهما كى يساعدوه على الاستفادة منها.

■■ ولا شك أن مستوى ذكاء عصرنا أعلى من مستوى أسلافنا من فلاحى العصور الوسطى وأى تطور عقلى نحرزه ليس عن طريق عقول أفضل.. فإن لنا نفس العقول من ناحية النوعية والحجم والتكوين كما كان لهم - بل عن طريق تحسين استخدام العقول.





١٧١

إن السعادة يا سيدتى ليست باقة ورد أهديها لك، أو فستاناً جميلاً ابتاعه متى شئت. . إن السعادة يا سيدتي كنز فى أعماق الأرض مطلوب أن نحفى سوياً بحثاً عنه. .

الورقة

١٧٢

قولى لمن يتبجَّحن بأرصدتهن. . ولمن يرتدين الحرير والجوخ. . وينكرن علينا فقرنا. . اننا لم نرث من آبائنا سوى هذا الكوخ. . واننا لا نجيد الرقص على الحبال.

الورقة

١٧٣

لازلت أحترم رقتك وشفافيتك. . ولكن عندما ألمح هذه الأظافر الطويلة المغرَّاة بالبرتقالى والأحمر. . أتذكر ذوات الناب والمخلب .



١٧٤

إنَّ مستوى مقبولاً من الجمال فى أصوله وتفريعاته. . أفضل ألف مرة من بلوغ الذروة فى جانب. . والتردى للحضيض فى آخر.

الورقة

١٧٥

اكثر الرجال ملاطفة للنساء لا يلبثون أن يسددوا فواتير مجاملاتهم بالجملة. . ذلك أن النساء يصدقن كل ما يسمعن من ملاطفات. . حتى لو كانت من قبيل تشبيه الفيل بالمها.

الورقة

١٧٦

إن اسوأ اعتراف يمكن أن تسجله الزوجة بين يدى زوجها هو مفاتحتها له بزهدها. . وأنها «خلاص» ملأت البيت عليه عيالاً. . وبدأت الشيخوخة تدب فى صباها.





١٧٧

حرى بمن تذكّر زوجها بين الحين والآخر انه اصبح جدّاً.. أن تعيد النظر فى تقييم أنوثتها.. وتوقع له على - اخلاء طرف - يبيح له الارتباط بأخرى بموافقتها.

١٧٨

إن أغبى وسيلة يمكن أن تلجأ إليها الزوجة لاختبار مدى محبة زوجها لها هى التظاهر بالمرض.



١٧٩

«اجعلى رصيد زوجك دائماً فى خانة المدين».. حتى لا يفكر بالزواج عليك - سم فى دسم - اطلقته جاهلة.. وصدقته مغفلة.

١٨٠

قل للحياة برحها المسنون.. ماذا فعلت بصهرك المجنون؟.

١٨١

مطلوب من الزوجة أن تقرأ أفكار زوجها.. وتعمل بما يتفق معه لتنال التقدير والاحترام.. وبعد تجاوز هذه الفترة الحرجة فان زوجها سيكون آذانا صاغية يقدرها ويحترم وجهات نظرها.. لكن للأسف ٩٠٪ من النساء يفشلن فى هذه المسافة من مشوار الزواج فتحتدم فيها خلافات الأزواج.. ومشاكلهم.

١٨١

ليس بالضرورة أن يكون تفكير الخادمة فى أسرتها التى تفصلها عنها السنوات وآلاف الأميال.. بل ينبغى أن يكون تفكيرها فيم سيكون عليه حالنا لو هى مرضت أو سافرت؟.

١٨٢

غالبية العازبين يشترطون الزواج من فتيات صغيرات السن.. لكنهم ليسوا جميعا يستندون فى تبريرهم هذا الشرط لاعتبارات وصول المرأة للشيخوخة باكراً بسبب الانجاب والترهل وخلافه..



هنـاك فئـة لا يستهان بها يقولون ان الفتاة الصغيرة يسهل على الزوج أن يشكل من عجينها صورة المرأة أو الـزوجـة التى رسمهـا فى أحـلامـه . . ويصفون كبيرات السن بأن «دماغهن ناشفة» ـ طبعا هم يقولون ذلك ـ . .

الورقة ١٨٤

اذا صح المثل القائل بأن «باب النجار مخلوع» . . أو «السكافى حافى» فهذا يعنى أن زوج «الكوافيره» لا يغبط كثيرا على زواجه . . فليس بالضروره أن تكون زوجته دائما «شيك» . . كما تخرج النساء من تحت يديها . . وربما كانت بعيدة كل البعد عن الشياكة . .

الورقة ١٨٥

بقدر ما يكره الرجل فى زوجته أن تكون عنيدة يكره فيها السذاجة والطاعة العمياء . . والمرأة الذكية هى التى تستطيع عمل التركيبة المناسبة من هذه وتلك لكل موقف .

الورقة ١٨٦

مستعـد للذهـاب لأى محل آخـر لشـراء ما تريـدين . . لكننى لن أذهب الى محل التنـزيـلات الهائله . . والخصم المتأرجح من ١٥ـ٤٥٪ . . ليس لأننى أشك فى مدى صحة ذلك فحسب . . بل لأننى قد أجـد نفسى هناك ابتاع المعجل والمؤجل . . وما نحن بحاجة اليه فعلاً . . وما نحن فى غنى عنه .

الورقة ١٨٧

صلة القربى لا تشفع للزوجة كثيراً عند زوجها اذا هى قعدت أو تهاونت فى واجباتها . . وهذه الصلة الأرجح أن تكون مدعاة لأعباء اضافية لا أن تكون وساطة تحمل الزوج على تجاوز تقصير زوجته القريبة .

الورقة ١٨٨

مطلوب من الزوجة أن تعيش فى عقل زوجها وتفكـيره فى طعامه وشرابه وردائه ومنامه فتعرف ما يحب فتعمله وتعرف ما يكره فتتجنبه .

الورقة ١٨٩

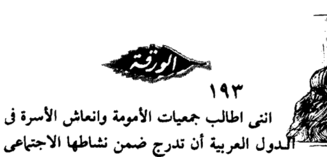
عندما تتكفل المدارس بتعليم الأولاد وتربيتهم . . والـروضـة والمـربيـة برعـايـة الصغـار وتغذيتهم . . والخادمة باعداد الطعام وترتيب البيت . . فاننا نكون أنا وأنت قد زرعنا بذور التفكك الأسرى قبل بلوغ اولادنا سن الرشد واستقلالهم فى حياتهم .

الورقة ١٩٠

أنا لا الوم امرأه عاقراً تزوج زوجها عليها . . ولا الوم امرأة مريضة كان مرضها دافعاً لزواج زوجها بامرأة اخرى غيرها . . فليس فى ذلك جناح عليه . . ولكن كل زواج ثانٍ لأى رجل ما لم تكن زوجته مما أسلفت هو معرة كبيرة على زوجته . . لأنها لم تستطع المحافظة عليه .

الورقة ١٩١

فى أحيان كثيرة، لا نحسن ضبط أجهزة الارسال والاستقبـال لدينـا . . فنضيـع وقتنا سدى بعد كل عمليـة ارسـال، فى انتظار أن نتلقى رداً . . ولكن عبثاً . . لأننا ننسى ضبطها على نفس الموجة .





الورقة ١٩٢

مشكلة المرأة الشرقية أنها ما أن يمضى على زواجها ثلاث أو اربع سنوات.. وتخلف الصبيان والبنات.. حتى تأخذ اجازة - زوجية - وتتفرغ - للامومة - على حساب - زوجها - الذى تصيبه - المراهقة - «الراجعة» ويبدأ يفتش عن امرأة من جديد.

الورقة ١٩٣

اننى اطالب جمعيات الأمومة وانعاش الأسرة فى الدول العربية أن تدرج ضمن نشاطها الاجتماعى دورات تأهيل زوجية لمن مضى على زواجهن خمس سنوات فما فوق لاعادة تذكيرهن وتبصيرهن بمتطلبات الحياة الزوجية وطباع الطائر الأليف.. الذى قد يطير فجأة وبلا مقدمات اذا ما سارت الامور رتيبة من حوله بلا جديد.. ولا تجديد..

الورقة ١٩٤

ان أبسط تعريف للزوجه المطيعة: هى التى تنفذ طلبات الزوج فوراً، مع الاحتفاظ بوجهة نظرها لنفسها.. واذا أفسح لها المجال افضت بها - وبصوت - منخفض.

الورقة ١٩٥

قبل الزواج - نحن معشر الرجال - نلهث خلف الجمال.. وبعد الزواج - ما يعنينا هو - العقل - وحسن التدبير.

الورقة ١٩٦

إن أكثر الرجال قوة وأشدهم اعتداداً برجولته.. تتحكم فى مصيره زوجة مطيعة.

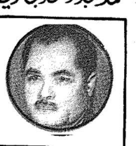
الورقة ١٩٧

كل أم تحرص على متابعة نتيجة ابنتها الدراسية وتحصيلها العلمى.. حتى لو كانت يأتيها الخطّاب ولا تعرف أن تعد فنجان شاى.. فأين هى الأم التى تعطى ابنتها التى ستتزوج دروساً فى الحياة الزوجية.. التى هى أهم من الشهادات الجامعية؟..



● رسالة

من أبي دهبل



محمد عبد الواحد حجازي

هو **وهب بن زمعة من سادات بني جمح** ـ كان شاعراً جميلاً يعطى الفقراء ويقرى الغرباء ـ قال الشعر فى خلافة على بن أبى طالب، ومدح معاوية وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب ـ ولاه ابن الزبير بعض أعمال اليمن.

حبيبتى عمرة:

أبعث إليك برسالتى هذه وقد بلغ منى الأسى أقصاه واليأس ذروته ومنتهاه فما عدت أدرى الى أين أذهب ولا إلى من أشكو همومى وأبثه أحزانى وكأن الدنيا قد خلت من الأخلاء والأوداء.. وأنا فى هذه الغمرات لا أعرف من ألوم: هل ألوم نفسى؟ أم أعتب عليك وأحملك مسئولية ما ترديت فيه من ألم وحرمان؟.. أم أعتب على الزمان الخوان الذى صيرنى أحدوثة على كل لسان؟

والحق إنى لألقى اللوم عليك أنت يا عمرة.. فأنت التى طردتنى من جنة حبك وغلقت دونى أبواب رضاك وأرغمتنى على الترحل هنا وهناك لعلنى أنساكِ أو أسلى هواكِ.. ولكن هيهات.. هيهات.

حبيبتى عمرة:

لِمَ كان منك ما كان؟.. لازلتُ يوم جئتُ مجلسَكِ وكان منتدى للشعراء والأدباء والقصاصين وأصحاب النوادر.. وكنتُ ألمحكِ وأنتِ تجلسين بيننا كالبدر ليلة تمامه واكتمال نوره وبهائه تضفين على الجالسين سحراً من سحرك ونوراً من نورك وبذكائك وألمعيتك تعقبين على قول هذا الشاعر أو ذاك وتصححين ما قد يخطىء فيه نحوى أو ينساه قصصى.. نعم كنتُ ألمحك فى لفتاتك وحركاتك لا تفوتنى منك كلمة عذبة ولا تخطىء سمعى ضحكة منك حلوة..

ثم عاودت زيارتك ليالى إثر ليالٍ حتى توثق التآلف بيننا وتزوجتك ومكثت معك أياما كانت هى الهناء كل الهناء والنعيم كل النعيم.. إلا أنه كان يدهشنى منك أمر عجيب حقا فقد كنت توصيننى دائما بحفظ ما بيننا وكتمانه حتى لا تعلم به زوجتى، ولذلك فإننى احتراماً لرغبتك لم أنبس بشفة أمام أحد من الناس ولكن لسوء حظى وتعاستى علمتْ زوجتى بمجيئى عندك فدستْ إليك امرأة داهية من عجائز أهلها.. فجاءت على حين غفلة منك وصارت تخادعك بحديث طويل ثم قالت لك فى عرض حديثها: *إنى لأعجب لك كيف لا تتزوجين أبا دهبل* مع ما بينكما؟.. فقلت أنت: وأى شىء بينى وبين مثل أبى دهبل؟.. فتضاحكت العجوز الداهية




واستغفلتك وقالت: أتسترين عنى شيئا قد تحدثت به أشراف قريش فى مجالسها وسوقة أهل الحجاز فى أسواقها والسقاة فى مواردها.. فما يتدافع اثنان فى أنه يهواك وتهوينه.. ثم تركتك وانصرفت وما أدركتِ أنك وقعتِ فى حبالة تلك العجوز.. وما كان منك إلا أن منعتنى من دخول جنتك.. ألا ما أشقانى وأتعس شانى.

حبيبتى عمرة:

لقد تسرعتِ فى حكمك علىَّ فظننتِ أننى أفشيتُ ما بيننا من أسرار بدافع التباهى والافتخار والحق أننى كنت حريصاً على عدم التحدث عنك بكلمة واحدة. فالذنب يرجع إليك لأنه كان من الواجب عليك أن تكونى واعية أريبة فلا تخدعنك طلاوة الحديث.. فلماذا تلومينني أو يلومنى غيرك من صديقاتك؟.

يلومونني فى غير ذنب جنيتُه
وغيرى بالذنب الذى كان ألوم
أمِنَّا أناساً كنتِ تأتمنينهم
فزادوا علينا فى الحديث وأوهموا
وقالوا لنا ما لم نقل ثم كثّروا
علينا وباحوا بالذى كنت أكتم
وقد منحت عينى القذى لفراقهم
وعاد لها تهتانها فهى تسْجمُ

حبيبتى عمرة:

هل تعلمين ما أصابنى بعد أن أقفلتِ بابك فى وجهى ورفضتِ مقابلتى أو مكالمتى ولو من وراء ستار.. وأصررت على أنك لا تعرفيننى بعد أن علمتْ زوجتى والناسُ بزواجى منك؟ هل تعلمين ما أصابنى بعد أن أقصيتنى وهجرتنى؟ لقد آلمنى: أن نكون ببلدة كلانا بها ثاو ولا يتكلم.. فشرّقتُ وغرّبتُ فى طول البلاد وعرضها حتى استقرَّ بى المقام فى دمشق. وفى يوم من الأيام رأيت عاتكة بنت معاوية بن أبى سفيان فاعترضتُ طريقها فلما سفرتْ وجهها ورأتنى عرفتنى فشتمتنى بألفاظ قاسية لم أعبأ بها لأننى وقعتُ أسير جمالها الأخّاذ وقلت لها:

يا حُسْنه إذ سَبَّنى مدبراً
مستتراً عنى بجلباب
سبحان من وقَّفها حسرة
صُبَّتْ على القلب بأوصاب
يذود عنها إن تطلبتها
أبٌ لها ليس بوهّاب



أحـلهـا قصـراً منـيـع الـذُرى
يُحمـى بأبـواب وحـجـاب

وعلى إثر هذه الأبيات التى شاعت بين الناس وغناها المغنون نشأت صداقة حميمة بينى وبينها.. فكانت تطرفنى ببرها ولطفها من حين إلى حين. وحدث أن أصابنى مرض أقعدنى عن الخروج أمداً طويلا وذات يوم وبينا أنا أعالج برح آلامى إذ بها تدخل حجرتى بهديتها وتطرفنى بهدية جزيلة فأيقنت آنئذ أنها بى عالقة ولقلبى عاشقة.



حبيبتى عمرة

أصارحك اليوم بعد أن فقدتُ كل أمل فى الحياة والناس، ولم يعد هناك داع لأن أخفى عنك شيئا، إن عاتكة حين زارتنى إبان مرضى وأسعدتنى بهداياها وعطاياها إنها فعلا محبة لى هائمة بودى لها.. ويبدو أن زيارتها لى وحدبها علىَّ قد عجلا بشفائى مما ضاعف من وجدى بها وظمئى الدائم إلى رائق حديثها فقلت يوماً وأنا فرح جذلان:

ليت شعـرى أعَـنْ هوىً طال نومـى
أم برانـى البـارى قصـير الجُفـون
وهـى زهـراء مثـل لؤلؤة الـغـوَّا
ص ميـزت من جوهـر مكـنـون
ثم خاصـرتهـا الـى القبـة الخضـ
ـراء تمشـى فى مرمـر مسـنـون

وليتنى ما نطقت بهذه الأبيات ولا ترنمت بها فقد جرّت علىَّ مصائب كبيرة ولا سيما بعد أن لحنها وغناها كبار المطربين إذ أنها لما بلغت مسامع أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان بعث إلىَّ برسوله الذى أخذنى إليه. ولما وقفت بين يديه عاتبنى فى رفق وحنو وكان مما قاله لى: أما من جهتى فلا خوف عليك لأنى أعلم صيانة ابنتى نفسها وأعلم أن فتيان الشعراء لم يتركوا أن يقولوا فى التشبيب فى كل من جاز أن يقولوه فيه وكل

من لم يجز.. وانما أكره لك جوار يزيد وأخاف عليك وثباته فإن له سورة الشباب وأنفة الملوك.

وكذلك استبان لى دهاء أمير المؤمنين وعمق حيلته..

حبيبتى عمرة:

لكم كان عسيراً على أن أترك دمشق ولكننى لم أشأ أن أغادرها قبل أن أستودع عاتكة آخر رسالة منى إليها أعاتبها على الصدود الذى أظهرته لأهلها نحوى وأعاتبها على التنكر المفاجىء لأيامنا.. فقلت لها:

أعاتك هلا إذ بخلت فلا ترى
لذى صبوة زُلْفَى لديك ولاحقّا
رددتِ فؤادا قد تولى به الهوى
وسكنت عيناً لا تملّ ولا ترقا
ولكن خلبت القلب بالوعد والمنى
ولم أر يوما منك جوداً ولا صِدْقا
أتنسين أيامى بربعك مُدنفاً
صريعاً بأرض الشام ذا سقم مُلْقى
وليس صديقٌ يرتضى لوصية
وأدعو لدائى بالشراب فلا أُسقى

أتدرين يا عمرة ماذا كان مصير هذه الرسالة؟.. إن الجارية التى وثقت بها أن تسلمها الى عاتكة سراً ذهبت الى يزيد وأطلعته عليها فهاج وماج وأنذر بأنه لا محالة قاتلى؛ ودخل على والده أمير المؤمنين معاوية وصارحه بما اعتزم أن يفعله.

ولكن الداهية الأريب لم يوافق على قتلى لأنه وجد أن قتلى سيؤكد كل ما أشيع عن حبى لابنته وتركونى أخرج سالما.. حتى إذا ما استقر بى المقام فى مكة جاء أمير المؤمنين لأداء فريضة الحج.. فلما أتمها جمع وجوه قريش وأشرافهم وشعراءهم وأعطاهم جوائز سنية.. ولما كنت آخر من أخذ جائزته فإنه استدنانى وعرض على أن يزوجنى على نفقته.. فأدركت على الفور مدى الحرج الذى يعانيه أمير المؤمنين وكانت النخوة تقتضينى أن أرفع عن صدره ذلك الهم الثقيل؛ فقلت له: إن رأى أمير المؤمنين أن يعفو لى عما مضى فإن نطقت بعدها ببيت فى معنى ما بلغه وسبق منى فقد أبحته بى دمى.. وفلانة التى قد زوجنيها أمير المؤمنين طالق البتة.

حبيبتى عمرة:

وكانت آخر ما طوحتنى إليه المطاوح أن ذهبت فى غزوة مع جند الاسلام لبلاد الروم.. وعند عودتنا الى دمشق منتصرين خدعتنى امرأة جميلة وأدخلتنى قصرها وتزوجتنى بعد أن سكبت فى أذنى من ذوب سحر حديثها ما صيرنى ملك يمينها وطوع أمرها.. وأقمت معها زمناً طويلا لا أدرى كم هو من السنين وأنا غير قادر على الافلات من القصر.. وفى ليلة آنست من عبيدها غفلة فتسللت من القصر وخرجت هائماً على وجهى حتى بلغت مكة.. ودنوت من بيتى من غير أن يشعر بى أحد فلما تسمعت لحديث من فيه علمت أن أبنائى وبناتى قد تزوجوا واقتسموا مالى وأن زوجتى ظلت تبكى حتى عمشت فأيقنت أن من المستحيل أن أظهر فى حياتهم مرة أخرى.

فعزمت على الرجوع إليك يا عمرة..

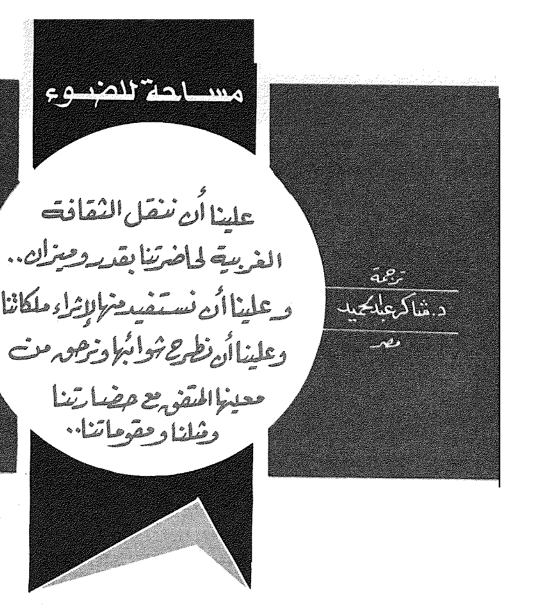
حبيبتى عمرة:

هل لك فى أن ترحمى شيخاً فانياً عذبه الهوى وأضناه الجوى؟.

هل لك فى أن ترحمى شيخاً تنكر له الزمان وسقاه كأس الهوان؟.

حبيبتى عمرة:

إذا كنت أول من أحببتُ فكونى أول من ترحمين وتصفحين..



في البداية يجب أن اعترف أن لكل شاعر طريقته الخاصة فى الكتابة وفى التفكير وفى النظر الى الاشياء والشعور بها ولكن فى كل الحالات فان نشاط كتابة الشعر يحتاج الى قدر كبير من الانتباه كما ينبغى أن تتوفر له كفاءات خاصة فى عمليات الابصار والسمع والخيال والذاكرة وغيرها. . والشاعر يجب أن يكون قادرا على التفكير من خلال الصور كما يجب أن يتمكن من لغته ويسيطر عليها. . فاللغة بالنسبة للشاعر كالألوان بالنسبة للمصور وكل ما سبق يعنى أن فى المجتمعات الانسانية يجب أن يكيف الشاعر نفسه ـ سواء من خلال الكثير أو القليل من الوعى ـ مع متطلبات وضروريات عمله ومن ثم فإن خصوصية الشاعر والشروط الغريبة المرتبطة بالالهام تعد من وجهة نظرى ضربا من الجنون.

أن الشاعر يجب أن يكيف شخصيته لمتطلبات فنه وهذا قد يساعد فى فهمنا للشعراء الاخرين وأيضا فى فهم بعض اشعارهم. واليوم نحن نفتقد دون شك وجود نظرة كلية شمولية للشعر كما أننا نركز على جوانب معينة من الشعر ونهمل الجوانب الاخرى. . فحركات الشعر الحر والسريالية والتعبيرية والخيالية. . والشعر الذاتى وغيرها تجعل بعض الافراد يظنون أن الشعر هو مجرد نشاط يتعلق بالكتابة الايقاعية أو هو قيام بانتاج تداعيات وارتباطات طليقة وغير مقيدة بين الاشياء. . أو هو التفكير من خلال الصور فقط والرسم بالكلمات بها يقترب من حافة الجنون (السيريالية) وان ذلك يتم من خلال الربط البعيد أو غير المباشر بين بعض الكلمات مثل: ليل. . ظلام. . نجوم. . أزرق. . سحب. . صحراء. . نار. . قمر. . وغيرها. . فهل هذا هو الشعر؟.

للشاعر الانجليزي ستيفن سبندر

..داع في الشعر

أن الامر أكبر من ذلك وأعظم عمقا بكثير ولعل فى محاولتى لتوضيح كيف يؤدى الشاعر عمله ومن خلال خبرتى الشخصية ما قد يؤدى الى بعض الوضوح فى هذه الصورة غير الدقيقة عن الشعر وعن الشاعر.

التركيز:

ان جوهر الكتابة الابداعية يتعلق أساسا بعملية التركيز ومن ثم قد يقوم بعض الشعراء باكتساب بعض العادات أو الطقوس التى تسهل عملية التركيز بالنسبة لهم والتركيز بالنسبة للشعر يختلف دون شك عن حالته بالنسبة لحل مشكلة أو مسألة حسابية.. انه تركيز للانتباه بطريقة خاصة وفيه يكون الشاعر واعيا بكل الدلالات وامكانيات التطور والارتقاء الخاصة بأفكاره.. انه تركيز يتجه ناحية الضوء والدفء ومن خلاله تتفجر ينابيع الابداع.. ان القهوة هى وسيلتى المفضلة فى اجتلاب التركيز.. أما «أودن» فقد كان يشرب عددا كبيرا من أكواب الشاى وقد لاحظت أنه مع تزايد التركيز فاننى أنسى مذاق السجائر فى فمى ومن ثم فاننى أميل الى تدخين سيجارتين أو ثلاث فى نفس الوقت.. ان هذا يكون من أجل ايجاد احساس خارجى يخترق جدار التركيز الذى ضربته حول نفسى وقد أخبرنى الشاعر «دى لامير» ذات مرة أنه يعتقد أن الرغبة فى التدخين أثناء كتابة الشعر تنبعث من خلال الرغبة الداخلية العميقة فى ذلكم أكثر من كونها مجرد مثير خارجى ينبه المرء فهى تجعله قادرا على التغلب على عوامل التشتت وعوائق التركيز التى تأتى من البيئة فى كل لحظة بل والتى تأتى أيضا من داخل الجسم نتيجة لحاجاته البيولوجية الملحة.

أن الشعراء يتحدثون عن الضرورة الشديدة والملحة التى يشعرون بها لكتابة الشعر أكثر من حديثهم عن حبهم لهذا النشاط ـ فالكتابة عملية شاقة تماما: انها اجبار واضطرار نفسى وضغوط من العقل كى يصل المرء الى اعلى مستويات الفن.

ومن ثم فهى ليست بالعملية المبهجة أو السارة

تماما. . ومن وجهة نظرى فانه من الضرورى التمييز بين نوعين من التركيز: فبعض الشعراء يكتبون أعمالهم بطريقة مباشرة - وعندما تكتب فانها نادرا ما تحتاج الى المراجعة. . أما البعض الآخر فيكتبون عدة نسخ من القصيدة وعلى مراحل بحيث انهم عندما يصلون الى النهاية تكون علاقة النسخة الاولى بالنسخة الاخيرة علاقة طفيفة. . ويمكن أن نجد هذا واضحا حتى فى مجال الموسيقى فنجد أن «**موزارت**» كان يكتب الحانه بسرعة وبطريقة مباشرة. . واثناء رحلاته. . وخلال تعامله مع عديد من المشكلات والمواقف الحياتية - يكتبها كاملة غير منقوصة. . أما «**بيتهوفن**» فقد كان يكتب شذرات متفرقة من الموضوعات ويحتفظ بها بجانبه ويكملها عبر السنين - وغالبا ما كانت أفكاره الاولى غير بارعة ولكنه كان قادرا على أن يصنع منها أشياء عظيمة بعد ذلك. . والفرق بين الاسلوبين أن الاول يكون قادرا على أن يسير الى الاعماق بطريقة خاطفة وبمجهود خارق سريع ومتواصل أما الثانى فهو يحفر طبقة وراء طبقة أعمق فاعمق. . والمسئول الاول عن أى من الحالتين هو الرؤية الفنية للمبدع التى ترى وتكشف وتواصل حتى توصله للهدف.

وهذا هو منطق العمل الفنى. . والشاعر قد يوهب عقلا رائعا وقويا وموجها. . وقد يكون بطيئا أو متهورا. . هذا لا يهم. . المهم هو أن يحدث تكامل بين الهدف والقدرة - للوصول الى الهدف دون أن يفقد المرء ذاته. . وبالنسبة لى فاننى أقوم خلال كتابة الشعر بعمليات تركيز مباشرة لكننى أخاف كثيرا من عدم تمكنى من اكمال القصيدة فلدى قصائد كثيرة غير مكتملة - ومن ثم فان الاسلوب الذى اتبعه هو أن اكتب كل الافكار الممكنة فى كراسة خاصة بالشعر ولدى حوالى عشرين كراسة ممتلئة بقصائد مكتملة وغير مكتملة وهذه القصائد اهتم ببعضها واهمل بعضها الاخر.

أن الشاعر يجب أن يميز جيدا فى عقله بين ما يجب قوله وما لا يجب قوله وهو يستطيع أن يقول الكثير من خلال موسيقى الشعر ودلالات الالفاظ.

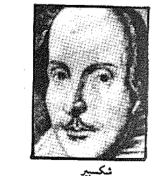
أن خبرتى عن الالهام تتلخص فى انه قد تأتى لى كلمة أو عبارة أو اشارة أو فكرة غامضة. . كالسحابة البعيدة التى أشعر بضرورة تكثيفها فى شلال من الكلمات. . ان هذا يعنى أن أهمية الالهام - ان وجد - هى أهمية قليلة بجانب ما يستطيع الشاعر نفسه ان يعطيه. . انه بالنسبة لى يشبه ضوءا خافتا يساعدنى فى الاستبصار بما حولى ومن ثم فانه يصعب على أن أتصور وجود شىء يفوق فى أهميته وعى الشاعر بفنه وبالعالم الذى يعيش فيه.

الذاكرة:

يتميز كل الشعراء المبدعين بوجود جهاز حساس ومتطور هوالذاكرة فهى تجعلهم يعودون ويتذكرون كل الخبرات المبكرة ولا ينسون الانطباعات الحسية الهامة التى تأتى اليهم فى لحظات هامة من حياتهم فمقابلة «**دانتى**» الاولى مع حبيبته «**بياتريس**» عندما كان عمره تسع سنوات فقط هى الخبرة التى اعتمد عليها فى تكوين وبلورة «**الكوميديا الالهية**» والطبيعة الجميلة والصاخبة المنتشرة فى قصائد «**وردزورث**» هى نتاج خبرات متراكمة مر بها عندما كان طفلا صغيرا ورغم اننى لا أمتلك ذاكرة جيدة لارقام التليفونات وللاعداد الحسابية والعناوين والوجوه البشرية الا أننى أمتلك ذاكرة جيدة بل ومتفوقة بالنسبة للاحساسات

الخاصة ببعض الخبرات التى مررت بها والتى تبلورت داخل نفسى وكونت دلالات معينة وقد تثار فى نفسى بعض الهواجس فجأة وتعود بى وتردنى مباشرة الى فترات مبكرة من طفولتى فأتذكرها وأعيش فيها لحظات أنسى خلالها حاضرى ومكانى.

ربما كان من الحقيقى أن نقول ان الذاكرة هى ملكة الشعر حيث ان الخيال نفسه هو بعض التدريبات التى تقوم بها الذاكرة. ان قدرتنا على التخيل ترتبط الى حد كبير بقدرتنا على التذكر لما مررنا به من خبرات ومحاولة تصوره فى مواقف جديدة ومختلفة وهكذا فان أعظم الشعراء هم من استطاعوا أن يمتدوا بذاكرتهم الى ما وراء السطح الظاهر للزمان وللمكان.. الى كل ما يستطيع الخيال ان يصل اليه ومع أقل قدر ممكن من التركز حول الذات بل من خلال الامتداد والشمول لكل ما تشمله الطبيعة من كائنات وأشياء.


شكسبير

بيتهوفن


موزار

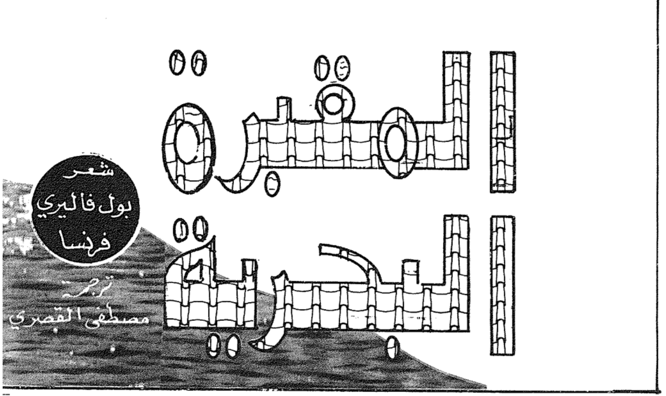


الصدق:

ان حياة العديد من الشعراء أمثال شكسبير وورد زورث وغيرهما تبرز أهمية ودور الصدق مهما اختلفت شدته ومداه فى الابداع الشعرى.. ان الشعر بالنسبة لى عمل مقدس.. ان خبرات الشعراء الخصبة وادراكاتهم النهائية ومشاعرهم العميقة واحساساتهم الحادة بالصدق والحقيقة هى أمور جوهرية بالنسبة لطبيعة الشعر وهى ما ينبغى ان يكرس له الشعراء كل جهودهم.

الموسيقى:

وفى النهاية ينبغى أن أشير الى أهمية الموسيقى فى الشعر فأحيانا ما أكون فى حالة بين النوم واليقظة فيمر عبر ذهنى تيار من الكلمات قد لا تكون لها معان محددة ولكن لابد وأن تصاحبها أصوات ذات طبيعة خاصة ـ أصوات انفعالية وعاطفية.. أصوات تذكرنى بالشعر الذى أعرفه.. وأثناء الكتابة فان الموسيقى الخاصة بالكلمات التى أحاول تشكيلها غالبا ما تأخذنى بعيدا الى ما وراء مدى ونطاق هذه الكلمات حيث أجد عالما من الموسيقى والايقاع والرقة والبهجة.



هذا السطحُ الساكن الذى تعبره الزوارقُ اليهاميات
يخفق بين الصنابر . . يخفق بين المقابرْ
الهجيرة فى اعتدالها تعدل فيه البحر بوهجها
البحر الذى لا يفتأ يتجدد الى غاية الأبد
يا للمثوبة على فكرة عنَّتْ لنا
فى نظرة مديدة ألقينا على السَّمْتِ الإلهى

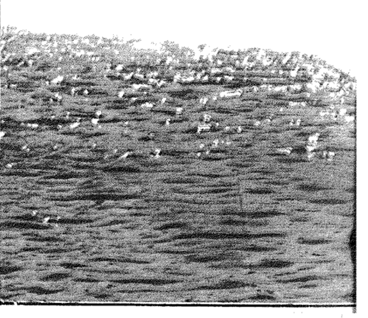
يا للصنع الدقيق يتعهدُهُ البرقُ الرقيقْ
لإحراق كل هذا الكم من اللالىء المصوغة من هباء الزَّبدْ
ويا للأمن ينشر على النفوس عهده
عندما تسند الشمس جرمها على الدَّرك السحيقْ
وقد بدتْ صنائعها الخالصة كما ابدعها صانع
يصبح الزمن لمعانا ويغدو الحلم عرفانا

يا كنزاً راسياً ويا بيتا متواضعا رفع للحكمةْ
يا كتلة من السكون ويا مخزنا تشاهده العيون

يا نبعا منهمرا فى استكبار . . ويا عينا ثرة تهون فى الأغوارْ
عميق السبات تحت دثار من النار
يا صمتى يا مبنى مشيدًاً فى الروحْ
رازحا تحت عسجد القرْمِدِ المنتشرْ . . يا سطح
أسمو الى هذه الغاية القصوى مستأنساً بها
فيحدق بى إحداقى البحرىّ
السنا المطمئن يلقى احتقاراً شامخاً على السناء

وكما أن الثمرة تجرى ذائبة لنستطيبها
وتستبدلُ غيابها بالتنعم بها
فى فمٍ تتلاشى فيه هيأتها
فكذلك استنشق هنا دخانى الآتى
وتنشد السماء للروح المحترقةْ
أناشيد تغير الضفاف الهادرة

أيتها السماء الجميلة الاهابُ الثابتة الرحابْ



ها أنا استسلم الآن لهذا الفضاء الوهاجْ
بعدما عشته من الكبرياء وغربة البطالةْ
ولكنها بطالة بالقدرة حُبْلى
ظلِّي يمر على منازل الموتى
ويجعلنى أليف تحرُكه المرهَفْ

أساندك أيها القسطاس الرائعْ
مُعرضًا بروحى الى مشاعل المدارْ
يا قسطاسَ النور المدجج بأسلحة الدمارْ
شاهدْ نفسكْ ـ فأنا أعيدك مستقيما الى مكانك الأولْ
ولكن إعادة النورْ
تفترض من الظلام نصفه القاتمْ

أترصَدُ يا نفس صدى عظمة كُنهى
لوحدى ولنفسى وفى روعى
قرب قلب حنون جنب منابع النشيدْ

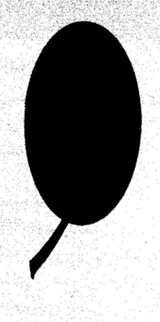
بين العدم وفعل كنْ
عظمة كنهي ـ هذا المخزن الأجاج . . المظلم الرنَّانْ
الذى يعلن فى الروحْ
عن حفرة تؤذن بمجىء دائمْ

اتدرى يا سجين الدوحة الافَّاك
يا خليجا أكَّالا لهذه الشبابيك
اتعلم أى جسد يسحبنى إلى نهايته الخاملةْ
وأنا مطبق الجفنينْ . . تلمع وراءهما الأسرارْ
أتدرى أى جبين يجذب جسدى الى هذا الثرى
الذى ما تكون إلا من أديم الورى
شعاع يذكر مَنْ تحت الأرض غابوا عني

أحب هذه المنازل . . الحافلة بالمشاعلْ
هذا الحرم المتأجج بنار لا مادة لها
هذا الجرم الأرضى الذى أُزْلِفَ للنور
المكوّن من الذهب والحجر والأشجار المذَهَامَّةْ
الذى ترتعش فى جنباته أكوام الرخام على أكوام الظلام
هناك البحر الوفىّ ينام فى مضجع قبورى

عندما أمكث وحدى متحليا ببسمة الراعى
وأنا أرعى ولا اتوقف ارعى القطيع الأبيض لرموسى الساكنة
تلك الخراف التى لا يسبر غورها
أبعدُ عن الرموس صور الفواخيت الحذرة والرؤى التافهةْ

ها هنا حينها يُصبح الغدُ خمولا
الدود المجرد يقضم اليبوسةْ
كل شىء يحترق ويتفكك وينصهر فى الهواء
لتحقيق جوهر خطير أجهل مغزاه
الحياة رحبة بكونها سكرى بالغيب
والمرارة مستساغة والعقل حصيف



العجوز ودائرة الطباشير

عنتر عبد المنعم غنيم

مصر

الغروب سجين السحب الرمادية الداكنة.. والسماء قد غطت فى ذلك اليوم من أيام شهر طوبة البارد والسحب ثقيلة.. البحر مضطرب.. خائف من قوة قادمة عبر الأفق.. يحتضن الصخور.. محدثا هديرا كأنه الشلال.. يلقى بمياهه خارج سور الكورنيش.. عربة حنطور تسير على الطريق بجوار الكورنيش.. داكنة اللون إلا من العجلات التى تدور.. تتحلى بقطع من النحاس اللامع.. قديمة قدم السنين.. يعتليها سائقها العجوز يرتدى ملابس سوداء اللون.. قابعة على منكبيه الهزيلين قطعة من الجلد الاسود اللامع لتقيه شر البرد والمطر.. على رأسه تطل عمامته السوداء على حصانه الاسود العجوز.. قطعة من الليل سارت على الطريق لتأذن للغروب أن ينصرف.. الضباب يغلف العربة وأعمدة المصابيح والناس والسيارات بنسيجه الاثيرى.. تمرق السيارات من جانبه شاحبة الضوء.. نظرا الى أعلى.. اسراب من طائر النورس تحلق جماعات فى الجو الا من طائر واحد يُخرج عن جماعته ثوب الغروب المخنوق.. العربة تسير بطيئة.. الحصان يدب باقدامه فى بطء وتخاذل.. فرقع السوط بجانب اذنيه لكى يسرع الخطى حتى لا يصطدم بالنوة المقبلة.. قابعة فى ركن العربة زوجته المريضة والتى اتى بها من المستشفى.. تتدثر ببطانية من الصوف.. لم يظهر منها سوى رأسها ووجهها المجعد الجاف.. أشبه ما تكون بسلحفاة فى بياتها الشتوى.. الوجوه والاطراف باردة.. ولكن فى اعماق النفوس تدب الحرارة الساخنة.. بركان يحاول الخروج من مرارة الحياة.. خلفه محدثا زوجته:

ماذا قال لك الطبيب. ؟ . يخرج صوتها المسلوخ: هبوط شديد فى القلب.. والتحاليل تؤكد ارتفاع نسبة السكر..

قال فى حيرة.. وما العمل؟..

قالت: لم اعد استطيع ان اقوم بالعمل.. لقد فقدت صحتى كما فقدت المال من أجل الدواء.



أطرق برأسه فى أسى.. العجلات تدور.. لقد تزوج من قبل.. انجب ولدا ترعرع وشب فى مناخ من الحب والسعادة.. بعد ثمانية عشر عاما توفيت زوجته.. لم يحتمل.. بحث عن نصف آخر جديد.. امرأة شابة بجوار منزله تبيع الخضروات.. احبته.. تزوجها.. عاشا سويا فى دارة.. اعطاها ما تبقى له من حب.. اعطته كل ما كان يبحث عنه فى المرأة.. وخاصة التى تصل الى سن الاربعين.. ولكن ابنه لم يرض لهذا العنصر ان يقتحم فراش امه.. رأى فى زوجة ابيه الكره والحسره.. مثالا للاحتقار والأ غلال والتفكك.. شعر أنه قد يغدر به الى اعماق الاعماق.. دارت العجلات.. لم يبق على انتهاء الدراسة الجامعية الا ايام.. ظهرت النتيجة.. نجح.. عُيِّن مدرسا فى احدى المدارس الثانوية.. امتلكته الرغبة فى الهروب من هذه الدار.. انتزع فروع ماضيه من جذور الواقع.. ترك المنزل بلا عودة.. احتضنته اسرة ثرية.. زوجته احدى بناتها.. تآكل الخيط الذى يربطه بوالده وزوجة ابيه.. افاق على بوق سيارة خلفه اتجه الى اليمين.. انسابت السيارة ببطء بجواره خائفه من عتمة الطريق.. حوافر الحصان العجوز تدق الطريق بايقاعات منتظمة.. يأتيه الصوت المسلوخ مرة ثانية:

الم تفكر يا حسين فى زيارة ابنك؟ قال وهو ينظر صوب الطريق.. فكرت.. ولما لم تذهب اليه.. وانت تعلم بأننا نحصل على غذاء الحصان بصعوبة بالغة..؟ لم يدر ماذا يقول لها.. العجلات تدور.. لقد ذهب اليه يوما فى المدرسة التى يعمل بها.. قابله بفتور.. انصرف على اثرها محطم النفس.. صهل الحصان قال محدثا نفسه.. لم يعد لى فى هذا العالم سواك.. اتكىء عليك اعطيك حفنة من الشعير تعطينى كل ما اطلبه منك.. لن تنسلخ عنى يوما ولن تبتعد عنى.

انه صوت زوجته: اليوم شديد البرودة والناس نائية عن طريق الكورنيش ولا يمكن لأحد أن يتنزه فى يوم

شديد البرودة هكذا. . الناس تلوذ بركوب التاكسى او الترام. . يجب ان تجوب الطرق الفرعية لعل وعسى. . لمح شبحا يشير اليه بالتوقف. . صعد الرجل الى العربة بجوار زوجته. . اهتز المقعد. . . على طول يا اسطى. . قالها الرجل بعد أن جذب ياقة معطفه الى اعلى. . هز رأسه موافقا. . والعجلات تدور ماذا يفعل وامرأته المريضة القابعة خلفه تنتظر شراء الدواء. . هل تكفى اجرة القابع خلفه بجوار زوجته لسد حاجتهم ... للحصان ولزوجته وله. . تذكر زميلا له كان يعمل فى نفس مهنته. . ورث عن ابيه ... قطعة الارض انشأ عليها مصنعا لعلف ... عشر سنوات تقريبا. . هل ... مرزوق. . ؟

هل انسلخ مرزوق عن ... واصدقائه ... الذى ابتعد عنه؟ ... الايام اصباغ ... جلود البشر. . ... من يتأثر ومن الجلود ما ... تتلون مع الزمن ... ولكن مرزوق ... عن ... بعد فترة من الزمن قضاها معه شاركه فيها احزانه ... ومعالجة خلافاته ... وبين ابيه البخيل الى ... والده. . بكى اهل الحى عندما اختفى مرزوق. . العجلات تدور ... اطلت من رأسه فكرة ... لماذا لم يتخلص من هذا الحصان العجوز ... عند ذلك تنساب ... يديه الاوراق النقدية ... الدواء والغذاء. . ... العمر ارزله. . ؟ ولو بيع ... بضعة جنيهات. والعربة القديمة قدم السنين بماذا تساوى. . ؟ ايضا بعض الجنيهات. . وبعد ذلك على من يتكىء. . وبمن يواصل حياته. . ؟

الشارع الجانبى يا اسطى. . قالها الرجل القابع خلفه. . هز حسين السائق رأسه بالموافقة. . ساد الصمت وقطعته زوجته وهى تقول للرجل الجالس بجانبها بعد ان تلفعت ببطانيتها الصوفية. . الجو بارد والسير على الكورنيش يعرض المرء لنزلة برد حادة ـ قال: الرجل المضطر يركب الصعب لقد توقفت منى سيارتى المرسيدس اصيبت بعطل مفاجىء تركتها وحاولت البحث عن تاكسى او سيارة خاصة ولكنى لم اجد سوى هذه العربة. . قالت المرأة فى خبث: ركوب عربة الحنطور سعرها غالى فى تلك الظروف.

واجابها مازحا: طبعا ولكن لابد أن نقتسم الاجرة ... سويا فى الركوب مصمصت شفتيها وبعد ... انا لست زبونة انا زوجة السائق فلابد ان تكون ... الاجرة كاملة. . ضحك حتى بدت اسنانه المذهبة لامعة وهو يقول اطمئنى سأدفع الاجرة ... للحصان العجوز. . انى ... مصنعا ... الحيوان اذا رغبتى فى اطعام هذا الحصان ... ارسلى به الى المصنع بعد احضار طقم اسنان ... الرجل يقول للسائق مرة ثانية هذا الشارع ... يا اسطى. نظر السائق خلفه ... المكان بالضبط. . وتلاقى الوجهان. . من ... ؟ قالها الرجل بدهشة حسين العجوز. . ؟

ارتعد جسد حسين. . اضطرب قلبه شعر بأن صوته يستمده من الفضاء الخارجى وهو يقول مش معقول ... مرزوق. . ؟

... حصانه العجوز وقفز من مقعده الامامى وعانق صديق العمر عناقا دام ما يقرب من عشر سنوات. . وما هى الا لحظة قصيرة تجاه الشارع الجانبى حتى ارتجت العربة. . سقطوا جميعا على

الارض كما سقط الحصان.. والدماء تنزف من رأسه.. افاق حسين السائق.. حصانه بجواره عربته مهشمة تعتليها عجلتان لعربة فاخرة.. زوجته راقدة بجواره قابضة على بطانيتها بيديها وأسنانها.. قام صديق العمر مرزوق معافىً سليما وهو ينفض عن ملابسة الثمينة الاتربة ويقول الحمد لله.

انحنى سائق العربة الفاخرة على حسين العجوز.. رفعه من تحت ابطه ليساعده على الوقوف.. تحسس حسين ساقيه النحيلتين.. مر بكف يده على ضلوعه وبقية اجزاء جسمه. الحمد لله.. قالها حسين العجوز وهو يمر بكفه على جبهته المتربة.. نظر الى حصانه.. مازال على الارض وقد اتسعت بركة الدماء التى نزفت من رأسه بعد أن رسمت دائرة كبيرة على الارض الباردة.. انحنى حسين على حصانه العجوز. انهال عليه بالقبلات والدموع.. ارتفع بوق يشق المكان انه البوليس.. الضابط يقول بصوت حاد لأحد جنوده.. ارسم دائرة بالطباشير حول الحادث.. التف الناس.. رجل بدين يقول.. القوه فسدت قوتها واصبحت فاسدة.

قال حسين للضابط بنبرات حزينة.. لقد تفاهمنا.. كما تنازل كل منا للآخر ولا داعى لعمل المحضر..

نظر مرزوق الى حسين فى اشفاق وهو يقول لا تحزن يا حسين.. ستعمل معى فى مصنعى.. دوار.. دوار.. ربما يكون الخلاص من مهنة الحوذية وبداية عمل جديد.. او فراق ووداع صديق.. اعطى كل منهما للآخر الحب والصدق والوفاء.. رفع حسين نظراته اللامعة الى السماء مازال طائر النورس محلقا جماعات جماعات.. ولم يعد الطائر الشارد الى جماعته مازال يرفرف بأجنحته صوب الغروب المخنوق.

قيد الصيد!

قال أبو تراب: جاء فى كتاب الابدال لأبى الطيب (ج٢ ص٤٠٤) رجل أفيلٌ وأفينٌ ومأفولٌ ومأفونٌ، اذا كان أحمق.

قال ابو تراب: وهذا الابدال لم يذكره الزجاجى فى كتاب المعاقبة وذكره ابن فارس فى المجمل قال: المأفول هو المأفون، وهو الناقص اللُّب، وقولهم: مافول الرأى قد سمعته ولعله من الابدال وأصله مأفون.

●● فى طبعة «اللسان» البولاقية (أفل) قال ابو زيد:

ابو شتيمين من حصَّاء قد أفلت
كأن أطباءها فى رُفْغِهَا رُقَعُ

قال أبو تراب: هذا تصحيف والصواب: أبو زُبَيْد كما فى التكملة للصاغانى، وفى تاج العروس للزبيدى وهو الطائى، ولم يصححه الأساتذة المحققون فى طبعة اللسان الأخيرة بدار المعارف ولم يتنبّه له ايضا محمد عبد السلام هارون فى كتابه الذى وضعه فى التنبيهات على اللسان.

● **ورد فى «اللسان» (أكل) قول أوس بن حجر:**
(على مثل مسحاة اللجين تأكُّلا)

قال أبو تراب: هكذا فى اللسان (مِسْحَاة) بالسين وفى (صحا) مِصْحاةٌ بالصاد المهملة وهو مطابق لما فى الديوان (ص٢٠) والمقاييس لابن فارس وهو الصحيح، ومعناه القدح ولم يصححه عبد السلام هارون فى تنبيهاته على اللسان وإنما نبه عليه فى هامش المقاييس.

قال أبو تراب: الابدال بين الواو والألف وارد فى كلام العرب من ذلك آكل وواكل ذكره فى اللسان ولم يذكره الحلبى ولا الزجاجى ولا استدركه عليهما محققهما التنوخى، وهذا الابدال أنكره الصاغانى وأجازه غيره كما فى تاج العروس للزبيدى، وفى القاموس: هى لُغَيّة.

قال أبو تراب: ولم يذكر الميدانى فى مجمع الأمثال ما جاء فى اللسان من قولهم: «أكل عليه الدهر وشرب» وإنما ذكر قولهم: «**إنما هم أكلَةُ رأس**» قال: ضُرب مثلا للقوم يقل عددهم. وذكر ايضا: «**أُكْلَةُ الشيطان**» وذكر قولهم: «**إنه ليعلم من أين تؤكل الكتف**» وقولهم: «**أنا آكل لحمى ولا أدعو لآكل**».

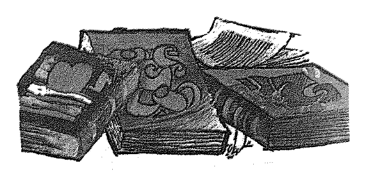
قال أبو تراب: أهمل الراغب الأصفهانى إدخال قوله تعالى: «**أَلَتْنَاهُمْ**» فى الألف وذكر «**لا يَلِتْكُمْ**» فى اللام



وأدخله ابن فارس فى المقاييس فى الموضعين وكذلك هو فى اللسان ويبدو من صنيع الزمخشرى أنه يرى أن القرآن جاء باللغتين وهو قول الفرّاء.

قال أبو تراب: وهذه الكلمة ذات احتمالين فقد جاء: «ومــا ألتنــاهم» وجــاء ايضــا: «لا يلتكم» فالأولى مهموزة الفاء من ألت يألت ألتا، والثانية معتلة العين من الأجوف اليائى من لات يليت ليتا، ويقال فى أَلَتَ آلَتَ على فَعَلَ وأَفْعَلَ ويقال فى لات: ألات على فعل وأفعل ايضا وفى الأربع الصيغ لا تخرج الأولى عن كونها مهموزة ولا الثانية عن كونها معتلة فيحتمل ان يكون «وما ألتناهم» من ألت يألتُ. وأن يكون من ألات يُليتُ أما لا يلتكم فهو أجوف، وفى قراءة أخرى: «لا يألتكم» وهو مهموز فتنبه.

أورد ابن فارس فى المقاييس (ليت) قوله:



ولـيـلة ذات دجى سريت
ولم يلتـنـى عن سراهـا ليت

قال أبو تراب: ورد هذا الرجز فى تفسير الطبرى (ج٢٦ ص٨٢) والقرطبى (ج١٦ ص٣٤٩) وفتح البارى (ج٨ ص٤٥٢) وهو منسوب الى رؤبة بن العجّاج فى مجاز القرآن لأبى عبيدة (ج٢ ص٢٣٢) وإصلاح المنطق لابن السكيت (ص١٥٣) والمخصص لابن سيده (ج١٤ ص٢٠) والمقتضب لابن جنى (ص٧) والمحتسب (ج٢ ص٢٩٠) وهو فى اللسان والمجمل غير منسوب.

قال أبو تراب: وليس فى ديوان رؤبة الموجود بين أيدينا ولا فى ملحقاته.

قال أبو تراب: أمـا قول ابن فارس: ان اللام والياء والثاء كلمتان لا تنقاسان فهذا مبنى على أنه أسس المادة على أصلين: صفحة العنق، والنقص، فلو أسسهـا على الصـرف لأمكن القيـاس لأن العنق يصرق يمنه ويسرة ولأن النقص صرف عن المنقوص فتأمـل. وفى الحـديث: يُنْفَخُ فى الصُّور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا أى أمال صفحة عنقه فهذا شاهد لما قلنا.



محاضرات عن التطور السياسي الحديث لقضية عمان ـ ألقاها الدكتور محمود علي الداود ـ القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية ـ المطبعة العالمية ١٩٦٤ ـ ٩٥ +١ص، سنة ١٩٦٤.

١ ـ ص: ٢٠ «وما أن تخلص العمانيون من الاستعمار البرتغالي حتى دخلوا في صراع دام طويل للتخلص من النفوذ الفارسي»: ما إن بكسر همزة إن لا فتحها.

٢ ـ ص: ٣٦ «أما الأحوال في زنجبار فقد استمرت هادئة رغم المحاولات التي أبداها السلطان تويني لقلب نظام الحكم في زنجبار بمساعدة أخيه الأصغر برقش. تلك المحاولات التي فشلت نتيجة لمساندة الانكليز لحكم ماجد. وقد أعطيت ولاية العهد لبرقش الذي تولى الحكم عام ١٨٧٠.

صحيح برقش: برغش ـ فهكذا يلفظه أهله بالغين.

٣ ـ ص: ٥٠ «الدكتور عدنان الباجهجي» الباجة جي.

٤ ـ ص: ٤٣ «وقد نصح المعتمد البريطاني في الخليج العربي سنة ١٩٢٠ السلطان تيمور بن فيصل بوجوب عقد اتفاقية مع إمام عمان محمد بن عبد الله الخليلي. وقد تم ذلك ووقعت الاتفاقية في سيب في ٢٥ أيلول ١٩٢٠».

(أ) ـ سيب: السيب. وعرفت باتفاقية ـ او معاهدة ـ السيب، نسبة الى المكان الذي عقدت فيه أي بلدة السيب وتكررت «سيب» ص٧٤، ٧٧.

(ب) ـ سيسميها المؤلف نفسه ص٥٦ «معاهدة السيب» ص٩٦ «اتفاقية السيب».

٥ ـ ص: ٧٠-٧١ «ابتدا السفير.. بزيارة البحرين.. ثم غادرها.. الى سلالة حيث قابل السلطان سعيد بن تيمور ثم زار مدن مسقط وقبيل.. وسميل.. ونزوة.. وروستاق».

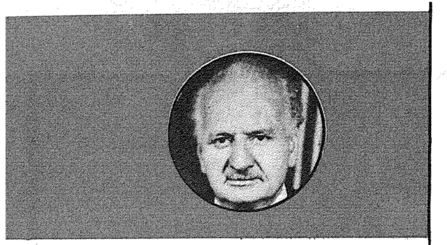
الصحيح: صلالة، سمايل، نزوى، رستاق ـ المؤلف متأثر بمراجعه المكتوبة باللغة الانكليزية. وتكررت سلاله ص٧٣: صلاله. وقد ترد بالسين؟.

٦ ـ ذكر المؤلف اتفاقية السيب بنصها الانكليزي ص٩٠-٩١ ومن الفائدة أن نذكر أن نصها العربي لابد أن يكون قد ورد في منشورات الامامة في العواصم العربية: القاهرة ـ دمشق ـ بيروت ـ بغداد، ومن الدمام في السعودية.. على أنه مثبت باسم «معاهدة السيب».. وذلك في شهر محرم عام ١٣٣٩ الموافق ٢٥ سبتمبر ١٩٢٠م في كتاب «عمان تاريخ.. يتكلم» تأليف محمد بن عبد الله السالمي وناجي عساف، دمشق، المط/ العمومية ١٣٨٣/ ١٩٦٣ ص ص ٢٢٠-٢٢٢.

٧ ـ ص٩٢ «تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان» الصحيح: بسيرة.. أي تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان.

تاريخ الترك في آسيا الوسطى تأليف و. بارتولد، ترجمة الدكتور أحمد السعيد سليمان ـ راجعه ابراهيم صبري. القاهرة ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ تاريخ المقدمة ١٣٧٨/ ١٩٥٨ ـ ٢٦٤ص.





د. علي جواد الطاهر

(١) أصل الكتاب اثنتا عشرة محاضرة ألقاها المستشرق الروسي بارتولد (١٨٦٩-١٩٣٠) باللغة التركية في جامعة استانبول سنة ١٩٢٦-١٩٢٧ - وترجمها الدكتور أحمد السعيد عن التركية نفسها.. والكتاب قيم في بابه جدير بالترجمة.

(٢) ص ١٠٠ - الخ يتطوع المترجم فيكتب سلجوق والسلاجقه على سلجوق وسلاجقه بثلاث نقاط للجيم على خلاف الموروث المتواتر الذي لا شذوذ فيه وهو إنما يفعل ذلك لحجة غير علمية فهو يخشى أن يلفظها المصريون بجيمهم العامية؟.

(٣) ص ١٠٨ «وقد كان أحفاد سلجوق.. حماة غيورين للمذهب الحنفي.. وقد اضطهد الشافعية اضطهادا شديدا في عهد طغرل بيَك..».

قد يكون وزير السلطان أولى بالذكر لدى الحديث عن اضطهاد الحنفية للشافعية ذلك الوزير هو: أبو نصر عميد الملك منصور بن محمد.

هذا ويكتب المترجم «طغرل بيك» مقطعة وهو صحيح لدى النظر الى الاصل التركي ولكن المؤرخين العرب يرسمونه هكذا «طغر لبك».

وهو يكتب ألب أرسلان مرة بالباء (ص١٠٩) كما هو في الكتب العربية ومرة بالپاء (ص١١١ - حيث يضع ثلاث نقاط تحت الحرف) وكم كان مناسباً أن يوحد وأن يذكر السبب فيما يختار من رسم مخالف للموروث».

(٤) ص ١١٧ «وعدا الشعر الشعبي، فهناك أشعار الصنعة.. وفي إحداها يسمى الشاعر نفسه (خادم الخاتون)...»

أ - لا تبدأ الجملة العربية بـ«عدا..»

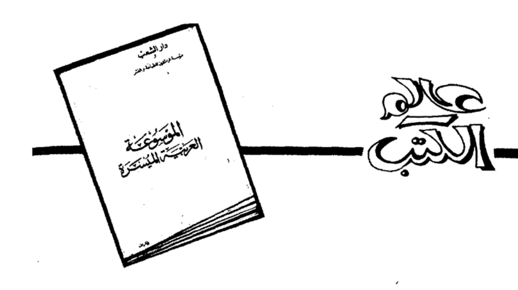
ب - ولا وجه للفاء في «فهناك»، وفي إحداها: وفي احدها، والاحسن أن يقول: قصائد الصنعة.. وفي احداها».

(٥) ص ١٢١ «ثمانية قبائل» ثماني قبائل

(٦) ص ١٣٣ «كينحسرو وكيقباد» لعلها: كيخسرو.

(٧) ص ١٧٧ من ملوك الاتراك، ملك مسلم أسمه «بركة»، ١٧٨ ومن المعلوم أن بركة زوج ابنته للسلطان بيبرس.. ومن هذا الزواج ولد أول ابن لبيبرس وهو الملك السعيد خان محمد المسمى في نفس الوقت ناصر الدين بركة خان.. ويذكر المؤرخ المصري الكتبي صاحب (عيون التواريخ) أن ناصر الدين بركة خان هذا ولد سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م وهذا مستحيل لأن العلاقة بين بركة وبين حكومة مصر لم تبدأ إلا سنة ١٢٦٢.»

رجع المؤلف الى جزء مخطوط في استانبول من عيون التواريخ ويحتمل أن يكون الخطأ من الناسخ أو من فهم المؤلف. وقد طبع هذا الجزء عن مخطوطة تيمور أخيرا في بغداد (وزارة الثقافة ١٩٨٠م بتحقيق فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود. ولم يرد فيه ميلاد ناصر الدين بركة - وانما ورد في ١٢ شوال سنة ٦٦٣ سلطن الملك الظاهر «**ولده ناصر الدين محمد بركة**» وفي يوم الخميس خامس القعدة ختن «الملك السعيد» وفي هذا ما يمكن أن يزيل الخطأ إذ يمكن أن تكون الولادة بموجبه بعد بدء العلاقة.



قراءة فى الموسوعة العربية

ظلت الدراسات العربية والاسلامية لمرحلة طويلة مسرحا للمستشرقين يصولون فيه ويجولون بينما كان العلماء العرب والمسلمين يكتفون من العلم بالسرد ومن المعرفة بالتحصيل معتمدين على المعارف المتناثرة فى بطون الكتب دون مناقشة للبحث والاستقصاء فى الاستنتاج الى ان ظهر عدد من الدراسات الموسوعية العربية القيمة والمتخصصة والمعاجم المختلفة . . وكتب العلوم والدوائر العلمية سدت فراغا لا يستهان به فى المكتبة العربية . . ثم جاءت الموسوعة العربية الميسرة وهى اول موسوعة عربية حديثه تنسخ فى مجلدين كبيرين يضمان الفين وثمان وعشرين صفحة من القطع الكبير ـ وقد صدرت عن مؤسسة فرانكلين للطباعة وأشرفت عليها لجنة مؤلفة من واحد وعشرين عالماً عربياً على رأسهم الأستاذ محمد شفيق غربال يساعده رئيسان للتحرير الاستاذ اسماعيل مظهر والاستاذ عبد الرحمن زكى . . . وشارك فى هذا الجهد الموسوعى عشرات العلماء العرب كل فى مجال اختصاصه . . وقد جاءت هذه الموسوعة وفق احدث النظم والأساليب نتيجة جهود هذه الجماعة الكبيرة المنظمة المتعاونة . . وقد صدرت الطبعة الأولى من الموسوعة عام ١٩٥٩ ـ ثم صدرت بعد هذه عدة طبعات آخرها هذه الطبعة التى بين يدي لعام ١٩٨١ وهى صادرة عن دار نهضة لبنان للطباعة والنشر فى بيروت .

وعلى الرغم من الجهد الكبير المنسق الذى بذل فى إعداد وتصنيف وتحقيق هذه الموسوعة .

وعلى الرغم من سوابق الطبعات المختلفة التى تمت منذ عام ١٩٥٦ حتى الآن الا اننى مع الأسف لاحظت وقوع عدد من الاخطاء التاريخية واللغوية والتنظيمية أرى من الضرورى التنبيه اليها بغية تنقية هذه الدراسات من بعض الشوائب والسقطات فى الطبعة القادمة .

وهذه الاخطاء هى :

حول هجرة الرسول

تشغل مادة (هجرة) فى الموسوعة ص ١٨٩١ خمسة اسطر لم يتم ملء فراغ سطرها الخامس على الرغم من ان الموسوعة ص ١٧٦٤ كتبت عن المهاجرين الملكيين الذين فروا من الثورة الفرنسية (اربعة عشر سطرا) أى ثلاثة اضعاف ما كتب عن هجرة الرسول ﴿ﷺ﴾ ومع ذلك نسجل على هذه الأسطر الخمسة غير المتكاملة الملاحظة التالية :

قالت الموسوعة «تتابع المسلمون بعد النبى فى الهجرة الى المدينة جماعات ووحدانا وسموا بالمهاجرين» .

اى ان معلومات المؤرخين فى الموسوعة أن النبى ﴿ﷺ﴾

مصطفى محمد الفار

هنات المسيرة

وابا بكر هاجرا الى المدينة اولا ثم هاجر بعدهما المسلمون وقد اكدت الموسوعة هذه المعلومات فى مادة اخرى وهى مادة (الانصـــار) ص ٢٤٥ فقـالت هاجـر: اليهم بعـد الرسول مسلمو مكة او المهاجرين.

ونلقى نظـرة فى احد مصادر التاريخ الاسلامى لكشف خطأ الموسوعة فيها ذكر من أن هجرة المسلمين الى المدينة وقعت بعد هجرة الرسول وصاحبه.. ففى هذه المصادر الوثيقة ان الرسول ﴿ﷺ﴾ امر اصحابه اولا بالهجرة الى المدينـة ولم يبق معـه بمكة الا ابو بكر وعلى رضى الله عنهما.. ولما اذن له بالهجره هاجر وفى صحبته ابو بكر واقام علىّ بعـدهما ثلاثـة ايام ليؤدى الودائع التى كانت عند الرسول ﴿ﷺ﴾ ثم هاجر الى المدينة (راجع على سبيل المثال: السيرة النبوية لابن هشام ٧٥/٢ وما بعدها وتاريخ الطبرى ٩٧/٢).

ابناء على وفاطمة

الثابت يقينا ان ابناء على بن ابى طالب من فاطمة الزهراء رضى الله عنهما اربعة هم (الحسن والحسين وزينب وام كلثـوم) ولكن المـوسـوعـة فى مادة فاطمـه الـزهـراء (ص١٢٦٧) قالت تزوجت فاطمـة على بن ابى طالب وانجبت منه الحسن والحسين وزينب فاين ابنتهما الثانية ام كلثوم..

إن الموسوعة لم تثبتها فى هذه المادة وان كان محرر المادة (على بن ابى طالب (ص١٢٢٠)) قد اثبتها هناك.

من الثابت تاريخيا ان شعوبا تضاهى اليهود حضارة ومدنية وممـالك اخرى لا تُقاس بها مملكتا يهودا واسرائيل عظمة وسلطانا قد عاشت فى فلسطين قبل اليهود بزمن طويل - فالمؤرخ الفرنسى (رابوبور) ويؤيده فى ذلك فريق من كبار المؤرخـين مثـل «باتو وهنرى برستد» يقول: يرجع وجود السكان فى فلسطين الى عهد قديم جدا يقدره بعضهم باثنى عشر ألف سنة قبل الميلاد.. وقبل ان يضع اليهود اول قدم لهم فى فلسطـين كان يقطنها اقوام ذوو حضارة ومجـد كالكنعـانيـين والحيثيـين والفنيقيـين والفلسطينيين وغـيرهم (راجـع رابـوبور) تاريخ فلسطين (ص٧٠٢٢) راجـع ايضـا (بـاتـو) التـاريـخ القـديم لمصر وفلسطين ص٧١٦.. لكن المـوسوعة فى مادة فلسطين ص١٣٠٩ قالت (يبدأ التاريخ لفلسطين بتاريخ العبرانيين) فمن اين حصل محرر هذه المادة على هذه المعلومات المشبوهه؟.

■ وفى صفحة ١٣١٠ من الموسوعة يذكر محرر نفس الماده ما يلى: استولى البريطانيون على فلسطين واعلنوا عزمهم على تخصيصها لاقامة وطن قومى لليهود.

■ ومن المعروف ان فلسطين كانت قد سقطت بكاملها فى ايدى البريطانيين فى شهر تشرين الثانى نوفمبر سنة ١٩١٨.

■ تذكر الموسوعة صفحة ٤٥٤ مدينة بيت المقدس تقع بوسط فلسطين فوق تل صخرى من تلال اليهوديه على ارتفاع ٧٦٢ مترا على بعد ٥كم من يافا.

والواقع ان مدينة بيت المقدس تقع على بعد ٥٢كم من مدينة يافا كما انها ترتفع عن سطح البحر بمقدار ٧٧٥ مترا وذلك خلافا لما ذكر فى الموسوعة (راجع كتاب فلسطين ارض وتاريخ ـ د. محمد سلامه النحال ص١٨٢).

كذلك فان الموسوعة تقول قد تكون القدس هى شليم المذكوره فى سفر التكوين. . ونحن نرى ان ما ذكرته الموسوعة عن تسمية القدس هذه هى مقولة يهوديه فقد سموها باسم (يرأه شالم). . ويقولون بان سام بن نوح قد سماها شليم أى السلام والادعاء خرافى ذلك ان سالم او شالم هو اسم احد ملوك القدس القدماء من اليبوسيين. . ومن المعروف ان اليبوسيين عرب (راجع كتاب القدس ماضيها وحاضرها ومستقبلها) فايز فهد جابر صفحة ١٤ الرمله.

تذكر الموسوعة صفحة ٨٨٠: الرمله بلدة فى فلسطين سكانها ٧٠٠٠ نسمه خربها صلاح الدين ١١٧٨ لكى لا تقع فى قبضة الصليبيين.

والواقع ان عدد سكانها قد بلغ عام ١٩٤٥ (١٥١٦٠) نسمه فمن اين حصلت الموسوعة على معلومات بعدد السكان، كذلك فان الثابت ان صلاح الدين لم يدمر فيها سوى قلعتها حتي لا يحتلها الصليبيون وهى عامرة ولكن جدد بناء الجامع الابيض فيها.

اخطاء مطبعية

فى مادة الأشورية ص١٦٧ قالت الموسوعة: لغة سامية فى المجموعة (الا كان) والصواب الاكادية. . وهى لغة الشعوب الساميه التى اقامت فى منطقة ما بين النهرين حوالى الالف الرابعة قبل الميلاد. . وهى منسوبة الى (اكاد) وفى جدول اللغات (ص١٥٥٨) جاء من فروع الاكادية اللغة البالية والصواب البابلية نسبة الى بابل. . ويتبقى ان نميز بين هذه اللغة ولغة اخرى تسمى البالية من اللغات الهنديه الآرية وهى اللغة المقدسة عند البوذيين فى سيلان والهند الصينية وهى وارده فى موضعها فى الجدول صحيحة.

■ فى مادة معتزلة (ص١٧١٨) جاء تمامه بن الاشرص والصواب ثمامه (بالثاء المثلثه).

■ فى مادة الادب العربى ص٨٨ قالت الموسوعة عند ابى على الدالى: وكان من معاصريه الرياضى ص٩٦٨ والصواب الرباحى بالباء الموحدة وهو ابو عبد الله محمد بن يحيى الرباحى نسبة إلى قلعة رباح من اعمال طليطلة فى الاندلس. . ترجمة فى طبقات النحويين للزبيدى (٢٢٥).

■ وفى مادة الادب العربى ايضا جاء: المتنبى الذى شرح ديوان ثلاثة من اعلامهم (المغاربه) الشنتمرى والاقليلى وابن سيده والصواب شرح ديوانه ثلاثة.

اخطاء لغوية

■ فى مادة على بن ابى طالب (ص١٢٣٠) جاء ولد لاثنين وثلاثين سنة والصواب لاثنتين.

■ وفى مادة جماد الاولى والجماد الثانى ص٦٤٠ والصواب جمادى الاولى وجمادى الاخره.

خطأ فى الاحالة

■ فى مادة حج صفحة ٦٨٩ قالت: واركانه الاحرام من اماكنه (انظر مواقيت). . ونبحث فى الموسوعه عن مادة مواقيت التى احيل القارىء عليها فلا نجد غير مواقيت الصلاة فاين ذهبت مواقيت الحج؟. .

■ فى مادة القراءة طريقة تلاوة القرآن الكريم ونطق الفاظه (ص١٤٧٢) قالت الموسوعة ومنها السبع الصحيحه وهى قراءات ابو عمرو بن سليمان المعروف بحفص وحمزه وعاصم وابن عامر وابن كثير ونافع والكسائى ـ ففى رأى الموسوعة ان حفص بن سليمان من القراء السبعة وهذا خطأ ويجب ان يوضع مكانه ابو عمرو بن العبدى المازنى مقرىء البصرة وأحد السبعة المشهورين. . اما حفص بن سليمان بن المغيره وكنيته ابو عمر لا ابو عمرو كما ذكرت الموسوعه

[redacted]

مرتين فليس من السبعه ولا من العشره بل هو احد اثنين رويا القراءه عن عاصم بن ابى النجود (ت١٢٨هـ/٧٤٦م) احد السبعة . . وحفص هو اعلم اصحاب عاصم بقراءته . . وهذا الخلط فى الموسوعة بين أبى عمرو بن الصلاح وابى عمرو حفص ادى الى خطأ آخر وهو:

اصدارات جديدة

■ صدر عن دار الشروق ـ جدة ـ كتاب «طلائع الفكر والأدب» طبعة اولى فى جزئين للأستاذ هاشم محمد سعيد دفتر دار المدنى . . الكتاب يشتمل على موضوعات كثيرة من مختلف فروع الثقافة والمعرفة والآداب والعلوم تمثل كنوزاً من الحكمة التى وعاها الكاتب طوال سنى دراساته . . يقع الجزء الاول فى حوالى ٣٨١ صفحة والثانى فى ٧٩٤ صفحة من القطع العادى.



■ عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر ـ صدر ديوان «اللهب المقدس» لشاعر الثورة الجزائرية «مفدى زكريا آل الشيخ».

يضم الديوان حوالى خمسة وخمسين قصيدة تصور الثورة الجزائرية بواقعها وبطولاتها وأحداثها وتبرز إرادة الشعب . . يقع الديوان فى حوالى ٣٦١ صفحة من القطع العادى.

■ فى مادة حفص ص٧٢٧ ذكر تاريخ ميلاده ووفاته هكذا (٦٨٩ـ٧٧٠) وهو نفسه تاريخ ميلاد ووفاة ابى عمرو بن الصلاح وصحة تاريخ حفص بن سليمان هو (٧٠٩ـ٧٩٦).

■ فى مادة القراءه ايضا قالت الموسوعة وقد تضاف اليها ثلاث قراءات فتصبح عشرا . . روايه يعقوب وخلف وابو عبيد وذكر ابو عبيد فى القراء العشرة خطأ ويجب ان يوضع مكانه ابو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومى (ت١٦٨هـ/٧٤٦م) احد القراء العشره المشهورين . . راجع فى كل ما سبق البرهان فى علوم القرآن للزركشى . . وطبقات القراء والعشر فى القراءات العشر لابن الجزرى.

جاء فى مادة نقد ادبى فى الموسوعة (ص٧٤٣) بعنوان سر الصناعتين بينما جاء القول صحيحا خاليا من اضافة كلمة (سر) فى مادة الادب العربى (ص٨٥) ومادة العسكرى ص١٢١٢ . . والكتب المعروفه التى اشتملت عناوينها على (سر الصناعه) او سر الفصاحة هو سر الصناعة واسرار البلاغه لابى على الحاتمى (٣٨٨هـ) . . سر صناعة الاعراب لابن جنى (ت٣٩٢هـ) . . وسر الصناعتين فى اى مرجع من المراجع القديمه التى ترجمت لابى هلال او وصفت مؤلفاته.

ورد فى ص ١٣ عن ابى الجوزى عبد الرحمن بن على ما يلى:

مؤرخ عربى وفقيه حنبلى أَلَّف فى التاريخ والحديث عدة كتب اهمها: المنتظم وملتقط المنتظم . . فهل تصدق كلمة عدت على ابن الجوزى الامام المؤرخ المحدث المفسر اللغوى المشهور التى نُشر منها حتى الان ثلاثون كتابا ولا يزال المخطوط منها خمسين ومائة كتاب.

من مظاهر عدم الدقة فى الموسوعة انها اعتمدت فى فهرس الاعلام الاسم الاخير فى بعض الاعلام مثل

الاتاسى . . هاشم وخيام عمر ـ ثم عادت فاعتمدت الاسم الاول للعلم مثل شكرى القوتلى . . احمد شوقى ـ حافظ ابراهيم . . وفى هذا خلط فى التبويب يؤدى الى اللبس على القارىء . . كذلك فان هناك عددا كبيرا من الاعلام المشهورين فى الادب والفن والاقتصاد والشؤون السياسية لم يرد لهم ذكر فى الموسوعة امثال: **عدنان المالكى . . احمد حلمى باشا . . حافظ عفيفى باشا . . محمد صدقى الزهاوى . . خير الدين الزركلى . .**

■ وفى مادة جامعة: ورد ذكر جامعة الاسكندرية واسيوط ولم يرد ذكر جامعات اخرى مثل جامعة القاهره وجامعة دمشق والجامعة الامريكية . . الخ .

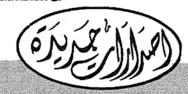
■ وفى مادة مكتبة ورد ذكر مكتبة الاسكندريه فقط دون ان تذكر معها مكتبات بيت الحكمة . . ودار الحكمة ومكتبة الازهر ودار الكتب المصرية . . الخ .

■ وفى رأيى أن اى دراسة موسوعية يجب ان يراعى فيها الكاتب الحياد وعدم الانحياز لمادة دون اخرى .

وبعد فإن قصدنا من هذه الملاحظات هو التطلع الى الكمال المتجدد لا تلمس النقص او تصيده وهو هدف تقتضيه اسباب التحقيق ومناهج البحث .

المصادر والمراجع

١ ـ السيرة النبويه لابن هشام ج١ صفحة ٧٥
٢ ـ طريق الطبرى لابن جرير الطبرى ج/ ٢ ص٩٧
٣ ـ رابوبورت تاريخ فلسطين ص٢٢ ، ٢٧ .
٤ ـ باتو التاريخ القديم لمصر وفلسطين ص٦ ، ٧
٥ ـ فلسطين ارض وتاريخ ومحمد سلامه الخال ص١٨٢
٦ ـ القدس ماضيها وحاضرها ومستقبلها ـ فايز فهد جابر ص١٤
٧ ـ طبقات النحويين للزبيدى ص٢٢٥
٨ ـ البرهان فى علوم القرآن للزركشى
٩ ـ النشر فى القراءات العشر لأبى الجزرى .



■ عن المؤسسة الوطنية لكتاب الجزائر صدرت مجموعة قصصية بعنوان «صاحبة الوحى» للأستاذ أحمد رضا حوحو ـ تشتمل على تسع قصص . . تعكس العلاقات العاطفية ووطأة التقاليد والعادات عليها . . قدم لها الأستاذ أحمد منور . ويقع الكتاب فى حوالى ١٣٥ صفحة من القطع الصغير .



■ صدر عن المؤسسة الوطنية للكتاب ـ سلسلة فى الأدب الجزائرى الحديث ـ كتاب «**محمد العيد خليفة**» للدكتور صالح الخرفى ـ ترجم فيه المؤلف للشاعر الجزائرى محمد العيد الخليفة وعرض نماذج من أشعاره ووثائقه المخطوطه . . يقع الكتاب فى حوالى ١٧٤ صفحة من القطع الصغير .

■ صدر عن مطابع دار البلاد ـ كتاب «**حصاد الأيام**» للأستاذ محمود عارف ـ طبعة أولى ـ يشتمل على مجموعة من الموضوعات المختلفة فى مجالات المعرفة والأدب والفنون ويقع فى نحو ٢٨٩ صفحة من القطع المتوسط .

كما صدر له أيضاً كتاب أوراق منسية وديوان العبور الذى يشتمل على سبعة وأربعين قصيدة ورباعيات .

عددنا القادم

الأثر والآثار

العدد السنوى المتخصص

اعتادت مجلة «المنهل» اصدار عدد سنوى متخصص، تتخير له موضوعاً تحاول بقدر جهدها واجتهادها ان يكون هاماً وحساساً فى حياتنا.

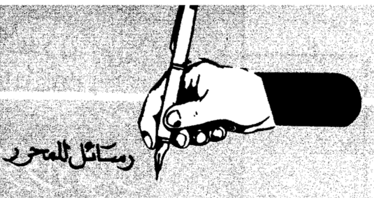
تفجّر مناقشته من كل الجوانب والزوايا وبأقلام نخبه من المتخصصين على امتداد رقعة العالم العربى والاسلامى.. طاقة خلاقة فى فهم مسيرتنا العلمية والثقافية والحضارية.

والمجلة تطمح فى ان تكون هذه الاصدارات لبنة فى سبيل تأسيس فهم واحد ونظرة واحدة تطبع العقل العربى والاسلامى.. فبهذا الفهم وهذه النظرة تتوحد الأفكار والمشاعر وترى المنهل ان وحدة العقل والقلب هى ما يمكن ان تعطى الصحوة الحقيقية لهذه الأمة.

ولعلنا لا نكون مبالغين اذا قلنا ان عددنا الذى نعد له من الآن (الأثر والآثار) هو أول عدد من نوعه يصدر بجهود مشتركة بين مجلة شهرية طموحة «المنهل» وبين مؤسسة علمية لها امكاناتها وهيبتها هى «جامعة الملك سعود بالرياض» والتى لها فضل السبق فى الدراسات الأثرية

لقد كوّنا تصورنا حول هذا الموضوع الحيوى الخطير وقمنا بالاتصال بالجامعة من أجل اشراكهم معنا فى تقديم خدمة ثقافية متميزه لقراء العربية.. وقد اثلج صدرنا هذا الاهتمام الذى ابدته الجامعة وسارعت - كما املنا - بتقديم كل ثقلها العلمى لمؤازرة هذا العدد المتخصص (الأثر والآثار) ونحن كما نتوجه الى الجامعة بالشكر نتوجه الى قراء العربية الكرام نجدد لهم العهد دائما بأنهم سيجدوننا ان شاء الله حيثما وكيفما طمحوا.

والله المستعان..



القراء الكرام:

نسعد بكم وتسعدنا رسائلكم الكريمة التى تحمل بين طياتها اجمل معانى الشكر والتقدير. . وكان بودنا أن نجد من المساحة فى منهلكم ما يسع لنشر الكثير منها. . ونرجو ان يكون معنا العذر فى نشر بعضها. . ويزيد من سعادتنا ان (المنهل) بفضل من الله سبحانه استطاع أن يصل الى اكثر الدول الاسلامية والعربية مما نجد صداه واسعاً فى هذا الكم الهائل من رسائل الاخوة القراء.

ونكرر . . لكم التحية والشكر والتقدير.

«التحرير»

سيادة رئيس تحرير مجلة المنهل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . وبعد

لأول مرة اكتب إليكم بعدما تصفحت العدد الاخير من أعداد مجلتكم الغراء فوجدتها مجلة قيمة تحتوى فيا بين طياتها على قدر هائل من الثقافة والمعرفة وتعدد الموضوعات العلمية والأدبية وأنتهز هذه الفرصة لأعبر لكم عن إعجابى الكبير بهذه المجلة . . كما أبلغكم احترامى الخالص لكم وتشجيعى لجهودكم فى سبيل إخراج هذه المجلة الى النور كى تنير العقول وتشرح الصدور وتزيد من تثقيف الفرد العربى وإثراء معارفه وانها لخطوة تستحق الثناء.

إننى أود أن أستفسر عن إمكانية ارسال بعض الأقوال والنظريات الشخصية أو لبعض المفكرين حول مواضيع مختلفة.

إننى طالبة جامعية بشعبة التاريخ والجغرافيا شغوفة الى حد كبير بقراءة مجلة المنهل نظرا لما تتضمنه من مواضيع هامة. . ارجو منكم مساعدتى على متابعة مضامين هذه المجلة مستقبلا.

خديجة نجيع
المغرب

المنهل:

اهلا بك صديقة تشاركين معنا رحلة الحرف والكلمة واهلا بانتاجك والذى سيعرض على لجنة التحرير وعند اقرار نشره ستجدينه على صفحات مجلتنا الداخلية (هن). وقد إرسلت الك الاعداد المطلوبة.

سيادة رئيس تحرير مجلة المنهل

أحييكم بتحية الاسلام . . وبعد

فيسعدنى جدا أن أكتب الى مجلتكم «المنهل» التى وبالرغم من وصولها المتأخر الى قرائها فى الجنوب التونسى وقلة الأعداد المتوفرة فإننى من الحريصين على متابعة مسيرتها البناءة والتى أسعى إلى الاستفادة من كل اركانها وبخاصة الركنان اللذان يميزان المجلة «إسلاميات» وكذلك «فلسطينيا».

سيدى الكريم: بغية الحصول على المزيد من المعرفة فلقد شد اهتمامى العددان الممتازان (٤١٩ المجلد ٤٦) وكذلك العدد ٤٣١ المجلد ٤٨) فبادرت بهذا الطلب الذى آمل أن تقع الاستجابة له وأن تتكرموا بهذين العددين اللذين سأعتبرهما بمثابة الجائزة التشجيعية لى لمزيد الأخذ من منبع مجلتكم النقى. . واسأل الله أن يجزيكم عنى خير الجزاء ويرزقكم من حيث لا تحتسبون.

عمار الطرادى
تونس

المنهل:

نقدر لك هذا التواصل. . والاعداد التى ترسل من قبلنا الى تونس الشقيقة هى ما قررته شركة التوزيع لديكم بسبب بعض الاجراءات المالية هناك. . ولك ما طلبت من اعداد.

سيادة الاستاذ زهير الانصارى

مدير تحرير مجلة المنهل

تحية اخوية قلبية لكم ولكل العاملين فى المجلة التى رأيتها وشغفت بها وشعرت وكاننى رأيتها من قبل.

رأيتها فى احد المراكز الثقافية فى طهران رأيت مجموعة لا بأس بها وبدأت اقرأ بشغف عجيب لاننى افتقدت المجلات العربية من فترة وتساءلت فى نفسى اين كانت هذه المجلة الشيقة وأنا الآن اتساءل هل تصل هذه المجلة الرائعة الى البلدان العربية بل واين كانت منذ خمسين سنة.

لقد كانت المجلة فائدة ومتعة فى نفس الوقت فمن حيث

الاستاذ/ نبيه الانصارى . .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

أملك القليل من أعداد مجلة «المنهل» الغراء لأن عهدى بها قريب فقد اكتشفتها منذ ١٩٨٤م ١٤٠٤هـ وخلال هذه المسيرة القصيرة مع «المنهل» استنتجت أن هذه المجلة السعودية الأم فريدة فى نوعها جديدة فى مبناها ومعناها واخراجها فكان إعجابى بها شديدا ورغبتى فى اقتنائها كبيرة لأنى رأيتها سلسبيلا فراتا تصب فيه كل ينابيع المعرفة ولاحظت أن اسمها ينطبق على مسماها تمام التطابق فهى منهل وأى منهل، منهل عذب يستقى منه كل ظامىء للعرفان ويغرف منه كل متلهف على العلم والبيان.

وما بلغت مجلة المنهل الى هذا المستوى المرموق الا بفضل جهدكم المشكور وصبركم الدؤوب حتى أخرجتموها فى حلة قشيبة ومضمون نير ومستوى مرموق وتبوأت منزلة عند القارىء لا تضارع.

لهذا أحيى فيكم غيرتكم الاسلامية وجهادكم المتواصل من أجل اعلاء الحق ودحض الباطل وتنوير العقل وخدمة الكلمة الهادفة . . واسمح لى أخيرا أيها الاخ الكريم أن أطلب منكم على استحياء تزويدى ببعض أعداد «المنهل» الصادرة قبل ١٤٠٤هـ.

وفقكم الله وسدد خطاكم

عبد الواحد البكارى
المغرب

المنهل:

شكرا لك . . و كل ما نقوم به واجب اخذنا العهد على انفسنا بالاستمرار فيه وبالعمل على تطويره . . هذا وقد ارسلنا لكم بعضاً من الاعداد المتوفره هدية.

الاستاذ/ نبيه بن عبد القدوس الانصارى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

من أرض الكنانة - ارض النيل المعطاء والوادى الخصيب مصر

اكتب اليكم وقلبى معلق بالارض الطاهرة كعبة الله فى أرضه ومهبط الرسالة الخاتمة ومصدر الاشراقات الروحية الزكية . . وقد أسعدنى وأطربنى أن أطالع عدداً من مجلتكم الشاملة والدسمة والنافعة بعلمها ان شاء الله . . إنى لم اقرأ سوى عدد واحد من اصدارات مجلتكم . .

وانى اذ اعتبر رسالتكم قد اكتملت بفتح صدر المجلة لكل باب من أبواب المعرفة . . ارجو أن تكون رسالتى اليكم . . فاتحة بيننا بالخير والحق.

ولكم شخصيا - ولادارة التحرير والعاملين بالمجلة كل أمنياتى الطيبة . . وآمل أن توافونى بأعداد سالفة من مجلتكم للاطلاع عليها والاحتفاظ بها فى مكتبتى الخاصة اذ ليست ثمة اعداد منها فى حوزتى.

والله يحفظكم ويرعاكم . .

د. عاطف الماضة
مصر

المنهل:

شكرا لمشاعرك الفياضة . . واهلا بك صديقا مشاركا وقد ارسل لك المطلوب من الاعداد هدية.

المظهر والتنسيق والترتيب هى فى غاية الجوده ومن حيث المضمون والمواد المنشورة فيها كذلك فى غاية الروعة فقد قرأت بها مواضيع لكبار الكتاب: د/حسين نصار . . د/على جواد الطاهر . . د/احمد سعيد الدمرداش . . وغيرهم من كبار الكتاب فهنيئاً لكم فى المجلة وتمنياتى القلبية الحارة لكم جميعاً . . فكيف أحصل عليها.

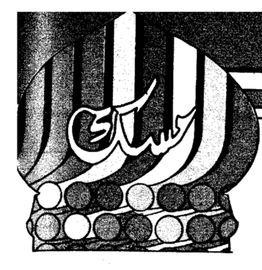
وارجوكم بيان كيفية الاشتراك ومبلغ الاشتراك مع اجور البريد فى رسالة.

هذا واطلب منكم كهدية رمزية الاعداد ٤٤٩، ٤٤٤، ٤٤٢ . . لاننى وجدت فيها بعض المواضيع التى احتاجها لذلك وددت ان احتفظ بها عندى للمراجعة فالرجاء ان لا تخيبوا املى . . ولكم جزيل الشكر.

محسن عبد الحميد
طهران

المنهل:

مجلة المنهل متوفرة فى اسواق غالية بلادنا العربية والحمد لله . . ونامل أن تصل الى قرائها فى ايران . . فالثقافة ملك للجميع . . وقيمة الاشتراك السنوى للافراد بها (١٥٠) ريالاً سعودياً او ما يعادلها بما فى ذلك اجور البريد . . وقد ارسل لك المطلوب من الاعداد.



تراثنا

هذا التراث العربى نقف امامه احتراماً وتقديراً لأننا ان لم نفعل ذلك اصبحنا عاقين وغير مدركين قيمة الثروة التى تركها لنا الأسلاف والتى تمثل شخصيتنا وكياننا. . ولكن السؤال الذى يفرض نفسه كيف يتأتى لنا التعامل مع هذه الثروة وتعريفها. . ؟ هنا مربط الفرس ومحور الانطلاق لمناقشة هذه القضية. . فقد نادى كثير من الأدباء والمفكرين بقراءة التراث العربى من جديد فطرب لهذه الدعوة قوم وأقضت مضاجع آخرين ولا شك أن القضية على جانب كبير من الأهمية لأنها تمس ماضى الأمة العربية وحاضرها ومستقبلها. . بيد أن الموضوعية والاتزان وحسن النوايا مطلب حتمى لرفع صوت هذه الدعوة والاستجابة لها كى يكشف النقاب عن اسرار هذا التراث

تراث

الأمة جبينها الناصع وقلبها النابض وشريانها الحى الذى يربطها بجذور التاريخ الحضارى والفكرى للانسانية. . ومن خلاله يتجسد مجدها ومكانتها. . ولا شك أن التراث العربى شكّل منعطفاً بارزاً فى الحضارة الانسانية فكان لبنة أساسية قام عليها البناء العلمى والثقافى حتى وصل الى ما وصل اليه ولا ينكر ذلك الا مكابر أو جاهل. . ولست فى مجال الحديث عن دور التراث العربى فى الانطلاقة الفكرية لحياة الانسان ولكنى سوف اكون اقصر نظراً من ذلك اما لضيق المجال الذى يحتم علىّ الخوض فى جانب معين او لنقص فى معلومات تؤهلنى أن أخوض فى خضم بحر العلوم العربية التى استقى منها الفكر الانسانى موارده وبنى عليها نظرياته.



الجديد

لافاده منه بشكل واضح وملموس مما كون له أجدى النتائج واثمرها. واذا كان فكر لا يؤمن بالجمود او بالحجر العقلى انه لا يستجيب للمسخ والنسف ولا شك ن هناك جوانب مشرقة ومضيئة كثيرة فى راثنا العربى قد ترى بالعين المجردة التى جاوزها.

نحن بحاجة الى من يضع أيدينا على مثل هذه الكنوز فيعرضها من جميع زواياها واشكالها ولكن هذا لا يعنى انه لا توجد بعض السلبيات او الشوائب التى تراكمت عبر العصور على بعض اكسير هذا التراث وهى بحاجة الى الصقل والتهذيب واعادة النظر فى صياغتها ومعالجتها كى يستقيم عوجها ويُثَقَّفَ ميلها. بيد ان، هناك من يرمى هذا التراث بالجمود والتحجر ويتهم المتعاملين معه بالتخلف منصاعاً للصيحات العارمة من الشرق أو الغرب مبهوراً بالنظريات والفلسفات الاخرى معتقداً انه من الاجدى ان ننبذ تراثنا العريق ونعتنق مثل هذه الاتجاهات المستجدة فى الحياة التى قد لا تتفق مع ما عندنا من قيم ومثل.

ولا شك ان هذه النظرة يشوبها شيىء من الاختلاط وفقد التوازن واكثر مَنْ ينصاع لها هم ذوو الثقافات الضحلة والافكار السطحية لكنها لا تلبث أن تتلاشى وتضمحل ويبقى الاصلح وهو الجمع بين الحسنيين: التمسك بالبنية التراثية القديمة.. والأخذ من جديد حضارات الأمم ما يزيد حياتنا نماءاً وازدهارا حسب منطلقاتنا الفكرية والمنهجية.. ولا يتحقق ذلك الا على يد المخلصين المتعمقين فى الفكر والثقافة الذين يبنون نظرياتهم القديمة والحديثة على منهج علمى واضح.



الثقافة عملية مستمرة تبدأ من الانسان وتنتهى اليه عبر وسائط مختلفة على رأسها الصحافة . . وإيمانا منا باهمية المشاركة بين المجلة وقرائها فقد اقدمنا على اعداد هذا الاستبيان لاستطلاع رأيك عزيزنا القارىء رغبة فى استمرار التناغم والتفاعل آملين ان نجد منك الاستجابة والاهتمام . . فالتطوير الذى تنشده المجلة فى مطلع عامها الرابع والخمسين لن يتأتى الا بمعرفة رجع الصدى وآراؤك ومقترحاتك هى الصدى وهى المعين لنا فى التطور المرتجى.

(ضع علامة (✓) على الاجابة التى تراها)

(١) مدى انتظامك فى قراءة المجلة : ( ) منتظم ( ) أحيانا ( ) نادرا

(٢) هل يشاركك أحد فى قراءة نسختك من المجلة : ( ) لا أحد ( ) اثنان ( ) ثلاثة فما فوق

(٣) أى الابواب ـ الموضوعات ـ الثابتة تفضل؟

١ ـ   ٤ ـ

٢ ـ   ٥ ـ

٣ ـ   ٦ ـ

(٤) هل هناك موضوعات اخرى تحب ان تتناولها المجلة؟ ( ) نعم ( ) لا

اذا كانت الاجابة بنعم فما هى تلك الموضوعات :

١ ـ   ٤ ـ

٢ ـ   ٥ ـ

٣ ـ   ٦ ـ

(٥) هل التبويب وترتيب المواد فى المجلة : ( ) جيد ( ) مقبول ( ) غير مناسب

(٦) هل هناك كُتّاب معينون تحرص على متابعة مقالاتهم فى المجلة؟ ( ) نعم ( ) لا

اذا كانت الاجابة بنعم فمن هم الذين تحرص على متابعتهم؟

١ ـ   ٤ ـ

٢ ـ   ٥ ـ

(٧) مقالات العدد: ( ) طويلة ( ) مناسبة ( ) قصيرة

(٨) الاخراج الفنى للمجلة :

أ ـ النسبة بين توزيع الصور والمادة الصحفية : ( ) مناسبة جدا ( ) مناسبة ( ) غير مناسبة

ب ـ العناويـــن : ( ) جيدة ( ) مقبولة ( ) غير مناسبة

ج ـ الصور (من حيث الوضوح): ( ) واضحة جدا ( ) واضحة ( ) غير واضحة

د ـ عدد الصفحات : ( ) كثيرة ( ) متوسطة ( ) قليلة

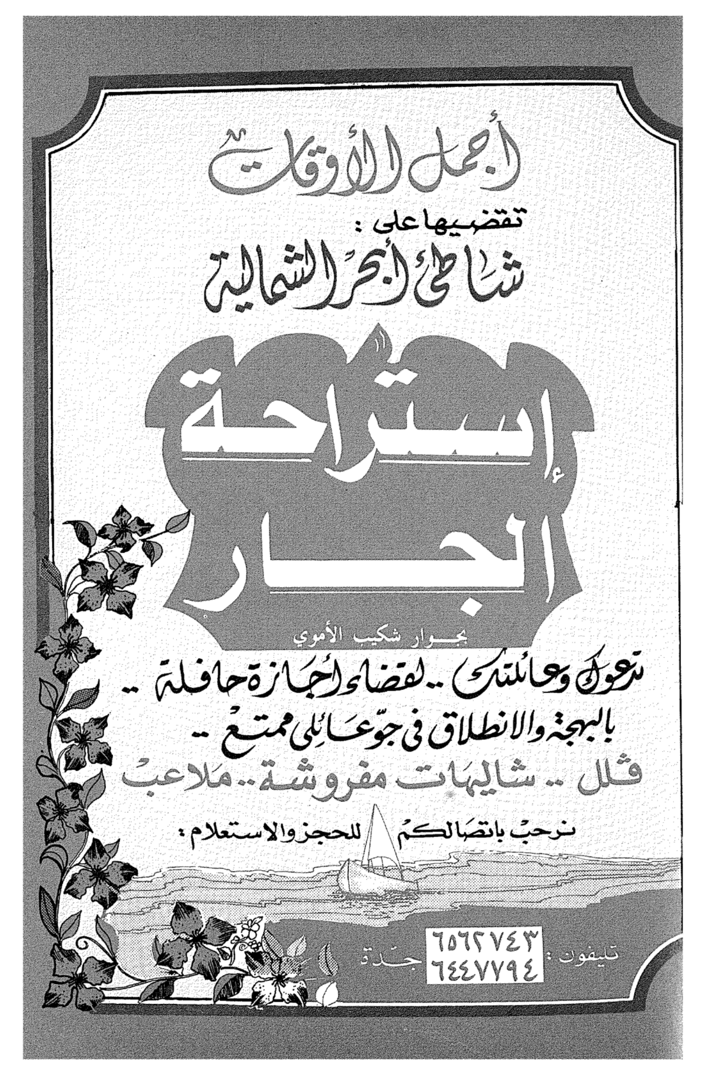
هـ ـ حجم الأحـرف : ( ) كبير ( ) مناسب ( ) صغير

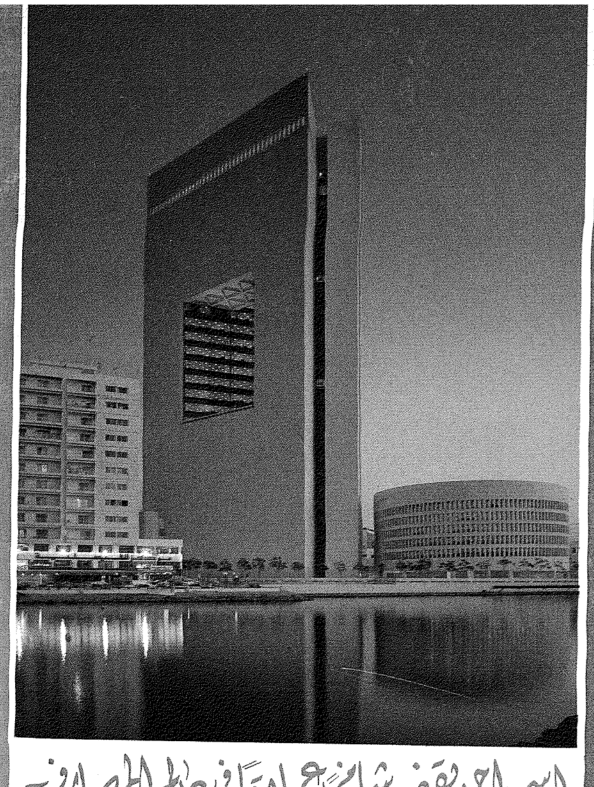
و ـ اخراج الغلاف : ( ) جيد ( ) مقبول ( ) غير مناسب

معلومات شخصية (اختيارية)

الاســـم :   المهنة   المؤهل الدراسى

* يمكن للقراء الافاضل الكتابة بتوسع فيما ورد فى هذا الاستبيان أو فيما يرونه من مقترحات اخرى


أجمل الأوقات
تقضيها على :
شاطئ البحر الشمالية
إستراحة
الجار
بجوار شكيب الأموي
تدعوك وعائلتك .. لقضاء إجازة حافلة ..
بالبهجة والانطلاق في جو عائلي ممتع ..
فلل .. شاليهات مفروشة .. ملاعب
نرحب باتصالكم للحجز والاستعلام :
تليفون : ٦٥٦٢٧٤٣
جدة ٦٤٤٧٧٩٤



اسم واحد يقف شامخا عملاقا في عالم المصارف

في مطلع عام ١٣٧١هجرية . . بدأ البنك الاهلى التجارى اعماله المصرفية بنشاط وتؤدة . . وخلال ما يزيد عن ثلث قرن من الزمن وبعونه تعالى اصبح اليوم صرحا شامخا فى جسم الاقتصاد السعودى واكبر مصرف تجارى ليس فى المملكة العربية السعودية فحسب، بل فى جميع انحاء الشرق الأوسط . .

فقد زادت أصوله المالية عن ٩٠ بليون ريال سعودى . . بما فى ذلك الحسابات النظامية وبلغت ودائعه اكثر من ٤٣ بليون ريال سعودى كما يرمز لقوته ذاك البناء الشامخ لادارته العامة فى جدة وفروعه التى تزيد عن ١٦٠ فرعا والتى تعتبر اكبر شبكة مصرفية فى المملكة العربية السعودية مرتبطة اغلبها بنظام الكترونى متطور يعمل بالكمبيوتر مما يوفر للعملاء الكرام اسرع وأشمل خدمة مصرفية

كما امتدت نشاطاته لتشمل معظم عواصم العالم حيث تتواجد فروعه ومكاتبه فى كل من نيويورك ولندن وفرانكفورت مرورا ببيروت والبحرين حتى سنغافورة وسيول .

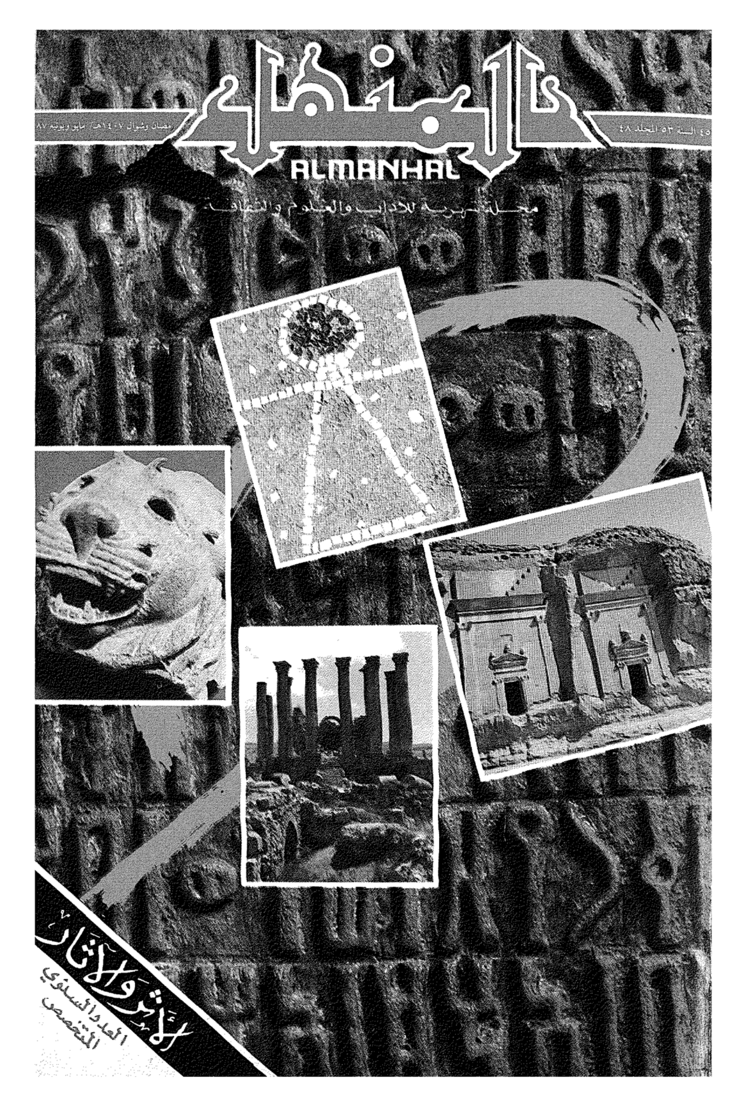
هذا هو مصدر اعتزازنا . . وهذا هو الاساس المتين الذى بنينا عليه ثقة [illegible]بائننا الكرام لترسيخ مشاعر الطمأنينة و[illegible]ان لمستقبل استثماراتهم وسلامة اموالهم .

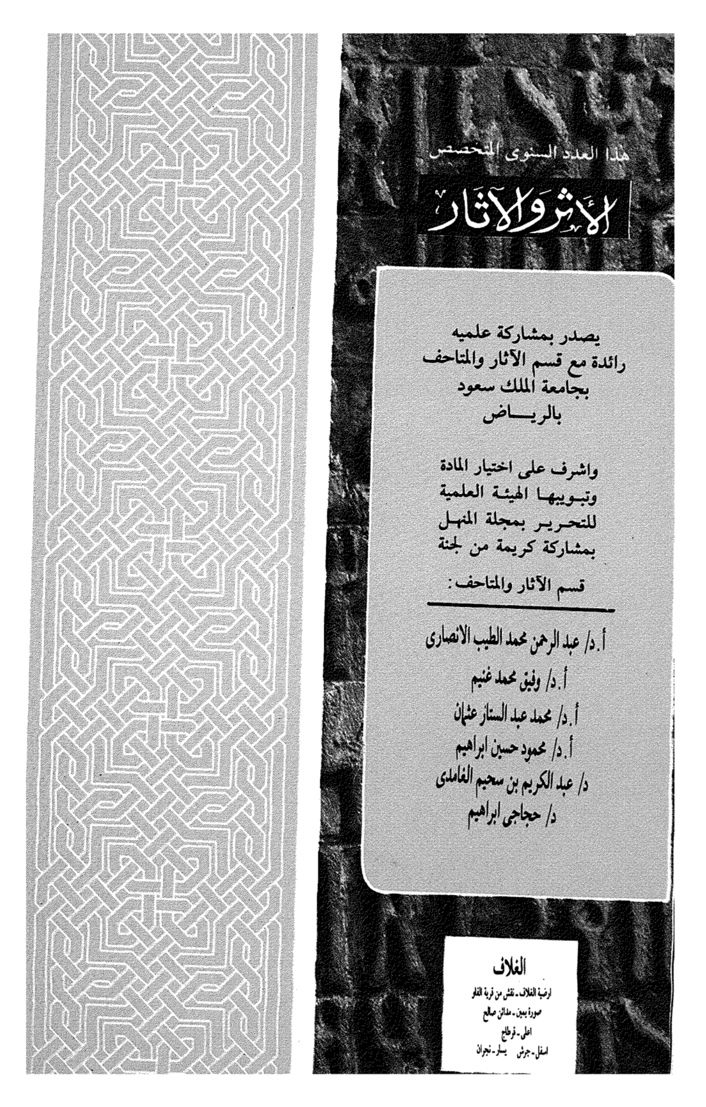
للمزيد من المعلومات . . يرجى [illegible]يارة اقرب فرع لكم والحصول على دليل [illegible]بنك الاهلى التجارى للخدمات المصرفيةال[illegible]رية .

البنك الأهلي التجاري

THE NATIONAL COMMERCIAL BANK

مصرفية عصرية وثقة عريقة


المنهل
ALMANHAL
مجلة عربية للآداب والعلوم والثقافة
السنة ٥٣ المجلد ٤٨
رمضان وشوال ١٤٠٧هـ/ مايو ويونيه ٨٧
الأثر والآثار
العدد السنوي المتخصص


هذا العدد السنوي المتخصص
الأثر والآثار
يصدر بمشاركة علميه
رائدة مع قسم الآثار والمتاحف
بجامعة الملك سعود
بالريـــاض
واشرف على اختيار المادة
وتبويبها الهيئة العلمية
للتحرير بمجلة المنهل
بمشاركة كريمة من لجنة
قسم الآثار والمتاحف:
أ.د/ عبد الرحمن محمد الطيب الأنصاري
أ.د/ وفيق محمد غنيم
أ.د/ محمد عبد الستار عثمان
أ.د/ محمود حسين ابراهيم
د/ عبد الكريم بن سحيم الغامدي
د/ حجاجي ابراهيم
الغلاف
ارضية الغلاف - نقش من قرية الفاو
صورة يمين - مدائن صالح
اعلى - قرطاج
اسفل - جرش يسار - نجران

بسم الله الرحمن الرحيم

المنهل
ALMANHAL

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

أسسها : عبد القدوس الأنصاري سنة ١٣٥٥هـ

المركز الرئيسى

جدة ـ الشرفية
ص. ب: ٢٩٢٥
رمز بريدى: ٢١٤٦١
برقيا: المنهل
ت: ٦٤٢٧٨٣١
ت: ٦٤٣٩٧٦٥
ت: ٦٤٣٢١٢٤

مكتب الرياض
ص. ب: ٢٩٠
ت: ٤٥٤٢٤٣٢

الاشتراكات

- قيمة الاشتراك السنوى للمؤسسات الحكومية ٢٠٠ ريال
- قيمة الاشتراك للافراد ١٥٠ ريال

الاعلانات

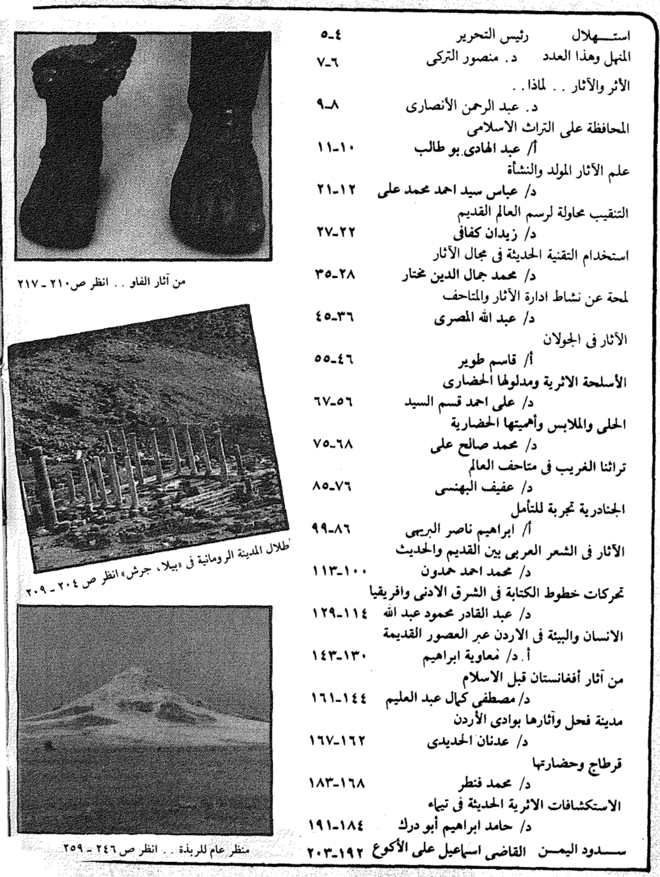
تخاطب بشأنها الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤

سعر النسخة

- السعودية: ٨ ريال
- البحرين: ٨٠٠ فلس
- قطر: ٨ ريال
- الامارات: ٨ دراهم
- اليمن: ٦ ريال
- الاردن: ٥٠٠ فلس
- مصر: ٧٥ قرشا
- السودان: ١٥٠ قرشا
- تونس: ٦٠٠ مليم
- المغرب: ٦ دراهم

المجلة السعودية الأم

العدد ٤٥٤ السنة ٥٣ المجلد ٤٨ رمضان/شوال ١٤٠٧هـ/مايو ١٩٨٧م

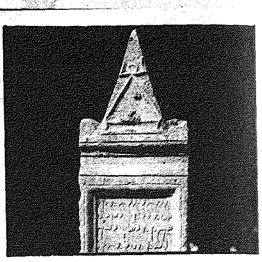


من آثار الفاو . . انظر ص ٢١٠ - ٢١٧

أطلال المدينة الرومانية فى «بيلا، جرش» انظر ص ٢٠٤ - ٢٠٩

منظر عام للربذة . . انظر ص ٢٤٦ - ٢٥٩

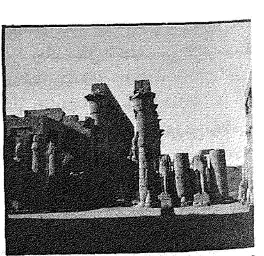




من انصاب التوفات «قرطاج». . انظر ص ١٦٨ - ١٨٣



قصر الحمراء . . انظر ص ٣٦ - ٤٥



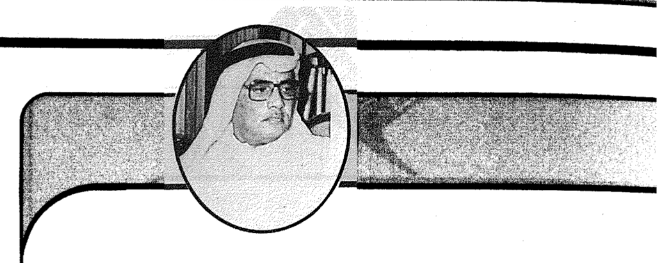
الاقصر وبعض اعمدته . . انظر ص ٣٠٠ - ٣٠٩



الآثـار لم تعد فى عالمنا اليوم مجرد أحجار منحوتة أو مسلات وأعمدة أو تماثيل جميلة وآنيا
مزخرفة . . الخ بل هذه وغيرها ـ مما هو مطمور فى باطن الأرض مما خلفته القرون المتعاقبة ـ تمثل
استقـراء ـ كاملاً أو جزئياً لحياة أمم سابقة غابرة . . حياة كاملة من كل جوانبها : السلوكية ـ
العلمية ـ الحضارية ـ الفنية . . الخ . . وهى فى اختصار تمثل تسجيلا تاريخياً لما كانت عليه تلك
الامم فى حضارتها ومتطلبات مقوماتها . . ومن هنا ـ فى رأيى ـ تأتى أهمية البحث والتنقيب عن
آثار السالفين لاستقراء واستخراج ما قد يضيف جديدا أو يشير إلى حقيقة كانت غائبة يكون لها
أثرها العلمى فيما سبق من استنتاج سلباً أو ايجاباً . . تأكيدا أو نفياً وتعديلاً . . والامة التى تركض
وراء قديمها والتنقيب عنه ودراسته هى أمة تبحث عن جذورها لتقف على حقائق عبقريتها
وبخاصة إذا كانت أمة لها تفوقها فى مجالات كان لها فيها قصب السبق . . وعلماء الآثار والتنقيب
ممن حملوا على عواتقهم محاولة كشف آثار من سبقوا لم يبعدوا بعد عن قشرة الأرض فى حفرياتهم
ولا يزال أمامهم الكثير مما هو مخبوء تحت هذه القشرة من تراكمات حضارات بعضها فوق
بعض . .

وهناك تلازم وتوافق بين علماء الآثار وعلماء التاريخ . . فالتاريخ فى معناه الواسع عرض منظم
مكتوب للأحداث وخاصة تلك التى تؤثر فى أمة أو نظام أو علم أو فن وهو لا يسجل الأحداث
الماضيـة باعتبـارهـا خطوات فى التقدم البشرى فحسب بل يسعى الى ايضاح أسباب هذه
الأحداث ودلالاتها ويعرضها على نحو يدل على تشابكها معاً فى قصة واحدة ويستعين فى ذلك
بالآثار والروايات والمعاهدات والمذكرات والأساطير ـ وهكذا يظل المُكْتَشَف من الآثار مسجلا
مقروءاً بكل حيثياته ومتعلقاته مما يوسع دائرة الافادة منه .

***والمُكْتَشَفـات الأثـريـة فى تعـددها وتنوعها لا تنسينا التراث العلمى والأدبى
والفكـرى المـدون والمخطـوط ـ المتناقل تواترا عبر الاجيال ، مما يحتم علينا الآن
الحفـاظ عليه ويضاعف مسؤوليتنا تجاه العناية به والافادة منه . . وهذا هو الأثر
الباقى والممتد أبداً . .***



ونحن كأمة لها ذاتيتها المنهجية والسلوكية لا شك لها مأثوراتها وموروثاتها الشعبية فى كل معطيات حياتها تظل محافظة على الجميل الرائع منها .

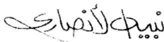
ومن كل ذلك يبقى لنا تراثنا الاسلامى الخالد ممتداً فى أعماق حياتنا شرايين عطاء ثر يبث فى عروق الحياة ما يزيدها شباباً ونهوضا وقوة .

لا سبيل لمثل هذا التراث الخالد أن تسحب منه حياته ويوقف نبضه ليحنط فى المتاحف زينة يسر الناظرين . . وهذه المعطيات من الآثار الاسلامية فى كل جوانبها لابد ان يترجم ما فيها إلى عطاء . . فقد أعطى الأقدمون وخلدوا فجاء دورنا نحن للعطاء أيضاً .

ومن كل ما تقدم يبقى لدينا الأثر الباقى لكل ذلك . . المضمون المقتبس من كل ذلك . . المعنى المتبلور فى منهجية الحياة ـ وهذا بدوره يمثل النظام المقنن لحركة السير فى أطر منهجية واضحة تمثل فى مجموعها ومجملها الشخصية الذاتية للأمة ومكوناتها فى : العلوم ـ الفنون ـ الفكر ـ الفلسفة ـ التاريخ ـ المنهج . . الخ .

وهذا الماثل **من (الأثر والآثار)** عملنا على أن يدور حوله هذا (العدد السنوى المتخصص) من مجلتكم **(المنهل)** . . وكانت رغبتنا الجادة والاكيدة فى أن يكون هذا الاصدار من (المنهل) مشاركة بينه وبين مؤسسة علمية عريقة هى **(جامعة الملك سعود)** فى الرياض يمثلها فى هذه المشاركة العلمية قسم الآثار والمتاحف . . وامتدت المكاتبات بين المجلة والجامعة وكانت منهم الموافقة الكريمة بالمشاركة فيه . .

ويمثل هذا العدد **(السنوى المتخصص)** أولية لها سبقها كما لها مضمونها فى التعاون العلمى والفكرى بين مؤسستين علميتين ثقافيتين . . والمنهل بما له من انتشار واسع وما له من عطاء ممتد عبر ما يزيد عن الخمسين عاما يرغب دائماً ان يكون وعاء علم دقيق عميق وثقافة جادة رصينة . . والى القارىء الكريم نهدى هذا العمل المشترك بين **(الجامعة . . والمنهل)** ونأمل ان يكون لنا لقاء آخر فى التعاون والتلاقى الثقافى والمعرفى .



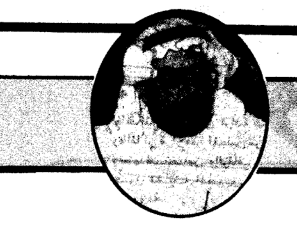


المنهل.. وهذا العدد

د. منصور التركي

مدير جامعة الملك سعود

إن مجلة المنهل تعتبر فى الطليعة . . فى أفكارها وطموحاتها وتطلعاتها الى المستقبل . . وهذا ما وضعه لها مؤسسها ورئيس تحريرها العالم الجليل الشيخ عبد القدوس الانصارى رحمه الله عندما وضع لها شعارا هو: « **الى الامام على الدوام** » . . فقد كانت المنهل اول مجلة سعودية دعت الى انشاء جامعة سعودية تسهم فى حركة التطور والتنمية والارتقاء بالمجتمع فكانت جامعة الملك سعود فى الرياض .



وقد شاركت المجلة المجتمع فرحته بقيام هذه الجامعة ونافحت عنها بالكلمة الصادقة والرأى السديد. . واهتمت المجلة بتراث الجزيرة العربية وحضارتها على مدى اكثر من نصف قرن، وكان اول كتاب عن الآثار فى المملكة يصدره رئيس تحرير مجلة المنهل عن «آثار المدينة المنورة» فكان هذا الكتاب البذرة الاولى للتفكير فى الاهتمام بالاثار إذ جعل من مجلته مجالا خصبا لهذا النوع من الدراسات. . وانتقل الانصارى الى جوار ربه ولكن شعلة المعرفة لازالت متقدة متمثلة فى إبنه الذى سار على نفس الدرب فكان الإلتقاء بين الجامعة والمجلة فى مجال نهتم به جميعا وهو مجال الآثار، ولذا فقد رأينا أن إخراج عدد يضم بين دفتيه نخبة من البحوث والمقالات التى تتناول حضارة الأمة العربية والإسلامية فرصة للإنتشار - من المحيط الى الخليج - وذلك بالتعاون مع قسم الآثار الذى هو ثمرة نجاح الجامعة على مدى خمس عشرة سنة من العمل المتواصل الدؤوب مما جعل المختصين فى مجال الآثار على مستوى العالم العربى يلبون دعوته للمشاركة فى هذا العدد الذى يسعدنى ان اقدمه الى قراء المنهل بنفس راضية ومشاعر فياضة بالغبطة والإطمئنان.



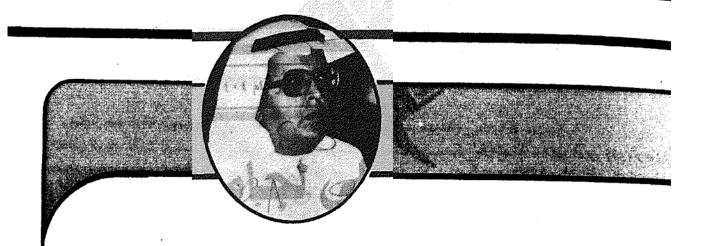
الأثر .. والآثار لماذا ؟

افتتاحية

بقلم ا . د .
عبد الرحمن الطيب الانصاري
رئيس قسم الآثار والمتاحف

الأوليّات ظاهرة بارزة فى حياة العالم الكبير عبد القدوس الانصارى رحمه الله منشىء مجلة المنهل وصاحبها ورئيس تحريرها . . فاعماله العلمية تعتبر اوليات فى معظم المجالات التى طرقها سواء كان ذلك فى الرواية او البحث التاريخى او الاثار او الصحافة المتمثلة فى هذا الكيان الحى الدائم المستمر ان شاء الله **«المنهل»** .

لَقَد عاصرتُ المنهلَ منذ أن كنتُ طفلا ثم شابا وهكذا فأنا شاهد على تطورها ومراحلها المختلفة لقد كانت الاولى كمجلة ثقافية فى المملكة العربية السعودية نشأة . . الاولى محتوى . . والاولى منهجا . . والاولى شمولا . . والأولى تخصصا احيانا .



وانا عندما اقول الاولى تخصصا فاننى أعنى انها منذ أن كانت تحت رعاية مؤسسها رحمه الله وهى ترفه القارىء بين الفينة والفينة بعدد يتناول موضوعا بذاته يوسعه بحثا وتنقيبا وافاضة فى جميع جوانبه ليصبح بعدئذ مرجعا فى مجاله.

ومن هذا المنطلق سار الخلف على هدى السلف فجاء الابن نبيه والحفيد زهير ليسيرا على الدرب فقد اخرجا منذ تسلمهما فعالية المجلة اعدادا متخصصة اذكر منها اعداد **«الفن»** و**«الأمن والامان»** و**«الثقافة العربية»** و**«الدعوة والدعاة»** وغيرها.. والان تجد ايها القارىء العزيز بين يديك باقة لك ومن اجلك.. هذه الباقة اسمها **«الأثر والآثار»** ولعلك تتساءل لماذا **الأثر والآثار؟ اليس فى الفكر والثقافة ما يشغلنا سوى الاثر والاثار؟..** نعم أيها القارىء العزيز لك العتبى فان فى عوالم الفكر والثقافة جوانب تستحق البحث والدراسة فى عالم تضطرم فيه الحياة ويشقى فيه الانسان بأحداث جسام.. ولكن الا يحق لنا ان نقف لنتساءل من نحن؟.. على هذا التساؤل يجيبك ما يزيد عن اربعين متخصصاً فى الاثار كل بطريقته الخاصة وكل يتناول معك جانبا يرى انه قمين بأن يبلّ صداك ويشفى غلتك.

انه لحدث علمى ان تتجاوب الاصداء من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب لتتحدث عن تراث الامة وحضاراتها وكأنها تقدم للقارىء العربى حلة قستبية طرزتها أيدى الزمن ليلبسها الانسان العربى فيزهو بحلة أخذت انامل الزمن تنسجها منذ ستة آلاف سنه حتى وصلت اليه تتيه بمفاخرها وانجازاتها، انها حلة النسب العريق.

واذا كان لى من كلمة اخيرة اقولها فاننى اتقدم بالشكر لكل علمائنا الاجلاء الذين اسهموا فى هذا العدد والزملاء فى قسم الاثار والمتاحف الذين هبوا لانجاز هذا العمل وأخص بالذكر زميلى الاستاذ الدكتور وفيق غنيم الذى بذل جهدا يذكر فيحمد له.. ولمعالى مدير جامعة الملك سعود الذى سعد بمشاركة القسم فى عمل علمى خير كهذا ولاخى نبيه الانصارى وابنه زهير الذين اتاحا للاثاريين ان يقولوا كلمتهم وان يعرضوا تراث امتهم.

المحافظة على التراث الاسلامي

عبد الهادي بوطالب

الأمين العام للمنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم - المغرب

التراث الاسلامى ليس مجرد الوجود المادى للآثار والاماكن التاريخية والمخطوطات والمكتبات والمحفوظات والفنون الشعبية والموسيقى والفنون اليدوية التقليدية وانما هو فى واقع الامر التجسيد الملموس للثقافة الاسلامية برمتها . . والرسالة الفكرية التى قدمتها الأمة الاسلامية الى بقية الأمم فأسهمت بها فى تطوير الحضارة الانسانية وتنمية معارفها وآدابها وفنونها وجعلت بها من العالم مكانا أفضل وأمتع للعيش والعبادة يتمكن فيه الانسان من تطوير امكاناته الروحية والجسدية الى أبعد حدودها .

إن النهضة المعاصرة للأمة الاسلامية فى الميادين الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والتكنولوجية لابد ان تنبنى على التراث الاسلامى . . وتستهدى بخصائصه وتستمد قوتها من مقوماته . . ولا يمكن ان تقوم على فراغ او تستهدف إغفال هذا التراث المعطاء الشامخ لأن متطلبات ازدهار هذه النهضة وأسباب انطلاقها تكمن فى جذورها التراثية . . وليس من المعقول قطع الساق عن الجذر . ففى نظرية التطور قانونان لازمان متلازمان هما : **قانون الوراثة فى الكائنات الحية وقانون التراث فى الشعوب** فلن يقدر الكائن الحى على النمو المرجو دون ان تتوفر له الامكانات الوراثية الجيدة . . كما لا يستطيع المجتمع ان ينمو على الوجه المؤمَّل دون أن ينطلق من تراث اسلافه ويبنى عليه . والكائنات الحية والمجتمعات - شاءت ام ابت - تتأثر بخصائصها الوراثية والتراثية فى نموها وتطورها . . ولهذا اصبحت الدول ترعى التراث وتعنى به وتضعه فى أوليات اهتماماتها .



حركة اصلاح المجتمع الاسلامى وتجديده ينبغى ان تقوم على صحوة اسلامية هدفها بعث الحياة بعد الركود. . وشحذ الايمان بعد الشك. . والعودة الى شخصيتنا المتميزة وإنسيتنا الاسلامية. . وتوفير سبل استمرار تمسكنا بقيمنا ومبادئنا واهدافنا الأصيلة وتفاعلها مع القيم التى تفرضها المعاصرة ويكفلها التطور والتخلص من عقدة الشعور بالنقص التى ولدها الانبهار بالمدنية الغربية. . والاعتزاز بلغتنا ومفاهيمنا واصطلاحاتنا. . ولا يتحقق ذلك كله الا بإحياء تراثنا الاسلامى الاصيل والمحافظة عليه وتكثيف متطلبات نموه وتطوره.

وادراكا لهذه الاهمية البالغة التى يحتلها التراث الاسلامى واستيعابا لأثره البعيد ودوره الكبير فى مسيرة الثقافة العالمية عهدت الهيئات العليا فى منظمة المؤتمر الاسلامى مسؤولية رعاية هذا التراث والمحافظة عليه الى لجنة دولية تضم كوكبة من ابرز مفكرى الامة ورجالاتها. وانيطت رئاستها بصاحب السمو الملكى الامير فيصل بن فهد لما عرف فيه من قيادة حكيمة وحيوية شابة وتطلع وثّاب الى العمل المثمر الاصيل. وها نحن اليوم نسعد بوجوده على رأسنا متأكدين ان رئاسته لهذه اللجنة ضمان لسيرها نحو تحقيق الغرض الذى انشئت من أجله هذه اللجنة.

كان التراث الاسلامى ذا أوجه متعددة وجوانب كثيرة تقوم على خدمته ورعايته مؤسسات وأجهزة متنوعة سواء فى ربوع الدول الاسلامية او فى خارجها فقد استقر الرأى على ان تكون اللجنة الدولية هيئة تخطيط عليا تضع الاستراتيجية الشاملة وتعطى التوجيه القويم. . وتقدم الدعم الفعال الى مختلف ادوات العمل الثقافى الاسلامى دون ان تكون هى ذاتها جهازا محددا او مكتبا مقيدا ـ وإنما تستطيع ان تستعين بجميع الأجهزة والمكاتب الاسلامية فى وضع تصوراتها ورسم خططها وبناء توجيهاتها

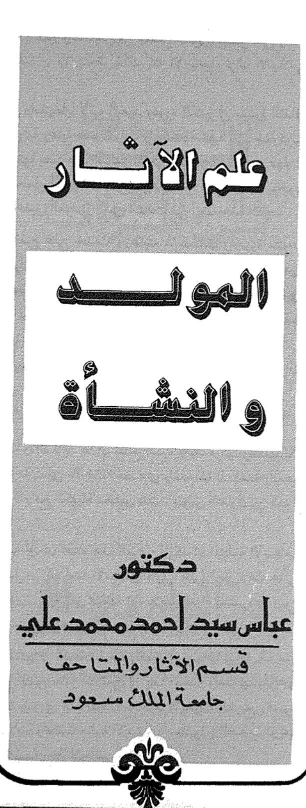
المهام التى تضطلع بها اللجنة الدولية الموقرة جسيمة ومتشعبة وفى ذهنى انها ستسعى الى خدمة التراث الاسلامى على مستويين:

المحافظة عليه ودعمه على النطاق الاسلامى.

التعريف به ونشره على النطاق العالمى. واللجنة فى هذا وذاك لابد لها ان تضع استراتيجية تحركها وعملها وان تكثف اتصالاتها بالدول الاعضاء وغيرها وتسدى لها المشورة بكل ما يتعلق بالتراث الحضارى وتقدم لها المساعدة والدعم بتمكنها من تشجيع الابحاث والدراسات والمشاريع التراثية وتنشيط البرامج الكفيلة بتحقيق ذلك. وتوثيق التعاون بين الدول الاسلامية فى هذا المجال.

الوقت الذى أكرر فيه غبطتى بالعمل فى هذه اللجنة الكريمة أود ان أغتنم هذه الفرصة لأؤكد ان المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة تؤمن ان أمة بلا ماض هى امة بلا مستقبل. . ان أمتنا الاسلامية لمتوفرة على اجل تراث عالمى واعظمه ممثلا فى الحرمين الشريفين. . والاماكن المقدسة فى فلسطين. . ومراكز الثقافة الاسلامية الغراء المنتشرة فى ربوع الامة الاسلامية عبر المشرق والمغرب. . وفى الكنز الوفير الذى جادت به مواهب المسلمين خلال تاريخهم الطويل.

أؤكد ان المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة تضع نفسها فى خدمة اللجنة وتعمل بتوجيهاتها فى كل ما يخدم قضية التراث الاسلامى والمحافظة عليه ـ فهى مؤهلة كل التأهيل لتقوم بدور طلائعى فى هذا المجال وأهدافها وبرامجها واضحة كل الوضوح بهذا الخصوص وهى تأمل ان يتاح لها تعاون وثيق فى هذا المجال مع مركز البحوث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية الذى يديره شاب مؤمن وترعاه تركيا الدولة الاسلامية وتحتضنه مدينة الاستانة (اسطنبول) الضارب تاريخها فى اعماق العهود الزاهية للاسلام مما يجعلها أهلاً لاحتضان هذه المؤسسة ربطا للحاضر بالماضى.



ليس من اليسير تحديد الكيفية التى بدأ بها علم الآثار اذ أن مولده كان نتاجا لمخاض طويل يصعب تحديد حادثة بعينها كبداية انطلاق له ولا يعرف علم آخر (ربما باستثناء علم الجيولوجيا) لاقى ما لاقاه علم الآثار من عراقيل ومصاعب اعترضت مسيرته . . وعليه فان استعراض هذه المسيرة هو استعراض لتطور الفكر البشرى فى نظرته لماضى الانسان وماضى الحضارة البشرية وتطورها .

على الرغم من وجود ما يشبه الاتفاق بين الباحثين باعتبار القرن التاسع عشر بداية حقيقية للدراسة العلمية للآثار وعلى تصنيف علم الآثار كواحد من العلوم الانسانية الا ان هناك احداثا ووقائع سبقت القرن التاسع عشر كان لها الفضل فى التمهيد ورسم الطريق لهذا العلم .

لقد كان هناك الرحالة والمكتشفون الاوائل الذين تجولوا فى الكثير من مناطق العالم القديم ووصفوا بلادا ومجتمعات شتى وسجلوا ما وقعت عليه اعينهم من غرائب الاشياء ولم تخل كتاباتهم من اوصاف لبعض المواقع الاثرية . . ولقد حظى الاثرياء منهم باقتناءات اثنوغرافية واثرية طيبة .

الى جانبهم كان جامعو التحف والمهتمون بالفنون . . وقد سعى هؤلاء لجمع كل ما تقع عليه أعينهم بالشراء احيانا وبحفر بعض المواقع ونبش القبور لذات الهدف احيانا اخرى واستطاع بعضهم تكوين مخزون هائل من التحف القديمة واصبحت لديهم متاحفهم الخاصة . . وقد ادى ذلك الى انتشار تجارة التحف وبالتالى الى البحث عنها، وتشجيع جمعها والحصول عليها .



وكانت هنالك أيضا مجموعة ممن يمكن تسميتهم «بصائدى الكنوز» سعوا فى بعض المواقع تخريبا وبخاصة المقابر الملكية بهدف العثور على القطع المعدنية الثمينة. . وقد كانت مدن الحضارات القديمة فى الشرق الادنى ومواقعها ومخلفات الاغريق والرومان محل جذب لهؤلاء جميعا.

بعد ذلك بدأ الاهتمام بالاثار يأخذ اتجاها علميا نوعا ما. كان لابد للمهتمين والمشتغلين بها من وقفة عند تلك المخلفات ورصدها وتسجيلها ومحاولة ارجاع كل منها الى الجماعات البشرية والحقب الحضارية والزمنية المعنيـة. . لم يكن لديهم الـوسيلة لتأريخ ذلك التراث ومعرفة عمقه الزمنى فاتجهوا الى تفسير الظواهر الحضارية بحوزتهم على أساس الكتابات الكلاسيكية وما جاء فى العهد القديم من قصص ومحاولة ربطها بمخلفات حضارية بعينها ثم جاء البعض من امثال القس الايرلندى (أرش) والاستاذ (جون لايتفوت) من جامعة كيمبردج فى النصف الاول من القرن السابع عشر، بنظريات تعطى العالم عمرا يصل الى ستة الاف سنة من عصرنا الحاضر. وشاعت هذه الافكار عند العامة حتى ان شكسبير عبر عنها فى احدى مسرحياته كما فعل صمويل روجرز (Samuel Rogers) فى اشعاره.

وكنتاج للجمع المكثف للتحف تكدست لدى البعض مجموعات ضخمة وأخذت تتحول من مقتنيات خاصـة الى متـاحف تملكها الدول. . فالمجموعة الخاصة بالياس أشمول على سبيل المثال انبثق عنها المتحف الاشمولى باكسفورد فى عام ١٦٨٢، كما أن مجموعة سيبا فى هولندا تحولت الى متحف بيترسبرج بعد أن اشتراها بيتر الامبراطور الروسى فى عام ١٧١٩ وكذلك حال مجموعة سلون فى بريطانيا نجم عنها المتحف البريطانى فى عام ١٧٥٩.

أما الدول الاسكندنافية وبخاصة السويد والدنمارك فقد استطاعت أن تخطو خطوات أبعد فى هذا المجال فالى جانب انشاء بعض المتاحف كمتحف أولى فورم فى الدنمارك اصدرت المراسيم الملكية القاضية بالتبليغ عن أى مخلفات حضارية وحفظها كما كان لها فضل الريادة فى انشاء أول قسم للاثار بجامعة ابصالا فى السويد فى عام ١٦٦٢.

وفى عام ١٨٣٣ ابتدع تورنال، أمين متحف ناربون عبارة «ما قبل التاريخ» وأرخ بها بعض المخلفات البشرية والحيوانية وبعض الاوانى الفخارية لكن الفضل فى تعميم هذه العبارة يرجع الى البريطانى دانيال ولسون الذى ضمنها فى عنوان كتاب له صدر فى عام ١٨٥١ تحت اسم «آثار وحوليات ما قبل التاريخ فى اسكتلندا» والمقصود بالعبارة تلك الفترة السحيقة من الحضارة البشرية التى سبقت ظهور الكتابة.. لقد شهد النصف الاول من القرن الماضى صراعا محتدما بين القائلين بحقيقة الحضارة البشرية وقدمها وبين الرافضين لها.. وحين كشفت بعض الحفريات التى اجريت فى بريطانيا وفرنسا عن أدوات حجرية وعظام لحيوانات منقرضة لم يكن بوسع بعض الجيولوجيين وقتها الا أن يقولوا عنها «انها ترجع الى فترة موغلة فى القدم، اقدم من عالمنا الحالى» هذا فى الوقت الذى رفضت فيه مجموعة أخرى هذه الاستنتاجات.. الا أن الادلة اخذت تتراكم تدريجيا من كهوف فى فرنسا وبلجيكا وبريطانيا.. ووجد الجيولوجيون المؤمنون بنظرية تعرف «بنظرية الكوارث» من امثال بكلاند وسدويك صعوبة فى دحض تلك الدلائل.. وعلى الجانب الاخر كان جيولوجيون من امثال جيمس هاتون فى كتابه «نظرية الأرض» وجون مشيل استاذ الجيولوجيا بجامعة كيمبردج ووليم سميث (استراتا) فى كتابه «الطبقات كما تعكسها المتحجرات» ومن بعدهم شارلس لايل فى كتابه «مبادىء الجيولوجيا» يوجهون صدمات قاسية لنظرية الكوارث واخذت آراؤهم تأخذ مكان القيادة فى حقل الجيولوجيا.

كان الفرنسى جاك دبيرث (Jacques Boucher de Perthes) قد أبدى اهتماما بدراسة المخلفات القديمة من ادوات حجرية وعظام لحيوانات منقرضة.. وقام بعدد من الحفريات ونشر ابحاثاً عنها خلال الاعوام من ١٨٣٨ الى ١٨٤١.. لكن معاصريه عدّوه شخصا مهووساً.. أخذت مثل تلك الاكتشافات تتلاحق من مختلف اقطار اوربا وبدأت تبدد الشكوك التى اثيرت حول قدم وأصالة حضارات ما قبل التاريخ الى أن انقشعت تلك الغيمة نهائيا فى مؤتمر الجمعية الملكية البريطانية الذى عقد فى لندن فى ٢٦ مايو ١٨٥٩.

لقد كان النظام الذى يعرف باسم «نظام العصور الثلاثة» واحدا من أهم الانجازات الاثارية فى القرن الماضى.. وقصته تتلخص فى انه بعد ان تجمعت فى عدد من المتاحف الاوربية مجموعات من المخلفات الاثرية تعذر على الدراسين تصنيفها باية وسيلة ذات معنى، كما أن السؤال عن قدم تلك المخلفات وتعاقبها كان يؤرق الاثاريين وبقى الامر برمته قيد التخمين حتى جاء الدنماركى كريستيان طومسن الذى كان يعمل امينا للمتحف القومى فى كوبنهاجن فقام بتصنيف المخلفات الاثرية فى ذلك المتحف الى مجموعات ثلاثة مستندا الى نوع المادة التى صنعت منها.. وخلص الى أنها تمثل عصورا ثلاثة متعاقبة



حجريا وبرونزيا وحديديا . . ونشر نظريته تلك فى كتاب اسماه «المرشد» ظهر فى عام ١٨٣٦ .

وكما يتوقع فقد قوبل «نظام العصور الثلاثة » بالكثير من الاعتراضات حيث رأى البعض ان اختلاف تلك الادوات يعكس اختلافات طبقية فى المجتمع اكثر منها اختلافات زمنية . . الا أن نظام العصور الثلاثة استطاع ان يثبت جدواه . . وجاء جنز ورسا (Jens J.Asmussen Worsaae) تلميذ طومسن وخليفته ليهبط بذلك النظام الى حيز التطبيق ويثبت بالحفريات تعاقب تلك العصور الثلاثة . . بعد ذلك بقليل (١٨٦٥) جاء البريطانى جون لوبك ليقترح فى كتابه «**أزمان ما قبل التاريخ**» تقسيم العصر الحجرى الى عصر حجرى قديم وعصر حجرى حديث بعد أن لاحظ تباينا واضحا فى تلك الادوات التى ترجع الى العصر الحجرى بوجه عام . . اعقبه وستروب بتعديل آخر وهو اضافة عصر حجرى وسيط ليسد «**الفراغ**» بين العصرين القديم والحديث وليستوعب تلك المخلفات الحضارية الاسكندنافية التى اعقبت نهاية العصر الجليدى . . وتوالت الاكتشافات من كهوف فرنسا خلال النصف الثانى من القرن الماضى فامكن التعرف على عدد من حضارات العصر الحجرى اطلق على كل منها اسم الموقع الذى وجدت فيه . . وقد وضع ذلك العمل اساسا متينا استندت عليه الدراسات الاثرية للعصر الحجرى القديم فيما بعد .

فى مجال الاثار المصرية القديمة فلعل اكتشاف حجر رشيد كان أهم مكتشفات الحملة الفرنسية على مصر . . قامت عدة محاولات لفك طلاسم ما هو مكتوب عليه باللغة المصرية (**الهيروغليفية والديموطيقية**) بمساعدة اللغة الثانية المكتوبة عليه وهى اليونانية . وقد نجح البعض فى قراءة عبارات منه الا أن الفضل فى قراءة النص بكامله ترجع الى الفرنسى شامبليون . . توالت المحاولات لمعرفة المزيد عن حقيقة الاثار الفرعونية حيث قاد جيوفانى بلزونى احدى هذه المحاولات حين قام بنبش بعض المقابر الملكية . . كما قام الالمانى لبسيوس فى منتصف القرن الماضى باعداد وصف جيد لمواقع الاثار المصرية . . أما الفرنسى اوغست ماريت فقد قام بحفريات واسعة فى مصر وتولى هيئة الاثار المصرية كأول مدير لها وله يرجع الفضل فى انشاء المتحف الوطنى المصرى .

شهدت هذه الفترة كذلك اعمالا آثارية فى بعض المواقع البابلية والاشورية فى وادى الرافدين على أيدى كلود ريش وبول بوتا الذى كان يعمل قنصلا للحكومة الفرنسية فى الموصل . . ثم جاء البريطانى اوستن ليارد فأجرى تنقيبات فى عدد من القصور الملكية الاشورية . . كما قام وليام لفتس وج . تيلر (J.E.Tayler) بحفريات فى المواقع السومرية فى جنوب وادى الرافدين . . كان من ضمن هذه الانجازات كذلك ما قام به هنرى راولنسون من فك لرموز الكتابة المسمارية أدت هذه الاعمال الى لفت الانتباه بصورة اكثر الى آثار الشرق الادنى كما قادت الى توضيح نسبى لصورة مدنياته القديمة .

ومع بداية القرن التاسع عشر قام لورد الجين سفير بريطانيا فى اسطنبول بنقل الكثير من القطع الاثرية

الاغريقية من البارثنون فى أثينا الى بريطانيا . . وهنا لابد من ذكر كل من ادوارد كلارك وجون ديزنى لما اسهما به فى دفع لعلم الاثار الكلاسيكية عبر جامعة كيمبردج . . وتم انشاء كرسى للاثار بتلك الجامعة فى عام ١٨٥١ . . وبذلك اصبحت جامعة كيمبردج ثالث جامعة لها كرسى للاثار بعد جامعة ابصالا (١٦٦٢) وجامعة لايدن (١٨١٨) . . فى عام ١٨٢١ تم نقل تمثال فينوس الى متحف اللوفر وقد أدى هذا دورا هاما فى تعلق الجمهور الاوربى بالفن الاغريقى . . وما ان تحررت اليونان من الحكم التركى فى عام ١٨٢٩ حتى بدأت تبحث فى تاريخها بطريقة اكثر جدية وتساهم بجهد طيب فى هذا الحقل . . اما فى ايطاليا فقد تواصلت الحفريات فى مدينة بومبى التى دمرها بركان فيزوف .

فى نصف العالم الغربى كانت تجرى تطورات فى هذا المجال بمعزل عما سواها . . والمتحدث عن تطور علم الاثار فى امريكا لابد له من وقفة عند جيمس جفرسون الرئيس الثالث للولايات المتحدة الذى قام بحفريات فى مواقع مختلفة وسجل ملاحظات أثرية غاية فى الدقة بل كان احد الذين ادخلوا حساب حلقات الاشجار كوسيلة للتأريخ فى علم الاثار . . اهتم الاثاريون الاوائل هناك بقضية التلال الاثرية المنتشرة فى الاجزاء الجنوبية الشرقية من الولايات المتحدة وشغلوا بامر الهنود الامريكيين واصولهم . . وكان لقيام المعهد الاسمسونى فى واشنطن . . ومتحف بيبودى فى هارفارد اثرهما فى دفع البحث الاثرى . . اما الدراسات الآثارية لحضارات امريكا الوسطى فقد بدأها الاسبان ثم تلقفها اثاريون من اقطار اوروبية أخرى .

لم يكن التصديق بِقِدَم وحقيقة الفنون البدائية التى تركها الاقدمون على جدران الكهوف بالامر السهل . . فقد بقى العالم ولفترة طويلة معتقدا ان تلك الرسومات ظاهرة حديثة لا يتعدى تاريخها الفترة الرومانية . . جاءت أعمال ادوارد لارتيه وهنرى كرستى وحفرياتهما المشتركة فى عدد من المواقع الفرنسية خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر لتضطلع بدور بارز فى ارساء القاعدة التى استندت عليها الدراسات الخاصة بالفنون البدائية . . تتابعت بعد ذلك الاكتشافات فى هذا المجال حتى جاء الاسبانى (مارسيلينو دوساوتولا) ليبهر العالم فى عام ١٨٧٥ باكتشاف رسومات كهف الطميرا . . ثم جاء اكتشاف كهوف لاموث وفرنود ودوفوم . . الا أن الفضل يرجع حقيقة الى ابى بروى فى اثبات حقيقة الفنون البدائية لتأخذ مكانها فى الدراسات الاثارية .

شهدت هذه الفترة أيضا محاولات لفهمٍ أدق لحقبة العصر الحجرى وعمقها الزمنى . . اقتنع البعض بوجود ادوات حجرية بدائية رأوا أن يطلقوا عليها اسم «فجر العصر الحجرى» وأن يرجعوها زمنيا الى نهاية العصر الجيولوجى الثالث . . الا أن هذا الامر بقى محل خلاف حتى كانت الاكتشافات الاخيرة فى شرق افريقيا .

فى اثناء هذه الفترة رأى البعض من امثال سفن نلسون وادوارد تيلر وهنرى مورقان ان تدرس الحضارة البشرية لا على أساس التطور التكنولوجى كما فعل طومسن وانما على أساس التطور الاقتصادى - الاجتماعى ، وقدموا تقسيمات وتصنيفات على هذا النهج .



حاول الدنماركي ورسا أن يعطى تأريخا محددا لحضارات العصر الحجرى الحديث والعصر البرونزى بربطهما بحضارات شرق البحر المتوسط ومصر. . كما حاول بيترى أن يؤرخ لبعض حضارات ايجه والحضارات المكينية (الماسينية) بربطها بالتاريخ المصرى، وكذلك فعل مورتيه حين ربط بين هذه واحداث حضارية فى اوربا. وقد نشر الاخير هذا مقالا فى مجلة «اركيولوجيا» فى عام ١٩٠٩ حدد فيه اقسام العصر البرونزى واعماره. . وقد ظلت وسيلة التأريخ المعروفة «بالتاريخ بالقياس» واسعة الاستعمال فى علم الاثار حتى استحدثت الوسائل العلمية المطلقة.

لعل أهم القضايا التى شغلت الاثاريين خلال الفترة التى انقضت من هذا القرن هما قضية التحول الحضارى وقضية التأريخ المطلق. . سبق الاثاريون الاسكندنافيون غيرهم فى الانتباه الى قضية التحول الحضارى. . فقد نبه ورسا الى أن العصر البرونزى فى الدنمارك لم يكن تطورا حضاريا طبيعيا ومحليا وانما كان ظاهرة مفاجئة فى تاريخ التطور الحضارى فى الدنمارك. . وعلى نقيضه كان سفن نلسون يرى أن الحضارات تتطور تلقائيا وبطريقة بطيئة ومستمرة وقد روج لافكاره تلك فى كتابه «سكان اسكندنافيا البدائيون» الذى نشر فى عام ١٨٦٧. . انقسم الاثاريون بوجه عام الى مجموعتين رئيسيتين احداهما تؤمن بالتحول الحضارى عن طريق الهجرة والانتشار والاخرى تركز على التطور الحضارى التلقائى. . كان الالمانى ادولف باستيان من القائلين بأن وحدة النفس البشرية يمكن أن تكون قانونا لتطوير افكار متشابهة لدى الجنس البشرى على الرغم من الفوارق الجغرافية والبيئية التى قد تأتى بردود فعل مختلفة لدى الانسان وهو بالتالى من المؤمنين بامكانية ظهور تطورات حضارية متشابهة ومتوازية تقع فى مناطق مختلفة دون أن يتم اتصال بينها. . انتقلت هذه الافكار الى مورقان ومنه الى المفكرين الماديين ثم سيطرت بوجه عام على آثارى الكتلة الشرقية.

أما المجموعة الاخرى بقيادة اليوت اسمث (مدرسة مانشستر) ومورتييه فكانت ترى فى الانتشار الحضارى تفسيرا لظاهرة التغير الحضارى. . وكانت ترى ان حضارات الشرق الادنى هى مصدر الاشعاع الحضارى الذى وصل الى اوربا ودفع بها الى سلم التطور. . وهناك قلة من امثال ارثر ايفانز وجون مير رأت أن الامر خليط بين الاثنين وان التحولات الحضارية التى شهدتها اوربا ما هى الا نتاج انتشار حضارى وافد مدعوم بتطور محلى.

فى مجال الاعمال الميدانية جاء فلندز بيترى ليضيف الى أعمال مورتييه وماسبيرو واميليا ادوارد فى الاثار الفرعونية اضافات دفعت الحفريات التى قام بها والدراسات التى اعقبتها بعلم المصريات دفعات قوية الى الامام كما ساهمت فى تطوير وسائل البحث الاثرى بشكل عام. . وفى وادى الرافدين كان للاعمال التى قام

بها جورج اسمث وراسام فى الربع الاخير من القرن التاسع عشر أثرها فى لفت الانظار الى الثروة الحضارية لتلك المنطقة . . تلاحقت البعثات الاثارية من عدد من الدول الاوربية وتمت حفريات فى مدينة بابل . . المدينة كانت قد بنيت من الطوب خلافا لما عليه الحال فى الكثير من المواقع الكبرى من الشرق الادنى . . وقد كان تتبع تلك الجدر بين الركام امرا بالغ الصعوبة والتعقيد مما أضاف تجربة جديدة واسعة فى مجال العمل الميدانى .

فى بلاد الاغريق وايطاليا قبيل نهاية القرن التاسع عشر كانت البعثة الالمانية العاملة هناك قد ارست القاعدة الصلبة لمستقبل الاعمال الاثارية . . أما الشخص الذى يتردد اسمه كثيرا فى هذا المجال فهو رجل الاعمال هنريك شيلمان الذى قام بحفريات ونشر عددا من المؤلفات كان اهمها عثوره على مدينة طرواده وتحويل ما ظنه البعض خيالا فى كتابات هومر الى حقيقة ملموسة . لقد تباينت الاراء حول تقويم اعماله . . وأيا كان الرأى حولها فالذى لا شك فيه هو أن حفريات طرواده ربما كانت اول حفريات لما يسمى بمواقع التلال فى العالم القديم وبالتالى فان تطبيق نظريات الارستقرافيا كان أمرا ضروريا وقد نجح شيلمان فى ذلك . . تتابعت الاكتشافات الاثرية اثر ذلك فى كريت وقبرص على أيدى اثاريين من امثال سير ارثر ايفانز واخرين .

لقد شهدت نهاية القرن التاسع عشر تنقيبات فى ايران وهضبة الاناضول كان من اهمها حفريات هوبرت شميت (Hubert Schmidt) فى موقع آناو فى تركستان حيث أعد سجلا دقيقا لكل ما عثر عليه فى الموقع مسجلا ابعاد الموقع الافقية والسطحية وجامعاً كل المخلفات العضوية من بقايا النباتات والحيوانات والمخلفات البشرية وعهد بكل ذلك الى مختصين لدراستها . . وفى تركيا امكن التعرف على موقع حاتوشا عاصمة الحثيين كما امكن فك طلاسم لغتهم المكتوبة بالخط المسمارى .

اما فى امريكا فقد قامت جامعة هارفارد بحفريات فى هندوراس فى مواقع حضارة المايا تزامنت فى اعمال مشابهة فى بيرو سارت جميعها فى اتجاه محاولة فهم حضارات امريكا الوسطى وتتبع اصولها، وفك طلاسم كتاباتها .

يتعذر بالطبع اسدال الستار على علم الاثار فى القرن التاسع عشر دون الاشارة الى اسم بت - ريفرز الذى قام بالكثير من الحفريات فى بريطانيا . . لقد كان دقيقا فى تسجيل تفاصيل المواقع التى قام بحفرها وله يرجع الفضل فى ربط الاثنوغرافيا بدراسة الاثار .

فى نوفمبر ١٩٢٢ اكتشفت مقبرة توت عنخ آمون فى مصر التى كانت واحدة من اكثر المقابر ثراء فى تاريخ علم الاثار . وفى هذه الاثناء كان رايزنر يقود البعثة المشتركة لجامعة هارفارد ومتحف بوسطن لكشف النقاب عن مواقع الاسرة الخامسة والعشرين وآثار مملكة كوش فى السودان . . وفى جنوب وادى الرافدين كان المتحف البريطانى وجامعة بنسلفانيا يقومان بحفريات مشتركة تحت ادارة ليونارد وولى استطاعت ان



تزيح الستار عن آثار الحضارة السومرية وقد تزامنت هذه ايضا مع تنقيبات اخرى قامت بها جامعتا اكسفورد وشيكاغو فى كش وجمدة نصر. . وكانت بعثة المانية تعمل فى الوركاء. . لم تخل شبه القارة الهندية وما حولها من اعمال آثارية فى هذه الفترة حيث قام اريل اشتين بحفريات وضعت تلك المنطقة على الخارطة الاثارية. أما فى تركيا فقد واصلت بعثة جامعة ليفربول تحت قيادة قرستانق حفرياتها فى مواقع الحثيين كما اعادت بعثة امريكية من جامعة سنسناتى حفر طروادة. . وفى الشام شهد الربع الاول من القرن العشرين حفريات اولية فى مواقع ماجيدو ورأس شمرا واريحة قامت بها بعثة المانية. . أثرت هذه الاعمال مجتمعة المعرفة الانسانية بمعلومات لا تقدر بثمن عن الماضى الحضارى لهذه المناطق وساهمت فى فهم مسيرة التطور الحضارى فيها.

شهدت بداية الربع الثانى من القرن العشرين (١٩٢٥) ظهور أول مؤلفات غردون شايلد «فجر الحضارة الاوربية» وتبعه بعدة مؤلفات اخرى قدمت تحليلا رائعا لتطور الحضارات الاوربية غير الكلاسيكية اعطت هذه المؤلفات بعدا جديدا لقضية تفسير التحول الحضارى وأدى أحد مؤلفاته وعنوانه **«ماذا حدث فى التاريخ»** دورا بارزا فى تقديم علم الاثار الى عامة الناس وابراز دور هذا العلم فى تفسير التاريخ. . وعلى الرغم من انه كان من انصار نظرية الانتشار الا انه لم يكن من اتباع مدرسة مانشستر. . وقد ركز على اهمية العامل الاقتصادى وامن بالتطور المحلى الا انه اختلف كذلك مع التطوريين. . كان شايلد عملاقا ساد الدراسات الاثارية خلال الربع الثانى من القرن العشرين. . فى ذات الفترة قدم البريطانى كروفورد مساهمة رائعة فى مجال المسح الاثارى فقد ادخل الصور الجوية كوسيلة للمسح حيث تظهر هذه الصور الكثير من المعالم الاثرية التى لا تشاهد الا من ارتفاعات شاهقة وبخاصة تلك التى تغطيها الحقول. . ولا تزال هذه الوسيلة تستعمل بنجاح تام فى علم الاثار. . أما فوكس فقد ساهم هو أيضا بادخال المنهج الجغرافى فى دراسة الاثار حيث أشار الى ضرورة اخذ الخلفية الجغرافية والعامل البيئى فى الاعتبار عند دراسة المخلفات الحضارية. . واصل سير مورتمر ويلر السير على طريق بت ريفرز فى التنقيبات وطوره الى ما يسمى بنظام المربعات. . وحمل خبرته تلك الى الهند حيث اجرى حفريات فى موهنجودارو وهرابا ومواقع أخرى.

وعلى طرفى العالم كانت هناك اعمال تجرى فى الصين وفى امريكا. . ففى الصين أوضحت مؤلفات بعض الاثاريين المحليين عن كشف مدينة اينانج عاصمة أسرة شانج. . اما فى أمريكا فقد توالت الاكتشافات لحضارات المكسيك. . وكان لمساهمات آثاريين من امثال كيدر نتائج ايجابية فى وضع تصور للتسلسل التاريخى لحضارات ما قبل كلومبس فى تلك البلاد.

ومع بداية النصف الثانى من القرن العشرين شهد علم الاثار احدى قفزاته الرئيسية بادخال **«الكربون١٤»** كأحد وسائل التأريخ لقياس العمق الزمنى لقد كان لهذه الوسيلة التى تعتمد على قياس

ما هو متبق من هذا الكربون من المواد العضوية القديمة آثار بعيدة المدى فى علم الاثار اذ دحضت كثيرا من الافكار عن العمق الزمنى لبعض الفترات الحضارية ودفعت بها الى ازمان اقدم بكثير مما كان يعتقد عنها من قبل كما ألقت الضوء على بعض نظريات الانتشار الحضارى وعدلت فيها بعد مقارنة نتائج الكربون ١٤ بتلك النتائج المستخلصة بواسطة وسيلة حساب حلقات الاشجار امكن التوصل الى معادلة تم بمقتضاها تعديل الارقام الناتجة عن الكربون ـ ١٤ واضحت هذه الوسيلة واحدة من اهم وسائل التأريخ فى علم الاثار. وكانت الوسيلة الاخرى المستحدثة للقياس الزمنى بواسطة البوتاسيوم هى أيضا كسبا جديدا لعلم الاثار، وذلك بفضل قابليتها لقياس الازمان السحيقة فقد يسرت التعرف على العمق الحقيقى لماضى البشرية وماضى الحضارة. . هذه وغيرها من الوسائل الاخرى (**الزجاج البركانى ـ التألق الحرارى . . . الخ**) التى استعارها علم الاثار من علوم أخرى كالجيولوجيا والفيزياء والكيمياء ربطت بين علم الاثار وهذه العلوم ومكنت علم الاثار من اجراء احصاءات أكثر دقة فى مجال قياس الزمن.

فى هذا الوقت التفت البعض الى حقيقة ان اعماق البحار كما تحكى الروايات والسجلات التاريخية تزخر بكنوز لاحد لها نتجت عن غرق الكثير من السفن فى عصور سالفة. . جاء علم الاثار البحرية متفرعا من علم الاثار ليقوم بمسوحات آثارية تحت الماء لتحديد اماكن هذه السفن واجراء حفريات فى اعماق البحار خلصت الى الكشف عن الكثير من المخلفات. . وقد طور هذا الفرع الوسائل والطرق الخاصة به.

كذلك شهدت هذه الفترة اجراء عدد من الحفريات فى مناطق مختلفة من العالم نذكر منها حفريات جراهام كلارك فى ستاركار ـ واتكنسن فى استونهنج ـ وكلاهما فى بريطانيا ـ والبروتوروز فى المكسيك ـ وفواد سفر فى تل حسونة ـ وكاثرين كينيون فى اريحه ـ وغيرها من مواقع على امتداد العالم. . هذه المواقع شهدت تلاحما وثيقا بين علم الاثار والعلوم الاخرى ذات الصلة. . فى امريكا قدم الامريكيان ويلى وفلبس تصورا لمراحل التطور الحضارى فى امريكا خلال الفترة التى سبقت وصول كلومبس اليها. . ثم جاءت دراسات ماكنيش فى جنوب المكسيك لتعلن عن اكتشاف مركز مستقل لممارسة الزراعة قاد الى ظهور المستوطنات ثم بزوغ المدنيات فى امريكا الوسطى.

جاء العقد السابع من القرن الحالى ليشهد اول تعاون دولى فى مجال الاثار حيث نظمت اليونسكو حملة لانقاذ اثار المنطقة التى غمرتها فى وقت لاحق مياه بحيرة ناصر. . كان من انجازات هذه الحملة ليس فقط انقاذ تراث حضارى بشرى هائل فحسب وانما كشف الدور الحضارى الذى أدته هذه المنطقة عبر تاريخها فى التطور الحضارى للقارة الافريقية والشرق الادنى. . وقد ساهمت كذلك فى تطوير بعض الوسائل كتلك التى تستعمل فى فك ونقل واعادة تركيب الاثار.

خلال هذه الفترة ظهر علم الاثار الحديث فى امريكا واضعا ضمن اهدافه شرح التطور الحضارى وفهم قوانين الدينماكية الحضارية، شغل هذا الاتجاه الاثاريين خلال العقدين الماضيين بين مؤيد له ومعارض. .

رأى البعض فى علم الاثار الحديث اتجاها جديدا للدراسات الاثارية. . فى حين رأى آخرون انه ليس سوى تجديد وامتداد لافكار سبق طرحها فى علم الاثار.



قاد اريك فون دانكين فى السبعينات حملة غير مؤسسة على علم الاثار بنشره عدة مؤلفات تعزى قيام المدنيات القديمة وبالتالى مخلفاتها الحضارية الى مخلوقات نزلت من كواكب اخرى . . تبعه آخرون بترجمة بعض مؤلفاته ونسبوها لانفسهم . . وقد كان لهذه المزاعم تأثيرات سلبية فى اوساط العامة الا أنها اندثرت سريعا .

فى هذه الفترة ايضا كانت حفريات اسرة ليكى فى الاخدود العظيم فى شرق افريقيا تكشف عن مخلفات بشرية وحضارية موغلة فى القدم . . قادت هذه الاكتشافات الى اعمال اخرى مشابهة فى اثيوبيا ومنطقة البحيرات والى مواصلة العمل فى الاخدود العظيم الشىء الذى قاد الى التحقق من قدم الحضارة البشرية .

فى الجزيرة العربية قامت بعثة دنماركية بتنقيبات فى منطقة الخليج مهدت لفهم التسلسل الحضارى لهذه المنطقة واوضحت صلاتها الحضارية مع جاراتها . . أما فى المملكة العربية السعودية فقد قامت دائرة الاثار بمسوحات آثارية شملت اغلب ارجاء المملكة وكشفت النقاب عن مواقع أثرية تعود الى حقب حضارية مختلفة، كذلك اجرى قسم الاثار والمتاحف بجامعة الملك سعود حفريات فى قرية الفاو والحقها بحفريات فى موقع الربذة الاسلامى . . أدت هذه التنقيبات الى بلورة مفهوم جديد عن دور هذه المنطقة فى التاريخ القديم . . وفى جنوب الجزيرة قامت بعثة امريكية واخرى المانية بتنقيبات كشفت عن جوانب من حضارات اليمن القديمة .

شملت الاعمال الاثارية فى مختلف ارجاء العالم كان من بينها حفريات فلنرى فى الهضبة الايرانية وتم الكشف عن موقع ابلا فى سوريا واكتشفت مقبرة فليب الثانى فى شمال اليونان واجرى مكانيش حفريات فى مواقع المايا فى هندوراس وكشفت حفريات فى الصحراء الافريقية عن الثراء الحضارى لتلك المنطقة خلال حقب ما قبل التاريخ .

استطاع علم الاثار خلال فترة وجيزة أن يحتل مكانه بين العلوم الانسانية وهو مازال يسير بخطى سريعة فى مجاليه النظرى والتطبيقى . . وتتطور مع ذلك الوسائل والطرق المستخدمة فيه . . ان عرضا لاهثا كهذا سيسقط بلا شك الكثير من الاحداث والشخصيات التى لم يكن دورها بأقل من سواها كما انه لا يتيح امكانية الخوض فى تفاصيل اتجاهاته المعاصرة واساليبه .

المراجع

G.Daniel 1975 A Hundred and Fifty years of Archaeology. Duckworth
1981 *A Short History of Archaeology. Thames and Hudson*
G. Willey and J. Sabloff 1974 Ahislory of American Archaelogy



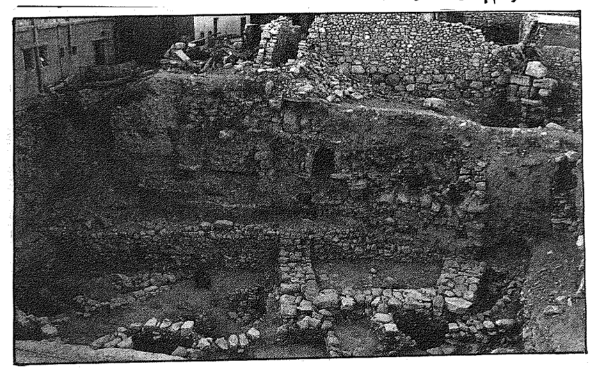
التنقيب

محاولة لرسم العالم القديم

د. زيدان كفافي
معهد الآثار والانثروبولوجيا
جامعة اليرموك - الأردن

عاش الانسان فى منطقة الجزيرة العربية وبلاد الشام منذ العصور الحجرية القديمة وترك لنا مخلفات أثرية فى مواقع شتى من اقدمها العبيدية الى الجنوب الغربى من بحيرة طبريّة فى فلسطين.. بدأ هذا الانسان البدائى حياته متنقلا وجامعا لقوته اليومى حتى اضطرته الاحوال المناخية الى الايواء الى الكهوف والملاجىء الصخرية الطبيعية فى هذه المرحلة المبكرة. ولوحظ نتيجة للتحولات البيئية ان الانسان الأول قد بدأ خطواته الأولى على طريق الاستقرار فى الفترة اللاحقة للعصور الحجرية القديمة والتى تعرف باسم (Epi-Palaeolithic) اذ خرج من الكهوف واسس له اكواخا يأوى اليها وقت الحاجة.. ومن المواقع التى عثر فيها على اكواخ: عين الملاحة (Perrot 1966) ووادى الفلاح (Stekelis and Yizraely 1963) وعين جويف (Stekelis and Bar-Yousef 1965) فى فلسطين ويختلف الأمر تماما عندما يتعلق بالقرية الزراعية التى ظهرت لأول مرة مع نهاية الألف التاسع وبداية الثامن قبل الميلاد.. اذ أصبحت هذه القرية مستوطنة ثابته فوق رقعة من الأرض تقطنها مجموعات بشرية بنت لنفسها بيوتا وانتجت غذاءها وعرفت صناعات متعددة بل يبدو انها مارست عبادة دينية لها طقوس ومناسك معينة (كفافى ١٩٨٦).. ويمكننا ان نطلق على هذه الفترة اسم «فترة الاستقرار البشرى» التى ربما كانت بداياتها فى منطقة غربى آسيا.. ويبدو أن الوصول الى مرحلة القرية الزراعية حقق الوحدة بين افراد المجموعات البشرية وخصوصا ان هذه

منظر عام لإحدى مناطق تل سحاب الاثرى (نهاية الالف الخامس وحتى بداية القرن الثالث قبل الميلاد) شكل ١



القرية هى التى شكلت القاعدة الأساسية لمواطن الاستقرار اللاحقة. . ويظهر من نتائج بعض الحفريات الأثرية كتلك التى جرت فى موقع عين الملاحة الذى يعود الى الفترة الناطوفية حوالى (١٠٠٠٠ر١٠-٨٠٠٠ر٨ ق.م) ان مجموعات بشرية قد عرفت الاستقرار كمقدمة للانتاج الزراعى وان كان استقرارا موسميا وفى نهاية الألف الرابع وبداية الألف الثالث قبل الميلاد نجد ان القرية قد تطورت واصبحت مدينة بنيت حسب خطة مسبقة لها اسوار تحيط بها وظهر الى حيز الوجود ما يعرف باسم دويلات المدن، اعقبها تكوين الامبراطوريات الكبيرة فى معظم مناطق غربى آسيا وتركت لنا هذه الامبراطوريات آثارا ومخلفات كشف الاثاريون عن اجزاء كبيرة منها.

محاولة لفهم التطورات التى طرأت على حياة الانسان منذ البدايات الأولى حتى الآن نجد ان الآثاريين قد قسموها الى فترات متعددة وتخصص كل منهم فى فترة من هذه الفترات.

التلال الأثرية التى يقوم الآثاريون بالتنقيب فيها هى عبارة عن تراكمات المخلفات الانسانية التى تُركت عبر العصور المختلفة ويختلف ارتفاع اى موقع اثرى عن الموقع الآخر تبعا للمدة الزمنية الاستيطانية لهذا الموقع ولطبيعة المخلفات الأثرية فيه، فكلما زاد طول مدة الفترة التى سكن بهاالموقع وكثرت المخلفات الاثرية فيه زاد ارتفاعه والعكس صحيح (شكل١) وفى دراستنا لتاريخ أى موقع، حدثت فيه تغيرات مختلفة، نجد ان المسألة المطروحة تتعلق بشكل رئيسى بتسلسل الطبقات الأثرية واصطلاح كلمة طبقة (Stratum) بالمفهوم الآثرى يعنى انها تكونت بفعل الانسان وتحوى اشياء من صنعه (شكل٢) ولكل طبقة ما يميزها عن

الأخرى سواء من حيث المحتوى او اللون (Kenyon 1971) ان تأريخنا لأى موقع ما يعتمد بشكل رئيسى على مدى قدرتنا على تفسير الطبقات السكنية المختلفة ومحاولة تفسير العلاقة بين هذه الطبقات وربطها مع بعضها البعض. . وتؤرخ الطبقة عادة من خلال المخلفات الأثرية التى يعثر بداخلها. واذا تم استخدام طريقة منهجية علمية فى التنقيب ولم يتم اهمال أية معلومات مهما كانت ثانوية يتم الحصول عليها من التنقيبات فانه يصبح من الممكن ان نحدد بدقة الترتيب الزمنى الفعلى الذى حدثت بواسطته التغيرات فى حياة مجتمع من المجتمعات.

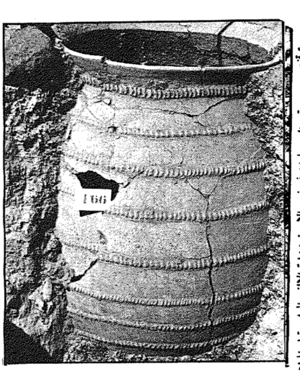
لقد بدأ الناس يهتمون بالآثار منذ أقدم العصور حين كان المصريون القدماء يبحثون عن الكنوز الأثرية داخل المقابر، خاصة وانهم كانوا يدفنون معهم مقتنياتهم الثمينة وما يلزمهم من ادوات فى حياتهم الأخرى بعد الموت حسب اعتقادهم. . لكن اول محاولة جادة للبحث عن الآثار كانت عندما قام الملك الكلدانى نابونيدس (٥٥٦-٥٣٩ ق.م) بالكشف عن عدد من المعابد خاصة معبد الإله (سن) الذى بناه الملك الاكادى نرام - سن (حوالى ٢٣٥٠ ق.م) من اجل ترميمه (Thompson 1972) لكن الهدف من اجراء التنقيبات الأثرية هذه الايام قد اختلف عنه فى السابق، اذ يحاول الأثاريون من خلال التنقيبات الاثرية توضيح معالم تاريخ الانسان فى العصور الغابرة. . هذه التنقيبات اتخذت طرقا واشكالا مختلفة، اذ نجد ان المنقبين الذين عملوا فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين اتخذت تنقيباتهم طرقا عفوية، اذ كان المنقب يضع خندقا يتجه شمال - جنوب وآخر يتجه شرق - غرب ويبدأ بالتنقيب بشكل عشوائى وعلى هذا الاساس جاءت معظم تقارير نتائج الحفريات من هذه الفترة غير كافية بل مغلوطة بعض الاحيان (Macalister 1912) .

وبعد ذلك طور علماء الآثار العديد من طرق التنقيب لعل اهمها ما يعرف باسم طريقة المربعات الشبكية التى تعرف باسم طريقة كنيون - ويلز. . وهى لا تزال متبعة فى معظم الحفريات التى تجرى فى منطقة بلاد الشام (Kenyon 1971) ولابد من الذكر هنا انّ الاهتمام بالاثار يتزايد سنة بعد سنة منذ منتصف هذا القرن. . وهناك العديد من البعثات الأثرية المختلفة الجنسيات التى عملت ولا تزال تعمل فى منطقة غربى آسيا ونجد ان لكل فريق من هذه الفرق طريقته الخاصة سواء باعمال التنقيب او التوثيق (Albriqht 1971: Woolley 1977) .

وهكذا نجد ان علم الآثار يغطى فترة طويلة من الوقت من حيث الدراسة العلمية الوافية لمختلف الامكنة والظروف التى كانت سائدة فى وقت من الأوقات. . لذا نجد ان المهتمين بالاثار سواء أكانوا متخصصين ام هواة قد وزعوا اهتماماتهم على فترات مختلفة كل حسب تخصصه. . ولكى نعرف شيئا حول مجموعة من الناس فانه يتوجب علينا أولا معرفة البيئة التى كانوا يعيشون بها. . وعلى سبيل المثال، هل عاشوا صيادين متنقلين فى الغابات والادغال او رعاة فى مناطق استقرارهم؟ وهل كانوا يستوردون ويصدرون حاجياتهم؟ . فمن خلال دراستنا لبيئة معينة عاشت بها مجموعة بشرية نستطيع التعرف على المناخ الذى كان سائدا فى ذلك الوقت، وعلى انواع النباتات وهل قاموا بزراعة محاصيلهم الزراعية ام اعتمدوا الحبوب

البرية غذاء لهم، اذ اننا نجد ان بعض المجتمعات الزراعية اخذت تخزن منتوجاتهم داخل جرار كبيرة او فى حفر داخل الارض (شكل٣) ولنا ان نسأل: **هل دجنوا الحيوانات أم استعملوا لحوم الحيوانات البرية غير**

اوانى فخارية داخل احد المساكن فى موقع (ابو حامد) (بداية الألف الرابع قبل الميلاد)



جرة تخزين من موقع (ابو حامد) فى غور الاردن (بداية الألف الرابع قبل الميلاد)

وعلى هذا الاساس اصبح من الضروى ان يوجد فى كل حفرية أثرية مختصون بدراسة البقايا النباتية والحيوانية. . فمثلا يستطيع دارس العظام الحيوانية من خلال دراسته لبقايا العظام التى يتم العثور عليها اثناء عملية التنقيب، ان يحدد فيها اذا كانت الحيوانات التى استغلها موقع ما برية ام مستأنسة، كذلك نستطيع من خلال معرفة البيئة التى كانت سائدة تحديد انواع الحيوانات التى كانت موجودة لأن كل نوع من الحيوانات يعيش فى بيئة مختلفة عن بيئة الآخر (شكل٤) يضاف الى ذلك دراسة حقول المدافن وما تتضمن من عادات للدفن وعلاقتها بالمعتقدات الدينية.

فقد اصبح من الضرورى ان تجرى دراسات عميقة وتفصيلية للمخلفات العظمية البشرية من قبل مختصين فى بيولوجيه الانسان ـ اى من يعرفون بمختصى الانثروبولوجيا العضوية ـ الذين تؤدى دراساتهم الى محاولات للتعرف على عدد السكان ومتوسط الاعمار ومصادر غذائهم الرئيسية والأمراض التى كانت منتشرة فى صفوفهم ونسب الوفيات من الاطفال والنساء والذكور.

كذلك نجد ان الناس خلال المراحل التى مرت على بنى الانسان كانوا يعيشون على شكل مجموعات تتصل مع بعضها البعض بطرق شتى سواء عن طريق الحروب او التجارة. . وان المخلفات الأثرية التى يتم العثور عليها اثناء عملية التنقيب يمكن ان نعدها وسيلة فى محاولة الربط بين المجموعات الحضارية

المختلفة. . فعند التعرف على اداة معينة استعملت من قبل اناس معينين فى موقع معين يصبح من واجب العالم الأثرى البحث عن مصدر هذه الاداة **أهو محلى ام لا؟** وهل استعملت من قِبَلِ مجموعات اخرى فى مكان آخر؟ . . فى هذه الحالة يمكن القول بأن الادوات الفخارية هى الأدوات المنزلية التى شاع استعمالها عبر العصور القديمة، والتى يمكن استعمالها لاجراء دراسة مقارنة بين الأقوام المختلفة. . وعلى هذا الاساس فاذا وجد طراز جديد من الاوانى الفخارية فى موقع ما فمن المحتمل ان يكون هذا النوع قد استحضر بواسطة أناس جدد قدموا الى هذه المنطقة كأن يكونوا تجارا او مهاجرين او غزاة. . . الخ.

مثال آخر يمكن ان يقال فى هذه المناسبة فعند العثور على خرز او بعض أدوات زينة فى مكان لا تتوافر فيه خامات هذه الأدوات فان هذا يدلنا على وجود تبادل تجارى. . وعلينا ان نحاول تتبع الطرق التجارية التى سلكها التجار. . وكذلك البحث عن مصادر الخامات التى يتم تصنيعها والاماكن التى انتشرت فيها هذه الصناعات.

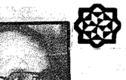
ونجد ايضا ان علم الآثار لا يقتصر على دراسة الأدوات التى خلفها بنو البشر، وانما يتعداها الى دراسة النواحى الاجتماعية من حياة الانسان الأول. . فعلى سبيل المثال اذا عثرنا على مكان كان مأهولا بسكان اقاموا عليه عددا من البيوت الصغيرة التى يتوسطها بناء كبير فيمكننا القول بأن هذا المجتمع كان منظما من الناحية السياسية اذ ربما يكون البيت الكبير مكان اقامة الحاكم فى ذلك الوقت. . كذلك اذا عثر فى احد المواقع على عدد من القنوات الزراعية، فانه يمكن وصف الناس الذين سكنوا هذا الموقع بأنهم كانوا مزارعين كما يمكن وصف مرحلة التقدم الزراعى التى وصلوا اليها.

من خلال ما ذكر اعلاه يمكننا ان نتبين انه من خلال التنقيبات الأثرية نستطيع ان نرسم معالم العالم القديم مع العلم بأنه قد يجادل احدهم بالقول بأن الوثائق والنصوص التاريخية كافية لفهم هذه المعالم. . لكننا نود الاشارة هنا ان هذه غير كافية وان كانت تساعد فى فهم الاحداث التى حدثت فى فترة ما. . فمثلا ان النصوص التاريخية لا تغطى فترات ما قبل التاريخ وان اختراع الكتابة قد تم قبل حوالى ٥٠٠٠ عام فى كل من مصر ووادى الرافدين. . وحتى عند العثور على النصوص المكتوبة فانه يتم العثور عليها بواسطة التنقيبات الأثرية. . كذلك نجد ان معظم السجلات القديمة مرتبطة بالدول الكبرى او تهتم بالمعابد وبحملات الملوك وخط سيرها وقل ما نجد منها ما يخبرنا عن كيفية حياة الانسان فى فترة من الفترات.

شكل٤ مدفن لحيوان من موقع سحاب (الالف الثالث قبل الميلاد)







التراث العربى ذوعمق انسانى على مستوى التاريخ الشامل وقد تأتىّ له ذلك بفضل صفتين غالبتين : الصفة الاولى تتمثل فى كل ما يتوفر لديه عندئذ من مناهل التراث الانسانى . والصفة الثانية هى انه مع مبدأ الاستيعاب والتمثل قد استند الى مبدأ الخصوصية اذ تفرد بسمات نوعية فلم يكن جسرا وقنوات تعبرها الحضارة السالفة وهى السمة التى نرجعها الى الطابع الاسلامى الذى نقل العرب فى ضوئه مواريث السالفين فالتراث العربى قد جاء مؤكدا مبدأ التجاوز . . وهكذا كان هذا الفكر الثقافى فى الوقت نفسه حلقة وصل ومنطلق خلق وصانعا للتاريخ . . فاعلان مقولة التراث تم توظيفها خدمة للعلم الانسانى الحديث وتيسيرا لاشعاع حضارتنا الزاهية، كل ذلك يعد اليوم من الوظائف التى يتحتم على ابناء الأمة القيام بها، وهذه الاسباب تعين كما ذكرنا على الملتزم منهم من الوجهة العلمية ان يصدر عن موقع منهجى هو القراءة المعاصرة التى تقتضى ضمنيا استيعابا مزدوجا طرفه الاول فى التراث وطرفه الاخر فى العلم الحديث ومتى توفرت قراءة نقدية واعية تستند الى مبدأ التفاعل العضوى، هكذا يمكن ان نتوصل الى ادخال مفاهيم المعرفة المعاصرة مع مفاهيم التراث فى جدل خصيب يخرج لنا ثمرات مفهومية جديدة وحصيلة معرفية متفردة ليست صورة مشوهة للتراث ولا هى صورة منسلخة من العلم الحديث بل هى عطاء نوعى جديد .

د. عبد السلام المسدى
عالم اللسانيات - تونس

BIBLIOGRAPHY

Albright, W.F. 1971
The Archaeology of palestine. Gloucester, Mass: peter Smith.

Macalister, R.A.S. 1912
The Excavations of Gezer 1902-1907 and 1907-1909, Vois. I-111. London: The Comittee of palestine Exploration Fund.

Perrot, J 1966
Le gisement Natufien de Mallaha (Eynan), Israel. L'Anthropologie 70: 437-483.

Stekelis, M. and T. Yizraely 1963
Excavations at Nahal Oren. Israel Exploration Journal 13: 1-12.

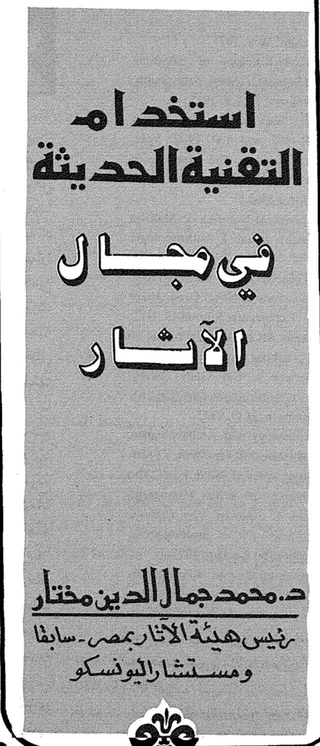
Stekelis, M. and O. Bar-Yousef 1965
Un habitat du paleolithique superieur a Ein Guev, Israel. L'Anthropiologie69: 176-183.

Thompson, H.O. 1972
Archaeology and Archaeologists, an Historical Review With a Focus on the Ancient Near East. The University of Jirdan Monograph Series 1. Amman: The Catholic printing press.

Woolley, Sir Leonard 1977
Digging up the past. Reprinted by Greenwood press: Westport. Connecticut.

كفافى زيدان ١٩٨٦ : القرية الزراعية فى الاردن خلال العصر الحجرى الحديث، حوالى ٨٠٠٠ - ٤٥٠٠ ق.م.

- ابحاث اليرموك «سلسلة العلوم الانسانية والاجتماعية» المجلد الثانى : العدد الثانى ١٩٨٦ ص٦٣-٩٢.



أقصد بالتقنية الحديثة فى مجال الآثار تلك التطبيقات والاستخدامات للعلم الحديث الذى يعد من اهم سمات عصرنا الحالى والتى فرضت نفسها على كافة نواحى الحياة وأنشطتها بحيث لا يمكن للعامل فى حقل الآثار والعلوم والمجالات المتصلة به أن يتجاهلها الآن كما يستحيل على الدراسات والابحاث والانشطة الأثرية ان تنمو وتتطور فى معزل عنها، مما يستوجب استخدام معطيات التقنية والعلم الحديث وتطبيقاتها فى مجال الآثار وبالتالى فى حقل التاريخ وخاصة التاريخ القديم الذى هو بمثابة توأم لعلم الآثار.

والواقع ان استخدام العلم فى مجال الآثار قد بدأ منذ فترة طويلة من خلال علوم معينة مثل الجيولوجيا والكمياء والطبيعة والعلوم الحيوية ثم اخذ استخدام تلك العلوم فى التطور تطورا يتناسب مع تطور الوسائل والأجهزة والنظريات العلمية كما شاركت علوم اخرى كالعلوم الطبية وعلوم الذرة واستخدامات الكمبيوتر الواسعة فى هذا المجال.

ولقد سبق الاشارة الى ان التاريخ والآثار هما توءمان متصلان إذ لابد ان يتعاون الاثرى والمؤرخ للكشف عن الحقيقة التاريخية فالتاريخ هو سجل لتطور المجتمعات الانسانية والآثار هى مادة ذلك السجل وعلى الأثرى ان يشق طريقه فى الارض بمعاوله باحثا بوجه خاص عن الحقيقة التاريخية فى شكل أدلة مادية ثم يأتى المؤرخ فيسلط أشعة الفكر على تلك الحقيقة باحثا عن اصولها وخفاياها .. ومن ثم فالاثار تمثل الى حد كبير

الجانب العملى للتاريخ وتقدم لنا مصادره الاولى مما يحتم على المؤرخ فى كثير من الاحيان الاعتماد على وسائل التقنية الحديثة التى تستخدم فى مجال الآثار.

وسائل التقنيه الحديثه التى تستخدم فى مجال الآثار.

وسوف اكتفى فى هذا المقال بتوضيح الخطوط العامة لاستخدامات التقنية والعلوم الحديثة فى حقل التاريخ والآثار.

اولا: مجال التاريخ والتقنين والتقويم الزمنى:

من البديهيات ان تقدير قيمة أى حضارة تعتمد الى حد كبير على تحديد تاريخها وتعيين موقعها الزمنى فى سجل التاريخ، كما ان تقدير عمر الاثر يمكّن المؤرخ والباحث من اثبات قيام صلات حضارية بين الاماكن المختلفة.. وقد استخدم العديد من الطرق العلمية الحديثة للوصول الى التحديد الزمنى.. ولكن من المهم هنا ألا نقتصر على طريقة واحدة فى هذا المجال، بل يجب الاعتماد على كافة الطرق المتاحة ثم مقارنة النتائج التى نحصل عليها حتى نتوصل الى رأى محدد مؤيد يكمل الادلة والقرائن التى امكن الحصول عليها وتشتد الحاجة الى استخدام هذه الطرق فى الابحاث المتعلقة بعصور ما قبل التاريخ والعصور القديمة المبكرة بوجه خاص.

إذ كثيرا ما يعثر الاثريّون على مقابر ومواد أثرية لا تحمل أيّة معالم تدل على عمرها أو العصر التاريخى الذى ترجع اليه أو حتى ما يشير الى تاريخها التتابعى وعمرها النسبى.

ومن أهم الطرق المستعملة فى هذا المجال:

١- طريقة كربون ١٤ المشع: وهى من احدث الطرق للتعرف على ازمنة بعض البقايا الاثرية وقد ابتكرها الدكتور ويلارد ليبى بجامعة شيكاغو منذ قرابة خمسين عاما، وقد تطورت هذه الطريقة خلال تلك الفترة وانتشر استعمالها انتشارا واسعا بما فى ذلك منطقة الشرق الاوسط.. وتعتمد هذه الطريقة على نظرية مؤداها ان الاشعة الكونية عندما تصل الى الغلاف الجوى تصطدم به وتتفاعل معه فينتج عن ذلك أن يتحول جزء من الكربون الذى فى الجو الى كربون اطلق عليه اسم كربون ١٤ يتميز بنشاط اشعاعى يمتزج فورا بالكربون العادى فى الجو.

ولما كان النبات يعتمد على الكربون فى تمثيله الغذائى فانه يمتص هذا الكربون ذا الصفة الاشعاعية وينقله

بدوره عن طريق الغذاء الى الحيوان والانسان. ولكن الكائن الحى سواء كان انسانا أو حيوانا أو نباتا يفقد إثر موته خاصة اكتساب كربون ١٤ كما يأخذ ما اكتسبه سابقا من ذلك الكربون فى التحول ببطء شديد وبنسبة ثابته الى كربون غير مشع.. ومن ثَمَّ فعند عثور الاثريين على مواد عضوية قديمة كعظام بشرية او حيوانية او حبوب او فحم او عاج او ما شابه ذلك يصبح من المتيسر لهم قياس كمية الكربون ١٤ المتبقية فى تلك المواد العضوية وبالتالى تقدير عمرها الاصلى.. وهناك طرق مماثلة تستخدم القلورين أو أرجون البوتاس فى تقدير عمر البقايا الأثرية.

٢ ـ طريقة الحلقات السنوية للأشجار: أمكن للباحثين منذ وقت ليس بالقريب التوصل الى طريقة للتأريخ تعتمد على دراسة حلقات نمو الاشجار التى سبق استخدام اخشابها فى البناء أو فى صناعات قديمة أو وجدت بقاياها ضمن ما تركته احدى الحضارات القديمة.. ويمتد مجال هذا التأريخ ثلاثة آلاف سنة وهى فترة تضم المدى التاريخى لمعظم الاقطار كما تقع فى صميم عصر ما قبل التاريخ لكثير من الجهات.

وتعتمد هذه الطريقة على اساس علمى يقوم بوجود حلقات فى جذوع الاشجار تتكرر سنويا وقت سقوط المطر، وتبدو بوضوح فى القطاع الافقى لتلك الاشجار وهذه الحلقات عبارة عن نسيج رقيق يقع ما بين الخشب القديم ولحاء الشجرة.. ومن ثَمَّ فحينما يبدأ فصل النمو تتجمع خلايا دقيقة حول جسم الشجرة تكون تلك الحلقات او الدوائر.. ويقف تجمع تلك الخلايا بحلول فصل الجفاف ولكنها تعود الى التجمع مرة أخرى فى فصل النمو الجديد.

٣ ـ الطريقة المغناطيسية لتقدير عمر الفخار: تعتمد هذه الطريقة اساسا على وجود اختلاف فى الطاقة المغناطيسية لقطع الفخار نتيجة لاختلاف عمرها أو لتغاير مادة صنعها أو لعوامل أخرى متعددة.. وهكذا فمن الممكن للعالم المختص ـ وفقا لجداول رياضية ـ تقدير عمر الفخار حسب ما به من طاقة مغناطيسية ولازالت اهمية وقيمة هذه الطريقة موضع الاختبار.

٤ ـ طريقة الوهج الحرارى: وهى تعتمد على نظرية علمية تقول بانه كلما ترك الفخار مدة اطول كلما زادت كمية الالكترونات المحترقة به وتستخدم هذه الطريقة أيضاً بجانب التاريخ للتمييز بين الفخار والخزف القديم والحديث وهى طريقة جديدة ايضا لا تزال محل التجربة.

ثانيا: مجال التسجيل الأثرى والتاريخى:

لا شك أن تسجيل الآثار بالوسائل العلمية الدقيقة ثم توثيقها ووضعها على فيشات وبطاقات يحتل مكانا مرموقا بين النشاطات الأثرية المتنوعة وخاصة لان الآثار تتعرض الآن للعوامل الطبيعية المختلفة من مطر ورطوبة وتباين فى درجات الحراره وزلازل.. الخ. كما تساعد العوامل البشرية فى وقتنا الحالى ـ من مشاريع اسكان أو رى أو توسع زراعى ـ على سرقة أو نهب هذه الآثار ـ والتلوث الجوى أو الأرضى مما يؤثر عليها تأثيرا ضارا وتؤدى هذه العوامل الى تلفها وتدميرها.. هذا بجانب عامل الزمن ثم الخطر الرهيب الجاثم المتمثل فى شكل حروب محلية أو ثورات طائشة أو حروب عالمية ذات قدرة تدميرية شاملة.. ويدفعنا



كل ذلك الى سرعة تسجيل آثارنا خوفا من فقدها بجانب ان التسجيل العلمى الدقيق هو الآن اساس اى عملية ترميم أو تقويه أو صيانة أو اتقان كما يوفر للدارس والباحث المصادر والمراجع العلمية اللازمة. . وقد قام مركز تسجيل الآثار بالقاهرة بدور هام للغاية فى تسجيل آثار بلاد النوبة قبل واثناء انقاذها.

ومن الطرق المعتمدة على التقنية والعلم الحديث فى هذا المجال:

(١) التسجيل الفوتوجراترى: وهو مصطلح يمكن ان نطلق عليه اسم المساحة المصورة ويعتمد الى حد كبير على التصوير الجوى ويقوم أساسا على استخدام أجهزه علمية حديثة تخرج لنا صورا أو رسوما أو خرائط مجسمة تبين مدى البروز والانخفاض فى السطوح بواسطة الخطوط الكنتوريه ويمكن الاستفادة من التصوير فى الرفع والتسجيل الهندسى وفى رسم التفاصيل المعمارية وكذا فى عمل نماذج مجسمه ودقيقة للأثر.

(٢) التصوير الحديث باستخدام مواد او اشعة معينة كالاشعة تحت الحمراء والاشعة فوق البنفسجية كاستخدام الصديوم وغير ذلك من المواد للكشف عما تتضمنه أو تخفيه الجدران واللوحات الفنية والوثائق القديمه من صور او كتابات مطموسة أو غامضة أو غير واضحة يصعب على العين المجردة رؤيتها وعلى التصوير العادى تصويرها.

(٣) تصوير الوثائق والآثار بواسطة الميكروفيلم

ثالثا: مجال المسح الأثرى والجس والتنقيب:

تعتبر طريقة التنقيب هى الطريقة الاساسية التقليدية العملية لعلم الآثار وهى بمثابة اسلوب العمل الاساسى للاثرى رغم ما يشكله من متاعب ومصاعب ومشاكل وعقبات اثناء البحث عن الآثار المطمورة. . وقد يطول أمد التنقيبات والحفر الى سنوات عديدة دون ان يصل الحفار الى ما يبغيه ويزداد الامر صعوبة كلما اتسعت مساحة الموقع الاثرى وكثرت به التلال والوهاد والآكام وقد دفع ذلك بعض الاثريين الى اللجوء الى العلم الحديث والتقنية لتوفير الجهد والوقت والمال، وخاصة اذا كانت الجهات المسئولة فى حاجة الى الارض لمشروعات الزراعة والتعمير او شق الترع او مد السكك الحديدية أو رصف الطرق.

ومن الوسائل المساعدة فى هذا السبيل:

١ ـ الطرق التنبئية أو الجيوفيزيقية: والتى تعتمد غالبا على عدادات المقاومة مثل طريقة المقاومة الكهربائية

التى تعتمد على قياس درجة مقاومة التربة للتيار الكهربائى، فاذا حدثت مثلا مقاومة للكهرباء فيكون ذلك دليلا على وجود جدران أو مبان نظرا لان الاحجار تقاوم الكهرباء بدرجات تختلف تبعا لصلابتها وصفاتها الأخرى، كذلك فان التربة اذا ما كانت بها املاح مذابة فانها تصبح موصلا جيدا للكهرباء وقد استخدمت هذه الطريقة بنجاح فى الكشف عن مقابر بمنطقة عنيبة بالنوبة المصرية.

ومن تلك الطرق الطريقة المغناطيسية التى تعتمد على قياس المجال المغناطيسى والمقاومة المغناطيسية وبالتالى على مدى التأثير فى اتجاه المجال المغناطيسى وفى قوته.. وهناك طريقة تجمع بين المقاومة المغناطيسية والكهربائية مثل التى استخدمها اليابانيون اخيرا للكشف عن فجوات وفراغات داخل الهرم الاكبر بالجيزه.

٢ ـ وهناك وسائل علمية اخرى قد تسبق عملية الحفر كالتحليل الكيميائى لعينات التربه فتلك التى سبق ان سكنها الانسان تزيد فيها نسبة الفوسفات والكلسيوم لما اختلط بها من عظام وفضلات آدمية وحيوانية.

٣ ـ التصوير الجوى: لقد مضى الآن اكثر من نصف قرن على بدء استخدام الطيران فى الاعمال الاثرية وقد اعطت الصور الجوية نتائج اثرية افادت كثيرا فى أعمال المسح وفى التحريات الاثرية الاولية فهى ترينا القنوات والاسوار والجبانات ومناطق العمران القديمة ومدى امتدادها وزاوية اتجاهها بشكل لا يتضح للانسان عندما يشاهدها من الارض.. كذلك قد تقدم لنا الصور الملونة مثلا جزءا من التربة اكثر ازدهارا من الارض المحيطة بها مما يدل على أن الاعشاب التى تكسو ذلك الجزء اكثر اخضرارا من الاعشاب الاخرى حولها ومن ثم فقد يكون هذا الاختلاف فى درجة الاخضرار طفيفا جدا بحيث لا تستطيع عيوننا المجردة ادراكه لولا وضوحه فى الصور الجوية.

وهكذا قد ينبهنا هذا الاخضرار الى وجود مقبرة أو محلة فى المنطقة الاكثر اخضرارا اذا مدت الاعشاب النابتة فوقها بسماد كفرى جعلها اكثر ازدهارا فيقرر الاثرى البدء بالحفر فى ذلك الجزء بدلا من التنقيب فى المنطقة كلها.

٤ ـ استخدام الاشعة الكونية فى الكشف عن حجرة او فراغات داخل احد المبانى اذ ان هذه الاشعة التى تنطلق من اجرام الكون تتميز بخاصية هامة هى امكانية النفوذ إلى الاجسام الصلبه ما عدا معدن الرصاص وهكذا يمكن بواسطة اجهزة خاصة تصوير الاجزاء التى تخترقها فيكشف ذلك عما تتخللها من فراغات فى السمك الجدارى.. وقد استخدمت هذه الطريقة للكشف عن حجرات مجهولة داخل الهرم الاوسط بالجيزه ولكنها لم تستكشف اى فراغ داخل ذلك الهرم.

٥ ـ استخدام أجهزة قياس الجاذبية للكشف عن الفراغات والآثار داخل الأبنية فى باطن الأرض.. وقد استخدمت هذه الطريقة للكشف عن فراغات داخل الهرم الاكبر بالجيزة واكدت وجود فراغ خلف أحد الممرات داخل ذلك الهرم.

٦ ـ علم آثار ما تحت البحار: وهو علم يعتمد اساسا على التصوير ورسم الخرائط وعلى معدات الغطس ووسائل الانتشال فى البحث عن موانٍ ومدن غطتها المياه وعن سفن غارقة وغير ذلك مما يسمح لهذا العلم بالكشف عن حضارة وتاريخ تلك الآثار الغارقة وخاصة فيما يتعلق بالتجارة والصناعة والنقل البحرى



ويمدنا بالكثير من المعلومات عن الشعوب البحرية القديمة وخاصة فيما يتعلق بالبحرين المتوسط والاحمر والخليج العربى وبحر العرب وقد نجحت لجنة الآثار المصرية بالتعاون مع الضفادع البشرية المصرية والبريطانية فى العثور على احجار عديدة سقطت فى المياة من آثار فيلة كما نجح المصريون بالتعاون مع الفرنسيين فى انتشال سفن اسطول نابليون بونابرت الغارقة فى خليج ابى قير بالقرب من مدينة الاسكندرية .

الكشف عن اسرار الماضى:

ونقصد بذلك الوسائل التى يستخدمها العلم للافصاح عما تحويه الآثار من اسرار وللكشف والتعرف على مادة الاثر وتركيبها ومكوناتها ونسبها بشكل قد يساعدنا ايضا على صيانتها وعلاجها أو بمعنى آخر استخدام التقنية الحديثة فى الكشف عن اسلوب التقنية القديم ونخص بالذكر من بين تلك الوسائل :

- **التصوير بالاشعة السينية أو بأنواع أخرى من الاشعة مع استخدام اجهزة التحليل والتصوير الراديوجرافى وغير ذلك من الوسائل وقد استخدمت الاشعة السينية فى فحص مومياوات مصرية كثيرة نخص بالذكر منها مومياء توت عنخ آمون ومومياء الفرعون الذى سبقه فى الحكم .**
- **الفحص المكرسكوبى الالكترونى والعدسات البصرية المكبرة .**
- **التحليل بالطرق الطبيعية والكيمائية الحديثة كالتحليل الطيفى الانبعاثى والتحليل الطيفى البصرى والتحليل بالامتصاص الذرى والجس الألكترونى .**

خامسا: تنظيف وترميم وعلاج وصيانة وتقوية وانقاذ الآثار:

مما لا شك فيه ان هذا الحقل قد اصبح معتمدا على علوم ومعارف متعددة تتصل بالنواحى العلمية البحتة والتقنية الحديثة ومنها :

١ - استخدام أحدث المواد والعجائن والسوائل فى هذه العمليات .

٢ - الاستعانة لاقصى مدى بنتائج التحليل الطبيعى والكيمائى والصور الاشعاعية والفحص الالكترونى مع استخدام العقل الحاسب (الكمبيوتر) على اوسع مدى ممكن .

٣ - استعمال احدث الوسائل العلمية والفنية ككبائن التعقيم والتبييض وخيام البلاستك العازلة وخاصة فيما يتعلق بعلاج وترميم البردى والورق والخشب والأنسجة وكذا احدث الاجهزه والادوات الدقيقة كاجهزة الترسيب والموازين الالكترونية وافران التجفيف والحرق ومسدسات الحقن وهذا بالاضافة الى استخدام بعض الاجهزة الطبية الدقيقة فى عمليات الترميم الدقيق .

٤ ـ استخدام احدث المعدات والاجهزة فى عمليات انقاذ الآثار مثل اجهزة قطع الاحجار والتخريم وقياس صلابة الاحجار والرافعات الالكترونية التى استخدمت فى انقاذ آثار بلاد النوبة المصرية والسودانية .

سادسا: مجال العرض المتحفى:

ترتبط الثقافة فى اسلوبها الحديث بالمجتمع ارتباطا كبيرا وتعمل على جذبه بمختلف المغريات والوسائل . . ومن اهم السبل الموصلة الى ذلك المتاحف التى يجب ان تعرض فيها الآثار ومخلفات الحضارة عرضا متحفيا حديثا . وتصل التقنية الحديثة الى المتاحف بوسائل شتى منها :

(١) استخدام وسائل الاضاءة والانارة وفقا لاحدث الابتكارات وانسبها للعرض.

(٢) استعمال ارقى وسائل العرض الحديثة ويتضمن ذلك وسائل العرض والرفع والتعليق الميكانيكية واستخدام الفتربنات المتصلة والديكور المبنى على اسس علمية .

(٣) استخدام وسائل الانذار الآلى ضد السرقة والتخريب واجهزة الانذار المبكر ضد الحريق واجهزة الاطفاء الاوتوماتيكى .

(٤) الاكثار من وسائل الايصال السمعى والبصرى الحديثه كالدليل الآلى (سواء منه الفردى اوالجماعى) وكذا العرض الالكترونى والكتالوجات المضيئة .

(٥) استعمال وسائل التنظيف الميكانيكى ووسائل الرفع الهيدروليكى من اوناش وغيرها .

(٦) استخدام اجهزة قياس درجات الحرارة والرطوبة واجهزة التكييف واجهزة منع التلوث .

(٧) استعمال العقل الالكترونى لتجميع المعلومات والتسجيل والجرد وخلافه .

سابعا: مشروعات الصوت والضوء:

ابتكر فى عصرنا الحاضر من وسائل الاتصال السمعى والبصرى بالجماهير ما لم يكن موجودا من قبل . . ولعل من احدث هذه الاساليب الحديثة فيما يتعلق بالآثار ادخال مشروعات الصوت والضوء فى المناطق الاثرية الهامة الذى يستخدم الآن فى كثير من جهات العالم والذى يعتمد على اركان ثلاثة هى الاضاءة الملونة المتغيره والموسيقى الملائمة المناسبة ثم الاداء القوى المعبر.

هكذا تقوم مشروعات الصوت والضوء عادة على اساس اضاءة المنطقة الاثرية المختاره بحيث تتكون لوحات ضوئية فنية يصاحبها نوع من الالقاء القوى المؤثر يشرح تلك الآثار ويسرد تاريخها بوجه خاص وتاريخ الشعب بوجه عام وبلغات مختلفة ويدور كل ذلك بمصاحبة انغام موسيقية هادئة احيانا ومدوية احيانا اخرى وفقا للموقف التاريخى .

وتساعد مشروعات الصوت والضوء على استكشاف خبايا العصور الماضية واخراجها من الظلام الى النـور وتقدم للجماهير صورة للزمن الغابر بقصصه واساطيره المؤثره ومنجزات الاولين الرائده فى مشاهد واضحة جليه ومن خلال الانوار والاضواء ناطقة معبرة عن طريق المؤثرات الصوتيه، قادرة بذلك على الاقناع وإثارة الحماس وعلى ربط المشاهد عاطفيا وفكريا بتاريخ وطنه العريق وبحضارة بلده الرائع وبآثار



أجداده الخالدة.

هكذا يتضح ان آثارنا الحضارية بكافة نماذجها وانواعها واشكالها وطرزها تلزمنا على العمل جاهدين فى سبيل الكشف عنها وتسجيلها ودراستها وصيانتها وعرضها عرضا جيدا والتعرف على أصالتها وعراقتها وسوف يساعدنا على تحقيق تلك الاهداف استخدامنا للعلم الحديث والتقنية المتطورة والثقافة الرفيعة فهى تكمل الصورة التاريخية الاثرية وتساعد الاثريين والمؤرخين على الوصول الى النتائج المرجوة.

بالواقع ان الكثير من رجال العلم الحديث قد اهتموا بالبحوث العلمية واستخدام التقنية التى تتصل بمجال الآثار العلمى والعملى، كما ان بعض رجال الآثار قد وجدوا فى تلك البحوث والاستخدامات ما يحقق الكثير من اهدافهم.. هكذا تم استخدام العلوم الحديثة والتقنية المتطورة فى تطوير الدراسات الاثرية والتاريخية فى محاولة لملاحقة التقدم العلمى والتقنى فى عالم اليوم.

ومع ذلك فهناك بعض التحفظات التى يجب أن نضعها نصب أعيننا حين نطرق هذا المجال:

أولا: يجب ان نضع فى اعتبارنا تجنب أى ضرر أو خطر على تلك الآثار اذا ما استخدمت هذه الوسائل الحديثة وأن نتجنب اى مخاطرة او مجازفة فى هذا السبيل.

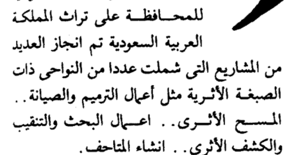
ثانيا: ألا يكون الهدف من استخدام الوسائل والطرق الحديثة استعمال الآثار كحقل تجارب علمية ولاختبار مدى نجاحها او بعبارة اخرى فانه يتعين على الأثرى الا يقبل استخدام اية طريقة علمية حديثة الا اذا كانت هذه التجربة قد استقرت وانتهى عهد تجريبها وتأكدت سلامة نتائجها وثبتت فائدتها وجدواها.. يجب على الاثرى ان يضع نصب عينيه ان التراث التاريخى سواء كان من عصر ما قبل التاريخ أو من العصور التاريخية المتعاقبة هو ملك للاجيال الحاضرة والمستقبله.

ثالثا: الا تكون الوسائل العلمية واستخدامات التقنية هى الاساس فى العمل الاثرى أو التاريخى بل هى مجرد عوامل مساعدة.. ومن ثم فيجب ان تظل الطرق التقليدية هى العماد الاول فى هذا الحقل، وان تعمل الوسائل الحديثة كعوامل مساعدة.. ومع ذلك يجب ان نسعى فى نفس الوقت إلى تطوير الوسائل التقليدية ونضع فى اذهاننا ان الخبرة الطويلة والممارسة المباشرة والمهارة اليدوية والتجربة الناجحة هى الاساس الاول فى الاعمال الاثرية رغم تعدد وسائل التقنية وتطور اجهزتها.

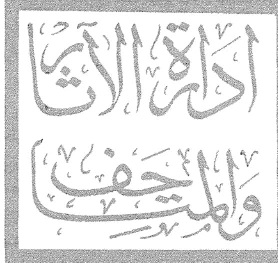
رابعا: يجب ان نتوخى الحذر عند فحص نتائج الابحاث والفحوص العلمية وعلينا ان نعتمد على اكثر من وسيله وان نقارن نتائجها بالنتائج التى توصلنا اليها بالطرق التقليدية.

وأخيرا يجب ان نتذكر أن العلم العربى قد اضطر فى الماضى القريب الى الانغلاق على نفسه والى الانعزال رغم انفه عن التقنية والعلم الحديث واضطر الى التقوقع بعيدا عن هذا المجال.. اما الآن وقد انفتح على العلم الحديث فيجب أن يجدد من وسائله وطرقه ونفيد من التقدم العلمى الحديث كلما كان ذلك مفيدا وميسرا مع التمسك بدينه وتقاليده واصالته الحضارية.





لمحة عن نشاط :



بوزارة المعارف

د. عبدالله المصري

وكيل وزارة المعارف المساعد لشئون الآثار والمتاحف

فى نطاق الجهود المبذولة والرامية للمحافظة على تراث المملكة العربية السعودية تم انجاز العديد من المشاريع التى شملت عددا من النواحى ذات الصبغة الأثرية مثل أعمال الترميم والصيانة.. المسح الأثرى.. اعمال البحث والتنقيب والكشف الأثرى.. انشاء المتاحف.

ويمكن ادراك مدى الجهد المبذول من قِبَل المشرفين والعاملين فى جهاز الادارة العامة للآثار والمتاحف فى سبيل انجاز تلك المشاريع خاصة اذا ما عرفنا ان المملكة تعتبر من اكبر الدول العربية مساحة واتساعا وبالتالى تنوع ووفرة المواقع الحضارية التى قامت فى الماضى على ارضها الواسعة.

ويرعى المجلس الاعلى للآثار برئاسة معالى وزير المعارف كافة الأمور المتعلقة بسياسة ومرافق الآثار فى المملكة العربية السعودية وذلك بموجب نص نظام الآثار الصادر بمرسوم ملكى.. وبالتالى يعتبر دور المجلس حيال المحافظة على الآثار من مهامه الرئيسية ومنذ أن بدأ المجلس فى ممارسة نشاطه عام ١٣٩٢هـ اعتنى بوضع الأسس الكفيلة بحماية المناطق والمواقع الأثرية ومن ذلك :

أ ـ تعيين نظام حراسة بشرية مستديمة فى المواقع الأثرية الرئيسية حيث يوجد فى الوقت الحالى اكثر من (٩٧) حارسا موزعين على كافة انحاء المملكة.

ب ـ تخصيص مخافر من الشرطة بالتعاون مع وزارة الداخلية وذلك لتأمين حماية بعض المواقع الكبيرة الأهمية مثل مدائن صالح وتيماء.

ج ـ تسوير المواقع الهامة وبناء نقطة مراقبة للحراسة عند كل موقع وقد بلغ ما تم تسويره حتى الآن ما يقرب من ١٤٤ موقعاً . أثريا ولا يزال العمل مستمرا لادراج مواقع اضافية .

هذا من ناحية المحافظة المباشرة . . ويباشر مجلس الآثار دوره فى المحافظة ايضا من خلال اقرار نزع ملكية بعض الأعيان التى يتعين ضمها للحيازة العامة لأهميتها التاريخية أو لوجود آثار داخل اراضيها . . ويعتبر هذا فى الواقع من اهم ما يمارسه المجلس حسبما خوله نظام الآثار.

والان وبعد هذا التمهيد يمكننا استعراض ما تم انجازه فى مجال العناية بالآثار وما سوف يتم .

أولا: برنامج المسح الأثرى الشامل

يهدف مشروع المسح الأثرى الى تعزيز المعرفة بالآثار القائمة والحضارات التى سادت ثم بادت فى ربوع المملكة، والى حصر وتصنيف المواقع الأثرية وعمل الخرائط الخاصة بكل موقع وترقيمها بالاضافة الى توقيع تلك المناطق على الخارطة العامة للبلاد، كذلك يسهل المسح عملية التسجيل للمناطق الأثرية والأبنية التاريخية وبالتالى يوفر المعلومات الأولية والأساسية للشروع فى اعمال الحفريات الأثرية . . لذلك فهو يعد من أكثر الانجازات فخرا واعتزازا لدينا فى مجال الآثار بالمملكة . . فمن خلال هذا النشاط الذى استهل منذ عام ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م تم حصر وتسجيل ما يقرب من عشرة آلاف موقع ومنطقة أثرية تنتشر فى كافة أنحاء البلاد. والجدير ذكره ان هذا التوثيق لم يتم بطرق عشوائية بل من خلال طرق علمية منظمة تم خلالها تدوين معلومات مناخية وبيئية وجيولوجية وتعدينية يسهل معها تفسير الظواهر الأثرية نفسها كما جرت الاستعانة بكثير من علماء الآثار الدوليين من جامعات امريكا وأوربا واستراليا خاصة فى حقل آثار العصور الحجرية الموغلة فى القدم والبرنامج نفسه لا يزال مستمرا حتى الآن وذلك على مستوى تفصيلى أكثر، ففى الوقت الحاضر يتم استجلاء مناطق بيئية متكاملة سبق ان سجلت مواقعها بشكل عام اثناء الدراسة الأولية وذلك مثل سهول الأودية الكبيرة ومرتفعات الجبال المستوية خاصة فى المناطق الجنوبية الغربية والشمالية الغربية . . ويمكن القول ان المملكة قد حققت عملا رائدا من خلال هذا البرنامج بل ان المنظمات الدولية المختصة فى هذا المجال تعترف فى دراساتها ان تجربة المملكة جديرة بالتبنى من قبل الكثير من الدول التى لا تزال آثارها غامضة وغير معروفة حيث انه عن طريق التسجيل والحصر فقط يمكن الحفاظ على العناية بالآثار والمعالم التاريخية .

ثانيا: اعمال البحث والتنقيب والكشف الأثرى.

لا شك ان عمليات التنقيبات الأثرية تعتبر خطوة لاحقة لأعمال المسح الأثرى الشامل للبلاد والذى على ضوء معلوماته ونتائجه العلمية يمكن البدء فى اعمال التنقيب عن الآثار.

وتقوم الادارة العامة للآثار والمتاحف بإرسال الفرق العلمية فى موسم كل شتاء تبعا للظروف المناخية الملائمة للتنقيب او مواصلة الاستقصاء والجمع للمعلومات. . وقد ازداد عدد مشاريع التنقيبات فى الآونة الأخيرة لأسباب عدة، منها توفر المتدربين الوطنيين واكتمال المنشآت المجهزه فنيا والتى تساعد فى اعمال الابحاث. ومن هذا المنطلق ففى آخر المواسم التنقيبية وهو موسم ١٤٠٦هـ قامت الادارة بالأعمال الكشفية التالية:

١ ـ حفرية تيماء: تم الانتهاء من تنقيب قصر كامل عمره الزمنى يزيد على ٢٥٠٠ سنة فى مدينة تيماء التاريخية شمال المدينة المنورة وقد عثر بهذا القصر على أدلة تشير الى ان جزءا كبيرا منه قد استخدم كمعبد وثنى فى الزمن القديم وقد تم الكشف والتنقيب عن القصر طوال أربعة مواسم عمل بدىء أولها عام ١٣٩٩هـ تحت اشراف الدكتور حامد أبو درك المدير العام لمركز الأبحاث بوكالة الآثار.

٢ ـ حفرية دومة الجندل. التنقيب فى موقع دومة الجندل القديمة بمنطقة الجوف شمالى المملكة، ودومة الجندل غنية عن التعريف بالنسبة للتاريخ الاسلامى المبكر أو بالنسبة للتاريخ القديم لما قبل الاسلام وما قبل ميلاد المسيح، فهى من كبريات حواضر الجزيرة العربية. . وقد كشف التنقيب الأولى فيها عن منشآت عظيمة مثل السور الحجرى المحيط بها فى السابق وتحف أثرية تدل على مكانتها التاريخية المرموقة، ويعود ازدهار دومة الجندل الى أكثر من ٣٠٠٠ عام مضت وقد تم حتى الان انقضاء موسمى عمل فى المنطقة تحت اشراف الاستاذ خالد الدايل إخصائى الآثار ومدير وحدة التسجيل بوكالة الآثار.

٣ ـ حفرية مدافن جنوب الظهران: تم الكشف عن مزيد من تلال المدافن الركامية فى منطقة جنوب مدينة الظهران، وهذه المدافن المشهورة فى منطقة الخليج وخاصة بالبحرين حيث يعود زمن المبكر منها الى خمسة آلاف سنة تقريبا، وفى حفريات جنوب الظهران توالى اكتشاف الدلائل المادية الهامة موسما بعد آخر وكان الموسم الحالى هو الخامس منذ بداية أعمال الكشف المنتظم لهذا الحقل. . وتجدر الاشارة الى انه كان هناك وحتى وقت قريب عدد هائل من المدافن يقرب من العشرة آلاف ولكن معظمها اندثر ولم يبق سوى قرابة الألف مدفن والتى يتم فيها التنقيب حاليا تحت اشراف إخصائى الآثار على المغنم مدير مكتب الآثار بالمنطقة الشرقية بالدمام.

٤ ـ حفريات الحجر ـ مدائن صالح: تم التنقيب فى موقع المنطقة السكنية فى الحجر القديمة وهى المعروفة بمدائن صالح ذات الواجهات الصخرية الرائعة الصنع والاتقان والتى تخفى بداخلها المقابر النبطيه الشهيرة وكان شتاء عام ١٤٠٦هـ هو الموسم الأول من أعمال التنقيب هناك وينتظر ان يستمر لمواسم كثيرة قبل ان يتم الكشف عن الاجزاء المهمة من المستوطنه السكنيه الأساسية فى الحجر القديم وتم العمل تحت اشراف اخصائى الآثار الاستاذ محمد البراهيم المدير العام للمتاحف بوكالة الآثار ويعاونه الاستاذ ضيف الله الطلحى.



هـ ـ حفرية العصور الحجرية : يتم رصد وتسجيل عدد كبيرمن مواقع الاستيطان المبكر فى منطقة مصب وادى فاطمة جنوب مدينة جدة وتم اكتشاف وتنقيب موقع مهم من العصر المعروف بالآشولى وهو زمن قديم من العصور الحجرية يعود الى ما يقرب من ربع مليون سنة ماضية ، وينسب هذا الاسم الى مقاطعة آشول بفرنسا حيث اكتشف النوع المميز من الادوات الحجرية ذات الصناعة المميزة لهذا العصر، وهذا العمل يعتبر امتدادا لأعمال تنقيب تمت فى مواقع من العصر الحجرى ابتداءا من موقع صفاقه بالدوادمى (عـدد ٢ موسم) ومـوقع الشويحطيه بسكاكا (موسم ١٤٠٥هـ) وذلك بالتعاون مع جامعة جنوب غرب تكساس بقيادة الدكتور نورمان هويلن وتحت اشراف إخصائى آثار العصور الحجرية بوكالة الآثار الاستاذ جمال سراج على .

و ـ توثيق النقوش والرسوم الصخرية : تم تسجيل وتوثيق عدد من مواقع النقوش الصخرية والكتابات القديمة فى كل من حائل . . جبه . . الشملى . . الحناكيه . . مهد الذهب . . النقره . . الحائط والحويط ، وهذا البرنامج يستمر تنفيذه عبر عدة سنوات وقد بلغ المرحلة الثالثة الموسم المنصرم عام ١٤٠٦هـ وتم حتى الآن رصد عدد سبعمائة موقعاً من النقوش والكتابات فى كل من منطقة شمال وشمال شرق وغرب المملكة ، ويتم العمل تحت اشراف اخصائى الآثار الاستاذ عبد الرحمن الكباوى مدير مكتب الآثار بالمنطقة الغربية / جدة .

وبالنسبة للعام ١٤٠٧هـ فسوف يغطى النشاط الأعمال التالية :

أ ـ مواصلة مشروع تسجيل وتوثيق النقوش والكتابات الصخرية وهذا هو الموسم الرابع لهذا العمل الحصرى الهام وسوف يتركز العمل حول المناطق المحيطة بالمدينة المنورة والعلا وتيماء .

ب ـ مواصلة التنقيب فى مواقع الثقبة جنوب الظهران وهذه تمثل منطقة أثرية يعود تاريخها لخمسة آلاف عام .

ج ـ مواصلة التنقيب حول سور دومة الجندل القديم والذى تم الكشف عنه فى موسم عمل ١٤٠٦هـ .

د ـ مواصلة أعمال التنقيب فى كل من موقع تيماء وموقع مدائن صالح واللذان يستمر العمل فيهما منذ أكثر من اربع سنوات .

ثالثا : انشاء المتاحف :

ان اتساع رقعة المملكة العربية السعودية يتطلب توسيع النشاط العلمى المباشر فى كافة المناطق على حد سواء وهـذا يدعو بالتالى الى ضرورة استحداث أجهزة آثار فرعية متكاملة (متاحف) نشرا للوعى الأثرى بين ابناء المملكة فى مختلف تلك المناطق وتدعيما لها وابرازا لدور كل منها فى تاريخ الجزيرة العربية

عامة وتاريخ المملكة العربية السعودية بصفة خاصة وتوضيحا لطبيعة وطابع كل منطقة من مناطق المملكة وحفاظا على التراث الأثرى والتاريخى فيها.

ويوجد حاليا عدد (٨) ثمانية متاحف قائمة فعليا فى المملكة وتشمل:

١ - متحف الرياض والمعروف باسم «متحف الآثار والتراث الشعبى» وهو الكائن بالشميسى امام مسجد بن عدوان والذى تم افتتاحه منذ عام ١٣٩٥هـ ويزداد نشاطه الاعتيادى فى استقبال الزوار والباحثين بشكل منتظم ويعتبر هذا المتحف توطئة للانتقال الى المتحف الوطنى المركزى الذى سوف يشاد على أرض المربع فى وسط الرياض والذى بدأ تنفيذه بالفعل منذ عام تقريبا.

٢ - متحف المنطقة الشرقية والكائن ضمن المكتبة العامة هناك وتعرض فيه موجودات أثرية وتحف شعبية تقليدية من كافة المواقع والمناطق حول الدمام والظهران والخبر والجبيل وأبقيق وخاصة جزيرة تاروت الشهيرة وجزر «جنا» و«السلميه» ويعتبر هذا المتحف أيضاً مرحلة انتقاليه لمشروع تشييد مبنى مستقل للمتحف عد رض مجاورة للساحل لتتهيأ هناك فرصة عرض ملامح وتقاليد الحياة البحرية.

٣ - متحف الاحساء فى مدينة الهفوف: والكائن جنوب المدينة على مقربة من المطار وهذا المتحف هو أحد المتاحف المحلية الستة التى انشئت مؤخرا حيث يهتم بتسجيل وعرض آثار وتقاليد منطقة الاحساء العريقة.

٤ - متحف الجوف فى مدينة دومة الجندل الشهيرة فى التاريخ القديم وبها آثار وحضارات سابقة يعود قدمها الى أكثر من اربعة آلاف عام.

٥ - متحف تيماء: وهذه المدينة غنية عن التعريف بشخصيتها التاريخية العريقة وسورها العظيم الذى توجد بداخله المدينة القديمة.. وقد تم التنقيب فيها مؤخرا وبرزت ملامح قصور ومعابد قديمة مما يدلل على وجود كنوز هامة فيها تنتظر مواصلة الكشف والاسكتشاف.

٦ - متحف العلا - مدائن صالح: ويقع فى بلدة العلا نفسها التى تبعد عنها آثار مدائن صالح بحوالى عشرين كيلاً الى الشمال وتعد هذه المنطقة الأثرية من اهم مراكز الآثار الرائعة فى المملكة فبالاضافة الى مدائن صالح هناك آثار الخريبة وهى مدينة دادان القديمة، وكذلك آثار المدينة الاسلامية الشهيرة فى موقع المابيات حاليا ويجرى التنقيب حاليا والكشف عن الآثار فى كل من مدائن صالح والمابيات.

٧ - متحف تهامة الساحلى: والذى يقع فى مدينة صبياء ويمثل الآثار والتقاليد الشعبية فى منطقة جازان الساحلية وآثار مرافئها القديمة التى تم التنقيب عنها مثل موقع «الموسّم» جنوب جازان بحوالى ٦٠ كيلاً وموقع ميناء



«عثر» الاسلامى الشهير. ولا شك ان منطقة تهامة بكاملها ذات تاريخ حضرى موغل فى القدم حيث اكتشفنا فى موقع «الموسّم» المذكور آثار استيطان ساحلى يعود لأكثر من خمسة آلاف سنة.

٨ . متحف نجران: ويقع قرب منطقة الآثار الشهيرة بالأخدود وهى قصة الاحداث التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم . . وجرى التنقيب الأولىّ فى موقع الاخدود وتم اكتشاف آثار سكنى تعود الى حوالى ثلاثة آلاف وخمسمائة عام والمعروف أن قصة الاخدود ذاتها حدثت قبل حوالى ١٨٠٠ سنة.

ويعتبر مشروع المتحف الوطنى المركزى بالرياض الذى سيقام على ارض المربع الحلقه الرئيسية لبرنامج انشاء المتاحف بالمملكة وأهم عناصره هى:

أ ـ انشاء متحف تاريخى يصور التسلسل الزمنى للحضارات التى تعاقبت على اراضى المملكة.
ب ـ ترميم وتقوية قصر المربع والقصر المحروق وما جاورها من البيوت الطينية القديمة واستخدامها كمتحف عام للتراث الشعبى والموروثات التقليدية واندماج المتحف الحديث مع البيئة المعمارية التقليدية الموجودة فى الموقع هذا يعد أهم عنصر من عناصر المشروع.
ج ـ انشاء متحف للفنون الحديثة من رسم وتصوير وخلافهما مقارنة بالفنون التاريخية الموجودة بالجزيرة العربية.
د ـ انشاء مرافق سياحية خارجية من حدائق ونصب أثرية كبيرة تتخلل الأراضى الواسعة المحيطة بمبانى المتحف، حيث تبلغ المساحة الاجمالية لها حوالى ٣٠٠٫٠٠٠م٢ ثلاثمائة ألف متر مربع.
هـ ـ انشاء مرافق علمية وتقنية مساعدة للمتحف كالمكتبة ومعامل الترميم ومختبرات التحليل الكيميائى والنصوص ومرافق التصوير والرسم والمساحة. . الخ بالاضافة الى المركز الرئيسى للادارة العامة للآثار والمتاحف.

وبالاضافة الى المتاحف القائمة حاليا هناك خطة سبق اعدادها واقرارها وبدأ تنفيذها بالفعل وتهدف الى زيادة عدد المتاحف كالتالى:

١ ـ انشاء متحف يغطى آثار منطقة وادى الدواسر وتم اختيار موقعه فى مدينة الخماسين وشرع فى تصميم المتحف وتم الانتهاء منه وهو قيد الطرح فى منافسة للتشييد والتجهيز.
٢ ـ انشاء متحف يغطى آثار منطقة القصيم ومثله متحف وادى الدواسر فقد تم الانتهاء من تصميمه وهو قيد الطرح للتشييد.
٣ ـ متحف حائل: تم الانتهاء من مرحلة الترميم الرئيسية لمبنى القشلة التاريخى فى مدينة حائل وشرعنا حاليا فى انهاء المرحلة المتبقية من الترميم تمهيدا لتجهيز الجزء الأكبر منه ليكون متحف منطقة حائل.

٤ ـ متحف تبوك: جرى تخصيص الأرض المناسبة له ويتم فى الوقت الحاضر دراسة امكانية تحويل مبنى السكه الحديد القديم والأرض المجاورة له كموقع لاقامة المتحف.
٥ ـ متحف ابها: تم بالفعل ترميم بيت (أبو ملحه) الذى يتوسط مدينة أبها ويتجه التخطيط لتحويله الى متحف أبها بعد تجميع المواد الأثرية والتاريخية الملائمة.
٦ ـ متحف جدة: بعد تخصيص قصر الملك عبد العزيز (رحمه الله) المعروف بقصر خزام وقد جرى نقل الكثير من مواد العرض المتحفى بالمنطقة الغربية اليه ويتم حالياً تنفيذ مشروع التعديلات والترميمات اللازمة لتحويله الى متحف.
٧ ـ متحف الدمام الجديد: تم تخصيص أرض للمتحف الجديد وربما تم الشروع فى التصميم لذلك المتحف خلال العام المالى ١٤٠٧ / ١٤٠٨هـ.

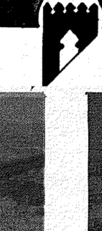
وبالنسبة للمدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة فهناك خطة قائمة بالفعل وبدىء الشروع فى تنفيذها وتهدف الى أن تجعل كلا من قلعة اجياد بمكة المكرمة والمحطة الرئيسية القديمة للقطار فى المدينة المنورة متحفا اسلاميا تعرض فيه جوانب من صور العمارة الاسلامية والمقتنيات الخاصة بتطور مراحل البناء والتجديد فى المسجدين الشريفين وما حولهما من مشاعر ومقدسات.

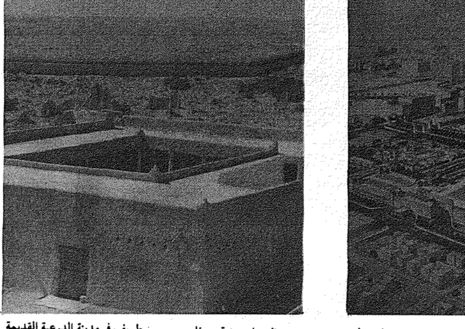
رابعا: أعمال الترميم والصيانة

يهدف هذا المشروع الى اعادة احياء مناطق تاريخية بأكملها بغية المحافظة على الطابع العام والملامح الخصوصية للعمارة والتخطيط للمدن القديمة وذلك من خلال التعاون مع وزارة الشؤون البلدية والقروية وبلديات المدن التى توجد بها أحياء تاريخية قديمة، ويُذكر فى هذا المجال عدد من المشروعات المهمة التى تبناها مجلس الآثار وتم اقرارها بموجب قرارات من مجلس الوزراء الموقر وهى كالتالى:

أ ـ مشروع ترميم واحياء الدرعية القديمة.
ب ـ مشروع ترميم واحياء بلدة «الديرة» القديمة بالعلا.
ج ـ مشروع ترميم واحياء البلدة القديمة فى تيماء.
د ـ مشروع ترميم واحياء البلدة القديمة فى دومة الجندل.
هـ ـ مشروع ترميم واحياء محطات وبرك درب زبيدة التاريخى.

والجدير ذكره **هنا ان كلا من هذه المشاريع يتضمن نزع ملكية مئات من الأملاك الخاصة وتعويض أصحابها اضافة الى تخطيط وتنظيم كيفية ترميم المبانى والمحافظة على الطابع العام للمنطقة التاريخية.. ولا شك ان القيام بهذه المشروعات يعد عملا رائعا يحتذى به على المجال الدولى فى نطاق المحافظة على البيئة التقليدية.**





● منظر عام لمجسم المتحف الوطنى المزمع اقامته على ارض المربع فى الرياض

● منظر عام يبين قصر ناصر وسور طريف فى مدينة الدرعية القديمة واللذان تم ترميمهما من قبل ادارة الآثار والمتاحف

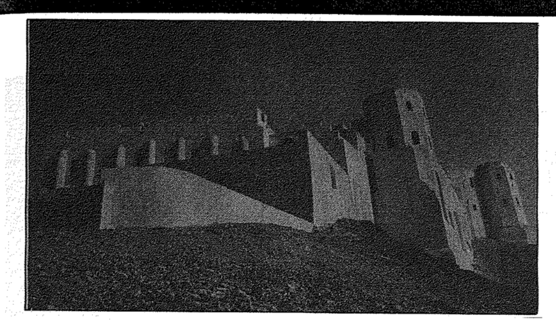
ويمثل مشروع احياء مدينة الدرعية اول برنامج متكامل للمحافظة على منطقة تاريخية بأكملها تم اقراره من مجلس الآثار. وبدأ العمل لتخطيطه منذ سنة ١٣٩٦هـ، وذلك بحصر وتسجيل ورفع المبانى القائمة كما هى واستقراء المصادر التاريخية والفولكلورية وجمعها. ويتكون المشروع من عدة وحدات رئيسية هى:

١ - التسجيل والتوثيق بالرسوم والصور والمواد التاريخية لكافة المناطق التاريخية بما فى ذلك حى الطريف وحى غصيبه والأسوار والأبراج وقد تم هذا بالكامل.

٢ - ترميم الوحدات الرئيسية كالقصور والمساجد والمرافق العامة فى حى الطريف بما فى ذلك سور الطريف نفسه وقد بدىء بذلك بالفعل وتم انجاز ترميم السور وعدد من القصور منها قصر ناصر وقصر سعد ويجرى تباعا ترميم بقية القصور والمرافق الرئيسية.

٣ - ترميم السور الخارجى الكبير الذى يحيط بالوادى من جهتيه، وهذه العملية سوف تكون من أضخم اعمال الترميمات الجارية حيث يبلغ طول السور حوالى سبعة كيلو مترات وسيتم البدء فى ترميمه خلال العام المالى ١٤٠٧/ ١٤٠٨هـ بإذن الله.

٤ - انشاء المرافق السياحية والاعلامية والترفيهية ومنها المتحف والمركز الثقافى الذى أختير مكانه فى مواجهة المدخل الرئيسى لحى الطريف الأثرى وكذلك ادخال عنصر برنامج الصوت والضوء وهذا لا يزال تحت الدراسة.



● منظر عام لقلعة اجياد بمكة المكرمة حيث يجرى العمل الآن لتشطيبها الى متحف اسلامى حيث يخدم المنطقة المقدسة



● منظر احد المدافن الركامية فى منطقة جنوب مدينة الظهران

وأهم ما يشغل الادارة العامة للآثار والمتاحف ضمن هذا البرنامج للعام ١٤٠٧هـ تدارك القصر التاريخى الهام فى دومة الجندل والمعروف باسم «قصر مارد» أو قصر الاكيدر وذلك بالمسارعة الى تدعيمه وترميمه نظرا لتفاقم بعض التصدعات فيه مما قد يتسبب لا سمح الله فى انهياره فيعد ذلك خسارة كبرى للمعالم التاريخية البارزة فى المملكة . . فمن المؤكد ان هذا القصر قد شهد ما يقرب من ألفى سنة من الأحداث على وضعه الحالى تقريبا ويعتبر من المعالم الدولية لجمال شكله وابداع انشائه .

وهناك أيضا اهتمام كبير توليه الادارة حيال مواصلة ترميم القصور التاريخية فى الاحساء وقد تم مؤخرا الانتهاء من ترميم محطتين من برك درب زبيده التاريخى وهما بركة الثليمة وبركة الجميمه ، وسوف يشرع فى عملية ترميم احدى المحطات القريبة من مكة المكرمة (محطة البرود) . . وفى الواقع فالمجال واسع جدا فيما يتعلق



بأعمال الترميم والاحياء ولكن لابد من ترتيب الأولويات بالنسبة للمعالم التى تحتاج المسارعة بالعناية كما أسلف ذكره حول قصر مارد فى دومة الجندل ونسأل الله العون والتوفيق فى كافة أعمالنا .

خامسا: علاقة إدارة الآثار السعودية بالإدارات الأخرى بدول مجلس التعاون

كانت ولا تزال منطقة الخليج العربى وحدة حضارية وثقافية متكاملة ففى القديم نجد ان المؤثرات الحضارية فيها وتأثيرها على الأمم الأخرى حولها كانت متجانسة الى حد كبير وقد اثبتت ذلك الكثير من المكتشفات الأثرية فى البحرين وعمان والكويت والامارات العربية المتحدة وقطر اضافة الى المملكة العربية السعودية . . ويرجع قدم ذلك التجانس الى حوالى ٥٠٠٠ سنه مضت أو اكثر فنجد مثلا نفس طراز الفخار واعمال النحاس واشكال الأبنية فى كل من منطقة حفيت فى عمان وأم النار فى الامارات (أبو ظبى) وفى منطقة أبقيق بالمملكة، ولذا فان ما تبناه مجلس التعاون لدول الخليج العربية من نظم وقرارات حيال توحيد بعض مجالات العمل والأسس العلمية فى مجال الآثار والتراث جاء ليعكس حقيقة تاريخية واقعية، ومن اهم ما يخصنا الآن فى مجال الترابط والتعاون بين دول الخليج فى مجال الآثار والمتاحف عموما ما يلى :

١ ـ قيام معرض حضارى أثرى مشترك بين دول الخليج الستة ينظم سنويا ويصاحب انعقاد مؤتمر القمة الخليجى ويستمر شهرا أو اكثر بعده، وقد بدأ هذا النهج منذ قمة الكويت واستمر تباعا فى كل من عمان وقطر والامارات وسيأتى دوره خلال القمة القادمة بالرياض إن شاء الله . . ولقد سجل هذا العمل الجماعى نجاحا ملحوظا شهد على ذلك مدى الاقبال والمطبوعات التى نشرت حوله فى كافة تلك المناسبات .

٢ ـ تقوم الامانة العامة للمجلس بوضع اللمسات الاخيرة على اخراج تقنين خليجى موحد يعالج وضع معاملة البعثات الأجنبية التى تبحث وتنقب عن الآثار فى دول مجلس التعاون، بحيث تتوحد الاجراءات والنظم وذلك تجنبا لتكرار الظواهر والدوافع والسلبية التى قد تصحب بعض البعثات العلمية الأجنبية وكذلك حفاظا على الحقوق الخليجية المشتركة .

٣ ـ تقوم الامانة ايضا بتقديم مقترحات منظمة أخرى فى مجال الاعمال البحثية المشتركة وتنظيم المعارض الجماعية اضافة الى تبنى فكرة اقامة معرض خليجى دائم للحضارة والآثار وذلك فى المقر الدائم لأمانة المجلس فى الرياض وعلى ما اعتقد فانه قد شرع فى ذلك حاليا .

٤ ـ بالاضافة الى اعمال الأمانة العامة لمجلس التعاون، فهناك جهد خليجى موحد آخر ينبثق من خلال مكتب التربية العربى لدول الخليج الذى اسهم مشكورا فى تكوين اول تجمع للمسؤولين عن الآثار فى دول الخليج الست بالاضافة الى العراق الشقيق، وقد تبلور عن تلك اللقاءات المتكررة عدد من التنظيمات والأسس التى تخدم فعلا مصلحة العمل المشترك من ناحية الأبحاث وحماية الآثار واستردادها من الخارج . . الخ .



الآثـــار في الجـــولان

قاسم طويــر

مدير مركز البحوث في المديرية العامة للآثار والمتاحف (دمشق)



مصادر اسم الجولان:

لم يظهر حتى الآن أى اثر كتابى (نقوش) فى الجولان أو حولها يؤكد ان الاسم الحالى كان متداولا فى العصور السابقة للاسلام، علما أن ثمة محاولات قد جرت لربط اسم «جولونى» الوارد فى اللوحات المسمارية المكتشفة فى تل العمارنة قرب الفيوم بمصر والعائدة الى ايام حكم اخناتون «القرن الرابع عشر قبل الميلاد» باسم الجولان الحالى ـ غير ان هذه الفرضية لم تلق القبول العلمى وذلك لعدم استنادها على أى اساس.

إن المصادر الاساسية فى تحقيق اسم الجولان تتمثل فى اسفار العهد القديم (سفر التثنية.. وسفر الايام.. وسفر اشعيا.. وسفر يوشع) - حيث يرد فيها اسم الجولان فى صيغته الحالية.. لكن ثمة شكوك فى صحة هذا الربط لأن اسفار التوراة تتحدث عن اسم مدينة الجولان فى بلاد باشان من اراضى منسي فى حين اننا نواجه الجولان حاليا كإسم لمنطقة جغرافية واسعة الارجاء.. وهذا ما حدا بالبعض الى محاولة مطابقة اسم الجولان التوراتى بصفته اسم لبلدة مع اسم القرية الحالية فى الجولان والمعروفة باسم سحم الجولان وذلك استنادا الى التشابه اللفظى. ولما كانت الاثار الموجودة فى سحم الجولان لا تؤكد ان هذا الموقع قديم قدم التوراة.. تخلى الباحثون عن هذه المطابقة..

يضاف الى ذلك ان اسماء القرى والبلدان فى الجولان الحالى تتكرر فى اكثر من موقع - فمثلا هناك قريتان تحملان اسم الرفيد . . وموقعان يحملان اسم عقربا . . وموقعان يحملان اسم خربة الكرسى . .

إشارة فى المخطوطات الدينية اليهودية ان نقوداً كانت مسكوكة باسم الجولان لكن التحريات والاكتشافات الاثرية فى الجولان وغير الجولان لم تكشف عن وجود مثل هذه المسكوكات .



(١) تمثال نصفى من البرونز يعود للقرن الثالث بعد الميلاد (الفترة الرومانية) عثر عليه قرب بلدة بانياس وهو محفوظ فى المتحف الوطنى بدمشق

مصدر آخر لتحقيق اسم الجولان والاحداث التاريخية التى جرت على ارضه موجود فى كتاب المؤرخ اليهودى المعروف باسم يوسيفوس الذى تغطى كتاباته احداث العصر الهلنستى والرومانى . . ورغم حداثة العهد الذى يتحدث عنه يوسيفوس وهو العهد الرومانى بالمقارنة مع احداث التوراة المفترض ان تعود الى الالف الثانى والالف الاول قبل الميلاد نجد ان اسم الجولان لا يرد ذكره فى اية صيغة من الصيغ فى النقوش الكتابية الاثرية العائدة الى الفترة الرومانية من بدايتها الى نهايتها (القرن الاول قبل الميلاد حتى القرن الرابع بعد الميلاد) .

اسم الجولان ٢١ مرة فى كتابات المؤرخ اليهودى يوسيفوس لكن فى صيغة مخالفة للصيغة التى وردت فى التوراة - وهو ايضا يتحدث عن بلدة الجولان . . وفى اماكن اخرى من كتاباته نفهم ان إسم الجولان هو تعريف إدارى وليس إسما جغرافيا . . اما المؤرخ البيزنطى (القرن الرابع بعد الميلاد) اوزيبيوس فانه يستخدم كلمة (جولون او جولان) إسما لقرية كبيرة مع الاراضى المحيطة بها . . وبالرغم من الفارق الزمنى بين اوزيبيوس المسيحى ويوسيفوس اليهودى ليس كبيرا الا ان اوزيبيوس لم يكتب اسم الجولان بنفس الصيغة التى استخدمها يوسيفوس .

بناء على ذلك يبقى اسم الجولان معلقا على مصادر أدبية لم تؤكد صحة وجودها على الطبيعة الاكتشافات والتحريات والتنقيبات الاثرية التى جرت فى كافة انحاء الجولان الحالية منذ عام ١٨٨٠ حتى الآن .

وبذلك تسقط محاولات سلطات العدو الاسرائيلي لاثبات ان الجولان الحالية كانت مسرحا لاحداث التاريخ اليهودي لعدة الاف من السنين.

وفيما يلي سنرى ان الاثار المكتشفة حتى الان في الجولان ترفض اية هوية اسرائيلية مهما كان نوعها مثلما يفعل اهلنا الصامدون في الجولان المحتل حتى الان.

الاستكشاف الأثري في محافظة القنيطرة (الجولان)

لم تجر تنقيبات اثرية في الجولان الا ضمن نطاق ضيق وجلها من نوع التنقيبات الطارئة لذلك فان معظم معلوماتنا مستقاة من نتائج اعمال المسح الاثري السطحي.. ولعل اهم عمليات المسح الاثري السطحي تلك التي تمت على يد الباحث: (ج. شوماخر) في عام ١٨٨٠ والذي نشر نتائج عملياته في كتابه المعروف بعنوان «الجولان» ونشر جزءا منها في كتابه الثاني المعروف بعنوان «عبر الاردن» يضاف الى ذلك ان شوماخر اعد اول خريطة أثرية مفصلة للجولان.. وبالرغم من انه لم يقم بتنقيبات اثرية منهجية بالمعنى الصحيح للكلمة الا انه كان يوثق ويصف ويرسم المواقع والاطلال والخرائب الاثرية التي كان يمر عليها خلال جولاته الميدانية.. لذلك فان المعلومات التي سجلها شوماخر ما تزال تعتبر المنهل الاساسي لمعارفنا عن الجولان..

وفي اعقاب نكسة الخامس من حزيران من عام ١٩٦٧م قامت سلطات الاحتلال الصهيوني ممثلة بالدوائر الاثرية والجامعية بأعمال الاستكشاف والمسح والتنقيب الاثري بصورة مكثفة وجندت لتلك الاعمال عددا كبيرا من الاثاريين من مختلف الاختصاصات كل ذلك سعيا وراء العثور على قرائن محسوسة تقيم الدليل على ان الجولان هي بلاد باشان ومعكا وجيشور المذكورة في اسفار العهد القديم.. وبالتالي لتكريس احتلالها وتبرير ضمها.. ترى هل عثرت الدولة الصهيونية على مثل ذلك الدليل؟.. الجواب هو: لا - وهذا ما سنبينه في الصفحات التالية بالاستناد الى النتائج التي نشرتها الدوائر الاثرية في الدولة الصهيونية.

بلغ عدد المواقع والاطلال والخرائب الاثرية التي تم استكشافها منذ ايام (شوماخر في ١٨٨٠ حتى الان ٢٠٩) مواقع تعود الى مختلف العصور التاريخية وتتوزع تلك المواقع حسب انتمائها التاريخي كالتالي: ١٥ موقعا تحتوي على اثار العصر الحجري القديم او الوسيط.. ١٢ موقعا من عصري النحاس والبرونز القديم (٤٠٠٠ - ٢٠٠٠ ق.م).. و٢٤ موقعا من عصر البرونز الوسيط (٢٠٠٠ - ١٥٠٠ ق.م).. وستة مواقع فقط تحتوي على آثار عصر البرونز الحديث (١٥٠٠ - ١٢٠٠ ق.م).. واربعة مواقع تحتوي على مخلفات اثرية من العصر الهلنستي (القرن الرابع - القرن الاول قبل الميلاد او فترة الاسكندر المقدوني وخلفائه).. وثمانية وتسعين موقعا تضم اثاراً ترقى الى الفترتين الرومانية (القرن الاول قبل الميلاد حتى القرن الرابع بعد الميلاد) والبيزنطية (القرن الرابع بعد الميلاد حتى القرن السابع بعد الميلاد).. واثنين وسبعين موقعا من العهود العربية الاسلامية (القرن السابع حتى القرن التاسع عشر).

أشد ما يثير انتباهنا في هذا العرض هو الغياب الكامل لآثار عصر الحديد (١٢٠٠ - ٥٠٠ ق.م) وهو العصر

الذي تم فيه خروج بني اسرائيل من مصر وانتشارهم في فلسطين أيام موسى . . والعصر الذي اسس فيه داوود مملكته (حوالي ١٠٠٠ ق.م) . . والعصر الذي ازدهرت خلاله مملكة سليمان (حوالي ٩٠٠ ق.م) . . كذلك غياب الاثار التي ترقى الى فترة الاحتلال الفارسي لبلاد الشام خلال القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد وهو العصر الذي عاد خلاله اليهود من سبي بابل . . وهذا يعني ان العصور التاريخية التي جرت خلالها احداث التوراة حتى السبي البابلي غائبة كليا في كافة ارجاء الجولان .

اهم العصور الممثلة آثارها المادية في الجولان هما العصر البيزنطي (٩٨ موقعا) والعهود العربية الاسلامية (٧٢ موقعا) .

وفيما يلي اسماء المواقع الأثرية التي تم استكشافها او التنقيب فيها :

(الغجر . . تل الحمراء . . خربة الدوير . . جباتا الزيت . . صحيتا . . نخيلة . . عين قنية . . تل العزارية . . خرب السوادة . . عين فيت . . خربة رعبانة . . زعورة الحميدية . . سماقة . . الحجف . . باب الهوى . . اوتل الغرام . . منصورة . . خربة المخفي . . خربة الفريش . . اللحيات أوخرجيات . . عين الحمرا . . القلع . . قطرانة . . سكيك . . الفوقا . . خرب المغاير . . الحسينية . . قفيرة . . بيدارس . . الغسانية . . واسط . . القنيطرة . . البجة . . العدنانية . . صورمان . . كفر نفاخ . . خويخة . . انجعة . . عين العلق . . دلهمية . . دبورة . . عليقة . . تل عكاشة . . الرمثانية . . الدنقلة . . غادرية . . العونيات الشمالية . . دير سراس . . العونيات الجنوبية . . نعران . . الدهشة . . عين سمسم . . الشيخ مرزوق . . الدابية . . تل الرمثانية . . غدير النحاس . . سنابر . . فاخورة . . احمدية . . عمودية . . سلوقية . . عين الدورة . . المنشية . الصور . . خشنية . . ابو فولة . . الدورة . . قصرين . . تنورية . . فرج . . رفيد . . عشة . . تل الفرس . . سير الخرفان . . المجامع يعربية . . دير مفضل . . جرابا . . بطمية . . در دارة . . تل البزوك رجم الهري . . قبة قرعة . . ام خشبة . . حزان . . التل . . شبة . . تل الجوخدار . . رسم باب الهوى . . عين حمود . . مزرعة كنف . . خربة خوخة . . زيتة . . جرناية . . مزرعة القنيطرة . . جرنية . . كريز الوادي . . شقيف . . مشرفاوي . . خربة المجدولية . . بجورية . . تل الساقي . . كفر عقب . . دير عزيز . . القصيبة . . السفيرة الصغيرة . . خسفين . . المنشية . . عين السفيرة . . ام القناطر . . لوية . . الصباحية . . عمرة الفريج . . المنطار . . الشيخ خضر . . تل ابو الزيتون . . خربة المجاحية . . عديسة . . خربة الحوتية . . ام المشابن . . الفاخوري . . المدورة . . جدية . . ناب . . قبور بني اسرائيل . . الخشاش . . خربة دجاجية . . العال . . شكوم . . بير الشقوم . . سقوفية . . تل ابو مدور . . البروديل (قصر بردويل) . . خربة تعينة . . رحم زكي (رحم زنكي) . . رسم الياقوصة . . كفر حارب . . الياقوصة . . جبين . . دور اللوز . . فيق . . حثيل . . خربة سيحان . . رجم فيق . . العيون (خربة عيون) . . العيادة . . الناصرية . . خان الاحمر . . خربة توافيق . . الفوقا . . خان العقبة . . تليل . . ساعد . . عيد ساعد . . عين أم الأدم . . الصفورية . . الدبوسية . . خربة الدوير . . تل الثريا .

دعونا نستعرض طبيعة الاثار المكتشفة ونتائج التحريات الاثرية فى المواقع المذكورة اعلاه.

العصور الحجرية القديمة (١٠٠٫٠٠٠ ـ ٥٠٫٠٠٠ ق.م): تتمثل اثار هذه العصور فى ادوات حجرية مصنوعة من الصوان على هيئة فؤوس وبلطات وغيرها من الادوات القاطعة والحادة وهى تنتشر على سطح الارض فى المواقع المحصورة بين جبل الشيخ والقنيطرة شمالا لكن من الملاحظ ان المناطق الجنوبية من الجولان تخلو من اثار هذه العصور.

ثمة انقطاع فى الاستمرارية الحضارية تفتقد فيه آثار العصر الحجرى الوسيط (٥٠٫٠٠٠ ـ ١٠٫٠٠٠ ق.م) والعصر الحجرى الحديث (١٠٫٠٠٠ ـ ٥٠٠٠ ق.م).

العصر النحاسى: الالف الرابع قبل الميلاد

كشفت التنقيبات الاخيرة عن مواقع من هذا العصر فى وسط وجنوبى هضبة الجولان حيث ظهرت بقايا بيوت متفرقة تدل على وجود جماعات بشرية كانت تعيش على الزراعة وعلى تربية المواشى.. اما ادواتهم المنزلية المصنوعة من الفخار فهى مماثلة للفخار المكتشف فى مواقع اخرى باستثناء نوع محلى احمر اللون ومجبـول من تربة بركانية محلية ومزين بانواع جديدة من الزخارف والاشكال الفنية.. يضاف الى ذلك العثور على انصاب حجرية تشبه الدعامات فى شكلها وكانت تنتصب داخل الدار او فى وسط الباحة لعلها تمثل آلهة تجلب البركة للدار وتحمى اصحابه.

العصر البرونزى القديم: الالف الثالث قبل الميلاد

آثار هذا العصر فقيرة للغاية وتتمثل فى وجود تحويطة من قطع الحجارة الكبيرة بعضها مستدير الشكل كما فى موقع رجم الهرى حيث يصل قطر التحويطة الى ١٥٦ مترا.. وبالرغم من انه لم يجر التنقيب فى مواقع هذا العصر الا ان الظاهر يشير الى أن الحياة الرعوية كانت مسيطرة على الجولان فى ذلك الزمن.

العصر البرونزى الوسيط: (٢٠٠٠ ـ ١٥٠٠ ق.م)

لقد تم تحديد قرابة الثلاثين موقعا من العصر وهى تنتشر بين منحدرات الاودية الى الشرق من بحيرة الحـولة ونهر الرقاد فى الجنوبى الشرقى ـ وكثيرا ما ترتبط تلك المواقع بوجود نبع مائى يتدفق من الطبقة الكلسية التى تلى الطبقة البركانية.. ومن الملاحظ ان هذه المواقع معززة بابراج وتحصينات دفاعية غير ان التنقيب لم يجرِ فى معظم تلك المواقع بُغْية الكشف عن التفاصيل.

العصر البرونزى الحديث: (١٥٠٠ ـ ١٢٠٠ ق.م)

ان هذه الفترة الزمنية معاصرة للوثائق المسمارية المكتشفة فى تل العمارنة قرب الفيوم فى مصر والتى تعود



الى عصر اخناتون (القرن الرابع عشر ق.م). . ويظن غالبية العلماء ان هذه الوثائق هى رسائل من امراء وحكام بلاد الشام الى العاهل المصرى وفيها ترد اسماء مدن وممالك وحكام - وقد حاول العلماء تحديد اماكن عدد من تلك المدن فى هضبة الجولان الى جانب فلسطين وسورية ولبنان، فمثلا: اعتقد علماء الاثار التوراتية ان اسم مدينة جارو الوارد فى وثائق العمارنة هو تحريف لاسم جيشور التوراتى غير ان مواقع العصر البرونزى الحديث فى الجولان لا يتجاوز عددها عدد الاصابع. . كما ان الاثار الملتقطة من تلك المواقع مختلطة مع اثار مستوردة من قبرص.

عصر الحديد (١٢٠٠-٥٠٠ ق.م)

تتمثل اثار هذا العصر فى عدد من التحصينات فى اماكن طبيعية منيعة غير ان الاثار الظاهرة لا تتفق بتاتا مع الصورة التوراتية التى جعلت من شمالى الجولان مكانا لمملكة معكا. . يضاف الى ذلك أن آثار العهد الفارسى (فترة عودة اليهود من سبى بابل) غير موجودة كليا فى الجولان.

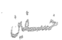
العصور الهلنستية والرومانية والبيزنطية

نعتمد فى معلوماتنا عن تاريخ الجولان خلال الفترة الهلنستية (القرن الرابع حتى القرن الاول قبل الميلاد) كليا على كتابات المؤرخ اليهودى يوسيفوس (يوسف) الذى عاش خلال الفترة الرومانية.

يصور لنا هذا المؤرخ اليهودى - المتحيز فى كتاباته نحو اليهود - الجولان كمملكة حكمتها أسر يهودية. . ترى هل تتفق كتابات يوسيفوس اليهودى مع نتائج التحريات والتنقيبات الاثرية التى قامت بها سلطات الاحتلال الصهيونى منذ ١٩٦٨ فى مختلف ارجاء الجولان المحتل؟. .

تل الجوخدار

يقع على مسافة ٥ كم الى الجنوب الغربى من بلدة الرفيد. . وقد كشفت التنقيبات عن اثار معمارية ومنقولة ترقى الى العصور الرومانية والبينزنطية والعربية الاسلامية لكنه لم يظهر أى أثر له صلة قريبة أو بعيدة باليهود.



خسفين

يريد الصهاينة ان يروا فى اسم خسفين تحريفا لاسم خسفو التوراتى (سفر المكابين الاول والثانى). . اظهرت التنقيبات الاثرية بين ١٩٦٧ و١٩٦٨ معالم كنيسة بيزنطية وبقايا ارضية فسيفساء فضلا عن نقوش

كتابيه باليونانية ومعالم كنائس مسيحية اخرى تزدان ارضياتها بالفسيفساء الجميلة مع كتابه باليونانية تذكر اسم جورجيوس (سركيس) . . ومرة اخرى لم يظهر أى أثر أو نقش يمت بصلة باليهود او يشير الى وجودهم فى هذا المكان.

تل كرسي

يرى الصهاينة فى اسم كرسى استمرارا لاسم مدينة كرسى (خمرسيا) الوارد ذكرها كثيرا فى التلمود غير ان التنقيبات الاثرية على ايدى سلطات الاحتلال الصهيونية بين ١٩٧١ و١٩٧٢ كشفت عن بقايا دير وكنيسة من القرن الخامس الميلادى ولم يظهر أى أثر أو نقش يهودى.

قصرين

قرية مهجورة على بعد ٨كم الى الشرق من جسر بنات يعقوب جرت فى هذا الموقع تنقيبات اثرية بين ١٩٧١ و١٩٧٢ وكشفت عن معالم قاعة طويلة (١٨×١٥م) مشيدة من حجارة بازلتية صقيلة وموجهة من الشمال الى الجنوب وفى قلب احد الجدران توجد قطعة حجرية مأخوذة من مكان آخر ومعاد استعمالها فى بناء هذا الجدار وهى تحمل نقشا باللغة الارامية يقول: عمل هذا المربع و. ز. ى. وبالرغم من ان التوجه الشمالى الجنوبى لا يتفق مع توجه المعابد اليهودية الا ان المنقب الصهيونى يريد ان يرى فى هذه القاعة جزءا من كنيس يهودى.

صورمان

قرية صغيرة تقع على بعد ٢٫٥كم الى الجنوب الشرقى من القنيطرة . . أبانت التنقيبات التى جرت فى هذا الموقع خلال عام ١٩٦٨ ان السكن فى هذا المكان ابتدأ فى القرن الثانى بعد الميلاد وهو يحتوى على بعض المبانى الكاملة ذات السقوف الحجرية والزخارف الكثيرة والتى ترقى الى الفترتين الرومانية والبيزنطية ـ يضاف الى ذلك الكشف عن قرابة ٣٠ قبرا وعن ساكفي بابين يحملان نقوشا كتابية يونانية من العهد البيزنطى والعهد المملوكى . . وهنا ايضا لم يظهر أى أثر يمت لليهود بصلة.

خربة زمل

خرائب الى الجنوب الشرقى من قرية كفر بقعاته وقد جرت فيها تنقيبات محدودة فى ١٩٧١ حيث تم الكشف عن معالم غرفة تحتوى على جرار كبيرة وحطام اوانى فخارية يحمل بعضها بقايا نقوش كتابية يونانية وقطعة نقد سلوقية . . بيد انه لم يظهر أى أثر له علاقة باليهودية.



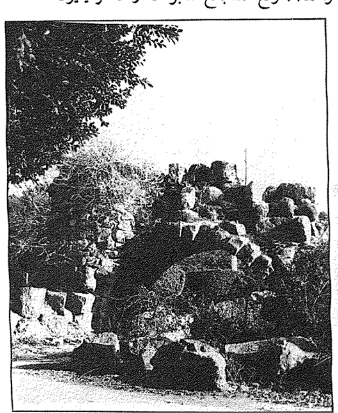
طبيعة الآثار اليهودية فى الجولان

لاحظنا من خلال نتائج التحريات والتنقيبات الاثرية التى جرت فى القرن التاسع عشر وبعد الاحتلال الصهيونى أن بنى اسرائيل ليس لهم وجود مادى فى الجولان فى زمن سفر التكوين (عهد الاباء الاوائل ابراهيم ويعقوب واسحق) بين ١٩٠٠ و١٥٠٠ ق.م.. ولا فى زمن سفر الخروج (عهد موسى) بين ١٢٠٠ و١٠٠٠ ق.م.. ولا فى زمن سفر الملوك (عهد داوود وسليمان) بين ١٠٠٠ و٩٠٠ ق.م.. كذلك لا أثر مادى لمملكتى معكا وجيشور فى اى بقعة من بقاع الجولان.. كما أنه لم تظهر آثار مادية تؤكد كتابات المؤرخ اليهودى يوسيفوس حول الوجود اليهودى فى الجولان خلال الفترة الهلنستية (بعد فتوحات الاسكندر) ـ علما انه لم يظهر أى أثر للوجود اليهودى خلال الفترة الفارسية (القرن الخامس ق.م) والتى عاد فيها اليهود من السبى البابلى.

- الاثار الوحيدة التى تمت لليهود بصلة هى ذات طابع دينى بحت ولا تفصح عن أى تأثير اجتماعى أو اقتصادى أو سياسى لليهود.. وهذه الآثار هى معابد أو مدارس دينية تفصح عن وجود شريحة من المجتمع تدين باليهودية وتتعايش مع الديانات الاخرى فى وقت واحد.. ومع هذا بالغ منقبوا الآثار الاسرائيليون



بقايا مدرج مسرح فى بلدة الحمّة بوادى اليرموك ويرقى الى القرن الثالث بعد الميلاد



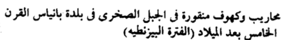
بقايا أقواس فى بلدة الحمة يرقى إلى القرن الثالث بعد الميلاد

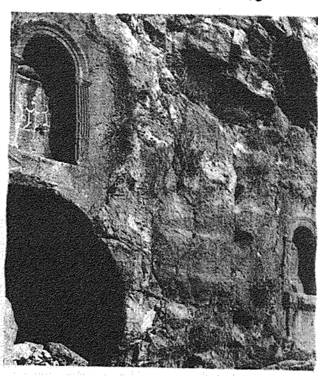
فى الجولان فى تفسير العديد من البقايا المعمارية التى كشفت عنها اعمال التنقيب فى عدد من قرى الجولان فكلما كشفوا عن بناء مستطيل الشكل (قاعة) موجهة نحو الغرب قالوا ان هذا كنيس يهودى . . وكلما كشفوا عن بناء مستطيل الشكل وموجه من الجنوب الى الشمال قالوا هذه مدرسة (بيت مدراش) يهودية دون ان يستندوا إلى قرائن أثرية اخرى وهذا ما حدث فى موقع البثيرة وخربة الدالية والدر دارة ودير العزيز.

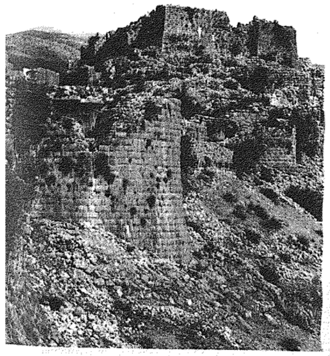
أدريـــة

اما الآثار التى تمتُّ بصلة دينية مؤكدة مع اليهود هى:

ثمة بقايا بناء اثرى ظاهر فى موقع أدرية يحمل ساكف احد ابوابه نقشا آراميا ناقصا لم يبق منه الا ثلاث كلمات هى : حلفو ابن . . مبارك . . واثناء التنقيب فى الموقع ظهرت بين الانقاض قطعة حجرية تحمل نحتا لشكل الشمعدان السباعى وهو الشعار الدينى اليهودى وبما ان البناء موجه من الجنوب الى الشمال يعتقد المنقب ان المبنى قد يكون مدرسة .


محاريب وكهوف منقورة فى الجبل الصخرى فى بلدة بانياس القرن الخامس بعد الميلاد (الفترة البيزنطيه)




منظر عام لقلعة بانياس الأثرية (القرن الثانى عشر بعد الميلاد)



عين نتوش

يبعد هذا الموقع مسافة كيلو متر واحد الى الجنوب من ادرية وهنا ايضا تم الكشف عن بقايا بناء يعتقد انه معبد يهودى بسبب العثور على قطعة حجرية تحمل نحتا لشكل الشمعدان السباعى .

نبسق

ظهرت قطع حجرية تحمل احداها نحتاً لشكل الشمعدان السباعى واخرى تحمل نقشا باللغة الارامية مؤلف من الكلمات التالية «انا يودا (يهوذا) الخزان» . . ويعتقد ان هذه الانقاض كانت جزءا من معبد يهودى لم تكشفه اعمال التنقيب .

مزرعة قنف

ظهرت بقايا بناء يعتقد انه معبد يهودى لأن ساكف احد الابواب يحمل نقشا باللغة الارامية مؤلف من الكلمات التالية :

«ذكرى للابد ليوسع ابن حلفو ابن حن» .

الحمة

اظهرت التنقيبات فى تل الحمة معالم معبد يهودى مع بقايا فسيفساء تحمل كتابة باللغة العبرية وتتضمن اسماء المتبرعين لصنع هذه الفسيفساء والدعاء والبركة لهم . . ويعود تاريخ هذا المعبد اعتمادا على النواحى الاسلوبية فقط الى القرن السادس بعد الميلاد (بيزنطى) .

فى ضوء ما تقدم يتبين لنا ان الاثار اليهودية فى الجولان ذات طابع دينى بحت تخص طائفة صغيرة الحجم من الناس ولا تحمل معانى ذات دلالة قومية أو سياسية فضلا عن انها متأخرة العهد .

مصادر البحث

(1) Encyclopedia of the Archaeological Excavations in the Holy Land. Volume 11, English Edition London 1976.

(2) Dan Urman, the Golan, BAR International Series 269, 1985

(3) M. Kochavi, Judea, Samaria and the Golan Archaeological Survey 1967-1968, Jerusalem 1972.



الأسلحة الأثرية

ومدلولها الحضاري في حوض النيل الأوسط والأسفل من منتصف العصر الحجري وحتى القرن الأول قبل الميلاد.

د. علي أحمد قسم السيد
السودان

التحديد الجغرافي للمنطقة:

يشمل حوض النيل الأوسط تلك البلاد الممتدة من المنطقة التى يلتقى فيها النيل الأزرق بالنيل الأبيض جنوبا وحتى منطقة الشلال الأول شمالا وهى البلاد التى عرفت فى التاريخ المصرى القديم باسم بلاد «تاستى» أى أرض القوس ثم أصبح يطلق عليها اسم بلاد كوش وذلك ابتداء من عهد المملكة المصرية المتوسطة (٢٠٦٥-١٥٨٥ ق.م تقريبا) وأخيرا وأثناء العهد البطلمى عرفت باسم النوبة.. ولعله من أهم الظواهر الطبيعية التى تميز هذا الجزء من حوض النيل وجود عدد من الجنادل تعترض مجرى النيل فيه.. وقد قسم الجغرافيون هذه البلاد الى ثلاثة أقسام(١) هى:

(١) وادى النوبة العليا ويشمل المنطقة الممتدة من النقطة التى يلتقى فيها النيل الأزرق بالنيل الأبيض فى الجنوب وحتى دنقلا فى الشمال ويعتبر هذا الجزء من بلاد النوبة أكثرها اتساعا وأغناها بالأراضى الزراعية والرعوية.

(٢) وادى النوبة الوسطى ويمتد من دنقلا فى الجنوب وحتى حلفا فى الشمال.. وهذه المنطقة من أكثر بلاد النوبة فقرا وأشدها جفافا.

(٣) وادى النوبة السفلى وهى البلاد الممتدة من حلفا فى الجنوب وحتى أسوان فى الشمال وتمثل امتدادا طبيعيا - من ناحية التضاريس - للنوبة الوسطى الا أن أرضها وبخاصة الضفة الشرقية من النيل - تمتاز بوفرة المعادن خاصة الذهب.. أما حوض النيل الأسفل فيغطى تلك المنطقة التى تمتد من الدلتا فى الشمال وحتى الشلال الأول فى الجنوب وهى النقطة التى



اعتبرها قدماء المصريين ومنذ بداية عهد المملكة المصرية القديمة (٣١٠٠ ق.م تقريبا) كحد يفصل بينهم وبين بلاد «النحسيو» أى البلاد الأجنبية الواقعة الى الجنوب منهم(٢) ولتسهيل ادارة هذه البلاد قام قدماء المصريين بتقسيمها الى اثنين واربعين مقاطعة: اثنتان وعشرون فى مصر العليا وعشرون فى مصر السفلى(٣).

الأسلحة: أنواعها وأغراضها:

تختلف أنواع الأسلحة وتتباين أشكالها باختلاف العصر الذى ظهرت فيه والمواد التى صنعت منها والمؤثرات الحضارية التى تعرضت لها والغرض الذى صممت من أجله.. ويمكننا أن نقسم الأسلحة بصفة عامة الى ثلاثة أقسام رئيسية:

(١) أسلحة الصيد

(٢) أسلحة الحرب

(٣) أسلحة الزينة والطقوس الدينية.

أسلحة العصر الحجرى فى حوض النيل الأوسط:

من أقدم الأسلحة التى عثر عليها فى وادى النيل الأوسط هى تلك التى وجدت فى موقع حضارة الخرطوم القديمة التى ازدهرت فى أعالى وادى النوبة العليا أثناء العصر الحجرى الوسيط (Mesolithic Age) فى الفترة ما بين ٧٠٠٠ - ٤٠٠٠ قبل الميلاد تقريبا.. وهى فترة لم يتوصل الانسان فيها بعد الى طريقة استخراج المعادن وادخالها فى تصنيع أسلحته فلم يكن له غير اللجوء الى استخدام الحجارة فى ذلك.. وقد كان حجر الصوان من أهم أنواع الحجارة التى استخدمها أهل هذه الحضارة وذلك لما يمتاز به هذا الحجر من صلابة.. ويرى (أ. جى. آركل) أن أهل هذه الحضارة ربما كانوا يحصلون على هذا النوع من الحجارة من منطقة الشلال السادس التى تقع على بعد خمسين ميلا شمالى الخرطوم(٤).

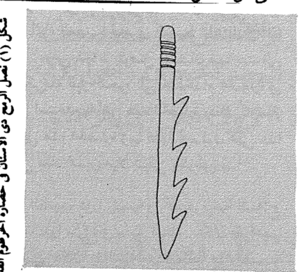
لعبت البيئة التى كان يعيش فيها أهل حضارة الخرطوم القديمة دورا رئيسيا فى تحديد نوعية السلاح الذى يستخدم فى الصيد.. فقد عاش أهل هذه الحضارة حياة كلها صراع فى سبيل البقاء.. كان صراعهم مع الوحوش التى كانت تذخر بها الأدغال المحيطة بمساكنهم، فكانوا يقتلونها أحيانا دفاعا عن أنفسهم وأحيانا أخرى كمصدر للغذاء خاصة وأنهم لم يكونوا قد توصلوا الى استئناس الحيوان بعد.

من أقدم الأسلحة التى استعملها أهل حضارة الخرطوم القديمة فى صيد الحيوانات نوع بدائى من رؤوس السهام المصنوعة من حجر المرو والتى تشبه فى شكلها رأس الازميل(٥) ووجود رؤوس السهام هذه فى موقع هذه الحضارة يدل على أن أهلها قد عرفوا استعمال القوس.

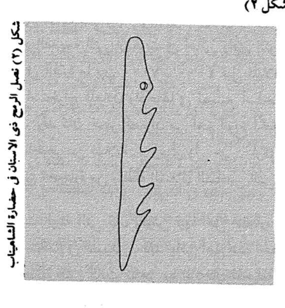
لم يقتصر أهل حضارة الخرطوم على استعمال الحجارة فى صنع أسلحتهم وانما لجأوا الى الاستفادة من عظام الحيوانات فى صنع بعض الأسلحة المتطورة نوعا ما فقد صنعوا منها رؤوس السهام وأسنة الرماح وكان هذا النوع من السلاح يستعمل فى صيد الحيوانات البرية . . أما الرمح ذو الأسنان والذى يعرف عند أهل السودان الحاليين باسم «الكوكاب» فقد صمم لصيد الأسماك الكبيرة التى كانت تعيش فى المستنقعات القريبة من النيل.

يتكون هذا السلاح من جزءين: النصل المصنوع من العظم وقد قطعت على جانبه أسنة صغيرة حادة مسحوبة الى الوراء ثم القناة المصنوعة من الخشب وتثبت على الجزء الأعلى من النصل وذلك بربطها اليه . . ووجود بعض الأخاديد الرفيعة حول الجزء الأعلى من النصل يدل على أن أهل هذه الحضارة قد جعلوا خيطا ـ ربما كان من الجلد أو ألياف لحاء الأشجار أو نفس المادة التى صنع منها وتر القوس ـ يلف حول الجزء الأعلى من النصل والجزء الأسفل من القناة فى سبيل ربط الأخيرة هذه بالنصل (شكل١).

تطورت صناعة هذا النوع من السلاح فى حضارة الشاهيناب التى أعقبت حضارة الخرطوم القديمة وتمثل حضارات العصر الحجرى الحديث فى حوض النيل الأوسط . . وذلك عندما استحدث ثقب فى الجزء الأعلى من النصل المصنوع من العظم لتسهيل ربطه بالقناة(٦) مستغنين بذلك عن الأخاديد التى كانت تقطع حول الجزء الأعلى من النصل ويلف حولها الخيط أو قطعة الجلد (شكل ٢)



شكل (١) نصل الرمح ذى الأسنان فى حضارة الخرطوم القديمة



شكل (٢) نصل الرمح ذى الأسنان فى حضارة الشاهيناب

أما رؤوس السهام التى وجدت فى موقع حضارة الشاهيناب فقد صنعت من الحجارة ولم تختلف كثيرا عن تلك التى وجدت فى موقع حضارة الخرطوم القديمة(٧).

تمكن (أ. جى. آركل) أثناء حفرياته فى موقع الشاهيناب من العثور على عدد من رؤوس الصولجانات المصنوعة من حجر الصوان . . ويرى (أ. جى. آركل) أن أهل هذه الحضارة وفى الفترة المتأخرة من تاريخ

وجودهم بالموقع، قد قاموا بابتكار هذا النوع من السلاح مستفيدين من الحجارة شبه الكروية والتى كانوا يستعملونها فى سحق المغرة وهو نوع من تراب صلصالى يستعمل فى صناعة الألوان السمراء والصفراء والحمراء بعد أن يقوموا بعمل ثقب فى وسط الحجر حيث كان يحشر عود الصولجان(٨). ويعتقد (أ. جى. آركل) أنه بعد أن عرف أهل حضارة الشاهيناب هذا النوع من السلاح تبعهم فى ذلك المصريون فأصبح الصولجان سلاحا شائع الاستعمال عند المصريين فى عهد ما قبل الأسرات(٩).

أسلحة العصر الحجرى فى حوض النيل الأسفل

نشأت فى حوض النيل الأسفل عدة حضارات يرجع تاريخها للعصر الحجرى الحديث. كان من أهم هذه الحضارات حضارتا (دير تاسا والبدارى) فى صعيد مصر، وحضارة الفيوم فى مصر الوسطى وحضارتا (العمرى ومرمدة بنى سلامة) فى الوجه البحرى.. ولما كانت هذه الحضارات قد ازدهرت فى حقبة تاريخية واحدة فاننا نجدها متشابهة فى أوجه كثيرة.

بكن أهل هذه الحضارات قد توصلوا الى كيفية استخراج النحاس واستعماله فى تصنيع أسلحتهم لكنهم كأهل حضارتى الخرطوم القديمة والشاهيناب عرفوا كيف يستفيدون من العظام فأدخلوها فى صناعة أسلحتهم وبخاصة النصال لتسليح الخطاطيف(١٠).. الا أن من أهم مظاهر التقدم فى صناعة الأسلحة فى هذه الفترة هو ظهور نوع جديد من رؤوس السهام الحجرية المتطورة والتى اشتهرت بها حضارة الفيوم(١١).. فقد امتازت هذه الرؤوس بجانب صلابتها بقاعدة مسحوبة الى الوراء وذراعين لضم عود السهم (شكل ٣).

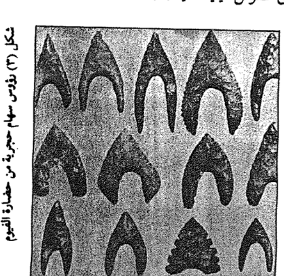
يقتصر التقدم فى صناعة الأسلحة فى العصر الحجرى الحديث فى مصر على رؤوس السهام فحسب بل شمل أنواعاً أخرى من الأسلحة ولعل السكين المصنوعة من حجر الصوان ذات المقبض المقطوع من العاج والتى وجدت فى جبل العركى(١٢) أصدق مثال على ذلك.

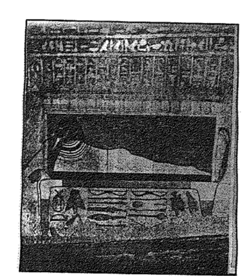
الفترة المتأخرة من العصر الحجرى الحديث فى حوض النيل الاسفل إزاء شعور أهل حضارات هذا العصر بشىء من الاتحاد والقوة والذى كان نتيجة طبيعية لقيام بعض المجتمعات ظهرت الصراعات الداخلية وقامت الحروبات بين المجموعات المتناحرة.. وقد صادف هذا ظهور التخصصات الحرفية ومن بينها صناعة الأسلحة، فأدى هذا الى شحذ همة صناع الأسلحة فعملوا على تطوير أدوات القتال فازدهرت صناعة الظران عند أهل حضارة السمانية فى صعيد مصر وساد استعماله فى صناعة النصال العريضة المدببة والمدى ذات القطاع المثلث والسيوف المقوسة(١٤).

وعندما أدرك أهل هذه الحضارات خصائص النحاس عملوا على استخدامه فى صناعة الاسلحة خاصة الخناجر واستغنوا به عن الظران

أن أقدم خنجر عثر عليه فى حوض النيل الأسفل يرجع تاريخه للفترة المبكرة لعصر ما قبل التاريخ الثانى . . أو الى ما يسميه (فلندرز بترى) بالتاريخ المتتابع(١٥) Sequence Date 50 وقد صنع نصله من النحاس بينما صنع مقبضه من العاج وبصورة تجلت فيها الناحية الفنية حيث ان الجزء الأسفل من المقبض العاجى ينتهى بشكل ما يشبه القرنين المقوسين وقد تم ادخال الجزء الأعلى من النصل داخل هذين القرنين بغرض احكام تثبيت النصل داخل المقبض . . ونرى نفس الأسلوب قد اتبع فيما بعد فى صناعة الخنجر الموجود بمتحف القاهرة (٦٤٨٦٨)(١٧) الذى يرجع تاريخه للفترة المتأخرة من حضارة جرزة التى تقع فى سلم (فلندرز بترى) للتاريخ المتتابع بين الرقمين ٤٥-٦٠

نجد أن الجزء الأعلى من نصل هذا الخنجر المصنوع من حجر السيلكس (Silex) قد أدخل بنفس الطريقة داخل الجزء الأسفل من المقبض المصنوع من الذهب والذى يشبه فى شكله مقبض الخنجر الأول . . مع أن نصل الخنجر الأول مصنوع من النحاس ونصل الخنجر الثانى مصنوع من الحجر الا أن صناعة النصل الثانى تبدو أكثر تعقيدا فقد جعلت مقدمة النصل مغلوقة بدلا من أن تكون مثلثة مسحوبة الى الوراء . . ويرى (جى . ب . كورتجانى) أن هذا الخنجر لم يصنع للاستعمال اليومى وانما صنع ليستعمل فى طقوس دينية معينة(١٨) .


شكل (٣) رؤوس سهام حجرية من حضارة الفيوم


الصورة (١) مكان القوس بين معدات الملكة الكوشية كلهاتا

من أسلحة الصيد التى عرفها سكان حوض النيل الأسفل فى هذه الفترة عصا الرماية (Boomerang) والتى تعرف عند أهل السودان الحاليين باسم السفروق . . هى قطعة من الخشب رقيقة نوعا ما ومنحنية عند ثلثها الأخير فى شكل زاوية منفرجة وتستعمل عادة لصيد الطيور المائية التى تعيش فى المستنقعات . . وهذا السلاح وان يبدو بسيطا فى شكله الا أنه يتطلب قدرا من دقة التصويب والمهارة فى الرمى . . وفى نهاية عهد المملكة المصرية المتوسطة نجد أن هذه العصا قد ارتبطت بمفهوم دينى كما سنرى فيما بعد .

تُظهر الرسومات التى نقشت على صفحات بعض الصلايات أن المصريين ومنذ فترة ما قبل التاريخ قد عرفوا استعمال الحراب التى كان يصنع نصلها من النحاس(٢٠) وقد استعملت فى الحرب والصيد معا(٢١) .

من الأسلحة التى استعملها سكان حوض النيل الأسفل أيضا القوس والنشاب. . كان القوس يصنع من الخشب أما السهم فقد كانت تصنع قصبته من البوص ورأسه من الصوان أما الوتر فقد كان يصنع من الجلد أو الكتان أو الليف(٢٢) توضح بعض الرسومات التى نقشت على صفحات الصلايات أن القوس كان يستعمل فى صيد الحيوانات البرية المتوحشة خاصة الأسد(٢٣).

أسلحة الحقبة التاريخية فى حوض النيل الاوسط

ما اشتهـر بلد فى التاريخ القديم بنوع السلاح الذى كان يستعمله أهله مثلما اشتهرت بلاد النوبة باستعمال القوس.

رأينا من قبل أن أهل حضارة الخرطوم القديمة قد عرفوا استعمال القوس وهم بذلك ربما يكونون أول من استعمـل هذا النـوع من السـلاح فى حوض النيـل الأوسـط ثم انتقل استعماله بعد ذلك الى حضارة الشاهيناب التى تمثل العصر الحجرى الحديث فى هذا الجزء من حوض النيل.

وفى الجزء الشمالى من حوض النيل الاوسط ازدهرت حضارة كانت معاصرة لحضارات مصر ما قبل عهد الأسرات وكذلك عهد الاسرات الاول فى المملكة المصرية القديمة. . وقد كان المصريون يشيرون الى هذه البـلاد باسم تاستى وهى بلاد تمتـد من حدود مصـر الجنوبية شمالا الى نقطة لم تحدد بعد فى الجنوب(٢٤) الا أن هناك من علماء التاريخ المصرى القديم من يرى أن بلاد تاستى تمتد جنوبا حتى مدينة سمنة بالقرب من الشلال الثانى(٢٥).

لكننا اذا نظرنا الى النصوص التى تركها بعض الملوك الكوشيين يتضح لنا ان لفظ تاستى كان يطلق على كل البلاد الواقعة فى حوض النيل الاوسط. . فقد أصبغ الملك الكوشى تهارقا (٦٩٠ - ٦٦٤ ق.م.) والملك النبتى أسبلتا (٥٩٣ - ٥٦٨ ق.م.) والملك المروى أرنخمانى (٣٢٢ - ٣١٥ ق.م.) على أنفسهم لقب: سادة تاستى العظام(٢٦).

إن اقدم نقش ربط هذه البلاد بالقوس هو ذلك المنظر الحربى الذى خلفه الملك جر، ثانى ملوك الاسرة الاولى فى المملكة المصرية القديمة على صخور جبل الشيخ سليمان الى الجنوب قليلا من مدينة بوهين. . يحكى هذا المنظر عن حملة حربية قام بها هذا الملك المصرى ضد تاستى تمكن من خلالها من أسر زعيمها الذى جعله يحمل فى يديه المربوطتين الى الوراء القوس النوبى المميز ليدل على البلد الذى ينتمى اليه - تاستى(٢٧).

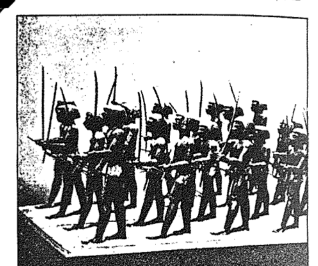
فى كثير من الاحيان نجد ان القوس ورؤوس السهام يكونون بمثابة رمز يدل على حضارة معينة وذلك باختلاف اشكالها وتباينها من حضارة لأخرى. ففى بعض مقابر الاسلاف بجبانة الكرو تمكن (ج. أ. رايزنر) من العثور على عدد من رؤوس السهام الحجرية كانت عبارة عن نوعين مختلفين: ٣٦ رأس سهم

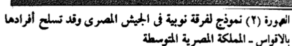
ذى طابع نوبى و٢٥ رأس سهم ذى طابع صحراوى أى ليبى . . ووجود رؤوس السهام الحجرية هذه فى مقبرة الكرو يدل على حقيقتين **أولاهما**: أن هؤلاء النوبيين كانوا لا يزالون يستعملون الحجارة فى تصنيع أسلحتهم على الرغم من اكتشاف البرونز ومنذ زمن طويل . . وهذا يدل أيضا على أن هؤلاء القوم كانوا يقومون بتطوير حضارتهم على نهج محلى دون الاستفادة من خبرات من سبقوهم فى هذا المجال فى مصر . . **ثانيهما**: أن هؤلاء النوبيين كانوا على صلات بالليبيين الذين كانوا يسكنون الواحات الغربية فعن طريق هذه الصلات وصلت اليهم رؤوس السهام الليبية الأصل والتى دفنوها مع رؤوس السهام النوبية داخل قبور موتاهم(٢٨).

يبدو أن القوس كان يحتل مكانا هاما بين الامتعة الجنائزية عند سكان حوض النيل الاوسط فعلى الجدار الشمالى فى غرفة دفن الملكة الكوشية كلهاتا (Ku.5) نجد ان هذه الملكة قد حرصت على وضع قوسين وفى مكان مرموق بين أمتعتها الملكية (الصورة١) ويبدو أن الكوشيين الذين كانوا على صلة بمصر قد استفادوا من خبرات الاشوريين الذين أدخلوا الحديد فى وادى النيل الأسفل . . فعملوا على تطوير أسلحتهم بما فى ذلك رؤوس السهام التى أصبحت تصنع من الحديد فى بعض الأحيان خاصة وأن عاصمتهم مروى قد امتازت بوفرة خام الحديد وكذلك الأخشاب اللازمة لصهره(٢٩) . . وقد انتشرت صناعة رؤوس السهام المصنوعة من الحديد بعد ذلك واستعملت فى معظم أرجاء المملكة المروية(٣٠).

واستخدام سكان حوض النيل الاوسط المستمر للقوس جعلهم من أبرز القوميات القديمة وأمهرها فى استعمال هذا النوع من السلاح . . فقد استعان بعض ملوك المملكة المصرية المتوسطة ببعض النوبيين وكونوا منهم فرقا من رماة السهام (صورة٢) كذلك نجد أن الملك الفارسى خشايارشا (٤٨٥-٤٦٤ ـ ق.م.) قد جند بعض الكوشيين. وتذكر المصادر أن اسلحة هؤلاء الكوشيين كانت عبارة عن أقواس ومعها سهام ذات رؤوس حجرية حادة(٣١) . . وعندما فتح عمرو بن العاص مصر فى سنة ٦٤٠م قام بارسال حملات ضد بلاد النوبة المسيحية وقد لاقى الجنود المسلمون مقاومة عنيفة من جانب النوبيين الذين كانوا يسددون سهامهم بمهارة فائقة نحو المسلمين حتى أسماهم المسلمون برماة الحدق . . ذلك لأنهم كانوا يصوبون سهامهم نحو أعين الجند المسلمين فتفقأها . . روى واحد من أولئك الذين اشتركوا فى هذه الغزوات فقال: «شهدت النوبة مرتين فى ولاية عمر بن الخطاب فلم أر قوما أحد فى حرب منهم لقد رأيت أحدهم يقول للمسلم أين تحب أن أضع سهمى منك فربما عبث الفتى منا فقال فى مكان كذا فلا يخطئه(٣٢).

كان دخول الاشوريين فى مصر نقطة تحول كبرى فى تاريخ صناعة الاسلحة فى حوض النيل عامة . . ذلك لأن بعض المعدات الحديدية ـ ومن بينها اسلحة ـ قد وجدت فى طيبة ويعتقد أنها قد تركت فى مصر بواسطة الآشوريين أثناء حملتى الملك الآشورى آشور بانيبال ضد طيبة فى ٦٦٧ و٦٦٣ قبل الميلاد(٣٣). أما فى حوض النيل الأوسط فقد كان ظهور الاسلحة المصنوعة من الحديد معاصرا لتلك التى وجدت فى طيبة . . ففى هرم الملك الكوشى تهارقا (Nu.I) عثر (ج. أ. رايزنر) على رأس رمح مصنوع من الحديد . . ووجود هذه القطعة من السلاح فى هرم تهارقا لا يعنى بالضرورة أن الكوشيين قد توصلوا الى طريقة استخراج الحديد واستخدامه فى أسلحتهم وذلك لان رأس الرمح الحديدى هذا يعتبر القطعة الوحيدة التى وجدت




الصورة (٢) نموذج لفرقة نوبية فى الجيش المصرى وقد تسلح أفرادها بالاقواس ـ المملكة المصرية المتوسطة

الصـورة (٣) نمـوذج لفـرقة نوبية فى الجيش المصرى وهم يحملون الورق ويتسلحون بالحراب ـ المملكة المصرية المتوسطة

فى هذه الفترة فى كوش وأنها قد لفت بصفيحة من الذهب وبطريقة تظهر الاهتمام بها مما يدل على أنها اعتبرت شيئا ثمينا ونادرا ومن ثم يمكن استبعاد مسألة استخدام الحديد فى صناعة الاسلحة الكوشية(٣٤) ولعل فى ما يذكره هيرودتس عن الجنود الكوشيين الذين كانوا مع الملك الفارسى خشايارشا ما يؤيد ذلك فقد ذكر أن هؤلاء الجنود كانوا يضعون قرون الغزلان التى قطعت على شكل النصل فى حرابهم . . وهذا يعنى أن الكوشيين حتى سنة ٤٨٠ قبل الميلاد لم يدخلوا الحديد كمادة فى صناعة أسلحتهم(٣٥) رغم أن بلادهم ـ على الاقل المنطقة الواقعة بين الشلالين الاول والثانى ـ قد شهدت نوعا من الاحتلال بواسطة الجنـود الكاريين والايونيين الذين كانوا يعملون كمرتزقة فى جيش بسامتيك(٣٦) والذين كانوا يتسلحون بأسلحة مصنوعة من الحديد.

ووجود هؤلاء اليونانيين فى بلاد الكوشيين طيلة مدة الاحتلال هذه لابد ان يكون قد اتاح للكوشيين فرصة التعرف على خصائص هذا المعدن الذى صنعت منه اسلحة هؤلاء اليونانيين، الا ان الدراسات التى أجريت على بعض المواقع الاثرية فى مروى تقودنا للاعتقاد بأن المرويين لم يتوصلوا الى كيفية صهر الحديد الا فى القرن الاول قبل الميلاد ومن ثم بدأوا يستعملونه بكثرة خاصة فى تصنيع رؤوس السهام(٣٧) التى وجدت بكميات كبيرة . . هذا بجانب السيوف والحراب المتعددة الاشكال(٣٨) ووجود رؤوس السهام الحديدية بهذه الكميات يدل على اعتماد الجيوش المروية على فرق رماة السهام فى حروباتهم.

اسلحة الحقبة التاريخية فى حوض النيل الاسفل

تعددت أنواع الاسلحة وتطورت طرق صناعتها فى حوض النيل الاسفل اكثر من تعددها وتطورها فى حوض النيل الاوسط.

من قبل أن سكان حوض النيل الأسفل قد عرفوا استعمال القوس ثم ظل هذا السلاح يتطور مع تطور

عقل انسان ذلك العصر وتوسع ادراكه ووفقا للضرورات التى تمليها دواعى استعمال هذا السلاح . . ففى اول الامر كان السهم يصنع من عود البوص وذلك لما يمتاز به من خفة وزن واستقامة وصلابة نسبية . . اما رأس السهم فقد كان يثبت على عود السهم بواسطة لسان رفيع يمتد من رأس السهم ويحشر داخل عود السهم بعد تجويفه ثم يربط الأخير هذا بخيط حتى لا ينشطر . لكن عندما استعيض بالعود الخشبى فى صناعة السهم عن عود البوص أصبح من المتعذر حشر اللسان الممتد من رأس السهم داخل العود الخشبى وذلك لصعوبة عمل تجويف داخل هذا العود الخشبى لحشر اللسان فيه فتم اجراء التعديل فى رأس السهم نفسه وذلك بحفر تجويف فيه ليحشر داخله مقدمة عود السهم الخشبى(٣٩) .

أما رأس السهم نفسه فقد كان يصنع من العاج أو العظم وأحيانا كان يقطع من خشب قوى ثم يصنع على هيئة رأس السهم الحجرى حتى يصير رأسه حادا ثم يجعل له لسانا يحشر فى عود السهم المصنوع من البوص(٤٠) الا أن استعمال حجر الصوان كان أكثر شيوعا فى صناعة رؤوس السهام . . وقد استمر هذا النوع من رؤوس السهام حتى زمن الأسرة الخامسة عشرة المصرية . . وهذا لا يعنى بالطبع أن سكان حوض النيل الأسفل لم تكن لهم معرفة باستعمال المعادن فى صناعة أسلحتهم ، فقد أثبتت الدراسات الأثرية أن المصريين ومنذ عهد الاسرة الحادية عشرة قد عرفوا صناعة رؤوس السهام البرونزية(٤١) .

عندما دخل الهكسوس مصر فى نهاية القرن الثامن عشر قبل الميلاد واستقروا فيها أدخلوا المركبة الحربية التى تجرها الخيول(٤٢) . . وفيما بعد استفاد فراعنة المملكة المصرية الحديثة من هذا النوع من المركبات واستغلوها فى رحلات الصيد وخوض المعارك الحربية وقد كان القوس بمثابة السلاح الرئيسى الذى كان يستعمله راكب هذه المركبة(٤٣) .

وعند دخول الآشوريين لمصر أثناء حكم الاسرة الخامسة والعشرين عرف المصريون منهم الحديد واستخدموه بجانب البرونز ، فى صناعة الاسلحة . . ففى عهد الاسرة السادسة والعشرين نجد أن صناعة رؤوس السهام قد تأثرت كثيرا بالطرق التى كانت تتبع فى ذلك فى المنطقة الممتدة من بلاد الاغريق غربا وحتى أواسط آسيا شرقا وذلك نتيجة للصلات التجارية والعلاقات السياسية التى ربطت هذه البلاد بمصر . فبعد أن كان رأس السهم مسطحا وذا طرفين حادين أصبح مثلثا وفى أحيان كثيرة مصنوعا من الحديد(٤٤) .

من أسلحة الصيد والحرب التي عرفها سكان حوض النيل الأسفل بجانب القوس الحراب فعلى أحد الواح الاردواز التى يرجع تاريخها لعهد ما قبل الاسرات صورت مجموعة من الصائدين الذين خرجوا لصيد الأسد ، وقد حمل بعضهم رماحا طويلة ذات أنصال عريضة بينما حمل البعض الآخر أقواسا(٤٥) . يرى فلندرز بترى انه بحلول العصر النحاسى أصبح استعمال الحربة معروفا فى مصر ولم يقتصر ذلك على الصيد فحسب بل شمل الحرب أيضا(٤٦) . . ثم بعد ذلك لجأ المصريون الى استخدام البرونز فى صناعة حرابهم وذلك فى طريق صهر البرونز ثم صبه فى قوالب على هيئة أسنة الرماح على نظام (Cire perdue) حتى يتمكنوا من استخراج أسنة غاية فى الدقة والاتقان . . وتختلف الأغراض التى من أجلها تصب أسنة الرماح باختلاف شكل السنان فنجد أن الرمح ذا النصل العريض المحدب يستعمل لإحداث جرح عريض عميق



فى الجسم الذى يغرس فيه، اما الرمح ذو السنان الرفيع المقعر فيستعمل فى مهاجمة من يلبس درعا أو أى جسم واق آخر. . وفى بعض الأحيان نجد أن بعض فرق الجيش المسلحة بالحراب تحمل الدرق اتقاء لأسلحة الجيش المعادى (أنظر الصورة٣).

أن القوس والرمح كانا يستعملان فى مصر منذ فترة ما قبل عهد الأسرات وهما سلاحان استخدمهما القدماء فى الصيد والحرب ويمكن رميهما من بعيد دون الالتحام المباشر مع العدو. . أما من الاسلحة التى يستدعى استعمالها الاقتراب والالتحام المباشر مع العدو نذكر السكين والخنجر والسيف.

القـدمـاء السكين كواحدة من أهم الآلات التى يمكن الاستفادة منها فى عدة مجالات. . فقد استخـدموها فى حياتهم اليومية وفى الصيد وفى الحرب، ومن ثم تعددت أشكالها بتعدد الأغراض التى استخدمت فيها.

استوعب قدماء المصريين الكيفية التى يمكن بها فصل جلد الحيوان عن لحمه فصمموا نوعا خاصا من السكاكين امتازت بحدة الشفرة فى كل من الجانبين والرأس كما كانت عريضة النصل الى حد ما حتى يتمكن من يستعملها من متابعة ثنيات جسم الحيوان أثناء عملية السلخ. . وقد وجدت فى مقابر قدماء المصريين أعداد كبيرة من هذا النوع من السكاكين(٤٧). . ثم هناك السكاكين ذات الظهر المستوى والتى وجدت أمثلة منها يرجع تاريخها لعهد الأسرة الثانية عشرة وقد صنعت من الصوان وفى شكلها تشبه الى حد ما تلك السكين التى وجدت فى جبل العركى. . ومن السكاكين ذات الظهر المستوى هناك نوع ظهر فى عهد الأسرة السادسة امتاز بنصله العريض وقد صنع من النحاس. . وقد عاود هذا النوع الظهور مرة ثانية بتعديل طفيف فى عهد الأسرة الثانية عشرة(٤٨).

ظهور السكاكين بأعداد كبيرة فى عهد المملكة المصرية القديمة ربما يقودنا للاعتقاد بأن أهل هذه الفترة ربما يكونوا قد اعتمدوا كثيرا على استعمال هذا النوع من السلاح مستغنين بذلك عن استخدام الخنجر الذى عرفوه منذ فترة ما قبل عهد الأسرات ـ التاريخ المتتابع ٥٠ ـ ومما يدعم هذا الاعتقاد عدم العثور على أى خنجر يرجع تاريخه لعهد المملكة المصرية القديمة. . لكن بعد نهاية فترة الاضمحلال الأولى وبحلول عهد الأسرة الثانية عشرة بدأت الخناجر تظهر بكثرة وبصورة ظهرت فيها مهارة صانعيها. . وقد تجلى ذلك فى الكيفية التى جعلت بها خطوط متوازية فى شكل أضلع ـ أبحر ـ تمر على النصل من أعلى الى أسفل مما يكسب النصل قوة بالاضافة الى اظهار الناحية الجمالية فيه(٥٠) ويبدو أن هذا النوع من الخناجر قد وجد شعبية ورواجا فى مصر حتى بعد نهاية المملكة المصرية المتوسطة حتى ان الهكسوس الذين دخلوا مصر ابان فترة الاضمحلال الثانية قد استعملوا نفس هذا النوع من الخناجر(٥١). . بل اننا نجد أن حضارة كرمة التى

ازدهرت فى النوبة العليا وكانت معاصرة للمملكة المصرية المتوسطة وفترة الاضمحلال الثانية فيما بعد قد استعملت نوعا مشابها من الخناجر وهى التى تعرف بالخنجر النوبى.

ويبـدو أن شيوع استعمال هذا النوع من السلاح فى حوض النيل فى هذه الفترة قد أدى الى تمازج الخبرات الفنية فى صناعة الخناجر بين سكان حوض النيل الأوسط وحوض النيل الأسفل.. فالخنجر (D 14) والذى يختلف عن سائر الخناجر المعاصرة له فى مصر من ناحية الحجم والتصميم قاد (ج. أ. رايزنر) للاعتقاد بأن وجود هذا الخنجر كان نتاجا للعلاقات التى كانت سائدة بين مصر وكرمة(٥٢).. وفى عهد المملكة المصرية الحديثة اتخذت صناعة الخناجر مسارا جديدا، فكثيرا ما كانت تصنع من أجل تكملة الزينة الملكية أكثر من كونها قطعة سلاح تصنع للاستعمال العادى.. وربما كانت الخناجر التى تخص اعح حتب (D 23) (٥٣) وتوت عنخ آمون(٥٤) خير أمثلة لذلك.

من الاسلحة التقليدية والتى لم تحظ بنصيب وافر من الاستعمال فى حوض النيل ـ السيف وذلك لأن هذا السلاح يعتبر غريبا عليه فقد كان موطنه غربى آسيا ولهذا السبب لم تكشف الحفائر التى أجريت على المواقع الأثرية عن وجود أعداد كبيرة منه.. ومع قلة عدد السيوف التى وجدت فى مصر الا أننا نجد أن ثلاثة أنواع من السيوف قد استعملت بواسطة قدماء المصريين:

أولها السيف القصير المحدب ذو الحد الواحد (Scimitar) الذى كان سلاحا ملكيا فى المقام الأول فقد اعتقد قدماء المصريين أن الالهة قد وهبت هذا النوع من السيف للملك كعربون للنصر(٥٥).

اما النوع الثانى فهو السيف العادى ـ الحسام ـ وقد وجدت منه أعداد قليلة جدا وقد صنع أحدها من الحديد وربما كان هذا النوع معاصرا لفترة الأسرة السادسة والعشرين التى ربطتها علاقات سياسية قوية مع آسيا وربما لهذا السبب رجح فلندرز بترى أن يكون هذا النوع من الاسياف قد دخل مصر من منطقة فارس(٥٦).

النوع الثالث هو ذلك السيف ذو الطرف المدبب (rapier) ويبدو أنه كان أكثر استعمالا من غيره فى مصر حيث وجدت منه ثلاثة اسياف.. وقد حاول فلندرز بترى أن يظهر دور بعض دويلات بلاد اليونان فى وجود مثل هذا النوع(٥٧) فى مصر، كما ربط ـ من قبل ـ النوع الثانى من الاسياف ببلاد فارس.

من الاسلحة التى عثر عليها فى مقبرة توت عنخ آمون عصا الصيد (Boomerang) والتى عرفها المصريون منذ فترة طويلة.. الا أن ظهورها هذه المرة قد ارتبط بمفهوم دينى جديد فقد وعدت احدى التعاويذ التى يسلح بها الشخص الميت ـ والتى ظهرت فى نهاية عهد المملكة المصرية المتوسطة ـ بظهور آلاف من الطيور المائية أمام الشخص الميت عندما يمر بقاربه فى طريقه الى العالم الاخر وعندها سيقذف الميت بعصاه هذه نحو الطيور فتسقط أمامه ألفا منها(٥٨).

إن ظهور الأسلحة فى حوض النيل الأوسط والأسفل بمختلف أشكالها وعلى مر العصور التاريخية كان نتـاجـا طبيعيـا لتولد الحاجة لاستعمالها سواء كان الدافع لتلك الحاجة ابتداع وسيلة تمكن الانسان من الحصول على قُوته من أجل البقاء أو اختراع أداة تمكنه من صد المخاطر التى تهدد حياته بالفناء.

الهوامش

(١) محمد عوض محمد - السودان الشمالي - سكانه وقبائله ١٩٥١ ص٢٨٥

(2) P.Montet, Geographie de l'Egypte ancienne. 11, Paris, 1961, pp. 13-29.

(3) E.A. Wallis Budge, The Mummy, 1925, PP 2-6

(4) A.J. Arkell, Early Khartoum, 1949, P. 41

(5) Plate 12 نفس المرجع السابق صفحة ٤٣

(6) Id. Shahienab, 1953, P. 56.

(٧) نفس المرجع السابق صفحة ٢٦ .

(٨) نفس المرجع السابق صفحة ٤٩ .

(9) Id. A History of the Sudan, 1961, P 32.

(١٠) نجيب ميخائيل ابراهيم - مصر والشرق الادنى القديم ١٩٦٠ صفحة ٢١-٢٣ .

(١١) نفس المرجع السابق صفحة ٢٦ .

(١٢) مصطفى عامر وآخرون تاريخ الحضارة المصرية - المجلد الأول صفحة ٥٤-٥٥ .

(13) S. Lioyed, The Art of the Ancient Near East, 1977, p 31.

(١٤) نجيب ميخائيل ابراهيم نفس المرجع السابق صفحة ٣٣ .

(15) W.M. Flinders Petrie, Tools and Weapons, 1974, P. 28.

(١٦) نفس المرجع السابق .

(17) J.P. Corteggiani, L'Egypte des Pharaons au musee du Caire, pp 24-25

(١٨) نفس المرجع السابق .

(١٩) سليم حسن - مصر القديمة - الجزء الثاني ١٩٤٩ صفحة ١٣٦ .

(20) W.M. Flinders Petrie, Op. Cit., P. 31

(٢١) نفس المرجع السابق - أنظر أيضا : S.Lloyed, Op. cit, p. 13.

(٢٢) سليم حسن - المرجع السابق صفحة ١٣٨

(23) S. Lloyed, Op cit., P.32

(24) P.Montet, Op. cit., pp 13-14

(25) E. Zyhlarz, Kush, VI, 1958, p 9.

(26) D.Dunham, RCK,11, p 97, M.S. Giorgini, Kush, XIII. Fig.4 Fr.Hintze, Musawwarat es Sufra, pl. 21.

(27) A.J.Arkell, GEA, 36, 1950, p 29.

(28) D.Dunham, RCK, I, Ku.Tum. I, 2,5, XIX. W.Holscher, Libuer und Agypter, 1937. P 68.

(29) P.L. Shinnie, Meroe a Civilization of the Sudan, pp 160-165.

(30) Oric Bates and D.Dunham, HAS, VIII, pp 71,91. pl. XXX.I.

(31) G.A.Wainwright, SNR, XXXVI, 1945, p9.

(٣٢) أحمد بن يحي البلاذرى - فتوح البلدان ١٩٣٢ صفحة ٢٣٨-٢٣٩ .

(33) G.A.Wainwright, Op. cit., p 10.

(34) D.Dunham, RCK,11, p 15, P.L.Shinnie, Op. cit., pp 160-161, Note 19 Chapter VII.

(35) G.A. Wainwright, OP. cit. p 9.

(٣٦) نفس المرجع السابق صفحة ١٣-١٧

(٣٧) نفس المرجع السابق صفحة ١٩-٣٠ .

(38) P.L. Shinnie, Op. cit., pp 163-164

(39) W.M.Flinders Petrie, Op. cit., pp 33-34.

(٤٠) نفس المصدر السابق صفحة ٣٦

(٤١) نفس المرجع السابق صفحة ٣٤ الشكل XLI,I.

(٤٢) اتين دريوتون وجاك فانديه - مصر - تعريب عباس بيومى صفحة ٣٢٤-٢٥ .

(43) S.Lloyed, Op. cit., pp 160-161, I.E.S. Edwards, Tutankhamun, pp 76-77

(44) W.M.Flinders Petrie, Op.cit., p 34, pls. 41-44, 34,79,58,61.

(45) S.Lloyed, Op. cit., p 32.

(46) W.M.Flinders Petrie, Pp.cit., P 31.

(٤٧) نفس المرجع السابق صفحة ٢٢-٢٣ K1-K15

(٤٨) نفس المرجع السابق صفحة ٢٣ K22,23,25,26.

(٤٩) نفس المرجع السابق صفحة ٢٨

(٥٠) نفس المرجع السابق صفحة ٢٩

(٥١) نفس المرجع صفحة ٢٩

(52) G.A. Reisner, Boston Museum Bulletin, X111, p 80.

(53) W.M.Flinders Petrie, Op.cit., P29, pl XXX111, 23.

(54) I.E.S. Edwards, Op.cit., pp 138-139.

(٥٥) نفس المرجع السابق صفحة ٢٣٦ .

(56) W.M.Flinders Petrie, Op.cit., p 27.

(٥٧) نفس المرجع السابق صفحة ٢٧ .

(58) I.E.S. Edwards, Op.cit., P 236.

الاختصارات الرئيسية :

- HAS: Harvard African studies
- JEA: Journal of Egyption Archaeology
- RCK: The royal Cemeteries of Kush
- SNR: Sudan Notes and Records



الحلي والملابس وأهميتها الحضارية

د. محمد صالح علي
مدير عام المتحف المصري

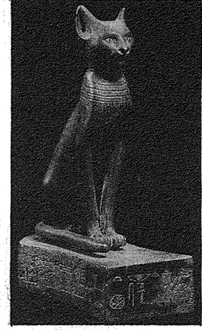
وجدت الحلى فى كل الحضارات القديمة والحديثة وكان الغرض الاساسى منها هو:

(١) التزين والزخرف ويرتديها الرجال والنساء على سواء لتدل على ثراء صاحبها وتجميل وتزيين صورته هو نفسه حيث نعرف ان العنايه بالجمال والتزيين جاءا للانسانُ فى فطرته.

(٢) الغرض السحرى او الدينى حيث اعتقد الانسان ان بعض انواع الحلى له قيمة سحرية تحتفظ وتبعد عنه الشرور بل وتوقف تأثير السحر ضده مثل التمائم وتعطى حاملها قوة وبركة وحسن طالع وحظاً سعيداً حسب عقيدته التى يعتقدها ولذلك فان الحلى لها قوة التميمه السحريه.

وقد لبس الانسان الحلى منذ عصور ما قبل التاريخ حيث عثر على خرزات أو اساور وخواتم أو دلايات ذات أشكال بسيطه مصنوعة من الحجر وملونه أو من عظم أو عاج او حتى من الطين وذلك فى مقابر العصر الحجرى الحديث فى الفيوم وفى «مرمدة بنى سلامه» وترجع الى الألف الخامس والرابع قبل الميلاد وفى حضارة البدارى عثر على اكاليل للرأس أو أحزمة للوسط مصنوعة من الجلد وفى حضارة «العمرة» ظهر القيشانى واستعمل الذهب والنحاس فى صناعة الحلى كما عثر على تمثال لسيدة تلبس خلخالا حول قدمها وكانت تماثيل الآلهة فى المعابد تلبس الحلى أيضا وذلك اثناء عمل الطقوس ونعرف ذلك من مناظر الحلى التى كانت تنقش على جدران

مناظر الحلى المختلفة مرسومة داخل تابوت داجى من عصر الاسرة الحادية عشرة (حوالى ٢٠٠٠ ق.م. . يظهر فيها الاساور والخلاخيل وعقود الصدر الدليات) (تابوت من الحجر الجيرى ومحفوظ فى المتحف المصرى صورة رقم (١)



تمثال لقطة يظهر فيها الحلى التى كانت تتحلى بها من قلادة عريضة وزخارف (التمثال من البرونز من العصر المتأخر حوالى عام ٦٠٠ ق.م) صورة (٢)

المعابد والمقابر والتوابيت وكان للحلى قوائم واسماء. (صورة١)

هناك تقليد لاهداء كبار الموظفين الحلى فى الاعياد والمناسبات وكان ذلك يحدث من شرفة التحليات بالقصر الملكى أو بالمعبد كما كان هناك حلى تهدى مثل الاوسمة والنياشين لقواد الجيش وكبار الموظفين.

هناك أيضا حلىّ يلبس بواسطة الحيوان لتزيينها وحراستها من النظرة الشريرة والحسد أو من فقدها وهناك حلى تلبس لتبارك وتحلى الحيوان مثل الكلاب والقطط والبهائم والقرود. .(صورة٢)

وتطور لبس الحلى بعد ذلك حتى اصبحت تلبس كتميمة ودخلت فيها العناصر الزخرفية التى تظهر جمال من يرتديها واستمدت الحلى موادها وأشكالها من البيئه.

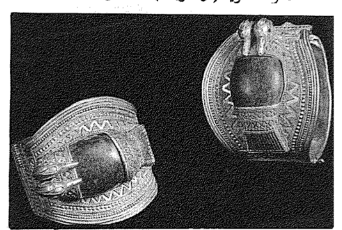
هنـاك حلى للتزين فى الحياة اليوميه وكتميمه للحراسه والحماية وكانت تصنع من الذهب وترصع باحجار نصف كريمه وتزود بمشابك أو كلبسات أو بسلك ذهب أو خيوط رفيعه.

هناك أيضا حلى للتزين والحمايه فى العالم الآخر ولها اغراض سحريه لحماية من يلبسها فى العالم الآخر وحماية جسده من كل الشرور ـ حسب زعمهم ـ وكانت تصنع من مواد غير ثمينة نوعا مثل الخشب المذهب والجص المذهب أو الحجر أو القيشانى أو حتى من الطين. . ومن الواضح انه لم يكن من المستطاع لبس هذه الحلى فى الحياه الدنيا لثقلها وسهولة كسرها ولعدم تناسبها وملاءمتها للحياه اليومية. . وكانت هذه الحلى توضع أو تثبت بخيط على الجثه وليس لها مشابك وفى بعض الأحيان يصعب تحديد نوع الحلى ان

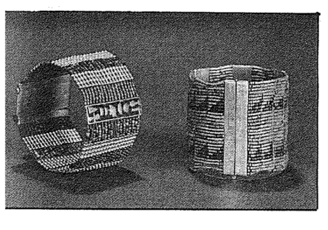
كان للاحياء أو كان للحياة الأخرى ولذلك فانه يستعان بالرسوم الموجودة على توابيت عصر الدولة الوسطى للحلى حيث ان ما رسم عليها كان بديلا عن الحلى الجنائزى الحقيقى والذى كان يرسم ليبقى أبدا ما دام التابوت باقيا أو كان يرسم خوفا من سرقة الحلى الحقيقية ان كانت موجوده بالفعل.

الاساور والخلاخيل

لبست الاساور والخلاخيل لما فيها من قوة سحرية فالاسورة تحيط بالمعصم أو تلبس على الذراع لتصنع دائرة سحرية (أو تحويطه) لها نفس القوة السحرية وكذلك الخلخال الذى يلبس عند القدم. (صورة ٣ و ٤).



زوج اساور خاص بالملك رمسيس الثانى من الذهب واللازورد حوالى عام ١٢٥٠ ق.م (صورة ٣)



زوج من الاساور للملكة اياح حتب ام احمس الاول محرر مصر من الهكسوس وهما مصنوعتان من فصوص الذهب واحجار شبه كريمة (صورة ٤)

وهذه الاساور والخلاخيل معروفة فى مصر منذ عصور ما قبل التاريخ وكانت تصنع من العظم والقرن والحجر والخشب والجلد والشعر ثم عملت خرزات منظومة فى خيوط وكانت هذه الخرازات تصنع من الاحجار أو العظم أو العاج أو من المعدن وذلك لسهولة استعمالها. . وصنعت تلك الاساور والخلاخيل بعد ذلك. . من المعدن. . . وكانت ترصع بأحجار شبه كريمة أو بالزجاج. . وكانت تستعمل فى الحياة اليومية كحلى وللحماية. . كما كانت توضع مع المتوفى فى حجرة الدفن أو كانت تصور على الجدران أو على أسطح التوابيت أو تظهر فى المناظر وقد تقلدها الشخص نفسه.

ومن أقدم الاساور التى عثر عليها فى مصر فى العصور التاريخيه أساور عثر عليها فى مقبرة الملك «جر» فى أبيدوس. (صورة ٥)

وكانت الوان مواد الحلى أو مواد تطعيمها ذات معان أيضا. . فاللون الازرق كان يمثل الحمايه من النظرة الشريرة أو العين الحاسدة - واللون الأخضر يمنح الرخاء واعادة الحياة. . وكان الجعران يصنع من القيشانى الاخضر أو الازرق أو من أحجار شبه كريمة وكان يرمز لآلهة الشمس المتجدد - الذى يعتقد



آنذاك ـ انه يولد كل يوم من جديد لكى يضمن ولادة جديدة لصاحب تميمة الجعران فى الحياة الأخرى.

وأخيرا فانه من الملاحظ أن أشكال الآلهة التى كانت تلبس كتمائم فى الصدريات أو غيرها كان يطلب منها الحماية والحراسة لمن يلبس التميمه وكانت توضع على الجسد فى الأماكن التى كانت معرضة للأخطار مثل الرقبة والرسغ ومفصل القدم والاصابع.

حلى الرأس

بدأت حلى الرأس كأكاليل من أغصان الشجر واعواد الزهور وكان هناك شرائط من القماش لربط الشعر واستعملت هذه حتى لا يتدلى الشعر أو الباروكة على الوجه أثناء العمل وكذلك للزينة.. ثم عملت بعد ذلك من المعدن «ذهب ونحاس».. كما صنعت باروكات شعر مستعار من جدائل الكتابه أو الصوف أو الشعر وزخرفت بوريدات من الذهب مطعمة بأحجار شبه كريمة أو بزجاج ملون. (صورة ٦)

حلى الأذن

لبس المصرى القديم الأقراط منذ عصر الاضمحلال الثانى (حوالى عام ١٦٥٠) ق.م وربما كان أول من لبس الاقراط من الملوك هو تحتمس الرابع «١٤١٠ ق.م» حيث ظهر ذلك من أذن موميائه.. وكانت هذه الأقراط من الذهب أو من الذهب المطعم ومن أجمل ما عثر عليه من أقراط ملكية تلك الخاصة بالملك «توت عنخ آمون» أو تلك التى تحلت بها الملكة «نفرتارى» فى مناظر مقبرتها بوادى الملكات. (صورة ٧)

حلى الأصابع

استعملت حلى الاصابع منذ عصور ما قبل التاريخ أيضا وتطورت تطورا كبيرا فى عصر الدول الحديثه ومن أحسن الأمثله على الخواتم هو ما عثر عليه فى مقبرة «توت عنخ أمون».

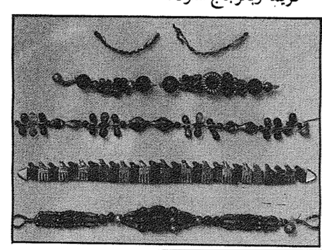
القلائد العريضة

وكانت تصنع من ثفوف متعدده من الخرز أو القيشانى ولها نهاية على شكل نصف دائرة وكانت تغطى أعلى الصدر. وهناك نوع ثان يصنع من خرزات تصف فى صفوف وفى مجموعات منفصلة كل مجموعة عن الأخرى ويفصلها عن بعضها البعض شرائط مختلفة الالوان ـ ثم هناك نوع ثالث تنتهى من الجانبين بحليه على هيئة رأس الصقر بدلا من النهاية نصف الدائرية من المعدن أو القيشانى.

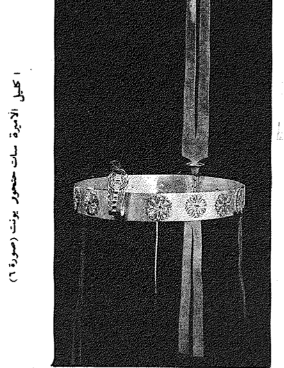
وكان هناك قلائد جنائزية تكتب على جدران المقابر أو على أوراق البردى للمتوفى يسترشد بها فى عالمه

الاخر. . وكان الفصل الخاص بالقلائد (١٥٨) يتلى كتعويذة بواسطة الكاهن أثناء وضع القلادة على الجثة وهنا يطلب الكاهن من ايزيس حماية المتوفى منذ يوم دفنه.

وهناك قلائد صنعت من ذهب رقيق مثل قلائد «توت عنخ آمون» التى كانت على هيئة الصقر حور. . أو على هيئة النسرة «نخبت». . أو على هيئه الاثنين معا لحماية الملك. . كما كان هناك قلائد من الذهب قابلة للانثناء مصنوعة من قطع صغيرة منظومة فى خيوط أو أسلاك من الذهب وكانت ترصع بأحجار شبه كريمة وبالزجاج الملون.



اقدم حلى من العصور التاريخية عثر عليها فى مقبرة الملك (جر) من عصر الاسرة الاولى حوالى ٢٩٠٠ ق.م (صورة ٥)



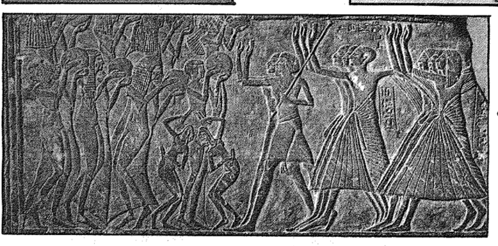
اكليل الأميرة سات حتحور يونت (صورة ٦)

الصدريات

وهى عبارة عن حلى تلبس على الصدر مربعة أو مستطيلة الشكل أو على هيئة شبه منحرف. . وكانت تعلق بواسطة خيط أو خيط منظوم به خرزات ومن أهم الصدريات تلك المعروفه من عصر الدولة الوسطى حوالى (١٩٠٠ ق.م) والمصنوعة من الذهب والمرصعة بأحجار شبه كريمة مثل حجر «الجمشت» «الاماتيست» والعقيق البنى والغلسبار واللازورد والفيروز والبللور الصخرى والاوبسيديان. . (صورة ٨) وكانت الصدريات تزخرف برموز آلهيه واسماء الملوك وتستعمل كحلى. . وبما أنها كانت تحوى رموزا إلهية فانها كانت تستعمل حسب ما يدل عليه الشكل المنقوش عليها مثل الحياة والرخاء الابدى. . ومنذ عصر الدولة الحديثة بدأنا نرى صدريات تعطى للمتوفى كتمائم تزخرف بصور الحياة الأخرى الى جانب الآلهة التى يعبدها المتوفى ويطلب حمايتها مثل «أيزيس» و«اوزيريس» و«أنوبيس واوب واوت». . وعمود الجد (الثبات). . وعقيدة «ايزيس» «للسحر». . ومركب الشمس وعليها الجعران. . وهنا كانت وظيفة الصدرية تأمين أعادة الحياة للمتوفى وتأمين مصاحبته لإله الشمس فى رحلته. (صورة ٩)

صدريات
الاميرة مررت ابنة سنوسرت الثالث وهى من الذهب والعقيق والفيروز واللازورد (صورة ٨

زوج من الاقراط؟ خاص بالملك بانجم الثانى (صورة ٧)



منظر بمثل مجموعة من الرجال فى احتفال .. لاحظ الطرز المختلفة للملابس الخاصة للرجال والنساء (صورة ٩)

الملابس

لعب المناخ المصرى المعتدل دورا كبيرا فى مادة الملبس وطرزه ـ فكان لابد لهذا الملبس أن يلائم البيئه المصرية الحارة وأن يلائم أيضا طبيعة أعمال المصريين من زراعة أو حرف . . وكانت الملابس تصنع فى الغالب الاعم من الكتان بدرجات متفاوته من الرقة أو الخشونة حسب ثراء الشخص ووظيفته ومكانته فى المجتمع .

ويعتقد أن أول ما استعمل من ملبس فى مصر القديمه كان هو ما يشبه «المئزر» الذى يلف حول الوسط ويتدلى منه شريط يستر العورة ـ كما يحتمل بأن جلد الحيوان استعمل أيضا كملبس وكذا النباتات المضفورة ولكننا نعرف أيضا ان قماش الكتان وكذا الصوف استعملا ايضا فى فترات مختلفة فى صناعة الاثواب .

ومن أهم ملابس الرجال على مر العصور كانت هى النقبة التى كانت تصنع من قطعة واحدة مستطيلة من قماش الكتان تلف حول الوسط وتنزل حتى الركبة . . وكانت اما تربط أطرافها بعقدة عند الوسط أو يلف حولها حزام يغلقه مشبك . . وهناك أنواع مختلفه من النقب للرجال: فكان منها ما هو ضيق محبوك يصل الى ما فوق الركبه . . وكان منها الفضفاض والذى ينزل أسفل الركبه .

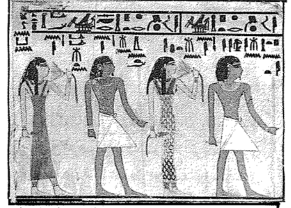
وهناك النقبة الملكية الشهيرة والتى كانت تعرف باسم «الشنديت» وكانت تزين بثنايا طولية أو عرضية . . وفى عصور أخرى زينت هذه الانواع من الاردية ببروز مدبب من أمام بل وزينت أيضا بزخارف مختلفة .

وقد غطى كبار رجال الدولة أجسامهم بلباس يشبه الجلباب أو القميص الطويل فوق النقبه وكان ذلك (صورة ١٦) من الكتان الخفيف الذى يشف عن الجسم . . وكان ذا طراز بسيط خال من الزخارف له فتحة عند الرقبه تربط بخيط وتعقد بعقدة يسهل ربطها وحلها وتنزل الأكمام حتى نصف الذراع أعلى الكوع .

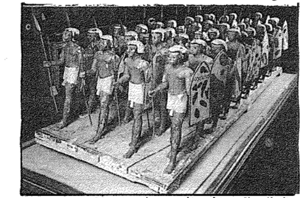
وهناك أردية طويلة كانت تغطى كل الجسم امتازت بالثنايا والزخارف والشرائط والحزام ـ وكان يلبس أسفلها النقبة القصيرة أيضا أو الطويلة الفضفاضة . (صورة ١٠)

أما ملابس النساء فكانت فى العادة عبارة عن رداء طويل محبوك ضيق يظهر مفاتن الجسم وله حمالة واحدة من أعلى أو حمالتان . . وكانت الملابس تزخرف بثنيات أو توشى بالخرز أو الزخارف المختلفة ـ وفى بعض الاحيان كان يلبس فوق هذا الرداء ما يشبه العباءة أو الشال الذى يغطى كل الجسم .

ويوجد أرديه للحفلات الدينية مثل رداء جلد الفهد الذى كان يصنع من جلد فهد حقيقى أو كان يقلد من الكتان ويلون أو يوشى .



لوح نيت بتاح وعائلته من الحجر الجيرى الملون ويظهر فيه ملابس من التى كانت معروفة (صورة ١٠)



منظر لفصيلة من الجنود المصريين يلبسون نقبا قصيره موحدة (صورة ١١)

سنجم وعـائلته فى الصف العلوى . . وحـور وايـزيس فى الصف السفلى يتضـرعـون لاوزيـر . . ارتدى اوزير رداء ابيض وصدرية كبـيرة . . وارتـدت السيـدات ثيـابـاً فضفـاضة والرجال نقباً طويلة فضفاضة (صورة ١٢)



وهناك ملابس للسيدات كانت تصنع من الكتان الذى يوشى بخرزات من القيشانى وتنظم فى أشكال تشبه الشبك أو الموج.

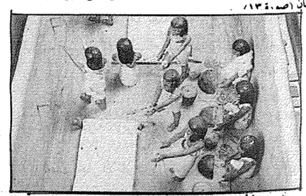
ولبست ملكات الاسرة «الثامنة عشرة» أردية طويلة فضفاضه تشبه الروب مفتوح من أمام فوق رداء شفاف أسفله.

•وكان هناك ملابس موحدة لجنود الجيش يتمثل فى نقبة قصيرة تغطى بشباك ويتدلى منها ذيل حيوان من الخلف (صورة

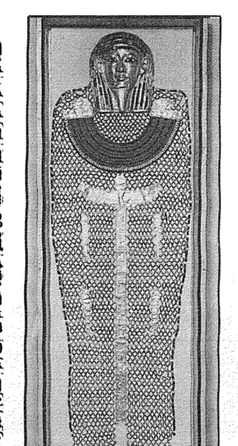
ولبس فوق الرأس المنديل الذى كان يسمى «نمس» للملوك وأغطية للرأس من الكتان تشبه الطاقية للفلاحين الذين كانوا يعملون فى الحقول وبعض الراقصات اللاتى كن يرقصن رقصا توقيعيا ـ كما لبست شعور مستعارة مختلفة الاشكال والاحجام من الشعر الحقيقى أو من الصوف أو حتى من الكتان المجدول تفاوتت فى الطول أو القصر وفى التسريحات ذات الجدائل أو المفروق من الوسط وكانت تثبت بشرائط من القماش أو أكاليل من الزهور. (صورة ١١ ١٢ ١٣ ١٤)



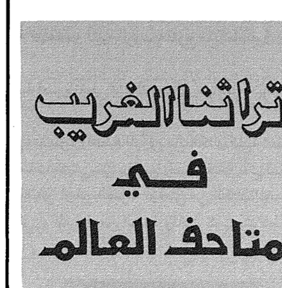
منظر يمثل بن جحوتى حتب ويظهر فيه بنات جحوتى وهن يلبسن اكاليل وصدريات وتظهر الاساور اما ملابسهن فهى محبوكة ولها حمالتان (صورة ١٣)



ودج من الخشب يمثل ورشة نسيج (صورة ١٤)



غطاء من الخرز مزركش بشرائط ذهبية كان يغطى مومياء حقا أم سا إف (من سقارة) (صورة ١٥)



تراثنا الغريب في متاحف العالم

د. عفيف البهنسي

المدير العام للآثار والمتاحف (دمشق)

تعتبر بلاد العالم الثالث من اكثر بلاد العالم عراقة ولقد كانت اثارها الرائعة نهبا للوافدين عليها ينقلونها الى مجموعاتهم او متاحفهم بعيدا عن رقابة السلطة المحلية وبموافقتها ان كانت سلطة انتداب او استعمار.

والبلاد العربية واحدة من اكثر بلاد العالم تعرضا لعمليات النهب المنظم او المتسرب.. ونحن نذكر ما فعله الوزير كلوبير عندما أوفد من يغنى المتاحف الفرنسية والمكتبة الوطنية بالاثار والوثائق العالمية ـ ثم ما فعله نابليون بونابارت بعد عودته من حملته على مصر.. فلقد نقل كميات هائلة من الاثار المصرية.. ونذكر ايضا زيارة الامبراطور غليوم الثانى عام ١٨٩٢ الى البلاد العربية ضيفا على السلطان عبد الحميد فحصل على هدايا هامة من ابرزها واجهة معبد عشتار فى العراق وواجهة قصر المشتى فى بادية الاردن.. وخلال اعمال التنقيب الاولى التى قام بها فى العراق بوتاوسارزك ثم وولى.. وفى سورية (رينان وفون او بنهايهم).. وفى مصر (شامبليون) ومن تلاه.. وفى اليمن (فيليبس).

فإن حصيلة ذلك وما نقله الهواة والرحالة يشكل شيئا فشيئا نواة لمتاحف اسلامية فى اللوفر (باريس) والمتروبوليتان ـ (نيويورك) وفى متحف فيكتوريا والبرت ـ (لندن) وقاعة فرير ـ (واشنطن) ومتحف الدولة ـ (برلين) وغير ذلك من المتاحف.

ثم لعب تجار الاثار دورا متزايدا فى عمليات نقل

الاثار بصورة غير مشروعة فى بيعها الى المتاحف مباشرة او عن طريق دور العاديات وارتفعت اسعار القطع الفنية العربية الاسلامية حتى وصل سعر مزهرية دمشقية تعود الى العصر المملوكى مليون ونصف دولار، ووصل سعر بلاطة القاشانى سبعين الف دولار. . مما شجع التجار على تداول هذه القطع وانتقالها بالتالى الى متاحف العالم.

وبالمقابل استطاع بعض الهواة العرب من امثال الشيخ ناصر الصباح وجاسم الحميضى فى الكويت وعبد الرؤوف حسن خليل فى جدة ان يقتنوا من بدائع هذه الاثار ويعيدوها الى الارض العربية لتعرض فى متاحف خاصة او فى متاحف الدولة او تبقى ضمن مجموعاتهم الخاصة.

إن من أبرز المجموعات الاثرية المنهوبة الآثار المصرية القديمة التي تعود الى عهود قديمة تمتد من ٢٨٥٠ ق.م وحتى آثار العهود المصرية البطلمية وصور الفيوم.



مشكاة زجاجية من العهد المملوكى (متحف الميتروبوليتان - نيويورك) (١)

■ بدأ الاهتمام بالآثار المصرية قبل الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون فلقد كان سلفستر دوساسى الفرنسى واكير بلاد السويدى ويونغ الانكليزى قد مضوا الى مصر وأدهشوا بآثارها وكان من نصيبهم بعض الاثار التى نقلت الى متاحف بلادهم فيما بعد ولكن حملة نابليون التى رافقها علماء ومؤرخون مثل لانج وأثريون مثل جان فرانسوا شامبليون استطاعت ان تحقق كسبا اكبر.

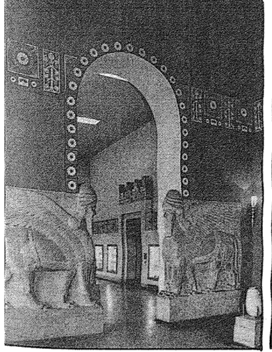
■ وترجع شهرة شامبليون لاكتشافه حجر رشيد Rosetta Stone عام ١٧٩٩ الذى عثر عليه جندى فرنسى صدفة فى موقع رشيد فى غربى فم نهر النيل - وهو يضم قرارا تكريميا لبطليموس الخامس ١٩٦ ق.م وهو احد الملوك البطالعة الذين خلفوا الاسكندر المقدونى. . ولقد كتب هذا القرار باللغات الثلاثة: اليونانية. . والديموطيقية المصرية (وهى الكتابة الشعبية المصرية). . والهيروغليفية (وهى الكتابة التصويرية المصرية). . ولقد استطاع شامبليون بمقارنته النصوص باللغات الثلاثة ان يتعرف اولا على اسم بطليموس وان يفك بالتالى رموز الهيروغليفية. . وهذا الحجر الشهير جدا محفوظ فى المتحف البريطانى فى لندن.

ولقد نقلت الى باريس كمية هائلة من الاثار فى ذلك الوقت من أهمها مسلة حتشبسوت من الدير البحرى التى تشمخ عاليا فى وسط ساحة الكونكورد وتعاقبت التحف الرائعة التى نقلت الى متحف اللوفر نذكر منها: تمثال الكاتب المصرى الذى عثر عليه فى سقارة ويعود الى الاسرة الخامسة (٢٣٧٥ ق.م) وتمثالا سيبا ونيزا ويعودان الى الاسرة الثالثة (٢٥٠٠ ق.م).. ولوحة من النحت الناتىء تعود الى مصطبة اخنحوتب فى سقارة الاسرة الخامسة.. ولوحة من النحت الغائر تعود الى الاسرة التاسعة عشرة (١٣٠٠ ق.م).

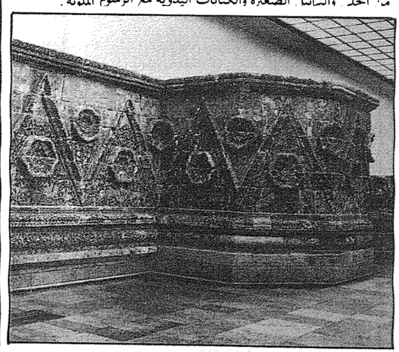
أما ضريح رمسيس الثالث المصنوع من الغرانيت الوردى (١١٧٠ ق.م) فهو من روائع محفوظات اللوفر. وثمة مجموعة كبيرة من التماثيل نذكر منها تمثال الاله حورس البرونزى.. وتمثال السيدة تومى الخشبى.. وتمثال الحسناء بدون رأس البازلتى.. ومن الرؤوس الرائعة رأس امنحوتب الثالث (١٤٠٠ ق.م) من الغرانيت الزهرى ورأس امنحوتب الرابع (اخناتون) من الحجر الجيرى (١٣٥٢ ق.م) ومن الصور الملونة البارزة التى كانت على قبر سيتى الاولى فى وادى الملوك، لوحة تمثل الإآله حاتحور.. وثمة صور على ورق البردى عثر عليها فى طيبة تمثل مشهدا جنازيا ملونا.

ومن روائع اللوفر رأس خشبى يعود الى الاسرة السابعة عشر يمثل ملكا ذا شعر من خشب الابنوس ووجه معبر حزين.

ومن الاثار المصرية المحفوظة فى متحف الدولة فى برلين الشرقية (برجامون) تمثال من الغرانيت يمثل (سينين موت) وهو محلى بكتابة هيروغليفية منقوشة ويعود الى عام (١٤٨٠ ق.م).. وتمثال الملكة حتشبسوت لعام (١٤٨٠ ق.م) من الغرانيت ايضا.. ورأس جيرى للملكة نفرتيتى (١٣٦٠ ق.م).. وصورة امنحوتب الاول (١١٦٠ ق.م).. وتمثال واقف للملكة نفرتيتى (١٣٦٠ ق.م).. [illegible] لاخناتون ومجموعة من الحلى والتماثيل الصغيرة والكتابات اليدوية مع الرسوم الملونة.



واجهة تمر الاشورى فى متحف الدولة فى برلين (٣)



واجهة قصر المشتى من بادية الاردن محفوظ فى متحف الدولة فى برلين الشرقية (٤)



وفى برلين الغربية متحف (دالم) وفيه تماثيل مصرية متنوعة من اهمها رأس زنجيه.. ولوح من النحت الغائر يمثل نفرتيتى واخناتون.. ومن اهم القطع واشهرها تمثال نفرتيتى الملون الذى نقل من تل العمارنة.. وتمثال اخناتون من تل العمارنة ايضا.

- وفى المعهد الشرقى فى شكاغو مجموعة من التماثيل المصرية من ابرزها تمثال ايزيس وابنها حوروس وتمثال آمون.
- وفى تورينو فى ايطاليا متحف خاص للاثار المصرية يحوى روائع الآثار التى تعود الى الاسرات القديمة.

أما فى متحف الميتروبوليتان فلقد اعيد بناء احد المعابد الصغيرة معبد «دنوره» الذى نقل من مصر نتيجة المشاركة فى عمليات انقاذ الاثار فى منطقة غمر السد العالى عام ١٩٦٠ واضيف الى جناح الاثار المصرية.. كما نقل الى هولندا معبد طانة ونقل الى ايطاليا معبد «الليسه».

والاثار الهامة التى نقلت من البلاد العربية الى المتاحف العالمية عدا الاثار المصرية هى الاثار الرافدية والسورية القديمة التى تعود الى العهود السومرية والاكادية والبابلية والاشورية.

ولعل القناصل الفرنسيين فى العراق مثل بوتا فى الموصل وسارزك فى البصرة كانا اول من استطاعا نقل اهم الاثار الرافدية فى نهاية القرن الماضى ـ مثل آثار نينوى وخورسباد التى نقلها الاول وآثار اور وتللو التى نقلها الثانى.. وقامت بعثة وولي فى منطقة العبيد واور وبعثة جينويللاك فى تللو.. ثم قام ارنست رينان بحفريات فى سواحل سورية. كما قام فون أوبنهايم بحفريات فى شمالى سورية وقام «بارو» بالتنقيب فى مارى (سورية).. وقام «شلومبرجية» بالتنقيب فى تدمر وقصر الحير الغربى ـ ونقلت اهم المكتشفات الى المتاحف البريطانية والفرنسية.

رأس نفرتيتى ١٣٥٠-١٣٦٠م متحف الدولة فى برلين الشرقية (برغامون) (٢)

على ان الرحالة والدبلوماسيين والمغامرين وتجار الاثار كانوا قد لعبوا دورا كبيرا فى نقل الاثار الى متاحف الغرب.

ومن روائع الآثار الرافدية فى متحف اللوفر تماثيل مارى وأور ومسله نارام سين الشهيرة الاكادية من الالف الثالث قبل الميلاد.. ومن أشهر الآثار مسلة قانون حمورابى التى تعود الى بداية الالف الثانى.. وكثيرة هى الآثار الاشورية مثل لوح اشور ناصر بال على عربته.. وتمثال الثور المجنح المأخوذ من نمرود (القرن ٩ ق.م) وتمثال العبقرية المجنحة من القرن الثامن ق.م.. وتمثال جليجامش من خورسباد القرن ٨ ق.م.

● وفى المتحف البريطانى تمثال اشور ناصر بال ولوح يمثل معسكراً ولوح الاسد الجريح . . وهى من الاثار الاشورية . . واللوح الكبير الذى يمثل اشور ناصربال يصطاد الاسود وهى لوح حجرى من النحت البارز يعود الى القرن ٩ ق . م .

■ ولعل اشهر واقدم لوحة فنية فسيفسائية ملونة تعود الى العصر السومرى فى اور (الالف الثالث ق . م) هى لوحة الراية التى تمثل محاربين فى حالة الحرب والسلم .

■ ومن الاثار الحثية السورية مسلة الإله تيشوب اله الصاعقة البازلتيه المكتشفة فى تل احمر (برسيب) . . وتمثال الاسد البرونزى من مارى (الالف الثانى ق . م) وله نظير فى متحف حلب .

ومن روائع الاثار الرافدية فى متحف الدولة فى برلين الشرقية : واجهة وجدران معبد عشتار البابلى الذى يعود الى عام (٥٨٠ ق . م) وهذه الواجهة مؤلفة من الواح رائعة من الالوان المزججة تطلى الكسوة الآجرية التى تبرز على سطحها رسوم حيوانات اسطورية واسود مع زخرفة هندسية ووردیات المرغريت . . والى جانب هذه الروائع التى اعيد بناؤها فى المتحف ـ كما اعيد ترميمها بعد اصابتها البالغة خلال الحرب العالمية ـ توجد تماثيل مختلفة تعود الى تللو واشور وتل حلف وارسلان طاس من ابرزها مسلة اسرحدون الاشورى البازلتية ٦٨٠ ق . م .

ومن العصر الكلاسى : فإن آثار تدمر انتشرت فى اكثر متاحف العالم فلقد كان الرحالة يصحبون معهم بعض الالواح البارزة التى كانت تغطى فتحات القبور الجدارية . . وفى متحف الارميتاج بعض من هذه الالـواح اضـافة الى اللوحات الضخمة الشهيرة التى تضم التعريفة الجمركية مكتوبة بالارامية . . وفى متحف كوبنهاغن روائع اللوحات التدمرية .

ان روائع القطع الاثرية العربية الاسلامية المنقولة الى الغرب لا حصر لها وهى تملأ المتاحف العالمية وبخاصة الميتروبوليتان فى واشنطن واللوفر فى باريس ومتحف دالهم فى برلين الغربية وهى تحف معدنية او خشبية او زجاجية او زخرفية عدا قطع السجاد الرائعة . . والتى تعود الى عهود مختلفة اموية وعباسية وفاطمية ومملوكية .

ومن المخطوطات يذكر غلاف مخطوط كتاب الترياق وصور الواسطى فى مخطوط مقامات الحريرى المحفوظ فى المكتبة الوطنية فى باريس ويعود الى عام ١٢٣٧ . . ومن روائع المصاحف الشريفة ما هو محفوظ فى المتحف البريطانى ونذكر من السجاد العربى المملوكى النادر الذى صنع فى القاهرة او دمشق والمحفوظ فى متحف فينا ـ كما نذكر المصابيح الزجاجية المملوكية فى المتروبوليتان والمعدنيات والخزفيات النادرة الموزعة فى جميع المتاحف .

■ ولعل من اضخم ما نقل من اثار ثابتة هو واجهة قصر المشتى التى نقلت من الشام فى نهاية القرن الماضى الى برلين الشرقية (متحف الدولة) واعيد تركيبها هناك الى جانب غرفة حلب التى تمثل اجمل زخرفة شامية داخلية من الخشب المزخرف وتعود الى عام ١٦٠٠ ق . م .

ومن الآثار العباسية الواح من سامراء تعود الى القرن التاسع ـ وثمة لوحة رخامية اسبانية من الميريا (١٠٤٤ ق . م) .



صورة الحجيج للواسطى من مخطوط مقامات الحريرى المحفوظة فى المكتبة الوطنية ـ باريس (٥)

مسلة حورابى وعليها قوانين حورابى ـ متحف اللوفر باريس (٦)

وفى متحف الايـرميتـاج فى لينينغـراد بعض القطع الاسلامية الجميلة نذكر منها: المصباح الزجاجى (منتصف القرن الرابع عشر) يعود الى العصر المملوكى وصنع فى مصر . وابريق مصرى يعود الى العصر الفاطمى (القرن الحادى عشر) وهو من الكريستال الصخرى ذو زخرفة تمثل حيوانين متقابلين بطريقة الحفر على الزجاج .

ولعل رائعة المتحف الاسلامى فى الايرميتاج هى الكوب الزجاجى المحمول على هيكل ذهبى من صنع متأخر اما الكوب فهو من صنع سورية القرن الرابع عشر وعليه رسوم ادمية وكتابات بالخط النسخى .

ويعتبر متحف الميتروبوليتان فى نيويورك واحدا من اهم المتاحف الاسلامية التى تضم قطعا عربية ثمينة من ابرزها واضخمها الفرقة الدمشقية التى نقلت من دمشق فى عام ١٩٢٠ وتعود الى بيت نظام ، القوتلى وهى ترجع الى القرن الثامن عشر.

ولعل مجموعة المتروبوليتان الزجاجية هى من ارقى ما يُفخر به . . وتعود بعض الزجاجيات الى القرن التاسع وهى من مصر . . ويعود غيرها الى سورية او مصر او العراق . . نذكر بصورة خاصة المصابيح الزجاجية والقوارير التى صنعت فى مصر او سورية فى العصر المملوكى والمحلاة بالكتابة القرآنية والزخارف الملونة مع الرنوك المملوكية .

وفى متحف فرير فى واشنطن اثار اسلامية هامة نذكر منها: المجموعة المعدنية الفنية المزخرفة التى تعود الى مصر وسورية ـ اضافة لمجموعة الحلى التى تعود الى العصر الاموى والفاطمى .

وفى متحف بيناكى فى اثينا مجموعة رائعة من التحف الاسلامية وبخاصة مجموعة الخزف الضخمة عدا الـزجاجيات والخشبيات كالباب الخشبى العراقى (تكريت القرن التاسع) والشمعدان النحاسى المزين بأروع الكتـابـات والزخارف ويعود الى الموصل ١٣١٧م والمصباح الزجاجى المصرى ويعود الى القرن الخامس عشر.

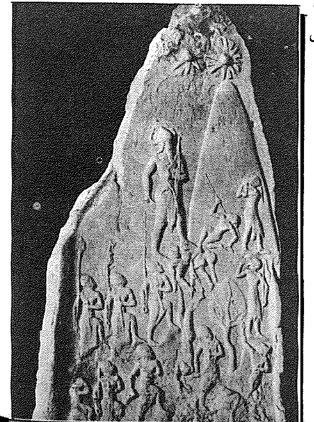
وفى متحف الدولة فى برلين الغربية فى دالهم جناح ضخم باسم متحف الحضارة الاسلامية يحوى كثيرا من القطع المنتزعة من منشآت او قطعا منقولة وهى تعود الى العالم العربى ـ ونجعل هذا المتحف مع باقى الاثار الاسلامية واحدا من اهم المتاحف الاسلامية . . وفى مكتبة شسربتى فى دبلين مجموعات من الخطوط العربية الرائعة من ابرزها مصحف بخط ابن البواب وهى الاثر الوحيد لهذا الخطاط الشهير.

وثمة مجموعات خاصة للقطع الاثرية العربية التى اقتبست بواسطة المزادات العالمية التى تجريها مؤسسات ضخمة مثل مؤسسة ثوسبى وكريستى فى لندن.

ومن اهم هذه المجمـوعات مجموعة كراوس والبارون دوميشيل ومجموعة الامير صدر الدين آغاخان فى جنيف وغيرها.

وفى متحف فيكتوريا والبرت فى لندن متحف خاص للفن العربى الاسلامى يحتل حالة مركزية تضم اثارا فنية يمتد تاريخها من القرن العاشر الميلادى وحتى القرن التاسع عشر وتتألف من مجموعات رائعة من السجاد والخطوط والخزفيات والزجاجيات والمنمنمات.

ولعل من ابرز ما يحويه هذا المتحف منبر مسجد قايتباى فى القاهرة ويعود الى القرن الخامس عشر ولقد نقل بكامله واعيد تركيبه فى العشرينات من هذا القرن.

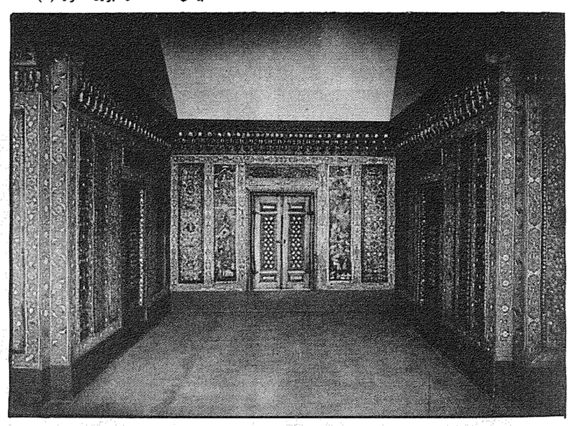


مسلة نارام سين ـ متحف اللوفر ـ باريس (٧)



وثمة كأس زجاجية انتقلت من سورية اثناء الحروب الصليبية وهى رائعة الصناعة الزجاجية السورية مزخرفة بنقوش محفورة مموهة بالذهب ومطلية بألوان زرقاء وخضراء ووردية وبيضاء وهذه الكأس هى من اهم ما يقتنيه المتحف من اثار وكان لها سمعة وشهرة واسعة فلقد كانت عام ١٨٣٤ موضوع قصيدة شعرية للشاعر لونغفيلو.

القاعة الحلبية فى متحف الدولة برلين الشرقية (٨)



ومن الاثار الاندلسية مجموعة كاملة من العاجيات والخشبيات. . من اهمها قرن عاجى محفور باشكال حيوانات وطيور غريبة يعود الى صقلية القرن الحادى عشر او الثانى عشر. . وصندوق خشبى مطعم بزخارف عاجية من قرطبة (القرن الحادى عشر الميلادى).

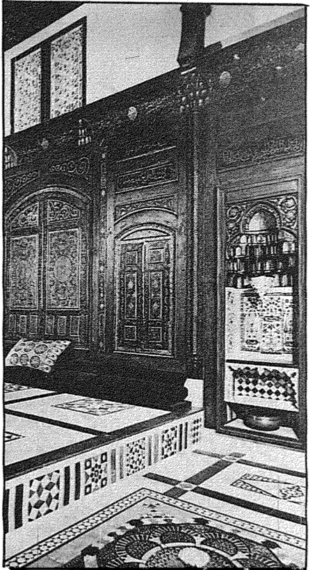
ولقد انتبهت دول العالم المنهوب تراثها فقامت بالمطالبة به عن طريق منظمة اليونسكو. . وعلى رأس هذه الدول كانت اليونان التى منيت بخسارة روائع البارثنون الرخامية للفنان فيدياس والتى نقلت الى لندن بواسطة اللورد الجين وأودعت المتحف البريطانى. . وقامت الدول العربية كغيرها بالمطالبة باسترداد اثارها من متاحف العالم مما دفع مدير عام منظمة اليونسكو ان يوجه نداء طلب فيه من الدول المضيفة للاثار المنهوبة أن تتفق مع الدول صاحبة الحق بهذه الاثار على اعادتها بصورة ودية تعبر عن ادراك لاهمية استرداد تراث الاجداد وتفهم بضرورة دعم الذاتية الثقافية لكل امة من الامم.

وكان من اولى التدابير التنفيذية المتخذة فى نطاق منظمة اليونسكو:

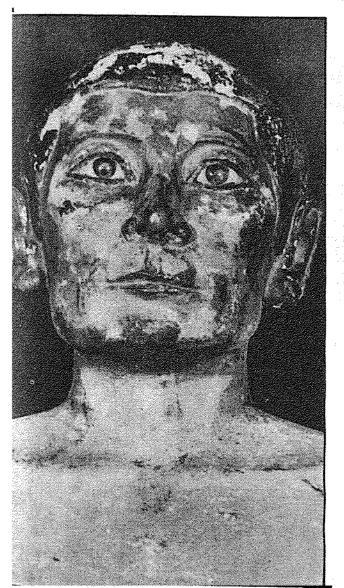
(١) العمل على منع الاتجار غير المشروع بالاثار.

(٢) انشاء لجنة لاعادة الممتلكات الثقافية.

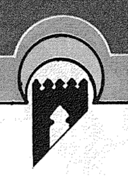
وقد وقّعت اكثر الدول الاعضاء فى منظمة اليونسكو على الاتفاقية الدولية لعام **١٩٧٠** والخاصة بالتدابير الواجب اتخاذها لحظر ومنع استيراد وتصدير ونقل ملكية الممتلكات الثقافية المنقولة بطرق غير مشروعة.



القاعة الدمشقية فى متحف الميتروبوليتان - نيويورك (٩)



رأس تمثال الكاتب المصرى (تمثال طينى) متحف اللوفر - باريس (١٠)



واكدت المنظمة فى مؤتمراتها:

(١) ان الدول الاعضاء تأخذ بعين الاعتبار ان الممتلكات الثقافية التى تكون موضوع انتقال غير مشروع لا تستطيع ان تستفيد من اى اعتبار او تساهل او اقتناء من الجهات الحكومية المعنية التى عليها ان تحترم المواثيق الدولية . . ولقد تقرر دعوة الدول الاعضاء الى اتخاذ كافة الاجراءات لمنع الاتجار غير المشروع بالممتلكات الثقافية .

(٢) وتشكلت فى منظمة اليونسكو لجنة دولية حكومية لتعزيز اعادة الممتلكات الثقافية الى بلادها الاصلية أو ردها فى حالة الاستيلاء غير المشروع . . وعقدت هذه اللجنة خمسة اجتماعات فى اماكن مختلفة كان اخرها فى دلفى فى اليونان .

ولقد ناقشت اللجنة سبل الاعادة فى عدة محاور:

(أ) تشجيع المفاوضات الثنائية لإعادة الممتلكات الثقافية او ردها .

ولقد وضعت توجيهات تتعلق بأصول طلب اعادة الممتلكات الثقافية تتضمن رأى وموقف البلدين: البلد الاصلى للأثر . . والبلد المضيف .

(ب) التعاون التقنى على الصعيد الدولى .

ولقد تقرر اعداد قوائم حصر الممتلكات الثقافية المنقولة كأداة اساسية لمعرفة الممتلكات الثقافية وحمايتها بصورة افضل وتدريب الامناء والحراس على صونها وردع عمليات الاتجار غير المشروع .

(ج) خطوات للحد من الاتجار غير المشروع .

الطلب الى الدول الاعضاء:

(١) تطبيق التشريعات المتعلقة بالحد من الاتجار غير المشروع على نحو اكثر صرامة وبصفة عاجلة .

(٢) اللجوء الى الانتروبول والمنظمات المعنية لتيسير استرداد ما يخصها من الممتلكات الثقافية المسروقة والمفقودة .

(د) اعــلام الجمهور .

القيام بانشطة اعلامية لتفهم الجمهور والاختصاصيين باهداف المجتمع الدولى الخاصة باعادة الممتلكات الثقافية .

ولقد تقرر ان تقوم منظمتا الانتروبول والايكوم بعمل مشترك لمكافحة الاتجار غير المشروع وانشاء جهاز لنشر المعلومات عن الممتلكات الثقافية المسروقة والمهربة .

ومع ذلك: فان هذه التدابير تبقى احترازية للحد من تسرب الاثار عن طريق الاستيلاء والتجارة غير المشروعة . . ولكن موضوع استرداد التراث الغريب فى متاحف العالم مازال من المواضيع الصعبة التى تحتاج الى المزيد من السعى المُلحّ .



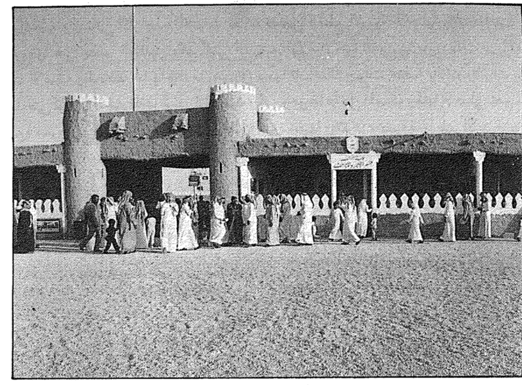
الجنادرية

تجربة للتأمل

إخصائي آثار
ابراهيم ناصر البريهي
قسم الآثار والمتاحف
جامعة الملك سعود

المملكة العربية السعودية لها تراث وتاريخ مجيدان وتقاليد وعادات أصيلة متميزة ويدل هذا التراث ـ بمناطقها المختلفة ـ على التنوع الحضارى فاتساع رقعتها وانعزال بعض اجزائها فى الماضى عن بعضها البعض بفعل الصحارى ووعورة الطرق وقلة موارد المياه وقربها من أمم مجاورة أخرى اعطى كل منطقة من مناطقها الرئيسية شخصيتها وطابعها الحضارى الخاص.

كما ان اهتمام الشعوب والامم بتراثها يدل على رقيها وثقافتها فالمملكة لها تاريخ وتراث عريق تحرص كل الحرص على احيائه والمحافظة عليه والاهتمام به وتلمس كل السبل الموصلة الى ذلك فى ظل الشريعة الاسلامية السمحاء. والحقيقة التى يجب أن نسجلها هنا أن هذا الاهتمام لم يكن وليد اليوم أو تمثل فقط فى المهرجان الوطنى للتراث والثقافة الذى ينظمه الحرس الوطنى بمنطقة الجنادرية بل منذ تأسيس دولتنا الفتية وحكامها الاوفياء يدعون للتعرف على تراث الآباء والاجداد والافتخار به والمحافظة عليه بشتى الطرق والوسائل. واخذ هذا الاهتمام يزداد يوما بعد يوم وعهداً بعد عهد، واتخذ جوانب متعددة سواء من قبل الافراد أو الجهات والمؤسسات الحكومية وحيث ان التحدث بالتفصيل عن تلك الجوانب قد يطول شرحه فانى اكتفى فقط بالايماءة بعض الشىء الى أهم النشاطات المختلفة التى سلكها بعض الافراد أو الجهات الحكومية المعنية فى السنوات الماضية وذلك على النحو التالى:



منظر عام للجنادرية

أولاً الافراد:

وجد بعض الافراد الذين لهم هوايات بجمع واقتناء كل قديم سواء من قطع أثرية أو تراثية أو مخطوطات فى علوم متعددة ودفعوا من اجل ذلك أموالا طائلة وربما رهنوا أثمن شىء عندهم ليحصلوا على هذه القطعة أو تلك رغم ظروفهم المادية المتواضعة وحاجتهم الماسة الى كل هللة منه.. كما خصصوا اماكن لهذه المقتنيات فى بيوتهم الخاصة مع أنهم بحاجة الى كل شبر فيه يدفعهم الى ذلك حبهم الشديد لتراث آبائهم واجدادهم والمحافظة عليه وايصاله الى الابناء وهو فى حالة جيدة وسليمة ليتعرفوا عليه ويواصلوا الرسالة الانسانية نحوه من بعدهم ولا استبعد أن يكون هناك نفر من المهتمين بالمتاجرة فى الموجودات القديمة من خارج المملكة أن يكونوا قد اتصلوا بهؤلاء بطريقة ما وعرضوا عليهم شراء بعض مقتنياتهم بمبالغ خيالية الا أن الاخيرين رفضوا عروضهم كل الرفض لعدم رغبتهم أن تخرج تلك المقتنيات خارج وطنها الاصلى مع أن ظروفهم المادية قاسية جدا ولم يكتف بعض هؤلاء بجمع التراث فقط بل نتيجة لوعيهم وثقافتهم وحرصهم قاموا بتسجيل كل قطعة لديهم فى سجلات خاصة بها واصدروا عنها الكتب والمؤلفات والمعاجم.. وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر منهم الشيخ عبد الله الزامل والشيخ سعد الجنيدل والسيد محمد القويعى والسيد محمد سعيد اليامى وغيرهم.

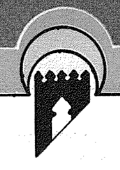
كما وجد ويوجد بعض الاشخاص الذين يتاجرون فى بعض المقتنيات التراثية ولديهم محلات تجارية فى الاسواق المحلية وان تكن اكثر هذه المقتنيات محاكاة لبعض القطع التراثية الاصلية والمتاجرة فيها داخل المملكة وبيعها على بعض الوافدين وكم أتمنى أن ينتبه هؤلاء الاخوة الذين يمارسون ذلك الى عدم بيع الموجودات الاصلية والمحافظة عليها واذا ما رغب فى بيعها فان هناك جهات مختصة بالاثار والتراث يمكنهم بيعها لها حتى لو كان الثمن المقدر ليس كما يرغب ولكن وجودها داخل المملكة وطنها الاصلى اهم واحفظ لها من غيره فخروجها عن منبعها فيه ضرر وخطورة كبيرة عليها وفقدان ومضيعة لها الى الابد فربما تكون قطعة نادرة وذات اهمية يحتاج اليها باحث فى المستقبل لوصل حلقات التاريخ بعضها ببعض بالادلة والبراهين لكتابة التاريخ الصحيح . . ونتيجة للتطور الحضارى والتقدم العلمى والثقافى فى المملكة وانتشار الوعى الاثرى والتراثى بين المواطنين فقد ازداد الاهتمام بذلك وسلك جانبا اكثر تنظيما وابداعا بطرق علمية حديثة فقد برز على هذه الساحة افراد سخروا جميع امكاناتهم المادية وجل وقتهم لانشاء المتاحف بمواصفات علمية وتم تزويدها بما تحتاج اليه من كوادر فنية واجهزة وفترينات للعرض تتلاءم مع المقتنيات المعروضة ومن اجل خدمة الاثار والتراث وتعريف الاجيال عليه مثل متحف عبد الرؤوف خليل بجدة الى جانب بعض الافراد الذين خصصوا بعض الاماكن فى بيوتهم لعرض ما لديهم من مقتنيات تراثية بدافع الهواية والتى يمكن أن نسميها متاحف صغيرة تجذب المشاهد بمحتوياتها وطريقة عرضها .

كما لاح بالافق كوكبة من فرسان العلم تسابقت من أجل خدمته وسنت لنفسها تخصصات فى التراث والادب والتاريخ وانكبت على دراسة ذلك ليل نهار طيلة سنوات ولا تزال حتى اثمرت جهودهم بتوفيق من الله سبحانه وتعالى ولمثابرتهم واخلاصهم فى العمل وامتلأت المكتبات بمؤلفاتهم القيمة بابحاثهم ودراساتهم فى هذا المجال واصبحت علمية للباحث والدارس والمثقف على حد سواء فنالوا حب وتقدير اهل العلم ومواطنيهم وحظوا بتقدير الدولة وتشجيعها لهم مثل الاستاذ حمد الجاسر والاستاذ عبد الله بن خميس والاستاذ عبد العزيز الرفاعى والاستاذ عبد الله بن ادريس والاستاذ عبد الكريم الجهيمان وغيرهم .

كما اتضح هذا الاهتمام بابراز بعض جوانب التراث والتقاليد من قبل الافراد فى المناسبات الخاصة والعامة مثل مناسبات الزواج والولائم والاعياد وحيث نشاهد بعض الاكلات والفنون الشعبية .

ثانيا المؤسسات الخيرية :

نظرا للرخاء والنماء اللذين تعيشهما المملكة فى العهد الزاهر وقوة ترابط المجتمع السعودى وتمسكه بعقيدته الاسلامية وتعاليمها فقد انتشرت المؤسسات الخيرية فى بعض مناطقها بأسلوب حضارى واجتماعى وثقافى متقدم وبالرغم من أن بعضها تنحصر مهامها الاساسية فى تقديم خدمات انسانية اجتماعية للاسر والافراد المحتاجة الى ذلك داخل المملكة وبعضا منها واجباته علمية وثقافية عالمية الا انها جميعا لم تنس واجباتها نحو المحافظة على التراث واحيائه فنجد انها اسهمت فى ذلك اسهاما فعالا وايجابيا وخصصت



جوائز كبرى للمبدعين فى تلك الاعمال الجليلة مثل الجمعيات النسائية دون استثناء ومؤسسة الملك فيصل الخيرية.

ثالثا المؤسسات والجهات الحكومية:

طبقا لتقدم الوعى الثقافى والتطور الحضارى وحاجة البلاد الى جهات متخصصة ذات صبغة علمية وثقافية تقوم بالمحافظة على الاثار والتراث اللذين تزخر بهما المملكة فى جميع جهاتها وابرازهما والكشف عنهما بالوسائل والطرق العلمية وسن القوانين المنظمة لذلك والاستفادة من جميع الامكانات التى وفرتها الدولة للقطاعات المختصة وتسخيرها لخدمة هذا الجانب الهام واللحاق بركب الدول المتقدمة التى سبقتنا فى ذلك فقد قامت بعض المؤسسات والجهات الحكومية باستحداث اقسام أو ادارات أو وحدات مختصة فيها وزودتها بجميع ما تحتاج اليه من موظفين واجهزة وغير ذلك من الاحتياجات اللازمة التى تساعدها وتسهل مهمتها فى أداء اعمالها فى خدمة الاثار والتراث على خير وجه وتحقيق الاهداف المنشودة من ذلك.. وسأكتفى بالحديث بشكل موجز عن اهم هذه القطاعات التى قامت بدور فعال فى هذه الناحية ولاتزال تواصل رسالتها نحو ذلك بكل كفاءة وجدية مع الاشارة الى أهم الاعمال التى قامت بها لابراز المجال المذكور.

جامعة الملك سعود:

عندما نريد الحديث عن الآثار والتراث فى جميع مجالاته فلا يمكن أن ننسى الدور الكبير والجهود العظيمة التى تبذلها الجامعة الام فى سبيل ذلك منذ انشائها وحتى وقتنا الحاضر وريادتها المباركة فى هذا المجال حسب أصوله العلمية وقفزها به فى زمن قياسى الى مصاف ارقى الجامعات والدول التى لها اهتمامات مماثلة فى جانب الاثار والتراث وعكست بصدق اهتمام الدولة ورعايتها له وعملت على تطويره ونشره وبثه فى المجتمع داخل المملكة وخارجها وحيث ان الكتابة عن دور الجامعة فى خدمة التراث تطول وتتشعب وتحتاج الى مجلد فانه يجدر بى ايجاز أهم ذلك فيما يلى:

١ - انشاء قسم التاريخ واستحداث فرع فيه لدراسة الآثار القديمة منها والاسلامى وكان ذلك فى العام الدراسى ٩٤/ ١٣٩٥هـ.

٢ - انشاء متحف للآثار وآخر للتراث فى عام ١٣٨٧هـ والعمل على تطويرهما حتى اصبحا من الواجهات المشرفة للبلد ويحظيان دائما بزيارة كبار الشخصيات الزائرة للدولة كما يحظيان باهتمام الباحثين والدارسين والمختصين فى هذا الحقل.

٣ - انشاء جمعية التاريخ والاثار متزامنة مع انشاء المتحف عام ١٣٨٧هـ وضمت فى عضويتها كبار العلماء والادباء

مثل حمد الجاسر وعبد الله بن خميس وقد أدت هذه الجمعية دورا بارزا فى تقدم الوعى والابحاث الاثرية .

٤ ـ اجراء التنقيبات الاثرية فى موقع الفاو منذ عام ١٣٩١هـ وموقع الربذة منذ عام ١٤٠٠هـ والكشف عن حضارتها وابراز اثارهما وتدريب الطلاب فيهما حسب التخصص.

٥ ـ انشاء قسم الاثار والمتاحف عام ١٣٩٧هـ لتزويد ادارة الاثار والمتاحف بوزارة المعارف وغيرها بالكوادر الوطنية المؤهلة والمدربة لتقوم بواجباتها المنوطة بها خير قيام والتوسع فى خدمة الاثار والتراث بما يحقق الاهداف المرجوة والمؤملة من ذلك بأسلوب علمى منظم وقد حقق هذا القسم انجازات كثيرة ومهمة فى تخصصاته المختلفة لا يزال لها الصدى الطيب فى جميع الاوساط العلمية فى الداخل والخارج بالرغم من عمره القصير.

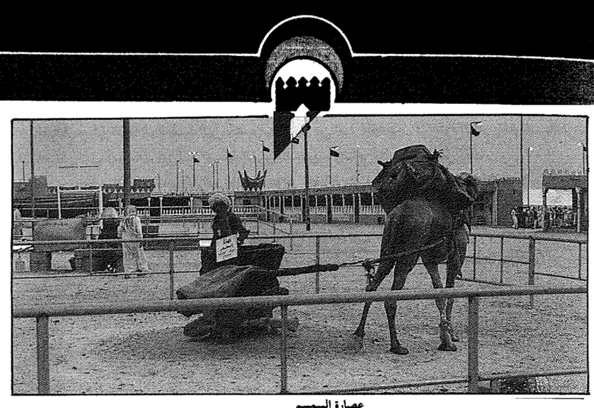
٦ ـ تخريج ورعاية كوادر وطنية مؤهلة تأهيلا علميا وثقافيا عاليا وجميعهم أسهموا اسهاما ممتازا فى اثراء المكتبات العلمية بمؤلفاتهم فى الاثار والتراث والادب ولهم مساهمات ومشاركات طيبة ومتعددة فى المجال آنف الذكر ولا تزال بصماتهم واضحة وجلية فى تقدمه وابرازه مثل عالم الاثار الجليل أ.د. عبد الرحمن بن محمد الطيب الانصارى. ود. سعد عبد العزيز الراشد وأ.د. منصور ابراهيم الحازمى، والدكتور صالح الصويان وغيرهم.

٧ ـ اصدار الكتب والابحاث والدراسات والمؤلفات والنشرات فى هذا الجانب وكذلك الافلام الوثائقية مثل كتاب آثار قرية الفاو وكتاب آثار منطقة الربذة وكتاب العلا ومدائن صالح واصدار مجلدات بأبحاث ودراسات ندوة تاريخ الجزيرة وفيلمى الفاو والربذة.

٨ ـ عقد الندوات التخصصية بغية تطوير وتنشيط الابحاث والدراسات والمحافظة على الاثار والتراث مثل ندوة تاريخ الجزيرة العربية التى تعقد كل سنتين وصدرت عنها ابحاث متعددة عن تاريخ الجزيرة موجودة الان فى متناول الباحث والدارس والمتخصص كذلك مثل ندوة التراث التى كانت تقام كل عام باشراف قسم اللغة العربية فى نفس الجامعة وشملت جميع الفنون الشعبية التى تشتهر بها مناطق المملكة بالاضافة الى فتح متحف التراث الشعبى الذى يضم أثمن المقتنيات التراثية الوطنية المختلفة وقد استمرت الجامعة باقامة هذه الندوة لعدة سنوات ثم توقفت لظروف معينة وكان يشرفها كبار المسؤولين فى المنطقة من اصحاب السمو الملكى الامراء والمعالى الوزراء وبعض المدعوين من كبار العلماء والادباء والشعراء من داخل المملكة وبعض الدول العربية والخليجية الشقيقة وفى اعتقادى أن تلك الندوة ما هى الا مهرجان مصغر يماثل مهرجان الجنادرية فى كثير من فقراته ومحتوياته ولعله يكون امتداداً لفكرة الندوة آنفة الذكر وان اختلف عنها فى أن الاخير أشمل واكثر فى الشكل والمضمون طبقا لتوسع الفكرة وتطورها وحسب الامكانات الضخمة المتوفرة.

٩ ـ اقامة المعارض الخاصة بالاثار والتراث مثل معرضى آثار قرية الفاو اللذين اقيما عامى ٩٣/ ٩٤هـ، ٩٤/ ٩٥هـ وكذلك فتح متحفى الاثار والتراث للزيارة للراغبين فى ذلك فضلا عن دعوة كبار الاساتذة المختصين فى هذا الحقل لالقاء بعض المحاضرات وتدريس بعض المواد كاساتذة زائرين وعمل لقاءات علمية مع المختصين داخل الجامعة.

١٠ ـ مشاركة الجامعة ممثلة ببعض اقسامها مثل قسم الاثار والمتاحف، قسم اللغة العربية فى بعض المعارض المقامة داخل المملكة وخارجها مثل المهرجان الوطنى للتراث والثقافة ومعرض المملكة بين الامس واليوم ومعرض اكسبو ٨٦ وغير ذلك من النشاطات والمساهمات التى يطول الحديث عنها.



عصارة السمسم

الادارة العامة للاثار والمتاحف بوزارة المعارف :

منـذ انشاء هذه الادارة لتتولى الاشراف والمحافظة على جميع الاثار التى تزخر بها المملكة فى جميع مناطقها ومحاولة ابراز معالمها التاريخية والحضارية وهى تقوم برسالتها الوطنية بخطى حثيثة وبدأت نشاطاتها تبرز اكثر بعد تزويدها بالكفاءات الوطنية المؤهلة فى تخصصات علوم الاثار والتراث المختلفة الذين لازالوا يمارسون اعمالهم الملقاة على عواتقهم بكل أقتدار واخلاص سواء أولئك الشباب الذين تخرجوا من قسم الاثار والمتاحف/ بكلية الاداب ـ جامعة الملك سعود أو اولئك الذين ارسلتهم وزارة المعارف فى بعثات خارجية للتخصص فى تلك العلوم وعادوا الى ارض الوطن بعد نيلهم درجتى الماجستير والدكتوراه من اعرق الجامعات الاوربية والامريكية فى التخصصات المعنية واسندت اليهم بعد ذلك دفة القيادة فى الادارة المذكورة، وقد وفقت تلك الادارة فى تحقيق الكثير من النجاح فى مهامها حسب ما هو مرسوم لها وفى تقديم خدمات جليلة نحو ذلك والارتقاء بمستوى المحافظة على آثارنا وتراثنا وابرازهما بالطرق العلمية الحديثة : نوجز أهمها فيما يلى :

١ - عمل مسح أثرى شامل لجميع المناطق والمواقع الاثرية فى المملكة والاستفادة من الخبرات العالمية فى الدول التى سبقتنا فى هذا المجال.

٢ - انشاء متاحف فى بعض مناطق المملكة وابرزها المتحف الوطنى بالرياض.

٣ - ترميم بعض المبانى الاثرية المنتشرة فى جميع جهات المملكة.

٤ - وضع حراسة مشددة على أهم المناطق الاثرية وتسوير تلك الاثار.

٥ - التعاون مع بعض المؤسسات العلمية بالداخل والخارج والاستفادة من خبراتها قدر الامكان.

٦ - ابتعاث عدد من منسوبى هذه الادارة لبعض الجامعات المشهورة فى مجال الاثار والمتاحف فى أوربا وامريكا للرفع من كفاءة افرادها لتقديم افضل الخدمات فى هذا الجانب الهام.

٧ - اصدار حولية الاطلال العلمية التى يكتب فيها فريق من ابرز المختصين فى علوم الاثار والمتاحف والتاريخ.
٨ - اصدار كتب ومؤلفات عن آثار المملكة العربية السعودية وانتاج افلام وثائقية عن ذلك.
٩ - اجراء تنقيبات اثرية فى بعض المواقع الاثرية - داخل المملكة مثل الجوف والدوادمى ومنطقة العلا ومدائن صالح وغيرها.
١٠ - المشاركة الفعالة فى بعض المعارض والمهرجانات داخل المملكة وخارجها مثل معرض المملكة العربية السعودية بين الامس واليوم واكسبو ٨٦ الذى اقيم فى كندا والمهرجان الوطنى للتراث والثقافة وغيرها بالاضافة الى الكثير والكثير من النشاطات التى يصعب حصرها فى هذه المجالة كما يوجد المختصين فى حقل الاثار والمتاحف فى بعض الجهات المختصة.

الرئاسة العامة لرعاية الشباب:

لقد تطور هذا الجهاز تطورا كبيرا بعد أن تولى رئاسته صاحب السمو الملكى الامير فيصل بن فهد وتقدم تقدما ملحوظا ليس فقط فى مجال الرياضة والشباب بل ايضا فى مجال خدمة التراث والفنون الشعبية لدرجة انه يندر أن لاتجد مشاركة أو مساهمة لهذا الجهاز فى أى مناسبة سواء داخل المملكة أو خارجها ورغبة من المسؤولين فيه بتقديم افضل الخدمات نحو التراث بما يتناسب مع التقدم الحضارى والثقافى اللذين تشهدهما المملكة فى عصرنا الحاضر فقد قامت بانشاء ودعم الاندية الادبية وجمعيات الثقافة والفنون فى بعض مناطق المملكة مما كان له اثره الفعال فى المحافظة على التراث وابرازه فى جميع مجالاته لا سيما ما يتعلق بالفنون الشعبية وتعريفها لشباب الوطن بأجمل صورها بصفة خاصة وشعوب العالم بصفة عامة.

امارة منطقة الرياض

كل من يرغب فى الكتابة عن دور امارة الرياض فى ابراز التراث والمحافظة عليه فانه لا شك سيقف حائرا لا يعرف من اين يبدأ ولا الى اين سينتهى فيكفى الامارة شرفا وافتخارا أن القائم عليها انسان عرف بحبه واخلاصه وتفانيه لتراثه والالتصاق به الى ابعد الحدود ويندر جدا أن تقام مناسبة لهذا الخصوص ولا نرى هذا الانسان أول الحاضرين فيها فهو بمفرده يمثل اهتمام جميع قطاعات الدولة وتجسيد ذلك بأسمى المعانى والصور ألا وهو صاحب السمو الملكى الامير سلمان بن عبد العزيز حفظه الله فمهما تحدثت فى هذه المقالة عن دور الامارة ممثلة فى سموه فانى لن أوفيها حقها ولعل فكرة معرض الرياض بين الامس واليوم الذى (سمى فيما بعد بأمر خادم الحرمين الشريفين معرض المملكة العربية السعودية بين الأمس واليوم) الذى اعطى الصورة الحسنة عن واقع المملكة فى قديمها وحديثها ولاقى نجاحا منقطع النظير فى البلدان العالمية التى اقيم فيها) انبثقت من فكر سموه الكريم وحققت نجاحات بفضل الله ثم بدعمه ومتابعته وتذليل كل عقبة اعترضت له وتوجيهاته المستمرة للقائمين عليه ببذل اقصى الجهود فى سبيل ذلك فى ظل توجيهات خادم الحرمين الشريفين وسمو ولى عهده الأمين.



امانة مدينة الرياض

حرصت الامانة ممثلة بمعالى أمينها الاستاذ عبد الله النعيم على المحافظة على التراث الشعبى لمنطقة الرياض وتجلى ذلك فى بعض اعمالها ونشاطاتها ومن أهمها ما يلى :

١ ـ العمل على اظهار طابع التراث فى المبانى الحديثة سواء تلك المبانى الخاصة للافراد أو للجهات الحكومية لتكون السمة المميزة لمدينة الرياض والربط بين القديم والحديث فى ذلك.

٢ ـ التشجيع على استمرار الحرف القديمة وتذليل العقبات التى تعترض طريقها وتخصيص اماكن خاصة لتسويقها.

٣ ـ انشاء ادارة للمعارض لتتولى ابراز جهود الامانة فى جميع المناسبات وخاصة المتعلقة بالتراث فى مجالاته المختلفة.

٤ ـ المساهمة مع الجهات المختصة بالمحافظة على المبانى القديمة والتى تحكى عن تاريخ وتراث مدينة الرياض.

٥ ـ مشاركتها ومساهمتها مع امارة منطقة الرياض فى ابراز واقع المملكة فى الماضى والحاضر بأسلوب علمى وحضارى حديثين وذلك فى معرض المملكة العربية السعودية بين الامس واليوم الذى لازالت الدعوات تنهال للقائمين عليه من جميع انحاء العالم لاقامته فى دولهم نتيجة للنجاح الكبير الذى لاقاه اثناء عرضه فى بعض الدول الاوربية.

بقية أجهزة الدولة

بدأت معظم قطاعات الدولة تهتم بالتراث حسب تخصصها واعمالها فالماضى هو الركيزة والقاعدة الصلبة التى يسير عليها الحاضر بجميع معطياته فعلى سبيل المثال لا الحصر الحرس الوطنى ـ وزارة الاعلام ـ الهيئة السعودية للمواصفات والمقاييس، الجامعات الاخرى، وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، ديوان الخدمة المدنية وغيرهم، ولا شك انه كما اسلفت لو أردت التحدث عن دور كل قطاع من هؤلاء فانى سأخرج كثيرا عن الهدف من كتابة هذه المقالة ولكنى أحببت أن اذكر بعض الشىء عن اهتمامات الدولة والافراد قدر المستطاع قبل الدخول فى الكتابة عن المهرجان الوطنى للتراث والثقافة لاعطاء القارىء الكريم فكرة مبسطة عن ذلك مع اعتذارى الشديد اذا ما حصل نقص وتقصير فى المعلومات التى أوجزتها عن كل ما ذكر بهذا الصدد.

كانت الدولة ممثلة فى اجهزتها المختصة تسعى دائما وابدا الى زيادة الوعى فى جميع المجالات بين المواطنين والمقيمين لمساعدتها فى تنفيذ خططها التنموية المختلفة بأسلوب عصرى حديث يتلاءم مع شريعتنا الاسلامية للحاق بركب الدول المتقدمة ويتجلى ذلك فى مشاركتها وتخصيصها مناسبات متعددة مثل اسبوع

الشجرة واسبوع المرور ويوم الصحة العالمى ومكافحة الامية وغيرها لتذكير الناس بأهمية ذلك واتباع الارشادات التى تنفعهم وتحافظ على سلامتهم وصحتهم وتظهر مدينتهم ومنازلهم جميلة وانيقة فانها أيدها الله قد شملت التراث برعايتها واعطائه الاهمية الكبرى وتخصيص مناسبة خاصه به واعطائه حيزاً زمنيا اكثر من أى مناسبة اخرى متمثلا ذلك فى المهرجان الوطنى للتراث والثقافة الذى ينظمه الحرس الوطنى فى منطقة الجنادرية كل عام فى وقت محدد حيث تتضافر كل الجهود لابراز هذا الواجب الوطنى والانسانى فى احياء تراث الاباء والاجداد بكل السبل المتاحة فى عصرنا الحاضر الذى بدأ الناس فيه يتناسون الماضى ويسرق البابهم بريق ولمعان الحضارة الحديثة بجميع مافيها من تقدم ورفاهية فالاحتفال فى هذه المناسبة ما هو الا تذكير للابناء والاحفاد وربطهم بماضيهم العريق ليسيروا فى طريق حاضرهم ومستقبلهم بتوازن وثبات.

انْ الميزة التى ينفرد بها المهرجان المذكور تتمثل فى انه يجمع معظم فنون وتراث مناطق المملكة فى مكان واحد وفى وقت معلوم يسهل على المواطن والوافد التعرف على جميع تراث البلاد دون الحاجة الى زيارة كل منطقة على حدة وكأنه فى داخل مقر المهرجان يتجول على مناطقها المتعددة فى يسر وسهولة وهذا أيضا يشجع الراغبين بزيارته الى اغتنام الفرصة والحضور اليه والميزة الاخرى التى يتحلى بها المهرجان ويُتَوَّج بها هى تشريف خادم الحرمين الشريفين وسمو ولى عهده الامين له ورعايته فى كل عام ومتابعتها الشخصية والمستمرة لفعالياته وحثها المخلص للقائمين عليه بتطويره واظهاره بما يتلاءم مع الحدث والهدف وهذا ايضا يجسد الاهتمام الكبير للدولة باحياء التراث والمحافظة عليه فاذا كان معرض المملكة بين الامس واليوم سفيرنا للخارج فان المهرجان الوطنى للتراث والثقافة هو المرآة الكبرى التى يرى بها المواطن نفسه فى اصالته وعراقته واعماق جذوره الموغلة فى التاريخ فكل قطعة فيه تحكى عن قصة وحضارة عظيمتين والذى يزيد فى جماله وروعته أن معظم الافراد المهتمين بالتراث والذين لازالوا يمارسون صناعة الحرف اليدوية القديمة المختلفة فى معظم مناطق المملكة يشاركون فيه بحيث اكتملت الصورة عن الامس القريب والبعيد الامر الذى يشعر منه الزائر عند دخوله مقر المهرجان انه انقطع عن الحاضر بوسائله الحديثة وعاش مع الماضى ببساطته واصالته.

الميزة الثالثة هى فى اختيار الموقع فمنطقة الجنادرية التى تقع شرق مدينة الرياض وتبعد عنها حوالى ٨٠ كم معروفة منذ القدم لأغلب سكان العاصمة والمترددين عليها وذلك من قبل تشييد مقر المهرجان فيها أو تخصيصها لاقامة سباق الهجن السنوى فهذه المنطقة كانت ولازالت المتنفس لاكثر هؤلاء السكان لطيب رياضها ووفرة عشبها بعد سقوط الامطار وحلو رمالها المتناثرة فى بعض اجزائها ونقاء هوائها مما جعل عشاق الصحراء ومحبى الربيع يرتادونها باستمرار ويقضون فيها احلى اوقاتهم.

كما ان التطور الحضارى الذى تعيشه المملكة فى كافة المجالات فى عهد الخير والنماء ربط معظم مناطق المملكة مع بعضها فى خطوط حديثة معبدة سريعة ومزودة بالجسور والانفاق التى تسهل انتظام حركة المرور بالاضافة الى توفر المواصلات وكل ذلك جعل الوصول الى هذه المنطقة ممكنا بكل يسر وراحة الى جانب

بعدها عن ازدحام المدينة ومبانيها وهو ما مكن القائمين على تنفيذ فكرة هذا المهرجان من اختيار المكان المناسب له وتشييد مقره فيها بطراز معماري شعبي يتمشى مع الفكرة وينسجم معها كل الانسجام فهذا المقر يشهد تطورا واضافات طبقا لتطور الفكرة والتوسع فيها حتى اصبح بشكله الحالي . . **ومن اهم هذه الاضافات ما يلي :**

١ ـ *توسعة السوق الشعبي بمساحة قدرها ٢٠٠٠ متر مربع من اجل استيعاب اكبر عدد ممكن من المعارض حيث اصبح بشكله الحالي يضم ٥٧ دكانا من الجهة الشمالية فيه وزعت على أصحاب الحرف القديمة من جميع مناطق المملكة كما أن القسم الجنوبي منه يضم ١٨ معرضا وزعت على بعض الجهات والمؤسسات الحكومية المشاركة بالاضافة الى بعض الفنانين التشكيليين وغيرهم .*

٢ ـ *انشاء صالة ثقافية بمساحة قدرها ٢٠٠٠ متر مربع تسع حوالى ٢٥٠٠ شخص شكلها الخارجي مأخوذ من التراث المعماري الشعبي بينما شكلها الداخلي بالاساليب المعمارية الحديثة بالاضافة الى شيء من التراث مثل تغطية السقوف من الداخل بقماش خام كما كان يستخدم في مدينة الرياض في الزمن الماضي .*

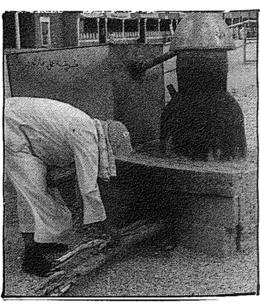
٣ ـ *اقامة مراكز لتوزيع الصحف والمجلات والكتب في اماكن مختلفة بالموقع .*

٤ ـ *انشاء مطعم يقدم فيه بعض الاكلات الشعبية من مختلف المناطق وذلك بالتعاون مع احدى المؤسسات الوطنية .*

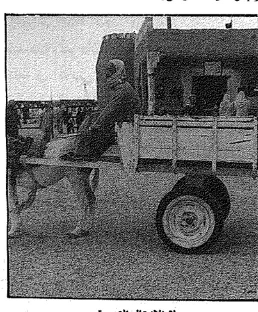
٥ ـ *بناء مسجد ودورات مياه وعمل مواقف للسيارات وغير ذلك من التعديلات الاخرى .*

٦ ـ *تزيين ساحة السوق بالوان تراثية مثل بيت شعر به عازف ربابة وعربات تجرها الحيوانات وبائع اغنام واطفال يلعبون بالدنانة وتخصيص اماكن لصانع الفخار ومطاحن الرحى وبعض الجمال المحملة بالحطب .*

واما في خارج السوق فهناك المزرعة القديمة والسواني والدياسة والمورد .



طريقة عمل ماء الورد



وسيلة الانتقال القديمة

لقد جاءت هذه الفكرة فى وقتها المناسب حيث بدأ الناس يودعون الماضى ويقبلون على الحاضر الذى توفرت فيه من نعم العيش والتقدم العلمى الشىء الكثير فى جميع نواحى الحياة العصرية ويتسابقون فيه باقتناء كل وسائل الراحة والرفاهية ومحاولة البعض التخلص من بقايا الماضى .

لقد تطورت هذه الفكرة من سباق للهجن الى مهرجان سنوى شامل للعراقة والاصالة المنبعثة من اعماق الماضى السحيق الذى يفوح عطره بعظمة الاجداد والاباء ليعانق به الحاضر المشرق بالحب والوفاء والافتخار فالماضى هو الاساس المتين الذى يسير عليه الحاضر فى انطلاقته الكبيرة المباركة .

لقد جرت العادة أن يقام سباق للهجن العربية فى كل عام يشرفه خادم الحرمين الشريفين واستمر على ذلك ما يقارب العشر سنوات وبتوجيهات سامية من الملك فهد وسمو ولى عهده الامين حفظهما الله بتحويل هذا السباق الى مهرجانٍ للتراث والثقافة وتسخير كل الامكانات المتاحة لابراز ذلك بالصورة المطلوبة وحسبما هو مرسوم لها فنفذت التوجيهات الكريمة وتكونت لجنة عليا منظمة برئاسة صاحب السمو الملكى الامير بدر بن عبد العزيز نائب رئيس الحرس الوطنى وتتكون هذه اللجنة من عدة لجان أهمها :

١ ـ *اللجنة العامة للاعداد والتحضير.*

٢ ـ *لجنة التنظيم والاستقبال .*

٣ ـ *اللجنة الاعلامية الفنية المالية .*

وبدأت هذه اللجان تعمل ليل نهار ورسمت لوحة رائعة يتعانق فيها ميراث الاجداد وحضارة الاحفاد ورتب لهذا اللقاء المنتظر حفل بهيج وعرس كبير توجّه وشرفه خادم الحرمين الشريفين وسمو ولى عهده الأمين بتاريخ ١٤٠٥/٧/٢هـ وبالرغم من حداثة التجربة فقد نجح المهرجان الاول نجاحا عظيما وتدفقت عليه الجماهير من ابناء الوطن والوافدين بغزارة ولهفة ، الامر الذى نتج عنه صدور أوامر الملك فهد ايده الله بتمديد مدة المهرجان الى اسبوعين بدلا من اسبوع واحد ليتمكن هؤلاء من التعرف اكثر على وسائل حياتنا المختلفة فى الماضى والاستفادة من البرامج الثقافية المتعددة من محاضرات وندوات ومساجلات وجلسات شعرية فصيحة ونبطية كما اصدر أمره الكريم ببناء قرية شعبية متكاملة للتراث على الطراز الشعبى فى ضوء التقاليد العربية الاصيلة والقيم الاسلامية العريقة على أن يتولى الاشراف عليها صاحب السمو الملكى الامير عبد الله بن عبد العزيز ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطنى .

ونتيجة للاقبال الجماهيرى الكبير والرغبة الجامحة لديهم فقد تمت مواصلة المشوار بروح عالية ونشاط متجدد واضفاء ثوب جديد على المهرجان الذى تلاه فنجحت التجربة مرة أخرى فى المهرجان الثانى الذى افتتح بتاريخ ١٤٠٦/٧/٢هـ واستمر لمدة اسبوعين وخصصت فيه أيام للنساء وازدحم السوق الشعبى بمعارض المقتنيات واصحاب الحرف القديمة وعرضت فيه جوانب أخرى من الحياة الماضية كمدرسة الكتاتيب والزفة الى جانب معرض عن الفنون التشكيلية ورسوم الاطفال ومعارض هواة جمع الطوابع كما احتوى على



العديد من البرامج الثقافية والفنون الشعبية والادبية وامتلأت ارض المهرجان بجموع الزوار طوال الايام المحددة له ومتابعة معروضاته وبرامجه حتى ساعات متأخرة من الليل وهو ما دفع المسؤولين فى هذا المنتدى الكبير الى الارتقاء بفعالياته الى الافضل فجاء المهرجان الوطنى الثالث للتراث والثقافة عظيما فى معروضاته بديعا فى برامجه متناسقا فى معطياته واسعا فى حجمه شاملا فى تراثه وفنونه وفكرته حيث افتتح بتاريخ ١٤٠٧/٧/١٨هـ وشرفه سمو ولى العهد نيابة عن خادم الحرمين الشريفين وما ان فتحت ابوابه للزيارة حتى انطلقت الجماهير الزائرة والمنتظرة بشغف وشوق عظيمين الى داخل السوق الشعبى وكأنها سيل جارف فامتزجت انفاسهم بأنفاس ماضيهم المجيد وشاهدت عن كثب كل ما هو معروف فيه وسمعت وتمتعت بالفنون الشعبية واستفادت من المناقشات التى دارت عن موضوع مهم جدا وهو الموروث الشعبى فى العالم العربى وعلاقته بالابداع الشعبى والفكرى والتى دعى لها العديد من الاساتذة المتخصصين والادباء والمفكرين ولقد كانت هذه الندوة السمة البارزة والعلامة المميزة للمهرجان الثالث.. ووزعت فيه الكثير من المؤلفات والكتب الخاصة بهذه المناسبة كما كانت ايضا هناك برامج حافلة للنساء فى الايام المحددة لزيارتهن، كما حظيت أيضا بمشاركة بعض دول مجلس التعاون الخليجى لتجانس التراث بينهم وليجسد معنى التعاون الخليجى القائم بين دولها وليمتزج التراث فى هذه الاقطار مع بعضه البعض فى بوتقة المصير المشترك..

كانت المناسبات الثلاث عرسا تراثيا وتظاهرة جمعت شمل البيت الواحد والاسرة الواحدة واعادت للاذهان اسواق العرب التى قامت على ارض الجزيرة العربية المعطاء.. فهذا المهرجان ما هو الا واحد منها حيث دُعِيَ فى كل مناسبة من تلك المناسبات اخوة لنا من الاقطار العربية والخليجية الشقيقة من كبار المسؤولين فيها أو من ابرز ادبائها وعلمائها وشخصياتها ليمتزج الدم العربى مع بعضه البعض وليكون اولى الخطوات الخيرة نحو التضامن والتكاشف العربى فتراثنا واحد وان اختلف فى الشكل ولكنه متجانس المضمون وجذوره ثابتة لا تغيرها الازمان ولا الاهواء مهما كانت المحاولات المغرضة.

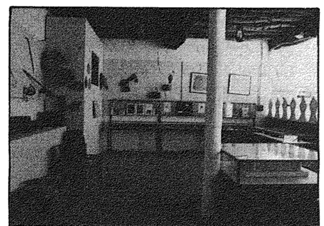
ومن اهم اهداف المهرجان الوطنى للتراث والثقافة تتجلى فى الآتى:

١ - التأكيد على أهمية التراث والعمل بكل جهد على احيائه بشتى الوسائل والتصدى للمحاولات التى تستهدف التقليل من شأنه.

٢ - تطوير سباق الهجن والتوسع فيه بحيث يغطى المهرجان الجوانب الثقافية والفنية باعتبار الثقافة هى المدخل الى الحضارة.. والفنون هى التعبير الواقعى الملموس عن المظاهر الرئيسية لها.

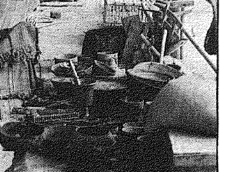
٣ - اظهار الوجه الحضارى المشرق للمملكة من خلال التعريف بأوجه النشاطات الثقافية والفنية المختلفة المتوفرة فى المملكة وابراز دور كل منها وخاصة تلك التى تستمد مادتها من التراث حيث انها توضح جهود اسلافنا فى شتى ميادين المعرفة والانجازات الضخمة التى حققوها.. وتربط حاضر هذه الامة العريقة بماضيها المجيد.

٤ ـ ابراز رسالة الادب والشعر الشعبي واشراك فرق الفنون الشعبية من مختلف مناطق المملكة لتعبر برقصاتها الشعبية المختارة من صميم البيئة وتسليط الضوء على دور الفن التشكيلي والشعبي في الحفاظ على الثقافة وصياغتها وباعتبارها وسيلة من وسائل التسجيل والتوثيق التاريخي.



بعض صالات العرض للاثار والتراث في الجنادرية



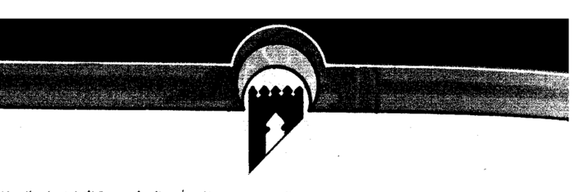


السوق الشعبي

٥ ـ اتاحة الفرصة امام الشباب لزيادة معلوماتهم عن تراثهم الشعبي كتربة خصبة لشتى المجالات الثقافية والفنية مع القاء الضوء على أثر التراث في هذه المجالات من خلال فقرات مختارة للمهرجان روعي فيها:

« ابراز رسالة الادب العربي والشعر الشعبي واهدافها في مضمار الحياة من خلال الندوات الادبية والامسيات الشعرية والمحاورة».

٦ ـ استعراض بعض جوانب التراث والثقافة في المجالات المختلفة من خلال معارض للصحف والدوريات ـ للصور الاعلامية ـ لرسوم الاطفال ـ للآثار ـ للكتاب ـ للصناعات التقليدية والحرف ـ للازياء والحلي ـ لصور الفروسية والهجن ـ لصور الصيد والرياضة اضافة الى اشراك الفنون الشعبية من مختلف مناطق المملكة لتعبر عن رقصاتها الشعبية المختارة من صميم البيئة والاهتمام وتسليط الضوء على الفن التشكيلي في الحفاظ على الثقافة باعتبارها وسيلة من وسائل التسجيل التاريخي والحقيقة انه اذا ما انشئت القرية الشعبية وتكامل بناؤها فانها ستكون



متحفا وطنيا كبيرا وعملاقا يضم جميع تراث مناطق المملكة وستساهم باذن الله تعالى فى خدمة التراث واحيائه ونشره فى المجتمع بأسلوب علمي وثقافي يعكس ما وصلت اليه المملكة من تطور وتقدم فى هذا المجال كما ستكون معهدا راقيا ومركزا علميا وثقافيا وملتقى فكريا يستفيد منه الباحث والدارس على حد سواء وواجهة حضارية مشرفة لبلدنا المعطاء ومقصدا لزيارة كبار الشخصيات الزائرة للدولة والمهتمين بالتراث الى جانب ذلك فانها ستوفر الجهد والوقت والمال حيث ستصبح مقرا دائما متكاملا والذى ارجوه استمرار فعالياتها على مدار السنة .

اتمنى من ابناء جلدتى الاستفادة من هذه المناسبة ومثيلاتها وأن لا تكون زيارتهم لمقر المهرجان لمجرد النزهة والتسلية أو المحاكاة فقط بل لابد من الاستشعار بعظمتهم وصمودهم امام ظروف الحياة القاسية والنهج على منهجهم الصالح والمتفق مع ديننا الحنيف والافتخار بما وصل الينا من ابداعاتهم وفنونهم والعمل على تعريفها وتقريبها لابنائنا واحفادنا والمحافظة على ذلك كما نحافظ على انفسنا . وقبل انهاء هذه المقالة فانه يسرنى أن اساهم ببعض الاقتراحات آملا أن تكون مفيدة وبناءة **وهذه الاقتراحات هى :**

١ - حبذا لو تم اقامة معاهد مهنية لتعليم صناعات الحرف القديمة المختلفة واذا تعذر ذلك يمكن تخصيص اقسام لذلك فى المعاهد المهنية الحالية المتناثرة فى بعض مناطق المملكة حتى لا تنقرض تلك الصناعات وتختفى بعد رحيل الآباء والاجداد الذين لا يزالون يمارسونها ومحاولة الاستفادة من هؤلاء بالاشراف على تدريب الابناء فى تلك المعاهد أو الاقسام .

٢ - يفضل تمديد مدة المهرجان اكثر من المدة الحالية بحيث لا تقل عن شهر لاتاحة الفرصة اكثر أمام الراغبين بزيارته للتعرف على محتوياته ومعروضاته المختلفة وفتح ابوابه للزائرين والزائرات فى ساعات مبكرة من صباح أيام الخميس والجمع التى تدخل ضمن المدة المحددة للمهرجان .

٣ - العمل على تنظيم زيارات شبه اجبارية لمقر المهرجان لطلاب المدارس والمعاهد الحكومية والخاصة لجميع المراحل التعليمية وتكليف هؤلاء بالكتابة عن أشياء معينة من نشاطات المهرجان يحددها المسؤولون عنهم . وهذه الفئة تكاد تكون اهم فئات المجتمع التى ينبغى تعريفها واطلاعها على تراث الاباء والاجداد وحبذا لو تم ايضا تخصيص مواد مستقلة كتدريس التراث وادخال بعض الالعاب الشعبية ضمن النشاطات الرياضية .

٤ - محاولة التنسيق مع الجهات المختصة بالعمل على عدم السماح بخروج تراثنا النادر عن نطاق المملكة حيث انه لوحظ أن هناك اقبالا متزايدا من الاجانب على شراء ذلك ونقله الى ديارهم والاستمرار فى ذلك سيكون له خطورته على مستقبل التراث وضياعه أو تشويهه .

٥ - الاستفادة اكثر من الجهات المتخصصة فى مجال الآثار والمتاحف والتراث والتى لعبت فى هذا المجال دورا بارزا واشراك المختصين البارزين فيها بشكل رئيسى لتحقيق الفائدة المرجوة من هذا العمل .

٦ - أن تكون التغطية الاعلامية مركزة اكثر وشاملة لجميع محتويات المهرجان دون استثناء لابرازها للجماهير التى لم تتمكن من الحضور لوجودها فى مناطق أخرى من المملكة أو لاسباب معينة لاسيما فيما يتعلق بالتراث .



الآثار في الشعر العربي بين القديم والحديث

د. محمد أحمد حمدون

كلية البنات - جدة

ليس من الصعب أن «ندرك» كيف نشأ موضوع الآثار فى الشعر العربى. لكن الصعب حقا هو أن «نحدد» بداية هذا الموضوع حيث تنشأ الموضوعات الأدبية أحيانا وتتولد من بعضها البعض عبر فترات زمنية تتباعد أو تتقارب تبعا لعوامل مختلفة.

والذى لا ريب فيه أن موضوع «الآثار» تولّد عن موضوع «الأطلال». واستمر محتفظا ببعض سمات وخصائص ذلك الموضوع القديم قدم ما وصل إلينا من شعر جاهلى مع تغيرات طارئة أملتها الظروف التى دفعت الى نشأته فى العصر العباسى، وأخرى أملتها ظروف العصر الحاضر جعلته موضوعاً حيويا فى شعرنا العربى منذ مطلع القرن العشرين الميلادى.

وربما كانت التفرقة المعجمية بين «الأطلال» و«الآثار» غير كافية فى تحديد ما نهدف إليه من ربط - ثم فصل - بين الموضوعين، إذ الطّلل والجمع «أطلال» أو «طلول» - «ما شخص من آثار الديار» وهو يختلف قليلا عن الرسم - والجمع رسوم - إذ «الرسم ما كان لاصقا بالأرض» ولا يختلف الأثر - والجمع «آثار وأُثور» - عن الطلل والرسم معاً، إذ هو «بقية الشىء» أو «مابقى من رسم الشىء»(1). وربما تضمنت الآثار أيضا معنى «الأعلام» أو«الأخبار»(2) قال تعالى: ﴿إنا نحنُ نُحيِي الموتَى ونَكْتُبُ ما قدَّمُوا وآثارَهُم﴾ (يس: 12)(3). وكثرت فى الشعر الجاهلى استخدامات الطلل والرسم والدّمن وما شاكلها للدلالة على ما بقى من آثار القوم بينما ندر استعمال كلمة «الأثر» فى هذا المعنى، فنجدها - فى الغالب - بمعنى الذِّكْر أو «الخبر»، كما فى قصيدة أبى دُوَاد الإيادىّ (جارية بن الحاج) فى حديثه عن مفارقة ذويه:

فعلى إثْرِهِم تساقطُ نفسى حسراتٍ وذكرُهُم لى سَقَام(٤)

وقد صاحبتْ تلك الكثرة فى استخدامات «الأطلال» فى الشعر الجاهلى ظواهر فنية وفكرية عديدة كانت ولازالت حريَّة ـ فى تقديرنا ـ بوقفة أعمق من تلك التى اعتبرتها مجرد «مقدمات» لمقطع المدح فى القصيدة، أو مجرد جزء من أجزاء مبعثرة يجب تلاحمها وتلاؤمها على أساس من «عمود الشعر».

من غايتنا ولا هو موضوعنا على كل حال أن نبحث عن تلك الظواهر الفنية والفكرية وأبعادها وصلاتها فى النصوص القديمة.. ويكفينا أن نشير منها الى عدة عناصر استمرت وكانت ذات تأثير جوهرى فى تشكيل موضوع ـ أو قصيدة ـ الأثار فيما بعد، وهذه العناصر هى:

١ ـ الاحساس العميق بحركة الزمن.
٢ ـ التقابل الواضح بين الحركة والجمود المتمثلين فى التغير المكانى.
٣ ـ البكاء الناجم عن تفاعل هذين العنصرين فى نفس الشاعر.

وحسبنا أن نقرأ الأبيات التالية لضابىء بن الحارث البرجمى فنرى قوة ووضوح هذه العناصر الثلاثة دون تعمُّل:

غشيتُ لليلى رسمَ دار ومنزلا
أبى باللوى فالنَّيرِ أن يتحوَّلا
تكاد مغانيها تقول من البلى
لسائلها عن أهلها: «لا تغيلا»
وقفت بها، لاقاضيا لى حاجة
ولا أن تُبين الدارُ شيئاً فأسألا
سوى أننى قد قلت ياليت أهلها
بها! والمنى كانت أضل وأجهلا
بكيت وما يبكيك من رسم دمنة
مُبنًّا حمامٌ بينها متظلّلا
عهدتُ بها الحىَّ الجميعَ فأصبحوا
أتَوْا داعيا لله عَمَّ وخلّلا(٥)

(لا تَغَيَّلا = لا تتغيل أى لا تدخل. مُبنًّا = مقيما).

ولا نظن أن تلك العناصر فى الأطلال وما تمثله من حيوية فى الشعر كانت غائبة عن وجدان الشاعر العباسى الذى ثار عليها ولكن المؤكد أنه لم يستغلها.. بل ويسرى هذا أيضا على الشاعر الذى حافظ

على بكاء الأطلال مقطعاً عارضا فى قصيدته، ناهيك عن موقف الناقد الذى اكتفى بالدعوة الى ضرورة السير على خطى الأقدمين، ومن ذلك تقديمهم للمدائح بوصف الطلول(٦). . كل هؤلاء قرأوا «الاطلال» - فيما نعتقد - قراءة خاطئة أدت الى الثورة عليها أو إهمالها رغم الطاقات الوجدانية الشعرية الهائلة التى كان يمكن تفجيرها من خلالها. .

صاح أبو نواس هازئا:

قل لمن يبكى على رسمٍ درس واقفاً: ماضرٌ لو كان جلسْ

ولكنه يعلم كما نعلم نحن الآن أن وقوف الأقدمين لا يقابله «الجلوس». . ولكنها المغالطة المتعمدة. ومن هنا يفصح عن سخريته فى مجال آخر حين يتساءل:

عاج الشقىُّ على رسم يسائِلُه
تبكى على طلل الماضين من أسَدٍ لا در درك قل لى من بنوا أسد؟

ثم ناقش فى هدوء (بما يسمح به الشعر من مناقشة) فى مجال ثالث نفس الظاهرة فقال:

تصفُ الطلولَ على السَّمَاع بها
أفذوا العيان كأنت فى الحكمِ؟
وإذا وصفت الشىء متَّبِعاً
لم تخلُ من خطأ ومن وهم

وهو فى كل الحالات إنما كان قد فتح باب ثورة عارمة ولجها كثير من شعراء العصر معه وبعده. . وكانت هذه الثورة «النواسية» إيذانا «بخياميَّة» عباسية تحل الحاضر محل الماضى. . وكوجودية عصرنا: «الآن وهنا أولا»

وصفُ الرياض كفانى أن أقيم على
وصف الطلول فهل فى ذاك من باسِ؟
يا واصف الروض مشغولاً بذلك عن
منازلَ أوحشَتْ من بعد إيناس
قل للذى لام فيه: هل ترى كلفاً
بأملح الروض إلا أملح الناس؟

فهذه الأبيات للصنوبرى (أحمد بن محمد) تُفَضِّل وصف الطبيعة على وصف الأطلال(٧). وهى تمثل مظهرا عاما بدأ يسود الشعر العبَّاسى على أثر دعوة أبى نواس للخروج على وصف الأطلال وهو المظهر الذى يعلى أى شىء عليها بدءاً من وصف الخمر إلى وصف القصور وان كان أبو نواس نفسه قد ظل طلليًا فى بعض قصائده.



وليس من العسير إرجاع هذا التحول عن الأطلال وما قد تثيره من معطيات وجدانية ـ وفى خطأ متعمد كما أسلفنا ـ الى أسباب عديدة أشرنا لبعضها ولا يزال البعض يحتاج لدراسات أوسع كدور البيئات اللغوية التى حصرت الاستشهاد بالشعر فيمن سبق هؤلاء الشعراء المجددين أو المولدين فى إثارة حفيظتهم ضد القديم عامة(٨).

أن أهم ما يتصل بالتحول من الأطلال الى الآثار فى الشعر العباسى من أسباب هو ما طرأ على الحياة العربية نفسها . . إذ لم تكن تلك الخيامية ـ الآن وهنا ـ قد تولدت من فراغ . . قال الشَّابُشْتى فى الدِّيارات ، وياقوت فى التاج والصابى فى الوزراء ورسوم دار الخلافة والمسعودى فى مروج الذهب وأبو الفرج الأصفهانى فى الأغانى . . وغيرهم . . قالوا ونقول معهم وعنهم :

صورة الحياة فى العصر العباسى الذهبى غير بعيدة عن خيالات الف ليلة وليلة وأحلام شهرزاد . . لم تعد تلك الحياة فى منظور كثير من الشعراء تتسع لبكائيات الأطلال والرسوم الدوارس . . إن قصراً من قصور المتوكل «البرج» ـ مثلا ـ أضحى يتلألا بصور عظيمة من الذهب والفضة . . قد ألبست حيطانه من الداخل والخارج بالفسيفساء والرخام المذهَّب. المسْبحُ فيه (البركة) مفروشة «ظاهراً وباطناً» بصفائح الفضة . . فيه شجرة «طُوبىَ» كما أطلق عليها ـ وهو اسم لشجرة من أشجار الجنة ـ شجرة من ذهب . . على أغصانها وفروعها طيور تغرد وتصفر مكللة بالجواهر . . ويصف البحترى :

كأنما الفِضَّةُ البيضاء سائلةٌ
من السبائك تجري فى مجاريها
فرونق الشمس أحياناً يضاحِكُها
ورونق الغيث أحياناً يباكيها
إذا النجوم تراءتْ فى كواكبها
ليلاً حَسبْتَ سماء رُكِّبت فيها(٩)

والموت للغربان إن هى حامت . . أو نعقت . .

. . أروقة وبساتين . . وجداول رقراقة تتصل بدجلة . . عيون جارية . . وسرر مرفوعة . . وأكواب موضوعة . . ونمارق مصفوفة . . وزرابىّ مبثوثة . . وجنان تضحك لرائيها . . ولكن عينى على بن الجهم تحسران بعد سفر طويل عن بُعد أطرافها :

صحونٌ تسافر فيها العيونُ   وتحسِرُ عن بُعد أطرافها

. . والحفل «ختان» المعتز . سرير المتوكل عليه تمثالان ذهبيان لسبُعين عظيمين يصعد إليه على درج تزينها صور السباع والنسور . . فى رواق القصر مجلس الخليفة . . حول المجلس عشرات . . مئات . .

آلاف . . من الخدم والحشم والجوارى والقيان . . دنانير الذهب (فى شكل الورود) تتطاير فوق الرؤوس . . وفى الأوانى «ليأخذ كلٌ ما شاء» شريطة أن لا يضع فى جيبه . . فقط يأخذ ما تستطيع الكفان اغترافه» . . فليختلس أحدهم قدراً يخبئه عند جاريته أو غلامه . . والحفل ختان المعتز . . ستة وثمانون مليون درهم . . والقصر نفسه واحد من عشرين: بركوار (بالفارسية = دار الهناءة) و«الشاه» و«العروس» و«البركة» و«الجوسق» و«المختار» و«المليح» و«الجفرى» و«الغريب» و«البديع» و«الصبيح» و«الشبنداز» و. . . وبعد المتوكل يبنى وريثه المعتز قصراً آخر «التاج» ولوريث المعتز قصر «المعشوق» . . وللمعتضد «الثريا» . . ويتململ شهريار . . وتحلم شهرزاد . ويضيق عطن الشاعر بالذى كان: الدمن والرسوم وسائق الاظعان، الزمن كان . . الزمن الآن .

أرأيت إذنْ كيف انثنى أبو العتاهية عن الصحراء، وتنحَّى عن وصف الأطلال ـ إلا ما جاء عرضا(١٠) . . ؟ وكيف ترك بعضهم تلك الأطلال المهجورة هرباً إلى قصور الحاضرة المأنوسة؟ . .

وحينئذ كان «يسترسل فى وصف حنينه على شاكلة أشجع إذ يستهل إحدى قصائده بقوله :

قصرٌ عليه تحيةٌ وسلامُ   نشرتْ عليه جمالها الأيامُ(١١)

أو يصف مع ابن المعتز(١٢) قصر «الثريا» الذى كان موصولا بقصر «التاج» :

وبنيانُ قصر قد علت شرفاتُه   كصف نساء قد تربعن فى الأزرِ

أنْدَرَس الطلل . . وعفت قصائد القدماء؟ كيف، والمولود ينمو فى اتجاه نهايته؟ .

. . عجيبة هى «التَّاوْ» قالها حكيم الصين لو تسو مرة . . لا شىء أقوى منها . . قال شاعرنا عبر العصور عن القصور: أفناها . . «أفناه قيلُ الله للشمس اطلعى» . . وصرخت شهرزاد . . واستيقظ شهريار . . ونام الحلم .

. . لا تزال تنبعث من أكثر القصور أضواء خافتة، فما بك يا محمد بن يسير؟ .

ألا يا قصر النُّورشَجَانِى
أرى بك بعد أهلك ما شجانى
فلو أعفى البلاء ديار قومٍ
لفضلٍ منهمُ ولعظْم شانِ
لما كانت تُرى بك بيِّناتٍ
تلوح عليك آثارُ الزمانِ(١٣)

أَلَم أقل لك عجيبة هى التاو؟ أثر الزمان امتد حتى الى قصر النُّوشجانى وولدت الآثار بعد الأطلال فى الشعر . فالبلاء ما أعفى من العفاء دار عظيم أو فاضل . . أطلال من لون جديد . وحكاية الانسان والزمان



والمكان بدت واحدة . . اتسعت موضوعات الشعر الجديدة لتشهد الحضارة (القصور) تولد . . وتشيخ قبل أوانها وتندثر القصور ـ أو بعض القصور ـ ويغنى الشاعر ـ أقصد يبكى ـ للآثار . . وتولد واحدة من أجمل عرائس الشعر تبكى قصراً فارسيا وتبكى معه خياميّة العصر ونُواسيته . .

ماذا تقول يا أبا عبيدة؟ . تصون نفسك عما يدنس نفسك؟ .

آه . الزمن كان . . الزمن الآن : كلاهما يموت .

يمضى مع أول قصيدة من عيون الشعر العربى فى الآثار أعنى سينية البحترى التى قالها فى «ايوان كسرى» حيث لا تزال اطلاله (أو آثاره) ماثلة الى اليوم جنوبى بغداد(١٤) والتى تدل على قدرة هذا الشاعر الفائقة على تطوير هذا الفن الجديد باستغلال عناصر المطلع الأطلالى القديم بأبعاده الثلاثة التى ذكرناها ليجعل جو القصيدة كلها ـ وعلى طولها ـ استقطاباً لهذه الأبعاد .

فعلى مستوى الاحساس بالزمن بدا الشاعر كأنه قد هرب منه إليه فامتزج الزمن البعيد بالقريب بلحظة الحاضر حتى صار كل شىء

وكأن اللقاء أول من أمـــ ـــسِ ووشك الفراق أولَّ أمسِ

ولكنه امتزاج يظهر فيه عمق مأساة الانسان فى علاقته بالزمن . . انه الدهر الذى بدا للجاهلى «يهلك» وحسب ، يبدو الآن لصاحبنا وعاء نحاول ملأه بنا ، بالسرور ، ولكنه يأبى إلا أن يكون للتَّعزى ومن هنا ارتبطت لفظة «الدهر» أو «الزمن» أو ما يوازيها فى القصيدة من حركة زمنية بمجموعة من الصور تعكس خطين متوازيين أحدهما يمثل نضال الشاعر ـ الانسان ـ للبقاء متماسكا أبيا مترفعا عن جدا كل جبس» والآخر يمثل إصرار الزمن أو قل هى طبيعته أن يسير فى الاتجاه العكسى فمثلا :

البيت رقم (٢) الخط الأول : تماسكت ـ الخط الثانى : زعزعنى الدهر ، التماسا منه لتعسى ونكسى
البيت رقم (٤) . . . الخط الثانى : الزمان أصبح محمولا هواه مع الأخس الأخس
البيت رقم (١٠) الخط الاول : أرى غير مصبح حيث أمسى ـ الخط الثانى : إذا جُفيتُ
البيت رقم (١١) الخط الاول : وجهت الى أبيض المدائن عنسى ـ الخط الثانى : حضرت ـ رحلى الهموم
البيت رقم (١٢) الخط الاول : أتسلى عن الحظوظ . . .
البيت رقم (١٦ ، ١٧) الخط الاول : حللٍ ومساعى آل ساسان . . .
البيت رقم (١٨) . . . الخط الثانى : صيرّ الدهر عهدهن أنضاء لبس
البيت رقم (٢١) الخط الأول : بعد عرس الجرماز (الايوان) الخط الثانى ـ جعلت فيه الليالى مأتما
البيت رقم (٣٥و٣٩و٤١) الخط الأول : ايوان وعجب الصنعة ، التجلد ، مشمخر . . .
البيت (٣٧و٣٨) . . . الخط الثانى : مزعج بالفراق ـ عكست خطة الليالى ـ فبات المشترى فيه وهو كوكب نحس
البيت رقم (٥٠) الخط الأول : غُمرتْ الربوع للسرور دهرا ـ الخط الثانى : صارت للتعزى .

وهكذا حتى لكأننا نعطى للزمن فرصة الغلبة علينا بمحاولتنا الاستمرار فى اللعبة .

لم تكن الدار على أية حال دار الشاعر ولا الساسان أهله:

ذاك عندى ، وليست الدارُ دارى   باقتراب منها ولا الجنسُ جنسى

ومع انه يسوغ لنا سر بكائه - إذن - فى الأبيات التالية ، بموقف الفرس ويدهم فى العصر العباسى الأول وتشييد حضارته:

غير نعمى لأهلها عند أهلى
غرسوا من زكائها خير غرس
أيَّدوا مُلكنا وشدُّوا قواه
بكُماة تحت السَّنور حمس

إلا انه لا يستطيع أن يخفى مأساته الحقيقية التى هى «الدهر» صانع التحولات فى أقاليم الأرض.. التحولات فى المكان وما تجلبه معها من متناقضات تتراءى فى صور القصيدة على امتدادها وتتغلغل صداها فى حس الشاعر حتى لكأنها والزمن نسق صارم لا يتخلخل يمسك بتلابيب الانسان ويحدث ذلك الشرخ الأبدى فى أعماقه حين يرى صنعة يده الشاهقه وقد تحولت أطلالا وآثارا:

- صيانة النفس ، تدنيس النفس
- صبابة العيش ، تطفيف الأيام
- وارد رفه - وارد خمس
- اشترائى العراق ، بيعى الشام
- تُبُوُ ابن عمى - بعد لين من جانبيه
- أتسلى عن الحظوظ ، وآسى لمحل من آل ساسان
- تُذكر الخطوبُ ، وتُنسى
- خافضون ، فى ظل حال
- مأتما ، بعد عرس
- نجم ضوأ الليل ، أو مجاجة شمس
- حلم مطبق على الشك ، أمان غيرّن ظنى وحدسى
- مزعجا بالفراق ، عن أنسى إلف
- عمرت للسرور ، صارت للتعزى... الخ

ولكن انتصار الزمن وإطباق المتناقضات على عنقنا ومهما كان عمق الشرخ لن يكون نهائيا.. ستظل البقايا - الرسوم والدمن والآثار - مسافرة فى الكلمات:

والمنايا مواثلٌ وأنوشر
وان يزجى الصفوف تحت الدِّرَفْسِ
وعراكُ الرجال بين يديه
فى خفوت منهم وإغماض جرس
من مشيح يهوى بعامل رمح
ومليح من السِّنَانِ بترس



تصـف العـيـن أنهـم جدّ أحـيـا
ءلهـم بينـهـم إشـارة خـرس
يغـتـلـى فيـهـم ارتـيـابـى حـتـى
تتـقـرّاهـمُ يـداى بلمـس(١٥)

كان وصف الأطلال القديم هو الذى «أوحى للبحترى بهذا الموضوع الجديد»(١٦) كما يذهب الدكتور شوقى ضيف وكثير من الدارسين، وإذا كان عطاء البحترى ـ وبناء على ذلك وكما حاولنا تصويره ـ كامنا فى قدرته على توظيف عنصر الزمن فى الأطلال ومتناقضات الحركة والجمود فيها توظيفا حوَّل القصيدة فى مجموعها الى وحدة نفسية كاملة ناطقة شاهدة على عصره ومأساة إنسانه، فإن الذى لا ريب فيه أن الشاعر قد استطاع فى ذلك المقطع الذى توسط القصيدة ـ تقريبا (الأبيات ٢٣-٢٧) ومجموعها ٥٦ بيتاً ـ أن ينحو نحو التصوير الحسى الذى اخترق حجب الزمن، وجعلنا نسمع ونبصر ونرى، فنخرج من إطار الزمن الميت والزمن الحى معاً ـ الزمن كان والزمن الآن ـ لنعى ونحن متجردين من رداء ذلك الزمن صورة للحياة ـ بدل الموت ـ والحركة ـ بدل الرسوم ـ والبطولة ـ بدل البكاء ـ والانتماء (ولا أقول الوطنية بعد بدل الضياع. . وتلك كلها عناصر تولدت فى لحظة انتصاره هو. . أو على الأقل فى لحظة اكتشافه للبقايا. .

تعد الآثار أو الأطلال إذن ـ وأظنها لم تكن ـ بالنسبة للشاعر مجرد مسرح للعيون الواصفة ومرتع للعاطفة المشبوبة، وبكاء من رحلوا أو حلّوا. . إنها أولا ـ وبدرجة تجعلنا السينية فى مجموعها قادرين على تأكيدها ـ منطلق لموقف كونى عام نرى فيه الشاعر الانسان ومحاولاته «الموبوءة» بالنجاح أو «المكللة» بالفشل عبر الزمان والمكان.

لا نؤرخ لهذا الاتجاه فى شعرنا العربى، حسبنا أن ننتقل الى قصيدة من العصر الحديث نوضح فيها الى أى مدى آلت الآثار فى شعر هذا العصر، على أنه يجب أن نمهد لها بالكشف عن روح العصر فى صلته «بالاطلال» كما فعلنا تمهيدا لتحليل سينية البحترى من قبل.

والغريب أن من كبار شعراء العصر من لم يحاول قراءة الأطلال قراءة «بحترية» مثلا فظل ينعى عليها وعلى شعرائها وما جنته على الشعر العربى، فيقول حافظ ابراهيم ـ مثلا ـ مخاطباً الشعر(١٧):

حَمَّلُوكَ العناء من حبِّ ليلى وسليمـى ووقفـة الأطـلال

كما أن منهم من وقف بها عند تقليد فاتر للأطر الموروثة كما فعل الشاعر السعودى محمد صبحى(١٨) حين نادى:

قف بالطلول وشاهد سيىء الكلل واسكب دموع الأسى كالعارض الهطل

وإن كان هذا الشاعر قد تنبه فى واقع الأمر إلى ظاهرة من أهم الظواهر التى آل إليها وصف الأطلال

- أو الآثار - فى الشعر الحديث وهى المضمون «الوطنى» لهذا الشعر حين يقارن حاضر الامة المؤلم بماضيها المزدهر فيقول:

واندب معالم أوطانٍ عفت ولها   غُرُّ المفاخر فى أيامها الأوَلِ

ولقد وقفنا فى سينية البحترى عن محاولة استنباط أى مظهر للوطنية فى القصيدة واكتفينا بتعبير «الانتماء» الذى صرح فيه الشاعر بحبه لآل ساسان لأنهم «أيَّدوا مُلْكنا» و«شدوا قوانا» . . والحقيقة أن «الوطنية» - كما نراها هنا - مفهوم أطل على إنسان العصر الحديث تحت ظروف عوامل كثيرة أهمها انتشار فكرة القومية فى الغرب مع وطأة الاستعمار على الأوطان العربية والاسلامية مما جعل شعوبها وشعراءها يتعلقون بكل عناصر القوة - شاملة آثار الماضى - فى نضالهم من أجل الحرية والاستقلال . . على أن حب الوطن نفسه خصلة إنسانية فاضلة طالما بعدت عن الشعوبية أو التعالى على الآخرين ومن هنا كان للتغنى بالوطن وحبه وموروثاته وآثاره أثر كبير فى نهضة أبنائه بواجب التحرر والنهضة والاستقلال الحق الملقى على عاتقهم.

وهذا هو السر فى أن شاعرا مثل شوقى يربط بين صون الأمة لآثارها وصونها لعرضها: «من يُصُن مجد قومه صان عرضا» وذلك فى قصيدة «قصر أنس الوجود» التى مطلعها:

يا قصوراً نظرتها وهى تقضى   فسكبت الدموع والحق يُقضى(١٩)

وفى إطار هذه الفكرة يمكن أيضا تفسير غناء الشعراء للمدن والأعلام وإن لم يكن فى أكثره شعر آثار أو أطلال. كما يرد عند ذكر عبد الله بن خميس - مثلا - «لأجأ» و«رمان» و«سلمى» و«الحمى» فى قصيدة «حائل»(٢٠) أو كما نجد له أيضا على ربوات (غامد) و(زهران) و(فاس) و(مكناس)(٢١) وغيرها. وفى قصيدة «دمشق» لشوقى (وهى فى حدود أربعين بيتا) تطالعنا مجموعة كبيرة من أسماء المدن والأعلام والأماكن وغيرها مما قصد به استحضار وعى زمانى ومكانى مباشر من خلال القصيدة ، «فجلّق» و«دمشق» و«الشام» مكان وأزمنة معاً، ومثلها «لبنان» و«الفيحاء» و«بغدان» و«طليطلة» و«دمر» و«الهامة» و«قصر الزهراء» و«المسجد المحزون» و«بردى» . . بل ان من أسماء الاعلام فى تلك القصيدة من مثل «طىء» و«شيبان» و«بنى العباس» و«بنى أمية» و«غسان» و«عبد شمس» وغيرها ما يعد استحضاراً لحركة الزمان والمكان والانسان العربى معاً فى مواجهة مباشرة مع مؤثرات انتمائية عديدة من رسوم دوارس و«الفُضْحَى» و«المنارات» و«الأذان» و«الحور» و«الوالدان» و«الرضوان» وغيرها(٢٢) ولو رحنا نتتبع هذه الظاهرة فى الشعر الحديث - أعنى استحضار الزمان والمكان ومواجهة الانسان العربى بها وبواقه لوجدنا لكل - أو معظم - الشعراء المحدثين إسهاماً يحتاج لدراسة وتأمل.

وربما كانت وقفتهم عند الأندلس هى أهم ما يتصل بموضوعنا، إذ ما بقى للعرب منها غير آثار وذكريات تهيج أشجان الشاعر وتثير لواعجه.

فشعراء المُهاجر (المهجر) - وخاصة الجنوبى - كأكثر الشعراء العرب المحدثين - خاطبوا تلك البقايا من أطلال المجد مبرزين فى شعرهم كل عناصر بكاء الأطلال، مثل فوزى المعلوف فى ملحمة غرناطة - التى



ترجمها عن الشاعر الاسبانى فرانسيسكو فيلا سبازا - حين يبكى «القبة الحمراء» و«المئذنة» فى «قصر الحمراء» (حمراؤك تحسو الأسى):

غرناطةٌ أواه غرناطةْ
لم يبق شىء لك من سطوتك
هل نهرك الجارى سوى أدمع
تجرى على ما دال من دولتك(٢٣)

وشكرا لله الجُرّ يسأل:

فأين معاهدك النيِّرات؟
وأين مآذنك اللُّمَّعُ؟
وأين قصور كساها الغناء
وشاحاً من الخلد لا يقشعُ؟(٢٤)

وشفيق معلوف يسأل فى مرارة ملحوظة:

أهكذا النسر بعد رفعته   إلى حضيض الهوان ينحدرُ؟(٢٥)

ثم أن هؤلاء الشعراء لم يقفوا عند حد سؤال الأطلال وبكائها بل راحوا يستنطقونها «حديث الوطنية» الذى بدأ يمثل بعداً رابعاً فى «وصف وبكاء الآثار» فى العصر الحديث، يضاف الى الأبعاد الثلاثة السابقة.. فهذا إلياس فرحات يغنى:

يا ابنة الزهراء يا أندلسية
لم يزل فيك من المجد بقيّة
لمعت فيها السيوف المشرفية
ضاربات بزنود عربية(٢٦)

ومثله أبو الفضل بن الوليد يخاطب معاهد الحمراء:

هذا جلالك عن جمالك مُخبرٌ   فلأنت رسم المجد من ماضينا(٢٧)

لقد كان شوقى - حقيقة - أكثر شعراء ذلك الجيل من العرب، مهجريين ومشارقة قدرة على استحضار ذلك البعد الوطنى فى سينيته التى تشبه سينية البحترى وتتأثر بها إلى حد كبير. وقد صرّح هو نفسه بهذا التأثر مشيرا إلى أن سينية البحترى «تريك حسن قيام الشعر على الآثار، وكيف تتجدد الديار فى بيوته بعد الاندثار»(٢٨). وقد بدا فى سينية شوقى - مع ذلك - قدر كبير من الزينة اللفظية يكاد يخيم على البعد الزمنى حتى لكأنها تفقد هذا العنصر الحيوى من عناصر القصيدة الأطلالية رغم ما يرد على هيئة حكمة فى خاتمتها:

حسبهم هذى الطلول عظات
من جديد على الدهور ودرس
وإذا فاتك التفاتٌ إلى الما
ضى فقد غاب عنك وجهُ التأسِّى

أو ما يشبه الحكمة فى مطلعها:

اختلاف النهار والليل يُنْسِى   اذكرا لى الصِّبَا وأيام أُنْسِى

ولعل أبرز مقاطع القصيدة تعبيراً عن حركة الزمن وإحساس الشاعر بها ذلك المقطع الذى يصف فيه «رهين الرمال» (أبا الهول) حيث:

لعب الدهر فى ثراه صبياً
والليالى كواعباً غير عُنْس
رُكِّبت صُيَّدُ المقادير عينيه
لنقد ومخلبيه لِفَرْسِ

الى ان يقول:

ومواقيت للأمور إذا ما   بلغتها الأمور صارت لعكس(٢٩)

غير أنها قصيدة تموج حقا ببُعْد «الوطنية والحنين» وفيه يوظف الشاعر الأماكن والآثار والأعلام توظيفاً حيا يختلط فيه القديم بالجديد، المصرى بالأندلسى، بالعربى بالفارسى فيُحْدِث تناغما عجيبا يؤدى فى النهاية الى الاحساس «بالنفى المؤقت» - وقد قالها وهو منفى - من كل هذه الأماكن والديار وبعيدا عن كل أؤلئك الأعلام. . «نفىٌ» أقصى ما نستطيع حياله أن لا ندعه يسيطر على وجداننا فيحجب عن عيوننا شكل الرسوم وطعم البقايا لكى تظل لنا قدرتنا على أن نغنى. . نبكى:

نفسى مرجلٌ وقلبى شراعٌ   بهما فى الدموع سيرى وأرْسِى

وبهما فى البقايا والطلول يكشف الشاعر عن عمق المأساة حين تمسك «المتناقضات» فى تلك البقايا بتلابيب إنسان عصرنا كما أمسكت من قبل بتلابيب إنسان عصر البحترى. . مع الفارق.

ربّ بانٍ لهادم
وجموع لمشت
ومحسن لمخِسّ

ولا شك أن شوقى وما كتبه عن الآثار يحتاج لدراسة أوفى من هذه الوقفة العجلى، خاصة وأننا نود أن نختتم هذه الدراسة بتحليل للأبعاد الأربعة الزمانية والمكانية والنفسية والوطنية التى آلت إليها قصيدة الآثار فى العصر الحديث - ولأغراض الموازنة والاستنتاج - عند شاعر آخر من معاصريه هو خليل مطران، والقصيدة هى «قلعة بعلبك»(٣٠).

●● كل قلعة هى رمز للنضال والكفاح الانسانى. . وبقاياها دليل أيضا على ما يبقى من الانسان فى نضاله والذى



يبدو أن مطران كان شغوفا فى الآثار بما يبين عن قيمة «الانسان»، حتى إذا فشل هو نفسه فى قراءة الانسان فى الأثر لم يستهوه ذلك الأثر. ولعل فى ذلك ما يفسر موقفه من «الأهرام» مثلا حين لا يرى فيها ذلك الأثر الباهر الذى رآه غيره من الشعراء وإنما هى عنده دليل استعباد الفرعون لشعبه ومقدمة لإضعافهم وإذلالهم عبر العصور، فيقول:

شـــاد فأعـلـى وبـنـى فوطـــدا
لا للعـلى ، ولا لـــه ، بـــل للعـــداَ
مسـتـعـبـدٌ أمـتـــه فـــى يومـــه
مسـتـعـبد بنيـــه للعـــادى غــداً
إنـــى أرى عـــدَّ الـرمـــال ههُـنــا
خلائـقـــا تكـثـــر أن تعـــدّدا
محنيّـــةٌ ظهـــورهـم خُـــرسُ الخطا
كالـنَّـمْـــلِ دب مستـكينـا مخلـــدا

● ثـم يتساءل:

أكُـلُّ هـذى الأنفس الهلكى غدا تبنى لفانٍ جدثاً مخلَّدا؟! (٣١)

البحث عن الانسان فى الآثار سمة تميز الكثير من قصائد مطران إذ يتكرر نفس الموقف عند حديثه عن «السور الكبير فى الصين» فيحكى أرق المليك على شعبه فوق سريره المذهب مع انه هو نفسه روع هذا الشعب ورجاؤه. ويقرر الملك بناء جدار ثابت كالأرض لا يفنى ولا يتخرب. . غير أن الشاعر يرى ان «أبر ما يبقى الفعال الطيب» وأنه

لا يعـصـم الأمـم الـضـعـيفـــة فطـــرة
إلا فضـائـــلُ بالـتـجـــارب تكـســـبُ
فتـكـــون حائطـهـــا المنيـــعَ على العـدَا
وتـكـــون قوتـهـــا الـتـــى لا تُغَـلـــبُ(٣٢)

أن مطران كان باستطاعته أن يقرأ هذه الآثار قراءة مختلفة فيمجدها كما فعل غيره. ولكننا على كل حال نترك هذا الاحتمال ونسارع الى قصيدة «قلعة بعلبك» لنرى ما فيها من أبعاد أطلالية حديثة:

تبدأ **قلعة بعلبك** بحكمة تؤكد مرور الزمن دون أن ندرى به حتى يصبح فى الآثار. . ثم يدخل الشاعر إلى الآثار فيحييها تحية أطلالية قديمة متذكرا مراتع لهوه وصباه وحديث هواه يوم كان يخلو بهند على عفاف وطهر، مع ملاحظة إدخاله لعنصر الزمن ـ سعده ونحسه ـ كلما سنحت الفرصة لذلك. . ذلك كان. .

ما هى الا «خرب حارت البرية فيها» وهنا يجد الشاعر سبيلا لوصفها فيما كانت وما آلت إليه مستعينا بالحكمة والمثل فى إبراز صوره الشعرية التى يبدو وأكثرها مستهلكا كالربط بين الشيب والجلال وازدهار الحضارة وإشراق

الشمس ومظاهر الحسن فى الطبيعة معادلات لحالات الرضا والسرور. . ثم يخلص الشاعر الى خطاب «أهل فينيقية» فيسلم عليهم ويمدحهم بصفات القوة و«خوض البحار» و«عظمة التشييد» و«إجادة صنع الدمى» التى عبدوها والتى :

نظـــرت هنـــدُ حسنَهُـنَّ فغـــارتْ
أنــت أبهـى يا هنـــد مـــن أن تغـــارى
كل هـــذى الـدُّمـــى التـــى عبـدوهـــا
لـــك يا ربَّـــة الجمـــال جـــوارى

ووأضح ما فى هذا المقطع الأخير من تضمين يلقى بعض الضوء على بعد الوطنية من خلال الآثار عند مطران.

ونبدأ بالبعد الزمانى حيث تحكمه ـ كما هو الحال منذ أول قصيدة أطلالية ـ «بينيَّة» تظهر فيها جدلية الماضى والحاضر بوضوح، فهو الروح العام للقصيدة «فجر الحياة. . الإدبار» (١)(*) «ذكرينى طفولتى» (٦) «أعيدى رسم عهد عن أعينى متوارى» (٦) «كلما نلتقى اعتنقنا كأنا جد سفر عادوا». . (١٨) «كان ذاك الهوى. . فاغتدى» (٢١). . الخ. . ولكن هذه الجدلية الزمنية وكما رأينا عند البحترى ترضخ لما يمليه اصرار البقايا على البقاء.

غير صعب تخليد ذكر على الأر . . . ض لمن خلدوه فوق البحار (٥١)

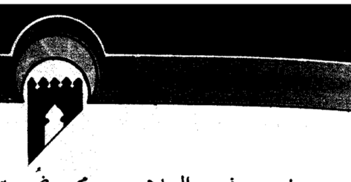
ومن ثم يستطيع إنسان مطران أن يعيش ملء الزمان: «أناس ملء الزمان عليهم «ألبسة الشموس» و«حلى الليالى» (٢٥-٢٧)، وشاهد قدرتهم على أن يعيشوا ملء الزمان تجددهم فى الذهاب والاياب والغدو والابكار: سفر العصافير (٣٦) وسفر الانسان عبر الحجار (٤٥-٤٦).

وتحكم البعد المكانى أيضا «بينيَّة» من نوع آخر. . جدليتها تستمد من علاقة «الخرب» و«المأنوس» وهى علاقة أطلالية قديمة كذلك، فالعرصات مقويات (خربة). . أواهل بالفخار (٥) وتلك «خرب حارت البرية فيها. . فتنة للسامعين والنظار» (٢٤) على أن القصيدة تتراوح فى مجموعها فى الواقع بين نضارة هذه الأماكن وفتنتها وبهائها وحياتها وخلودها من ناحية ما ارتبط بها من دلالات انسانية وزمنية محفورة على الدِّمن وبين واقع «الطلول» «السواجى» «الصم» التى لا تبين لسائل.

وإذا كان البحترى قد نجح فى تحويل الرسم صورة متحركة ناطقة، وبذلك كانت لحظة اكتشافة للأطلال انتصارا للانسان، فإن مطران تغلب على العفاء المكانى لبقاياه بأن منحها قوة الخلود حين شيدها. . شيدوها. . للشمس بما تمثله من استمرارية فى حياة الانسان.

أما البعد النفسى المصاحب للزمان والمكان فهو أيضا يتراوح فى «بينية» الصفو والشجو، والشباب والشيخوخة، وغيرها من الاحساسات التى ولدها الموقف وكانت هند فيها عاملا مساعدا صاحب الصبى فى لهوه والشيخ فى تذكاره، حتى بات «مستطاب الحالين صفوا وشجوا». وربما استخدم الشاعر ـ الى جانب هند ـ الدهر والحكمة ليكبح هذا البعد فيبدو وكأنه انتصر أيضا فى صراعه مع الشجو والأسى.

فـإذا البـعـــد طـــال طرفـــة عيـــن
حثَّنـــا الشـــوق مُؤذنـــاً بالبـــدار
وعـــدادُ اللحـــاظ نصـفـــو ونشـقـــى
بجـــوار ففـرقـــة فجـــوار



ليس فى الدهـــر محـــضُ سعـــد ولـكـن
تلـدُ الســعــدَ محنـــة الأكـــدار(١٤-١٦)

ثم كانت «البينية» الرابعة وهى من نوع جديد لم تشهده قصائد الآثار قبل العصر الحديث.. فمن خلال الزمان والمكان والحالة النفسية فى القصيدة الأطلالية أو الآثارية حدد الشاعر القديم موقفه الكونى العام وانتماءه ولم يجد أنه بحاجة الى أن يدخل عنصر «الوطنية» ـ مع أنه يعيش فى وطن ويدرك حدوده ـ بعدا رابعا يستنطق الآثار عنه أو ينطقها بلسانه.. أما الآن فقد وجد شاعر الآثار (الأطلال) نفسه من حيث الانتماء يقف على حدود دوائر: دينه وعروبته ووطنه وحتى قريته.. أجداده الأقربين والأباعد.. فهذا مطران نحس ببينيته الفينيقية العربية يهرُع فيها الى «هند».. رمز عروبته يناشدها ـ ويثنى عليها أن قبلت ـ أن تكون «ربة الحسن» ولها كل من كان ـ قبل عصر «الوطنية» ـ «جوارى».

تلك قصة الآثار فى الشعر العربى موجزة.. وكم أتمنى لها يوما أن تطول.

هوامش ومراجع

(١، ٢) انظر لسان العرب المحيط لابن منظور (ط دار لسان العرب ـ بيروت) مادتى أثر (ج١ ص ص١٩-٢١) وطلل (ج٢ ص ص٦٠٩-٦١٠).

(٣) وردت كلمة «أثر» فى القرآن الكريم مرتين وكلمة «آثار» احدى عشرة مرة وكلمة «أثارة» مرة واحدة والمادة تدور فى هذه الاستعمالات بين معانى: (بقايا الشىء التى تدل عليه) (ما خلف السابقون من مظاهر عمرانية أصابها البلى) (الدلائل والآيات) (الخطى أو طرائق العيش) (التواريخ والأخبار) والمعنى الثانى هو ـ لا شك ـ ألصق هذه المعانى بموضوعنا.

(٤، ٥) الأصمعيات اختيار الأصمعى، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ـ بيروت ط٥، د. ت) ص ١٨٨ وص١٨٠.

(٦) يشير د/ غنيمى هلال (النقد الأدبى الحديث، ط٣/ ١٩٦٤ ص١٧٨) الى بعض ملامح هذا النقد فى «عمود الشعر» ونعتقد معه أن اتخاذ القصيدة الجاهلية نموذجا قاد إلى ذلك التصور.

(٧) العصر العباسى الثانى للدكتور شوقى ضيف (ط الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م) ص٣٦٣ و١٤ و١٦ وص٢٢٩؛ وص٣١.

(٨) على أن وصف الأطلال لم يختف من الشعر العباسى ـ بل والى العصر الحديث فظل «الشعراء يقدمون لمدائحهم كثيرا بوصف الأطلال» (شوقى ضيف، السابق ص٢٢٩) كقول ابن المعتز مثلا:

لا مثل منزلة الدويرة منزل ... يادار حادك وابـل وسـقاك
بؤسا لدهر غيرتك صروفه ... لم يمح من قلبى الهوى ومحاك

وأبو نواس نفسه رغم ثورته على الأطلال ـ تظهر آثارها فى ميميته فى الأمين والتى مطلعها:

يادار ما فعلت بك الأيام ... لم تبق منك بشاشة تستام

(٩) ديوان البحترى تحقيق الصيرفى ج٤ ص٢٤١٦؛ وللسينية واقتباساتنا منها ـ انظر ج٢ ص ص١١٥٢-١١٦٢.

(١٠، ١١) العصر العباسى الأول شوقى ضيف (ط٨ ـ المعارف ـ القاهرة ١٩٨٢ ص٢٤٥ وص١٦٤.

(١٢) ديوان ابن المعتز ص١١٥.

(١٣) الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى (١٤ : ٣٩).

(١٧) مقومات الشعر العربى الحديث والمعاصر، د/ محمود شوكت ود/ رجاء عيد، دار الفكر العربى ـ القاهرة ١٩٧٥م ص٩٠.

(١٨) الشعر الحديث فى الحجاز، عبد الرحيم أبو بكر، دار المريخ، الرياض ١٩٨٠ ص٢٥٣٠.

(١٩، ٢٢، ٢٨، ٢٩) الشوقيات، ط المكتبة التجارية ١٩٨٣، ج٢ ص٥٨؛ وج٢ ص ص١٠٠-١٠٣؛ وج٢ ص٤٥؛ والسينية ومقدمتها ج٢ ص ص٤٤-٥٢.

(٢٠، ٢١) على ربا اليمامة، عبد الله بن محمد بن خميس، ط٢ مطابع الفرزدق، الرياض ١٤٠٣/١٩٨٣ ص ص١٦٧-١٦٨؛ وص ص٢٠٧-٢١١.

(٢٣، ٢٧) الأدب العربى فى المهجر، حسن جاد حسن (طاولى ١٩٦٣) ص١٠١؛ وص٤٣٩ وص٤٤٠؛ وص٤٣٨؛ وص٤٣٩.

(٣٠، ٣١، ٣٢) ديوان الخليل نظم خليل مطران (ط دار الهلال ١٩٤٩م) ج١ ص ص٩٧-١٠١؛ وج١ ص١٠٤؛ وج١ ص٦٢.

(*) هذه الأرقام تشير الى الأبيات فى القصيدة.



تحركات خطوط الكتابة في الشرق الأدنى وافريقيا

دكتور
عبد القادر محمود عبد الله
قسم الآثار والمتاحف - جامعة الملك سعود



إن دراسة التحركات اللغوية والخَطيّة في الشرق الأدنى القديم وشرق إفريقيا لَشيء مثير وممتع يلقى ضوءاً منيراً على العلاقات الثقافية وغيرها التى كانت تربط أمم تلك المنطقة منذ ظهور الكتابة فى حوالى ٣٠٠٠ قبل الميلاد (قبل حوالى ٥٠٠٠ سنة من اليوم) إلى ظهور الإسلام فى القرن السادس الميلادى (ثلاث عشرة سنة قبل الهجرة النبوية)، كما أن هذه الدراسة تبين الدور المهم الذى أدته هذه المنطقة فى تطور الحضارة الانسانية، مادياً ومعنوياً، باختراعها للكتابة التى أصبحت منذ اختراعها العنصر الأساسى للتطور الانسانى مادياً، ولتزكية النفس الانسانية معنوياً.

والأمم الواقعة فى تلك المنطقة هى التى سكنت بلاد الرافدين وإيران، وبلاد الشام وتركيا والجزيرة العربية ووادى النيل (مصر والسودان) وأكسوم (إرتيريا الحالية). وإن لاحظنا أن جميع هذه المناطق كانت يوما ما بعد انتشار الاسلام وإلى عهد قريب تتكلم لغة واحدة وتكتبها هى العربية، فإنها قبل الاسلام لم تكن تتكلم لغة واحدة أو تكتب بخط واحد وإنما كانت لها لغاتها المختلفة وإن اتصل بعضها مع غيره فى أصل واحد، كما كانت خطوطها التى استخدمتها فى كتابة لغاتها مختلفة كذلك، وإن انتمى بعضها لأسرٍ واحدة.

ونريد فى هذا البحث المبسط أن نتناول مسألة اللغات والكتابات (الخطوط/ الأقلام) فى المنطقة المذكورة آنفاً مبينين العلاقات بين اللغات المختلفة والصلات بين الكتابات (الخطوط/ الأقلام) المتعددة كشواهد على وشيج العلاقة بين الأمم الواقعة فى تلك المنطقة.

وعلى القارىء أن يدرك أن الغالبية العظمى من اللغات والكتابات (الخطوط . . الأقلام) المتناولة فى البحث قد ماتت واندثرت . . كما عليه أن يدرك أن اللغة العربية بعد انتشار الاسلام حلت محل كل اللغات القديمة فى وادى الرافدين وإيران ، وبلاد الشام وبلاد الأناضول ووادى النيل وأكسوم (إرتيريا) ، ولكن باستثناءات خاصة من عهد قريب نسبياً هى طفو الفارسية فى إيران والتركية فى تركيا ، والحبشية الأمهرية فى إرتيريا ، واللغة النوبية فى لهجاتها المعاصرة فى شمال السودان وجنوب مصر ، والقبطية (من المصرية) فى مصر ، والسريانية (من الآرامية) فى بعض مناطق بلاد الشام والعراق . . وباستثناء الفارسية والتركية والأمهرية ، فإن هذه اللغات ضيقة الاستعمال ، إما تتداول شفاهة وغير مكتوبة كالنوبية المعاصرة ، أو تستخدم لأغراض دينية أو وسط فئات محدودة من الشعوب العربية كالقبطية والسريانية .

فإننا عندما نصف لغة ما أو كتابة (خطاً) ما بأنها من هذا المكان أو ذاك فإن هذا لا يعنى بالضرورة أنها لاتزال فيه أو أنها لم تتجاوزه وإنما أنه كان موطنها الأصلى ، بصرف النظر عما إذا كانت لا تزال فيه أم لا ، وأنه هو المكان الذى انتشرت منه الى غيره إن كانت قد تجاوزته .

بالإضافة الى ذلك فانى سأتناول اللغات ، واحياناً اللهجات الرئيسية ، ومن الكتابات الخطوط الرئيسية فقط ، إلا ما تقتضيه الحاجة من التعرض للخطوط الفرعية الثانوية .

تقع اللغات التى يتناولها هذا البحث فى ثلاث مجموعات رئيسية تصنف على النحو التالى حسب خصائصها :

٢/أ - اللغات السامية :

وهى ثلاثة فروع رئيسية هى :

(١) السامية الشرقية : الأكادية (فى لهجتها الآشورية والبابلية) . . وادى الرافدين (شماله ووسطه) .

(٢) السامية الغربية الشمالية :

أ - الكنعانية (بلاد الشام) . . الأوغريتية والفينيقية والمؤابية والعبرية .

ب - الآرامية (بلاد الشام ووادى الرافدين) . . وتنقسم الى الآرامية القديمة والآرامية الغربية والآرامية الشرقية .

(٣) السامية الغربية الجنوبية :

أ - العربية الشمالية (شمال الجزيرة العربية) الديدانية واللحيانية والبدوية «لغة البادية» .

ب ـ العربية المتوسطة (وسط الجزيرة العربية شرقا وغربا بين العربية الشمالية والعربية الجنوبية.
ج ـ العربية الجنوبية (جنوب الجزيرة العربية). . السبئية والمعينية والحميرية.
د ـ الجعزية (إرتريا بصفة خاصة). ومنها الأمهرية الحالية.

(٤) المصرية القديمة (مصر): قبل القبطية ثم القبطية نفسها بالرغم مما دخلها من مفردات يونانية ذلك فى رأيى ورأى كثيرين غيرى.

٢/ب ـ اللغات الهندية ـ الأوربية وما شابهها:

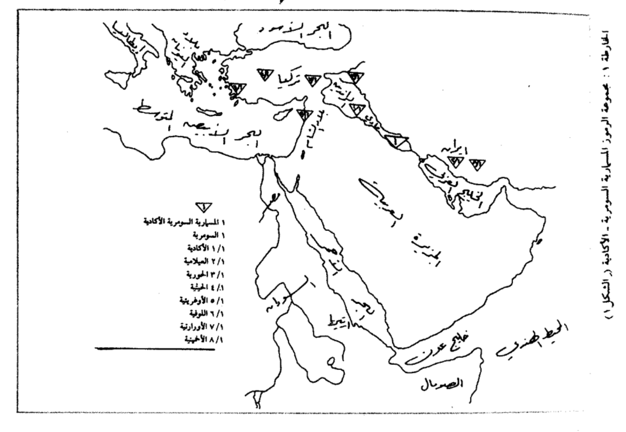
(١) السومرية: وادى الرافدين (جنوبه)
(٢) الحورية: وادى الرافدين (أقاصيه الشمالية) وبلاد الشام (شمال شرق)
(٣) الحيثيـة
تركيا وبلاد الشام
اللوفية والبالائية
(٤) الأورارتية: أرمينيا
(٥) العيلامية
إيـــران
الأخمينيـة
(٦) اليونانية: اليونان وبحر إيجة
(٧) اللاتينية: إيطاليا.

٢/ج ـ اللغات الافريقية والآسيوية

(١) المَرَويّة: السودان (وسطه وشماله)
النوبية القديمة: السودان (شماله) ومصر (صعيدها)
(٢) السواحيلية: القرن الافريقى
(٣) المالديفية: جزر المالديف (المحيط الهندى).
(٤) التِّفْنَاخية: ليبيا (جنوبها)

وتتفاوت اللغات المذكورة أعلاه فى اوقات ظهورها مدونة فى التاريخ فبعضها قديم جداً ومدون من قديم جداً أيضاً كالسومرية والمصرية والأكادية (الأشورية والبابلية) والحيثية، وبعضها قديم لم يدون الا متأخرا كثيراً أو قليلاً عن وقت ظهوره كالعربية الحالية والمروية والحبشية وبعضها لم يطل به الزمن منذ ظهور شعوبه فى التاريخ حتى دون كاليونانية واللاتينية. . لذا فإن تأخر تدوين لغة ما لا يعنى بأى حال من الأحوال حداثتها النسبية عن غيرها من اللغات مما قد يكون حديثاً فى عمره ولكنه حظى بتدوين مبكر وسابق لما هو أقدم منه عمراً ولنا فى دراسة اللغات والكتابات (الخطوط) وسائل عديدة نعرف بها قدم لغة ما من عدمه دون التأثر المطلق بزمن تدوينها.





الخارطة ١ : مجموعة الرموز المسمارية السومرية - الأكادية (الشكل ١)

تفاوتت هذه اللغات فى أزمنتها فإنها اختلفت فى أسرها وعوائلها التى تنتمى إليها، لما يميزها من خصائص عامة مشتركة بينها . . وأوضح اللغات خصائصاً وأغناها هى اللغات السامية المتميزة بثلاثية الجذر والاشتقاق بحروف الزيادة والتصريف والتأنيث بالتاء والاعراب وابتداء الجملة الفعلية بالفعل واستغناء جملة المبتدأ والخبر عن فعل وسيط، الخ الخ . . مما يميزها عن اللغات الهندية والاوربية التى يميزها جذرها المقطعى والتركيب المقطعى ، والاستعاضة عن الاشتقاق بالزوائد السابقة واللاحقة بالجذر المقطعى ، وابتداء الجملة فعلية أم اسمية بالاسم، الخ الخ . . هذا عدا تميز اللغات السامية بأصوات الحلق (فى العربية الحاء والخاء والعين والغين والهمزة والهاء)، وبأصوات الاطباق أو التعجيم (فى العربية القاف والصاد والضاد والطاء والظاء) .

دراسة الكتابات (الخطوط) فى منطقة الشرق الأوسط وإفريقيا ترينا أن هناك أربعة خطوط رئيسية تنتسب إليها كل الخطوط الأخرى (الخارطة ٥) وأن الفرعية نتجت عن تحركات عدة لها وفى اتجاهات مختلفة وأن بعض الخطوط المهاجرة المتفرعة تغيرت كثيراً أو قليلاً عن أصولها لتلائم اللغات الجديدة التى استعيرت لكتابتها .

والخطوط الرئيسية هى الخط السومرى والمصرى والفينيقى والعربى الجنوبى (المسند) وهى خطوط واضحة المعالم والخصائص فى أشكال رموزها وفى توظيفها للكتابة وسنتناولها خطاً بعد آخر مبينين مصدره ومهجره دون الدخول فى التفاصيل الخاصة بكيفية الكتابة به لعدم مناسبة ذلك للقارىء المثقف، غير المتخصص الذى يوجه له هذا البحث

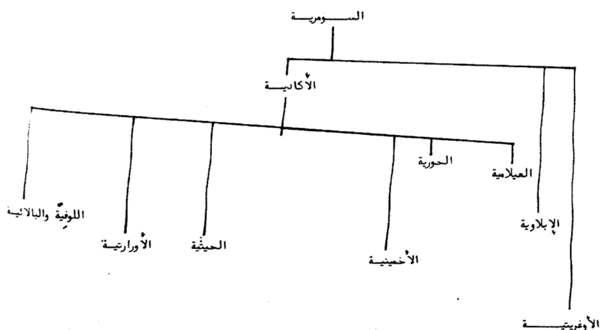
ومن جهة أخرى فإننا سنهمل التواريخ المفصلة المحددة ما أمكن مكتفين بذكر القرون وفى أضيق الحدود الممكنة.

وتوطئة للحديث عن الكتابات ينبغى تصنيفها فى مجموعات أسوة بما تم للغات وبناء على الخطوط الرئيسية المذكورة آنفاً، ليتسنى لنا استعراضها استعراضاً منظماً وقد بُيِّن مع كل خط مصدره أو مكان استخدامه.

٣/ أ ـ مجموعة الكتابة المسمارية (السومرية ـ الأكادية) (الشكل١، الخارطة١) وتشمل:

(١) السومرية: وادى الرافدين (جنوبه)
(٢) الأكادية (الأشورية والبابلية): وادى الرافدين (شماله)
(٣) الحورية: وادى الرافدين (أقاصيه الشمالية) وبلاد الشام (شمال شرق)
(٤) العيلامية
إيــران
الاخمينية
(٥) الابلاوية : بلاد الشام (إبلا)
(٦) الأوغريتية: بلاد الشام (رأس الشمرا)
(٧) الحيثية : تركيا
(٨) اللوفية والبالائية : تركيا وبلاد الشام
(٩) الأورارتية : أرمينيــــا

ويمثل تفرعها الشكل الآتــى



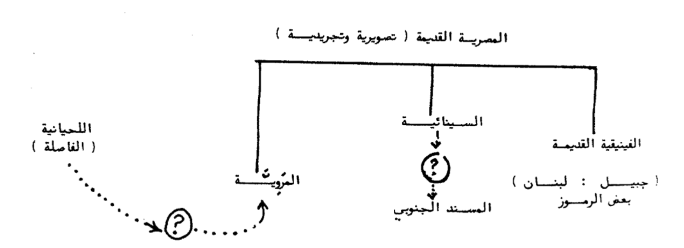
(الشكل(١): مجموعة الخط المسمارى



٣/ب ـ المجموعة الثانية : الكتابة المصرية القديمة (الشكل٢ ، الخارطة٢)

(١) المصرية القديمة : مصر
(٢) الفينيقية القديمة : جبيل (لبنان)
(٣) السينائية : سـيناء
(٤) المروية : السودان (وسطه وشماله)

ويمثل تفرعها الشكل الاتى



الشكل (٢) : مجموعة الخط المصرى (التصويرى والتجريدى)

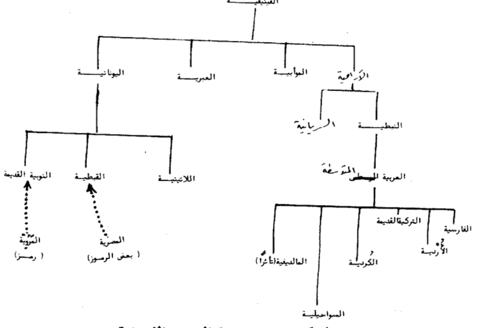
٣/ج ـ مجموعة الكتابة الفينيقية (الشكل ٣ ، الخارطة ٣)

(١) الفينيقية
الآراميـة (ومنها السريانية) بلاد الشام (ووادى الرافدين بالنسبة للسريانية)
المؤابيـة

العبرية القديمة
(٢) النبطية : الجزيرة العربية (شمالها)
(٣) العربية المتوسطة : الجزيرة العربية (وسطها)
الفارسية : إيران
الأردية : الباكستان والهند
التركية القديمة : تركيا
الكردية : وادى الرافدين (شماله)
السواحلية : القرن الافريقى
المالديفية : جزر المالديف (المحيط الهندى، تأثراً)
(٤) اليونانية : اليونان وجزر بحر إيجة
اللاتينية : إيطاليا
القبطية : مصر
النوبية القديمة : السودان (شماله ووسطه)

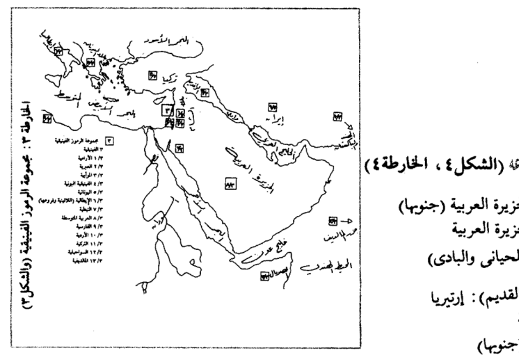
الخارطة ٢ : مجموعة الرموز المصرية (والشكل

ويمثل تفرعها الشكل الاتى :



الشكل ٣ : مجموعة الرموز الفينيقية





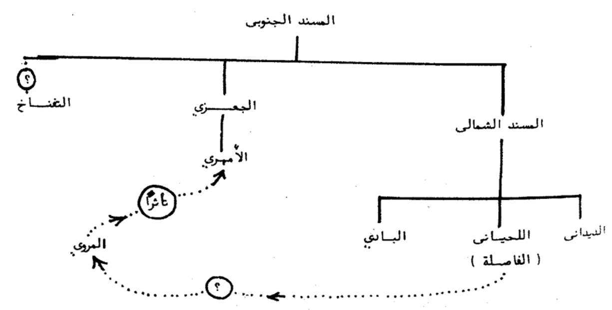
الخارطة ٣ : مجموعة الرموز الفينيقية (والشكل ٣)

٣/د مجموعة المسند وفروعه (الشكل ٤ ، الخارطة ٤)

(١) المسند الجنوبى : الجزيرة العربية (جنوبها)
(٢) المسند الشمالى : الجزيرة العربية
(شمالها: الديدانى واللحيانى والبادى)

(٣) الجعزى (الأثيوبى القديم) : إرتيريا
الأمهرى : الحبشة
(٤) التفناخ (؟): ليبيا (جنوبها)

ويمثل تفرعها الشكل الاتى :



الشكل ٤ : رموز المسند

والكتابات أنواع حسب أشكال رموزها فمنها التصويرى ورموزه صور تمثل البيئة من أحياء وجمادات وتسمى الكتابة كتابة تصويرية ومن الكتابة أيضاً النوع الذى لا تمثل رموزه أشياء مصورة بل خطوطا بأشكال مختلفة، إما أن يكون أصلها رموزاً تصويرية خضعت لتبسيط وتجريد من التفاصيل متزايد بمرور الزمن أبعدها عن أصلها التصويرى كالرموز المسمارية السومرية أو الهيراطيقية والديموطيقية المصرية، أو الخطية (من خط/ شريط) الكريتية، وإما أن تكون الكتابة قد عرفت بهذه الرموز غير التصويرية منذ نشأتها دون أن يعرف لها أصل تصويرى مؤكد معلوم كحال الأبجدية الفينيقية أو الخط المسند. وسواء كان هذا أو ذاك فإن الرموز فى هذه الحالة توصف بأنها رموز تجريدية وتسمى الكتابة كتابة تجريدية.

وفيما يلى سنتناول كل مجموعة من المجموعات الأربع السابقة بشىء من التفصيل:

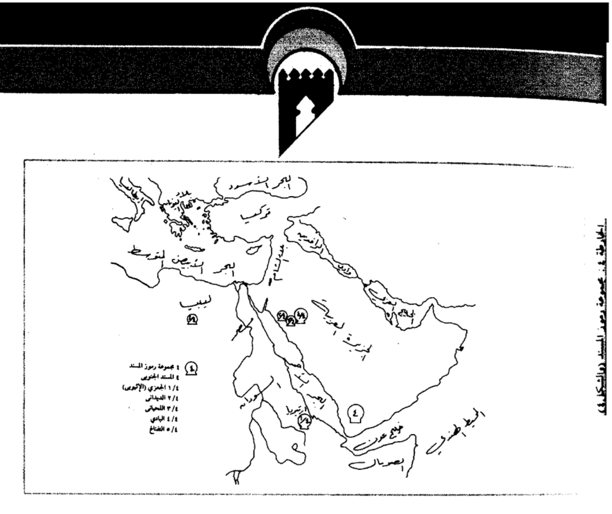
٤/أ مجموعة الرموز المسمارية (السومرية ـ الاكادية) الشكل ١، (الخارطة ١)

نشأت الكتابة بالرموز المسمارية فى جنوب العراق (وادى الرافدين) وكانت من قبل تصويرية أكثر ما تكتب على الطين وقليلا جدا ما تكتب على الحجارة والمعادن، سرعان ما أصبحت مسمارية تطبع طبعاً على الطين بأقلام رؤوسها كأجسام المسامير (الأسافين) تخلف اشكالا كالمسامير (الأسافين) المطبوعة على الطين، ولذا سميت بالكتابة المسمارية ويعرف الخط بالخط الأسفينى أحياناً. ومن رموزها ماله ذيول طويلة ومنها ماله ذيول قصيرة.

واحتوت الكتابة السومرية على رموز من ثلاثة أنواع، أهمها نوعان: رموز المعانى، بأن يقصد من الرمز الشىء المصور نفسه أو ما يتعلق به ورموز أصوات تعطى أصواتا فقط لا معانى ورموز الأصوات فيها مقطعية أى لكل رمز صوتان وليس فيها من الحروف الهجائية سوى خمسة، تؤدى وظائف الحركات أو حروف المد عندنا. وتسمى حروف حركات أو حروفاً متحركة حسب الوظيفة وتختلف عن المصرية فى قلة عدد الحروف الهجائية وفى نوعها (انظر ٤/ب المصرية).

وبينما كان السومريون فى جنوب وادى الرافدين من القرن الثلاثين قبل الميلاد يكتبون لغتهم غير السامية بكتابتهم التى ابتدعوها كان جيرانهم الساميون فى الشمال وهم الأكاديون يتكلمون لغتهم السامية ولا يكتبونها. وكان السومريون والاكاديون متصلين جداً بحكم الجوار وأثر بعضهم فى البعض الآخر فى مختلف النواحى منها دخول مفردات من لغة هؤلاء فى لغة أولئك واستخدام الاكاديين للغة السومرية بكتابتها لتدوين ما شاءوا فى بداية عهدهم بالكتابة وظل الأمر الأخير كذلك الى أن شَعَرَ الاكاديون بحاجتهم لتدوين كتابتهم نفسها لاستخدامها. فأخذوا الرموز المسمارية وطوعوها لكتابة لغتهم من ناحية، وأدخلوا فى لغتهم المكتوبة كثيرا من المفردات السومرية وبكتابتها أيضاً. وبذلك أصبحت استعارة الاكاديين للرموز السومرية أول استعارة لخط ما نعرفها فى التاريخ، وهو ما يبرر التفصيل عنها. ويشبه الاكاديين فى استعارتهم الابلاويون فى بلاد الشام. وهناك من يرى أن الابلاويين. (إبلا: بلاد الشام) سبقوا الأكاديين فى استعارة الرموز المسمارية السومرية لكتابة لغتهم، وفيه نظر.

ومهما يكن من أمر، فإن الأكاديين أدوا دوراً كبيراً فى نشر الكتابة بالرموز المسمارية فيما جاورهم من الأراضى ذلك



الخارطة ٤: مجموعة رموز المسند (والشكل ٤)

لان لغتهم نفسها وبكتابتها المسمارية سرعان ما صارت لغة عالمية فى الشرق الادنى، معروفة لهذا الغرض من وادى الرافدين إلى وادى النيل ولم تطغ عليها لغة ما بكتابة ما سوى الآرامية فى القرن السادس قبل الميلاد والتى زاحمتها وقلصت نفوذها جدا بخطها المبسط جدا بالمقارنة مع الخط المسمارى.

... الأكاديين والابلاويين انتقلت الرموز المسمارية كوسيلة للكتابة وبتعديلات وتغييرات بعضها سطحية وبعضها جذرية لكتابة لغات عدة فى الشرق الادنى القديم هى العيلامية إلى شرقى الأكاديين فى حوالى منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد والحورية فى أقصى شمال بلاد الرافدين وشمال شرق بلاد الشام فى الألف الثانى قبل الميلاد، والحيثية فى تركيا فى الوقت نفسه تقريباً والأوغريتية فى بلاد الشام فى حوالى القرن الثالث عشر قبل الميلاد، والأورارتية فى أرمينيا فى النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد تقريباً والأخمينية فى إيران بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد، وبعض الكتابات الثانوية مثل اللوفية والبالائية ما بين شمال بلاد الشام وتركيا.

... هذه الكتابات المستعيرة بعد الأكادية والابلاوية هما الكتابتان الأوغريتية والأخمينية ونخص الكتابتين بشىء من التفصيل لأهميتهما من وجهة نظر الكتابة برموز صوتية ونتناولها واحدة بعد الاخرى.

الكتابة الأوغريتية كتابة صوتية (ليست فيها رموز معان) برموز مسمارية وبطريقة هجائية (لا رموز معان ولا مقاطع)، للغة سامية (كالأكادية والعربية وغيرهما).

استخدمت الكتابة الأوغريتية واحداً وثلاثين رمزاً مختلفاً، ثلاثة منها تمثل همزة الابتداء فى حالاتها الثلاث (الضم والفتح والكسر) والثمانية والعشرون الباقية تمثل حروفاً ساكنة (ليست حروف لين). . وإن كان بعض الباحثين قد رأى فى رموز الكتابة الاوغريتية صلات بالرموز الاكادية فان بعضهم الاخر يرفضون ذلك، مكتفين بقبول اشتراك

رموز الكتابتين فى أصل مسمارى واحد، دون ان تكون بين رموزهما صلة. . وما تميزت به الكتابة الأوغريتية عن الكتابة الأكادية وبالتالى عن الكتابة السومرية، أنها كانت كتابة هجائية صرفة لكل صوت مفرد رمز خاص به وهى والكتابة الفينيقية والتى أعقبتها فى الظهور فى رأى الأكثرية من الباحثين تعتبران الكتابتين القديمتين الوحيدتين المؤكدتين اللتين احتوتا على رموز كلها حروف هجائية لكتابة كل مفردات اللغة كتابة هجائية صرفة (**أنظر ٤/ب: الرموز المصرية**). . لكن الكتابة الأوغريتية لم تعمر سوى نصف قرن من الزمان اندثرت بعده بظهور الكتابة الفينيقية.

أما الكتابة الأخمينية فقد ظهرت فى القرن السادس قبل الميلاد، مع ظهور الأسرة الأخمينية فى بلاد فارس وانتهت بعدها. . وابتدعت فى ذلك المكان لكتابة اللغة الأخمينية بأربعين رمزاً مسمارياً. لكنها لم تكن كتابة هجائية كالأوغريتية أو اى كتابة هجائية أخرى معاصرة وانما احتوت على خليط فيه أربعة رموز معان وثلاثة حروف متحركة تمثل حروف الحركات التى تقابل الضمة والفتحة والكسرة، يجوز أن تستخدم فى المد أيضا وما تبقى من الرموز وهى ثلاثة وثلاثون رمزاً منها اثنان وثلاثون رمزاً يجوز للواحد منها أن يستخدم كحرف هجائى ساكن (غير حرف لين) أو كمقطع مفتوح (أى حرفاً ساكناً بحركة). . أما الرمز الثالث والثلاثون فمكون من ساكنين.

إذاً فإن الرموز المسمارية التى نشأت عند السومريين فى جنوب وادى الرافدين اقتبست بتعديلات بمستويات مختلفة لكتابة عدة لغات فى المناطق المجاورة لها فى وادى الرافدين وشرقه وغربه، وفى عصور مختلفة واكتفينا بالكتابتين الأوغريتية والأخمينية كمثالين لمناسبتهما للكتابة الهجائية ولم نرد تقصى كل الحالات الأخرى.

٤/ب ـ مجموعة الرموز المصرية وفروعها (الشكل٢، الخارطة٢)

كانت الكتابة المصرية القديمة قد نشأت نشأة تصويرية كالكتابة السومرية أيضاً وفى وقت معاصر لها وليس هناك ما يثبت ثمة استعارة أو اقتباس لإحدى الكتابتين من الأخرى. وتعرف الكتابة التصويرية المصرية بالكتابة الهيروغليفية وان اختلف معنى كلمة هيروغليفى كما قصده اليونان (الذين سموا الكتابة التصويرية بهذا الاسم) عن معنى تصويرى. . وأصبحت كلمة هيروغليفى الآن اصطلاحا عند دارسى اللغات والكتابات القديمة يطلق تجاوزاً على كل كتابة تصويرية فيقال الهيروغليفية السومرية والهيروغليفية الحيثية والهيروغليفية الكريتية وهكذا.

وتحتوى الكتابة المصرية على رموز من ثلاثة أنواع هى رموز المعانى ورموز الأصوات ومخصصات المعانى وأهمها النوعان الأولان. . رموز المعاني ورموز الأصوات. . ويقصد برموز المعاني الأشياء المصورة نفسها أو ما يتعلق بها. . أما رموز الأصوات فهى إما مقطعية وفى هذه الصفة وما قبلها شبه بالسومرية وإما هجائية عددها أربعة وعشرون رمزاً تخلو من حروف الحركات فقط لا حروف المد. . لذا فهى تستطيع أن تكتب كثيراً من الكلمات كتابة هجائية مطلقة بنفس الطريقة التى عرفت فى الكتابة السامية فيما بعد. . وهى من هذه الناحية سابقة للأوغريتية والفينيقية فى الكتابة هجائياً (٤/جـ).

ومثلما أن الكتابة السومرية جردت من السمة التصويرية فى رموزها لتصبح تجريدية غير مفصلة فإن الكتابة المصرية



تطورت إلى كتابة تجريدية عرفت مرحلتها الأولى بالهيراطيقية التى ليست سوى تبسيط واختصار بدرجات متفاوتة لأشكال الرموز التصويرية المفصلة سببه كثرة استخدام الكتابة فى الحياة اليومية وبمداد على أجسام ملساء. . وترافق الخطان التصويرى والهيراطيقى لقرون طويلة. . وفى القرن الثامن قبل الميلاد كان الخط الهيراطيقى قد بلغ مرحلة بعيدة من الاختصار صار يعرف بعدها بالخط الديموطيقى والذى أصبح مستخدماً فى كل شىء بما فى ذلك النقش على الحجارة والصخور.

استعارات الرموز المصرية وبتصرف أيضا فهى لكتابة كل من اللغة الفينيقية القديمة (جبيل بلبنان: قبل الفينيقية الأبجدية والسينائية (سيناء) والمروية (السودان).

استعارة الكتابة التصويرية الفينيقية القديمة (غير الأبجدية) لبعض الرموز المصرية فى حوالى القرن العشرين قبل الميلاد لكنها لم تكن استعارة تامة إذ أن نصف الرموز مصرية وربعها (نصف النصف المتبقى) مستوحاة من المصرية وربعها الأخير لا علاقة له بالمصرية.

كل رموز الكتابة الفينيقية (غير الأبجدية) تصويرية مفصلة أو تجريدية تامة ولكنها بين بين ولهذا وصفت بشبه التصويرية. . ويفرق بين هذه الكتابة والكتابة الفينيقية الأبجدية (٤/جـ) للاختلاف بينهما فى الزمن، وأشكال الرموز وأنواعها.

الكتابة السينائية فهى ترجع الى حوالى القرن السابع عشر قبل الميلاد على ما أرجحه من الآراء المختلفة حول تأريخها؛ ورموزها تصويرية مصرية الأصل لم يفك اكثرها بعد. . لكن القليل والذى عرفت دلالته الصوتية منها حروف هجائية. . والمقبول لدى جمهور الدارسين لها، أنها كتابة للغة سامية (غير المصرية) برموز تصويرية مصرية الأصل، مستخدمة استخداماً هجائياً، بان صار لكل صوت مفرد رمز. . ويرى قليل من الباحثين أن هذه الكتابة أصل للخط المسند وهو ضعيف.

قيل عن هجائية الكتابة السينائية، فإننا لا نود أن نعدها أول كتابة هجائية مطلقة، سابقة للأوغريتية كما سبق أن نوهنا (٤/أ: مجموعة الرموز السومرية) لعدم التعرف على كل أصوات رموزها فالقليل منها مقروء والأكثر منها لا يعرف نطقه.

الكتابة المروية فهى أوضح الكتابات الثلاث المذكورة استعارة للرموز المصرية. . ولم تكن اللغة المروية المكتوبة أول ما كتبه السودانيون الأقدمون وإنما كانت اللغة المصرية القديمة والتى استخدموها لما يزيد عن ستة قرون الى أن استحدثوا الكتابة المروية فى منتصف القرن الثانى قبل الميلاد. . وهى مكتوبة بخطين أحدهما تصويرى والآخر تجريدى وبكل واحد منها ثلاثة وعشرون رمزاً، بالاضافة الى فاصلة بين الكلمات هى ثلاث نقط أو دوائر فى الخط التصويرى ونقطتان فى الخط التجريدى وباستثناء رمزين مقطعين فإن بقية الرموز وهى واحد وعشرون رمزاً هجائية

صرفة منها ثلاثة رموز أعتبرها حروف المد الثلاثة المعروفة عندما تتوسط الكلمة أو تأتى فى آخرها، وهمزات عندما تتصدرها، لذلك فإنى أخالف الباحثين الأوربيين واعتبرها كتابة على النسق السامى وليس على النسق اليونانى كما يزون . . أما الفاصلة بين الكلمات فلا أصل لها فى الكتابة المصرية لا كسمة ظاهرة ولا فى هيئتها التى هى عليها فى الكتابة المروية . . ولهذا فهى إما أن تكون ابتداعاً محلياً وإما أن تكون قد استوحت من الكتابة العربية وبخاصة اللحيانية التى تستخدم مثلثين (هكذا: ⧗) للفصل بين الكلمات . . ويبدو أن الكتابة المروية أعارت الكتابة الحبشية الجعزية فاصلتها بين الكلمات فصارت نقطتين كما فى الخط المروى التجريدى بعد أن كانت خطين قصيرين أفقيين مترادفين .

وعليه فالكتابة المروية على النسق السامى أخذته من الصفة الأبجدية فى بعض طابع الكتابة المصرية ومما جاورها من الكتابات السامية المعاصرة .

٤/ج مجموعة الرموز الفينيقية وفروعها (الشكل ٣، الخارطة ٣)

تتكون الكتابة الفينيقية من اثنين وعشرين رمزاً تجريدياً يعطى كل واحد منها صوتاً وينطق حرفاً ساكناً (ليس حرف علة أو لين) غير أن الرموز الثلاثة الخاصة بحروف الألف والواو والياء توظف للمد احياناً وهى نفس السمة التى كنا قد لاحظناها فى الكتابة المصرية من قبل (٤/ب) .

لقد ظهرت الكتابة الفينيقية فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد فى بلاد الشام وكتبت بها اللغة الفينيقية وهى لغة سامية وتختلف عن الكتابة الفينيقية القديمة شبه التصويرية المعروفة من جبيل (لبنان) والتى كانت قد سبقتها بقرون طويلة ونحتت جل رموزها من المصرية التصويرية إستعارة أو استيحاءا (٤/ب) واشهر مهاجر الفينيقية تونس حيث عرفت بالفينيقية البونية أو القرطاجنيّة .

وليس للكتابة الفينيقية المقصودة هنا أصل معلوم محدد ملموس غير مفترض، وإنما هو اصل مختلَف حوله . . وما من كتابة قديمة رئيسية سابقة لها فى الشرق الأوسط إلا ووجدت من يرى فيها اصلا للفينيقية فمن قائل بأن أصلها مسـمارى أكادى ومن قائل بأنه مصرى مباشر (تصويرى أو هيراطيقى) أو غير مباشر عن طريق الكتابة السينائية القديمة . . لكن كل واحد من هذه الآراء وجد من الباحثين من يعارضه ويفنده . . ولا يزال الأمر مختلفاً فيه . . لذا فإن من رفضوا هذه الأصول افترضوا للكتابة الفينيقية أصلا ضاعت آثاره أسموه بالكتابة السامية الشمالية الأم نسبوا إليها هذه الكتابة .

وهنا لابد من التفكير بما سبق أن قيل عن الجانب الهجائى الصرف بحروف ساكنة وحروف مد تستخدم كهمزات أيضا فى الكتابة المصرية القديمة والذى اتسمت به منذ نشأتها (٤/ب) .

ومن الكتابة الفينيقية جاءت كل الكتابات الأبجدية الحالية، بما فيها اليونانية . . فقد انحدرت منها الآرامية والموآبية والعبرية فى فلسطين . وجميعها فى حوالى القرن التاسع قبل الميلاد وكتبت بها لغات سامية ثم اليونانية القديمة فى



حوالى القرن الثامن قبل الميلاد لكتابة لغة هندية أوربية . . ولفضل الفرعين الآرامى واليونانى على الكتابة الأبجدية الحالية، فسنوليهما شيئاً من التفصيل الخاص، مبتدين بالآرامى.

لاعتبارات عدة ليس من المناسب ذكرها، من بينها بساطة الخط الآرامى بالمقارنة مع المسمارى سابقه، سادت الآرامية لغة وكتابة الشرق الأوسط باستثناء مصر وحلت محل الأكادية لغة وكتابة كلغة عالمية ولم تفقد نفوذها إلا بعد ظهور الاسلام وانتشاره وسيادة اللغة العربية لغة وخطاً فى المنطقة نفسها وغيرها.

ومن الكتابة الآرامية جاءت الكتابة النبطية والتى أدت بدورها للكتابة العربية فى أصولها المبكرة والتى تطورت أشكال رموزها قليلا قليلا بمرور الزمن حتى وصلت صورتها الحالية . . وظلت خلافة الكتابة العربية للكتابة الآرامية لقرون طويلة . . ولما مر بالدولة الاسلامية من تطورات وأحداث إيجابية وسلبية فى العصور المتأخرة جدا، طغت لغات غير سامية فى أنحاء من الأمة الاسلامية مكتوبة بالحروف العربية وكانت من قبل مغمورة لسيادة العربية فى منطقتها أو على ثقافتها أو لانتشار الاسلام فيها وهى الكتابة الفارسية والأردية (فى الهند والباكستان) المعتمدة عليها، والتركية القديمة والسواحيلية فى القرن الافريقى وقد اقتضى وجود أصوات فى بعض هذه اللغات ليست فى العربية، أو فى العربية ولكنها لم ترسم أن يضاف الى بعض الحروف العربية إضافات طفيفة تعطى الأصوات المطلوبة . . هذا من أمر الحروف . . وللحركات شأن آخر.

مثال تأثير للحركات العربية فى الخط المالديفى المستخدم حالياً فى جزر المالديف فى المحيط الهندى . . فقد استعار هذا الخط الحركات كلها فقط لتعطى الأصوات المطلوبة بتعديل منطقى حسن هو أن تكون الحركتان المترادفتان (الضمتان والفتحتان والكسرتان) للمد لا للتنوين ومثلما قال اللغويون العرب قديما بأن الحركات أخوات الحروف (حروف المد)، وأن الضمة هى الأخت الصغرى للواو، والفتحة الأخت الصغرى للألف، والكسرة الأخت الصغرى للياء فإن المالديفيين جعلوا تكرار الحركة (الأخت الصغرى) إتياناً بالأخ الاكبر وهو حرف المد أو الاخوات الكبريات وهى الواو والألف والياء.

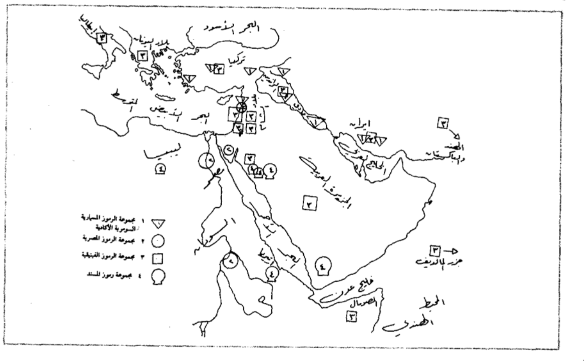
ومن الفرع الآخر للخط الفينيقى وهو الخط اليونانى جاء الخط اللاتينى فالخط القبطى فى مصر فالنوبى القديم فى السودان . . واستخدم الخط القبطى بعض حروف الأبجدية اليونانية وأكملها بسبعة رموز من المصرية القديمة بالخط الديموطيقى وذلك لكتابة اللغة القبطية وهى اللغة المصرية القديمة نفسها بعد أن دخلتها مفردات يونانية كثيرة جداً، كانت من جراء تدفق اليونان فى مصر وإقامتهم فيها، وبخاصة فى الوجه البحرى بعد ضم الاسكندر مصر لامبراطوريته واستمرار تدفقهم واستيطانهم فيها بعد استقلال البطالمة بها.

أما الخط النوبى فقد كان بحروف هجائية يونانية وحرف واحد فقط مأخوذ بتصرف فى شكله من رمز مروى سابق له واستحدث هذا الخط لكتابة اللغة النوبية ونشر المسيحية بها فى شمال السودان بخاصة ووسطه بعامة، بعد تنصر تلك المناطق قبل انتشار الاسلام انتشاره الواسع فيه.

ومن الخط اليونانى جاءت الكتابة اليونانية الحالية والكتابات التى استخدمت الحروف اليونانية فى كثير من دول أوربا الشرقية والاتحاد السوفييتى كما انحدر من فرعه اللاتينى الخطوط التى كتبت بها لغات أوربا الغربية كلها (ما عدا اليونان بالطبع)، واسكندناوة.

٤/ د ـ مجموعة رموز المسند وفروعه (الشكل ٤، الخارطة ٤).

اشتهر الخط المسند فى جنوب الجزيرة العربية، حيث نبع ويؤرخ لبدايته بما لا يقل عن القرن التاسع وربما العاشر قبل الميلاد. . وكتابته هجائية مطلقة على نسق الكتابات السامية وبتسعة وعشرين رمزاً كلها حروف ساكنة بما فى ذلك الألف والواو والياء والتى لا تظهر كحروف مد إلا قليلا وزاد المسند باحتوائه على خط عمودى يفصل بين الكلمات.



الخارطة ٥: مناطق الكتابة فى الشرق الأدنى القديم وافريقيه (والشكل ٥)

أما تأصل الخط المسند فى اى من الخطوط القديمة المعروفة فغير مؤكد، فمن قائل بأنه تأصل فى الكتابة السينائية (٤/ب) وهو ضعيف، ومن قائل بأنه متأصل فى الكتابة المسمارية (٤/أ) وهو ايضا ضعيف. . وعليه فليقبل على أنه خط محلى وإن بدا للناظر إليه بأنه استوحى أشكال رموزه من هنا أو هناك.

ومن الخط المسند الجنوبى جاءت خطوط أخرى فى شمال الجزيرة العربية تعرف بالمسند الشمالى وتضم الخطين الديدانى الذى تؤرخ نقوشه لما بين القرنين السادس والخامس قبل الميلاد، واللحيانى الذى تؤرخ نقوشه لما بعد ذلك حتى القرن الثالث قبل الميلاد على أقل تقدير. إلى جانب هذين هناك نقوش كانت تعرف من قبل بالثمودية والصفوية وتعاصر الفترتين الديدانية واللحيانية متفرقة فى البادية يسميها عبد الرحمن الأنصارى بنقوش البادية ويجوز أن يوصف خطها بالبادى.



وانحدر من المسند الجنوبى الخط الجعزى (الاثيوبى القديم) أيضاً . . وكان يكتب بستة وعشرين رمزاً فقط من بينها حروف الألف والواو والياء والتى كانت تستخدم كسواكن وحروف مد فى آن واحد على النسق السامى . . ولا اختلاف واضح بين رموز المسند الجنوبى والجعزى وإن كان يبدو على ظاهر الرموز الجعزية المبكرة تأثرها بأشكال الرموز المروية المبكرة.

وفى منتصف القرن الرابع الميلادى حدث تغيير هام فى أشكال الرموز الجعزية بحيث أصبح لكل رمز سبعة أشكال يختلف كل واحد منها عن الآخر اختلافاً يسيراً ناتجاً عن إضافة زوائد للرمز فى اوله او آخره أو لتزويد فى طرف منه أو لتقصيره وهكذا . . وأصبح لكل شكل نطق خاص به إما للحرف نفسه بحركة من الحركات الثلاث أو بحرف من حروف المد الثلاث أو بسكون. وأصبحت كل الرموز ما عدا حالاتها بالسكون مقاطع مفتوحة بعضها قصيرة المد (بالحركات) وبعضها طويلة المد (بحروف المد) وهو شىء وإن جعل تعلم الكتابة صعباً فى البداية لكنه بلا شك ضبط تام محكم للقراءة يجعل المكتوب مضبوطاً بالحركات وحروف المد حرفاً حرفاً ومقطعاً مقطعاً وليس الخط الأمهرى إلا صورة متطورة فى أشكالها للخط الجعزى القديم.

وهناك خط غريب عثر عليه فى جنوب ليبيا يشبه الخط المسند شبهاً شديداً يوحى بأنه ربما كان مأخوذاً من المسند وانتقل الى هناك مع قبائل عربية هاجرت به وإن لم يفك إلا القليل من رموز هذا الخط فان هذا القليل أقنع الباحثين بأن اللغة المكتوبة هى اللغة المعروفة حالياً بلغة التفناخ واللغة وخطها فى حاجة الى الكثير من الدراسة وبخاصة من منطلق الخط وجواز انحداره من الخط المسند.

فى ختام هذا البحث يُنوّه إلى الأشياء الآتية :

(١) قِدم الكتابة فى الشرق الأدنى القديم وتطورها فيه من الكتابة برموز مقصود منها معانى الأشياء المصورة أو ما يتعلق بها تسمى رموز المعانى اصطلاحاً إلى رموز تعرف اصطلاحاً برموز الأصوات فى نهاية الأمر تقصد منها الأصوات يخدم كل صوت رمز واحد . . وهى مرحلة الكتابة الأبجدية.

(٢) ترجع الخطوط المختلفة فى الشرق الأدنى القديم وإفريقيا وبلاد اليونان إلى أصول أربعة هى المسمارية السومرية، والمصرية (التصويرية والتجريدية) والفينيقية، والمسند الجنوبى.

(٣) تنتسب كل الكتابات الأبجدية المعروفة الآن العربية وما تفرع منها، والعبرية، واليونانية واللاتينية الحاليتان الى الابجدية الفينيقية . . أما الأمهرية المستخدمة فى الحبشة حالياً فهى من الخط المسند أصلا.

(٤) تظهر تحركات الخطوط إما منتقلة نفسها أو متفرعة أو مستوحاة الصلات الوثيقة فى العصور القديمة بين شعوب الشرق الأدنى القديم وإفريقيا وبلاد اليونان.

(٥) فضل الشرق الأدنى القديم (ومنه مصر والجزيرة العربية) على البشرية باختراعه الكتابة التى أصبحت أهم مخترعات الانسان لتحقيق الرقى الروحى والتطور المادى فى تاريخ الانسانية لحوالى خمس آلاف سنة.



الانسان والبيئة في الأردن عبر العصور القديمة

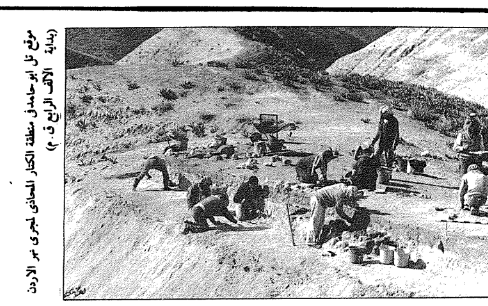
أ.د. معاوية ابراهيم
معهد الآثار والانثروبولوجيا
جامعة اليرموك - إربد - الأردن

عندما اخترت «الانسان والبيئة فى الاردن عبر العصور القديمة» عنوانا لهذه الدراسة كانت تنتابنى اسئلة كثيرة من أهمها ما يتعلق بمدى تكيف الانسان مع بيئته فى الوقت الحاضر وقدرة الانسان على مواجهة التحديات والحلول التى يلجأ اليها؟.

وسؤال آخر: **ما هى الاستراتيجية او الاستراتيجيات التى اتبعها الانسان عبر العصور القديمة للتكيف مع بيئته؟ وكيف طوع مقومات هذه البيئة لخدمته؟ وما هى الشواهد التى حصل ومازال يحصل عليها علماء الآثار؟.**

وسؤال يتلوه: **ما هى الفائدة التى نجنيها من هذه الدراسة؟ او ما هى الدروس التى نستخلصها من المعلومات المتوفرة لدينا عن مدى تفاعل الانسان مع الاوضاع البيئية القائمة؟.**

باعتقادى انه من الممكن ان نتعلم الشىء الكثير من تجارب الانسان فى الماضى فى العديد من المجالات، فالعاملون فى التخطيط الزراعى يجب ان يطلعوا على المعلومات المتعلقة بنجاح المزارعين القدامى او فشلهم منذ ان عرف الانسان الزراعة، ويمكن تعلم الكثير من المحاصيل التى كانت تزرع وكيف كان يتم جمعها وتخزينها.. وكذلك من الأساليب التقنية للحصول على الحد الاعلى للانتاج الزراعى، والتى منها آبار وخزانات المياه واساليب الرى



موقع تل ابو حامد في منطقة الكتار المحاذي لمجرى نهر الاردن (بداية الألف الرابع ق.م)

وحفظ المياه وتوزيعها بكفاءة وكذلك تجنب المشكلات مثل ملوحة التربة الناتجة عن اطالة فترات الرى.

لقد عرف انسان هذه المنطقة صناعة النحاس منذ بداية الالف الرابع ق.م. ومن ثم البرونز وعرف حتى قبل غيره صناعة الحديد منذ القرن الثانى عشر ق.م. على الاقل وعرف صناعة السكر منذ العهد الاموى، وعرف صناعات أخرى كثيرة لم يبق أى أثر لها..

فما هى امكانية استئناف عمليات التعدين واعادة احياء الصناعات القديمة؟

وتشير الدراسات الأثرية على انَّ مناطق كثيرة كانت تعيش اكتفاءا ذاتيا ـ على الاقل من ناحية الغذاء ـ فانتجت المحاصيل الزراعية بكفاءة عالية وصنعت غالبية ما تحتاجه من ادوات فى حياتها اليومية وبنت لنفسها البيوت التى تتناسب والبيئة التى تعيش فيها.. ونجد هذه المناطق نفسها تعيش اليوم عالة على غيرها وتستورد كل شيء ولا تستطيع مجابهة اية تحديات وتسيىء استعمال الارض او تهملها.

ولابد هنا من الاشارة بأن أيَّة مخلفات أثريَّة تتم دراستها تساهم بشكل او بآخر فى القاء ضوء على طبيعة تفاعل الانسان مع بيئته.. كما اود ان اذكر بان المواقع الاثرية والتاريخية بالاضافة الى انها اساس لمصدر من اهم مصادر الدخل القومى الاردنى هى جزء من بيئتنا الحالية وتساهم فى ثقافتنا ووعينا التاريخى والانسانى.

ونلاحظ للأسف الشديد ان النسبة الغالبة من تراثنا الاثارى مهدد بالخطر او بالزوال نتيجة لاتساع الحركة الانشائية والعمرانية والمشاريع الزراعية، وهناك عدد من المواقع او اجزاء كبيرة منها قد زالت او دمرت فعلا حتى دون ان يتمكن المختصون ـ على قلتهم ـ من اتخاذ اى اجراء لانقاذ ما يمكن انقاذه من المخلفات الاثرية او توثيقها.

أنّ حماية هذا التراث لابد وان تعنى المسؤولين والمواطنين على حد سواء ولا نريد ان نكون مسؤولين عن تدمير تراث غنى تم الحفاظ عليه عبر آلاف السنين. . ولا تعنى كثرة المواقع الاثرية اننا نستطيع الاستغناء عن بعضهـا او اجـزاء منها فلكل موقع قصة فريدة تكمل الصورة الحضارية للمنطقة باكملها ولا يجوز التفريط فى اى جزء منها.

أنّ المسؤولـين والبلديـات والمؤسسـات الثقافية والعلمية والعاملين فى القطاع الخاص مطالبون بالمساهمة الفاعلة فى الحفاظ على التراث وانقاذه ودراسته وان اى تفريط به يعتبر خيانة وطنية وانسانية.

سأستعرض عبر الصفحات التالية المناطق الجغرافية الرئيسية فى الاردن لنتعرف على التطور والتفاعل الذى حصل فى كل منها خلال امثلة محددة خاصة من المواقع التى تم فيها دراسات واعمال ميدانية.

تنوع المناخ والطبوغرافيا والمصادر الطبيعية:

يتكون الاردن من ثلاث مناطق جغرافية رئيسية هى : منخفض وادى الاردن، والمنطقة الجبلية ومن ثم الصحراء. . وتتجه هذه المناطق الثلاث من الشمال الى الجنوب.

ولفهم التطور الحضارى فى الاردن لابد من دراسة مميزات كل من هذه الظواهر الجيولوجية والتى لها تأثير مباشر على الحياة السكنية وانماط مواقع الاستيطان.

منطقة الصحراء او الأرض الجافة.

تشكل الصحراء الجزء الغالب من مساحة الاردن الجغرافية وهى امتداد لصحراء الجزيرة العربية فى الشـرق وتسـير حدودهـا الغـربية تقريبا مع امتداد الخط الحديدى الحجازى الذى يفصلها عن المناطق الجبلية. . تتكون منطقة الصحراء من الحجر الجيرى والصوان فى الوسط، والحجر الرملى والغرانيت فى الجنوب والحجر البازلتى البركانى فى الشمال والشمال الشرقى. . وقد تركزت الدراسات البيئية القديمة فى هذه المنطقة حيث يتواجد حوضان او تجويفان كبيران احدهما منطقة الجفر فى الجنوب والآخر مرتبط بواحة الازرق فى الشرق. . وتبلغ مساحة كل حوض حوالى ١٢٠٠٠ كم مربع اى اربعة اضعاف مساحة البحر الميت بحجمـه الحالى. . لذلك نرى ان مقومات الحياة والاستقرار حول هاتين المنطقتين كانت افضل وارحم مما هى عليه الآن. . يتبين ذلك من خلال اعداد كبيرة من المواقع التى يعود تاريخها الى نهاية العصر الحجرى القديم او الفترة الممتدة ما بين ١٢٥٠٠-١٠٠٠٠ ق.م. ويظهر واضحا أن هذه المنطقة كانت تنعم بالخضرة وتزدحم الى حد كبير بمواقع الاستقرار الاولى التى تعتبر من اقدم مواطن التجمع البشرى فى العالم حتى حوالى الالف الرابع ق.م وحتى العهد الرومانى، رغم ان النشاط السكانى بقى موجودا (Gararrd 1983, Muheisen 1983).

ويمثّل موقع جاوة فى الصحراء البازلتية (على بعد حوالى ٧٥ كم الى الشرق من المفرق) حالة فريدة. .



يمثل هذا الموقع المحصن بين وادى راجل ووادى جاوه مدينة واضحة المعالم باسوارها وابراجها ومساكنها التى تعود لنهاية الالف الرابع قبل الميلاد . . وتشير الدراسات التى اجراها الدكتور سفند هلمز على قدرة سكان الموقع على استغلال مصادر المياه وتخزينها من خلال بناء سلسلة من السدود واحواض التخزين واماكن تصريف المياه واستعمالها فى رى الاراضى المجاورة من خلال قنوات للرى (Helms 1981, 1982)

وكانت هذه المنطقة البركانية مأهولة بالقبائل العربية التى تركت وراءها عشرات الالاف من النقوش المعروفة بالصفوية التى باشرت جامعة اليرموك بتوثيقها بشكل منهجى ومنظم . . اضافة الى هذه النقوش وجدت نقوش أخرى كتبت باليونانية والنبطية والكوفية والعربية ومجموعات من الرسوم الصخرية يعود بعضها لعصور ما قبل التاريخ والجزء الغالب الى مرحلة النشاط المكثف للقبائل العربية قبل الاسلام بفترة وجيزة . . تتضمن هذه الرسومات مشاهد لحيوانات اليفة مثل الاغنام والجمال والحمير والخيول . . وترينا جميع هذه المشاهد قدرة الانسان على التكيف وقدرته على تطوير مصادر البيئة المحيطة به لخدمته .

هناك امثلة كثيرة أخرى تلقى اضواء على ارتباط الانسان ببيئته الصحراوية وتكيفه معها والتى استغنى الآن عن سردها الطويل ، الا اننى لا اريد ان اغفل القصور والمعالم الصحراوية وتكيفه معها والتى استغنى الآن عن سردها الطويل الا اننى لا اريد ان اغفل القصور والمعالم الصحراوية الاموية مثل قصر الحلابات وقصر مشاش وقصر برقع والخرانه وطوبه وعمرة وغيرها . . استغلت بعض هذه القصور لأغراض الصيد والاستجمام الا ان الغرض الرئيسى لعدد منها كان لاغراض زراعية .

المناطق الجبلية

تمتد بين وادى الاردن والصحراء سلسلة من الجبال والهضاب وترتفع حوالى ٦٠٠-١٢٠٠م فوق سطح البحر. يفصل هذه الهضاب عن بعضها عدد من الوديان التى غالبا ما تمتد باتجاه الشرق والغرب وتسهل الاتصال بين وادى الاردن والمناطق الجبلية . . تقسم الوديان الرئيسية **(مثل وادى اليرموك ووادى الزرقاء ووادى الموجب ووادى الحسا)** هذه المرتفعات الى وحدات جغرافية جانبية ، ويرتبط وجود هذه الاودية بسهول خصبة وتشكل المصدر المائى الرئيسى للنشاط السكانى . . نلاحظ ان عددا كبيرا من المواقع الاثرية بما فى ذلك مواطن الاستقرار الاولى مرتبطة بهذه الوديان مثال ذلك عين غزال فى الجزء الشرقى من عمان (Rollefson 1984) وبيضا شمالى البتراء وخربة اسكندر على منحدر وادى الوالة الشمالى (Richard 1983) وجبل ابو الثواب على وادى الزرقاء (Kafafi 1985) بينما كانت قمم الجبال والمرتفعات والمنحدرات منفصلة فى العصور اللاحقة ابتداء من العصر البرونزى الوسيط وحتى الفترة الأيوبية المملوكية . . وذلك لسهولة تحصينها ومن الملاحظ ان الحجر كان يشكل مادة البناء الرئيسية ، بينما نجد أن المجفف او المشوى كان مادة البناء المسيطرة فى الاغوار.

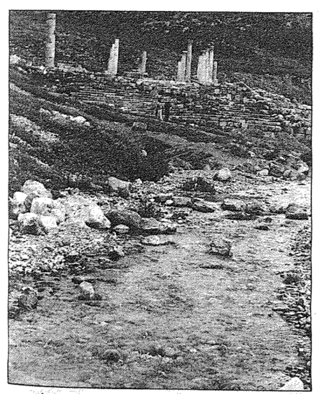
تتميز المواقع فى المناطق الجبلية بتحصيناتها او بامكنتها الاستراتيجية وغالبا ما كان لتلك المواقع المتواجدة فى الوديان والسهول والاغوار ارتباطات سياسية واقتصادية لتمنحها الحماية الكافية . . كما تتواجد المراكز السياسية منذ الألف الثانى ق.م. وحتى اليوم فى المناطق الجبلية مثال ذلك البتراء وبصيرة والكرك ومادبا وعمان وغيرها .

هناك طريقان رئيسيان ادتا دورا هاما فى الاتصال والعلاقات التجارية منذ فجر التاريخ احداهما المعروف بالطريق السلطانى مرورا باربد وجرش وعمان ومادبا والكرك والشوبك فالبتراء وحتى البحر الاحمر وشمال غرب الجزيرة العربية وتتبع الأخرى الخط الحديدى الحجازى الحالى وكلتا الطريقين يسيران من الشمال الى الجنوب .

وافضل ما حفظ من الطرق القديمة تلك التى تعود للعهد الرومانى وبالاضافة الى المسارين الرئيسين المشار اليهما توجد هناك طرق فرعية تسير باتجاه شرق ـ غرب والتى تربط المناطق الصحراوية ووادى الاردن بالطرق الرئيسية فوق الاراضى المرتفعة . . ومن الواضح ان المنطقة الجبلية كانت تزود المنطقتين فى الشرق والغرب بالمصادر الضرورية .

يوجد لدينا حالات كثيرة فى المناطق المرتفعة حيث يتمثل التفاعل بين الانسان والبيئة نعرض منها امثلة واضحة .

صورة خيال وكتابات صفوية من الفترة الصفوية (القرن السابع قبل الميلاد وحتى القرن السابع الميلادى)



منظر عام لبقايا المرافق العامة (الكلاسيكيه) فى موقع طبقة فحل



فالبتراء مثال حيوى لمثل هذا التفاعل الذى يصور قدرة الانسان على تكييف نفسه على الظروف القاسية المكونة لبيئته . . فمنذ العهد الناطوفى ومرحلة ما قبل الفخار من العصر الحجرى الحديث، انشئت قرى زراعية فى كل من موقعى البيضا ووادى صبرا ولضعف الامكانات الزراعية اعتمد سكان هذه القرى على الصيد كمصدر اساسى او مساعد لتوفير القوت الضرورى، اما فى العهد النبطى فقد استطاع الناس تخزين المياه وادارتها لاغراض الزراعة والاستعمالات المنزلية بكفاءة عالية . . وفى الحقيقة فقد تمكن الانباط من تطويع الارض الصخرية وتوظيفها لخدمتهم من خلال انشاء المصاطب المتصلة والقنوات المعقدة لجلب المياه . (Lindner 1986)

يمثل موقع عين غزال فى العصر الحجرى الحديث المبكر حالة أخرى من تفاعل الانسان مع بيئته . . لقد وجد سكان عين غزال فى سيل عمان دائم الجريان والمتصل بعدد من الاودية الفرعية مكانا مناسبا لاقامة موقع تبلغ مساحته ثلاثة اضعاف مساحة اريحا المعاصرة له وتكشف عظام الحيوانات التى وجدت فى الموقع عن اتصال مباشر باربعة عناصر بيئية رئيسية هى الغابة والنهر والمرعى والصحراء . . بالاضافة الى ذلك فقد استغلت الارض المجاورة لزراعة القمح والشعير والبازلا والعدس والحمص . . واستكملت الطاقات الزراعية والرعوية من خلال صيد وجلب مصادر برية . . وبذلك ادى استغلال هذه المصادر مجتمعة توفير مقومات العيش لاكبر مجموعة بشرية عرفها العالم فى ذلك العصر (Rollefson and Simmon 1985) .

وكشفت الحفريات عن شواهد واضحة للعلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لمواقع أخرى معاصرة فى وادى الاردن والمناطق المرتفعة وحتى الصحراء .

اما سحاب الى الجنوب الشرقى من عمان ـ وهى مثال آخر ـ فتقع فى منطقة انتقالية بين الصحراء والمناطق المرتفعة وقد دلت الحفريات على وجود تاريخ طويل لهذا الموقع منذ العصر الحجرى الحديث (الالف الخامس ـ الالف الرابع ق . م) وحتى أواخر العصر الحديدى (حوالى القرن الخامس ق . م) وقد وجد الموقع اكبر اتساع له فى الفترة القديمة كواحدة من كبرى القرى الزراعية التى عرفها الاردن حتى الان ويتضح اهمية الموقع فى تلك الفترة من خلال عدد من الوحدات السكنية التى تتضمن مرافق للخزن داخل الغرف وفى الساحات المرتبطة بها . وبعض مرافق الخزن عبارة عن حفر كبيرة مقطوعة فى الصخر او الارض الطبيعية ويبلغ قطر الواحدة احيانا حوالى ٤م وبعمق يزيد عن ٢م وقد يدلنا ذلك على ان سكان الموقع كانوا يخزنون انتاجهم الزراعى تحسبا لأيام الجفاف او الموسم الاقل انتاجا (Ibrahim 1972; 1974; 1975; 1983)

اصبح موقع سحاب فى الفترات اللاحقة اصغر حجما حيث تظهر الوحدات السكنية متراصة حتى

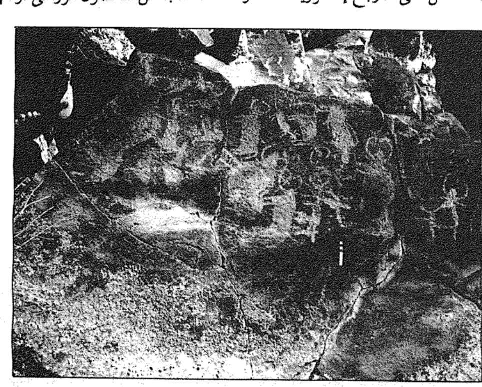
اصبحت فى العصرين البرونزى المتوسط والبرونزى المتأخر موقعا محصنا فريدا من نوعه فى الاردن، وكانه موقع دفاعى او لحماية المواقع والقرى الجبلية من أى هجوم يأتى من الصحراء.

ويظهر ان الموقع كان جزءا من المنطقة العمونية منذ نهاية الالف الثانى وحتى منتصف الالف الاول ق.م حتى غدا موقع سحاب يزودنا بمعلومات تفصيلية عن الفترات العمونية اكثر من عمان عاصمة العمونيين فى ذلك الوقت.

كما اجرت جامعة اليرموك مسحا أثريا للمنطقة المحيطة بموقع سحاب وكشفت عن حوالى ١٣٠ موقعا تمثل مختلف العصور ابتداء من العصر الحجرى القديم. . والذى تجدر الاشارة اليه هنا هو وجود عدد كبير من المواقع والقرى الزراعية فى منطقة تبدو اليوم شبه جافة وتكاد تخلو من السكان. . وتعطينا البقايا معلومات هامة عن الحياة الزراعية والسكنية الريفية عند الامويين فى اطراف البادية (Ibrahim et al: fc) .

اما سكان سحاب اليوم فيعتمدون كليا على مصادر (مثل الماء والغذاء . . . الخ) تأتى من اماكن أخرى من الاردن أو خارجه.

ولا بد هنا من الاشارة الى موقع او موقعين آخرين هما المغير والزيرقون الى الشمال الشرقى من اربد حيث اجرت جامعة اليرموك بالاشتراك مع جامعة تيوبنجن الالمانية دراسات ميدانية. . وابرز ما كشفت عنه الحفريات من موقع المغير الواقع على الحافة الشرقية لوادى راحوب عشرات من مخازن الحبوب (حوالى القرن الخامس ق.م) على شكل آبار تم حفرها فى ارضية الموقع وبنيت جوانبها من الحجر وكانت هذه المخازن تستعمل على الارجح إما لتزويد منطقة واسعة مما تحتاجه من المحصول الزراعى او انها كانت مخبأ



صورة تمثل ابقاراً وثيراناً منحوتة على الحجر البازلتى (القرن السابع ق.م - القرن السابع الميلادى)



لتخزين المحصول لمواسم الجفاف (Ibrahim and Mittmann:fc)

واسفرت هذه الحفريات التى اجريت مؤخرا عن اكتشاف مدينة محصنة تعود الى الألف الثالث ق.م فى موقع زيرقون المطل على وادى الشلاله من الناحية الغربية ويحيط بالموقع سور ضخم تم بناؤه من الحجر ويزيد عرضه عن ثمانية امتار ويتصل به من الخارج العديد من الابراج التحصينية.. وابرز ما فى الموقع وجود آبار عميقة اقرب الى الآبار الارتوازية التى نعرفها اليوم اذ بلغ عمق احد هذه الآبار حوالى (١٢٠) مترا ويتخلل البئر سلم من الدرج لتسهيل نقل المياه الى المدينة.. وعثر داخل المدينة على ادوات و(اوانى) فخارية من ابرزها مجموعة من القطع التى تحمل طبعات اختام اسطوانية تشير بشكل واضح الى وجود علاقات تجارية وثيقة بين مناطق الشرق القديم المختلفة وبشكل خاص مع منطقة بلاد ما بين النهرين.

وادى الاردن

يمتد غور الاردن حوالى ١٠٤ كم من بحيرة طبرية شمالا وحتى البحر الميت جنوبا ويقع بكامله تحت مستوى سطح البحر كما انه جزء من الحفرة الانهدامية الممتدة من شمالى سوريا الى ما بعد البحر الاحمر حتى شرقى افريقيا.. ويميز الغور ثلاث ظواهر رئيسية:

١ - **الزور**: وهو الوادى الصغير الذى يغير فيه نهر الاردن مجراه بين الحين والاخر.
٢ - **الكتار**: وهى عبارة عن هضاب فاصلة تمتد مع الحافة الشرقية لمنطقة الزور.
٣ - **ارضية الغور**: والتى تشكل الجزء الرئيسى من الغور وتعتبر اكثر المناطق خصوبة فى الأردن.

يظهر وادى الأردن وجودا مكثفا وحياة مستقرة منذ حوالى ١٠٠٠٠ ق.م وحتى نهاية العصر الايوبى - المملوكى.. هناك مائتان واربعة وعشرون موقعا اثريا تم تسجيلها فى المسح الأثرى المشترك الذى تم فيها بين ١٩٧٥-١٩٧٦ فى وادى الاردن الشرقى بين نهر اليرموك فى الشمال والبحر الميت فى الجنوب (Ibrahim, Sauer, and Yassine 1976).

وتمثل هذه المواقع جميع الفترات التاريخية منذ حوالى ١٠,٠٠٠ ق.م. ان انماط المواقع التى نقبت او التى تم التعرف عليها من خلال ملتقطات السطح مختلفة نوعا ما عن تلك التى وجدت فوق الجبال.. ان هذه الاختلافات هى نتيجة تكيف وملاءمة الانسان للبيئة المحيطة.. ان المادة المستعملة للبناء فى وادى الاردن تتكون اساسا من الطوب.. وهذا يقابله استخدام للحجارة فى المواقع المعاصرة المشادة على المرتفعات.. ان المواقع فى وادى الاردن غير محمية طبيعيا والعديد منها مقام فى اسفل الانحدار الجبلى او على مرتفعات فى الوادى واخرى مبنية فى الجزء المجدب من الكتار بالرغم من ان معظم هذه المواقع تتجمع حول مصادر المياه (جداول وينابيع) فان سكان الغور تعمدوا المحافظة على التربة الخصبة واستخدامها للانتاج

الزراعى، وبالرغم من ان هناك ما يدل على استغلال الرومان والبيزنطيين والامويين للمياه اذ يبدو ذلك واضحا من خلال القنوات وشبكات المياه فانه لابد من القول من ان هناك انظمة مشابهة اقل تعقيدا استخدمت فى الانشطة الزراعية لعصور اقدم فى ظل الاعداد الهائلة للسكان فى المراكز كدير علا وتل السعيدية وتلال اخرى.

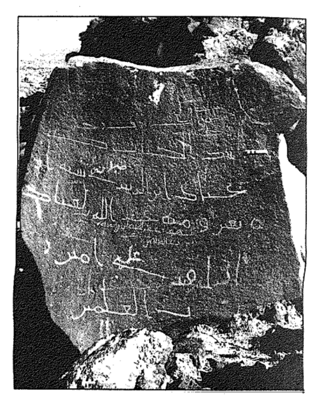
وقد قالت كينيون بان انظمة رى مكثفة قد تكون بدأت فى مرحلة مبكرة من العصر النيوليثى (Pre-pottery Neolithic) حوالى ١٠٫٠٠٠ سنة فى اريحا (Kenyon 1979) . . بما ان الرى كان دائما الاساس لحياة الاستقرار فى الغور فقد تم توسيع الرقعة الزراعية فى العصر الاموى ليشمل مناطق غير مستغلة حتى وقت قريب وتشمل غور كبد الواقع بين وادى الزرقاء ووادى شعيب وذلك بواسطة شبكات رى متطورة (Ibrahim, Sauer and Yassine, fc) .

لقد تشكل وادى الأردن نتيجة حركات تكتونية وعلى هذا فانه من غير المستغرب ان تكون الزلازل هى التى تحكمت فى طبيعته منذ تكوينه . . وقد تأثر الاستقرار السكانى فى وادى الأردن على مر الزمن بهذه الظاهرة الطبيعية . . وقد يكون هجران اريحا فى فترات مختلفة من عصور ما قبل التاريخ نتيجة انقطاع مياه عين السلطان، وهناك ما يثبت الدمار الذى حل بالأبنية بفعل الزلازل . . لم يستطع العلماء حتى الآن تحديد فترة الانقطاع السكانى التى حصلت خلال مرحلة العصر الحجرى الحديث بشكل دقيق علما ان هناك شواهد تدل على ان الاستيطان لم يتوقف طويلا واستؤنف فى مواقع اخرى فى وادى الاردن.

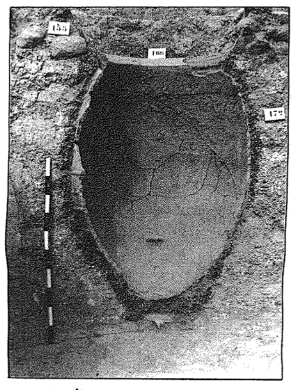
فعلى سبيل المثال استنتج المنقبون فى موقع تل دير علا ان الموقع قد دمر عدة مرات نتيجة لتعرضه للزلازل الارضية وهذا ما استدل عليه من خلال تداخل الطبقات السكانية مع بعضها البعض وعلى اية حال فان اعادة تعمير الموقع قد تمت مباشرة من قبل المستوطنين وكنتيجة لهذه الزلازل فقد شبت حرائق كبيرة فى الموقع مما تسبب فى تدميره، وفسرت هذه الظواهر الطبيعية فى البداية على انها نتيجة لاعمال غزو من قبل مهاجمين . . وقد دلت الدراسات الجيولوجية على ان دير علا تقع بقرب مركز الاهتزاز وان التدمير المستمر فى الموقع يجب ان يؤخذ على انه انعكاس للاحداث الطبيعية فى وادى الأردن اكثر منه انعكاسا سياسيا كما ذُهب اليه من قبل الباحثين الاوائل
(Franken and Ibrahim 1977-78, Franken and Kalsbeek 1969)

لقد كانت المصادر الغذائية الطبيعية عماد المستوطنات الدائمة فى وادى الاردن بالرغم من أن المواد ذات الطبيعة النادرة والغريبة ساهمت بشكل اساسى فى تدعيم الاقتصاد المحلى والاقليمى . . ومن الجدير ذكره ان مناجم النحاس الموجودة فى وادى عربة استغلت على فترات منقطعة منذ العصر الحجرى النحاسى (الالفين الخامس والرابع) لتؤمّن احتياجات معظم بلاد الشام . . ومن المهم ملاحظته ان استغلال خامات النحاس قد تم فى نفس المنطقة خصوصا مع وجود الأشجار التى تشكل مادة الوقود لعملية الصهر . . حيث انه لا يوجد دليل واضح لذلك الاستخدام فى العصر الحديدى الاول والذى يبدو متزامنا مع فترة تجريد





كتابات عربية قديمة منحوته على الصخر



جزء من جرة تخزين من موقع ابو حامد(بداية الألف الرابع ق.م)

المنطقة من الغابات وتبدو هذه الاستفادة فى العصر الحديدى المتأخر وعلى نطاق اضيق فى حين اصبح للتعدين فى العهد النبطى جدوى اقتصادية كبيرة نظرا للطلب المحلى وربما لاستخدام وقود اكثر فاعلية للانتاج (Hauptmann, Weisgerber, Knauf 1985).

ومثال آخر يبين الطلب المحلى لانتاج واستهلاك السكر اثناء العصر الأموى وحتى العصر الايوبى - المملوكى وبذلك فان مصدرا جديدا دخل الى الوادى وشكل صناعة مزدهرة ومربحة يؤمن احتياجات سوق جديدة لعشرات الاجيال. . وخير دليل على هذه الصناعة وجود اعداد كبيرة من طواحين السكر وحولها اوانى فخارية محلية عرفت «اوانى السكر» عثر عليها ابتداء من غور الصافى مرورا بالبحر الميت وحتى نهر اليرموك فى الشمال (Ibrahim; Sauer and Yassine 1976, fc) .

لقد تعرض الاستيطان فى وادى الأردن لفترات انقطاع بسبب عوامل طبيعية وحضارية. . ويبدو ان اجزاء منه قد هجرت كنتيجة لسوء استغلال المصادر الطبيعية المتاحة.

لقد كان للقضـاء على الغـابـات آثار خطيرة فى عملية الاستيطان فى مناطق مختلفة من الشرق الأدنى

القـديم . . وفى الحقيقة لم يكن سبب ذلك الحاجة للاخشاب فى اشادة البيوت وانما الزيادة المفاجئة فى استعمال الخشب كمادة وقود لصناعة الفخار وصهر المعادن وتصنيعها الامر الذى تسبب فى تدمير الغابات المتاخمة لمراكز الاستيطان الرئيسية .

لقد شكل القضاء على الاشجار الخطوات الاولى لعملية التعرية والتى جعلت عملية تشجيرها مرة ثانية امرا صعبا للغاية . . وقد قاست مواقع كثيرة مثل باب الذراع والنميرة من عوامل التعرية هذه والتى غالبا ما ادت فى النهاية الى هجرانها . . كما واثرت الحاجة الملحة لاستخراج الحديد وتصنيعه من منطقة عجلون فى العصر الحديدى المتأخر وحتى العصر الايوبى المملوكى فى زيادة عوامل التعرية والانجرافات .

المشاكل الصحية والأمراض القديمة

يعقب الانحطـاط فى مواقع او مناطق معينة عادة فجوة فى الاستيطان فالآثاريون والمعنيون بالتطور الاجتماعى الثقافى معنيون ليس فقط بتفسير التراث المادى الذى يعثرون عليه ولكن يجب عليهم ايضا ان يبحثـوا عن مسببات الانقطاع السكنى ، اذ غالبا ما يعكس الانقطاع صراعا عنيفا بين الانسان وبيئته واوضـاعها المتغيرة . . لقد فسرت ديانا كيركبرايد ـ هلبك سبب هجر مواقع بما فيها اريحا وبيضا كنتيجة لانتشار الأوبئة (Kirkbride-Helbaek 1982:53) ان الانحطاط فى الحضارة الايوبية المملوكية المزدهرة فى الأردن ومنـاطق اخـرى شرق اوسطيـة قد درست من قبـل يوسف غوانمـة من حيث علاقتها بوباء «الطاعون» وامراض اخرى ذكرت فى المصادر المكتوبة (غوانمة ١٩٨٣) . . ويظهر ان هذا المرض جاء مع



منظر عام لموقع جبل ابو الثواب (نهاية الألف السادس ق.م)



جفاف منتظم حصل سنة بعد سنة على مدى مئة وخمسين عاما فى بلاد الشام . . والسؤال فيما اذا كانت هذه الأمراض المأساوية هى المسؤولة عن التغيرات المميزة او قلة السكان فى الاردن فى فترات لا يتوفر عنها مصادر تاريخية تشكل دراسة الهياكل العظيمة هنا اهمية خاصة فى محاولة للتعرف على المشاكل الصحية اذ ان الأجسام العضوية بما فيها البشرية تحمل علامات البيئة التى شكلتها والأحداث التى واجهتها اثناء حياتها (Rolstion 1984) .

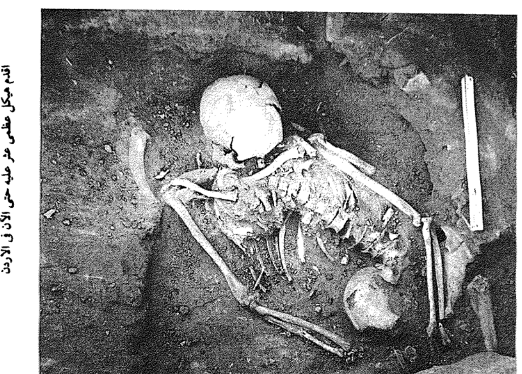
لقد هجرت مواقع عين غزال **(وهى معاصرة لاريحا)** وبيضا وتل الصوان بالقرب من جرش **(مجموعات سطحية)** ومثلها موقع بسطة بالقرب من البتراء وخربة حمام على وادى الحسا (مجموعات سطحية) فى نفس الوقت حوالى ٦٠٠٠ ق . م وتم مؤخرا التأكد من ذلك بعد اختبارات للاشعاع الكربونى من عين غزال (Rollefson 1984) . . ان المسببات الرئيسية لعمليات الهجرة هذه مازالت غير واضحة ولكن مزيجا من سوء الاحوال الجوية مصحوبا بمشاكل صحية متزايدة كان السبب الرئيسى فى هجر هذه المراكز الزراعية والرعوية فى جميع انحاء المنطقة ولا يوجد بعد ذلك دليل على استيطان دائم الا بعد بضع مئات من السنين اثناء العصر الحجرى الحديث الفخارى كما هو الحال فى اريحا وتل الرمان بين صويلح وجرش وغيرها من المواقع فى المرتفعات الجبلية ووادى الاردن .

ففى عين غزال بدأ المنقبون الحصول على عينات قيمة من المخلفات العظيمة الآدمية والتى تظهر متوسط عمر متدنٍ (خاصة عند النساء) وطفولة معتلة نسبيا (كما يدل على ذلك الوفيات الكبيرة بين الأطفال) وقوام قصير نسبيا عند البالغين . . ان هذه الحالة هى ما توقعناه فى العصر الحجرى الحديث اذ جَابَهَ الانسان امراضا جديدة نتيجة سكناه فى مسكن لا تتوفر فيه الاسباب الصحية . . ان صحة الاسنان فى العصر الحجرى الحديث تبدو افضل مما كان متوقعا بالرغم من نسبة تسوس الاسنان العالية مما يدل على وجود شوائب قاسية فى الغذاء او ربما بسبب استعمال الاسنان كأدوات (Rolston 1984) .

يستدل من دراسة العظام البشرية المكتشفة فى باب الذراع على وجود امراض قليلة فى العصر البرونزى المبكر (حوالى ٣٠٠٠ ـ ٢٧٠٠ ق . م) (Ortner 1981:132) بينما تظهر التحاليل الاولية للعظام من العصر البرونزى الرابع حوالى ٢٠٠٠ ق . م التى اكتشفت فى مقابر ام البغال بالقرب من عمان حالة مختلفة لاوضاع صحية سيئة بشكل عام (Rolston 1984) .

هنالك عنصر مهم ساهم فى هذا المجال وهو العثور على عظام حيوانية فى عين غزال (Kehler-Rollefson 1984) فقد تسبب تدجين الماعز بالاضافة لحيوانات اخرى فى عملية القضاء على الغابات والاعشاب وهى

فى طور النمو الأمر الذى ترتب عليه قلة الاشجار والغطاء الاخضر وتعريض التربة بالتالى لعوامل التعرية مزيلة بذلك اماكن الزراعة الحيوية وهذا يعكس بنفس الوقت مشاكل نقص الغذاء فى عصر اتسم بالضغط السكانى



اقدم هيكل عظمى عثر عليه حتى الآن فى الاردن

أيّة مخلفات أثرية تتم دراستها.. تساهم بشكل أو بآخر فى إلقاء الضوء على طبيعة تفاعل الانسان مع بيئته.

BIBLIOGRAPHY

Abbreviations: AASOR - Annual of the American Schools of Oriental Research

ADAJ - Annual of the Department of Antiquties of Jordan

BASOR - Bulletin of the American Schools of Oriental Research

ICHAJ - International conference on the History and Archaeology of Jordan (to be published)

Bisheh, G. 1982 The Second Season of Excavations at Hallabat, 1980 ADAJ 26, 133-143.

1983 Qasr al-Hallabat: A Desert Retreat or an Umayyad Farm Land?, 2nd ICHAJ, Amman.

Franken, H. and Ibrahim, M. 1977-1978 TWo Seasons of Excavations at Tell Deir Alla 1976-1978,



Kafafi, z. 1985 First Season of Excavations at Jebel Abu Thawwab (Er-Rumman), 1984 (Preliminary Report). ADAJ 29, 31-41.

Kenyon, K. 1979 Archaeology in the Holy Land, London.

Kirbride-Helbaek, D. 1982 Early Jordan: A Survey, Studies in the History and Archaeology of Jordan I, Department of Antiquities, Amman, 49-54.

Kohler-Rollefson, Ilse 1984 Personal Communication

Lindner, M. 1986 Petra, Neue Ausgrabungen und Entdeckungen. Munchen: Delp Verlag.

Macdonald, M. 1984 Corpus of the Inscriptions of Jordan Project, A Report, Yarmouk University (in Press).

Muheisen, M. 1983 La Prehistoire en Jordanie. Recherches sur L, Epipaleo Lithique, L'Exemple du Cisement de Kharaneh IV. 3eme Cycle ph.D. thesis submitted to the l'Universite de Bordeaux I.

Ortner, D. 1981 A Preliminary Report on the Human Remains from the Bab edh Dhra Cemetery, AASOR 46, 119-132.

Richard, S. 1983 Report on the 1982 Season of Excavations at Khirbet Iskander. ADAJ 27, 27-45.

Rollefson, C. 1982 Preliminary Report on the 1980 Excavations at Ain el-Asad, ADAJ 26, 5-35.

1982 Excavations at PPND Ain Ghazal, ADAJ 26, 411-413.

1983 Ritual and Cemetery at Neolithic Ain Ghazal (Jordan), Paleorient 9 (2), 29-38.

1984 Personal Commnication

Rollefson, C. and A. Simmons 1985
Exca vations at Ain Ghazal, Preliminary Report. ADAJ 29, 11-31.

Rolston, S. 1982 Prehistoric Burials from Qasr Kharaneh, ADAJ 26, 221-229.

1984 Personal Communication

غوانمه ، يوسف درويش ١٩٨٥ الطاعون والجفاف وأثرهما على البيئة فى جنوب الشام (الاردن وفلسطين) فى العصر المملوكى الصفحات ٣١٦-٣٢٢ فى
Studies in the History and Archaeology of Jordan 11

ADAJ22, 57-80.

Franken, H.and Kalsbeek, J. 1969 Excavations at Tell Deir Alla, Vol. 1, Leiden.

Garrad, A. 1983 The Environmental History of the Azraq Basin , 2nd ICHAJ, Amman.

Gentelle, P. 1983 Natural and Human Landscapes: An Inquiry around petra by Means of Aeroaı photographs and field Survey, 2nd ICHAJ, Amman.

Ghawanmeh, V. 1983 The Effect of plague and Drought on the Environment of the Southern Levant During the Late Mamluk period, 2nd ICHAJ, Amman.

Harlan, J. 1981 Natural Resources of the Southern Ghor, AASOR 46, 155-164.

Hauptmann, A., 1985 Weisgerber, G. and Knauf, A. Archaometallurgische und bergbauarchaologische Untersuchungen im Gebiet von fenan, Wadi Arabah (Jordanien Der Anschnitt 5-6:163-195.

Helms, S.1981 Jawa; Lost City of the Black Desert, Methuen.

1982 Paleo-Beduin and Iransmigrant Urbanism, Studies in the History and Archaeology of Jordan I, Department of Antiquities, Amman, 97-113.

Ibrahim, M. 1972 Archaeological Excavations at Sahab, 1972, ADAJ 17,23-26

1974 Secon d Season of Excavation s at Sahab, 1973 ADAJ 20. 55-61

1975 Third Season of Excavations at Sahab, 1975. ADAJ 20, 69-82

1983 Sahab, Archiv Fur Orientforschung 29, 256-260.

Ibrahim, M. and S. Mittmann Fc.
The Excavations at Tell el-Mugayyir and Hirbet ez-Zeraqon 1984.

Ibrahim, et al Fc.
Survey around Sahab (Forthcoming).

Ibrahim, M., Sauer, J.,Yassine, K. 1976
The East Jordan Valley Survey, 1975, BASOR 222, 41-66.

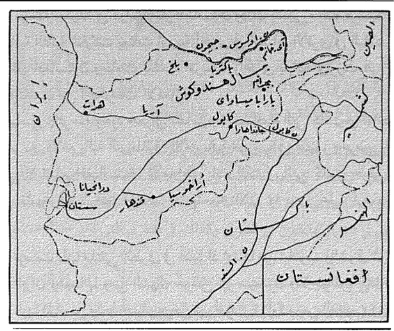
Fc. The East Jordan Valley Survey, 1976, BASOR (Forthcoming).



« باميان بكسر الميم وياء والف ونون بلدة وكورة فى الجبال بين بلخ وهراة وغزنة، بها قلعة حصينة والقصبة صغيرة والمملكة واسعة . . وبينها وبين بلخ عشر مراحل، والى غزنة ثمانى مراحل وبها بيت ذاهب فى الهواء بأساطين مرفوعة منقوش فيه كل طير خلقه الله تعالى على وجه الارض يتتابه الذعار، وفيه صنمان عظيمان نُقِرَا فى الجبل من أسفله الى اعلاه يسمى أحدهما سُرْخبُد والاخر خِنْكبُد . . وقيل ليس لهما فى الدنيا نظير . . »

ياقوت الحموى فى «معجم البلدان(*)

بهذه العبارات وصف ياقوت الحموى فى معجمه مدينة باميان احدى مدن افغانستان القديمة وقد لفت نظره ما حوته من مبان أثرية ورسوم جدارية . . وتحدث أيضا عن مدينة هرات قائلا: «هراة بالفتح مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان . . لم أر بخراسان عند كونى بها فى سنة ٦٠٧ مدينة أجلّ ولا أعظم ولا افخم ولا أحسن أهلا منها . . دمرها التتار فى سنة ٦١٨ . . قال الرهنى «ان مدينتها بنيت للاسكندر وذلك انه لما دخل الشرق ومر بها الى الصين كان من عادته أن يكلف أهل كل بلد ببناء مدينة تحصنهم من الاعداء فيقدرها ويهندسها لهم وانه أعلِم أن فى أهل هراة شماسا وقلة قبول فاحتال عليهم وامرهم أن يبنوا مدينة ويحكموا أساسها ثم خط لهم طولها وعرضها وسمك حيطانها وعدد أبراجها وابوابها



واشترط لهم أن يوفيهم أجورهم وغراماتهم عند عوده من ناحية الصين. . فلما رجع من الصين ونظر الى ما بنوه عابه وأظهر كراهيته وقال ما أمرتكم أن تبنوا هكذا فرد بناءهم عليهم بالعيب ولم يعطهم شيئاً».

وقد سبق ياقوت الى الكتابة عن افغانستان ومدنها وآثارها عدد من الجغرافيين والرحالة المسلمين كان من بينهم كاتب مجهول ألف كتابا بعنوان «حدود العالم من الشرق والغرب» وصف بعض آثار بلخ وباميان وناجاراهارا وتحدث عن تماثيل بوذا الضخمة.

والواقع أن ارض افغانستان تذخر بكنوز أثرية هامة تعكس صور الحضارة التى عاشتها تلك البلاد منذ عصور ما قبل التاريخ. . ومما يثير الدهشة تأخر الاهتمام بالتنقيب عليها على عكس ما حدث فى جارتها الهند. . وكان المهتمون بدراسة آثار آسيا يتابعون الاطلاع على آثار افغانستان من خلال كتابات الرحالة الاوربيين وما جمعه هواة العملة من عملات عثروا عليها فى كثير من المواقع الافغانية القديمة. . وبعد أن تأسست الجمعية الاسيوية للبنغال فى كلكتا فى عام ١٧٨٤م ازداد الاهتمام بدراسة عملات افغانستان وكذلك بدراسة الآثار المتناثرة على الطرق التى تربط مدن افغانستان بعضها ببعض.

وفى عام ١٨٣٠م حدثت طفرة فجائية فى دراسة آثار افغانستان عندما قام نفر من العلماء البريطانيين بارتياد مناطق الاثار فى افغانستان كان أولهم تشارلز ماسون الذى قام برحلاته فى تلك البلاد بين عامى ١٨٣٤ و١٨٣٧. . واليه يعود الفضل فى التعرف الى مدينة بجرام القديمة وكان يرى فيها المدينة التى شيدها الاسكندر الاكبر عندما غزا منطقة شمال افغانستان (٣٣٠-٣٢٧ ق.م) باسم اسكندرية القوقاز أو اسكندرية بارو باميسادا ومنها جمع زهاء ثلاثين ألف قطعة من العملة من فترات تاريخية مختلفة. وقد كشف أيضا عن مواقع وآثار قديمة فى منطقة كابول وقام بزيارة باميان وجلال آباد الواقعة فى سهل نهر كابول.

وفي عام ١٩٢٢ بدأت مرحلة جديدة فى دراسة آثار افغانستان وذلك بمجيء بعثة فرنسية برئاسة فوشيه، وقبيل نشوب الحرب العالمية الثانية شاركت بعثات أوربية أخرى فى النشاط الاثرى فى البلاد . . وبعد انتهاء الحرب عاد الاهتمام بآثار افغانستان وجاءت بعثات امريكية واخرى يابانية وبرزت الى جانبها عناصر أفغانية لقيت التشجيع المناسب من الحكومات الافغانية.

وافغانستان وجود سياسى اكثر منه وجود جغرافى نشأ نتيجة للمنافسة التى كانت فى أواخر القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر بين الامبريالية البريطانية والامبريالية الروسية فى آسيا، وحرص الافغانيون على بقاء هذا الوجود حتى لا تبتلع افغانستان الامبراطوريات الكبرى التى كانت حولها . . وهكذا قدر لافغانستان البقاء وهى تشهد فى تاريخها الحديث ما نلمسه الان مما يدور على أرضها من منازعات وصراعات.

ومن حق افغانستان أن توصف بأنها ملتقى الطرق فى آسيا اذ يحدها من الجنوب والشرق شبه القارة الهندية ومن الغرب صحراوات ايران وهضابها ومن الشمال حوض نهر سيحون والاحواض الداخلية التى تحتل مناطق شاسعة وتنصرف اليها المياه من وسط آسيا وحوض نهر أموداريا (أوكسوس القديم) (نهر جيحون).

وكان طريق الحرير قديما يخترق شمال افغانستان مارا ببلخ كما كانت طرق التجارة تخترق ممر خيبر الشهير قادمة من حوض نهر السند فى طريقها الى الشمال والشرق . . وكانت طرق التجارة فى الجنوب تسير بحذاء سلاسل الجبال الوسطى على طول الطريق الحالى الذى يؤدى الى كويتا وحوض نهر السند عن طريق غزنه ومن هضبة ايران عن طريق هرات وقندهار . . وكان حوض نهر هلمند بمثابة حلقة وصل بين سلسلة الجبال الوسطى وبين سجستان (سستان) فى غرب افغانستان ومن ثم كان الطريق القادم من هذا الحوض يُفضى الى الممرات عبر جبال الصحراء الى خليج عمان ومضيق هرمز . . وهذا يعنى أنه كان فى الامكان اتصال هذا الطريق بطريق التجارة على ساحل الخليج والربط بينها وبين العراق وحوض نهر السند.

وكان من الطبيعى أن تأتى الى أرض افغانستان مع هذا الحشد من طرق التجارة شعوب شتى جلبت معها ثقافاتها وأن تتحول افغانستان الى بوتقة انصهرت فيها تلك الثقافات حتى أصبح لها طابع حضارى مميز مما مكنها أن تضرب بسهم وافر فى حضارة العالم القديم : وكان من الطبيعى أيضا أن تكون افغانستان نهبا لغزوات تأتيها من الشرق أو من الغرب . . ونعرض فى هذا المقال بشيء من الايجاز للفترات التاريخية التى مرت بها افغانستان قبل الفتح الاسلامى وما ارتبطت بها من آثار.

شيء من التاريخ:

أفغانستان تحت حكم الفرس

اذا تجاوزنا فترات عصور ما قبل التاريخ ـ والشواهد قائمة تدل على وجودها فى أكثر من موقع ـ وانتقلنا الى العصور التاريخية فانه يتحتم علينا أن نجعل نقطة البدء القرن السادس ق.م. وعلى عهد الملك الفارسى قورش الاكبر (٥٥٩ـ٥٢٩ ق.م) بالذات . . فبعد أن فرغ هذا الملك الذى يعد مؤسس



امبراطورية الفرس الاخمينيين، من حملاته التى سيطر بفضلها على آسيا الصغرى، قام يغزو المناطق المتاخمة لإيران من جهة الشرق. . وكانت تشتمل افغانستان الحالية. . وقد نظم الملك الفارسى هذه البلاد من الناحية الادارية ووزع مناطقها بين عدد من الولايات:

أ ـ آريا وهى منطقة هرات الحالية (أو هراة كما كتبها ياقوت).
ب ـ باكتريا وهى منطقة تركستان الافغانية فى شمال افغانستان وكانت تضم جانبا من أراضى جمهوريات آسيا الوسطى السوفيتية وعاصمتها باكترا، بلخ الحالية. وكانت باكتريا بحكم موقعها تتحكم فى الطريق من مرو وهرات الى بلاد الصغد فى الشمال والصين فى الشرق وكذلك فى الطرق التى تعبر جبال هندكوش الى وادى كابول والهند فى الجنوب.
ج ـ درانجيانا وهى ساكستين ـ سستان . سجستان واسمها مشتق من اسم قبائل الساكا التى استقرت فى الاقليم فى القرن الثانى ق. م وموقع هذه الولاية فى الجنوب الغربى لافغانستان.
د ـ أراخوسيا شرق الاقليم السابق وهى منطقة قندهار الحالية.
هـ ـ ساتاجوديا، منطقة الجبال الوسطى من افغانستان ويدخل فى نطاقها وديان أنهار كابول وباميان وبنجشير وقد عرفت المنطقة فيما بعد باسم باروبا ميساداى.
و ـ جندهارا وهى منطقة جلال آباد الحالية وبشاور.

أفغانستان تحت حكم الاسكندر الاكبر وخلفائه:

فى عام ٣٣١ ق. م. أوقع الاسكندر الهزيمة بالملك دارا الثالث ملك الفرس فى موقعة جوجاميلا فى العراق وما لبث أن أنهى وجود امبراطورية الفرس الاخمينيين واصبح صاحب هذه الامبراطورية واجتاح أرض افغانستان ليصل الى ولاية باكتريا فى شمالها وولاية الصغد التى كانت شمال نهر جيجون. وليؤمن خطوط مواصلاته اقام الاسكندر مواقع ثابته أو بالاحرى مدنا حملت اسمه وهى الاسكندرية فى آريا (هرات) الاسكندرية فى اراخوسيا (قندهار) وفى باروبا ميساداى اسكندرية القوقاز (بجرام).

وبالرغم من أن حكم الاسكندر القصير لافغانستان لم يترك أثرا مباشرا فيها الا انه كان لغزواته نتائج بعيدة المدى فى غرب آسيا. . من ذلك أن ولاية باكتريا فى شمال افغانستان اصبحت ولاية هلينستية (يطلق اصطلاح العصر الهلينستى على العصر الذى أعقب وفاة الاسكندر فى عام ٣٢٣ ق. م) يحكمها خلفاؤه ملوك السلوقيين الذى كان لهم حكم المناطق الشرقية امبراطورية الاسكندرية التى تفككت بعد وفاته.

وكان شاندراجوبتا من أسرة ماوريا الحاكمة فى البنجاب يقف للسلوقيين بالمرصاد وقد حاول سلوقس الاول أول ملوك السلوقيين استعادة ولايات جنوب شرق أفغانستان من هذه الاسرة الهندية ولكنه اضطر الى عقد الصلح مع شاندراجويتا وتخلى عن قندهار وباروبا ميساداى مقابل خمسمائة فيل. . واضطر الملك

السلوقى أنطيوخوس الثالث (٢٢٣-١٨٧ ق.م) أن يعترف باستقلال باكتريا بعد أن فشل فى اخضاعها عندما تمردت على حكم السلوقيين بزعامة ديودوتس الذى أعلن نفسه ملكا عليها.

وأسرة هذا الملك أسرة وطنية من باكتريا ومع ذلك فقد احتفظت بالطابع الاغريقى واستطاعت أن تسيطر على مناطق واسعة فى شرق افغانستان والمنطقة المحيطة بكابول. . واقدمَ أحد ملوك هذه الاسرة وهو ديمتريوس فى عام ١٩٠ ق.م. على غزو اقليم وادى نهر السند. . واختفى هذا الملك وربما كان ذلك نتيجة لصراع أسرى على حكم باكتريا يبدو أنه استغرق الفترة من عام ١٦٠ الى عام ١٥٦ ق.م واعتلى عرش باكتريا الملك ميناندر وهو أيضا ملك متأغرق، واتخذ من كابول عاصمة له ونجح فى السنوات من ١٥٥-١٥٣ ق.م. فى ضم كل وادى نهر السند ومناطق أخرى على الساحل الغربى للهند. . وعاد ميناندر الى باكتريا، وقد ورد فى بعض المصادر الكلاسيكية مثل كتاب دليل الملاحة فى البحر الارثرى (البحر الاحمر والمحيط الهندى) وصف أهل باكتريا بأنهم شعب شديد المراس فى القتال (فقرة ٤٧).

ويبدو أنه خلال فترة الصراع الاسرى على عرض باكتريا استطاع البارثيون وهم أيضا شعب آسيوى انتزاع استقلاله من السلوقيين وكان موطنهم فى غرب باكتريا. . ونجح البارثيون فى الاستيلاء على مناطق اخرى فى افغانستان فحكموا هرات وسستان فى غربها.

قبائل يؤيه ـ جى والساكا

وفى الوقت نفسه أقدمت قبائل من آسيا تعرف باسم يؤيه ـ جى وهى قبائل رعوية كانت تدين بالولاء لأباطرة الصين، تحت ضغط التتار على غزو افغانستان فى عام ١٦٥ ق.م. وضغطت قبائل يؤيه ـ جى على قبائل الساكا وكانت تقيم أعلى نهر سيجون على التدفق إلى باكتريا بين عامى ١٤٠، ١٣٠ ق.م ومنها انتقلت الى حيث اقليم سستان فى جنوب غرب افغانستان واعطوا الاقليم اسمهم فصار ساسكتان ـ وهى اقليم سجستان. . وذهبت طائفة من هذه القبائل شرقا واحتلت البنجاب حيث أقاموا لانفسهم حكما استمر زهاء قرن وقد اشار كتاب دليل الملاحة فى الفقرة ٣٨ الى تبعية هذا الحكم للبارثيين.

البارثيون الهنود

أما باكتريا الافغانية فقد حلت فيها قبائل يؤيه ـ جى محل الساكايين عامى ١٢٠ و١٠٠ ق.م ولكن البارثيين كانوا لا يزالون يسيطرون على مناطق من افغانستان مثل اراخوسيا وقندهار، وفى عام ١٢٥ ق.م ظهرت اسرة حاكمة تدعى الاسرة البارثية الهندية سيطرت على جنوب افغانستان ولكنها لم تكن ذات صلة بالبارثيين. . وكان من ابرز ملوك هذه الاسرة الملك جندوفاريس وقد حكم فى كابول والبنجاب ثلاثين عاما من عام ٢١ الى ٥١م.



أفغانستان قبل الاسلام

حكم الكوشان :

استمرت سيطرة قبائل يؤيه - جى على باكتريا . . وقد تحولت هذه القبائل الى حياة الاستقرار بعد أن نبذت حياة الرعى والبداوة وتحولت الى دولة منظمة قادرة على الحكم وقسمت باكتريا الى خمس امارات . . وعرفت احداها باسم امارة الكوشان وتغلبت هذه الامارة على بقية الامارات فى بداية العصر المسيحى ووحدت باكتريا تحت حكمها. وكان من بين ملوك الكوشان كادفسيس الاول الذى بدأ حكمه عام ٤٥م . . وكادفسيس الثانى الذى مد سلطته فى عام ٩٥م لتشمل كابول وشرق افغانستان وزحف شرقا واستولى على حوض نهر السند ثم حوض نهر الكنج وبذلك اصبح له حكم افغانستان والهند معا وانتظمت التجارة مع العراق . . وقد عهد الى تقليد العملة الذهبية للامبراطورية الرومانية والتى أخذت تتدفق على الهند طلبا لسلعها، ولعل كادفسيس الثانى هذا هو ملك الكوشان الذى بعث الى روما بوفد لتهنئة الامبراطور تراجان (٩٨-١١٧م) ولاعلان ما حققه من فتوحات فى شمال الهند . . وقد نجحت جهود الكوشان عندما توقفت طرق التجارة عبر ايران بسبب البارثيين فى توفير طريق آمن من بلخ عبر كابول وبشاور ووادى السند الى شاطىء المحيط الهندى واصبح فى استطاعة التجار حمل سلع الهند الى الاسكندرية والى بقية العالم الرومانى، ولعل نجاح الكوشان كان نتيجة لحكمهم لباكتريا التى لا تزال تحتفظ بالتقاليد الهلينستية، وقد برز من ملوكهم أيضا الملك كانشكا الذى وسع رقعة المملكة فى أوائل القرن الثانى الميلادى.

الكوشان والساسانيون :

يكتنف الغموض تاريخ أواخر الكوشان الذين دخلوا فى صراع مع امبراطورية الفرس الساسانيين التى تأسست فى اوائل القرن الثالث الميلادى . . وقد أقدم الساسانيون على غزو مناطق الكوشان فى افغانستان واسقطوا حكمهم فى عام ٢٢٥م . وبعدها آل اليهم حكم جاندهارا وباكتريا والصغد . . واستمرت سيطرة الساسانيين عليها حتى عام ٣٦٠م . . وكان الحاكم الفارسى يحمل لقب «كوشان شاه» أى «ملك الكوشان».

غير اننا نعرف من حوليات الصين أنه كان يحكم فى كابول وقندهار بين عامى ٣٨٦ و٥٥٦م اسرة أسسها زعيم كان اسمه «تشى - تو - لو» وكان أميرا لقبيلة يؤيه - جى، وقد انتهى أمر هذه القبيلة بأن كونت لها ملكا صغيرا فى بشاور.

قبائل الهون وغزو افغانستان:

فى النصف الاخير من القرن الرابع تدفقت قبائل الهون على افغانستان فى موجات متتابعة وسيطرت على المناطق الواقعة شمال جبال هندكوش وكان من بين الهون قبائل تعرف باسم الهياطلة (هيفثاليت) الذين كونوا امبراطورية ضخمة امتدت من وسط آسيا الى وادى نهر السند وذلك بعد أن أوقعت الهزيمة بالساسانيين وقتلت ملكهم فيوز فى عام ٤٨٤م. . وتؤكد الحوليات الصينية أن هذه الطائفة من الهون ينتمون الى قبائل يؤيه - جى أو إلى الكوشان وسيطروا على باكتريا واندمجوا فى العناصر الايرانية من سكانها. . وعلى كل حال لم يقدر لامبراطورية الهياطلة أن تستمر فقضى عليها الملك الهندى ياسوفارمان فى عام ٥٢٨م. . وظهر الاتراك على مسرح الاحداث فى منطقة نحو جيجون وتحالفوا مع الساسانيين واطاحوا بقبائل الهون فى تلك المنطقة.

الفتح الاسلامى:

تحت راية الاسلام ألحق المسلمون الهزيمة بالساسانيين فى عام ٦٤٢م وخلال النصف الثانى من القرن السابع اجتاحوا فى أول الامر الولايتين الغربيتين فى أفغانستان: «سستان وهرات» واقاموا عليها حكاما مسلمين.

وأما ما كان من أمر افغانستان بعد الفتح الاسلامى فانه يدخل بنا فى فترة جديدة من تاريخها فى العصور الاسلامية.

شىء من الآثار:

النقوش: لا شك أن لدراسة النقوش أهمية خاصة فى التعرف على تاريخ بلد ما وحضارته وسنحاول بشىء من الايجاز أن نبرز أهم النقوش التى عثر عليها فى أفغانستان مرتبه حسب الفترات التاريخية التى سبق أن قسمنا اليها تاريخ افغانستان قبل الفتح الاسلامى.

عثر على عدد من النقوش من عهد أسرة موريا الهندية التى حلت محل الفرس الاخمينيين فى حكم شرق افغانستان فى القرن الثالث ق.م. وقد كتب بعضها باللغة الارامية وبعضها باللغتين الارامية والاغريقية معا وكتب أحد النقوش باللغة الاغريقية فقط. . وتعود كلها الى عهد الملك أسوكا (٢٧٣-٢٣٢ ق.م) والذى عرفه العالم الهلينستى من خلال اهتماماته الفلسفية ومحاولاته اقامة حوار فلسفى مع فلاسفة الاسكندرية على عهد الملك البطلمى الثانى بطلميوس فيلادلفوس. . وكان على اتصال كذلك مع الملك انطيوخوس الاول الملك السلوقى والمعروف عن أسوكا أيضا اعتناقه للديانة البوذية ويبدو انه أراد نشرها فى العالم الهلنستى عن طريق الحوار وباللغة الاغريقية مع ملوكه وفلاسفته.



والنقوش الآرامية اللغة ثلاثة، عثر عليها فى ولاية لخمان وأولها فيها يبدو موجز لاحد قرارات الملك أسوكا، والنقش الثانى مؤرخ فى العام العاشر من حكم هذا الملك نفسه، وهو العام الذى تحول فيه الى البوذية وقد تحدث فى هذا النقش عن نصحه بالعزوف عن الغرور والزهد فى الترف والامر الذى أصدره بمنع صيد السمك ويتضمن النقش الثالث بعض المسائل المتصلة بعقيدة الملك الدينية.

ومن قندهار جاء نقش ثنائى اللغة، الارامية والاغريقية، ويبدأ باسم الملك اسوكا ويتضمن أيضا الحديث عن دينه الجديد وحثه على التقوى.. وعثر فى المدينة نفسها على نقش باللغة الاغريقية فقط يتحدث فيه الملك عن مشاعره الدينية وحقيقة عقيدته ويحث على التسامح بين الفرق الدينية واصحاب الرأى ويعبر الملك فى هذا النقش عن حزنه لوقوع مذبحة راح ضحيتها مائة ألف من سكان احدى المدن التى غزاها ولتشريد مائة وخمسين ألف.. وكل ذلك أثبته فى عدد من القرارات تضمنها هذا النقش وقد شملت أيضا حضه على الاقلاع عن أكل السمك أو أى كائن حى، ويحث على التحلى بالتقوى.. واللغة الاغريقية المستخدمة فى النص لغة نقية ممتازة من ذلك النوع الذى ساد العصر الهلينستى مما يدل على وجود اغريقى فى المدينة ورسوخ الحضارة الاغريقية بها.. وقد يفسر استخدام تلك اللغة برغبة الملك بالتبشير بالبوذية بين أغريق قندهار.

وفى شمال شرق افغانستان كشف عن مدينة آى ـ خانم وهى مدينة اغريقية يرجع تاريخها الى الفترة ما بين القرن الرابع وعام ١٠٠ ق.م. والطابع الاغريقى للمدينة منذ أن حل الاسكندر بأفغانستان واضح تماما فى نقوشها.. وعلى قاعدة لوحة جنائزية لشخص يدعى كينياس وربما كان مؤسس المدينة، نصان اغريقيان من القرن الثالث ق.م. ويسجل أحد النصين قيام كليارخوس الذى ربما كان واحدا من اتباع مدرسة ارسطو الفلسفية بنقش تعاليم دينية من مدينة دلفى فى بلاد اليونان نقلها الى معبد كينياس فى المدينة التى تقع على نهر اوكسوس (جيجون) على الحدود الشمالية الشرقية مع الاتحاد السوفيتى وهى مدينة آى خانم وكان قد ذهب الى مدينة دلفى ليقوم بنفسه بنسخها بكل عناية.. أما النص الثانى فقد نقشت عليه عبارات «عندما يكون الانسان طفلا يكون معتدل المزاج واذا صار شابا عليه أن يتحكم فى نفسه.. وفى منتصف العمر يلتزم بالعدل.. فاذا طعن فى السن فهو ناجح موفق طيب فاذا مات فانه يموت غير مأسوف عليه» وهذان النصان يوضحان مدى اخلاص جالية آى خانم للهلينية ومدى تمسك تلك الجالية المقيمة فى هذا الموقع النائى الغريب فى داخل آسيا بلغتهم وحضارتهم.

ويبدو واضحا حرص اغريق آى خنوم على ثقافتهم باقامتهم جومنازيوم عثر فيه على نقش عبارة عن اهداء الى هرميس وهرقل الالهين الاغريقيين الذين يكفلان الجمنازيوم بحمايتها.. والجومنازيوم كما هو معروف عند الاغريق فى بلادهم المركز الاساسى للتعليم العالى والتدريب البدنى.. وقد كرس هذا الاهداء للالهين ستراتون وتريبالوس ولدا ستراتون وربما كانوا جميعا من اسرة قدمت من تراقيا بشمال بلاد اليونان.

وكشف ايضا فى آى خانم على ضريح يونانى فى مقبرة خارج أسوار المدينة به ثلاث جرار كتب عليها اسماء الفتيات لوساينا سر وهو اسم مقدونى وايزيدوراوهو اسم يدخل فى تركيبه اسم الربة المصرية ايزيس التى اكتسبت صفة العالمية فى العصر الهلينستى وكوزماس وكل ذلك يدل على تأصل الهلينية والاحساس بالانتماء الى العالم الاغريقى.

ولكن الى جانب هذه الشواهد التى تدل على الوجود الحضارى للاغريق فى آى خانم هناك أيضا ما يدل على وجود حضارة محلية اذ عثر على قطعة من (الشقافة) الاستراكا فى المعبد كتبت بالارامية وتحتوى على اسماء ايرانية وما كتب على هذه الشقافة نص يتعلق بالنواحى الاقتصادية.

وقد عثر على بعض النقوش فى مدينة جلال آباد فى جنوب شرق افغانستان مكتوبة بخط يعرف باسم خاروشتى وهو مشتق من الخط الارامى مما يؤكد الوجود الآرامى المحلى فى بعض مناطق افغانستان.

وقد كشف فى سرخ كوتال بالقرب من بولى خمرى فى شمال شرق افغانستان شمال جبال هندكوش عن مقصورة للعبادة خاصة بأسرة كوشان. وعثر على عدد من التماثيل الحجرية وصور دينية مرسومة على الجدران ومجموعة من النقوش الباكترية بخط اغريقى واضح ولكن بلغة ايرانية ليست بلغة كوشان الذين عزوا باكتريا فى القرن الاول ق.م. ويتلخص النقش فى انه بعد ان اكتمل بناء المقصورة نضب الماء ونقص عنه رواده عندئذ أمر المشرف على المنطقة فى العام ٣١ باحاطة المبنى بحائط وأمر بحفر بئر (شكل١).

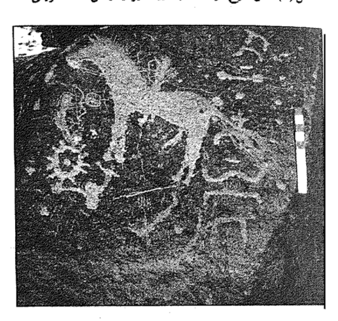
وفى بعض المواقع الاخرى مثل دشتى نوار عثر على بعض النقوش من عصر حكم كوشان كتب بعضها بالاغريقية وبعضها بالخط الخاروشتى يذكر بعضها اسم الملك كانشكا وبعضها اسم الملك كافديسيس.

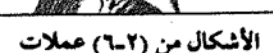
العملة:

تتوفر الادلة والشواهد على انتشار العملة فى الفترات الاخمينية والاغريقية فى عدد من المواقع مثل كابيسا فى وادى كابول الاعلى (وهى مدينة بجرام الحالية) وكان الاغريق قد عبروا جبال هندكوش ليستقروا بها وسرخ كوتال (شمال جبال هندكوش) وآى خانم وحدا شمال شرق جلال آباد وقندهار. ويمكن التعرف على العملات التى كانت متداولة فى مناطق أخرى من افغانستان فى متاحف مزار شريف وهرات وقندهار وكابول.

وكما يجب أن يتوقع، كانت العملة الرسمية فى ولايات افغانستان الفارسية هى السيجلوى الملكى الاخمينى ولكن الذى يثير الدهشة انه فى افغانستان ـ مثلما كان عليه الحال فى مناطق اخرى كانت تحت حكم الفرس ـ فاق كثيرا عدد العملات الاغريقية المتداولة بها عدد العملات الفارسية. وتعود بعض هذه

شكل (١) نقش سرخ كوتال لغه باكتريا الايرانية ولكن الخط اغريقى





الأشكال من (٢-٦) عملات

العملات الاغريقية القادمة من أثينا ومن مدن اغريقية اخرى الى فترة سبقت مجىء الاسكندر الى افغانستان بل وانتشار هذه العملات فى شتى ارجاء الامبراطورية الفارسية وكان من الطبيعى أن يزداد تداول العملات الاغريقية بعد الفتح المقدونى واستقرار الاغريق فى بعض مناطق افغانستان وخاصة فى منطقة باكتريا . . خاصة وانه قد قام الدليل على وجود دار لسك العملة فى باكترا عاصمتها = (بلخ حاليا) .

وفى خبيئة ـ تعرف باسم خبيئة خامانى ـ هزورى ـ أحصى الدارسون ألف قطعة عملة أو ما يربو عليها . . ومرة أخرى دهشوا لضخامة عدد قطع العملة الفضية الاغريقية ولا يتأخر تاريخ هذه العملات عن عام ٤٠٠ ق.م . وذلك بالنسبة للعملات الفارسية التى لم تتجاوز ثمانى قطع من نوع السيجلوى ولا تضم هذه الخبيئة عملات مقدونية أو هلينستية مما يرجح أن هذه العملات قد أخفيت فى منتصف القرن الرابع ق.م . أى قبل الغزو المقدونى لافغانستان .

وقد استحدث الاسكندر الاكبر اثر اجتياحه للامبراطورية الفارسية عملة جديدة اساسها القيمة الحقيقية للذهب ونسبته الى الفضة . . فجعل النسبة ١ : ١٠ بدلا من ١ : ١٣ر٥ واستحدث ستاتر ذهبى اتيكى (أثينى)الوزن ودراخمة فضية على الاساس الاتيكى أيضا، وهو عشرون دراخمة لكل ستاتر ذهبى وكان هدف الاسكندر تعميم استعمال عملة عامة ذات وزن ثابت وقد تابعه فى ذلك خلفاؤه السلوقيون ومن بعدهم اغريق باكتريا. وكان أن شاع فى افغانستان عملة الاسكندر ويدل على ذلك ما اشتملت عليه مجموعات العملة التى عثر عليها فى مواقع كثيرة كان بعضها من منطقة نهر جيجون وقد ضمت عملات السلوقيين وعملات بعض ملوك باكتريا الاغريق الذين استقلوا ببكتريا عن الحكم السلوقى . . من ذلك

عملة ذهبية للملك ديودوتس (أواخر القرن الثالث ق.م.) قيمتها ستاتر (**شكل٢**) وعملة فضية أتيكية (أثينية) للملك انتيماخوس (أوائل القرن الثانى ق.م. قيمتها تترا دراخمة، على وجهها الاول رأس الملك يعلوه غطاء شرقى وعلى الوجه الاخر إله البحر الاغريقى بوسيدونس يحمل شوكته (**شكل٣**).. ولنفس الملك عملة فضية مربعة وعلى أحد وجهيها صورة فيل وعلى الوجه الاخر صورة صاعقة (**شكل٤**) واسم الملك مكتوب فى القطعتين بالاغريقية. وللملك لوسياس (القرن الثانى ق.م.) عملة فضية قيمتها تترادراخمه.. وعلى رأس الملك كغطاء للرأس جلد فيل يظهر منه خرطومه وعلى الوجه الاخر الاله هرقل وهو يتوج نفسه (**شكل٥**). وثمة عملة نحاسية للملك ايوثيديموس الثانى (القرن الثانى ق.م.) والرأس على أحد الوجهين للإله تزينه أوراق الغار (**شكل٦**).



الأشكال من (٧-٩) عملات



شكل ١٠+١١ المجمع الادارى ـ تاج عمود ـ مدينة آى خانم)

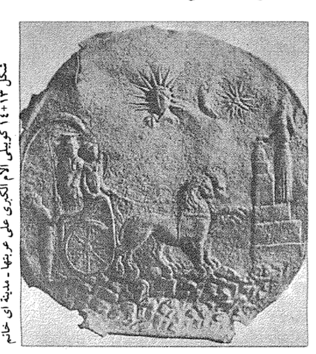
وعندما سيطر الباكتريون الاغريق على جندهارا واراخوسيا وباروباميساداى والتى كان يحكمها ملوك من اسرة ماوريا الهندية ظهرت عملات تحمل اسماء هندية اغريقية وعلى وجه العملة الاول اسماء اغريقية وعلى الوجه الثانى كلمات خاروشتية (المشتقة من الارامية).. وقد سُكّت تلك العملات على اساس وزن هندى يقل عن الوزن الاتيكى.

ونضرب مثلا بعدد من العملات من بينها دراخمة فضية مربعة الشكل اصدرها الملك أبوللودوتوس الاول على أحد وجهيها فيل ورموز اغريقية وعلى الوجه الاخر صورة ثور ذى سنام ونقش خروشيتى (شكل٧).. وعملة اخرى دراخمة هندية ثنائية اللغة فضية للملك ميناندر (أواخر القرن الثانى ق.م.) وعلى ظهر العملة صورة الربة أثينا ـ باللاس ممسكة بصاعقة ودرعها وهو جلد الميدوسا «ايجيس» (شكل٨) ودراخمة هندية ثنائية اللغة للملك نفسه وعلى ظهرها صورة البومة الاثينية (شكل٩).



ومن المنطقة الشرقية الوسطى لافغانستان عثر فى ميرزاكا على عدد كبير من العملات عددها أحد عشر الف قطعة. . وتقع ميرزاكا شمال شرق جارديز على أحد الطرق القديمة التى كانت تربط غزنة بشمال اراخوسيا مع قندهار. . وهذه العملات هندية وبكترية اغريقية وعملات اصدرها ملوك الساكا وعملات هندية بارثية وكوشانية وقد كشف عن مخزنين مقدسين أو حوضين كانت تلقى بهما تقدمات نذرية وعملات. . فهذه المجموعة التى اشرنا اليها ليست خبيئة أخفيت فى الموقع ولذلك فان المخزنين استخدما عبر خمسة قرون. وتمثل العملات فترات مختلفة لعل أطرفها عملات لملوك الساكا ثنائية اللغة، اللغة الاغريقية والخط الخاروشتى أصدرها الملوك أزيز الاول وازيليسس وازيز الثانى.


شكل ١٢ غرفة فى المبنى الادارى ارضها مزينة بالفسيفساء - مدينة آى خانم


شكل ١٣+١٤ كوبيلى الام الكبرى على عربتها - مدينة آى خانم

وفى فترة سيطرة الكوشان التى بدأت فى القرن الاول ق.م. ظهرت عملات جديدة كان من بينها عملة أول ملك للكوشان، لا اسم له ولكنه لقب بلقب «المنقذ العظيم». . وعلى احدى العملات النحاسية صورة رأس مثرا وعلى الوجه الاخر الملك يمتطى حصانا. . وتاريخ هذه القطعة يرجع الى اواخر القرن الاول الميلادى. والمعروف أن هذا الملك أوجد عملة موحدة تستخدم فى مملكة الكوشان التى كانت تمتد من نهر جيحون الى نهر الكنج فى شمال الهند. . والقطعة المشار اليها كانت نموذجا للعملة الجديدة. . وقد جمع منها فى بجرام ٦٩٥ قطعة. . واستحدث ملوك الكوشان عملات ذهبية من فئة الدينار. . وقد سكَّ الملك كانشكا عملات تحمل رموزا وحروفا اغريقية ثم مالبث أن استبدلها بحروف باكترية. ونقش على العملات الذهبية صور آلهة اغريقية وايرانية وهندية فى حين ظهرت على العملات النحاسية صور الشمس **(ميورو) والقمر (ماو) وإله النار (أتشو) ورب الريح (أوادو) والربة (سافا) والربة (نانا)**. . ومن المحتمل

انه كان فى بجرام فى تلك الفترة من تاريخ افغانستان دار لسك العملة بالقرب من مناجم النحاس فى وادى نهر غوربادند.

وفى عهد أحد ملوك الكوشان «هوفيشكا» بقى الدينار الذهبى لسَلَفَة كانشكا بدون تغيير. وظهرت صورة الملك يمتطى فيلا بدلا من الحصان وقد تربع الملك واتكأ على وسادة.

ويرى المهتمون بدراسة عملة افغانستان فى فترة الكوشان ان الاساس فى العملة النحاسية كان تقليدا لعملات صينية وأن ادخال العملة الذهبية انما كان تقليدا للفرس والعملة الرومانية من فئة الاورويوس.. ويلاحظ عدم استعمال عملات مصنوعة من الفضة.. وفى اواخر حكم الكوشان ظهر التأثير الساسانى الفارسى فى عملاتهم وان كانت بعض العملات وهى قليلة فى عددها احتفظت بالطابع الباكترى.. وكان من الطبيعى ان تظهر العملات الفارسية الفضية وكانت من عهد ملوك الساسانيين شابور الثانى (٣٠٩-٣٧٩م) واردشير الثانى وشابور الثالث (٣٨٣-٣٨٨م).. وقد شاع تداولها فى سستان بغرب افغانستان وهرات وفى مناطق اخرى مثل تلك المجاورة لكابول وكذلك فى بجرام.

ومن الطريف أن الهياطلة (هيفثاليت) المتفرعين عن الهون فى حكمهم لباكتريا استخدموا عملات ساسانية وعليها صورة شابور الثانى (٣٠٩-٣٧٩م) مع استبدال اسم ذلك الملك باسم أو لقب (التشونو) وربما يعنى الهون الحمر، وبعد ذلك بقرن استخدموا الدراخمة التى تحمل مذبح النار وكذلك رموزا خاصة بهم وبباكتريا.

الآثار من عمارة وفن:

الشواهد الاثرية من عصر الفرس الاخمينيين نادرة وان كان السعى للكشف عنها مازال مستمرا وبدأت تظهر بالفعل فى مدينة تيليا - تيبى ومدينة بلخ قطع من الفخار الاخمينى.. وفى ألتين وهى احدى المواقع الاثرية فى باكتريا كشف عن مبنيين أثريين على قدر كبير من الاهمية - وعن قصر صيفى مستطيل الشكل مساحته ٨٠×٥٥م يضم بدوره قصرين وبهو أعمدة على كل من جانبيه أربعة عشر عمودا وحجرات يتوسطها بهو.. وفى منطقة سستان كشف عن مدينة حقيقية شيدت بجوار أحد فروع نهد هلمند.. ويبدو أنه لم يقدر للمدينة أن تستمر طويلا.. فقد هجرها اهلها لاسباب معينة وبالمدينة المهجورة منازل خاصة واسعة من المبانى الضخمة يعود تاريخها جميعا الى القرنين السادس والخامس ق.م. وربما كانت للمبانى الكبيرة وظائف مدنية وادارية ودينية وعسكرية.. وتعرف خرائب الموقع باسم «داهانى غولمان».

والفخار الذى عثر عليه فى بعض المواقع مثل «نادى على» يدل على انتماء الموقع للعصر الاخمينى ولكن ليس بالقدر الكافى، وكذلك الحال بالنسبة لفترة الاسكندر وخلفائه السلوقيين. غير أن مدينة آى خانم، وهو الاسم التركى (بمعنى السيدة القمر) لمدينة اسمها القديم مجهول وربما كانت اسكندرية أو كسيانا أى



اسكندرية على نهر اوكسوس (نهر جيحون) فى المصادر الكلاسيكية وتقع المدينة عند تفرع نهر كوكتشا من نهر جيحون الذى يفصل شمال افغانستان عن الاتحاد السوفيتى . . وقد كشف عن مدينة اغريقية يعود تاريخها من نهاية القرن الرابع وحتى عام ١٠٠ ق.م. والمدينة حسنة التحصين بحكم موقعها بين نهرين فضلا عن وجود قلعة (اكروبوليس) ومنازل خاصة ومبانٍ عامة . . وكأى مدينة اغريقية (بوليس) كانت هناك أيضا المدينة السفلى بين الاكروبوليس ونهر جيحون . . ويمكن تبيّن وجود ثلاث احياء هى منطقة سكنية



أين خوفو



كلمة (خوفو) هى اختصار للاسم الكامل (خنوم - خوفوى) ويعنى الآمر أو المسيطر.

وهذا الآمر المسيطر قد اختفى فى بنائه العجيب المحير الهرم الاكبر وصار مكانه فى هذا اللغز لغزاً آخر

فى عام ٨٢٠ اقتحم الخليفة العربى المأمون الهرم من أجل فض هذا اللغز ولكن المهندس المصرى الذى كان عليه ان يحافظ على فرعونه بعيداً عن متناول الجميع تركهم يفعلون الاعاجيب دون الوصول الى شىء . . كان عمال المأمون يحمون الصخور بالنار ويصبون عليها الخل البارد فتصبح هشة تحت معاولهم . . ووصلوا بسردابهم فى جسم الهرم حتى الغرفة وحتى القادوس الجرانيتى الذى كان فارغاً بلا غطاء . . فأين خوفو اذن .

فى عام ١٧٦٠ قام ناثانيل دافيسون الانجليزى باكتشاف غرفة فوق الغرفة التى وصل اليها المأمون ولكن بلا خوفو ايضاً .

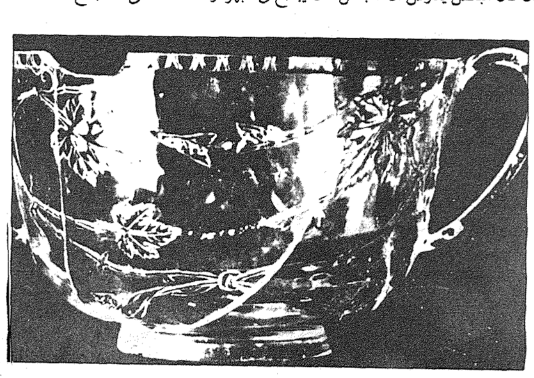
وفى بداية القرن التاسع عشر قضى كافيليا الايطالى وقتا طويلاً فى غرفة دافيسون ولم يتوصل لشىء . . ثم جاء هيوارد فايس وانفق عشره آلاف جنيه استرلينى وتوصل الى الكشف عن الاربع حجرات الأخرى التى تعلو الغرفة التى اكتشفها دافيسون فوق حجرة الملك وعثر فى واحدة منها على حجر يحمل الاسم الكامل لخوفو وأخيرا جاءالفرنسيون بتقويهم المدهشة حيث يمكن ادخال جهاز (اندوسكوب) لالتقاط صور بالألوان فى جميع الاتجاهات لمعرفة ما بداخل هذه الفراغات .

هل آن لهذا اللغز ان يحل على يد التكنولوجيا المعاصرة . . هل سنجد مومياء الملك خوفو واثاثه الجنائزى وكنوزه . . الغد وحده يحمل الاجابه .

فى الجنوب ومجمع ادارى فى الوسط ومنطقة منشآت فى الشمال والطريق الرئيسى كان يبدأ من البوابة الرئيسية فى السور الشمالى ويسير الطريق موازيا لسفح الاكروبوليس حتى يبلغ نهر كوكتشا فى الجنوب أى من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربى وطريقة البناء باستخدام طوب من اللبن، وأحيانا طوب محروق فى القواعد وهى طريقة شرقية اكثر منها اغريقية . . ولم تلتزم الاسقف المنبسطة التى تغطى بعض المبانى بالاسلوب الاغريقى وفيما عدا هذا فإن التأثير الاغريقى واضح تماما فى طريقة البناء واقامة الاعمدة .

والمجمع الادارى عبارة عن بناء ضخم يتقدمه فناء واسع به ١١٦ عموداً من الحجر تنهض على قواعد اتيكية - اسيوية وجسم العمود مكون من اسطوانات ذات ارتفاعات متفاوتة وتيجان الاعمدة شبه كورنثية ربما من الطراز الذى كان شائعا فى سوريا السلوقية (**انظر اشكال ١٠ ، ١١**) . وتفضى الاروقة والابهاء الى غرف بعضها فيما يبدو كان مخصصا لممارسة الشعائر الدينية أو الاعمال الادارية وتزين ارضيتها الفسيفساء (**شكل١٢**) .

وقد يكون المجمع الادارى قصرا (باسيليون) من ذلك النوع الذى كان يعد لاستقبال الحاكم عند مروره بالمنطقة . . وعموما فان منشآت آى خانم تدل على أنها كانت مدينة يونانية حقيقية (بوليس) على شكل بلدية كانت تمارس قدرا كبيرا من الحرية فى ادارة المسائل المحلية ويجب البحث عن مبنى لمجلس المدينة . . وان كان البعض يفترض أن المجلس كان يجتمع فى البهو أو الفناء الامامى للمجمع .



شكل ١٥ كاس كريستال منقوش - مدينة بجران



وقد سبق ان اشرنا الى ضريح كينياس وحرمه المقدس فى داخل أسوار المدينة. . والسماح بدفن شخص ما داخل الاسوار لم يكن مسموحا به الا لمؤسس المدينة وعلى هذا الاساس اسلفنا ان كينياس هذا ربما كان هو المؤسس، وقد حظى باحترام كليارخوس. . ويرجح أن بناء الضريح يعود الى عصر الاسكندر نفسه (٣٢٩-٣٢٧ ق.م.).

ولنا أن نشير أن فخار المدينة يظهر علاقة وثيقة بينه وبين فخار العصر الهلينستى الذى كان شائعا فى حوض البحر المتوسط من ناحية الصناعة والشكل.

ومن المهم أيضا أن نشير الى مقبرة المدينة التى كانت خارج الاسوار وقد عثر على ضريح **(موسوليوم)**



شكل ١٦ لوحة من العاج ويبدو عليها التأثير الهندسى واضحاً ـ مدينة بجران

اسفل السفح الشمالى لتل الاكروبوليس . . وهو مبنى مستطيل الشكل مشيد بالطوب اللبن ويختفى قسم منه تحت الارض ويضم الضريح نوعين من طرق الدفن: احدهما دفن الجثة فى تابوت من اللبن والنوع الثانى جرار تحتوى على عظام موتى أخذت من مقابر اخرى كان قد تقرر اعدادها لاستقبال جثث جديدة . . ولواجهة الضريح اهمية معمارية لصلتها فنيا بالمقبرة البارثية فى آشور ولجمال زخرفتها .

وقد كشف عن نظام للرى ولتزويد المدينة بالماء يعتمد على نظام للقنوات يعود تاريخه الى العصر الاغريقى فى باكتريا .

واخرجت مدينة آى خانم نماذج من النحت تتميز باتجاهات فنية هيلينستية خالصة او اتجاهات متأثرة بالاساليب الفنية التى شاعت فى الشرق الادنى وفى ايران فضلا عن نماذج فنية اختلطت فيها الاساليب الهلينستية والمحلية معا .

والاتجاه الهلينستى يبدو واضحا فى تمثال للإآله زيوس ، رب الارباب عند الاغريق يعود تاريخه الى القرن الثالث ق . م . وتمثال لرجل ملتح طاعن فى السن عثر عليه فى الجومنازيوم لعله يعود أيضا الى القرن الثالث ق . م . وبقايا لوحة حجرية من منطقة المقابر تصور شابا يرتدى عباءة وقبعة خفيفة يتهدل من تحتها شعر طويل ويعود تاريخها الى نفس هذا التاريخ . . ويمثل هذا الاتجاه الفنى أيضا قالباً من الطين المحروق لتمثال نصفى ديمتر عند الاغريق (**شكل١٣**) .

أما الاتجاه الفنى الذى كان يسود مناطق الشرق الادنى وفى ايران فى اسلوبه وتقاليده المحلية فيمثله على الوجه الخصوصى ميدالية أو رصيعة من فضة تبرز عليها الربة كوبيلى (**الربة الكبرى عند الاغريق**) تركب عربتها التى يجرها أسدان ، يعود تاريخها الى القرن الثالث ق . م . ويلاحظ وجود رأس لإآله شمسى عبارة عن رأس رجل حوله هالة من أشعة الشمس ربما كان الإآله مرن الذى عرفته مدن سوريا والعراق ، خاصة مدينة الحضر (**شكل١٤**) .

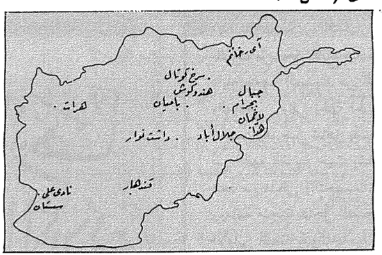
ويمثل الاتجاه الفنى الذى امتزجت فيه الاساليب الهلينستية والمحلية معا تمثال صغير من البرونز للإآله هرقل وعلى رأسه اكليل من الغار ويمسك بهراوته المشهورة والمسحة المحلية واضحة تماما فى التمثال .

وكل ذلك يدل على أن آى خانم ، بوصفها مركز الفن القديم فى افغانستان كانت وثيقة الصلة بالتقاليد الفنية التى سادت العصر الهلينستى ولكنها فى الوقت نفسه لم تعزل نفسها عن المؤثرات المحلية والفارسية .

واذا انتقلنا الى الفترة السابقة على الفتح الاسلامى لافغانستان فانه من المهم التوقف عند مدينة بجرام التى تبعد عن كابول شمالا بحوالى خمسة واربعين كيلا والتى يعتقد بعض الاثاريين أنها مدينة كابيسا القديمة والتى كانت عاصمة لعدد من الملوك الاغريق الهنود ، كما كانت أيضا المقر الصيفى لملوك كوشان . وتحوى المدينة الكثير من القطع الفنية لعل أهمها ما وجد مخزونا فى حجرتين كانتا ، فيما يظن جزءا من مبنى



القصر. ولهذه القطع قيمة فنية لا تقدر بالنسبة لتاريخ الفن.. ولعلها جمعت من القصر واغلق عليها فى هاتين الحجرتين انقاذا لها عندما داهمت المدينة هجمات المعتدين.. ومن بين تلك القطع مصنوعات من زجاج أو برونز تبرز معالم الفن الهلينستى فى الاسكندرية وتضرب مثلا لها بذلك الكأس المصنوع من الكريستال (**شكل ١٥**) والتمثال البرونزى لحور أوهاربوكراتيس، أحد عناصر ثالوث الاسكندرية (سيرابيس) ويمكن أن يقارن بتمثال لنفس الاله عثرت عليه بعثة التنقيب بقسم الاثار بجامعة الملك سعود فى الرياض فى قرية الفاو فهما يتفقان فى بعض التفاصيل (**راجع كتاب قرية الفاو بقلم د. عبد الرحمن الطيب الانصارى ـ جامعة الرياض يراجع فى المؤلف ١٣٧٧هـ/ ١٤٠٢م، ص ص١٠٤ـ ١٠٥ وصورة حور ـ هاربوكراتيس**).. وقد ضم كنز بجرام الاثرى أيضا لوحة من عاج عليها نقش بارز هو نموذج للفن الهندسى (**شكل١٦**).



خارطة تبين بعض المناطق التى عثر فيها على نقوش وعملات صوره حديثة

واذا كنا قد صدرنا مقالنا عن آثار افغانستان بما ذكره ياقوت فى معجم البلدان عن مدينة باميان فانه من المناسب بل من حق ياقوت علينا، أن نصدق ما قاله وما يؤكده ما عثر فى المدينة من عهد الكوشان بوصفها أحد مراكز عبادة بوذا الهامة من تماثيل لهذا الاله وكهوف خصصت لعبادته وصور جدارية.

ولعل ما عرضنا له فى هذا المقال الموجز عن آثار افغانستان يساعد على الاهتمام بدراسة آثار وطننا الاسلامى.

بعض المراجع لمزيد من الدراسة:

Allchin, F.R. and Hammond (editors), The Archaeology of Afghanistan, London, 1978(*)

Tarn W.W., Alexander the Great (2 vols.) London, 1979.

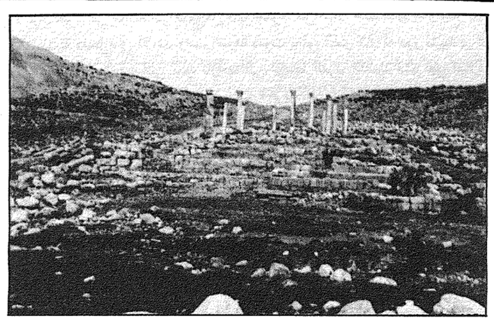
Tarn, W.W., The Greeks in Bactria and India, London, 1951.

(*) جميع الصور المنشورة مع هذا المقال منقولة عن هذا الكتاب ويقدم كاتب المقال شكره العميق للاستاذ فؤاد العامر بقسم التصوير بقسم الآثار والمتاحف جامعة الملك سعود على اعداد هذه الصور للنشر، ويشكر الكاتب أيضا كلا من الدكتور محمد عبد العزيز والاستاذ محمود بشر على اعداد الخريطتين المرفقتين للنشر.



نقع آثار مدينة فحل والتى تسمى اليوم طبقة فحل على هضبة منبسطة تشبه قمتها شكل الطبق ترتفع ستين قدما عن نهر الاردن وتبعد ثمانية كيلومترات الى الشرق وينخفض مستوى هذه الهضبة مايتين واثنتين وستين قدما عن مستوى سطح البحر. . ويتميز موقع الطبقه (كما تعرف اختصارا) بطبيعة خلابة لوفرة مياهها وخصب ارضها ووديانها التى تنساب فيها المياه العذبة من ينابيع وادى الجرم أو وادى جرم الموز الذى سمى بهذا الاسم لكثرة اشجار الموز فيه. . وتوجد بالقرب من فحل ينابيع مياه معدنيه تسمى حمة ابو ذابله يؤمها العديد من الناس قصد النزهة والعلاج. . والى الجهة الجنوبية الشرقيه يقع تل الحصن وهو جبل شاهق يصعد اليه بطريق متعرج من الجهه الغربية حيث يشاهد باعلى قمته آثار عدد من المبانى والتحصينات، وفى سفوحه قبور رومانية منحوتة داخل الصخر وبداخلها كثير من الاوانى الفخارية والزجاجية وادوات الزينه مما كان يدفن مع الموتى فى العصور الوثنية.

ويستدل من المكتشفات الاثرية فى طبقة فحل على ان الانسان اقام فيها منذ بدء العصر الحجرى قبل آلاف السنين وتطورت فى العصر البرونزى الذى يمتد تاريخه من ٣٠٠٠ الى ١٢٠٠ قبل الميلاد. . وتطورت خلال هذا الزمن الى ان اصبحت مدينة ذات شأن لوقوعها على طريق القوافل التجارية من اليمن والحجاز عبر العقبة باتجاه بيسان وموانىء البحر الابيض المتوسط. . وكان اهلها يفرضون الضرائب والرسوم على هذه القوافل



وسط مدينة طبقة فحل حيث بقايا السوق الرومانية والمسرح قرب ينابيع المياه

خلال توقفها فى مدينتهم . . وعثر علماء الاثار على مجموعة من التماثيل الصغيره فى سقاره بمصر عليها نقوش هيروغليفيه من عهد الفرعون «سوستريس الثالث» فى نحو عام ١٨٤٠ قبل الميلاد وتذكر هذه النقوش اسماء مدن كانت خاضعة للمملكة المصرية القديمة ثم ثارت عليها وتحررت من عبوديتها.

ومن بين هذه المدن التى يبلغ عددها ستين مدينة «جبيل» أو «بيبلوس» وصور والقدس وعكا وعسقلان وبيسان و«فيهيلوم» أى «فحل».

وبقيت هذه المنطقة مجزأه تحت إمرة مجموعة من الأمراء السوريين والكنعانيين الذين كانوا بدورهم خاضعين لحكم فرعون مصر . . ثم توحدوا لازالة السيطرة المصرية عن بلادهم ومدنهم وتجمعوا بقيادة امير مدينة «قادش» واخذوا يهددون قواعد المصريين فى جنوب جبل الكرمل بفلسطين ثم تمركز جيشهم فى مرج ابن عامر لملاقاة المصريين . . وسارع الفرعون تحتموس الثالث لمواجهتهم وقطع خلال عشرة ايام مسافة مايتين وثلاثين كيلو متر من مصر الى غزه ثم وصل الى مدينة «يما» قرب الكرمل حيث باغت المتمردين وانتصر عليهم وقد فروا تاركين عرباتهم ومعسكراتهم . . وفى عام ١٤٧٨ قبل الميلاد حاصر الجيش المصرى مدينة «مجدو» المعروفة الان باسم «تل المتسلم» حيث كانت القوات الكنعانية المتحالفة قد تمركزت وكانت مدينة «مجدو» حصينه جدا تحيط بها الاسوار المنيعة كما كانت وفيرة المياه . . واستمر حصارها سبعة اشهر . . وفى تلك الاثناء ارسل تحتموس الثالث كتيبة لاحتلال عكا واخرى الى بيسان وثالثة اجتازت نهر الاردن واستولت على مدينة «فيهيلوم» اى «فحل» واستمرت السيطرة المصريه على مدينة «فحل» خلال عهد الفرعون امنحوتب الرابع أو اخناتون فى الفترة المعروفه باسم فترة «تل العمارنه» وزمن الفرعون رمسيس الثانى (١٣٠٤-١٢٣٧) قبل الميلاد ويستدل من مخطوطات «تل العمارنه» المدونه بالخط السومرى ان بلاد

الشام كانت لا تزال مجزأة الى مقاطعات تحوى كل منها مجموعة من المدن تحت ادارة امير تابع مصر وتذكر هذه المخطوطات مدينة «فحل» فى الاردن واسم اميرها «موت بعلو» الذى كان له دور نشيط فى العلاقات الـدولية . . وتشير الكتابات البرديه التى يعود تاريخها الى اواسط القرن الثالث عشر قبل الميلاد الى ان «فحل» وسائر المدن الكنعانية كانت تصنع العربات الحربية من الخشب والمعادن وتزود بها الجيش الفرعونى .

ويروى المؤرخ اسطفان البيزنطى الذى الف موسوعة عن تاريخ المدن السورية فى منتصف القرن السادس الميـلادى ان مستـوطنين اغريق من مقدونية بشمالى اليونان توجهوا الى مدينة «فحل» على اثر احتلال الاسكنـدر ذى القـرنين لبلاد الشام فى منتصف القرن الرابع قبل الميلاد واقاموا فيها وبدلوا اسمها من «بهيلوم» الى «بيلا» كى يتذكروا عاصمة مقدونيا مسقط رأس الاسكندر. . وقام بطليموس الثانى الملقب «فيلادلفوس» (٢٨٥-٢٤٦) قبل الميلاد بنشر الحضاره الاغريقية فبدل اسماء بعض المدن باسماء يونانية . . وهكذا حملت عكا اسم «بطلمائيس» وربة بنى عمون اسم «فيلادلفيا» وبيلا اسم «ارسينوئيه» . وفى سنة ٢١٨ قبل الميلاد استولى عليها انطيوخس الثالث السلوقى (٢٢٣-١٨٦) قبل الميلاد بعد ان هزم بطليموس الرابع الملقب «فيلوباتر» (٢٢١-٢٠٣) قبل الميلاد وانتزعها منه .

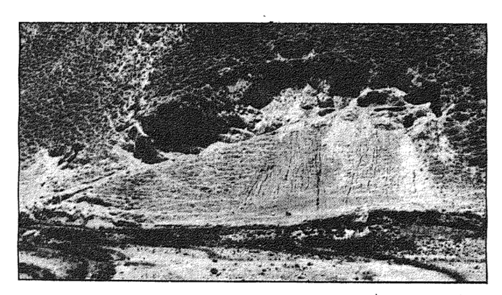
وحين قويت شوكة الانباط وارادوا تأمين طرق المواصلات لتجارتهم اسرع ملكهم الحارث الثالث (٨٧-٦٢) قبل الميلاد واحتل جنوب سوريا . . ولما شعر اسكندر جانيوس ملك الحسمونيين بخطر الانباط سارع الى احتلال المدن اليونانية ومنها جرش وبيلا . وفى عام ٦٣ قبل الميلاد استولى عليها القائد الرومانى «بمبيوس» وانضمت الى حلف المدن العشرة الذى اسسه الرومان قصد حماية المراكز التجاريه فى بلاد الشام فاخذت تنعم بالهدوء والاستقرار وازدهرت كثيرا . . وكان اهم مدن هذا الحلف دمشق والشهباء وقنوات وبصرى ودرعا وجدارا (ام قيس) وكابيتولياس (بيت راس) وبيسان وفيلادلفيا (عمان) وجرش .

وعلى اثر حركة التمرد التى قام بها اليهود ضد الحكم الرومانى ودخول القائد «تيطس» على رأس جيش رومانى كبير الى القدس قام عدد كبير من المسيحيين بالفرار الى الاردن والالتجاء الى مدينة «بيلا» . وفى سنة ١٦٢ ميلادية اختار الامبراطور الرومانى «فاروس» حاكما عربيا لبلاد الشام اسمه «يوليوس جرمانوس مارشيـانـوس» فأمـر بشق طريق من جرش الى بيـلا ومنهـا الى بيسـان . . وفى زمن حكم الامبراطور «كـومـودوس» (١٦١-١٩٢) ميـلاديـة ضربت مدينة «بيلا» نقودا تحمل اسم هذا الامبراطور الرومانى وصورته . . وفى زمن حكم الامبراطور «ثيودوسيوس» (٣٧٩-٣٩٥م) تجزأت بلاد الشام الى ثلاث ولايات وهى : «فلسطين الاولى وفلسطين الثانية وفلسطين الثالثة» وأما فلسطين الثانية فكانت تضم مرج ابن عامر والجليـل وقسـما من المـدن العشرة وجبل عجلون وطبريا واللجّون وبيسان وفَيْق وبيلا . . وكانت بيسان الحاضره التى تصل بين ضفتى الاردن الشرقيه والغربيه . . وحين اجتاح الفرس بلاد الشام عام ٦١٤م سقطت مدينة بيلا بايديهم فدمروها تدميرا كبيرا . . وتحتوى الاثار الباقية فى طبقة فحل جبلا صغيرا بنيت فوقه اليوم مساكن القرية الحديثه وجبلا آخر يعرف باسم تل الحصن ووادى جرم الموز وجبلاً مقابلاً فيه آثار المساكن الاسلامية التى بنيت فى العصر الاموى.



وتقع الاثار الرومانيه على الجانب الجنوبى من التل حيث نجد بقايا نافورة ضخمة وهيكلا رومانيا ومدرجا وشوارع تحيط بها الاعمده وسوقاً «فوروم» أقيم بين التل الاوسط وبين تل الحصن.

ومن العصر البيزنطى يوجد آثار مجموعة من الكنائس ما تزال أجزاء كبيره من مبانيها قائمة.. وفى سنة ٤٥١م كان للمدينة اسقفها.. ولقد اشتهر احد رجالاتها واسمه «ارسطون» اذ الف كتابا اسماه «الحوار» يدافع فيه عن نبوءات العهد القديم. وكشفت الحفريات الاثريه عن كميات من الاوانى والاسرجه الفخاريه من مختلف العصور. وللاوانى الفخاريه من العصر الاموى مكانة خاصه فى دراسة تطور صناعة الخزف الاسلامى فى مراحله الباكره.. وتعود اهمية طبقة فحل فى عصورها الغابره الى موقعها الجغرافى الذى وجدت فيه على مفرق طرق.. فالقوافل القادمة من غربى نهر الاردن كانت تمر بها، وتلك القادمه من الجنوب باتجاه سوريا كانت تتوقف فيها.



● القبور الرومانية التى اكتشفت فى سطح الحصن

وفى ٢٨ ذو القعدة سنة ١٣هـ الموافق ٢٣ كانون الثانى سنة ٦٣٥م استسلمت مدينة بيلا الى الصحابى ابى عبيده عامر بن الجراح بعد انتصاره على جيش الروم فى يوم فحل من الاردن:

«عن شعيب عن سيف عن ابى عثمان يزيد ابن اسيد الغسانى وابى حارثه العبشى قالا خلف الناس بعد فتح دمشق يزيد بن ابى سفيان فى خيله فى دمشق وساروا نحو فحل وعلى الناس شرحبيل بن حسنه فبعث خالدا على المقدمه وابا عبيده وعمرا على مجنبتيه وعلى الخيل ضرار بن الازور وعلى الرجل عياض وكرهوا ان يصمدوا لهرقل وخلفهم ثمانون الفا وعلموا ان بازاء فحل جنه.. والروم اليهم ينطرون وان الشام بعدهم سلم فلما انتهوا الى ابى الاعور قدموه الى طبريه فحاصرهم ونزلوا على فحل من الاردن وقد كان

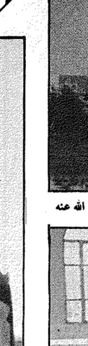
اهل فحل حين نزل بهم ابو الاعور وتركوه وارزوا الى بيسان فنزل شرحبيل بالناس فحل والروم بيسان وبينهم وبين المسلمين تلك المياه والاوحال وكتبوا الى عمر بالخبر وهم يحدثون انفسهم بالمقام ولا يريدون ان يريموا فحل حتى يرجع جواب كتابهم من عند عمر ولا يستطيعون الاقدام على عدوهم فى مكانهم لما دونهم من الاوحال وكانت العرب تسمى تلك الغزوه فحل وذات الرّدغَه وبيسان واصاب المسلمون من ريف الاردن افضل مما فيه المشركون.. مارتهم متواصله وخصبهم رغد فاغرهم القوم وعلى القوم سقلار بن مخراق ورجوا ان يكونوا على غرة فأتوهم والمسلمون لا يأمنون مجيئهم فهم على حذر وكان شرحبيل لا يبيت ولا يصبح الا على تعبه فلما هجموا على المسلمين غافصوهم فلم يناظروا واقتتلوا بفحل كأشد قتال اقتتلوه قط ليلتهم ويومهم الى الليل فأظلم الليل عليهم وقد حاروا فانهزموا وهم حيارى وقد اصيب رئيسهم سقلار بن مخراق والذى يليه منهم نسطورس وظفر المسلمون احسن ظفر واهنأه.. ثم اقتسموا الغنائم وانصرف ابو عبيده بخالد من فحل الى حمص وصرفوا سمير بن كعب معهم ومضوا بذى القلاع ومن معه وخلفوا شرحبيل ومن معه (الطبرى، تاريخ الامم والملوك، ج٢، القاهرة ١٣٥٧هـ، ١٩٣٩م، ص٦٢٨). وجاء فى البلاذرى فتوح البلدان (الطبعة الاولى ١٣٥٠هـ/ ١٩٣٢م) القاهرة ص١٢٢ ما يلى:

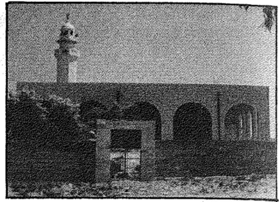
«يوم فحل من الاردن»

«قالوا وكانت وقعة «فحل» من «الاردن» لليلتين بقيتا من ذى القعدة بعد خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بخمسة اشهر وامير الناس ابو عبيده ابن الجراح وكان عمر قد كتب اليه بولايته الشام وامره الامراء مع عامر بن ابى وقاص اخى سعد بن ابى وقاص وقوم يقولون: ان ولاية ابى عبيده الشام اتته والناس يحاصرون دمشق فكتمها خالد اياما لان خالدا كان امير الناس فى الحرب فقال له خالد: ما دعاك ـ رحمك الله ـ الى ما فعلت، قال: كرهت ان اكسرك واوهن امرك وانت بازاء عدو.

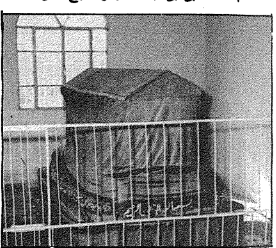
وكان سبب هذه الوقعة ان هرقل لما صار الى انطاكيه استنفر الروم واهل الجزيره وبعث عليهم رجلا من خاصته وثقاته فى نفسه فلقوا المسلمين بفحل من الاردن فقاتلوهم اشد قتل وابرحه حتى اظهرهم الله عليهم وقُتِلَ بطريقهم وزهاء عشرة الاف معه وتفرق الباقون فى مدن الشام ولحق بعضهم بهرقل وتحصن اهل «فحل» فحصرهم المسلمون حتى سألوا الامان على اداء الجزيه عن رؤسهم والخراج عن ارضهم فأمّنوهم على انفسهم واموالهم وان لا تهدم حيطانهم وتولى عقد ذلك ابو عبيده بن الجراح ويقال توردة شرحبيل بن حسنه.

وفى كتاب: معجم البلدان، لياقوت (المتوفى سنة ٦٢٦هـ المجلد الخامس (الطبعه الاولى ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م) ص٣٤٠ (فِحْل) بكسر أوله وسكون ثانيه وآخره لام اسم موضع بالشام كانت فيه وقعة للمسلمين مع الروم: ويوم فحل مذكور فى الفتوح واظنه عجميا لم اره فى كلام العرب قتل فيه ثمانون الفا من الروم وكان بعد فتح دمشق فى عام واحد.. قال القعقاع بن عمرو التميمى:





مسجد الصحابى أبى عبيدة عامر بن الجراح رضى الله عنه



ضريح الصحابى شرحبيل بن حسن رضى الله عنه

مسجد الصحابى شرحبيل بن حسن رضى الله عنا

كم أب لى قد ورثتُ فعالَهُ
جَمٍّ المكارم بحره تيّار
وغداة فِحْلِ قد رأونى معلماً
والخيل تنحطُ والبلا اطوار
مازالت الخيلُ العرابُ تدوسهم
فى حوم فحل والهبا موّار
حتى رمين سراتهم عن اسرهم
فى روعة ما بعدها استمرار

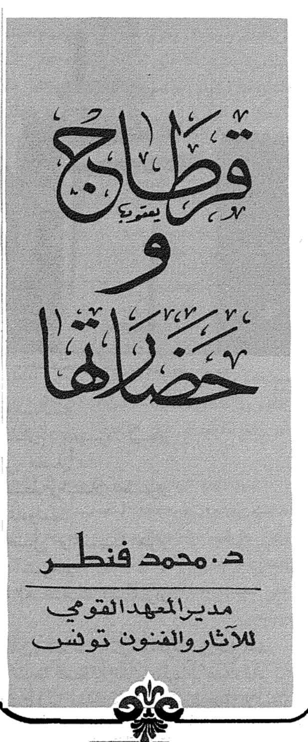
وكان يوم فحل يسمى يوم الردَّغَة ايضا ويوم بيسان و(فَحْلَين) بلفظ تثنية الذى قبله موضع فى جبل احد .

وعلى مسافة قصيرة من طبقة فحل يوجد عدد من اضرحة الصحابة الكرام ومنهم ابو عبيده عامر بن الجراح وشرحبيل بن حسنه وضرار بن الازور. . حيث بنيت قربها المساجد والسبل وزرعت حولها الاشجار الوارفة .



الفنيقيون

فى غربى البحر الأبيض المتوسط



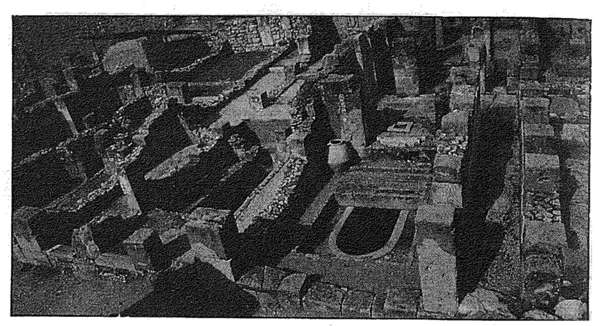
أقبل الفنيقيون من مدنهم الى سواحلنا منذ الألف الثانية قبل الميلاد. . اقبلوا من صور وجبيل وصيدة وغيرها من المدن الكنعانية التى رفعت المصادر القديمة لها ذكرها وفصلت أخبارها(١).

أقبلوا الى غربى البحر الابيض المتوسط متحدِّين خطر الامواج والصخور الخفية ومتحدين القرصنة وعواقبها، ذلك أنهم كانوا يمتازون بالجرأة والسيطرة على الملاحة.

كانوا يأتون الى غربى البحر الأبيض المتوسط للتجارة أو قل لاقتناء المعادن الثمينة من نحاس وقصدير وفضة وذهب ـ ولعل القصدير كان يأتى فى المرتبة الاولى وهو المعدن الضرورى لصنع البرنز. . وكان البرنز اذ ذاك يعنى القوة الاقتصادية والصناعية ويضمن المناعة العسكرية مما جعل الدول تتهافت عليه وتزهد فى كل شىء للحصول عليه.

احتكر الفنيقيون تجارة القصدير طيلة قرون فكانوا يأتون الى جنوب شبه جزيرة الايبار أى جنوب اسبانيا لاقتنائه والعمل على الحصول عليه دون غيرهم متصلين بالقوافل التى كانت تأتى به من الشمال عبر بلاد الغال. . ويتجمع القصدير فى سوق ترشيش تلك التى اشارت لها آيات التوراة واشارت لها كتب القدماء من يونان ورومان.

وقد اعتنوا بهذه التجارة البحرية وعملوا على توفير أحسن الظروف لبناعتها وازدهارها وتيسير



حى من قرطاج القرن الثالث والثانى ق.م

حياة الذين كانوا يباشرونها فأسسوا المصارف والمراكز البحرية على الشواطىء بعد التعرف اليها والتثبت من جدواها ومن قدراتها على تقديم الخدمات المرجوة منها. . ذاع صيت المصارف الفنيقية ومنها أوتيكة فى الشمال التونسى وقادس فى جنوب اسبانيا ولاكيش فى شمال المملكة المغربية وغيرها.

كانت هذه المصارف كعقد من لؤلؤ يضىء نوره طريق الاساطيل الفينيقية فيطمئنها ويغذيها املا فى الثروة وايمانا بالغد وابتداء من القرن التاسع قبل الميلاد ثبت لدى الفنيقيين أن لابد من تأسيس مدينة جديدة تكون لها القدرة على صيانة المصالح الفنيقية فى غربى البحر الابيض المتوسط والتصدى لكل من قد يريد مضايقتهم او مزاحمتهم سيما لما انتشرت المعمرات اليونانية على السواحل الايطالية وصقلية ـ فتكون المدينة اذا مستودعا وسوقا وتكون قاعدة عسكرية توحى بالقوة والشجاعة فترتخى عزائم الراغبين فى المضايقة والمزاحمة ذلك ان الاشوريين(٢) كانوا يملكون وادى الرافدين أرض بابل وآشور ولقد عرفوا بحبهم للسلطان والمال: يسيطرون ويؤسرون ولا يتركون شيئا لمن يتحدى ويرفض الاستسلام والطاعة ـ فالعرش لهم. . والقصور لهم. . والبطولة لهم. . جيوشهم عتيدة لا تبقى ولا تذر. . وتجوب الفلوات وتتخطى الجبال وتقيم المعسكرات فى كل ارض تريدها حتى قيل **(ان لأشور يدين إحداهما فى مياه دجلة والاخرى تشد قمم أرض كنعان)**. . حضارتهم تجسم القوة بنحوتها وكأنها تتغنى بمآثر آشور الجبار فهو يغنى ويبيد والخوف يملأ الدنيا من مصر الى بلاد الحيثيين ومنها الى المدن الفنيقية وانعدم الأمن وغارت القيم ـ فلا ثقة فى النفس ولا فى الغير. . الرعب فى القلوب والحيرة فى المدينة ـ فى القصر والمعهد فى البيت والشارع كانت الاساطيل الفنيقية تمخر وقتها عباب البحر تقيم جسرا بين الحوضين من الشرق الى الغرب ذهابا وايابا. . وازدهرت

تجارتهم وتكـاثـرت امـوالهم فكانت المراكز والمصارف كالآلىء على الشطآن تفخر بها الخلجان وترنو لها الكواكب فى السماء ـ لكن الارض فى كنعان يدوسها آشور بخيوله ورماحه والسيف والمقلاع فأين المفر؟ . .

تأسيس قرطاج : الأسباب والملابسات(٣)

الخطر يهدد الفينيقين فى عقر دارهم . . والخطر يهددهم فى ربوع تغربوا فيها وتعرفوا اليها : المدن اليونانية تزاحمهم وترغب فى ثروتهم او فى ثروة كثروتهم فلابد من حل يقيهم شر الخيول الاشورية وشر الاساطيل اليـونـانية فهل من قرية آمنة تؤمن فيها الثروات الفنيقية؟ . . قرطاج أو «قرت حدشت» ومعناها المدينة الجـديـدة تغنى بها الخيـال وأخلع عليهـا الجـمال والمجـد . . وتغنى بها فرجليـوس شاعـر الامبراطورية الرومانية . . وقد أحبه الافارقه فكانت روعة الفسيفساء.

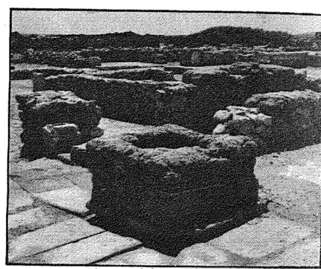
أسسوا هذه المـدينة سنة ٨١٤ ق.م وسموها «قرت حدشت» اى قرطاج بعد الادغام والتحريف . . ولم يؤسسوها الا بعد اقناع المواطنين الافارقة الذين وقفوا فى البداية معارضين المشروع ـ فالبعثة المكلفة بالسهر على انجازه ومتابعته منعت من النزول على الشاطىء ويبدو انها بقيت تنتظر فى جزيرة الجامور أى زمبرة حتى كانت المفاوضات واقتنع المواطنون الافارقة ووافقوا على مبدأ التعاون معهم فكان ميلاد قرطاج تلك التى تبوأت عرش البحر الابيض المتوسط وملا اسمها الافواه وشاغل العقول وداعبت سفنها الشواطىء ولاحقت الامواج وتخطتها.

على انه لابد من اشارة الى اسطورة (عليسة) تلك الاميرة الكنعانية التى التصق اسمها باسم قرطاج حتى أبى الخيال المبدع الا ان ينسب اليها حدث تأسيسها . . . وجاء فى كتب القدماء من يونان ورومان أنها أميرة ساء حظها بعد أن تزوجت عمها (ذِكْر بعل) وقد حرفته المصادر القديمة وحولته الى آشَرْبَس وحوله آخرون الى سيشة . . كان عمها ضمن هذه المصادر كاهن إله صور ملقرت وكانت ثروته تفوق ثروة الملك نفسه فلما تبوأ بجمليون اخو (عليسة) عرش المدينة خامرته فكرة الاستيلاء على ثروة المعبد فقتل زوج أخته (ذكر بعل) املا فى الاستئثار بكنوز القتيل لكن عليسة كانت تحب زوجها وتخلص اليه فاغتاظت من صنيع أخيها وخافت ان تسقط ضحية الغدر والجشع فدبرت أمرها واتفقت مع ثلة من أعيان صور ولاذت بالفـرار نحـو سواحل افريقية مرورا بجزيرة قبرص ومنها اصطحبتها فتيات كن مرابطات بمعبد عشترت وكان معهن الكاهن الاكبر وهكذا حلت عليسة بالسواحل الأفريقية ومعها كل ما من شأنه ان يضمن بقاء المجموعة ويحافظ على مقوماتها ويمكنها من الصمود والتطور السليم(٤).

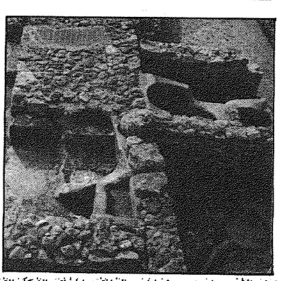
وردت اسطورة عليسة فى غالب كتب المؤرخين القدماء منهم والمعاصرين لكنها لا تتعدّى حدود اسطورة سبكها الخيال الكنعانى وساهمت فى سبكها الاجيال المتعاقبة ولم يتردد اليونانيون فى اثرائها بما كانوا يتسمون به من حنكة وخصب خيال على انها اذا تناولها الباحث بالتفسير العلمى تمكن من الوقوف على اهم عناصر النسيج الكنعانى من أوضاع سياسية واقتصادية واجتماعية الى جانب المعتقدات.



ومهما يكن من أمر فإن تأسيس مدينة قرطاج يبقى نتيجة الاوضاع التى كانت تسيطر فى ربوع البحر الابيض المتوسط ونتيجة ظروف كانت تعيشها المدن الكنعانية منذ القرن التاسع قبل الميلاد وتتميز بالخطر الاشورى الرهيب فى المشرق وبمزاحمة الاساطيل اليونانية فى المغرب فكان للفنيقيين أن يتصدوا لهذين الخطرين والنتيجة كانت تأسيس قرطاج.



يوجد البئر فى كل بيت من بيوت كركوان وتعلوه مثابه من حجر منحوت القرن الثالث ق.م



غرف الأستحمام وترى فيها أستعمال المقعد الحذائى الشكل القرن الثالث ق.م

لقد أفلح الفنيقيون فى اختيار الموقع: شبه جزيرة تشرف على البحر وتنظر الى السواحل الشمالية وتحتضن ملاجىء طبيعية ومرافق اخرى توفر كل ما قد تحتاجه المدينة - الميناء من حصانة ومناعة حتى لا تخاف الأفواج ولا عبث الرياح وتكون أساطيلها فى مأمن ويكون سكانها مطمئنين على سلامتهم وسلامة أوطانهم.

دستور قرطاج

وبقدر ما اجتهد المؤسسون لقرطاج فى اختيار الموقع حتى يستجيب لحاجيات اقتصادية وعسكرية وأمنية واجتماعية واضحة المعالم لديهم بقدر ما اعتنوا بنظمها السياسية والادارية ضمانا لتماسك مجتمعها وحرصا على حماية مصالح الفرد والجماعة فاختاروا لها نظاما دستوريا نوّه به الفيلسوف ارسطو فى كتابه السياسة(*) ويتضمن دستور قرطاج مؤسسات تشريعية واخرى قضائية منها مجلس الشيوخ ومجلس الشعب ومجلس المائة وهو الذى يتناول القضايا العدلية التى تخص شؤون الدولة حتى لا يكون التجاوز من قِبل مَنْ قد تكون له السلطة من متصرفين اداريين او قادة عسكريين فكل واحدٍ كان مسؤولا على تصرفه وقد يكون مطالبا بالنجاح والتوفيق عند القيام بالمهمة.

أما السلطة التنفيذية فكانت موكلة الى سبطين يعينّ كلاهما لسنة واحدة عن طريق الانتخاب ومعلوم ان كل الوظائف المسؤولة كانت تسند عن طريق الانتخاب على ان الانتخاب كان فيها يرجح مشروطا فى مستوى الناخب والمنتخب.

ومن تلك الشروط المواطنة القرطاجية والتمتع بالحرية الى جانب شروط اخرى لم تفصّلها المصادر ومنها المستوى الثقافى والمستوى الاجتماعى وحد أدنى من الثروة ذلك لان المسؤولية تكليف وتطوع فلم يكن المسؤول السياسى ولا المسؤول الادارى يتقاضى شيئا مقابل الخدمات التى يقدمها للمجموعة بل عله يساهم فى انجاز بعض المشاريع تعبيرا عن امتنانه للمجموعة التى منحته ثقتها واسندت اليه مهمة.

على ان بعض العائلات كانت قادرة على الاحتفاظ بالمسؤولية جيلا بعد جيل لما كان يتوفر لديها من ثروة وخبرة وجاه ضمن المجموعة وقد تستدر عطف الجماهير بسخائها وبوعودها الخلابة وفى كتب القدماء وفى النقوش البونية أثر لهذه الاوضاع السياسية الاجتماعية.

وكان المجتمع القرطاجي يتميز بتوازنه حيث توجد بعض العائلات الثرية لكن الاغلبية للفئات المتوسطة من صناع وبحارة وتجار صغار وفلاحين ولعل الدرجة الأولى فى المجتمع القرطاجي كانت للكهنة الذين يملكون الثروة - ثروة المعابد - ويملكون العلم بأبعاده الدينية والدنيوية فهم الذين يسهرون على تربية الناشئة فى المعابد وهم الذين يحسنون الحوار مع المقدسات وقد تحبوهم الآلهة بما لها من قوة وسلطان فيما يهم الناس.

الاقتصاد القرطاجي

التجارة(٦)

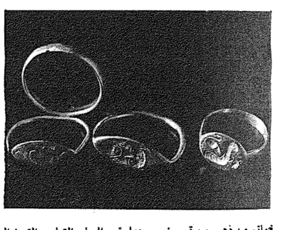
على ان المدينة كانت تملك ثروة طائلة جمعها القرطاجيون بعرق الجبين فى المصنع وعلى متن السفينة وفى الحقل والمتجر. لقد التصق اسم قرطاج بالبحر حيث كان القرطاجيون يتاجرون ويقومون بدور الوسيط بين مختلف الاصقاع المطلة على ضفاف البحر المتوسط.

كانت التجارة القرطاجية تشق عباب البحر وتعبر كثبان الصحراء والكسب للذين يتأقلمون.. فالعملة نقود تضرب فى دور السكة.. والمقايضة صمتا عند الاقتضاء.. وقد تحدث القدماء عن تجارة القرطاجيين فى ديار الزنوج: بضاعة ببضاعة.

تقبل السفن القرطاجية مثقلة بكل ما قد تستطيبه قبائل هذه الربوع.. الدخان للاشعار ثم النزول الى الشاطىء: وتعرض الحمولة على الرمل فالعودة الى السفن حيث يترقبون بعض الراغبين فهذا يأتى فضولا وهذا يسعى أملا فى وجود ما يحتاجه أو ما يمتعه من انتاج اقطار نائية لا يعرفه.. قوارير من فخار.. اطواق.. وأخراز من عجين الزجاج.. وأخرى عديدة متنوعة.. يتمعنون فى البضاعة فان أعجبتهم تركوا مقابلها تبرا وتركوا البضاعة وانصرفوا - فيعود التاجر فان كانت كمية التبر مرضية اخذها وترك البضاعة



الشاعر فرجا يوس يتغنى بحب علية : فسيفساء توجد بمتحف باردو القرن الثالث ميلادى



خواتم من ذهب من قبر يونيى ـ منزل تميم الوطن القبلى ـ القرن الرابع الثالث ق . م

اصداف المريق لصناعة الأرجوان : كركوان القرن الثالث ق . م

لمقتنيها وان لم ترضه عاد الى سفينته دون أن يمس التبر . فاذا بالزنجى يقبل ثانية ويضيف من تبره ان كان من الراغبين . . ذاك ابتياع بالمقايضة الصامتة فلا الزنجى يأخذ البضاعة ولا القرطاجى يمس التبر قبل التراضى .

الفلاحــــة(٧)

ولكن التجارة عبر البحر والصحراء لم تمنع هؤلاء القرطاجيين من الاهتمام بالارض والفلاحة بل كانوا يعتبرون من كبار الخبراء فى شؤونها من زراعات كبرى بالأرض والفلاحة وغرس الأشجار المثمرة . . والتين والزيتون شجرتان حبتا قرطاج وتيمتها كما تيمتها الكروم والقمح . . الارض عندهم مقدسة يشقها المحراث ويسقيها الفلاح عرقا فيكون الزيت والنور وينشر الازدهار والعزة والاعتزاز . . وتنظر قرطاج الى مفاتنها وتسخر الانصاب والفسيفساء لترفع ذكرها بالحرف والرمز واللون .

وليس لأحد ان يتحدث عن الفلاحة القرطاجية دون ذكر ماجون وهو من كبار علماء الزراعة عاش بقرطاج، خلال القرن الرابع قبل ميلاد عيسى عليه السلام . . ولقد صنف رسالة فى علوم الفلاحة احتفظ بها الرومان وترجموها الى لغتهم بغية الاستفادة منها وتمكن المؤرخون المعاصرون من التقاط بعض فصولها مبعثرة فى رسائل علماء الفلاحة القدامى مثل «قلوملة وورو» وكلاهما لاتينى الجنسية والثقافة وعاش خلال القرن الأول قبل ميلاد عيسى عليه السلام(٨) . . وما انفك المختصون فى شؤون الفلاحة يهتمون برسالة ماجون القرطاجى حتى فيما بعد القرون الوسطى وقد بين ذلك مؤرخ فرنسى فى مداخلة قدمها أمام اعضاء الاكادمية الفرنسية للنقائش والآداب الجميلة سنة ١٩٧٦م حيث أثبت أن رسالة ماجون كانت تشغل بال المختصين عبر العصور فى الاقطار الاوربية وخارجها ولعل فى ما صنفه ابن العوام الاندلسى بعض اصدائها(٩) .

الصناعــة

ولقد عرف القرطاجيون والبونيون عامة باقبالهم على الحِرَف والصناعات فالنقائش التى سطرت على أنصاب التوفات تذكر التجار والحداد والصائغ والبناء والنساج والصباغ(١٠) . . ومعلوم ان مدينة قرطاج كانت مصرفا كبيرا لتجارة المعادن وتحويلها الى ادوات منزلية او فلاحية او الى اسلحة . . والذهب والفضة لسبك المجوهرات وسك النقود . . وفى الحديث عن الصناعات القرطاجية لابد من ذكر الخارى ذلك يصور اشكالا مما لا شكل له ويعطيها ما يجعلها تقوم بوظيفتها فضلا عن جمال الملامح والعروة اللطيفة افقية كانت او عمودية والقناديل والاباريق والجرار والصحاف .

أما عن النسيج وألوانه الأرجوانية فالحديث عنه وارد فى النصوص وفى النقائش وبين الأطلال . . والأرجوان مادة صبغ تؤخذ من أصداف المرقس أو المريق تؤخذ لحومها وتوضع فى أحواض حتى تتعفن فتفرز سائلا رائحته كريهة لا تطاق ومنه اللون البنفسجى الأرجوانى الذى يعتبر من ابتداع الفنيقيين . . ولقد عثر على أكوام ضخمة من بقايا أصداف المريق ألقوا بها بعد الاستعمال فظلت شاهدا على صناعة الارجوان فى بلادنا على عهد قرطاج . . ذاك ما توحى به المصادر الأدبية والنقائش والأطلال عن قرطاج المجيدة وعن ثروتها وسلطانها فى الأرض والبحر.

المدينــة :

لكن الحديث عن هذه المدينة العظيمة يصطدم باختفاء المصادر والشهادات وباختفاء المعالم التى كانت كالزهور اليانعة فى ارض الجزيرة ـ ولكن عبثت الجيوش الرومانية بمدينة قرطاج وهدموا معالمها ونهبوا البيوت والمعابد حتى لم يبق منها الا القليل : قبور وتوابيت . . نصب جنائزية وأخرى أقيمت قربانا للآلهة .

أصبحت قرطاج أثرا بعد عين من جراء الحروب الرومانية(١١) وكانت ثلاثة ودامت مالا يقل عن مائة سنة فالحرب الرومانية الأولى دارت رحاها من ٢٦٣ الى ٢٣٨ ق . م وانتهت بانهزام الجيوش القرطاجية بالرغم

عن بطولات مشهودة كالتى اثبتها التاريخ لعبد ملقرت البرقى ذلك الذى يعرف باسم أملكار فى كتب اليونان والرومان واشتهر عبد ملقرت بشجاعته ودهائه وحذقه السياسى. . وقد عرفته البطحاء وعرفته القصور ودور السياسة. . وهو الذى أنجب حنبعل القائد العبقرى الشهير بطل اترازمانة وبطل كانة إبان الحرب الرومانية الثانية التى اندلعت فى اسبانيا سنة ٢١٨. . وكان عبور جبال البيرينى وجبال الألب. . وكانت الملاحم المتعاقبة والانتصارات الحنبعلية حتى أن تنكرت الهة النصر لقوم تنكروا للقيم والمبادىء وسيطرت على قلوبهم المادة والآنانية واستأثر الفرد بالثروة وتفقرت المجموعة. . ولا خير فى قوم كفروا بمصالح المجموعة وبمستقبلها وانهزم حنبعل فى زامة سنة ٢٠١ ق.م.

ثم كانت الحرب الرومانية الثالثة من سنة ١٤٩ الى ١٤٦ ق.م وانتصرت الجيوش الرومانية تحت قيادة شبون امليانوس وحكم على قرطاج بالنهب والتخريب والحرق نارا مؤججة لا تبقى ولا تذر - ولم يبق من مدينة قرطاج البونية الا نتف ضئيلة مبعثرة.

الميناء

ومن أبرز المعالم التى ما انفكت ترتل أخبار مدينة قرطاج تجدر الاشارة الى الميناء ذى الحوضين: حوض مستطيل الشكل وكان مفتوحا امام السفن التجارية قرطاجية كانت أو غير قرطاجية.

اما الحوض الثانى وهو مستدير الشكل: فلقد كان مقصورا على الاسطول الحربى لا يلجه الا الذين يعملون فى البحرية القرطاجية وتتوسط هذا الحوض جزيرة فيها دار المراقبة تشرف على البحر ومن أعلاها كانت القيادة العليا تسهر على نشاط الميناء ومنها تصدر أوامرها.

والملاحظ ان هذا الميناء بحوضيه تم نقره فى الحجر الصلب حتى يكون بعيدا عن الامواج ويكون بعيدا عن السطو المفاجىء فكان مدخله محميا تراقبه حراسة مشددة وهو مغلق بسلسلة من حديد. . وتذكر النصوص القديمة ان الميناء كان يحتوى على عناصر شتى منها مركب لصناعة السفن وترميم المعطوب منها. . وفيه خبايا تأوى السفن والذخيرة والعتاد. . على ان معلوماتنا ما انفكت تتكثف بفضل الحفريات التى انجزت اخيرا فى صلب مشروع قرطاج الدولى تحت اشراف المعهد القومى للآثار وبإعانة اليونسكو المادية والأدبية(١٢).

قرطاج والبحر:

ان الحديث عن الميناء القرطاجى بحوضيه يجرنا الى ذكر رجلين من رجال البحر فى قرطاج وهما حنّون وخَيْمِلْك وقد عاش كلاهما خلال القرن الخامس قبل الميلاد.

رحلة حنون :

بأمر من الشعب القرطاجى غادر حنون الميناء على رأس اسطول يتركب من ستين بنتيقُنْطورة ـ والبنتيقنطورة سفينة ذات خمسين مجدافاً . . خرج حنون على رأس الاسطول مكلفا بمهمة مضمونها تأسيس معمرات الاطلاع على الربوع المتاخمة لسواحل القارة من جهة الغرب والتعرف الى مناجم الذهب ومسالكه واحتذت السفن القرطاجية السواحل المغربية وعبرت عمودى هرقلاس اى مضيق جبل طارق، ثم حولت الاتجاه نحو الجنوب محتذية السواحل حتى ادركت خليج غينيا على مستوى جبال الكمرون وكان من بينها بركان اذ ذاك نشيط يقذف النار والشظايا الملتهبة ـ فهذه الظروف القاسية وأخرى غيرها دفعت حنون الى العودة . . والطريف انه كان يسجل ذكرياته واصفا كل ما كان يشاهد ويعيش حتى كانت الرحلة الشهيرة وعلقت فى معبد بعل حمّون بالمدينة شأن المعلقات فى الكعبة قبل الاسلام(١٣) .

رحلة خيملك

ويبدو أن اميراً من أمراء البحرية القرطاجية وقتئذ من آل ماجون وله قرابة بحنون من حيث الزمن والنسب . . كُلّف برحلة أخرى انطلاقاً من جدير (قادس) لكنه توجه نحو الشمال محتذيا سواحل البرتغال ثم سواحل بلاد الغال وعبر خليج غسقونيا مرورا ببحر المنش حتى أدرك جزر القرنواى ببريطانيا العظمى عله كان يريد التعرف الى مناجم القصدير وأسواقه ومهما يكن من أمر هذه الرحلة فلقد خلدتها ملحمة شعرية تناولت وصف البحار وما يطل عليها ويتعلق بها ألفها روفوس فستوس أفيانوس وعنوانها «حديث البحر» مع أنها متأخرة نسبيا تعود الى القرن الرابع الميلادى لكنها تضمنت أخبارا قديمة نقلها الشاعر . . والثابت أن فى مدينة سان مالو ببريطانيا الفرنسية شارع يحمل اسم خيملك ذكرى لرحلته الشهيرة وسكان سان مالو يذكرون الحدث بكل فخر واعتزاز(١٤) .

العمارة السكنية(١٥)

ومما تبقى من عظمة قرطاج : بيوت عرفت ايام حنبعل وعرفت شبيون والنهب والمعول والنار، ثم وارتها الأتربة وبقيت فى مدفنها تترقب الحملة الدولية التى اشرفت عليها منظمة اليونسكو بطلب من تونس بالتعاون مع المعهد القومى للآثار والفنون .

فهى درس فى العمارة السكنية . . مواد بناء . . تقنيات . . اشكال واحجام . . كلها تستجيب لحاجة واضحة لديهم . . المدخل المنعكف : ساحة توفر النور والهواء لغرف حولها والماء من السماء الى الصهاريج ـ ومنها الى اهل البيت يشربون ويغتسلون ولهم فيه مآرب اخرى عديدة . . أليست فى بيوتنا بعض ما فى البيت القرطاجى؟ . . بلى . .



العمارة الجنائزية(١٦)

لقد اهتم القرطاجيون والبونيون عامة بما بعد الحياة وبالمدافن والقبور والأضرحة وواضح انها تغيرت وتطورت مع المكان والزمان: فالقبور فى قرطاج تختلف فى اشكالها الهندسية عن القبور التى كشف عنها الغطاء فى مدن أخرى بونية ككركوان او الديماس ولبده - بل وقد تتنوع اشكال القبور فى نفس المدفنة فالقبور البسيطة تتمثل فى خنادق تحفر بالمعول والرفش.. ثم هناك القبور الجُبيّة التى شكلها يحكى الجبّ العميق.. وتنقر الغرف الجنائزية فى بعض جوانبها وقد تتراكب الواحدة فوق الأخرى طوابق وهذا نوع عرفته قرطاج وكأنه من خصائصها.. ونجد فى مدن بونية اخرى بالوطن القبلى أو الساحل التونسى باستثناء سوسة قبورا ثلاثية التركيبة: مدرج يدفع الى العمق نحو الدهليز أو ما يعرف بالادرومس ومنه الى الغرفة الجنائزية وقد تتحلى بمصطبات أو بزخارف مرسومة بالمغرى تمثل بعض المعتقدات المتعلقة برحلة الميت من حياة الى حياة أخرى.. ومن بين القبور المزخرفة تجدر الاشارة الى قبر تحلت جدران غرفته الجنائزية بصور تقص علينا قصة الارواح حتى تدرك المدينة التى فيها تتجمع آمنة مطمئنة.

العمارة الدينية

معبد التوفات:

ومن البيت الى المعبد ومن اعظم المعابد القرطاجية التوفات - ارض مقدسة يؤمها القرطاجيون للتقرب من بعل حمون (اله التوفات) ومن تانيت قرينته.

وفى (التوفات) تدفن بقايا الاضحية فى قارورة من فخار ثم يقام فوقها نصب يذكر القربان ومن قدمه فترى عليه كتابة حروفها مسطورة لا خوف عليها من عبث الرياح وتهاطل الامطار.. ويتحلى النصب بصورة مثيرة عسيرة الفهم خطاب لقوى خفية (قوى الخير.. وقوى الشر) فهى تعاويذ وتمائم وصلوات.. اشكال هندسية ورموز تصويرها يسير ووزنها ثقيل وتجدر الاشارة الى انصاب جىء بها من توفات سوسة تلك التى اسسها الفنيقيون وسموها (هادريم).. كلمة فنيقية تعنى الديار وهو الاسم العتيق الذى جعل منه الرومان هدروميتوم وجعل منه بعض المعاصرين حضرموت - ولم يتردد بعضهم فى التذكير اعتباطا بحضرموت اليمنية(١٧).

الحياة اليومية

لكن العبادة لا تغطى الا جزءا من مشاغل القرطاجى.. وفى دنيا المرأة جمال ورقة تذوب المعادن الكريمة قربانا لها.. والفضة فتكون حليا على حلل وتمائم للحسناء تحميها وأقراط وخواتم وعقود فى جيدها مشمولة: فهذه تداعب خصل شعرها أو تشد غدائرها.. وتلك تلاطف اناملها فترق لها العين كأنها رتمة

حب تليد. . ويغار العاج والزجاج وتغار الاحجار الكريمة وتأبى الا أن تنضم للذهب والفضة ليكون المشط وتكون الأخراز وتكون قنينة العطر. . وكم كان ومازال العطر معشوقا لدى المرأة للاغراء والرفرفة فى عالم الخيال.

صناعة من إبداعهم فى قرطاج: اشكالها وألوانها موروثة مصونة لانها الذات ولا حرج من توريد ما قد تأنس المرأة فيه الجمال والطرافة(١٨).

الثقافة

على ان التجارة والفلاحة والكسب لم تحد من نمو الثقافة القرطاجية ـ بل ثابت انها ساهمت فى يناعتها حتى جازت حدود المدينة ونوه بها الامجاد فى كتبهم. . فأفلاطون نوّه بقوانينها وأرسطو بدستورها وكان القديس أوغستنوس فخورا بمآثرها ومأثوراتها ذكرها فى خطبه وفى رسائله وفى حديثه. . . والجذور فى قرطاج(١٩).

الحضارة البونية خارج قرطاج

لم تكن الحضارة البونية وقفا على قرطاج بل تسربت الى مختلف المدن والقرى فى افريقية ولا سيما فى أرض تونس فأينما حللت بربوعنا حيَّتك الحضارة البونية فى المعالم والعادات والتقاليد فمعالم الحضارة البونية توجد فى الساحل وفى الوطن القبلى بالخصوص(٢٠)، فلقد وجه القرطاجيون اهتمامهم الى منطقة الوطن القبلى لما لمسوه فيها من خصب ولما تمثله من قوة استراتيجية وذلك واضح لكل من قد يشاهد مدينة قليبية ويشاهد حصنها الحصين ومناءها الامين.

مدينة كركوان(٢١)

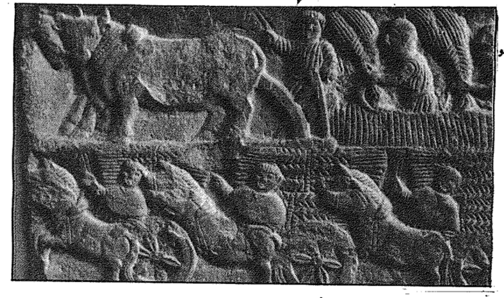
ومن بين مدن الوطن القبلى مدينة عرفت باسم كركوان: ولعلها كانت تسمى تامزرات كما توحى به بعض الوثائق العقارية ـ فالارض التى توجد فيها أطلال هذه المدينة تحمل فى الوثائق العقارية اسم «هنشير تامزرات».

يبدو انها اسست حوالى القرن السادس قبل الميلاد ـ او قل: ان اقدم ما لدينا عن هذه المدينة يعود الى القرن السادس قبل الميلاد وتتمثل الوثيقة فى كسرات من الفخار اليونانى عثر عليها فى بعض الاسبار.

كانت المدينة تشرف على البحر متمنطقة بسور متين اقاموه طبقا لتقاليد تقنية عرفها الشرق القديم منذ زمن سحيق ـ ومن بين تلك التقاليد التقنية الشرقية العتيقة ترصيف الحجارة ترصيفا يحكى سنبلة البرى.

وبعد عبور السور بمترستيه تجد المدينة باحيائها السكنية وشوارعها الطويلة المتقاطعة المتعامدة. . فلهذه المدينة تخطيط يحكى رقعة الشطرنج قيل إنه تخطيط مقتبس عن الحضارة اليونانية. . وكثيرا ما ينطلق





الزراعة ـ بعد الحصاد نصبا ميلاديا يوجد فى متحف باردو . القرن الثالث

المؤرخون من الحضارة اليونانية وكثيرا ما نسبوا لها خطأ كل ما تشابه معها.

فتخطيط المدن على غرار رقعة الشطرنج عرفه الشرق القديم منذ عصور متوغلة فى القدم ـ بل سبقت الحضارة اليونانية بعدد من القرون نجده فى بعض المدن الرافدية بالعراق وفى مدينة أوجاريت على الساحل السورى . . ومهما يكن من أمر فلقد عرفت مدينة كركوان أو تامزرات تهيئة عمرانية متطورة وتشهد شوارعها ومعالمها الاخرى على ذلك.

فالبيت هنا يحتوى على مرافق لا تتوفر لبعض المعاصرين: فناء يملأ الغرف نورا وهواء نقيا، الغرف تفتح على هذا الفناء وفيه تجد قاعة الاستحمام ولقد تفنن سكان هذه المدينة فى صياغة هذه القاعة بعناصرها المختلفة . . الخلوة الحوض: وفى الحوض مقعد يجلس عليه المستحم وكثيرا ما تتحلى ارضية الحوض بزخرفة بسيطة تتولد عن ترصيف كسرات من الرخام الابيض ومن الحجر الملون يداعبها الماء ويتلاطف معها . . تخرج المياه النظيفة من البئر وبعد الاستعمال تنطلق نحو الساقية فى اتجاه الشارع حيث الخندق وقنوات الافراغ.

وفى بعض الغرف او فى السقيفة او فى المعبر تجد أحيانا مصطبات للجلوس وتجاذب اطراف الحديث ومنها ما هيىء للعب والترفيه.

ولا نغادر بيوت هذه المدينة البونية دون ما تأمل فى زخرفة ارضيتها . . ولعلنا فيها نجد جذور فن الفسيفساء تغطى الارضية بملاط تتركب خلطته من الرمل والجير وسحيق الفخار الاحمر ثم تنثر فيه كسرات من الرخام الابيض او من الكلس تتخللها كسرات من الحجارة الملونة أو كسرات من عجين الزجاج الازرق . . ولم يبخل صانع هذه الارضيات المزخرفة ببعض ما لديه من الحجارة النادرة الموردة من جزر البحر البعيدة فترى فى بعضها وهى كالزرابى حجارة

سوداء قذفت بها نيران البراكين الايطالية تلك هي الأبسديانة سوداء تتلألأ تحت اشعة الشمس.

المعبد بكركوان

بعد زيارة البيوت البونية نتوجه بكم الى المعبد حيث يكون الانسان انسانا بما يتضمنه من سمو وضعف فلنا في كركوان معبد بوني من اعظم المعابد التي عثر على بقاياها في مغربنا الكبير بل في مختلف أقطار غربي البحر الابيض المتوسط مخططه يختلف عن مخططات المعابد اليونانية الرومانية.. بل فيه ملامح المعبد السامي بمدخله البهيج وفنائه الفسيح والبيت حيث توجد تماثيل الالهة وغيرها.. ويوجد في وسط الفناء قبالة البيت مذبح تقدم عليه القرابين من ذبائح وهدايا مختلفة.. وللمعبد ملحقات منها غرف للزائرين ومنها ركن مخصص للكهنة ولكل ما قد يحتاجه المعبد من وظائف.. وفي البلاد التونسية مواقع اخرى أثرية تعود الى الحضارة البونية منها: أطلال أوتيكة.. وهذه أطلال الديماس تتمثل في قبور بمدارجها وغرفها الجنائزية وفيها رفاة كان لاصحابها وزن في زمن مضى قبل خمسة وعشرين قرنا خلت.. الغرفة فسيحة الارجاء وبها مشكاة للقنديل أو لبعض ما قد يستطيبه صاحب البيت.. ويشير الاثاث الجنائزي الى حياة أخرى وكأن الموت عندهم شكل من أشكال الكينونة ـ فهذه أقنعة من طين أو من عجين البلور تبتسم شفقة وتكشر عن أسنانها ترهيبا تزعج الشياطين حينا وتلاطفها حينا فتكون السكينة.. ويدفن الميت ومعه بعض الحلي والنقود والتمائم والقوارير فكانوا يتبرعون على أمواتهم زادا وزينة.

الحضارة البونية خارج تونس

● ولم تكن الحضارة البونية مقصورة على قرطاج ولا على البلاد التونسية بل سطع نجمها في سماء المغرب الكبير(٢٢) وأدرك نورها ربوع المتوسط وكانت المدن البونية على السواحل ووراء الجبال ورمال الصحراء.

● وتوسعت قرطاج نحو البحر حتى أدركت سفنها الجزر البعيدة: صقلية.. سردانيا.. جزر البلجار.. جنوب اسبانيا والمضيق ـ فضلا عن سواحل المغرب الكبير.

● ولم يحفل رجالها بخطر الصحراء فكان لها حضور في ربوع السرت حتى شب خصام حدودي بينها وبين معمرة يونانية تسمى «قورينة»(٢٣) وكانت الحرب سجالا حتى لجأ الخصمان الى حكم الرياضة عدوا. اصطفت قرطاج من شبابها عدائين وهما الاخوان «فيلن» فانطلقا في الوقت من أقصى الربوع البونية المعترف بها وانطلق ابطال قورينة من ديارهم وكان الاتفاق أن تكون الحدود على خط اللقاء ولما كان الفوز لقرطاج طعنت في الحكم قورينة واشترطت لتنفيذه وأد العدائين القرطاجيين. وقبل الاخوان الجور والقساوة قربانا للوطن، تلك مأثورة أوردها المؤرخ اللاتيني صلستيوس في القرن الاول قبل ميلاد عيسى عليه السلام تنويها بالشعور الوطني عند القرطاجيين.

● عمرت قرطاج قرونا وسادت.. ولما كانت الحروب وتقلص حس الوطن في النفوس وانبرت المادة مرجعا ومقياسا تمكن الرومان من تكسير شوكتها: فالعدم في عدم الايمان بالوطن.. وغادر حنبعل(٢٤) قرطاج ولا



خير يرجى لوطن تكفر بالعبقرية فتموت فى ديار الغربة شوقا للوطن.

● حطموا قرطاج وأحرقوها واستباحوا السكان والاموال ولكن لشجرة الحياء فيها جذور لا تموت فبعد قرن مضى أمر قيصر بتعمير الربوع الخالية فنبتت قرطاج من رمادها وكانت القصور والمعابد فضاء للثقافة والترفيه: حمام ومسرح وملعب كلها معالم تتحلى بأروع ألوان الفسيفساء.

اسهامات قرطاج الحضارية

● ان الحضور الفنيقى وتأسيس قرطاج حدث تاريخى كان له تأثيرات عميقة بل حدث يترجم عن منعرج فى تاريخ الفنيقيين وفى تاريخ غربى البحر الابيض المتوسط وفى تاريخ المغرب الكبير بالخصوص ـ فكان للفنيقيين شرف اقامة جسر عملاق بين حوضى البحر حتى كان الحوار واللقاء والتراشح الحضارى.

● ان تأسيس قرطاج يجسد توجها جديدا فى سياسة المدن الفينقية تجاه غربى البحر الابيض المتوسط: فبعد الاقتصار على مراكز ومصارف وقتية مسخرة لتوفير أحسن الظروف للاساطيل التجارية لتقوم بدورها على طريق المعادن وتتمكن من ربط الصلة بالربوع المطلة على البحر، أسسوا قرطاج تعبيرا عن إرادتهم فى الانتصاب وتعمير الارض ومراقبة الملاحة والتصدى لكل مزاحمة فبتأسيس قرطاج تدفقت مياه الحضارة الكنعانية فى المغرب وسقت أرضا خصبة فنبتت الحضارة البونية بأشكالها العديدة وألوانها الزاهية.

● فثابت أن للحضور الفنيقى وتأسيس قرطاج فى افريقية أبعادا حضارية واقتصادية وسياسية وعسكرية فلقد نتج عن الحدث خروج غربى البحر الابيض المتوسط وربوع شمال افريقية من عصور ما قبل التاريخ الى نور التاريخ وذلك بدخول الكتابة الاباجدية التى جاء بها الفنيقيون. . . ثم لابد من الاشارة الى تطور الجغرافيا السياسية حتى أصبحت مناطق فى صقلية وسردانيا وجنوب اسبانيا وشمال افريقيا تابعة لسلطان الفنيقيين ومن نتائج ذلك الحدث: لاحقتهم بعض المدن اليونانية التى خرجت من سباتها واقتدت بتجاربهم وظلت تحاول بدورها تعمير بعض المناطق فى ايطاليا الجنوبية وشرقى صقلية ولعلها كانت تسعى مزاحمتهم فى شمال افريقيا وجنوب اسبانيا.

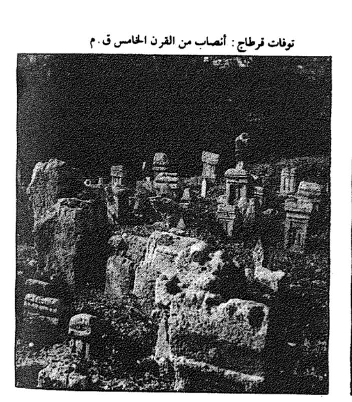
● وبتأسيس قرطاج فى افريقية تسربت كل التجارب الحضارية المشرقية من ديانة وصناعات وتقنيات وعمارة وغيرها. ولا ننسى الاسهامات الحضارية التى قدمتها قرطاج فى دنيا الفلاحة والملاحة والثقافة.

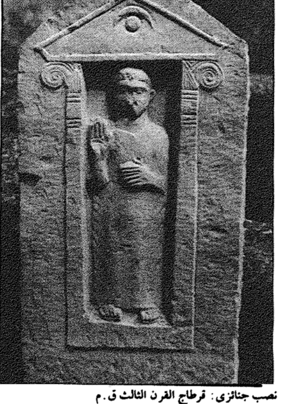
حول ثبات حضارة قرطاج الماجدة

● واذ تحتفل تونس هذه السنة بمرور ٢٨ قرنا على تأسيس قرطاج وتحتفل باسهامات حضارية قدمتها بلادنا فى مختلف الميادين:

● نلاحظ أن الحضارة القرطاجية البونية لم تمت بل تراها حية فينا وفى محيطنا . . فبعض الكلمات تخالها عربية وهى فى الاصـل من بقايا اللسان الكنعانى . . ومازالت بعض الزراعات بعلية وكأنها تشير الى عصور غابرة. كانت بعض الزراعات لا تسقى بماء البئر ولا بماء النبع بل يتولى رعايتها وسقيها بعل حمون اله الخصب المكلف بضـمان القوة والازدهار لقرطاج وللربوع التابعة لها ـ فالزراعات التى لا تحتاج للفلاح يسقيها . . ينعتها الفلاحون فى تونس اليوم بالزراعات البعلية . . وهل تثير الدهشة والاستغراب ان قلنا ان المرأة فى الريف التونسى مازالت تصنع الخبز بالطريقة التى جاء نبها الكنعانيون وبتنور لا يختلف فى شىء عن التنور المعروف أيام قرطاج . . اما الحديث عن الخمسة والسمكة قد يطول . . ان الحضارة القرطاجية مازالت حية راسخة فى محيطنا ولها فينا حضور.

توفات قرطاج : أنصاب من القرن الخامس ق.م





نصب جنائزى : قرطاج القرن الثالث ق.م

المراجـــع

(١) جورج كونتنو ـ الحضـارة الفنيقية ـ ترجمة د. محمد عبد الهادى شعيرة مراجعة طه حسين ـ القاهرة ١٩٤٨ .

محمد فنطر ـ قرطاج تونس ١٩٦٣

معن عرب : صور حاضرة فنيقيا بيروت ١٩٧٠

D. Harden, The Phoenicians, Thames and Husdson, 1962

S. Moscati, Il mondo dei Fanici, Milano, 1966

A. Parrot, M. Chehab, S. Moscati, Les Pheniciens, L'expansion Pheniciennes, Carthage, Paris 1975

ثم انـه من المفيـد جدا الرجوع الى التوراة ـ العهد القديم وفى اسفاره اشـارات عديـدة ومختلفة الى بنى كنعان والفنيقيين الذين يحملون فيها اسم الصيداويين نسبة الى مدينة صيدا التى كانت متألقة فى دنيا الفنيقيين الى أن عوضتها مدينة صور خلال القرن التاسع ق.م ـ انظر سفر حزقيال وسفر الملوك.

(٢) طه باقر - مقدمة فى الحضارة القديمة - دار البيان بغداد ١٩٧٣ ص٤٧١-٥٤٤

D.D. Luckenbill: Ancient Records of Assyria and Babylonia 2 Vol. Chicago, 1926-1927.

(٣) محمد فنطر - قرطاج مدينة عليسة الماجدة (بالفرنسية) الدار التونسية للنشر ١٩٧٠.

(٤) Stephane Gsell: Histoire ancienne de l'Afrique du Nord Vol.1. paris 1913 P.P 380-401

(٥) ارسطو - كتابة السياسة - الجزء الثانى الفقرة الثامنة

(٦) G. et C. Ch. Picard La vie quotidienne a Carthage au tempes d'Hanibal. 2 eme edition Paris 1982.

يتناول هذا الكتاب مختلف أوجه الحياة اليومية فى قرطاج أيام حنبعل ومعتقداته وتعامله مع الشعوب والحضارات المعاصرة.

(٧) محمد فنطر - من علماء الزراعة فى قرطاج - مجلة تاريخ العرب والعالم العدد الخاص عن تونس ٤١ آذار ١٩٨٢ ص١٤-٢٢

(٨) قلو ملة هو العالم اللاتينى Columella وورو هو العالم اللاتينى Varro

(٩) Jacques Heurgon:

L'agronome Carthaginois magon et ses traducteurs en latin et en grec

Academie des Inscriptions et Belles Lettres

Comptes rendus des seances 1976, pp. 441-456.

(١٠) جمعت هذه النقائش فى ديوان بمشه الاكاديمية الفرنسية للنقائش والخطوط الجميلة والجزء الاول مخصص للنقائش الفنيقية والنقائش البونية التى تم العثور عليها فى مختلف أقطار البحر الابيض المتوسط وخاصة فى قرطاج مع العلم أن آخر نقيشة قرطاجية يتضمنها الديوان تحمل رقم ٦٠٦٨ ومازال عدد كبير من هذه النقائش لم تأخذ مكانها وتترقب النشر ويحمل هذا الديوان اسم (Corpus Inscriptionum Semiticarum)

(١١) عن الحروب البونية طالع كتابا بالفرنسية لـ B. Combet Farnoux Les guerres puniques. Paris 1967.

(١٢) نشر الكثير حول موانى قرطاج انطلاقا من النصوص القديمة اليونانية واللاتينية وانطلاقا من الحفريات الاثرية واللقى وتناولت بعثة بريطانية قضية الموانى القرطاجية ضمن المشروع الدولى الخاص بانقاض قرطاج تحت اشراف اليونسكو وبمراقبة وتنسيق المعهد القومى للاثار والفنون بتونس وفيما يتعلق بآخر ماجدّ فى الموضوع طالع ما كتبه الاثارى البريطانى Henry Hurst, Excavations at Carthage 1974, First int rim report. The Antiquaries Journal 1975 Vol. Lv, part 1 pp. 11-40

(١٣) عن رحلة حنون كتب الكثير وبعديد اللغات ومازال الحوار يدور بين المختصين من ناقد مشكك ومن منوه واثق بتاريخية الاحداث الواردة فى الملخص اليونانى الذى يتضمنه مخطوط يعرف باسم مخطوط هيدلبارغ المدينة الالمانية المعروفة ومن آخر ما كتب حول هذه الرحلة الشهيرة طالع دراسة لـ Jehan Desanges, Le Point sur le Periple d'Hannon Controverses et publications recentes, Nantes 1981

إنها دراسة حاولت حوصلة ما كتب فى خصوص رحلة حنون مع الاشارة الى آخر ما نشر فى هذا الصدد.

وعن قرطاج ومكانتها فى البحار انظر الهادى سليم - عظمة الدولة البونية وغروب مجدها - رسالة اليونسكو عدد ١١٥ سنة ١٩٧٠ ص٩-١٠ وص١٣-١٦.

(١٤) اما عن رحلة خيملك فطالع كتاب جلبار وكولات شارل بيكار وعنوانه الحياة اليومية فى قرطاج أيام حنبعل الطبعة الثانية باريس ١٩٨٢ بالفرنسية ص٢٤٩-٢٥٧

(١٥) عن العمارة السكنية انظر محمد فنطر - كركوان مدينة بونية بالوطن القبلى - العمارة السكنية الجزء الثانى نشر المعهد القومى للاثار والفنون - تونس ١٩٨٥ ويحتوى هذا السفر على ٧٤١ صفحة كلها مخصصة للعمارة السكنية القرطاجية البونية مع جمع كل ما نعرفه فى البيت البونى فى مختلف الاقطار والتى كان لقرطاج وللحضارة البونية فيها حضور.

(١٦) عن العمارة الجنائزية انظر محمد فنطر - حول المدافن فى المغرب الكبير قبل الغزو الرومانى - مجلة افريقية المجلد التاسع ١٩٨٥ ص٧-٣٦.

(١٧) عن سوسة انظر محمد فنطر - ماذا عن سوسة قبل الغزو الرومانى - مجلة الدراسات الفنيقية البونية والاثار اللوبية عدد ١ - ١٩٨٥ ص١-٣٤ توجد مدينة سوسة وكان اسمها الفنيقى «هادريم» على الساحل الشرقى للبلاد التونسية على بعد ١٤٠ كلم جنوب العاصمة تونس.

(١٨) جيلبير - شارل بيكار - ثمانية قرون من حضارة قرطاجة - رسالة اليونسكو عدد ١١٥ ص١٧-٢٨ وص٤٢-٤٤ ثم لابد الرجوع الى كتاب G. et C. Charles Picard, La vie quotidienne a Carthage au temps d'Hanibal 2eme edition paris 1982

(١٩) محمد فنطر - الحياة الثقافية والفنية بقرطاج - مجلة الفكر السنة ٩ عدد ٣ - ديسمبر ١٩٦٣ ص٢١-٢٨.

(٢٠) محمد فنطر - مدينة قليبية عبر التاريخ - مجلة الفكر السنة ١٣ عدد ٥ فيفرى ١٩٧٥ ص١٢-٢٠

(٢١) محمد فنطر - كركوان مدينة بونية بالوطن القبلى مجلة الفكر السنة ٩ عدد٨ - ماى ١٩٦٤ ص٣٦-٤٣

هذا الى جانب الاجزاء الثلاثة التى خصصت لدراسة هذه المدينة تاريخا وحضارة وهى من نشر المعهد القومى للاثار والفنون من سنة ١٩٨٤-١٩٨٦.

(٢٢) منير بوشناقى - حفريات الغربية بتبازة ١٩٦٨-١٩٧٢ - الجزائر ١٩٧٥ بالفرنسية محمد على عيسى - مدينة صبراطة منذ الاستيطان الفنيقى حتى الوقت الحاضر - طرابلس ١٩٧٨.

(٢٣) انظر آثار مدينة قورينة - دليل موجز يتناول تاريخ المدينة ووصف اطلالها نشر باشراف ادارة البحوث الاثرية طرابلس ١٩٧١.

(٢٤) محمد فنطر - حنبعل - مجلة الفكر السنة ١٦ عدد٢ - نوفمبر ١٩٧٠ ص٦٩-٨٠.

(٢٥) محمد فنطر - فى ثبات الحضارة البونية - مجلة الفكر السنة ١١ عدد ٢ - ديسمبر ١٩٦٥ ص٢٧-٧٥



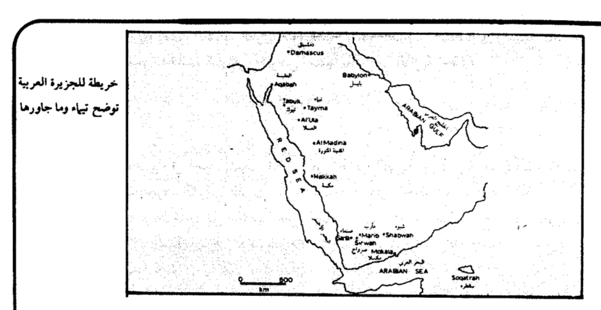
الاستكشافات الأثرية الحديثة في تيماء

دكتور
حامد ابراهيم أبو درك
المدير العام لمركز الأبحاث والتنقيبات الأثرية بالادارة العامة للآثار والمتاحف
وزارة المعارف

في الشمال الغربي من المملكة العربية السعودية تقع مدينة تيماء ذات التاريخ العريق الموغل في القدم.. وتشهد آثارها الباقية من سور ضخم وتحصينات حربية قوية وعمارة قائمة على حضارة راسية شهدتها تيماء.

لقد لفتت تيماء أنظار الكثير من الرحالة والمستشرقين القدامى والمحدثين الذين توالت رحلاتهم وزياراتهم اليها للتعرف على آثارها ومكانتها التاريخية والتجارية قديما والعلاقات والتفاعلات والتأثيرات الحضارية المتبادلة بينها وبين بلاد ما بين النهرين.

ومنذ نهاية النصف الاول من القرن التاسع عشر الميلادي بدأت أولى هذه الزيارات بواسطة الأثري السويدي «والن» (G.WALLIN) حيث زارها مرتين الأولى في ١٨٤٥، والاخرى في عام ١٨٤٨، تلاه الايطالي «كارلو جرماني» (C.GUARMANI) في عام ١٨٦٤م ثم الرحالة الانجليزي «تشالز دوتي» (CH.DOUGHTY) في سنة ١٨٧٧م، اعقبها بزيارة اخرى في نفس العام وهو اول من أشار الى وجود مسله تيماء وعلى أثر زيارته قام مستشرق آخر اسمه «تشارلز هوبر» (CH.HUBER) بزيارة تيماء عام ١٨٧٩م بقصد التعرف على المسلة التي ذكرها «دوتي» الأمر الذي انتهى بالاثنين معا الى نقلها من تيماء الى الخارج.. وهي الآن محفوظة في متحف اللوفر بباريس.



خريطة للجزيرة العربية توضح تيماء وما جاورها

كما زار تيماء المستشرق الالمانى **«أوتنج»** (EUTING) عام ١٨٨٤ حيث رافقه فى زيارته هذه **«تشارلز هوبر»** الذى قتل بالقرب من مكة المكرمة . . ومن ابرز ما زودنا به اوتنج مخطط قديم لقصر الرضم بواجهاته الأربع ومخطط آخر يوضح اهم الآثار فى تيماء بما فى ذلك السور المحيط بالمدينة ، علما بأن العديد من المواقع التى ظهرت فى مخطط اوتنج ليس لها وجود الآن بسبب التوسع العمرانى للمدينة .

كما زار تيماء الفرنسيان **«جوسين وسافيناك»** (JASSENT – SAVIGNAC) ١٩٠٧-١٩٠٩ ، وسجلا الكثير من النقوش والكتابات القديمة حيث اكتشفا لأول مرة موقعاً جنوب غرب تيماء يدعى الخبو الشرقى والخبو الغربى كما كان لهما الفضل فى تعريفنا لأول مرة بالمقابر الركامية المنتشرة جنوب تيماء .

وزار تيماء المستشرق **«موزيل»** (A.MUSIL) فى عام ١٩١٠م ثم تلاه الانجليزى **«فلبى»** (CH.FHILBY) وكتب عنها كتابا سماه أرض مدين أو أرض الأنبياء . . ومن أبرز ما ذكر فيه اكتشافه لمعبد قديم على قمة جبل غنيم بالاضافة الى عدد هائل من النقوش والكتابات القديمة وزارها **«وينيت وريد»** (WINNETT – REED) حيث قاما بتصنيف لنوع جديد من الكتابة أسمياه **«بالكتابة التيمائية»** وحددا بعض الكتابات التى عثر عليها من هذا النوع بالقرن السادس ق . م .

كما قاما بالتأكد من المعبد الذى اكتشفه **«فلبى»** على قمة جبل غنيم وأعادا نقل بعض الكتابات التى دونها فى السابق مما ساعد على تصحيح فك رموزها وقراءتها بالاضافة الى اكتشافهما عددا من مواقع الكتابات القديمة والنقوش الصخرية الهامة شرق سور تيماء بحوالى ٣كم بمكان يسمى غيران الحمام .

وزودنا كل من **«ونيت وريد»** بدراسة علمية مختصرة ومنظمة عن أهم الآثار الباقية فى تيماء مثل قصر الرضم (زلوم) وسور تيماء وبرج بن جوهر الا أن الباحثين لم يقوما بأى اعمال حفريات أو مجسات علمية تمكنهما من التحقق من الكثير من المعلومات عن تيماء وتبعا لذلك لم يقوما بأى دراسة تصنيفية للملتقطات السطحية التى جمعاها من فخار تيماء تقوم على تنقيبات علمية .

كما زار تيماء بعض الكتاب العرب مثل الشيخ / عبد القدوس الانصارى والشيخ حمد الجاسر وكانت دراستاهما تتعلق بالجانب التاريخى أكثر من تعلقها بالنواحى الأثرية الحقلية.

١ - جغرافية تيماء

تقع واحة تيماء فى الجزء الشمالى الغربى من الجزيرة العربية بين المدينة المنورة وتبوك وسط واحة تعرف باسمها قرب الطرف الشمالى الغربى من بادية نجد أو على الحافة الغربية للنفود الكبير.

وهى تقع وسط منخفض مستطيل على ارتفاع ٣٠٠-٤٠٠ قدم فوق سطح البحر بحوالى ٥-٦ كيلومتر من الغرب الى الشرق وحوالى ٩ كيلومتر من الشمال الى الجنوب.. ويحد المنخفض ذاته من الشمال سلسلة تلال رملية تعرف بتلال «الربعة» تبعد مسافة حوالى ٣ كيلو وتوجد فى الجنوب من هذه التلال مباشرة منطقة أراض صالحة شاسعة تعرف بالسبخة تعمل كحوض لتجميع مياه السيول التى ترد من الوديان والتلال المجاورة.

وتوجد شمال شرق تيماء تكوينات من الحجر الجيرى الضارب الى الحمرة تفصل هذه المنطقة كلها عن السبخة كما توجد ايضا غرب تيماء منطقة منبسطة من الحجر الرملى المتناثر غير المستوى تمتد بين السبخة فى الشمال وطريق تبوك فى الجنوب بالاضافة الى منطقة السهول المنبسطة فى الشرق بتكويناتها الحجرية المسماة غيران الحمام، كما يحد جبل غنيم تيماء من الجنوب الشرقى.

٢ - تيماء فى الوثائق القديمة

ورد أول ذكر لتيماء فى الفترة الآشورية فى نقش مسمارى يرجع الى زمن الملك الآشورى «تيجلات بلاسز الثالث» (٧٤٥-٧٢٧ ق.م) ثم فى زمن الملك «سرجون الثانى» (٧٢٢-٧٠٥ ق.م) وتلاه نقش آخر من عهد الملك آشوربانيال» (٦٦٩-٦٢٧ ق.م) وفى فترة الحكم البابلى ورد اسم تيماء فى عهد الملك البابلى «نبونيد» (٥٥٥-٥٣٩ ق.م) آخر ملوك الامبراطورية البابلية الأخيرة فى وثائق كثيرة منها حوليات نبونيد - كورش، ومن الكتابة المشهورة «محاسبة نبونيد» وكذلك فى لوحين من الطين المحروق وأخيرا ضمن مسلتى حران.

● وورد اسم تيماء فى الكتابات الآرامية فى مسلة تيماء المكتشفة عام ١٨٧٩ ميلادية والتى تدور كتاباتها حول ادخال أحد الكهنة لمعبود جديد الى تيماء وهناك نقش آرامى آخر يعود الى النصف الثانى من القرن الأول ق.م وفحواه اقامة الملك نبونيد فى تيماء التى استمرت سبع سنوات، أما النقش الثالث فيذكر قبيلة «بنو تيمو» و«تيماء» وعثر عليه فى مدينة الحضر بالعراق.

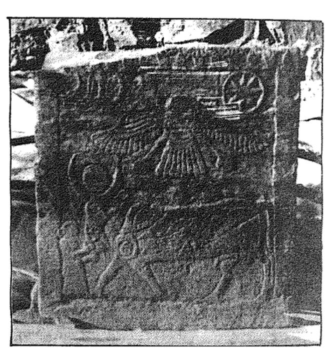
● وورد اسم ايماء أيضا فى الكتابات النبطية على لوح حجرى مستطيل من مدائن صالح (الحجر) بصدد العلاقة التى تربط بين عائلتين إحداهما كانت تسكن الحجر والأخرى تقيم فى تيماء.. ومع ذلك لا يوجد ما يبرهن على أن تيماء كانت تشكل جزءا من الدولة النبطية (القرن ٢ق.م -٢م) رغم حقيقة أن الانباط



امتد حكمهم بالتأكيد نحو الجنوب حتى مدائن صالح .

كما لا يعرف ما اذا كانت تيماء قد ضمت الى الامبراطورية الرومانية أو ما يثبت سيطرة احدى القوتين العظميين فى ذلك الحين الرومان والفرس على تيماء .

● وورد ذكر تيماء فى التوراة وفى الشعر العربى وفى المصادر الغربية القديمة مثل المقدسى والبكرى والمسعودى والحموى والبصرى وابن الاثير والاصطخرى وابن رسته والادريسى والهمذانى والبغدادى وابن بليهد النجدى .



حجر تيماء المكعب عثر عليه بقصر الحمراء عام ١٣٢٩هـ



كتابه ارامية من تيماء

جهود الادارة العامة للآثار والمتاحف .

تضطلع الادارة العامة للآثار والمتاحف بدور كبير فى المسح والتنقيب عن الآثار فى جميع مناطق المملكة ولاسيما فى المواقع الأثرية القريبة من أماكن المتاحف الستة الاقليمية . . حتى تكون القطع والمجموعات الأثرية ناتج هذه الحفريات من أهم معروضات هذه المتاحف كل على حدة فى كل منطقة .

بدأت الادارة فى عام ١٣٩٦هـ بتصوير جوىّ لتيماء واكبه مسح طوبوغرافى للمدينة وما حولها ، تلا ذلك مسح أثرى عام سنة ١٣٩٩هـ كان من اهم اهدافه جمع وتصنيف الآثار الظاهرة فى تيماء داخل السور وخارجه تمهيدا لدراسة تلك الآثار بالقيام بأعمال حفريات منظمة للكشف عن المطمور منها تحت الأنقاض فكان أن جرت تنقيبات أثرية فى تيماء لمدة ثلاث سنوات متتالية ويمكن تقسيم تلك الاعمال الى قسمين :

أولا: تصنيف المواقع الأثرية.

نتيجة للمسح العام لآثار تيماء الذى أجرته الادارة عام ١٣٩٩هـ تم الحصول على المعلومات التالية عن التاريخ التقريبى للمواقع الأثرية الذى على ضوئه وضعت أولويات أعمال الابحاث الحقلية لها فيما بعد.

مواقع خارج السور الكبير:

١ ـ الآثار القديمة:

أ ـ منطقة غرب السور (عصور حجرية حديثة ٨٠٠٠ ق.م)

ب ـ منطقة جنوب السور (مقابر ركامية عصور برنزية ١٥٠٠ـ١٢٠٠ ق.م).

٢ ـ آثار العصر الحديدى (القرن ٧ـ٥ ق.م):

أ ـ منطقة شرق السور (نقوش صخرية وكتابات قديمة).

ب ـ منطقة شمال السور (مجموعة الأبراج منظار بن عطية وطويل سعيد وما حولهما).

ج ـ منطقة جنوب شرق السور (جبل غنيم والنقوش والكتابات الموجودة فيه).

د ـ منطقة جنوب غرب السور (الخبو الشرقى والخبو الغربى ـ كتابات ونقوش).

المواقع داخل السور:

١ ـ آثار العصر الحديدى (٦ـ٥ ق.م):

أ ـ سور تيماء ويبلغ طوله ١٢ كم تقريبا.

ب ـ قصر الحمراء فى نهاية الجزء الشمالى الغربى من السور.

ج ـ قصر الرضم بالقرب من بئر هداج.

د ـ بئر هداج وسط المدينة القديمة.

٢ ـ آثار الفترة النبطية:

منطقة المقابر النبطية شرق خزان المياه الكبير (القرن ٢ ق.م ـ ٢م)

٣ ـ آثار فترة قبيل الاسلام:

أ ـ قصر السموءل الكائن غرب حى قريان فى منتصف الجزء الجنوبى من السور قريبا من المدينة القديمة.

ب ـ برج بدر بن جوهر ـ جنوب قصر السموءل.

٤ ـ آثار الفترة الاسلامية:

مقابر بستان الصعيدى ـ شمال منطقة قريان.

ثانيا: الأبحاث الحقلية في تيماء:

قام المختصون فى الادارة العامة للآثار والمتاحف على أثر تصنيف هذه المواقع بوضع خطة مستقبلية بأولويات المواقع للبدء بالتنقيب للوصول الى حقائق ثابتة ودقيقة عن التاريخ الأثرى لهذه المدينة الهامة.

كانت أولى المواقع التى حظيت باهتمام المسؤولين للبدء بالتنقيب ونتيجة للملتقطات السطحية التى جمعت منه والمجسات الاختبارية التى أجريت فيه هو موقع قصر الحمراء.

وتسمية قصر الحمراء تسمية محلية فالعرب دأبوا على تسمية كل بناء من الحجر بقصد السكنى قصرا وأما الحمراء فهو نسبة الى لون الطبيعة الجبلية حيث يغلب على صخور المنطقة اللون الأحمر، ويقع القصر عند الطرف الشمالى الغربى من سلسلة المرتفعات الطبيعية التى تمثل امتدادا متصلا بجزء من أحد أسوار تيماء الفرعية.

بدأت خطة العمل ببحث ميدانى أجراه الكاتب عام ١٤٠٠هـ استكمالا للمسح العام الذى قامت به الادارة عام ١٣٩٩هـ لهذا الموقع مما مكن الكاتب بعد تضمينه نتائج اعماله فى تلك السنة من الحصول على الدكتوراه عن بعض آثار تيماء وأبرزها قصر الحمراء.. ثم واصلت الادارة اعمالها فى البحث والاستقصاء ورأت أن تركز على هذا الموقع للنتائج الأولية الطيبة التى بعثت على التفاؤل وشجعت على الاستمرار.

فخلال عام ١٣٩٩/١٤٠٠هـ كرست الادارة العامة للآثار والمتاحف جهودها بتخصيص فريق أثرى متكامل للعمل فى موقع قصر الحمراء واسفر العمل على الكشف عن ثلاثة أقسام معمارية:

الاول: يقع الى الشمال من قصر الحمراء ويستخدم كمركز للنشاط الدينى فى القصر.

الثانى: الى الجنوب من الأول ويتكون من خمس غرف مربعة الشكل غير منتظمة.

الثالث: فى أقصى اتجاه الجنوب ويتكون من اساسات الجدران التى تمثل سلسلة من الغرف الطويلة المتعامدة عل جدار يتجه من الشمال الى الجنوب.

واسفر العمل فى القسم الاول المخصص كمركز للنشاط الدينى عن اكتشاف معبد يعود للقرن (٦ ـ ٥ ق.م) فترة حكم نبونيد وتم العثور على عدة معثورات منها مسلة مستطيلة من الحجر الرملى مكتوبة بالخط الآرامى وحجر مكعب منقوش على جانبيه يمثل طرز تأثيرات عديدة من جنوب الجزيرة وما بين النهرين وبلاد الشام.

لقد كانت الاعمال الميدانية فى عام ١٤٠٠هـ محاولة لتتبع نهاية المبنى من الجهة الشمالية وعما اذا كانت النتائج التى تم التوصل اليها فى عام ١٣٩٩هـ من حيث نهاية الانشاءات من الناحية الشمالية للموقع دقيقة أم لا فكان أن عثر على انشاءات جديدة تعتبر اضافية لمرحلة تاريخية لاحقة . . يدعم ذلك اختلاف اسلوب البناء من حيث سمك الجدران واختلاف نوع المونة ومواد البناء .

موسم الحفريات الثانى ١٤٠٤هـ :

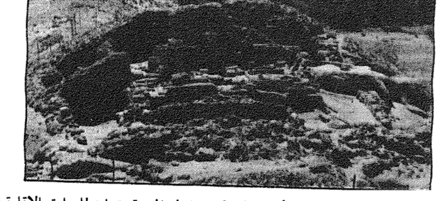
كانت حفريات قصر الحمراء ١٤٠٤هـ أول تنقيبات موسعة وكبيرة فى القصر حيث تم الكشف عن الجانب الشمالى الشرقى وبقية الجانب الشمالى الغربى وظهرت غرف جديدة وأجنحة كبيرة تمتد الى مسافة أكثر من ٣٥ مترا جنوبا .

وخلال الموسمين الثالث والرابع تم استكمال الحفريات بقصر الحمراء حيث انكشفت جميع المعالم المعمارية فى هذا الموقع الهام على الشكل التالى :

١ ـ مكانان للعبادة أسس الأول فى الفترة ما بين القرنين السادس والخامس ق . م وأقيم الثانى ربما فى فترة لاحقه قريبة من ظهور الاسلام . وهناك افتراض بأن للمعبدين صلة وثيقة ببعضهما مما يجعل احتمال تأسيسهما فى فترة واحدة أو فترات متقاربة على الاقل أمرا محتملا .

٢ ـ أ ـ ظهرت مجموعة من المعالم المعمارية مكونة من غرف للسكنى وما يلحقها عادة من أماكن لإعداد الطعام وخزن المؤن وغير ذلك .

ب ـ كما لوحظ على بعض المجمعات المعمارية احتمال تشييدها فى دورين لوجود سلالم من الحجر وبأشكال متعددة فى أكثر من مكان فى الموقع ، بالاضافة الى وجود بعض الطرز البنائية المعمارية النادرة ذات التأثيرات الخارجية .



موقع قصر الحمراء
بتيماء (صورة جوية)

وخلاصة القول ان موقع قصر الحمراء شيد أساسا فى مكان ناء فى المدينة (تيماء) للعبادة والاقامة المجاورة وتمت استخدامات هذا المبنى على مر الزمن لفترات متقطعة أحيانا من القرن ٦ـ٥ ق.م وحتى قبيل الاسلام يؤيد ذلك تراصف الطبقات والمعثورات التى واكبتها والتى شملت المعادن والنقوش والكتابات الآرامية والنبطية وبعض المسكوكات .



الخاتمة :

إن ضخامة واهمية وتعدد الآثار فى تيماء يجعل عملية التنقيب فيها تطول لمدة غير محددة.

فالسور الكبير الذى يحيط بالمدينة يبلغ طوله ١٢كم تقريبا وفقا لأحدث قياس ميدانى لهذا السور، نظرا لتضارب التقارير عن هذه الحقيقة. . ويبلغ عرضه فى معظم أجزائه مالا يقل عن ٥ر١م كما لا يزال فى كثير من نواحيه مرتفعا لحوالى ١٠ أمتار تقريبا، وحتى تاريخه لم يتم الكشف الا عن بضع بوابات تعد على الأصابع لا تتناسب مع ضخامة واتساع المساحة التى يحيط بها السور كما لم يعثر على طرق فى الداخل الى غير ذلك من علامات الاستفهام التى تنتظر الاجابة.

كما أن قصر السموءل (الأبلق) والمبانى الأثرية المشابهة له والعديدة التى تنتشر على رقعة واسعة من الأرض تحتاج الى مدة طويلة من الزمن للكشف عما تخفيه تحت أنقاضها بالاضافة الى المئات من المقابر الركامية الواقعة فى جنوب المدينة والتى لم ينقب الا عن عدد قليل جدا منها وغير ذلك من قائمة المواقع المصنفة أعلاه.

والامل بعد الله معقود فى عزيمة الشباب الذين اخذوا على عاتقهم العمل على سبر غور هذه المدينة للكشف عن أسرارها المطمورة تحت التراب. والحقيقة ان الفضل بعد الله فى تبنى مواصلة هذه الاعمال يعود لوزارة المعارف الجليلة فى المملكة العربية السعودية ممثلة بالادارة العامة للآثار والمتاحف التى قامت وستقوم بهذه الأعمال الحقلية الهامة فى المستقبل ان شاء الله.

ولا شك أن حكومة خادم الحرمين الشريفين هى وراء هذا الدعم الهائل والسخى الذى لولاه لما كان بوسع المسؤولين فى الآثار مواصلة هذه الدراسات.

المصادر :

(١) الادريسى: نزهة المشتاق، نسخة باريس رقم ٢٢٢٣، مخطوطة سنة ٧٤٤ عن حمد الجاسر فى شمال غرب الجزيرة

(٢) ابن الاثير، عز الدين أبو الحسن على ابن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد: ١٩٦٧، الكامل فى التاريخ، دار بيروت ـ بيروت.

(٣) البغدادى، صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ١٩٥٤/١٣٧٣، مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع، تحقيق محمد البجاوى ـ ط١، دار احياء الكتب العربية بالقاهرة.

(٤) البكرى، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز ١٩٥٠/ ١٣٧١ معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ـ تحقيق وشرح مصطفى السقا ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة.

(٥) الحموى، ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله ١٩٥٦، معجم البلدان دار صادق بيروت.

(٦) ابن رسته، أبو على احمد بن عمر ١٨٩١ الأعلاق النفيسة، ط١ مطبعة بريل ليدن

(٧) الاصطخرى، ابن اسحق ابراهيم ١٩٦١ المسالك والممالك، تحقيق د/ محمد جابر عبد العال ـ دار القلم، القاهرة.

(٨) الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد ١٩٧٢ تاريخ الرسل والملوك، القسم الاول، دار القاموس الحديث، بيروت.

(٩) المسعودى، ابو الحسن على بن الحسين ١٩٦٥، كتاب التنبيه والاشراف، تحقيق عبد الله بن اسماعيل الصاوى، مكتبة خياط بيروت.

(١٠) المقدسى، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد ١٩٠٦، أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ط٣ مطبعة بريل، ليدن.

(١١) النجدى، محمد بن عبد الله بن بليهد ١٩٥١، صحيح الاخبار عما فى بلاد العرب من الآثار، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة.

سدود اليمن

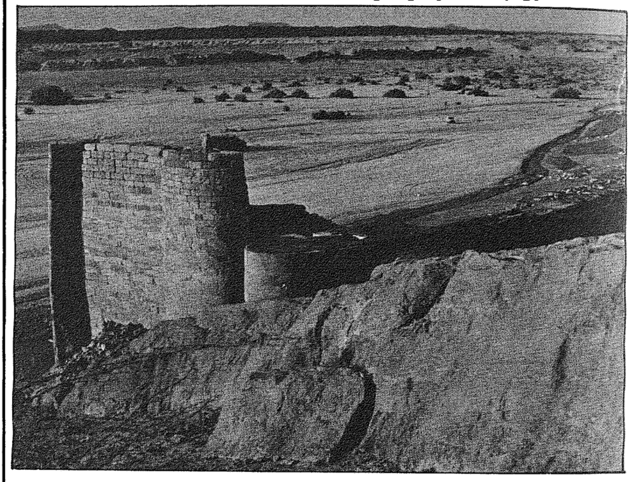
القاضي
اسماعيل بن علي الأكوع
الهيئة العامة للآثار ودور الكتب
صنعاء

تميزت حضارات اليمن القديمة - ولا شك - على ما عداها من الحضارات القديمة الاخرى بكونها استهدفت فى المقام الاول اسعاد سكان اليمن بتوفير أسباب الرخاء والاستقرار وهيَّأت لهم وسائل استثمار أراضيهم ومكنت لهم من استخراج خيرات بلادهم على أفضل الوجوه وأحسن الطرق بإقامة السدود عند مآزم الأودية وملتقى السيول حيث تحتجز المياه وتخزن لوقت الحاجة لتضمن للحقول الواسعة رياً منتظما على مدار السنة ولا سيما فى السنين المجدبة الماحلة فكانت اليمن بحق (**اليمن الخضراء**) كما وصفها الهمدانى فى «**صفة جزيرة العرب**» أو «**العربية السعيدة**» كما سماها اليونانيون.

وقد انتشرت السدود فى طول اليمن وعرضها وقلما يخلو مخلاف من مخاليفها الا وفيه سد أو سدان وربما أكثر من ذلك.. ففى مخلاف (يَحْصُب) وهو المنطقة الغربية الجنوبية من مدينة (يريم) - وقد يمتد الى مخلاف الشِعر - كثير من السدود فقد ذكر لسان اليمن ابو محمد الحسن بن احمد الهمدانى المتوفى قبل منتصف المئة الرابعة للهجرة فى كتابه الشهير «**الاكليل**» الجزء الثامن منه وهو الخاص بمحافد اليمن وسدودها وقصورها ومساندها قوله: «وهى على ما كنت أسمع ثلاثون سداً ثم خبرنى ابو العباس بن ابى غالب السفلى انها ثمانون سدا فروينا عدتها فى هذا الموضع فى شعر أسعد تُبّع عنه - إذ كان من اهل البلد - وهى قوله:

وريْدان قصرى فى ظَفَار ومنزلى
بها أسّ جدى دورنا والمنازلا

وفى البقعة الخضراء من أرض يَحْصُب   ثمانون سداً تقذفُ الماء سائلا



سد مأرب

ثم قال الهمداني: «فمن كبارها قَصْعَان ورَيدان وهو سد قِتَاب وشحْرار وطَمْحَان وعاد وسد لحج وهو سد عراس وسد سِجِن وسد ذى شَهل وسد ذى رُعينْ وسد ذى مغاضة عند قرية ذى ربيع وسد نَظَار بفتح النون فى الشِعِر وسد هِرَّان وسد الشَّعْباني وسد المِلَيْكِي وسد النَّواس وسد المِيهَاد».

●● واكثر سدود يَحْصُب ما يزال معروف الاسم والمكان وقد رأيت بعضها وسمعت عن أكثرها بالاستعانة بالاخ العالم الحاج احمد عبد الولى الأشول مراقب الآثار فى منطقة ظفار العاصمة الحميرية كما استعنت بكتاب «مجموع بلدان اليمن وقبائلها» للقاضى محمد بن احمد الحجرى المتوفى سنة ١٣٨٠. وقد بطل الانتفاع بهذه السدود بعد أن تصدعت حواجزها لعدم العناية بها والمحافظة عليها وإعادتها الى سالف عهدها فهجرت وتحولت أحواض أكثرها الى حقول للزراعة بعد أن امتلئت بالطمى.

وهذه أسماؤها مرتبة على حروف الهجاء:

١ ـ سد الأَصبحي : في قرية جرف ناجي من عُزلة العِرَافة ما يزال بعض أجزائه قائما.
٢ ـ سد المِنخَة : في قرية الأغراب من عُزلة الأعْماس معروف المكان.
٣ ـ سد الجاهلي: في قرية هِجَارة من جبل عِصَام معروف المكان.
٤ ـ سد الجبجي : في بيت يحوق من قرى الأعماس معروف المكان.
٥ ـ سد جُبَيْر : في بيت الأشول من عزلة العِرَافة ويعرف بماجل جُبَيْر.
٦ ـ سد الجذَني : في قرية الجذَني من عُزلة الأعماس معروف المكان.
٧ ـ سد جرَبَة بَخت : في قرية ذي جهْد من جبل حَجَّاج معروف المكان.
٨ ـ سد جَوَّاس : في قرية بيت الجِلْعي من عزلة العرافة معروف المكان.
٩ ـ سد جيش : في بيت الجحِيَنة من الأعماس معروف المكان.
١٠ ـ سد الحِرضي : في قرية الجِلْعِي من عزلة العرافة معروف المكان.
١١ ـ سد الحِطْوار : في بيت يحي عُبَاد من الأعماس معروف المكان.
١٢ ـ سد الحِلك: في قرية العائدي من جبل حجاج معروف ويسمى اليوم ماجِل الحِلك.
١٣ ـ سد الدَّاخِلة : في قرية هِجَارة معروف المكان.
١٤ ـ سد دخلة عُوَيْدَيْن: من عزلة بني مِنبِّه معروف المكان وقد امتلا ترابا وأخذ الاهالي يزرعونه.
١٥ ـ سد الدُّرابَّة : في بيت الشامي من الأعماس معروف المكان.
١٦ ـ سد الدولة : في عزلة إرياب ثم في قرية الدُّرَيْعا معروف المكان.
١٧ ـ سد ذي أرجح : في ظفار من عزلة العرافة معروف المكان.
١٨ ـ سد ذي أحواد : بقرية العرافة معروف المكان.
١٩ ـ سد ذي البِشَن : في خَرَابة العائدي ، معروف المكان.
٢٠ ـ سد ذي حُمَيْد : في قرية ذي هلباب، معروف المكان.
٢١ ـ سد ذي رُعَين : في قرية الأكسود من عزلة بني منبه، معروف المكان.
٢٢ ـ سد ذي سريح في يريم : معروف المكان.
٢٣ ـ سد ذي سُمَين : في قرية روثان من جبل حجاج، معروف المكان.
٢٤ ـ سد ذي شهل : في مَنْكَث معروف المكان.
٢٥ ـ سد ذي صِرْعِف: في منكث معروف المكان.
٢٦ ـ سد ذي العاهري : في قرية هَلْباب من العرافة معروف المكان.
٢٧ ـ سد ذي المغاضة : غير معروف.
٢٨ ـ سد ذي الموقع : في قرية خربة صالح على من جبل حجاج معروف المكان.
٢٩ ـ سد ذي يوسف : في منكث معروف.
٣٠ ـ سد الرَّباعة : في بيت صالح مِثَنَّى في الاعماس معروف المكان وقد امتلأ ترابا ثم زرع.
٣١ ـ سد الركوُض : في قرية ذي هلبْاب من العِرَافة، تحول الى أرض مزروعة.
٣٢ ـ سد ريْوان : في قرية قِتاب معروف المكان.
٣٣ ـ سد زَبَران : في قرية الضَّيْعة من عُزلِة المِرْخام، معروف المكان.
٣٤ ـ سد الزيادي : في قرية بيت صالح مِثَنَّى من الاعماس معروف المكان.



٣٥ ـ سد الزيْلة : فى قرية ذى حريم من العرافة معروف المكان .
٣٦ ـ سد ساهب : فى قرية المعبر من عزلة جبل عصام معروف المكان .
٣٧ ـ سد سِجن : فى قرية بيت الشامى من الأعماس معروف المكان .
٣٨ ـ سد سِراف : فى ذى هلباب من عزلة العرافة معروف المكان .
٣٩ ـ سد السعيد : فى الأغراب من عزلة الأعماس معروف المكان .
٤٠ ـ سد السعيد : فى الحقلين من جبل عصام ، معروف المكان .
٤١ ـ سد السعيد : فى رباط الشعرى من بنى منبه ، معروف المكان .
٤٢ ـ سد السوادة : فى خربة صالح على من جبل حجاج ، معروف المكان .
٤٣ ـ سد سَيَّان : فى قرية الأكسود من بنى منبه ، معروف المكان
٤٤ ـ سد شِحْرار : سمى باسم الوادى الذى يقع فيه ويسمى فى الوقت الحاضر بالمضْلَع والوادى بالشقاق ويقع غرب ظفار ذى ريدان ، معروف المكان .
٤٥ ـ سد شَحْران : شمال قاع الحقل على مقربة من دَخْلَة عُوَيْدَيْن من عزلة بنى مِنَبه .
٤٦ ـ سد شرقان : فى جهة خربة العائدى من جبل حجاج ، معروف المكان .
٤٧ ـ سد الشعبانى : فى قرية العرافة فى الشرق الجنوبى من ظفار على بعد نحو ميل منه ، معروف المكان .
٤٨ ـ سد الشيخ : فى قرية بيت الجلعى ، معروف المكان .
٤٩ ـ سد الشُعَيْبة : فى قرية بيت الجلعى ، معروف المكان .
٥٠ ـ سد الشُعَيْرية : فى قرية بيت الجلعى ، معروف المكان .
٥١ ـ سد صَبِر : فى قرية خَيْلة من جبل حجاج ، معروف المكان .
٥٢ ـ سد طمَحان : شمال مدينة يريم ، معروف المكان .
٥٣ ـ سد طَوْف : فى قرية بيت الجلعى ، معروف المكان .
٥٤ ـ سد القابل : فى قرية بيت الشامى ، معروف المكان .
٥٥ ـ سد عاد : غير معروف .
٥٦ ـ سد العقبة : بقرية بيت الجلعى ، معروف المكان .
٥٧ ـ سد عِمْران : فى بيت الأشول ، معروف المكان ، وهو المعروف بماجل عمران .
٥٨ ـ سد عهر : فى قرية خربة السيد فى جبل الحبالى ، معروف المكان .
٥٩ ـ سد العوار : فى ظفار ذى ريدان ، معروف المكان .
٦٠ ـ سد الغراب : فى خربة صالح على ، معروف المكان .

٦١ ـ سد **الغُرُب** : وهو سدان احدهما فوق الآخر ويقعان في قرية خيلة ، معروف المكان.
٦٢ ـ سد **فقح** : في بيت الجلعي ، معروف المكان
٦٣ ـ سد **قِتَاب** : ويقع ما بين قرية الحزّة وبين قرية قتاب من عزلة أرْيَاب في قاع الحقل.
٦٤ـ سد **قصعان** : يقع ما بين قرية ذي شُميَرْان من بني منبه وقرية ذي صارف من عزلة عراس وهو أكبر سدود حقل يَحْصُب وهو اليوم حقل مزروع تقدر مساحته بعشرة الاف لِبْنَة واللبنة اثنا عشر ذراعا طولاً ومثلها عرضا بالذراع الحديد، كما أفاد القاضي محمد الحجري في كتابه (معجم بلدان اليمن وقبائلها).
٦٥ ـ سد **اللاّوي** : في قرية بيت الجلعي ، معروف المكان.
٦٦ ـ سد **لحجْ** : وهو في الشمال الغربي من قرية ذي صارف من عزلة عراس ومايزال ينتفع به حتى اليوم.
٦٧ ـ سد **اللّخْوات** : في قرية جبل مسعود عزلة العرافة، معروف المكان.
٦٨ ـ سد **الماجل** : في العرافة ، معروف المكان.
٦٩ ـ سد **المخروق** : في قرية جرف ناجي، معروف المكان.
٧٠ ـ سد **مرح** : في ضواحي مدينة يريم، معروف المكان.
٧١ ـ سد **المشمري** : في قرية خدار من جبل عصام ، معروف المكان.
٧٢ ـ سد **مِعمَّر** : في قرية خدار ، معروف المكان.

٧٣ ـ سد **المليكي** : في ذي هلباب من العرافة ، معروف المكان
٧٤ ـ سد **المنذاة** : في قرية جبل مسعود ، معروف المكان.
٧٥ ـ سد **المنشرة** : في قرية المنشر من عزلة عبيدة ، معروف المكان.
٧٦ ـ سد **المهْيد** : ويقع ما بين مَنْكث وبين الشامي معروف المكان.
٧٧ ـ سد **موَاجل** : المواجل في خرابة صالح علي، معروف المكان.
٧٨ ـ سد **الموقد** : في منكث معروف المكان.
٧٩ ـ سد **الميدان** : في قرية مرسع من عزلة عبيدة، معروف المكان.
٨٠ ـ سد **الميقاف** : في بيت يحوق من الاعماس.
٨١ ـ سد **النواسي** : في قرية بيت يحى عُباد من الأعماس، معروف المكان.
٨٢ ـ سد **النقعة** : في قرية مخزوق من جبل حجاج ، معروف المكان.
٨٣ ـ سد النفق : في بيت الأشول، معروف المكان.
٨٤ ـ سد **النقوب** : في قرية العائدى، معروف المكان.
٨٥ ـ سد **هرارة** : في بيت الأشول معروف المكان وما يزال بعض جدرانه قائمة وقد زرع.
٨٦ ـ سد **هِران** : في الغرب من منكث، معروف المكان.
٨٧ ـ سد **يناع** : في بيت الشامي من الأعماس، معروف المكان.
٨٨ ـ سد **يَهْجِل**: في بيت الشامي من الأعماس معروف

وهناك سدود كثيرة في مناطق مختلفة فقد ذكر الهمداني في الجزء الثامن من «الاكليل» بعض تلك السدود فقال: «وسد الخانق بصعدة وهو الذي بناه نوال بن عتيك مولى سيف بن ذي يزن ومظهره بالخَنْفَرْين من رَحْبَان صَعْدة، وفيه يقول ابن أبان:

غرسنا الكروم على الخَنْفَرْين منشأ سهل وماء معينا

وقد أخربه ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد العلوي المعروف بابراهيم الجزار بعد هدم صعدة».



«وسد رَيْعان(١) وهو لابن ذى ماذن، ولما خرب (هذا) السد نقص ماء (وادى) ضهر (الى(٢)) النصف وسد سيّان(٣) وأسداد بلد عَنْس منها حَبِرة(٤). . ثم قال الهمدانى: «ولا اعرف مافى بلد ذى رعين من الأسداد وفى بلد همدان سد بيت كلاب فى ظاهر همدان وآخر فى دَعَّان(٥) ثم قال: «ومن الأسداد سد الكمُيَمْ»(٦) ومن السدود المشهورة التى لم يذكرها الهمدانى ولا غيره سد شاحِك ويقع بين قرية تَنِعْم وبين تَنْعمَة (جبل اللوز) من بنى سِحام من خَولان العالية (خولان الطِيَال) وسد طوظان فى همدان صنعاء، وسد بَرَّان فى نِهْم ويعرف بسد ابن عامر وما تزال مصارفه قائمة الى اليوم. . وسد المأخذ فى أعلى حقل البون من جهة الغرب من أعمال عمران، وسد الكَوْلَة (كولة درَيْب) من مخلاف عنس وسد واسطة جبل الدار من مخلاف جبل الدار وكلاهما من أعمال ذمار، وسد غَيْلان بالقرب من قرية القُمْعة وسد حَيْدان: فى قرية بِرْيان، وسد وَرَدَان فى قرية حصن الرونة، وهذه الثلاثة السدود فى ناحية بنى حشيش من أعمال صنعاء. . وسدُّ الدمَى فى قانية من ناحية السُّوَادِية وأعمال رداع وسد العادى فى وادى ذى حديد وسد الرُّغَيْنى فى الغرب من أضرعة من مخلاف زبيد وسد حالة: فى مخلاف سائلة معسج وكلاهما من أعمال ذمار، وسد سحبان: فى عزلة بنى سيف العالى من أعمال يريم (ناحية القفر حديثا) وأعمال إب وسد المَخْرَة بالقرب من مَوْزع من ناحية المخاء وأعمال تعز ويوجد سدان فى وادى الجوْية من أعمال مارب أحدهما سد قروان والاخر سد الغدير.

وتختلف هذه السدود فى أعمارها وأحجامها ومساحتها وطول مآتى مياهها من سد الى آخر.

سد مـــأرب

امـا سد مأرب الشهير فهو يأتى فى قمة سدود اليمن ضخامة واتقن ما أبدعته الحضارة السبئيَّة أثرا واعظمها شأنا واكثرها نفعا وأوسعها حجماً ومساحة وأطولها مآتيا وابعدها صيتا واخلدها ذكرا.

لَقَدْ بنى فى المئة الخامسة قبل الميلاد فى عهد مُكرِب سبأ سمهُوُ على ينوف بن ذمار على. . وفى عهد ابنه يثع بين بن سهو على ينوف مأزمى البلق الأكبر والبلق الأوسط فى مصب وادى أذنة الذى تمده أودية خولان التى تتجه شرقا الى وادى حبابض والأودية التى تأتى من الحدا ومآتيها حقل جهران وحقل ذمار وحقل الرباط ـ رباط عمران ـ وتأتى بمياه حقل شِرْعَة وظاهر زُبَيْد وبلاد عَنْس ـ عَنْس السلامة ـ ومخلاف مَنْقذَة والجرشَة واسْبيْل فهذه تنفذ الى الحدا ومنه تذهب مع مياه الحدا فتلقى بوادى حبابض ثم مياه بلاد رداع، العرش وقيْفة وردْمان وتصب كلها فى وادى سارع من آل غُنَيْم من قَيْفَة السفلى ومنها تنفذ الى وادى سبا من بلاد مراد وتلتقى مع وادى حبايض فى وادى أذنه الذى يعرف اليوم بوادى ذنة من دون الألف.

وقد وصف الهمدانى فى «صفة جزيرة العرب» مأتى سد مأرب بقوله: «ثم ميزاب اليمن الشرقى وهو اعظم أودية المشرق كمامور أعظم أودية المغرب وشعابه وفروعه كثيرة. . فأما من ناحية رداع والمواضع التى قد ذكرها الرداعى فى قصيدته بالقرب من رداع وقرن وأذنه به بشران والجبل المشرفة على سويق ومن جانب ذمار وبلد عنس جميعا وهو مخلاف واسع وسمع به بينون وهكر وجميع ما ذكرناه فى كتاب «الاكليل» من المحافد العَنْسيَّة وبلد كومان وبلد الحدا وجبل إسبيل ورُخَمَه وجبل بنى وابش من مراد وجبل كداد وبلد قائفة (قيفة) والذِّقْرار جبل بنى مالك من مُراد ومخلاف ذى جُرُة(٧) ويَكْلَى وجيرة وجَهران وهران بسواد ذمار ومساقط بلد خولان من جنوبية وماتيامن من القحف ورملك وموضح يكون هذه السيول وادى أذنة وتفضى الى موضع السد بين مازمى مارب ويميل من خلف السد منه سبيبة الى رحابة موضع النخل وترد سيول السويق وحبانين تلك البلاد الفلجين الى أسفل الجنَّة اليمنى لمن هبط مأرب فتسقى بعد الجنتين أرض السبأيين ثم الحرجة ثم حزمة البشريين ثم الروضة الى نهبة دغل فى طرف صيهد».

وقد تحولت الارض المنبسطة أمام سد مأرب من جهة الشرق الى جنة فيحاء وارفة الظلال كثيرة الخيرات حتى سميت جنتين كما وصفها الله بقوله تعالى فى سورة سبأ آية ١٥ ﴿لقد كان لسبأ فى مسكنهم اية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة وربّ غفور﴾ وقد استمرت أرض الجنتين مزدهرة بالخير والرخاء ووفرة العطاء مما تنبت تلك الأرض من الثمار والفواكه الى أن ضعفت الدولة السبئيَّة وانحسر عنها مجدها فتصدع بنيان السد وقد اختلفت آراء العلماء فى تحديد السبب الحقيقى لدماره ومهما كانت الأسباب فإن القول الفصل هو ما ذكره الله فى قوله تعالى: ﴿فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيلَ العِرَم وبدَّلناهم بجنتيهم جنتين ذواتَىْ أُكُل خَمط وأثل وشىء من سدْرٍ قليل. ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور. . وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السيرَ سيروا فيها ليالىَ وأياماً آمنين. . فقالوا ربَّنا باعدْ بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزَّقناهم كلَّ ممزَّق إن فى ذلك لآيات لكل صبَّار شكور﴾ (سبأ ١٦-١٩).

من رحلات ابن بطوطة
مدينة (زبيد)

«. . وهى مدينة عظيمة باليمن بينها وبين صنعاء اربعون فرسخاً وليس باليمن بعد صنعاء اكبر منها ولا اغنى من اهلها، واسعة البساتين كثيرة المياه والفواكه من الموز وغيره، ولاهلها لطافة الشمائل وحسن الاخلاق وجمال الصور، ولنسائها الحسن الفائق الفائت. . ولأهل هذه المدينة سبوت النخل المشهورة. . وذلك أنهم يخرجون فى ايام اليسر والرطب فى كل سبت إلى حدائق النخل، ولا يبقى بالمدينة احد من اهلها ولا من الغرباء.

ويخرج اهل الطرب وأهل الأسواق لبيع الفواكه والحلاوات وتخرج النساء ممتطيات الجمال فى المحامل، ولهن - مع ما ذكرناه من الجمال الفائت - الأخلاق الحسنة والمكارم وللغريب عندهن مزية ولا يمتنعن من تزوجه كما تفعله نساء بلادنا (يشير الى طنجة وبلاد المغرب) فإذا أراد السفر خرجت معه وودعته، وإن كان بينهما (ولد) فهى تكفله وتقوم بما يجب له إلى ان يرجع أبوه ولا تطالبه فى ايام الغيبة بنفقة ولا كسوة ولا سواها. . وإذا كان مقيما فهى تقنع منه بقليل النفقة والكسوة لكنهن لا يخرجن عن بلدهن أبدا ولو أعطيت إحداهن ما عسى ان تعطاه على ان تخرج من بلدها لم تفعل.



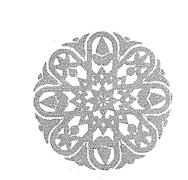
ولقد تعرض الهمدانى فى كتابه الجزء الثامن من «الاكليل» لذكر مأرب وسدها فقال: «وهى كثيرة العجائب والجنتان عن يمين السد ويساره وهما اليوم - أى فى عصر الهمدانى غامرتان والغامر: العافى وكذلك السامر فى كتب أصحاب الشروط فى شراء الأرضين بغامرها وانما عفتا لما اندحق السد فارتفعتا عن أيدى السيول».

وقال الحسن الهمدانى أيضا «وجدت فى أحدهما عريق أراك وفى أصله جذع نخلة أسود قد كبست باقيه السوافى فقال بعض من كان معى: لا أظنه الا من بقايا نخل الجنتين وما أحسب أنه بقى من العصر القديم»(٨).

واما مقاسم(٩) الماء من مذاخر السد فيما بين الضياع فقائمة كأن صانعها فرغ من عملها بالامس. ورأيت بناء أحد الصدفين باقياً وهو الذى يخرج منه الماء قائما بحاله على أوثق ما كان ولا يتغير الى أن يشاء الله عز وجل وانما وقع الكسر فى العرم وقد بقى من العرم شىء مما يصالى الجنة اليسرى(١٠) يكون عرض أسفله خمس عشرة ذراعا قال تبارك وتعالى: **﴿فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل﴾** قيل: الخمط: الأراك، والاثل الطُرفا، والسدر المعروف العرج وهو العِلْب وجمعه علوب والواحدة عِلْبَة».

ثم قال: وكان السيل يجمع من اماكن كثيرة ومواضع جمة باليمن وقد ذكرناها مع انكسار السد فى بعض كتبنا وفيه يقول الأعشى:

ففى ذاك للمؤتسى أسوةٌ
ومأربُ قفَّا عليه العَرم
رخامٌ بناه لهم حِمْيَرٌ
إذا جاءه ماؤهم لم يرم
فأروى الحروثَ وأعنابَهم
على ساعةٍ ماؤهم ينقسَم
فعاشوا بذلك فى غبطة
فجار بهم جارف منهزم
فطار القيول وقيالها
بيهماء فيها سراب يطم



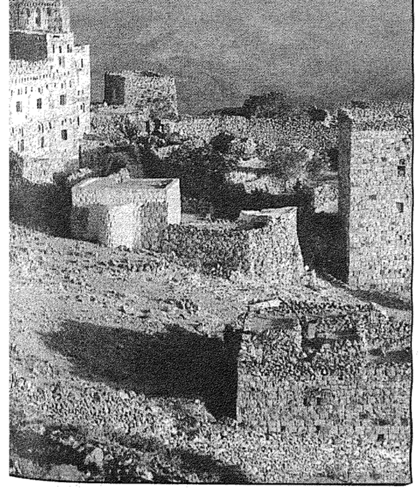
وكان العرم مسندا الى حائط (واثر) ما بين عُضَاد بالمذاخر بمعازب من الصخر عظام ملحمة الأساس بالقطر(١١).

هذا ما أمدنا به الهمدانى رحمه الله من فوائد كثيرة ثابتة تاريخيا عن سد مأرب.

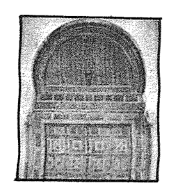
أما المراجع العربية الأخرى فقد شابها كثير من الأساطير الخرافية ولكنها على كل حال لا تخلو من طرافة

شيقة بعد أن صارت جزءاً من تاريخ سد مأرب فاثبتناها كما وردت . . فقد روى ياقوت الحموى فى كتابه «معجم البلدان» فى مأرب ما لفظه: «حدثنى شيخ سديد فقيه محصل من اهل صنعاء من ناحية شبام كوكبان وكان مستبينا متثبتا فيما يحكى قال: شاهدت مأرب وهى بين حضرموت وصنعاء وبينها وبين صنعاء أربعة أيام وهى قرية ليس بها عامر الا ثلاث قرى يقال لها الدروب الى قبيلة من اليمن: فالاول من ناحية صنعاء درب القشيب ثم درب كهلان ثم درب الحرمة وكل واحد من هذه الدروب(١٢) كاسمه درب طويل لاعرض له طوله نحو الميل كل دار الى جنب الأخرى طولا وبين كل درب والاخر نحو فرسخين أو ثلاثة وهم يزرعون على ماء جار يجيء من ناحية السد فيسقون أرضهم سقية واحدة فيزرعون عليه ثلاث مرات فى كل عام ـ قال: ويكون بين بذر الشعير وحصاده فى ذلك الموضع نحو شهرين وسألته عن سد مأرب فقال: هو بين ثلاثة جبال يصب ماء السيل الى موضع واحد وليس لذلك الماء مخرج الامن جهة واحدة فكان الاوائل قد سدوا ذلك الموضع بالحجارة الصلبة والرصاص فيجتمع فيه ماء عيون هناك مع ما يفيض من مياه السيول فيصير خلف السد كالبحر فكانوا إذا أرادوا سقى زروعهم فتحوا من ذلك السد بقدر حاجتهم بأبواب محكمة وحركات مهندسة [illegible] إذا أرادوا وقال عبد الله بن قيس الرقيات:

يا ديار الحبائب
بين صنعاء ومارب
جادك السعد غدوة
والثريا بصائب
من هزيم كأنما
يرتمى بالقواضب



قصور مهجورة فى شهاره



وأما خبر خراب سد مأرب وقصة سيل العرم فإنه كان فى ملك حبشان فأخرب الأمكنة المعموة فى أرض اليمن وكان أكثر ما أخرب بلاد كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب وعامة بلاد حمير بن سبأ وكان ولد حمير وولد كهلان هم سادة اليمن فى ذلك الزمان وكان عمرو بن عامر كبيرهم وسيدهم وهو جد الانصار فمات عمرو بن عامر قبل سيل العرم وصارت الرئاسة الى اخيه عمران بن عامر الكاهن وكان عاقرا لا يولد له ولد وكان جوادا عاقلا وكان له ولولد اخيه من الحدائق والجنان مالم يكن لاحد من ولد قحطان وكان فيهم امرأة كاهنة تسمى طُرَيْفة فاقبلت يوما حتى وقفت على عمران بن عامر وهو فى نادى قومه.

فقالت: والظلمةِ والضياء والأرضِ والسماء ليقبلن اليكم الماء كالبحر إذا طما فيدع ارضكم خلاء تسفى عليها الصبا فقال لها عمران: ومتى يكون ذلك ياطريفة؟ فقالت: بعد ست عدد يقطع فيها الوالد الولد فيأتيكم السيل بفيض هيل وخطب جليل وأمر ثقيل فيخرب الديار ويعطل العشار ويطيب العرار. قال لها: لقد فجعتنا بأموالنا يا طريفة فبينى مقالتك.

قالت: أتاكم أمر عظيم بَسيل لطيم وخطب جسيم فاحرسوا السد لئلا يمتد وان كان لابد من الأمر المعد انطلقوا الى رأس الوادى فسترون الجرذ العادى يجر كل صخرة صيْخاد بأنياب حداد وأظفار شداد فانطلق عمران فى نفر من قومه حتى أشرفوا على السد فإذاهم بجرذان حمر يحفرن السد الذى يليها بانيابها فتقتلع الحجر الذى لا يستقله مئة رجل ثم تدفعه بمخاليب رجليها حتى يسد به الوادى مما يلى البحر ويفتح مما يلى السد فلما نظروا الى ذلك علموا أنها قد صدقت فانصرف عمران ومن كان معه من اهله فلما استقر فى قصره جمع وجوه قومه ورؤساءهم وأشرافهم وحدثهم بما رأى وقالوا: اكتموا هذا الامر عن اخوتكم من ولد حمير لعلنا نبيع اموالنا وحدائقنا منهم ثم نرحل عن هذه الأرض وسأحتال فى ذلك بحيلة ثم قال لابن اخيه حارثة: إذا اجتمع الناس إلىَّ فإنى سآمرك بأمر فاظهر فيه العصيان فإذا ضربت رأسك بالعصا فقم الى فالطمنى:

فقال له: كيف يلطم الرجل عمه؟ فقال: افعل يا بنى ما آمرك فإن فى ذلك صلاحك وصلاح قومك فلما كان من الغد اجتمع الى عمران اشراف قومه وعظماء حمير ووجوه رعيته مسلمين عليه فأمر حارثة بأمر فعصاه فضربه بمخصرة كانت فى يده فوثب اليه فلطمه فأظهر عمران الأنفة والحمية وأمر بقتل ابن اخيه حتى شفع فيه، فلما أمسك عن قتله حلف أنه لا يقيم فى أرض امتهن بها ولابد من أن يرتحل عنها فقال عظماء قومه: والله لا نقيم بعدك يوما واحدا ثم عرضوا ضياعهم على البيع فاشتراها منهم بنو حمير بأغلى الاثمان وارتحلوا عن اليمن فجاء بعد رحيلهم بمُدَيْدة السيلُ وكان ذلك الجُرُذ قد خرب السد فلم يجد مانعا فغرق البلاد حتى لم يبق من جميع الأرضين والكروم الا ما كان فى رؤوس الجبال والامكنة البعيدة مثل ذمار وحضرموت وعدن ودهيت الضياع والحدائق والجنان والقصور والدور وجاء السيل بالرمل وطَمَّها فهى على ذلك الى اليوم وباعد الله بين أسفارهم كما ذكروا فتفرقوا عباديد فى البلدان ولما انفصل عمران واهله من بلد اليمن عطف ثعلبة العنقاء بن عمرو بن عامر ماء السماء بن حارثه الفطريف بن امرىء القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن بن الأزد بن الغوث نحو الحجاز فاقام ما بين الثعلبية الى ذى قار وباسمه سميت

الثعلبية فنزلها بأهله وولده وماشيته ومن يتبعه فأقام ما بين الثعلبية وذى قار يتتبع مواقع المطر.

فلما كبر ولده وقوى ركنه سار نحو المدينة وبها ناس كثير من بنى اسرائيل متفرقون فى نواحيها فاستوطنوها وأقاموا بها بين قريظة والنضير وخيبر وتيماء ووادى القرى ونزل أكثرهم بالمدينة الى أن وجد عزة وقوة فأجلى اليهود عن المدينة واستخلصها لنفسه وولده فتفرق من كان بها من اليهود وانضموا الى إخوانهم الذين كانوا بخيبر وفدك وتلك النواحى.

واقام ثعلبة وولده بيثرب فابتنوا فيها الاطام وغرسوا فيها النخل فهم الأنصار: الأوس والخزرج أبناء حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مزيقيا وانخزع عنهم عند خروجهم من مأرب حارثة بن عمرو مزيقا بن عامر ماء السماء وهو خزاعة فافتتحوا الحرم وسكانه جرهم وكانت جرهم اهل مكة فطغوا وبغو وسنوا فى الحرم سنناً قبيحة وفجر رجل منهم كان يسمى أساف بامرأة يقال لها نائلة فى جوف الكعبة فمسخا حجرين وهما اللذان أصابهما بعد ذلك عمرو بن لحى ثم حَسَّن لقومه عبادتهما كما ذكرته فى أساف فأحب الله تعالى أن يخرج جرهما من الحرم لسوء فعلهم فلما نزل عليهم خزاعة حاربوهم حرباً شديدة فظفَّر الله خزاعة بهم فنفوا جرهما من الحرم الى الحل فنزلت خزاعة الحرم ثم إن جرهما تفرقوا فى البلاد وانقرضوا ولم يبق لهم اثر.

●● ففى ذلك يقول شاعرهم:

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا اهلها فأبادنا
صروف الليالى والجدود العواثر
وكنا ولاة البيت من قبل نابت
نطوف بذاك البيت والخير ظاهر

وعطف عمران بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء مفارقا لابيه وقومه نحو عُمَان وقد كان انقرض بها من طسم وجديس ابنى ارم فنزلها وأوطنها وهم أزْد عُمان منهم وهم العتيك آل المهلب وغيرهم وسارت قبائل نصر بن الأزد وهم قبائل كثيرة منهم دوس رهط ابى هريرة وغامد وبارق وأحجن والجنادبة وزهران وغيرهم نحو تهامة فأقاموا بها وشنؤوا قومهم أو شنئهم قومُهم إذ لم ينصروهم فى حروبهم أعنى حروب الذين قصدوا مكة فحاربو جرهم والذين قصدوا المدينة فحاربوا اليهود فهم أزد شنوءة.

ولما تفرقت قضاعة من تهامة بعد الحرب التى جرت بينهم وبين نزار بن معد سارت بليّ وبهراء وخولان بنو عمران بن الحاف بن قضاعة ومن لحق بهم الى بلاد اليمن فوغلوا فيها حتى نزلوا مأرب أرض سبأ بعد افتراق الازد عنها وخروجهم منها فاقاموا بها زمانا ثم انزلوا عبداً ـ لأراشة بن عبيلة بن فران بن بليّ يقال له أشعب ـ بئراً لهم بمأرب ودلوا عليه دلاءهم ليملأها لهم فطفق العبديملأ لمواليه وسادته ويؤثرهم ويبطىء عن زيد الله بن عمر بن عبيلة بن قِسْميل فغضب من ذلك فحط عليه صخرة وقال: دونك يا أشعبُ فأصابته فقتلته فوقع الشر بينهم لذلك واقتتلوا حتى تفرقوا.

فيقول قضاعة: إن خولان اقامت باليمن فنزلوا مخلاف خولان وان مهره أقامت هناك وصارت منازلهم



الشَّحْر . . ولحق عامر بن زيد بن عامر بن عبيلة بن قسميل بسعد العشيرة فهم فيهم زيد الله فقال المثلم بن قرط البلوى :

الــم تــر أن الحــى كانــوا بغــبطــة
بمــأرب إذ كانـــوا يحلونهـــا معـــا
بليٌّ وبهـــراء وخـــولانُ إخـــوة
لعمـــرو بن حاف فـــرع من قد تفرعا
أقـام بــه خــولان بعـــد ابــن امـــه
فأثـــرى لعمـــرى فى البــلاد وأوسعــا
فلـــم ارحـــيـــاً من معـــد عمـــارة
أجـــل بـــدار الـــعـــز منا وأمـــنـــعـــا

وهذا ايضا دليل على ان قضاعة من سعد . . والله أعلم . . وسار جفنه بن عمرو بن عامر الى الشام وملكوها فهذه الازد باقية وأما باقى قبائل اليمن فتفرقت فى البلاد بما يطول شرحه وقد ذكرت الشعراء مأرب فقال المثلم بن قرط البلوى :

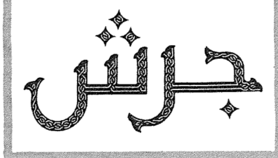
الــم تــر أن الحـــى كانــوا بغبطة بمأرب إذ كانـــوا يحلونهـــا معـا

وقد ذكرت وقد ذكر الله سبحانه وتعالى فى محكم كتابه قصة مأرب فقال تعالى : **﴿فأرسلنا عليهم سيلَ العَرِم﴾** كما ذكرناه فى العرم . . والعرم المسنّاة التى كانت قد احكمت لتكون حاجزا بين ضياعهم وحدائقهم وبين السيل ففجرته فأرة ليكون أظهر فى الأعجوبة كما افار الله الطوفان من جوف التنور ليكون ذلك أثبت فى العبرة وأعجب فى الأمة .

الهوامش

(١) سد رَيْمان : فى همدان صنعاء على مسافة بضعة عشر كيلو متر غربا منها .
(٢) ما بين الأقواس زيادة من عندى لتوضيح المعنى .
(٣) سد سِيَّان : فى الربع الشرقى من سَنْحان فى الجنوب الشرقى من صنعاء
(٤) سد حبرة : هو سدان بجوار قرية أضرعة احدهما الى الغرب والآخر الى الشرق . . وقد تصدعا من اوسطهما وهما من مخلاف زبيد من أعمال ذمار .
(٥) دعْان : قرية معروفة فى ناحية جبل عيال يزيد من أعمال عمران ثم صنعاء وقد اشتهرت هذه القرية منذ ما يقرب من ثمانين عاما حينما وقع الاختيار عليها لتكون مكاناً لتوقيع اتفاقية الصلح بين الدولة العثمانية وبين الامام يحى حميد الدين سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م وقد وقع المشير احمد عزت باشا الوالى العثمانى عن الدولة العثمانية .
(٦) سد الكميم : فى مخلاف الكميم من ناحية الحدا وأعمال ذمار .
(٧) تصب مياه مخلاف ذى جرة الى صنعاء ومنها الى وادى الخارد فالجوف وليس الى وادى أذنة .
(٨) الاكليل ١٠/ ٩٥ـ٩٩
(٩) قنوات الرى وما يزال بعضها عامراً الى اليوم .
(١٠) وهو ما يزال الى اليوم كما وصفه الهمدانى .
(١١) الاكليل ٨/ ٩٥ ـ ٩٩
(١٢) ما يزال استعمال كلمة درب فى نواحى مارب والجوف مشهورا الى اليوم .





مدينة النهر الذهبي

د. عاصم نايف البرغوثي
قسم الآثار والمتاحف
جامعة الملك سعود



منذ عام ١٩٨١م/١٤٠١هـ يقام سنويا فى جرش مهرجان للثقافة والفنون أخذ منذ البداية بعدا كبيرا ناجحا بخروجه عن النطاق المحلى لتشارك فيه فرق الفنون الشعبية والثقافية العربية والأجنبية. وقد بدأ هذا المهرجان بعد ان أنهت وزارة السياحة والآثار فى المملكة الأردنية الهاشمية مشروع تطوير موقعى جرش والبتراء كمشروع تنموى فى مجال السياحة باعتبارها مصدراً هاماً فى الدخل القومى.. وتميز هذا المشروع فى برنامج الضوء والصوت بجرش والذى يروى تاريخ الأردن عبر العصور من خلال قصة تاريخ المدينة.

ومدينة جرش مثال حىّ للتراث التاريخى والحضارى لبلاد الشام عامة والأردن خاصة. فنشأة المدينة وتطورها والأحداث التى مرت عليها تروى لنا قصة الكثير من المدن فى تلك الأرجاء والتى ضاعت تقريبا فى ضباب الزمن حتى كشفت عنها معاول الآثاريين لتروى لنا قصتها كمثل حي للتراث التاريخى والحضارى الانسانى.

وليس غرضى الأساسى هنا ان أعرض لوصف المدينة الأثرية او ان اتتبع تاريخها فهناك العديد من الكتب والمقالات العربية والأجنبية التى تناولت ذلك إما من وجهة نظر علمية أثرية وتاريخية محضة أو بأسلوب إعلامى وثقافى بسيط. ولم يكن بينها على ما اعتقد ما تعرض للحياة اليومية للمدينة الأثرية باعتبارها صدى لحياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية والفنية.

فلكى نعيش قصة جرش لابد من التجول فى أرجائها ودخول أبنيتها وصروحها.

ففى المعابد والكنائس والمساجد تنعكس لنا رغبة الاحساس بالتعبد وأداء الطقوس لدى أهلها.. وفى الشوارع المعمدة والطرقات والأسواق والساحات العامة والحوانيت التى تعكس المستوى المعمارى والفنى لمجتمعها نسمع صدى نشاطاتهم التجارية وعلاقاتهم الاجتماعية.

ومن نوافير العذارى بارجائها نروى ظمأنا.. وفى أروقتها نتعلم المبادىء التى تمثلت فى النظرة الانسانية الشمولية لدى فلاسفتها.. وفى الملاعب نشاهد سباق الخيل والعربات والألعاب الرياضية.. وفى المسارح نشاهد المسرحيات الهزلية والمأساوية فنلمس المستوى الأدبى والثقافى فيها.. وفى الحمامات العامة نستحم من عناء التجوال ومن أجل ان ندرك تفاصيل الحياه العامة بحراراتها والوانها ندخل مساكنها التى تصور ركنا خاصة فى حياة أهل المدينة لنسمع فيها صدى الأحداث التى مرت عليها والكوارث التى حلت بها.

والواقع اننى كلما تذكرت جرش تعود بى الذاكرة الى الوراء قرونا عديدة أتخيل نشأتها وأيام عزها وازدهارها والأحداث والكوارث التى أدت الى دمارها.. وربما يكون السبب فى ذلك هو معايشتى لها كأثارى نقب فيها ثلاث سنوات، وكذلك مشاركتى فى الدراسة العلمية لمشروع تطويرها الذى أعاد الحياة اليها.. وفى خضم تلك الخيالات والصور تدور فى مخيلتى أسطوره «تموز» الكنعانية التى تمثل دورة الحياة والموت والبعث، فأردد مع نفسى من وحيها هذه الكلمات:

هكذا تقول الرواية..
رواية القرن العاشر من قبل الميلاد..
تولع تموز بالقنص والرماية
إلا أن «تموز» ماتْ..
قتله خنزير برىٌّ بأرض كنعانْ
فمزقت ثوبها «عَشْتَار»
وانتحبت ليل نهار
هائمةً بين الجبال والوديانْ
تبكى حبيبها «تموز»..

نافورة العرازى

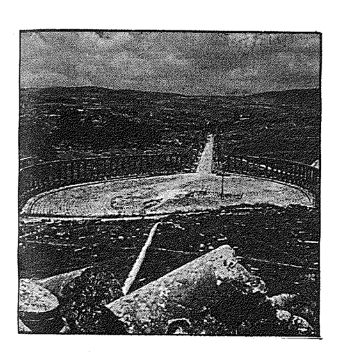
ولا اخالنى أنفرد بهذا الحال عن غيرى من الآثاريين. وظنى بحال أخى وزميلى الأستاذ الدكتور عبد

الرحمن الطيب الأنصارى لا يذكر «قرية» الفاو ـ التى نقّب فيها اكثر من عقد من الزمان ومازال، كما كان لى ايضا شرف المشاركة معه لست سنوات منها ـ إلا واحداث قصة الحب العذرى «قيس وليلى» التى رددت صداها بطاح نجودها تداعب مخيلته بهذه الترنيمة :

ما بين «ليلى» و«العيون» تعلقت عيناي(١)
وودت لو عاد الزمان وتوقفت خطاي
فكم ظمئت من الهوى وتقرحت شفتاي
أفدى العيونَ عيونَ «ليلى» التى أشرقت دنياي

يا قرية العشاق. . (٢)
قد نأى الأحباب وبات الخل ينتظر
يرنو «لوادى الدواسر» يدعو الشمس والقمر
و«كهل» . . شاب مفرقه يبارك البيد والحضر(٣)

يا ظبية «الفاو» . .
إن «قيس» نأى فماء «العيون» من عينيك ينهمر
يطوى الوهاد وهاد نجد ومنه القلب ينفطر
يهيم فى البيداء هوى وباللحاظ يأتمر



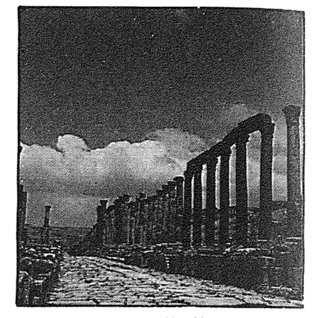
منظر عام للساحة والشارع والمعبد

آه عسلية العينين . . يا رفيقتى الأبدية
كيف أنسى وفى صدرى خفايا عرفناها سويه
سأحضرك فى قلبى واجعل من عينيك أسطوره فاوية

هذه حالنا نحن الآثاريين نعيش المواقع الأثرية التى ننقب فيها بجوارحنا وأحاسيسنا، وان كان عملنا يهدف فى الأساس الى إيجاد الصلة الاكاديمية بين نتائج العمل الميدانى والبحث العلمى اعتماداً على الأدلة المادية وتحويلها الى حلقة متكاملة من الحقائق والشواهد الحضارية الانسانية لتسجيل التاريخ تسجيلا صحيحا ولتعميق الصلة بين الماضى والحاضر ادراكا منا باستحالة التخلى عن الجذور التاريخية الموروثة وادراكاً منا بحاجة انسان هذه الأمة الى فهم صحيح لتراثه وتقاليده ومكونات مجتمعه.

وبالعودة الى موضوعنا الاساسى جرش فهى تقوم شمال العاصمة عمان بحوالى ٤٠ كيلومترا على ضفتى جدول ماء عذب رقراق يستمد مياهه من نبعين تتدفق مياهها طوال العام . . ومن صفاء وعذوبة مياهه لا عجب ان أطلق عليه اليونانيون الذين نزلوا فى الموقع على إثر غزوة الاسكندر المقدونى للشرق





شارع الاعمدة

قوس النصر ببوابته الثلاثية

عام ٣٣٢ قبل الميلاد اسم النهر الذهبى، ومن ثم كنيت المدينة فى عهدهم: «جراسا على النهر الذهبى» مما يشير الى ان اسمها الأصلى كان (جرش) وحُرِّف لليونانية الى جراسا (Gerasa) ويؤكد ذلك الاسم الآخر الذى كان يشار به اليها وهو: «انطاكية على النهر الذهبى، مدينة الجرشيين» وذلك تمييزا لها عن انطاكية عاصمة السلوقيين الذين حكموا سوريا بعد موت الاسكندر والواقعة على نهر العاصى.

وكما تميزت جرش بوفرة مياهها تمتعت ايضاً بخصوبة اراضيها واعتدال طقسها وبموقعها على الطريق التجارى والعسكرى الواصل بين دمشق وبصرى الشام وعمان والعقبة . . فمنذ وقت مبكر تمتع وادى جرش بمزايا كثيرة جعلت منه مكانا مناسبا للاستقرار، وتشير الدراسات والأبحاث الأثرية إلى ان اول مركز استقرار حقيقى للموقع يعود الى نهاية العصر الحجرى الحديث (٤٧٥٠-٤٢٥٠) قبل الميلاد) وإن مركز الاستقرار هذا تمثل بقرية زراعية رعوية ظلت على ما يبدو بهذا الحال تقريبا خلال العصور المتعاقبة حتى نهاية القرن الرابع قبل الميلاد حيث يمثل هذا التاريخ نقطة تحول كبيرة ليس فقط بالنسبة لجرش بل بالنسبة الى الكثير من مدن بلاد الشام والشرق القديم عامة.

فبلاد الشام الواقعة فى مركز متوسط بين مراكز الحضارات والقرى السياسية القديمة جعلها حلقة وصل تجارى وبوتقة التقاء حضارى لمختلف الحضارات المحيطة ومطمعا لنفوذها السياسى ومعبرا لجيوشها المتصارعة ونتيجة لذلك وبسبب طبيعتها الجغرافية فقد صعب تحقيق الوحدة السياسية فيها وانعدام وجود مركز سياسى يشمل جميع أرجائها فأصبح سكانها بالتالى تجاراً وسطاء للتجاره الدولية على مر العصور التاريخية واصطبغت حضارتها بصبغة عكست الوانا متعدده من التأثيرات الحضارية السائدة ومع ذلك فقد تميز انتاجها الحضارى بميزة خاصه ميزتها عن بقيه اجزاء منطقة الشرق الأدنى القديم بما أضفته من طابع

محلى فظهرت العناصر المحلية واضحه وبارزه فكانت هناك دوما وعلى مر العصور محاولات جاهده لابراز الخصائص المحلية وتحوير المؤثرات الدخيلة بشكل يتناسب والمفاهيم المحلية الموروثه وهذا الدور الحضارى الذى أدته بلاد الشام ينعكس لنا بصورة واضحة فى اعمال الانباط والتدمُريين الذين استطاعوا التعايش والتوفيق بين مفاهيمهم الشرقية والمحلية والمفاهيم الحضارية اليونانية والرومانية لتصل الينا هذه الصورة عبر الروائع المعمارية والمخلفات الحضارية المختلفة فى تدمر والبتراء ومدائن صالح وفى غيرها من الآثار المنتشرة فى جميع ارجاء البلاد.

ولقد كان غزوة الاسكندر المقدونى للشرق القديم سنة ٣٣٢ ق.م إيذانا بالتحول الكبير الذى طرأ على المنطقة بصفة عامة وبلاد الشام بصفة خاصة.. ففى غضون سنوات معدودة امتدت امبراطورية الاسكندر من حدود الهند شرقا الى بلاد اليونان ومقدونيا غرباً ومن الأناضول شمالا حتى مصر وليبيا جنوبا ونتيجة لموت الاسكندر المفاجىء عام ٣٢٣ ق.م انقسمت امبراطوريته بين قادة جيوشه الطامحين بالاستقلال فى الولايات التى احتلوها.. وبعد صراع دام بينهم قرابة عشر سنوات كانت بلاد الشام مسرحا له، قامت على انقاض الامبراطورية ثلاث دويلات «ممالك اغريقية» تمثلت فى دولة السلوقيين نسبة الى مؤسسها سلوقى الأول والتى شملت الأجزاء الشرقية من الامبراطورية (فارس.. العراق.. سوريا الشمالية.. وجنوب الاناضول) وعاصمتها انطاكية على نهر العاصى ودولة البطالمة نسبة الى مؤسسها بطليموس الأول وشملت مصر وليبيا وسوريا الجنوبية والأجزاء الجنوبية الغربية من الأناضول ومعظم جزر بحر ايجه وعاصمتها الاسكندرية.. ودولة مقدونيا ومؤسسها ديمتريوس وشملت مقدونيا وبلاد اليونان والأجزاء الشمالية الغربية من الأناضول.. ولقد كان لتأسيس دولتى السلوقين فى بلاد الشام والبطالمه فى مصر اكبر الأثر فى تحويل وجهة النظر الحضارية للبلاد الشامية نحو الغرب ولأول مره فى تاريخها حيث ظلت فى هذا الاتجاه بشكل عام حتى الفتح العربى الاسلامى عام ٦٣٦ ميلادى.

فمن وجهة النظر الأثرية تمثل مدينة جرش بوضعها الحالى من حيث تخطيطها وتنظيمها ومظاهرها المعمارية تعبيرا حيا وشاهدا على ذلك التحول الكبير بالتقاء الشرق القديم بالغرب اليونانى وبالتالى الرومانى (الفترة الهلينستيه والرومانية / ٣٣٢ ق.م - ٣٢٧م).

فتطورها ونهضتها الرائعة التى تعكس المفاهيم المشتركة لحضارات الشرق والغرب خلال هذه الفترة لتصبح مركزاً تجارياً مزدهرا وعضوا فى الحلف التجارى للمدن العشرة (Decapolis) الشهيره فى بلاد الشام ولتحاكى فى تخطيطها وتنظيمها ومعمارها حواضر الممالك والامبراطوريات المعاصرة ومن ثم لتستمر فى الاحتفاظ بمكانتها خلال الفترة البيزنطية والأموية وليقضى عليها نتيجة زلزال مدمر فى منتصف القرن الثامن الميلادى (الثلث الأول من القرن الثانى الهجرى) لتظل فى طى النسيان حتى العصر الحديث.

فالزائر للمدينة يدهش من مظهرين بارزين فيها **اولهما**: غابة الأعمدة التى تحيط بشوارعها ومساحاتها المبلطة ومبانيها الضخمة.. **وثانيهما**: حرم معابدها الرئيسية (معبد زيوس (Zeus) - ومعبد أرتميس (Artemis) بصروحها الضخمة ومواقعها المهيمنة على المدينة وكذلك مبانيها العامة الممثلة فى السوق



العامة (Agora) والمسارح والملاعب والحمامات ونوافير العذارى ومجارى المياه والقنوات.

ويحيط بالمدينة الأثرية التى تبلغ مساحتها حوالى ألف دونم سور مبنى من الحجارة عرضه ثلاث امتار يعود فى الأصل الى القرن الثانى قبل الميلاد وإن كانت بقايا السور الحالى تعود الى القرن الأول الميلادى. ويتبع بناء هذا السور نظام التحصينات الهلينستية والرومانية آخذا بعين الاعتبار النقاط الاستراتيجية حول الموقع وكذلك نقاط الارتفاع والانخفاض فيه. . وزيادة فى التحصين جعل فى السور ١٢٤ برجاً مربعاً يبعد الواحد عن الآخر ما بين ١٧-٢٢ متراً ويتخلل هذا السور خمس بوابات واحدة فى كل جهة عدا الغرب فهناك بوابتان، وجميع بوابات المدينة ذات فتحة واحدة سوى البوابة الجنوبية الرئيسية فهى من ثلاث فتحات. . فتحة كبيرة فى الوسط وفتحة أصغر على كل جانب فيها (Triple-Gate).

أدى الانباط دوراً مهماً فى حياة المدينة خلال النصف الثانى من القرن الأول قبل الميلاد والقرن الاول الميلادى من الناحيتين الاقتصادية والمشاركة فى إعمار المدينة، وذلك لوجود جماعة نبطية تمتعت بحقوق وامتيازات سمحت لثروتهم بالمشاركة فى شؤون المدينة ومشاريعها المعمارية.

وفى العصر البيزنطى اتخذت المسيحية فى جرش شكلا شرقيا محليا ومثَّل قساوستها مدينتهم فى مجمعى سلوقيا سنة ٣٥٩م وحلقدونيا سنة ٤٥١م. . وفى عصر جوستينان (٥٢٧-٥٦٥م) شهدت المدينة نهضة حقيقية حيث ازدهرت التجارة والصناعة نتيجة استقرار الاوضاع فى الامبراطورية كما تأثرت القبائل العربية فى بلاد الشام بصحوة الازدهار تلك وقد تم توحيدها تحت قيادة الملك العربى الغسانى الحارث بن جبله من آل جفنه الأزدية فى القرن الخامس الميلادى. وخلال هذه الفترة بنى العديد من الكنائس فى جرش وزينت ارضياتها بالفسيفساء الملونة.

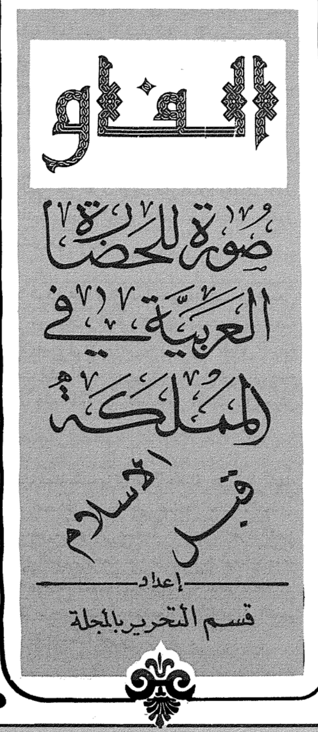
وفى الفترة الأموية استمرت فترة ازدهارها بدليل انها صكت عملة باسمها كما ظلت مأهولة حتى قبيل انتهاء الفترة الأموية. . وقد تمتعت خلال الفترة الأموية بازدهار اقتصادى إعتمد على صناعة المعادن والفخار. ويبدو ان معظم سكان المدينة قد آمنوا بالاسلام فتحولت بعض مبانيها الى مساجد. . وخلال القرن الثامن الميلادى ضربتها عدة زلازل كان اقواها زلزال عام ٧٣٨م الذى تراوحت قوته ما بين ٧-٨ درجات وبعد ذلك بتسعة سنوات (٧٤٧م) اصابها زلزال بلغت قوته ٩ درجات تسبب فى تدمير المدينة تدميراً شاملا. . وبعد هذا التاريخ هُجرت المدينة وظلت فى عالم النسيان تقريبا حتى كشفت عنها معاول الآثاريين فى العصر الحديث لتشهد على التراث الحضارى والتاريخى فى أحد اجزاء وطننا العربى.

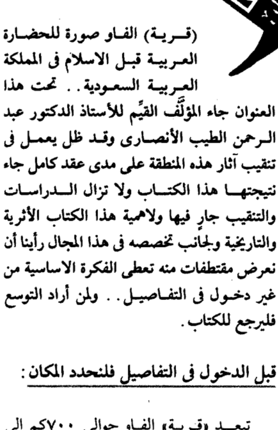
---

(١) ليلى والعيون: قرية فى الأفلاج وعيون الماء فيها

(٢) قرية: قرية الفاو

(٣) كهل: اسم أحد آلهة قرية الفاو

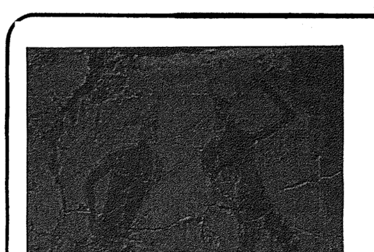


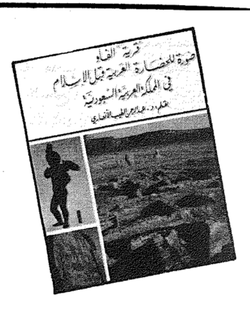


(قـريـة) الفـاو صورة للحضـارة العـربيـة قبـل الاسلام فى المملكة العـربيـة السعـودية . . تحت هذا العنوان جاء المؤلَّف القيِّم للأستاذ الدكتور عبد الـرحمن الطيب الأنصـارى وقـد ظل يعمـل فى تنقيب آثار هذه المنطقة على مدى عقد كامل جاء نتيجتهـا هذا الكتـاب ولا تزال الـدراسـات والتنقيب جارٍ فيها ولاهمية هذا الكتاب الأثرية والتاريخية ولجانب تخصصه فى هذا المجال رأينا أن نعرض مقتطفات منه تعطى الفكرة الاساسية من غير دخـول فى التفـاصيـل . . ولمن أراد التوسع فليرجع للكتاب .

قبل الدخول فى التفاصيل فلنحدد المكان :

تبعـد «قـريـة» الفـاو حوالى ٧٠٠كم الى الجنوب الغربى من مدينة الرياض و١٠٠ كم الى الجنوب الغربى من مدينة السليل و١٥٠كم الى الجنـوب الشـرقى من الخماسـين عاصمة وادى الدواسر و٢٨٠كم الى الشمال الشرقى من مدينة نجـران . . فى المنطقـة التى يتـداخل فيها وادى الدواسر ويتقاطع مع جبال طويق عند فوهة مجرى قناة تسمى بالفاو . . ومن هنا جاء نسبتها حديثاً الى الفـاو تمييـزاً وتعـريفـاً لها عن باقى القـرى المجاورة وتشرق «قرية» الفاو على الحافة الشمالية الغـربية للربع الخالى . . فهى بذلك تقع على الطريق التجارى الذى يربط بين جنوبى الجزيرة العربية وشمالها وشمالها الشرقى حيث كانت تبدأ القوافل من ممالك سبأ ومعين وقتبان وحضرموت وحمـير متجهة الى نجران ومنها الى (قرية) ومنها





منظر لفارسين من قرية الفاو

الى الافلاج فاليمامة، ثم تتجه شرقا الى الخليج وشمالا الى وادى الرافدين وبلاد الشام . . فهى بذلك تعتبر مركزاً تجارياً واقتصاديا هاماً وسط الجزيرة العربية .

ومن ثمّ أهمية المكان :

يمكن أن نختصر عوامل ومسببات أهمية (قرية) الفاو فى ثلاث نقاط أساسية :

أولا : موقعها . . فهى تمثل عنق زجاجة تسيطر على الطريق التجارى حيث لا تستطيع القوافل أن تسير دون المرور بها .

ثانيا : كانت عاصمة لدولة (كندة) التى كان لها دورها فى تاريخ الجزيرة العربية من الناحية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية لأكثر من ستة قرون .

ثالثا : تحتوى على قدر كبير من آبار المياه إذ تضم نحواً من سبعة عشر بئراً ضخماً . . كما أنها تقع على واد يفيض بين فترة وأخرى حسب ظروف البيئة . . ومن ثم نجد (قرية) أصبحت بذلك ممراً حضارياً . . مزدهراً .

وإذا ما تلمسنا عوامل هذا الازدهار ـ اضافة للنقاط الثلاث السابقة نجدها متمثلة أيضا فى :

● التجارة : كان لهم من اتساع دائرة تجارتهم ما جعلهم على صلة بالامم المجاورة فقد اشتغلوا فى تجارة الحبوب ـ الطيوب ـ النسيج ـ الاحجار الكريمة ـ المعادن كالذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد فأثروا بذلك ثراء انعكس فى اسلوب حياتهم ومعطياتها .

وادت التجارة الى نهضة مرافق الحياة عندهم . . فقد بنوا القصور والأسواق والمعابد . . وزينوا بيوتهم بالرسوم المتنوعة فى مادتها ونوعها وبتماثيل معدنية واخرى مصنوعة من المرمر . . ظهر فيهم انتشار المعرفة بالكتابة . . ولعل قمة التقدم الاقتصادى فى (قرية) هو سكهم عملة خاصة بهم ضربوا عليها اسم إلههم (كهل) . . كما اهتموا بانواع مختلفة من المكاييل والموازين والاختام والصنج .

● **الـزراعـة** : اهتم سكـان (قرية) بالزراعة اهتماماً واضحاً . . حفروا الآبار الواسعة وشقوا القنوات السطحية والجوفية لجلب المياه الى داخل المدينة مما سهل عليهم إقامة حياة نشطة ومستقرة . . زرعوا النخيل والكروم وبعض انواع اللبان والحبوب . . كما اهتم سكان (قرية) بالثروة الحيوانية المدجنة والصيد .

● **النـواحى العسكرية** : المظاهر الجغرافية التى تحيط بـ (قرية) شكلت وقاية طبيعية لها من غارات الاعداء . . فجبل طويق الذى يحدهم شرقا يكشف لهم عن أى عدو مرتقب الى جانب انهم بنوا بوابات فى الجهات الشمالية والغربية والجنوبية تبعد عن المدينة من الناحية الشمالية والجنوبية حوالى كيلو متر واحد ومن الناحية الغربية مثل ذلك . . واهتموا ببناء أسوار داخلية وخاصة حول السوق إذ يبلغ سمك سوره المكوَّن من ثلاثة اسوار متلاصقة ستة أمتار وله باب واحد من الناحية الغربية ويصل ارتفاع السوق الى حوالى ثمانية امتار مما يتعذر معه على المغيرين دخوله إذا ما انتصروا عليهم . . واستخدموا فى حروبهم الخيل كما استخدموا الرماح والنبال والسيوف فى دفاعهم .

لعل المساحة السكنية لقرية تجعلها من اكبر المدن (مدن القوافل خاصة) المعاصرة لها . . بل والمدن المعروفة سواء فى الجزيرة العربية أو خارجها، إذا تصورنا أن طول المدينة من الشمال الى الجنوب يبلغ اكثر من اثنين كيلومتر وعرضها من الشرق الى الغرب حوالى كيلومتر واحد دون ان ندخل فى مساحتها المنطقة الزراعية الممتدة عرضا مساحة تبلغ اكثر من نصف كيلومتر من الناحية الشرقية بمحاذاة المدينة ومثلها من الناحية الغربية .

إلى أى فترة زمنية يرجع تاريخها . ؟

وبـالرجوع الى مجموعة من الدراسات النظرية والعملية الحقلية وغيرها يقول الاستاذ الدكتور عبد الرحمن الانصارى « . . اننا يمكن ان نحدد زمن (قرية) فيما بين القرن الثانى قبل الميلاد والخامس بعد الميلاد . .

آثار (قرية) الفاو:

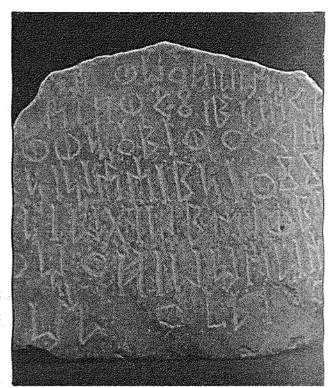
تشتمل آثارها الظاهرة على عدد وافر من التلال الأثرية المنتشرة التى يصل بعضها أقصى ارتفاع له



إلى ثمانية أمتار ولعل ابرز المباني هي الابراج التي تنتشر في الناحية الشرقية والجنوبية على غير انتظام مما يجعلنا نستبعد ان تكون سورا للمدينة أو جزءا منه كما ان هذه الابراج لو كانت اجزاء من سور المدينة لاستمرت في الجهات الاخرى ولكننا لا نجد لها اثراً فيما عدا هذه الجهة . . ويمكن حصر الآثار المكتشفة في الآتي :

(١) العمارة:

استعمل سكان (قرية) في بناء مدينتهم اللبن المربع والمستطيل وكان حجم المربع منه (٣٨×٣٨×١٢)سم والمستطيل نصف ذلك في عرضه (٣٨×١٩×١٢) سم كما استعملوا الحجر المنقور والمصقول في الأسس وبناء المقابر واستخدموا الجبس بعد خلطه ببعض المواد كالرمل والرماد وغيره في تمليط المباني من الداخل كما دعموا مبانيهم بالابراج المربعة والمستطيلة . . ويمكن ان نتصور ان مبانيهم كانت تعلوها شرفات كالتي نشاهدها في المباني القديمة في نجد وغيرها من المناطق في الجزيرة العربية وهذا ما سجله رسم على التمليط في المدينة السكنية كما زينوا منازلهم في الداخل بالكتابة والرسوم بألوان استخدموا في كتابتها ورسمها المواد المتيسرة . . فلونوا بالأحمر والأصفر . . وتشمل عمارتهم ومبانيهم : السوق ـ القصر ـ المعبد ـ المقابر ـ والمنطقة السكنية .



نص العجل بن هفعم احد نبلاء قرية الفاو



كسرة من بدن اناء من الخزف عليها بقايا زخارف نباتية محورة تمثل(زهور واعناب)



ممر ودرج يؤدى الى الدور العلوى



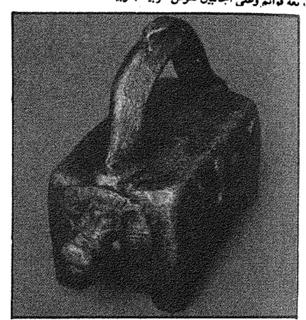
منظر عام لسوق قرية الفاو

السوق: بنى على مقربة من الحافة الغربية للوادى الذى يفصل بين جبل طويق وبين حدود المدينة شرقى المنطقة السكنية. . ويبلغ طول السوق ٧٥ر٣٠م من الغرب الى الشرق و٢٠ر٢٥م من الشمال الى الجنوب ويحيط بالسوق سور مكون من ثلاثة اسوار متوالية متلاصقة اوسطها من الحجر الجيرى أما الداخلى والخارجى فمن اللبن. . وللسوق باب واحد ضيق فى النصف الجنوبى من الضلع الغربى ويحيط بالسوق سبعة ابراج. . وللسوق سلمان عامان. . ويتكون السوق من طبقة أولى وثانية ثم السطح ويبدو ان السطح قد بنيت عليه غرف صغيرة على طرفه الخارجى بالقرب من السترة الخارجية. . ويبدو ان هذه الغرف الصغيرة كانت تستعمل كمراحيض.

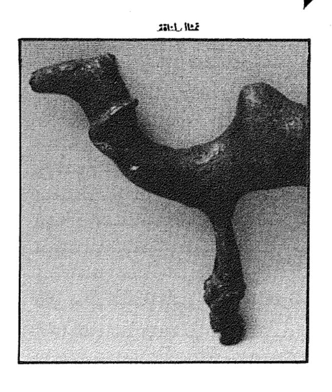
القصر: ظهرت فى الجزء الشمالى الشرقى من التل الذى يقع غربى السوق مباشرة قاعة مستطيلة بطول ١٢ر٢٠ متر من الشرق الى الغرب وبعرض ٧٠ر٥ أمتار من الشمال الى الجنوب. . وتحاذى جدران القاعة من الداخل دكة مكونة ببروزها أحياناً الى الخارج شكلاً هندسياً بديعاً ويبلغ عرض هذه الدكة حوالى المتر ويزيد عن المتر فى أماكن البروز ويتوسط الجدار الجنوبى باب قائم بين عمودين يبلغ عرضه ٤٠ر٢ متر كما يوجد فى القاعة عمودان لهما شكل ثمانى ويشتمل الجدار الجنوبى على أعمدة أربعة. . ويقابل القاعة الشمالية قاعة جنوبية تختلف عن الأول فى بعض مكوناتها وحجمها فهى اصغر من الاولى فى حجمها نسبياً. . ولا شك ان لهذا القصر أهميته السياسية والحضارية.



صنجة ميزان من النحاس مستطيلة على شكل جسم حيوان ولها أربعة قوائم وعلى الجانبين نقوش غربية جنوبية



تمثال لناقة



المعبد: يعتبر معبد (قرية) الفاو أول معبد يكشف عنه داخل حدود المملكة العربية السعودية وأهميته بالنسبة للمعابد التى اكتشفت بمناطق اخرى من الجزيرة العربية هى اننا حصلنا على مجموعة من التماثيل البرونزية التى أعطتنا بعداً حضارياً جديداً لم تمدنا به معابد أخرى كمعابد اليمن مثلا ولكنها تربط بين حضارة وسط الجزيرة العربية وبلاد الشام وحوض البحر المتوسط ووادى النيل. . المعبد يلى القصر من الناحية الغربية وقد بنى بحجارة رملية وجيرية. . ويبدو المخطط العام للمعبد مستطيل الشكل واجهته الى الجنوب. . ويذكرنا تخطيط هذا المعبد بالمعبد الأوراطى الذى اكتشف فى مدينة (التن تبه) فى الجزء الأناضولى القريب من شمال سوريا من حيث عناصر المعبد ومدخله الجنوبى والساحة الخارجية التى تحيط بالمعبد والمرصوفة بالحجارة. . رغم البعد الزمنى بين معبد التن تبه الذى يعود الى ما بين القرن السابع والسادس قبل الميلاد ومعبد (قرية) الفاو الذى يعود الى القرون الأولى للميلاد. . ولعلنا نعلل ذلك بان العامل المشترك بين المعبدين هو انهما يحملان عناصر حضارية كانت سائدة بين شعوب غربى آسيا وترسب هذه العناصر فى الجزيرة العربية. . وكان معبد (قرية) أول انموذج لما احتفظت به الجزيرة العربية من هذه العناصر الحضارية. .

اما المقابر: فهى تتميز بتنوع أشكالها مما يعكس الفترات الحضارية المختلفة التى مرت بها لطول الفترة الزمنية التى عاشتها دولة كندة وما تمتعت به من مركز تجارى وحضارى طوال تلك المدة ومقابرها تضم ثلاثة أنواع: هى مقابر الملوك ـ النبلاء ـ ثم عامة الناس. .

المنطقة السكنية : تعد المنطقة السكنية من اهم معالم المدينة لأنها تضم عناصر هامة فى حياة مجتمع (كندة) وتمثل صوراً مكملة لتصور المدينة العربية قبل الاسلام . .

من الحفر الأولى تبينا ان هذه المنطقة مرت بثلاث فترات سكنية متعاقبة وربما كانت هناك فترات سكنية أسفلها واقدم منها وهذا ما تكشفه نتائج الحفريات التالية . . ومن مميزات العمارة السكنية عندهم : وجود أزقة وشوارع بين المنازل ـ وجود وحدات سكنية متميزة تتسع بعض غرفها حتى تصل الى عشرة امتار طولاً وثلاثة امتار عرضا ـ اهتمامهم بالخانات أو الفنادق ـ دقتهم فى استقامة المبانى وضبطهم لزواياها القائمة بعناية فائقة ـ سمك الجدران إذ يصل سمك بعضها الى ١٨٠ سم ـ استعمالهم الأخشاب للأبواب والأسقف ـ شيوع استعمال الدرج فى جميع الوحدات السكنية ويتراوح عددها بين ثلاث وست درجات ـ استفادتهم من بيت الدرج ـ وجود مجار للمياه النظيفة تخرج من المنازل الى الخارج ـ وجود خزانات لفضلات الانسان مما يدل على وجود مراحيض علوية ـ وجود مخازن للغلال فى كل غرفة تقريباً وبعض هذه المخازن شيد من طابقين ـ استخدام بعض الغرف لاغراض النسج ـ وجود مواقد وافران وخزانات للمياه مبنية بالحجارة مملطة بالجص والحجارة الصغيرة ـ وجود ظاهرة الدكاك التى يبلغ ارتفاعها حوالى ٦٠ سم والتى يمكن استعمالها كأسِرَّة للنوم داخل الغرف . .

الكتابات : تعتبر الكتابة من أكثر ما كان يهتم به مواطنو (قرية) الفاو . . بل اعتقد ان الكتابة بالنسبة لهم كانت حاجة ملحة نظراً لدور (قرية) التجارى بين الجنوب والشمال والشرق كما ان دورها القيادى يحتم عليها الاهتمام بهذا الجانب الحيوى فى علاقاتها مع الآخرين ـ وللديانة ايضاً دور فى ان تجعل من الكتابة وسيلة من وسائل التقديس والعبادة لكل هذه الاسباب كانت الكتابة منتشرة بشكل يبعث على الاعجاب بهذا المجتمع المتعلم . . ونجد الكتابه فى كثير من الاماكن فى (قرية) الفاو : السوق ـ المعبد ـ على اللوحات الفنية ـ فى المدينة السكنية ـ على شواهد القبور ـ على العظام والخشب . . والأوانى الحجرية والمرمرية والفخار والتماثيل والاوزان والاختام والمسكوكات وعلى اغطية الجرار والجبس والجدران . . وهذا كله يعنى أننا امام مجتمع كانت الكتابة فيه تؤدى دوراً مهماً وأساسيا . .

القلم المسند: كان القلم الرسمى المستخدم فى كتاباتهم ويرجع ذلك الى ان (كندة) ومن والاها قبائل يمنية والقلم المسند هو القلم الذى استعملته ممالك جنوب الجزيرة العربية ـ سبأ ومعين وقتبان وحضرموت وأوسان وحمير وهو الذى انتشر فى الشمال فكتب به الديدانيون واللحيانيون فى العلا وكتب به أرباب القوافل وسكان البادية فيما يسمى خطأ بالكتابات الثمودية والصفوية . . أخذ القلم المسند فى (قرية) شكلاً متميزاً وأصبحت اشكال حروفه ذات خصائص تميزها عن حروف المسند ولا تبعده عنها كما لا تخرجها عن دائرته . . لذا فهو فى شكله يعتبر اتجاها ومدرسة خاصة فى الكتابة بالمسند ـ من خلال كتاباتهم تعرفنا على الكثير من مسمياتهم وافكارهم وعلاقاتهم ـ وبعض المعبودات عندهم . . واستطاعت التجارة ان تنقل معها قلماً آخر كان له دور فى ثقافة الجزيرة العربية وهو القلم الآرامى النبطى وايضاً الآرامى البهلوى . . ولعله بناء على مجموعة من الحيثيات يحق لنا ان نقول ان ما تشير اليه كثير من الكتب العربية عن جهل العرب بالكتابة قبل الاسلام قد جانبه الصواب . .



الرسوم الفنية:

وتمثلها اربع مراحل مر بها الفنان العربى فى (قرية) الفاو

الأول: وهو ينقر فى سفوح الجبال مظاهر الطبيعة منها رسوم لجمال وهوادج وخيول وأناسى ومناظر حروب وحفلات رقص ونخيل وجنى لثمار ومناظر لحيوانات مختلفة اليفة ومفترسة. . . الخ.

المرحلة االثانية تمثل محاولة الفنان الرسم داخل المنازل فحز رسومه فى ملاط الجدران مما هو منتشر بشكل ملحوظ فى اكثر الغرف.

المرحلة الثالثة: اصبح الفنان فيها يمثل كياناً له دوره فى المجتمع ولعله كان يقوم بتكليف من سكان القرية برسم مناظر يقترحونها ورسم مشاهد تفصيلية من الحياة اليومية. . وكان يستخدم اللونين الاسود والاحمر.

المرحلة الرابعة: وفيها قد قوى عوده واشتد ساعده وثبتت ألوانه فمزج بينها ونوَّعها ورسم بعد ذلك لوحات فى القصر. .

والحقيقة ان هذه اللوحات التى رسمها فنان (قرية) الفاو يبدو فيها طابع منطقته ومن حقنا ان نقول هنا ان من واجب المؤرخين وعلماء فنون الشرق القديم ان يعيدوا النظر فى دراسة فنون هذه المنطقة ولا اشك انهم سيجدون لفنون الجزيرة العربية متسعاً بين الفنون الاخرى. .

التماثيل: حفلت (قرية) الفاو بمجموعة مهمة من التماثيل وأجزاء منها مصنوعة من مواد مختلفة من المعدن والحجر الرملى والجيرى والمرمر والطين والخزف. . واذا كانت تظهر فى بعض هذه التماثيل أو اجزائها تأثيرات خارجية فإننا لا نشك فى ان فنان (قرية) ونحاتها قد استطاع ان يمزج بين هذه التأثيرات وذوقه الخاص المنبعث من ذاتية عربية اصيلة تعكس بيئته الخاصة وذوقه المتميز فأخرج لنا بذلك تحفاً رائعة ولكننا فى الوقت نفسه لا نستبعد ان تكون قلة من هذه القطع قد وردت على (قرية) الفاو.

وضمن الموجودات الاثرية فى (قرية) الفاو نجد مجموعة من الاشياء والمواد التى استخدموها منها الخشب ـ العظم ـ العاج. . وكان لهم آثارهم فى المنسوجات والصناعات المعدنية ويأتى ضمن هذه الآثار المسكوكات والحلى والزجاج ـ الادوات الحجرية والفخار. . ونسبة لعدم اتساع مجال السرد يمكن الرجوع لكل ذلك فى كل تفاصيله فى مرجعه الخاص كتاب (قرية) الفاو صورة للحضارة العربية قبل الاسلام فى المملكة العربية السعودية).

ومن كل ما تقدم نعتقد ان مجتمع دولة كندة كان مجتمعاً متحضراً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى فرغم بعده الجغرافى عن منابع الحضارات وروافدها الا أن التجارة والثقل السياسى الذى تمثله دولة كنده استطاعتا ان تجذبا الى (قرية) اجمل ميزات تلك الحضارات وان تتفاعل معها وتنتج حضارة خاصة بها متميزة بشكل واضح عما جاورها.



اطلالة على المعالم والآثار

في مدائن صالح

إعداد

قسم التحرير بالمجلة

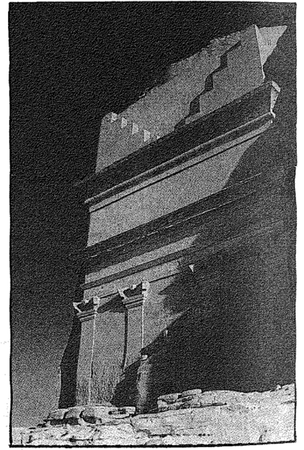
وقفة تاريخية

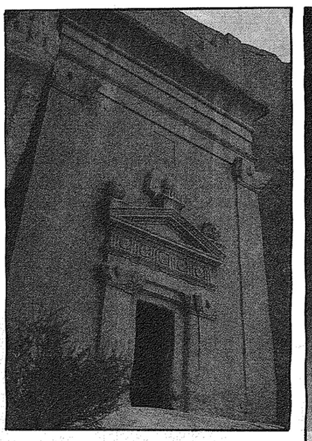
يرجع تاريخ أقدم نص ورد به ذكر لثمود قوم النبى صالح عليه السلام الـذين نزل فيهم قول الله تبارك وتعالى: ﴿**واذكُروا إذ جعلكُـم خلفاء مِن بعدِ عاد وبوَّأكُمْ فى الأرض تتخـذونَ من سهـولها قصـوراً وتنحتـون الجبـال بيـوتاً**﴾. الى القرن الثامن قبل الميلاد.. حيث كانت ضمن الشعوب التى وقعت تحت نفوذ أو حكم الملك (سرجون) الثانى الأشورى.

ولعل امتداد نفوذ الثموديين من البحر الأحمر فى شمال الحجاز حتى جبلى (أجا) و(سلمى) يدل دلالـة واضحـة على انهم تخلصـوا من سيطـرة الأشوريين، لكن ثمود ما لبثت ان تعرضت للغزو البابلى فى القرن السادس قبل الميلاد ذلك الغزو الذى اتخذ من تيماء عاصمة للبابليين من ٥٥٠ - ٥٤٥ قبل الميلاد بقيادة (نابونيدس).

وما ان حل القرن الرابع قبل الميلاد حتى ظهر شعب لحيان الذى يذهب بعض المؤرخين الى أنه من الشعب الثمـودى.. وامتـد نفوذ اللحيانيين حتى شمل المنطقة الواقعة غرب النفود من شمالى يثرب وشمل أيضاً واحة (دادان).. وهكذا ظلت منطقة الـواحـات مسـرحاً للصراع الطويل بين اللحيانيين والثموديين من ناحية، وبين اللحيانيين والأنباط من ناحية أخرى.. هذا الصراع الذى انتهى بسقـوط دولة اللحيانيين وانتهائها فى نهاية القـرن الثـامن ق.م وخضـوعهـا لنفوذ وسيطرة الأنباط الذين قدموا من سراة الحجاز..

وقـد استـولى الأنبـاط على مدائن صالـح ووجدت نقوش نبطية فى تيماء والعلا ومدائن صالح.
وأقدم نقوش الآثار النبطية الثابتة فى الحجر يؤرخ من مارس - ابريل القرن الأول قبل الميلاد. أما أحدثها فمن مايو - يونية سنة ٧٥ للميلاد.





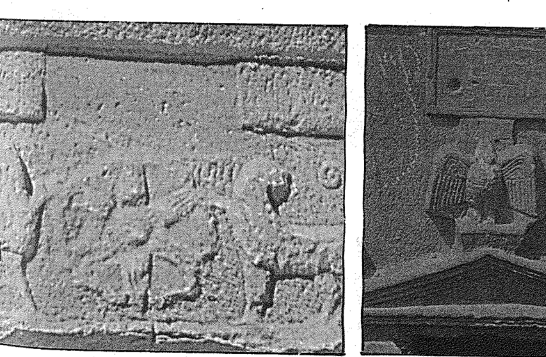
وقد أوضـح (سـترابون) فى وصفه لحملة (ايليوس جالوس) الرومانية أن قوة الأنباط وتأثيرهم امتد من عاصمتهم البتراء جنوباً الى شبه الجزيرة العربية.. كما ذكر أن الدولة النبطية سيطرت على قرية ساحلية تسمى (الحجر) والتى يقترح (موسيل) أنها كانت ميناء للحجر.. ومما يؤيد استقرار الأنباط فى الحجر من القرن الأول ق.م عثور بعثة جامعة لندن عام ١٩٦٨ على فخار نبطى يرجع الى هذا التاريخ. وليس هناك دليل أثرى يؤكد وجود الأنباط فى مدائن صالح فى نهاية القرن الرابع قبل الميلاد.. وقت وجودهم فى البتراء..

أما عن المنبع الأصلى لشعب ثمود.. فالخلاف حوله قائم.. من الحجاز أم دومة الجندل أم الخريبة أم جبلى طيىء؟.. غير أن الأمر المؤكد أن هناك قبائل ثمودية عرفت فى غير منطقة الحجر - مدائن صالح - كقبيلتى (ماسا) (وتيماء)..

ومما لا شك فيه أيضاً أن ثمة تأثيراً كبيرا كان لثمود فى الحياة التجارية الى جانب ما عرف عن هذا الشعب من تقدمه العمرانى والزراعى - ولا أدل من (تيماء) و(الحجر) اللتين مثلتا جسراً لنقل حاصلات جنوب الجزيرة الى شمالها وشرقها وغربها.

وبذلك اتسع نفوذ ثمود وامتدت حدودهم الجغرافية الأولى قبل نزول عقاب الله بهم وهلاكهم لتمثل مجموعة كبيرة من المدائن منها بتراء وبداء والحجر وحسمى والرّحيضة وقنين ومطلوب ووادى الدوم والقرى وغيرها.. من ساحل إيلات بفلسطين حتى البحر الأحمر المواجه لموانىء الحبشة.

ثم كان غضب الله تبارك وتعالى وعقابه لثمود بسبب بغيهم فنزل بهم الهلاك ﴿وثمود فما أبقى﴾ فى زمن لم يقف عليه أحد إلى وقتنا الحاضر.. وبقيت مدائن صالح شاهداً وآية على قدرة الله ودليلا للاتعاظ والعبرة.. أما عن موقع مدائن صالح فيحدده مصطفى مراد الدباغ فى كتابه (الجزيرة العربية موطن العرب ومهد الاسلام) بأنها «تقع للشمال الشرقى من العلا وعلى بعد ثلاثين كيلومتراً منها وكانت محطة من محطات الخط الحديدى الحجازى على بعد ٩٩٥ كيلومتراً من دمشق.. وترتفع عن سطح البحر ٧٨١متراً وهى فى البلاد المعروفة باسم (الحجر) من وادى القرى بطريق الحج الشامى إلى مكة».



منظر للنجمه والأسود على مقبره من مدائن صالح



رمز للنسر ونص نبطى بين جناحيه



مقابر الحجر (مدائن صالح)

تعد مقابر الحجر (مدائن صالح) ـ المؤرخة تأريخاً دقيقاً ـ وثائق هامة عن المدائن الآن . . وتختلف هذه المقابر عن مقابر البتراء التى تخلو من النقوش . . وهكذا تمثل المقابر النبطية الآثار الأساسية الثابتة فى الحجر . تلك المقابر المنحوتة داخل الصخور الرملية الملساء ذات اللون الأحمر والبنى فى شكل حجرات ضخمة منحوت فى جوانبها فتحات عميقة للدفن وفتحات أخرى غير عميقة لوضع المتعلقات الخاصة بالموتى والتى كانوا يضعونها لهم . . اما التناسق الفنى البديع والتكوينات الزخرفية التى أخذت أشكالا هندسية دقيقة وأبرزها الفنان العربى النبطى فى شكل تماثلى رائع . . هذا هو ما يلفت الانتباه . . فالمدخل المستطيل يؤدى الى داخل المقبرة وتحيط جانبيه واجهة عمودية مسطحة تبرز بروزاً بسيطاً من الحائط الأمامى . . تقوم على قاعدة ويعلوها تاج نبطى بارز . . وهذا التماثل للواجهات العمودية نجده مكرراً على جانبى الواجهة .

أما الجزء الأعلى فينقسم أفقياً الى اجزاء مستوية متوازية مختلفة فى المقاييس عن طريق ترانيش متكررة أفقياً الواحد فوق الآخر . . وتتدرج فى بروز من أسفل الى أعلى كما يتوجها كورنيش اكثر بروزاً . . وفى نهاية الجزء الأعلى من الواجهة يتوج الكورنيش البارز لمعظم الواجهات بزخرفة الشرافات المنظومة فى أسلوب فنى متماثل .

وعلى الرغم من تفاوت واجهات المقابر النبطية فى أشكالها المعمارية صغراً وكبراً وفى أسلوب الوحدة الزخرفية . . إلا أن هناك سمات فنية أساسية للأسلوب الهندسى التماثلى ظلت تحتفظ به فى جوهرها . . كما أن أهميتها ترجع الى نقوشها المؤرخة وفنونها . .

أما مجموعات مقابر مدائن صالح فهى :

- مجموعة المدقة والهاجرى (قصر فهد) وتقع الى الشمال .
- مجموعة قصر البنت : وتقع الى الجنوب الشرقى من المدقة والهاجرى .
- قصر الفريد : به مقبرة واحدة وتقع جنوب غرب قصر البنت .
- مجموعة منطقة الخوسروف : وتقع غرب الفريد وجنوب غرب قصر البنت .
- مجموعتا الخريبات : وتقعان فى غرب شريط السكة الحديد
- قصر الصانع : به مقبرة واحدة ويقع جنوب شرق مجموعتى الخريبات . .

وخريبة الحجر (المنطقة السكنية) تقع الى الجنوب الغربى من قصر البنت وشمال منطقة الخوسروف بجوار شريط السكة الحديد .

والى الشمال من موقع مدائن صالح تقع قلعة على درب الحج وترجع الى العصر العثمانى . . وبها نقوش معينية مكتوبة على الأحجار التى أعيد استخدامها فى بناء القلعة .

وبعد . . فتلك إطلالة سريعة على اهم المعالم والآثار فى مدائن صالح . . وسبحان من بيده الأمر ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول لهُ كُنْ فيكون﴾ .



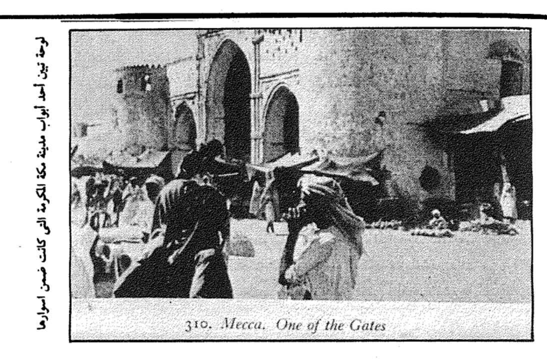
المفهوم الإسلامي لتخطيط المدينة

دكتور
محمد عبد الستار عثمان
قسم الآثار والمتاحف
جامعة الملك سعود

أثبتت الدراسات الاثرية سعة التمدن الاسلامى مقارنة بفترات التمدن الاخرى السابقة عليه . .

ولا أدل على ذلك من النتيجة التى أشار اليها كل من «روبرت آدمز» و«ليسنر» عندما ذكرا : «أن سعة التمدن الاسلامى فى العراق تمثل باستثناء بغداد وسامراء نسبة ٣٣٪ من مجموع المنطقة التمدنية المستقرة، وهى نسبة اذا ما اضيف اليها كل من بغداد وسامراء تعادل أربعة أضعاف نسبة التمدن الساسانى . . ولذا فانه يمكن القول بأن نمو الدولة الاسلامية قد وصل الى اكبر درجة من التطور التمدنى قبل الازمنة الحاضرة»(١) واشارت نتائج هذه الدراسات أيضا أن نصف المدن التى تأسست حديثا فى المغرب قد كانت من صنع الفترة الاسلامية وأن اكثرها مازال يتمتع بالرخاء وان الاسلام حقق انجازا كبيرا بتشجيعه على سكنى المدن مما أدى الى زيادة كبيرة فى سكان المدن فى شمال افريقية ودمشق وانطاكية وبلاد وادى الرافدين(٢) .

ولم يكن هذا التوسع المدنى وليد الصدفة ولكنه كان انعكاسا مباشرا لفكر استراتيجى وسياسة عمرانية واضحة المعالم قامت على أسس اسلامية باعتبار أن الاسلام دين مدنى . . وتكشف لنا المصادر التراثية والبقايا الاثرية عن بعض جوانب الفكر العمرانى الاسلامى الذى طبقه المسلمون فى عمارة مراكز الاستيطان تطبيقا يؤمن بهذا الفكر ويقره، ومن ثَمَّ تبدو أهمية الاشارة السريعة لجوانب الفكر العمرانى الاسلامى وسياسته قبل أن نتحدث عن المفهوم الاسلامى لتخطيط المدينة باعتبارها أهم مراكز الاستيطان العمرانى .


310. Mecca. One of the Gates

لوحة تبين أحد أبواب مدينة مكة المكرمة التى كانت ضمن اسوارها

ومن خلال ما ورد فى مصادر التراث يمكن أن نعرض جانبا من هذا الفكر، فقد عدت هذه المصادر تكثير العمارة من أركان الملك بل ان بعضها اشار تحديدا الى انه الركن الخامس بعد نصب الوزير، واقامة الشريعة واعداد الجند وحفظ المال(٣) واشارت الى اهمية العمارة باعتبارها من مظاهر عظمة الملك وواجباته ووجهت الحكام لذلك بل اعتبرتها من مبانى الملك وشروط الاجتماع الانسانى . . وقال ابن حزم : «**يأخذ السلطان الناس بالتجارة، وكثرة الغراس ويقطعهم الاقطاعات فى الارض الموات ويجعل لكل واحد ملك ما عمَّر ويعينه على ذلك لترخص الاسعار ويعيش الناس والحيوان ويعظم الامر ويكثر الاغنياء وما يجب فيه الزكاه**»(٤) وهو قول يكشف عن نظرة واعية متكاملة لفكر يدعو الى تكثير العمارة وتسهيل اسبابها من جانب الحاكم بوصفه السبيل الى ذلك، والهدف المرام هو رخاء العيش وكثرة الاغنياء وبالتالى كثرة مصادر الزكاة التى هى حق الفقراء فيحدث النفع للجميع وتحقق العدالة الاجتماعية.

وأكد الفكر الاسلامى أن العمارة سبيل الملك بما قدره من الاموال عندما اعتبر أن «**الملك بالجند، والجند بالمال، والمال بالعمارة**» وهو يشير بوضوح الى أن العمارة هى المحرك الاساسى للحركة الاقتصادية ويكشف هذا عن نظرة عميقة الغور بعيدة المدى صادرة عن يقين بجدوى العمارة وتكثيرها.

وفى نظرة شاملة يذكر ابن خلدون «أن الدولة والملك للعمران بمنزلة الصورة للمادة وهو الشكل الحافظ لنوعه لوجودها وانفكاك احدهما عن الاخر غير ممكن على ما قرر فى الحكمة، فالدولة دون العمران لا تتصور والعمران دونها متعذر كما تقدم وحينئذ فاختلال أحدهما مستلزم لاختلال الاخر كما أن عدمه مؤثر فى عدمه»(٥).

وأشارت هذه المصادر الى العلاقة الوثيقة بين زيادة العمارة والرخاء والترف وبين قلتها والبؤس والضيق . . وتدرج الحال من الرخاء الى الشدة حسب درجة العمران ، ويضرب ابن الازرق لذلك مثالا بحال «فاس» المزدهرة العمران و«تلمسان» الاقل شأنا ، وبين حال «افريقية» و«برقة» التى تناقص عمرانها فتلاشت احوال اهلها وانتهوا الى الفقر والخصاصة ، ثم يخلص الى أن الامصار الصغيرة التى لا تفى اعمالها بضرورتها ، نجد لذلك اهلها ضعفاء متقاربين فى الفقر والخصاصة الا فى النادر اذ لا فضل لهم يتأثلون به كسبا»(٦) .

ودعا هذا الفكر الى الاهتمام بالمزارعين ويصدق على ذلك قول زياد : «أحسنوا للمزارعين فإنكم ما تزالوا سمانا ما سمنوا»(٧) وتكرر التأكيد على الاهتمام بالمزارعين وحذر الفكر الاسلامى من إضعافهم ذلك لانهم اذا ضعفوا «عجزوا عن عمارة الارضين فيتركونها فتخرب الارض ويهرب المزارعون فتضعف العمارة فيضعف الخراج وينتج عن ذلك ضعف الاجناد ، واذا ضعف الجند طمع العدو»(٨) ويكشف ذلك عن ارتباط نشأة بعض نوعيات من المدن مرتبطة باقليمها الذى تعتمد عليه كبغداد وفاس والقاهرة وغيرها .

ولما سبق تتضح بعض جوانب الفكر الاسلامى العمرانى التى شكلت فلسفة المسلمين التى كانت وراء فكرهم فى تخطيط المدن لا سيما أن المدينة تعتبر أرقى مراكز الاستيطان ووعاء الحضارة أو هى الحضارة ذاتها .

وتخطيط المدينة جانب مهم من جوانب الفكر العمرانى ، والكشف عن مقومات المفهوم الاسلامى لتخطيط المدينة يتصل اتصالا مباشرا بتحديد ماهية المدينة وكيفية نشأتها باعتبار أن ذلك يوضح المعايير الحضرية التى تميز المدينة من غيرها من مراكز الاستيطان ويحدد الرؤية التخطيطية لها ومن المنطقى أن نشير بداية الى رؤية الفكر الاسلامى لماهية المدينة ، فالماهية تسبق الوجود وتعكس هذه الرؤية ما ورد من افكار من بطون مصادر التراث الاسلامى عن نشأة المدينة وعمرانها .

فقد اشار ابن قدامة اشارات مهمة يعرض فيها لأسباب نشأة المدينة فيشير الى أن هذه النشأة ارتبطت بحاجات الانسان التى اختلفت من فرد الى آخر لاختلاف طبيعة النفوس وتبع ذلك تنوع واختلاف الصناعات والمهن فكثرت هذه كثرة بالغة ولم يكن بوسع الفرد الواحد استيعاب جميع الصناعات المتفرقة فباتت الحاجة الى الاجتماع ضرورة ملحة لأن "هذا يبذر لهذا قمحا يتقوته وهذا يعمل لهذا ثوبا يلبسه وهذا يصنع لهذا بيتا يسكنه ويستره وهذا ينجز لهذا باباً يغلقه على بيته وهذا يخرز لهذا خفا يمنع به الافات عن رجله وغير ذلك مما لا يكاد العدد يدركه من فنون الصناعات وضروب الحاجات لانه لم يكن فى استطاعة انسان واحد أن يكون فلاحا ، نساجا ، بناءا ، نجارا ، اسكافا ولو انه كان محسنا لهذه الصناعات كلها لم يف وحده بها يحسنه منها» ثم يشير الى طبيعة خلق الله للانسان حيث فطره «محبا للمؤانسة مؤثرا للاجتماع مع ذوى جنسه ، فاتخذ المدائن والامصار واجتمعوا فيها للتعاضد والتوازن» ومع حدوث الاجتماع البشرى فى هيئة مدنية يحدث التفاعل وتتصل النشاطات والافعال "التى يلزم قودها الى حسن السيرة وسداد الطريقة فعندئذ ومن اجله وقع الاضطرار الى السياسة التى انما هى قود الملوك والائمة رعاياهم الذين ينقادون لهم ويدخلون تحت طاعتهم الى الافعال الحميدة والمرضية والطرائق السديدة القوية(٩) .



وفى هذا السياق يشير ابن قدامة: الى أن نشأة المدن ،رتبطة بحاجات الانسان التى تختلف من فرد الى اخر لاختلاف طبيعة النفوس كما انه يشير الى تركيب الطبقات الاجتماعية فى مجتمع المدينة وحاجة كل منها الى الاخرى سواء كانت هذه الطبقة منتجة للغذاء مباشرة أو انها توفر حاجيات ضرورية أخرى ومن ثم تتضح الرؤية الواسعة لتكوين مجتمع المدينة وحتمياته. . لا سيما «السياسة» التى اكد على حتميتها للاجتماع المدنى. ويوافق هذه الافكار لابن قدامة عن نشأة المدينة، كثير من النظريات الحديثة التى تحدثت عن نشأة المدينة ومعاييرها الحضرية(١٠).

ويعكس المفهوم اللغوى لكلمة «مدينة» أهمية السلطة السياسية فى تمييز المدينة كمركز حضرى، فقد اشار البحث اللغوى الى أن كلمة «مدينة» ترجع أصلا لكلمة «دين» وان لهذه الكلمة بهذا المعنى أصلا فى الارامية والعربية أى انها ذات أصل سامى وعرفت المدينة عند الاكديين والاشوريين بالدين أى القانون كما أن الديان يقصد بها فى اللغة الارامية والعبرية «القاضى» واضافة الى هذه التفسيرات فان مصدرها فى الارامية من «مدينتا» وتعنى القضاء.

وتوافق هذه التفسيرات ما ورد فى القرآن الكريم والحديث الشريف، وما أشارت اليه بعض المعاجم العربية فقد وضح من التفسير القرآنى أن كل المواضع التى اطلق عليها لفظ مدينة كان عليها حكام وملوك ومنها على وجه التحقيق الصيغة القضائية والدينية والادارية والسياسية فجاء تمييز المدينة عن القرية فى القرآن الكريم على اساس سعة التقاضى التى أشار اليها اللفظ الارامى سلفا(١١) وورد فى الحديث الشريف اسم الفاعل من دين أى «الديان» ويقصد بها أيضا «الملك» وكذلك اشارت المعاجم العربية الى أن كلمة مدينة ترجع الى كلمة دين وهى مشتقة من كلمة «ودنته» وتعنى ملكته فهو مدين مملوك ويذكر أن جماعة من الناس ترى أن كلمة مدينة ترجع فى الاصل الى كلمة دين لكونها تملك(١٢)
ويتصل التفسير الفقهى للمدينة أيضا بهذا المفهوم، بناء على الاصل الوارد فى حديث رسول الله ﴿ﷺ﴾ «لاجمعة ولا تشريق ولا فطر ولا أضحى الا فى مصر جامع» وفى حديث آخر الا فى مصر جامع أو مدينة عظيمة». . فكانت الاحكام الفقهية المحددة لمواضع صلاة الجمعة فذكر أبو حنيفة أن صلاة الجمعة تختص بها الامصار دون غيرها واعتبر أن المصر هو ذلك المكان الذى يوجد فيه سلطان يقيم الحدود، وقاض ينفذ الاحكام(١٣). ويسير فى نفس الاتجاه تعريف بعض الجغرافيين «للمصر» كالمقدسى الذى يذكر انه «كل بلد جامع تقام فيه الحدود ويحله أمير، ويقوم بنفقته ويجمع رستاقه»(١٤).

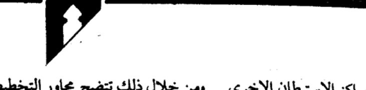
وتكشف هذه التعريفات اللغوية والفقهية والجغرافية عن محورين أساسيين ميزا المدينة الاسلامية عن غيرها من مراكز الاستيطان الحضرى، المحور الاول يتمثل فى وجود سلطة سياسية وادراية. . والمحور الثانى يتمثل فى وجود «المسجد الجامع» الذى تقام فيه الصلاة الجامعة. . واذا كان المحور الاول من المعايير

التقليدية فى المدن منذ نشأتها، فان اقامة الصلاة الجامعة فى المسجد الجامع فى المدينة وما يشترط لاقامتها من شروط فقهية اعتبر من المظاهر التمدنية التى ميزت المدينة الاسلامية(١٥).

وتشير بعض التعريفات اللغوية للمدينة اشارات واضحة الى تحديد كيانها المادى والاجتماعى كقول ابن منظور بأن المدينة هى: «الحصن فى اصطمة من الارض وكل ارض يبنى فى اصطمتها فهى مدينة» والاصطمة معظم الشىء وتمامه(١٦) وهو فى هذا التعريف يشير الى أهمية تحصين المدينة وبناء الاسوار عليها حتى انه اعتبر حصون المدينة المعيار الذى يميزها عن غيرها، ومما يشير الى طغيان التحصين كمحور مهم فى التخطيط المادى للمدينة ما يذكره الهرثمى من: «ان الحصون ليست هى القلاع الشامخة المبنى عليها الاسوار فقط: هى القلاع والمطامير والجبال والغياض و«المدن» والخنادق والرمال والوحول والاجام والبحار كل هذه وما اشبهها حصون ومعاقل»(١٧) ويؤكد القزوينى على أهمية الاسوار كمحور مهم فى التخطيط المادى للمدينة بل انه يعتبرها معيارا مميزا للمدن ارتبط بنشأتها.. فذكر انه «عند حصول الهيئة الاجتماعية لو اجتمعوا فى صحراء لتأذوا بالحر والبرد والمطر والريح، ولو تستروا فى الخرقاهات لم يأمنوا مكر اللصوص والعدو ولو اقتصروا على الحيطان والابواب كما ترى فى القرى التى لا سور لها لم يأمنوا صولة ذى بأس فاكرمهم الله تعالى اتخاذ السور والخندق والفيصل فحدثت المدن والقرى والديار.. واتخذوا للمدن سورا حصينا وللسور ابوابا عدة حتى لا يتزاحم الناس بالدخول والخروج بل يدخل ويخرج من أقرب باب اليه واتخذوا لها قهندازا لمكان ملك المدينة والنادى لاجتماع الناس فيه.. وفى البلاد الاسلامية المساجد والجوامع والاسواق والخانات والحمامات ومراكض الخيل ومعاطن الابل ومرابض الغنم وتركوا باقى مساكنها لدور الناس فاكثر ما بناها الملوك والعظماء على هذه الهيئة(١٨) ولهذه الرواية دلالاتها المتصلة مباشرة بالمقاييس والمعايير الحضارية التى تميز المدينة عن غيرها من مراكز الاستيطان فهو يشير صراحة الى أن المدن لا تقام الا فى حالة تواجد «الهيئة الاجتماعية» كما اوضح اهمية السور باعتباره من المعايير المميزة للمدينة وفى ذلك تأكيد على الدلالة الحضارية لاقامة السور الذى يعنى الامن والامان لساكنى المدينة، كما المح النص الى وجود سلطة فى المدينة ممثلة فى الحاكم أو الملك، عندما ذكر مقر اقامته وصفته بالمدينة، وفى ذلك اقرار لاهمية المعيار السياسى الذى يميز المدينة عن غيرها. وفى ذات الوقت اشار الى وجود النادى لاجتماع الناس فيه وذلك فى المدن بصفة عامة.. ثم يحدد ما تتميز به المدينة الاسلامية من تكوينات معمارية كالمساجد الجامعة والمساجد والاسواق والخانات والحمامات وغيرها.

وكذلك تعكس كتابات الجغرافيين المسلمين تصورا للتخطيط المادى للمدينة الاسلامية والمعايير التى تميزها عن غيرها من مراكز الاستيطان التى صنفوها تصنيفا دقيقا يعكس التصور الواضح لكل نوعيات المراكز الحضارية.. ومن خلال أوصاف الجغرافيين للمدن امكن تحديد هذه المعايير كالمعيار السياسى وما يرتبط به من وجود السلطة الادارية والقضائية وكبر المساحة وكثافة السكان ووجود الاسواق وتوافر المرافق العامة كالحمامات والمساجد الجامعة وتوفر مصادر مياه الشرب وما يرتبط بذلك من عوامل اخرى مساعدة على ازدهار حياة المدينة وأمنها كالحصن والاسوار والمناخ الجيد ووفرة مصادر الغذاء(١٩).

ولما سبق تتضح بعض جوانب الفكر الاسلامى عن كيفية نشأة المدينة والمعايير التى تميزها عن غيرها من



مراكز الاستيطان الاخرى . . ومن خلال ذلك تتضح محاور التخطيط المادى للمدينة بصفة عامة، وما تتميز به المدينة الاسلامية من تكوينات معمارية مرتبطة وظيفيا وحضاريا بالدين الاسلامى .

وتخطيط المدينة هو عملية تحديد وتعريف افضل طريقة لتحقيق أهداف معينة ثم اختيارها وفقا لاعتبارات معينة فى ظل الموارد المحدودة والقيود التى تفرضها الظروف السائدة فى المجتمع أو انه عملية ضبط البيئة الطبيعية والبشرية من اجل استخدام افضل الموارد البيئية وبالتالى فان هناك محاولات كثيرة للتخطيط، منها التخطيط الاقتصادى والتخطيط الاجتماعى والتخطيط العمرانى . . وتخطيط المدينة بهذا المفهوم يختلف عن خطتها، فالخطة تعنى مساحة من الارض بمقياس رسم كى يسمح بظهور تفاصيلها مثل الطرق وتقسيمات المبانى والميادين الى آخره، واذا كان هذا تعريفا عاما للخطة فانه بالنسبة للمدينة يمكن أن يعنى الشكل الذى تبدو عليه من خلال انتظام شوارعها وميادينها وتجمعاتها السكنية وفق نظام معين يعطيها شكلا حضريا يختلف عن غيرها من المدن التى تنمو وفق خطة اخرى(٢٠) ويعنى ذلك أن الخطة تقترن بالتركيب العمرانى فقط بينما التخطيط يشمل كل ما يتعلق بالمدينة من الناحية الطبيعية والحضارية والسكانية والعمرانية والاقليمية(٢١) .

واختلفت الاهداف التى انشئت من اجلها المدن الاسلامية فمنها ما بدا على هيئة معسكرات حربية ثم تطور الى هيئة مدينة كالبصرة والكوفة والفسطاط والقيروان . . ومنها ما اتخذ لاغراض ادارية كواسط ومنها ما انشىء كعواصم أو حواضر للدولة الحاكمة كبغداد والقاهرة وفاس وغيرها . . ومنها ما كان فى بدايته مناطق ارتكاز تحصينية للدفاع وبمرور الزمن غلب عليها الطابع المدنى وتحولت نموا الى مدن كالرباط والمونستير ومجريط «مدريد» وغيرها(٢٢) . . ومنها ما نشأ مرتبطا بعوامل دينية كالنجف وكربلاء والكاظمية وغيرها . . ورغم تأثر التخطيط بهذه العوامل المختلفة تأثرا واضحا لاسيما فى مرحلة النشأة الاولى الا انه بصفة عامة كان هذا التخطيط يقوم على محاور اساسية توجهه توجيها اسلاميا واضحا صاغ تخطيط المدينة الاسلامية صياغة مميزة جعلها رغم اختلاف اقاليمها وعصورها والعوامل المؤثرة فى تخطيطها ـ تتسم بسمات عامة واحدة .

وكانت الرؤية الاسلامية فى تخطيط المدن مراعية لجوانب التخطيط المختلفة سواء كانت هذه الجوانب عمرانية أو اقتصادية أو اجتماعية ولا يعمم عليها ما ذكره بعض الباحثين من أن «الجوانب الاقتصادية والاجتماعية لم تكن فى اعتبار المخططين للمدن فى الحضارات القديمة وأن الاهتمام بهذه الجوانب حديث العهد(٢٣) .

ويبدأ التخطيط باختيار «الموقع» ونعنى بذلك موقع المدينة وعلاقتها بما يحيط بها، وأثر فى اختيار مواقع المدن الاسلامية عوامل مختلفة اختلفت طبيعتها من مدينة الى اخرى لاسيما تلك العوامل المرتبطة بالنواحى الحربية أو السياسية واتفقت فى توافر شروط اساسية وجب توافرها بصفة عامة فى اختيار أى موقع . . وقد

اشار ابن الربيع الى هذه الشروط وحددها بست شروط هى : « **سعة المياه المستعذبة . . وامكان الميرة المستمدة . . واعتدال المكان . . وجودة الهواء . . والقرب من المرعى والاحتطاب وتحصين منازلها من الاعداء والذعار وأن يحيط بها سور يعين أهلها**»(٢٤) وتتردد هذه الشروط بصيغة أو بأخرى فى المصادر الجغرافية التى تتحدث عن مواقع المدن وصفاتها الحسنة مما يؤكد عمق الادراك بهذه المعايير والشروط التى تميز المواقع الصالحة لانشاء المدن .

ويذكر أبو ذرع : أن «احسن مواضع المدن أن تجمع بين خمسة أشياء وهى : «النهر الجارى . . والمحراث الطيب . . والمحطب القريب . . والسور الحصين . . والسلطان اذ به صلاح حالها . . وأمر سبلها وكف جبابرتها» ويؤكد على تطبيق هذه الشروط فى احدى المدن الاسلامية التى كان يتحدث عنها وهى «فاس» فيذكر أنها «جمعت هذه الخصال الخمسة التى هى كمال المدن وشرفها وزادت عليها محاسن كثيرة فلها المحرث العظيم سقيا وبعلا ، على كل جهة منها ماليس هو على مدينة من مدائن المغرب ، وعليها المحطب فى جبل بنى بهلول الذى فى قبلتها ، يصبح كل يوم على ابوابها احمال حطب البلوط والفحم مالا يوصف كثرة ، ونهرها يشقها نصفين ويتشعب فى داخلها انهارا وجداول وخلجانا فتتخلل الانهار ديارها وبساتينها وجناتها وشوارعها واسواقها وحماماتها ، وتطحن به(٢٥) أرحاؤها ويخرج منها وقد حمل اثقالها واقذارها ورماداتها» .

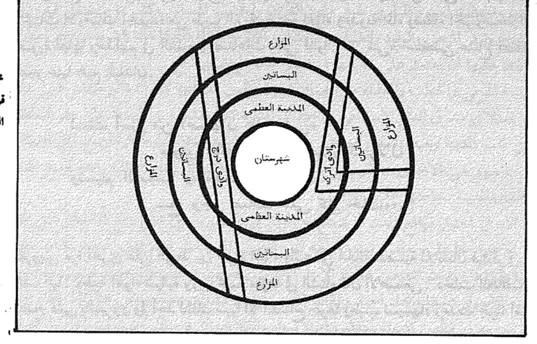
ولقد أشار كل من ابن خلدون وابن الازرق فى القرن ٩هـ/١٥م الى هذه الشروط فذكرا أن الذى تجب مراعاته فى أوضاع المدن أصلان مهمان ، دفع المضار وجلب المنافع ، وفصلا كل أصل منهما بما يتضمن هذه الشروط تفصيلا مستفيدا من التجربة التى تبلورت بعد انشاء العديد من المدن الاسلامية طيلة هذه القرون .

ولما سبق تتضح أهمية سعة الماء المستعذب كشرط أساسى فى اختيار مواقع المدن فعليه تقوم الحياة ، واشتراط السعة يعنى النظرة المستقبلية لازدياد متوقع فى عمران المدينه ويسهل أيضا عملية التخطيط لتوصيله الى مرافقها وتكويناتها المعمارية المختلفة . . وتضمن الشرط أيضا عذوبة الماء «أى صلاحيته للشرب بالاضافة الى الاغراض الاخرى» ويكفى أن نشير الى أثر ملوحة الماء فى الحد من عمران البصرة فى الفترة الاولى من تاريخها وشكوى اهلها من ذلك حتى تم جر قنوات الماء العذب اليها من الانهار القريبة .

ويشير الشرط الثانى وهو «**امكان الميرة المستمدة**» فى ايجاز بليغ الى النظرة الاقتصادية فى التخطيط فتوفير الغذاء مطلب اساسى لنشأة المدن واستمرار حياتها ولم يحدد الشرط سبيلا واحدا لتحقيق هذا المطلب وفى ذلك ما يشير الى امكانية توفر ذلك بأوجه مختلفة فكانت المدينة تعتمد على اقليمها الذى يمدها بما تحتاج اليه أو ان تحصل على ما تحتاج اليه عن طريق التجارة والتبادل أو غير ذلك من الاساليب التى اشارت اليها نظريات نشأة المدن ومن هنا كانت علاقة المدينة باقليمها أو بغيرها من المدن علاقة أساسية لتحقيق



مخطط مدينة قزوين عن القزويني



هذا المطلب. . ولذلك عدت «دراسة المدينة ناقصة ما لم تدرس علاقة المدينة باقليمها وريفها المحيط بها فهناك تفاعل وثيق بين المدينة وريفها، يتكون من مجموعة الافعال وردود الافعال المتبادلة بينهما مما يخلق مركبا اقليميا متميزا»(٢٦).

وفي ضوء ذلك كان اختيار مواقع المدن مرتبطا غالبا بطرق التجارة الهامة التى تمكنها من توفير احتياجاتها وتصدر انتاجها لا سيما ان المدينة لا يمكنها أن تعيش علي الوظائف المحلية فقط فلو كانت المدينة تعيش بلا وظائف اقليمية لوجب أن تكفى نفسها بنفسها من حيث الخام والانسان ولكانت بذلك مجرد وحدة سكنية بحتة أو خلية اكتفائية»(٢٧). وقد ازدهرت كثير من المدن الاسلامية معتمدة على اقليمها كبغداد والقاهرة وفاس وقرطبة والمرية وشيزار وغيرها.

والشرط الثالث الذى حدده ابن الربيع لاختيار مواقع المدن هو «اعتدال المكان وجودة الهواء» وفى هذا الشرط ما يؤكد على أهمية المناخ والاعتبارات الصحية فى اختيار المسلمين لمواقع مدنهم ولما كانت المدينة مظهرا من مظاهر التفاعل بين الانسان وبيئته ولما كان المناخ عنصرا من عناصر هذه البيئة فان ادراك المسلمين لأهميته فى اختيار مواقع مدنهم يعكس مستوى حضاريا متقدما.

واستفاد الحكام بمشورة الحكماء فى اختيار المواقع التى يتوفر فيها هذا الشرط من اعتدال المكان وجودة الهواء. **«فاختاروا افضل ناحية فى البلاد، وأفضل مكان فى الناحية واعلى منزل فى المكان من السواحل والجبال ومهب الشمال لانها تفيد صحة ابدان اهلها وحسن امزجتهم واحتزوا من الاجام والجزائر واعماق الارض فانها تورث كربا وهمّا»**(٢٨) وفى هذا ما يدل على الربط الواعى بين المناخ وجودة الهواء وبين الحالة

الصحيـة والنفسيـة للانسان الذى تتأثر حياته ونشاطه بذلك تأثرا واضحا، وفى وصف القزوينى لمدينة أصفهان ما يعكس ذلك من منظور تطبيقى حيث يذكر **«أنها مدينة عظيمة من اعلى المدن ومشاهيرها»** جامعة لأشتات الاوصاف الحميدة من طيب التربة وصحة الهواء وعذوبة الماء وصفاء الجو وصحة الابدان وحسن صورة اهلها وحذقهم فى العلوم والصناعات حتى قالوا: كل شىء استقصى صناع اصفهان فى تحسينها عجز عنها جميع البلدان.. قال الشاعر:

لست أسى من اصفهان على شىء
سوى مائهـا والـرحيق الـزلال
ونسيم الصبـا ومنخـرق الـريـ
ـح وجو صاف على كل حال(٢٩)

ويؤكد القزوينى مرة أخرى على الربط بين جودة الهواء وأثرها فى الحالة النفسية للانسان فيذكر فى حديثه عن الطائف أنها: **«طيبة الهواء شمالية وربما يجمد ماؤها فى الشتاء قال الاصمعى: دخلت الطائف وكأنى أبشر، ينضح قلبى بالسرور ولم أجد لذلك سببا الا انفساح جوها وطيب نسيمها»** وعدت جودة الهواء من المميزات التى أشاد بها البلدانيون المسلمون فى حديثهم عن الصفات الحسنة للمدن.. وبرزت امثلة من المدن التى تتمتع بجودة الهواء التى عكستها معايير متنوعة تشير الى ذلك فقد ذكر عن طليطلة: انه «من طيب تربتها ولطافة هوائها تبقى الغلات فى مطاميرها سبعين سنة لا يتغير وذكر عن اصفهان أن لهوائها الجيد «يبقى التفاح غضا سنة والحنطة لا تسوس ـ اللحم لا يتغير»(٣٠) وكانت هذه المعايير مؤشرا اتبعه المختصون فى تحديد الموضع، فعند اختيار موقع المدينة كان الاطباء والخبراء يقومون باختيار افضل المواضع بعد التأكد من ذلك بالتجربة والمعايشة احيانا بعض الوقت. ومن الامثلة التى تؤكد ذلك ما تم عند اختيار موقع واسط وبغداد وغيرها.

وقد اثر المناخ تأثيرا مباشرا وفعالا فى تخطيط التكوينات المعمارية للمدينة كما كان له اثره فى تخطيط شوارعها وتحديد اتجاهاتها وتشابهت هذه التأثيرات فى معظم المدن الاسلامية لاسيما أن اغلبها يقع تقريبا فى المنطقة الحـارة فتلاصقت المبانى وتدرجت مقاييس الشوارع واصبح الفناء عنصرا رئيسيا فى تخطيط التكوينات المعمارية واخذت الواجهات والمطلات وعناصر التهوية الاخرى أنماطا متشابهة فتكررت امثلتها فى المدينة الاسلامية.

ويذكر ابن الربيع شرطا رابعا وهو **«القرب من المرعى والاحتطاب»** ويفصل ابن خلدون وابن الازرق هذا الشرط تفصيلا يوضح أهميته، فيذكران أن من أهم أصول اختيار مواقع المدن **«جلب المنافع»** ومن أصول جلب المنافع «طيب مرعى السائمة وقربه، اذ لابد لكل ذى قرار من دواجن الحيوان للنتاج والضرع والركوب ومتى كان المرعى الضرورى لها كذلك، يسهل الحاجة اليه وهى ضرورية ومنها **«الشجر للحطب**



والخشب والحطب لعموم البلوى به في وقود النيران والخشب للمباني وكثير مما يستعمل فيه. . ضروريا وكماليا»(٣٢) وتوفر المرعى والوقود والغذاء والاخشاب اللازمة للبناء تحقيقا لهذا الشرط - يدفع بعمران المدينة والتى كان عليها أن تعتمد على اقليمها فى تحقيق هذه المطالب.

ووفرة المرعى والحطب والغذاء من مصادر قريبة وتأمين مصادره كان له تأثير مباشر على هيئة تخطيط المدن، فمثلا فى مشرق العالم الاسلامى يلاحظ أن المدينة كانت تشتمل فى الوسط على مقر السلطة والحكم مؤمّنا فى قلب المدينة ويحيط به سور ويدعى هذا الموضع «الشهرستان» يليه دائرة أوسع تمثل المدينة العظمى ويحيط بها سور هى الاخرى. . ثم يلى ذلك دائرة أوسع تضم البساتين فدائرة رابعة أوسع تضم المزارع التى تغذى المدينة بحاجتها اللازمة»(٣٣).

وتحكم فى اختيار مواقع المدن ما يتمتع به الموقع من تحصين يعين على دفع الاخطار التى تحدث عند هجوم الاعداء عليها. . وقد برزت الحاجة الى تحصين المدن منذ عهد قديم عندما نشأت المدن، وزاد عمرانها وثراؤها وبدأت تتعرض لهجوم الاعداء الذين يطمعون فى السيطرة عليها أو نهب ثرواتها، مما أدى الى بناء الاسوار عليها واتخاذ الجند والقادة الذين يتولون الدفاع عنها(٣٤) ومن هنا كان اتخاذ السور حول المدينة أمرا مهما، فتأمين المدينة يكفله بناء الاسوار والقلاع والابراج التى يزيد من كفاءتها سهولة انشائها والاقتصاد فى بنائها ما يتوفر للموقع من مميزات تحصينية طبيعية.

وبالاضافة الى الشروط السابقة التى قام عليها اختيار مواقع المدن تدخلت العوامل السياسية والحربية فى تحديد مواقع بعض المدن فى بعض الفترات ونلمح ذلك فى اختيار مواقع «مدن الامصار» البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان بعيدة عن البحر لعدم توفر القوى الحربية اللازمة لتأمين هذه المدن من الاساطيل البحرية ولتسهيل اتصالها برا بعاصمة الدولة. . ثم نلمح بعد ذلك الاتجاه نحو السواحل فى اختيار مواقع المدن كالمهدية والمرية وغيرها. . وكان ذلك بعد ان توفرت القوى البحرية اللازمة لدفع أى خطر، وللميزات الاخرى الناتجة عن وقوع المدن على السواحل. . وفى ذلك ما يشير الى أن اختلاف الظروف المصاحبة لاختيار المواقع تختلف باختلاف العصر وان هناك مؤثرات اخرى قد تتدخل لتوجه هذا الاختيار توجيها معينا وباستثناء ذلك كانت الشروط التى عرضناها تمثل المحور الاساسى الذى يدور حوله اختيار مواقع المدن كمرحلة اساسية من مراحل تخطيط المدينة.

وبعد اختيار الموقع يأتى «تخطيط الموضع» وموضع المدينة يعنى تلك المساحة التى تقف عليها مشتملة على المعالم الدقيقة للارض التى يبدأ الاستقرار فوقها وينتشر عليها ويؤثر فيها وتخطيط هذا الموضع يعنى تنسيق النظام المادى الطبيعى للمدينة التى تمثله كتلتها المبنية وارتباطها بمجتمعها الحضرى ومرافقها وخدماتها فى انسجام وتوافق تام مع الحاجات الاجتماعية والاقتصادية لسكانها(٣٥)

والمدينة الاسلامية فى نشأتها وتطورها انطلق تخطيط موضعها من محاور اساسية بلورها ابن الربيع فى

شروط ثمانية أوجب على الحاكم اتباعها عند تخطيط موضع المدينة . . وهذه الشروط هى أن «يسوق اليها الماء العذب ليشرب حتى يسهل تناوله من غير عسف وان يقدر طرقاتها وشوارعها حتى تتناسب ولا تضيق وأن يبنى فيها جامعا للصلاة فى وسطها ليتعرف على جميع اهلها وأن يقدر اسواقها لينال اهلها حوائجهم عن قرب، وأن يميز بين قبائل ساكنيها بأن لا يجمع أضداد مختلفة متباينة وان اراد سكناها فليسكن افسح اطرافها وأن يجعل خواصه محاطين به من سائر جهاته، وأن يحيطها بسور مخافة اغتيال الاعداء لها فهى بجملتها دار واحدة وأن ينقل اليها من أهل العلم والصنائع بقدر الحاجة لسكانها حتى يكتفوا بهم ويستغنوا عن الخروج الى غيرها»(٣٦).

ويلاحظ أن هذه الشروط تحدد الهيكل العام والاساس للمدينة الاسلامية وتركز على توافر المرافق العامة باعتبار أن السلطة مسئولة عن توافرها كما نلاحظ المنهجية المنطقية فى ترتيب هذه الشروط وانها تكفل الاحتياجات لحياة اسلامية مستقرة بالاضافة الى النظرة العضوية لكيان المدينة الاسلامية فهى بجملتها «دار واحدة» ويكشف هذا التناول بالاضافة الى اعتبارات التخطيط التى اشرنا اليها عند اختيار الموقع عن أن تخطيط المدينة الاسلامية اهتم بالجوانب العمرانية والاقتصادية والاجتماعية.

واستكمالا لهذه الرؤية التخطيطية فى اختيار الموقع وتخطيط الموضع كانت الاحكام والقوانين الاسلامية المنظمة لعلاقة تكوينات المدينة وعناصرها التخطيطية بعضها بالبعض الاخر فى اطار يحافظ ويحقق القيم الاسلامية. وانطلقت هذه القوانين من مفاهيم اسلامية اساسية كحق الملكية الخاصة وحرية التصرف فيها وتعرضها للتغير تبعا للمعاملات المختلفة كالقسمة والتأريث والبيع والشراء والتبادل وما الى ذلك. . ولهذه الحرية حدودها المنطلقة أساسا من حديث رسول الله ﴿ﷺ﴾ «لا ضرر ولا ضرار» والتأكيد على حقوق الجار. . وفى اطار ذلك حددت مواضع التكوينات المعمارية للمدينة الاسلامية وتحددت الشروط العامة التى تحكم اشكالها فى اطار التوافق بين حق التصرف فى الملكية وعدم التسبب فى أذى الاخرين ومراعاة حقوق الجار.

وفى اطار ما سبق حددت مواضع الاسواق بالمدن وترتيبها ابتداء من مركز المدينة الى خارجها وقام تخطيط طرق وشوارع المدينة على أساس وجود نوعيتين من الطرق، طرق عامة حُقٌّ للعامة الارتفاق بها، وطرق خاصة يقتصر الارتفاق بها على اصحابها. . ونظمت القوانين الاسلامية حدود استغلال هذه الشوارع والطرق فى الإطلال عليها ببروزات بنائية ممتدة الى عرض الطريق كما نظمت كيفية فتح النوافذ والابواب وكان لكل نوعية احكامها التى تنظم ذلك ودفع هذا التوجيه الى تركيز اسواق الشوارع فى الشوارع الرئيسية بالمدينة والى اتخاذ المنشآت التجارية فى الشوارع والطرق الضيقة وغير النافذة اشكالا معمارية تناسب وجودها فى هذه المواضع. . كما أن تخطيط المنازل تأثر الى حد كبير بما يجاوره من طرق وشوارع ومنازل وتكوينات معمارية اخرى لاسيما فى فتح المطلات وتجنبا للمشكلات التى قد تنتج عن الإطلال على المبانى المجاورة، برز الاتجاه نحو استغلال الافنية فى التهوية والاضاءة دون الشوارع والطرقات التى اصبحت وظيفتها فى الغالب مقتصرة على كونها شرايين اتصال.



المخطوطات

قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود الرياض

- أُنشئ منذ ما يزيد على سبع عشرة سنة.
- يضم ما يربو على ١٨٫٠٠٠ مخطوطة منها أكثر من ٨٫٠٠٠ مجلد مخطوطات أصلية والباقى مصور فى ميكروفلم أو ورق من المكتبات الأخرى داخل المملكة وخارجها.
- تتوفر فيه مكتبة مرجعية تضم عددا لا بأس به من كتب التراجم والطبقات وما يتعلق بالمخطوطات بشكل عام كما تضم عددا غير قليل من فهارس المخطوطات فى المكتبات الأخرى.
- يضم شعبة لمعالجة المخطوطات وترميمها.
- تتوفر فيه فهارس بطاقية لجميع المخطوطات سواء أصلية أو مصورة مرتبة بعدة مداخل كالعنوان والمؤلف والموضوع . . الخ.
- كما يقوم القسم بإعداد الفهارس المطبوعة المحتوية على بيانات شاملة عن كل مخطوط ويخصص لكل موضوع فهرس مستقل، وقد صدر حتى الآن ستة أقسام هى:

١ ـ الجغرافيا والتراجم والتاريخ.	٤ ـ الحديث وعلومه.
٢ ـ القرآن الكريم وعلومه.	٥ ـ اصول الدين والفرق الاسلامية.
٣ ـ الاعمال العامة والفلسفة.	٦ ـ الفقه الاسلامى وأصوله.

وتتم حاليا الخطوات النهائية لاصدار القسم السابع الخاص بفقه المذاهب الاسلامية.

- فى إطار الاهتمام بجمع صور المخطوطات من المكتبات الأخرى لوضعها فى متناول رواد القسم أوفدت الجامعة بعثات لتصوير بعض المخطوطات من المدينة المنورة ومكة المكرمة والرياض.
- من وسائل المحافظة على المخطوطات الأصلية الموجودة فى القسم تصويرها فى ميكروفلم لاستخدامه بدلا من الأصل.
- تشتمل مقتنيات القسم من المخطوطات على جميع العلوم النقلية والعقلية وتغطى فترة زمنية تمتد من القرن الثالث الهجرى الى العصر الحاضر حيث يتوفر فى القسم عدد غير قليل من المخطوطات التى كتبت فى قرون متقدمة وبعضها مما كتبه المؤلفون انفسهم أو كتب فى عصره أو حظى بإجازاتهم.
- يقدم القسم خدماته لكافة طلاب العلم وخاصة طلبة الدراسات العليا فى مختلف الجامعات والمهتمين بالتراث الاسلامى دراسة وتحقيقا ويتم تقديم هذه الخدمات طبقا لقواعد مقرة من قبل مجلس المكتبة.

واثر الاتجاه نحو منع الضرر فى ابعاد المنشآت الصناعية التى ينتج عنها الدخان المضر أو الرائحة الكريهة أو الصوت المزعج الى اطراف المدينة.

إثر النمو المعمارى المستمر للمدن تمتد الارباض الجديدة فى اتجاهات مختلفة يحكمها موضع المدينة ومرافقه وتخطيطها القديم الى حد ما ويطبق على تخطيط هذه الامتدادات نفس القواعد التى تحقق النفع وتمنع الضرر فتكرر الهيئة الاولى لتخطيط المدينة بنفس الاسلوب وتكون منشآتها الصناعية التى يتسبب دخانها وروائحها الكريهة وصوتها المزعج فى احداث الضرر فى اطراف هذه الارباض أو الامتدادات العمرانية.

وربما تدعو الحاجة الى انشاء الامتدادات العمرانية الجديدة ملاصقة أو مجاورة للمنشآت الصناعية التى انشئت قبلا عند اطراف المدينة الام وفى هذه الحالة لا يسمح القانون الاسلامى بازالة هذه المنشآت لان ضررها مدخول عليه والضرر القديم يبقى على حاله لأن المتضررين منه كان بوسعهم تجنبه بالبناء بعيدا عنه واصبح بقاء الضرر القديم على ما هو عليه قاعدة أساسية فى حل ما ينتج من مشكلات يكون سببها الضرر بأنواعه المختلفة سواء تمثل ذلك فى كشف حرمات المنازل أو غيرها . . ولم يسمح بتوسعة مصادر هذا الضرر عما كان عليه الحال قديما والا كانت هذه التوسعة الجديدة ضررا محدثا .

وصنفت القوانين الاسلامية البناء: الى بناء واجب كالمساجد والاربطة والحصون والاسوار والجسور والقناطر والسدود . . وبناء مندوب كالمآذن والاسواق . . وبناء مباح كالمساكن والحوانيت للاستغلال . . وبناء محظور كبناء القبور والكنائس وحانات الخمور وغيرها من المبانى التى تخالف احكام الدين الاسلامى . . وكان لهذا التصنيف مردوده فى تكوينات المدينة الاسلامية والحرص على انشاء الواجب منها وتجنب المحظور.

وفى تفصيلات أدق تعرضت هذه القوانين الى تخطيط الوحدات المعمارية الدينية على وجه الخصوص فمنها ما يتعرض للشروط الحاكمة لبناء الميضآت و«بيوت الخلاء» ومنها ما يتعلق بحكم بناء المساجد فى المدن والقرى والبناء عليها أو اتخاذ الحوانيت اسفلها «المساجد المعلقة» وكذلك الحاق الاسبلة ومكاتب تعليم الاطفال بها وبناء بعضها على القبور أو الحاق الاضرحة بها بل ان هذه الاحكام سعت الى توجيه اسلوب زخرفتها .

وفى سبيل عدم الإضرار بالغير كانت القوانين الاسلامية التى تكفل ذلك كعدم الارتفاع بالبناء على الجيران وعدم فتح النوافذ التى تطل على حريمهم وحكم بناء الافران والمصانع والمدابغ التى يتضررون منها وعدم منع الجار من وضع عروق البناء فى بنائه وحكم اخراج الميازيب والشرفات الى الطريق وغير ذلك من المسائل الدقيقة التى تدخل فى هذا الاطار من حقوق البناء . . ومن أشهر الامور المتعلقة بذلك والتى كان لها علاقة بتخطيط التكوينات المعمارية المتلاصقة فى المدينة «**حقوق الجدار المشترك**» ومنها حقوق الارتفاق بالطرق والشوارع .

وتمشيا مع التطور العمرانى والحاجة الى الامتداد الرأسى للبنيان كانت القوانين الاسلامية التى تختص بحل المشاكل المتعلقة بحقوق «**صاحب السفل وصاحب العلو**» وتلبية لحاجات المجتمع الناتجة عن زيادة العمران بدت الحاجة ملحة بين الحين والاخر لتوسيع بعض المنشآت والمرافق العامة على حساب الممتلكات الخاصة فكانت القوانين الاسلامية التى تنظم ذلك واطرادا مع الرغبة فى زيادة العمران كانت الاحكام والقوانين المتعلقة بالبناء فى الارض الموات .



وكانت هذه القوانين الاسلامية المتعلقة بالبناء سبيلا فى تحقيق الهدف الاصلى لتخطيط المدن بالرؤية التى عرضناها ومساعدا على نمو عمران المدينة نموا محكوما بهذه الرؤية التخطيطية التى تعكس المفهوم الاسلامى لتخطيط المدينة.. ومن هنا كان التشابه الواضح بين المدن الاسلامية رغم اختلاف أقاليمها وعصورها لان المحاور والاسس التى تحكم تخطيطها واحدة نابعة من هذا المفهوم.

الهامش

(١) روبرت ماك آدمز: أطراف بغداد تاريخ الاستيطان فى سهول ديالى.. ترجمة د. صالح احمد العلى، د. على محمد المياح، د. عامر سليمان - نشر المجمع العلمى العراقى بغداد سنة ١٩٨٤م ص٣١٢-٣٥١

د. يعقوب ليستر: بغداد فى العهود العباسية الاولى - ترجمة د. صالح احمد العلى - نشر المجمع العلمى العراقى بغداد سنة ١٩٨٤، ص٢٧٥-٢٨٦.

(٢) عبد الجبار ناجى: المدينة العربية الاسلامية فى الدراسات الاجنبية دراسة نقدية معاصرة، المورد مجلد ٩ عدد ٤ سنة ١٤٠١هـ، ص١٦٢، ص١٦٣.

(٣) ابن الازرق: بدائع السلك فى طبائع الملك، تحقيق د. محمد عبد الكريم، نشر الدار العربية للكتاب، سنة ١٩٧٧م ج١ ص٢٢٣-٢٣١.

(٤) ابن رضوان: الشهب اللامعة فى السياسة النافعة، تحقيق د. سامى النشار، نشر دار الثقافة - الدار البيضاء سنة ١٩٨٤، ص٢٣٢، ابن الازرق المرجع السابق ج١ ص٢٣٣

(٥) ابن خلدون: المقدمة ج٣ ص٨١٣، ٨١٤.

(٦، ٧) ابن الازرق: المرجع السابق ج١ ص٢٢٥

(٨) ابن رضوان: المرجع السابق ص٢٣١-٢٣٢

(٩) جعفر ابن قدامة: الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتعليق محمد حسن الزبيدى - دار الرشيد للنشر سنة ١٩٨١م ص٤٣٢-٤٣٣

(١٠) Charles L. Redman: The rise of civilization from early farmer to Urban Society Near East, W.H. Freeman and company San Francisco, 1978, P.P. 215-242

(١١) مصطفى الموسوى: العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية لاسلامية - دار الرشيد للنشر سنة ١٩٨٢م ص٣٥٥

(١٢) عبد الجبار ناجى: مفهوم العرب للمدينة الاسلامية - مجلة المدن العربية عدد ١٤ سنة ١٩٨٤م ص٥٠

(١٣) محمد جمال الدين القاسمى: اصلاح المساجد من البدع والعوائد نشر المكتب الاسلامى - الطبعة الرابعة سنة ١٣٩٩هـ، ص٤٩-٥٤.

(١٤) المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم طبعة ليدن سنة ١٩٠٦م، ص٤٧.

(١٥) F.Benet: The Ideology of Islamic Urbanization in Inter-national. J. of comparative sociology, vol. IV, 1963, p.215.

(١٦) ابن منظور: لسان العرب - طبعة بيروت سنة ١٩٧٠م ج١٧، ص٢٨٨-٢٨٩، وراجع مادة صطم.

(١٧) الهرثمى: مختصر سياسة الحروب - تحقيق: عبد الرؤوف عون، مراجعة د. محمد مصطفى زيادة، نشر المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ص٥٦.

(١٨) القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر - بيروت، ص٧-٨.

(١٩) عبد الجبار ناجى: مفهوم العرب للمدينة الاسلامية، مجلة المدن العربية، نشر منظمة المدن العربية، عدد ١٥ السنة الثالثة سنة ١٩٨٤م، ص٥٨-٦٢.

(٢٠) أحمد ابراهيم حسن: مدينة الكويت، رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة القاهرة سنة ١٩٧٧م، ص٣٤٠-٣٤١.

(٢١) حمدى الديب: مدينة قنا رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة القاهرة، سنة ١٩٨٠م ص٢٧٤.

(٢٢) محمود مكى: مدريد العربية، وزارة الثقافة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر، ص١٣-١٧.

(٢٣) حمدى الديب: المرجع السابق ص٢٧٤

(٢٤) ابن الربيع، تدبير الممالك على التمام والكمال ص١٨.

(٢٥) د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب فى العصر الاسلامى، مؤسسة شباب الجامعة - الاسكندرية ص٤٤١-٤٤٢.

(٢٦) د. جمال حمدان: جغرافية المدن، القاهرة، سنة ١٩٧٧م ص٣٢٤.

(٢٧) د. جمال حمدان: المرجع السابق، ص٣٢٤

(٢٨) القزوينى: المرجع السابق، ص٨

(٢٩) القزوينى: المرجع السابق ص٢٩٦.

(٣٠) القزوينى: المرجع السابق ص٣٢٧

(٣١) القزوينى: المرجع السابق، ص٥٠، ٥٤٥

(٣٢) ابن الازرق: بدائع السلك فى طبائع الملك. تحقيق د. سامى النشار - بغداد، ج٢، ص٧٦٦.

(٣٣) انظر شكل رقم (١) عن القزوينى.

(٣٤) بيتر فارب: بنو الانسان: ترجمة زهير الكرمى: سلسلة عالم المعرفة، الكويت سنة ١٩٨٠م ص١٣٩

(٣٥) حمدى الديب: مدينة قنا - ماجستير مقدم لجامعة القاهرة سنة ١٩٨٠م، ص٢٧٤

(٣٦) ابن الربيع: المرجع السابق ص١٢١.





العمارة الاسلامية شاهد على التطور

د. محمود ابراهيم حسين
قسم الآثار والمتاحف
جامعة الملك سعود

لا شك أن فن البناء عند شعب من الشعوب لا يبدأ من نقطة الصفر، إذ لابد وأن يكون فى ميراث كل شعب من هذا الفن شيىء، وبالتالى تصبح مهمة أجياله فى كل عصر من العصور هى التغيير والتطوير عن طريق إضافة عناصر جديدة إلى مكونات فن البناء عند هذا الشعب وهكذا كان الامر بالنسبة للعمارة الاسلامية.

ولا بأس أن تكون البداية طرح السؤال التقليدى: ما هى العناصر التى وجدت عند العرب المسلمين من فنون العمارة والبناء؟..

وهناك للاجابة رأيان:

الاول هو أن العرب قبل الاسلام لم تكن لديهم سوى مفاهيم بسيطة عن فن البناء وانهم لم يجلبوا للبلاد المفتوحة سوى البسيط من العناصر المعمارية.. وأن كل مفاهيمهم المعمارية كانت تكفى للتعبير البسيط عن حاجاتهم وأن منطقة الجزيرة العربية كانت تشكل فراغاً معمارياً كاملاً

والرد على هذا الرأى ـ وهذا الرد فى نفس الوقت يمثل الرأى الثانى ـ لا يحتاج إلى تحليلات معمارية علمية دقيقة فالعمارة وفن البناء يدخلان ضمن النشاط البشرى للانسان ويرتكزان على خبرة هذا الانسان الجمالية والخبرة الجمالية بدورها تجربة انسانية لا يختص بها قوم دون قوم أو جنس بشرى دون جنس آخر أو حتى عصر تاريخى دون عصر آخر، بل هى ظاهرة بشرية عامة، وفن البناء والعمارة يعكس احساس الانسان بالطبيعة المحيطة به إحساساً عميقاً وفيرا وهذا الاحساس



قبة الصخر (لوحة ١)



القيروان ـ المسجد الكبير من الداخل (لوحة ٢)

لا يأتى من فراغ بل يسبقه إكتشاف لنظام البيئة المحيطة بهذا الانسان ويعقب مرحلة الاكتشاف مرحلة الانسجام مع البيئة والتوافق معها والانتفاع بعناصرها.

ولذلك فأصحاب هذه النظرية فاتهم أن يبحثوا عن الانسان الموجود وراء هذا التراث المعمارى.. ففى حياة الرسول ﴿ﷺ﴾ كان الحرم المكى يتوسط العديد من الأبنية وكان لكل بطن من بطون القبائل العربية مساكنهم التى يعيشون فيها، وكان يوجد فى هذه المدينة بيوت أشبه بالقصور، لكن حب العرب للصحراء جعلهم دائمى الارتحال فيها وكانت المدينة أيضاً تحوى العديد من الأحياء السكنية المبنية بالطوب والحجر، وكانت لها حصونها المنيعة التى تلتف أسوارها حول الأحياء ومساكن القبائل بها.. وكذلك كانت مدينة الطائف مصيفاً لكل القبائل العربية فى ذلك الوقت، وكان بها الى جوار البساتين العديد من القصور والأبنية وأصحاب نظرية فراغ الجزيرة العربية من المبانى يغفلون عن جهل أو سوء فهم أن شمال الجزيرة ووسطها وجنوبها وغربها وشرقها كانت مراكز لحضارات قديمة وكذلك المراكز العمرانية والسكانية التى انتشرت بها والتى نال بعضها الآن إهتمام العلماء فى مجال المسح والتنقيب الأثرى.

وكُتُبُ المؤرّخين مليئة بالروايات عن عمارة الجزيرة العربية القديمة ومواد البناء المستخدمة فيها ونحن لا نبالغ إذا قلنا ان فن البناء عند العرب فى تلك الفترة الزمنية المبكرة كان له طرازه الفنى وبالتالى كان قائماً على اسس ثابتة تستخدم فيه العديد من المواد الخام مثل الحجر والخشب وهما مادتان متوفرتان فى الجزيرة العربية واحدة الى تلك الغابات الممتدة فى جنوب الجزيرة تؤكد وفرة المادة كما ان سلاسل الجبال تؤكد وفرة مادة الحجر أيضاً.

ولقد غاب عن فكر أصحاب هذه النظرية أن فن البناء يتناسب مع ذوق من يعيش فيه . . فما يناسب بلاداً باردة الطقس قد لا يتناسب مع بلاد مناخها حار، وكذلك الأمر بالنسبة لعمارة بلاد تكثر فيها الزلازل وبلاد خارج نطاق هذه الظاهرة الجيولوجية . . وخلاصة الأمر أن العمارة الاسلامية لها أصولها التى خرجت بها تلك الجيوش الاسلامية الى البلاد المفتوحة وفى البلاد المفتوحة كانت بداية التغيير والتطوير فى فن العمارة الاسلامية . . فهناك التقت عناصر معمارية محلية مع أخرى وافدة وهنا بدأ المزج بين تلك الاساليب كلها حيث صهرت كلها فى بوتقة واحدة لتشكل بداية التطور نحو الطراز المعمارى الأسلامى وعناصر التطور فى تلك المرحلة المبكرة كانت ترتكز على الأساليب المعمارية التى سادت بلاد الشام ومصر، وكذلك شرق العالم الاسلامى المتمثل فى ذلك الوقت فى ايران والعراق؛ ففى بلاد الشام ومصر سادت تقاليد معمارية هلينية وبيزنطية وكذلك سادت تقاليد مختلفة فى فن العمارة فى العراق وايران وبالاضافة الى الاختلاف فى مدارس العمارة اختلفت مواد البناء المستخدمة فى عالم الدولة العربية الأسلامية فكان لابد من صهر هذه المدارس المعمارية المتباينة . . وكانت البداية بناء المسجد، فالمسجد عند المسلمين شكل أهم مظهر للتطور المعمارى فى تلك المرحلة المبكرة . . وتتلخص عملية بناء المسجد فى توفير مكان جاف نظيف يتيح لجماعة المسلمين أداء الصلاة مع مراعاة الظروف المناخية التى تسود تلك البيئات وبدأ المسلمون فى تلك الفترة فى إنشاء مبان بسيطة على نفس النمط المعمارى المعروف فى مسجد الرسول ﴿ﷺ﴾ واستخدم المسلمون عناصر وخامات كانت موجودة فى البلاد المفتوحة بعضها تم أخذه من أماكن مهجورة واستفادوا به ثم أعادوا استخدامه فى اطار تصميمات معمارية جديدة . . ومن أهم هذه العناصر كانت الأعمدة وعمارة المسجد الاسلامى المبكر أبلغ دليل على معرفة هؤلاء المسلمين بفن البناء والعمارة، ذلك أن المؤرخين وصفوا لنا مراحل البناء والتى كانت تبدأ بتجديد المساحة ثم بناء الاعمدة والأسقف «الظلات» وكان موقع المسجد يتوسط المدينة بحيث يستطيع المسلمون رؤيته من أى مكان فى المدينة، ولأن المسجد الجامع يرتبط بإدارة شئون جماعة المسلمين، لهذا السبب بنيت دار الامارة الى جوار هذا المسجد وارتبط المسجد منذ تلك الفترة المبكرة بكتلة معمارية أخرى تضم إدارة الولاية أو المدينة أو الاقليم .

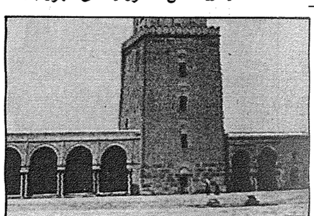
هكذا كان الأمر فى مساجد البصرة والكوفة ومسجد عمرو بن العاص بالفسطاط ولابد وأن نضيف عامل الوقت الذى كان يؤدى دوراً هاماً فى مراحل البناء فى تلك الفترة المبكرة من عمر العمارة الاسلامية، ذلك أن جماعة المسلمين كان لابد لها من ممارسة الشعائر والعبادات وبالتالى يجب بناء المسجد بالسرعة الممكنة وقد استعمل المعمارى المسلم أحياناً الأعمدة السليمة والقائمة فى أبنية مهجورة تعود الى فترات تاريخية سابقة وفى بعض الاحيان كان المعمارى يستخدم جذوع النخل محل هذه الاعمدة الحجرية أو الرخامية وكانت الأسقف وسيلة سريعة لكى تقى الناس حرارة الشمس وأشعتها أثناء الصلاة . . وبدأ التحول والتطور بعد مرور مرحلة الانشاء للمبانى الدينية المبكرة وقد أخذ التطور جوانب متعددة ـ ذلك أن ازدياد عدد المصلين من المسلمين والناتج عن ازدياد الدخول فى الاسلام من قبل شعوب البلاد المفتوحة أمر أوجب زيادة مساحة المساجد كما أن ازدياد أعداد الحجاج الى بيت الله الحرام والى المسجد النبوى الشريف أوجب ازدياد المساحة المخصصة للمسلمين للصلاة فى تلك الاماكن . . وهذا ما يفسر لنا زيادات الخلفاء عمر



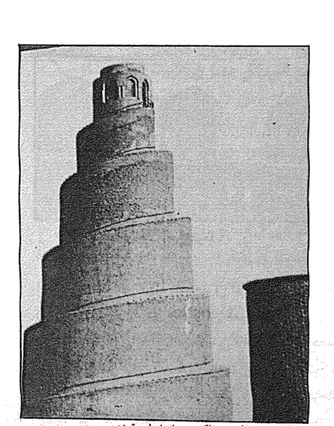
وعثمان فى المسجد النبوى وعمارة الحرم المكى وقد تم الأمر نفسه بالنسبة لمساجد الامصار فى مصر والشام والعراق وإيران وشمال افريقيا (لوحة ١، ٢، ٣).

والعنصر الثانى فى التطور بعد زيادة المساحة كان من تغير مادة البناء وإحلال الأحجار بدلا من الطوب اللبن. . كذلك ظهور عناصر معمارية جديدة فى عمارة المسجد مثل المئذنة والمحراب المجوف تُعدّ من عناصر التطور الهامة فى فن العمارة عند المسلمين (لوحة ٣).

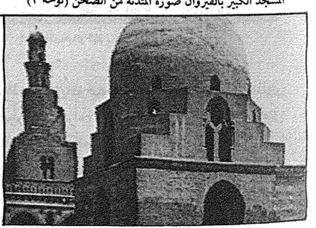
وقد استمر التطور السابق لفترة زمنية محدودة أعقبه تطور شمل تخطيط المسجد وتصميمه المعمارى - فالمسجد الأموى بدمشق استمد تصميمه المعمارى من المسجد النبوى مع بعض المتغيرات التى أوجبها شكل المساحة التى بنى عليها المسجد. . ونلاحظ هنا أن المسلمين استخدموا الجدران الخارجية لأحد المعابد الرومانية إلا أن التخطيط المعمارى يؤكد بوضوح إنتماءه الى فن البناء العربى الاسلامى وكذلك الأمر بالنسبة للزخارف الداخلية والخارجية للمسجد فهى تعكس التطور الجديد الذى طرأ على فن العمارة الاسلامية وينعكس التطور أيضاً فى ظهور مجاز القـ اة أه اا واق القاطع الذى كان ظهوره محاولة من المعمارى



المسجد الكبير بالقيروان صورة المئذنة من الصحن (لوحة ٣)

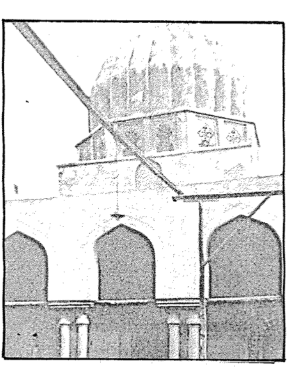


المسجد الكبير بسامرا (لوحة ٤)

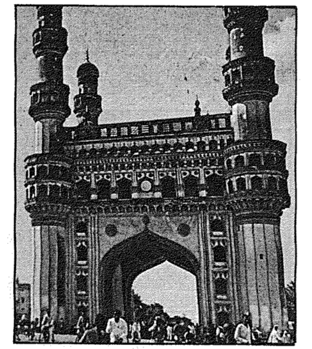


مسجد ابن طولون (لوحة ٥)

المسلم لتأكيد أهمية المحراب الذى يتجه الى الكعبة، قبلة المسلمين ويعتبر ظهور العقود المدببة وكذلك تلك التى على شكل حدوة الفرس من معالم التطور الذى طرأ على فن العمارة الاسلامية فى ذلك الوقت سواء فى شرق العالم الاسلامى أو غربه ويستمر التطور طيلة العصر الأموى بأكمله ثم جاء العباسيون بتطورات جديدة فى فن العمارة الدينية الاسلامية ويتضح هذا التطور فى عمارة الجامع الكبير فى بغداد والذى وصلتنا مميزاته وصفاته عن طريق كتابات المؤرخين المسلمين وكيف كان يقع فى مركز المدينة ومنه تتفرع الطرق الرئيسية الى أبواب المدينة. . والواقع أن اكتساح المغول لبغداد أدى إلى زوال معظم آثارها مما أدى الى فجوة فى التطور المعمارى القائم فى العصور الاسلامية ولكن لحسن الحظ لازالت بعض من آثار العصر العباسى الدينية قائمة الى الآن فى أماكن كثيرة فى مصر وايران وشمال أفريقية، بينما كشفت الحفائر فى مدينة سامراء عن آثار المدينة العباسية وتعتبر آثار مساجد سامراء وأبى دلف والقيروان ومبانى مسجد احمد بن طولون وبعض أجزاء من جامع القيروان من أهم النماذج العباسية للعمارة الدينية (لوحات ٤-٥).



من مساجد الاحياء (لوحة ٦)



مسجد حيدر اباد - الهند «جهرمنار» (لوحة ٧)

وينحصر التطور فى عمارة المسجد فى تلك الفترة فى زيادة المساحة زيادة ضخمة وبناء المئذنة بالشكل الملوى وخارج المسجد كما هو الحال فى مسجدى أحمد بن طولون وسامراء، كما طرأ تطور على مادة البناء فى استعمال الآجر كمادة للبناء بدلاً من الحجر، واستخدمت الدعامات الحاملة للعقود بدلا من الأعمدة، أما من الناحية الزخرفية فقد استخدمت زخارف جصيّة لتغطية حوائط المساجد عرفت زخارفها عند مؤرخى الفن باسم زخارف طراز سامراء وهى زخارف مستوحاة من عناصر بنائية بعدت عن اصولها وبدت فى ثوب جديد محور عن الطبيعة.



كما تبلور التطور المعمارى فى ذلك العصر فى ظهور تاج العمود الاسلامى على شكل كأس أوناقوس كما ظهرت المقرنصات وهى عبارة عن فجوات أشبه بأنصاف القباب تطورت فصارت أشبه بخلية النحل، ويعتبر العصر العباسى الثانى من الناحية السياسيّة عصر ضعف وتفكك وذلك نتيجة لظهور دولة مستقلة عن الخلافة - إلا أن هذه الفترة الزمنية من ناحية أخرى تمثل نهضة معمارية ضخمة، ذلك أن كل دولة من الدول المستقلة عن الدولة العباسية، بدأت بدورها فى جذب الفنانين والمعماريين والصناع إليها، كما بدأت أيضاً فى استحداث عناصر جديدة فى العمارة الاسلامية.

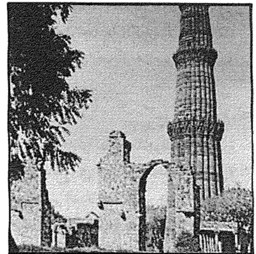
ففى مصر والشام بدأ الطراز الفاطمى فى التطور ولازال الكثير من آثار الفاطميين قائماً. يشهد بالتطور المعمارى فى هذا العصر ويتمثل هذا التطور المعمارى فى ابتكار مساجد «الأحياء» أو مساجد الوزراء وهى نوع من المساجد الصغيرة انتشرت فى أحياء العاصمة الفاطمية «القاهرة» مثل جامع الصالح طلائع والجامع الأقمر وغيرها. . وعلى الرغم من الصغر النسبى لمساجد الأحياء عن المساجد الجامعة الكبيرة إلا أنها كانت تعكس تصميمات معمارية جديدة غاية فى الاناقة والجمال سواء من حيث الزخارف أو عناصرها المعمارية (لوحة ٦).

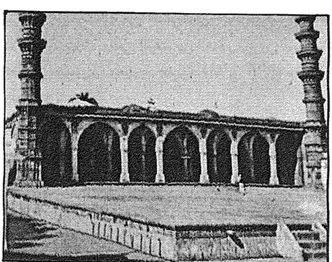
وإذا تركنا الفاطميين واتجهنا الى السلاجقة لوجدنا أن السلاجقة بدورهم أحدثوا تطوراً ملحوظاً من العمارة الاسلامية الدينية ويتمثل هذا التطور فى بناء مساجد مثل مسجد «آولوجامع» فى أرمينا ومسجد «سيواس» ومسجد «علاء الدين» فى قونية. . ومن مظاهر التطور فى فن العمارة فى عصر السلاجقة ظهور منشأة معمارية جديدة هى المدرسة والمزج بينها وبين عمارة المسجد بمعنى أن كثيراً من المساجد الجامعة صممت لها ايوانات كى تصبح مدارس، كما أن كثيرا من المدارس كان يستخدم كمساجد. . والتحليل المعمارى لمنشآت السلاجقة الدينية يؤكد بوضوح إستمرار التخطيط المعمارى المأخوذ عن مسجد الرسول ﴿ﷺ﴾ بالمدينة المنورة. . ولقد شهد الطراز السلجوقى تطوراً واضحاً فى مجال الزخارف على العمائر الدينية فقد اصبحت واجهات العمائر أشبه بالبُسُط المزخرفة كما تعتبر مآذن المساجد السلجوقية دليلا آخر على التطور فى العمارة الاسلامية السلجوقية فقد ابتكر المعمارى المسلم البدن المستدير فى المئذنة وتنتهى هذه المئذنة من أعلى بما يشبه القبة. . وإذا اتجهنا الى الشرق لوجدنا أن العمارة الدينية فى الهند قد شهدت بدورها تطوراً ملحوظاً تمثل فى المزج بين عناصر معمارية هندية قديمة وبين عناصر اسلامية جديدة فالعمارة الهندية القديمة بما تتميز به من زخارف كثيفة متجاورة متعددة المستويات تركت أثراً واضحاً فى عمارة المسجد الاسلامى الذى أصبح يتميز بأناقة بالغة كما أن كثيراً من السلاطين فى الهند اكثروا من بناء الحدائق والجداول المائية حول المساجد وقد انتشر فى الهند نوع من المساجد أشبه بمساجد الأحياء فى القاهرة الفاطمية وعرفت هذه المساجد فى الهند بأسم «الروضة» وهى عبارة عن مصلى صغير فيه بيت للصلاة ومحراب وتعتبر المآذن المضلعة من مظاهر التطور فى عمائر المساجد بالهند الاسلامية وأضاف المعمارى المسلم فى الهند عنصراً جديداً لعمارة المسجد

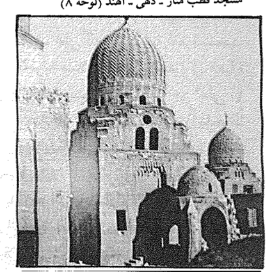
تمثل هذا العنصر فى تعدد بيوت الصلاة فى المسجد الواحد كما هو الحال فى مسجد السلطان «أكبر» فى «آجرا» وشاع أيضاً استخدام الحجر الرملى الأحمر فى البناء، أما داخل المساجد فكان يبطن بالمرمر (لوحة ٧، ٨، ٩).

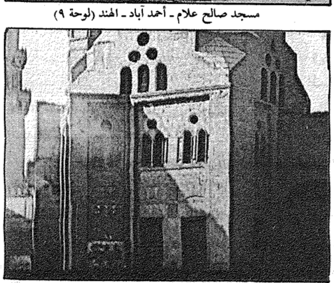
واتجه التطور فى الطراز المملوكى لعمارة المساجد الى تحويل عمارة المساجد الى مجموعات معمارية كبيرة تضم مسجداً ومدرسة وأحياناً منشآت اجتماعية وتعليمية مثل «السبيل البيمارستان والكتاب».

وتزخر مدينة القاهرة وكذلك دمشق وأجزاء كثيرة من شمال الجزيرة العربية بالعمائر التى تظهر التطور الذى أحدثه المماليك فى فن العمارة والإنشاء وتعتبر مساجد الظاهر بيبرس والناصر محمد بن قلاوون والمؤيد شيخ ومسجد قايتباى ومنشآته فى مصر والشام وكذلك منشأة السلطان الغورى من أهم الأمثلة التى تؤكد التطور الكبير الذى طرأ على فن العمارة الدينية فى ذلك العصر (لوحات ١٠-١١).


مسجد قطب منار - دلهى - الهند (لوحة ٨)


مسجد صالح علام - أحمد آباد - الهند (لوحة ٩)


مسجد برسباى البجاسى - القاهرة (لوحة ١٠)


مسجد خاير بك - القاهرة (لوحة ١١)



وأما فيما يتعلق بالمغرب العربى الاسلامى والاندلس فقد بدأ التطور بعناصر مستقاة من فن العمارة المشرقية وعبر مرور الوقت بدأ تحول هذه العمائر الى طراز خاص له مميزاته وشخصيته المستقلة فى إطار من وحدة العمارة الاسلامية وابتكر المعمارى المسلم الأقواس المزدوجة لزيادة إرتفاع الأسقف كما تفنن فى هيئات المحاريب وزيادة عمق الحنية وتوسع فى استعمال الأقواس المدببة والسقوف الخشبية المزخرفة واستمر هذا التطور الذى تأثر ولا شك بالبيئة الجديدة للمسلمين فى الأندلس، حيث ظهر لنا فى أبدع مظاهره فى آثار قصر الحمراء (لوحة ١٢).

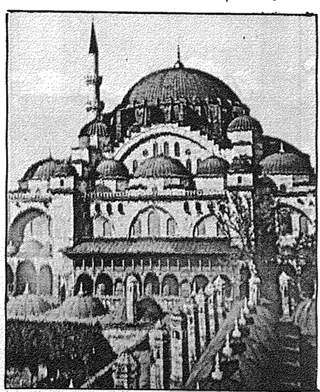
وإلى جوار الأمثلة السابقة لمظاهر تطور العمارة الاسلامية نجد أن العصرين التيمورى والصفوى قد أحدثا تغيرات كبيرة فى العمارة الاسلامية فقد اكثر الفنانون من استخدام القيشانى فى تغطية العمائر وبدأوا

مسجد جامع اصفهان (لوحة ١٣)

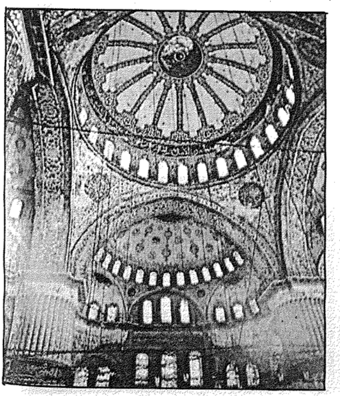
غرناطة ـ الهمبرا (لوحة ١٢)

فى استخدام انواع من الدعامات الحجرية لتستطيع حمل العقود الضخمة وبدأ الصحن المكشوف يتضاءل الى أن أختفى كما ظهرت المآذن العظيمة الارتفاع ويتمثل هذا التطور فى مسجد تيمورلنك فى سمرقند وفى العصر الصفوى بدأ المعمارى المسلم يتجه الى الفخامة فى البناء وارتفاع الجدران واستعمال القباب المرتفعة وكذلك فرش الأرضيات فى المساجد بالمرمر واستحداث عمارة النافورات وكذلك بناء الحدائق حول المساجد من أهم الأمثلة التى يتضح فيها هذا التطور . . مسجد أردبيل وكيوك جامع . . (لوحة١٣) .

وتعتبر التطورات المعمارية التى أحدثها العثمانيون من الأتراك من أهم المتغيرات التى طرأت على فن العمارة الاسلامية فى تلك المرحلة المتأخرة أما الأتراك العثمانيون فقد ورثوا السلاجقة وكذلك المماليك والصفويين على أن مرحلة انتقال عاصمتهم الى القسطنطينية كانت تمثل قمة التطور فى فن العمارة والانشاء وكانت ظاهر هذا التطور كثيرة ومتنوعة سواء فى اتساع بيت الصلاة المتعدد الأروقة أو فى ظهور القبة الكبيرة لحاطة بمجموعة من القباب الصغيرة حولها وقد تطورت عمارة هذه القبة الى أن صارت تغطى بيت لصلاة كله ولقد تأثر المعمارى المسلم فى العصر العثمانى بنموذج عمارة «أياصوفيا» وبدأ المعماريون المسلمون فى إنشاء مساجد تماثل هذا البنيان وتفوقه فخامة وأناقة ودقة فى التصميم ويتضح هذا فى مسجد المحمدية الذى تبدو فيه العقود العالية المتقاطعة والتى يقوم البناء فيها على توازن دقيق وبصفة عامة فإن إضافات العثمانيين للعمارة الاسلامية تكمن فى الاعتماد على الخطوط الهندسية المعقدة والقباب الكثيرة الأشكال والاحجام والمآذن البديعة الرشيقة التى تشبه السهام المنطلقة إلى أعلى (لوحة ١٤-١٥).



اسطنبول - جامع السليمانية (لوحة ١٤)

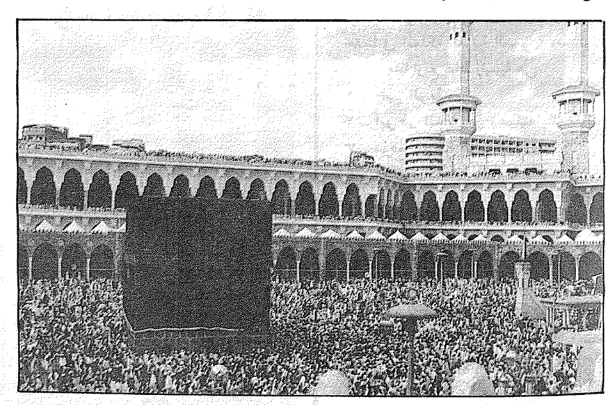


جامع سليم (لوحة ١٥)



ولابد من الاشارة فى عرض كهذا الى اولئك المهندسين المسلمين الذين ارتبطت أعمالهم بمظاهر التطور السابقة فى العمارة الاسلامية والواقع أننا نعانى من قلة اسماء هؤلاء: المعماريين وإن كانت بعض المخطوطات الاسلامية حوت أسماء بعضهم وأشارت الى اماكن ميلادهم وعملهم ومن هؤلاء عبد الله بن محرز وكان من مهندسى القرن الثانى وذكره اليعقوبى فى كتابة البلدان و«عمر الوادى». . وذكره ياقوت الحموى فى «معجم البلدان» وأشار أن هذا المعمارى قد عمل فى أيام الخليفة الوليد بن عبد الملك وهناك أسماء كثيرة منها: «على بن محمد المكى وابن عيسى الأنصارى. . ومحمد بن خيرة ابن العطار. . وأبو بكر البناء». . ويبدو أن مكانة هؤلاء المعماريين كانت تزداد بمرور الزمن، فعلى سبيل المثال نجد أن سنان ومدرسته المعمارية فى العصر العثمانى قد حظوا بمكانة اجتماعية خاصة. .

وهكذا يتضح لنا من العرض السابق أن العمارة الاسلامية بصفة عامة، والدينية منها بوجه خاص كانت شاهدا على التطور الذى شهدته العصور الاسلامية فى أدوارها المختلفة وقد قصرنا مراحل التطور هذه على عمارة المسجد فى هذه الورقة





الربذة تاريخا وحضارة

دكتور
سعد عبد العزيز الراشد
قسم الآثار والمتاحف
جامعة الملك سعود

تعتبر الآثار الاسلامية على وجه الخصوص من المصادر الأساسية فى دراسة تاريخ جزيرة العرب وحضارتها ولا سيما الفترة الاسلامية المبكرة وتبدو أهمية الآثار فى انها تمدنا بكثير من المعلومات التى قد لا نجدها فى كثير من الاحيان فى المصادر المكتوبة. . وتكاد الآثار المكتشفة تفوق فى اهميتها الى حد كبير ما سجلته لنا كتب التاريخ وغيرها من المصادر. . فهى تعبر عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتاريخية المكتوبة، أو مكملة لما هو معروف. . وفى كثير من الاحيان تكون الآثار مناقضة لما بين ايدينا من مصادر تاريخية وجغرافية وأدبية أو مصححة لها.

والربذة من المواقع الآثارية الاسلامية المكتشفة حديثا فى المملكة العربية السعودية وسنتناول فى حديثنا عنها اربع نقاط رئيسية هى:

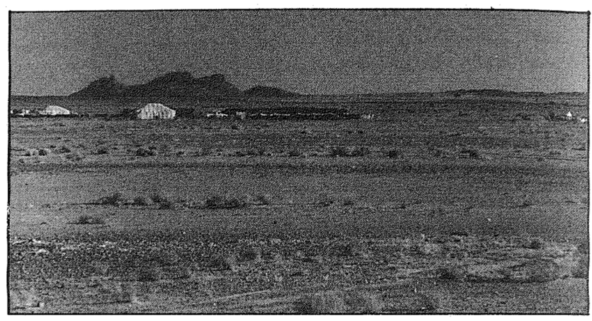
١ ـ حِمى الربذة.
٢ ـ أبو ذر الغفارى وصلته بالربذة.
٣ ـ موقع مدينة الربذة.
٤ ـ الاكتشافات الآثارية بالربذة.

اولا: حمى الربذة:

عرف الحمى فى اللغة بأنه: «الموضع فيه كلأ يُحمى من الناس ان يرعوه. . أى يمنعونهم»(١) وعرف شرعا بأنه «موضع من الموات يُمْنع من التعرض له ليتوفر فيه الكلأ فترعاه مواشٍ مخصوصة (٢).

وقد نهى الرسول «ﷺ» ان يحمى على

منظر عام من منطقة الربذة يوضح جبل سنام احد المعالم الجغرافية المذكورة فى المعاجم الجغرافية وكتب الرحالة المسلمين



الناس كما كان الحال عليه فى الجاهلية، وذلك كما ورد فى الحديث الشريف «لا حمى الا لله ورسوله»(٣) وقد عرفت فى جزيرة العرب احماء كثيرة من اهمها: حمى الربذة وحمى ضرية وحمى فيد وحمى النير وحمى ذى الثرى وحمى النقيع وغير ذلك(٤) وقد حمى الرسول ﴿ﷺ﴾ بعض هذه الأحمية مثل (حمى النقيع)، والبعض الآخر حماه الخليفة عمر بن الخطاب. ويعتبر حمى الربذة من اهم المناطق الرعوية منذ عهد الخلافة الراشدة واستمرت كذلك حتى عهد الخليفة المهدى فى العصر الأول لدولة بنى العباس وتجمع المصادر المختلفة بأن الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو اول من حمى الربذه لإبل الصدقة وخيل المسلمين(٥)

ويذكر ياقوت الحموى عن حمى الربذة ما يلى: «وحمى الربذة اراده رسول الله ﴿ﷺ﴾ بقوله: لنعم المنزل الحمى لولا كثرة حيَّاته، وهو غليظ الموطىء كثير الحموض تطول عنه الأوباء وتنفتق الخواصر ويرهل اللحم»(٦).

وتذكر المصادر أن حمى الربذة عندما حماه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى سنة ١٦هـ/٦٣٧م جعل اتساعه (بريدا من بريد) ثم زادت مساحة الاحماء حتى عهد الخليفة العباسى أبى عبد الله محمد المهدى (١٥٨-١٦٩هـ) (٧٧٥-٧٨٥م) عندما أصبحت الاحماء لم تعد فى ملك الدولة الاسلامية(٧).

ويعتبر حمى الربذة من أغنى المناطق المحمية فى عصر الدولة الاسلامية المبكرة من حيث كثافة المرعى وفى ذلك يقول صاحب كتاب المناسك: «اذا عقد البعير شحما بالربذة سوفر عليه سفرتان لاتنقصان شحمه»(٨) وتذكر بعض المصادر ان عمر ابن الخطاب - رضى الله عنه - كان يحمل للجهاد فى سبيل الله اربعين الف بعير فى العام الواحد(٩) مع العلم بأن المصادر المبكرة كثيرا ما تقرن حمى ضرية بالربذة عند ذكر اعداد الجمال والخيول التى كانت تخرج للجهاد كل عام.

وإذا ما اخذنا بهذه المعلومات وعن حجم العتاد الذى كان يتطلبه الجهاد فلابد ان التنظيم الخاص بالحمى كان على درجة كبيرة من الاتقان والتنظيم وكان لابد للحمى من وال يشرف عليه ويأتمر له الرعاة والمروِّضون لهذه الدواب والمحافظة على اعدادها وتكاثرها . . وفى ذلك نرى ان الخليفة عمر بن الخطاب يستعمل مولى يقال له هنى ، واليا على حمى الربذة . . ومن الوصايا التى حملها عمر لمولاه ان قال : «يا هني اضمم جناحك عن الناس واتق دعوة المظلوم ، فان دعوة المظلوم مجابة وأدخل رب الصُّرَيْمَة والغُنَيْمة واياى ونَعَم ابن عفان وابن عوف فانهما ان تهلك ما شيتهما يرجعان الى المدينة الى زرع ونخل وان رب الصُّرَيْمَة والغُنَيْمة إن تهلك ماشيته يأتنى ببنيه فيقول : يا أمير المؤمنين يا أمير المؤمنين أفتاركهم أنا ، لا أبا لك؟ فالماء والكلأ ايسر عليَّ من الذهب والورق وأيم الله انهم ليرون أن قد ظلمتهم ، انها لبلادهم ومياههم قاتلوا عليها فى الجاهلية واسلموا عليها والذى نفسى بيده لولا المال الذى احمل عليه فى سبيل الله ما حميت عليهم من بلادهم شبرا»(١٠) .

وفى ترجمة هنى مولى عمر بن الخطاب يقول إبن سعد : «اخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنى عمرو بن عمير بن هنى عن أبيه عن جده ان ابا بكر الصديق لم يحم شيئا من الارض الا النقيع وقال : رأيت رسول الله ﴿ﷺ﴾ حماه فكان يحميه للخيل التى يغزى عليها ، وكانت ابل الصدقة اذا اخذت عجافا ارسل بها الى الربذة وما والاها ترعى هناك ولا يحمى لها شيئا ويأمر اهل المياه لا يمنعون من ورد عليهم - يشرب معهم ويرعى عليهم فلما كان عمر بن الخطاب وكثر الناس وبعث البعوث الى الشام والى مصر والى العراق حمى الربذة واستعملنى على حمى الربذة»(١١) ويرى كل من الهمدانى وابن حزم ان عمر بن الخطاب ولى على حمى الربذة ابا سلامة اسيد بن مالك بن سعد بن مالك بن معاوية بن سفيان بن أرحب الذى بقيت ذريته بالربذة حتى مطلع القرن الرابع الهجرى(١٢) .

هذا ما نعرفه عن ولاة الحمى وربما كان هناك ولاة آخرون استُعْملوُا على حمى الربذة فى عصر الخلافة الراشدة وفى العصر الأموى والعصر العباسى المبكر . ولا نستبعد ان يكون ولاة الحمى قد انشأوا منازل وحفروا الآبار ووضعوا احواضا لسقى الدواب من ابل وخيل واغنام . . وعلى ضوء ما نجده فى المصادر التاريخية والجغرافية والادبية ان الربذة كانت غنية بأعشابها الكثيفة وتستوعب آلاف الدواب والماشية . . ولدينا مثال على ذلك ما رواه ابن سعد بأن عثمان بن عفان - رضى الله عنه - ترك بالربذة عند مقتله ألف بعير(١٣) .

ومن دلائل غنى حمى الربذة ما ورد فى رواية ذكرها الجاحظ على النحو التالى : قال وسأل ابو زياد الكلابى الصقيل العقيلى حين قدم من البادية عن طريقه فقال «انصرفت من الحج فاصعدت الى الربذة فى مقاط الحره ووجدت بها صلالا من الربيع فى خضيمة خمط ، وصليان وقرمل حتى لو شئت لأنخت ابلى فى اذن القفعاء فلم ازل فى مرعى لا أحسن منه شيئا حتى بلغت أهلى»(١٤) .

ومن هذه الرواية نستدل على ان الربذة او حمى الربذه كانت غنية بأشجارها المختلفة . هذا ولا تزال منطقة الربذه تتميز بغطاء نباتى ومرعى جيد حتى وقتنا الحاضر . . وتدل الدراسات المبدئية للغطاء النباتى للربذة



عن وجود اكثر من خمسين نوعا من النباتات والاشجار، من اهمها: الحمض والرمث والسمر والسلم والسيال والطلح(١٥).

ثانيا: ابو ذر الغفارى وصلته بالربذه

لقد أوردت المصادر التاريخية وكتب التراجم الربذه فى ذكر أخبار أبى ذر الغفارى وسكنه بالربذه ووفاته بها. . والمعلومات التى بين ايدينا عن هذا الصحابى الجليل ضئيلة جدا ومع ذلك فانه يمكن من خلالها استنباط كثير من المعلومات التى قد تساعد فى وضع تصور لتاريخ الربذه ومظاهر الحضارة فيها.

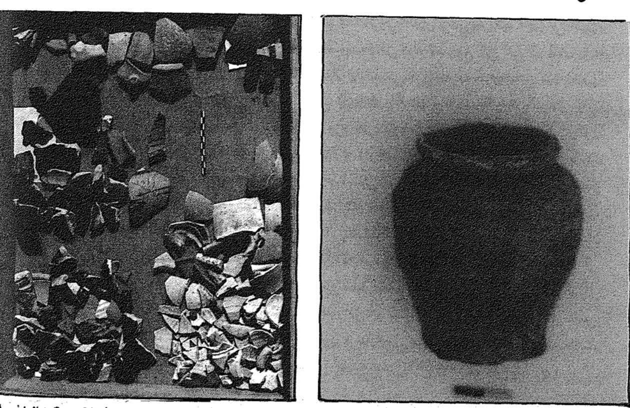
كما نجده من معلومات لدى ابن عبد البر فى الاستيعاب وابن حجر فى «الاصابة» وابن الاثير فى «أسد الغابة» والذهبى فى «سير أعلام النبلاء» وغيرهم، ان أبا ذر الغفارى كان من السابقين الاولين فى الاسلام واسمه جندب بن جنادة من كنانة من بنى غفار. ويروى انه لما بلغ أبا ذر مبعث رسول الله «ﷺ» بمكة قال لأخيه (انيس) اركب الى هذا الوادى واعلم لى علم هذا الرجل الذى يزعم انه يأتيه الخبر من السماء واسمع من قوله ثم ائتنى. . فانطلق الأخ حتى قدم مكة وسمع من قوله ثم رجع الى أبى ذر فقال رأيته يأمر بمكارم الاخلاق وسمعت منه كلاما ما هو بالشعر فقال ما شفيتنى فيما اردت، فتزود وحمل شنة له فيها ماء حتى قدم مكة فأتى المسجد. . وكان لا يعرف النبى «ﷺ» والدعوة لم تزل سرا وبقى ابو ذر يترقب للقاء رسول الله زهاء خمسة عشر يوما ليس له زاد الا ماء زمزم حتى قاده على بن أبى طالب سرا الى رسول الله «ﷺ» فسمع منه واسلم. . وقال له النبى «ﷺ» «ارجع الى قومك فأخبرهم حتى يأتيك امرى»(١٦). . وتذكر الروايات ان أبا ذر بعد خروجه من عند النبى أتى المسجد الحرام وصرخ بأعلى صوته أنه يشهد ان لا إله الا الله وان محمدا رسول الله. . فقام اليه القوم فضربوه فأكب عليه العباس وقال: «ويلكم الستم تعلمون انه من غفار وانه طريق تجاركم الى الشام؟.(١٧) او انه قال(١٨): «ويلكم تقتلون رجلا من غفار ومتجركم وممركم على غفار»؟. ويقال ان أبا ذر أسلم بعد اربعة فكان خامسا وانصرف الى بلاد قومه فأقام بها حتى قدم النبى «ﷺ» المدينة. . ومن هذا يتضح ان بنى غفار كان لهم شأن كبير فى التحكم بطرق القوافل المتجهة من مكة الى الشام. . وقد رافق أبو ذر الغفارى الرسول «ﷺ» فى بعض غزواته ومنها غزوة تبوك. . ويروى انه «كان لأبى ذر ثلاثون فرسا يحمل عليها فكان يحمل على خمسة عشر منها يغزو عليها ويريح بقيتها، فاذا رجعت حصل على الخمسة عشر الأخرى»(١٩).

ولقد تحدثت المصادر التاريخية فى نبذ مختصرة عن حياة ابى ذر الغفارى وعن اسباب خروجه الى الربذة - وعلى الرغم من الاختلاف بين الروايات وتناقضها الا اننا نتلمس فيها بعض المعلومات التاريخية الهامة. . والمعلومات المتوفرة لدينا تذكر أن ابا ذر الغفارى خرج الى الشام بعد وفاة ابى بكر الصديق - رضى الله عنه - وفى رواية اخرى أن عثمان بن عفان امر أبا ذر أن يرتحل الى الشام فيلحق بمعاوية فكان يحدث بالشام

فاستهوى قلوب الرجال»(٢٠). . وفى رواية للذهبى يقول ان معاوية كتب الى عثمان يقول: «فان كان لك بالشام حاجة او بأهله فابعث الى ابى ذر فانه قد وغل صدور الناس فكتب اليه عثمان ان اقدم على فقدم»(٢١) وفى رواية للطبرى ان معاوية أشخص أبا ذر الى المدينة سنة ٣٠هـ بعد ان ضاق به ذرعا وكان قد كتب الى عثمان يقول له «ان ابا ذر قد اعضل بى». . فكتب اليه عثمان «ان الفتنة قد اخرجت خطمها وعينيها فلم يبق الا ان تثب فلا تنكأ القرح وجهز أبا ذر الىَّ وابعث معه دليلا وزوده، وارفق به وكفكف الناس ونفسك»(٢٢). وفى رواية لليعقوبى ان معاوية كتب الى عثمان «انك قد أخذت الشام على نفسك بأبى ذر، فكتب اليه أن احمله على قتب بغير وطاء، فقدم به الى المدينة وقد ذهب لحم فخذيه»(٢٣).

أما المسعودى فيذكر «فحمله على بعير عليه قتب يابس، معه خمسة من الصقالبة يطيرون به حتى أتوا به المدينة وقد تسلخت بواطن أفخاذه وكاد أن يتلف»(٢٤).

وقد تنبه ابن الاثير لهذه الروايات وحذر منها حيث يقول: وقد ذكر فى سبب ذلك امور كثيرة من سب معاوية اياه وتهديده بالقتل وحمله الى المدينة من الشام بغير وطاء ونفيه من المدينة على الوجه الشنيع، لا يصلح النقل به(٢٥).



مزهرية صغيرة الحجم ربما من الصناعات المحلية فى الربذة يحتمل انها من القرن ٣هـ

صورة توضح انماطا من الكسر الفخارية والخزفية بعد اكتشافها فى مواقع الحفر

وقد اجمعت المصادر التاريخية على ان أبا ذر الغفارى استقر به المقام بعد عودته من الشام بالربذه ومات فيها. . ومن خلال المعلومات التاريخية الواردة بهذا الخصوص يجعلنا نتساءل عما اذا كان أبو ذر له صلة



بالربذة قبل ان يختارها مسكنا له؟ . . يروى الطبرى أن أبا ذر استأذن عثمان بالخروج من المدينة، وقال: «امرنى رسول الله ﴿ﷺ﴾ أن اخرج منها اذا بلغ البناء سلعا . قال فانفذ لما أمرك به . «يقول الطبرى: «فخرج حتى نزل الربذة فخط بها مسجدا وأقطعه عثمان صرمة من الابل واعطاه مملوكين وأرسل اليه ان تعاهد المدينة حتى لا ترتد اعرابيا ففعل»(٢٦) . . ويذكر صاحب المناسك بأن مهران الجمال هو الذى حمل أبا ذر من المدينة الى الربذة، ويقول ايضا «وبها قصر ومسجد لأبى ذر صاحب رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقال ان قبره فيه . . الخ(٢٧) .

أما اليعقوبى فيذكر رواية مغايرة لما ذكره كل من الطبرى وابن الاثير، نوردها على النحو التالى: يقول اليعقوبى ان أبا ذر لم يقم بالمدينة بعد قدومه من الشام إلا اياما حتى ارسل اليه عثمان وامره ان يخرج من المدينة حيث قال: «والله لتخرجن عنها، قال: اتخرجنى من حرم رسول الله؟. قال: نعم وأنفك راغم، قال: فإلى مكة؟ قال: لا . . قال: فإلى البصرة؟ قال: لا . . قال: فإلى الكوفة؟ . . قال: لا ولكن الى الربذة التى خرجت منها حتى تموت بها»(٢٨) .

ويؤكد اليعقوبى فى رواية سابقة عن دوافع عثمان بن عفان فى تسيير ابى ذر الى معاوية فى الشام حيث يقول: «وبلغ عثمان ان أبا ذر يقعد فى مسجد رسول الله ويجتمع اليه الناس فيحدث بما فيه الطعن عليه، وانه وقف بباب المسجد فقال: ايها الناس من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا أبو ذر الغفارى، انا جندب بن جنادة الربذى»(٢٩) .

فهل نستدل من رواية اليعقوبى هذه أن أبا ذر الغفارى كان أصلا من الربذة قبل ان يعلن اسلامه ويلتحق برسول الله ﴿ﷺ﴾ ثم عاد الى موطنه الأصلى بعد هذه المدة الطويلة؟ . . وهل كانت الربذة أو ما جاورها هى موطن قبيلة بنى غفار؟ وعلى أى حال فان أبا ذر الغفارى توفى بالربذة فى شهر ذى الحجة سنة ٣٢هـ وتولى أمر غسله والصلاة عليه ودفنه الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود وجماعة معه وصل عددهم زهاء ستة عشر رجلا كانوا قادمين فى قافلة من العراق الى مكة المكرمة لاداء فريضة الحج .

ثالثا: موقع مدينة الربذه:

لم تشتهر الربذة كحمى لابل الصدقة فقط بل ذاعت شهرتها أيضا كمدينة اسلامية على طريق الحج العراقى من الكوفة الى مكة المكرمة ولا نستبعد أن مدينة الربذة كانت معمورة قبل مجىء أبى ذر اليها لانها كانت منطقة رعوية ومركزا لتجمع القبائل . . اما اسم الربذة فيبدو انه قديم وقد سميت الربذة نسبة الى جبل أحمر، صخرة حمراء على ميل من الربذة، مما يلى المغرب فارع أحمر اسمه ربذة(٣٠) .

وفى رواية تاريخية ذكرها المسعودى يقول فيها: «وكان مبعثه ﴿ﷺ﴾ على رأس عشرين سنة من ملك كسرى ابرويز وذلك على رأس مائتى سنة من يوم التحالف بالربذة»(٣١) .

ويفهم من رواية لابن سعد عن قوم طارق بن عبد الله المحاربى انهم كانوا يقطنون الربذة عندما هاجر الرسول ﴿ﷺ﴾ الى المدينة وخلاصة الرواية ان قوم طارق ارتحلوا من الربذة ومعهم ظعينة فلما اتوا من حيطان المدينة نزلوا يلبسون ثيابا غير ثيابهم واذا برجل فى الطريق.. فقال: من أين أقبل القوم؟ قلنا: من الربذة.. قال: أين تريدون؟ قلنا: نريد هذه المدينة، قال: وما حاجتكم فيها؟.. قلنا: نمير أهلنا من تمرها.. قال ولنا جمل أحمر قائم مخطوم.. قال: افتبيعون جملكم؟ قلنا: نعم، قال: بكم؟ قلنا: بكذا وكذا صاعا من تمر، قال: فما استنقصنا مما قلنا له شيئا، ثم ضرب بيده فأخذ خطام الجمل فأدبر به فلما تولى عنا بالخطام قلنا: والله ما صنعنا شيئا وما بعنا من لا يعرف».. ثم تقول الرواية: «فأتانا رجل فقال: انا رسول الله ﴿ﷺ﴾ اليكم، هذا تمركم فكلوا واشبعوا واكتالوا.. قال: فاكلنا واكتلنا واستوفينا وشبعنا».. (٣٢).

وينفرد ابن رستة عن غيره من الجغرافيين المسلمين فى اعطاء وصف مختصر مفيد عن الربذة، حيث يقول: «ومن مغيثة الماوان الى الربذة ٢٤ ميلا، وهو منزل فيه أعراب وماء كثير من برك وآبار، وفيه منزل أبى ذر الغفارى وقبره، وفيه مسجد جامع وهى من القرى القديمة فى الجاهلية»(٣٣).

وهذه المعلومات لعلها تدلل على ان الربذة كانت عامرة بالسكان قبل الاسلام، أو انها كانت تشهد بعض النشاطات السكانية، وان كنا لم نعثر حتى الآن على أي آثار معززة لهذا الرأي، عدا ما ستظهره الحفائر الآثارية بالمنطقة.

وننتقل الآن للتعرف على موقع الربذة الاسلامى ومن ثم نلقى نظرة على أهم الاكتشافات الآثارية فى الموقع حتى الآن.. لقد كانت البدايات الاولى فى تحقيق موضع الربذة هى تلمحيات الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد ـ رحمه الله ـ الذى اعتقد بأن الربذة هى الحناكية أو قريبة منها(٣٤).. ولكن الفضل كل الفضل يعود للاستاذ الشيخ حمد الجاسر الذى قام قبل سنوات مضت باستعراض أهم المصادر الجغرافية (وغيرها) التى ذكرت الربذة سواء كان ذلك فيما يخص حمى الربذة او المدينة السكنية، وقد نشرت هذه الأبحاث فى مجلة العرب(٣٥) كما قام الجاسر برحلة الى موقع الربذة فى ربيع ١٣٩٥هـ (الموافق شهر مارس ١٩٧٥م)، وتأكد له أن موضع الربذة (المدينة) هو فى المكان المرسوم على خارطة المملكة باسم بركة ابو سليم(٣٦) الواقعة جنوب شرق الحناكية.. والمعالم الجغرافية القريبة منها والمحيطة بها مطابقة تماما لاوصاف حمى الربذة، ومن ذلك بعض الاودية والجبال وبعض المسميات الخاصة بالهجر والقرى التى تعود مسمياتها الى أصول قديمة.. وقد أيد الشيخ محمد بن ناصر العبودى ما ذهب اليه الجاسر.. وكذلك فعل الاستاذ سعد بن جنيدل وأشار الاستاذ عاتق البلادى(٣٧) الى الربذه معتمدا فى ذلك على أبحاث الجاسر والعبودى وابن جنيدل.

وقد تم تسجيل بعض معالم الربذة ضمن خطة المسح الآثارى الذى تقوم به ادارة الآثار السعودية فى اطار مشروع درب زبيدة.. ولقد جاءت نتائج الدراسات التى قمنا بها فى تحديد موضع الربذة مطابقة للمعلومات التى ذكرها الشيخ الجاسر، وذلك فى اطار بحث مطول يتعلق بدراسة درب زبيدة طريق الحج من الكوفة الى مكة(٣٨).

وكانت أول رحلة علمية مكثفة لتحقيق موضع الربذة فى عام (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)(٣٩) وفى الفترة من ٧

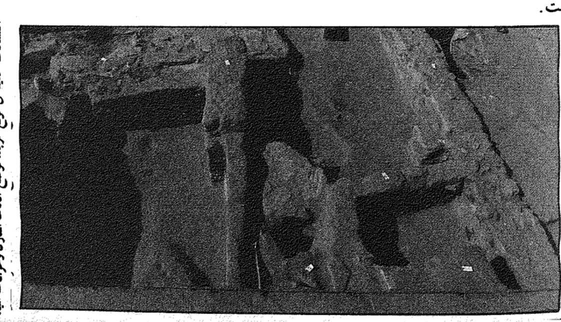


جمادى الثانية وحتى ٦ رجب ١٣٩٩هـ (الموافق ٣-٣٠ مايو ١٩٧٩) تمت اول حفرية آثارية فى الموقع وحتى ذلك التاريخ تم انجاز ثمانية مواسم من الحفر الآثارى المكثف حيث اظهرت الحفائر معالم حضارية من صناعات وانشاءات متنوعة تدل حقيقة على ما بلغته الحضارة الاسلامية فى العصور المبكرة.

وعلى أى حال فان الربذة تقع على خط عرض ٢٤° - ٤٠َ وخط طول ٤١° - ١٨َ وتبعد عن المدينة المنورة بمسافة تزيد على مائتى كيل الى الشرق مع ميل نحو الجنوب. . وقد تميز موضع الربذة فى العصور الاولى بقربه من المعادن القديمة فى الحجاز مثل معدن بنى سلم (مهد الذهب اليوم) ومعدن النقرة وغيره من المعادن. . كما كانت المحطة التاسعة عشر من جملة المحطات والمنازل على امتداد طريق الحج العراقى من الكوفة الى مكة المكرمة. . وعلى ضوء المعلومات الواردة فى بعض المصادر التاريخية والجغرافية نجد ان الربذة كانت سوقا هاما ومدينة عامرة لوقوعها على طريق الحج، وتوسطها بين نجد والحجاز وصلتها بالمدينة المنورة ومكة المكرمة.

رابعا: الاكتشافات الآثارية بالربذة

لم يكن فى موقع الربذة أى منشآت او آثار ظاهرة قبل بدء الحفائر الآثارية فالمدينة بكاملها تهدمت وانكمش حجمها وتقلصت الى تلول محدودة الارتفاع ولا يظهر من آثارها سوى بعض اسس الجدران التى تظهر وتختفى حسب هبوب الرياح وتراكم الاتربة ونحوها، اثناء تغير المناخ طوال ايام السنة. . وتنتشر الكسر الفخارية والزجاجية على سطح الموقع كما تظهر آثار لفوهات الآبار القديمة المندفنة ولم يبق من آبار الربذة القديمة سوى بئر واحدة فى غرب الموقع يبدو أنها وجدت من يتعهدها بالصيانة والتنظيف منذ أعوام مضت.



اكتشافات حديثة فى موقع الربذة توضح اثاث المنازل وخزانات المياه

أما الآثار الواضحة فى الموقع فتبرز فى بركة دائرية تقع الى الغرب وبركة مربعة تقع الى الشمال منها بحوالى الكيلين. والبركة الدائرية يصل قطرها الى حوالى ٦٤٫٥٠ متراً وعمقها الحالى ٤٫٥ امتار ويجاورها من الغرب مصفاة مستطيلة الشكل تبلغ مساحتها ٥٥×١٧م وعمقها الحالى حوالى ٣٫١٥ أمتار. أما البركة المربعة البعيدة عن الموقع، فتبلغ أبعادها ٢٦×٢٦ مترا.

وقد كان الانطباع السائد قبل البدء فى الحفائر الأثارية ان موقع الربذه وعلى ضوء الملتقطات السطحية.. تعود آخر مرحلة استيطان له الى أواخر القرن الرابع الهجرى، مع وجود عينات فخارية تعود فى القدم الى القرن الاول الهجرى.

وقد جاءت نتائج الحفائر حتى الآن مطمئنة وتعكس وحدة حضارية تجمع ما بين الهندسة المعمارية للقصور والمنازل المحصنة والصناعات المحلية والوافدة من الفخار والخزف والزجاج والصناعات المعدنية والحجرية وغيرها.. فمن المبانى العربية المكتشفة قصر عربى محصن يوحى بأنه كان منزلا لحاكم المدينة او دارا للحكم والادارة وربما كان يمثل خانا لاستقبال الحجيج وغيرهم من المسافرين.. بنى هذا القصر على شكل شبه مربع ذى بوابة شمالية وساحة وسطى تفتح عليها جميع غرف القصر الداخلية وزود القصر فى ركنه الشمالى الشرقى ببرج للمراقبة يبدو انه كان يرتفع فوقه مستوى سطح القصر.

وقد دعم جدار القصر من الخارج بأبراج دائرية فى الاركان وأبراج نصف دائرية فى منتصف كل ضلع.. وهذا الاسلوب فى البناء هو طراز عربى قديم معروف فى الجزيرة العربية منذ القدم.. كما تم الكشف عن مجموعة من المنازل الرئيسية تتكون من منزل رئيسى كبير الحجم يحيط به سور ضخم وتحميه أبراج دائرية ونصف دائرية، وتتصل به وحدات اخرى وساحات تبرز فيها كافة المرافق العامة من خزانات لحفظ المياه واماكن للطبخ وللصناعات والحرف ونحوها.

أما المساجد فقد تم الكشف عن مسجد كبير غرب الموقع وقد أطلقنا عليه المسجد الجامع بحكم بعده عن المدينة السكنية، وله محراب مجوف وقاعدة لمنبر ورواقان أماميان وساحة وسطى وتبلغ مساحة المسجد الاجمالية حوالى ٤٥٩ متراً مربعاً وهو بذلك يتسع لعدد كبير من المصلين تم تقديرهم بحوالى ستمائة مصلٍّ.. أما المسجد الأخر فهو أصغر حجماً، تم الكشف عنه فى الجهة الجنوبية الشرقية من المنطقة الآثارية، ويختلف عن المسجد الجامع من حيث التخطيط والسعة.. ويمكن اطلاق لفظ الربذة الجنوبية على هذه المنطقة التى تجاور المسجد والتى اطلق عليها منطقة ٤٠١، وذلك تيمنا بدخول القرن الخامس عشر الهجرى.. وتتميز هذه المنطقة بأنها عبارة عن حى سكنى مستقل يحيط به سور ضخم من جميع الجهات وله بوابة شمالية. وقد دعم سور الحى بأبراج ضخمة من جميع جهاته تجمع بين الابراج الدائرية ونصف الدائرية، وهناك فضلا عن ذلك خندق واسع يحيط بالسور.. وتم تفصيل الحى من الداخل الى وحدات سكنية متقابلة تجتازها الأزقة والشوارع وزودت بمستودعات لحفظ المياه ومواقد للطبخ وأماكن للصناعة، كما حفرت بداخل الحى بئر لتوفير حاجة السكان بما يحتاجونه من المياه.

اما سوق المدينة فقد أمكن تمييزه عن باقى الوحدات البنائية الأخرى فموقعه فى منطقة متوسطة وقد تم العثور على عشرات من خزانات المياه المسقوفة المبنيه تحت مستوى الطبقة السكنية. . وقد بنيت هذه الخزانات داخل غرف سكنية وتنتشر افران الطبخ فى كافة أرجاء هذه المنطقة كما عثر على خزائن لحفظ الحبوب وأماكن لصهر المعادن.

وخلال أعمال الحفر الآثارى تم الحصول على كميات كبيرة من مخلفات الصناعات والمعثورات المختلفة ومن أهمها الفخار والخزف والزجاج والادوات الحجرية والصناعات المعدنية والعملات ومواد خشبية مصنعة، وحلى وادوات الزينة وبعض أنماط من النقوش والكتابات.

وجميع هذه المعثورات تشكل وحدة متكاملة تجسد التطور الذى شهدته الحضارة الاسلامية الزاهرة فى جزيرة العرب. وكثير من هذه الأدوات اتضح لنا ـ بدون ادنى شك بأنها صنعت فى الربذة ومن هذه الأدوات صناعة بعض أنواع الفخار والزجاج والصناعات الحجرية. . كما تدل بقايا من خبث الحديد على وجود تحضير لبعض أنواع الصناعات المعدنية من اسلحة وأوان وأدوات للخيل وغير ذلك. ويمكن القول بأنه أمكن وضع ترابط للفترة التاريخية التى ظهرت فيها هذه الصناعات ومنها يتضح ان الربذة شهدت مرحلة استيطان مكثفة منذ العصر الأموى وحتى نهاية العصر العباسى الأول. . فوجود الفخار الأموى يعتبر ظاهرة متميزة فى طبقات الحفر السفلى كما ان الفخار والخزف العباسى لا يخرج عن نطاق الفترة التاريخية لعصر سامراء. . اما قطع العملة التى تم العثور عليها حتى الآن فتتراوح تواريخها بين عصر الوليد بن عبد الملك والخليفة العباسى المعتضد بالله مع الاخذ بالاعتبار بأننا عثرنا على قطعة ساسانية واحدة حتى الآن(٤٠).

●● بعد هذا الاستعراض الموجز عن تاريخ الربذة ومعالمها الحضارية يتضح لنا قيام مدينة عربية اسلامية فى قلب جزيرة العرب فى القرون الاسلامية الأولى. . ولكن ما هى الأسباب التى ساعدت على نمو مدينة الربذة؟. . وكيف ازدهرت الحياة فى هذه المدينة؟. . وما هى العوامل التى عجلت بسقوطها واندثارها؟. . والاجابة على ذلك تجعلنا نعود الى ما ذكرناه فى مقدمة هذا البحث.

لقد بدأت الربذة فى غالب الامر مع ظهور الحمى (حمى الربذة) الذى اسسه الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وساعد على شهرة الربذة مجىء أبى ذر الغفارى اليها وسكنه بها حتى وفاته فى سنة ٣٢هـ.

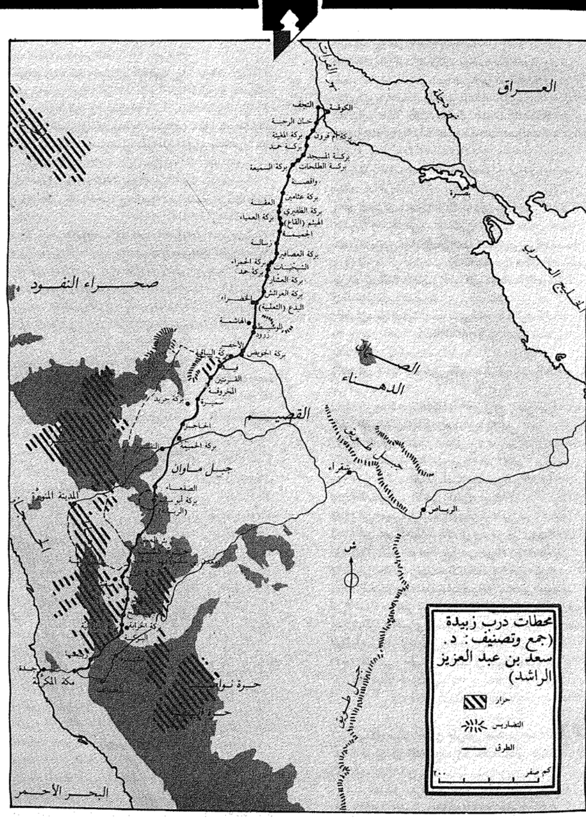
وساعد على نمو الربذة وازدهارها ظهور الحواضر الاسلامية الجديدة فى العراق، ومن أهمها البصرة والكوفة، وارتباطها الوثيق بمكة المكرمة والمدينة المنورة. . وبذلك اصبحت الربذة من اهم المحطات على الطريق الواصل بين مكة المكرمة والكوفة(٤١). . وتطورت ليس فقط كمحطة على هذا الطريق، ولكنها كانت سوقا عامرا يستقبل الدواب والأعلاف والحبوب والصناعات المختلفة من مختلف انحاء منطقة الحجاز وغيرها. . وهناك شخصيات كثيرة سكنت الربذة. . ومن هؤلاء محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد بن عدى ـ توفى بالمدينة سنة ٤٣هـ(٤٢) وسلمه بن الأكوع المتوفى بالمدينة سنة ٧٤هـ(٤٣) وعسكر بها الخليفة على بن ابى طالب رضى الله عنه ـ فى طريقه الى البصرة

سنة ٣٦هـ(٤٤) وفعل الشيء نفسه إبنه الحسين سنة ٦٠هـ(٤٥)، وهو فى طريقه الى الكوفة . . وممن نزل الربذة المرقع بن ثمامة الأسدى(٤٦) ويروى أن عاصم بن عمر بن الخطاب أقام بالربذة وتوفى بها سنة ٧٠هـ(٤٧) وينسب الى الربذة بعض رواة الحديث، ومنهم أبو عبد العزيز موسى بن عبيدة بن نشيط الربذى وأخواه محمد وعبد الله، وقد توفى موسى بالربذة سنة ١٥٣هـ ومن رواة الحديث ابراهيم ابن حمزة بن مصعب بن الزبير بن العوام من اهل الطبقة السابعة حيث يروى انه كان «يأتى الربذة كثيرا فيقيم فيها ويتجر بها ويشهد العيدين بالمدينة» وقد توفى بالمدينة سنة ٢٣٠هـ(٤٨) كما ان القاضى المشهور يحى بن أكثم الذى عمل للخليفة المأمون ثم المتوكل توفى بالربذه سنة ٢٤٢هـ(٤٩).

كما دلت الاكتشافات الآثارية أن أبا زكريا يحى بن زياد بن عبد الله بن منصور الاسلمى المعروف بالفراء قد توفى بالربذه سنة ٢٠٧هـ، حيث عثر على نص مكتوب بالقرب من الربذة يتكرر فيه ذكر يحيى بن زياد . . وقد اجمعت المصادر على ان يحى ابن زياد توفى فى طريق مكة سنة ٢٠٧هـ، وهو صاحب المقولة المشهورة «أموت وفى نفسى شيء من حتى»(٥٠) . . ولعل الربذة هى المكان الذى مات فيه يحي بن زياد ودفن.

كما كانت الربذة من الأماكن المحببة لنفوس الامراء والخلفاء من بنى العباس للاستراحة والاقامة فيها، سواء فى طريقهم من بغداد الى مكة أو فى رحلة العودة . . ومن أبرز خلفاء بنى العباس أبو جعفر المنصور والمهدى والرشيد الذين تعهدوا طريق الحج بالتعمير والاصلاحات الكثيرة، ومن أهمها توفير المياه النقية بواسطة حفر الآبار والقنوات وانشاء السدود والبرك، كما قام الوزراء والامراء بإصلاحات كثيرة وكذلك قامت بعض سيدات البلاط العباسى بأعمال محمودة، ومن أهم تلك الأعمال ما قدمته السيدة زبيدة زوج الخليفة هارون الرشيد التى بذلت العطاء وأنفقت الأموال الطائلة فى سبيل انشاء المنازل وبرك المياه لخدمة حجاج بيت الله الحرام على طول الطريق من الكوفة الى مكة . . ولا شك فان الربذة كانت من المدن التى شملتها هذه الرعاية . . ولعل الربذة شهدت قمة مجدها الزاهر فى العصر الذهبى للدولة العباسية، ومن ثم نالها ما نال منطقة الحجاز وطرق الحج من سطو وتخريب على يد القبائل التى خرجت عن سلطة بنى العباس، وكذلك تعرضها لاعتداءات القرامطة الذين سيطروا منذ أواخر القرن الثالث الهجرى على معظم طرق الحج القادمة من العراق وبسطوا نفوذهم على انحاء متفرقة من الجزيرة العربية . . ويتضح لنا من الآثار الباقية فى الربذة أن سكانها حاولوا جاهدين تحصين منازلهم ضد الهجمات الخارجية وتوفير المؤنة داخل منازلهم ومن أهمها مياه الشرب وذلك بواسطة خزنها داخل احواض مسقوفة تحت سطح الارض . . ولكن كان مصير الربذة الحتمى هو الخراب والدمار حيث تذكر المصادر أن الربذه خربت فى سنة ٣١٩هـ نتيجة لاتصال الحروب بينها وبين أهل ضرية حيث استأمن أهل ضرية الى القرامطة فاستنجدوهم عليهم، فارتحل أهلها عن الربذة فخربت بعد أن كانت من احسن منازل طريق مكة على حد أقوال المؤرخين(٥١).

ولا نستغرب ما ذكره المقدسى الذى وقف على اطلال الربذة فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى والذى وصفها بأنها «ماء زعاق وموقع خراب»(٥٢) . . ويمكن اعتبار المقدسى آخر من شاهدها من الجغرافيين والرواد المسلمين، وظلت الربذة على حالها تلك فتهدمت دورها وتهاوت أسوارها واندفنت آبارها وضاعت معالمها وعفى عليها الزمن . . ولم تعد الربذة معروفة إلا بالاسم فقط وليس بالموقع حتى قدر الله سبحانه وتعالى ان تمتد يد الباحثين الى موقع هذه المدينة للكشف عن مظاهر حضارته وتاريخه . .



خارطة توضح مسار درب زبيده وموقع الربذه بين محطات الطريق والمدينة المنورة) (تعد اول خارطة لدرب زبيده.. طريق الحج القديم بين العراق ومكة

الهوامش

(١) ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج٢، ص٣٠٧
(٢) السمهودى، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج٢، ص١٠٨٢
(٣) صحيح البخارى. ج٢، ص٨٣٥
(٤) السمهودى، وفاء الوفا ج٣، ص٦٣٥
(٥) ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج٢، ص٥٢٦ - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٣٠٥ - حمد الجاسر، أبو على الهجرى وابحاثه فى تحديد المواضع، ص ص ٢٣٩-٢٤٥
(٦) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٢، ص٣٠٨
(٧) البكرى، معجم ما استعجم، ج٢، ص٦٣٣ - السمهودى، وفاء الوفا، ج٣، ص١٠٩٢
(٨) البكرى، معجم ما استعجم، ج٣، ص٨٦٠ - أبو على الهجرى، ص٢٧
(٩) البكرى، معجم ما استعجم، ج٣، ص٨٦٠، أبو على الهجرى، ص٢٧
(١٠) موطأ الامام مالك ص ص٧٠٧-٧٠٨ وانظر الزرقانى، شرح موطأ مالك، ج٥، ص ص٥٠٧-٥٠٨
(١١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥ ص ص١١-١٢
(١٢) الهمدانى، الاكليل، ج١٠، ص٢١٩ - ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص٣٩٦
(١٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص ص٧٦-٧٧
(١٤) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٢ ص ص٧٨-٧٩ - وانظر عبد الحميد الشلقانى، الاعراب الرواة، ص٢٠٣
(١٥) سعد بن عبد العزيز الراشد، الربذة: صورة للحضارة الاسلامية المبكرة فى المملكة العربية السعودية، ص٢٨
(١٦) ابن حجر العسقلانى، الاصابة فى تمييز الصحابة، ج٤، ص ص٦٣-٦٤
(١٧) ابن الاثير، أسد الغابة فى معرفة الصحابة، ج٥ ص١٨٧
(١٨) الذهبى، سير أعلام النبلاء، ص٣٧
(١٩) الذهبى، تاريخ الاسلام، ج٢ ص١١٥
(٢٠) الذهبى، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٤٩
(٢١) الذهبى، المصدر نفسه، ج٢، ص٥٠
(٢٢) الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ص٢٨٣-٢٨٤
(٢٣) اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى ج٢ ص١٩٩
(٢٤) المسعودى، مروج الذهب ج٣ ص٨٣
(٢٥) ابن الاثير، الكامل فى التاريخ، ج٣ ص ص١١٣-١١٤
(٢٦) الطبرى، المصدر السابق ج٥ ص٢٨٤
(٢٧) الحربى، كتاب المناسك ص٣٢٧
(٢٨) اليعقوبى، المصدر السابق، ج٢ ص٢٠٠ ويورد المسعودى رواية مشابهة لهذه انظر مروج الذهب ج٣ ص٨٤
(٢٩) اليعقوبى ج٢ ص١٩٨
(٣٠) الحربى، كتاب المناسك ص٣٢٦
(٣١) المسعودى، المصدر السابق ج٣ ص١٥
(٣٢) ابن سعد، كتاب الطبقات ج٦ ص٤٢
(٣٣) ابن رسته الاعلاق النفيسة ص١٧٨
(٣٤) ابن بليهد، صحيح الاخبار عما فى بلاد العرب من الآثار ج٣ ص١٧
(٣٥) مجلة العرب، م١ (الاجزاء: ٥، ٦، ٧، ٨) سنة ١٣٨٦هـ وسنة ١٣٨٧هـ.
(٣٦) مجلة العرب (ج٣، ٤) ١٣٩٦ ص ص١٦١-١٦٧ . . وانظر: محمد ناصر العبودى، معجم بلاد القصيم، ج١ ص ص٢٠٣-٢١٧ - سعد بن جنيدل، عالية نجد ج١ ص٥٧١-٥٩١
(٣٧) عاتق بن غيث البلادى، معجم معالم الحجاز ج٤ ص ص١٩-٢٧ - معجم المعالم الجغرافية فى السير النبوية ص ص ١٣٥-١٣٦
(٣٨) طبع هذا البحث فى كتاب باللغة الانجليزية:
Saad A. Al-Rashid Darb Zubaydah The pilgrim Road from kufa to mecca (Riyadh University press 1980)
ويقوم المؤلف باعداد دراسة تفصيلية عن تاريخ درب زبيدة وآثاره ستظهر عما قريب.
(٣٩) سعد عبد العزيز الراشد «تقرير موجز لنتائج الموسم الاول للحفائر الاثرية فى موقع الربذة الاسلامى» مجلة كلية الاداب جامعة الملك سعود/ جامعة الرياض سابقا - المجلد السابع ١٩٨٠ ص ص٢٥٩-٢٧١
(٤٠) للمزيد من المعلومات عن المكتشفات الآثارية، انظر ملخص ما كتبناه عن المواسم الستة الاولى فى كتابنا الربذة: صورة للحضارة الاسلامية المبكرة فى المملكة العربية السعودية.
(٤١) لمزيد من المعلومات عن طريق الحج من الكوفة الى مكة: انظر كتابنا:
Darb Zubaydah the pilgrim Road from kufa to mecca.
(٤٢) ابن قدامه المقدسى، الاستبصار فى نسب الصحابة من الانصار ص ص٢٤١-٢٤٣
(٤٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى ج٤ ص ص٣٠٥-٣٠٨ - ابن شبه، تاريخ المدينة المنورة ج٤ ص١٢٤٢
(٤٤) الطبرى، المصدر السابق ج٤ ص ص٤٧٧-٤٨١ - ابن الاثير، الكامل فى التاريخ ج٣ ص ص٢٢٢-٢٢٦
(٤٥) ابن الاثير، المصدر نفسه ج٤ ص ص٣٧-٤٣
(٤٦) الدينورى، الاخبار الطوال ص٢٥٩
(٤٧) ابن حجر، تهذيب التهذيب ج٥ ص ص٥٢-٥٣
(٤٨) ابن سعد الطبقات الكبرى ج٥ ص ص٤٤١-٤٤٢ - ابن حجر، الاصابة فى تمييز الصحابة ج١ ص ص١١٦-١١٧
(٤٩) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٦ ص ص١٤٧-١٦٥
(٥٠) الدينورى، المعارف ص٢٣٧ كتاب الفهرست للنديم ص ص٧٣-٧٤ - وانظر ابن الاثير، الكامل فى التاريخ ج٦ ص٣٨٥
(٥١) ياقوت الحموى، معجم البلدان ج٢ ص٢٤ - السمهودى وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ج٣ ص١٠٩١
(٥٢) المقدسى، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص١٠٨

المصادر والمراجع

١ - ابن الأثير، أبو الحسن على بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى، الكامل فى التاريخ، ١٢ جزء (دار صادر - دار بيروت ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م).
أسد الغابة فى معرفة الصحابة، ٧ أجزاء - تحقيق محمد ابراهيم البنا وآخرون (دار الشعب، القاهرة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م).
٢ - البخارى، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل، صحيح البخارى ٩ أجزاء (مطابع الشعب - القاهرة ١٣٧٨هـ.
٣ - البكرى، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، معجم ما استعجم،

؛ أجزاء تحقيق مصطفى السقا ـ القاهرة ١٩٤٩م.
؛ ـ البلادى، عاتق بن غيث ـ معجم معالم الحجاز (الأجزاء ١ـ١٠ لطبعة الاولى ـ دار مكة للنشر والتوزيع ـ مكة المكرمة ١٣٩/ـ١٤٠٤هـ/ ١٩٧٨ـ١٩٨٤م).
معجم المعالم الجغرافية فى السيرة النبوية (دار مكة للنشر والتوزيع مكة المكرمة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).
، ـ ابن بليهد، محمد بن عبد الله ـ صحيح الاخبار عما فى بلاد العرب ن الآثار، الطبعة الثانية ٥ أجزاء (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).
ٔ ـ الجاسر، حمد ـ أبو على الهجرى وابحاثه فى تحديد المواضع منشورات دار اليمامة ـ الرياض ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).
١ ـ الجاحظ، ابى عثمان عمرو بن بحر ـ البيان والتبيين، ٣ أجزاء (دار لكتب العلمية ـ بيروت ـ تاريخ الطبع بدون).
٨ ـ بن جنيدل، سعد بن عبد الله، عالية نجد، ٣ أجزاء (منشورات دار اليمامة ـ الرياض ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).
٩ ـ ابن حجر العسقلانى، شهاب الدين أبى الفضل احمد بن على، تهذيب التهذيب، ١٢ جزء (طبعة مصورة ـ دار صادر ـ بيروت).
الاصابة فى تمييز الصحابة، ٤ أجزاء، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ مكتبة المثنى بغداد نسخة مصورة.
١٠ ـ الحربى، الامام أبو اسحق، كتاب «المناسك» واماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ـ تحقيق حمد الجاسر، (منشورات دار اليمامة ـ الرياض ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م).
١١ ـ ابن حزم، ابى محمد على بن احمد بن سعيد، جمهرة انساب لعرب (تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ دار المعارف، الطبعة الرابعة ، القاهرة ١٩٧٧م.
١٢ ـ الحموى، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى، معجم البلدان ٥ أجزاء (بيروت ١٩٥٥ـ١٩٥٧م).
١٢ ـ ابن خلكان، شمس الدين احمد بن ابى بكر، وفيات الأعيان وانباء الزمان، تحقيق احسان عباس ٨ أجزاء (دار صادر ـ بيروت ١٩٦/ـ١٩٧٢م).
١٤ ـ الدينورى، أبو حنيفه احمد بن دواود، كتاب الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر ـ مراجعة كمال الدين الشيال، (القاهرة ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م)، (اعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ـ بغداد ـ دار المسيره ـ بيروت).
١٠ ـ الدينورى، ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبه الكاتب، المعارف، (تحقيق محمد اسماعيل عبد الله الصاوى) الطبعة الثانية بيروت ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م).
١ٔ ـ الذهبى، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان، تاريخ الاسلام طبقات المشاهير والأعلام ٤ اجزاء (القاهرة ١٣٦٨هـ).
سير اعلام النبلاء ـ القاهرة ١٩٥٥م
١١ ـ الراشد، سعد بن عبد العزيز «تقرير موجز لنتائج الموسم الأول لحفائر الأثرية فى موقع الربذة الاسلامى» مجلة كلية الآداب ـ جامعة

جبل ام مسك الى الغرب من الربذه معلم طبيعى من معالم مدينة الربذة الاسلامية

الملك سعود ـ جامعة الرياض سابقا ـ المجلد السابع ١٩٨٠م ص ص٢٥٩ـ٢٧١.
الربذة صورة للحضارة الاسلامية المبكرة فى المملكة العربية لسعودية (جامعة الملك سعود ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).
١٨ ـ ابن رسته، أبو على احمد بن عمر، كتاب الاعلاق النفيسة (تحقيق دى جويه) (M.J.De Goeje) ليدن ١٨٩٢م
١٩ ـ الزرقانى، محمد، شرح الزرقانى على موطأ الامام مالك، ٤ أجزاء (دار المعرفة ـ بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).
٢٠ ـ ابن سعد، ابو عبد الله محمد بن سعد، الطبقات الكبرى ٨ أجزاء ـ دار بيروت للطباعة والنشر ـ بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
٢١ ـ السمهودى، نور الدين على بن احمد المصرى، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى (تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد) ٤ أجزاء ـ الطبعة الأولى ـ القاهرة ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.
٢٢ ـ ابن شبه، أبو زيد عمر بن شبه النميرى البصرى، كتاب تاريخ المدينة المنورة ـ تحقيق فهيم محمد شلتوت ٤ أجزاء (دار الاصفهانى ـ جدة ١٣٩٣هـ.
٢٣ ـ الشلقانى، عبد الحميد، الأعراب الرواة (دار المعارف ـ القاهرة ١٩٧٧م.
٢٤ ـ العبودى، محمد بن ناصر، بلاد القصيم ٦ أجزاء (منشورات دار اليمامة ـ الرياض ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)
٢٥ ـ الطبرى، ابو جعفر محمد ابن جرير، تاريخ الطبرى أو تاريخ الرسل والملوك ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ١٠ أجزاء (دار المعارف ـ الطبعة الرابعة ١٩٧٩م).

كسرة خزفية من الربذه توضح التطور الذى شاهدته المنطقة فى العصر العباسى (٢، ٣هـ)

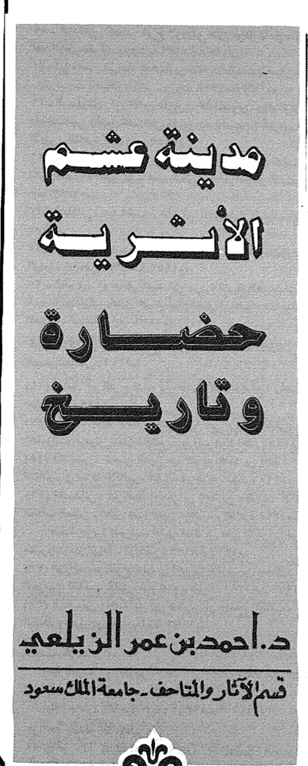
(٢٦) قدامه، أبو الفرج قدامه بن جعفر، كتاب الخراج، (تحقيق دى جويه) ليدن ١٨٨٩م.
(٢٧) مالك، موطأ الامام مالك (رواية يحى بن يحى الليثى) اعداد احمد رابت عرموش ـ دار النفائس ـ بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
(٢٨) المقدسى، شمس الدين عبد الله بن محمد بن احمد ـ احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ـ تحقيق دى جويه ـ ليدن ١٩٠٦م.
(٢٩) الهمدانى، أبو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب، الاكليل، الكتاب العاشر ـ تحقيق محب الدين الخطيب ـ القاهرة ١٣٦٨هـ.
صفة جزيرة العرب ـ تحقيق محمد بن على الاكوع الحوالى ـ منشورات دار اليمامة ـ الرياض ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
(٣٠) الوراق، أبو الفرج محمد بن احمد بن يعقوب بن اسحاق، كتاب الفهرست للنديم، تحقيق رشاد تجدد ـ طهران ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.
(٣١) اليعقوبى، احمد بن أبى يعقوب بن واضح الكاتب، كتاب البلدان (تحقيق دى جويه ـ ليدن ١٨٩٢م.

المجـــلات:

مجلة العرب: م١ الاجزاء: ٥، ٦، ٧، ٨) سنة ١٣٨٦هـ وسنة ١٣٨٧هـ.
مجلة العرب: (الاجزاء ٣ـ٤) ١٣٩٦هـ.

مراجع باللغة الانجليزية:

Al-Rashid, Saad A. Darb Zubaydah The pilgrim road from kufa to mecca, (Riyadh University Press, 1980)

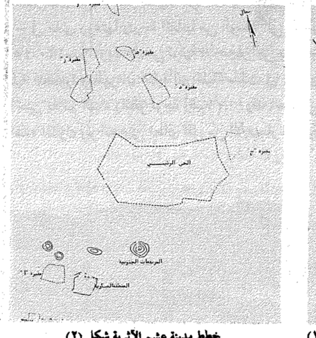


عَشْم ، أو عَشَم هو الاسم الذى يطلقه السكان المحليون على هذه المدينة ، كما يطلقون عليها ايضا القرية أو قرية بنى هلال نسبة الى أنها من مخلفات بنى هلال القبيلة العربية المشهورة التى ينسب اليها سكان تهامة كل قديم مهجور من اطلال وآبار وغيرها، رغم ما يذكر ان هذه القبيلة كانت عامل هدم اكثر مما هى جديرة بأن تخلف آثاراً ذات طابع حضارى.

وعشم كانت - كما يُعتقد - عاصمة لمخلاف يضم عددا من المواقع الأثرية التى تحتوى على كثير من المخلفات الأثرية الهامة، ومن هذه المواقع مسعودة، والأحسبة الشمالية والاحسبة الجنوبية والخُلفُ والخَلِيف والعَصْدَاء وغيرها، الا ان عشم تتفوق عليها جميعا.. ولهذا فان الحديث هنا سيدور حول مدينة عشم لأهميتها ولأنها ربما كانت عاصمة لهذا المخلاف بأسره (انظر شكل رقم١).

تعتبر عشم من أقل المواقع الاسلامية ذكرا فى المصادر العربية وما ذكر عنها لا يتجاوز اشارات غير واضحة ترد فى كتب الأدب الجغرافى وهى لا تفيد الباحث الا فى تحديد هوية عشم على اساس انها مخلاف أو عمل من اعمال مكة المكرمة.. اما ما عدا ذلك من تاريخ المدينة ودورها الحضارى فان هذه المصادر تضرب عنه صفحا، لأن اهتمام المؤرخين كان كما يبدو مُنصَبًا على العواصم وعلى بلاطات الخلفاء والحروب.

تقع عشم على بعد حوالى كيلومتر واحد من الضفة الجنوبية لوادى قرما، وهى *الحد الفاصل* بين السهل الساحلى الى الغرب والمنطقة الجنوبية



خريطة توضح مخلاف عشم وموقع المدينة شكل (١)

خطط مدينة عشم الأثرية شكل (٢)

الى الشرق . . ويعتبر مركزا المظيلف وناوان الواقعان على الطريق المسفلت بين مكة ومحايل من أقرب المراكز الرئيسية الى عشم فى الوقت الحاضر ويمكن الوصول اليها من هذين المركزين بواسطة ثلاثة طرق غير مسفلتة :

الاول : وهو أسهلها ويبدأ من المظيلف وطول هذا الطريق حوالى تسعة عشر كيلومتر.

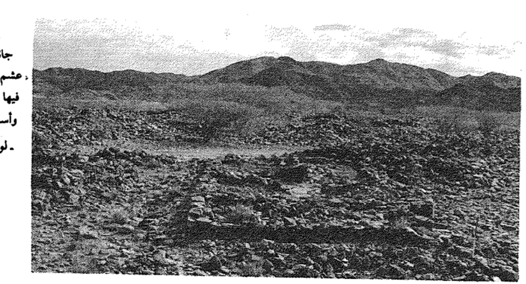
الثاني : يبدأ من ناوان وطوله حوالى ثلاثة عشر كيلومتر.

الثالث : فهو اقصرها واكثرها صعوبة يبدأ من الكيلو ٣٢٣ طريق مكة - محايل، ويبلغ طوله حوالى ٦ كم (انظر شكل رقم١) .

والمدينة محاطة بالجبال من ثلاث جهات ويخترقها شِعْبان هما شعب الخربان وشعب ابى فريع . . وبين هذين الشعبين ترقد مدينة عشم وهى مهجورة تماما وتعيش فى سكون دائم وصمت رهيب لا يقطع حبله الا ثغاء الشياه التى ترعى الكلأ فى هذين الشِّعْبين أو هدير سيارات الجيب التى تمر فى جوانب المدينة الصامتة حاملة الأعلاف والحطب الى اماكن البدو ومزارعهم الواقعة فى أعالى وادى قرما(١)

تتكون اطلال مدينة عشم من محلتين الأولى بها اكبر مجموعة من المخلفات الأثرية مما يعطى انطباعا بأنها هى المحلة الرئيسية وهى تمتد على ربوة مرتفعة تتدرج فى الانخفاض غربا وجنوبا نحو شعب الخربان وشرقا نحو المقبرة الشرقية . . كما ترتفع هذه المحلة نحو الشمال لتنتهى نهاية فجائية فى شعب أبى فريع الذى يشكل مجراه خطورة على هذا الحى (انظر مخطط مدينة عشم شكل رقم٢) .

في هذه المحلة توجد أكبر مجموعة من اطلال المنازل المبنية من الحجارة الجبلية وبعض الطوب الأحمر وهي تتدرج في مدى روعتها ودرجة اتقانها من الوسط الى الأطراف وكذلك ارتفاعات الأساسات التي تتراوح بين ٤٥-١٢٠ سم. ويستدل من نوعية الأحجار التي بنيت بها منازل القرية ومرافقها، انها جلبت من التلال الجبلية المجاورة ويظهر ان عناية غير قليلة بذلت في اختيار نوعية وحجم هذه الأحجار، وفي تهذيب كثير منها حتى يلائم البناء (**انظر لوحة رقم١**).. وقد استعمل الطوب الأحمر جنبا الى جنب مع الأحجار في بناء هذه المنازل ولو انه على نطاق اقل من الأحجار الجبلية التي تشكل مادة البناء الأساسية في عشم.



جانب من مدينة عشم الاثرية ويرى فيها ركام المنازل وأساسات بعضها - لوحة رقم (١)

ويقع الحي الثاني الى الجنوب الغربي من الحي السكني بمسافة مائتي متر تقريبا ويبدو من مخلفاته الأثرية انه يمتد في جزء من الربوة الموازية لشعب الخربان من الجنوب وهو عبارة عن اكوام قليلة من الحجارة والأساسات المنزلية ويظن ان معظم مباني هذا الحي خاصة في الجزء الأكبر من الناحية الغربية كانت من نوع الاكواخ السائدة في تهامة أو انها كانت من الحجارة، وانها طمرت تحت سفي الرمال الذي يغزر بصورة خاصة في هذا الجزء من عشم.

ويوجد الى الشرق من هذه المحلة بمسافة قصيرة جبلان صغيران عليهما اساسات بناء يصل ارتفاع بعضها الى المتر. والظاهر انها كانت ابراجا اذ تكشف كل ما حول القرية ولمسافات بعيدة وتقع الى الجنوب الغربي من هذين الجبلين خلف المحلة الثانية، مساحة عليها بقايا ابنية من الأحجار وهي تتميز باتساع فناءاتها ولعله من المعتقد انها كانت ثكنات تتصل ببرجي المراقبة المذكورين اللذين كانا يشرفان على منخفض ربما كان يمر منه طرق الحج اليمني الداخلي.

يقع المسجد الجامع في الجزء الجنوبي الغربي من الحي الرئيسي ويبدو من الحجر التأسيسي الذي عثر عليه في هذا الحي انه بني في سنة ٤١٤هـ على يد الأمير يعلى بن عبد الله، وهو كبير المساحة يبلغ عدد أساسات أعمدته ٢٦ عمودا، منها ٢١ عمودا في رواق القبلة وفي وسطه ساحة كبيرة يبدو انها كانت مكشوفة.. اما بقايا المئذنة فتوجد في الزاوية الجنوبية الشرقية ومساحتها داخله في الجزء الجنوبي من المسجد.



ويقع السوق فى الوسط الشمالى للحى الرئيسى والجزء الظاهر منه يتكون من صفين متقابلين من الدكاكين يفصل بينهما شارع يتراوح عرضه بين ٦ : ٧م . ويبدو من اساسات هذه الدكاكين وركامها انها كانت ذات مساحات متقاربة وان كلا منها يتكون فى الغالب من جزءين احدهما خلفى والظاهر انه كان يستخدم لخزن البضائع والثانى امامى وربما كان يستخدم لعرضها . . ويوجد الى الشرق والغرب من السوق مساحات واسعة ربما كانت تباع فيها الماشية ، أو اغراض أخرى لا تحتاج ان تعرض فى بناء دائم .

●● وبالاضافة الى المسجد والسوق تم الكشف اثناء المسح الأثرى عن سبعة منازل فقط أخذت كنماذج وضعت لها خرائط مساحية ولم يستطع لكثرة اكوام الحجارة وصعوبة المرور فى شوارع المدينة التى تغطيها ركام البيوت المتهدمة تحديد معالم المنازل الأخرى رغم كثرتها لأن هذا يحتاج الى جهد كبير، ووقت أطول وامكانيات افضل من الامكانيات التى اتيحت فى زمن هذا المسح(٢) .

وتجدر الاشارة هنا الى احتمال وجود عتبات منازل، أو احجار تأسيسية تحمل نقوشا تذكارية تحت ركام المنازل الكثيفة وما عثر عليه من هذا النوع يتمثل فقط فى عتبة احد المنازل وهى تحمل نقشا كوفيا غير مؤرخ وحجر يحمل نقشا آخر يؤرخ لتأسيس جامع المدينة المذكورة فى سنة ٤١٤هـ كما وجد نقشان تأسيسيان آخران غير مؤرخين .

ومما تجدر ملاحظته ايضا هو تناثر عدد غير قليل من الارحية على السطح فى أحياء عشم وتتميز هذه الأرحية بأن جدرانها ملساء ناعمة وانها عميقة التجويف ويبدو ان ذلك ناتج عن طول الاستعمال وطبيعة المادة التى تطحن فيها وقد وجدت جنبا الى جنب مع الأرحية ذات الطابع الخشن التى تستخدم لطحن الحبوب فى المنطقة حتى عصرنا الحاضر، فى حين أن الأولى ربما استخدمت فى عملية استخراج الذهب الذى اشتهرت به مدينة عشم فى العصور الاسلامية كما يشير الى ذلك الهمدانى فى كتابه «الجوهرتين» (انظر لوحة رقم٢) .

أما بقايا االأوانى الفخارية والخزفية والزجاجية فقد وجدت على نطاق واسع فوق سطح مدينة عشم ، ولا سيما فوق الكثيب الرملى الذى يكوّن المحلة الثانية ، والجزء الشمالى الغربى من المحلة الأولى وكذلك على حافة الجرف الذى يشكل الضفة الجنوبية لشعب أبى فريع شمالى المحلة الرئيسية . . وهذه القطع من المخلفات تحمل الوانا مختلفة تعود فى طرزها الى العصور الاسلامية .

ومما يؤسف له أنه لم يعثر حتى الآن على عملات مع انه نسب الى بعض السكان المحليين اشاعة مؤادها : ان احدهم عثر على عملات فضية وذهبية على السطح بين أطلال عشم . . ويعتقد بأن اجراء حفريات من شأنها ان تؤدى الى نتائج طيبة فى الكشف عن بعض الحقائق التى لا تخطر على البال ، خاصة وان قاعات المنازل فى عشم سفت عليها الرمال على مر الزمن ، وأن ازاحة هذه الرمال ربما تكشف للدارسين عن امور هامة كثيرة يجهلونها .

أما المقابر فلعل أهم ما يميز خطط عشم هو كثرة مقابرها حتى لتكاد تزيد فى امتدادها وكثرة المسافات التى

بينها عن الجزء الظاهر من مساحة الأحياء السكنية ولعل هذا يفسر ناحيتين:

الاولى: طول فترة الاستيطان فى عشم التى ربما تمتد منذ ما قبل الاسلام وحتى مطلع القرن الخامس الهجرى.
والثانية: ان مساحات أخرى من المدينة لا تزال مطمورة تحت الرمال ولم يتم الكشف عنها حتى الآن **(انظر لوحة رقم ٣)**.

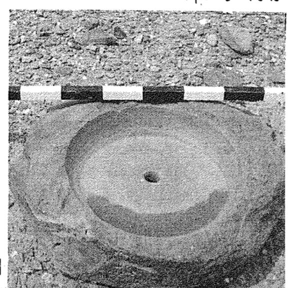
وتنتشر مقابر عشم حول المدينة من جميع جهاتها تقريبا وربما كانت خاضعة لبعض التقسيمات المتعلقة بأمور عائلية او قبلية، اذ يعتقد أن كل عائلة كانت تدفن فى مقبرة معينة حسبما هو سائد الى وقت قريب فى تهامة، فقد لوحظ وجود الوالد ووالده والأخ وأخيه والجد والأحفاد فى مقبرة واحدة، وقلما يوجد واحد من هذه العائلة أو تلك فى مقبرة أخرى.

وعدد المقابر التى عثر عليها حتى الآن فى عشم سبع مقابر تمتد من مدخل المدينة فى الجنوب الغربى حتى نهايتها فى الشمال الغربى.

وقد قسمت الى اقسام رمز لها بالحروف أ، ب، ج، د، هـ، و، ز (انظر مخطط عشم شكل رقم ٢) وجميع هذه المقابر تمتلىء بشواهد القبور وتحمل غالبية كبيرة منها كتابات كوفية بعضها فى غاية الروعة والاتقان بينها عدد لا بأس به مؤرخ فى الفترة من أوائل القرن الثالث الى حوالى منتصف القرن الخامس الهجرى **(انظر لوحة رقم٤)**.

ومما تجدر ملاحظته ان كل قبر يحمل شاهدين أحدهما فى الغالب مؤرخ والثانى غير مؤرخ كما وجد لبعض القبور ثلاثة شواهد احدها على الأقل مؤرخ وقد كتبت على هذه الشواهد البسملة ثم آية من القرآن الكريم، أو اكثر. أو بعض الأدعية، ثم اسم صاحب الشاهد والترحم عليه ثم تاريخ وفاته ان وجد وبعض هذه الشواهد مذيّله بأسماء كاتبيها.

نموذج لأحد الأرحبة التى وجدت على نطاق واسع فى مدينة عشم وجاراتها ـ لوحة رقم (٢)





جانب من احدى المقابر القديمة التى وجدت فى ظاهر مدينة عشم لوحة رقم (٣)



وتتفاوت أساليب العناية بالنقش وزخرفته تبعا لزمنه، ونوعية الصخر الذى كتب عليه، ومستوى صاحبه من حيث الغنى والجاه وكذلك الجنس، فقد لوحظ أن النقوش التى وجدت على قبور النساء اعتنى بكتابتها وزخرفتها اكثر من بعض النقوش التى وجدت على قبور الرجال، ويلاحظ أيضا أن عددا غير قليل من شواهد مقابر عشم التى تحمل كتابات كوفية وجدت مبعثره على جوانب الطرقات وعلى رؤوس الجبال القريبة من عشم وأن بعض هذه الشواهد صالح والبعض الآخر متسكر.

ويبدو انها تعرضت للنقل وعبث المارة والرعاة جهلا بقيمتها وأهميتها ولا نستبعد ان تكون بعض تلك الشواهد قد حملت بعيدا عن موقع عشم واستخدمت فى البناء أو فى اغراض أخرى وسنعرض فى الصفحات التالية الى دراسة نموذج من النقوش الشاهدية التى وجدت فى مقابر مدينة عشم **(انظر لوحة رقم٤)**

دراسة نموذج من شواهد القبور فى مدينة عشم

وصف الشاهد:

المكان: عشم (المقبرة الجنوبية أ)

نوع الأثر: شاهد قبر من الحجر الرملى غير منتظم الشكل.

حالته: مكسور من الأعلى ومن الأسفل فى جهته اليسرى.

نوع الخط: كوفى متقن ومزخرف بعناصر تشجيرية جميلة جدا.

عدد أسطره: أربعة عشر سطرا منها ثلاثة اسطر خارج الاطار والاسطر الباقية داخل الاطار. . وجميعها نقشت بطريقة الحفر الغائر.

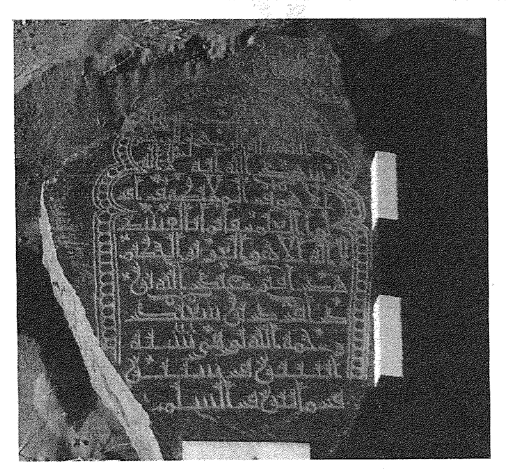
تاريخه: مؤرخ فى سنة ٢٦٢هـ/٨٧٥ـ٦م

المقاس: معدل الجزء المنقوش ٤٣×٢٦ سم تقريبا.

النص

١ . نقش
٢ . احمد
٣ . الحفار

١ ـ بسم
٢ ـ الله الرحمن الرحيم.
٣ ـ شهد الله انه لا اله
٤ ـ الا هو والملائكة وأو
٥ ـ لوا العلم قائما بالقسط
٦ ـ لا اله الا هو العزيز الحكيم
٧ ـ هذا قبر عبد الله
٨ ـ بن داود بن سعيد
٩ ـ رحمه الله . . توفى سنة
١٠ ـ اثنتين وستين
١١ ـ ومائتين (كذا) والسلام.



نموذج من شواهد القبور التى وجدت فى مقابر عشم وهو مؤرخ فى سنة ٢٦٢هـ/ ٨٧٥م لوحة رقم (٤)

التعليق:

يعتبر هذا النقش الكوفى من حيث خطه وزخرفته مثلا رائعا يحتذى به، فقد ابتكر كاتبه احمد الحفار أسلوبا زخرفيا خاصا به وهو بذلك يخالف الأساليب السائدة فى عشم، ويتفوق على كثير من الأساليب الخطية الكوفية التى وردت على ما نشر حتى الآن من شواهد القبور المعاصرة له . . فقد كان التعويل حتى وقت قريب على نقش مبارك المكى المؤرخ سنة ٢٤٣هـ/٨٥٧م على اعتبار انه فريد عصره فى عالم الكتابات الكوفية الجنائزية حتى ان العالم السويسرى فلورى استخدمه نموذجا للمقارنة عند دراسته للأشرطة الكتابية فى جامع نايين بإيران، وخرج بنتيجة مؤداها أن هذا النوع من الكتابة يعود الى القرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادى. ونظرة سريعة الى نقش المكى يتضح أن الفرق بينه وبين نقش الحفار شاسع من الناحية الجمالية لأن الأخير يعتبر فى القمة بالنسبة لنقش المكى . . ولعل ذلك يعود الى فارق الزمن حيث ان نقش الحفار يأتى فى تاريخ عمله بعد نقش المكى بحوالى عقدين من الزمن وهو فارق كبير اذا اغفلت العوامل الحضارية بين مكة العاصمة المركزية وبين عشم التى كانت عملا أو مخلافا من مخاليف مكة المكرمة كما تقدم .

ومن خصائص هذا النقش الخطية الاستخدام الواسع لزخرفة التوريق الثلاثى الفصوص فى جل حروف النص حيث ظهر هذا التوريق فى شكل مراوح نخلية فى القوائم المجاورة ونصف نخلية فى القوائم المنفردة كما شاع هذا التوريق الثلاثى الفصوص فى جميع أطراف الحروف على اختلاف انواعها وهيئاتها الكتابية



وتفنن النقاش فى شكل الحاء المتصلة التى جاءت على هيئة جناحى طائر (س٦) وقد عد هذا الأسلوب فى كتابة الحاء من خصائص النقوش العشمية وليس له ما يماثله من النقوش الشاهدية خارج حدود عشم، على الأقل فيما نشر منها حتى الآن.

واتخذت اسنان حرفى السين والشين شكلا شبيها بأسنان المشط (س٣، ٥، ٨-١١) فى حين جاءت مرة واحدة على شكل مثلث فى كلمة بسم (س١). . وجاءت قنطرة العين المتوسطة مفتوحة ولكنها على هيئة كأس زهرة (س٥، ٦، ٨) واتخذت عقدة الميم المبتدئة والمتوسطة والنهائية (س١، ٣، ٤، ٨، ١٠) شكلا دائريا متوازنا فى إحكام مع خط استواء الكتابة اما نهاياتها فانها تمثل رؤوسا سهمية فى بعض الأحيان، أو توريقا ثلاثى الفصوص فى احيان أخرى. ومدت عراقة النون النهائية (س١٠، ١١) الى أعلى ثم ثنيت نحو اليسار لتنتهى بعنصر زخرفى ثلاثى التوريق، وجاء حرف اللام ألف مضفورا (س٤) ثم على شكل قاعدة مثلثة يتعامد عليها طرفان ينتهيان بتوريق يشكل بعضه مراوح نخلية كما فى سطر ٦. . ويعتبر هذا الشكل المضفور فى كتابة حرف اللام ألف فريداً فى هذه المنطقة، على الرغم من ظهور نماذج كثيرة فيما بعد فى أقطار متعددة من العالم الاسلامى.

ولم يكتف النقاش بالتأنق فى الكتابة وحسب بل بذل عناية كبيرة فى زخرفة الفراغات الواقعة ما بين السطور فالبسملة على سبيل المثال كتبت تحت غصنين مورقين متماثلين يتدلى منهما مصباح وانبثقت من قوائم بعض الحروف أغصان نباتية بعضها منفرد والبعض الآخر متماثل فى زخرفته، كما فى الاسطر (٤-٨) وملئت فراغات ما بين السطور بوريدات رباعية الفصوص، واستظلت اسنان السين فى كلمة سنة (س٩) تحت ثلاثة عناصر زخرفية متناغمة على هيئة صواريخ فى تعريفنا المعاصر.

وقد أطر النص من ثلاث جهات بإطار جميل على هيئة محراب مفصص، ينتهى من الأعلى فى نقطة مدببة يعلوها عنصر زخرفى على هيئة زهرة اللوتس (**انظر لوحة رقم٤**) ويتكون هذا الاطار من خطين صغيرين مزدوجين يحفان بشريط من الدوائر المتكررة وهذا النوع من المحاريب فريد فى عصره على شواهد القبور ولم يعثر حتى الآن على دليل منشور آخر يشبهه خارج منطقة عشم وخاصة من تلك الأدلة التى يعود صنعها الى فترة تاريخ هذا النقش. . ولا شك أن هذا الابداع فى تنفيذ عمل هذا الاطار يدل على مهارة النقاش «أحمد الحفار» الذى سبق زمانه فى انتاج المحاريب المدببة والاستفادة منها فى زخرفة شواهد القبور. . وهو ايضا لم يغفل كتابة اسمه الذى جاء ممهورا تحت غصنين مورقين خارج الاطار فى الزاوية اليمنى من أعلى الشاهد ليسجل بذلك الصورة الكاملة والنموذجية لشواهد القبور التى تفتقر الى كثير من العناصر المتوفرة فى هذا النقش.

---

(١) أقامت إدارة الآثار والمتاحف فى الوقت الحاضر سوراً على مدينة عشم والمدن القريبة منها، وعينت من يقوم على حراستها.

(٢) تم هذا المسح أثناء إعدادى لرسالة الدكتوراة التى تناولت المواقع الأثرية بما فى ذلك مدينة عشم . . وعنوان هذه الرسالة:
(The Southern Area of the Amirate of Makkah 3rd-7 th 9th-13thCent uries Its History Archaeology and Epigraply ph.D thesis, University of Durham,1983.



المحراب

رحلة أربعة عشر قرنا

د. أحمد قاسم الجمعة

مدير مركز البحوث الآثارية والحضارية

كلية الآداب - جامعة الموصل



يُعَدُّ المحراب من العناصر المعمارية المهمة فى العمائر الدينية والعلمية الاسلامية كالجوامع والمساجد والمشاهد والمراقد والمزارات والمدارس - على الرغم من ادعاء بعضهم اعتبار المحراب من العناصر المبتدعة فى الاسلام(١).. حيث كان ذلك من جملة الأسباب التى استغلها قسم من المستشرقين لاعتبار المحراب من العناصر المقتبسة من الكنائس(٢) أو معابد الأقوام الأخرى(٣) انطلاقا من تجريد العرب والمسلمين من أية ظاهرة حضارية وان كانت من صلب عقيدتهم.

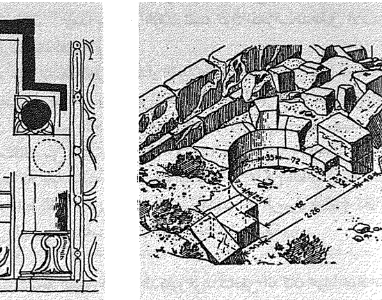
وسنحاول فى بحثنا تأكيد معنى المحراب وموقعه وأهميته الوظيفية ومواده الانشائية وتتبع تطوره من حيث التخطيط ونظام البناء ومدى علاقته وتأثيره على الناحية التخطيطية للمبانى التى وجد فيها والعناصر المعمارية التابعة لها.

فقد وردت لفظة المحراب فى القرآن الكريم وفى المعاجم اللغوية والدواوين الشعرية بمعان متعددة وان كانت متقاربة فى أغلب الحالات(٤)

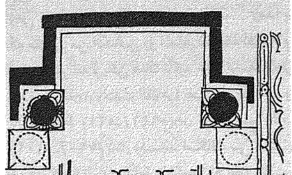
والذى يعنينا من ذلك كله المقصود بالمحراب فى العصر العربى الاسلامى من خلال الآيات القرآنية الكريمة.. فقد كان يقصد به الحجرة أو الصومعة التى كان يؤدى فيها المتعبد شعائر الصلاة ومناجاة الله والتضرع اليه.. ثم اقتبست فى المساجد لتعيين اتجاه القبلة(٥) بعد نزول الآية الكريمة **﴿فلنولينك قبلة ترضاها فولِّ وجهك شطرَ المسجد الحرام﴾**(٦).

ويُستنتج مما أوردته المصادر حول الموضوع

رسم (١) تخطيط منظور لمحراب قصر المشتى بالشام



رسم (٢) تخطيط محراب بقصر الجوسق الخاقانى فى سامراء



وجود المحراب فى المسجد النبوى الشريف وتحديد موقعه من المصلى فالسمهودى يقصد بالمحراب المكان الذى كان يصلى فيه الرسول ﴿ﷺ﴾ والذى كان يحاذى جدار القبلة(٧) ويبين القسطلانى انه كان يبعد عن ذلك الجدار بمقدار ثلاثة أزرع(٨).

وتطرق الغزالى الى موقع المحراب بقوله: «اذا وقف المصلى فى مقام النبى ﴿ﷺ﴾ تكون رمانة المنبر حذو منكبه الأيمن ويجعل الجزعة التى فى القبلة بين عينيه فيكون واقفا فى مصلى النبى ﴿ﷺ﴾.

وهذا يدل على ان المحراب والمنبر أصبحا منذ ذلك الوقت من المستلزمات الضرورية لأداء الشعائر الدينية فى المساجد فالمنبر اصبح المكان المناسب لأداء الخطبة ويحدد المحراب موضع اتجاه القبلة فى اثناء تأدية الصلاة كما أن مجاوزة بعضها لبعض اصبحت ضرورية لأن الصلاة تلى الخطبة مباشرة.

وأورد أبو هريرة حديثا عن الرسول ﴿ﷺ﴾ نصه: «اذا صلى أحدكم فليجعل تلقاء وجهه شيئا فان لم يجد فلينصب عصا فان لم يكن فليخط خطا ثم لا يضره مَنْ مرَّ بين يديه»(٩).

ونقل ابن فضل الله العمرى عن السهيلى انه قال: «بنى مسجد رسول الله ﴿ﷺ﴾ وسقف بالجريد وجُعلت قبلته من اللبن ويقال: بل من حجارة منضودة بعضها على بعض وحيطانه باللبن». . ثم قال عن مسجد قباء: «وذكر ابن ابى خيثمة ان رسول الله ﴿ﷺ﴾ حين أسسه كان هو اول من وضع حجرا فى قبلته ثم جاء ابو بكر بحجر فوضعه ثم جاء عمر فوضعه الى جنب حجر أبى بكر ثم أخذ الناس فى البنيان»(١٠) وأورد القزوينى رواية مماثلة مفادها أن الرسول ﴿ﷺ﴾ عندما هاجر الى المدينة أسس مسجد قباء وقد وضع بيده الشريفة أول حجر فى محرابه(١١).

ولما تقدم يتضح أن المحراب وجد منذ السنة الثانية للهجرة مع أول مسجدين للمسلمين فى حائط القبلة الى اليمين من المنبر وكانت تمثله علامة تحدد اتجاه القبلة وتكون سترا للمصلى وان الضرورة الوظيفية ـ وهى تعيين اتجاه القبلة ـ استلزمت ذلك. . وهذا ينفى فى الوقت نفسه كون المحراب بدعة فى الاسلام او أنه مقتبس من الكنائس او المعابد السابقة للاسلام.

ويظهر أنه لم يكن هناك تأكيد على توسط المحراب لجدار القبلة حيث لم يتوسط محراب المسجد النبوى جدار القبلة(١٢) وتمثلت الظاهرة نفسها فى المساجد والجوامع المبكرة كما هو الحال فى جامع عمرو بن العاص بالفسطاط (٢١هـ/٦٤١م)(١٣) والجامع الأموى بدمشق (٨٧هـ/٧٠٦م)(١٤) ومسجد بصرى (١٠٢هـ/٧٢٠م)(١٥) ومسجد اسكاف بنى جنيد بالعراق (١٠٥-١٢٠هـ/٧٢٤-٧٣٩م)(١٦) على الرغم من أن اعتدال واستقامة المساجد اللاحقة كانت تتوسط جدران القبلة. . ولكن التأكيد شمل اعتدال واستقامة صفوف المصلين بموازاة حائط القبلة فقد روى عن أنس بن مالك: أن الرسول ﴿ﷺ﴾ كان يضع يمينه على العمود الموجودة داخل المصلى ثم يلتفت فيقول استووا وأعدلوا صفوفكم(١٧).

وبالنسبة للهيئة وتخطيط محراب المسجد النبوى فيرجح الدكتور فريد شافعى أنه كان محرابا مجوفا استنادا الى ما أورده السمهودى فى مجمل حديثه عن مراحل بناء المسجد حيث قال: «فأمر النبى ﴿ﷺ﴾ بالنخل فقطع. . . فصفوا النخل قبلة له وجعلوا عضادتيه من حجارة. . .» لأن العضادة هنا تعنى جانب بفجوة أو تجويف(١٨) كما رجح استنادا الى مادة اللبن التى بنيت منها جدران مسجدى المدينة وقباء ان وجه المحراب فى كل منهما كان يرتد عن وجه جدار القبلة على هيئة مجوفة وحصل هذا التجويف نتيجة لبناء الجدار باللبن الذى يتطلب ان يكون سمك الجدار كبيرا بعكس المحراب الذى كان مشيدا بالحجر وهو لذلك يسمح ببناء جدار أقل سمكا من الجدار المشيد باللبن. . وهكذا يتألف التجويف من الفرق بين السمكين. . ويستنتج مما أورده ابن بطوطة حول الموضوع ان ذلك التجويف قد تطور مع الزمن وازداد عمقه لدى توسع المسجد وخصوصا من الجهة القبلية حتى اتخذ هيئة مجوفة فى عمارة عثمان بن عفان رضى الله عنه (٢٤هـ/٦٤٤م)(١٩).

وانتقلت الهيئة المبسطة لمحرابى المسجد النبوى بالمدينة وقباء الى العراق والشام ومصر وأقطار المغرب العربى مع بعض التطور عندما زادت العناية فى أساليب بناء المساجد فى المدن والأمصار ولا سيما منذ منتصف القرن الاول الهجرى كما هو الحال فى مدن البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان(٢٠).

ومن الأمثلة الصريحة المبكرة للمحاريب المجوفة محراب جامع القيروان الذى يرجع الى عهد البناء الأول من قبل عقبة بن نافع (٥٠هـ/٦٧٠م)(٢١) والمحراب المجوف المثبت فى الضلع الجنوبى للحائط الخارجى من الداخل بمبنى قبة الصخرة الذى يرجع بدوره الى عهد البناء الأول من قبل عبد الملك بن مروان سنة (٧٢هـ/٦٩١م)(٢٢) ويليه فى التاريخ المحراب الأوسط فى الجامع الأموى (٨٧هـ/٧٠٦م)(٢٣).

ولهذه الأمثلة اهمية كبيرة لأنها تدل على خطأ ما ذهب اليه بعض المستشرقين من أن الأقباط هم أول من أدخل المحراب المجوف فى الاسلام عند استحداث المحراب المجوف فى المسجد النبوى لدى تجديده

من قبل الوليد بن عبد الملك سنة (٨٨-٩١هـ/ ٧٠٦-٧٠٩م)(٢٤) مدعين انه شبيه بحنية الهياكل الكنسية(٢٥).

فضلا عما تقدم فان هيئة ووظيفة المحراب المجوف فى المساجد الاسلامية تختلف كل الاختلاف عن هيئة ووظيفة حنية الهياكل فى الكنائس.

فالمحراب المجوف أصغر عادة من حنية الكنائس وابتكر لكى يدخله الامام فى صلاته فى حالة اكتظاظ المسجد بالمصلين وبهذا يؤمن صفا اضافيا للمصلين هذا فضلا عن تعيين اتجاه القبلة وترديده لصوت الامام.

اما حنية هياكل الكنائس فتكون واسعة وحجمها اضعاف حجم المحراب وترتفع عن أرضية المكان الذى تتصدره وتستخدم لوضع مائدة تحتوى على القرابين والخبز المقدس والايقونات وغير ذلك من الرموز الكنسية(٢٦) وعلاوة على ما تقدم فان التشابه لا يكون بالضرورة تأثيرا متبادلا فى كافة الاحيان وانما الناحية الوظيفية تقتضى ذلك.

ويظهر أن جميع محاريب المساجد والجوامع فى الشام ومصر وغرب العالم الاسلامى المنسوبة الى العصر الأموى قد اتبعت نموذج المحراب الذى تمثل فى قبة الصخرة والمسجد الأموى فى دمشق.. كما هو الحال فى جامع قصر الحلابات ومسجد خان الزبيب ومسجد ام الوليد الواقعة فى سنة (١٠٧-٢١٥هـ/ ٧٢٥-٨٣٠م) ومحراب المسجد الصغير فى كل من قصر المشتى (رسم١) وقصر الطوبة ثم تمثلت بعد ذلك فى تلك البقاع.. ويعد المحراب المجوف فى جامع ابن طولون من أقدم الأمثلة الثابتة التاريخ فى مصر استنادا الى جداره المجوف بهيئة نصف دائرية وعقد الواجهة والزخارف الجصية المنفذة عليها من العهد الطولونى.. كما ان بقايا المحراب فى مشهد آل طباطبا له تجويفه نصف دائرية(٢٧).

ومن المحاريب ذات التجويفة نصف الدائرية الباقية فى المغرب العربى الاسلامى محراب جامع القيروان (٥٠هـ/ ٦٧٠م)(٢٨) ومحراب رباط المنستير (١٨٠هـ/ ٧٩٦م).. ومحراب رباط سوسة (١٨٠-٢٠٦هـ/ ٧٩٦-٨٢١م)(٢٩).. ومحراب بوفتاتا (٢٢٤-٢٢٧هـ/ ٨٣٨-٨٤١م).. ومحراب جامع الزيتونة فى تونس (٢٥٠هـ/ ٨٦٤م)(٣٠).. كما ان معظم المحاريب التالية تقيدت بنفس التخطيط مع تصرف بسيط احيانا(٣١).

أما فى مشرق العالم الاسلامى ولاسيما فى العراق وايران: فان معظم المحاريب اتبعت نموذجا آخر ذا مسقط مستطيل اى قائم الزوايا متعامد الأضلاع وذلك طوال العصر العباسى الأول ومن امثلتها محراب مسجد قصر الأخيضر ومحراب جامع سامراء الكبير ومحراب جامع ابى دلف ومحراب المسجد الملصق بقصر الجوسق

الخاقانى فى سامراء(٣٢) (رسم٢) وبقيت أمثلة لتجاويف المحاريب المستطيلة حتى أواخر العصر العباسى كمحراب المدرسة المستنصرية(٣٣).

ومع هذا فقد وجدت فى العراق بعض الأمثلة لمحاريب ذات تجاويف نصف دائرية كمحراب خان الخرنينى (٦٢٣ - ٦٤٠هـ/ ١٢٧ - ١٢٤٣م)(٣٤) او ذات تجاويف شبه بيضوية كمحراب جامع أبى ريشة فى عانه ومحراب على الآلوسى فى آلوس من نهاية القرن (٦هـ/ ١٢م)(٣٥) (رسم٣).

ومنذ منتصف القرن (٦هـ/ ١٢م) وما بعده ظهرت التجاويف المضلعة لبعض المحاريب لأول مرة فى العراق ومنها محراب الجامع الثالث فى واسط (٥٥٠هـ/ ١١٥٥م) ومحراب مزار بنات الحسن (رسم ٤) ومحراب مسجد الامام ابراهيم فى الموصل بحدود نهاية القرن (٧هـ/ ١٣م) ثم امتدت الهيئة المضلعة للتجاويف الى المناطق الأخرى من العالم الاسلامى مثالها محراب جامع قراطاى فى آسيا الصغرى ومحراب المسجد الجامع بكرمان فى ايران ومحراب جامع قرطبة فى الأندلس ومحراب مسجد تينصلل فى المغرب(٣٦).

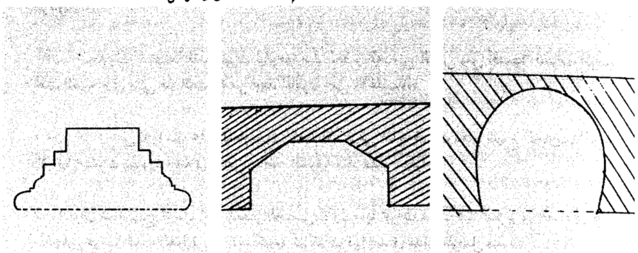
ويتكون تجويف المحراب الواحد فى حالات أخرى من عدة تجاويف متراجعة ذات مساقط بيضوية أو مستطيلة تصغر تدريجيا نحو الداخل كما فى محراب جامع الخليفة فى سامراء (٢٣٢و٢٤٥هـ/ ٨٤٧ و٨٦١م)(٣٧) (رسم٥) ومحراب اسكاف بنى جنيد (١١٠هـ/ ٧٣٨م)(٣٨) ومحراب الجامع المجاهدى فى الموصل (٥٧٢-٥٧٦هـ/ ١١٧٦-١١٨٠م)(٣٩) (رسم٦). . ويكون تجويف بعض آخر من المحاريب على هيئة تجويفين مزدوجين الأمامى منهما مستطيل والخلفى اما أن يكون على هيئة نصف دائرية تقريبا كمحراب غرفة مرقد الأربعين فى تكريت بحدود اواخر القرن (٥هـ/ ١١م)(٤٠) او مضلع كما فى محراب المصلى الصيفى بالجامع النورى فى الموصل القرن (٧هـ/ ١٣م)(٤١)
(رسم٧).

والجدير بالذكر أن بعض هذه النماذج من المحاريب ذات التجاويف المتتابعة كانت تمثل فى الوقت نفسه محاريب مزدوجة لأنها تحوى اكثر من عقد واحد (الرسم السابق) ويبدو أنها ظهرت لأول مرة فى العراق ثم شاعت فى المشرق الاسلامى ومن نماذجها الأولى محراب جامع أبو دلف فى سامراء (٢٤٥هـ/ ٨٦٠م)(٤٢). . . وفى ايران ظهرت بالقرن (٦هـ/ ١٢م) وما بعده كمحراب جامع المسيدلن بقاشان(٤٣). وعلى الرغم من وجود بعض الأمثلة للمحاريب المزدوجة فى مصر كما فى مدرسة السلطان حسن بالقاهرة من العهد المملوكى الا أن الأمثلة بها قليلة وفى المغرب الاسلامى ندر وجود مثل هذه المحاريب(٤٤).

وهناك هيئة فريدة فى المحاريب الاسلامية تتكون من تجويف وسطى يحف به من كل جانب تجويف أو طاقة أصغر منه - ومن أمثلتها النادرة محراب مسجد الحاكم بالقاهرة (٣٨٠-٤٠٣هـ/ ٩٩٠-١٠١٢م)(٤٥).. ومحراب المدرسة الظاهرية فى حلب (٦١٣هـ/ ١٢١٦م)(٤٦) . . ومحراب مزار بنجة علي فى الموصل (٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م)(٤٧) (رسم٨)



رسم (٤) مسقط افقى لمحراب مزار بنات الحسن فى الموصل



رسم (٥) مسقط افقى لمحراب جامع الخليفة فى سامراء

سم (٣) مسقط افقى لمحراب على الالوسى فى الوس

ومهما يكن من أمر فمن حيث فكرة عمل المحراب المجوف فى المساجد سواء كان مسقطه مستطيلا كما فى مساجد العراق او كان نصف دائرى او منحنيا كما فى سائر مساجد العالم الاسلامى فان حجمه كان صغيرا لا يسمح بوقوف اكثر من شخص واحد بداخله وهو الذى يؤم المسلمين فى صلاتهم ولم يكن من الضرورى أن يقف داخل تجويف المحراب(٤٨).

ومنذ القرن (٦هـ/١٢م) والقرن الذى تلاه طالعتنا فى العراق بعض الأمثلة النادرة لمحاريب امتازت بالضخامة ومنها محراب الجامع المجاهدى فى الموصل الذى يبلغ ارتفاعه (٧ر٣٦م) وعرضه (١ر٥م) وأقصى عمقه (١٨ر٣م)(٤٩). . ومحراب مشهد ابى ريشة فى عانه حيث يبلغ ارتفاعه (٧٥ر٣م) وعرضه (٨٢ر١م) وعمقه (٣٠ر٢م)(٥٠). . ومحراب مزار بنجة علي بالموصل الذى يبلغ طوله (٨٤ر٣م) وارتفاعه

ومن أهم المبتكرات والظواهر المعمارية التى تتعلق بالمحاريب المجوفة النواصى مغلقة ومفادها استحداث زاوية فى نواصى المحاريب لوضع الاعمدة فيها وقد وجدت منذ العصر الأموى، ومن اقدم امثلتها وجدت فى المحراب المثبت فى الجدار الجنوبى لقبة الصخرة ويليه محراب المسجد الأموى ثم قصر المشتى (رسم١) وربما تمثلت فى محاريب جامع عمرو بن العاص الثلاثة التى كانت فى جدار القبلة.

وقد وصلت هذه الظاهرة الى مرحلة ناضجة فى سامراء حيث ان المحراب اصبح تحف به من جهتيه عدة نواص مغلقة كما فى محراب جامع سامراء الكبير ومحراب جامع ابى دلف ومحراب المسجد الملحق بقصر الجوسق الخاقانى(٥٢) (رسم٢).

ومن الأمثلة الباقية لهذه الظاهرة فى المغرب العربى من العصر العباسى اعمدة النواصى فى محراب المسجد

فى الطريق العلوى من رباط سوسة ومحراب جامع بوفتانا فى سوسة ومحراب جامع القيروان ومحراب جامع الزيتونة(٥٣).

أمـا المحاريب المسطحة فقد ظهرت نماذجها منذ العصر العباسى الأولى ومن أقدمها المحراب الموجود تحت الصخرة فى مبنى قبة الصخرة من عهد المأمون على الأغلب(٥٤).

وعلى الرغم من ندرة مثل هذه المحاريب فى العالم الاسلامى اذا ما قيست بكثرة شيوع المحاريب المجوفة الا أنها انتشرت بصورة جلية فى بعض مناطقه الشرقية منذ عصر سامراء.

ففى العراق عدة نماذج تنسب الى العصر العباسى الأول منها محراب مكان عبد العزيز فى الغراء فى جبل سدجار ومحراب البيت الطولونى فى العسكر(٥٥) ثم كثرت فيها بعد فى مدينة الموصل منذ القرن (٥هـ/١١م) وحتى منتصف القرن (٧هـ/١٣م) وذلك لكثرة المدارس والمراقد والمزارات التى وصلت الينا منها أنفس المحاريب المسطحة كمحرابى مرقد الشيخ فتحى بحدود القرن ٥هـ/١١م)(٥٦) (رسم٩) ومحراب المدرسة العزية (٥٧٦-٥٨٩هـ/ ١١٨٠-١١٩٣م)(٥٧) ومحراب المدرسة النورية (٥٨٩-٦٠٧هـ/ ١١٩٢-١٢١٠م)(٥٨).

وهناك مثال للمحاريب المسطحة فى سوريا ينسب الى ابن طولون مثبت فى احدى بدنات الظلة الغربية لجامع دمشق(٥٩) وفى ايران شاعت تلك المحاريب خلال العصر السلجوقى(٦٠) وفى مصر ظهرت المحاريب المسطحة منذ العصر الفاطمى ففى جامع ابن طولون بالقاهرة وجدت خمسة محاريب جصية منها ثلاثة تنسب الى ذلك العصر واثنان يرجعان للعصر المملوكى - علاوة على نماذج أخرى من المحاريب الخشبية المعروضة فى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة من القرن (٤هـ/١٠م)(٦١).

ويوجد نموذج آخر من نماذج المحاريب التى تعد من المبتكرات المعمارية الاسلامية وهى المحاريب المنزوية. ويتكون عادة كل محراب من قطعتين مسطحتين ومتناظرتين تلتقيان فى زاوية المبنى الممثلة لجهة القبلة لتشكلا بعضهما مع بعض المحراب الذى يأخذ شكل الزاوية القائمة.

وهذا النوع من المحاريب نادر الشيوع فى العالم الاسلامى ومنها محرابان فى الموصل هما: محراب مزاريحيى بن القاسم (٦٣٧هـ/ ١٢٢٩م)(٦٢) ومحراب مزار عون الدين (٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)(٦٣) (رسم ١٠) بالاضافة الى مثال آخر فى مصر هو محراب جامع السيدة عائشة بالقلعة.

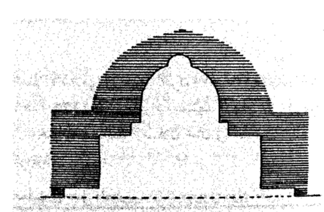
والجدير بالذكر أن تعدد انواع المحاريب من حيث التخطيط كان بفعل تنوع المبانى المثبتة فيها بصورة عامة - فالجوامع والمساجد الجامعة استخدمت فيها المحاريب المجوفة لتوفير صف اضافى الى صفوف



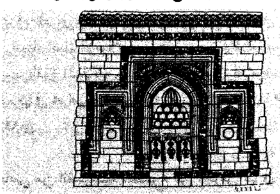
المصلين عند دخول الامام فيه وليعمل على ترديد صوته بينما كثرت المحاريب المسطحة فى بعض المدارس لعدم وجود جميع منتسبيها بداخلها خلال أوقات الصلاة. . لذا انتفت الحاجة إلى الصفوف الاضافية. . أما المحاريب المنزوية فقد وجدت فى بعض المزارات فى مزارات الموصل ويرجع ذلك الى الحيز المكانى المحدود واتسام الزيارات بالفردية عادة(٦٤).

أما هيئة ونظام بناء المحاريب المجوفة بعد اكتمال معالمها ـ فكانت تسير على نمط واحد تقريبا حيث تتخذ هيئة مستطيلة فى أغلب الحالات يكتنفها تجويف يعلوه عقد منفرد او مزدوج يرتكز من كل جانب على عمود او اكثر على الرغم من وجود بعض الاختلافات فى التفاصيل والجزئيات تتعلق بالناحية الفنية اكثر من تعلقها بالناحية المعمارية.

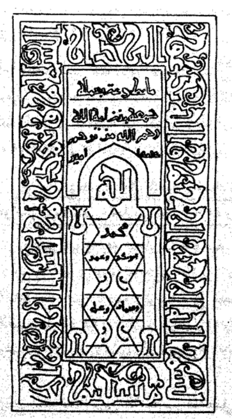
وفى حالة كون المحاريب مسطحة فينحت كل منها على هيئة محراب بكامل عناصره المعمارية ولا سيما الأقواس والاعمدة (رسم٩) فى حين ينحت كل قسم من قسمى المحراب المنزوى على هيئة نصف محراب مسطح (رسم١٠).



رسم (٦) تخطيط ارضى لمحراب الجامع المجاهدى بالموصل المقياس ١/ ٨٠



رسم (٨) تخطيط محراب مزار بنجه علي حي الموصل



رسم (٩) تخطيط واجهة محراب الحضره فى مرقد فتحى

وبالنسبة للمواد الانشائية المستخدمة فى المحاريب فقد تعددت بفعل تنوعها ومدى توفرها فى المناطق المختلفة فى العالم الاسلامى وكذلك تعدد هيئات المحاريب وطبيعة المبانى المثبتة فيها.

فالمحاريب المجوفة تبنى عادة من الحجارة والجص او الآجر وفى حالة بنائها من نفس المادة الانشائية للمبانى المثبتة فيها تغلف او تكسى بمادة اخرى مغايرة او تزخرف على الأقل لتكتسب خصوصية تميزها عن جدران المصلى، ولاسيما القبلى منها. اما المحاريب المسطحة والمنزوية فتنحت فى أغلب الاحيان من مادة تختلف عن مادة تلك الجدران.

والجدير بالذكر ان الغلبة كانت لمادة الآجر فى بناء المحاريب المجوفة فى مشرق العالم الاسلامى، كما حدث فى العراق وايران خلافا لمصر والمغرب الاسلامى فقد كانت الغلبة فيهما للحجارة والأمثلة كثيرة لا حصر لها(٦٥).

وقد استخدمت مواد اخرى فى عمل المحاريب كالخشب والقاشانى فى بعض المناطق فى حين ندر استخدامها فى مناطق اخرى.

فالخشب استخدم فى عمل المحاريب منذ العهد الفاطمى حتى غدت المحاريب الخشبية من المميزات المهمة لذلك العصر(٦٦) ولعل أقدم نماذجها ذلك المحراب الذى وجد بجامع عمرو بن العاص (٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م)(٦٧) وقد سرى تأثير ذلك الى سوريا فى العهد الأيوبى متمثلا فى محراب المدرسة الحلوية فى حلب (٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)(٦٨).

اما المحاريب القاشانية فقد ظهرت فى مشرق العالم الاسلامى فى حدود القرن (٧هـ/١٣م) وندرت فى مغربه ومنها محرابان فى جامع الميدان بقاشان (٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م).. ومحراب بمشهد الامام على (رضى الله عنه) فى النجف من القرن (٧هـ/ ١٣م).. ومحراب مسجد ارسلان خان فى انقرة (٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م).. ومحراب فى المسجد النبوى بالمدينة المنورة(٦٩)

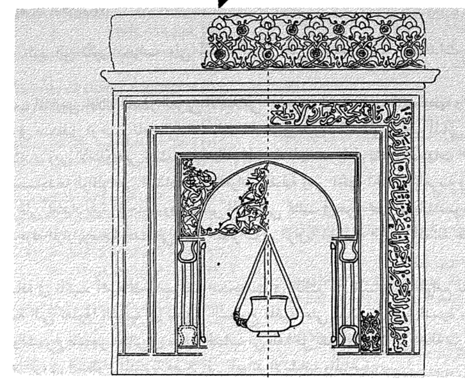
ولابد لنا ونحن فى مجال التعرض للمواد التى استعملت فى عمل المحاريب ان ننوه بوجود مواد اخرى طعمت او كسيت بها بعض المحاريب لغاية زخرفية وفنية بحتة ـ ومنها الفسيفساء والرخام والجبس.

ويظهر ان زخرفة المحاريب بالفسيفساء تمثلت فى العراق منذ عصر سامراء كما هى الحال فى محراب جامع الخليفة فى سامراء(٧٠) ثم امتدت الى بعض انحاء العالم الاسلامى.. ففى مصر تمثلت الفسيفساء المذهبية والزجاجية والرخامية فى معظم محاريب الفترة المملوكية.. وفى تركيا وايران انتشرت ظاهرة الفسيفساء الخزفية منذ القرن (٧هـ/١٣م) وما بعده كما فى محراب صاحب أتا فى قونية (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) ومحراب المدرسة الامامية بأصفهان (٧٧٥هـ/١٣٧٣م).

وفى المغرب العربى الاسلامى استعمل نوع خاص من الفسيفساء المصنوع من الجرش كما فى محراب الاشبيلى بتونس من القرن (٤هـ/ ١٠م)(٧١)



(١٠) تخطيط واجهة محراب الامام عون الدين بالموصل المقياس: ١ : ٢٠



هذا وكسيت بعض محاريب المغرب العربى الاسلامى بالجبس المنقوش كما فى محراب جامع بلاد الحضر بتوروز فى تونس (٥٩٠هـ/ ١١٩٣م) وهى نفس الظاهرة التى شاعت فى المحاريب الأندلسية(٧٢) وفى مدينة الموصل طعمت بعض المحاريب بزخارف وكتابات من الرخام الأبيض (الصدف) منذ القرن (٦هـ/١٢م) وما بعده. . ويلاحظ ذلك فى محراب مسجد الشماعين ومحراب مزار بنات الحسن(٧٣).

وإذا ما استثنينا المحاريب فى عصورها الاولى التى كانت تنشد النواحى الوظيفية فقط شأنها فى ذلك شأن غيرها من العناصر المعمارية فقد شمل الاهتمام النواحى الجمالية لأغلب المحاريب فشغلت بالزخارف الهندسية وزخارف التوريق العربية (الارابسك) والاشرطة الكتابية وبأساليب تنفيذية متعددة منها النافرة والغائرة والمطعمة حتى غدا الكثير منها آية فى الجمال وأصبح كالألغاز بالنسبة لبعض المستشرقين ومن الأمثلة النادرة لتلك الاعمال الفنية زخارف التوريق فى عقد محراب الجامع الأموى فى الموصل (٥٤٣هـ/ ١١٤٨م) فقد نفذت على اربعة مستويات وبعمق سبع سنتمترات على الرخام وامتازت بالتحوير والابتكار والرشاقة حتى ان المتتبع لسير حركة الأغصان الحلزونية للزخرفة والعناصر التى تحملها وهى تنطلق فى اتجاهاتها يخال ان الحياة قد دبت اليها

ولابد من الاشارة الى ان القناديل كانت من جملة الاعمال الفنية التى لازمت زخرفة الكثير من المحاريب

(رسم ١٠) . . وربما كان مصدر ذلك الاهتمام بالقناديل تيّمناً بالمشكاة والمصباح الذى ورد ذكرهما فى سورة النور فى القرآن الكريم(٧٤) .

ولابد أن نشير الى تأثير المحراب على تخطيط المبانى التى وجدت فيها واستحداث بعض عناصرها المعمارية .

فأغلب المدارس خلال العصر العربى الاسلامى اعتمدت القبلة قاعدة لتخطيطها وانتظمت حدودها الداخلية فى مستطيل او مربع تام على خط ذلك الجدار وينطبق ذلك على معظم المبانى التى كانت تقام بها الصلاة . . ومن الأمثلة على ذلك عدم انتظام المدرسة المستنصرية فى بغداد للجهات الأربع تماما وذلك لتقيدها بمسجدها الواقع على امتداد جهة المحراب القبلية وهى الجهة الجنوبية الغربية وبطبيعة الحال قد أثر ذلك على امتداد بقية الأجنحة وهى نفس الميزة التى تمثلت فى مزار يحيى بن القاسم فى الموصل حيث صممت غرفة المزار بوضعية أدت الى وقوع المحراب فى الزاوية الجنوبية الغربية الممثلة لجهة القبلة(٧٥) .

وزيـادة فى تأكيـد أهمية المحراب فقد استحدثت فى الكثير من المساجد والجوامع بلاطات المحراب المستعرضة التى تعلوها القباب كما تضفى السطوح المقببة على المبانى الدينية قدسية وتعطيها نوعا من العظمة والشموخ فالتقعر الكائن فى سقف القباب من الداخل يقود الانسان الى حالة من التأمل والخشوع قلما يجدها المرء فى السطوح المستوية فضلا عن الفوائد الانشائية والمناخية(٧٦) .

وفى العهود التالية والحديثة بقى الاهتمام بالمحراب ماثلا الا انه اقتصر على الهيئة المجوفة واختفت الهيئات المسطحـة والمنـزوية بصورة عامة كما أن الاهتمام اصبح منصبا على المظاهر المعمارية والوظيفية اكثر من النواحى الفنية حيث اختفت الحلل الزخرفية تقريبا واقتصرت على الأشرطة الكتابية وزخرفة توشيحات العقود .

وهكذا اتضح لنا من خلال البحث ان المحراب كان من أبرز العناصر المعمارية منذ السنة الثانية للهجرة حتى يومنا هذا وخير معبر عن مبدأ التطور والابتكار والجمع بين النواحى الوظيفية والجمالية التى اعتمدها الطراز المعمارى العربى الاسلامى .

الهوامش

(١) السيوطى: اعلام الاريب بحدوث بدعة المحاريب مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٢ مبع ابن الحاج: المدخل ، القاهرة ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م ، ج٢ ، ص٢٧٢ .

(٢) Creswell (K.A.C.), Rarly Muslim Architecture, Oxford 1932, Vol.1, P. 99. Bell (G.L.), Palaco and Mosque at Ukhaidir, Oxford 1914.-47

(٣) Brigs (M.S.), Muhammadan Architecture in Edypt and Palestime, Oxford 1924, P.59.

(٤) نجاة يونس: المحاريب العراقية بغداد ١٩٧٦ ، ص٩-١٥ .

(٥) الدكتور فريد شافعى: العمارة العربية فى مصر الاسلامية ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص٦١١

(٦) البقرة: ص١٤٤

(٧) السمهودى: وفاء الوفا باخبار دار المصطفى، مصر ١٣٢٦هـ، ج ص٢٦٤و٢٦٥ .

(٨) القسطلانى: ارشاد الساوىء الى شرح صحيح البخارى، القا

ولاق) ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م، ص٣٨٠ ج ٤

١) السمهودى، ج١ ص٢٦٦.

١) الشيبانى: الحجة على أهل المدينة، ترتيب وتعليق مهدى حسن كيلانى القادرى، مطبعة المعارف الشرقية ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، ط١، ص٨٨.

١) فريد شافعى: العمارة العربية فى مصر الاسلامية ص٥٩.

١) القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت. ١٩٦٠، ص١٠٣.

١٤،١٥،١٦،١٧) الدكتور احمد فكرى: مساجد القاهرة ومدارسها (المدخل) القاهرة ١٩٦١ ص٢١٢، ٢٩٨، ٢٢٤، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٩٨ ش٨٨، ٩٢،٩.

١) السمهودى: المصدر السابق ج١، ٢٧٢.

٢٠، ٢١) شافعى: المرجع السابق ص٥٩٨، ٥٩٩، ٦١١.

٢) الدكتور احمد فكرى: مسجد القيروان، القاهرة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م. ص٥٧-٥٩

٢٤، ٢٦، ٢٧) شافعى: المرجع السابق

٢) Creswell (K.A.C.) Ashort Accaunl of Early Muslim Architecturs lst, Pub Penquin pco ican B 1953, P.4

٢) سليمان مصطفى زبيس: المحاريب فى العمارة الدينية بالمغرب الاسلامى (المؤتمر الرابع للآثار فى البلاد العربية، القاهرة ١٩٦٥، ص٥٥٤.

٣) شافعى: المرجع السابق، ص٦١٣، ٦١٤

٣) زبيس: المرجع السابق ص٥٥٧-٥٦٢.

٣) شافعى: المرجع السابق ص٦١٥، ٦١٦.

٣) الدكتور احمد قاسم الجمعة: العناصر والمميزات المعمارية فى المدرسة المستنصرية، مهرجان المستنصرية الأول بغداد ١٩٨٥، ص١١، مخطط٧

٣) ابن الطقطقى: الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية ١٣١هـ/ ١٩٢٧م، ص٢٤٢، نجاة يونس: المرجع السابق ش٥٦.

٣) بشير فرنسيس وناصر النقشبندى: المحاريب القديمة فى متحف القصر العباسى ببغداد سومر ٧ لسنة ١٩٧١، ص٢٢٠، نجاة يونس: المرجع السابق، ص١٤٦، ١٤٧، ش٤٥، ٥٦.

٣) الدكتور احمد قاسم الجمعة: الآثار الرخامية فى الموصل خلال العهدين الاتابكى والايلخانى، رسالة دكتوراه غير منشورة قدمت لجامعة القاهرة ١٩، ص١٩٣.

٣) الدكتور احمد فكرى: مساجد القاهرة ومدارسها (المدخل) ص٢٣٧، نجاة: المرجع السابق، ش١٠١.

٤) فكرى: المرجع السابق، ص٢٢٣، ش٩٢، نجاة: المرجع السابق ١.

٤) احمد قاسم الجمعة: محاريب مساجد الموصل الى نهاية حكم الاتابكة، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت لجامعة القاهرة ١٩٧١، ص٤٦، رسم ٤٩.

٤) الدكتور عبد العزيز حميد: عمارة الاربعين، سومر م١، لسنة ١٩٦٥، ١٣٩، ١٤٠، نجاة: المرجع السابق، ش٢٣.

٤٣،٤٤) الجمعة: المرجع السابق.

٤) Pope (A.U. The Architecture of the Islamic Period in Asurvey of Perslianm Art, Newyourk 1939, Vol.x pl. 794.

(٤٥) الدكتور احمد فكرى: مساجد القاهرة ومدارسها ج١، القاهرة ١٩٦٥، ص٧٣، لوحة ٢١.

(٤٦) Abbu (A.V.), The Ayyuid Domed Buildings of Syria (Ph.D Thris) Edinburgh University 1973, Vol, 3 Fig. 317.

(٤٧) الدكتور احمد قاسم الجمعة: أهم التأثيرات المعمارية الفنية المتبادلة بين العراق والمغرب العربى فى العصر الاسلامى، مجلة آداب الرافدين، العدد ٩ ايلول ١٩٧٨، ص١٩٨، رسم٤

(٤٨) شافعى: العمارة العربية فى مصر الاسلامية ص٦١٦.

(٤٩) الجمعة: محاريب مساجد الموصل ص٤٩، رسم ٤٧، ٤٨

(٥٠) نجاة يونس: المرجع السابق ص١٤٤، ش٤٤

(٥١) الجمعة: الآثار الرخامية فى الموصل، ص٥٩٠.

(٥٢) شافعى: المرجع السابق ص٦٢٠، ٦٢١

(٥٣) المرجع نفسه ص٦٢١

(٥٤) المرجع نفسه ص٦٢٢، الجمعة: المرجع السابق س١٩٤.

(٥٥) شافعى: المرجع السابق ص٦٢٢

(٥٦) الجمعة: محاريب مساجد الموصل ص١٠٧، ١١٥، رسم ١٢٢، ١٢٧.

(٥٧) المرجع نفسه، ص٦٦، رسم ٦١

(٥٨) المرجع نفسه، ص١٢٦، رسم ١٣٩، ١٤٢.

(٥٩) شافعى: المرجع السابق، ص٦٢٣، ش٤١٨.

(٦٠) الجمعة: الآثار الرخامية فى الموصل، ص١٩٤.

(٦١) المرجع نفسه، ص١٨٣.

(٦٢، ٦٣) الجمعة: المرجع السابق.

(٦٤) الدكتور احمد قاسم الجمعة: اصالة المعالجات المعمارية التخطيطية فى الموصل فى العصور العربية الاسلامية (مركز احياء التراث العلمى العربى) بغداد ١٩٨٦م، ص٢١، ٢٢.

(٦٥) الجمعة: الآثار الرخامية فى الموصل، ص١٨٢

(٦٦) حسن عبد الوهاب: الآثار الفاطمية بين تونس والقاهرة (المؤتمر الرابع للآثار فى البلاد العربية) القاهرة ١٩٦٥، ص٣٦٧.

(٦٧) الجمعة: المرجع السابق ص١٨٣

(٦٨) حسن عبد الوهاب: التأثيرات المعمارية بين سوريا ومصر، القاهرة ص١٠.

(٦٩) الجمعة: المرجع السابق ص١٨٤.

(٧٠) نجاة يونس: المحاريب العراقية ص٦٣

(٧١) الجمعة: المرجع السابق ص١٨٦.

(٧٢) زبيس: المحاريب فى العمارة الدينية بالمغرب الاسلامى ص٩٥٩، ٥٦٠

(٧٣) الجمعة: المرجع السابق ص١٨٥.

(٧٤) الجمعة: محاريب مساجد الموصل ص١٣٠

(٧٥) الدكتور احمد قاسم الجمعة العناصر والمميزات المعمارية فى المدرسة المستنصرية (مهرجان المستنصرية الأول، اتحاد المؤرخين العرب، بغداد ١٩٨٥ ص٢.

(٧٦) الجمعة: اصالة المعالجات المعمارية التخطيطية فى الموصل ص١٩.



دراسة

للمساجد في المملكة العربية السعودية

د. جفري كنج

قسم الآثار والمتاحف
جامعة الملك سعود

ترجمة
أحمد أبو القاسم الحسن

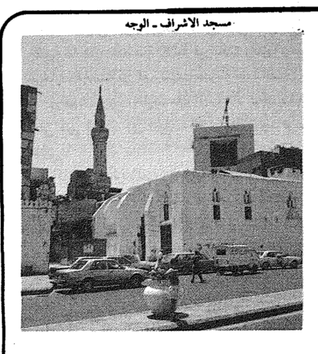
لم تتعرض عمارة المساجد فى المملكة العربية السعودية للدراسة المتعمقة من قبل علماء الآثار والفنون الاسلامية ويستثنى من ذلك المسجد الحرام فى مكة المكرمة والمسجد النبوى الشريف بالمدينة المنورة ومن المعلوم ان كثيرا من الجغرافيين والرحالة قاموا بدراسة عمارة هذين المسجدين ولكن تندر الدراسات عن عمارة المساجد القديمة الأخرى فى المملكة العربية السعودية.

فهناك بعض المساجد فى جدة والطائف وتبوك والاحساء وخيبر ودومة الجندل يرجع تاريخ انشائها للعصور الاسلامية المبكرة وقد أعيد بناء بعضها فى السنوات الاخيرة ولحسن الطالع ان الكشوف الآثارية فى بعض المواقع كالربذة والمحاط التجارية الأخرى على درب زبيدة بدأت تمدنا بمعلومات جديدة عن الطرز المعمارية المختلفة لمساجد شبه الجزيرة العربية وتسد بذلك الفراغات التاريخية فى الفترات الاسلامية المبكرة وتوجد أيضا مجموعة من المساجد مشيدة بمواد البناء المحلية التقليدية وتعود لفترة ما قبل العهد الحديث للمملكة العربية السعودية ولحسن الحظ فان بعض تلك المساجد التى لا تزال قائمة حتى يومنا هذا وبعض الدراسات التى تمت لبعض المساجد قبل اندثارها توضح لنا بجلاء تنوع الطرز الاسلامية المعمارية المحلية والتى هى جديرة بمزيد من الدراسة والتمحيص لالقاء مزيد من الضوء عليها.

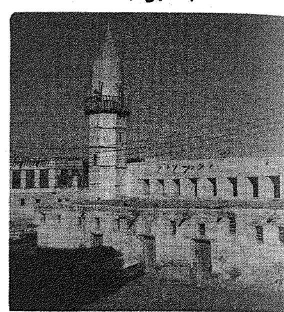
ساحل البحر الاحمر

فى المدن والقرى المشيدة من الاحجار المرجانية على ساحل البحر الاحمر فى المملكة العربية السعودية يوجد العديد من الطرز المعمارية المختلفة.. ففى

مسجد الاشراف ـ الوجه



مسجد الحنيفى ـ جدة



مدينة جدة توجد أدلة تشير الى أن مسجد أبى نوس يرجع تاريخه للحقبة الاسلامية المبكرة ويقال إن مسجد أبى نوس قد تم إنشاؤه فى عهد الخليفة عثمان بن عفان بالرغم من أنه قد أعيد بناؤه الآن . . اما مسجد الشافعى فربما يرجع لنفس الفترة المبكرة ويعتقد البعض أنه لحاكم رسولى يمنى يلقب بالملك المظفر سليمان سعد الدين والذى قيل انه قد بناه فى عام ٦٤٩هـ/١٢٥١م .

ولا ريب ان هذا المسجد قديم العهد ويستدل على ذلك من رصف ارضيته التى تقع فى مستوى اخفض من رصفات أرضيات الشوارع المحيطة به والمسجد ضخم البناء ومستطيل الشكل وعلى جدرانه الجانبية مداخل بارزة وأحد هذه المداخل اندثرت معالمه بواسطة متاجر السوق التى تجاور المسجد من جهة الجنوب وفناء المسجد تحيط به أروقة وأحد هذه الاروقة على الجانب الشرقى مسقوف وله قناطر موازية لجدار القبلة . . وهذه السمة مثل العقود البارزة للاروقة مطابقة لسمات المساجد القديمة المعروفة فى مدينة جدة وللمسجد مئذنة رائعة فى الجزء الجنوبى منه لها برج ذو ثمانية أضلاع وشرفتان عليهم زخرفة المقرنصات .

وعلى أعلى المئذنة توجد قيمة زخرفية أو بكرة فى هيئة العمامة . . وهذه المئذنة يبدو أنها أقدم جزء فى المسجد اذ ان المسجد قد أعيد بناؤه فى القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى .

والمساجد الاخرى بجدة تضم مسجدى معمار والحنيفى واللذين شيدا فى اسلوب معمارى وزخارف محلية إلا ان مئذنتى المسجد قد تم بناؤهما فى اسلوب عثمانى ويبدو ان فترة بناء المسجدين تعود للقرن الثالث عشر الهجرى/ التاسع عشر الميلادى . . ولمسجد معمار رواق صلاة كبير ومرتفع وله سقف مستو وأقواس بارزة موازية لجدار القبلة بينما يوجد فى الجانب الغربى للمسجد صحن فسيح ومرتفع واقيمت أسفله بعض المتاجر، والمئذنة توجد عند الجدار الجنوبى من رواق الصلاة بالقرب من المدخل الرئيسى واسلوب عمارتها عثمانى إذ أن لها شرفات مزدوجة . . أما

المسجد الحنيفى فطرازه يختلف بعض الشيء عن مسجد معمار إذ أن له رواق صلاة يغطية سقف مستو وله مداخل جانبية لها عقود مفصصة ثلاثية غير نافذة وعليها زخارف جدارية مجصصة تعكس تأثيرات مصرية ـ سورية وهذه الزخارف الجصية من اهم سمات مدرسة جدة الفنية.

ورغم ان اروع زخارف هذه المدرسة لا توجد بالمساجد الا اننا نجد ان زخرفة المساجد هذه تمثل جزءاً من تراث محلى فنى كبير. وفى الجانب الغربى للمسجد توجد زاوية بارزة تجاور المدخل الرئيسى وعليها مئذنة من طراز عثمانى.

ومن المناطق المتأثرة بالعمارة العثمانية فى شبه الجزيرة العربية منطقة مكة المكرمة والطائف والمدينة المنورة والوجه ويظهر هذا التأثير واضحا فى أشكال المآذن وهذه الاشكال من المآذن تثير عدة تساؤلات ربما لم يحن الوقت للاجابة عليها الآن.. هل هذه المآذن العثمانية الطراز فى منطقة الحجاز نتجت من تأثير عثمانى مباشر عبر اسطنبول أو القاهرة؟ أم ان التأثير نتج من مآذن المسجد الحرام والمسجد النبوى اللذين أعيد بناء معظمها فى القرن العاشر الهجرى ثم فى فترة العثمانيين؟.

وهنالك مسجدان فى مدينة الوجه على البحر الاحمر اقل شهرة من مساجد جدة، وهذان المسجدان لهما مئذنتان تجمعان بين العمارة العثمانية والعمارة المحلية.. وأحد هذين المسجدين يعرف بمسجد بدوى الشحاته وهو كغيره من مبانى المدينة مبنى من كتل الحجارة المرجانية على مرتفع فى وسط مدينة الوجه وجدرانه مطلية بالجص الابيض وللمسجد صحن واسع يحيط به جدار ومئذنة من الجانب الغربى ويعكس ذلك تأثيرا بالطراز المعمارى العثمانى وبجوار المئذنة يوجد مدخل المسجد وهو بارز قليلا للأمام مما يعطيه شكلا غير مألوف فى مساجد شبه الجزيرة العربية رغم أنه يشابه العمارة المملوكية والعثمانية فى الفكرة وتختلف فى التفاصيل.. والمدخل له باب مستطيل الشكل له عقد مفصص غير نافذ تعلوه مجموعة من أقواس أو عقود منحوتة وغير نافذة ورواق الصلاة كبير الحجم وفضاء من جهة الغرب بالعديد من النوافذ.

كما يحيط برواق الصلاة جدار القبلة وصف من الاعمدة تطل على صحن المسجد ويقال ان المسجد بعد انشائه فى حوالى عام ١٣٠٩هـ/١٨٩١م أضيفت له بعض الامتدادات من جهة الشرق فى فترة لاحقة.

أما المسجد الثانى لمدينة الوجه فيعرف بمسجد الأشراف وهو قريب من ساحل البحر وقد تم بناؤه فى عام ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م لان نقشاً على الباب الشرقى للمسجد يذكر لنا هذا التاريخ والمسجد مبنى من الحجارة المرجانية وله رواق صلاة غير مرتفع ويغطيه سقف مستو مشيد على أعمدة حجرية.. ولا توجد باحة بالمسجد وفى الجانب الشرقى يوجد المدخل.. وهو مستطيل الشكل ويشابه كثيرا مدخل مسجد بدوى الشحاته الا أنه أقل منه حجما وتعقيدا ومئذنة المسجد شاهقة الارتفاع ولها برج رائع له ثمانية أضلاع وشرفة واحدة وأسلوب بنائها عثمانى الطراز.

●● الى جهة الجنوب قرب جيزان نلاحظ ان عمارة المساجد تأخذ أسلوباً مختلفاً إذ ان عناصرها تشابه الى حد كبير مساجد ساحل اليمن ومن أهم هذه المساجد: مساجد أبو عريش فى شرق جيزان.. وأكبر هذه المساجد هو جامع أرخ للقرن الثالث عشر الهجرى/ التاسع عشر الميلادى.. والاساسيات القديمة للمسجد قائمة الى اليوم رغم أنه قد أدخلت فيه تجديدات فى السنوات الأخيرة وللجامع صحن يحيط به جدار شيد حديثاً ولكن أهم ما يلفت النظر للمسجد هو رواق الصلاة الطويل الموازى لجدار القبله وسقف المسجد له قباب متساوية الاحجام وتبلغ فى عددها ثمانى عشرة قبة والمحراب له سطح بارز فى وسط جدار القبلة وهذه الأنماط من المحاريب والسقف القبابى سمتان



غالبتان فى المنطقة رغم أن معظم المساجد قبابها أقل عدداً من قباب هذا المسجد وقد كانت للمسجد مئذنة فى الجانب الشرقى لها درج وبرج صغير ولكن الدرج اندثر ولا نرى اليوم إلا بقايا البرج الصغير. وهذه الأشكال من المآذن ذات الدرج توجد فى كثير من مساجد أبو عريش كما تنتشر أنماط المحاريب البارزة فى المنطقة أيضاً وبناء القباب العديدة يعتبر ظاهرة عامة إلا أن تشييد ثمانى عشرة قبة فى مسجد واحد يبدو ظاهرة فريدة فى نوعها إذ أن أغلب الجوامع فى (أبو عريش) وصبيا المجاورة لها قباب تتراوح فى عددها بين ثلاث وست قباب. وتاريخ هذه الأشكال من الجوامع يرجع للقرن الثالث عشر الهجرى/ التاسع عشر الميلادى على أقل تقدير.

وفى جزيرة فرسان المقابلة لمدينة جيزان توجد مساجد تشابه جوامع جيزان كما تضم بعض المبانى الأخرى الحديثة المميزة.

وللجامع القديم فى فرسان رواق صلاة قبلة مسقوف بثمانى قباب بينما نجد ان جامع نجدى التهامى والذى شيد فى عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٧م له اثنتا عشرة قبة. وهذا المسجد الاخير يعتبر أروع مساجد منطقة فرسان إذ له صحن كبير يحيط به جدار قصير.

وفى الركن الجنوبى الشرقى توجد المئذنة والتى تبقى لنا منها اليوم أساسات مربعة الشكل وبقايا برج ذى ثمانية اضلاع وقد اندثر كل البناء العلوى. ويلاحظ وجود حجرة صغيرة للمؤذن بجوار المئذنة ولرواق القبلة سقف له اثنتا عشرة قبة وللمسجد نوافذ عليها زخارف جصية مثقبة ومزينة بزخارف هندسية ونباتية وعليها ستائر ذات ثنيات. ويقال ان بناة المسجد هم أساسا من معمارى جدة أو الساحل اليمنى، وهاتان المنطقتان معروفتان بتقاليد الفنون الزخرفية الجصية.

المرتفعات الجنوبية الغربية

تختلف أساليب عمارة المساجد فى منطقة المرتفعات الجنوبية الغربية من مكان لآخر ولذلك يصعب التعميم. ففى المناطق المرتفعة المتاخمة لجيزان فى فايفا وبنى مالك نجد المساجد والمنازل مشيدة على قمم التلال والمنحدرات الضيقة والمساجد فى هذه القرى عادة صغيرة الحجم ومزودة بخزانات مياه تحت فناء المسجد لتخزين مياه الامطار والتى تهطل بغزارة فى أحياء كثيرة على تلك المناطق المرتفعة. وبعض المساجد قد أنشئت فى المقندة والقهبة على جبل بنى مالك وكذلك فى الوشر على أعلا قمة جبل فايفا وكل مساجد المرتفعات الجنوبية الغربية هذه لها باحات فسيحة وأروقة صلاة صغيرة عليها سقوف مستوية وجدرانها مبنية من الحجر ومطلية بالجص الابيض وأركان ووسط جدران هذه المساجد فى أغلب الاحيان مزينة بزخرفة الشرافة بينما يكون المحراب عادة كبيراً وبارزاً من الجانب الخارجى لجدار القبلة وفى أغلب الاحيان تكون المحاريب مستطيلة الشكل ولا توجد مآذن لمساجد هذه المنطقة إذ ان كل المساجد التى قام بزيارتها كاتب المقال ليست لها مآذن.

وفى سُقاء بالقرب من مدينة أبها فى منطقة عسير يوجد جامع كبير الحجم مبنى من الحجارة ومطلى بالجص الأبيض

وهذا المسجد يتباين فى اسلوب عمارته تبايناً واضحاً مع مساجد منطقة المرتفعات الجنوبية الغربية التى سبق ذكرها . . إذ تضم مبانى هذا الجامع قاعة كبيرة للصلاة لها سقف مستوٍ ومدخل رئيسى واحد مقابل للمحراب وعدد محدود من النوافذ . .

امـا المحراب فشكله مستطيل وبارز فى وسط جدار القبلة الشمالى وله فى أسفله درجات وتعلوه زخرفة معمارية وفى أركـان قاعة الصلاة وفى اماكن أخرى من المسجد توجد زخارف الشرافات المدرجة . . وبالرغم من أن هذه الانماط من الزخارف محلية إلا ان زخرفة الشرافات بهذا المسجد اكثر تطوراً من الزخارف التى على جدران المساجد الاخرى التى بالمنطقة ورواق الصلاة بالمسجد يقابله رواق آخر مقابل له فى الجانب الجنوبى وله أعمدة ضخمة دائرية الشكل . . ويضم هذا الرواق فى ركنه الجنوبى الشرقى مئذنة كبيرة مستطيلة الشكل .

ومن المظاهر الهامة فى هذا المسجد الزخارف المجصصة الهندسية والنباتية البارزة على الجدران الخارجية وفى الجانب الغربى للمسجد ميضأة تعرف بالمطاهر وهى مبنية من تشابيك حجرية كما أنها مزودة بقنوات ماء وأحواض شقت فى الارض . . وهذه القنوات والاحواض معروفة فى مساجد عسير ويستخدم فى بنائها مادة ملاط يعرف بالقضاض .

ومن المساجد الرائعة التى يمكن مشاهدتها اليوم هو مسجد طباب والذى شيده على نسق مساجد عسير الامام سعود ابن عبد العزيز بن محمد بن سعود فى عام ١٢٢١هـ/١٨٠٦م واعيد بناؤه فى السنوات الأخيرة من عهد جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز . . والآن يعاد ترميم المسجد مرة أخرى وأضيف سور جديد حول فنائه ولكن رواق القبلة قائم كما هو دون تغيير . . ويلاحظ ان الاجزاء القديمة من المسجد قد شيدت من الحجارة فى اسلوب محلى وللمسجد رواق من ثلاثة صفوف لها أقواس بارزة وموازية لجدار القبلة وللمسجد محراب فى شكل حنية أو تجويف يسير فى وسط جدار القبلة . . ويبرز المحراب على سطح الجدار الخارجى فى شكل مستطيل . . والسطوح الداخلية لجدران المسجد مطلية بالجص الابيض السميك .

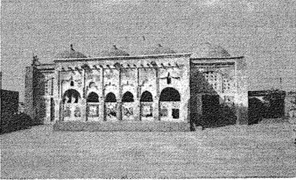
●● والى الجنوب الشرقى من أقاليم المناطق الجبلية تقع نجران على الحدود مع اليمن وتضم العديد من القرى الصغيرة التى تقع على جانبى وادى نجران وفروعه . . وبالرغم من أن نجران مشهورة بآثار مدينة الاخدود والتى ترجع لما قبـل الاسلام الا أن لنجران اسلوب معمارى خاص يتمثل فى المنازل ذات الابراج والمساجد المبنية من اللبن . . وهذا الاسلوب المعمارى سائد أيضاً شمالاً وشمال غرب حتى بيشة وخميس مشيط وجنوباً الى صعدة فى أواسط اليمن .

ولكل قرية من القرى السكنية المحيطة بنجران مسجد أو أكثر . . وهذه المساجد سماتها مشتركة رغم أنها قد تختلف فى أحجامها ولمعظمها صحن مكشوف مسور ورواق صلاة ذات سقوف مستوية وفى أغلب الاحيان نجد لكل مسجد محراب مستطيل الشكل وبارز . . ولا توجد مآذن فى هذه المساجد ولكن لكل مسجد منها درج فى صحنه يؤدى الى فوق سطح المسجد حيث يقوم المؤذن بالآذان للصلاة وخير نموذج لهذه الاشكال من المساجد هو مسجد محمد صالح الزعجور فى منطقة وحدة الصقور . وتعلو جدران هذا المسجد زخارف شرفات مثلثة الشكل توحى للناظر ان الباحة ورواق الصلاة للمسجد وحدة بنائية واحدة وهذه الشرفات الزخرفية المثلثة من أنماط زخارف العمارة بنجران .

وهنالك مسجد آخر فى وحدة الصقور يعتبر من روائع الفن المعمارى المحلى إذ له باحة ورواق صلاة ومدخل واحد يكاد يكون على محور مع المحراب البارز المستطيل الشكل . . وللمسجد درج فى فنائه يؤدى الى فوق سطح



المسجد.. وجدران الباحة ورواق الصلاة عليها زخارف الشرفات المثقبة والمعقدة الشكل.. وهذه الشرفات وفناء المسجد والدرج عليها طلاء جص أبيض يتباين فى لونه مع لون باقى الجدران الطينية للمسجد بينما نجد النوافذ محاطة أيضاً بزخارف من الجص الابيض.



مسجد النجدى ـ فرسان



مسجد عباس ـ ابو عريش



مسجد الوشر ـ جبل فيفاء

المنطقة الوسطى:

تضم المنطقة الشاسعة بين دومة الجندل فى الشمال ووادى الدواسر فى الجنوب مساجد ذات أشكال معمارية متعددة رغم ان لها العديد من الملامح المشتركة.. ومن السمات العامة التى تتميز بها هذه المساجد استخدام اللبن فى البناء.. وهذه السمة توجد فى كل الواحات شرق الجبال ويستثنى من ذلك مسجد واحد مبنى من الحجر فى دومة الجندل حيث تمثل الحجارة المادة المتوفرة للعمارة.

ودومة الجندل مدينة قديمة ويعتقد ان اقدم مسجد بها قد أنشىء فى عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب ولهذا المسجد رواق قبلة مستطيل الشكل وله صفوف من الاعمدة الضخمة المستطيلة الشكل وموازية لجدار القبلة وعند وسط جدار القبلة توجد حنية المحراب كما يوجد المنبر الى اليمين من المحراب فى شكل حنية مزودة بثلاث درجات حجرية ولا ريب ان المنبر عمارة عربية إسلامية إذ ان له عدة أشكال وينتشر فى الكثير من بقاع الجزيرة العربية.. ورواق الصلاة وباحة المسجد يقعان فى الجزء الشمالى منه وقد أعيد انشاؤهما فى أيام الامام عبد العزيز بن محمد بن سعود بعد دخول القوات السعودية دومة الجندل فى عام ١٢٠٨هـ (١٧٩٤/٩٣م) ومئذنة المسجد مستطيلة الشكل ولها جدران سميكة وسقف هرمى ولها درج حجرى بالداخل ومن هذه العناصر المعمارية يبدو أن تاريخ بناء المسجد يعود للعصور الاسلامية المبكرة والمئذنة

منفصلة من باقى المسجد ومبنية فوق طريق بالقرب من المسجد والطريق يمر تحت قاعدة المئذنة خلال ممر ويعتقد العلامة حمد الجاسر ان المئذنة ربما شيدت فى عهد الخليفة الاموى عمر بن عبد العزيز وليس فى عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب وذلك لان هذا النمط من المآذن غير معروف فى الفترة الاسلامية المبكرة . . وعلى كل فان مسألة أصل هذه الاشكال المعمارية من المآذن لم تحسم بعد .

●● والى الجنوب لا تزال العديد من المساجد الكبيرة المبنية من اللبن قائمة فى مدن حائل والقصيم والسدير والرياض والمناطق المجاورة لها حتى لفترة ١٠-١٥ سنة مضت أو أقل ولكن العديد من هذه المساجد قد أعيد بناؤه باساليب معمارية جديدة وقد مكنتنا كتب الرحالة الاوائل والصور الفوتوغرافية القديمة وبقايا المساجد القديمة التى لا تزال قائمة حتى اليوم من معرفة السمات الرئيسية لطرز عمارة مساجد نجد .

وحتى الى عهد قريب كانت فى بريدة العديد من المساجد القديمة . . وأهم هذه المساجد هو مسجد حويزة والعبيرى وماضى ولمسجد حويزة العديد من المظاهر المعمارية المحلية وهو مسجد كبير يحيط به جدار كبير أيضاً وصحنه مفروش بالرمل ورواق قبلته مشيد على مصطبة ذات درجات والسقف مستو ومبنى على أعمدة مرتفعة ويوجد تحت الرواق خلوة وهى عبارة عن رواق صلاة يخلد اليه المصلون فى أوقات الشتاء البارد . ومئذنة المسجد مستطيلة الشكل وهى بذلك فريدة فى شكلها وتحتل الركن الشمالى لصحن المسجد قرب رواق القبلة . . ونجد ان اكثر أشكال المآذن انتشاراً هى المآذن المستديرة الشكل والمستدقة الطرف فى أعلاها كما توجد المآذن الاخرى المستطيلة الشكل إلا أنها أقل انتشاراً وهذه الاشكال من المآذن المستديرة نجدها فى بريدة فى صحن مساجد المشيقح والعبيرى وماضى .

وهذه الانماط من المآذن المستديرة الشكل تنتشر فى المناطق الشمالية لنجد . . كما توجد فى أجزاء عديدة من القصيم بالاضافة الى بريدة وقد قام «قيرترود بل» بتصوير احدى هذه المآذن فى جامع حائل فى عام ١٣٣٢هـ/١٩١٤م وضمن المآذن العديدة فى عنيزة توجد مئذنة قديمة مرتفعة لها قاعدة ضخمة . . أما باقى المسجد فقد أعيد بناؤه مؤخراً بالمسلح بعد إزالة المبنى السابق الذى كان مشيداً باللبن وباستثناء المئذنة لم يكن المسجد قديماً قبل اعادة بنائه ولكن كان له الكثير من سمات العناصر المعمارية المحلية ولرواق قبلة المسجد سقف مستو مبنى على أعمدة لها عقود مدببة من النوع السائد فى عمارة مساجد نجد . . ومحراب المسجد له شكل قوسى وبارز من الخارج . . وهذه الاشكال من المحاريب تنتشر فى منطقة القصيم والرياض وجنوبها ويلاحظ ان الابواب المزدوجة الضخمة فى الجانب الجنوبى لمسجد عنيزة ظاهرة فريدة غير مألوفة .

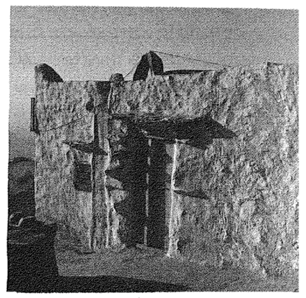
●● وجنوباً فى منطقة السدير كانت توجد العديد من الجوامع المبنية من اللبن ولا يزال بعضاً منها قائماً الى اليوم ومن أمثلة هذه المساجد جامع جلاجل الضخم والذى يضم رواقاً فسيحاً خلف الباحة فى الجانبين الغربى (القبلة) والشرقى . والرواق مبنى على أعمدة لها عقود مدببة ومئذنة المسجد تقع فى الجانب الشمالى وهى شاهقة الارتفاع ورفيعة . . اما المساجد الأخرى ذات المآذن المستديرة فى منطقة السدير كانت قائمة فى المجمعة والعودة والروضة والتمير . . والعديد من مساجد السدير والقصيم لها درج فى صحنها يؤدى الى السطح العلوى للمسجد فوق رواق الصلاة . . وهذه الاشكال من الدرجات معروفة فى معظم مساجد نجد كما تسود فى المساجد التى ليست لها مآذن .

وكانت المساجد فى الرياض والمناطق التى حولها متشابهة فى عمارتها مع مساجد المناطق الشمالية إلا انها تختلف عنها

فى شكل المآذن وقد كانت مآذن مدينة الرياض وما حولها مربعة الشكل تقريباً ومستدقة الطرف فى اعلاها ومبنية فوق درج يؤدى الى السطح العلوى للمسجد وكان أكبر هذه المساجد مسجد الرياض القديم والذى بناه الامام تركى بن عبد الله بن سعود بعد أن اصبحت الرياض عاصمة الدولة السعودية الثانية فى الفترة ما بين ١٨٢٤م الى ١٨٤٠م وكان هذا المسجد ضخم البناء وبه رواق فى الجانبين الغربى (القبلة) والشرقى وله أعمدة ذات عقود مدببة معروفة فى عمارة منطقة نجد. وكان للمسجد مئذنة فى الركن الشمالى الشرقى من الرواق الغربى وهى مستطيلة الشكل وطرفها العلوى مدبب ولها درج فى أسفلها. وهذه المئذنة تطابق فى عمارتها طرز مآذن منطقة نجد وقد انشىء فى محل المسجد القديم مسجد الرياض الحالى والذى شيد من قبل حوالى أربعين عاماً.

ومن المساجد القديمة الهامة التى لا تزال قائمة حتى يومنا هذا هو مسجد سدوس شمال مدينة الرياض وهذا المسجد فى مدينة سدوس القديمة ذات الاسوار وله طابقان، السفلى منهما يستخدم كخلوة. أما العلوى فرواق صلاة مشيد باسلوب معمارى نجدى إذ له أعمدة موازية لرواق القبلة تعلوها أقواس مدببة وللمسجد محراب فى شكل حنية فى وسط جدار القبلة وبجانب المحراب يوجد منبر ثابت فى شكل مقعد للخطيب الذى يلقى الخطبة، وللمنبر درجتان.

مسجد سقاء



مسجد نيد الحفر - جبل بنى مالك

وهذه الانماط من المحاريب والمنابر الثابتة كما سبق ان نوهنا توجد فى أجزاء عديدة من المملكة العربية السعودية ويبدو أنها سمة محلية لشبه الجزيرة العربية وفى أعلى الجانب الشرقى لرواق الصلاة يوجد فناء فسيح للمسجد مشيد فوق السطح العلوى للخلوة التى توجد أسفل الساحة. فى الجانب الشمالى من فناء المسجد يوجد درج يؤدى الى أعلا فوق سطح المسجد وفوق هذا الدرج أقيمت مئذنة مستطيلة الشكل لها درج ضيق متعرج يسمح للمؤذن بالصعود الى أعلا المئذنة لاداء آذان الصلاة وهذه الأشكال من المآذن كانت معروفة فى الماضى فى المنطقة الوسطى بنجد وكذلك فى بعض المناطق الأخرى فى الشمال مثل القصيم كما كانت تعرف أيضا فى المنطقة الغربية.

أما المساجد التى فى جنوب الرياض فى منطقة الحوطة والافلاج لها عمارة ذات طراز مختلف اذ ان العديد من مساجد الحوطة صغيرة الحجم ومبنية من اللبن ولها ساحات ذات جدران قصيرة ورواق صلاة مستطيل الشكل يغطيه سقف مستوٍ والسقف مبنى فوق عقود أو أقواس مدببة وفى أغلب الاحيان وكما هو الحال فى عمارة نجد لا توجد مآذن فى مساجد الحوطة ولكن لاغلبها درجات تؤدى الى أعلا سطح المسجد حيث يقوم المؤذن بالنداء الى الصلاة . . وفى الحقيقة شاهد كاتب المقال مئذنة واحدة فقط فى هذه المنطقة الجنوبية من نجد فى مدينة الصحنة . . والمئذنة مبنية بالاسلوب المعمارى المتبع فى بناء المساجد فى هذه المنطقة والمئذنة مربعة الشكل ومشيدة فى فناء المسجد الكبير . . والسمة الثانية المميزة لعمارة المساجد فى هذه المنطقة من نجد هى انتشار المحاريب البارزة المستطيلة الشكل والتى تختلف فى شكلها عن المحاريب المقوسة التى توجد فى الاجزاء الشمالية ومن أمثلة هذه المحاريب تلك التى توجد فى منطقة الحوطة والافلاج . . وسبق ان أشرنا أنه فى جنوب غرب المملكة فى منطقة نجران يوجد العديد من المساجد لها محاريب مستطيلة الشكل ودرجات تؤدى الى أعلا سطح المسجد ليقوم المؤذن بالنداء للصلاة ولذلك لا توجد مآذن فى هذه الانماط من المساجد .

المنطقة الشرقية :

تضم مجموعة مساجد الاحساء بعض المساجد القديمة مثل جامع جواثا والذى يعتقد ان بناءه قد تم فى عهد الرسول ﴿ﷺ﴾ ويعتقد أنه ثانى مسجد فى الاسلام إذ تم بناؤه بعد مسجد المدينة المنورة وكل ما تبقى لنا من مسجد جواثا هو منصة شيدت حديثاً وتحيط بها أسوار حديثة العهد أيضا . . اما الاجزاء القديمة من المسجد فتتكون من صفين من قناطر رواق موازية لجدار القبلة والجانب الغربى للرواق محاط جزئيا بسور له أقواس غير نافذة وإحدى هذه الاقواس استخدم كمحراب وقد شيد المسجد باسلوب معمارى محلى من ملاط وحجارة خشنة مقطوعة مطليّة بالجص الأبيض والذى تداعى واختفى الآن . . وتشير أطلال المسجد الحالية الى أن المسجد قديم بلا شك الا انه يصعب علينا تحديد تاريخ بنائه اعتمادا على اسلوب عمارته ولكن الكسر الفخارية التى تحيط بالموقع تعود للفترة الاسلامية المبكرة .

ومن المساجد القديمة فى المنطقة جامع الفاتح فى مدينة الهفوف وقد أقيم بجوار منزل قديم للامير سعد بن جلوى . . وقد تعود فترة بناء هذا المسجد للقرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى . . وللمسجد طراز معمارى فريد إذ لا يوجد به صحن أو مئذنة ولكن به رواق له أعمدة معقودة بقباب صغيرة فى الجانب الشرقى من الرواق وتسندها أعمدة دائرية ضخمة لها أقواس مدببة والمسجد بسيط فى داخله إذ له جدران مطلية بالجص الابيض وله محراب فى شكل حنية فى وسط جدار القبلة وعلى محور من المدخل الرئيسى .

ومن مساجد الهفوف الهامة جامع جابرى والذى يعتقد أنه يعود للقرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى . . والمسجد كبير ذو فناء فسيح وله فى جوانبه أروقة لها الاقواس المدببة المعروفة فى عمارة مساجد شبه الجزيرة العربية وهذه الأقواس أو العقود مبنية فوق أعمدة ضخمة مستطيلة الشكل والاروقة التى تقع تجاه القبلة لها أعمدة مختلفة الاشكال فقد تكون مستطيلة أو دائرية وأحيانا لها قواعد وتيجان ومحراب المسجد له قوس مدبب بسيط رغم ان العقود التى على محوره مفصصة . . وهذه العقود المزخرفة توضح اتجاه المحراب للمصلين بالمسجد . . وهذا النمط من العقود

المزخرفة معروف أيضاً فى المناطق الأخرى من شبه الجزيرة العربية والى يمين المحراب يوجد تجويف المنبر وبه درجات يجلس عليها الخطيب . . وهذا تقليد اسلامى عربى قديم ينتشر فى العديد من بقاع شبه الجزيرة العربية كما رأينا ومئذنة المسجد تقع فى الجزء الجنوبى الشرقى من صحنه . . وهى دائرية الشكل ومبنية من الحجر ولها سقف يشبه القلنسوة .

ومن أشهر المساجد فى الهفوف مسجد ابراهيم والذى أنشىء داخل مقر ابراهيم فى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى ويقع فى حى كوت القديم . . ولا شك ان هذا المسجد نموذج للعمارة الاسلامية العربية إذ له رواق صلاة ذو عقود تعلوها قبة كبيرة من الطراز العثمانى . وكذلك توجد قباب على الاروقة ذات الاعمدة فى الجانبين الشمالى والشرقى من المسجد . . وعلى غير المألوف توجد المئذنة فى الركن الشمالى الشرقى وهى دائرية الشكل لها شرفة عليها زخرفة المقرنصات . . والشرفة لها حجاب خشبى مثقب . . وتتشابه المئذنة فى عمارتها مآذن العالم الاسلامى الشرقى . . أما الزخرفة الجصية المنقوشة وأعمدة الرواق الضخمة الدائرية والمنبر الحجرى الثابت المجاور لحنية المحراب بالمسجد تمثل كلها عناصر معمارية مستمدة من عمارة الاحساء .

●● وشرقا على ساحل الخليج توجد أو كانت توجد حتى عهد قريب العديد من المساجد القديمة ، ففى العقير الميناء القديم للاحساء يوجد مسجد يعتقد أنه قد شيد فى عهد الراحل الملك عبد العزيز . . والمسجد مجاور لخان قديم وقلعة وللمسجد رواق قبلة ذو اعمدة مقنطرة شبه دائرية تذكرنا بالمعمارة المعاصرة فى منطقة الهفوف .

●● وشمالا على الساحل عند مدينة القطيف المبنية من الحجارة المرجانية توجد العديد من المساجد القديمة واكثرها روعة هو مسجد الراجحية وللمسجد دوران وأمام رواق الصلاة بالدور السفلى يوجد فناء فى الجهة الشرقية والدور العلوى مبنى مباشرة فوق رواق الصلاة للدور السفلى . وللدور العلوى مصطبة فسيحة فى جانبه الشرقى وله من جهة الغرب صفان من الاروقة المقنطرة موازية لجدار القبلة ولهذه الاروقة عقود مدببة رائعة مطلية بالجص وأعمدة ضخمة لكل منها ثمانية اضلاع .

●● وحنية المحراب عليها زخارف صدفية ولذلك يعتبر المحراب من أروع محاريب شرق شبه الجزيرة العربية وتتميز عمارة المساجد والمنازل فى هذه المنطقة بجودة بنائها وزخرفتها الرائعة ويجب النظر الى هذه الاساليب المعمارية فى المحيط الكبير لبيئة وزخرفة الخليج العربى اذ ان شرق شبه الجزيرة يشابه كثيرا طراز العمارة فى البحرين والمناطق الأخرى على سواحل الخليج .

ان اساليب عمارة المساجد بشبه الجزيرة العربية لا تزال فى حاجة ماسة لمزيد من الدراسات المتعمقة كما اننا فى حاجة لمعرفة اسباب اتجاهات التطور المختلفة لهذه العمارة ويتطلب ذلك دراسة مفصلة فى المستقبل لمساجد المملكة العربية السعودية والبلدان الاخرى فى شبه الجزيرة العربية كما يتطلب ضرورة القيام بتنقيبات فى المواقع الأثارية الاسلامية لايضاح الفترات المعمارية المختلفة لشبه الجزيرة العربية . والمعلومات عن هذه الفترات المعمارية غير متوفرة أو شحيحة . . ويوضح لنا هذا العرض الموجز الأنماط المعمارية المختلفة للمساجد فى شبه الجزيرة العربية وكذلك تناسقها وإنسجامها حسب بيئات ومحيط أقاليمها المختلفة .



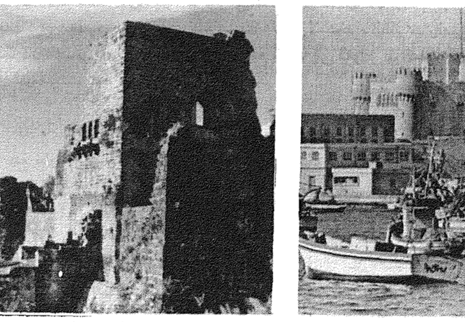
القلاع

وتطور الفكرة الهندسية

د. حجاجي ابراهيم محمد
جامعة الملك سعود - كلية الآداب
قسم الآثار والمتاحف

خضعت القلاع لموازين ثابتة ولهندسة دقيقة فكان لكل عنصر من عناصرها الدفاعية وظيفة..

فأقيمت على تلال وهضاب لها مناعة ء طبيعية تسهل عملية الدفاع عن القلاع لا سيما وأن الات الهجوم كانت بسيطة وكانت أسوار القلاع فى البداية من الطوب الني.. ثم تطور الفكر الهندسى تدريجيا فاستخدم الحجر بالاضافة الى الطوب علاوة على الروابط الخشبية حتى لا يتداعى السور اذا ما اشتد الهجوم.. ثم زاد المهندس المعمارى فى سمك الاسوار مع انه لم يدعمها فى البداية بأبراج لاعتقاده بعدم جدواها فى ذلك الوقت لأن المهاجم لم يكن أمامه سوى تسلق السور أو نقبه من أسفل - الأمر الذى جعل المدافعين يقفون على السور لمحاولة منع المهاجين من الاقتراب اسفل السور.. ثم لجأ المهندس المعمارى الى بناء اسوار قلاعه فوق منحدرات صخرية لمناعتها.. ثم واجهته مشكلة ألا وهى انهيار بعض المنحدرات بما عليها من قلاع نظرا لأن هذه المنحدرات ليست دائما صلبة.. لذا لجأ المهندس الى جعل السور ليس على حافة المنحدر مباشرة ولكن الى الداخل قليلا ثم دعمه فيها بعد بأبراج.. ولزيادة التحصين لجأ المهندس فى حالات اخرى الى انشاء منحدرات صناعية فقد كان يضيف خندقا الى المنحدر يملؤه بالماء عند الضرورة فيحمى بالتالى المنحدر بحاجز مائى.. وقد أدى حفر الخنادق الى ضرورة استخدام حوائط مائلة حول الاسوار بدلا من المنحدرات اذ ثبت فيها بعد أن الانحدار فى الحوائط المائلة يكون شديدا ويكشف المهاجم



● قلعة قايتباى فى الاسكندرية

● قلعة المرقد بسوريا

كلية ويجعل تسلقه صعبا ويعرضه فى النهاية لضربات المدافعين . . ولخوف المهندس المعمارى الشديد فى أن يصل المهاجم اذا ما استبسل الى المنحدرات أو الحوائط المائلة فينقبها ـ لا سيما وان كانت من الطوب الني ـ نجده يقوم بسترها بغطاء واق من الاحجار لمنع عملية النقب أو الهدم .

مبادىء التحصين وعلاقتها بالفكر الهندسى

(١) عنصر الارتفاع :

اقيمت القلاع على تل مرتفع ليصعب الوصول اليها وليمكن القلعة من تحصين نفسها ومن الاشراف على المواقع أسفلها . . ويكون فى هذه الحالة سفح القلعة منحدرا شديد الميل . . ويعتمد على المنحدر الصعب للمرتفع الذى تقوم عليه القلعة . . ويكون الوصول اليه من خلال طرق متعرجة وملتوية . . أو يستخدم الحجر الأملس ليصعب تسلقها وفى حالة محاولة تسلقها تنزلق أرجل المتسلقين ويسقطوا فى الخندق المائى المليء بالمياه ويستثنى من عنصر الارتفاع قلعة دمشق لاعتمادها على أسوار مدينة دمشق نفسها .

وتعد قلعة حلب من أجمل القلاع فى سوريا وذلك لمناعتها وهى تمثل بالتالى أرقى ما وصل اليه فن التحصين العسكرى فهى تقوم على تل صخرى ـ ولذا قاومت بحكم موقعها وارتفاعها كل مهاجم ونجحت فى أن تكون حصنا منيعا ولم يدخلها احد الا بالوسائل السلمية . . وكانت لارتفاعها مسكنا صحيا ممتازا لطيب هوائها كما اكسبها ذلك الارتفاع والمناظر التى تشرف عليها جمالا .

على أن اهمية عنصر الارتفاع بدأت تتلاشى عند ظهور المدفعية لأن ارتفاع القلعة يجعلها فى مواجهة فوهات نيران المدفعية . . ثم تلاشت كلية فى وقتنا الحاضر لاستخدام الطائرات والصواريخ وما شابه ذلك بعدما كان المهندس المعمارى يفخر بالارتفاع مما دفع بالعامة إلى القول: ان النسر وحده قادر على التحليق فوق القلعة وذلك كناية عن ارتفاعها.

(٢) الأسوار:

ومع تطور الفكر الهندسى شيدت للقلاع أسوار سميكة عالية اذ بلغ ارتفاع سور حلب ١٢م تقريبا وكان لبعض القلاع اكثر من سور لزيادة الحماية بحيث يكون الخلفى أقل ارتفاعا من الامامى بل ونجدهم فى قلاع أخرى لم يكتفوا بذلك بل وجد ثلاثة أسوار كما هو الحال فى قلعة النجم.

(٣) المزاغل (مرامى السهام)

وهى عبارة عن فتحات طولية (رأسية) ضيقة من الخارج وتكون منتشرة فى أسوار القلاع وفى الابراج أيضا . . وهى كما قلنا ضيقة من الخارج حتى لا يكون المدافع عرضة للاصابة الخارجية ولكنها متسعة من الداخل بحيث تسمح لتربص مدافع أو اكثر بالحركة بسهولة وبتصويب السهم بدقة الى الخصم دون اعاقة . . وغالبا ما يكون خلفها حجرات المدافعين بطريقة تمكنهم من الدفاع وهم فى مأمن من الهجمات المفاجئة أو تقلبات الجو . . وحدث تطور فى مرامى السهام عند بداية ظهور المدفعية فقد وسع المدافعون فتحاتها بحيث تتسع لفوهة مدفع . . الأمر الذى أدى فيما بعد الى إلحاق الضرر بحوائطها.

(٤) السقاطات:

وهى عبارة عن أجسام بارزة عن السور تستند على كوابيل مفتوحة من اسفلها وتستخدم لاسقاط الزيوت المغلية والقذائف الحجرية على المهاجين اذا ما تمكنوا من تجنب السهام وتهديد السور باقترابهم منه، ولذا بنيت عادة فوق الابواب واحيانا فى أماكن اخرى من السور بطريقة تمنع المهاجم من تسلق السور أو نقبه . . ويطلق البعض خطأ على تلك السقاطات اسم مشربيات لبروزها مع أن للأولى وظيفة عسكرية بينما للثانية وظيفة مدنية.

والجدير بالذكر: أن البعض استخدم السقاطات فى فترات لاحقة كمراحيض.

(٥) الخنادق

حفر المهندس المعمارى عادة حول القلعة خندقا عريضا شديد العمق يملأ بالماء وقت الحصار ويقام عليه جسر متحرك يرفع عند الحصار بحيث يستحيل اقتحامه فقد كان عمق الخندق الذى حفره الملك الظاهر حول قلعة حلب ٢٢م.

هذا وقد عملت هوة عميقة (فجوة) لتفصل القلعة بمرتفعها عن المرتفع الكلى التى كانت اصلا مشيدة



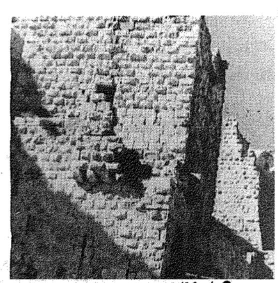
عليه لتكون بمثابة الخندق كما حدث فى قلعة الجبل بالقاهرة التى فصلت الهوة بينها وبين جبل المقطم بطريق صلاح سالم الحالى . . وكذلك الحال عندما فصل المهندس المعمارى الناحية الجنوبية لقلعة شيزر بعدما كانت متصلة فى البداية بالجبل كلية اذ حفر خندقا عريضا . . وكذلك وفق المهندس المعمارى عند اختياره لموقع قلعة المرقب فكان الوادى المحصور بين القلعة من جهتها الشرقية وسلسلة جبال العلويين بمثابة الخندق .

(٦) المعابر (الكبارى المتحركة) الجسور :

ولاجتياز الخندق فى حالة السلم تستخدم معابر متحركة ترفع عند الحصار أو تكون ثابتة بحيث تقوم فى هذه الحالة على قناطر عالية كما هو الحال فى قلعة حلب كما سنرى فيما بعد وفكرة المعابر المتحركة كانت معروفة من قبل فى حصون وادى النطرون والبحر الاحمر وغيرها .

(٧) الابراج :

دعمت الاسوار السميكة بأبراج مختلفة الاشكال منها نصفه المستديرة ومنها المضلع ومنها المربع لتزيد من قوة السور ولتحميه من الهجمات التى قد تصل الى اسفله محاولة نقبه أو تسلقه كما استخدمت أيضا للمراقبة وزودت أحيانا بسقاطات لالقاء المقذوفات والزيوت المغلية على المهاجمين . . وتتألف هذه الابراج عادة من طابقين أو أكثر ويمكن الانتقال من برج الى آخر عبر الاسوار دون النزول الى اسفل ـ وغالبا ما يكون أعلى الابراج والاسوار شرفات مسننة تمكن المدافع من الاحتماء خلفها ورمى السهام على المهاجم . . كذلك نصب على سطح الابراج آلات حربية ثقيلة كالمنجنيق لقذف القنابل الحجرية وقنابل النفط المحرقة .



● واجهة قلعة عجلون ـ الاردن



● قلعة القاهرة فى تعز (اليمن الشمالية)

هـذا وقد استخدم المهندس المعمارى الابراج نصف المستديرة لأنها تترك منطقة دفاعية ميته قليلة جدا فتكون فرص المهاجين فى الاحتماء من مقذوفات المدافعين قليلة ولهذا استخدم هذا النوع من الابراج فى نقاط الضعف فى الاسوار بينما استخدم الابراج المربعة فى المناطق التى اقل تعرضا للهجوم. . ويلى الابراج نصف المستديرة من الناحية الدفاعية الابراج المضلعة لانها أيضا تغطى مساحة اكبر وتترك منطقة دفاعية ميتـة أقـل. . وهنـاك أيضا الابراج المنعزلة تماما عن القلاع ويتم الاتصال بينها وبين القلعة عن طريق سراديب تحت الارض كما هو الحال فى برجى المرقب وحلب وهما يغطيان الاجزاء الضعيفة فى القلعتين.

(٨) السراديب (الممرات السرية)

فكر المهندس المعمارى فى حفر سراديب تحت الارض تمكن المدافعين من الوصول بسهولة الى اماكن بعيـدة خارج القلعة لا يعرفها الا الخاصة فيمكنهم بالتالى الاستفادة منها خلال الحصار فتجلب المؤن والاسلحة من خلالها بعيدا عن أعين الرقباء المحاصرين للقلعة فيطول أمد الحصار. . ويمكن استخدام السراديب أيضا فى حالة اليأس فى الدفاع عن القلعة اذ يمكن الهروب من خلالها دونما يشعر بهم المهاجمون ولذا كان الممر بارتفاع قامة الانسان بطريقة تمكن المدافع من التحرك بسهولة وتوجد امثلة للممرات السرية فى قلعة حلب تؤدى الى اسواق المدينة التى تبعد كثيرا عن القلعة وكذلك فى قلعة محمد على بالقصير ممر سرى يؤدى الى مدينة سفاجا.

(٩) الأعمدة العرضانية:

ويتخلل الاسوار أعمدة عرضانية افقية توضع بمثابة المسامير الحجرية فتظهر رؤوسها خارج السور ولجأ اليها المهندس المعمارى ليزيد من قوة الأسوار وتماسكها بحيث تجعل سقوط الاسوار فى حالة نقبها أمرا صعبا وقد وجدت نماذج لها فى أسوار قلعة حلب.

(١٠) الأبـواب:

فضل المهندس المعمارى الأبواب التى تفتح بشكل عمودى من الداخل عن طريق سلاسل متينة تلتف حول بكرة كبيرة. . وعند الحصار يقفل هذا الباب ويستحيل فتحه من الخارج لثقله ـ وهذه الطريقة عرفت أيضا فى حصون وادى النطرون من قبل.

وتكـون الابـواب امـا مواجهة لاتجاه الجسر الموصل اليها واما أن تكون جانبية فتجبر المهاجم على الاستدارة وتقطع بالتالى اندفاعه وتعرضه لمقذوفات المدافعين التى تصب عليهم من خلال سقاطات تكون عادة فوق الابواب كما سبق وأن عرفنا.

ويُعَدّ باب الحيات فى قلعة حلب وباب توما فى دمشق من أجمل النماذج العسكرية للمنشآت الايوبية. . فللوصول الى باب الحيات فى قلعة حلب لابد من المرور على جسر عند مدخل القلعة يستند على ثمان من القناطر مرصوف بقطع حجرية تشكل درجات السلم وذلك لتسهيل صعود الجياد. . ويصل هذا الجسر



الى البرج الاول وهذا البرج مستطيل الشكل زود بسقاطات لالقاء القذائف على المهاجم وبعد الصعود بمسافة قصيرة من نفس الجسر نصل الى جدار يجبر المهاجين على الاستدارة الى اليمين ليدخل البرج من بابه الكبير المنحرف عن استقامة الجسر وذلك ليوقف اندفاع المهاجين ويجبرهم على الاستدارة يمينا لتعرضهم للسوائل المحرقة من السقاطات والسهام من مراميها ويسمى هذا الباب كما ذكرنا بباب الحيات.

أما باب توما فهو عبارة عن باب يعلوه عقد مدبب يعلوه ثلاثة مرامى سهام رأسية يكتنفها من جهة اليمين سقاطة واخرى من جهة اليسار بحيث لو نجح المهاجم فى الهروب من متناول المرامى ينزل عليه الزيت المغلى من السقاطتين.

(١١) المداخل:

تمتاز القلاع بمداخلها الحصينة التى تمثل أرقى ما وصل اليه فن التحصين العسكرى.. واستخدم المهندس المدخل المنكسر (الباشورة) لكى يجبر المهاجم الذى يخترق الباب الاول على الاتجاه بزاوية قائمة فيعيق اندفاعه ويشل بالتالى حركته نتيجة للازدحام فيسهل بالتالى ضرب المهاجمين.. وقد ترك بعض المهندسين المداخل المنكسرة دون سقف ليسهل قذف المهاجين بالسهام والزيوت من اعلى أو يوضع من اسفل قطع خشبية مبللة بالكيروسين وعند اقتراب المهاجم تقذف الشعل من أعلى عليها فتشتعل الاخشاب فتلحق الضرر البالغ بالمهاجمين.

ويعتقد البعض ـ خطأ ـ أن اول الامثلة للمداخل المنكسرة كانت فى بغداد بينما أقدم الامثلة من العصر الفرعونى وجدت فى شونة الزبيب بسوهاج.. وعموما كانت مداخل القلاع قليلة حتى يسهل الدفاع عنها وحمايتها.

(١٢) مصدر المياه:

وكان هذا العنصر أيضا من العناصر المهمة فى القلاع ـ فكم من قلاع هجرت بسببه ـ واقصد بهذا العنصر الآبار والصهاريج لتزويد المدافعين بماء الشرب والوضوء ولملء الخندق وقت الحصار.. وقد حفر المهندس المعمارى آبارا عميقة جدا ذات درج يؤدى الى قاع البئر كما هو الحال فى بئر الملك الظاهر فى قلعة حلب.. وكما هو الحال ايضا فى بئر قلعة الجبل بمصر.. وما دمت هنا بصدد الحديث عن بئر قلعة الجبل لابد من توضيح حقيقتين هامتين:

الاولى: وهى اعتقاد البعض أنها بئر يوسف نسبة الى سيدنا يوسف بينما هى نسبة الى الناصر صلاح الدين يوسف.

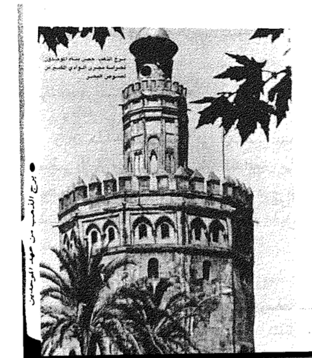
أما الحقيقة الثانية : فهى اعتقاد الاكثرية من العلماء أن بهاء الدين قراقوش هو الذى حفرها بينما هو فى الواقع أعاد حفرها فى عهد صلاح الدين - فهى ترجع الى العصر البطلمى كما يؤيد ذلك استاذنا عبد الرحمن عبد التواب اعتمادا على مقارنتها بآبار تل العمارنة بالمنيا . . ونظرا لخطأ المهندس المعمارى فى اعادة حفرها فجاوز عمقها وكانت نتيجة لهذا الخطأ مياهها مالحة .

كما استخدم المهندس المعمارى قنوات لتغذية القلاع بالمياه كما حدث فى قلعة الجبل بمصر . . ومن خلال تلك القنوات الواسعة القطر تسلل الثوار فى العصر العثمانى الى القلعة بعدما كانت قد فقدت وظيفتها من قبل .

والواقع أن توصيل مياه النيل من خلال قنوات الى القلعة يعد قمة الفكر الهندسى للقلاع . . فالقناة الرئيسية التى تمد المدينة بالماء كانت تحت سيطرة صاحب القلعة - أحيانا - ولهذه القناة خزانات واسعة وعن طريق هذا الاسلوب المائى الدقيق لم يقدم العون للقلاع من ازمات المياه بعكس الحال عندما كانوا يعتمدون على مياه المطر لملء الصهاريج أو يأتون بالماء من بئر يبعد ٥كم عن القلعة كما حدث فى قلعة صلاح الدين فى طابا . . الأمر الذى عجل بهجر القلعة .

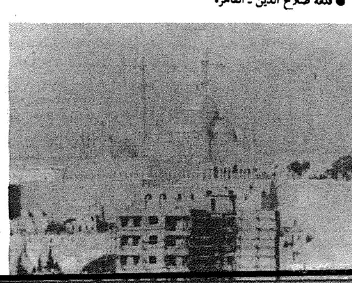
(١٣) اسطبلات الخيول :

جعل الايوبيون اسطبلات الخيل جزءا من مبادىء التحصين فى دولتهم . . ولذا شيد المهندس المعمارى اسطبلات الخيل بالقرب من مداخل القلعة حيث التهوية الجيدة وليسهل استخدامها فى الهجمات المفاجئة على العدو وفى وقت السلم كان الخندق المحيط بالقلعة مقرا للخيول . . والجدير بالذكر أن المهندس المعمارى الهندى شيد حظائر للافيال داخل القلاع لاستخدامها فى الحروب بدلا من الخيول . .



● برج الذهب من عهد الموحدين

● قلعة صلاح الدين - القاهرة





(١٤) مساكن الجند:

تكون غالبا خلف مرامى السهام قرب الابواب والابراج كى يلتزموا بأماكنهم الدفاعية بسرعة فى حالة الخطر المفاجىء.

(١٥) مساكن الأمراء:

كانت القلاع ملجأ للامراء لطيب هوائها ولبعدها عن ضجة المدينة وشغب الرعية وهجمات الاعداء. . ولذا شيدوا فيها القاعات والدواوين والقصور وتمركزوا فى اعلى نقطة فيها للاشراف منها على العامة وهكذا حمتهم القلاع مما يقوم به الغازون من نهب وقتل وهتك اعراض وما شابه ذلك من كوارث. . وفى الوقت نفسه كانت القلاع اشبه بغرفة العمليات فمنها يصدر الامير الأوامر الى المدافعين فى حالة الحرب وكانت بحق قصور الامراء مثالا لتطور الفكر الهندسى من الناحية الجمالية أيضا.

(١٦) مساكن اللاجئين واصحاب الحرف:

شيد المهندس المعمارى مساكن للاجئين يلجأ اليها الناس خوفا من قسوة العدو ويسكن فيها الاطباء والتجار وأصحاب الحرف كما هو الحال فى قلعة الجبل بمصر.

(١٧) ابراج الحمام الزاجل:

شيد المهندس المعمارى ابراجا للحمام الزاجل لنقل البريد من وإلى القلعة ووجدت نماذج لابراج الحمام فى قلعة الربض (عجلون) فى عمان بالاردن.

(١٨) اماكن العبادة:

شيد المهندس المعمارى المسلم مسجداً أو مساجد داخل القلاع لاقامة الشعائر وزودها بمآذن للأذان ولمراقبة العدو أى لتفى بغرض دينى وآخر دفاعى - بينما شيد المهندس المعمارى المسيحى كنيسة داخل قلاعه وزودها بأبراج أجراس لدق النواقيس وللمراقبة. . كما حدث فى القلاع البيزنطية والصليبية فى سوريا.

(١٩) مستودعات الاغذية:

أنشأ المهندس المعمارى مستودعات ضخمة جعل بعضها تحت الارض ووضع بها الكم الهائل من غذاء الانسان والحيوان وذلك لتأمين الطعام والاعلاف لمن فى القلعة وما فيها. . وضرب الايوبيون مثالا بالمخازن العميقة الواسعة لتخزين المواد الغذائية لوقت الحاجة.

(٢٠) السجون:

شيد المهندس المعماري سجونا لوضع الأسرى عامة وامراء الصليبيين خاصة بها كما سُجِنَ فيها أحيانا الثائرون من أبناء البلاد.

وهكذا كانت القلاع في داخلها تمثل لما بها من هندسة مدينة كاملة مستقلة بذاتها فيها جميع مستلزمات الحياة من أسواق وقصور وحمامات وصهاريج وآبار ومساجد وسجون وما شابه ذلك..

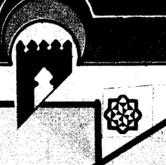
والخلاصة:

حاول المدافعون جاهدين اقامة عراقيل لمنع المهاجمين من الهجوم على قلاعهم وفي نفس الوقت بطريقة تمكنهم من امطار عدوهم بالمقذوفات فاعتمدوا في البداية كما رأينا على اقامة أسوار من الردم حول الخنادق وكان يعلو هذا متاريس للاختفاء حولها ولارسال اسهمهم على المهاجمين.

ثم تطور الامر فبنوا قلاعهم عالية ليصعب تسلقها مستخدمين أسوارا من اللبن ثم اللبن والحجر ثم الحجر وكان هذا التطور محققا لامكانيات دفاعية اكبر ولكي تؤدي الاسوار ادوارا ايجابية زودها بمماشٍ تمكن المدافعين من تأدية اعمالهم في ضرب المهاجمين - ثم قاموا بتزويد قلاعهم بما عرضناه من عناصر العمارة الحربية الآنفة الذكر.

المراجع

١ - أحمد فايز الحمصي: قلعة المرقب، منشورات المديرية العامة للاثار والمتاحف دمشق ١٩٨٢م.
٢ - بيرتون بيج: البرج في العمارة الاسلامية الحربية ترجمة ابراهيم خورشيد وآخرون - بيروت - دار الكتاب اللبناني ١٩٨١م.
٣ - بول كازانوفا: تاريخ ووصف قلعة القاهرة - ترجمة أحمد دراج - القاهرة ١٩٧٤م.
٤ - حجاجي ابراهيم محمد (د): مقدمة في العمارة الدفاعية، نهضة الشرق ١٩٨٤م.
٥ - زكي محمد حسن (د): قلعة الجبل، الكتاب: ١، القاهرة ١٩٦٤م.
٦ - سليم عادل عبد الحق (د): فن العمارة العسكرية السورية، مجلة الحوليات الاثرية السورية - مجلد ١ ص١٧٩-٢٠٢.
٧ - سليم عادل عبد الحق (د): مسرح بصرى وقلعتها، مجلة الحوليات الاثرية مجلد١٤ ص٥-٢٢.
٨ - السيد عبد العزيز سالم (د): العمارة الحربية بالاندلس، دائرة معارف الشعب، عدد٦٤ - القاهرة ١٩٥٩م.
٩ - سعيد الديوه جي: سور الموصل، مجلة سومر، المجلد الثالث ١٩٤٧م.
١٠ - سعيد الديوه جي: قلعة الموصل في اختلاف العصور، مجلة سومر، مجلد١٠ - ١٩٥٤م.
١١ - صبحي الصواف: قلعة حلب، قوة وجبروت ١٩٦٧م.
١٢ - صبحي الصواف: الابواب السرية في قلعة، مجلة الحوليات الاثرية السورية مجلد ١١، ١٢ ص١٩٧-١١٤.
١٣ - عبد الرحمن زكي (د): قلعة صلاح الدين وقلاع اسلامية معاصرة، الانجلو ١٩٦٩م.
١٤ - عبد الرحمن زكي (د): قلعة صلاح الدين وما حولها من الاثار - الهيئة المصرية للتأليف ١٩٧١م.
١٥ - عبد الرحمن زكي (د): العمارة العسكرية في العصور الوسطى - المجلة التاريخية - مجلد٧ القاهرة ١٩٥٨م.
١٦ - عبد الرحمن زكي (د): أسوار القاهرة وابوابها من جوهر القائد الى الناصر صلاح الدين - مجلة المجلة ٥١.



الأثار بصمات زمن مر، يجد فيها زمن لاحق اشارات صامتة تهدى الى وجود ربما كان يوما ما كامل المعالم . . وهى علامة معبرة عن عراقة أمة فى الوجود الحضارى، تدعوها الى التمسك بحدود حضارتها المكتسبة، والعودة اليها ان كانت قد فقدت مع مرور الزمن . . ولهذا كله اهتمت بها الأجيال اللاحقة، واعتبرتها امراً حيويا يكمل كيانها .

والمملكة العربية السعودية، مثل قليل من البلدان آثارها تمتاز بالتنوع الحضارى اذ أن سعتها وانعزال بعض اجزائها فى الماضى عن بعضها البعض بفعل الصحارى، ووعورة الطرق وانعدام المياه عليها وتأثر هذه الاجزاء بحضارات أمم مجاورة أعطى كل منطقة من مناطقها الرئيسية شخصيتها المتميزة فأثار الشمال لها طابعها الخاص، وتختلف عنها فى ذلك آثار الجنوب والوسط يقف منفصلا عن الاثنين وللمنطقة الغربية مظهرها المتميز والمنطقة الشرقية فيها ما يغاير الجميع .

وقد لفتت الآثار فى أراضى هذه المملكة الانظار منذ زمن قديم وأشار اليها مؤرخون سابقون اشارات عابرة أحيانا اتسمت بطابع كتاباتهم وغرضها وبطابع زمنهم وثقافته وتفسيره لمظهرها . وركز بعضهم على اتخاذ العبرة مما ترويه عن أمم قامت وشمخت ثم دالت . . وبقيت هذه الآثار شغل المؤرخين بطريق أو آخر حتى يومنا هذا .

ويبدو انه لم تكن هناك قبل وقتنا الحاضر محاولة جادة لجمع هذه الآثار وتصنيفها ودراستها واذا كان هناك شيء فلابد أنه كان على نطاق شخصى ومحدود . . وأول محاولة جادة كانت حصيلتها متحفا متواضعا فى جدة اشرف عليه او شارك فى جمعه وتنظيمه شخص انجليزى يعيش الآن فى ويلز ببريطانيا، اسمه جب (غير المستشرق المعروف) كان يعمل فى جدة فى مصلحة التعدين، وقد أخبرنى ـ ان لم تخنى الذاكرة ـ أن جلالة المغفور له الملك عبد العزيز قد زار هذا المتحف، وفهمت ان هذا المتحف آل بعد ذلك الى وزارة البترول والثروة المعدنية، وقد تكون وزارة المعارف قد ضمته الآن، او سوف تضمه الى قسم الآثار الذى انشىء بها حديثا وهو قسم انشىء يحوى الحاجة الملحة الى الاعتناء بهذا المظهر المهم فى مرحلة الثقافة التى تمر بها البلاد وللمحافظة على الآثار والتمهيد لطريقة تنظيم البحث عنها ودراستها .

والجامعة وفيها من الدراسات الحضارية ما لا يمكن معه تجاهل دور الآثار فى تطبيق بعض المعلومات ونتائج الدراسات الحضارية، والتدليل عليها شعرت فى السنوات الاخيرة الى حاجتها الى متحف للآثار يلحق بكلية الآداب فانشىء هذا المتحف قبل ثلاث سنوات تقريبا وبدأت روافد الجهود توافيه ببعض متطلباته مصدرها بعض رحلات قسم التاريخ فى كلية الآداب الى مراكز الآثار.

د . عبدالعزيزالخويطر
١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م

١٧ ـ عبد الرحمن زكى (د): مبانى القلاع فى عصر محمد على باشا، مجلة العمارة ٣ ـ ١٩٤١م.

١٨ ـ عدنان البنى: قلعة دمشق ـ الحوليات الاثرية السورية ـ مجلد ٤، ٥ ص٢١ـ٣٦.

١٩ ـ فريد شافعى (د): قاهرة المعز كانت حصنا لا مدينة ـ مجلة منبر الاسلام، مجلد ٢٢ ـ ١٩٦٥م.

٢٠ ـ كامل شحاده: قلعة شيزر، مجلة الحوليات الاثرية السورية، مجلد ٣١ ص١٠٧ـ١٢٨.

٢١ ـ محمد مهدى: طابية قايتباى بالاسكندرية، مجلة المهندسين، ٦/ يونيو ١٩٥٠م القاهرة.

٢٢ ـ محمد نادر العطار (د): فيصل صيرفى قلعة حلب، حلب ١٩٥٤م.

٢٣ ـ محمد نادر العطار (د): العمارة الحربية الاسلامية، مجلة كلية الملك خالد العسكرية، العدد ١٦، ١٩٨٧م ص١١٣ـ١١٨.

٢٤ ـ محمد عبد الستار عثمان (د): العمارة الحربية بين النظرية والتطبيق، مجلة كلية الملك خالد العسكرية ـ العدد ٧ ـ ١٤٠٧هـ ص١٦٨ـ١٧٣.



اصالة العمارة و الفنون الاسلامية بمصر

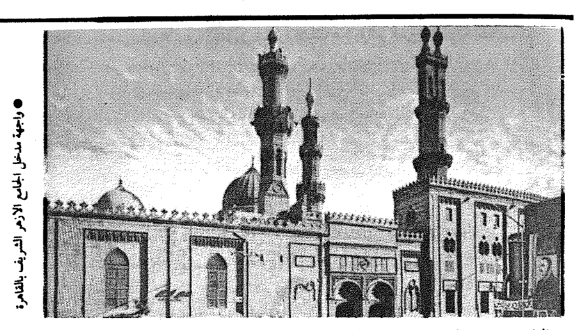
أ . د كمال الدين سامح
أستاذ العمارة بكلية الهندسة
جامعة القاهرة
ورئيس قطاع الفنون بالمجلس الأعلى للجامعات

مصر التراث العريق الخالد منذ عصر ما قبل التاريخ فالعصر الفرعونى ثم عصر البطالمة والرومان فالعصر القبطى ثم العصر الاسلامى حتى العصر الحديث.

بدأت عاصمتها «منف» منذ الدولة القديمة فى مصر الفرعونية . . ثم طيبة فى ايام الدولة الحديثة ثم الاسكندرية أيام الاسكندر الاكبر المقدونى . . ثم الفسطاط منذ دخول العرب مصر . . ثم مدينة العسكر فى أيام العباسيين . . ثم القطائع فى العصر الطولونى ثم القاهرة الفاطمية أيام المعز لدين الله الفاطمى . . وتطورت حتى أصبحت حالياً القاهرة الكبرى.

لقد سبق دخول مصر عدة حضارات تعاقبت على تاريخ العمارة فيها . . فمنذ أربعة آلاف وأربعمائة سنة قبل الميلاد كانت هناك عمارة مصرية قديمة استمرت بها خلال ثلاثين اسرة حكمت مصر، بدأتها من عصر الدولة القديمة ثم الوسطى فالحديثة فى مصر الفرعونية الى أن دخلها الأسكندر الأكبر المقدونى فى عام ٣٣٢ ق . م . حيث أسس عاصمة «الاسكندرية» عروس البحر المتوسط ومجد الثقافة الاغريقية القديمة وكانت عاصمة مصر قبل ذلك أيام الفراعنة «منف» فى بادىء الأمر فى عصر الدولة القديمة ثم «طيبه» فى عصر الدولة الحديثة ـ وبموت الاسكندر عام ٣٢٣ ق . م . استقل بمصر بطليموس الأول فحكمها هو وخلفاؤه البطالمة حتى دخول الرومان مصر فى عام ٣٠ ق . م . حيث استمروا فى ادارة الحكم فى البلاد حتى عام ٣٩٥م . ومنذ ذلك





● واجهة مدخل الجامع الأزهر الشريف بالقاهرة

التاريخ حتى عام ٦٤٠م. كان فى مصر طراز قبطى فى العمارة والفنون ـ معاصر للعمارة البيزنطية التى مركزها فى القسطنطينية.

وقد كشفت بعض الحفريات التى قام بها بعض علماء الآثار عن حضارات سبقت الحضارة الفرعونية وذلك فى حوالى ستة آلاف سنة قبل الميلاد عثر فيها الباحثون على قطع نادرة فى الفنون منها خنجر مصنوع من حجر الصوان وغمده مكسى بصفائح ذهبية عليها رسوم ثعابين ملتفة حول بعضها وبينها أوراق نباتية.. أما من الجهة الأخرى من الغمد فيشاهد بعض الحيوانات المفترسة منطلقة فى الغابة ـ أما القطعة الأخرى فهى من الخزف والفخار عليها رسوم قوارب وسفن عليها أنعام وطيور فى مجموعات ورسوم أخرى لسبع البحر ـ الى جانب رسوم آدمية رمزية. وهذه القطع محفوظة فى المتحف المصرى بالقاهرة.

أما العمارة المصرية القديمة فهى عمارة عملاقة تتسم بالعظمة والفخامة وكان المصريون القدماء يعتقدون فى عودة الـروح بعد الموت فاهتموا بالمقابر والمعابد ولم يهتموا بالمبانى السكنية فأقاموا مقابرهم فى الدولة القديمه على شكل مصاطب واهرامات بعضها مدرج أو منكسر بزاويتين ثم أهرامات عادية كأهرامات الجيزة ثم مقابر منحوتة فى الصخر كما فى بنى حسن فى الدولة الوسطى ومقابر الملوك كدهاليز فى بطن الجبل فى الدولة الحديثة فى الضفة الغربية للأقصر ـ هذا الى جانب المسلات والمعابد فى الدولة الحديثة كمعبد آمون والأقصر والرسوم والدير البحرى وأبى سمبل ـ ويلاحظ وجود بعض المسلات الفرعونية المنتشرة فى العواصم الأوروبية.

وفى اقامة بعض المعارض عن مصر الفرعونية فى بعض العواصم الأوروبية والأمريكيه ـ نجد اهتماما بالغا من جمهور المتفرجين وخصوصا فى عرض التحف الفنية النادرة لتوت عنخ آمون مثلا من حلي وأثاث وتخت وكراسي وقناع الملك وغيرها كلها تمثل روعة الفن وازدهاره فى أيام الفراعنة حتي ان بعض الأجانب يقلدون تلك التحف النادرة بألوانها الأصلية.

ومن ناحية العمارة نجد ان ما عثر عليه الأثرى ايمرى فى سقارة كشف عن روائع العمارة المصرية القديمه . . ففى واجهات الأسوار والمداخل نجد التجويفات الرأسية التى تزين الواجهات حيث نراها اليوم فى العمارة الحديثة بأمريكا ـ كما نرى تنوعا فى تصميمات الأعمدة الفرعونية التى تأثرت بدورها فى ذلك العصر وما بعـده فى عصر الدولة الحديثة الفرعونية وعصر البطالمة حيث نرى ان الفنان والمصمم قد اتخذ النباتات المصرية أساسا لتصميم تيجان أعمدته كالبردى واللوتس والنخيلى ـ هذا الى جانب استعمال مواد البناء الموجودة فى البيئة المصرية حيث استخدم الحجر الجيرى من جبل المقطم والحجر الرملى من مصر الوسطى ثم الجرانيت من محاجر أسوان .

كذلك الرسوم والصور التى نراها على جدران المقابر كما فى مقبرة «تى» بسقارة وبعض مقابر بنى حسن وأبو سمبل وغيرها كلها تشهد على عظمة فن التصوير الجدارى بألوانه الجميلة المتميزة .

● وبالنسبة لصناعة التماثيل فروائع التحف والقطع الأثرية الفرعونية تشهد على عظمة الفنان المصرى فهنـاك تمثـال شيـخ البلد من الخشب ـ وكاتب القرفصاء من الحجر الجيرى الملون ثم تماثيل ابو الهول ورمسيس المنفصلة أو المتصلة فى ابو سمبل وتمثالا ممنون بالضفة الغربية بالأقصر ـ كلها تشهد على عظمة النحات المصرى القديم .

● وبناء المصرى القديم لمراكب الشمس لعودة الروح والبعث للحياة مرة أخرى تصميم فريد فى معتقدات الفراعنة الدينية .

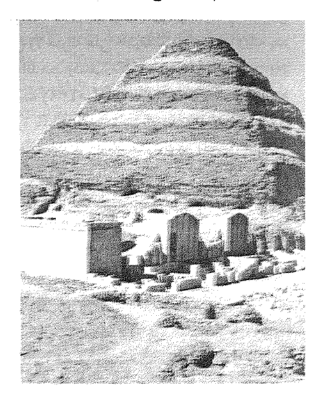
أما منذ دخول الاسكندر وعقب وفاته فى ٣٢٣ ق . م . فقد اهتم البطالمة بالعمارة فأقاموا المعابد على نمط المعابد المصرية القديمه وفى بداية عهدهم شيد فنار الاسكندرية ـ وقد شوهد فى معابد البطالمة فى جنوب الوادى أنواع أخرى منها كما فى أدفو وكوم أمبو ودندره والتى وجد بسقفها رسم دائرة الفلك والنجوم المحفوظة حاليا بمتحف اللوفر بباريس ـ وجزيرة فيله التى تم إنقاذها أخيرا تشهد على عظمة بعض المعابد التى شيدت بها الى جانب «سرير فرعون» وهو عبارة عن جوسق بناه تراجان يشبه بيت الولادة أمام معبد ادفو وكان يوجد حول هذه الجزيرة سور خارجها وجد به مقياس للنيل ـ وقد عثر فى اطلال هذه الجزيرة على اساسات لبعض المبانى من العصر القبطى عبارة عن قرية فريدة فى نوعها .

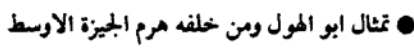
● هذا الى جانب أطلال الحصون والاسوار الرومانية بمصر القديمة التى شيدت فوق احداها الكنيسة المعلقة فى العصر القبطى ويوجد فى الاسكندرية بكوم الدكة مسرح من العصر الرومانى أيضا . . وفى مصر القديمة توجد آثار قبطية فيها كنيسة أبو سرجة التى لجأت اليها العذراء والمسيح فى الطابق الأرضى بها ـ كما ان هناك عدة كنائس قبطية مثل كنيسة الست بربارة والكنيسة الرومانية وغيرها .

● والمتحف القبطى زاخر بالتحف والأيقونات والصور من العصر القبطى بها . . هذا الى جانب الأديرة فى وادى النطـرون وسيناء وغيرها تشهد على مكانة العمارة القبطية كحقبة من تاريخ العمارة المصرية بوجه عام . . وقد كشفت الحفريات عن عدة آثار قبطية وصور من العصر البطلمى وجدت بالفيوم وغيرها .

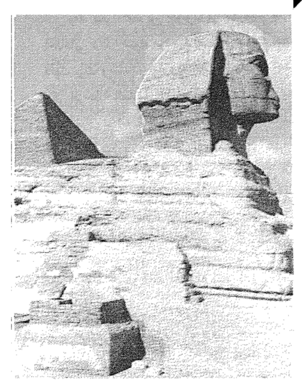
ولقد اتفق جمهور الرواة الأقدمين على انه قد أطلق اسم فسطاط عمرو أى خيمته على مصر القديمة وذلك

● هرم سقارة المدرج





● تمثال ابو الهول ومن خلفه هرم الجيزة الاوسط



ان عمراً لما فتح الحصن المعروف ببابليون (قصر الشمع) فى سنة ٢١هـ واستولى عليه ضرب فسطاطه بالقرب منـه. . واتسعت مدينـة الفسطاط فى أيام الدولة الاموية وبقيت مقرا للأمراء الذين بعث بهم الأمويون الى مصر الا أن عبد العزيز بن مروان الذى كان أمير مصر من قبل أخيه عبد الملك قد اتخذ له دارا تعلوها قبة مذهبة وكانت هذه الدار فسيحة جدا حتى سميت «بالمدينة». . وعلى أثر وفاة مروان الثانى أصبح صالح بن على حاكما على مصر فى سنة (١٣٢هـ/ ٧٥٠م). . وفى هذه السنة تم تأسيس مدينة «العسكر» الى الشمال من مدينة الفسطاط وبالقرب من جبل «يشكر» وبَنَى قصرا جديدا للامارة لان القصر الذهبى «دار عبد العزيز» كانت قد دمرته الحرائق التى سببها مروان أثناء هربه ـ ثم بنى بعد ذلك «مقياس النيل» بالروضة سنة ٢٤٧هـ واستمرت الدار الجديدة مقرا للحكم حتى أنشأ أحمد بن طولون قصر الميدان فى سنة (٢٥٧هـ/ ٨٧١م).

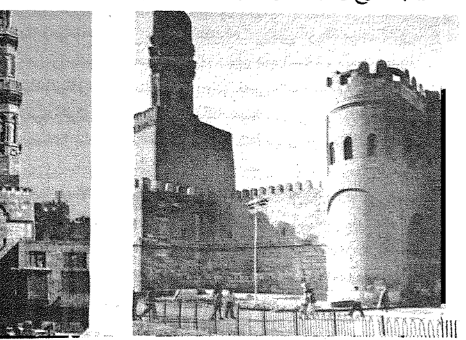
● وسكن ابن طولون فى أول أيام ولايته دار الامارة بالعسكر ولكنها كانت تضيق بعسكره وحاشيته فبنى قصرا كبيرا بميدان الرميلة سنة (٢٥٩هـ/ ٨٧٢م) وأقام فى السهل الممتد من قصره الى جبل يشكر ميدانا للعب الكرة والصولجان حتى أصبح القصر نفسه يعرف باسم «الميدان» ثم بنى ابن طولون فوق جبل يشكر جامعه المعروف فى وسط القطائع فى سنة (٢٦٣هـ/ ٨٧٦م) ويمتاز بمئذنته التى تأثرت فى تصميمها بمنارة الملوية بسامراء بالعراق. . وأطلق على مجموعة المدن الثلاث (الفسطاط. . والعسكر. . والقطائع) اسم مصر أو الفسطاط وتميزت فيها بعد عن القاهرة التى أنشأها جوهر القائد شمال الفسطاط.

وقد أطنب المؤرخون فى ازدياد العمران بالفسطاط ولم يؤثر تأسيس القاهرة فى عمرانها فقد تزايدت عمارتها

وأسست بهذه الدور الانيقة والحمامات والقياسر والمتنزهات كما عمرت مدينة الفسطاط بالمصانع المختلفه.

وقد تأثر أحمد بن طولون فى تصميم داره بقصر الخليفة المعتصم بسامراء الذى عرف باسم «الجوسق الخاقانى» لما احتواه من ميدان كبير للعب الصوالجه (البولو) ولاحتوائه على حديقة للحيوان أيضا ويليه بعد ذلك بيت وبستان خمارويه الذى شيد فيه مجلساً سماه بيت الذهب وفسقية ملأها زئبقا ودارا للسباع. . وقد ذكر الرحالة الفارسى «ناصر خسرو» بعد زيارته لمصر فى سنة (٤٣٩هـ/ ١٠٤٦م) فى عصر الرخاء فى أيام الفاطميين - أنه شاهد الفسطاط حيث كانت مدينة عامرة بالمبانى وقد أشاد فى وصفها بقوله «حينما يرى الانسان من بعد مصر الفسطاط، يظن أنها جبل فيها دور من أربع عشرة طبقة وأخرى من سبع طبقات» . . كما ذكر ما كان بها من حدائق السطح - فذكر أيضا أن بعض الناس كان له بستان على سطح دار له من سبع طبقات وكان به ساقيه يديرها احد الثيران فيصعد الماء الى السطح الذى غرس فيه بعض أشجار الموالح والزهور والرياحين.

وقد اختط جوهر قائد الخليفة المعز لدين الله الفاطمى مدينة القاهرة (٩٦٩م) شمال القطائع ولها سور مبنى من الطوب اللبن ويتوسطها قصران، القصر الكبير الشرقى والقصر الصغير الغربى وبينهما ميدان لاستعراض الجند - وزاد السور الذى بناه أمير الجيوش بدر الجمالى بعد ذلك فى عهد المستنصر بالله الخليفة الفاطمى فى مساحة المدينة ستين فدانا وبنى السور الجديد من الحجر وأصبحت القاهرة عاصمة للخلافة الفاطمية التى امتدت من المغرب الى الشام وحكمت الحجاز يوما ما. . وقد تبقى من السور الجديد بعض أجزاء منه فى الجهة الشمالية وأخرى فى الجهة الجنوبية كما لا تزال أبوابه الثلاثة الباقية منه وهى باب النصر وباب الفتوح فى شمال السور وباب زويلة فى الجنوب.



● باب الفتوح الفاطمى ومئذنة جامع الحاكم الى يساره

● باب زويله الفاطمى ويعلو برجيه مئذنتا جامع المؤيد المملوكى



وقد احتفلت البلاد منذ سنين بالعيد الألفى للقاهرة الفاطمية وذلك فى عام ١٩٦٩م ومن أهم آثار الفاطميين فى مدينة القاهرة (الجامع الازهر ٩٧٠-٩٧٢م) وهو أول أثر فاطمى فى مصر أنشىء فى بادىء الامر ليكون مسجدا جامعا للقاهرة الفاطمية ولكنه أصبح بعد ذلك مدرسة يتلقى فيها الطلاب أصول المذهب الشيعى ومازال يمثل أقدم جامعة اسلامية بمصر - غير ان صلاح الدين الأيوبى - عطله وأهمله لأنه كان يدين بالمذهب السنى - ولما جاءت دولة المماليك البحرية ازدهر ثانية وبعد ذلك صار أشهر جامع فى البلاد الاسلامية بل صار معهدا اسلاميا يقصد اليه وفود الطلاب من جميع الاقطار الاسلامية.

● اما القصر الكبير الفاطمى أو القصر الشرقى، فلم يبق منه الآن أى شىء ولم يبين لنا فيما ذكره المقريزى أى شىء عنه معماريا سوى وصف قاعاته - كما أن ناصر خسرو الرحالة الفارسى قد ذكر انه كان يقوم فى وسط مدينة القاهرة ولا تتصل به أى مبان أخرى - ثم يصفه بأنه كان يبدو من خارج المدينة كأنه جبل لكثرة ما يحتويه من أبنية مرتفعه كما انه لا يُرى من داخل المدينة لارتفاع أسواره على ان هذا القصر كان يحتوى على اثنى عشرة بناء وله عشرة أبواب فوق الأرضى بخلاف الأبواب الأخرى السفليه وقد كانت الممرات والدهاليز الأرضيه معروفه فى القصور المبكرة فى الاسلام فقد شوهدت فى أيام الخليفه المعتمد فى بغداد.. وهى تصل بين قصرى الحسنى والثريا وكان تصميم الممر على شكل قبو طوله نحو ميلين وبذا يتمكن الخليفه من الانتقال من قصر الى آخر دون أن يراه أحد - وقد انتشرت هذه الممرات الأرضية فى العصر الفاطمى واستخدمت فى انتقال الخليفه من قسم الى اخر - كما وجد ممر آخر كان يصل بين القصر الشرقى وقصر اللؤلؤة بالقرب من باب القنطرة.

اما القصر الصغير الغربى الفاطمى فموقعه ضريح وبيمارستان المنصور قلاوون بالنحاسين بشارع المعز لدين الله وقد نقلت بعض ازارات خشبيه عليها نقوش تمثل مناظر للصيد والطرب الى المتحف الاسلامى بالقاهرة حيث حفظت فيه.

ومن أهم آثار الفاطميين بالقاهرة عدا ما ذكر جامع الحاكم وزاوية الجيوشى وجامع الأقمر ومشهد السيدة رقية وجامع الصالح طلائع أمام باب زويلة وأضرحة السبع بنات بالامام الليثى وهى تمثل تطويرا لتصميم الاضرحة لاول مرة فى مصر الاسلامية حيث غطيت بقباب - أما المئذنة فقد وجد مثالان رائعان لها احدهما فوق زاوية الجيوشى أعلى جبل المقطم ومئذنتان تكتنفان واجهة جامع الحاكم الرئيسية وكل منهما لها قاعدة هرمية ناقصة.. ومن آثار الفاطميين الخالده فى مصر (الباب الاخضر بالمشهد الحسينى بالقاهرة).

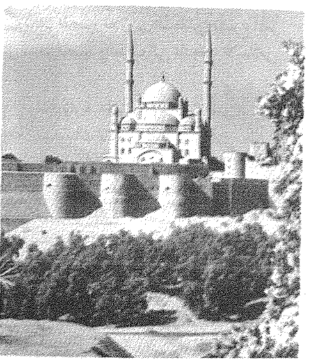
●● وتعتبر قاعة الدردير بالغورية أقدم قاعة اسلامية من العصر الفاطمى وتتوسطها درقاعة مربعة تعلوها قبة تعرف «بالشخشيخه» وتتوسطها من أسفل نافورة ويطل على الدرقاعة من جهتيها ايوان من كل جانب سقفه مغطى بقبو - فى حين نجد أن أرضية الدرقاعة منخفضه عن مستوى أرضية الايوان بدرجة.

●● كما ان جامع الصالح طلائع آخر آثار الفاطميين فى مصر يعتبر نمطا جديدا من المساجد فى مصر ويعرف بالمساجد المعلقة حيث نجد اسفل البناء طابقاً به حوانيت يعلوه طابق آخر يشمل المسجد نفسه.

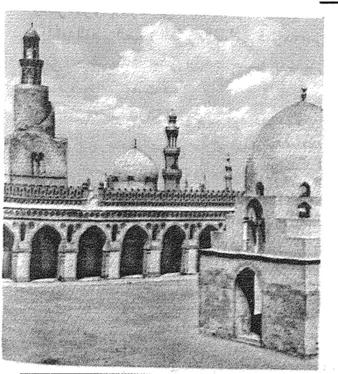
وباستيلاء صلاح الدين الايوبى على الحكم فى مصر بعد خلع الخليفه الفاطمى وانهاء عصر الوزراء الأقوياء فى الدولة الفاطمية وبالرغم من ان مصر كانت خاضعة للأيوبيين نحو ثمانية وسبعين عاما فقط (١١٧١-١٢٥٠م) الا انه يلاحظ ازدهار العمارة والفنون الاسلامية فى هذا العصر فقد شيدت قلعة الجبل التى احتفل اخيرا باعادة ترميمها وعودتها لحالتها الأصلية وهى نموذج نادر للعمارة الحربية فى مصر الاسلامية بأسوارها وأبوابها - وفى عصر الأيوبيين ظهرت المدارس الاسلاميه لتدريس الأربعة مذاهب الاسلامية وهى الحنفى والحنبلى والشافعى والمالكى - وبدأ ظهور الخط النسخى على العمائر والتحف واتخذ أساسا للنصوص التاريخيه كما استعمل الخط الكوفى بجانبه للآيات القرآنية.

ومن مميزات الطراز الايوبى فى العمارة تطور المئذنه التى أخذت شكلا فريدا خاصا يعرف بـ«المبخرة» وكذا القبه اذ تعددت فيها حطات المقرنص وظهر بناء الخوانق لاقامة الصوفية.. ومن أهم الاضرحه ذات القباب فى العصر الأيوبى ضريح الامام الشافعى وشجرة الدر والخلفاء العباسيين ومن قبلها ضريح ملحق بالمدرسة الصالحية التى بناها الصالح نجم الدين أيوب وقد اضافت الضريح زوجته الملكة شجرة الدر. ومن أهم المقابر الأيوبيه التى تغطيها أقبيه مدببة ضريح ابى منصور اسماعيل الموجود بالقرب من ضريح الامام الشافعى.

ويعتبر عصر المماليك (١٢٥٠-١٥١٦م) العصر الذهبى فى تاريخ العمارة الاسلامية فى مصر فقد زادت الرغبة فى تشييد عدد كبير من الأبنية من أنواع متعددة الاغراض فمن جوامع ومدارس وأضرحه الى حمامات ووكالات وأسبلة وكتاتيب وغيرها كما ذاع بناء المدافن الكبيرة فى عصر المماليك.



● جامع محمد على يعلو قلعة صلاح الدين بميدان القلعة



● الجامع الطولونى - الميضأة تتوسط الصحن والى اليسار مئذنته المشهورة



ومن آثار المماليك: مجموعة المنصور قلاوون المعمارية بالنحاسين ومدرسة ومسجد الناصر محمد وضريحى سلاروسنجر الجاولى ومدرسة وضريح السلطان حسن بميدان القلعه وكذلك مدرسة وضريح برقوق بالنحاسين وخانقاه برقوق وفرج بصحراء المماليك وكذلك مدرسة وضريح السلطان قايتباى بالصحراء ومجموعة السلطان الغورى المعمارية بالغورية.. هذا الى جانب قناطر المياه بفم الخليج وبعض القصور والمنازل التى لا تزال باقية الى اليوم ومنها مدخل وكالة الامير توصون.. ومدخل وكالة قايتباى بباب النصر. ومقعد ماماى المعروف باسم بيت القاضى فى القاهرة.. والخان خليلى.. كما تعتبر وكالة الغورى بشارع الازهر من أهم المبانى التى أقيمت كفندق للتجار يعرضون فيها بضاعتهم وذلك فى الطابق الأرضى بينما توجد أماكن اصلاح وعمل الحرف فى الدور الاول ويعلو ذلك أماكن للسكن.. إما من غرفة أو عدد منها وفوق ذلك توجد مساكن من طابقين أو ثلاثة كـ (فيلات) خاصة كما هو متبع حاليا فى بعض العمارات الحديثة والتى استنبط فكرتها اهم المعماريين العالميين مثل «لوكوربوزييه» فأدخل الفكرة فى عماراته.

ومن أهم ما أنشأه قايتباى من عمائر حربية قلعته بالاسكندرية فى الميناء الشرقية وقد أنشئت هذه القلعة على أساس منارة الاسكندرية القديمه فى سنة (٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م) وقد اشتملت على مسجد بقيت منارته الى ما بعد الاحتلال الفرنسى لمصر ـ وقد كان لحوادث الاسكندرية وخاصة فى سنة ١٨٨٢م أسوأ الاثر فى تخريب هذه القلعة وهدم أبراجها وجزء كبير من واجهتها وقد وضح فى رسوم بعض المصورين الفرنسيين ان هناك كان توجد مسلة فرعونيه بجوار قلعة قايتباى نقلت الى ايطاليا وهى موجودة حاليا فى أحد ميادين روما.

●● وفى عام (٩٢٣هـ/ ١٥١٧م) قضى العثمانيون على دولة المماليك فى مصر ففقدت البلاد استقلالها ونقل منها ورحل عنها كثير من مهرة الصناع فيها وقل نشاط من بقى بها من الفنيين والحرفيين وأصبح العصر التركى فى مصر عصر ركود فنى كما كان عصر ركود سياسى وذلك فى الفترة من (١٥١٧-١٨٠٥م) وفقدت مصر اهميتها وأصبحت ولاية تركيه.. وشوهد فى مصر عدة أسبلة وكتاتيب بعضها متصل بالمسجد وبعضها الاخر منفصل عنه كما ان القبة استعملت فى نطاق أوسع فأصبحت تغطى رواق القبلة او قاعة الصلاة كلها بعد ان كانت تغطى جزءا منه فقط ومن أهم آثار تلك الفترة (مسجد سليمان باشا بالقلعة ١٥٢٨م).. (ومسجد المحمودية بالقلعة ١٥٦٨م).. (ومسجد محمد ابو الذهب) أمام مدخل الجامع الازهر.. (ومسجد الملكة صفيه) بشارع محمد على ويمتاز بتخطيط قبته المسدسة الشكل.. (ومسجد البروينى ١٦١٦م).. (والمسجد الأزرق).. وقد سمى بهذا الاسم لما حواه من القيشانى الازرق الجميل الذى يغطى جدران هذا المسجد من الداخل ومبنى زاوية المغربلين الذى يمتاز بمئذنته على شكل شرفة على مقرنصات فوق مدخله وهو من النوع المعروف بالمسجد المعلق وتمتاز مآذن العصر التركى بالجزء العلوى على شكل مخروط مدبب مثل قلم الرصاص المدبب.

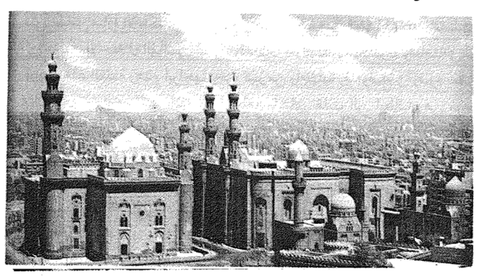
ومن أمثلة المبانى التركية الوكالات مثل وكالات حسن باشا الوزير (١٥٨٣م) بشارع سوق العصر ببولاق

ووكالة سليمان باشا (١٥٤١م) بعطفة السليمان ببولاق ووكالة عباس أغا (١٦٤٩م) بشارع التمبكشية ووكالة نفيسة البيضاء (١٧٩٦م) بشارع السكرية بجوار باب زويلة ووكالة الحرمين (١٨٣٩م) بشارع خان جعفر.

ومن أجمل الاثار التركية بالقاهرة . بيل عبد الرحمن كتخذا بالنحاسين (١٧٤٤م) ويقع عند تقاطع شارع المعز لدين الله بشارع التمبكشية ويعرف باسم سبيل بين القصرين وبداخل السبيل صورة الكعبة بالقيشانى الملون.

وفى القرن التاسع عشر الميلادى كان عصر محمد على وأتباعه وتأثرت العمارة بالاساليب التركية ثم بالاساليب الاوروبية وخاصة ايطاليا وفرنسا ومن أهم المساجد مسجد محمد على بالقلعة فقد بدىء فى انشائه سنة (١٨٣٠م) واستمر العمل فيه حتى توفى محمد على فى سنة ١٨٤٨م فدفن فى المقبرة التى أعدها لنفسه بداخل هذا المسجد ثم أمر الخديو عباس الاول باتمامه فى سنة ١٨٤٨م وقد عنى كل من اسماعيل وتوفيق باصلاحه وترميمه.

●● ويقع مسجد الرفاعى بميدان صلاح الدين بالقلعة (١٨٦٩ ـ١٩١٢م) وقد أنشىء فى ايام السيده خوشيار هانم والدة الخديو اسماعيل.



● ميدان القلعة الى اليسار مدرسة وضريح السلطان حسن والى اليمين منه جامع الرفاعى

وقد كان للحمامات دور كبير فى مصر الاسلامية ومن أهم الحمامات بالقاهرة:

حمام المؤيد (١٤٣٠م) وحمام السلطان اينال (١٤٥٦م) وحمام النحاسين بجوار قبة قلاوون وحمام الطمبلى (القرن ١٨م) ويقع باب الشعرية فى شارع الطبله ثم حمام الصليبه ويقع بشارع مراسينا بين الجامع الطولونى والقلعه.

وفى القاهرة الاسلامية أثرت عوامل هامة على تصميم البيت الاسلامى والقصر فقد كان للعوامل الاجتماعية والدينيه والمناخية والبيئية أثر كبير فى تصميمها ـ فالحجاب وعدم رؤية نساء الدار أدى بعد الدخول من المدخل المنكسر الى نقطة تحويل الى قسمين رئيسين قسم يعرف بالسلاملك للضيوف

والغرباء والحرملك لسكان وحريم الدار كما كانت المشربيات للسماح لنساء الدار برؤية من بالخارج دون رؤيتهن وكان لاستخدام الملقف لادخال الهواء البارد من الجهة البحرية الى القاعة وصعود الهواء الساخن الى أعلى وخروجه من القبه العلوية (الشخشيخه) تكييف هواء طبيعى داخل القلعة الاسلامية التى ترتفع الى ارتفاع دورين أو أكثر وتتوسطها النافورة تقع فى مركز الدرقاعة. . واستخدم المعمارى الحجارة فى الطابق السفلى ذى السمك الكبير لحفظ الحرارة المعتدله وعدم دخول الحرارة الى الداخل كعازل للهواء. . وكانت مواد البناء المستخدمه هى الحجر من جبل المقطم والطوب المصنوع محليا وعروق الخشب للاسقف وبالنسبه للشوارع الضيقة والمتعرجه فقد اثرت على كسر الريح والعواصف ولايجاد الحوش الداخلى داخل السكن جعل الخصوصية والتمتع بالتحرك لنساء وأهل الدار بحرية دون كشفهن من الخارج.

ومن أهم أجزاء السلاملك التختبوش والمقعد والقاعه أو «المندرة» ولعل من أجمل البيوت الاسلامية بالقاهرة بيت الكريدليه (١٦٣١-٣٢م) ويقع بجوار مسجد ابن طولون ويعرف باسم متحف جابر اندرسون الذى سكن وقتا طويلا ومنحه هدية للدولة بعد خروجه من مصر وعودته لبلاده. . ومنزل جمال الدين الذهبى (١٦٣٧م) بشارع حوش قدم. . ومنزل رضوان بك (١٦٥٤-٥٥م) الى الجنوب من باب زويلة. . وقصر المسافر خانه بشارع الجمالية (١٧٧٩م). . ومنزل ابراهيم الانصارى السنارى بالقرب من المدرسة السنية. . وبيت السنارى (١٧٩٤م) ويقع بحارة منج بالسيدة زينب. . ومنزل الشيخ الطبلاوى المعروف ببيت السحيمى (١٧٩٦م) ويقع بشارع الدرب الأصفر بقسم الجمالية.

■ وبدخول العثمانيين مصر فى سنة ١٥١٧م. . دخل تأثير العمارة التركية والبيزنطية التى خلخلت جذور الطابع القومى فى العمارة المملوكية الممثله للعصر الذهبى والتراث الاسلامى فى مصر. . وفى نهاية القرن الثامن عشر تأثرت مصر بحكم المستعمر الفرنسى وبعدها فى أوائل التاسع عشر دخل محمد على وخلفاؤه من بعده مصر فى محاولة لاعادة نفوذ الأستانه على مصر ووضع آثارها فى العمارة فى تصميم جامع محمد على وبعض قصور القلعه وشبرا وغيرهما.

■ وفى أيام الخديوى اسماعيل بايفاده بعثات الى ايطاليا وفرنسا كان تأثير ذلك واضحا فى عمارة القصور والمبانى فى مصر وكذلك فى تخطيط الميادين والحدائق فظهر أثر الفن الفرنسى فى «الروكوكو» والفن الايطالى فى «الباروك» فى أغلب تلك العمائر - وبعد ذلك بدخول الانجليز كان الفصل بين الأستانه والعمارة الاسلامية ومن بعد أزمة الحرب العالمية العظمى وأثرت الازمة الاقتصادية على الأثراء فى اقامة المبانى والحركة التخطيطية ومن بعدها فى منتصف القرن العشرين انقطعت الصلة بين امداد الحركة الفنية والمعمارية والتبادل الفكرى بين الطراز الاسلامى القديم والحركة الفكرية الجديدة.

وانى لأهيب بايجاد طابع معمارى يعيد إلينا التراث العريق لمصر الفرعونية والاسلامية حتى تواكب العالم فى رقيه المعمارى والفنى. . ولعل بعض الاقطار والدول الاسلامية والعربية قد بدأ فى ايجاد ملامح مميزة لعمارتها متأثرة بالطرز الاسلامية العربية - ونسأل الله ان يتاح لنا هذا التطور والعودة الى التراث بها يتواكب ايضا مع النهضة التكنولوجية المعاصرة فى مواد وطرق البناء. . والله الموفق.



أمثلة من:

الابتكارات في المسجد الجامع بقرطبة

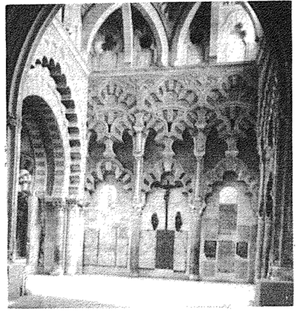
دكتور
السيد عبد العزيز سالم
رئيس قسم التاريخ والآثار
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية



يعتبر المسجد الجامع بقرطبة اشهر المساجد الجامعة فى العالم الاسلامى كبر مساحة واحكام صنعة، وتقانة بنية وجمال هيئة.. وكان لقدم إنشائه على أيدى حنش بن عبد الله الصنعانى وأبى عبد الرحمن الحبّلى التابعيين اللذين توليا تأسيسه منذ أول الفتح الاسلامى لقرطبة وقوّما محرابه موضع إجلال أهل الأندلس والمغرب وتعظيمهم لبنيته فأطلقوا عليه اسم الجامع الأعظم(١) وسموه الجامع المبارك(٢) والجامع المكرم(٣) ولهذا السبب اتخذ عرفاء البناء فى المغرب والأندلس من عناصره المعمارية والزخرفية مثالا احتذوه فى منشآتهم الدينية: فجامع إشبيلية مثلا أخذ من جامع قرطبة مظهره الخارجى كما ورث منه أيضا عظمة صحنه بعقوده السبعة فى أروقة مجنباته التى تحدد عظمة اتساعه بدلا من أربعة عقود فى أروقة الصحن بجامعى الكتبية بمراكش وتنمال بالمغرب(٤).. كذلك قلد بناة جامع تلمسان بالمغرب الأوسط تخطيطه النهائى الذى انتهى إليه بعد زيادة المنصور محمد بن أبى عامر تقليدا تاما: فبيت الصلاة فى جامع تلمسان من عهد المرابطين يشتمل على ١٣ بلاطا عمودية على جدار القبلة يتميز البلاط الأوسط منها كما هو الحال فى قرطبة بأنه أكثر اتساعا من البلاطات الأخرى.. كما يتميز نفس البلاط بوجود قبتين إحداهما أمام المحراب والثانية فوق منتصف البلاط الأوسط على غرار ما نشاهده فى وضع القبة المخرمة الكبرى بجامع قرطبة.. كذلك يتمثل تقليد جامع قرطبة فى صف العقود القائمة على دعائم ضخمة تقطع البلاطات الطولية عرضا وتقسم



العقود المتراكبة بجامع قرطبة



تشبيكات العقود بقاعدة قبة الضوء فى مدخل الزيادة الحكمية بجامع قرطبة

بيت الصلاة فى جامع تلمسان الى قسمين كل منهما يشتمل على ثلاثة أساكيب(٥).

وهذا الصف من الدعائم والعقود الحاجزة يشبه صفوف الدعائم والعقود التى تفصل بين بيت الصلاة القديم فى جامع قرطبة وزيادة الحكم المستنصر(٦) بالله فى نفس الجامع. . كذلك أثر نظام توزيع القباب القائمة على البلاط الأوسط وأسكوب المحراب والزيادة الحكمية بجامع قرطبة على مساجد الموحدين الجامعة ويتمثل هذا التأثير على نظام القباب فى جامع القصبة الموحدية بإشبيلية(٧).

ومن الجدير بالذكر أن عرفاء البناء فى الأندلس فى عصر دويلات الطوائف قلدوا نظام التشبيكات البنائية التى ابتكرها بناة جامع قرطبة فى قواعد قبابهم ومن أمثلة هذا التقليد قاعدة قبة المصلى بقصر الجعفرية بسرقسطة والتشبيكات التى نشهدها فى القاعة الرئيسية بقصر بنى حمود فى قصبة مالقة. . كذلك قلد عرفاء البناء فى المغرب فى عصر دولة الموحدين نظام الفتحتين المعقودتين اللتين تكتنفان جوفة المحراب فى المسجد الجامع بقرطبة فى مساجد تنملل والكتبية والقصبة بمراكش، كما قلدت قبابه القائمة على العقود البارزة المتقاطعة فيما بينها بأشكالها المختلفة فى قباب من عصر دويلات الطوائف بل ومن عصر دولتى المرابطين والموحدين. . والحديث عن مظاهر هذا التقليد طويل ويبعدنا عن موضوع هذه الدراسة التى نقتصر فيها على تخصيص ثلاثة عناصر معمارية مبتكرة ظهرت فى جامع قرطبة وأثرت فى مساجد الاندلس والمغرب فى العصور التالية وتعرض بعضها للتطور نحو الزخرفة.

لقد نجح عرفاء البناء بجامع قرطبة فى التوصل الى صيغ معمارية أصيلة لم يسبقهم اليها أحد فى تاريخ العمارة والانشاء وكانت موضع استلهام لصيغ معمارية مماثلة فى العصور التالية كنظام التشبيكات البنائية الذى سبق أن أشرنا إليه واستخدام العقود التوأمية ثلاثية الفتحات التى ظهرت لأول مرة فى صومعة المسجد الجامع بقرطبة وفى إحدى قاعات قصور مدينة الزهراء ثم ظهرت فى القصر المبارك بقصر إشبيلية (داخل قاعة السفراء التى يرجع تاريخها الى عصر دويلات الطوائف) وفى قصر بنى حمود بقصبة مالقة أو كنظام القباب ذات العقود البارزة المتقاطعة فيما بينها والتى قلدت فى كثير من القبوات والقباب الاسلامية فى الأندلس والمغرب على النحو الذى سنشير اليه فى عصر دولتى المرابطين والموحدين.

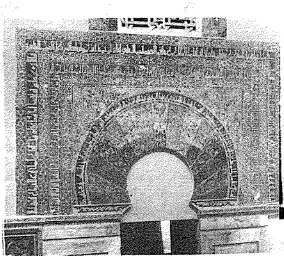
●● فبالنسبة لتشبيكات العقود المفصصة التى ظهرت فى قواعد القباب بجامع قرطبة فإنها ترتبط ارتباطا وثيقا بنظام طابقى العقود والمعروف بنظام العقود المتراكبة الذى طبق على عقود الجامع داخل مسطح بيت الصلاة بأكمله.. فالعقود السفلى المتجاوزة لنصف الدائرة والمسماة بعقود حدوة الفرس Arcos de Herradura والتى تنبت من أطراف الحدائر الواقعة بين الأعمدة والدعائم هى فى حقيقة الأمر عقود متحررة تسبح فى الفضاء الواقع بين صفى الدعائم العليا القائمة على العمد وتؤدى هذه العقود مهمة مزدوجة إذ تجمع بين ربط العمد التى ترفع الأسقف الخشبية وتثبتها فيما بينها وهى مهمة كانت تؤديها الأوتار الخشبية فى المساجد الجامعة الأولى فى الاسلام وبين اسباغ مظهر جمالى فريد من نوعه داخل مسطح بيت الصلاة الفسيح الذى يمتد امتدادا لا يحده البصر وتوحى هذه الصفوف المتراصة من العمد بعقودها المنطلقة فى الهواء بالطبيعة الحية فتظهر للناظر كما لو كانت غابة من النخيل.

هذه العقود المتحررة فى الفضاء يمكن أن تقوم بمفردها دون أن تندمج مع عقود أخرى كما هو الشأن فى بيت الصلاة القديم بجامع قرطبة السابق للزيادة الحكمية أو اللاحق لها كما يمكن أن تتقاطع مع عقود أخرى بحيث تؤلف تشبيكا من الحنايا والنحور الناتئة التى ترتكز عليها قواعد القباب الأربعة بالزيادة الحكمية فى الجامع المذكور(٨) ويعتقد عالم الآثار الاسبانى مانويل جومث مورينو أن فكرة تشابك العقود وتداخلها فيما بينها او قيام نحور ناتئة من أعلى رؤوس العقود المفصصة بمثابة ثورة معمارية أمكن تنفيذها فى عمارة المسجد الجامع بقرطبة بوعى معجز وإدراك متقن بحيث ترتب عليه تشبيك يجمع بين الوثاقة والجمال(٩) تتخلله فراغات مفصصة أقرب الى شكل المعينات مهدت لظهور فكرة الشبكات الزخرفية التى طغت على فن البناء منذ القرن السادس للهجرة لاسيما على أوجه الصوامع الموحدية(١٠)، وعلى المسطحات المراد تزيينها فى قصور بنى الأحمر بغرناطة ومساجد المغرب ومدارسه فى عصر بنى مرين وما تلاه من عصور بل وعلى واجهات بعض الكنائس المسيحية فى إسبانيا(١١)

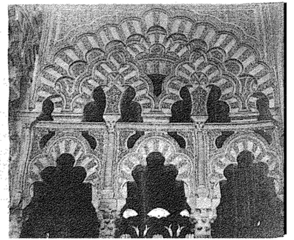
وفيما يتعلق بالقباب القرطبية القائمة على هياكل من الحنايا البارزة المتقاطعة فيما بينها على نحو يتشكل منه فى الوسط مثمن تشغله عادة قبيبة مفصصة فقد قلدت تقليدا يكاد يكون متماثلا فى بعض قبوات مسجد



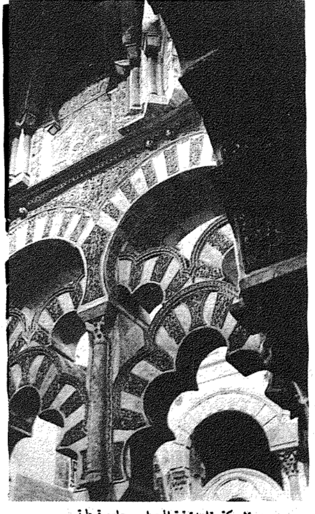
باب مردوم وقبـوة مسجـد المسلمين بطليطلة(١٢)، وقبة مصلى قصر الجعفرية بسرقسطة(١٣) وانتشر نظام التقبيب القرطبى فى الكنائس المسيحية ذات الأسلوب الرومانسكى مثل قبوة كنيسة المزان بقشتالة وقبوة كنيسة الضريح المقدس بتوريس دل ريو بنبرة، وتشبه قبه مدخل الزيادة الحكمية بجامع قرطبة وفى كنيسة سانت كروا بأولـورون ومستشفى سان بليـز المعروفة بمستشفى الرحمة فى منطقة جبال البرانس(١٤) وقبة مصلى طلبيرة بالكاتدرائية العتيقة بشلمنقة وقبوة دير لاس اويلجاس بمدينة برغش(١٥)، كما تتمثل فى كثير من الآثار الاسلامية فى المغرب والأندلس مثل قبوة بهو البنود بقصر الموحدين بإشبيلية وقبة المحراب بالمسجد الجامع بتلمسان وقبة المحراب بجامع رباط تازى بالمغرب وإن كانت قد تطورت فى هذه الآثار الاسلامية تطورا زخرفيا خالصا أفقدها مقوماتها البنائية التى ظهرت عليها فى جامع قرطبة.



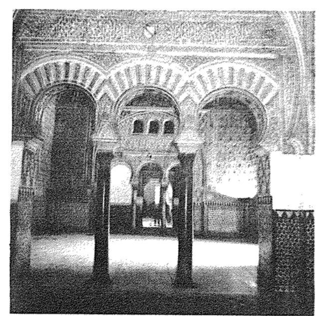
جامع قرطبة: باب المشرع الى الساباط بجوار القبلة



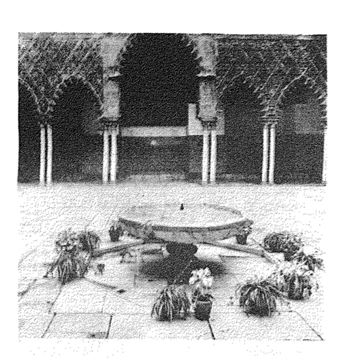
تشبيكة العقود بقاعدة قبة الضوء بجامع قرطبة



تشبيكة بقاعدة قبة المحراب بجامع قرطبة



العقود التوامية ثلاثية الفتحات بقاعة السفراء بقصر اشبيلية



واجهة بهو الدميات أو العرائس بقصر اشبيلية

وثمة ما يتعلق بظاهرة العقود المتجاوزة لنصف الدائرة التوأمية ثلاثية الفتحات التى تتمثل فى وجهين من أوجه صومعة جامع قرطبة من عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر فقد تكرر ظهورها كوحدة معمارية قائمة بذاتها فى المجلس الغنى بمدينة الزهراء من عصر نفس الخليفة ثم تكرر ظهورها مرة ثالثة فى عصر دويلات الطوائف بالأندلس فى العقود المتجاوزة ثلاثية الفتحات بقاعة السفراء من قاعات قصر إشبيلية وفى العقود ثلاثية الفتحات بالقاعة الرئيسية فى قصر بنى حمود بقصبة مالقة(١٦).

وهكذا كان جامع قرطبة مصدر إلهام فنى لعرفاء البناء فى الأندلس فى عصر دويلات الطوائف وعصر دولتى المرابطين والموحدين، بل إن هذا المصدر الالهامى لم يقتصر على جامع قرطبة وإنما تجاوزه الى أسماء قصور قرطبة ففى سرقسطة نشهد قصر الذهب وقصر الجعفرية وفى طليطلة قصر الناعورة وفى بطليوس قصر البديع وفى إشبيلية القصر المبارك والقصر الزاهر، وكلها أسماء قصور تماثل نظائرها فى قصر الخلافة بقرطبة حاضرة الخلافة الأموية فى الأندلس.

الهوامش

(١) عبد الواحد المراكشى، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب تحقيق الأستاذين محمد سعيد العريان ومحمد العربى العلمى، القاهرة ١٩٤٩ ص ٣٧٢ - ابن الخطيب كتاب أعمال الأعلام تحقيق الأستاذ ليفى بروفنسال، بيروت ١٩٥٦





حول الثقافة

الثقافة ليست معيارا ماديا او ثروة دنيوية، انها مقياس الشخص نفسه، وهي ملكية الذات اكثر منها ملكية الشيء، ولا تستطيع امة من الامم ان تدعي بانها امة ذات ثقافة فاعلة اذا لم تضف هذه الامة شيئا الى الابداع الانساني والروحي، او تعمل على انتشار هذا الابداع او تعميقه، او اذا قدمت شيئا جديدا مميزا في مسار المعرفة، او العلم البشري، ولا يمكن لهذه الامة ان تكون جديرة بالاعتزاز بثقافتها اذا لم تبرهن اهليتها بالانتساب الى الابداع الانساني، المقدس للحرية، والمنافح عن الشرف، والمستوحي لوحي الضمير.

في هذا المضمار تكون الامة العربية، عبر مسارها التاريخي وعبر ما قدمته للانسانية في احلك عصور التخلف، من اشعاعات ثقافية خالدة حرية بان تكون امة التراث، والثقافة.

ان الامة العربية، استطاعت في سنوات لم تكن طويلة ان تفجر ينابيع المعرفة، وان تهمي بشلالاتها فتغمر بها ارجاء المعمورة لتترك بصماتها الخالدة على كل ما قدمته الانسانية لاحقا. هذه الامة التي تعاني اليوم من مرحلة محزنة من تاريخها قادرة بشيء من الاصرار والتحدي ومراجعة الذات ان تستلهم ذلك التراث الخالد، وان تعاود مسارها بالرسالة التي انيطت بها والتي جعلت منها خير امة اخرجت للناس، ولا تستطيع هذه الامة ان تاخذ هذا النهج، وتدخل هذا المعترك دون ان تعمل على الحفاظ على اللغة العربية تلك الخزانة التي اودعت فيها كل النفائس من روائع ابداعات هذه الامة، بل والاهم انها بها نزل الكتاب الكريم، وانها كانت ومازالت، وستبقى اهم ركائز ومعطيات وحدة هذه الامة، بل وبلسم جراحها الشافي وان كل اعتداء عليها، والحط من قدرها هو اعتداء على الامة باسرها، ومساس بوجودها وبقائها، وتبقى العربية وعاء الثقافة العربية وخزانتها الدائمة العطاء.

هارون هاشم رشيد ● تونس

ص٤٣، ٤٨ ـ المقرى، نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب، تحقيق الأستاذ محى الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٤٩ ج٢ ص١٠، ٩٩

(٢) ابن حيان، نصوص نشرها ليفى بروفنسال من المقتبس فى مجلة أرابيكا ARABICA مجلد ١ قسم ١، ليدن ١٩٥٤ ص٨٩ وورد نفس النص فى القسم الذى نشره الدكتور عبد الرحمن الحجى، بيروت ١٩٦٥ ص٢٤٣

(٣) ابن غالب، قطعة من كتاب فرحة الأنفس، تحقيق د. لطفى عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٥٦، ص٣٠

(٤) السيد عبد العزيز سالم، المساجد والقصور فى الأندلس، القاهرة ١٩٥٨ ص ٦٣

(٥) Marcais (G), L'Architecture musulmane d'occident, Paris, 1954, P. 195

(٦) Elie Lambert, Les Mosquees de type andalou en Espagne et en Afrique du Nord, al-Andalus, Vol. xiv, 1949, P. 285

(٧) السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير ج٢ : المغرب الاسلامى ـ الاسكندرية ١٩٦٦، ص٨٥٦

(٨) عبد العزيز سالم، مظاهر الاصالة فى بنيان المسجد الجامع بقرطبة من بحوث ندوة الحضارة الاسلامية فى ذكرى المرحوم الأستاذ الدكتور أحمد فكرى، الاسكندرية ١٩٨٣، ص٤١

(٩) جومث مورينو، الفن الاسلامى فى اسبانيا، ترجمة د. لطفى عبد البديع ود. السيد عبد العزيز سالم، القاهرة ١٩٥٩، ص١٢٠، ١٢٩.

والمعروف أن عرفاء البناء فى الاندلس فى عصر دويلات الطوائف قلدوا هذا النوع من التشبيك الذى ظهر لأول مرة بجامع قرطبة فى قواعد قباب الزيادة الحكمية تقليدا يكاد يكون كاملا ويتمثل هذا التقليد فى تشبيك قاعدة قبة مصلى قصر الجعفرية بسرقسطة وتشبيك الجوسق الغربى بقصر بنى حمود بقصبة مالقة وتشبيك قاعدة قبة قاعة السفراء بالقصر المبارك بإشبيلية.

(١٠) حيث تغمر القطاعين الرأسيين بكل وجه من أوجه صومعة جامع القصبة بإشبيلية وكذلك نشهد أمثلة من هذه الشبكات الزخرفية فى صومعة جامع الكتبية بمراكش وجامع حسان بالرباط وجامع القصبة بمراكش وفى واجهة قصر الجص بقصر اشبيلية وقد طغى هذا النوع من العناصر الزخرفية فى واجهات البراكل بقصور الحمراء بغرناطة.

(١١) مثل برج كنيسة أومنيام سانكتورام Omnium Sanctorum وبرج كنيسة القديس مرقص San Marcos بإشبيلية وواجهة بهو الدميات Patio de las Munecas وبهو الفتيات Patio de las Doncellas وقاعة السفراء بقصر إشبيلية وبداخل كنيس الترانستو اليهودى بطليطلة وبرجى كنيسة سان بابلو وكنيسة أتيكا وصدر كنيسة السيد بمدينة سرقسطة.

(١٢) Elie Lambert, L'Hopital Saint Blaise et son eglise hispano- Mauresque, al- Andalus, 1940, pp. 179-187

(١٣) Galiay, el Castillo de la Aljaferia, 1906, p.20

(١٤) السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة بالاندلس ج٢ ص٤٥

(١٥) Jose Camon Aznar, la Boveda gotica morisca de la Capilla de talavera en la Catedral Vieja de Salamanca, al-Andalus, vol.v, 1940, p. 176

(١٦) السيد عبد العزيز سالم ـ تحقيق أسماء قصور بنى عباد بإشبيلية الواردة فى شعر ابن زيدون ـ مجلة أوراق، عدد ٢ مدريد ١٩٧٩ ص٤٤



المخطوطات العربية

أهميتها والحفاظ عليها

د. محمد نادر العطار

قسم الآثار والمتاحف
جامعة الملك سعود

المخطوطات آثار من نوع خاص جداً ولها اقسام خاصة فى مختلف متاحف العالم كغيرها من الاثار. .

كما تحتوى مكتبات العالم على ثروة ضخمة من المخطوطات الاسلامية التى يقدرها البعض بثلاثة ملايين مخطوطة تنتشر فى مختلف خزائن الكتب العامة والخاصة فى مختلف أنحاء العالم(١) وتحتوى على الدليل القاطع بأن المسلمين كانوا سباقين الى مختلف العلوم والفنون. . لا شك انهم بدأوا من حيث انتهى مَنْ سبقهم ـ وهذه سنة التطور العلمى فى تاريخه الطويل ـ فاعتمدوا فى البداية على ما خلَّفته الحضارات السابقة ولكنهم مالبثوا ان طوروا هذه العلوم وتلك الفنون ووصلوا بها الى مراحل متقدمة دلت على عظمة هذا الدين الحنيف وحيوية الشعوب التى اعتنقته وفى مقدمتها العرب، الذين دوَّنوا كل ذلك بلغتهم البليغة المعبرة فكانت هذه الملايين من المخطوطات الهامة القيمة التى تكون تراثنا الضخم الذى نفخر به رغم محاولات نسبة الحضارة الحديثة الى الحضارات الأخرى السابقة.

وكان العرب يتناقلون الرواية الشفوية لنشر العلم بحرص ودقة ثم انتشرت الكتابة بينهم وشرعوا يكتبون الوحي فكانت كتاباتهم أولى النصوص الاسلامية ولكن القرآن الكريم الذى بدأ أبو بكر الصديق رضى الله عنه يجمعه من ذاكرة الصحابة ووحده عمر فى مصحف وحفظه عثمان (رضى الله عنهم) فى نص موحد، كان هذا أول نص اسلامى مكتوب وصل الينا. .

ويروى لنا ابن النديم فى الفهرست كيف ان

جزء من القران الكريم بالخط المغربى القرن السابع الهجرى



صفحة مكتوبة بماء الذهب يحيط بها إطار ملون مع ميدالية فى الهامش ـ القرن السابع الهجرى (عن وحدة الفن الاسلامى ص٣٠ ـ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية)

العرب كانوا يكتبون فى اكتاف الابل وكيف كانوا يستعملون اللخاف وعسب النحل، ثم اصبحوا يستعملون الجلود المدبوغة ولكنهم ما لبثوا ان استعملوا الورق الذى صنع أيام بنى أمية ـ وقيل فى الدولة العباسية ـ ويحدد ابن النديم من انواعه (**السليمانى، والطلحى، والنوحى، والفرعونى، والجعفرى. والطاهرى**)(٢) كما يعلل القلقشندى العزوف عن الجلود الى الورق بقوله (أجمع رأى الصحابة على كتابة القرآن فى الرق لطول بقائه، ولانه الموجود عندهم حينئذ وبقى الناس على ذلك الى ان ولى الرشيد الخلافة وقد كثر الورق وفشا عمله بين الناس فأمر الا يكتب الناس الا فى الكاغد لأن الجلود ونحوها تقبل المحو والاعادة فتقبل التزوير، بخلاف الورق فانه متى محى فيه فسد، وإن كشط ظهر كشطه وانتشرت الكتابة فى الورق الى سائر الاقطار وتعاطاها مَنْ قرب ومَنْ بَعُد(٣).. ويروى ان الشافعى كان كثيراً ما يكتب الرسائل على العظام لقلة الورق(٤) فى ذلك الحين.

وهكذا انتشر استعمال الورق بعد توسع الدولة الاسلامية (وكثرت التآليف العلمية وحرص الناس على تناقلها فى الآفاق والامصار فانتسخت وجلدت وجاءت صناعة الوراقين المعانين للانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الامور الكتبية والدواوين واختصت بالامصار العظيمة العمران)(٥).

ورغم اتلاف المغول لكميات هائلة من المخطوطات عند دخولهم بغداد وقضائهم على الدولة العباسية سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) والقضاء على اعداد مماثلة من المخطوطات بعد انتهاء العصور الاسلامية فى اسبانيا عدا تعرض الاسطول الاسبانى لسفن محملة بالمخطوطات فى طريقها الى المغرب واغراقها بما فيها رغم كل ذلك فقد بقيت مئات الالاف بل الملايين من هذه المخطوطات ذات الاهمية البالغة والقيمة التى لا تقدر بثمن.

من أين تأتى أهمية المخطوطات الاسلامية؟

تتجلى هذه الاهمية فى القيمة الفنية للمخطوطات أولا، وجودة الخطوط وطريقة الكتابة وتنويعها ثانيا، والقيمة العلمية لهذه المخطوطات التى بحثت فى الطب والبيطرة والفيزياء والميكانيكا والرياضيات والكيمياء وغيرها من العلوم التى طورتها المدنية الحديثة حتى أوصلتها الى ما هى عليه من تقدم وتفوق. . واعترف بعض علماء الغرب بفضل الشرق على الحضارة الحديثة مثل جورج يعقوب. . وول ديورانت ومنهم من انكر على المسلمين هذا الفضل واعتبرهم حافظى الثروات العلمية اليونانية والبيزنطية لا غير حتى جاء الغرب فى عصر النهضة فاستلم منهم الامانة وطورها من جديد رغم ان المرحلة التى وصل اليها العرب والمسلمون فى مختلف هذه العلوم كانت اكثر تطورا وتقدما بكثير من الحضارات السابقة وليس هذا مجال مناقشة هذه الاراء ولكن هذا التراث العلمى الرائع جعل لتلك المخطوطات أهمية علمية بالغة بالاضافة الى المكانة المرموقة فى تاريخ الفنون التى احتلتها بعض تلك المخطوطات التى تجلت فيها فنون الكتابة بكل جمالها وروعتها.

كان أبرز ما زين المخطوطات الاسلامية واعطاها تلك القيمة الفنية ما يلى:

أ ـ التذهيب: وهو فن اسلامى بحت ويتألف من زخارف حقيقية ذات مواضيع نباتية أو هندسية مختلفة بلون ذهبى أنيق، حرص المسلمون على تزيين مخطوطاتهم ومصاحفهم بها واختلط اللون الذهبى احيانا بالوان أخرى وجمع الايرانيون فيما بعد بين الكتابة والزخرفة واخرجوها بشكل موحد. . ثم انتقل التذهيب تدريجيا الى المخطوطات المصورة فزينت به اوائل الفصول ونهاياتها على شكل اطار كان يحيط بالصورة ذاتها. . ومقامات الحريرى (١٣٣٤) المحفوظة فى المكتبة الوطنية فى فيينا عاصمة النمسا مَثَل جميل على ذلك.

وفى عصر تيمورلنك دخلت العناصر الزخرفية الطبيعية (كالطيور والحيوانات) ميدان التذهيب وتنوع الترقيش والتذهيب واستمر فى تقدمه ايام الدولة الصفوية فى القرن (١٠هـ/١٦م) وكان اشهر المذهبين آنئذ المصور محمود البخارى وحسن البغدادى الذى بلغ الذروة فى التذهيب.

ب ـ التجليد: هذه المخطوطات المذهبة كانت تحاط باغلفة متينة لحمايتها ولكنها كانت جميلة فى نفس الوقت فقد كان من الضرورى العناية بالمظهر الخارجى للمخطوط الثمين وبقيت مادة الجلد العنصر الممتاز لتجليد المخطوطات الا ان المسلمين عمدوا بعد ذلك الى استعمال الورق المضغوط المطعم بمادة « اللاكيه » بالاضافة الى الطرق الاخرى التى كانت تستخدم فى زخرفة جلود المخطوطات كالضغط والختم بالذهب، أو الزخرفة بالقص واللصق من الجلد أو الورق المذهب على ارضية ملونة ولم تقتصر الزخرفة على الغلاف الخارجى وكعبه الخلفى بل امتدت الى باطن الغلاف حسب أهمية المخطوط. . أما مواضيع الزخرفة فكانت هندسية ونباتية وكتابية، وهى المواضيع الشائعة فى الزخارف الاسلامية الا انها بدت فى التجليد مضغوطة أو بارزة أو مذهبة أو محلاة باللاكيه (مبرنقة) أو مطعمة بأزهى الألوان.



ج ـ التصوير: وكان من أجمل ما زين مخطوطات السلف الصالح الصور التى حليت بها تلك المخطوطات خصوصا القصص التى ترجمت عن الشاعر الهندى بيدبا (مثل كليلة ودمنة) والمؤلفات الطبية وتلك التى تبحث فى التاريخ الطبيعى وتحتوى على صور ايضاحية: كصورة طبيب يقوم بتحضير عقار معين أو جراح يجرى عملية ما أو صور لنفس الادوات الجراحية المستعملة.. وقد تأثر المسلمون بالواقعية التى عرفت عن الفن الصينى فى هذا المضمار كما نرى فى الشاهنامة (كتاب الملوك) للفردوسى التى صورت خلال صفحاتها بعض الوقائع التاريخية والاساطير القديمة فى حوالى خمس وخمسين صورة اكثرها من الحجم الكبير.. قام بعض كبار الرسامين باعدادها فجاءت كل صورة منها قطعة فنية بارعة الجمال امتزج فيها الاسلوبان الصينى والاسلامى فى مجموعة زخرفية متناسقة بمناظرها الطبيعية القاتمة الالوان وملابس اشخاصها بالوانها الزاهية.. وتطور فن التصوير فى المخطوطات بعد ذلك حتى ان السلطان (اكبر) انشأ مدرسة وطنية للتصوير فى الهند انتسب اليها حوالى مائة فنان هندى كانوا يتدربون تحت اشراف مصورين مسلمين، ثم اصبح الفن المغولى الاسلامى يحيط المناظر الطبيعية بالجو المناسب ويطبق قواعد (المنظور) وغيرها من ملامح فنون ذلك العصر.

د ـ التزويق: وكان ذلك يتم بالتخريم أو بالشف حيث تبدو الصورة وكأنها ظل خفيف أو قاتم على أرضية مناسبة لها حسب الحال.

هـ ـ القص: وتعتمد على قص الرسوم والصاقها على ارضية ملونة (غالبا زرقاء) وهى طريقة درج الخطاطون على استعمالها فى القرنين (٩-١٠هـ/١٥-١٦م).

وتحتل الكتابة أو الخطاطة الجميلة مكانا بارزا فى اظهار أهمية المخطوطات وذلك بنوعى الخط اى الكوفى ذى الحروف المستقيمة والزوايا والنسخى وما تفرع عنه ويتميز بحروفه المدورة او المقوسة.

ظل الخط الكوفى شائعا فى مصر والشام والعراق فى القرن الثالث (٩م) وقسم من القرن الرابع (١٠م) الا ان الخط النسخى فى كتابة القرآن الكريم أخذ يحل محله تدريجيا منذ القرن الخامس الهجرى (١١م) رغم ان الخط الكوفى ظل مستعملا حتى زمن متأخر فى كتابة العناوين (عناوين السور) وفى العصر المملوكى ظهرت نسخ من القرآن مكتوبة بخط مستدير بعناية فائقة وزخرفة جميلة.

وابرز انواع الخطوط ـ عدا الكوفى ـ هى التالية:

١ ـ الخط الثلث: وهو أبرز الخطوط وكان الوزير ابن مقلة من أول من وضع قواعده(٦) ثم زاد الخطاطون عليه تحسينا وتطويرا حتى بلغ منزلة رفيعة بين فنون الخطاطين ويستعمل فى كتابة اسماء المؤلفات والعناوين واللوحات الزخرفية.

٢ ـ **الخط النسخي**: سمي كذلك لكثرة استعماله فى نسخ المخطوطات وقد تولاه الخطاطون الأتراك المسلمون بالعناية حتى احتل منزلته بين سائر الخطوط العربية.
٣ ـ **خط الاجازة أو خط التوقيع**: ويقع فى مكانة بين الثلث والنسخي وضع قواعده وأصوله يوسف الشجرى ايام المأمون وسماه الخط الرياسى وكانت لا تحرر كتب الخلافة إلا به ثم جاء الميرعلى التبريزى (المتوفى سنة ٩١٩هـ) فوضع قواعده الاساسية وقد يسمى بخط الاجازة لأن الشهادات كانت تكتب به.
٤ ـ **الخط الهمايونى أو الديوانى**: وكان يستعمل فى دواوين الملوك والسلاطين وبه كانت تكتب الأوامر والتعيينات وكتب الملوك والسلاطين كان ايام الخلافة العثمانية سراً من اسرار القصور لا يعرف الا فى نطاق محدود جدا. وأول من وضع قواعده هو ابراهيم منيف بعد فتح القسطنطينية وهو نوعان:

أ ـ ديوانى رقعى ب ـ وديوانى مشجر، ومنه الريحانى.

٥ ـ **الخط الفارسى**: وقد سمى كذلك نظرا لانتشاره فى بلاد فارس حيث كان لا يعتبر خطاطا من لا يتقنه ويجيده.
٦ ـ **الخط المغربى**: وهو من أقدم الخطوط العربية ولكن انتشاره انحصر فى المغرب الاسلامى وهو مشتق من الكوفى القديم وكان يسمى القيروانى، ثم تفرع منه الخط الاندلسى أو القرطبى(٧) ويتميز باستدارة حروفه بشكل مغالى فيه خصوصا فى أواخر الكلمات وباختلاف قواعد تنقيطه ثم تولد من المغربى الخط السودانى المتميز بكبره وغلظه.
٧ ـ **خط الرقعة**: وهو أسهل انواع الخطوط وأبسطها وايسرها وقد وضع قواعده مستشار السلطان عبد الحميد الثانى (ممتاز بك) وهو الخط الذى نستعمله فى شرقنا العربى فى معاملاتنا الرسمية لذلك فهو أكثر الخطوط انتشارا. . وهناك انواع اخرى لا مجال لذكرها هنا.

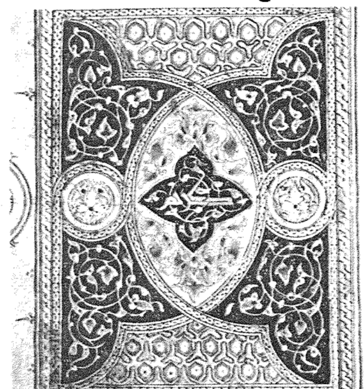
من هذه الانواع المختلفة تتبين لنا مرونة الخط العربى ومدى قيمته الفنية مما جعله عنصرا زخرفيا رائعاً باشكاله المشجرة والمورقة والمزهرة والمتعانقة والمستديرة والمربعة. . . الخ. وهو عنصر يحسب حسابه فى تقويم المخطوطات من الناحية الفنية ويعطيها تلك الاهمية التى جعلتها تتفوق على مخطوطات اللغات الأخرى.

ولقد يتجلى الفن فى بعض المخطوطات باتجاه السطور بشكل يتقاطع أو يتداخل أو يكون أشكالا زخرفية، بل قد تكون حروف الكلمات كبيرة الحجم وداخل الحروف كتابات أخرى بحروف أصغر بصرف النظر عن جمال الخط بحد ذاته أو نوعه أو تذهيب المخطوط أو تجليده.

أما المخطوطات العلمية فان قيمتها تكمن فى المعلومات التى تحويها. . جميع علوم الاسلام والمسلمين وأدبهم وفلسفتهم وفقههم وكل نتاجهم الفكرى، حوته تلك المخطوطات. . فى متحف دمشق مثلا توجد مخطوطة كتاب الجراح الاندلسى أبى القاسم خلف ابى العباس الزهراوى(٨) المتوفى سنة ٤٠٤هـ/١٠١٣م. (التعريف لمن عجز عن التأليف) وفيها رسوم ادوات التشريح والتجبير وثقب العظام ونشرها ورسوم مفصلة



للمحاجم والمزارق والمباضع والمقصات وادوات الكى وغيرها من الادوات الطبية، وقد ظلت طرق هذا الجراح العربى ومبادئه تدرس فى ايطاليا حتى القرن السابع عشر الميلادى (الحادى عشر الهجرى) وكان أول من ربط الشرايين لمنع النزيف وقام بالجراحات التجميلية.. الخ.



وفى متحف دمشق ايضا نسخة من مخطوطة «قانون ابن سينا» الطبيب والفليسوف والعالم والفقيه المسلم (٣٧٠ـ٤٢٨هـ) (٩٩٠ـ١٠٣٧م) وهى المخطوطة التى ترجمت الى اللاتينية وسميت Canonmedicina واستمر تدريسها فى الجامعات الاوربية حتى القرن الثامن عشر الميلادى ـ الثانى عشر الهجرى.

صفحة ملونة من مصحف (مذهب وملون) نموذج من زخارف المخطوطات (عن وحدة الفن الاسلامى ص٣٣ ـ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية)

وفى نفس المتحف مخطوطة الفلكى أبى الحسين عبد الرحمن الصوفى (القرن ٤هـ/ ١٠م) المسماة «الصور» وفيها صور ودراسات لمجموعات النجوم تكاد لا تصدق ان مؤلفها عاش قبل عشرة قرون وهناك مخطوطة (خواص النباتات النافعة..)لابى الحسن المختار بن الحسن بن عبدون (٩٣٥هـ/ ١٥٢٨م) وفيها يشرح المؤلف فوائد التداوى بالنباتات فى نفس المتحف ثم ان مخطوطات ابى على الحسن بن الهيثم الذى سبق عصره فى البصريات.. ودراسته للعين وطبقاتها والذى قال ابن ابى أصيبعه عنه إن مصنفاته بلغت مائتى كتاب (علما انه توفى سنة ٤٣٠هـ/ ١٠٣٩م) تشكل ثروة علمية ضخمة بحد ذاتها.

وهكذا الأمر فى حوالى ثلاثة ملايين مخطوطة تحوى كل نفيس من علوم الفيزياء والكيمياء والميكانيك والطب... الخ.. بالاضافة الى المخطوطات الفنية المزخرفة والمذهبة.. كل هذه المخطوطات تشكل التراث الذى ينصفنا ويربطنا به ويشدنا اليه.. ومن واجبنا تحقيق هذه المخطوطات وابراز المعلومات التى تحويها.. علماً بان البعض يحاول تجريدنا من كل فضل.. يقول علماء الغرب مثلا ان الجراح الفرنسى (امبرواز بار Ambroise Pare هو أول من قام بربط شرايين الدم لمنع النزيف عام ١٥٥٢م/ ٩٥٩هـ بينما

تدلنا المخطوطات على ان ابا القاسم[*] خلف الزهراوى (المتوفى عام ٤٠٤هـ/ ١٠١٣م) قد سبقه الى ذلك بحوالى ستة قرون(٩) هذا مع العلم أن الدكتور لوكلير ترجم كتاب الزهراوى المذكور وان بعض المراجع الفرنسية تعتبر الزهراوى أحد اركان الثالوث الطبى: « ابو قراط ـ جالينوس ـ الزهراوى » ومع ذلك يحاول البعض انكار فضله.

ويقول علماء الاجتماع المحدثون ان دور كهايم هو مؤسس قواعد علم الاجتماع (وكان استاذا فى جامعة السوربون بباريس، توفى سنة ١٩١٧م اثناء الحرب العالمية الأولى) بينما تدلنا مقدمة ابن خلدون على ان هذا البحاثة المسلم قد سبقه الى ذلك باكثر من خمسة قرون (توفى ابن خلدون سنة ١٤٠٦م) والامثلة على ذلك كثيرة جدا لان علماء عصر النهضة اعتمدوا على كثير من مخطوطاتنا ومن هنا تأتى الاهمية القصوى للمخطوطات الاسلامية التى يجب ان يجمع منها ما يمكن جمعه.. وتصوير ما انتشر منها فى انحاء العالم ومن ثم دراسة ما تم تحقيقه منها والبدء بحملة منظمة لتحقيق الباقى فى برنامج طويل الأمد تساهم فيه الدول العربية والعالم الاسلامى على السواء.

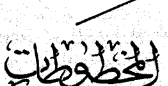
والواقع.. ان المأمون العباسى أمر بترتيب موجودات (بيت الحكمة) فى بغداد ووضعها فى خزائن وفهرسها لتسهيل مراجعتها(١٠) كما وضع الامام تقى الدين المقريزى كتاب (المقفى) وهو معجم مخطوط لمن تقدمه وعاصره توجد ثلاثة مجلدات منه فى مكتبة جامعة (لايدن) بهولندا ومجلد رابع فى المكتبة الوطنية فى باريس(١١).

وهكذا نرى ان مكتبات الغرب تسابقت الى اقتناء مخطوطاتنا تفهماً منها لاهميتها الفنية والعلمية على السواء، ففى المكتبة الوطنية بباريس حوالى (٢٥٫٠٠٠) مخطوط شرقى معظمها عربى وضع البارون دوسلان فهرسا لها.. وفى مكتبة الفاتيكان بروما حوالى (٦٠٫٠٠٠) مخطوط بين لغات شرقية (معظمها عربية) وغربية عدا ما يوجد من المخطوطات العربية فى المكتبة الميدقشية فى فلورنسا والمكتبة النانية فى البندقية والمكتبة الامبروزيانية فى ميلانو.

وفى المانيا فهرست المخطوطات العربية فى مكتبة برلين فقط (دار الكتب البروسية) فى عشرة مجلدات بينما انتشرت اعداد كبيرة من مخطوطات عربية أخرى فى «المكتبة الوطنية ومكتبة الجامعة فى لايبزيغ وفى كل من مدن درسدن وهمبورغ وميونخ وفيينا فى النمسا.. كما انتشرت المخطوطات العربية بغزارة فى المتحف البريطانى.. ومكتبة الديوان الهندى، والجمعية الملكية الاسلامية بلندن وفى المكتبة البودلية التى تأسست سنة ١٦٠٢م على مقربة من أوكسفورد.. وفى كل من مكتبات ادنبره وغلاسكو ودبلن ومنشستر وبورمنغهام.

وفى هولندا وضع ثلاثة علماء فهارس المخطوطات العربية فى مكتبة لايدن (وهى من ابرز مراكز الاستشراق فى العالم) فى ستة مجلدات وهم « دوزى Dozy وكوين Kiinen ودويدنغ De yong » وضعوا من تلك المخطوطات ١٧٠٢ مخطوط ثم اعيد طبع هذه الفهارس تحت عنوان (فهرس المخطوطات العربية للمكتبة





عمادة شئون المكتبات التابعة لجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض اهتمت منذ انشائها بالمخطوطات وأنشأت قسماً خاصا بها يهتم بجمع المخطوطات الاصلية والمصورة من داخل المملكة وخارجها عن طريق الاهداء أو التبادل او الشراء . . واستطاع قسم المخطوطات جمع ما يربو عن تسعة عشر ألف مخطوطة عينية ومصورة ورقيه ومصورة ميكروفيلمية . . ويشمل هذا العدد ثلاثين ألف عنوان تقريبا ويرجع تاريخ أقدم مخطوطة فيه الى عام ٤١٢هـ . . ويتم التعامل مع هذه المخطوطات بدقة فنية استخدمت فيها أحدث الوسائل العلمية والتكنولوجية ويقوم على العمل فيها اساتذة متخصصون فى مجال الوثائق والمخطوطات . . وكان ضمن اعمال القسم أن اصدر مجموعة من الفهارس لخدمة طلاب هذه المخطوطات من هذه الفهارس (فهرس المصاحف والقراءات والتجويد ـ التفسير وعلوم القرآن ـ الادب والبلاغة والنقد ـ النحو والصرف واللغة والعروض ـ فهرس المخطوطات التركية والفارسية ـ قائمة حصرية لمخطوطات الفقه واصوله . . ويتعاون القسم مع مجموعة من الجامعات والمؤسسات الثقافية والعلمية داخل المملكة وخارجها ذات الاهتمام بالمخطوطات .

الاكاديمية فى ليدن ١٨٨٨ ـ١٩٠٧م) كما توجد اعداد كبيرة من هذه المخطوطات فى مكتبة الاكاديمية الملكية بامستردام ووضع (دويونغ De yong) فهرسا للمخطوطات الشرقية الموجودة فى جامعة (أوترخت) .

وفى الولايات المتحدة الأمريكية أعداد من مخطوطاتنا فى شيكاغو Newbery Library فهرسها D.B.Macdonald وفى برنستون اكثر من عشرة آلاف مجلد تعرف بمجموعة غارت The Garrett Collection of Arabic Manuscripts درسها :

فيليب حتى . . ونبيه أمين فارس . . وبطرس عبد الملك . . وفهرسوا منها ٢٢١٣ مخطوطاً ونشروا نتاج عملهم سنة ١٩٣٨م منها مخطوط كان فى مكتبة السلطان الناصر صلاح الدين ابى المظفر يوسف بن عبد العزيز عن آداب الملوك .

وفى اسبانيا مجموعة نفيسة جدا من المخطوطات العربية فى مكتبة الاسكوريال قرب مدريد . . درس منها العالم ميخائيل الغزيرى ١٩٥٢ مخطوطا فى مختلف العلوم والفنون وقضى العالم الفرنسى (ليفى بروفنسال (Levy Provensal) مدير المعهد الفرنسى للدراسات العليا المغربية سابقا عمراً مديدا وهو يفهرس مخطوطات الاسكوريال وتوفى وهو يعمل فى ذلك سنة ١٩٥٧ كما توجد فى مكتبة مدريد كمية كبيرة من المخطوطات العربية وضع فهارسها المستشرق الاسبانى روبلس F.G.Robles وصورت شخصيا للمكتبة الوطنية فى بيروت بضع مئات منها عدا المخطوطات الاخرى المنتشرة فى سائر المدن الاسبانية .

ناهيك عن الكميات الضخمة من هذه المخطوطات فى اسكندنافيا والاتحاد السوفيتى(١٢) وبلغاريا(١٣) والهند (كالوكتا، بمباى، مدراس حيدر آباد) وبلاد العالم الاسلامى كتركيا(١٤) وخصوصا البلاد العربية كبلاد الشام (التى وضع فهارس مخطوطاتها كل من حبيب الزيات ويوسف العشى وعزة حسن(١٥) على التوالى) ومصر(١٦) والعراق(١٧) والمغرب العربى الكبير: كالمملكة المغربية(١٨) والجزائر وتونس ودول الخليج العربى وفى مقدمتها مكتبات المملكة العربية السعودية وغيرها من الدول العربية والاسلامية.

ترى هل استطعت اعطاء فكرة سريعة عن هذا التراث الضخم من المخطوطات؟

أن المجال يضيق هنا عن الاحاطة بكل ما يوجد منها فى العالم وبالفهارس التى اعدت لها فقد ألَّف كارل بروكلمان دراسة وافية عن المخطوطات العربية مع ذكر المكتبات المعنية بها أسماها (تاريخ الادب العربى) ويقع فى خمسة مجلدات كبيرة كما تهتم مجلات عالمية بشؤون المخطوطات ابرزها (مجلة معهد المخطوطات) بجامعة الدول العربية ومجلة الاندلس بمدريد. . ومجلة معهد الدراسات الشرقية (لننغراد) ومجلة مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية (لندن) ومجلة المشرق (بيروت) ومجلة المجمع العلمى العراقى (بغداد) الخ. . وأحدث الجهود فى هذا المجال يقوم بها العالم التركى (فؤاد سزكين) استاذ تاريخ العلوم بجامعة فرنكفورت الذى يعمل منذ سنة ١٩٦٧م على احصاء المخطوطات العربية واعطاء فكرة عن كل منها فى مؤلف سماه (تاريخ التراث العربى صدر منه حتى الآن تسعة مجلدات كبيرة، تُرجم قسم منه الى العربية(١٩) (لان المؤلَّف الاصلى بالالمانية) وهو موجود فى المكتبة المركزية بجامعة الملك سعود ولازال العمل جاريا فى ذلك.

هذا التراث الضخم من المخطوطات الثمينة بفنها أو بمعلوماتها كيف يمكن المحافظة عليها والاحتياط لئلا يضيع ما تحويه من كنوز علمية وفنية؟.

اى بكلمة أخرى كيف يمكن صيانة المخطوطات من الاخطار التى تتهددها باستمرار ولا يدخل موضوع الترميم فى هذا المجال لان هذه العجالة تضيق عن حصر موضوع الترميم وتفاصيله وتشعباته(٢٠).

وأول ما يذكر من هذه الاخطار (أشعة الشمس) فان كل أمين للمخطوطات وكل وثائقى تبين ولا شك الضرر الذى تلحقه هذه الاشعة بالوثائق والمخطوطات وبشكل عفوى دون اجراء أية تجربة متعمدة. . هذا الضرر يتناول الورق نفسه (الذى يصفر ويجف) والحبر (الذى يصبح فاتحا الى الحد الذى يصبح معه أحيانا غير مقروء) وليست هناك أية مادة فى مأمن من هذا المحظور فان أوراق البردى وجلود الكتابة والكرتون كلها تعانى من تأثير أشعة الشمس.

والواقع. . ان أمناء المكتبات كانوا يعرفون ذلك ويتصرفون بحكمة لتجنب هذا التأثير فقد كانوا يحمون مستودعات المخطوطات من الشمس بتظليلها بقباب سميكة أو جعل جدرانها قليلة المنافذ ولعله من الغريب ان القرن التاسع عشر الميلادى وهو عصر التقدم العلمى فى كثير من المجالات الأخرى قد سجل

تأخرا ملحوظا فى هذه النقطة بالذات . . ولعل الخوف من النار هو الذى حدا بأكثر المهندسين المعماريين فى القرن المنصرم الى الاكثار من النوافذ الواسعة فى هذه المستودعات (لتجنب استعمال وسائل الانارة الاصطناعية التى قد تسبب الحريق) وتغطية تلك النوافذ بالزجاج على أوسع نطاق ونتائج هذه الاخطاء هى اليوم ملحوظة فى مثل هذه المستودعات حيث دمرت الشمس فعليا كميات كبيرة من المخطوطات من المبالغة طبعا ان نقول إن جميع خزائن المخطوطات ومستودعاتها التى تبنى حديثا ستكون بمنجاة من هذا الخطر رغم ان تقدما كبيرا قد تحقق فى هذا المجال منذ اكثر من خمسين عاما حتى الآن بل يجب الاعتراف باننا لا نزال نرى بعض مستودعات المخطوطات التى بناها مهندسوها وكأنها اسواق فى محطات القطار أو فى المطارات الدولية وخصوصا فى البلاد الشمالية حيث يميل الانسان الى اقتناص كل شعاع من اشعة الشمس النادرة هناك . . لذلك ترتب لفت نظر المهندسين الى تجنب الواجهات الزجاجية الكبيرة ووضع المبادىء العامة التى تسمح لهؤلاء بوضع المخططات العلمية المدروسة .

وقد أجريت مختلف التجارب منذ حوالى اربعين عاما فى السويد والولايات المتحدة وفرنسا وخصوصا فى مستشفى الكتاب فى روما (أو معهد استشفاء الكتاب **Istituto Della Patologia del bibro**) كما يسمى هناك لتحديد تأثيرات شدة الضوء الشمسى على المخطوطات فتبين ان قسم الطيف الشمسى الاكثر ضررا يتركز فى الاشعة البنفسجية وفوق البنفسجية التى يقل طول موجاتها عن ٤٦٠ ميليميكرون (٤٦٠٠ انكستروم) كما تبين ان الضرر الحاصل بسبب الاشعة الشمسية يختلف باختلاف نوع الورق المستخدم والحبر المستعمل فى المخطوطات . . وهنا لا يملك الفنيون الا امكانية ضئيلة للتوجيه والنصح والارشاد . . ومن البديهى أنه كلما زادت كمية اشعة الشمس التى تصيب الوثائق والمخطوطات وطال مدى تعرضها لهذه الاشعة كلما كان تأثير الاشعاع اكثر وابلغ اثرا وعلى ذلك فانه يمكن حماية المخطوطات بطريقتين مختلفتين أولاهما الاقلال ما أمكن من كمية نور الشمس الذى يدخل مستودع المخطوطات وثانيتهما تصفية اشعة الشمس عند دخولها لاستبعاد الاشعاعات المضرة بحيث لا تدخل الا الاشعة التى يزيد طول موجاتها عن ٤٦٠ ميليميكرون .

الاقلال من كمية اشعة الشمس الداخلة الى مستودع المخطوطات

وقد عمد بعض الفنيين لتحقيق ذلك الى بناء مستودعات مظلمة تماماً وهو اسلوب مقبول فيما اذا كان البناء مجهزا بتكييف هوائى جيد فاذا افتقر المستودع الى هذا التكييف الهوائى تعرض الى تكاثف الرطوبة ونمو الفطور العفنية بسبب انعدام الهواء المكيف واشعة الشمس ذات الاثر المبيد الفعال ضد الفطور العفنية بشكل خاص . . الأمر الذى يوجب تعرض مستودعات المخطوطات الى كمية معينة من ضوء الشمس غير المباشر اذا لم تكن مجهزة بتكييف الهواء اللازم . . الا ان هذه الكمية يجب ان تكون محسوبة

بعناية فائقة وقد تبين من التجارب بهذا الصدد ان اشعة الشمس المسموح بدخولها يجب الا تتعدى ضوء خمسين مصباحاً فى الممرات الرئيسية وخمسة وعشرين مصباحاً فى الممرات الجانبية المحاذية لخزائن المخطوطات لان مستودعات هذه المخطوطات هى امكنة للحفظ لا مكاتب عمل ولتحقيق ذلك لابد من اقلال عدد المنافذ الزجاجية فى المستودعات بحيث تكون الواجهات الجنوبية فى نصف الكرة الشمالى(أو الواجهات الشمالية فى نصف الكرة الجنوبى) خالية من أى منفذ من هذا النوع لان النوافذ يجب الا تفتح الا على الواجهتين الشرقية والغربية والشمالية (وهذه الأخيرة أفضل الواجهات التى يمكن ان تفتح فيها المنافذ فى نصف الكرة الشمالى) شريطة الا يتعدى مجموع مساحة هذه المنافذ (عشر ١/١٠)مساحة كل من الواجهتين الشرقية والغربية وثلاثة أعشار مجموع مساحة الواجهة الشمالية (فى نصف الكرة الشمالية) كما ان وضع النوافذ بالنسبة لسلاسل الرفوف يلعب دورا هاما بحيث يتجنب الفنيون وصول اشعة الشمس مباشرة الى الرفوف.

لذلك وخلافا لما هو متعارف عليه يستحسن الا توضع الرفوف بنفس اتجاه النوافذ حيث تخترق الاشعة الشمسية الزجاج وتصل الى المخطوطات بل يجب ان تكون باتجاه الممرات الجانبية العرضانية حيث تقوم جوانب الرفوف الكثيفة بحماية المخطوطات من اضرار تلك الاشعة.

وهناك عدة طرق أخرى لكسر الاشعة الشمسية ومنعها من الاصطدام مباشرة بالمخطوطات الموضوعة على الرفوف منها وضع صفائح مائلة مواجهة للشمس من الاسمنت أو الالمنيوم توضع (ككاسرات للضوء) امام النوافذ ومنها وسائل يمكن وضعها وازالتها عند الحاجة كالستائر المعدنية ويمكن اعطاء واجهة البناء شكل اسنان المنشار حتى لا تكون النوافذ فى الحقل المباشر لاتجاه أشعة الشمس وجميع هذه الوسائل ناجعة على ان تدرس الزاوية التى تأتى منها اشعة الشمس بعناية فائقة.

تصفية الاشعة الشمسية

ومع ذلك فهناك حالات خاصة لا يمكن فيها الاقلال من مساحة الواجهات الزجاجية لاسباب معينة (وهى مثلا حالات المستودعات القديمة حيث جعلت النوافذ كبيرة الحجم لا يمكن سدها لئلا يتشوه منظر الواجهات) ففى مثل هذه الشروط يمكن دائماً التخفيف من حدة الشمس عن طريق (الأباجورات) الخشبية الجرارة والعادية والستائر المعدنية والستائر القماشية ولكن هذه الوسائل المخففة لشدة الشمس يجب ألا يوثق بفعالياتها دائماً بسبب العمل الذى تتطلبه والذى قد يستحيل انجازه بشكل نظامى فى بعض الاحيان (كاغلاق الستائر وتعطل الخشبيات الجرارة صعودا أو هبوطا) لذلك يفضل الاستعاضة عن ذلك بتدبير وقائى علمى وهو استبدال الزجاج العادى بالزجاج الذى يقوم بتصفية اشعة الشمس ولا يسمح الا بدخول الاشعة التى موجاتها أطول من (٤٦٠) ميليمكرون وقد كان تحديد هذا النوع من الزجاج مجال دراسات وتجارب عديدة مختلفة.



والظاهر . . انه ما من زجاج يستطيع منع جميع الاشعة الضارة فى الطيف الشمسى من الدخول على الاطلاق ومع ذلك فان الزجاج الدخانى والزجاج الاصفر الذى يدخل فى تركيبه كبريت الكادميوم Cadmium (٢١) قد أعطى نتائج باهرة فى هذا المضمار وقد أجريت التجارب بمبادهة من (مديرية الوثائق الوطنية) فى باريس سنة ١٩٥٩ فى مركز ابحاث شركة سان غوبان (Saint Go bain) فى مركز (كروا دوبرنى) خلال صيف كان استثنائيا بشدة حره وشمسه وتبين بعد ستة اسابيع من التجارب ان نماذج الورق الموضوع تحت الزجاج المحتوى على الكادميوم لم تتأثر الا بشكل طفيف (حتى الورق ذى النوعية الرديئة) بينما فسدت أنواع الورق الموضوعة تحت زجاج عادى تقريبا بتأثير اشعة الشمس . . كذلك ورد ذكر الزجاج المائل الى الخضرة فى عدة مناسبات لتصفية ضوء الشمس . . وهو نوع من الزجاج الذى كان يصنع دائما الا ان تجارب (كروادوبرنى) برهنت على ان هذا النوع من الزجاج الذى يسمى فى فرنسا (زجاج سان غوست) لا يضفى الحماية الكافية التى يؤمنها الزجاج الأصفر المصنوع بكبريت الكادميوم مع الملاحظة ان لهذا الزجاج الأصفر محذوراً وهو تلوين النور بلون أصفر مائل الى البرتقالى بشكل لا يناسب العين صحيا وهو محذور قد تكون له نتائجه الخطيرة فى متحف . . أما فى مستودع مخطوطات فلا أهمية له لان الانسان يدخل المستودع لتناول مخطوط ما والخروج مباشرة .

وقد انتجت معامل عديدة منذ سنوات نوعا من الزجاج يتألف من طبقتين بينهما طبقة خفيفة من (صوف الزجاج) ان صح التعبير الا انه يجب التنبية بان هذا النوع من الزجاج ليس بالضبط (مصفيا للضوء) ومع ذلك فان مجرد كونه يشتت ويعكس الاشعة الشمسية يمكن ان يكون مبررا كافيا لاستعماله بالاضافة الى انه عازل حرارى جيد .

واخيرا فان منافذ مستودع المخطوطات عندما تكون كبيرة فمن المفيد لضمان سلامة المخطوطات انتقاء زجاج متين ومسلح بالاضافة الى خواصه المصفية للاشعة أما الزجاج الابيض السميك فقد يكون له مفعول العدسات احيانا من حيث تكثيف الاشعة الشمسية وارسالها الى الداخل لتفتك بالمخطوطات بشكل ذريع .

ولا بد من الاشارة الى ان التراث الفكرى العربى خسر الكثير من ثرواته بسبب الجهل أو التقصير فى حمايته من اشعة الشمس فكم من مخطوطات فسدت واستحالت قراءة محتوياتها وكم من افلام صورت عليها أثمن المخطوطات وجدت عارية من اية كتابة أو أثر لأن اشعة الشمس المنعكسة حتى داخل حافظات تلك الافلام قد جردتها من ثروتها العلمية فأصبحت فارغة شفافة لا تفيد ولا تروى غليلا .

وهكذا نرى إنَّ أشعة الشمس تجمع فى خيوطها الذهبية بين اقصى المتناقضات : الخير والشر . . والنفع والضر فى آن واحد .

فـ ﴿تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيىء قدير﴾

وثاني ما يذكر من الاخطار على المخطوطات: « النار »

وأعني بذلك وقاية المخطوطات من الحريق وطرق مكافحته فى مستودعاتها لأن قطع الاثاث وغيرها من المواد التى تلتهمها النيران يمكن تعويضها ببعض البذل. . أما المخطوطات فقد تندثر معها معلومات ثمينة وتضيع الى الابد بكل ما تحمله من معلومات وفوائد للبشرية جمعاء.

والمعلوم ان المكتبات المحتوية على خزائن المخطوطات تتألف من:

١ ـ مخازن للمخطوطات ٢ ـ مكاتب لعمل الموظفين

٣ ـ اماكن للعمل يتواجد فيها الجمهور والموظفون معا.

ولابد فى كل ذلك من احترام مبدأ الحماية من الحريق الذى يتحقق إما بالعزل وإما بالفصل. . أى بكلمة أخرى: اما ان يكون القسم المخصص للمخطوطات منعزلا عن بقية الابنية . . واما ان يكون القسم المذكور موجودا فى نفس البناء الا انه منفصل عن الاقسام الاخرى بشكل فنى.

وقد درج المهندسون على طريقة الفصل بحيث تفصل اقسام المخطوطات عن مكاتب العمل بطريقة (المخطط المزدوج) بمعنى ان مخازن المخطوطات تكون فى طرف ومكاتب العمل فى طرف آخر لا يتصلان ببعضهما الا بممرات ذات ابواب مضادة للحريق. . ولكن هذا الحل ليس ممكنا فى جميع الاحوال بسبب المساحة الكبيرة من الارض التى يحتاجها ويمكن فصل مخازن المخطوطات بالجدران العازلة والارضيات والابـواب المضـادة للحريق وهى تتألف عادة من طبقتين من الفولاذ تفصل احداهما عن الأخرى مادة عازلة. . كما يجب عزل السلالم والمصاعد واحاطتها بقفص جدارى صلب مبنى من مادة تستطيع مقاومة الحريق اطول مدة ممكنة. . وذلك لمنع الحريق (الذى يشب عرضا فى طابق ما) من الامتداد الى الطوابق الأخرى بواسطة (بيت الدرج) هذا مشكلا ماصّ الهواء الذى ينفخ فى اوار الحريق. . بالاضافة الى وجود سلالم النجاة وحفظ المخطوطات الثمينة فى خزائن متينة أو داخل غرف مسلحة تؤمن لها فى نفس الوقت الحماية من السرقة، كما يجب تجنب الجوار الخطر كخزانات البترول ومستودعات الذخيرة والاماكن التى تصبح هدفا للغارات فى حالة الحرب.

ولعله لابد من التذكير بهذه المناسبة بمترسة الصاعقة لان عددا كبيرا من الكوارث فى هذا المجال نجم فى الماضى عن اصابة المستودعات بالصواعق وهذه المترسة يجب ان توضع باشراف مؤسسة متخصصة كما يجب بعد وضعها ان تصان وتفحص باستمرار والا أصبح خطرها اكثر من نفعها.

أجهزة الانـذار:

ورغم جميع الاحتياطات الوقائية فان على المرء توقع الكارثة دائما والتحفظ منها. . لذلك يجب تجهيز ***كل مستودع هام للمخطوطات بجهاز انذار آلى رغم ارتفاع ثمنه لان فائدته عند الضرورة تعوض ثمنه*** **مهما غلا فالنار التى تشب فى مستودع المخطوطات قد لا تبقى شيئاً من الوقت لينتبه اليها أحد مما يجعل اخماد النيران بعد ذلك أمرا صعبا.**



وتنقسم اجهزة انذار الحريق الآلية الى ثلاثة انواع: نوع يتأثر بالحرارة وآخر حساس بالنسبة للدخان وثالث يعمل بتأثير اللهب.

أ ـ أجهزة الانذار الحرارى

وتعمل بتأثير ذوبان خليط معدنى بدرجة حرارة منخفضة نسبيا أو بفعل تمدد الهواء بتأثير الحرارة أو تمدد معدن ما أو نتيجة للفارق بين الخواص الكهربائية لشريط حرارى كهربائى ويسمى بعض هذه الاجهزة الحرارية (مقاييس حرارية (Therms statique) وهى تعطى الانذار اللازم عندما تتجاوز درجة الحرارة فى المستودع حدا معينا ويكمن محظور استعمالها فى اختلاف فاعليتها فى الصيف عنها فى الشتاء وهناك نوع آخر من هذه الأجهزة يسمى (فارقات حرارية) وهى تعطى الانذار عندما يحدث فارق متميز فى درجة الحرارة بين حدين معينين وفاعليتها دقيقة: وثمة نوع ثالث يسمى (مقياس سرعة ارتفاع الحرارة) وهو يعمل بتأثير سرعة ارتفاع الحرارة مهما كانت الظروف المناخية المحيطة به.

جميع أجهزة الانذار الحرارية هذه تعطى نتائج ممتازة بالنسبة لاى حريق آخر غير حريق المخطوطات التى تتفحم فى الاغلب قبل اندلاع اللهيب فيها.. لهذا فان فعالية هذه الاجهزة الحرارية لا تؤدى الغرض المطلوب فى مستودع للمخطوطات مائة بالمائة وهو اعطاء الانذار فوراً لتلافى المحظور باسرع ما يمكن.

ب ـ أجهزة الانذار التى تعمل بتأثير الدخان أو الغازات المتسببة عن الحريق:

منذ بدء الاحتراق قبل ارتفاع درجة الحرارة تطلق النار وهى فى طور التهيؤ قبل اندلاعها فى المخطوطات المتراصة دخانا أو غازات خاصة.. لذلك فان الاجهزة الحساسة بالدخان هى أفضل أنواع اجهزة الانذار لمستودعات المخطوطات وهى على نوعين:

الأول يقوم على مبدأ (الحجرة الضوئية الكهربائية) وهو يطلق تيارا يتغير حسب الموجات الضوئية الواردة اليه.. ولما كان الدخان المنطلق من عملية التفحم السابقة للهب يؤثر على هذه الموجات الضوئية فانه يؤثر بالتالى على التيار الذى يطلقه الجهاز ويسبب الانذار المرتقب عند بلوغ كمية الدخان نسبة معينة.. أما نماذج الهواء فتنتقل من المستودع الى الحجرة الضوئية عن طريق انابيب خاصة.

اما النوع الثانى فجهاز يعمل على مبدأ التشريد (تحويل المادة الى شواردها الاصلية) ويضم الجهاز غرفة تشريد يقوم منها الهواء بمهمة الناقل بتأثير كتلة صغيرة جدا من مادة مشعة او دخول الدخان والغازات (الناجمة عن ابتداء تفحم المخطوطات قبل الحريق) يغير من الصفة الناقلة للهواء المحول الى شوارده ـ كالاوكسيجين وغاز الفحم والهيدروجين وغيرها ـ وتغيير الصفة الناقلة للهواء يؤدى الى اطلاق الانذار عند أول مرحلة من الحريق.

ولعل هناك محظوراً لأجهزة الانذار الحساسة بالنسبة للدخان بنوعيها المذكورين وهو حساسيتها المفرطة فقد شوهدت حوادث اطلقت فيها الاجهزة المذكورة انذاراً بفعل دخان أو غازات دخلت المستودع من الخارج أو من دخان سيجارة أو غليون . . ولكن هذه الحساسية المفرطة فى رأينا هى ميزة اكثر منها محظور بسبب الامان المطلق الذى تحققه .

و بعد . . فان التدخين من اى نوع يجب ان يكون ممنوعا فى مثل هذه المستودعات . . والابواب والنوافذ يجب ان تكون محكمة الاغلاق كى يمكن التحكم فى التكييف . . والانذار قد يكشف تلك المخالفة أو هذا الخلل فى الاغلاق .

أجهزة الانذار الآلية التى تعمل بفعل اللهيب:

ويقصد بها الاجهزة الحساسة بالنسبة للاشعاعات تحت الحمراء التى تطلقها ألسنة النيران وهى لا تصلح لمستودعات المخطوطات لانها لا تطلق الانذار الا بعد اشتعال الحريق وبعد ان تكون كمية كبيرة من الـوثائق قد فسدت بفعل التفحم السابق لاندلاع اللهب ولصعوبة اطفاء النيران بعد وصولها الى هذه المرحلة مما يؤدى الى خسارة فى المخطوطات قد لا يمكن تعويضها .

فوائد اجهزة الانذار الآلية

تحدد اجهزة الانذار الآلية مكان الحريق بالضبط على لوحة خاصة بالاضافة الى اطلاق جرس انذار وتنبيه اولى الأمر إلى الخطر الرهيب بل ان الانذار قد ينطلق ايضا (بالنسبة لبعض المنشآت الضخمة) فى دائرة الاطفاء نفسها مباشرة كما انها تغلق بشكل آلى جميع المنافذ التى يتسرب منها ما يسهل الاشتعال شريطة ان تكون مضبوطة بحيث لا يحاصر معها اى انسان فى المستودع الذى شب فيه الحريق . . كما يجب القيام بتجارب دورية تبين مدى فعالية تلك الاجهزة وصلاحها للعمل .

وهناك جهاز انذار حديث حساس بالنسبة لدرجات حرارة منخفضة نسبيا يتصل بأنابيب تمر بمستودعات الـوثـائق والمخطوطات فى الاتحاد السوفيتى(٢٢) فاذا اجتاز ارتفاع الحرارة فى المستودع درجة معينة فتحت سدادات الانابيب داخل المستودع آليا وانطلقت منه غازات الفحم co^2 لاطفاء الحريق وهو فى بدئه بشكل تلقائى .

اطفاء الحريق فى مستودعات الوثائق والمخطوطات:

وليس من الممكن ان نعالج فى هذه العجالة جميع وسائل اطفاء الحريق الخاصة بالمخطوطات خصوصا الصغيرة منها ولا مسألة تدريب العاملين فى خزائن المخطوطات بشكل دورى تحت اشراف الدوائر المختصة بل تكفى الاشارة الى المحظور الذى يمثله اطفاء الحريق فى مستودع المخطوطات بالوسائل التقليدية العادية



وقد حدث فى الماضى ان أصيبت المخطوطات من اطفاء الحرائق بالماء باضرار لا تقل فى أهميتها عن اصابتها بالحريق . . نفسه يجب ان يكون المستودع قد جهز باجهزة الاطفاء الخاصة بغزارة وهى على انواع : فمنها ما يطلق (الرغوة) وهذه قد تسيىء الى المخطوطات ايضا لانها تبللها وتذهب بالكثير من محتوياتها . . ومنها ما يطلق المسحوق الجاف (المؤلف عادة من كاربونات الصوديوم أو البوتاسيوم فى الاساس) وهذه تتطلب الاقتراب كثيرا من المخطوطات الملتهبة المطلوب اطفاؤها مما يشكل فى حد ذاته صعوبة لا يستهان بها فى مرحلة معينة من الحريق ومنها ما يطلق غاز الفحم CO^2 بقوة وهذه افضل أنواع اجهزة الاطفاء فى مستودعات المخطوطات لأنها تغير تركيب الهواء وتحرمه من نسبة الاوكسجين الكافية لاستمراره . . كما انها تنطلق (فى الاجهزة الجيدة) بقوة وغزارة كافيتين لا تتطلبان بالضرورة الاقتراب كثيرا من السنة اللهب الخطرة فاذا ما فشلت كل هذه الوسائل السريعة فلابد من اللجوء الى أهون الشرين . . الى الماء العدو اللدود للنار . لذلك يجب ان يكون البناء اصلا مجهزا على كل حال بفتحات ماء خاصة بالحريق يحدد المهندس سلفا مكانتها وقوتها بالتنسيق مع دوائر الاطفاء .

ملاحظة اخيرة وهى ضرورة وجود سلالم خارجية ومنحدرات تمتد من المستودع الى الخارج لاخلاء المخطوطات الثمينة والهامة عند الحاجة الى مستودعات آمنة أو شاحنات خاصة تبعد هذه الثروات الفكرية عن مكان الخطر لان المصاعد الكهربائية تتعطل حتما عند الحريق .

وهناك عدوّ تقليدى قديم للتراث الفكرى وهو: الرطوبة المفرطة .

وتتجلى أخطار هذه الرطوبة على المخطوطات فى أمرين : فهى من جهة تؤثر على تركيب الياف الورق فتسبب تلينها وتحل بعض أنواع الحبر (المداد) الى حد تستحيل معه قراءة ما كتب به أحيانا . . وهى من جهة أخرى تساعد على نمو الفطور العفنية وهذه تظهر فى درجة حرارة تتراوح بين ٢٠ و٢٥ درجة مئوية عندما تبلغ نسبة الرطوبة ٧٠٪ فما فوق وتوجد أصول الفطور العفنية فى كل مكان فما أن يتاح لها المناخ الملائم حتى تبدأ أنسجتها بالظهور (البقع العفنية) لتدمر المادة العضوية وصحائف الورق والرقوق التى تتلاصق ويصعب فصلها خصوصا اذا استحالت الى كتب متماسكة من السواد المتصلب .

والواقع . . ان التجربة أثبتت ان الشروط المثلى لتجنب نمو الفطور العفنية على الورق تكمن فى تأمين نسبة من الرطوبة تتراوح بين ٥٠ـ٦٠٪ فقط وفى درجة حرارة (١٥°) درجة مئوية لذلك فان درجة الحرارة المرتفعة لا تصبح ضرورية لمستودع المخطوطات (الى حد معين) فان الفطور العفنية نفسها تتكاثر بشكل هائل فى درجات الحرارة العالية ورغم ان المختصين لم يتفقوا حتى الآن على درجة الحرارة المثالية التى يجب ان تسود مستودع المخطوطات دائما فانه يمكن اعتبار الدرجة (١٥°) درجة مئوية الحد الادنى الذى يجب الا تهبط درجة الحرارة بعده و٢٠ـ٢٢ الحد الاقصى وعلى هذا فان درجة الحرارة المثلى تتراوح بين ١٧ـ١٨ مئوية والرطوبة النسبية الجيدة بين ٤٥ـ٦٠٪ داخل المستودع . . وقد تبين ان الفروق الكبيرة بين درجات

الحرارة ونسب الرطوبة تلعب دورا ضارا جدا فى الاماكن غير المكيفة . . الا انه لا يكفى ان نعرف الشروط المثلى للحرارة والرطوبة بالنسبة للمخطوطات بل يجب تحديد كيفية الحصول على هذه الشروط . . وهى على نوعين :

أ ـ تدابير وقائية : وهى التى تتخذ عند تشييد البناء الذى سيضم التراث الفكرى بين جنباته . . واذا كان من اسباب الرطوبة الزائدة فى بناء ما سقف غير متقن أو مجار غير محكمة أو نوافذ غير مضبوطة (فى البلاد ذات الاقليم الممطر) فان سببها الرئيسى هو المياه الارضية التى ترتشح عبر الجدران الى الاعلى ولابد من حساب ذلك اثناء البناء بالذات كبناء طبقة مضادة للرطوبة فى الجدران ووضع مزاريب فنية لابعاد المياه عن البناء وتجنب سيلانها على جدرانه (اثناء المطر) التى قد تمتصها وتنقلها بالتسرب الشعرى الى الداخل حيث تشيع جواً من الرطوبة مع جميع الاضرار الناجمة عنه، وكاستعمال مواد البناء ذات الفراغات لان الهواء الذى يملأ هذه الفراغات ردىء النقل للحرارة وعدم نقل الوثائق والمخطوطات فور الانتهاء من البناء حتى تزول آثار الرطوبة منه والابتعاد بمبانى المخطوطات عن مجارى الانهار أو سواحل البحار مباشرة.

ومع ذلك فاذا كانت الرطوبة غزيرة والبناء مشربا بالمياه بشكل يجعل الكسوة العازلة غير كافية لاتقاء ضرر الرطوبة فى مثل هذه الحالة تستعمل طريقة الامتصاص الكهربائى كما يمكن استعمال اجهزة خاصة مضادة للرطوبة فى مستودعات المخطوطات وهذه الاجهزة تعمل آليا حالما تتجاوز الرطوبة نسبة معينة (٦٠٪ مثلا فى مخازن المخطوطات).

ب ـ تدابير الحماية : وأهمها التدفئة والتهوية ومراقبة نسبة الرطوبة دائما وبدقة.

١ ـ التدفئة : وهى على نوعين : التدفئة الموضعية والتدفئة المركزية.

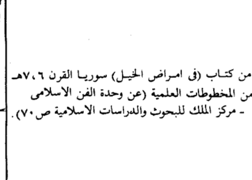
ولعله يحسن استبعاد التدفئة الموضعية بجميع انواعها من كهربائية وغازية ومدافىء المحروقات السائلة أو الخشبية لتسببها فى الحريق ولانها تسبب جفافا غير طبيعى عدا السموم التى قد تنبعث منها لذلك تعتبر التدفئة المركزية افضل وسيلة لرفع درجات الحرارة وهى على انواع منها التدفئة بالهواء الساخن وهى مقبولة فى الاماكن الرطبة الا انها تجفف الهواء فى الاماكن المعتدلة اكثر من اللازم وقد تجلب بعض الغازات الضارة الى مستودع المخطوطات ومنها التدفئة بالماء الساخن الذى يمر عبر انابيب ومشعات حرارية . . وهنا يجب اتقان التمديدات لتجنب سيلان المياه فى ارض المستودع والتدفئة بالبخار الساخن الذى يجرى فى انابيب خاصة محكمة الاغلاق الى مشعات تنشر الدفء الكافى وتقلل من نسبة الرطوبة . . واخيرا التدفئة داخل السقوف أو الجدران وذلك بوضع أنابيب يجرى فيها الماء الساخن ضمن جدران الغرفة أو سقفها أو أرضها فينطلق الاشعاع الجدارى بالحرارة ويؤمن الدرجة اللازمة مع بقاء هواء المستودع طبيعيا طلقا وهى طريقة مقبولة على الا تتعدى حرارة ارض المستودع ٢٥ درجة مئوية قطعا.

٢ ـ التهوية : وهى ضرورية لتجنب نمو الفطور العفنية وقد اثبتت التجربة ان الزوايا السيئة التهوية



غزوها الفطور العفنية اكثر بكثير من الاماكن المهواه جيدا وفي حالة وجود هواء موبوء (بالغبار مثلا أو الدخان) توضع المصافي اللازمة عند اماكن تسرب الهواء الى الداخل سواء أكانت كيماوية هذه المصافي أم لية.





من كتاب (في امراض الخيل) سوريا القرن ٧،٦هـ من المخطوطات العلمية (عن وحدة الفن الاسلامي - مركز الملك للبحوث والدراسات الاسلامية ص٧٠).

٣ ـ مراقبة الرطوبة: ولها أجهزة خاصة (الهيدروميتر) تختلف دقتها حسب أنواعها.. لا مجال لتعداد هذه الانواع هنا الا ان المختصين ينصحون باستعمال مقياس الرطوبة الشعرى المجهز بشعيرات متصلة بابرة تتقلص هذه الشعيرات بتأثير الجو الجاف وتتمدد بفعل الرطوبة فينتقل ذلك الى ابرة تتحرك على ميناء مرقم لتدلنا على درجة الرطوبة فى الجو وهى تعمل فى افضل حالاتها بين نسبتى ٣٠-٨٠٪ من الرطوبة النسبية وكل مستودع مخطوطات يجب ان يزود بمقياس للرطوبة حتما فى مختلف قاعاته.

الا انه يحسن عدم المبالغة فى مكافحة الرطوبة الى درجة ازالتها تماما وجعل الجفاف يسود المستودع فان لفرط الجفاف الذى يرافق درجات الحرارة المرتفعة محاذير جمة للمواد العضوية التى تتضرر بالتأثيرات المضادة للماء.. وهكذا تتقلص الرقوق ويصبح الورق هشا سهل التفتت بعد ان يفقد مرونته وهذا الخطر يوجد فى البلاد ذات المناخ الصحراوى واحيانا فى البلاد المعتدلة المناخ (اذا افرط فى مكافحة الرطوبة) فاذا انذرنا مقياس الرطوبة بهبوط نسبتها عن الحد الادنى اللازم وجبت معالجة الجفاف مباشرة.. اما بتبخير الماء فى المكان ذاته آليا واما باستعمال اجهزة تنثر ذرات الماء فى جو الغرفة وهذه الاجهزة مزودة بمقاييس للرطوبة بحيث تعمل آليا اذا انخفضت نسبة الرطوبة عن ٥٠٪ وتتوقف تلقائيا اذا تجاوزت هذه النسبة ٦٠٪ ويلاحظ ان الاضرار التى يسببها فرط الجفاف تكثر فى الطوابق العليا خصوصا اذا كانت السقوف مسنمة (بشكل جملون).

عدو آخر للمخطوطات لدود وشرس يكمن في شوائب الهواء :

وأول هذه الشوائب الغبار الذى يتراكم على المخطوطات والكتب والوثائق وسائر عناصر التراث الفكرى وهو عدو تمكن مقاومته ولكن لا يمكن الانتصار عليه بشكل كامل لأن ذراته تنتشر فى كل مكان . . ولا ينجو منها اى مستودع مهما بلغ من اتقان بنائه والتدابير الوقائية المتخذة فيه فان كانت كمية الغبار قليلة وكانت جافة غير حامضة التركيب فان ضررها خفيف.

اما غبار المناطق الصناعية فانه دهنى القوام حامض التركيب لذلك فهو يشكل خطراً جديا على التراث الفكرى ويميز فى هذا المضمار بين كميات الغبار الآتية من الخارج والغبار الذى ينشأ داخل المستودع نفسه . . ففى الحالة الأولى يكمن الحل فى تصفية الهواء أو تكييفه قبل دخوله المستودع . . أما الغبار الناشىء من تفتت أرضية المستودع فقد أثار مشكلة كانت موضوع دراسات خاصة لان غبار الاسمنت بشكل خاص يكون حامضا وخطرا على الورق ويتولد بشكل مستمر من نحات الاسمنت المصقول بتماس أحذية الزائرين وموظفى المستودع وعجلات العربات حاملات المخطوطات . . لذلك يجب ألا تكوَن ارضيات مستودعات المخطوطات من الاسمنت مهما كان مصقولا فهناك اربع طرق بديلة لكل منها ميزاتها ومحظوراتها الخاصة :

أ - تتلخص الطريقة الأولى بكسوة الارضيات ببلاط مضاد للحرارة اى عناصر متعددة الفنيل Polyviny الملونة بالوان مختلفة ومزينة بالصور بشكل يشبه السجاد أو البلاط تلصق على طبقة وسيطة خاصة توضع بانتظام على الارضية المحددة وبعض عناصر هذه الكسوة (التى تتحمل مختلف درجات الحرارة) تحتوى على خيوط الاميانت أو خيوط القنب . . الخ . مما يزيد فى صلابتها ولها ميزات عديدة أهمها : «الاناقة والراحة ومقاومة الاحتراق وسهولة التنظيف» . . أما أهم محظوراتها فهو ارتفاع التكاليف من جهة وضرورة كون الارضية مستوية ملساء حتى يمكن تركيب الكسوة المذكورة عليها مما قد لا يتوفر دائما خصوصا عندما تكون الارضية من الاسمنت القديم الذى بدأ يتفتت.

ب - الطريقة الثانية : كسوة من البلاستيك (او اللدائن) تفرش على الارضية بأداة معدنية خاصة لانها تُسلّم بشكل عجينة طرية القوام وميزة هذه الكسوة انه يمكن تركيبها حتى على ارضية من الاسمنت قديمة وتوضع على عدة طبقات وتسوى بالاداة المعدنية المذكورة وتصقل بعناية وتكاليف هذه الطريقة أقل بكثير من الطريقة السابقة الا ان مقاومتها لعوامل الاهتراء أقل وأضعف وهى تشكل فى اغلب الاحيان الحل الاقل كلفة والاكثر استعمالا .

ج - *الكسوة اللامعة : وتتألف من طبقة من الدهان أو الزيت المعدنى اللامع تطلى بها حتى الارض المعدنية* وميزتها الرئيسية تكمن فى بساطتها وسهولة تطبيقها تطلى بالفرشات أو بأية اداة أخرى ويمكن استعمالها حتى على الارض التى ساءت حالتها المعمارية ولكن مقاومتها لعناصر الاهتراء أقل بكثير من الطرق السابقة بسبب رقتها وسهولة تقشرها فى الارض الاسمنتية ولكنها رخيصة زهيدة الكلفة .



د ـ الكسوة الصناعية : وتستعمل فى المناطق الصناعية التى تكون معرضة لحركة مرور كثيفة وهى كسوة متينة وشديدة المقاومة بشكل خاص تتألف من أقسام مسننة متلاصقة من الاسمنت ومساحيق من المعدن الصلب ومن البازلت وغيره وتكاليفها عموما مرتفعة ولكن مقاومتها الشديدة للاهتراء تضمن لها استمراراً غير محدود ومحظورها الوحيد انها تستهلك نعال الاحذية ودواليب عربات النقل اذا كانت من المطاط . . كما أن وزنها يجب حسابه بدقه .

وهناك اسمنت خاص مركز باسلوب الارتجاج صعب الاهتراء ولا ينشأ عنه الغبار لذلك يمكن عند تشييد بناء للمخطوطات أو قاعات لها جعل ارضية المستودعات من هذا النوع الذى لا تنعدم معه ضرورة استعمال اى نوع من الكسوة بعد ذلك .

على أى حال لابد من ازالة الغبار عن المخطوطات عند وصولها الى اماكن حفظها قبل بدء عمليتى الفرز والتصنيف بواسطة أجهزة آلية خاصة تسمى : «مزيلة الغبار» وأهم اجزائها سطح من الاسلاك المعدنية الدقيقة المتشابكة فوق محرك كهربائى قوى يحدث تيارا شديدا شافطا للهواء . . وتهتز المخطوطة آليا ضمن حدود السلامة لاستخراج غبارها مهما كان متشبثا بها فتمتص الشافطة الكهربائية . . هذا مع عدم السماح للجمهور بارتياد مستودع المخطوطات وتنظيف كل مخطوط تماما قبل اعارته ثم اعادته .

ولعل افضل طريقة لتأمين حماية كاملة للوثائق والمخطوطات من الغبار وغيره استعمال مكيفات الهواء المزودة بمؤشر قياس الرطوبة داخل الجهاز وبذلك يمكن الاحتفاظ بدرجة الحرارة ونسبة الرطوبة بشكل ثابت داخل المستودع وفى هذه الحالة لا مانع من كون هذا المستودع تحت الأرض .

وليس الغبار العنصر الوحيد الضار فى الهواء فهناك شوائب ضارة أخرى أبرزها :

أ ـ غاز ثانى اوكسيد الكبريت الذى تمتصه صحائف المخطوط فاذا اتحد مع حمض الكبريتيك كان عنصرا مخربا للورق والجلد معا .

ب ـ كبريتيد الهيدروجين : *الذى يتفاعل مع المواد المستعملة فى زخارف بعض المخطوطات ـ عدا مواد التذهيب ـ مشكلا لونا اسود يشوه المخطوطات ويعيق قراءتها .*

ج ـ غاز الأوزون : *ويشكل خطورة على سيلولوز الورق لتدميره الروابط بين ذراته(٢٣) .*

د ـ الدخان : ويختلف تركيبه حسب نوع الوقود وينشأ من مواقد المنازل التى لا يتم الاحتراق فيها بشكل جيد ومن مداخن المصانع الكبيرة ويتألف من ذرات دقيقة جدا يحملها الهواء بسهولة ، قطر الواحدة منها أقل من (٢٠) ميكرون والجدولان التاليان يبينان الفارق فى التركيب بين دخان تدفئة المنازل ودخان أحد المعامل(٢٤) :

تركيب دخان منزل بريطانى		تركيب دخان معمل بريطانى	
المادة	النسبة المئوية	المادة	النسبة المئوية
مواد فحمية	٥٧٪	مواد فحمية	٤٨٪
قــار	٣٧٪	قــار	١٠،٥٪
رمــاد	٧٪	رمــاد	٥٠٪

وهذه المواد تنتشر بين صفحات المخطوط وعلى الرفوف فترسب مكونة بقعاً مشوهة من جهة كما انها تتفاعل مع الصفحات بشكل ضار.

ويمكن الوقاية من هذه الشوائب بحفظ المخطوطات ضمن علب أو حافظات من الورق المقوى (الكرتون) أو البلاستيك المحكم الاغلاق على ان تفحص وتنظف بين كل حين وآخر مع اساليب الوقاية السابقة الذكر.

وأخيرا وليس آخرا هناك عدو شديد الخطورة على المخطوطات بل أعداء بالجملة يتمثلوت فى القوارض والطفيليات والحشرات والكائنات الدقيقة والفطريات والبكتريا والجراثيم المتلفة للمخطوطات وكلها تعب من ثقافة هذه المخطوطات على طريقتها الخاصة ويطول تعدادها لكثرة أنواعها وأجناسها واسمائها مما يجعلها موضع دراسة متخصصة وما يهمنا فى هذه العجالة ذكر ما يمكن من اساليب الوقاية منها.

وأول الاحتياطات الواجب اتخاذها ضد الحشرات والقوارض فى الابنية هو عزل الارضية على قدر الامكان . . والاسلوب المتبع فى دار وثائق (أودين udine فى ايطاليا جدير بالدراسة فان المستودعات جميعها معزولة عن الارض بدعامات تحملها وهى تشكل بالنسبة للحيوانات الضارة عثرة ناجعة (وهذا الحل يحمى المخطوطات ايضا من رطوبة الارض المتنقلة الى الاعلى بطريقة التسرب الشعرى) . . فاذا أخذنا بعين الاعتبار الحشرات المجنحة وجب الاقتصار فى تهوية مخازن المخطوطات على المكيفات ومصافى الهواء العلمية فى جميع الفصول دون استثناء وحال ملاحظة أو الشك بوجود الكائنات الحية الضارة فى مخازن المخطوطات وجب الاسراع فى تعقيمها فورا . . ففى الحالات الخفيفة يكتفى برش المخطوطات بالمساحيق المبيدة أو تعقيمها بالمواد المعروفة تجاريا مع تجنب المستحضرات التى تشكل فى حد ذاتها خطرا على المخطوطات أو على العاملين فى نطاقها (كمادة كلور البيكرين مثلا لانها سامة للانسان) ومع الملاحظة بان هذه المساحيق والمواد المبيدة والمطهرة لا تصل الى الأرضيات ودود الكتب الموجودة فى قلب المخطوطات . . لذلك فان الطريقة المثلى لتعقيم مستودعات المخطوطات هى طريقة (التبخير) التى تستعمل فيها اقراص المواد المبيدة الخاصة كمادة الليندان Lindane مثلا التى تباع بشكل اقراص تحت اسماء تجارية مختلفة مثل:

اكزافاب He avap وذلك بأن توضع الاقراص المذكورة ضمن وعاء صغير يوضع بدوره فوق منبع حرارى فتنقلب الاقراص بفعل الحرارة الى سائل يتبخر بشكلٍ دخان أبيض يلحق بالكائنات الضارة ويقتلها اينما



كانت: بين الصفحات أو فى ثنايا الجلود فى مخابئها ويحمى التراث الفكرى منها ويجب ان تبقى المستودعات مغلقة المنافذ بإحكام حوالى ساعتين على الأقل بعد التبخير، ويحسن مغادرة الانسان للمستودع عند العملية لان الابخرة المتصاعدة تهيج الانسجة المخاطية والعيون.

كذلك يمكن تعقيم المخطوطات المصابة بنقلها الى جهاز خاص للتعقيم وعزلها عن المخطوطات الأخرى السليمة خوفا من انتقال الشر إليها. . لذلك يجب عدم ادخال المخطوطات الجديدة الى خزائنها قبل تعقيمها فى اجهزة تعقيم كاملة لابد من وجودها فى كل مؤسسة تحتوى خزائنها على مخطوطات من اى نوع.

ولعل أفضل انواع التعقيم اجهزة مفرغة من الهواء تحتوى على اوكسيد الايتلين لان الغازات السامة تتغلغل فى هذه الحالة بعمق وبسرعة فى جميع طيات وصفحات المخطوط بينما يلاحظ ان تأثير الغاز يكون بطيئا وسطحيا اذا استعمل تحت الضغط الجوى العادى، ولاوكسيد الايتلين ميزة أخرى وهى انه يستعمل معقما من الحشرات ومطهرا من الفطور فى آن واحد. . اما الغلاف الجلدى للمخطوط فيستعمل لحمايته شمع خاص مضاد للحشرات من النوع الحيادى كيمياويا الخالى من المحاليل التى تصيب الجلود بالجفاف وبعد ذلك يتم تعقيم المخطوطات بالتبخير فى مستودعاتها دوريا ودون نقلها الى الجهاز المذكور وقد عدل المختصون عن استعمال الغازات ذات الأثر الضار مثل كبريت الكربون CS2 السام الذى يشكل بتماسه مع الهواء خليطا متفجرا والكلورو بيكرين السام وحامض السيانيدريك السام جدا للانسان.

وهكذا نرى ان الحشرات والطفيليات لا تكتفى باقلاق راحة الانسان ونقل العلل والامراض اليه بل تحاول التهام نتاج قريحته وعصارة فكره. . انها تأكل تراثه الثقافى الذى هو أصل حضارته وسر مدنيته وتحرمه منه الى الابد. . ولله فى خلقه شؤون.

كيف يستفاد من هذه المخطوطات؟

المخطوطات الفنية التى تتجلى فيها روعة فنون الكتاب تحفظ فى المتاحف وتعرض فى واجهاتها وتنطبق عليها الفنون المتحفية من تظليل وتنوير وبروز وخلفيات ذات الوان مناسبة مع الحاملات اللازمة والمرايا العاكسة اذا احتاج الأمر الى فتح المخطوط المزخرف إظهاراً لجماله من الداخل والخارج معا ليرى الزائرون زخارف صفحاته مباشرة وجمال تجليده بالمرآة الموضوعة خلفه من جهة أخرى الى غير ذلك من فنون العرض والتخزين معا.

أما المخطوطات العلمية فإما ان يستفاد منها مباشرة كأن يقصدها العلماء للتعرف على محتوياتها فى مخازنها الاصلية وهذا يكلف مالا ووقتا وجهدا مع صعوبة قراءة الخطوط الأصلية أحيانا والاعتماد على نسخة أو

نسخ بعينها فقط . . وإما ان تحقق هذه المخطوطات من قبل عالم متخصص يقارن بين النسخ بعد فحصها ثم يتحقق من العنوان واسم المؤلف ونسبة الكتاب اليه مستعينا بالمراجع العلمية بعد مقدمة عن عصر المؤلف وحياته الخاصة ويستجلى التصحيف والتحريف (إن وجدا) ويرجح افضل الروايات ويصحح الاخطاء مع الضبط والتعليق فى حواشى تلقى نوراً ساطعا على محتويات المخطوط ثم يشرف على طباعته ويعد فهارسه وهكذا يقدم المخطوط بشكل علمى موضوعى يجعل الفائدة منه كاملة تطبع منه آلاف النسخ وتوزع على المكتبات والجامعات وتعم فائدته علماء الارض وما كُتِبَ قرٌ وما حُفِظَ فرٌ . سأل سليمان مره عفريتا عن الكلام فقال: ريح لا تبقى . . قال: فما قيده؟ . . قال: الكتابة(٢٥) .

وقد استفادت أوربا المسيحية من مهارات المسلمين فى فنون الكتاب فى مخطوطات المستعربين بالاندلس مثلا . . يبدو هذا التأثير إما فى الفنون الدقيقة الملونة التى استوحت من المخطوطات ورسومها الملونة الجميلة واما من كتابات تشبه الكتابات العربية . . كذلك نرى جلود الكتب المزينة بالزخارف النباتية النافرة تتوسطها دائرة تذكرنا بالرموز العربية . . ولعل من أجمل ما ينعكس فيه فن الخلافة الاموية بالاندلس نسخة الانجيل الاشبيلية ويتجلى تأثير الفن الاسلامى فى زخارف مختلفة مع عقدين حدويين وقد برع فى ذلك مصورون وخطاطون مستعربون مثل (ماخيو Magio) الذى تعلم فن التلوين المائى فى الاندلس وأتقنه .

يقول كريستى «نحن مدينون للشرق بمادة كانت العامل الأكبر إن لم يكن الوحيد فى ارتقاء فن الطباعة وبلوغه مرتبة الكمال . . لقد عرف المسلمون الورق عند استيلائهم على سمرقند وتعلموا انتاجه وانتشر استعماله فى الغرب بفضل الاسلام وأول المصانع الورقية التى انشئت فى أوربا اسسها المسلمون فى اسبانيا وصقلية ومنها امتدت الصناعة الى ايطاليا(٢٦) .

وفى القرن التاسع الهجرى اتخذ تجليد الكتب فى أوربا مسحة اسلامية واضحة وهذا القسم الذى يطوى من الغلاف لحماية الحواف (وهى طريقة لا تزال تستعمل حتى الآن) من أصل اسلامى بحت . . أما تزيين الغلاف الجلدى بالادوات المعدنية الحارة لاحداث زخارف غائرة فى الغلاف فقد كان يزين بماء الذهب الذى كان يملأ تلك الزخارف وقد عرفت أوربا هذه الطريقة بواسطة مجلدى الكتب المسلمين الذين استقروا فى البندقية . . وفى نهاية القرن التاسع الهجرى (١٥م) أصبح الذهب يضغط على هذه الزخارف الغائرة بادوات تحمى وتمرر على صفائح الذهب ثم تضغط على هذه الزخارف وبذلك يصبح التذهيب ثابتا لا يزول مع الزمان . ولعل هذا التطور قدم من الاندلس وما لبثت هذه الطريقة ان عمت فى ديار الاسلام والمسيحية فى آن واحد . . ونرى فى غلاف صنع فى البندقية (القرن ١٠هـ) زخارف غائرة وتزيينات ملونة تذكرنا بالطراز الاسلامى الفارسى فى هذا المجال كما نرى فى غلاف المانى متأخر شكلا بيضاوياً مدببا يتوسطه رسم بيضاوى يشابهه وتحيط بها زخارف نباتية جميلة مما يذكرنا بالجلود المصرية فى القرن العاشر الهجرى . . وكذلك فى جلد كتاب من البندقية يعود الى منتصف القرن العاشر نرى رسما نجمياً فى وسط الجلد يضم شكلا بيضاوياً مدببا من رأسيه وجانبيه وتحيط به الزخارف بطريقة اسلامية واضحة .

هكذا عرفت أوربا طريقة التجليد الاسلامية فى الاسلوب والطراز والزخرفة حتى أصبحت جزءا من فنون الكتاب هناك . . وفى القرن الثالث عشر الهجرى بدأت الطرق الآلية تحل محل الطرق اليدوية فى التجليد . . أما الالواح الصدفية الزاهية كالمرمر التى كانت توضع بين جلد الكتاب وجسمه والتى درج



استعمالها فى أوربا فى القرن الثانى عشر الهجرى (١٨م) فقد اقتبست من الفن الاسلامى مباشرة دون وسيط. . كذلك اقتبس الاوربيون فن التذهيب عن المسلمين حتى أصبح ضغط الذهب فى التجليد شائعا فى أوربا كما سبق خصوصا فى جلود الكتب الملساء. . هذا عدا ما اقتبسه الغرب من علوم العرب التى كانت بمثابة الانطلاقة التى وصلت به الى هذه الحضارة وذلك الثراء.

الهوامش

(١) د. سامى خماس الصقار: حاجتنا الماسة لتنسيق عمليات تحقيق مخطوطات التراث العربى ـ مقال فى مجلة الدارة ـ الرياض ـ المحرم ١٤٠٧هـ/ ايلول ١٩٨٦م ص٩٧ اعتمادا على د. صلاح الدين المنجد: معجم المخطوطات المطبوعة ـ بيروت ١٩٧٨ ج١ ص٧.

(٢) ابن النديم: الفهرست. ليبزيغ ١٨٧١ (تحقيق غوستاف فون فلوجل) ص٣١

(٣) القلقشندى: صبح الاعشى ـ القاهرة ١٩٦٤م ج٢ ص٤٨٦

(٤) نصر الهورينى: المطالع النصرية ـ بولاق ١٢٧٥ ص١٨

(٥) مقدمة ابن خلدون ـ بيروت ١٩٧٠م ص٣٦٧

(٦) عبد الرحمن يوسف بن الصائغ: تحفة اولى الالباب فى صناعة الخط والكتاب (الطبعة الثانية) تحقيق هلال ناجى: تونس ١٩٨١ ص٤٦

(٧) منير كيال: فنون وصناعات دمشقية ـ دمشق ـ وزارة الثقافة والارشاد القومى ص١٩٣.

(٨) اجمع النسابة على ان الزهراوى ينتمى الى الانصار وكان يلقب بالانصارى اى ان أصله من المدينة المنورة ، انظر: د. على عبد الله الدفاع: اعلام العرب والمسلمين فى الطب ـ بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ص١١٩

(٩) للمزيد من التفاصيل ارجع الى كتاب المستشرقة الالمانية زيغريد هونكة (شمس العرب تسطع على الغرب)

(١٠) مجلة المجمع العلمى العربى فى دمشق ـ مجلد (٣) سنة ١٩٢٣م ص١٤١

(١١) حبيب الزيات: الخزانة الشرقية ١جزء (٢) ص٣٣

(١٢) انظر كتاب: أغنياتى كراتشوفسكى (١٨٨٣-١٩٥١) مع المخطوطات العربية ـ موسكو ـ دار التقدم وفى مجلة معهد الدراسات الشرقية (ليننجراد) قوائم بمجموعات كبيرة للمخطوطات العربية.

(١٣) انظر، د. يوسف عز الدين: مخطوطات عربية فى مكتبة صوفيا الوطنية البلغارية بغداد ١٩٦٨ (تحتوى على ٣٠٠٠ مخطوطة)

(١٤) انظر مثلا: صلاح الدين المنجد: المختار من المخطوطات العربية فى الاستانة ـ بيروت ١٩٦٨.

(١٥) عزه حسن: فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ـ دمشق ـ المجمع العلمى العربى ـ وانظر عن بيروت: فهرس المخطوطات دار الكتب الوطنية ببيروت (ينقص كشاف هجائى باسماء المؤلفين)

(١٦) انظر دار الكتب بالقاهرة: قائمة ببيليوغرافية بفهارس المخطوطات العربية والشرقية المحفوظة بدار الكتب والمكتبات الملحقة بها ـ القاهرة ١٩٥٩. . ثم معهد الدراسات العربية: فهرست المخطوطات العربية المصورة ـ القاهرة ـ جامعة الدول العربية.

(١٧) انظر: (أ) محمد هادى الامينى: مخطوطات مكتبة آية الله محمد البغدادى الحسنى فى النجف الاشرف، النجف، مطبعة القضاء ١٩٦٤ ـ (ب) د. محمد أسعد طلس: الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الأوقاف ـ بغداد ١٩٦١ ـ (ج) عبد الله الجبورى: المستدرك على الكشاف عن مخطوطات الاوقاف ـ بغداد ١٩٦٢ ـ (د) عبد الله الجبورى: فهرس مخطوطات حسن الانكرلى المهداة الى مكتبة الاوقاف العامة ـ بغداد: النجف ـ مطبعة الآداب ١٩٦٧ ـ (هـ) داوود الجلبى؛ مخطوطات الموصل ـ بغداد ١٩٢٧ ـ (و) على الخاقانى: مخطوطات المكتبة العباسية فى البصرة ـ بغداد ١٩٦١ ـ (ز) كوركيس عواد: فهرسة مخطوطات مكتبة المتحف العراقى ـ بغداد ١٩٥٧. . وغيرها كثير مثل: مخطوطات المجمع العلمى فى بغداد وفهرس المخطوطات (معهد الدراسات الاسلامية العليا) وفهرس مخطوطات المكتبة القادرية ببغداد وفهارس الميكروفيلم للمخطوطات (جامعة بغداد ، المكتبة المركزية) الخ. .

(١٨) انظر: (أ) يس علوش: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى الخزانة العامة برباط الفتح ـ باريس ١٩٥٤ ـ (ب) ليفى بروفنسال: مخطوطات المعهد العلمى للدراسات المغربية (٢٠٣٠ مخطوط سنة ١٩٣٩) مجلة هيسبرس Hesperis المجلد ٢ ص٤٤١ ـ الرباط ١٩٣٩.

(١٩) د. رمضان عبد التواب: مناهج تحقيق التراث ـ القاهرة ١٩٨٦م ص٦٣

(٢٠) من اراد التوسع فى موضوع الترميم فلينظر: مصطفى مصطفى السيد يوسف: العلم وصيانة المخطوطات ـ جدة دار عكاظ ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م وهو يعالج موضوع الترميم بشكل علمى حديث.

(٢١) الكادميوم عنصر فلزى ابيض يشبه القصدير.

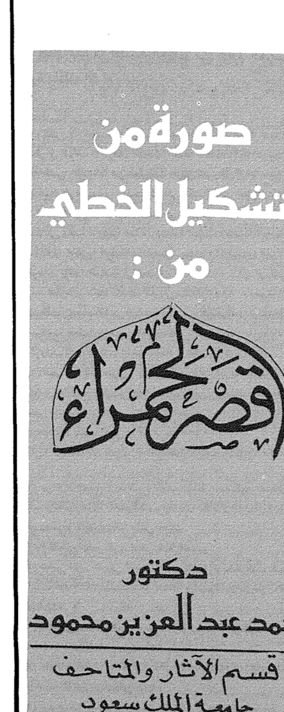
(٢٢) محاضر المؤتمر الدولى الثامن والتاسع للوثائق والمخطوطات المنعقدين فى بودابست عام ١٩٦٢ ولندن سنة ١٩٦٥ والمطبوعة فى باريس سنة ١٩٦٥ صفحة ١٢٨.

(٢٣) مصطفى مصطفى السيد يوسف: العلم وصيانة المخطوطات ـ جدة دار عكاظ ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ص٦٤-٦٦

(٢٤) Gazette des Archives No47.1964: Yo lallution atmospherique P:163-166

(٢٥) عبد الرحمن يوسف بن الصائغ (المتوفى سنة ٨٤٥هـ) تحفة أولى الالباب فى صناعة الخط والكتاب تحقيق هلال ناجى ـ تونس ١٩٨١م ص٢٦.

(٢٦) توماس ارنولد: تراث الاسلام ـ بيروت ١٩٧٨ ص٢١٤-٢١٥



أدى الخط العربى دوراً رئيسيا فى الفنون الاسلامية وذلك بعد تطوره منذ أن كان تقليداً للخط النبطى الى أن استقام فناً قائما بذاته له أصوله وقواعده ورجاله ـ وكان الدافع الى ذلك هو القرآن الكريم ـ فقد اتجه المسلمون الى تجويده كتابة مثلما اتجهوا الى تجويده قراءة وترتيلا.

ولقد نال القلم والكتابة شرفاً عظيما اذ أقسم الله بهما فى قرآنه: ﴿ن. **والقلم وما يسطرون**﴾.. وجعل القلم وسيلة العلم: ﴿**اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم**﴾.

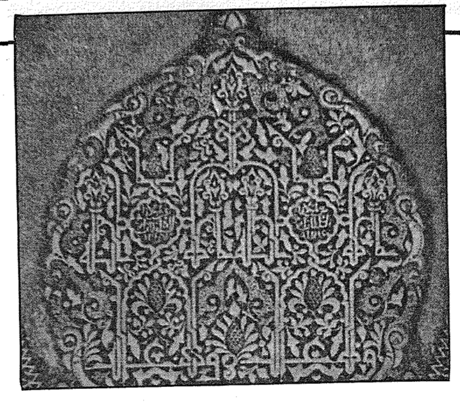
وساعد على أن يتبوأ الخط هذه المكانة الرفيعة بين الفنون الاسلامية ما تمتاز به طبيعة حروفه من مرونة فى تزويقه وتشابكه وتداخله.

وواكب الخط العربى حركة الفتوحات الاسلامية.. وانتشر خارج الجزيرة العربية بانتشار الاسلام شرقاً وغرباً.. واستقر فى المدن التى فتحها المسلمون أو أنشأوها فى البلاد المفتوحة.. وما لبث أن تعرض لقانون التطور.

وعندما استقر فى الأندلس اكتسب بدوره شخصية تميزه عن الخط الشرقى ظلت تلازمه الى أن انتهت دولة الاسلام فى الأندلس بسقوط غرناطة فى عام ٨٩٧هـ (١٤٩٢م).

ومرت غرناطة بنفس الأدوار التى مر بها تاريخ العرب فى الأندلس عامة فحكمها الأمويون والمرابطون والموحدون.

ولما ضعف أمر الموحدين فى الأندلس وأخذت قواعد ملكهم تخرج من أيديهم تباعا ـ يقع بعضها



نقش كتابى فى بهو الريحان

فى أيدى الاسبان وبعضها فى أيدى العرب ـ ظهرت دولة بنى الأحمر (٦٢٩-٨٩٧هـ) (١٢٣٢-١٤٩٢م) . . وبرز على مسرح الأحداث محمد بن يوسف المعروف بابن الأحمر سليل بنى نصر الذين يرجعون فى نسبهم إلى سعد بن عبادة الأنصارى سيد الخزرج . . واستطاع أن يشق طريقا وسط تلك الفوضى التى كانت سائدة فى الأندلس . . وقد نجح فى إقامة مملكة غرناطة سنة ٦٢٩هـ . . وعمل على توطيد دعائم ثباتها وصمودها لهجمات الاسبان قرنين من الزمان.

وقد اتخذ محمد بن الاحمر ـ أول سلاطين هذه المملكة ـ من حصن الحمراء مقراً له . . وقوّى الأسوار القديمة . . وزاد فى أبراجها . . ثم خطط القصر الذى أتمه من بعده ثلاثة سلاطين هم :
(أبو الوليد اسماعيل بن فرج (٧١٣هـ/١٣١٢م) خامس سلاطين بنى الأحمر ـ ثم ابنه أبو الحجاج، سابعهم (٧٣٣هـ/ ١٣٣١م) ـ ثم ابنه محمد الغنى بالله بن يوسف (٧٥٥هـ/١٣٥٤م).

وقد تجمع فى غرناطة المهاجرون العرب الذين استولى الاسبان على بلادهم . . وانتشروا فى ربوعها يعملون فى حرفهم المختلفة التى حذقوها فى بلادهم . . واستفادوا بكل ما وجدوه فى وطنهم الجديد من إمكانيات.

وهكذا بلغت غرناطة الذروة فى الحضارة . . وتركزت هذه الحضارة العربية الاسلامية ومظاهرها فى هذه المملكة الصغيرة . . وصمدت لهجمات الاسبان قرنين من الزمان . . فازدهر العلم وازدهر فن البناء وفن الزخرفة وجميع الفنون الزخرفية الأخرى.

وفى الحقيقة إن ملوك بنى الأحمر قد استطاعوا بما توفر لديهم من الثروة الطائلة التى كانت نتيجة ثمرة الاقبال على العمل فى مملكتهم أن يشيدوا قصر الحمراء ويفرغوا فى تنسيقه غاية جهدهم.

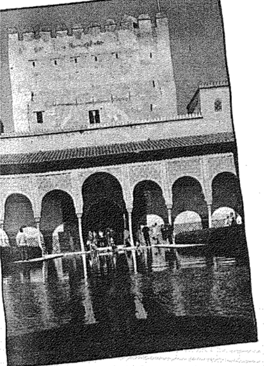
وقد زخر هذا القصر بالزخارف الكتابية والتشكيلات الخطية . . ونعرض هنا نموذجا فريداً منها تمثل فى شعار بنى الأحمر فى عبارته «ولا غالب إلا الله» .

لقد أدت القوائم فى هذا التشكيل الدور الرئيسى وهذه القوائم هى سيقان حرفى «**الالف واللام**» فى وضعين : **الاول** عندما يكون حرف الألف غير متصل . . **والثانى** عندما يكون حرف الألف متصلا بحرف اللام فى صورة «**اللام ألف**» .

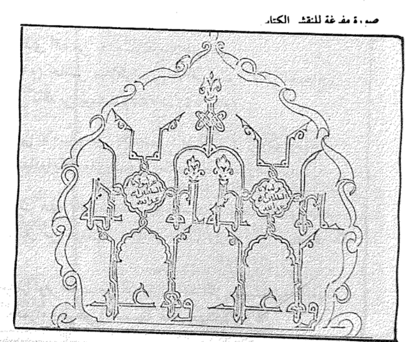
ويتكرر هذا الشعار على جدران بهو الريحان : Patio de los Arrayanes) متخذاً تشكيلا زخرفيا فى هيئة قبة تنتهى من أعلى بقمة مدببة (شكل١) .

وقوام هذا التشكيل عامة ـ كما ذكرنا ـ عبارة «ولا غالب إلا الله» متكررة مرتين وتتضح فيه زخرفة التوريق مواكبة للنقش الكوفى ومتداخلة بين سيقانه وحناياه .

وسبح الفنان فى خياله عند تنفيذ هذا التشكيل (على القارىء أن يتابع الوصف فى الصورة المفرغة للتشكيل ـ شكل رقم٢) إذ قسم طولا كتلة القبة إلى نصفين متماثلين فى ترتيب كلمات الشعار فى جملته تماثلا متتابعا . . وتضمن النصف الأيمن «ولا غالب إلا الله» مبتدئا من أدنى الى أعلى كما تضمن النصف الأيسر نفس العبارة من أدنى إلى أعلى كذلك . . كما قسم هذه الكتلة عرضا الى قسمين : أعلى وأسفل ـ شمل الأسفل النص ولا غالب مرتين فى تماثل متتابع . . وشمل القسم الأعلى النص «إلا الله» مرتين فى تماثل متتابع كذلك .



صورة مفرغة للنقش الكتابى





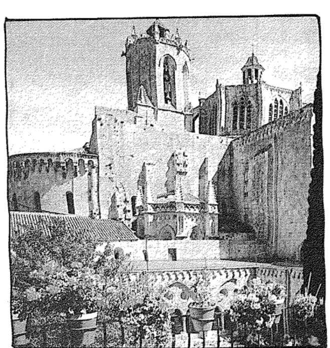
لقد طوع الفنان فى هذا التشكيل عشرين قائما لكل من حرفى الألف واللام فى هذا الشعار الذى يتكرر مرتين فأبدع فى تشكيلها وأجاد فى تنسيقها وتوزيعها ـ مما يثير إعجاب الناظر فيقف حائراً بين هذا الابداع وبين المعنى السامى الذى يكمن فى الشعار.

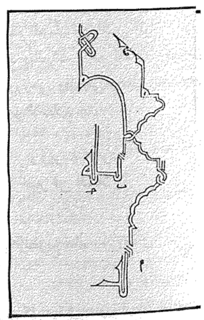
يرى النـاظر تشكيلا زخرفيا فى النصف الأسفل من تكرار عبارة «ولا غالب» فى شكل عقدين متعددى الفصوص . . ويحصر هذان العقدان بينهما مساحة شغلت بتوزيقات نباتية وبكوز من الصنوبر . . كما شغل الفراغ بين حرف الغين والقوس المفصص فى كل من العقدين السابقين بتوريقات بداخلها كوز الصنوبر.

ويعلو كلا من العقدين المفصصين سرة مفصصة . . ونطالع داخل السرتين المفصصتين نقشا بخط نسخى نصه «عز لمولانا السلطان أبى عبد الله» (شكل١).

ونرى فى مركز القبة بين السرتين قوسين متقابلين قوامهما قائما حرفى اللام فى كل من لفظ الجلالة ـ ولفظ «إلا» . . ويتوازى امتداد كل من هذين القائمين الى اعلى مكونين جديلة معقدة يعلوها مروحتان نخيليتان متدابرتان تنتهيان من أعلى بطرف مدبب.

وهكذا نشهـد الابداع الجميل المتمثل فى قوائم الحروف الى جانب التماثيل الواضح فى تشكيل الكتل الزخرفية وتنسيق الفراغ فيما بينها.





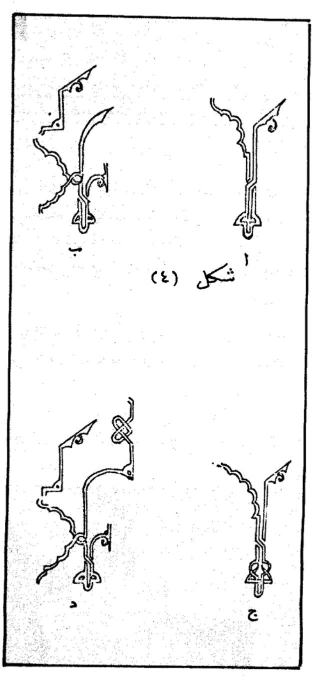
كل (٣) حرف اللام فى لفظ «الجلالة» و«غالب» . .



من الفن الاسلامى

لا سبيل إلى المماراة أو التشكيك فى وجود وأصالة وعبقرية الفن الاسلامى كفن قائم ومتميز عن غيره من الفنون.. فنظرة واحدة الى أى عمل فنى كافية للقول بها إذا كان عملاً فنياً إسلامياً أو لم يكن كذلك.. ذلك ان الروح الاسلامية صهرت فى بوتقتها الهائلة وفى اطار عبقريتها الكبرى الممتدة من جبال البرانس عند التخوم بين اسبانيا وفرنسا وحتى سواحل الصين العديد من الكتل والتجمعات البشرية والعرقية وجعلت جميع افراد هذه التجمعات اخوانا ومن الطبيعى ان كل تجمع من هذه التجمعات وضع قدراته فى خدمة الكل الاسلامى الواحد. والنتاج الكلى لهذه العملية فى شتى ألوان الفنون استوحى قناعات وتأثيرات واتخذ اشكالاً وتجليات ذات طابع دينى وروحى وفلسفى وجمالى محدد نبعه المباشر والواضح هو الاسلام..»

روبرت الجود
خبير فن السلاح



صور لحرف (اللام ألف) أ ب ج د

■ وقد أسهم ذلك كله فى إبراز القيمة الجمالية الكامنة فى الحروف العربية وتطويع هذه الحروف فى إخراج هذا التشكيل فى مقدرة فنية فائقة.

ولنتذوق الجمال فى لفظ «اللام ألف» الذى يتكرر أربع مرات ويبدو فى كل مرة فى صورة فريدة يتناوب فيها كل من الألف واللام التقاطع والانكسار والانحناء والتفصيص. (شكل٤).



■■ هيا معاً نتابع حرف اللام فى لفظ «غالب» الذى يبدأ تشكيله من أدنى بتقويس ثم يصعد متقاطعا مع حرف الألف فى نفس اللفظ . . ثم بتفصص مكونا نصف العقد المتعدد الفصوص . . ثم يتضافر مع حرف اللام فى «إلا» مكوناً السرة المفصصة . . ويواصل مسيرته الى يسار السرة متضافراً مع حرف اللام الأول فى لفظ الجلالة . . ثم يصعد الى أعلى مكوناً نصف قوس ينتهى مدبباً . . ثم يعود الى الاتجاه الرأسى . . ثم ينكسر الى اليمين مكونا جديلة تشبه القلب ـ وتتماثل مع جديلة أخرى فى وضع معكوس، وتتحد مع الجديلة الأولى . . والجديلة الأخرى هى امتداد لحرف اللام فى لفظ «إلا» المتكرر ـ وينتهى طرفا الجديلتين معا فى تشكيل مورق .

اما لفظ «لا» فيسهم فى تشكيل رائع قوامه أربع صور متكررة تدل على مقدرة الفنان المسلم وخياله العريض (شكل٤ : أ، ب، ج، د)

وهكذا تتجلى الروعة فى إخراج لوحة من التشكيل الكتابى الذى تواكبه تشكيلات التوريق الزخرفية متضمنة شعار بنى الأحمر والذى يغمر سطح الجدران المطلة على بهو الريحان .

المصادر والمراجع

● حسن، زكى محمد : الزخارف الكتابية فى الفن الاسلامى فى مجلة «الكتاب» ـ نشر دار المعارف بمصر، عدد يناير ١٩٤٦، القاهرة ١٩٤٦ ـ فنون الاسلام ، الطبعة الاولى ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٤٨

● ابن الخطيب (لسان الدين) : الاحاطة فى أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان ـ المجلد الأول، مجموعة ذخائر العرب، دار المعارف ـ القاهرة، د.ت ـ اللمحة البدرية فى الدولة النصرية، صححه ووضع فهارسه محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ـ القاهرة ١٣٤٧هـ.

● سالم، السيد عبد العزيز: المساجد والقصور بالأندلس (سلسلة اقرأ) دار المعارف بمصر ١٩٥٨ ـ قصة الحمراء، فى دائرة معارف الشعب ـ العدد ٦٤ ـ القاهرة ١٩٥٩

● عنان، محمد عبد الله: الآثار الأندلسية الباقية فى إسبانيا والبرتغال ـ الطبعة الثانية، مؤسسة الخانجى ـ القاهرة ١٣٨١/١٩٦٢.

● مرزوق، محمد عبد العزيز: الفنون الاسلامية فى المغرب والأندلس ـ دار الثقافة بيروت، د.ت
قصر الحمراء، (المكتبة الثقافية ٩١) اغسطس ١٩٦٣ مطابع دار القلم ـ القاهرة.
الفن الاسلامى، تاريخه وخصائصه ـ مطبعة أسعد بغداد ١٩٦٥

● مورينو، مانويل جوميث: الفن الاسلامى فى إسبانيا، ترجمة لطفى عبد البديع والسيد عبد العزيز سالم ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ١٩٥٨

Villa-Real, Ricardo: The Alhambra and the Generalife, Migul Sanchez, Editor, Granada, 1974.



نقشان جديدان من مكة المكرمة مؤرخان بسنة ثمانين هجرية

دكتور
سامح عبد الرحمن فهمي
أستاذ مشارك الحضارة الاسلامية
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

انه لمن توفيق الله عز وجل ان اتولى بحث نقوش من مكة المكرمة فعند قيامى بتدريس مادة علم الكتابات العربية Arabic Palaeography بقسم الحضارة والنظم الاسلامية بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية جامعة أم القرى علمت بوجود نقوش على تل صخرى بالقرب من مكة المكرمة(١) وبمتابعة تفريغ وقراءة كتابات بعض هذه النقوش(٢) وفقنى الله سبحانه وتعالى الى هذين النقشين موضوع البحث وهما اضافة جديدة بحق للكتابات الحجازية التذكارية المبكرة التى ترجع الى القرن الأول الهجرى والتى عرف منها فى شبه الجزيرة العربية حتى الآن ثلاثة نقوش سابقة على هذين النقشين(٣):

النقش الاول والثانى: قام بنشرهما باحث(٤) بحولية الآثار السعودية «أطلال» وقد أشار الى النقش الاول وهو خاص بعبد الرحمن بن خالد بن العاص ومؤرخ بسنة اربعين هجرية(٥)

(لوحة رقم ١)

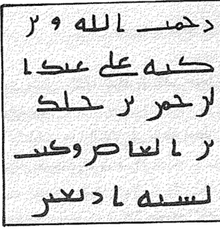
والنقش الثانى: خاص بجذيم بن على بن هبيرة ومؤرخ بسنة ثنتين وخمسين للهجرة(٦)

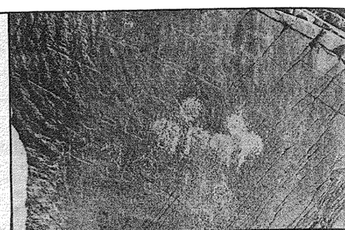
(لوحة رقم ٢)

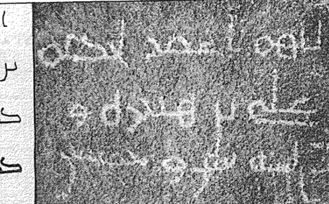
أما النقش الثالث: فهو كتابة تذكارية لسد معاوية بالطائف ومؤرخ بسنة ثمان وخمسين هجرية(٧) (لوحة رقم ٣)

والنقشان اللذان نحن بصددهما يرجعان الى كاتب واحد يحمل اسم «عثمان» دون اشارة الى بقية اسمه أو لقبه.

نقش سنة ٤٠هـ لـ(عبد الرحمن بن خالد بن العاص) (عن أطلال) لوحة (١)







نقش سنة ٥٢هـ لجذيم بن على بن هبيرة عن (اطلال) لوحة (٢)

وترجع أهميتهما الى ما يحملانه من تاريخ وهو سنة «ثمانين» للهجرة ولعلهما يقفان دليلا مع ما سبقهما من نقوش لدحض نظرية ابن خلدون(٨) ومن نهجوا نهجه من اتهام عرب الحجاز بالبداوة وعدم درايتهم بالكتابة أو القراءة وانتشارها بينهم.

النقشان قد نقشا على جنبات تل صخرى بازلتى مباشرة، ويقع النقش الأول الى جهة التل الشمالية الشرقية والثانى الى جهته الجنوبية الغربية وهما منفذان بالقلم الحجازى المزوى الغائر.

■ ويلقى هذان النقشان مع ما سبقهما من نقوش حجازية مؤرخة أضواء جديدة على الكتابات فى شبه الجزيرة العربية بعامة والحجاز بخاصة فضلا عن انهما اضافة جديدة لعلم الكتابات العربية Arabic Palaeography.

ولا مجال هنا لسرد النظريات الخاصة بأصل الخط العربى وارتباطه بالخط النبطى(٩) الذى يتضح تماما من خلال تحليل حروف الكتابات للنقشين موضوع البحث.

النقش الأول

كتابة تذكارية مؤرخة بسنة ثمانين هجرية

التعريف بالنقش: كتابة تذكارية بقلم حجازى غائر مزوى فى كتلة تل صخرى بازلتى تقع بالجهة الشمالية الشرقية منه.

وكتابات هذا النقش فى سبعة اسطر متوازية تحتوى على اسم الكاتب «عثمان» وتاريخ «سنة ثمانية» هجرية (اللوحات رقم ٤، ٥، ٦)

مقاسات النقش(١٠): ٦٠ سنتيمتراً للعرض و٧٥ سنتيمتراً للارتفاع.

نص النقش	(١) اللـــه لا إلّـــه الا هـــو (٢) ليجمعنكم الـــــــى (٣) يـــوم القيامــــــة لار (٤) يـــب فيـــه ومن اصـــــد (٥) ق مـــن الله حديثا و(كذا) (٦) وكتــــــب عثمـــن (كـــذا) (٧) وهذا فى سنة ثمنين (كذا)

Aloot (N), Rice of the North Script With Description of Qur'an Manuscripts in the Orie ntali n st itut (U niversity of chicago, Press, 1939)

وهو يعالج نشأة الخط العربى الشمالى ويؤيد نظرية اشتقاقه من الخط النبطى، ويذكر انواع الخطوط القديمة ويضم لوحات ذات صور هامة.

Berchem, M.V., ap. cit.

ملاحظات على النقش:

(١) بالنظر الى كتابات النقش نلاحظ ان النقش كتب فى سبعة اسطر متوازية غير ان الكاتب لم يراع ان تكون حروف البدايات والنهايات على خط رأسى واحد للنقش.

(٢) استهل الكاتب النقش بالآية القرآنية رقم ٨٧ من سورة النساء **﴿الله لا إله الا هو ليجمعنّكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثا﴾** دون الابتداء بالبسملة وخصص لها خمسة اسطر من سطـور كتابات نقشه السبعة وكرر حرف (و)فى نهاية السطر الخامس وبداية السطر السادس الذى خصصه لاسم الكاتب «عثمان» مسبوقا بتعريف انه الكاتب من كلمة «وكتب» اما السطر السابع فقد

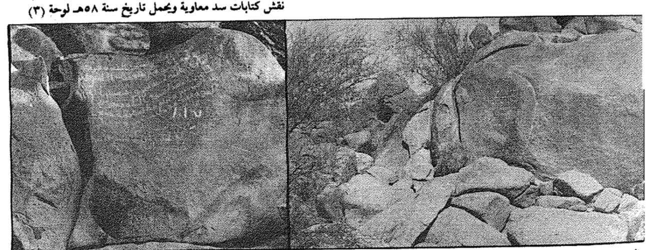


خصص لتاريخ النقش «سنة ثمانين» مسبوقة بالاشارة الى ان كل هذه الكتابات ترجع الى ذات التاريخ من خلال استخدام اسم الاشارة فى بداية السطر السابع «وهذا».

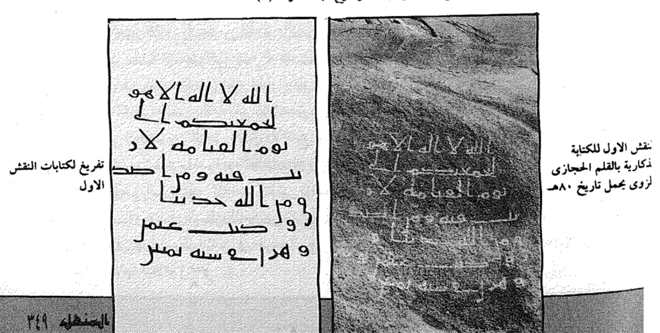
(٣) قام الكاتب بقطع بعض الكلمات فى نهاية السطر واستكملها فى السطر التالى متأثرا بكتابات الانباط التى سوف نلاحظها فى تحليل كتابات النقشين. . ففى السطر الثالث قطع كلمة «لا ريب» واستكملها فى بداية السطر الرابع كما قطع كلمة «اصدق» واستكملها فى بداية السطر الخامس.

(٤) نلاحظ اهمال الكاتب للالف الوسطى فى كلمة «عثمان» فى السطر السادس وفى كلمة «ثمانين» فى السطر السابع وهذا ايضا من التأثيرات النبطية على كتابات القرن الاول الهجرى (انظر اللوحات ٢، ٣) كما استخدمت هذه الطريقة فى نقوش كتابات السكة الاسلامية فى كلمة «الدينر» ونلاحظها ايضا فى التاريخ سنة «ثمنين»(١١).

نقش كتابات سد معاوية ويحمل تاريخ سنة ٥٨هـ لوحة (٣)



نظر عام لموقع التل الصخرى ويظهر عليه النقش التذكارى الاول موضوع البحث لوحة (٤)



نقش الاول للكتابة ذكارية بالقلم الحجازى لزوى يحمل تاريخ ٨٠هـ.

تفريغ لكتابات النقش الاول

النقش الثانى
كتابة تذكارية مؤرخة بسنة ثمانين هجرية

التعريف بالنقش: كتابة تذكارية بقلم حجازى غائر مزوى فى كتلة صخرية فى الجهة الجنوبية الغربية من التل الصخرى. . والكتابات تقع فى ثمانية اسطر متوازية تحتوى على اسم الكاتب «عثمان» وتاريخ سنة «ثمانين» هجرية (انظر اللوحات رقم ٧، ٨)

مقاسات النقش:
١٢٠ سم للعرض و١١٠ سم للارتفاع.

نص النقش
١ ـ يداود انا جعلنك
٢ ـ خليفة فى الارض
٣ ـ لتحكم بين الناس (كذا)
٤ ـ بالحق ولا تتبع الهوى
٥ ـ فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون
٦ ـ عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم
٧ ـ الحساب وكتب عثمن (كذا)
٨ ـ وهذا فى سنة ثمنين (كذا)

ملاحظات على النقش:

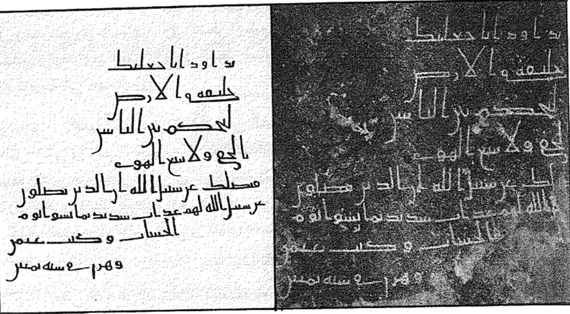
(١) نلاحظ على كتابات النقش انها كتبت فى ثمانية اسطر متوازية غير ان الكاتب لم يراع ضبط بدايات الاسطر اللهم الا فى السطرين الأول والثانى فقط، كما انه دخل بكتابات النقش عن الخط الرأسى الايمن عن بداية الاسطر الى جهة اليسار فى السطرين السابع والثامن ولعل السبب هو انسلاب التل الصخرى الى الجهة اليمنى عند نهاية اسطر النقش.

(٢) استهل الكاتب النص بالآية رقم (٢٦) من سورة (ص) من القرآن الكريم **﴿يداود إنَّا جعلنك خليفة فى الارض لتحكم بين الناس بالحقِّ ولا تتَّبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إنَّ الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾** . . دون بسملة . . وخصص لها ستة اسطر من بداية النقش حتى السطر السابع من كتابات النقش واكمل السطر السابع باسم الكاتب «عثمان» مسبوقا بعمله «وكتب» . . وحدد فى السطر الثامن من تاريخ النقش «فى سنة ثمانين» مسبوقا باسم الاشارة «هذا».

(٣) نلاحظ فى نهاية السطر الثالث فى حرف السين المنتهية من كلمة «الناس» أضاف الكاتب لها زائدة على يمين اسنانها الثلاثة [س].



تفريغ لكتابات النقش الثانى لوحة (٨)



النقش الثانى للكتابة التذكارية بالقلم الحجازى المزوى يحمل تاريخ ٨٠هـ لوحة (٧)

(٤) نلاحظ ان الكاتب اهمل الالف الوسطى فى بداية السطر الاول فى كلمة (يداود) متأثرا بكتابات الآية القرآنية كما اتبع الخصائص النبطية فى كتابة اسم الكاتب فى السطر السابع (عثمن) دون الف وسطى - كما أهملها ايضا فى سنة التاريخ (ثمنين) كما نفذ ذلك فى النقش الاول.

تحليل حروف كتابات النقشين

يبدو واضحا ان كاتب هذين النقشين شخصية واحدة وهى شخصية «عثمان» هذا لاتفاق النقشين فى خصائص واشكال حروف كتاباتهما(١٣) كما سنرى حالا اضافة الى تاريخ النقشين المحدد بسنة «ثمانين» هجرية فضلا عن مكان وجود هذين النقشين على تل صخرى واحد وان اختلف موقعهما الجغرافى.



حرف الألف

المفردة : استخدم الكاتب ترويسة أو امتداداً لحرف الالف من اسفل الى جهة اليمين [L] ونلاحظ ذلك فى كتابات النقش الاول فى السطرين الاول والخامس فى لفظ الجلالة (الله) وفى السطر الاول فى (الـه) وفى اداة الاستثناء (الا). . وفى السطر الثانى فى حرف الجر (الى). . وفى السطر الثالث فى (القيامة). . وفى السطر الرابع فى بداية كلمة (اصدق).

كمـا نلاحظ نفس الشيء فى النقش الثانى . . ففى السطر الاول فى (داود) و(انا) . . وفى السطر الثانى فى كلمـة (الارض) . . وفى السطر الثالث فى (الناس) . . وفى السطر الرابع فى (الهوى) . . وفى السطر الخامس فى لفظ الجلالة (الله) وفى (ان) وفى (الذين) . . وفى السطر السادس فى لفظ الجلالة (الله) . . وفى (عـذاب) وفى (نسوا) . . وفى السطر السابع فى (الحساب) . . وقد اهمل الكاتب هذه الترويسة فى النقشين فى (هذا) فى النقش الاول فى السطر السابع وفى النقش الثانى فى السطر الثامن حيث كتب الالف دون ترويسة الى جهة اليمين .

الوسطى : اهملها الكاتب فى النقشين ففى السطر السادس من النقش الاول وفى السطر السابع من النقش الثانى فى اسم الكاتب (عثمان) واهملها ايضا فى النقشين فى السطر السابع من النقش الاول وفى السطر الثامن من النقش الثانى فى تاريخ سنة (ثمانين) وهو تأثير نبطى نلاحظه فى معظم كتابات القرن الاول الهجرى (انظر اللوحات رقم ٩، ١٠) غير ان الكاتب لم يهملها فى النقش الاول فى السطر الثالث فى كلمة (القيامة) وفى النقش الثانى فى كلمة (الحساب) وقد يرجع ذلك لتقيد الكاتب بحروف آيات القرآن الكريم .

المنتهية : وهى عبارة عن الف عادية ملتصقة بحرف سابق وقائمة فى استقامة كاملة ونلاحظها فى كتابات النقش الاول فى السطر الخامس فى (حديثا) وفى النقش الثانى فى السطر الاول فى (انا) كما نلاحظ اهمال الكاتب لها فى اداة النداء (يا) فى بداية النقش الثانى فى السطر الاول ولعل ذلك يرجع لتقيد الكاتب بالآية القرآنية الكريمة .

حرف البـاء

المفـردة : لا وجود لها ضمن كتابات النقش الاول وهى على هذا النحو [ـــ] فى كتابات النقش الثانى فى السطر السادس فى (عذاب) وفى السطر السابع فى (الحساب) .

المركبة : وهى المتصلة بحروف اخرى فى بداية أو وسط أو نهاية الكلمة فاما حرف الباء فى بداية ووسط الكلمة فنلاحظ ان الكاتب استخدمها فى النقش الثانى فقط ففى بداية الكلمة كتبت هكذا [ـــ] فى السطر الثالث فى (بين) واستخدمت فى السطر السادس على هذا النحو [ـــ] فى (بما) . . اما استخدامها فى وسـط الكلمة فكان على هذا النحو [ـــ] فى السطر الرابع فى (لاتتبع) . وكتبت الباء المنتهية فى النقشين هكـذا [ـــ] ونلاحظها فى النقش الاول فى النصف الثانى من (لاريب) فى بداية السطر الرابع . . وفى السطر السادس وفى النقش الثانى فى السطر السابع فى كلمة (كتب) .

حرف الجيم

المبتدأة : لم تستخدم فى النقش الاول ونلاحظها على هذا النحو [ـــ] فى النقش الثانى فى السطر الاول



في كلمة (جعلنك).

الوسطى: استخدمت في النقش الاول فقط على هذا النحو [ـحـ] في السطر الثاني في كلمة (لنجمعنكم).

حرف الدال والذال

المفردة: لم تستخدم في النقش الاول ونلاحظها على هذا النحو [د] في (داود) في السطر الاول من النقش الثاني.

المتصلة بحرف اخر (المركبة): كتبت هكذا [ـد] في النقش الاول في السطر الرابع في كلمة (اصدق) وفي السطر الخامس في (حديثا) وفي النقش الثاني نلاحظها في (يداود) في السطر الاول و(الذين) وفي السطر السادس في (عذاب) و(شديد).

وحرف الذال: قد استخدم في اسم الاشارة في النقشين (هذا) فكتب في النقش الاول في السطر السابع وفي النقش الثاني في السطر الثامن وقد اختلف شكل كتابته عن حرف الدال حيث كتب هكذا [ـد].

حرف الهاء

المبتدأة: كتبت على هيئتين مختلفتين الاولى هكذا [هـ] في النقش الاول في السطر الاول في (هو).. والثانية هكذا [هـ] في (هذا) في السطر السابع من النقش الاول وفي السطر الثامن من النقش الثاني.

الوسطى: نلاحظها في كتابات النقش الثاني فقط على هذا النحو [ـهـ] في السطر الرابع في (الهوى).

المنتهية: كتبت هكذا [ـه] في النقش الاول في السطر الاول.. وفي السطر السادس من النقش الثاني في لفظ الجلالة (الله) كما نلاحظها في كتابات النقش الاول في السطر الاول في (اله).. وفي السطر الثالث في و(القيامة) وفي السطر الرابع في (فيه).. وفي (سنه) في السطر السابع والسطر الثامن من النقش الثاني.. وفي (خليفة) في السطر الخامس من النقش الثاني.

حرف الواو

المفـــردة : كتبت على هذا النحو [و] فى النقش الاول فى السطر الرابع بين كلمتى (فيه ومن) . . وفى السطر الخامس فى الحرف الزائد فى نهاية السطر . . وفى بداية السطر السادس ونلاحظها بنفس الهيئة فى كتابات النقش الثانى فى السطر الاول فى (يداود) وفى السطر الرابع بين كلمتى (بالحق ولاتتبع) . . وفى السطر السابع بين كلمتى (الحساب وكتب) وفى بداية السطر الثامن قبل (هذا) .

الملاصقة لحرف (المركبة) : لم تستخدم ضمن كتابات النقش الاول وكتبت هكذا [ـو] فى النقش الثانى فى السطر الرابع فى (الهوى) وفى السطر السادس فى كلمة (نسوا) .

حرفا الحاء والخاء

المبتدأة : كتبت هكذا [حـ] فى النقش الاول فى السطر الخامس فى كلمة (حديثا) ولم تستخدم فى النقش الثانى .

اما حرف الخاء فلم يستخدم فى النقش الاول ونلاحظه هكذا [خـ] فى السطر الثانى فى كلمة (خليفة) .

الوسطى : لم تستخدم فى النقش الاول ونلاحظها فى شكلين فى النقش الثانى هكذا [ـحـ] فى السطر الثالث فى كلمة (لتحكم) وهكذا [ـحـ] فى السطر السابع فى كلمة (الحساب) .

أما حرف الخاء فلم يستخدم ضمن وسط كتابات النقشين .

حـــرف اليـــاء

المفـــردة : لم تستخدم فى كتابات النقش الاول وكتبت هكذا [ى] فى النقش الثانى فى السطر الرابع فى كلمة (الهوى) .

المركبة المبتدأة : كتبت هكذا [يـ] فى النقش الاول فى اول السطر الثالث فى كلمة (يوم) . . وفـى الشـق الثانى مـن كلمة (لاريب) فى بداية السطر الرابع . . وفى السـطر الخامـس فى (حديثا) . . وفى النقش الثانى فى السـطر الخامس فى (الذين) وفـى (يضلون) . . وفـى السطر السادس فى كلمة (يوم) كما انحرف قائمهـا الـى اليمين هكـذا [يـ] فى كلمة (يداود) فى السطر الاول من النقش الثانى .

الوسطى : كتبت على هيئة زائدة قائمة اعلى حرف الجيم دون خط افقى هكذا [ـيـ] فى النقش



الاول فى السطر الثانى فى كلمة (ليجمعنكم) كما كتبت على نحو ثان هكذا [ـــلـــ] فى السطر الرابع فى كلمة (القيامة) وفى (فيه). . ونلاحظها فى النقش الثانى فى السطر الثانى فى كلمة (خليفة) وفى السطر الخامس والسادس فى كلمة (سبيل). . وفى تاريخ سنة (ثمانين) فى النقش الاول فى السطر السابع وفى النقش الثانى فى السطر الثامن. . ونلاحظها على شكل ثالث هكذا [ـلـ] فى (بين) فى السطر الثالث من النقش الثانى.

المنتهية : كتبت بطريقة راجعة هكذا [ــے] فنلاحظها فى النقش الاول فى السطر الثانى فى حرف الجر (الى). . وفى السطر السابع فى حرف الجر (فى). . كما استخدمت بنفس الاسلوب فى حرف الجر (فى) فى النقش الثانى فى السطر الثانى والسطر الثامن غير ان الياء فى السطر الثانى اكثر استطالة حتى شملت كل كلمة (خليفة).



نقش كتابات تذكارية مؤرخة سنة ٣١هـ لوحة (٩) من اسوان المتحف الاسلامى للقاهرة عن (الفعر). تفريغ لكتابات النقش (عن جمعة)



٠ وظهر دينار ذهب ضرب
/هـ لوحة (١٠)

حرف الكاف

المبتدأة : كتبت على هيئة معقوفة هكذا [ك] ونلاحظها فى كلمة (كتب) فى السطر السادس من النقش الاول وفى السطر السابع من النقش الثانى .

الـوسطى : كتبت بنفس الشكـل فى النقشين ففى النقش الاول نلاحظها فى السطر الثانى فى كلمة (لنجمعنكم) وفى النقش الثانى فى السطر الثالث فى كلمة (لتحكم) .

المنتهية : لم تستخدم ضمن كتابات النقش الاول ونلاحظها فى النقش الثانى قد اخذت شكلا اخر خاصة وان الكاتب قد اطال ترويستها التى كانت تتجه الى اليمين فى الكاف المبتدأة والوسطى وجعلها قائمة على زاوية قائمة هكذا [ك] ونشاهدها فى السطر الاول فى كلمة (جعلنك) وفى السطر الخامس فى كلمة (فيضلك) .

حرف اللام

المبتدأة : كتبت هكذا [لـ] فى النقش الاول فى السطر الاول والسطر الخامس فى لفظ الجلالة (الله) . . وفى السطـر الاول فى (اله) . . وفى السطر الثانى فى (لنجمعنكم) وفى (الى) . . وفى السطر الثالث فى (القيامة) وفى النقش الثانى فى السطر الثالث فى كلمة (لتحكم) وفى (الناس) وفى السطر الرابع فى (بالحق) وفى (الهوى) . . وفى السطر الخامس والسادس فى لفظ الجلالة (الله) . . وفى السطر الخامس فى (الذين) وفى السطـر السـادس فى (لهم) . . كما نلاحظهـا بشكـل آخـر هكذا [لـ] دون خط افقى فى كلمة (الحساب) بالسطر السابع من النقش الثانى .

الوسطى : مشابهة للاّم المبتدأة . . ونلاحظها فى النقش الاول فى السطرين الاول والرابع فى اللام الثانية من لفظ الجلالة (الله) . . وفى النقش الثانى فى السطر الاول فى كلمة (جعلنك) . وفى السطر الثانى فى كلمـة (خليفـة) وفى السطر الخامس فى كلمة (يضلك) . . وفى اللام الثانية من لفظ الجلالة (الله) فى السطرين الخامس والسادس . . ونلاحظها ايضا فى نهاية كتابات السطر الخامس فى (الذين) و(يضلون) .

المنتهية : لا نلاحظها ضمن كتابات النقش الاول ـ وكتبت هكذا [ـل] فى كلمة (سبيل) فى للسطرين الخامس والسادس من النقش الثانى .

حـرف الميـم

المفـردة : كتبت هكذا [م] فى كلمة (يوم) بالسطر الثالث فى النقش الأول وفى السطر السادس من النقش الثانى .



المبتدأة: كتبت هكذا [صـ] فى النقش الاول فى السطر الرابع فى (من) وفى السطر الخامس فى (من) ولم تستخدم ضمن كتابات النقش الثانى.

الوسطى: كتبت هكذا [ـصـ] فى النقش الاول فى السطر الثانى فى كلمة (لنجمعنكم) وفى السطر السادس فى اسم (عثمان).. وفى السطر السابع فى تاريخ سنة (ثمانين).. وفى النقش الثانى فى (بما) فى السطر السادس.. وفى اسم (عثمان) فى السطر السابع.. وفى تاريخ سنة (ثمانين) فى السطر الثامن.

المنتهية: على هذا النحو [ـصـ] فى النقش الاول فى السطر الثانى فى كلمة (لنجمعنكم).. وفى النقش الثانى فى السطر الثالث فى كلمة (لتحكم).

حرف النون

المفردة: لم تستخدم فى كتابات النقش الاول.. وكتبت فى النقش الثانى هكذا [ں] فى السطر الخامس فى (ان).. كما كتبت بطريقة ثانية هكذا [ں] فى السطر الخامس فى كلمة (يضلون).

المبتدأة: لم تستخدم فى كتابات النقش الاول وكتبت هكذا [ـ] فى النقش الثانى فى السطر السادس فى كلمة (نسوا).

الوسطى: نلاحظها على هذا النحو [ـ] فى النقش الاول فى السطر الثانى فى كلمة (لنجمعنكم).. وفى السطر السابع فى تاريخ سنة (ثمانين) ونلاحظها فى النقش الثانى فى السطر الاول فى كلمة (جعلنك) وفى السطر الثالث فى كلمة (الناس) وفى السطر الثامن فى تاريخ سنة (ثمانين).

المنتهية: كتبت على هذا النحو [ـں] فى النقش الاول فى السطر الرابع فى (ومن) وفى السطر الخامس فى (من).. ونلاحظها قد كورت اكثر من اسفل هكذا [ـں] فى النقش الاول فى السطر السادس فى اسم (عثمان) وفى السطر السابع فى تاريخ سنة (ثمانين).. ونلاحظها فى النقش الثانى فى السطر الثالث فى (بين).. وفى السطر الخامس فى (عن) وفى (الذين) وفى السطر السادس فى (عن) ايضاً.. وفى السطر السابع فى اسم (عثمان) وفى السطر الثامن فى تاريخ سنة (ثمانين).

حرفا السين والشين

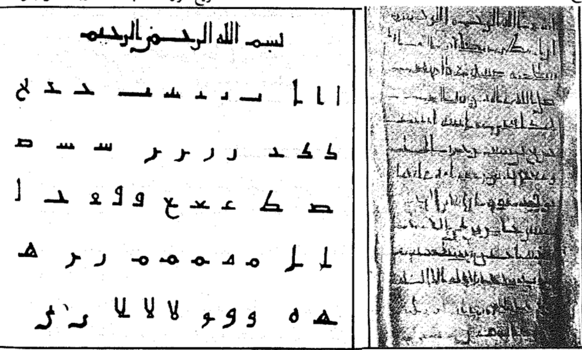
المفردة: كتبت هكذا [س] فى النقش الثانى فقط فى السطر الثالث فى كلمة (الناس) وان كان الكاتب قد اضاف لها سنة زائدة فى بدايتها خطأ.

المبتدأة : كتبت هكذا [ســـ] فى النقش الاول فى السطر السابع فى كلمة (سنة) . . وفى النقش الثانى فى كلمة (سبيل) فى السطرين الخامس والسادس وفى السطر الثامن فى كلمة سنة .

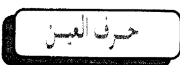
اما حرف الشين فنلاحظه هنا ضمن حروف كتابات النقش الثانى فى السطر السادس فى كلمة (شديد) .

الوسطى : كتبت هكذا [ـســـ] فى النقش الثانى فقط فى السطر السادس فى كلمة (نسوا) وفى السطر السابع فى كلمة (الحساب) .

تفريغ لحروف الكتابات التذكارية للنقش (عن جمعة)



نقش كتابة تذكارية مؤرخة ٧١هـ من اسوان المتحف الاسلامى بالقاهرة (عن جمعة) لوحة (١٣)



المبتدأة : كتبت هكذا [عـ] فى النقش الاول فى السطر السادس وفى النقش الثانى فى السطر السابع فى اسم (عثمان) . . ونلاحظها فى النقش الثانى فى السطر الخامس والسادس فى (عن) . . وفى السطر السادس فى (عذاب) .

الوسطى : عبارة عن خط افقى يعلوه مثلث مقلوب على رأسه دون قنطرة وسطى أى مفتوح من اعلى هكذا [ـعـ] نلاحظها فى النقش الاول فى (ليجمعنكم) وفى النقش الثانى فى السطر الاول فى كلمة (جعلنك) .

المنتهية : هكذا [ـع] كالوسطى مع الحاق قوس لاسفل يتجه الى اليمين ونلاحظها فى كتابات النقش الثانى فقط فى السطر الرابع فى (لاتتبع) .



حرف الفاء

المبتدأة : كتبت هكذا [ڡـ] فى النقش الاول فى السطر الثالث فى كلمة (فيه). . وفى السطر السابع فى حرف الجر (فى) ونلاحظها فى النقش الثانى فى السطر الثانى فى حرف الجر (فى) وفى السطر الخامس فى كلمة (فيضلك) وفى السطر الثامن فى حرف الجر (فى).

الوسطى : كتبت هكذا [ـڡـ] فى النقش الثانى فقط فى كلمة (خليفة) فى السطر الثانى.

حرف الصاد والضاد

المفردة : نلاحظها فى النقش الثانى فقط هكذا [ص] فى السطر الثانى فى كلمة (الارض).

المبتدأة : نلاحظها فى النقش الاول فقط هكذا [صـ] فى السطر الرابع فى ثلثى كلمة (اصدق).

الوسطى : نلاحظها فى النقش الثانى فقط هكذا [ـصـ] فى السطر الخامس فى كلمة (فيضلك) وفى كلمة (يضلون).

حرف القاف

المفردة : نلاحظها فى النقش الاول فقط هكذا [ق] فى السطر الخامس فى نهاية كلمة (اصدق).

الوسطى : نلاحظها فى النقش الاول فقط وكتبت هكذا [ـقـ] فى السطر الثالث فى كلمة (القيامة).

المنتهية : نلاحظها فى النقش الثانى فقط هكذا [ـق] فى السطر الرابع من كلمة (بالحق).

حرف الراء

المفردة : كتبت هكذا [ر] فى النقش الاول فى نهاية السطر الثالث فى الشق الاول من كلمة (لاريب). . وفى النقش الثانى فى السطر الثانى فى كلمة (الارض).

لوح تحليل حروف كتابات النقشين موضوع البحث

المتطرفة | الوسطى | المبتدأة | المفردة | الحرف

لوح مقابلة الحروف العربية المبكرة بالحروف النبطية عن (ولفنسون)

نبطي متأخر | نقش النمارة | نقش زبد وحران | عربي قديم

حرفا التاء والثاء

المبتدأة : كتبت هكذا [ـــ] فى النقش الثانى فى السطر الرابع فى كلمة (تتبع) بالنسبة لحرف التاء، أما حرف الثاء فنلاحظه فى النقش الاول فى السطر السابع وفى النقش الثانى فى السطر الثامن فى تاريخ سنة (ثمانين).

الوسطى : كتبت هكذا [ـــ] نلاحظها بالنسبة للتاء فى النقش الاول فى السطر السادس وفى النقش الثانى فى السطر السابع فى كلمة (كتب) كما نلاحظها فى النقش الثانى فى السطر الرابع فى كلمة (تتبع) ونلاحظها فى هيئة اخرى هكذا [ـــ] فى النقش الثانى فى السطر الثالث فى كلمة (لتحكم).

وأما حرف الثاء فنلاحظه فى كتابات النقش الاول فى السطر السادس فى اسم الكاتب (عثمان) وايضا فى السطر السابع من النقش الثانى وفى السطر الخامس من النقش الاول فى كلمة (حديثا).

حرف اللام الف

المنفردة : كتبت هكذا [لا] فى النقش الاول فى السطر الاول فى (لا) وفى (الا).. وفى نهاية السطر الثالث فى الشق الاول من (لاريب).. وفى النقش الثانى فى السطر الثانى فى كلمة (الارض).

هذا فيما يتعلق بتحليل حروف كتابات هذين النقشين ومنهما نخلص الى ان هذه الحروف قد تأثرت



بالحروف النبطية (انظر لوحات رقم ١١ ، ١٢)

كما وانهما لكاتب واحد هو «عثمان» ونفذا فى تاريخ واحد هو سنة ثمانين هجرية.

الهامـــش

(١) عثر على هذين النقشين فى منطقة تبعد حوالى ٣٠كم الى الجهة الجنوبية الشرقية من مكة المكرمة على طريق السيل الطائف.

(٢) سوف أقوم باذن الله تعالى بنشر باقى النقوش مع تحليلات تفصيلية فى بحث خاص قادم.

(٣) نُشرت نقوش لكتابات ترجع الى القرن الاول الهجرى من خارج شبه الجزيرة عنها انظر:

Max Von Berchem, Materiaux Pour Corpus Inscri. Ptionum Arabicarum Memoires de l'in stitut Francais d. Archeolcgie Orientale, E.Combe, Sauvaget etg. Wiet, Repertoire Chronologiqued' Epigraphie Aravrbe.

وابراهيم جمعة: دراسة فى تطور الكتابات الكوفية على الاحجار فى مصر فى القرون الخمسة الاولى للهجرة ص١٢٧-١٣٩. وانظر اللوحات ١، ٢، ٣، ٩، ١٢، ١٣.

(٤) احمد حسين شرف الدين: النقوش الاسلامية بدرب زبيدة، مجلة «اطلال» العدد الاول (١٣٩٧هـ ص٧٣-٧٤ اللوحات ٤٩، ٥٠.

(٥) يعتقد د. محمد الفعر أن التاريخ منقوص لفقد جزء فى نهاية النقش إضافة الى انه يرجع خصائصه الكتابية للقرن الثانى الهجرى.

انظر محمد بن فهد عبد الله الفعر: تطور الكتابات والنقوش فى الحجاز منذ فجر الاسلام حتى منتصف القرن السابع الهجرى ص٣٣.

(٦) نشر الاسم على انه «حدية بن على بن هنيده» فى الاطلال: المرجع السابق كما نشر التاريخ بسنة ست وخمسين وقام الدكتور الفعر بتصحيح القراءة فى المرجع السابق على انه لـ «حدية بن على بن هبيرة» واكد تاريخ ٥٦هـ اما القراءة السليمة من وجهة نظرى هى التى اوردتها هنا.

(٧) قام بنشر هذا النقش د. ميلز سنة ١٩٤٨م بعد العثور عليه لأول مرة من قبل المهندس تويتشل سنة ١٩٤٥م انظر:

Early Islamic Inscriptions near Taif in The Hijaz. J.N.E.S (1948)

بمجلة الجمعية الملكية الاسيوية

واعاد نشره د. أدلف جروهمان بعد أن اعطاه الرحالة فيلبى مجموعة كبيرة من النقوش العربية التى عثر عليها فى رحلته لشبه الجزيرة العربية فى ١١ نوفمبر سنة ١٩٥١م مع كل من (ريخمان) و(ليبنز) انظر:

Grohmann, Expedition Thilpy Ryckmans Lippens in Arabia (Lovan. 1962)

وقد اعاد النشر للمرة الثالثة محمد الفعر فى رسالته للماجستير أنظر محمد الفعر: المرجع السابق ص٣٠-٣١ وص١٦٦ وما بعدها.

ونشره للمرة الرابعة د. سامى الصقار بمجلة الدارة أنظر: د. سامى خماس الصقار: سد معاوية فى الطائف (دراسة وتعليق) - مجلة الدارة عدد محرم ١٤٠٦هـ/ سبتمبر ١٩٨٥م ص ص٣٣-٤٤.

(٨) ابن خلدون: المقدمة ص٤١٩.

(٩) عن هذه النظريات انظر:

ابن خلدون: المرجع نفسه، فصل الخط: المسند الحميرى خط التبابعة فى اليمن، الخط البغدادى، تبعية جودة الخط للعمران.

ابن النديم: كتاب الفهرست (انواع الخط المدنى والخط المكى)، اسرائيل ولفنسون: تاريخ اللغات السامية.

خليل يحيى نامى: أصل الخط العربى - مجلة كلية الاداب جامعة فؤاد الاول - مايو ١٩٣٥م، نقوش عربية جنوبية بنفس المجلة عدد ديسمبر ١٩٥٤م، ابراهيم جمعة: المرجع السابق.

حسن الباشا: تطور الخط العربى فى الاسلام مجلة منبر الاسلام عدد شعبان سنة ١٣٨١هـ/ يناير ١٩٦٣م ص ص٦٧-٧٠، وأهمية شواهد القبور كمصدر لتاريخ الجزيرة العربية فى العصر الاسلامى - مصادر تاريخ الجزيرة الكتاب الاول - الجزء الاول ص ص٨١-١٢٦.

احمد عبد الرازق: نشأة الخط العربى وتطوره على المصاحف - نشرة خاصة بمصاحف صنعا - جمادى الآخرة - شعبان ١٤٠٥هـ ص ص٣١-٧١، نشر دار الاثار الاسلامية - الكويت.

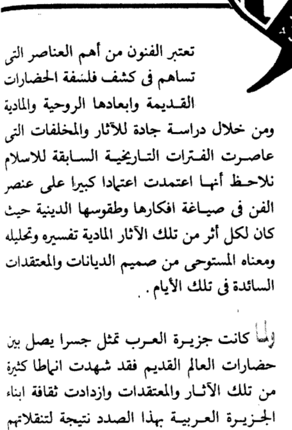
(١٠) ابعاد مقاسات هذا النقش مأخوذة من اكبر اتساع للعرض والارتفاع لان النقش ليس محدداً باطار كما هو واضح باللوحة رقم ٥

(١١) انظر اللوحة رقم ١٠ صورة دينار أموى ضرب سنة ثمانين.

(١٢) القياس هنا من اكبر اتساع من بداية السطر رقم (٥) وحتى نهاية كلمات السطر رقم (٨) بالنسبة للعرض، والارتفاع من بداية هامات حروف السطر الاول الى قاع حرف النون فى نهاية سطر رقم (٨) لان النقش لم يحدد باطار.

(١٣) أنظر لوحة رقم ١١ الخاصة بتفريغ حروف الكتابات.





تعتبر الفنون من أهم العناصر التى تساهم فى كشف فلسفة الحضارات القديمة وابعادها الروحية والمادية ومن خلال دراسة جادة للآثار والمخلفات التى عاصرت الفترات التاريخية السابقة للاسلام نلاحظ أنها اعتمدت اعتمادا كبيرا على عنصر الفن فى صياغة افكارها وطقوسها الدينية حيث كان لكل أثر من تلك الآثار المادية تفسيره وتحليله ومعناه المستوحى من صميم الديانات والمعتقدات السائدة فى تلك الأيام .

ولما كانت جزيرة العرب تمثل جسرا يصل بين حضارات العالم القديم فقد شهدت انماطا كثيرة من تلك الآثار والمعتقدات وازدادت ثقافة ابناء الجزيرة العربية بهذا الصدد نتيجة لتنقلاتهم واسفارهم وتجارتهم فى محيط الشرق القديم . ولعل تفاعلهم الفكرى واستعدادهم الثقافى والاجتماعى سواء بسبب تأثير الفكر المكتوب او تحت تأثير الثقافة المرئية كان سببا هاما فى ايواء عدد من الديانات والمعتقدات بين قبائل الجزيرة العربية المتعددة .

ان نظرة سريعة الى واقع الحضارات القديمة تدلنا على ضخامة الدور الذى لعبته المعتقدات فى صلب تلك الحضارات . . فكانت الرموز والاشكال والطقوس الدينية تقبع داخل تلك الحضارات حيث أصبحت تشكل نسبة كبيرة من آثارها المادية وبالتالى أصبحت تمثل مراحل تفكير الانسان عبر اجيال متعددة تحدد لنا مستوى عقله وثقافته وفنه . . ولهذا يمكن لنا أن نقول ان الفن



صورة (١) كأس حفر سورى ومصرى فى القرن ٧هـ ـ ١٣م

اصبح يعكس التـاريخ ومراحله المختلفة. . وهكذا بدأ علم **(تاريخ الفن) أو (فن التاريخ)**. . ولعل الاساليب الفنية كانت تنسجم مع الكفاءة الفكرية والقدرة المادية.

لقد تم توزيع فنون التاريخ الى عدة مراحل كان أهمها المراحل التالية:

المرحلة الاولى

وتمثل نماذج وانماط قديمة جدا تجاوزت ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد وهى تقدم عناصر الـديـانات الوثنية التى انتشرت فى كل من العراق وايران والجزيرة العربية والاناضول وسوريا ومصر. . ولا شك انها كانت كثيرة جدا وتعكس لنا أبعادا كثيرة عن التوجهات الـدينيـة وكثـرة معتقـداتهـا وأسـاطيرها وهذا ما كلف تلك الشعوب الكثير من العناء والشقـاء. . وخـاصة فى التطور الذى طرأ على مفهوم الفنون خلال الفترتين اليونانية والرومانية حيث أصبحت الفنون مقياسا فكريا وحضاريا لتلك الحضارتين على امتداد معسكرات الشرق القديم أو حول سواحل البحر الابيض المتوسط كلها. . لقد تجلت الفنـون اليـونـانية والرومانية منذ القرن الرابع قبل الميلاد وحتى القرن الرابع الميلادى وأصبحت مدارس عالمية للتعبير والتصوير بشكل يعبر عن طاقات نادرة لتصوير الافكار والمعتقدات تصويرا ماديا.

المرحلة الثانية

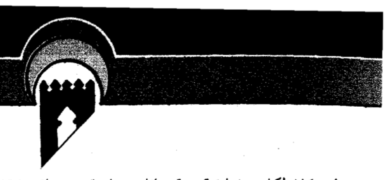
تمثلت بانتشار المسيحية منذ القرن الرابع الميلادى عندما أصبحت الكنيسة خاضعة لحماية ورعاية الامبراطورية الرومانية وخلال هذه المرحلة تم الوفاق الدينى لعدد كبير من الشعوب وانخرطت جميعها تحت شعارات الدين الجديد الذى انتحى بالفنون الدينية الى اتجاه آخر يتلخص باسدال الستار على الفنون والتقاليد القديمة واستبدالها بالتقاليد والفنون الجديدة التى تمثل الاتجاه الدينى المسيحى. وهكذا تم استبدال الفنون الوثنية القديمة بالفن المسيحى أو ما يسمى بالفن البيزنطى.. ومن أهم مميزات هذا الفن انه اعتمد الرمزية وأصبحت شخصية المسيح بديلا لشخصيات الآلهة القديمة لا بل ازداد الوضع الى تصوير الوقائع والحكايات التى يسردها الانجيل بصورة جذابة.. وهكذا اصبحت الكنائس مملوءة بالفنون وكأنها اناجيل مرسومة على الجدران والسقوف والقباب والابواب وغيرها من الاماكن حتى اكتسبت معنى القداسة فى شكلها المادى.. وتنتهى هذه المرحلة من المشرق العربى على اثر ظهور الاسلام.

المرحلة الثالثة

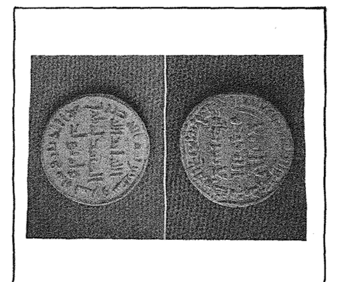
بدأت المرحلة الثالثة بظهور الاسلام فى قلب الجزيرة العربية وانتشرت منذ منتصف القرن السابع الميلادى الى أرجاء آسيا وافريقيا.. لقد كانت النظرة الاسلامية ذات مفهوم جديد حدد البعد الفلسفى والاخلاقى للعقيدة وانتقل بالانسان الى عالم الواقع الشامل.. نحو خالق الكون والحياة.. ولما كان القرآن الكريم هو جوهر الاسلام فكرا وأدبا فقد اندفع المسلمون نحو التأمل والتفكير المنطقى وانتهوا الى الايمان بان الله سبحانه وتعالى هو خالق الكون وهو سبحانه وتعالى (نور السموات والارض) وهنا انتهت أول وأكبر مشكلة واجهت الانسان على امتداد تاريخه وخلعت الاطار المادى الذى كان يحيط بالعقيدة.. وتم وضع حد للاتجاهات الاسطورية الميتافيزيقية التى اعتمدت على الخيال.. لقد كانت نظرة الاسلام شاملة للحياة وللكون وللانسان كما كانت متحررة من الاساطير والاوهام.. ولم يكن القرآن الكريم الا مصدرا جامعا لقوانين الطبيعة والكون المنظّم والمبادىء والمثل الانسانية.

وانطلاقا من كتاب الله وسنة الرسول الكريم اتضحت معالم الشخصية الاسلامية فكرا وعملا وتم الاعلان عن وحدانية الله وانتصار الاسلام على الشرك.. وهكذا بدأت مرحلة جديدة فى المجتمع الاسلامى تضع الاسس الثابتة للعقيدة فى شكلها ومضمونها وتحارب التقاليد والأوهام والخرافات القديمة.

إن من أهم الملاحظات التى نؤكد على عرضها ومناقشتها هى أن الفنون التى شاع استعمالها فى الفترات القديمة والسابقة لنزول الرسالة الاسلامية كانت تقترن بالمعتقدات الدينية القديمة ولعلها الوسيلة الاساسية للتعبير عن حجم الوفاء والولاء لتلك المعبودات.



لقد كان لكل حضارة قديمة ديانات خاصة ومستقلة بها تماما كما كان الحال بين القبائل العربية فى العصور الجاهلية. ولا يمكن لاحدنا ان يناقش ويترجم الفنون والمكتشفات الاثرية دون أن يكون ملما بتلك المفاهيم والمعتقدات البائدة.. ان الالمام بعلم الميثالوجيا لأى حضارة أو مجتمع قديم يعتبر المفتاح الذى يكشف معانيها ويحل الغازها وأسرارها.. وهكذا كان الفن القديم بمثابة المرآة التى تعكس الافكار والمعتقدات التى شهدتها المجتمعات قبل الاسلام.. وبدت المجتمعات القديمة مغمورة فى وسط خانق مزدحم بالاساطير والمعتقدات تكبلها وتحول دون انطلاقها نحو الحياة بشكل علمى وموضوعى منظم.



نموذج من فسيفساء قبة الصخرة المشرفة فى مدينة القدس ٧٢هـ/ ٦٩١م

نموذج من المسكوكات الاسلامية: دينار ذهب من العصر الاموى (١٠٠)هـ

لقد فتح الاسلام آفاقا جديدة لبنى البشر لا بل أوقف النزيف الفكرى والمادى لطاقات الامم والشعوب وتمثل هذا الاتجاه بكتاب الله الكريم وسنة رسوله عليه السلام وليس اعظم من أن نستعرض بهذا الخصوص عددا من الآيات الواردة فى القرآن الكريم.

﴿خلق السموات والارض بالحقِّ تعالى عما يشركون﴾ (سورة النحل٣).. وقوله تعالى: **﴿خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين﴾** (النحل٤) وقوله تعالى: **﴿والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم. والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعُرْجُونِ القديم. لا الشمس ينبغى لها أن تُدْرك القمرَ ولا الليلُ سابق النهار وكل فى فلك يسبحون﴾** (سورة يس ٣٨-٤٠) **﴿والأرضَ مددناها والقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كلِ شيء موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومَنْ لستم له برازقين وإنْ من شيء الا عندنا خزائِنُه وما نُنَزِّله الا بقدر معلوم وأرسلنا الرياحَ لواقحَ فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين﴾** (الحجر ١٩-٢٢) **﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آيـة النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحسابَ وكُلَّ شيء فصَّلناه تفصيلاً﴾** (الاسراء١٢).. وقوله تعالى: **﴿قل أعوذ برب الناس ملك الناس، إلّه الناس﴾**

(الناس ١-٣) ومن هذا يتضح ان القرآن الكريم قد كشف للانسان آفاقا لم يعرفها من قبل فأزال الاوهام والخرافات حول ما يتعلق بالطبيعة والكون كما جاء عمل الرسول الكريم وأقواله بيانا واضحًا لهذه النظرة الالهية وبالاضافة الى مواضيع كثيرة ومتعددة ناقشت كثيراً من الاحداث والظواهر وناقشت الاحوال الانسانية والمخلوقات والعادات والاحكام جاء كتاب الله شاملا لكافة نواحى الحياة وارتبطت علاقة المؤمن باله واحد هو خالق الكون **﴿خلق السموات والارض بالحق، تعالى عما يشركون﴾** (النحل٣) . . ومع هذه الحكمة الالهية توقف النزيف الفكرى والمادى الذى عانى منه المجتمع الانسانى طيلة آلاف السنين والتزم المسلمون بكتاب الله وامتدت دولتهم الى أطراف الارض ودخل الناس فى دين الله أفواجا . . وكان لابد ان يكون لدولتهم تقاليد وفنون تنسجم مع القيم الجديدة للاسلام . . وقد أشار الرسول الكريم بتحطيم الصور والانصاب والرموز الجاهلية وحذر من اتخاذ الصور رموزا للعبادة او التقرب الى الله ورسوله فكان التوجه الجديد يواكب المعتقد الاسلامى بدقة متناهية فانقطع التيار القديم لا بل أعلنت الحرب عليه وتمت ازالته باعتباره رجس من عمل الشيطان .

إذاً ما هو الفن البديل الذى اعتمده المسلمون فى دنياهم وخاصة بعد أن تبين لهم معنى عالم الغيب والشهادة **﴿ولا تَقْفُ ما ليس لك به علمٌ إنَّ السمعَ والبصرَ والفؤادَ كلّ أولئك كان عنه مسؤولا﴾** (الاسراء٣٦) . لقد تركت لنا الآثار الاسلامية المبكرة شواهد كثيرة على الانماط الاصيلة التى تم اعتمادها وهنا لابد من الاشارة الى ان المسلمين تجنبوا العادات والتقاليد البائدة فلا مجال للخرافة فى تفكيرهم ولا مجال لمحاكاة الخالق فى خلقه، لا بل لا مجال لتقليد الاقوام السابقة فى فنونهم ورسومهم وعاداتهم . . فتوقف نحت ورسم صور المخلوقات بكل أنواعها . . وعليه كانت الاتجاهات الاسلامية الجديدة تحارب كل العادات والتقاليد المنافية للتقاليد الاسلامية وخاصة تلك التى اقترنت بالديانات الوثنية وملحقاتها من الفنون والطقوس والبدع ولعل كلمة (الجاهلية) تفى تلك العصور حقها فى مفهوم الاسلام، لذلك نجد ان المسلمين قد اعتمدوا انماطا جديدة اصيلة من أجل مواكبة المفاهيم الاسلامية وقد استمرت تلك الانماط والاساليب طيلة فترات طويلة ترصع الفنون الاسلامية والفنون الانسانية بأجمل الحلى وأرفع المعانى والابعاد . . . ان من أهم تلك النماذج :

١ ـ الكتابات العربية والخطوط المتفرعة عنها ـ ٢ ـ رسوم الاشكال النباتية .
٣ ـ رسوم الاشكال الهندسية ـ ٤ ـ الرسوم التشكيلية المجردة والمناظر الطبيعية .

لقد كانت النماذج الكتابية من أقدم العناصر الفنية التى اعتمدها المسلمون فى زخارف آثارهم فهى تعبر عن اعتزازهم بكتابهم العزيز واعلاء كلام الله فوق واجهات المساجد والمنابر حتى بدت تختزن الجمال فى شكلها وفى معناها . . ولعل الكتابات التى اعتلت الواجهات الداخلية لبناء قبة الصخرة المشرفة فى مدينة القدس تمثل افضل وأقدم نموذج لهذا النمط من الفنون الاسلامية . .

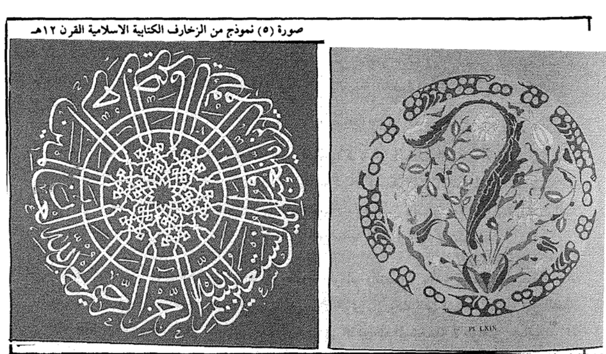
فقد تمت كتابتها بالفسيفساء الزجاجي والمصدف وبالحروف الكوفية المبكرة وبلغ طولها حوالى ٢٥٠ مترا ومن المعروف ان الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان هو الذى أمر ببناء القبة وزخارفها الداخلية فى سنة ٧٢هـ/٦٩١م.

واستمرت الخطوط العربية تحتل موقعها على الآثار الاسلامية بسهولة ويسر وقد جهدت الصناعة الفنية فى تطوير الخط وتنويعه عبر العصور الاسلامية كلها لا بل أصبح الخط بأشكاله وأنواعه وأساليبه يمثل مدرسة فنية كبيرة استمرت حتى الوقت الحاضر سواء على الحجارة أو المعادن او الخزف او الخشب او على المخطوطات وغيرها.

النمط الفنى الثانى فقد تمثل فى اختيار نماذج نباتية من الاوراق او الازهار او الاغصان والاشجار وأصبحت تلك النماذج تحتل مساحات واسعة على واجهات المبانى الاسلامية.. ومن افضل الامثلة على ذلك تقع ايضا داخل الزخارف الفسيفسائية لبناء قبة الصخرة المشرفة فى مدينة القدس، وكذلك فى زخارف بناء الجامع الاموى فى مدينة دمشق كما نجد هذا الاسلوب على واجهات اسوار قصر المشتى الاموى المنحوتة بالحجارة بمهارة فائقة.

النموذج الثالث الذى اختاره المسلمون وفضلوه على سواه من الفنون الاسلامية فهو يتمثل بالزخارف الهندسية التى تعبر عن دقة متناهية وتوازن أصيل لا بل يضع القواعد الجديدة لاسلوب جديد يعبر عن فلسفة صوفية هادئة تدعو الى التأمل بالدقة غير المتناهية.

صورة (٥) نموذج من الزخارف الكتابية الاسلامية القرن ١٢هـ



من الخزف الاسلامى المزجج يعود للعصر الاسلامى (ازنيك) القرن العاشر الهجرى.

لقد ترك لنا التاريخ الاسلامى نماذج رائعة من الفنون الهندسية تمثلت فى أعمال الفسيفساء فى المساجد الاموية الاولى وفى قصور بنى أمية فى كل من فلسطين والاردن . . ومن أشهر المبانى التى ازدهرت فيها الفنون الهندسية هو قصر الخليفة الاموى هشام بن عبد الملك المعروف بخربة المفجر قرب أريحا بفلسطين حيث تعتبر الاشكال والنماذج الهندسية فى زخارف ارضيات ذلك القصر من أجمل وأهم الامثلة، وازدهرت هذه النماذج بشكل يلفت النظر فى المشرق الاسلامى والاناضول، كما ازدهرت فى كل من مصر والعراق خلال العصور العباسية والمملوكية والعثمانية سواء فى تشكيل الزخارف على المبانى المصنوعة من الطوب او على الخشب او على الخزف والمعادن والسجاد وغيرها.

نزعت الفنون القديمة السابقة للاسلام الى الاقتباس من افكارها ومعتقداتها وعملت على ترجمة تلك الافكار بواسطة الرسم والتصوير. . ولهذا كانت تمثل تلك الفنون طابعا مقدسا لا بل أصبح الاهتمام بها من حيث الشكل والابداع فى التأثير مكلفا جدا يعبر عن حجم الوفاء والولاء لتلك الديانات ولعل الانماط الفنية التى افرزتها الفنون الكلاسيكية الوثنية وما تلاها من الفنون البيزنطية تعبر عن ذلك الاتجاه.

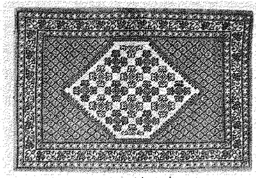
ألا التوجه الاسلامى العام لا يقر مبدأ التصوير اصلا وليس المقصود بذلك ان الاسلام قد حارب الفنون بصورة مطلقة بل كانت النظرة الاسلامية ان لا يكون الفن وسيلة رخيصة من اجل التقرب الى الدين او ان تكون الفنون وسيلة تمثل صكوك الغفران من اجل التقرب الى الله كما حدث فى الفنون البيزنطية . . لقد اوقف الاسلام تيار التقاليد القديمة ومنع اقتران الروحانيات والمقدسات بالمظاهر المادية . . ورفض ان تكون المقدسات مجالا لاجتهادات الافراد أو مجالا لعرض امزجة المؤسسات . . لهذا كان الاهتمام الاسلامى الاول ينصب نحو العقيدة ومعايشة ابعادها بالعقل والروح عملا وفكرا وسلوكا . . وحال دون الجنوح نحو متاهات المادية . . لقد كان الرسول الكريم اول من ادرك ابعاد هذه الفلسفة واستمر المسلمون الاوائل فى حماية العقيدة من العادات والطقوس القديمة فكرا وعملا . . كما تركز الاهتمام على اجهاض النظريات الوثنية وتم نزع الانصاب والرموز والصور التى كانت تمثل عنصرا هاما فى الطقوس الدينية السابقة للاسلام . . لقد غيرت نظرة الاسلام الى الكون والحياة مجرى تاريخ الحضارة سواء فى آفاق الحياة الفكرية او العملية او الاجتماعية.

ومهما كانت نزعة المجتمع الى تصوير المخلوقات على أنواعها قوية او ضعيفة فقد تم اقفال دور العبادة الاسلامية أمام جميع صور الكائنات الحية . . ومن الجدير بالذكر ان المسكوكات الرسمية للدولة الاسلامية قد اقتصرت على الكتابات الدينية والرسمية وبذلك وقفت باتجاه معاكس لاساليب كافة المسكوكات التى تداولتها شعوب العالم القديم سواء فى الدولة البيزنطية او الساسانية او الرومانية أو اليونانية.

لقد استمرت الفنون الاسلامية فى نهجها فى مقاومة الرسم والتصوير داخل المبانى الدينية غير ان ذلك المنهاج لم يتم تطبيقه على المبانى المدنية الاخرى . . وكثيرا ما نشاهد انماطا من الصور والنحوتات تحتل مكانها فى الاماكن غير الدينية وفى الادوات المستعملة لاغراض حياتية . . ان الانماط الفنية والنماذج التى تم اختيارها على الادوات المدنية كانت تمثل مناظر مجردة من أية







من الفن الاسلامى

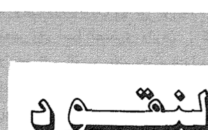
«إن الثـروة الحقيقيـة فى الفن الاسـلامى للأبسطـة والسجـاجيـد مستمـدة من الجـوهـر الـداخلى االأصيل لهذه الأعمال حيث إنها على قدر هائل من العمـل على مستـوى رفيـع من المهارة. . ولعلنا نلاحظ ان هناك سجاجيد صغيرة الحجم تضم ملايين العقد أحكمت كل منها فى ربطها يدوياً وفق تقاليد فنية ـ مهنية تراكمت عبر القـرون. . لقـد بات من الضرورى إعادة إحياء الفهم الصحيح لفن ومهنة ابداع العقدة فى فى السجـاد عن طريق الـوصـول باكبر قدر من الـوضـوح إلى فهم القيمة الجوهرية لكل عمل على حدة على أسـاس سبـع مستويات لتقويم العمل على الاقل. .»

موريس لوتشى
خبير شئون التحف والمصنوعات اليدوية

عنـاصـر دينيـة ولا تعكس الا اختيـارات شخصية مجردة. . ان الامثلة على هذه الفنـون كثيرة نجدها موزعـة بين الاثار الاسلامية غير الدينية مثل قصور الامويين والعباسيين فى كل من بلاد الشام والعراق ومصر وفى آسيا الصغرى وايران. . كما دخلت تلك الانماط الى الفنون الاسلامية التقليدية مثل الخزف والمعـادن والمخطوطات المصورة وهى بمجملها تمثل نماذج من الآداب والتواريخ والمناظر الطبيعية او مناظر الامراء والفرسان والطيور وغيرها.

أن اصـالـة الفنون الاسلامية قد وصلت الى درجة دعت الدولة البيزنطية الى مناقشة نفسها فى كل ما يتعلق بالصور وعلاقتها بالعقيدة ولعل الفترة المعروفة بحـروب الايقـونـات التى استمـرت من سنة ٧٢٦ـ٨٤٢م قد كادت تودى بالامبراطورية وتسهم فى تحطيم اهم ركـائزها الدينية والسياسية ولعل المفهوم الاسلامى للعقيدة ومحاربته للنزعات الوثنية كان امرا يستدعى اهتمام رجال الكنيسة والسياسة خلال تلك الفترة.

وعليه ـ يمكن ان نؤكد ان الفنون الاسلامية ذات اصـالـة جوهـريـة فى الشكل والمضمون واصبحت المرحلة الثـالثـة من مراحـل الفنون الانسانية تمثل اصـدق الوسائل للتعبير عن اصالة الدين من جهة وأصالة الفنون من جهة اخرى. . لقد كان الاسلام ولازال مصدر الهام البشرية ولم تكن الفنون الاسلامية الا كذلك رمزا مجردا عابقا بالبراءة التى جذورها فى الارض وفروعها فى السماء.



وثائق تاريخية

دكتور
عبد العزيز حميد صالح
أستاذ الآثار الاسلامية
جامعة بغداد - العراق

من أولى الخطوات التى على من يريد أن يكتب فى التاريخ ان يخطوها هى أن يجمع ما يتيسر له من الوثائق وهى المصادر الاصلية التى تكون مادة البحث التاريخى ثم يرتب وينسق ويستخرج ما يمكن أن يستخرج منها من حقائق ومعلومات . . فالوثائق اذن هى الاصول الأولى أى انها المادة الأساس فى التدوين التاريخى . . هذا التدوين الذى يجب أن يسير وفق منهج علمى منسق . . ولقد صار من الأمور المعروفة والمتفق عليها اليوم ان التاريخ علم وثائق فاذا ضاعت الوثائق ضاع التاريخ . . وبعبارة أخرى لا تاريخ بلا وثائق، هذه مقولة كثيرا ما تتردد عن المعنيين بهذا الحقل من المعرفة فى عصرنا الحديث.

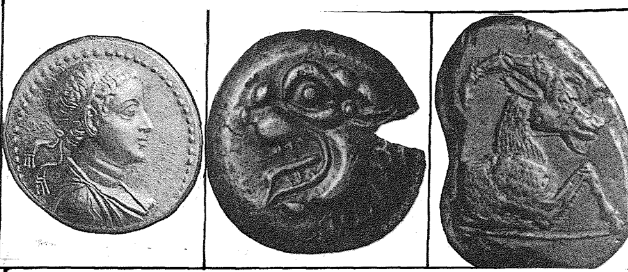
ومن البديهى أن تكون المصادر الأصليه متعددة ومختلفة فى أنواعها وأزمانها ومختلفة بحسب الموضوع الذى يعالجه البحث التاريخى ولكنها كلها تنتظم تحت صنفين عامين أو رئيسيين . .

الأول : المصادر أو الوثائق الخطية أى المدونات التاريخية المكتوبة بجميع أشكالها وصورها . .

والثانى : المصادر المادية غير الخطية وهى تشمل جميع المخلفات غير الخطية التى جاءت الينا من الماضى، سواء كان هذا الماضى قريبا أو بعيدا أى منذ نهاية عصور ما قبل التاريخ الموغلة فى القدم، أو منذ ظهور الانسان قبل ما يزيد على المليون عام ولاسيما بعد أن تعلم صنع أولى الأدوات والالات الحجرية ثم تكاثرت وتنوعت الأدوات والآلات منذ العصور التاريخية وشملت بالاضافة الى ذلك أنواع الفنون كفن العمارة والرسم والمنحوتات والفخار وغير ذلك.

ومن الممكن ادراج النقود فى الصنف الأول لأنها خطية ويمكن أيضا وضعها فى الصنف الثانى لانها ليست بالضرورة خطية دائما فقد تتميز بأوزان وأنواع وأشكال لا علاقة لها بالخط وليس على جميعها كتابات . . ونتيجة لكل هذا ونظرا لأهمية النقود البالغة كمادة تاريخية فقد صارت علما قائما بذاته يعرف اليوم بعلم النميات Numismatics والنقد أو المسكوكه كما تسمى غالبا وهى قطعة صغيرة مستديرة من الذهب أو الفضه ذات وزن معلوم ومنقوش على وجهيها عن طريق السك أو الضرب ختم الدولة الرسمى الذى يعنى ضمانة الدولة لها أى سلامتها من الغش والتلاعب وهى ذات عيار مقبول . . ولذلك فان الدول لم تكن أبدا تسمح للأفراد أو المؤسسات المستقلة بأن تضرب نقودا لحسابها بل اقتصر اصدارها على مؤسسات حكومية صرفه تعرف بدور السك أو دور الضرب . . وفى هذا المعنى يكتب لنا ابن خلدون والمقريزى وغيرهما(١) .

ولقد بات من المعروف ان الفضل الأول فى اختراع النقود يعود الى سكان المناطق الساحلية لآسيا الصغرى من الليديين وذلك فى النصف الثانى من القرن السابع قبل الميلاد . . كما تشهد بذلك النقود المكتشفة فى مناطق متعددة من بلادهم وكما أكده لنا هيرودوتس الملقب بـ(أبو التاريخ) والمتوفى فى حدود سنة ٤٢٥ قبل الميلاد . . ويتفق المختصون فى المسكوكات ان الاسباب التى دفعت بالليديين الى ابتداع فكرة النقود انهم كانوا تجارا من الصنف الأول وان بلادهم كانت حلقة وصل وملتقى الطرق التجارية بين الشرق والغرب فتفتقت أذهانهم عن ابتداعها كوسيلة فعالة لتسهيل المعاملات التجارية . . ولقد ذكر ان ملكهم أرديس الذى حكم بين سنين ٦٥٢و٦٢٥ قبل الميلاد كان أول من سك النقود . . وكانت فى بادىء أمرها صفائح صغيرة ذات وزن معلوم يعوزها الصقل وانتظام الشكل وتغلب على نقوشها رسوم الحيوانات وبشكل صورة لأسد فاغرافاه(٢) .



دينار يونانى غير منتظم الشكل يرتقى الى الفترة الزمنية الواقعة بين ٥٥٠ و٦٠٠ ق . م (شكل١)

دينار يونانى من العصر المبكر جداً يرتقى الى ما بين ٥٥٠ و٦٠٠ ق . م (شكل٢)

دينار يونانى من القرن الثالث قبل الميلاد (شكل٣)

وكانت النقود تصنع من سبائك بنسب متساويه من معدنى الذهب والفضه Electrum وأول من نقش اسمه من الملوك الليديين على النقود هو الملك اليانس (٦١٥-٥٦٠ ق.م) وأول من فصل بين معدنى الذهب والفضه فى المسكوكات هو الملك كروزوس(٣).

وسرعان ما حذا اليونانيون وبشكل خاص الايونيون منهم حذو الليديين الذين كانوا يجاورونهم فى الاستعانه بالنقود فى أمورهم التجارية.

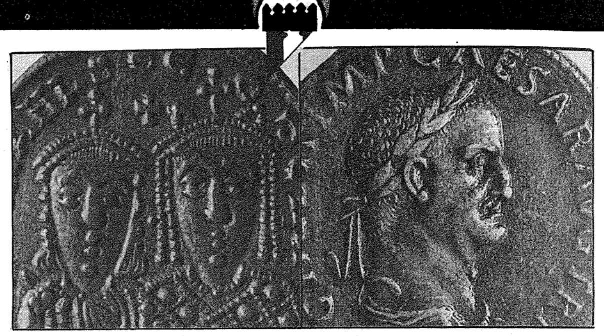
ولم تختلف مسكوكاتهم بادىء ذى بدء عن نقود الليديين لا فى الشكل ولا حتى فيما نقش عليها من رسوم اللهم الا بالكتابه.. فلقد غلبت على النقود اليونانية التى سكت بين عامى ٦٠٠و٥٥٠ قبل الميلاد رسوم الحيوانات مثل الابل (شكل١).. والأسد (شكل٢). غير انه سرعان ما تطورت النقود فى ظل اليونانيين نحو الكمال والجودة.. فصارت كاملة الاستدارة سوية الشكل وصقيلة.. كما تميزت أيضا بالدقه المتناهية فى نقش الرسوم حتى ليخيل للمرء أن بعض كبار نحاتى اليونان الذين شهد لهم العالم بطول الباع فى فنهم هم الذين قاموا بنقش تلك الرسوم المجسمة الدقيقه فى التفاصيل والنسب وذات الأبعاد الدقيقة.. ليس هذا فقط بل ان من ينظر الى صور ملوكهم وأمرائهم على المسكوكات ليشعر انها ليست فقط صورا واقعية وصادقة بل ان النقاشين قد حالفهم النجاح فى ان يجعلوا من مسكوكاتهم لوحات فنية رائعة ومعبرة (شكل٣).

ولا بد من الاشارة هنا الى ان لليونانيين فضل السبق فى كونهم أول من سك قطعاً نقديه بمضاعفات العملة المتداولة أو أجزائها فابتدعوا قطعة فضية من فئة درهمين didrachm ومن فئة أربعة دراهم Tetrachm وابتكروا نقدا فضيا صغيرا جدا قيمته سدس درهم.. كما انهم كانوا أول من ضرب المسكوكات النحاسية وذلك كنقود مساعدة لتسهيل عمليات التبادل التجارى اليومى البسيط فى القرن الثالث قبل الميلاد(٤)

وسار الرومان على خطى اليونان فى ضرب المسكوكات فقلدوهم فى طريقة الضرب وكذلك فى نقش رسوم ملوكهم وأياطرتهم والكثير من الرسوم والشارات والصور التى تضمنتها تلك النقود.. غير انه لم ترق أبدا الى المستوى الرفيع الذى كانت قد بلغته نقود اليونان (شكل٤).. ثم ما لبثت ان عمت النقود بقية انحاء العالم المتحضر وذلك منذ القرن الثالث قبل الميلاد على الاقل، فانتشرت دور سك النقود فى معظم المدن الكبيرة.. وصار لكل دولة اسلوبها الخاص فى عمل النقود، تنقش عليها ما يطيب لها نقشه من شعارات ومأثورات أو صور ملوكها وأمرائها.. فنلاحظ ان الدولة البيزنطية قد ثبتت شارات المسيحية الى جانب رسوم أباطرتها (شكل٥).

كما ان معظم هذه الدول ثبتت على النقود تاريخ السك والمدينة التى ضرب فيها النقد وغير ذلك من المعلومات التى لها قيمتها التاريخية البالغة.

لقد صارت النقود اليوم مصدرا مهما من مصادر علم التاريخ منذ أول ظهور لها فى القرن السابع قبل الميلاد.. فكثيرا ما صححت لنا ما درج عليه المؤرخون من بيانات كانوا يظنون انها عين الصواب.



فلس نحاس باسم
الامبراطور اليونانى كالبا (GALBA) مؤرخ فى سنة ٦٩م

دينار بيزنطى باسم الامبراطور مشيل الثالث (٨٤٢، ٨٦٧ مؤرخ فى ٨٥٢م) ويرى صورته والى جانبه صورة زوجته تيودورا . .

من الأمور المسلم بها ان للنقود الأهمية البالغة فى حقل الاثار والتنقيب فالمنقبون يستعينون عادة بالنقود فى تحديد أدوار الطبقات السكنية فى المستوطنات الاثرية والتى ترجع أدوار الاستيطان فيها الى ما بعد تاريخ سك النقود.

وعلى الرغم من ان للنقود دلالة تقريبية بسبب استمرار تداولها بعد تاريخ سكها فهى تفيد فائدة لا يمكن التقليل من شأنها وهى تثبيت ما يسمى فى منهج البحث التاريخى بالحدين الأدنى Terminus Post Quem والأعلى Terminus Arte Quem فى تأريخ الطبقات والأدوار الاثرية وهذا أمر مقبول اليوم فى حقلى الآثار والتاريخ بشكل عام(٥). . وقد يتجاوز ذلك أيضا التلول الاثريه الى المبانى القديمة الشاخصة أيضا. . وربما كان خير مثال على ما نقول هو ما يتعلق بالقصر الأثرى القديم المعروف بحصن الأخيضر الواقع على الحافة الشرقية لبادية الشام قرب مدينة كربلاء فى العراق. . هذا القصر الذى أثار تأريخه جدلا طويلا بين المختصين فى الآثار. . فمنهم من نسبه الى العصر السابق للاسلام، واعتبره آخرون من المعلومات التى ترجع الى بداية العصر العباسى، فى حين اقترح اخرون انه (دار الهجرة) التى يقال ان القرامطة الخارجين والمارقين عن الدين الاسلامى الحنيف قد شيدوها قرب الكوفة كملاذٍ لهم فى حدود سنة ٣١٦ من الهجرة(٦).

غير انه بات من المؤكد الآن أن القصر كان قائما قبل ذلك الزمن بوقت ليس بالقصير، فقد اكتشف المنقبون عند رفع الأنقاض من بعض حجره الداخلية عددا من المسكوكات واحد منها درهم فضى مؤرخ من سنة ١٥٦هـ وفلس نحاسى ضرب مدينة السلام مؤرخ من سنة ١٥٧هـ(٧). .

ولما كنا نعلم ان المسكوكات النحاسية لا يمكن لها أن تستمر قيد التداول لفترة زمنية طويلة قد لا تتجاوز خمس سنوات فمن المعقول الافتراض ان لا يكون قصر الاخيضر قد شيد قبل القرامطة فى التاريخ الذى

أشرنا اليه آنفا . . فان النقود المكتشفة هناك تؤكد الرأى الذى يقول بأن الطراز المعمارى العربى الاسلامى كان فى العصر الذى ظهر فيه القرامطة قد تطور وقطع خطوات عظيمة فى التقدم على طريق تحقيق طراز معمارى عربى اسلامى متميز عن الطراز الأموى وما قبله بل وحتى عن الطراز الذى كان سائدا فى مطلع العصر العباسى . . ولكن مع كل هذا فانه من المعقول أن يكون القرامطة قد أفادوا من وجود هذا الحصن الدفاعى المتين البنيان حيث كان موجودا بلا أدنى ريب فى الحقبة الزمنية التى ظهروا فيها على مسرح الأحداث .

وإذا تركنا حقل الآثار جانبا وتوجهنا الى دراسة النقود الأثرية أو غيرها فان بالامكان وفى جميع الأحوال ان نستخلص منها معلومات تاريخية ثمينة سواء ما يتعلق منها بالجانب السياسى أو الجانب الاجتماعى كذلك النواحى الاقتصادية . . ففى الجانب الاقتصادى مثلا تفيد النقود فائده كبيره فى التدليل على النمو الاقتصادى أو انحساره كذلك معرفة الأساليب التى كانت سائده فى التعامل التجارى فى مختلف العصور . . ونذكر على سبيل المثال العثور على مجاميع كثيرة من النقود العربية الاسلامية من التى ترتقى الى العصر العباسى فى عدد من البلدان الاسكندنافية وبشكل خاص فى بلاد النرويج . . الأمر الذى يدل على نمو التجارة الاسلامية واتساع التعامل العالمى بنقود المسلمين أبان ذلك العصر حيث وصلت نقودهم الى أقصى جهات المعمورة المعروفة آنذاك رغم انه ليس فى المصادر التاريخية المتيسره ما يشير الى مثل ذلك الاتساع فى التجارة الاسلامية .

وقد تكشف لنا النقود عن مدى اتساع سلطة الملوك والحكام والسلاطين وولاة الامصار التى ضربت النقود باسمائهم . . فهى تحدد لنا بشكل لا يرتقى اليه الشك الفترات الزمنيه الدقيقة لحكم هؤلاء ومدى اتساع سلطان من ضربت النقود باسمائهم . . وقد تثبت لنا تاريخ بدايات ونهايات الثورات وحركات العصيان بشكل دقيق تماما . . كما قد تكشف لنا النقود عن أسماء مدن مجهولة لم يرد لها ذكر فى المدونات التاريخية والبلدانية المعروفة .

كما يمكن للنقود أن تعتبر وثائق عظيمة الأهمية فى تثبيت أو نقض الكثير من المعلومات التأريخية التى وصلتنا عن طريق ما جاء فى المصادر التاريخية القديمة بل حتى فى الوثائق الرسمية فى بعض الأحيان . . فنحن نعلم ان الكثير من الأخبار التى جاء بها القدامى من المؤرخين قد صارت اليهم عن طريق السماع أو نقلوها عن مصادر متأخرة غير معاصره .

ومثال على ذلك ان المدونات التاريخية قد افادت بأن الخليفه الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه (١٣-٢٣هـ) كان أول من أمر بسك النقود فى ظل الاسلام . . وقد عثر على فلس نحاسى مضروب فى مدينة القدس (ايلياء) مؤرخ من سنة سبعة عشر للهجرة . . وثبت على أحد وجهى النقد (بسم الله) باللغة العربيه فى حين ان بقية النصوص بلغة الروم وقد عثر على فلس آخر من نفس الشاكلة مؤرخ فى السنة الثامنة عشر للهجرة(٨) .





بزغ فجر الاسلام وعرب الجزيرة يتعاملون بالدينار والدرهم على ما فى الدرهم من اضطراب تبعاً لتعدد أنواعه ولهذا نجدهم يتعاملون بها وزناً وجاءت الاشارة الأولى الى ضرورة توحيد المكاييل والموازين بالحديث النبوى الشريف «المكيال مكيال أهل المدينة والميزان ميزان أهل مكة». . والسبب فى ذلك واضح فأهل مكة تجار يتعاملون بالوزن فهم فيه حجة أما أهل المدينة فمزارعون يتعاملون بالوسق والصاع والمد فهم فيها أدق واضبط.

محمد حسين الحريرى
ابهـــا

درهم اموى كامل التعريب مضروب بمدينة واسط بالعراق سنة ٨١هـ



أما بالنسبة للدراهم فقد ذكر لنا المقريزى ان عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) قد ضرب دراهم فى سنة ١٨ هجرية على نقش الكسروية وشكلها غير انه زاد فى بعضها «الحمد لله» وفى بعضها «لا إله الا الله وحده» ولكن لم تصل الينا نماذج من تلك الدراهم وان أقدم الدراهم الاسلامية التى وصلتنا من أيام عمر مؤرخه من سنة ٢٠هـ(٩).

وتؤكد لنا النقود ما جاء فى المصادر التاريخية من أن الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان (٦٥-٧٦هـ) كان أول من عرب السكة الاسلامية تعريبا كاملا وكما فعل تماما مع الدواوين التى كانت حتى ذلك الوقت تكتب بلغة عربية.

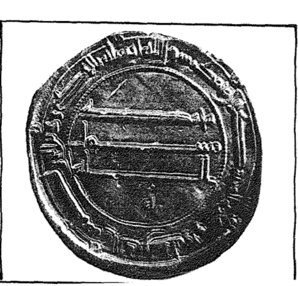
لقد وجد عبد الملك انه فى سبيل توجيه الامة الاسلامية ومن ضرورات الاستقرار السياسى والاقتصادى اضفاء الطابع القومى والاسلامى على جميع الميادين الادارية والمالية فكان من جملة ذلك الاصلاح النقدى وتعريبه. . وقد تم ذلك كما تذكر المصادر التاريخية فى سنة ٧٧هـ غير انه لم تصل الينا الا دنانير كاملة التعريب من تلك السنة. . أما بالنسبه للدراهم الفضيه فان أقدم ما وصلنا منها يرجع الى سنة ٧٨هجرية. . والمتاحف العربية والعالمية غنية بدنانير كاملة التعريب مؤرخة من سنة ٧٧ هجرية، فى حين لم يصل الينا الا درهم واحد مؤرخ فى سنة ٧٨ هجرية كامل التعريب وهو مضروب فى ارمينيا ومحفوظ فى المتحف العراقى.

لقد أزال عبد الملك بن مروان عن النقود الاسلامية فى تلك السنة رسوم الاباطرة البيزنطيين والشارات

المسيحية من الدنانير وكذلك ألغى رسوم الملوك الساسانيين وشارات معابد النار من الدراهم مستعيضا عنها بآيات من القرآن الكريم ومقولات ومأثورات اسلامية صرفة.

فبتنا نقرأ فى هامش وجه النقد: «محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله» وفى المركز: «لا إله الا الله وحده لا شريك له» وفى هامش الوجه الثانى والذى يعرف أيضا بقفا المسكوكة نص عربى يشير بعد البسملة الى تاريخ الضرب بالنسبة للدينار والى مدينة الضرب وتاريخ الضرب بالنسبة للدرهم.. ونقش فى المركز: «الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد» **(شكل٦)**.

وفى العصر العباسى أستعيض عن سورة التوحيد (الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد) بـ(محمد رسول الله).. واضيف منذ أيام المهدى (١٥٨-١٦٩هـ) اسم الخليفة الى وجه النقد **(شكل٧)** ومنذ ايام الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ) اسم الوزير الذى صار اليه الاشراف على دور الضرب **(شكل ٨)**.. ثم اضيفت ايات قرآنية اخرى وعبارات لم تكن مستخدمة فى العصر الاموى وعبر العصور الاسلامية المتعاقبة **(شكل ٩-١٠)**.



درهم عباسى من ايام خلافة ابى جعفر المنصور

درهم عباسى مضروب فى سنة ١٦٩هـ عليه اسم الخليفة الهادى



وبتعريب النقود بدأ عهد الاستقرار المالى للدولة الاسلامية فلم تعد نقود المسلمين تدور فى فلك المسكوكات الاجنبية أو تربط بها باى شكل من الاشكال.. ومع ذلك فقد اثبتت لنا المسكوكات التى وصلتنا ان التعريب أو ما يعرف بالاصلاح النقدى لم يكن موحدا وشاملا لجميع الاقاليم والمدن والاسلامية فى سنة ٦٦ او سنة ٧٨هـ.. فقد وصلتنا دراهم فضية فى بعض مدن شرق العالم الاسلامى مثل مدينة



مجموعة مسكوكات ذهبية اسلامية ضربت
كلها على الطراز الاسلامى الخالص ومن مختلف العصور (شكل٩)

دينار باسم آخر الخلفاء العباسيين المستعصم بالله مؤرخ سنة ٦٤٠هـ ومضروب بمدينة السلام (شكل١٠)

(نيسابور) ومدينة (ارد شير) وغيرها من المدن مضروبة على نفس الشاكلة والنمط الذى كان سائدا هناك قبل الاصلاح النقدى وذلك لغاية سنة ٨٣ هجرية على الاقل(١٠) كما ظل الامر كذلك فى اقليم طبرستان حتى اواخر القرن الثانى الهجرى حيث وصلنا اخر درهم مضروب على النمط القديم مؤرخ من سنة ١٩٧هـ . . اما فى مدينة (بخارى) فان اخر نقد سك على الطراز القديم مضروب هناك يحمل تاريخ ٢٠٠ هجرية(١١) .

وتعتبر الكنى والالقاب التى اخذت تتردد كثيرا على النقود الاسلامية منذ مطلع العصر العباسى وازدادت الى درجة كبيرة فى القرن الرابع الهجرى وما تبع ذلك من قرون على جانب عظيم من الاهمية فى البحث التاريخى . . «والسبب فى ذلك يعود الى ان الكنى والالقاب تفيد فى تفهم النظم والاتجاهات التى كثيرا ما يغفل المؤرخون الاشارة اليها . . كذلك توضح ما قد يسيطر على الحكام والولاة من نزعات او ما قد يفرض عليهم . . كما فى كثير من الاحيان نشير الى برامج معينة اختطها هؤلاء الحكام لانفسهم او اختطها لهم غيرهم»(١٢) .

وهكذا فان الالقاب التى تظهر على المسكوكات الاسلامية لها اهميتها التى لا يمكن اغفالها اذا ما اولاها المؤرخون عنايتهم فى دراسة اصولها وتطورها وما يحيط بها من ظواهر اجتماعية وسياسية ودينية وما تقدمها او لحق بها من ظروف تاريخية عامة . . فهى بلا ريب تلقى اضواء من زوايا جديدة على الاحداث السياسية خلال المسيرة العامة لتاريخ العرب والاسلام .

لقد صار للالقاب طابع متميز منذ عصر المأمون (١٩٨ـ٢١٨هـ) ثم قفزت قفزة كبيرة ايام تسلط الاسرة البويهية على مقاليد الحكم فى العراق منذ سنة ٣٣٤هـ .

ومما تجدر ملاحظته فى فترة غلبة هؤلاء السلاطين على الخلافة العباسية الاكثار من نقش ألقابهم على النقود الامر الذى يدل على مدى النفوذ الذى تمتع به هؤلاء السلاطين مثل الاخوة الثلاثة على بن بويه الملقب بـ(عماد الدولة ابو الحسن) والحسن بن بويه الملقب بـ(ركن الدولة ابو على) والاخ الاصغر احمد بن بويه الملقب بـ(معز الدولة ابو الحسين) . . ثم فناخسرو بن الحسن بن بويه الملقب بـ(عضد الدولة ابو شجاع) .

غير ان السلطان الاخير لم يكتف بهذا اللقب الذى منحه اياه الخليفة الطائع بالله (٣٦٣-٣٨١هـ) بل اضفى على نفسه القابا لم يرد فى المصادر التاريخية ان الخليفة كان قد لقبه بها فقد ظهرت هذه الالقاب على بعض النقود التى وصلتنا منها دينار مضروب بمدينة البصرة فى سنة ٣٧١هـ والالقاب هى : (الملك العادل شاهنشاه عضد الدولة وتاج الملة) .

وقد عزى المؤرخون المحدثون ذلك الى سيطرة البويهيين على مقاليد الامور حيث لم يكن للخليفة فيها رأى او قول(١٣) .

وفى الفترة الزمنية التى كانت فيها الغلبة لسلاطين السلاجقة اعتبارا من منتصف القرن الخامس الهجرى تميزت بالاكثار من نقش القاب هؤلاء السلاطين على النقود والتى تدل بشكل واضح على مدى النفوذ الذى تمتع به هؤلاء خاصة السلاطين الاوائل منهم من نقوذ حتى ان لم يستطع بعض هؤلاء من ذكر جميع القابه على المسكوكات لطولها . . مثل تلك الالقاب التى انعم بها الخليفة القائم بامر الله (٤٢٢-٤٦٧هـ) فى سنة ٤٦٣هجرية على السلطان الب ارسلان بمناسبة انتصاره على الامبراطور البيزنطى رومانوس ديوجين وهى : (الولد السيد الاجل المؤيد المنصور المظفر السلطان الاعظم ملك العرب والعجم سيد ملوك الامم غياث المسلمين ظهير الايمان كهف الانام عضد الدولة القاهرة وتاج الملة الباهرة سلطان ديار المسلمين برهان امير المؤمنين)(١٤) .

ومع كل ذلك نجد ان بعض سلاطين السلاجقة قد انتحلوا لانفسهم القابا، كما يظهر من المسكوكات التى وصلتنا لا يمكن للخليفة ان ينعم بها على احد . . منها القاب السلطان كيخسرو الثانى وهى : (السلطان الاعظم ظل الله فى العالم غياث الدنيا قسيم امير المؤمنين) . . ليس هذا فقط بل يظهر فى بعض النقود التى وصلتنا ان السلطان السلجوقى ملكشاه بن الب ارسلان (٤٦٥-٤٨٥هـ) قد تلقب بلقب الخلافة وهو (امير المؤمنين) وذلك على نقد نحاسى محفوظ فى متحف الفن الاسلامى فى القاهرة . . ونلاحظ أيضا على دينار محفوظ فى مجموعة خاصة فى فرنسا ان السلطان السلجوقى سنجر (٥١١-٥٥٢هـ) قد أضاف الى القابه لقباً جديداً هو (مالك رقاب الأمم)(١٥) .

ومن النقود ما ضرب لتهدى او لتنثر على الناس او ليصلوا بها الارحام فى المناسبات الخاصة . . فلم يكن الغرض من سكها ان تطرح بين الناس لتمشية امور التعامل التجارى فهى تختلف فى اوزانها عن الوزن الشرعى النقدى الذهب والفضة . . كما انها فى الوقت نفسه تحمل نصوصا مغايرة لما كان ينقش فى العادة على النقد الرسمى للدولة . . ان هذه النقود تعرف بنقود الصلة، وكثيرا ما وردت اشارات لها فى المصادر

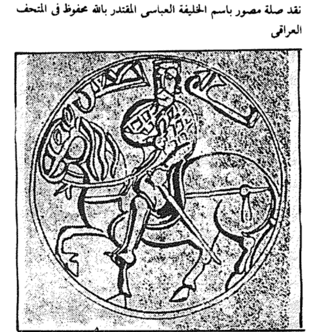


التاريخية . . ربما كان اقدم اشارة الى نقود الصلة تعود الى جعفر بن يحيى البرمكي وزير الرشيد الذى ضرب مسكوكات صلة من الذهب يقال ان وزن القطعة الواحدة منها كان ثلثمائة مثقال عليها صورته . . كذلك يروى ان الامين (١٩٣-١٩٨هـ) قد ضرب هو الاخر دنانير خاصة بمناسبة عزل اخيه المأمون عن ولاية العهد وتقليد ابنه موسى بدلا منه ويذكر ان وزن الدينار الواحد منها عشرة مثاقيل . . كما يذكر الثعالبى المتوفى سنة ٤٢٩هـ ان سيف الدولة الحمدانى كان قد امر بضرب دنانير للصلات فى كل دينار عشرة مثاقيل عليها اسمه وصورته(١٦)



درهم صلة مصور باسم الخليفة المتوكل على الله/ متحف الفنون بمدينة فينا

نقد صلة مصور باسم الخليفة العباسى المقتدر بالله محفوظ فى المتحف العراقى



اشارات الى امراء وسلاطين وخلفاء اخرين كانوا قد ضربوا نقود صلة . . غير انه يبدو ان الخليفة المتوكل على الله (٢٣٢-٢٤٧هـ) كما جاء فى المصادر العباسية، كان اكثر الخلفاء اقبالا على ضرب مثل تلك المسكوكات التى ضربت بمناسبات مختلفة لا نرى ما يدعو الى التطرق اليها فى هذا البحث ولكن لم يصلنا منها الا نقد مصور فريد واحد محفوظ فى متحف الفنون بمدينة فينا (شكل١١) . . وهو درهم فضى على احد وجهيه صورة للخليفة المتوكل على الله حولها شريط كتابى بالخط الكوفى البسيط يقرأ: (بسم الله محمد رسول الله المتوكل على الله) . . وعلى وجهها الاخر صورة رجل يقود جملا نُقِشَ حوله: (سنة احد (ى) واربعين (المعـ) تز بالله . . ويظن بعض المختصين ان مسكوكة الصلة هذه قد ضربت لتؤرخ انتصارا مهما للمسلمين على مجموعة من القبائل الحامية كانت تسكن مصر والمعروفة باسم (البجاة) وكانت قد اخذت ايام خلافة المتوكل على الله تغير على ارض مصر فسير اليهم جيشا عدته عشرون الفا فخرج اليهم ملكهم (على بابا) وكانوا يقاتلون الجيش العباسى على ظهور الجمال . . غير ان الجيش العباسى تمكن منهم فاضطر على بابا على طلب الامان والموافقة على عودته الى تقديم ما كان يؤديه الى المسلمين

من قبل . . ثم جاء الى سامراء فى سنة ٢٤١هجرية فاكرمه الخليفة ومن المحتمل ان تكون هذه المسكوكة قد ضربت بهذه المناسبة السعيدة . . وما صورة الجمل الذى يقوده رجل فى ظهر المسكوكة الا رمزا لملك البجاة(١٧) .

وعلى الرغم من انه مضى على اكتشاف مسكوكة الصلة هذه ما ينيف على القرن من الزمن فلا تزال تعتبر اقدم ما وصلنا من هذا الضرب من المسكوكات(١٨) .

ومن مسكوكات الصلة الاخرى المهمة جدا درهم فضى محفوظ فى المتحف العراقى . . نقشت على احد وجهيه صورة فارس ممتطيا صهوة جواده وهو كامل اللباس ويمسك بيده اليمنى لجامه ويضع يده اليسرى على قبضة سيفه المتدلى . . والى يمين رأس الفارس نقشت وبخط كوفى كلمة (لله) والى يساره كلمة (جعفر) . . وجعفر هو اسم المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ) . . ونقشت على الوجه الثانى للمسكوكة صورة لثور بارك وكتب فوقه وبخط كوفى متقن (المقتدر بالله) ولم يشك احد من المختصين ان الصورة هى للخليفة المقتدر ولا شك انها ضربت فى بعض المناسبات (شكل١٢) .

وهناك من النقود المصورة ما يبدو انها لم تسك فى دور الضرب الحكومية بل ضربت من قبل بعض خصوم الخلفاء ممن يريدون الحط من شأنهم امام شعوبهم . . منها نقد مصور محفوظ فى متحف برلين يشاهد على احد وجهيه صورة للخليفة المقتدر بالله يجلس متربعا على تخت يمسك بيده اليمنى كأسا وباليد الاخرى

نقد فضى باسم الخليفة المقتدر بالله محفوظ بمتحف بارلين





منديلا. ونقشت على يسار الصورة كلمة (المقتدر) والى يسارها (بالله). . ويظهر الخليفة هنا بملابسه الرسمية الكاملة. . وعلى الوجه الثانى للنقد صورة امرأة تضرب على العود وهى متربعة على تخت. . ويلاحظ ان ملابس العازفة مزيقة بنفس النقوش المزيقة بها ملابس الخليفة (شكل١٣).

وهناك نقد مشابه عليه اسم الخليفة الطائع لله (٣٦٣-٣٨١هـ). . ولا شك ان من ضرب هذه النقود السيئة اراد بها، كما قلنا الاستهانة بالخلافة العباسية الممثلة فى شخصية الخليفة نفسه. . فان شرب الخمر والضرب على العود من الاعمال المنكرة التى تتنافى وصفات خليفة المسلمين الذى يمثل الجانب الدينى والدنيوى معا.

« فالاعلان عن هذه الاعمال على وثيقة رسمية تصدرها الدولة وباشراف الخليفة وتداول الناس لها امر غير وارد وغير متعارف عليه لا شرعا ولا عرفا ولا يقبله عقل أو منطق»(٢٠).

ومن المسكوكات ما ضربت للدعاية والحرب النفسية. . وخير مثل على هذا النوع من النقود الدنانير التى سكها الفاطميون سنة ٣٤١هـ وثبتوا عليها اسم مصر كمحل للضرب وذلك قبل ان يقوموا باحتلال مصر بسبعة عشر عاما. . وكان دعاة الفواطم وجواسيسهم يقومون بتوزيع تلك الدنانير سرا بين الناس فى مصر وذلك فى سبيل احداث البلبلة بين المواطنين البسطاء والظاهر ان تلك اللعبة قد اثرت الى درجة كبيرة فى نفوس المصريين حتى انهم باتوا يتوقعون غزو الفواطم لمصر فى اى وقت. . وعندما قدم جوهر قائد الجيش الفاطمى الى مصر فى سنة ٣٥٨هـ لم يلق فيها مقاومة تذكر(٢١).

الهوامش

(١) ابن خلدون - المقدمة ص١٨٢-١٨٣.

(٢) Jaswing, H., Des Geld, p. 25

(٣) Ibid., p. 26

(٤) Jenbins, G.K., Ancient Greek Coins, London, 1972 p.12

(٥) عبد العزيز حميد وطه باقر، طرق البحث العلمى فى التاريخ والآثار ص٩١.

(٦) محمد على مهدى ، الأخيضر ص١٤.

(٧) مظفر الشيخ قادر - مسكوكات من الأخيضر - مجلة المسكوكات العدد ١ سنة ١٩٦٩ ص٢٠

(٨) ناهض عبد الرزاق - المسكوكات وزارة التعليم العالى - بغداد ١٩٨٠ ص٢٤.

(٩) عبد الرحمن فهمى - فجر السكة الاسلامية - القاهرة ١٩٦٥ ص٣٦.

(١٠) ناصر النقشبندى - الدرهم الاسلامى ١/ ٢.

(١١) نفس المصدر والجزء والصفحة.

(١٢) محمد باقر الحسينى، دراسة تحليلية واحصائية للألقاب الاسلامية - مجلة سومر - المجلة ٢٧ سنة ١٩٧ ص١٨٦.

(١٣) ناهض عبد الرزاق، المسكوكات الاسلامية فى العصر البويهى - رسالة ماجستير غير مطبوعة - جامعة بغداد ١٩٧٣ ص٥٥.

(١٤) محمد باقر الحسينى - المصدر السابق ص١٨٧.

(١٥) هندى أوربو - دينار بلقب جديد للسلطان سنجر - مجلة المسكوكات العدد ١٠-١١، ١٩٧٩-١٩٨٠ ص٣٧.

(١٦) الثعالبى - ثمار القلوب ص٦٧٣.

(١٧) ناهض عبد الرزاق - رأى جديد لمسكوكة الصلة للخليفة المتوكل على الله - مجلة المسكوكات - العدد ٧ - ١٩٧٦ ص١٠١.

(١٨) عبد العزيز حميد - بردة رسول الله على مسكوكة المتوكل على الله - مجلة المسكوكات - العدد ٨-٩، ١٩٧٧-١٩٧٨ ص٢٦.

(١٩) عيسى سلمان - صورة من حياة الخليفة العباسى المقتدر بالله - مجلة المسكوكات - العدد ٤، ١٩٧٣ ص٢.

(٢٠) محمد باقر الحسينى وآخرين - النقود العربية ودورها الاعلامى - حضارة العراق ٩/ ٢٣٦.

(٢١) محمد باقر الحسينى - دراسة تحليلية اسلامية لنقود الدعاية والاعلام والمناسبات - مجلة المسكوكات - العدد ٤ سنة ١٩٧٣ ص٣٩-٤٠

تراث وآثار

تعريب النقود ومدلوله الحضاري

الأستاذ الدكتور
عبد الرحمن فهمي محمد
أستاذ الحضارة الاسلامية
جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة

عاش الانسان الأول فى الغابات معتمدا على الصيد فى اشباع حاجاته لذلك لم يعرف التعامل بالنقود ـ ولكن بعد ان عرفت المجتمعات حياة الاستقرار والاشتغال بالزراعة وجد الانسان نفسه مضطرا للتفكير فى الأخذ والعطاء مستخدما طريقة «المقايضة» أى المبادلة السلعية الى أن اخترع الليديون فى آسيا الصغرى ـ فى عهد ملكهم كرويزس (CROESUS) أو قارون الليدى ٥٦١-٥٤٦ ق.م ـ النقود المسكوكة من معدن الالكتروم فى هيئة سبائك تحمل خاتم الدولة ضمانا لسلامتها من الغش.. ومن ليديا انتشرت النقود فى بلاد اليونان وحوض البحر المتوسط كله.

وحرصت الدول على نقش معبوداتها من الآلهة على نقودها التى تضربها وسنرى أن النقود الاسلامية سارت على هذا النهج من حيث نقش عقيدة التوحيد والرسالة المحمدية على وجه النقد.

ولا شك ان اختراع النقود كوسيط للمبادلة وأداة لاختزان القوة الشرائية وقاعدة للقيم النقدية المستقبلية قد أثر فى أنماط الحياة الانسانية من وجهة النظر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية جميعا.. ويكفى ان نشير هنا الى أن النقود الاسلامية بما تحمله من نقوش واسماء وعبارات دينية أضحت وثائق تاريخية هامة بل سجلا يلقى الضوء على كثير من الاحداث السياسية التى تثبت أو تنفى تبعية الولاة والسلاطين والبلاد للخلافة أو للحكومات المركزية.. ولعل هذا كله



دينار من مرحلة التعريب حورت الصلبان الى كرات وظهرت شهادة التوحيد والرسالة المحمدية لوحة ١



اقدم دنانير عبد الملك بصورته بتاريخ ٧٤هـ (لوحة ٢)

قد لفت أنظار الباحثين لدراسة النقود الاسلامية فى علم النميات Numismatic الانجليزية أو Numismatique الفرنسية وهو العلم الذى يرى سوفير (SAUVAIRE) أنه يبحث فى النقود وعلاقتها بالتاريخ والاقتصاد والفنون.

وقد اشار الكُتّاب العرب الى هذا العلم ولكن فى نبذ عرضية أو فصول خاصه فيما عدا المقريزى الذى خصص له كتيبا اسماه «شذور العقود فى ذكر النقود» . . واطلقوا على النقود الاسلامية عامة لفظ «السّكّة» بكسر السين وتشديد الكاف وهى لفظة يقصد بها ابن خلدون معانى متعددة فهى تعنى الدنانير الذهب والدراهم الفضه والفلوس النحاسية على السواء. كما تعنى الختم على هذه النقود بقوالب الضرب الحديدية . . وتعبر اللفظة فى النهاية عن الوظيفة التى تقوم على سك النقود فى «دار الضرب» تحت اشراف إدارى خاص يقوم القاضى على رأسه لضمان ضبط العيار وسلامة العبارات المنقوشة ودقة الوزن الشرعى مما أكسب النقود العربية سمعة عالمية حتى أصبحت رمزا للحضارة الاسلامية . . وتمسكت الشعوب غير الاسلامية بالتعامل بهذه النقود دون سواها واطلق عليها الأوربيون بالنسبة لكتاباتها اسم «المنقوشة».

تعريب النقود:

نحن نعلم أنه لم يكن لعرب الجزيرة فى الجاهلية نقود خاصة بهم فيما عدا بعض النقود الفضية الحِمْيريّة ذات التأثيرات اليونانية أو النقود الحبشية التى كان يرد بعضها الى الحجاز من اليمن أو حتى من الحبشة(١) . . غير ان حاجة المعاملات النقدية قد توفرت لها مجموعات ضخمة من الدنانير الذهب البيزنطية أى الرومانية الشرقية ومن الدراهم الفضة الساسانية تأتى جميعا مع رجال القوافل القرشيين الى سوريا ومصر وفارس . . وقد أشار القرآن الكريم فى سورة قريش الى رحلتين رئيسيتين احداهما صيفا الى الشام والثانية شتاء الى اليمن ـ ولذلك فإن العرب قبل الاسلام قد عرفوا الدينار والدرهم وورد ذكرهما فى القرآن الكريم(٢) كما وردا فى أخبارهم وأشعارهم.

ولما اشرقت الأرض بنور الاسلام أقر الرسول (ﷺ) النقود على ما كانت عليه وتعامل النبى نفسه بهذه النقود البيزنطية والفارسية(٣) فدفعت بها المهور.. وجمعت بها الزكوات.. وقدمت بها الصدقات.. وسلمت بها الديات.. ودفعت بها الاثمان.. والمبادلات.. وكان التعامل بها وزنا للمبالغ التى تزيد على الأوقية الواحدة وعدًا للمبالغ الأقل من ذلك.. ويفهم من ذلك ان الدنانير الذهب كانت توزن على انها سبائك من «التبر» أى «العين».. وتوزن الدراهم على انها سبائك من الفضة أى «الورق».. وحددت النسبة بين الدنانير والدراهم بـ ٧ : ١٠ بحيث قدر الدرهم بسبعة أعشار الدينار(٤).

ويمثل الدينار البيزنطى قطعة مستديرة من الذهب قطرها نحو خمسة عشر ملليمترا تزن نحو أربعة جرامات ونصف ونقش على وجهها صورة الامبراطور البيزنطى هرقل بمفرده أو مع ولديه هرقليوناس وقسطنطين وفوق رؤوسهم تيجان يعلوها صليب شارة المسيحية ويقبض كل منهم على عصى المطرانية يعلوها صليب.. أما ظهر الدينار فعليه قائم فوق مدرجات اربعة ويعلو القائم صليب كذلك واسفل المدرجات نقشت الحروف الأولى من كلمة «القسطنطينية» التى اصدرت هذه الدنانير.. ولم يختلف شكل الفلس النحاس البيزنطى عن شكل الدينار كثيرا الا من حيث نقش القيمة النقدية على الفلس بالحروف الكتابية التى تترجم الى قيم حسابية مثل IB وتعنى اثنى عشر نميا كأصغر وحدة نقدية أو M وتعنى أربعين نميا(٥).

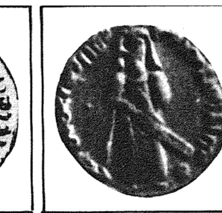
أما الدرهم الفارسى فهو صفيحة فضية مستديرة قطرها نحو عشرين ملليمترا نقش على احد وجهيها صورة نصفية لكسرى الفرس فى وضع جانبى Profile وقد علا رأسه التاج الفارسى المجنح وعلى الظهر نقشت صورة معبد النار يقوم على حراسته كاهنان مدججان بالسلاح أو بدونه.. وتشير الكتابات البهلوية على الدرهم الى اسم الملك الفارسى مع العبارات الدعائية له ومكان الضرب وتاريخه.. ويحيط بنقوش الوجه والظهر دوائر من خطوط بارزه تحصر بينها أربعة أهلة يحتضن كل هلال نجمة اشارة الى كوكب الزهرة عند تقابله مع القمر رمز الرخاء عند الشرقيين(٦) اللوحات رقم (٨).. وكما استعار العرب فى فجر الاسلام استعمال الدينار والدرهم والفلس استعاروا اسماءها التى عرفت بها عند التعامل.

ولما استخلف ابو بكر الصديق رضى الله عنه سنة ١١هـ عمل بسنة رسول الله (ﷺ) فى إقرار التعامل بتلك النقود ذات الصور الآدمية والشارات غير الاسلامية والكتابات اللاتينية واليونانية والبهلوية ولم يغير منها شيئا ولكن ما لبث العرب فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن اصبحوا سادة فارس وما بين النهرين والشام ومصر فأبقوا على نقود كانت مألوفة لديهم.. وكتب الخليفة الى أمراء الأجناد بمقدار الجزية بالدراهم على أهل الورق وبالدنانير على أهل الذهب.. كما ضرب عمر بن الخطاب بعض الدراهم على نقش الكسروية وشكلها وكذلك فعل عثمان ومعاوية(٧).

ويمكن القول بأن الاقاليم التي فتحها المسلمون كانت تشتمل من وجهة النظر النقدية علي مجالين متميزين تماما يتمثلان فى منطقة تسير علي قاعدة الفضة Silver Standard اى ان الدراهم الفضة هي نقدها الرئيسي فى العراق وفارس وما والاها شرقا.. ومنطقة أخرى تسير علي قاعدة الذهب gold Standard أى ان نقدها الرئيسي هو الدنانير فى الشام ومصر وشمال افريقيا.. ويتركز الفرق بين هذين المجالين بالنسبة للعرب الفاتحين فى ان تدفع



أقاليم الفضة الجزية بالدراهم بينما تدفعها اقاليم اخرى بالدنانير ولن نمعن فى تفسير هذا الوضع بأكثر من الاشارة الي معاهدة فرضها البيزنطيون علي الدولة الساسانية بعد الانتصار عليهم تقضي بأن يقتصر ضرب الفرس علي الدراهم الفضة والا يتخذوا نقودا ذهبية سوى الدنانير البيزنطية التي تحمل صورة الامبراطور(٨).



دينار بصورة عبد الملك مؤرخ ٧٥هـ لوحة ٣



دينار بصورة عبد الملك مؤرخ ٧٦هـ لوحة ٤

ولما قامت الدولة الأموية فى عهد معاوية بن ابى سفيان سنة ٤١هـ كان الوضع النقدى فى الدولة الاسلامية كما اسلفنا الا ان المقريزى يذكر ما يفيد بأن معاوية قد ضرب دنانير عليها صورته متقلدا سيفه(٩) غير أن هذه الدنانير لم تصلنا حتى اليوم وربما يعزى ذلك الى صهر هذه القطع خلال الاصلاح النقدى وتعريب النقود فى عهد عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ) . . غير ان الاحتمال الصحيح هو استبعاد ضرب مثل هذا النوع من الدنانير لانها لو ضربت فعلا لكانت مثار نزاع بين معاوية وأباطرة الدولة البيزنطية كما حدث بالنسبة لدنانير عبد الملك ذات الصورة والتى سنتعرض لها اذ ان الامبراطور البيزنطى لم يكن يسمح لأحد ان يضرب نقودا ذهبية على طراز غير الطراز البيزنطى الذى يحمل صورة الامبراطور المعاصر.

واذا كان دينار معاوية مجهولا الى الان الا انه يمكن نسبة بعض الفلوس النحاسية من ضرب ايلياء (بيت المقدس) بفلسطين اليه وعليها صورته كما ضرب معاوية الدراهم التى أشار موللر الى بعضها من ضرب سنة ٤٣هـ وهى على الطراز الساسانى(١٠).

وعلي أى حال فان جميع النقود الاسلامية ذات التأثيرات البيزنطية أو الساسانية والتي ضربت قبيل التعريب كانت تغذى الاسواق التجارية فى الدولة الاسلامية كانت تأتي من بيزنطه بوجه خاص كنتيجة «لدفع اثمان شحنات البردى التي كانت الدولة البيزنطية تستهلك جزءا كبيرا منها»(١١) . . وكان هذا البردى يصنع فى مصر خاصة ويحمل كل درج بطول ثلاثين ذراعا (نحو ١٥ مترا) طرازا أى سطرا كتابيا مطبوعا ينص علي عبارات التثليث(١٢) فى العقيدة المسيحية مع اسم الامبراطور البيزنطي وهو وضع لم يعد يلائم الوضع الجديد بعد ان دخلت مصر فى حوزة الاسلام(١٣).

والواقع ان عصر عبد الملك بن مروان قد شهد ظاهرة جديدة تتلخص فى صبغ الادارة بالصبغة العربية فبدأ بتعريب الدواوين كما ضرب أول نقود عربية خالصة . . وكانت هذه الظاهرة بدورها ضرورة من ضرورات الحكم بعد ان استقرت أمور الدولة بالقضاء على الخوارج والزبيريين وتركزت السلطة سنة ٧٤هـ فى يد الخليفة وقضى على نقود الثائرين عليه الذين اصدروا نقودا باسمائهم فيما كان بأيديهم من اقاليم(١٤) - وهنا أضحت الحاجة ماسة لاعادة الحق الشرعى للخليفة وحده فى ضرب نقود الخلافة لتختفى امامها النقود البيزنطية المسيحية والساسانية المجوسية . . ولكن كيف تم له ذلك؟ . . وبمعنى آخر كيف نجح الخليفة عبد الملك فى اصدار نقود عربية اسلامية؟ .

الحق أن المؤرخين العرب لا يختلف واحد منهم فى نسبة تعريب النقود الى عبد الملك بن مروان بقدر اختلافهم فى الاسباب التى أدت آخر الأمر الى ضرب نقود اسلامية خالية من الشارات المسيحية والكتابات اليونانية والنقوش المجوسية والكتابات البهلوية، وتتركز الخلافات فى وجهات النظر فى اعتناق فريق من الباحثين لمبدأ النزاع بين عبد الملك والبيزنطيين بسبب تغيير طراز البردى من التثليث الى عقيدة التوحيد بينما يعتقد فريق آخر بأن ما ضربه عبد الملك من نقود مصورة بصورته هو السبب الرئيسى لتعريب نقود الدولة الاسلامية . . وسنحاول بايجاز شديد جدا توضيح وجهتى النظر هاتين .


دينار بصورة عبد الملك مؤرخ ٧٧هـ لوحة ٥


دينار بيزنطى نادر ضرب تحديا لدينار عبد الملك لوحة٦


درهم فارسى ساسانى بصورة كسرى لوحة ٨

■ ويأتى على رأس النظرية الأولى ما ذكره ابراهيم بن محمد البيهقى فى كتابه المحاسن والمساوىء من ان طراز قراطيس البردى عرّبه عبد الملك . . فلما ثبتت القراطيس بالطراز المحدث بالتوحيد وحمل الى بلاد الروم . . . . استشاط (الامبراطور) غضبا فكتب الى عبد الملك . . . . . لتأمرن برد الطراز الى ما كان عليه أو لآمرن بنقش الدنانير والدراهم . . . . . فينقش عليها شتم نبيك(١٥) .

■ ويشير النص بعد ذلك الى ان عبد الملك صعب عليه هذا التهديد فجمع مستشاريه فأشار عليه محمد الباقر بن على بن الحسين(١٦) بتعريب النقود وتسجيل شهادة التوحيد والرسالة المحمدية وتاريخ الضرب عليها مع تحديد النسبة بين الدنانير والدراهم بسبعة الى عشرة على أن تصب صنجات من قوارير لا تستحيل الى زيادة أو نقصان لتعير عليها أوزان النقود العربية وتفرض عقوبات رادعة على من يتعامل بغير النقود الاسلامية «ففعل عبد الملك ذلك» . . وقد أورد البلاذرى والمقريزى وأبو المحاسن قصة مشابهة لرواية البيهقى والدميرى.



■ والصحيح فى هذه الروايات أن نزاعا قام فعلا بين عبد الملك والامبراطور البيزنطى جستنيان الثانى ولكن لم يكن بسبب تعريب البردى وتغيير طرازه من المسيحية الى الاسلام . . وصحيح كذلك أن الدولة العربية لم تكن تملك قبل عام المجاعة وهو سنة ٧٤هـ من مقومات التعامل بغير الدنانير البيزنطية المسيحية لاشتغالها بالحروب بين عبد الملك واعدائه والخارجين على سلطانه . . ولكن لم يكن كذلك بمقدور الامبراطور البيزنطى أن يوقف تيار الرغبة فى تعريب الخليفة عبد الملك للنقود بعد مضى أكثر من ثلاثة أرباع القرن من التعامل بنقود غير عربية وغير اسلامية خاصة وقد نجح الخليفة فى توحيد الدولة سياسيا والسير فى خطوات صبغها بالصبغة القومية .

لذلك وجب أن نتعرض للنظرية الثانية التي ترد اسباب تعريب عبد الملك للنقود الى ما وقع بينه وبين الامبراطور البيزنطي من نزاع لم يكن اساسه البردى وتعريبه بل لأن عبد الملك ضرب نوعا من الدنانير مصورا بصورته التي حلت محل صورة الامبراطور.

ولا شك أن عبد الملك كان يقدر خطورة الميدان الاقتصادى للدولة من أن تحل به هزة عنيفة اذا ما أصدر



درهم عربى بتأثيرات ساسانية
ضرب سنة ٧٤هـ بدمشق (لوحة ٩)

أوامره بالغاء التعامل بالنقود غير العربية بين يوم وليلة وهى نقود قد اكتنز الشعب ثرواته بها كما قد أَلِفَ التعامل من خلالها ـ لذلك سار عبد الملك فى تعريب النقود بطريقة مرحلية استغرقت أربع سنوات من سنة ٧٤هـ الى سنة ٧٧هـ (انظر اللوحات من رقم ١ : ٥ ورقم ٧) فبدأ أولا بتحوير الصلبان فى الدنانير الى حرف T مع الابقاء على كافة الصور الامبراطورية والنقوش اللاتينية . . ثم انتقل بعد ذلك الى تحوير الصلبان الى كرات مع تسجيل شهادة التوحيد والرسالة المحمدية فى هامش الظهر . . ثم جاءت خطوة تالية أكثر جرأة ألغيت فيها صورة الامبراطور البيزنطى وأولاده وحلت محلها صورة الخليفة عبد الملك وهو يقبض على السيف علامة الامامة عند المسلمين مع تسجيل تاريخ الضرب سنة ٧٤هـ . . ولدينا أقدم نموذج لهذا الطراز الجرىء من الدنانير المرحلية المعربة فى متحف كراتشى(١٧) واستمر الاصدار يؤرخ بسنة ٧٥هـ و٧٦هـ و٧٧هـ (انظر اللوحات رقم ٢ ـ ٥) .

ويحتفظ المتحف البريطانى والمكتبة الأهلية بباريس بهذه الدنانير التى تحمل صورة عبد الملك وهى دنانير

كانت فى حد ذاتها ثورة اصلاحية خطيرة تسببت فى نزاع أخطر بين الخليفة عبد الملك والامبراطور جستنيان الثانى الذى كانت بينه وبين الدولة العربية معاهدة تعهد فيها الخليفة عبد الملك بدفع اتاوة للبيزنطيين نظير نقل جراجمة اللكام Mardaites من على حدود الدولة العربية الشمالية وهم جند غير نظاميين اطلقت عليهم المراجع العربية والاجنبية لفظ «المردة»[18] . . وقد رفض الامبراطور ان يتسلم هذه الاتاوة بدنانير عبد الملك المصورة بغير صورة الامبراطور البيزنطى صاحب الحق الأوحد فى ضرب هذا النوع من الدنانير وانتهى النزاع باشتعال الحرب من جديد بين العرب والبيزنطيين تلك الحرب التى كان النصر فيها للدولة العربية التى رفعت جيوشها المعاهدة المنقوضة على حرابهم . . ومما لا جدال فيه ان هذه الحرب «لم تكن **مجرد صدام بين حاكمين احدهما هادىء رزين والآخر متهور ولكنها كانت تحديا وصراعا بين حضارة قديمة تفخر بتراثها الدينى وسلطتها العالمية من ناحية وبين دولة فتية تحتم عليها أن تفسح مكانا لعقيدتها الدينية الخاصة بها ولحقوقها الخلافية من ناحية أخرى**»[19] . . وكل ما استطاع الامبراطور جستنيان الثانى من تحدٍ لدنانير عبد الملك ذات الصورة التى تحيطها نصوص شهادة التوحيد والرسالة المحمدية هو ان يضرب دنانير نادرة جدا فينقش عليها صورة السيد المسيح وخلفه الصليب وعلى الوجه الثانى صورة الامبراطور البيزنطى[20] (اللوحة رقم ٦) . . ولكن المهم أن الطراز المعرب من دنانير عبد الملك المصورة قد أخذ مكانه فى المعاملات التجارية واستقر كمرحلة رئيسية من مراحل التعريب انتقلت بعده النقود الى مرحلة أخرى ختامية تخلصت فيها النقود من التأثيرات البيزنطية والساسانية على السواء ـ وقد اخذت هذه المرحلة الاخيرة مكانها سنة ٧٧هـ وأمر عبدالملك أن تحمل النقود العربية النصوص الكتابية التالية[21] (اللوحة رقم ٧).

على الوجه

(فى المركز):

لا إلــه إلا

اللــه وحــده

لا شريــك لــه

(فى الهامش):

محمد رسول الله أرسله بالهدى

ودين الحق ليظهره على الدين كله.



دينار إسلامى كامل التعريب مؤرخ ٧٧هـ لوحة ٧



على الظهــــر

(فى المركز):

الاقتباس القرآنى من سورة (الاخلاص)

اللــه احــد الله

الصـمد لـم يلـــد

ولـــم يولـــــد

(فى الهامش):

بسم الله ضرب هذا الدينار

فى سنة سبع وسبعين.





وقد شمل التعريب الدراهم الفضة ايضا مع اكمال بعض الآيات القرآنية المنقوشة فى الوجه والظهر نظرا لاتساع قطر الدرهم عن الدينار كما اشير الى مدينة الضرب وتاريخه على الدراهم منذ تعريبها (اللوحات من رقم ٩-١١) . ولدينا من أقدم الدراهم العربية نموذج من ضرب أرمينية سنة ٧٨هـ محفوظ بالمتحف العراقى ببغداد وربما نعثر يوما على دراهم سنة ٧٧هـ اذ ليس من المعقول ان يقتصر التعريب على نوع واحد من النقود بل كان التعريب للوحدات النقدية كاملا سواء كانت من الدنانير او الدراهم او الفلوس(٢٢).

وهكذا نجح عبد الملك فى تحقيق الاستقلال الاقتصادى للدولة العربية بعد ان تحررت النقود الاسلامية من الارتباط بالقسطنطينية ولم يعد الاباطرة أو غيرهم يتحكمون فى شكل أو وزن أو عيار أو قيمة النقود بعد تعريبها.

وثمت سؤال يفرض نفسه الآن بعد مناقشة وجهات النظر حول تعريب النقود وهو: هل كان تعريب طراز البردى هو السبب الذى أدى الى تعريب عبد الملك للنقود؟ .

الحق اننا لا نستطيع ان ننكر على المؤرخين العرب ما أوردوه من تفسيرات لاسباب ضرب عبد الملك للنقود ولكن لابد أن نقرر ان وجهة النظر هذه لا تمثل كل اسباب التعريب والاصلاح النقدى الذى كان فى حقيقته ثورة على نظام النقد البيزنطى ذى السمعة العالمية كما يقول باينز(٢٣) . كما ان التسليم بهذه النظرية يجعلنا نعتقد ان تعريب النقود قد جاء على يدى الخليفة عبد الملك مصادفة عندما اطلع على طراز البردى بطراز العقيدة المسيحية بينما - كما رأينا - كان تعريب النقود ضرورة من ضرورات الحكم والشرعية حققه عبد الملك وفق خطوات مقننة كان لابد من اتمامها سواء احتج الامبراطور على طراز البردى الاسلامي أو لم يحتج لا سيما واننا نعرف أن البردى العربي ظل يصدر الى الدولة البيزنطية وهو بطراز التوحيد حتى نهاية القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى دون توقف(٢٤).

المدلول الحضارى لتعريب النقود:

يمكننا ان نتناول الدور الحضارى للنقود الاسلامية من زاويتين:

الاولى: فيما يتعلق بنظم الدولة الاسلامية نفسها.

الثانية: عن اثر النقود الاسلامية على النظم والمعاملات والفنون الأوربية.

وفيما يتعلق بالجانب الاول فان تعريب النقود قد حقق للخلافة حقها الشرعى فى ضرب النقود للخليفة وحده مما أوجد وحدة سياسية للدولة العربية تحت زعامة امام واحد. ويرتبط بهذا الاستقرار السياسى ناحية قومية اخرى هى صبغ الدولة بالصبغة العربية وخاصة فى عصب الحياة الاقتصادية وهو النقود وذلك بتخليصها من التأثيرات البيزنطية المسيحية والساسانية المجوسية - فأصبح للمسلمين نقودهم التى تعبر عن

عقيدتهم وهى جوهر حضارتهم وشارة ملكهم . . ولم يكن من سبيل لتحقيق الاستقلال الاقتصادى للدولة العربية ما دامت مقومات هذه الدولة تدور فى فلك النقود الاجنبية وترتبط باوزانها واسعارها . . والواقع ان اتساع دائرة النشاط التجارى للدولة قبل عهد عبد الملك بن مروان ترتب عليه «عدم استقرار قيمة النقد وما استتبع ذلك من تلاعب فى الاسعار»(٢٥) مما ازعج الخليفة عبد الملك تماما فرأى ضرورة العمل على توحيد اسعار واوزان النقود باخضاعها لاشراف دقيق . . وقد أشار ابن خلدون الى هذه الحقيقة بوضوح فى قوله «رأى عبد الملك اتخاذ السكة لصيانة النقدين الجاريين (الدنانير والدراهم) فى معاملة المسلمين من الغش فعين مقدارهما»(٢٦) . . وقد تعين هذا المقدار فى مؤسسات خاصة باصدار النقود وهى «دور الضرب» التى تعدد انشاؤها فى الدولة الاسلامية فى الشام والعراق والحجاز وايران ومصر وشمال افريقيا والاندلس - وذلك بعد ان توفر للعمل فيها مجموعات من العمال الفنيين المدربين على حفر الكتابات فى القوالب الحديدية ليضرب بها على السبائك الذهبية والفضية فتخرج كتابات هذه القوالب على السبيكة «ظاهرة مستقيمة» . . ووكل الاشراف على هذه المؤسسات للقاضى . . وارتبط بدار الضرب مؤسسة اخرى هى «دار العيار» لتصنع فيها الصنج الزجاجية الخاصة بتحقيق أوزان النقود ويختم بالقوالب الحديدية على هذه الاقراص الزجاجية قبل ان تبرد فتحمل نقوشا بارزة باسماء الخلفاء والولاة مع بيان نوع النقود التى تعير عليها من الدنانير واجزاء الدنانير ومن الدراهم واجزائها وحتى الفلوس النحاسية صبت لها صنجات من قوارير خاصة بها(٢٧) .

وهكذا استطاعت الدولة العربية أن توفر لنفسها نظما خاصة بها لاصدار نقودها التى اكتسبت ثقة المتعاملين بها نظرا لجودة عيارها وانتظام شكلها وجمال نقوشها ودقة وزنها فاكتسحت أمامها الدينار البيزنطى واحتلت مكان سمعته العالمية بل وأضحت النقود الاسلامية خير سفير لعقيدة التوحيد بما تحمله من كتابات عربية وآيات قرآنية .

ولعل هذا المركز العالمى للنقود العربية ينقلنا الى النقطة الثانية من دورها الحضارى فى أوربا : فمن الجدير بالملاحظة ان اتساع الدولة العربية فى العصر الأموى قد هيأ للمسلمين السيادة على موارد الذهب اللازم لاصدار الدنانير العربية فقد غنم المسلمون الذهب المكتنز فى البلاد التى فتحها الله عليهم وهى بلاد إما تختزن الذهب وتمتصه من فائض ارباح تجارة المرور (الترانسيت) كمصر وسوريا - أو بلاد كانت تبتلع الذهب وتصهره قصد اكتنازه لاعتماد اقتصادها على النقود الفضية وحسب كبلاد فارس . . هذا وقد توفر الذهب للدولة العربية عن طريق ورود ذهب السودان وغرب افريقية عبر الصحراء الكبرى بعد امتداد السيادة العربية على شمال افريقيا على يدى الفاطميين والأمويين فى الاندلس . . والمرابطين فى الصحراء المغربية . . كما اتجهت الدولة الأموية الى استغلال مناجم الذهب القديمة فى آسيا وافريقيا وخاصة مناجم بنى سليم جنوب شرق المدينة المنورة بالحجاز ومناجم وادى العلاقى فى بلاد النوبة بمصر.

ولقد هيأ ذلك كله الفرصة لاصدار كميات ضخمة من الدنانير والدراهم العربية اللازمة لتحقيق المعاملات التجارية النشيطة فى كافة جهات العالم فانتشرت النقود الاسلامية لتقضى على الصلدى أى النومزما وهى مسميات الدينار البيزنطى Aureus Solidus الذى اضطربت أوزانه وتذبذبت اسعاره كما يقرر «بلوك» فى



قوله «لا جدال فى أن نسبة الذهب فيه (الدينار البيزنطى) قد تغيرت وخضعت للتغيير الكثير هبوطا وصعودا»(٢٨). . وذلك فى وقت كان الدينار العربى فى أوربا اكثر النقود شيوعا حتى وصل الى السويد والنرويج وبلجيكا وهولندا وبولندا وروسيا والمانيا وفرنسا وانجلترا وايطاليا. . بدليل ما عثر عليه اليوم فى هذه البلاد جميعا من مجموعات كثيرة من النقود العربية التى تحتفظ بها متاحفها.

ولا شك ان النقود كافة تعتمد على الثقة وقد اكتسبت النقود العربية هذه الثقة بسرعة بين شعوب أوربا بل وألفت أشكال كتاباتها العربية المنقوشة حتى اطلقت عليها لفظ «المنقوشة» Mancusus أو Mangos كما وردت فى النصوص اللاتينية أو Sarvasinois أى «العربية» وهى اسماء كما يقول بلوك «فهمها الناس كافة وأصبحت مألوفة فى الوثائق والقصائد» بل ان بعض ملوك انجلترا وهو الملك أوفا ملك Mercia لم يقبل شعبه غير النقود التى ضربها تقليدا للنقود العربية المنقوشة ولازال بالمتحف البريطانى واحد من دنانير الملك أوفا OFFA وعليه شهادة التوحيد والرسالة المحمدية والتاريخ الهجرى سنة ١٥٧هـ واسم الملك باللاتينية OFFA Rex . . كما ان الفرنجة فى فرنسا منذ عهد شرلمان ملك الدولة الكارولنجية أقلعوا عن ضرب نقودهم المصورة والتى كانت تعتبر أهم معرض لصور ملوكهم وضربوا نقودهم بالنقوش الكتابية تحت تأثير النقود العربية المنقوشة(٢٩) وأخذت النقود الاوربية المقلدة للنقود الاسلامية يزداد ضربها حتى القرن الثالث عشر الميلادى ولم يمنع ذلك من تعامل أوربا بالنقود العربية.

وبعد استيلاء النورمنديين على صقلية من الفاطميين سنة ٤٨٤هـ (١٠٩١م) اعتمدوا كل الاعتماد على الادارة العربية فى جميع الميادين الحضارية وظلت نقودهم تضرب بالكتابات العربية(٣٠) بالخط الكوفى المزهر ويحمل بعضها التواريخ الهجرية مع ذكر العبارات الدعائية العربية مثل «غليالم المستعين بالله» ملك صقلية (٥٤٨ - ٥٦١هـ). . كما ضرب النورمنديون نقودا عرفت باسم Tari وهى كأرباع الدنانير الفاطمية شكلا وقيمة(٣١) و«التارى» كلمة مشتقة من الكلمة العربية «طرى» بمعنى «حديث الضرب». . وقد وردت كثيرا فى أوراق البردى العربية للتعبير عن النقود (الجيدة الوزن. . الحديثة الضرب) كما استعارت أوربا فى معاملاتها التجارية كلمة «السكة» لتصبح فى الفرنسة Sequin وفى الايطالية Zecca كما استعيرت من العربية كلمة «صك» لتصبح بالانجليزية Cheque وفى المصطلح الجمركى الاوربى Tariff مشتقة من العربية «تعريفة».

ومن ناحية اخرى فان أثر الخط العربى والكتابات العربية المنقوشة على النقود الاسلامية كان له تأثيره على الفنون الأوربية وهو موضوع قد حظى بالكثير من عناية الباحثين الأوربيين ويأتى فى مقدمتهم لونجبريه الذى كتب بحثا سنة ١٨٤٥م عن استخدام المسيحيين فى أوربا للحروف العربية فى الزخرفة(٣٢) والواقع انه لم يكن اتساع النشاط التجارى وحده هو الذى ساعد على نقل هذه التأثيرات من خلال المعاملات بالنقود العربية بل استقرار المسلمين فى بعض المناطق الاوربية فترات من الزمن سواء طال بعضها

أو قصر الا أنه أدى آخر الامر الى التأثير الحضارى الذى وضح فى الصناعات والفنون الاوربية حتى بعد ترك المسلمين لهذه المناطق فى فرنسا أو ايطاليا أو سويسرا أو اسبانيا.

ولا يمكن ان نغفل دور الشرق العربى فى التأثير فى أوربا من خلال المحاربين الصليبيين الذين نجحوا فى القرن ٥هـ/١١م فى تكوين أربع امارات صليبية فى الشرق العربى هى الرها وانطاكية وطرابلس وبيت المقدس وكان طبيعيا أن تدفع الحاجة المالية للتجارة وشئون الحجاج والفرسان المتنقلين أو المقيمين أن تدفع الصليبيين الى ضرب نقود للتداول فى الأرض المقدسة كتلك التى ضربها البنادقة والجنويون وغيرهم فى المدن التجارية الايطالية تقليدا للنقود العربية.. وقد صدرت اعداد كبيرة فعلا من النقود الصليبية تحت تأثير النقود الاسلامية تقليدا للنقود الفاطمية والنقود الايوبية فى مصر والشام[٣٣] وظل ضرب الصليبيين لهذه النقود المقلدة بالكتابات العربية والتواريخ الهجرية الى أن احتج عليها البابا اينوسنت الرابع فى سنة ١٢٤٩م فأوقف ضربها[٣٤]. (اللوحات رقم ١٥، ١٦).

وبعد.. هذه لمحة سريعة متواضعة عن تعريب النقود ومدلوله الحضاري لم نقصد بها الوفاء بالموضوع أو الالمام باطرافه جملة وتفصيلا ولكنها مجرد لمحة على كل حال لعلها ترسم الخطوط الرئيسية فتنير الطريق لبحوث أوفى مستقبلا، وبالله التوفيق.



درهم اسلامى كامل التعريب وقد اكتملت فيه نقوش الاقتباسات القرآنية

دينار اسلامى ضرب فى الحجاز فى المدينة المنورة سنة ١٠٥هـ (لوحة ١١)



دينار اسلامى من الطراز العباسى ضرب سنة ١٣٣هـ (لوحة ١٢)



دينار صليبى عليه كتابات عربية محورة ومغلوطة (لوحة ١٣)



الهوامش

(١) يشير ابن سلام الى المعاملات بالنقود غير الاسلامية وزناً وعداً فى فجر الاسلام. . انظر: الاموال ص ٥٢٥ العدد ١٦٣٣.

وعن النقود الحبشية فى الجزيرة العربية انظر بحث:

Lowick, Axumite Coins (The B.M. quarterly, vol., 34, nos. 3,4 pp. 248, 151)

(٢) سورة آل عمران آية ٧٥ حيث ورد ذكر الدينار وسورة يوسف آية ٢٠ حيث ورد ذكر الدرهم.

(٣) راجع ابن سلام: الاموال ص ٥٢٥ العدد ٦٢٣.

(٤) عبد الرحمن فهمى: موسوعة النقود العربية وعلم النميات ج١ فجر السكة العربية ص٢٩-٣٠. وانظر:

Grohmann, Chrestonathie. p.183

(٥) كان الدينار البيزنطى يساوى ألفين نميا. . انظر:

Wroth, Catalogue of Imperial Byzantine Coins, vol, I, pp. 62,224

(٦) Lavoix, Catalogue des Monnaies Musulnanes, vol. I,p. v11

(٧) المقريزى: شذور العقود (نشر الكرملى) ص٣١، وعن هذه الدراهم فى مجموعة المتحف البريطانى راجع Walker, Arab-Sassan ian Coins. pp.3-5

(٨) لتفسير هذا الوضع بشكل أوفى راجع فهمى: موسوعة النقود ص٣٢ وما بعدها.

(٩) شذور العقود (كرملى) ص٣٣.

(١٠) Muller, Der Islam, Berlin 1885, vol., I,p.349

(١١) M.de Bouard, L' Evolution Monetaire, p. 431

(١٢) باسم الاب والابن وروح القدس وهى العقيدة التى اشار اليها انجيل متى فى الاصحاح ٢٨.

(١٣) العدوى: الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ص١٢٢.

(١٤) عن نقود عبد الله بن الزبير ومصعب وقطرى بن الفجاءة أنظر:

Lavoix, op. cit., p. XV111, Walker, Arab-Sassan ian Coins, pp. 29,30, 102-104.

(١٥) شاع بين المستشرقين وفى مقدمتهم سوفير ولافوا نسبة هذا النص الى الدميرى فى حياة الحيوان ج١ ص٦٢-٦٤ ولكن سبقه البيهقى: المحاسن والمساوىء ص٤٦٧.

(١٦) يذكر ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ج١ ص١٥٧ ان المستشار هو خالد ابن يزيد بن معاوية.

(١٧) Walker, Arab-Byzantine and Post-Reform Un aiyad Coins (london 1956) ppvi. xxi, liv.

(١٨) فليب حتى: تاريخ العرب ج١ ص٢٥٦، والعدوى: المرجع السابق ص٥٨.

(١٩) الترجمة العربية ص١٢٠.

Lopez, Mohammed and Charlemagne, AR evision Speculum 1943, xv1

(٢٠) وقد وصلنا نموذج واحد من هذا النوع من الدنانير اشار اليه ووكر فيا نشره من مجموعة المتحف البريطانى. . راجع المقدمة عند Walker, Arab Byzantine Coins, pp. Liii, Lv.

(٢١) اختلفت نصوص دنانير المشرق عن دنانير المغرب فى بعض الكتابات العربية سنة ٧٧هـ ولكن فى سنة ١١٤هـ اتحدت النصوص على النقود الاموية جيعها راجع: Walker, op. cit., pp. 99, 100, 101 pp. Lvii, Lviii.

مع الاشارة الى الخلافات فى النصوص فى المقدمة لكتابه المذكور. pp. Lvii

(٢٢) تضطرب الرواية العربية فى تحديد تاريخ التعريب فيحدد ابن هشام بن الكلبى تاريخ التعريب بتاريخ سنة ٧٤هـ، والمقريزى يحدده بسنة ٧٦هـ والبلاذرى بسنة ٧٤هـ و٧٥هـ وابن الاثير بسنة ٧٦هـ والمدائنى ٧٥هـ، والطبرى ٧٦هـ، والذهبى سنة ٧٥هـ، والمسعودى والماوردى وابن خلدون بسنة ٧٤هـ والبيهقى والدميرى والواقدى بعد عام الجماعة اى سنة ٧٤هـ.

سمير شما: النقود الاسلامية التى ضربت فى فلسطين ص٢٩ حاشية رقم ٤٠.

(٢٣) Norman Baynes, The Byzantine Empire (Landon 1946) p. 166

(٢٤) محمد وشرلمان: اعادة نظر ص١٢٢.

(٢٥) العدوى: المرجع السابق ص١٣٣.

(٢٦) المقدمة (لابن خلدون) ص١٨٣

(٢٧) يراجع كتابنا: صنج السكة فى فجر الاسلام - القاهرة ١٩٥٧م.

(٢٨) Bloch, Le Probleme de L'or au Moyen Age (الترجمة العربية) ص١٨.

(٢٩) Lopez, op. cit., الترجمة العربية ص١٢٧.

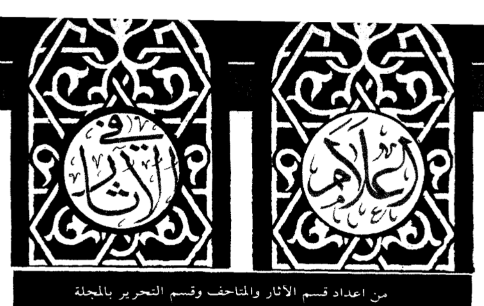
(٣٠) عن نقود النورمنديين تحت التأثير الاسلامى راجع: Smith D.M., Medieval Sicily (London 1969) p. 17

(٣١) امين الطيبى: النقود العربية انتشارها واثرها فى اوربا فى القرون الوسطى (مجلة المؤرخ العربى ١٩٨١م) ص٢٠٥/٢٠٦

(٣٢) Longperier (Adrien de), De L'emploi des Caractres Arabes Dans L'ornementation Chez Les peuples chretiens de L'occident (Rev. Arch., Arch., 1845 pp. 696-706.

(٣٣) راجع بحثنا بعنوان: اثر التراث الاسلامى فى الحضارة الاوربية - مجلة مرآة العلوم الاجتماعية العدد الثانى السنة السادسة ص٢٢.

(٣٤) أنظر بحثنا بعنوان: النقود الصليبية تحت تأثير النقود العربية فى الشرق العربى بمجلة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية العدد السادس السنة السادسة ١٤٠٢/١٤٠٣هـ من ص٢٧٥-٢٩٢.



من اعداد قسم الآثار والمتاحف وقسم التحرير بالمجلة

دكتور



- ولد فى ١٣ مارس ١٩٠٥ فى قرية «أبو جرج» مركز بنى مزار محافظة المنيا.
- تلقى تعليمه الاولى والابتدائى بمدارس المنيا والثانوى بمدارس المنيا والقاهرة وأتم دراسته الثانوية عام ١٩٢٦م
- تخرج من كلية الآداب قسم الآثار المصرية عام ١٩٣٠ بدرجة امتياز.
- حصل على منحة التفرغ للدراسات العليا حتى يونيو ١٩٣٠م ثم أوفدته الجامعة فى بعثة علمية فسافر الى ألمانيا سنة ١٩٣١ للحصول على الدكتوراه فى الآثار المصرية. . درس أولا فى جامعة برلين وحصل على الدكتوراه فى يناير ١٩٣٦ ثم واصل دراسته فى جامعة جوتنجن وحصل على دكتوراة أخرى فى نوفمبر ١٩٣٨.
- بعودته الى مصر فى نفس العام عين مدرساً فى ديسمبر ١٩٣٨ وتولى تدريس فقه اللغة المصرية والديانة والتاريخ الفرعونى فى كلية الآداب بالجامعة المصرية ومعهد الآثار حتى عام ١٩٥٠م
- انتدب فى ١٩٤٠ وذلك بالاضافة الى عمله. مشرفاً علمياً فى منطقتى سقارة وميت رهينة وذلك بناء على طلب مصلحة الآثار ووافقت الجامعة على ذلك.
- بدأ حفائره فى بداية ١٩٤١ على نفقة مصلحة الآثار ومساعدة الدكتور مصطفى الأمير مفتش سقارة فى ذلك الوقت فى منطقة كوم الفخرى وعلى قرب من الطريق المؤدى من ميت رهينة الى سقارة.
- اكتشف قبر الأمير شيشينق بن أوسركون الثانى الذى مات قبل أن يُدْرِك الملك ونقل الى المتحف المصرى بمحتوياته.

- بكشفه هذا القبر اكتشف لوحة أمنحوتب الثانى الشهيرة والتى كانت مستخدمة كسقف لحجرة الدفن بالمقبرة ومعروضة حالياً بالمتحف المصرى ونُشِرَت نصوصها بحوليات الآثار.
- واصل اكتشاف مجموعة هؤلاء الأفراد الملكيين الذين شغلوا منصب كبير الكهنه فى صنف فى عهد الأسرة ٢٢ ونقلت المحتويات بالمثل الى المتحف المصرى فيما عدا تابوت «أمينوفس - حوى» الجرانيتى (أسرة ١٩) الذى احتفظ به فى ميت رهينة.
- أسفرت الحفائر أيضا عن اكتشاف جزء من معبد رمسيس الثانى.
- توقفت هذه الحفائر فى ١٩٤٢م بسبب الحرب العالمية الثانية.. وظروفها المالية واستمر النشر حتى عام ١٩٥٦.
- نقل فى عام ١٩٥٠ الى جامعة إبراهيم التى أنشئت فى ذلك الوقت (حاليا جامعة عين شمس) أستاذاً ورئيساً لقسم التاريخ والآثار المصرية بكلية الآداب ووكيلاً للكلية كذلك.
- فى ١٩٥٤ عُيِّنَ وكيلا لجامعة عين شمس.
- فى ١٩٥٦ عُيِّنَ مديراً لنفس الجامعة وظل يشغل هذا المنصب حتى نوفبر ١٩٦١م.
- فى ١٩٥٦/٥/٢٣م صدر قرار مجلس الوزراء بتعيينه مديراً لمركز تسجيل الآثار المصرية بالاضافة الى أعماله.
- تنفيذا لذلك صدر قرار ٨٤٤ عن وزارة التربية والتعليم فى ١٩٥٦/٨/٢٧م بندبه مديراً لمركز تسجيل الآثار المصرية بالاضافة الى عمله كوكيل لجامعة عين شمس نظير مكافأة سنوية (٥٠٠) جنيه مصرى.
- فى نوفمبر ١٩٦٢ عين مديراً لجامعة القاهرة ورئيسا للمجلس الأعلى للجامعات وظل فى المنصب حتى انتهاء مدة خدمته بالحكومة.
- فى عام ١٩٦٤ تفرغ للعمل بمركز تسجيل الآثار حتى ١٩٧٢ باشر فيها العمل والتوجيه والاشراف العلمى الذى بدأه منذ إنشاء المركز فى ١٩٥٦م.
- حصل على جائزة الدولة التقديرية فى ١٩٦٢م.
- عمل بجامعة الرياض سابقا (الملك سعود حالياً) كأستاذ للحضارة المصرية بقسم التاريخ لمدة عامين ١٩٧٨-١٩٨٠م
- توفى فى ١٢ مايو ١٩٨٠م بالمملكة العربية السعودية ودفن فى بلدته بمصر.

العضوية العلمية:

١ - عضو فى الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ١٩٤٥-١٩٨٠ نائب رئيس فى ١٩٦٠، ورئيس الجمعية فى ١٩٦٢.
٢ - عضو فى الجمعية الالمانية للدراسات الأثرية ١٩٥٤-١٩٨٠.
٣ - عضو بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم، الاجتماعية ١٩٦٣.
٤ - عضو فى مجمع اللغة العربية ١٩٥٩-١٩٨٠م. ٥ - عضو فى المجمع العلمى المصرى ١٩٥٩-١٩٨٠م.



● عالم غزير المادة، جم الانتاج، دقيق البحث، يعتبر بحق من أوائل رواد النهضة الفكرية فى بلاد الشام.

● ولد محمد بن عبد الرزاق كرد على فى دمشق سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م وتلقى علومه الأولى فى مدارس دمشق الابتدائية كما بدأ بدراسة اللغة الفرنسية عن طريق معلم خاص، ثم دخل المدرسة العازارية بدمشق للتمكن من هذه اللغة.

● بدأ حياته العملية كاتبا فى (دوائر المأمور الاجنبية) فى دمشق، وأخذ تعاليمه من الشيخ طاهر الجزائرى الذى يعتبر من اكابر مرشدى شباب دمشق.. زاول الصحافة، فأصدر جريدة (الشام) بين عامى ١٨٩٧م/١٩٠٠م، ثم شد الرحال الى مصر حيث كتب فى مجلة (المقتطف) وجريدتى (المؤيد) و(الظاهر) وفى سنة ١٩٠٦م اصدر مجلة شهرية اسمها (المقتبس).

● وعندما اعلن الدستور بعد الثورة على السلطان عبد الحميد الثانى سنة ١٩٠٨م عاد الى دمشق وأصدر جريدة (المقتبس) ثم تركها لاخيه أحمد كرد على عام ١٩١٤م، وأصدر بين عامى ١٩١٤-١٩١٨م جريدة (الشرق) التى تولى رئاسة تحريرها، وفى هذه السنة (١٩١٨) سافر الى تركيا، فلما تشكلت الحكومة العربية فى دمشق، عاد الى العاصمة السورية حيث تعاون مع الحكومة المذكورة على تأسيس (المجمع العلمى العربى) وفى عام ١٩٢٠م انتخب رئيسا للمجمع العلمى المذكور، وبقى فيه حتى وفاته سنة ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م.

● احتل عدة مناصب هامة: فقد عين وزيرا للمعارف فى وزارة جميل الالشى من ١٩٢٠/٩/٦م حتى ١٩٢٠/١٢/١م، ثم عين مديرا عاما لمعارف دمشق، بعد اعلانها دولة (فى مشروع تقسيم سورية الى دويلات صغيرة) وذلك حتى ١٩٢٤/١٢/٣١م فلما رضخت فرنسا للثورات العارمة واعادت الوحدة السورية وتألفت حكومة الشيخ تاج الدين الحسنى، الأولى عين مرة ثانية وزيراً للمعارف من ١٩٢٨/٢/١٥م حتى ١٩٣١/١١/١٩م ثم عاد الى مزاولة الصحافة فأصدر - بالاشتراك مع خليل مردم



بك ـ جريـدة المقتبس، وفى عام ١٩٣٢ سمي عضـوا فى مجمـع فؤاد الأول (مجمـع اللغة العربية) فى القاهرة. . يعرف جيدا بلاد الشام والحجاز ومصر وتركيا وزار عدة مدن اوربية ابرزها باريس.

● وكـانت حيـاة محمد كرد على زاخرة بالعمل الفكرى والكتابات الصحفية، نشر مقالات عن البلاد المذكورة كما نشر مقالات كثيرة فى مجلة المجمع العلمى العربى(١) والقى عددا كبيرا من المحاضرات.

أهم ما نشر له من كتب:

١ ـ غرائب الغرب: جزآن ـ مصر ١٩٢٣م.
٢ ـ غابر الاندلس وحاضرها ـ مصر ١٩٢٣م.
٣ ـ خطط الشام: ستة أجزاء ـ دمشق ١٩٢٥ـ١٩٢٨م.
٤ ـ ثلاث سنوات من حكم سورية: دمشق ١٩٣١م.
٥ ـ الاسلام والحضارة العربية: مصر ١٩٣٤ـ١٩٣٦م (جزءان).
٦ ـ دمشق مدينة السحر والشعر ـ القاهرة ١٩٥٢م.
٧ ـ الادارة الاسلامية فى عز العرب ـ مصر ١٩٣٤م.
٨ ـ أمراء البيان ـ مصر ١٩٣٧م ثم بيروت ١٩٦٩م.
٩ ـ كنوز الأجداد ـ دمشق ١٩٥٠م.
١٠ ـ أقوالنا وافعالنا ـ مصر ١٩٤٦م.
١١ ـ القديم والحديث ـ مصر ١٩٢٥م.
١٢ ـ غوطة دمشق ـ دمشق ١٩٥٢م.
١٣ ـ رسائل البلغاء ـ القاهرة ١٩٤٦م.
١٤ ـ تحقيق سيرة أحمد بن طولون للبلوى ـ دمشق ١٩٣٩م.
١٥ ـ تحقيق (المستجاد من فعلات الاجواد) للمحسن التنوخى ـ دمشق ١٩٤٦م.
١٦ ـ تحقيق كتاب (الاشربة) لابن قتيبة ـ دمشق ١٩٤٧م.
١٧ ـ الحكومة المصرية فى الشام ـ مصر ١٩٢٥م.
١٨ ـ ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية ـ دمشق (دون تاريخ).
١٩ ـ ابو الطيب المتنبى ـ القاهرة ١٢٩١م.
٢٠ ـ مذكرات محمد كرد على (اربعة اجزاء) دمشق ١٩٤٩ـ١٩٥١م.

---

(١) نشر الاستاذ عمر رضا كحالة فهارس للمواضيع المنشورة فى مجلة المجمع العلمى العربى، وقد بدأ العمل فى سنة (١٩٥٦)، فجاء المجلد الاول فى ٧٩٠ صفحة والثانى (سنة ١٩٦٢م) فى ٤٦١ص، والثالث (١٩٦٣) فى ٧٥٤ ص فمن شاء فليرجع اليها.

دكتور

سليم حسن

● ولد بقرية ميت ناجى مركز ميت غمر محافظة الدقهلية فى ١٥ إبريل سنة ١٨٨٦ . . بعد أن أتم دراسته الابتدائية والثانوية التحق بمدرسة المعلمين الخديوية وانضم الى الفرقة التى جاهد طويلا المرحوم «أحمد باشا كمال» لدى ناظر المعارف فى ذلك الوقت، احمد حشمت (باشا) لانشاء فرقة لدراسة الآثار المصرية بمدرسة المعلمين الخديوية.

- اكمل دراسته بهذه الفرقة فى سنة ١٩١٢.

- بعد التخرج اشتغل سليم حسن مدرساً للتاريخ واللغة الانجليزية بالمدرسة الناصرية بالقاهرة، ثم نقل الى مدرسة طنطا الثانوية ومنها الى أسيوط الثانوية والخديوية بالقاهرة.

- كان سليم حسن كتلة من نشاط خلال تلك الفترة، فألف الكثير من كتب التاريخ العام المدرسية . . منها: «تاريخ مصر من الفتح العثمانى الى قبيل الوقت الحاضر» بالاشتراك مع عمر السكندرى، «تاريخ أوربا الحديثة وحضاراتها» (جزءان) بالاشتراك مع عمر السكندرى، «صفوة تاريخ مصر والدول العربية» (جزءان) بالاشتراك مع عمر السكندرى والشيخ أحمد السكندرى، وكذلك عرّب كتاب «تاريخ دولة المماليك فى مصر» بالاشتراك مع محمود عابدين و«صفحة من تاريخ محمد على» بالاشتراك مع طه السباعى.

- ظل سليم حسن متطلعاً ساعياً ملحاً للعمل فى مجال الآثار، رغم تكسبه الكثير من المال من التأليف والترجمة ومن التدريس الخصوصى ولكنه لم يتمكن من العمل بالآثار وقتذاك لأنه كان وقفاً على الأجانب فقط.

- قام هو وزميله محمود حمزة بتقديم بعض الدراسات الأثرية الى «ما سبيرو» الفرنسى، الذى كان يعمل مديراً لمصلحة الآثار المصرية وقتذاك فى محاولة لاقناعه بصواب تعيينهما بمصلحة الآثار ولكن أثر ذلك لم يتعد شكر «ماسبيرو» لهما وتمنياته لهما بالتوفيق.

- جاءت الفرصة المناسبة سنة ١٩٢١ حين أصبح الوزراء المصريون أوسع سلطة وأقوى نفوذاً إثر ثورة ١٩١٩ فقد انتهز وزير الأشغال «شفيق باشا» (كانت مصلحة الآثار تتبع وزارة الأشغال حينذاك) - فرصة تعيين فرنسيين كأمينين بالمتحف المصرى، ليشترط تعيين مصريين أمينين مساعدين لهما، وكان سليم حسن مع زميله محمود حمزة اللذين تقدما لشغل هذه الوظيفة.

- فى عام ١٩٢٢ التحق بالمعهد الكاثوليكى بباريس وبجامعة باريس وحصل على دبلوم اللغات الشرقية وآخر فى تاريخ الديانات وثالث فى اللغات القديمة.

- عاد سليم حسن الى مصر سنة ١٩٢٧ وعُيِّن مره أخرى بالمتحف المصرى.



- في عام ١٩٢٨ استدعته كلية الآداب بالجامعة المصرية ليدرس علم الآثار بها بوظيفة أستاذ مساعد مع منحه لقب أمين شرف بالمتحف المصرى، وقد رقى بعد ذلك إلى درجة الأستاذ مع توليه الاشراف على حفائر الجامعة بمنطقة إهرامات الجيزة.
- فى سنة ١٩٣٥ نال درجة الدكتوراه من جامعة فينا بالنمسا.
- فى يناير ١٩٣٦ أنْعِمَ عليه برتبة الباكوية، كما عين وكيلا لمصلحة الآثار المصرية وكان أول مصرى يتولى مثل هذا المنصب القيادى بمصلحة الآثار.
- فى ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٦١ انتقل سليم حسن الى جوار ربه وهو فى الخامسة والسبعين من عمره.

أعماله العلمية:

- اهم مؤلفاته باللغة العربية هو كتاب موسوعة «مصر القديمة» الذى أخرجه فى ستة عشر جزءا وأكثر من ١٠,٠٠٠ صفحة، وكان قد بدأ فى نشر الجزء الاول سنة ١٩٤٠ وانتهى من الجزء السادس عشر سنة ١٩٦٠ متناولا تاريخ مصر وحضارتها من عصر ما قبل التاريخ حتى أواخر العصر البطلمى. . وكان رحمه الله قد شرع فى كتابة الجزء السابع عشر عن «كليوباترا» وعصرها حين وافته المنيه.
- ومن مؤلفاته العربية أيضا «الأدب المصرى القديم» الذى نشره عام ١٩٤٥ فى جزءين تناول فيهما كافة نواحى الأدب فى قرابة خمسمائة صفحة كما شرع فى تأليف كتاب عن النيل ولكن الموت لم يمهله لاتمامه.
- كذلك كتب فصلا عن العادات المصرية القديمة السائدة إلى الآن فى مصر الحديثة فى مجلة المجمع العلمى سنة ١٩٤٤، وفصلا كبيراً عن الحياة الدينية وأثرها على المجتمع فى المجلد الأول من تاريخ الحضارة المصرية «العصر الفرعونى» والذى أخرجته وزارة الثقافة والارشاد القومى سنة ١٩٦٢.
- فى ميدان الترجمة: قام بترجمة كتاب «ديانة قدماء المصريين» للعالم الألمانى «شتيندوف» سنة ١٩٢٣، وكتاب «فجر الضمير» للمؤرخ الامريكى «جيمس هنرى بريستد» عام ١٩٥٦.
- أما مؤلفاته بالافرنجية فقد بلغت ثلاثة وثلاثين مؤلفاً ما بين كتب علمية ككتاب عن «الأناشيد الدينية للدولة الوسطى» وكذا كتابه عن قصيدة «بنتاور» والتقرير الرسمى لمعركة قادش أيام رمسيس الثانى ثم كتابه عن «أبو الهول» الذى يعد من أهم الكتب التى ألفها. . هذا الى جانب عدة مقالات علمية بالافرنجية فى حوليات مصلحة الآثار المصرية والمجلات الأثرية الاجنبية وتقارير حفائره فى الجيزة وسقارة والنوبة وهى مؤلفات ضخمة كل منها مئات من الصفحات وعدد كبير من الصور واللوحات والرسوم والتخطيطات وقد بلغ عددها خمسة عشر مجلداً.
- أما نشاطاته فى مجال التنقيبات الأثرية فمنها مايزيد على المائة وإحدى وسبعين من: المصاطب والمقابر الهامة التى اكتشفها وتعتبر حفائره فى منطقة أهرامات الجيزة من أهم ما قام به من حفائر وامتد نشاطه سنة ١٩٣٦ بالتنقيب فى منطقة سقارة، وفى عام ١٩٥٨ إلى منطقة النوبة فى بلانه وقسطل.

ـ وهنا يجب الاشارة الى أن نشاط «سليم حسن» العلمى لم يقتصر على التأليف والحفائر الاثرية فحسب، بل كان له أثر كبير فى تقدم الدراسات المصرية القديمة فى مصر بوجه عام كما كافح كثيراً من أجل فرض الشخصيـة المصـرية فى مجال الآثار وتتلمذ على يديه عدد كبير من الجيلين الثالث والرابع من الاثريين المصريين سواء فى الجامعة أو فى ميادين التنقيب الأثرى.

دكتور
سليم عادل عبد الحق

● شخصية دؤوبة لا تعرف الملل ولا اليأس، يمكن اعتباره بحق الرائد الأول للاثار فى سورية والمثل الذى يحتذى فى خدمة الاثار والمتاحف بعلم وخبرة وثقة بالنفس لاحد لها.

● ولد سليم عادل بن مصطفى عبد الحق فى دمشق سنة ١٩١٣م، ودرس فى مدرستى البحصة والملك الظـاهر الابتدائيتين، وبعد الدراسة الثانوية دخل دار المعلمين ونال شهادتها، ثم حصل على الاجازة (الليسانس) فى تاريخ الفن، ودبلوم معهد اللوفر، والفن والاثار، كما درس فى نفس الوقت هندسة تخطيط المدن (الأوربانيزم) من باريس، ثم حصل على شهادة الدكتوراه من باريس أيضا.

● بدأ حياته العملية معلما فى المدارس الابتدائية عام ١٩٣٣م ـ وكان عمره عشرين عاما ـ ثم عين مدرسا فى ثانويات دمشق عام ١٩٤٠م، وفى عام ١٩٤٥م عين محافظا لمتحف دمشق، وبعد ذلك بقليل درّس فى كلية الاداب بجامعة دمشق منذ تأسيسها وفى سنة ١٩٥٠م عين مديرا عاما للاثار، ومنذ ذلك الوقت كرس حياته وجهوده للنهوض بهذه المديرية الى المستوى الدولى فاستطاع اصدار قانون الاثار السورى الذى اعتبر نمـوذجيا وطلبت اليونسكو ترجمته الى الفرنسية وارساله الى مقرها الرئيسى فى باريس، كما عمل على صدور القانون المنظم للعاملين فى المديرية العامة للاثار والمتاحف وهو الاسم الجديد لمديرية الاثار، ووسع مبنى مديـرية الاثار، وقسّم متحف دمشق الوطنى الى اربعة اقسام: القسم السورى القديم، القسم الكلاسيكى، القسم الاسلامى، القسم الحديث، وعين لكل قسم محافظا، يشرف على هذا المجموع محافظ رئيسى يتولى التنسيق بين الاقسام ويمثل المتحف اداريا أمام المدير العام، واحدث فى مديرية الاثار مديـريـات ابـرزها: مديرية الهندسة، مديرية الحفريات، مديرية البحوث، مديرية المتاحف، مديرية التفتيش، مديرية الوثائق التاريخية التى اسسها الدكتور «محمد نادر العطار» بتكليف من الدكتور سليم عادل عبد الحق الذى وضع جميع الامكانيات وسهل كل السبل المتاحة فى سبيل ذلك، وبدأ بترميم المدرسة الجقمعية لجعلها متحفاً للخط العربى (ثم تأسيسه بعد ذلك).



● ثم اسس متحف الفنون الشعبية فى قصر العظم بدمشق، ومتحف الفنون الشعبية فى قصر العظم بحماه واشرف على اتمام نقل واجهة قصر الحير الغربى الى متحف دمشق مع المدخل وجزء من الرواق ودارين تحفان بالمدخل الرئيسى وشيد فوق هذه الاقسام الطابق العلوى فجاء البناء نسخة أمينة لهذا الجزء الشرقى من قصر الحير الذى شيده هشام بن عبد الملك سنة ١٠٩هـ.

● فى مجال الحفريات شجع البعثات الفرنسية والالمانية على متابعة حفرياتهم فى المواقع الاثرية السورية فتابع اندريه بارو الحفريات فى موقع (مدينة مارى) لأول مرة بعد الحرب العالمية الثانية وخروج الفرنسيين من بلاد الشام، سنة ١٩٥١م وتخطى الصعوبات الناجمة عن حالة هياج عشائر بادية الشام التى رأت بعض الفرنسيين يعودون بكل روية وحنكة وحزم، كما بدأ كلود شيفر الحفريات فى موقع رأس شمرا (اوغاريت) حيث اكتشفت الابجدية الأولى وعرضت فى متحف دمشق الوطنى وقام الاستاذ كولفيتس الالمانى بالحفريات فى الرصافة بالاشتراك مع المديرية العامة للاثار والمتاحف، وقامت هذه المديرية بالحفريات فى الرافقة العباسية وعرضت مكتشفاتها فى المتحف الوطنى بدمشق ايضا، وقد كشفت الحفريات عن عمائر وآثار هامة، كما اجرى حفريات فى تل ألنبى مند قرب حمص.

● وفى خلال ذلك كان الدكتور سليم عادل عبد الحق قد اعلن عن مسابقة دولية لبناء متحف جديد لمدينة حلب بعد ان تشققت جدران متحفها القديم واصبحت كنوزه فى خطر، وانشىء متحف حلب بالفعل وَوُضِعَ على مدخله الاسدان الهائلان المكتشفان فى موقع تل حلف، وانشىء متحف طرطوس ومتحف حماه ووضعت الدراسات اللازمة لترميم قلعة حلب، واعادة قاعة العرش الى ما كانت عليه، وتم ترميم الابنية الاثرية فى حلب ومختلف المحافظات السورية الأخرى.

● انشأ مجلة الحوليات الاثرية السورية التى شغلت قسما كبيرا من وقته واشرف عليها شخصيا واصدرت مديرية الاثار فى عهده مطبوعات قيمة وصنفت مختلف الابنية الاثرية بحيث اصبح لكل بناء اثرى إضباره (ملف) يحتوى على دراسة للبناء ومخططات هندسية له تقوم باعدادها مديرية الاثار (قسم الهندسة) ثم صور للبناء المذكور يقوم باعدادها قسم التصوير فى المديرية التى انشىء لها ايضا فى عهده قسم فنى ضخم يقوم على ترميم الاثار، واعداد الحوامل اللازمة لها وقد احتوى على اقسام النجارة والحدادة وكل ما تحتاج اليه مديرية الاثار والمتاحف.

● فى المجال الدولى نظم مؤتمر الاثار الكلاسيكية فى دمشق واشترك فى المؤتمرات الدولية للاثار وانتخب فى مؤتمر روما امينا عاما واشترك فى مؤتمر الممتلكات الثقافية فى باريس ثم وقع اختيار اليونسكو عليه للاشراف على مشاريعها الاثرية والثقافية فرحل الى باريس سنة ١٩٦٦م تاركا منصب المدير العام للاثار والمتاحف فى سورية بعد أن خلف لبلاده تركة ضخمة كانت ثمرة عمل دؤوب كرس له جهده ووقته وفكره وجعل لمديرية الاثار والمتاحف السورية سمعة ضخمة فى عالم الاثار.

ولم يحصر الانتاج الفكرى للدكتور سليم عادل عبد الحق، ولكن ابرز معالم هذا الانتاج تتجلى بالكتب التالية :

أ ـ بالعربية :
١ ـ مشاهد دمشق الاثرية . . دمشق ١٩٥٠م (ترجم الى الانكليزية والفرنسية)
٢ ـ سورية ـ دون تاريخ (ترجم الى الفرنسية والانكليزية)
٣ ـ نزهات اثرية فى سورية ـ دمشق ١٩٤٧م
٤ ـ كنوز متحف دمشق الوطنى ـ دمشق ١٩٥٩ (ترجم الى الفرنسية والانكليزية والالمانية)
٥ ـ الفن الاغريقى واثاره المشهورة فى الشرق ـ دمشق ١٩٥٠م
٦ ـ روما والشرق الرومانى فى العهد الجمهورى حتى نهاية قيصر ـ دمشق ١٩٥٩م

ب ـ بالفرنسية :
١ ـ الرموز فى الفن اليونانى ١٩٤٣م
٢ ـ كاتدرائية شارتر بباريس ١٩٤٣م
٣ ـ التاريخ العمرانى للحى اللاتينى بباريس ١٩٤٥م

اما الابحاث المنشورة كمقالات فأهمها (ما نشر فى مجلة الحوليات الأثرية السورية)(١) ما يلى :
١ ـ تشييد بغداد وتأثيره فى عمارة المدن (مجلة الحوليات).
٢ ـ تاريخ مدينة حمص واثارها (مجلة الحوليات الاثرية السورية ١٩٦٠م).
٣ ـ حاضر المتاحف السورية ومستقبلها (الحوليات السورية ١٩٥٣م).
٤ ـ الآثار فى خدمة القومية العربية (الحوليات السورية ١٩٥٧م).
٥ ـ المتاحف السورية والتربية (الحوليات السورية ١٩٦٥).

وغيرها كثير فى مختلف المجلات كاعادة تشييد جناح قصر الحير الغربى فى متحف دمشق وقوائم المكتشفات الاثرية وحفريات مقبرة تل البني منذ الخ .



يتجدد لقاؤكم مع مجلتكم المنهل فى عددها القادم لشهر ذى الحجة ١٤٠٧هـ باذن الله سبحانه.

● ولكريم مصاحبتكم نشير الى أن الاجازة السنوية للمنهل قد غيرت من شهر شوال إلى شهر ذى القعدة حيث يحتجب المنهل فيه عن الصدور.

● فى عددنا القادم تلتقون مع كبار الكتاب فى الأبواب الثابتة والمتنوعة . . الدراسات والبحوث الدينية والفقهية ـ الادب ـ الحوار ـ الطب ـ علم النفس ـ المكتبة التراثية وغيرها من موضوعات اخرى . .

● هذا الى جانب المجلات الداخلية للمنهل (المشتار . . هن . . فلسطيننا . . السائح)

● والى لقاء متجدد معكم دائما . . وكل عام وأنتم بخير.

---

(١) أعد الدكتور يوسف سمارة معاون وزير السياحة آنئذ قوائم كاملة بهذه المقالات يرجى العودة اليها لمن شاء الاستزادة.



طه باقر

● ولد طه باقر فى مدينة الحلة من عائلة عرفت بالعلم والادب ودرس الابتدائية فيها والاعدادية فى بغداد وكان من المتفوقين فرشح من قبل وزارة المعارف للدراسة فى الولايات المتحدة للتخصص فى علم الاثار فأرسل الى كلية صفد عام ١٩٣٢م ثم الى جامعة بيروت عام ١٩٣٢-١٩٣٣م وذلك لاستكمال بعض المتطلبات وبعدها سافر الى المعهد الشرقى التابع لجامعة شكاغو للدراسة فيه حيث حصل منه على شهادة الماجستير فى الاثار واللغات السامية القديمة عام ١٩٣٨م وعاد للعراق للعمل فى مديرية الاثار القديمة العامة ـ التى كان يترأسها الاستاذ /ساطع الحصرى، فى بغداد كخبير فنى حتى عام ١٩٤١م ساهم خلالها فى اعمال المديرية سواء فى مجال التنقيب (فى واسط وتل الدير) أو فى المسوحات الاثارية. فى فترة ١٩٤١-١٩٥٣م وخلال فترة رئاسة الدكتور ناجى الاصيل للمديرية العامة للاثار أصبح امينا للمتحف العراقى وخلال هذه الفترة ترأس بعثة المديرية العامة للتنقيب فى موقع عقرقوف (دور كوريكالزو ـ ١٩٤١-١٩٤٧) وتل حرمل ـ شادوبوم (١٩٤٥-١٩٤٨م) لقد اثبتت تنقيبات الاستاذ طه باقر فى هذين الموقعين وتنقيبات الاستاذ فؤاد سفر (فى واسط العقير وحسونه واريدو) والتقارير التى نشرت عن نتائج هذه التنقيبات المستوى العلمى الرفيع الذى وصلت اليه مديرية الاثار العراقية فى فترة الاربعينيات من حيث التقنية والبحث.

● بدأ الاستاذ طه باقر بتدريس التاريخ القديم والحضارة منذ عام ١٩٤١م فى كلية التربية ونشر الكثير من البحوث والدراسات اللغوية والاثارية نشر معظمها فى مجلة سومر التى بدأت المديرية العامة للاثار فى بغداد باصدارها منذ عام ١٩٤٥ حيث كان احد اعضاء هيئة تحريرها.

● فى عام ١٩٥١ بدأ بتدريس اللغات القديمة (السومرية والاكادية) والتاريخ والحضارة فى قسم الاثار فى كلية الاداب ـ جامعة بغداد.

فى فترة ١٩٥٣ ـ ١٩٥٨ اصبح معاون مدير الاثار العام ثم مفتش التنقيبات العام لفترة قصيرة وبعدها اختير مديرا عاما للاثار (١٩٥٨-١٩٦٣) فى هذه الفترة ازدادت مشاريع مديرية الاثار العامة فكان رحمه الله متنقلا ومشرفا على اعمال التنقيبات الاثارية فى كل من حوض دوكان وشهر زور واعطى الكثير من وقته

لاعمال الصيانة في كل من مدينة بابل والمدرسة المستنصرية وفي هذه الفترة اصبح عضوا في مجلس جامعة بغداد ثم نائبا لرئيس الجامعة وبعدها احيل على التقاعد.

● ان الفترة التي قضاها الاستاذ طه باقر في مديرية الاثار العامة في بغداد (١٩٣٨-١٩٦٣) حيث عمل خلالها مع اثنين من مديري الاثار هما المرحوم ساطع الحصري والمرحوم ناجي الاصيل ذوي التقليد الرفيع في التعامل والادارة والعمل الدؤوب لاجل سير هذه المؤسسة بخط علمي.

● هذه الصفات يذكرها لهم زملاؤهم.. واستمرت في فترة ادارة الاستاذ طه باقر لهذه المؤسسة حيث يذكره بذلك زملاؤه في الداخل والخارج من العلماء والمختصين بدراسات وادي الرافدين وطلابه اللذين عملوا معه بعد ذلك حيث كان الاداري الجيد والبحاثة الاصيل والغيور على تاريخ بلده وتراثه الحضاري.. كان رحمه الله واضعا اسس الدراسات المسمارية (علم الاشوريات) في العراق حيث درس معه اساتذة هذه العلم اليوم في الجامعات والمتاحف العراقية وكان وراء الكثير منهم من اجل تحصيلهم العلمي، ان هذه الفترة من تاريخ المديرية العامة للاثار من اغنى واهم الفترات في تاريخ هذه المؤسسة التي ساهم فيها بالدرجة الاولى الجيل الاول من الاثاريين العراقيين امثال المرحوم الاستاذ فؤاد سفر، الاستاذ محمد علي مصطفى، الدكتور فرج بصمجي، المرحوم الدكتور محمود حسين الامين بالاضافة الى الاستاذ طه باقر.

● وفي الفترة من (١٩٦٥-١٩٧٠م) عمل الاستاذ طه باقر مستشارا في مصلحة الاثار بليبيا حيث ساعد بالكثير من خبرته القيمة (في مجال التنقيب والصيانة) وقدراته العلمية (في مجال البحث والنشر) في هذا القطر الشقيق.. وعاد الى العراق ثانية وعين استاذا في قسم الاثار - كلية الاداب - جامعة بغداد (١٩٧٠-١٩٧٨) واشرف على الكثير من الدراسات العليا، واختير عضوا في المجمع العلمي العراقي، ثم احيل على التقاعد وبعدها اصيب بمرض عضال حيث وافاه الاجل في ١٩٨٤/٢/٢٨م.

● سوف يبقى الاستاذ طه باقر علما بارزا في تاريخ مديرية الاثار العامة وسيظل يذكر لاجيال قادمة من طلبة ودارسي اثار وادي الرافدين.

المؤلفات

أولا المقالات والبحوث:

١ - ١٩٤٥ نتائج تنقيبات الحكومة العراقية في عقرقوف، سومر (١): ٣٦-٧٥

٢ - ١٩٤٥ اصل الحروف الهجائية وانتشارها، سومر (١، ٢): ٤١-٥٩

٣ - ١٩٤٦ ديانة البابليين والاشوريين، سومر (٢): ١-١٩، ١٧٩-١٩٦.

٤ - ١٩٤٧ معابد العراق القديم، سومر (٣): ١٢-٣٧.

٥ - ١٩٤٧ شرائع العزاق القديم، سومر (٣): ١٧١-١٩٢

٦ - ١٩٤٨ قانون لبت - عشتار، سومر (٤): ٤-١٤.

٧ - ١٩٤٨ علاقات العراق القديم وبلدان الشرق الادنى، سومر (٤): ٨٦-١٠٢.

٨ - ١٩٤٨ قانون جديد من تل حرمل، سومر (٤): ١٤٢-١٤٣.

٩ - ١٩٤٨ قانون مملكة اشنونا المكتشف في تل حرمل، سومر (٤): ١٥٣-١٧٣.



١٠ ـ ١٩٤٨ التنقيب فى تل حرمل ، سومر (٤): ٣٩٣-٣٩٤ .

١١ ـ ١٩٤٩ الخليفة واصل الوجود ، سومر (٥): ١-٣٦، ١٧٥-٢١٤ .

١٢ ـ ١٩٤٩ علاقات وادى الرافدين بجزيرة العرب ، سومر (٥): ١٢٣ـ١٥٨ .

١٣ ـ ١٩٥٠ لوح رياضى على نظرية لاقليدك من تل حرمل مع مقدمة فى العلوم الرياضية ، سومر (٦): ٥ـ٢٨

١٤ ـ ١٩٥٠ قضايا رياضية اخرى من تل حرمل، سومر (٦): ١٢٣-١٤٢ .

١٥ ـ ١٩٥٠ ملحمة كلكامش والطوفان، سومر (٦): ٤٢-٨٠، ١٤٣-١٩٠ .

١٦ ـ ١٩٥١ قضايا رياضية من تل حرمل وتعليقات على الرياضيات البابلية، سومر (٧): ١٢٩-١٦٩ .

١٧ ـ ١٩٥١ نصوص من الادب العراقى القديم (استنتاجات وتعليقات) سومر (٧): ٢٠-٥٢ .

١٨ ـ ١٩٥٢ دراسة فى النباتات المذكورة فى المصادر المسمارية ، سومر (٨): ٣-٣٦، ١٤٥-١٨٢ .

١٩ ـ ١٩٥٣ دراسة فى النباتات المذكورة فى المصادر المسمارية ، سومر (٩): ٣ـ٤٤ ، ١٩٣-٢٣٩ .

٢٠ ـ ١٩٥٤ عقائد سكان القراق القدماء فى العالم الاخر، سومر (١٠): ٨ـ٣٩ .

ثانيا الكتب المؤلفة:

١ ـ ١٩٥٥ مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة جـ ١ القسم الاول ـ وادى الرافدين

٢ ـ ١٩٥٦ مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة جـ ١ القسم الثانى ـ وادى النيل

٣ ـ ١٩٦٢ ملحمة كاكامش

٤ ـ ١٩٦٢-١٩٦٦ المرشد الى مواطن الاثار والحضارة، ستة أجزاء مع الاستاذ/ فؤاد سفر.

٥ ـ ١٩٧٣ مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة ـ القسم الاول/ وادى الرافدين

٦ ـ ١٩٧٦ مقدمة فى تاريخ ادب العراق القديم .

٧ ـ ١٩٧٨ من تراثنا اللغوى .

ثالثا الكتب المترجمة:

١ ـ الرافدين لمؤلفه ستيرن لويد

٢ ـ تاريخ العلم الجزء الاول لمؤلفه جورج سارتن

٣ ـ ١٩٥٥ بحث فى التاريخ ـ جزءان ـ لمؤلفه توينبى

٤ ـ ١٩٥٨ من الواح سومر لمؤلفه صموئيل نوح كريمر

هذا بالاضافة الى عدد من البحوث والمقالات فى مجالات مختلفة مثل مجلة المجمع العلمى العراقى ، مجلة المجمع الكردى، آفاق عربية ، وغيرها من المجلات .

دكتور

عبد الرحمن زكى

● عالم جليل، وباحث أصيل، من جيل العمالقة الذين اهتموا بالآثار الاسلامية عامة والعمارة الحربية خاصة.

● ولد الدكتور عبد الرحمن زكى فى أربجى مركز المسلمية واد مدنى بالسودان فى ١٩ يوليو ١٩٠٤م

● بدأ حياته العملية ملازماً فى ١٩٢٦/٧/١ بالكتيبة الثامنة مشاه، وفى ١٩٢٨/٥/١ نقل الى الأشغال العسكرية ثم رقى فى ١٩٢٨/٨/١٠ الى ملازم اول وقتى بالاشغال العسكرية وفى ١٩٣٠/٤/٩ رقى الى درجة الملازم أول، وفى ١٩٣٨/٥/٦ رقى الى درجة اليوزباشى الوقتى بالإشغال العسكرية والمتحف الحربى، وفى سنة ١٩٣٩ رقى الى رتبة اليوزباشى بالمتحف الحربى، ثم عُيِّن أميناً للمتحف الحربى فى ١٩٤٠/٦/١، وفى ١٩٤٠/٦/٢٥ رقى الى رتبة الصاغ وفى ١٩٤٢/٢/٧ رقى الى رتبة بكباشى وقتى، وفى ١٩٤٢/١٠/٨ تم تعيينه مديراً للمتحف الحربى، وفى ١٩٤٣/٨/١٠ رقى الى رتبة البكباشى بالمتحف الحربى، وفى ١٩٤٦/٢/١١ منح نيشان النيل كما منح فى نفس العام النيشان البريطانى . . وفى عام ١٩٤٨ رقى الى رتبة قائمقام.

● وأحيل الى التقاعد فى ١٩٥٢/٩/١٥ وفى عام ١٩٥٤ حصل على الدكتوراه فى موضوع بعنوان دراسات أثرية عن السيف فى الشرق الأدنى فى العصر الاسلامى من كلية الآداب، جامعة القاهرة.

● وفى ١٩٥٥/٤/١٧ بدأ العمل مديراً لمكتبة الجيش فى كوبرى القبة، وفى ابريل ١٩٥٦ بدأ العمل مستشارا لمتحف المصانع الحربية فى صالة معرض الجزيرة. . ثم انقطع عن العمل فى متحف المصانع الحربية فى ديسمبر ١٩٥٦ واستقال منها . . وفى نوفمبر ١٩٥٨ استقال من مكتبة الجيش لأن كلية الآداب بجامعة بغداد اسندت اليه العمل فى وظيفة استاذ بها وبدأ عمله بها فى ٨ نوفمبر ١٩٥٨ وفى عام ١٩٥٩ عمل فى المؤسسة العربية الميسره . . ثم عمل بعد ذلك فى كلية الآداب بجامعة القاهرة وكلية الاثار بالاضافة الى معهد الدراسات الافريقية، واشترك فى مناقشة العديد من الرسائل العلمية.

● توفى رحمه الله فى يناير ١٩٨٠م عن عمر يقترب من ٧٦ عاماً . وكانت حياته حافلة بالمؤلفات المتنوعة نذكر منها ما يلى :

١ ـ القاهرة، مطبعة الحجازى ، القاهرة ٣٤ـ١٩٣٥

٢ ـ مبانى القلاع فى عصر محمد على باشا، مجلة العماره، عدد٣، ١٩٤١م

٣ ـ العمارة العسكرية فى العصور الوسطى، المجلة التاريخية، مجلد ٧ القاهرة ١٩٥٨



٤ ـ قلعة صلاح الدين وقلاع اسلامية معاصره، الانجلو ١٩٦٩

٥ ـ موسوعة مدينة القاهرة فى الف عام، القاهرة، الانجلو ١٩٦٩

٦ ـ الحلى، المكتبة الثقافية ١٩٦٩م

٧ ـ القاهرة، تاريخها واثارها من جوهر القائد الى الجبرتى المؤرخ ـ الدار المصرية ١٩٦٦م.

٨ ـ أسوار القاهرة وأبوابها من جوهر القائد الى الناصر صلاح الدين، مجلة المجلة عدد ٥١

٩ ـ الازهر وما حوله من الآثار ١٩٧٠م

١٠ ـ غرناطة وآثارها الفاتنة، الهيئة المصرية العامة ١٩٧١

١١ ـ قلعة صلاح الدين وما حولها من الاثار، الهيئة المصرية ١٩٧١

١٢ ـ النقوش الزخرفية والكتابات على السيوف الاسلامية

١٣ ـ الدار الاسلامية فى مصر، مجلة المقتطف، عدد ٩٩



● ولد فى المدينة المنورة سنة ١٣٢٤هـ الموافق ١٩٠٦م وتوفى والده القاسم وهو فى سن مبكرة فنشأ فى كنف خاله علامة المدينة وشيخ علمائها الشيخ محمد الطيب الانصارى. . وتلقى تعليمه على يد خاله فدرس عليه العلوم الدينية والعربية والتاريخية وفى عام ١٣٤١هـ انتقل العلامة الشيخ محمد الطيب الانصارى الى مدرسة العلوم الشرعية فى المدينة المنورة التى اسسها الشيخ احمد الفيض ابادى وتولى الشيخ محمد الطيب الانصارى ادارة المدرسة والتدريس بها وحرص على ان يلحق بالمدينة ابن اخته وتلميذه عبد القدوس الانصارى. . وقد كانت هذه المدرسة من ابرز المعالم فى تاريخ التعليم بالمدينة.

● وفى مدرسة العلوم الشرعية درس الشيخ عبد القدوس دراسة موسعة فى علوم مختلفة فتتلمذ فى الرياضيات على السيد احمد الفيض ابادى مؤسس المدرسة ودرس بها علم الفرائض على الشيخ عبد الغنى مشرف وفن الخط على الشيخ شكرى خوجة كما كانت دراسته الموسعة للادب على شيخه الأول: الشيخ محمد الطيب الانصارى رحمه الله.

● وفى عام ١٣٤٦هـ حصل الشيخ عبد القدوس الانصارى على الشهادة العالمية من مدرسة العلوم الشرعية ليبدأ رحلة جديدة من نضال علمى جليل.

● بدأ حياته كاتبا فسكرتيرا بامارة المدينة المنورة زمن اميرها عبد العزيز بن ابراهيم رحمه الله فكان محل الثقة

والتقدير كما انشأ مع زملائه ناديا للنشاط الادبى فى المدينة كانوا يدعون اليه كبار زوار المدينة من علماء العالم العربى وادبائه . . ثم انتقل رحمه الله الى مكة المكرمة موظفاً فى النيابة العامة التى كان يرأسها جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز عندما كان نائبا لوالده المغفور له جلالة الملك عبد العزيز على الحجاز، كما اصبح حينئذ رئيساً لتحرير جريدة ام القرى لبضع سنوات منذ سنة ١٣٥٩ حتى سنة ١٣٦١هـ وقد تدرج فى وظائف الدولة حتى اصبح مستشارا بديوان مجلس الوزراء ومديرا للشئون المالية بالمجلس ثم آثر التفرغ لمجلة المنهل.

● وقد اصدر مجلة المنهل فى المدينة المنورة فى شهر ذى الحجة سنة ١٣٥٥هـ الموافق فبراير سنة ١٩٣٧م ولازالت تصدر ولله الحمد حتى الان كيف لا وهذا العدد ما هو الا ثمرة من ثمرات كفاحه الطويل الذى تسلم الراية ابنه الاديب الاستاذ نبيه الانصارى بعد وفاته.

● وقد ارتبط علم عبد القدوس الانصارى بحبه لبلاده . . وقد بدأ نشاطه الجاد فى علمه بالكشف عن آثار بلاده فى المدينة المنورة بعد ان رافق فى شبابه المستشرق البريطانى «فيلبى» فى جولات استكشافية فى المدينة بطلب من اميرها عبد العزيز بن ابراهيم رحمه الله فعز على الانصارى ان يترك هذا المجال للمستشرقين فشمر عن ساعده وقام بدراسات ميدانية جادة جمع فيها ارقى المعلومات الدقيقة الصحيحة عن آثار مدينة الرسول ﴿ﷺ﴾ ودونها فى كتاب «آثار المدينة المنورة» الذى اصدره فى طبعته الاولى سنة ١٣٥٣/١٩٣٥م فكان بذلك اول كتاب علمى فى الاثار مؤلفه احد ابناء هذه البلاد فى عصرها الحديث على اسس علمية منهجية.

● وواصل الاستاذ عبد القدوس الانصارى رحمه الله جهوده العلمية فى الوقوف على آثار بلاده فألف وأصدر:

(١) ـ تحقيق امكنة فى الحجاز وتهامة سنة ١٣٧٩

(٢) تاريخ مدينة جدة سنة ١٣٨٣

(٣) تاريخ العين العزيزية بجدة سنة ١٣٨٩

(٤) بين التاريخ والاثار سنة ١٣٩١

(٥) بنو سليم : عرض لشريط تاريخى عن امتداد الاسلام والعروبة من مهدهما الى العالم سنة ١٣٩١

(٦) مع ابن جبير فى رحلته سنة ١٣٩٦

(٧) طريق الهجرة سنة ١٣٩٨

● وهذه السلسلة المتلاحقة من دراسات الاثار والتاريخ تدل على مكانة مؤلفها الانصارى فى هذا العلم بكل ما تتطلبه هذه المكانة من صبر واناة ومعرفة ودقة فى الكشف والتحقيق والدراسة والتحليل، لتبوأه مكانه بين الخالدين من رواد الاثار فى العالم العربى.

● وفى السادس والعشرين من شهر جمادى الثانية سنة ١٤٠٣هـ الموافق التاسع من ابريل سنة ١٩٨٣م انتقل الى رحمة الله تاركا من الاعمال العلمية ما يزيد على عشرين كتابا فى الاثار والتاريخ والشعر والقصة والرواية والتراجم . . فقد كان يرحمه الله بحق موسوعة عربية اسلامية يندر وجودها فى عصرنا الحاضر.



دكتور

عوني الدجاني

● فى مدينة القدس حاضنة المقدسات واولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ولد المرحوم عونى بن خليل الدجانى عام ١٩١٧ للميلاد فى اجواء الحرب العالمية الاولى، حيث تفتحت عيناه على آثار اقدام الغربان المستعمرة على أرضه تعمل بها وبتراثها وشعبها ما يحلو لها.. بذرة الصحوة والبحث عن الذات زرعت فى نفسه منذ طفولته المبكرة.. نمت وترعرعت مع صباه مواكبة خطوات قضم الوطن وزرع المستوطنات وتوطين الصهاينة من اصقاع المعمورة، وما رافق ذلك من سلسلة الانتفاضات والاضرابات والثورات للشعب الفلسطيني ضد افرازات سايكس بيكو ووعد بلفور.. وفى عام ١٩٣٥ انهى دراسته الثانوية فى مدينة القدس.. وذهب الى لبنان ليواصل دراسته الجامعية فى الجامعة الاميركية فى بيروت وتخرج منها عام ١٩٣٩ حاملا شهادة البكالوريوس فى العلوم، الى جانب باقات الثقافة والادب والسياسة والوعى التى صقلت شخصيته ووضعته على مفترق طرق لخيار طريق المستقبل.. اختار السير فى طريق علم الاثار، علم تفاعل الارض والانسان، وما نتج عنهما من حضارة شعب وهوية وطن.. التحق بالجامعة العبرية بالقدس وأنهى المنهج المقرر لدراسة الاثار فيها سنة ١٩٤١ ودراسته الاثار كانت عن رغبة الى جانب ولعه السابق فى مطالعة أمهات كتب الاثار والتاريخ والعلوم الاخرى ذات العلاقة جعلت منه آثاريا نبيها محيطا بجوانب الاثار وفروعها ومحاذيرها، ومتنبها لاساليب الصهاينة فى طمس الحقائق وتزوير النتائج.

●● تلقفته دائرة آثار فلسطين اثناء الحكم البريطانى للعمل بها كمفتش آثار لواء الجليل، حيث بذل كل ما فى وسعه للمحافظة على الاثار وحمايتها من السرقة والنهب وكانت له فرصة ذهبية فتحت له المجال مما اكسبه خبرة فى العمل وأساليب فى التنقيب ومنهجية فى البحث.. ومع اغتصاب الجزء الاكبر من فلسطين وقيام الكيان الصهيونى عليها عام ١٩٤٨ تنفيذا لوعد بلفور البريطانى تطوى صفحة من كفاح عونى الدجانى فى التحصيل العلمى والتأهيل العملى والخبرة الواسعة، مثقلة بهول الخطب مصبغة بنزيف الجراح محقنة بمصل القهر والظلم.

● وتبدأ الحلقة الثانية من حياة عونى الدجانى فى ١٩٤٩/٨/١٥، حيث عمل مفتشا للاثار فى دائرة الاثار الاردنية، وبعد عدة سنوات من عمله بها، رأت الحكومة الاردنية تهيئته ليكون مديرا عاما للاثار الاردنية، ليحل بديلا لمديرها البريطانى.. فابتعثته الى جامعة لندن، وحصل على درجة الدكتوراه بامتياز، عام ١٩٥٦م وعين مساعدا للمدير العام سنة ١٩٥٨م ثم مديرا عاما سنة ١٩٥٩م

● المرحلة الثالثة من حياة عونى الدجانى بعد تعيينه مديرا عاما للاثار الاردنية، هى سفر ترجمة شخصية عالم.. فعلى الصعيد العملى باشر باعداد الكوادر، فاستقطب بادىء ذى بدء، حملة البكالوريوس وابتعث مبتعثين للحصول على البكالوريوس، تلاها ابتعاث حملة البكالوريوس للحصول على الماجستير او الدكتوراه من جامعات امريكا، وبريطانيا، فرنسا وتركيا.. رافق ذلك انشاء المتاحف والمفتشيات فى محافظات والوية وبعض مدن المملكة الاردنية واعتمد اللامركزية الادارية لمفتشى المناطق.. ومفتش المنطقة هو المسئول عنها وعن آثارها وسير العمل بها من قبل الهيئات الاجنبية، وهو مرجعها المباشر وله صلاحيات اتخاذ القرارات وتنفيذ الاتفاقيات مع الهيئات الاجنبية دون الرجوع اليه.. وتبنى مشاريع الصيانة والترميم للمدرجات الرومانية والمبانى الاثرية فى عمان والقدس والخليل ونابلس وسبطيه وجرش والبتراء وقصر هشام فى اريحا والقصور الاموية الصحراوية والقلاع فى عجلون والكرك والشوبك والعقبة اضافة الى تطبيق قانون الاثار فى تملك الارض ومصادرة الاثار وتطبيق العقوبات على المخالفين.

●● علمه ومقومات شخصيته اعطت دائرة الاثار الاردنية صفة المؤسسة العلمية، واسدلت عليها ثوبا من الوقار والاحترام حتى اصبحت موئلا للعلماء ومعينا يزود الجامعات الاردنية بالمعيدين والاساتذة.. بذل عونى الدجانى جهودا كبيرة وأدى دورا مشهودا فى تأميم المتحف الفلسطينى بالقدس عام ١٩٦٥/١٩٦٦م حيث كان تحت الوصاية الدولية منذ ١٩٤٨م ممثلة بمجلس امناء مكونٍ من سفراء بريطانيا، فرنسا، امريكا والمدارس الاثرية التابعة لهذه الدول ومندوب عن المملكة الاردنية الهاشمية.. كان لا يألو جهدا فى التعريف بتراث البلد محليا ودوليا، سواء بالقاء المحاضرات او عقد الندوات، وبطباعة الكتيبات والنشرات والبطاقات والملصقات، مما أدى الى تنشيط الحركة السياحية وازدهارها.. وله الفضل كذلك فى ثراء حولية الاثار الاردنية وسعة انتشارها وتداولها.. كان مديرا ديناميكيا، فى كل اسبوع له جولة تفقدية لموقع، لمنطقة أو لمدينة اضافة لزيارة المناطق التى تقوم بها حفريات او ترميمات.

● وعلى صعيد تعامله مع موظفيه وعلاقاته الخاصة بهم كان تواضعه وهدوؤه وطيبته وعفته وثقته بنفسه وحبه للخير ومقته للشر صفات ادت الى طواعية وحب مرؤوسيه له.. كان يعيش مشاكلهم كأب لاسرة ومربٍ لجيل وبان لمؤسسة علمية زاهرة.. كان داعيا للقراءة والمطالعة فى المكتبة وخاصة نتائج الحفريات ويدعوهم لزيارة المواقع الاثرية فى جميع انحاء البلاد، حتى لا يُحْرَجَ كادر امام الاثاريين الاجانب او البعثات الاجنبية.

● اضافة لكل الاعباء التنظيمية والادارية والعلمية التى كانت تشغل كل وقته، فله العديد من المقالات العلمية فى مجلة آثار فلسطين ومجلة الاستكشاف الفلسطينى وحولية دائرة الاثار الاردنية.

●● والحلقة الرابعة والاخيرة من حياة الدكتور عونى الدجانى والتى هى أضيق الحلقات زمنا، كانت بدايتها صباح يوم الاثنين الموافق الخامس من حزيران عام ١٩٦٧م، وهو يقوم بالاتصال هاتفيا من عمان بمتحف الاثار الفلسطينى بالقدس، مطمئنا عليه وعلى موظفيه وعلى القدس ومتحفها الاسلامى إثر بداية الاجتياح الصهيونى لما تبقى من فلسطين (الضفة الغربية).. وكان ما كان وتمزقت القدس وتمزق



قلب المؤسس البانى والرائد العالم ابن القدس وفلسطين والعروبة والاسلام . . وما هى الا اشهر حتى نحل جسمه، وخرت قواه، ووافته المنيه فى مطلع ١٩٦٨م وهو فى ريعان شبابه العلمى، بعد ان وهب حياته للاثار وقبل ان يرى نتائج جهوده وثمار غرسه.

فؤاد سفر

* ولد فى الموصل شمال العراق فى عائلة تعتبر من أشهر عوائل هذه المدينة أتم فى مدينته مرحلة الدراسة الثانوية وانتقل بعدها الى كلية صفد ومن ثم الى الجامعة الامريكية فى بيروت حيث درس التاريخ القديم.

* حصل فى سنة ١٩٣٣ على منحة وزارة المعارف العراقية للدراسة فى الولايات المتحدة الامريكية حيث التحق بالدراسة فى معهد الاثار الشرقية التابع لجامعة شيكاغو قسم دراسات آثار الشرق الادنى القديم، عاد بعدها الى العراق فى سنة ١٩٣٨ مبتدئاً حملة فى دائرة الاثار القديمة.

* لقد اثبت فؤاد سفر - من خلال عمله وطوال فترة تقلبه فى مناصب هذه المؤسسة المهمة الى أن وافاه الاجل المحتوم فى حادث اليم - انه احد اللذين ارسوا دعائم علم الاثار فى منطقتنا العربية . . فى بداية حياته العملية اشترك فؤاد سفر فى التنقيب والبحث مع عدد من البعثات الاجنبية التى كانت تعمل فى العراق فى تلك الفترة واضعاً خبرته ومستفيدا من خبرة الآخرين فى ارساء اولى دعامات العمل العلمى الاثرى فى بلاد ما بين النهرين حيث اهله هذا بعد فترة الى ان يكلف من قبل دائرة الاثار العامة بتولى ميثاق اولى البعثات الوطنية وذلك للتنقيب فى موقع «العقير» المهم . . حيث كشف ولأول مرة عن نموذج آخر للمعابد المرفوعة على زقورات «عدى موقع الوركاء» كما اسفرت حفرياته فى العثور على مجموعة ممتازة من الالواح الطينية التى تمثل بداية الكتابة المقطعية السومرية فى بلاد ما بين النهرين.

* اما تنقيباته بالاشتراك مع سيتن لويد فى موقع حسونة من الالف السادس قبل الميلاد قرب مدينة الموصل فلقد اكسبته شهرة طبقت - ولازالت - الافاق فيما يخص آثار منطقة الشرق القديم وذلك بعثوره على واحدة من اهم المستوطنات التى تمثل حضارة هذه الفترة والتى دخلت بشكل ثابت فى جدول التسلسل الزمنى لشمال ما بين النهرين وعرفت بفترة «حسونة» وقد قاده هذا الاكتشاف العلمى فى شمال العراق الى الانتقال

والتوغل الى جنوب ما بين النهرين موطن الحضارة السومرية حيث اسفر عمله هو وزميله سيتن لويد للمرة الثانية فى الكشف عن اقدم موقع لهذه الحضارة الا وهو موقع «أريدو» ابو شهرين، قرب مدينة الناصرية وتمكنوا من تصنيف فخار جديد هناك اطلق عليه فخار اريدو.

● وقد عمل فؤاد سفر لسنوات عديدة فى هذا الموقع مما نتج عنه عثوره على تسع عشرة طبقة معمارية متسلسلة اسفرت عن التعرف على اقدم بناء دينى معروف فى منطقة الشرق الادنى القديم وهو معبد اريدو من بداية الالف الرابع قبل الميلاد. . هذا وقد تم نشر نتائج هذه الحفريات فى مجلد خاص يعتبر مرجعاً مهماً جدا لباحثى هذه الفترة.

- اما مدينة الحضر شمال العراق حاضرة الامبراطورية الفرثية فان الكشف عنها والتنقيب فيها وصيانة معالمها فهى من الاعمال التى كرس لها فؤاد سفر الجزء الاكبر من حياته. . حيث قاده العمل هناك الى الابداع ليس كآثارى فقط انما كعالم لغوى قام بترجمة جميع ما عثر عليه فى هذه المدينة من نصوص فرثية وآرامية القت الضوء على كثير من المعلومات الهامة عن حضارة الفرثيين. . ولا شك فإن نشره المتواصل لهذه النصوص وبشكل غير منقطع فى مجلة سومر يعتبر من المصادر التى لا يمكن الاستغناء عنها لجميع دارسى حضارة هذة الفترة. . كذلك فان كتابه المعروف «الحضر بلاد الشمس» يلقى الضوء على مجمل فنون العصر الفرثى بشكل جيد وواضح.

● لقد شارك فؤاد سفر - رغم الاعباء العلمية التى كلف بها فى المسيرة الاكاديمية وذلك حين استدعته جامعة بغداد فى سنة ١٩٤١م كاستاذ محاضر فى قسم التاريخ القديم - هو ونخبة من زملائه فى تأسيس قسم الاثار فى كلية الاداب وذلك فى سنة ١٩٥٢م.

● تولى فى سنة ١٩٥٦ منصب المفتش العام فى دائرة الاثار، وقد اهله هذا على الاشراف وتوجيه الاعمال الفنية المتعلقة بأعمال التنقيب سواء ما يخص البعثات الوطنية أو الاجنبية فى العراق، وقد اسند له ولفترة قصيرة فى سنة ١٩٥٨م منصب مدير عام دائرة الاثار.

● لقد شارك فؤاد سفر - من خلال عمله فى دائرة الاثار وجامعة بغداد فى عدد كبير من اللجان والمؤتمرات الدولية ممثلا لبلده وتولى لفترة طويلة رئاسة مؤتمر صيانة الاثار العالمى التابع لمنظمة اليونسكو الدولية ويعتبر من المؤسسين الاوائل لمجلة سومر حيث تولى الاشراف عليها ورئاسة تحريرها لفترة طويلة وقد امتازت نشرياته سواء العربية منها او الاجنبية بالموضوعية والتحليل العلمى، ومناقشته لمشاكل عديدة جعلتها مصادر مهمة لطلبة علم الاثار. كما ان حفرياته فى مواقع عديدة لا يتسع المجال هنا لذكرها اعطته صفة مميزة فى تكوين مدرسة خاصة اتبعها فيما بعد كثير من طلابه.

● لم يكن فؤادَ سفر - احد اعلام هذا التخصص فى منطقتنا العربية فقط. . وانما هو رجل عرف بانسانيته وحبه لمريديه وطلابه اللذين تتلمذوا طوال هذه الفترة على يديه، ولقد فقد علم الاثار بوفاته واحدا من الاعلام، وركناً من اركانه المهمة فى منطقة الشرق الادنى.



محمد بن بليهد

● ولد الشيخ محمد بن عبد الله بليهد فى حدود سنة ١٣٣٠هـ فى قرية غسلة (بكسر الغين المعجمة وسكون السين المهملة) احدى قرى الوشم . . وكان منذ صغره يصحب عماً له كفيف البصر الى مضارب البادية يحملون معهم السلع والاثاث المناسب للبادية ليبيعوا عليهم ويشتروا بثمنه ما عندهم من غنم وسمن وجلود ونحو ذلك ثم اتخذ هو هذه مهنة له بعد ان كبر وصار يتردد على بادية نجد فلما اتسعت احواله قليلا صار يتردد للتجارة بين بلدان نجد والحجاز، كما انه استوطن بلدة «الشعراء» بعالية نجد وهى مكانة للبادية فى الشتاء وموردا لهم فى الصيف وكان مع هذا كله شغوف بالادب والتاريخ والشعر واخبار البادية وحروبها وفرسانها ومعرفة جبالها واوديتها وهضابها وسهولها وبلدانها ويتقصى البحث فى ذلك . . وانتهى به المطاف الى ان صار مرافقا لسمو الامير فيصل بن عبد العزيز آل سعود (الملك فيصل رحمه الله) فكان معه فى اسفاره البرية ويجتمع بوجوه البادية واعيانهم حين يغدون على جلالته فيستفيد منهم فى هذا البحث المحبب لديه، كما انه يجتمع بالعلماء والادباء ويناقشهم ويبحث معهم ما يشكل عليه فى مطالباتهم .

● ومما لا شك فيه ان علمه الغزير بالأماكن والاثار كان الدافع له الى محاولة تحديد مكان سوق عكاظ فانه يقول فى نهاية الجزء الثانى من كتابه «صحيح الاخبار عما فى بلاد العرب من الاثار» . «وليعلم قارىء هذه الاحرف انه لما ثبت عند صاحب السمو الملكى الامير فيصل بن عبد العزيز آل سعود صحة ما ذكرته عن عكاظ وتحديد موقعه ورأى بعينه الحرة التى تطلع عليها الشمس والعبيلات البيض والارض المستوية التى تسع العرب عند اجتماعهم ووادى شرب ووادى قران والعبلاء وحلات جلدان، ولما ثبت لديه هذا التحديد الواضح بحث مع الكاتب الاديب ابحاثه عن بلاد العرب وما بها من الاثار «عبد الوهاب عزام بك وزير مصر المفوض فى جدة سابقا» وقال له : انى احب الوقوف على هذا السوق وآثارها البالية المندرسة، وكان الوزير متأهبا للسفر الى الرياض فتواعدا ان يذهبا جميعا الى سوق عكاظ، اذا رجع الوزير من الرياض، فصادف عند رجوعه ان كان صاحب السمو الملكى الامير فيصل فى جدة فأمر الامير خادمه ان ينصب

الخيام هناك ويرسل الخدم الى ذلك الموضع لتحضير ما تدعو اليه الحاجة، وقد فعلوا ونصبوا الخيام الى جانب العبيلات البيض فى نفس عكاظ. وامرنى صاحب السمو الملكى الامير فيصل ان اقابل الوزير فى المطار انا وخادمه ونذهب مع الوزير الى سوق عكاظ فأخذت معى جميع الدلائل التى اشرت، اليها فلما وصلنا الى عكاظ قرأت على الوزير ما عندى من الدلائل وكلما مررت على ذكر موضع كالحرة وشرب والعبلاء والعبيلات البيض وجلدان وقران يقول: اين هى فأريه اياها رأى العين الحريرة اخذ عكسها(اى صورتها) ونحن على ظهرها، والعبيلات البيض التى ذكرها أبو الأصبغ السلمى صورها ونحن الى جنبها والعبلاء كذلك. وتجولنا فيه بالسيارة ورأى الاثار العزيزة والارض المتسعة التى تسع العرب جميعا. وقد اعترف انه عكاظ واقتنع وابدى موافقته التامة واخذ منى نسخة تحتوى على جميع الدلائل التى اشرت اليها. . واننى قد بدأت البحث عن عكاظ وتحقيق موضعه من سنة ١٣٥٥ وانتهيت منه فى شهر شوال سنة ١٣٦٩ وقد نشر هذا البحث عن سوق عكاظ فى مجلة المنهل الغراء التى تصدر بمكة وذلك فى عددها المختار الصادر فى ذى الحجة من سنة ١٣٦٩ ص ٣٢٦-٣٣٤» ولعل هذا اول مسح اثرى لموقع سوق عكاظ يجربه أحد ابناء الجزيرة العربية واكثر من ذلك انه وضع خريطة اثرية للموقع بعد دراسة ومراجعة استمرت حوالى ١٤ عاما ولنا ان نتصور الجهد الذى بذله ابن بليهد فى سبيل تحقيق سوق عكاظ اذا قرأنا قوله:

«فلتحقيق موقع عكاظ يجب ان يشد اليه الرحال لمعرفته ويعرف الطريق لان الصحراء تهزأ بالخريت فتضله ثم تلتهمه اذا لم يكن حاذقا بل كثيرا ما التهمت الصحراء الخريت الحاذق، وما نجا من الصحراء الا من كتب له عمر جديد» . . اذا هى المعاناة والمكابدة التى يعانيها الاثاريون والباحثون عن التاريخ.

● ولابن بليهد عمل علمى اخر اصدره وهو فى ريعان شبابه وهو كتاب «صحيح الاخبار عما فى بلاد العرب من الاثار» وهو من انفس الكتب لانه كان يكتب كتبه عن خبرة ومشاهدة ولا يقدر هذا العمل حق قدره الا من يطلع عليه وهو مكون من خمسة اجزاء كانت طبعته الاولى سنة ١٣٧٠هـ الموافق سنة ١٩٥١م ولعله اول عمل فى موضوعه كتبه عالم سعودى، ثم قام ابنه الفاضل الاستاذ عبد الله بن محمد بن بليهد باخراجه فى طبعة ثانية سنة ١٣٩٢هـ الموافق ١٩٧٢م . . كما قام الشيخ يرحمه الله بتحقيق كتاب صفة جزيرة العرب للهمدانى والتعليق عليه بتحقيقات وتصويبات وزيادات نفيسة جداً وهو اول عمل يقوم به عالم من علماء الجزيرة العربية تجاه كتاب الصفة . . وقد مرض فسافر الى بيروت للعلاج فتوفى هناك وذلك سنة ١٣٧٧ . .

ويفقده فقدت البلاد عالما عربيا سعوديا كانت له اليد الطولى والريادة الاولى فى الاهتمام بتاريخ هذه البلاد وآثارها وتحديد موقعها معتمدا فى ذلك بعد الله على المشاهدة.



محمود العابدي

● ولد فى مدينة نابلس سنة ١٩٠٧م وتلقى فيها دراسته الابتدائية . . وفى سنة ١٩٢٣ التحق بدار المعلمين فى القدس وتخرج منها سنة ١٩٢٧ فعين مدرسا فى المدرسة الصلاحية الثانوية بنابلس ثم فى مدرسة بيت لحم، وبعدها عين مديرا لمدرسة الصواوين ـ الزاوية فى صفد وبقى بها الى نهاية الانتداب البريطانى

● اشترك سنة ١٩٢٨ فى مؤتمر الاندية الاسلامية الذى عقد فى يافا . . ونال فى سنة ١٩٣٤ الشهادة العليا لمعلمى مدارس فلسطين الثانوية .

● غادر العابدى فلسطين بعد النكبة الى الاردن فتقلد فى السلك التعليمى عدة مناصب كان آخرها منصب المفتش العام للتعليم الخامس فى وزارة التربية والتعليم، ثم عين مفتشا عاما لدائرة الاثار الاردنية ومديرا لدائرة الثقافة والفنون، وبعد احالته للتقاعد عين مستشارا ثقافيا فى امانة العاصمة بعمان .

● انتخب رئيسا لرابطة الكتاب الاردنيين فى سنة ١٩٧٥ وقد توفى فى عمان ودفن بها، ويعتبر الاستاذ العابدى واحدا من الرواد العرب فى فلسطين والاردن ومن اولئك الذين نذروا انفسهم للبحث عن الاثار والمحافظة عليها والتعريف بها كما ان له علاقات جيدة مع علماء الاثار والمهتمين بها من العرب والاجانب ومن هؤلاء الاستاذ عبد القدوس الانصارى رحمه الله وهو الذى زار الاردن وتجول بين آثارها سنة ١٣٨٦هـ الموافق سنة ١٩٦٦م وكان العابدى رحمه الله رفيقه فى تجواله بين آثارها وقد ترك فى نفس الانصارى اجمل الاثر.

● وللاستاذ العابدى رحمه الله ما يقرب من ثلاثين كتابا تتحدث كلها عن التاريخ والجغرافيا والاثار. . ومن كتبه عن الاثار:

(١) القصور الاموية سنة ١٩٥٨م
(٢) الحفريات الاثرية فى شرقى الاردن (١٩٢٧-١٩٦٢) سنة ١٩٦٤ .
(٣) مخطوطات البحر الميت سنة ١٩٦٧
(٤) الاثار الاسلامية فى فلسطين والاردن سنة ١٩٧٣
(٥) اجانب فى ديارنا سنة ١٩٧٤

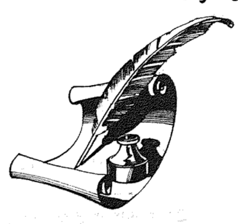
رحمه الله واسكنه فسيح جناته ونفع المسلمين بما انتج وما كتب

محمد صالح ضرار

● ولد فى شرق السودان حيث عاش معظم حياته وتعلم التعليم المتوفر فى زمانه وذلك حتى المرحلة المتوسطة فى مدينة سواكن، عندما كانت مدينة عامرة. . بعد ذلك التحق بوظيفة حكومية، وظل يتدرج فى السلك الوظيفى الحكومى الى أن تقاعد. . الى جانب ذلك فقد اهتم بثقافته الادبية والتاريخية واللغوية جدا وبأمور بلاده الاجتماعية والسياسية، فصار رئيسا لمؤتمر الخريجين بشرق السودان فى الثلاثينات.

● وشأنه شأن أمثاله من الرواد فى مجال التاريخ والاثار فقد كانت جهوده تأريخية تنصب على التأريخ الاسلامى والاثار الاسلامية واللغات غير العربية المنتشرة فى شرق السودان. . لذلك اهتم بتأريخ قبائل البجة وعلاقتها بالاسلام والعروبة ونزوح العرب الى السودان عن طريق مدينة سواكن الميناء والمدينة الاسلامية التى هجرت ومدن شرق السودان الاخرى كذلك ومملكة الفونج بسنار.

● الى جانب ذلك قام بجمع مادة علمية غنية عن لغات شرق السودان التى اتقنها وهى التبداوية (الهدندوية) والبنى عامرية (التيجرية)، بعد ان جاب المنطقة التى تنتشر فيها. . ولقد استفاد مما جمعه من مادة عدد من الباحثين الاوربيين الذين اتصلوا به فى زيارات كثيرة للسودان. . ويعتبر أهم ابحاثه مؤلفه بعنوان «تاريخ سواكن ومدن شرق السودان».







عيد سعيد

بمناسبة حلول عيد الفطر السعيد
يطيب لشركة ارامكو ان تتقدم
بأسمى التهاني وأجمل الأماني

إلى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود المفدي

وصاحب السمو الملكى الامير عبد الله بن عبد العزيز
ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطنى

وصاحب السمو الملكى الامير سلطان بن عبد العزيز
النائب الثانى لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام

وحكومة المملكة العربية السعودية الرشيدة
والشعب السعودى الكريم
اعاده الله على الجميع باليمن والبركات

ارامكو

(PRS-1-87)

مستشفى بقشان العام

في عهده الجديد

«. . تداووا فانَّ الله قد جعل لكلِّ داء دواء» . .

و«الصحـة تاج على رؤوس الأصحـاء لا يراه إلا المرضى» . . الصحة . . أغلى ما يملكه الانسان . .

وفى إطار هذا الجهد العظيم المبذول من أجل صحـة وعافية الانسان يستوقفنا «مستشفى بقشان العـام فى عهـده الجديـد» احد صروح العـلاج والتـداوى فى بلادنا الحبيبة . . وشدنا فيه بحق هذا العطـاء المخلص الجـاد فى مجالاتـه العـلاجيـة والخدمية . . فى تعـدد تخصصاتـه . . فى المعدات والأجهزة وقبل هذا كله الراحة النفسية التى يحسها المريض من أسلوب التعامل . . لا شك ان التعامل مع صحـة الانسان وعافيته مسؤولية عظمى تتطلب الـدقة والحرص . . ولتحقيق ذلك نجد «مستشفى بقشـان العـام» دائم التطلع للجـديد الذى أثبت جديتـه وجدارته فى مجال المخترعات العلمية الطبية وأجهزته الحديثة المستخدمة فى وسائل العلاج وإضافة الى ذلك فهو يتعامل مع أعلى الخبرات والكفاءات العلميـة من الأطبـاء والمستشـارين فى جميـع أقسام المستشفى المتخصصة . . وفى جولة سريعة فى أقسام المستشفى برفقـة سعادة الدكتور محمد شلبى تعرفنا على بعض أقسامه المتعددة التى تضم :

اقســام الجراحــة : ويشمـل أقسام جراحة : العظام والمفاصل ـ الأنف والأذن والحنجرة ـ العيون ـ المسـالـك البـوليـة ـ الامراض الجلدية والتناسلية ـ الأسنان ـ النساء والولادة . . وقد ألحق بقسم الجراحة العامة تحت اشراف الدكتور محمد شلبى قسم خاص للمناظير الطبية للجهاز الهضمى . . إضافة الى كافة المعـدات الطبيـة الاخـرى لعـلاج أمـراض الجهاز الهضمى والقـولـون والشـرج بأحـدث الطـرق العلميـة . . وأثنـاء جولتنا وقفنا على أحدث أجهزة الحيـاكـة الآليـة التى أجرى بها الأخصائيون أخطر العمليات فى أقصر وقت وبنتائج سليمة ومرضية دون تعرض المريض لأى خطر . .



د. حسن بادريق — د. محمد شلبى

قسم المسالك البولية : ويشرف عليه الدكتور سامى اسقف وقد زود كغيره من أقسام المستشفى باحدث الاجهـزة التى توصل إليها العلم الحديث مما امكن معها اجراء عمليات البروستاتا عن طريق المنظار دون اللجوء الى الجراحة التقليدية .

قسم أمراض القلب : ويشرف عليه الدكتور عبد الرحمن جميل عداس استشارى أمراض القلب وعضو الجمعية الأمريكية لتركيب منظمات القلب . . وكغير من اقســام المستشفى ضم العـديـد من الأجهـ والمعدات التخصصية منها : جهاز رسم القلب لـ ٢٤ ساعـة وتحليلهـا بواسطـة الكمبيـوتر . . واجو اختبار كفاءة القلب ووظائفه . . ويضم القسم عي خاصـة للامـراض الصـدريـة . . وامـراض الجهـ التنفس والصدر والربو والحساسية . . وبها معدا خاصة لقياس وظائف الرئتين .

قسم أمراض النساء والولادة: واوقفنا الدكتور محمد شلبي على آخر مستحدثات هذا القسم الذى يقوم فى خدمته متخصصون واستشاريون. . وتتم فيه عمليات الولادة من غير ألم عن طريق استخدام حقن الأبيديورال. . ويقدم هذا القسم خدماته الطبية للمرأة الحامل طوال مدة الحمل بمبلغ لا يتجاوز (٨٠٠) ريال سعودى. . ويشمل مراجعة الاطباء والتحاليل الضرورية.

وهناك قسم متخصص آخر لمعالجة الاطفال مزود بأحدث وسائل التقنيات الطبية. ولا ننسى المختبر والذى يعد من افضل المعامل المتقدمة فى المملكة.

قسم الطوارىء: ويقدم خدماته على مدى ٢٤ ساعة ويستقبل مختلف حالات الكسور والاصابات والحوادث العامة. . ويشرف على هذا القسم وقسم العظام الاستشارى الدكتور هانى ميخائيل استشارى العظام والمفاصل وله خبرة خاصة فى أمراض الركبة واجراء الجراحة عليها بواسطة منظار الركبة Arthroscope . .

هذا اضافة الى مجموعة من الاقسام المتخصصة الاخرى

● ولتوسيع دائرة العطاء العلاجى والخدمات



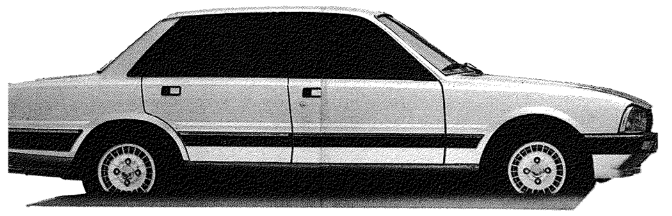
الطبية فقد افتتح مستشفى بقشان العام المرحلة الأولى من ملحقه الجديد. . ويشمل مجموعة عيادات خارجية نقلت إليها عيادات أمراض النساء والولادة.

والمستشفى يعمل تحت إدارة الدكتور حسن بادريق المدير العام. . وهو يبذل جهده مع مجموعة العاملين فى المستشفى لتقديم أفضل الخدمات الطبية. . ولا يمثل هذا الا استعراضاً عاماً لبعض أجهزة الاداء الطبى فى هذا المستشفى وقفنا عليها فى هذه الزيارة العاجلة.

ونسأل الله التوفيق لما فيه الخير دائما.

إعداد/ مصطفى محمد مصطفى





والأسد في الخارج ستبقى دائماً في الطليعة

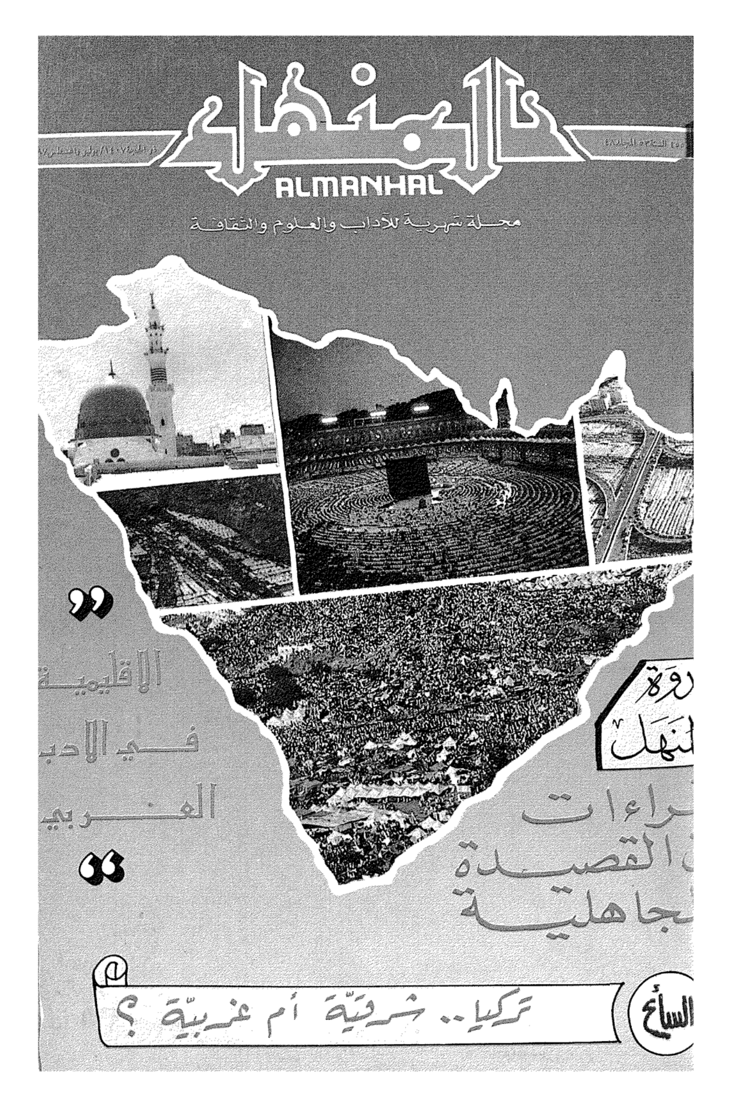
بيجو ٥٠٥ جي تي آي ؛ إجلس داخل هذه السيّارة الفاخرة الوثيرة وأعلم أنك داخل سيّارة في طليعة المنافسين.. سيّارة تميّزك عن الجميع.

وعندما تبدأ بالقيادة تدركُ أننا لم نبخل بأي تحسينات .. أنظر إلى لوحة أجهزة القياس، والمس أجهزة التحكّم وأشعر بقوّة المحرّك البخّاخ وهو يدفعك إلى الأمام.

وجرّب الأداء الممتاز واستمتع بالقيادة، وتحسّس الخطوط الأنيقة تشقّ الهواء.. عدّل مكيّف الهواء وأدر الموسيقى وأطرب لهذه التجربة الفريدة الفائقة في قيادة السيّارات.

سيّارة بيجو ٥٠٥ جي تي آي .. سيّارةٌ تجلبُ قيادتُها متعةً عظيمةً.. سيّارة تفخر بإقتنائها .. انها ليست سوى سيّارة بيجو.





المنهل
ALMANHAL
مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة
الاقليمية
في الأدب
العربي
القصيدة
تركيا.. شرقيّة أم غربيّة ؟



تقوم الحكومة ببذل مجهودات مادية وأدبية كبيرة تنوء دون تحقيقها عاليات الهمم وهذه المثالية المخلصة الناجحة فى المنجزات تنفرد بها دولتنا دون حكومات العالم المعاصر، عملا بأوامر البارىء جل وعلا فى حض المسلمين على التعاون على البر والتقوى مدى الأزمان ومدى الأجيال فقال جل من قائل فى محكم كتابه: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ . . وليس من ريب فى أن من أهم وجوه التعاون المنشود على البر والتقوى توفير الراحة والاستقرار للنفوس المؤمنة الحاجة فلواء الأمن العام يرفرف ليل نهار على ربوع هذه المشاعر العظام وعلى سائر البلاد السعودية بحمد الله المتعال، فلا غرو أن يؤدى الحجاج حجهم فى جو ملائم محفوف بازاهير المسرات ومشبع بروح السعادة والاستقرار والامن من الجوع والعطش والمرض فى هذا المحتشد الاسلامى العظيم الذى يقوم مهرجانه السنوى ومؤتمره العام فى آخر كل عام من أشهر الهجرة .

وقيام دولة مهد الاسلام ومهد العروبة بهذه المهمة الاسلامية الجليلة هو مما يثلج صدور المؤمنين ويشير الى أن تجديد الاسلام من أرض العروبة ومهد الاسلام ومن دولة العروبة والاسلام أمر محقق الوقوع، مشاهد بالعيان مشاد به فى التاريخ الاسلامى المجيد الحديث .

وكان من بواعث اقبال هذه الأفواج المتدفقة على هذه البلاد المقدسة فى كل موسم حج . . كان من بواعث ذلك عناية الحكومة السعودية المظفرة بهذه الشعيرة الاسلامية التى تجمع فى نطاقها الفضفاض جميع شعائر الاسلام من توحيد وصلاة وزكاة مال تتمثل فى الهدى والفدية وصوم عن الرفث والفسوق والجدال فيها لا يعنى وأداء فروض الصلوات الخمس وما فى الحج من صلوات أخرى .

عبد القدوس الأنصاري

الحجة ١٣٩٨ هـ

دار الأصفهاني للطباعة بجدة

بطاقة تقديم

وأهلّ ذو الحجة .. شهر كريم
وأيام مباركات .. ويتقاطر
الحجاج من كل مكان .. متجهين

إلى أول بيت وضع للناس ..
بيت الله الحرام ..
لبيك اللهم لبيك
لبيك .
القلوب عامرة بتقوى الله ،
والعيون دامعة من خشيته
واللسان يلهج
تبارك وتعالى ، " ألا بذكر
بذكره جل شأنه
الله تطمئن القلوب "

وتؤدى الشعائر
.. ربنا تقبل
منا .. ويعود

الحاج كيوم
ولدته أمه .!
يعود وقلبه
يجب .. ولسانه
يلهج .. لبيك
اللهم لبيك ..
في كل
مكان وآن ..

مجلة المنهل

المنهل

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

المملكة العربية السعودية - جدة

أسسها سنة ١٣٥٥هـ ١٩٣٧م

عبد القدوس الانصاري

صاحب المجلة
رئيس التحرير

نبيه بن عبد القدوس الانصاري

مدير الادارة والتحرير
زهير نبيه الانصاري

مستشار التحرير
د. عبد الرحمن الانصاري

مراسلونا فى الخارج
- القاهرة: د. احمد الحماوى
- عمان: روكس بن زائد العزيزى
- الرباط: عبد الرحيم عبد السلام
- تونس: د. نور الدين صمود
- انقرة: د. انور طاهر رضا
- الجزائر: د. بكرى عبد الكريم

- التحرير
السمانى كمال الدين
نادر صلاح الدين
- خطوط يعقوب السيد
- الجمع التصويرى
عبد الفتاح السيد سليمان
- الارشيف
الامين الصديق
- العلاقات العامة
مصطفى محمد مصطفى

معلومات ادارية

المركز الرئيسى
جدة - الشرفية
ص. ب: ٢٩٢٥
رمز بريدى: ٢١٤٦١
برقيا: المنهل
ت: ٦٤٢٧٨٣١
ت: ٦٤٤٧٧٩٤
ت: ٦٤٣٩٧٦٥
ت: ٦٤٣٢١٢٤
مكتب الرياض
السليمانية
ص. ب: ٢٩٠
ت: ٤٥٤٢٤٣٢

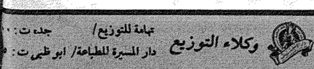
الاشتراكات
- قيمة الاشتراك السنوى للمؤسسات الحكومية ٢٠٠ ريال
- قيمة الاشتراك للافراد ١٥٠ ريال

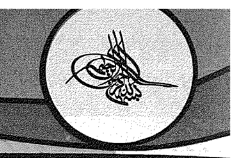
الاعلانات
تخاطب بشأنها الادارة
ت: ٦٤٣٢١٢٤

سعر النسخة
- السعودية: ٨ ريال
- البحرين: ٨٠٠ فلس
- قطر: ٨ ريال
- الامارات: ٨ دراهم
- اليمن: ٦ ريال
- الاردن: ٥٠٠ فلس
- مصر: ٥٠ قرشا
- تونس: ٦٠٠ مليم
- المغرب: ٦ دراهم
- موريتانيا: ١٠٠ أوقية

المجلة السعودية الأم

العدد ٤٥٥
ذو الحجة ١٤٠٧هـ - يوليو/أغسطس ٨٧





من كتاب هذا العدد

مقبل العيسى
الشيخ صالح اللحيدان
عبد الوهاب السنوسى
سباعى عثمان

مجلاتنا الداخلية







الأهرام للتوزيع/ القاهرة ت: ٧٥٥٥٠٠ ـ الشركة التونسية للصحافة/ تونس ت: ٢٤٢٤٩٩ ـ الشركة الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ت: ٢٤٥٧٤٥
الثقافة للطباعة/ الدوحة ت: ٤١٤١٨٢ ـ وكالة التوزيع الاردنية عمان ت: ٦٣٥١٥٢ ـ العربية للوكالات والتوزيع المنامة ت: ٢٥٥٧٠٦




نداء الحق

﴿وأذن فى النّاس بالحجِّ يأتوكَ رجالاً وعَلَى كلِّ ضامرٍ يأتين مِنْ كُلِّ فجٍ عميقٍ﴾ .

● ويدوّى الصوت فى الآفاق.. تستوعبه الأفئدة وتدركه البصائر وتحتضنه الضمائر.. تنشط لأدائه الأعضاء حتى وان بلغت سن الشيخوخة.. ذلك الذى يتوكّأ على عصاه يظل يحمل هذا الحلم الجميل بين جوانحه وعينيه.. وينتظر لحظة ان يهيىء الله سبحانه له هذه الفرصة.. وتجده لحظتها كأنما فُكَّ من عقال.. نَشِط النفس والروح.. لا تمنعه شيخوخته من تلبية هذا النداء **(لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك)**..

● نداء سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام مبلغاً دعوة. الحق ينسكب فى سمع الوجود فيسمعه الدانى والقاصى.. ويستجيب.. يستجيبون لنداء الحق.. ويأتون.. يأتون وهم سعداء بما ينفقونه من مال.. سعداء بما يلاقون من وعثاء السفر.. سعداء رغم ما يجدونه فى داخلهم من حنين البعد عن الأهل والأبناء.. رغم كل ذلك فهم سعداء.. وجوههم تنضح إشراقاً وبشرا.. لِمَ لا وهم فى رحاب مكة المكرمة وفى رحاب البيت العتيق **﴿إنَّ أوَّل بيت وُضِعَ للنّاس للذى ببكة مُباركاً﴾**. فى رحاب ضيافة الرحمن.. فى رحاب أرض استقبلت رسالة السماء ونور الحق وأقباس الايمان والهدى..

● فى هذا الرحاب **(البيت العتيق)** التقت أرواحهم - دعواتهم - تكبيرهم - فى كل صلاة فى كل يوم بل فى كل لحظة.. والآن يلتقون ويلتفون حول الكعبة المشرفة قلباً وقالباً.. ويظل جوف هذا الوادى يردد صدى اصواتهم حيث تحلق جميعها متعانقة فى جو السماء وتصعد كلماً طيباً وعملاً صالحاً بإذن الله سبحانه.

● الى هذه الرحاب يأتون وقد تجردوا من كل ما يخالف معانى الاخاء والوفاء - التواضع - البذل والسخاء - الألفة والمحبة.. الى آخر هذه المعانى التى يقيمها الايمان شامخة فى نفوس المؤمنين وتصدقها أعمالهم..

وهنا يلتف المؤمنون وقلوب المؤمنين فى طواف أبدى.. طواف تبدأ دائرته فى مساحة دائرة الطواف حول الكعبة المشرفة.. ثم تنداح الدائرة وتتسع.. عبر قلوب المؤمنين فيدخل فى دائرتها كل من يقيم الصلاة مستقبلاً القبلة من جميع انحاء المعمورة.. وهكذا يكون اللقاء.. معانٍ لو استوعبها المسلمون لما ضعفوا وما استكانوا..

●● ومن يؤم هذه الرحاب الطاهرة تتوارد على خاطره ذكريات وخواطر تظل تتلاحق بين عينيه.

● سيدنا ابراهيم الخليل - عليه السلام - يُودِعُ (البيتَ) فلذة كبده (اسماعيل وامه) ويتجه الى الله سبحانه خاشعاً متضرعاً **﴿ربنّا إنى أسكنْتُ من ذريتى بوادٍ غير ذى زرع عند بيتكَ المحرَّم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعلْ أفئدة من الناس تهوى اليهم**

وارزقهُمْ من الثمراتِ لعلهم يشكرونَ﴾.

● والسيدة هاجَر يلهب قلبها صراخ وليدها.. وتديم السعى بين الصفا والمروة علّها تعثر على ما يطفىء عطش وليدها فى تلك الهاجرة ووسط هذا الوادى القاحل الا من رحمة الله سبحانه.. وتجيىء الرحمة فيض ماء بين يدى الطفل فاذا هى بئر زمزم.. ويبقى سعيها شعيرة من شعائر الحج والعمرة.. ويبقى ماء زمزم (طعام الطعم وشفاء السقم).

ويظل مقام ابراهيم مصلى ﴿واتخذوا من مقام ابراهيم مُصلًى..﴾.

●● ويسترجع الخاطر تلك الرؤيا الخالدة.. ﴿يا بُنَىَّ إنى أرى فى المنام أنِّى اذبحُكَ فانظرْ ماذا ترى..﴾ ابنه قطعة نفسه وفلذة كبده.. لكنه عزم النبوة فلا يتردد فى التضحية.. انه صدق الايمان.. وتجيبه الطاعة الراضية من ابنه اسماعيل ﴿قال يا أبت افعلْ ما تُؤمَر ستجِدُنى إن شاء الله من الصابرينَ﴾.. وتتجلى رحمة الله سبحانه فى الفداء ﴿وناديناه أنْ يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين - ان هذا لهو البلاء المبينُ وفديناه بذِبْحٍ عظيم﴾.. وتخلد سنة متمثله فى الأضحية يوم النحر.

ويختارهما الله سبحانه لرفع القواعد من البيت.. وتطهيره للطائفين والعاكفين والركَّع السجود.

●● وفى هذه السلسلة النورية يأتى سيد ولد آدم وصفى الله من خلقه صاحب الشفاعة سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾.. ينشأ ويترعرع فى مكة المكرمة وحول البيت العتيق.. ويرفع الحجر الاسود بيديه الكريمتين ويضعه موضعه يوم اشتد النزاع حول من يكون له شرف وضعه فى مكانه.. وهنا يتلقى الوحى ويصدع بكلمة الحق ويلاقى ما يلاقى ويصبر ويحتسب بل يقول لمن آذوه (**اذهبوا فانتم الطلقاء**).

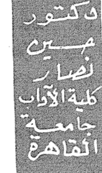
● وتتألق الاحداث لتوحد بين المسلمين ﴿ملة أبيكم إبراهيم هو سماكُمُ المسلمين﴾.

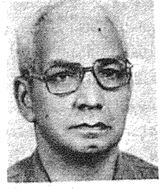
القلوب المؤمنة تهفو الى هذه الرحاب الطاهرة:

هنا طاف سيدنا رسول الله ﴿ﷺ﴾.. وهنا قبَّل الحجر وبكى.. ذرف الدمع مدرارا.. ومن ورائه عمر رضوان الله عليه يبكى.. (**هنا تذرف العبرات يا عمر**).. وهنا سعى سيدنا رسول الله.. وهنا رمى الجمرات وفى عرفات هذا الوادى وقف ورفع يديه بالدعاء.. الصحابة والتابعون والصالحون من عباد الله كلهم وقفوا هذه المواقف جميعها.. النفس المؤمنة لها شفافيتها التى تريها بنور الله سبحانه.. فلا غرو ان وقف ضيوف الرحمن هذه المواقف وتواردت فى خواطرهم كل هذه المشاهد الايمانية ما دام هذا النداء (لبيك اللهم لبيك) يرتفع من الاعماق صادقاً.. وما دام الحاج محتسباً راجيا فضل الله ورحمته.. طامعاً فى رضوانه.. والله نسأله القبول وهو المستعان.

نبيه الأنصاري

مكانة الحـ





استعمل القرآن الكريم عدة ألفاظ للدلالة على الحق وما يقابله.. واذا بدأنا بكلمة الحق وجدنا اللغة العربية تطلقها على الواجب أو نقيض الباطل.. يُقال حقَّ الأمرُ أى وجب وصح وثبت، وحقَّ عليك ان تفعل كذا أى وجب وساغ.. ومن ثمَّ صار الحقّ والحِقه النصيب الواجب للفرد أو الجماعة وحقيقة الأمر: كنهه وخالصه ومحضه والحقيقة: الشىء الثابت يقينا.

واذا قصرنا النظر على القرآن وجدناه أكثر من استعمال كلمة الحق ومشتقاتها فى معان متعددة نلتقط منها التالى، وهو ما يعنينا فى مقامنا هذا.

● **أول المعانى** التى تعنينا نقيض الباطل.. قال تعالى: **﴿ويَمْحُ الله الباطلَ ويُحقُّ الحقَّ بكلماته إنَّه عليمٌ بذاتِ الصدور﴾** (سورة الشورى٢٤) وقال: **﴿ولا تَلْبِسُوا الحقَّ بالباطل وتكْتُموا الحقَّ، وأنتم تعلمون﴾** (سورة البقرة ٤٢).

● **والمعنى الثانى** الدين أو الشريعة.. قال سبحانه فى الآية ٢١٣ من سورة البقرة **﴿فبعث الله النبيينَ مُبشرين ومُنْذِرين وأنزل معهُمُ الكتابَ بالحقِّ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه﴾** وفى الآية ١٠٥ من سورة النساء: **﴿إنَّا أنزلنا إليك الكتابَ بالحقِّ لتحْكُمَ بين الناس بما أراك الله﴾**.. ولعل الآية ٩ من سورة الصف تؤيد ذلك، قال تعالى: **﴿هو الذى أرسلَ رسولَه بالهدى ودين الحقِّ ليُظْهِرَه على الدِّين كلِّه ولو كَرِه المشركون﴾**.

■ وأعلن القرآن أن الله يحكم بالحق بين الناس فى يوم الحساب، قال تعالى فى الاية ٢٦ من سورة سبأ: **﴿قل: يجْمعُ بيننا ربُّنا ثم يَفْتحُ بيننا بالحقّ، وهو الفتّاح العليم﴾** وقال فى الآيتين ٦٩ و٧٥ من سورة الزمر: **﴿وجيىء بالنبيين والشهداء وقُضى بينهم بالحقِّ وهم لا يُظلمون.. وترى الملائكة حافين من**



حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق﴾ وقال فى الاية ٧٨ من سورة غافر: ﴿فاذا جاء أمرُ الله قُضى بالحق وخسِرَ هنالك المبطلون﴾.

■ واعلن أن اللوح المحفوظ لديه سبحانه، مسجلا صحيفة أعمال كل شخصٍ يحتوى على الحقائق قال فى الآيـة ٦٢ من سورة (المؤمنون): ﴿ولدينا كتابٌ ينطق بالحق، وهم لا يُظلمون﴾.

وأثنى على مَنْ يتمسكون بالحق ويتخذونه إماما فى أحكامهم قال فى الآية ١٨١ من سورة الاعراف: ﴿وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾.

ولذلك أمر أكثر من مرة بالحكم بالحق.. قال فى الآية ٤٨ من سورة المائدة: ﴿فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تَتَّبع أهواءهُم عمَّا جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شِرْعة ومنهاجا﴾.. وفى الآيتين ٢٢ و٢٦ من سورة ص: ﴿قـالـوا: لا تخفْ خصمان بَغَى بعضُنا على بعضٍ، فاحكم بيننـا بالحق ولا تُشْطِطْ واهدنا الى سواء الصـراط.. يا داود: إنـا جعلنـاك خليفة فى الارض فاحكم بين النـاس بالحقِّ ولا تَتَّبـع الهوى فيُضلَّك عن سبيل الله إنَّ الذين يضلُّون عن سبيل الله لهم عذابٌ شديدٌ بما نَسُوا يوم الحساب﴾.

ويصل الاستعـمال القـرآنى الى القمة عندما يجعل الحق واحدا من أسماء الله أو صفاته فيقول فى الآية ٣٠ من سورة لقمان: ﴿ذلك بأن الله هو الحقّ﴾ وفى الآية ٢٥ من سورة النور: ﴿يومئذ يُوَفِّيهم الله دِيْنهُمُ الحقّ ويعلمون أن الله هو الحقّ المبين﴾..

● والمادة اللغوية الثانية التى يكثر دورانها فى القرآن هى الظلم.. اما بقيـة المـواد مثل القسط والعدل والبـاطـل والشطط، والضلال والاسراف فتقل عن المادتين السابقتين فى المعانى التى تتصل بها نعالجه.. وعنـدمـا نجمعها نجدها تؤكد الصور التى أعطتنا إياّها مادة الحق وتكملها بصور أخرى.

فقد قرر القرآن أن الانسان ظالم بطبيعته.. قال تعالى فى الآية السادسة من سورة الرعد: ﴿وانَّ ربَّك لذو مغفـرة للنـاس على ظلمهم وان ربـك لشـديـدُ العقـاب﴾ وفى الآيـة ٣٤ من سورة ابراهيم ﴿إنَّ الانســان لظلوم كفَّـار﴾ وفى الآيـة ٧٢ من سورة الاحزاب: ﴿إنَّه كان ظلوما جهولا﴾.

●● ووصف مَنْ يتجاهلون ما أنزله الله من شريعة فى احكامهم بالظلم.. قال فى الآية ٤٥ من سورة المائدة: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾.



■ واعلن ان الله يحب العادلين ويكره الظالمين. . قال فى الآيتين ٥٧ و١٤٠ من سورة آل عمران: ﴿والله لا يحب الظالمين﴾ وفى الآية ٤٠ من سورة الشورى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين﴾ وفى الآية ٨ من سورة الممتحنة: ﴿ان الله يحب المقسطين﴾.

وبشر العادلين بالثواب والظالمين بالعقاب. . قال فى الآية ٤٢ من سورة ابراهيم: ﴿ولا تَحْسَبَنَّ الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصارُ مُهْطِعين مُقْنِعِى رؤوسهم﴾ وفى الآيتين ١٤ و١٥ من سورة الجن: ﴿وأنَّا منا المسلمون ومنا القاسطون فَمَنْ أسلم فأولئك تحرَّوا رَشَدا. . وأما القاسطون فكانوا لجهنَّم حطبا﴾ وفى الآية ٤٢ من سورة الشورى: ﴿إنَّما السبيلُ على الذين يظلمون الناسَ ويبغونَ فى الارض بغَيْرِ الحقِّ أولئك لهم عذاب أليم﴾.

وامر بالعدل فى جميع أجزاء القرآن. . قال فى الآية ٤٢ من سورة المائدة: ﴿وإن حكمت فاحكُم بينهم بالقسط. . انَّ الله يُحِبّ المقسطين﴾ وفى الآية ٩ من سورة الرحمن: ﴿وأقيموا الوزن بالقسط ولا تُخْسِروا الميزان﴾.

وخص فئات معينة بالذكر لأن عدالة الحكم تصعب لها أو عليها فذكر العدالة نحو الضعفاء الذين لا يستطيعون الدفاع عن حقوقهم فى الآية ١٢٧ من سورة النساء: ﴿وأن تقوموا لليتامى بالقسط﴾ ونحو من يبغضهم الانسان فى الآية ٨ من سورة المائدة: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط، ولا يجرمنكُم شنئآن قوم عليَ ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى، واتقوا الله إنَّ الله خبيرٌ بما تعملون﴾ ونحو غير المسلمين فى الآية ٨ من سورة الممتحنة ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم: أن تبروهم وتقسطوا اليهم إن الله يُحِبّ المقسطين﴾وعلى النفس والاقرباء المقربين قال فى الآية ١٣٥ من سورة النساء: ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوَّامين بالقِسْطِ شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبِّعوا الهوى أنْ تَعْدِلوا وإنْ تلووا أو تُعْرضوا فإنَّ الله كان بما تعملون خبيرا﴾.

وأخيرا كرر القرآن أن الله سيحاسب كل انسان بالعدل المطلق يوم الحساب قال فى الآيتين ٤٧ و٥٤ من سورة يونس: ﴿ولكلِّ أمة رسول فإذا جاء رسولُهم قُضِيَ بينهم بالقسط. وهم لا يُظلمون. . ولو أنَّ لكلّ نفس ظلمتْ مافى الأرض لافتدت به وأسرّوا الندامة لمَّا رأوا العذابَ، وقُضِيَ بينهم بالقسط وهم لا يُظلمون﴾ وقال فى الآية ٢٨١ من سورة البقرة: ﴿واتقوا يوما تُرْجعَون فيه الى الله ثم تُوفَّ كلُّ نفسٍ ما كَسَبتْ وهم لا يظلمون﴾.

فالله لا يظلم البشر قال تعالى: ﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ (آل عمران ١٨٢ والانفال ٥١، والحج ١٠) بل لا يريد الظلم أصلا. . قال تعالى فى الآية ٣١ من سورة غافر: ﴿لا يريد الله ظلما بالعباد﴾.

ومنتهى كل ذلك ان الله هو العدل المطلق الذى لا تتطرق إليه أصغر شائبة من ظلم. . قال تعالى فى الآية ١١٧ من سورة آل عمران: ﴿وما ظلمهُمُ الله ولكنْ أنْفسَهُم يَظْلمُون﴾ ويتردد هذا المعنى فى آيات كثيرة تنتشر فى جميع أنحاء القرآن.

وقال فى الآيات ٤٠، ٤٩، ١٢٤ من سورة النساء: ﴿إنَّ الله لا يظْلم مثقال ذرة﴾. . ﴿ألم تر الى الذين يُزكُون أنفسهم بل الله يُزكيِّ مَنْ يشَّاء ولا يُظلمون فتيلا﴾. . ﴿ومن يعمل من الصالحاتِ من ذكر أو أنثى وهو مؤمن

فأولئك يدخلون الجنة ولا يُظلمون نقيرا﴾ وفى الآية ٤٤ من سورة يونس: ﴿إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسُهم يَظْلمون﴾ وفى الآية ٤٩ من سورة الكهف ﴿ووضِعَ الكتابُ فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون: يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يَظْلِمُ ربُك أحدا﴾.

وإذا كان القرآن يعطينا الأمر الألهى بالتزام الحق الذى قد يلتزمه المؤمنون التزاما تاما وقد ينحرف عنه بعض المسلمين أو كثير منهم انحرافا قريبا أو بعيدا فان أحاديث الرسول وأقوال المسلمين تكمل الصورة وتوضحها. فالجمع بينها إنما هو جمع لتصور الاسلام وتصور المسلمين معا وهدف الاسلام ومطمع المسلمين ايضا.

واكتفى من الأحاديث النبوية بما رواه البخارى من قوله ﴿ﷺ﴾: «الظلم ظلمات يوم القيامة»(١) ووصيته لمعاذ بن جبل: «اتق دعوة المظلوم فانها ليس بينها وبين الله حجاب»(٢).

وإذا انتقلنا الى الساسة الذين حكموا المجتمع الاسلامى، وبدأنا بالخلفاء، استوقفنا عمر بن الخطاب الذى جسد العدالة فى أفعاله وأقواله معا(٣).

وكان لنا الحق أن نقف معجبين أمام على بن أبى طالب وهو يجود بأنفاسه من ضربة السيف التى وجهها اليه عبد الرحمن بن ملجم ولا تشغله آلامه عن القول لمن حوله: «يا بنى عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون فى دماء المسلمين خوضا، تقولون: قتل أمير المؤمنين فلنقتل بدمه الكثير ألا لا تقتلن بى إلا قاتلى.. انظروا إذا أنا مِتّ من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة ولا يمثل بالرجل فإنى سمعت رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقول: إياك والمثلة ولو بالكلب العقور»(٤).

وقال معاوية بن أبى سفيان أول خلفاء بنى امية: «انى لأستحى أن اظلم من لا يجد على ناصرا إلا الله»(٥).

وكتب أحد ولاة عمر بن عبد العزيز إليه يستأذنه فى تحصين مدينة حمص فكتب اليه: «حصنها بالعدل وَنَقِّ طرقها من الظلم»(٦).

وقال أبو جعفر المنصور، الذى يعد المؤسس الحقيقى لدولة بنى العباس، يوما لجلاسه: ما أحوجنى الى أن يكون على بابى أربعة نفر هم أركان الملك ولا يصلح الا بهم كما لا يصلح السرير إلا بأربع قوائم.. فقيل له: من هم يا أمير المؤمنين قال: قاضٍ لا تأخذه فى الله لومة لائم وصاحب شرطة ينصف الضعيف من القوى وصاحب خراج يستقصى ولا يظلم الرعية فإنى عن ظلمها غنى، والرابع.. وتوقف وعضّ إصبعه السبابة ثلاث مرات وهو يقول فى مرة آه.. فقالوا من هو؟ قال: صاحب بريد يكتب بخبر هؤلاء على الصحة(٧).

وقال أيضا ينصح ابنه المهدى: «الرعية لا يصلحها الا العدل، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة وأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه»(٨).

وقال المهدى للربيع بن أبى الجهم واليه على أرض فارس: يا ربيع آثر الحق والزم القصد وأبسط العدل وارفق بالرعية، واعلم ان أعدل الناس من أنصف من نفسه وأظلمهم من ظلم الناس لغيره(٩).

وآن لنا ان نترك الخلفاء إلى رؤوس المجتمع الذين تدون أقوالهم.

خطب سعيد بن سويد بحمص فقال: «أيها الناس: ان للاسلام حائطا منيعا وبابا وثيقا، فحائط الاسلام الحق، وبابه العدل، ولا يزال الاسلام منيعا ما اشتد السلطان. وليست شدة السلطان قتلا بالسيف ولا ضربا بالسوط ولكن قضاء بالحق واخذا بالعدل».

الواقع الاسلامي

ما أحوج المسلمين فى العصر الحالى إلى صياغة اسلامية جديدة لمقتضيات العصر وقضاياه على هدى الاسلام ووفقا لأساليبه ومناهجه. . فلا يمكن اقناع العالم بأن يقال ان حقوق الانسان تكفى فى توضيحها وتفصيلها آية ذكرت فى القرآن كرمت بنى آدم. . قال تعالى: ﴿**ولقد كرمنا بنى آدم**﴾ وان بقيت الآية فى الأصل الجامع الخالد الذى تستنبط منه جميع الصيغ المختلفة. . ولن يقنعه أن فى القرآن الكريم آيتين عن الشورى فى الاسلام.

قال تعالى: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ وقال أيضا: ﴿وشاورهم فى الأمر﴾ - بل لابد من توضيح طبيعة هذه الشورى. . وتحديد مجالاتها. . والأجهزة التى تقوم بتنفيذها. . كما ان العالم فى حاجة الى توضيح معنى تحريم الربا لا بالنصوص القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة فحسب - بل لابد من وضع تصور كامل للمعاملات الاسلامية الواقعية التى ورد عليها التحريم وحكمة التحريم وأثره على الأوضاع المالية والاقتصادية التى تتعامل به وأثر ذلك على المؤسسات الرأسمالية والمصرفية والتأمينية وأساليب تنشيطها حتى تكون المقارنة على بينة ويصدر الحكم بقبولها أو رفضها على بيّنة من الدين.

كما لا يستطيع المسلم أن يقبل ما يكون مقبولا من البعض فى الماضى مما تداولته بعض الشعوب الأسلامية فى جين من الزمن. . بالاحرى فى وقت الاستعمار السياسى والاستعمار الاقتصادى وأصبح شيئا متعارفا عليه مثل: تطبيق بعض القوانين الوضعية التى تتنافى مع الشريعة الاسلامية أو تتناقض مع واقع الحياة الاسلامية بل لابد من العودة الى منابع الشريعة الاسلامية وجذورها الأصيلة - القرآن الكريم والسّنة النبوية المطهرة

والمسلمون فى واقعهم اليوم يتعاملون مع مناهج وقوانين وضعية تتنافى مع التشريع الاسلامى مما يتطلب اعادة النظر فيها لاقامة شرع الله سبحانه فى الحياة وهو كفيل بتنظيم مسار الحياة الانسانية من كل جوانبها المادية والروحية.

ان التقليد للغرب أو للشرق مذموم. . ولكن الاصالة مطلوبة فى معالجة اجتهادات المعاصرين من المسلمين واجتهادات الاسلاف سواء بسواء وذلك بعد التمحيص والتعمق واقامة الدليل لكل قديم وجديد.

لامي ولغة العصر

بقلم

عبدالفتاح محمد المدني

التغيير.. والتطوير.

ان الاسلام ليس جامدا ولكنه وُضِعَ ليبقى الى يوم القيامة ـ ويسعى الى تعمير الكون.. وهذا هو المدخل لمعالجة الازمات الاقتصادية والاجتماعية التى يعانى منها المسلمون اليوم.. وحتى يمكن تنمية الكون وتعميره لابد من الالتزام «بالآليات» التى تساهم فى هذا النمو والتى تتمثل فى «القوانين الاقتصادية» التى تعتمد على التجربة العملية الدقيقة.. ولا يمكن لنا أن نستخدم هذه القوانين إلا اذا استخدمنا المنهج العلمى..

قال تعالى ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾.. ولكى نحقق اهدافنا فى الحياة لابد أن نأخذ بنواميس الطبيعة التى سخرها لنا المولى سبحانه وتعالى وان نستخدم أحدث اساليب التقنية المتقدمة لاستنباط الغذاء الذى يكفى المسلمين ويحقق لهم الأمن والأمان والطمأنينة.. ويقوى عزيمتهم ويشد من أزرهم ليؤدوا فرائض الله سبحانه وتعالى.. وهذا لن يتم ما لم يطوروا ويوجهوا جزءاً عظيما من جهدهم نحو تشكيل أوضاعهم الاجتماعية تشكيلا يعينهم على مواصلة السعى الذى لا يفتر بالعمل المنتج الخلاق وذلك بتشجيع الأجيال الجديدة من المسلمين على الاقبال على الحياة بحماس وأمل ورغبة فى التقدم والنماء.

دور العقل

إن العقل البشرى الذى استطاع أن يصنع لنا الدواء للعلاج.. ووسائل النقل المختلفة للتنقل والسفر.. ويصنع الكهرباء للانارة.. والأدوات الكهربائية المتقدمة لنسمع ونرى ما يحدث فى العالم من حولنا حتى غدا العالم كقرية واحدة.. تسمع وانت فى مدينة الرياض من يتكلم فى جدة والقاهرة ولندن وواشنطون.. بل وبامكانك أن تشترى وتبيع من طوكيو وانت جالس فى جدة.. كل هذا تم بارادة الله سبحانه وتعالى وبإعمال العقل البشرى فى بناء تقدم الأمم والشعوب..

القوى الاسلامية الكامنة

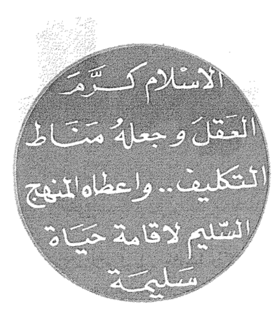
لقد تغيرت الظروف فى العالم الاسلامى فى الفترة



الاخيرة تغيرا كبيرا . . فهو يمثل موقعاً متوسطاً بين قارات العالم القديم ـ بل أكاد أقول: إن العالم الاسلامى يمثل قارة وسطى تمتد اجنحتها ما بين المحيطين الأطلسى والهادى ولها ثغورها الأمامية فى قلب افريقيا وجنوب شرق اسيا وأوربا الآن . . ومع تطور الطيران اصبح العالم الاسلامى جسما متصلا . . ويملك أقمارا صناعية . . وله جاليات اسلامية فى كل انحاء العالم . . وتفجر البترول فى أرضه . . فاعتبره ثروة جديدة من اعماق الارض واختباراً جديداً للانسان المسلم ـ أى ان المسلمين اليوم يملكون أسباب القوة الاقتصادية والتى تتمثل فى «موقع وسط» . . والطاقة والثروة التى تكمن فى الارض الصالحة للزراعة . . والغابات المنتشرة على ربوعها صالة للمراعى . . كما ان هناك المعادن المتنوعة والاسمدة . . والبشر . . وهى كلها محتاجة الى صياغة وتصور جديد لصناعة الحياة والتقدم والازدهار.

التحدى . . والتخطيط

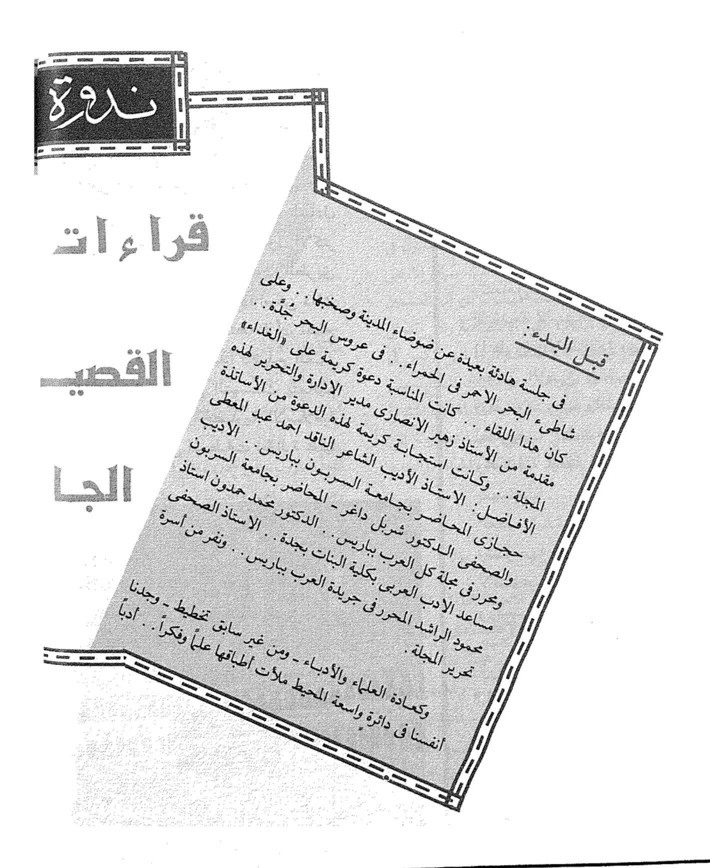
ان الدول الاسلامية تملك اليوم استقلالها السياسى والاقتصادى كما أن لديها كثيرا من العلماء فى مجالات العلم المختلفة فى كل انحاء العالم . . وعليهم فى المرحلة الحالية والمستقبلية أن يستفيدوا من هذه العناصر ليحققوا طموحاتهم بالعلم وبذل الجهد والديار الاسلامية منذ الأزل غنية بمواردها البشرية ـ بل أكاد أقول انها منطقة الابداع وهى من قبل ذلك كانت منطقة التكوين ومنطقة التحدى الحضارى ـ بل أن القرن الخامس عشر الهجرى يعتبر قرن التحدى الكبير للارادة الاسلامية . .



فهذا البترول ـ الى حين ـ وافر الانتاج قصير العمر . . وهذه الزراعة والصناعة محدودة الانتاج طويلة العمر . . فالنفط له قدر معلوم . . ومطر السماء ينزله الله بقدر معلوم ففى هذه الفترة الراهنة يلتقى على ارض الاسلام (المستمر . . والمحدود) ومجال التحدى هو التخطيط للاستفادة بهذه الامكانات التى انعم الله بها على عباده المسلمين خاصة وأننا نمر بمنعطف تاريخى هو مجمع القوى الاسلامية حيث **«قوى الاستمرار وذروة التركيز»** . . وهذا يتطلب تنسيق العلاقة بين المتخصصين فى الاقطار الاسلامية ومزيدا من التعاون والتكامل والتضامن الاسلامى . . والربط بينهم وبين المراكز الاسلامية المتقدمة فى العالم الغربى من خلال خطة شاملة وتخطيط علمى مدروس.

فإذا امكن وضع الخطط التنموية اللازمة لكل دولة اسلامية والتنسيق بينها وبين الخطط التنموية للدول الاسلامية مجتمعة ـ ولن يتم ذلك إلا بانشاء «بنك معلومات اسلامى» يمد كل المخططين فى هذه الدول بالمعلومات اللازمة لزيادة التبادل التجارى ودعمه . . ومساندة الدول الاكثر نمواً للدول التى مازالت فى اول الطريق لتحقيق مصلحة الطرفين ـ إذا امكن ذلك وصبرنا وخلصت النية استطعنا أن نضع تصورا اسلامياً جديدا لتقدم العالم الاسلامى يقوم على التمسك بتعاليم الاسلام والاصالة الحضارية الاسلامية وعلى الاستفادة من المعطيات الحالية محليا وعالميا .

وصفوة القول : إن الدول الاسلامية بامكاناتها المادية والبشرية الهائلة لابد ان تستوعب معطيات العصر وتتفاعل مع المجتمع الدولى مع المحافظة على حضارتها وعقيدتها الاسلامية وتتعامل مع المراكز العلمية المتقدمة لاستيعاب التقنية المتطورة والاستفادة منها فى تحقق الأمن الغذائى وتطويرها وتطويعها لظروفنا الاسلامية . . ومخاطبة العالم بلغته التى يفهمها . . وتوضيح القضايا الاسلامية وشرحها باساليب علمية لاقناعه بعدالة الاسلام ورفعته ولكونه يحمل صلاح البشرية ونهضتها ورقيها ـ خاصة انه وضع التوازن العملى والمنطقى للنواحى المادية والنواحى الروحية ليتحقق التعادل فى الحياة لأنه من لدن حكيم عليم .



قراءات
القصي
الجا

قبل البدء:

فى جلسة هادئة بعيدة عن ضوضاء المدينة وصخبها.. وعلى شاطىء البحر الاحمر فى الحمراء.. فى عروس البحر جُدَّة.. كان هذا اللقاء.. كانت المناسبة دعوة كريمة على «الغداء» مقدمة من الأستاذ زهير الانصارى مدير الادارة والتحرير لهذه المجلة.. وكانت استجابة كريمة لهذه الدعوة من الأساتذة الأفاضل: الاستاذ الأديب الشاعر الناقد احمد عبد المعطى حجازى المحاضر بجامعة السربون بباريس.. الاديب والصحفى الدكتور شربل داغر - المحاضر بجامعة السربون ومحرر فى مجلة كل العرب بباريس.. الدكتور محمد حمدون استاذ مساعد الادب العربى بكلية البنات بجدة.. الاستاذ الصحفى محمود الراشد المحرر فى جريدة العرب بباريس.. ونفر من أسرة تحرير المجلة.

وكعادة العلماء والأدباء - ومن غير سابق تخطيط - وجدنا أنفسنا فى دائرة واسعة المحيط ملأت أطباقها علماً وفكراً.. أدباً

المنهل

فـ

ـــدة

هلية

وفنا.. شعرا ونثرا.. وهل سرقنا الزمن ام سرقناه.. لا ندرى.. ولكنا تلفتنا حولنا فإذا بالمكان ليس فيه سوانا والشمس كادت تغرب..

كان مدار الحديث فى مجمله ـ سوى ما يقطعه من متفرقات عن **(القصيدة الجاهلية)** من حيث مضمونها وتركيبها ودلالاتها.. ورموزها **الطلل ـ الخصب ـ الجدب ـ المرأة ـ الوجود ـ الغياب ـ العودة.. الزمن.. المكان.. الحياة.. ما بعد الموت.. اللغة.. اللهجات.. الرواة.. الشك.**

كان الحديث خصبا والنقاش ممتعا.. والإشعار بالزمن يقحمه فى آذاننا عمال المطعم بمجيئهم وذهابهم.

الحديث ليس مرتباً من حيث جزئيات موضوعه فقد جاء بطبيعته غير معدّ ولا مرتب له من قبل.. قول من هنا واستدراك من هناك ورأى آخر ومثيله.. الخ.. وهكذا وددنا ان نسجله على هذه الصفحات على ما كان عليه.. هكذا كما كان من غير ادخال اى تعديل عليه سوى ما يتعلق بالصياغة فى بعض الفقرات.

- القصيدة الجاهلية تمثل دورة الحياة والموت ..
- المرأة فى القصيدة الجاهلية تمثل إلهة الخصب

حجازى

فى المهرجان الوطنى الثالث للتراث والثقافة الذى أقامته المملكة العربية السعودية فى شهر رجب ١٤٠٧هـ الموافق لشهر مارس ١٩٨٧م. . قدم الأستاذ احمد عبد المعطى حجازى ورقة عمل بعنوان **(القصيدة الجاهلية أغنية فولكلورية)** كما قدم الدكتور شربل داغر ورقة عمل بعنوان **«اهمية الموروث الشعبى فى الاعمال الابداعية»**.

●● والقصيدة الجاهلية اجتذبت النقاش حولها. . وكان البدء من أطلالها. . وفى البدء طرح الدكتور حمدون فكرة أننا لو أخذنا الاطلال كموقف من الزمن وليست مجرد مطلع للقصيدة الجاهلية من المؤكد انها ستعطينا أبعاداً اخرى. . اعمق مما نجده الآن. .

دورة القصيدة

الاستاذ/ حجازى: فى رأيى ان الاطلال تمثال للجدب والمحل والجفاف ـ الموت. . وعند قراءتك لقصيدة عبيد بن الابرص.

أقفر من أهله ملحوب
فالقُطْبيَّات فالذُّنوب

تجد انه يبدأ من الاطلال ويتدرج الى الكلام عن الموت مباشرة. . والكلام عن الغياب. . ثم يصل الى اكمال الدورة بسقوط المطر ونجده يتحدث عن المطر الذى يمثل الخصب أو الحياة ـ ومن هنا نجد القصيدة الجاهلية تمثل (دورة الحياة والموت).

وهنا يمكن القول بان العقائد الجاهلية القديمة هى امتداد لعقائد البحر المتوسط التى تقوم فى جوهرها على عبادة الخصب. . وتجدها دائماً فى ايزيس وايزوريس وفى ادونيس وتموز. . وفى ظنى ان الوثنية العربية القديمة التى كانت تتمثل فى عبادة الخصب لم تكن ثرية أو غنية كما نجدها عند المصريين القدماء وفى اليونان وبابل. .

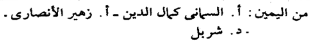
دكتور/ حمدون:

لهذا فإن إلهة أو (آلهات) الخصب والنماء نشأت حول احواض الأنهار ولذلك نجدها مع اوزيس واوزوريس وكذلك فى العراق.

الاستاذ/ حجازى:

الخصوبة تعنى العودة للحياة. . والجدب يعنى موت الطبيعة والحياة. . ومظاهر الجدب والمحل نجدها اكثر وضوحا فى الجزيرة العربية. . ولهذا فإن لنزول المطر فى هذه البيئة القاحلة أهمية خاصة. . ولذلك نجد المطر يمثل عنصراً مهماً فى القصيدة الجاهلية مثله مثل الوقوف على الاطلال.

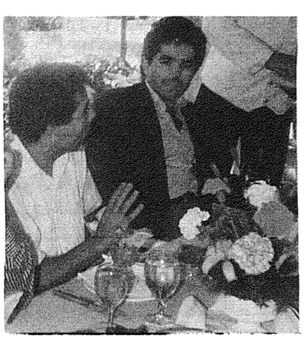
وكثير من القصائد وكثير من الشعراء يتحدثون عن المطر بكل مظاهره من رعد وبرق وسحاب ورياح وغيره وتجد عندهم الاحتفاء بنزول المطر لما يمثله عندهم ويمكن ان نقرأ هذا عند كثير من الشعراء منهم امرؤ القيس ـ النابغة ـ لبيد. . الخ.



من اليمين: أ. السهاني كمال الدين ـ أ. زهير الأنصاري ـ د. شربل ـ



من اليمين: أ. محمود راشد ـ د. حمدون ـ



ويشدنا هنا الحديث عن المرأة فانى اعتبرها إلهة الخصب عند العرب القدامى.. وإذا استعرضنا عددا من القصائد الجاهلية نجد المرأة فيها ليست امرأة عادية تتسم بالطول والعرض والقصر ـ والنحافة والبدانة.. وغيرها فحسب بل المرأة فى القصيدة الجاهلية (واحدة) أى هى (تمثال) لها مقاييس ثابتة تتكرر فى كل قصيدة.. وظنى ان هذا الرأى يمكن أن يعطينا اضاءة فى تفسير القصيدة القديمة.. وهذه قراءة من مجموعة قراءات اخرى.

القصيدة اغنية فولكلورية

دكتور/ شربل داغر:

اذا رجعت قليلا الى الورقة التى قدمها الاستاذ حجازى فى المهرجان الوطنى للتراث والثقافة والتى اعتبر فيها القصيدة الجاهلية (أغنية فولكلورية) فإنى أجد نفسى على خلاف معه فى هذا الرأى فهى ليست أغنية فولكلورية.. ولكن قيمة ورقة عمل الاستاذ حجازى أنها أعطت اضاءة ساطعة لعلاقة القصيدة الجاهلية بمحلية وزمن الجاهلية وطقوسها وعاداتها.. وحضور الاثر الفولكلورى فى القصيدة، الجاهلية حضور طاغٍ وقوى ومشار اليه بعلامات ودلالات كبيرة.. وفى غالب القراءات النقدية للقصيدة الجاهلية لم ينظر غالبا الى هذا المعنى.. ولم ينظر الى الطبيعة السحرية اذا جاز القول.. هذا الى جانب الطقوس التى كانت تؤكد عليها القصيدة والى نوع الدلالات الاسطورية أو الرمزية او السحرية التى تشير اليها القصيدة الجاهلية.

الاستاذ/ حجازى:

لقد وجدت فى بعض المكتبات مؤخراً أدلة كافية على بعض ما ذهبت إليه على الاقل بها فى ذلك الجانب الذى تعده غير مصيب او غير صحيح فى ورقة العمل التى قدمتها.. وجدت مجموعة كتيبات أو كتاباً فى اجزاء صغيرة اسمه (شعر البادية) وفيه مجموعة من شعراء البادية هنا فى المملكة.. ومن المدهش أن تقاليد القصيدة الجاهلية مستمرة فى هذا

الشعر العامى الدارج فى البادية الى الآن . . مما يدل على ان الوصف الشائع للشعر الجاهلى بانه منسوب للجاهلية أو أنه شعر قديم وصف غير صحيح .

فى اللغة الفرنسية كلمة ـ لا أظن لها ما يقابلها فى العربية هى (أركييك) ولعلها تعنى الاثر الذى يستمر فى الزمن . . لا يمكن ان نسميه قديماً أو جاهليا . . اذن هو اثر ثابت ومستمر وسبب ثباته هو ارتباطه بالعقائد السحرية المستمرة . . ولذلك فهو ليس تعبيراً عن مرحلة أو عن بيئة او فترة زمنية محددة بل هو استمرار فى الزمن لأن له علاقة بتكوين الروح العربية نفسها . . لذلك حتى هذه اللحظة عندما نقرأ قصيدة يقف شاعرها على الاطلال نجد ارتياحاً فى داخلنا .

التقاليد الشعرية والهم المشترك

الاستاذ/ السمانى :

فى ورقة العمل التى قدمها الاستاذ حجازى لفت نظرى المحور الاساسى الذى تدور حوله الورقة وهى محاولة اثبات ان الشعر الجاهلى شعر ينتمى الى الفلكلور الشعبى ـ لعل هذا هو الجانب الاساسى . . وفى محاولة اثبات هذا الجانب ذهب الاستاذ حجازى الى مجموعة من الادلة ليسوقها اثباتا لهذا الاقتراح حتى يكون حقيقة . . من ضمن الاسباب التى ساقها ان الادب الشعبى ادب ينتمى الى وجدان واحد وشعر ينتمى الى سوق مسببات حياة مشتركة . . وسؤالى : الآن فى العصر الحاضر . . يكاد الشعر الحديث ينتمى الى وحدة شعورية او وجدانية واحدة حيث يتحدث معظم الشعراءالمحدثون عن الحرية . . هذه الحرية المفقودة فى كثير من عالمنا العربى . . فهم يتحدثون بوجدان واحد عن هذه الحرية . . فهل كمسوغ لهذا الوجدان المشترك استطيع ان اقول ان الشعر الحديث ينتمى الى شعر فلكلورى شعبى أيضا .

الاستاذ/ حجازى :

لا اظن ذلك لانه ليس الموضوع هو الذى يحدد جماعية الشعر او لا . . هنالك اشياء مشتركة كثيرة بين الناس منها العدل والحق والحرية والجمال والحب فهل كل من يتحدث عن (الحب) مثلا نعده شعراً شعبيا لأنه تحدث عن هم مشترك . . لا اظن ذلك .

الاستاذ/ السمانى :

اعنى بالهم المشترك ان تشترك مجموعة وبطريقة غير مباشرة فى وجدان واحد .

الاستاذ/ حجازى :

ليس الوجدان هو الذى يحدد انما التقاليد الشعرية . . كيفية الكتابة هى التى تحدد هذا الشعر ان كان شعبيا فلكلورياً ام لا . . هم الشاعر الشعبى كهم الشاعر الفصيح . . انما تقاليد الكتابة نفسها هى التى تحدد بناء القصيدة . . القصيدة الفلكلورية فى الغالب قصيدة مقاطع . . والقصيدة الفصيحة ليست كذلك . . القصيدة الفلكلورية فيها تعدد ولوازم ـ ليونة ـ اختيارات خاصة للاوزان . . اذن الفرق بينهما فى الكتابة وليس فى الهم الشعرى اضافة الى الخيال . . هنالك الخيال المثقف والخيال الشعبى والخيال الشعبى ساذج وبسيط وغنى من ناحية لمس العواطف . . اذ لا نجد مثلا قول الشاعر الشعبى :

(رمش عين الحبيب يفرش على فدان)

لا نجد مثل هذا فى الشعر الفصيح .

● *واذا كان الحديث يسوق بعضه فان الخواطر فى مثل هذه اللقاءات لا تعرف التقيد بل تذهب هنا وهناك . . ولهذا نجد الحديث قد انتقل بنا من القول فى (فلكلورية القصيدة) الى ما قد نسميه (عناوين أخرى) لكنها كلها تغرف من ذات المعين .*

• يجب أن تكون هناك قراءة تختلف تماما عن أن تكون "الأطلال" مجرد مقدمة إطلالية يدخل بها الشاعر إلى غرضه ..
د. حمدون

تأريخ القصيدة

دكتور/ شريل :

ما احب ان الفت النظر اليه اننا حتى الآن لا نملك تاريخاً دقيقاً للشعر الجاهلى بوصفه انتاجاً شعريا. . فى مسألة التدرج فى الموضوعات واذهب الى القول كمجرد فكرة ـ ولست متأكدا مما أذهب إليه ـ وهو ان الارجح فى بعض المعلقات انها كتبت على مراحل ولم تكتب كقصيدة واحدة فى وقت واحد.

الاستاذ/ حجازى :

وما دامت قد كتبت على مراحل لماذا تستبعد فكرة ان تكون قد كتبت من شعراء متعددين؟ . .

دكتور/ شربل :

هنالك وجوه فنية واضحة تبرهن انها لشاعر واحد فمثلا امرؤ القيس عنده لغة شعرية فنية متميزة ومختلفة عن شاعر مثل عمرو بن كلثوم . . القصيدة الجاهلية الواحدة تشعر احيانا بقليل من البرهنه الفنية انها تعود لشاعر واحد ولكنها كتبت على مراحل وليس غريبا القول الذى يؤكد انها كانت تكتب أو تعكس ايام العرب فى ذلك الوقت. . هى ايضا كنوع شعرى كان غرضها يتعدى الموضوع المحدد المعين المطبوخ سلفا لان هذه الفكره لو كانت صائبة وقابلة للرجحان لا تلغى فكرة التدرج فى المقاطع وفى اغراض القول. . التدرج لا يعود فقط لاعتبار زمنى او تاريخ الانتاج. . فيما لو صحت هذه النظرية يعود ايضا الى نوع من شكل الوجود. . شكل البيئة التى كان يعيش فيها الشاعر الجاهلى وفيها تفترضه البنية فى القول الشعرى. . وهذا يتمشى مع الفكرة التى طرحها النقاش هنا وهى العلاقة مع الزمن. . الطلل بوصفه الاثر. . بوصفه شكل الحياه المنتظمة للاجتماع البشرى فى ذلك الوقت فى الصحراء. . الطلل هو المجتمع هو الشكل الذى واكب المجتمع البدوى فى ذلك الوقت. . لا تعود المسألة فقط إلى علاقة مع الزمن. . فعندما ياتى الشاعر الى مدينة بعينها ويجدها قد مسحت من الخارطة ثم يريد ان يتحدث عنها يستعيد المجتمع فى حركته كلها. . والقصيدة الجاهلية بهذا المفهوم تملك وحده. . موضوع. . ولكنها وحدة موضوع بالبيئة التى كان يعيشها الشاعر لان البيئة ليست محدده بمعالم ومؤشرات وشوارع وطرقات.

دلالة الاطلال

دكتور/ حمدون :

يشغلنى حقيقة هذا السؤال: النقاد عندما قالوا بعمود الشعر وقالوا يجب على كل الشعراء ان يسيروا على عمود الشعر اثاروا لدى الشعراء المحدثين نوعاً من الضغط. . وهم لا يريدون هذه التبعية. . وفى نفس الوقت ظلموا القصيدة الجاهلية بان حولوها الى نموذج ـ مجرد نموذج دون ان ينظروا حقيقة الى بنائها وتركيبها ودلالاتها وواقع انشائها ولذلك اعمل الآن على إثارة (دلالة الاطلال) فى (قراءة جديدة) إذ يجب

ان تكـون هنـاك قراءة تختلف تماماً عن ان تكـون الاطلال مجرد مقدمة اطلالية يدخل بها الشاعر الى غرضه . . إنها الزمن ـ الاحساس النفسى بالصراع والمتناقضات (**الذى يولدّه كر الغداة ومرّ العشىّ) ما من قصيدة اطلالية الا ونجد فيها متناقضات عجيبة ـ الليل والنهار ـ الشمس والقمر ـ الكرب والفرج ـ الحر والبرد ـ فالشاعر يجمع مجموعة من المتناقضات ويصفهـا بصـورة او باخـرى . . وايضـا ترد هذه المتناقضات بصفة غالبة حين يتحدث عن الزمن . . وفى البيت او الصورة الشعرية التى فيها الزمن تميل مجموعة المتناقضات الى جهة السلب ـ الى الدمار ـ أو (الخراب) الى الانتهاء وهذه دلالة لم يقف عندها النقـاد . . اذ كان وقـوفهم عنـد الشعـر الجـاهلى للاحـتجـاج اللغـوى بالشعـر ـ صحـة اللغـة واستخدامها عند علماء اللغة واعتقد انهم لم يهتموا بالنـواحى الـدلاليـة ابـدا . كان اهتمامهم بالشعر الجاهلى لغوياً بحتاً.**

الاستاذ/ محمود الراشد:

هنـاك استنتـاج يمكن استخـراجه من حديث الـدكتـور شربل والدكتور حمدون هو ان د. شربل يقول . . كان الشاعر يتكلم فى إطار الزمن عن مكان انتهى . . كان يأتى فى مرحلة متأخرة ويتحدث عن شىء مضى وبـالتالى فهو لا يعرف المكان كما كان عليه وكلام الدكتور حمدون ايضا : ان الشعر يتجه فى نفس الاطار الزمنى نحو السلب وارى ان الفكرتين متلاقيتان كثيرا.

دلالـة الزمـن

دكتور/ حمدون:

عنصـر الـزمن : ـ القصيـدة الجاهلية لم تدرس ضمن دراسات الاديان الجاهلية ـ الدهرية مثلا (وما يهلكنا إلا الدهر) هكذا كان يعتقد العرب كما يحدثنا القرآن الكريم وهذه فكرة مؤثرة جدا وربما نعرف كثيرا أبعاد الحياة الجاهلية فى ظلها لان الدهرى يعتقد ان الزمن وحده يكفى لحل اشياء كثيرة . . وقضية الزمن تمثل عنده امتداداً شعوريا ـ والزمن كان يمثل عناصر فى اديان اخرى.

الاستاذ/ حجـازى:

فى الوثنية الجاهلية العربية : الزمن كان له دلالة وجـوديـة ضمن دائـرة المـوت والحيـاة ولـذلك نجد الخلاف حتى فى اسماء الزمن فى اللغة العربية ـ الدهر ـ الزمن ـ الزمان ـ الوقت ـ الحين ـ الابد ـ الازل ـ هذا يجعل فكرة الزمن غير متناقضة مع فكرة الدورة (دورة الحيـاة) لان الدلالة الزمنية هى دلالة الطلل لان الطلل رمـز للزمـان والـزمـان ليس زمانا مطلقا فلسفيا وانما هو رمز لزمن بالذات هو زمن الغياب ـ هو زمن الموت ـ او زمن المحل او الجدب لذلك هو مرتبط باستمرار بالمكان ـ بالمرأة او بالحى.

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

اذن الطلل مرتبـط بالحبيب وبالانسان وبالحياة البشرية وليست المسأله هنا تعنى فكرة الزمن المطلقة المجردة الرياضية وفكرة العود الفورى للحياة . . وما نجده من هذا الجانب فى الوثنية العربية الجاهلية هو امتداد لما نجده فى وثنيات سامية اخرى وخاصة فى الوثنية البابلية . . اذ يشبه تصور البابليين للعالم الآخر تصور العرب الجاهليين الوثنيين (**وما هى الا حياتنا الـدنيـا ـ وما يهلكنا الا الدهر**) وتصورهم هذا يعد تصورا بدائيا لان العالم الآخر فى تصورهم ليس الا غيبـوبة فى مكان سديمى مليىء بالغبار لا يستطيع الانسان فيه ان يتحرك لكن يعى ما يحدث وهذا هو



تصور العالم الآخر عند قدامى العرب والقدامى من البابليين. . وليس هذا التصور على شاكلة التصور للعالم الآخر عند قدماء المصريين - (**حساب وعقاب**). . هذا بسبب الطبيعة الحيوية للوجود الانسانى عند السامية التى تقابلها طبيعة اخلاقية عند المصريين - المصريون عندهم احساس بان الحياة قيم اكثر من انها شىء يُنْهَب - ليست الحياة عندهم فرصة تنتهب. .

اذا كان النيل عند المصريين القدماء بمثل وسيلة للحياة وللعطاء - فهو يحل لهم مشكلة العيش - فان على الانسان فى وجهة نظرهم ان يقيم حياته على نظام اخلاقى يحاسب الانسان على ما يفعل ان خيراً فخير وان شراً فشر. . فى حين ان البدوى الذى كان يواجه يوميا الموت فى الصحراء كان تلمسه الاول ان يعيش مجرد ان يعيش ولذلك قامت الوثنية العربية على فكرة الحياة. . قد يكون هذا تفسيرا لهذا الموضوع.

علاقة العربي بالمكان علاقة اسطورية.
د. شربل

العلاقة الاسطورية بالمكان

دكتور/ شربل:

فكرة الوقوف على الاطلال قد لا تكون تقليداً شعريا فقط اصبح الشعراء يطرقونه فى ذلك الوقت وفى العصور اللاحقة بل بان علامة على شخصية العربى ايضا. . واريد أن اتناول علاقة العربى بالمكان.

واضرب فى هذا الحديث مَثَلَيْن: الاندلس وفلسطين. . والعربى لديه أزمة دائمة وجدانية لافتقاده لمكان ما اذ يظل مرتبطا به. . ففى المغرب العربى نجد عائلات لا تزال تحتفظ بمفاتيح بيوتها فى الاندلس. . وكذلك عدد من الاسر الفلسطينية وهذه العلاقة هى نوع من علاقة اسطورية. . الانسان العربى يعيش على فكرة العودة وكأن ما جرى - من أحداث وفجائع سجلها التاريخ - لم يجر كما لو ان التاريخ لم يحدث - اذن يمكن ان نسميها (**العلاقة الاسطورية بالمكان**) وهذا ما نجده فى الشعر الجاهلى - وهناك ما يسمى بـ (**الزمن التعاقبى**) وهذا ما يتضح فى الشعر الجاهلى - الصحراوى علاقته فى غياب المكان وغياب علامات المكان ومن ثم تكون علاقته بالمكان علاقة اسطورية استرجاعية وجدانية.

دكتور/ حمدون:

واذن يصبح المكان تجريديا - مجرد فكرة مجردة. . المكان شىء ما يحلم به. . فهو ينظر الى المكان باعتباره المكان الذى يأتى ولم يأت بعد.

الاستاذ/ السمانى:

كيف يكون هذا المكان غير موجود وهو يصف هذه الاماكن بكل هذا الحنين وكل هذه الدقة. . اذن هناك مكان موجود. . هو عاش فى هذا المكان ثم انتقل منه الى اماكن اخرى وهكذا لان الحياة البدوية حياة متنقلة.

دكتور/ شربل:

مشكلة الشاعر انه عاد للمكان فلم يجده. . هو يستعيد ذاكرته وذكرياته للمكان.

الاستاذ/ السماني:

اذن هذا المكان ليس مكاناً شعوريا بل كان موجوداً ثم علق فى ذهنه.

د. شربل:

هو لم يكتب عن المكان حين رآه وانما بعد ان فقده.. الشاعر هنا لم يكن تسجيليا يكتب ما يراه وانما يكتب من المودع فى الذاكرة.. ويمكن ان تمثل لذلك بالشاعر الذى يهاجر بعيداً عن بلده.. يظل يكتب عن بلدته أو قريته رغم بعده عنها.

ونأخذ فى هذا (مثلا) الشاعر جبران خليل جبران فقد رحل الى امريكا وعاش فيها اهم فترات تطور النظام الرأسمالى وعاش فيها ازمة ١٩٢٩ الاقتصادية ولكن لا نجد اثراً لذلك فى اى نص بل هو دائماً يتكلم عن الشرق وعن بلده.

د. حمدون:

يخيل إلى ان الكاتب أو الشاعر هنا يختار بين المكان فى حالة حضور والمكان فى حالة مضى والماضى يكون اقوى فى تأثيره وقوة شده لكن بالنسبة للعربى الجاهلى لم نعرف بعد كل ما كان المكان يمثل بالنسبة له.. حين يجيىء لاطلال سلمى والحومل والدخول والمناطق هذه ماذا ينكر منها؟ **أهى ليست مناطقهم المعهودة؟.. هل هى المناطق التى يريد ان تعود كما كانت.. هل هو يريدها امكنة يستقر (اعنى صالحة لان يستقر) فيها هؤلاء الناس؟.. هل هو يرفض حياة الحل والترحال؟.. اسئلة عديدة واظن ان المسألة بالنسبة لهذا الشاعر ليست اختيار مكان فى اطار زمنى (واقعى أو أسطورى) ربما كانت ايجاد مكان..؟**

أ. حجازى:

الاماكن رموز لمدلولات نفسية اكثر مما هى مدلولات مادية او واقعية.. اسماء هذه الاماكن - اسماء للنفس - اسماء اشياء فى النفس اكثر مما هى اسماء اشياء فى الواقع واكثر ما تجدها عند المتصوفة.. فإذا قرأت شعر ابن عربى نجد هذه الاماكن الواردة فيه ليس لها الا مدلول نفسى.. وفى هذا نجد بعض الذين تحدثوا عن ابن عربى مثل الدكتور زكى نجيب محمود نجده قد وضع لكل اسم من اسماء الاماكن دلالته فى الافكار الصوفية.

أ. السمانى:

الصوفية غيروا المدلولات الحقيقية للمسميات حيث اعطوها مدلولات اخرى يتحدثون عن ليلى ولبنى وسعاد فى قصائدهم لكن لا يقصدون ذلك.. انما يقصدون الليل والتسبيح والتهجد وقيام الليل وهكذا.. لكن يرمزون عنها بهذه المسميات.

أ. حجازى:

الصوفية حتى ولو قصدوا مسميات حقيقية فانا لا تهمنى هذه المسميات الحقيقية.. انما تهمنى الاسماء التى يمكن ان اعطيها مسميات اخرى متعلقة بالأفكار اكثر من تعلقها بالواقع لان الشاعر قد يقصد شيئافيعبر عنه وعندئذ يكون لتعبيره المعنى الاول المباشر الخارجى ويكون لتعبيرة معنى آخر داخلى متعلق بالقصيدة ككل ومكانها ليس فى شعره لوحده وانما فى الشعر العربى كله.. لان القصيدة تأخذ دلالتها ليس من مجرد اللغة بل من كونها حلقة فى سلسلة.. هذه السلسلة هى شعر الشاعر وهى شعر اللغة العربية ككل.. ولذلك لا نستطيع فهم قصيدة جاهلية خارج تراث الشعر الجاهلى.

ما بين اللغة ولهجاتها

أ. السمانى:

فى حديث الاستاذ حجازى عن اللغة لعلى

فهمت من حديثه ان الادب الشعبى والفلكلور الشعبى ينبغى ـ او لعله كذلك ـ ان يكتب باللهجة الدارجة. . وقلت ان الشعراء الجاهليين فى القرن الخامس الميلادى او ما قبله لم يكتبوا باللغة العربية الفصحى التى هى لغة قريش وانما الذين جاءوا بعدهم هم الذين حاولوا استعادة هذا الشعر وكتابته مرة اخرى.

أ. حجازى:

أنا قلت شيئاً يقرب من هذا القول. . قلت الشعراء الجاهليين ـ يقصد بهم الشعراء الذين ظهروا فى المئة سنة قبل الاسلام لكن قبل هذه المئة سنة توجد بالطبع لغات وشعراء.

أ. السمانى:

هل تسميها لغات ام لغة عربية ولهجات؟. .

أ. حجازى:

اسميها لغات. . لان اللغة الفصحى التى تبناها الاسلام ونزل بها القرآن الكريم. . هذه هى اللغة الفصحى وهذه لم تكن موجودة من قبل.

أ. السمانى:

كانت موجوده لهجات عربية. . العرب يتحدثون لغة عربية موزعة الى لهجات وليست لغات.

أ. حجازى

يمكن ان نقول بالتقريب. . ان علاقة الفصحى باللغات التى سبقتها كعلاقة عاميتنا التى نتحدثها اليوم بالفصحى. . المهم انه كانت توجد لغات او لهجات سابقة على الفصحى وهى التى ادت الى الفصحى. . هى التى تطورت سواء تطورا طبيعياً ام تطوراً صناعياً وهذا ممكن وجائز. . واقصد بالتطور الصناعى ان يختار شعراء العرب لهجة بالذات او لهجة مختارة يؤلفونها تأليفا دون ان تكون موجودة.

د. حمدون:

اعتقد ان مشكلة الاستاذ سمانى هنا هى مشكلة تسمية علماء اللغة فكلمة لغة تشتمل على «لهجات». . لا لغات وكل ما هو عربى يشكل لغة واحدة.

أ. حجازى:

ما دام هنالك لغة جنوبية تختلف عن اللغة الشمالية فمن ادرانى انه لم تكن هناك لغات اخرى غير هذه اليمنية لأن من المعروف انه حتى الآن توجد لهجات عربية فى اليمن وفى المملكة نفسها لا تفهم. . لهجات متطرفة فى قبائل بعيده اما انها ناحية الخليج أو ناحية اليمن.

اذا كنا نعتقد انه كان يوجد قبل ظهور الفصحى (وظهور الفصحى لا يعود الى اكثر من ثلاثة قرون قبل الاسلام) وهذا ما نفهمه من كلام النقاد والمؤرخين «لم يكن للعرب قبل الشعر الجاهلى الا البيت او البيتين وانما قعدت القصائد بداية من عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف. . وهذا صحيح فيما يتعلق باللهجة الفصحى التى نزل بها القرآن الكريم. . ولكن هذه اللهجة الفصحى نفسها تطورت عن لهجات سابقة وهذه اللهجات السابقة كان ينظم بها الشعر كذلك. . وانا شخصيا ادعى انه كما ان تقاليد الشعر الجاهلى بقيت فى الشعر الدارج الذى يكتبه الآن شعراء البادية كذلك الشعر الجاهلى نفسه كانت له اصول سابقة على ظهور الفصحى. . هذه الاصول استمرت بعد ظهور الفصحى وتغيرت الى حد ما فى القرون الثلاثة السابقة للتدوين لان

امرىء القيس ظهر فى اول القرن السادس الميلادى وظلت معلقته تتداولها الشفاه الى ان دونت فى القرن الثالث الهجرى اى بعد ثلاثة قرون ونصف وخلال هذه الثلاث قرون لابد ان تكون قد ظهرت بعض التحـريفـات فى لغـة القصيـدة ولكن ما قدر هذه التحريفات. . الله اعلم بها.

قضـية الشـك

وتجدنى هنا لا أوافق الدكتور طه حسين فى رأيه الـذى يذهب فيه الى ان القصيدة كلها تغيرت. . ولكن فلنكن معتدلين فى رأينا لان طه حسين اعتمد على ادله انا شخصياً لا أوافق عليها وهى فكرته فى ان الشعر ينبغى ان يكون تسجيلا للواقع وبما أن هذا الشعـر لا يسجـل الـواقـع الجـاهلى إذن فهو شعر زائف. . وهذا كلام فى رأيى غير صحيح. . وكثير من النقاد يذهبون الى ان الشعر ليس للواقع.

●● القصيدة الكلاسيكية العربية الحقيقية بدأت فى القـرن الثانى الهجرى بداية من شعراء العباسيين: **ابـو مسلم ـ الوليد ـ بشار ـ ابو نواس ـ ابو تمام ـ البحـترى**. . ونجـد ابن قتيبـه فى الشعـر والشعراء سجل الوصف النظرى للقصيدة الكلاسيكية.

د. حمدون:

قضيـة الشك هذه وقضية تغير الشعر الجاهلى قضية اخطر بكثير مما قد يظن عنها لانه سيترتب عليها الشك فى كل الموروثات اللغوية والأدبية بل والدينية واعتقد المشكلة هذه تقوم على ما سيترتب على ذلك من شك فى صحة اللغة وثباتها وقواعدها وبالتالى فان لغة القرآن الكريم ستصبح عرضة للزعزعة. . وهنا أرى فيما يتصل بالشعر أن الأصمعى والمفضل الضبى قاما باختيارات اعتبرت موثوقة من جانب من يفهمون الشعر وربما كان الأصمعى اكثر حرصا من الضبى فى الرواية فيما يأخذ وما يدع ومع ذلك نجد ان معظم روايــات الاصمعى موجــودة عنــد الضبى وهـذه الاختيارات كانت تستعمل فى السند. . والذى استمر فيها اظن حتى القرن الخامس الهجرى وربما بعد ذلك.

أ. حجـازى:

لا اشك فى حرصهم. . لكنى اشك فى أن هذا الحرص لا يؤدى الى تلافى الخطأ مئة فى المئة. . وإذا كان هنـالـك خطأ فى القرن الخامس لماذا لا يكون هنـالـك خطأ فى القـرن السابع ـ والى الآن توجد اخطـاء. . معنى هذا ان الذاكرة البشرية غير قادرة على حمل تراث ضخم لمدة أربعة قرون ولا تخطىء.

عند امرىء القيس مثلا يصح ان نقول ان لغة المعلقة عنده منسجمة وإذا قارنت بين لغة المعلقة واى قصيدة اخرى غير المعلقة فى ديوان امرىء القيس تجد فرقاً كبيرا. . وهنالك شعر روى منسوب الى امرىء القيس انا لا اشك ان هذا الشعر غير ذاك وان الذى قال هذا غير الـذى قال ذاك. . اذن عنـدما تسمع الجُمَحِى يقول ان الشعر المنسوب لقبيلة واحدة كان من الضخـامة بحيث يستحيل حفظه. . ويقول ان فترة الفتوح التى أهلكت كثيراً من الحفاظ أهلكت شعـراً كثـيرا لم يكن موجوداً غير عند هؤلاء. . اذن كيف تكـون مطمئنا وانت تقول ان كل هذا الشعر صحيح. . لا ليس كله صحيحا. . يمكن ان نقول ان روحه وجوهره صحيح لكن لا شك ان فيه معانى تغيرت واخرى بقيت فى غير الفاظها القديمة. . كيف تفسـر ان الشاعر القديم الجاهلى يخطىء فى النحو وفى العروض. . وهنا لابد من واحدة من حالتين: امـا ان هؤلاء الشعـراء كانوا يخطئون ثم جاء علماء

العروض والنحو الذين دونوا الشعر بعد ذلك واصلحوا تلك الاخطاء.. او أن شعرهم كان بعيداً عن مثل هذه الاخطاء ثم جاء الرواة واخطأوا فيه.. والنتيجة فى الحالتين ان هذا الشعر ليس هو الشعر الذى قالوه.. ومن هنا نستطيع القول ان الشعر هو نفسه لكن صياغته تطورت ويمكن ان يكون الراوى قد غير فيه ومعروف ان عدداً من الرواة كانوا فى نفس الوقت شعراء.. خَلَف الاحمر مثلا كان مثالا للكذب ومعه حماد الراوية وكنا نعتمد فى تراثنا الشعرى على ما رواه لنا هؤلاء الكذابون..

وهنا لابد ان اجعل القرآن الكريم حجة على الشعر لا الشعر حجة على القرآن.

اما كونهم يعتمدون على حجية الشعر الجاهلى فهذا لا يجعلنى اصدق كل ما يذهبون اليه. وحجتهم فى ذلك كما يقولون ان الشعر الجاهلى لغته لغة قديمه من حيث المفردات.. والمعنى عندهم يقدم اولا على دلالة الالفاظ.. والدلالة الشاملة للعبارة تتحقق بالنحو.. اذن هم يحتجون بالشعر الجاهلى باعتباره معجماً وليس باعتباره لغة شعرية.. وانا يمكننى ان اقبله كمعجم لكنى لا اقبله كلغة شعرية.

د. حمدون:

لعلنا هنا رجعنا الى نقطة البداية.. لعلنا قلنا فى اول حديثنا ان الشعر الجاهلى يجب ان يعاد النظر فيه عموما سواء وافقناك فى كل آرائك او بعضها.. وان تفهم دلالاته كشعر لا كمعجم لغوى وهذا ما فعله الاوائل جعلوه معجماً لغويا فقط للاستشهاد به والاحتجاج به ولذلك حتى حين اصبح لهم ذوق شعرى خاص وحدثونا عن عمود الشعر صارت

من اليمين: أ. حجازى ـ د. شربل



القصيدة الجاهلية نموذجاً ميتا يجب على شاعر العصر ان يتبعه وهم لم يبحثوا الدلالات والمعانى والمواقف الكونية والحياتية التى تضمنها الشعر.. وعندما نقول باعادة النظر فى موضوع الاطلال اعنى ان نعيد النظر فيها كموقف كونى.. وانا استخدم تعبير (موقف كونى) حتى استطيع ان اضم الزمن مع عنصر التناقض وفكرته عنه كمضمون شعرى وعناصر اخرى كثيرة.

الانسان كان يواجه الخراب ـ الاطلال ـ اللاعودة احيانا ـ ولذلك اعتبر القصيدة الجاهلية لها دلالات اكثر من انها صنعة لها بداية ونهاية.

● ويأخذ الحديث مسارات أخرى ليعود بنا الى القول بان ما طرح خلال هذه الجلسة لا يعدو أن يكون مجرد رؤوس مواضيع وعناوين عريضه لموضوعات حول القصيدة الجاهلية ومحاولة اعادة قراءتها ثانية ما دمنا بمر الزمن نستخرج منها الجديد المفيد الذى يثرى البحث.



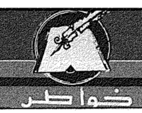
قضايا التعامل بين الانسان

التعامل بالعفو أحد القضايا الرئيسية التى واجهت الانسان فى علاقته مع بعضه فأثَّرت فيه أيما تأثير. . وكثيرون هم الذين يسألون فى عفوية صادقة عما اذا كان الانسان ـ بحكم تكوينه العضوى والنفسى ـ يتلذذ بالعفو عندما يكون فى حال يقدر فيها على الانتقام من عدو ظفر به أو قائد انتصر عليه، أم يتلذذ بالانتقام عندما يكون فى حال كهذه؟ . .

●● لقد كان أصحاب مدارس التحليل النفسى وأصحاب مدارس العقاب فى القرون الوسطى يصنفون الانسان أصنافا عدة. . فمنهم من راه قد جُبِلَ عضويا على حب الاعتداء فما بالك به عندما يكون فى حال تسمح له بالانتقام. . وقد استحوذ على أصحاب هذه المدارس وسواس صور لهم ان الانسان يتباين فى تكوينه الجسدى أو العرقى او الوراثى. . فهو يحب الاعتداء والانتقام اذ كانت له صفات عضوية مُعَيَّنة يُسْتَدل عليها من تكوين عظام رأسه، أو قسمات وجهه أو تكوين أذنيه.

ومنهم من رآه قد جبل نفسيا على حب الانتقام فهو حين يكره الاعتداء منه يكره الاعتداء عليه. . فاذا انتقم من فعلٍ وُجِّه اليه فإنما يفعل ما يتفق وطبائع وجوده وقوانين حياته.

●● وتطور هذا التحليل الى تحليل مرادف فى نظرته الى الانسان حين عزا نزعاته النفسيه الى تكوينه



الأدب بمفهومه العام فن متسع للأخذ من كل فن بطرف ولعله من هذا المنطلق جاءت هذه الخطرات النفيسة لفتات ذكية خفيفة الظل عميقة المعنى



العرقى والوراثى فألصق الانفعال بطوائف وشعوب وبنى على ذلك وهماً ظنَّ معه ان لذة الانتقام عندها قد نتجت عن تكـوين نفسى وراثى لا تستطيـع الخلاص منه.

وعلى هذا وصفـوا الهنـود الحمر بالحدة فى المزاج والغـرابـة فى السلوك.. ويمثـل ذلك أيضا وصفوا الايـرلنـديـين وربما وصفوا به بعض السكان الذين يعيشـون حول البحـر الابيض المتوسط مثل سكان جنوب ايطاليا، او السكان المشرقيين عموما.

ولا يجد هذا الوصف حجة له من علم أو قوة فى بينة او أساسا فى تاريخ أو برهانا من واقع، بل هو وصف بدائى يتأثر ببقايا الاحتكاك والتنافر الحضارى او التاريخى بين قوم وآخرين.. فالذين وصفوا الهنود الحمر بما وصفوهم به كانوا على خلاف معهم على الأرض فيما مضى من قديم التاريخ.. والذين وصفوا الايرلنديين بما وصفوهم به هم كذلك على خلاف على الارض الخضراء حين طمع فيها النبلاء فى قديم التاريخ.

وهكذا فى الحالات الأخرى مع تباين فى الظروف والاسباب.

●● الانتقام ليس خاصة عضوية او نفسية يختص بها قوم دون آخرين بل هو سلوك فردى يتباين وجودا وعدما.. شدة وضعفـا تبعا لواقع الانسان والازمات التى تواجهه والحياة التى يعيشها فى فترة أو فترات من تاريخه.. فمن يحس أن أرضه قد سلبت منه يشعر بالانتقام.. ومن يشعر انه قد ظُلِمَ سوف يكون له سلوك مغاير لسلوك انسان آخر لم يُظْلَمْ فلا فرق إذن بين سلوك الايرلندى والفرنسى الا فى الفارق بينهما فى ان الأول يشعر ان له مشكلة مع عنصر آخر يتصارع معه على ارض أو على مصلحة بينما الثانى لا يواجه نفس المشكلة.

●● **قلت**: وقد يسأل سائل فيقول: **ما بالك بالذين ينفعلون ويعتدون على غيرهم من الابرياء فينتقمون من انسان ويعتدون على آخر وفى ذلك يهون عليهم ما يفعلون فكيف اذن يمكن العفو عنهم؟.**

●● **قلت**: ان ذلك ينتج عن مجموعة من الآثار التى يخضع لها هؤلاء حين يدينون بفكرة او يؤمنون بقضية فيتحولون الى خصوم لمن لم يكن لهم فى الحقيقة خصم، ومن ثم يشتد بهم هذا الخصام مع دفاع الطرف الآخر عن نفسه حتى تتحول العلاقة الى دفاع يعقبه انتقام متبادل.

●● إن لذة العفو وكره الانتقام يتأثران كلية بمسار التربية والخصائص المكتسبة من السلوك القويم.. ويظهر هذا جليا فى اى مجتمع يكون فيه مسار التربية سليما وخصائص الأخلاق فيه قويمة.. والدليل على ذلك يستنتج من قدرة هذا الانسان على الرؤية الصحيحة للمحسوسات التى يعيشها فلن يكون خصما لمن لم يكن له معه خصومة ولن يكون طرفا فى علاقة عداء مع غيره الا فى حالات توصف بقضايا الدفاع عن النفس وهذه تنعدم ـ فى الغالب ـ عندما يكون المجتمع قد تماسك فى سلوكه وانضبط فى تسييره.

●● **قلتُ**: ولكن هذا المجتمع الذى نتصوره لابد ان يكون قد خضع لنوع من القيادة الملتزمة التى تضع له مناهج السلوك القويم من خلال دعوتها اليه وتطبيقها له.. واذا كان فى تاريخ العالم صور قد تعكس هذه الحقيقة فانها أوضح لنا فى تاريخنا الطويل.. ففى الوقت الذى كان فيه هذا التاريخ يتحول من مسار القبيلة الى كيان الدولة ومن التجزئة الى الوحدة ومن الوثنية الى العقيدة ومن البداوة الى التحضر ـ فى ذلك الوقت كان الالتزام والانضباط فى أشد صورهما فكان العفو لذة يتلذذ بها العافون.. بل هو فى الحقيقة مطلب روحى يدخل فى باب الأمر بالسعى اليه **﴿وسارعوا الى مَغفرة من رَّبِّكُم وجَنَّةٍ عرضُها السمواتُ والارضُ أُعِدَّتْ للمتقين﴾**.. **﴿الذين يُنْفقون فى السرَّاء والضَّراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناسِ والله يُحِبُّ المحسنين﴾**.

ولم تكن صفة أهل الجنة تسبغ على هؤلاء الا لكونهم يكظمون غيظهم بما لديهم من الارادة والقوة فيكفون لذلك غضبهم على غيرهم مع قدرتهم على ذلك.. وهم كذلك العافون عن الناس حين تتوفر فيهم صفتان:

● **صفة كف الأذى عن الناس.**

● **وصفة العفو عند ما يُظْلَمون من غيرهم فيزول مع ذلك كل ما فى نفوسهم من حقد وضغينة.**

وفى ذلك روى حبر الامة عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: اذا كان يوم القيامة نادى منادٍ يقول: أين العافون عن الناس، هلموا الى ربكم وخذوا أجوركم وحق على كل امرىء مسلم اذا عفا ان يدخل الجنة(١).

لقد كان رسول الهدى أعظم مثال انسانى فى كظم الغيظ والعفو عمن اساء اليه وكانت حياته ودعوته أعظم مثال حقيقى تجلت فيه قوة الارادة فى كل المواقف التى قد تنزلق فيها النفس الى ردود الافعال تجاه ما يقع عليها من خصم مشاكس وطرف عنيد، أو متعصب حاقد.. رأينا صور العفو فى قضية الدين الذى كان بين رسول الهدى والحبر اليهودى زيد بن سعنه.. فقد ذهب هذا الى الرسول يطلبه وفاء الدين قبل حلول اجله ومد يده الى مجامع قميص المصطفى وقال: اعطنى حقى فوالله ما علمتكم بنى عبد المطلب الا مطلا ولقد كان لى بمخالطتكم علم.

وفى الوقت الذى كان فيه عمر بن الخطاب رضى الله عنه يشتد فى داخله على هذا الاعتداء ويهم بضرب المعتدى، كان الرسول ينظر الى الحبر اليهودى فى سكون ويقول: «يا عمر انا وهو كنا أحوج الى غير

هذا ان تأمرنى بحسن الاداء وتأمره باتباعه» . . .ومن ثم يأمر الرسول عمر باعطاء اليهودى حقه قبل موعده وزيادته عشرين صاعا مقابل ما قد يكون قد أصابه من خوف من عمر(٢).

فهل فى التاريخ كله صورة واحدة للتعامل بالعفو، وكره الانتقام مثل هذه الصورة التى رسمها نبى لأمته؟.

●● **قلتُ**: إنه لا يوجد فى تاريخ أمة من الأمم مثل هذه الصورة من السلوك. . فلم يقرر هذا السلوك قاعدة من قواعد التعامل بالعفو بين الانسان فحسب بل قرّر قاعدة التعويض عن الضرر الأدبى الذى مازال القانون المعاصر وفقهه وشراحه يتعثرون فيه رغم مرور مئات العشرات من السنين، ورغم ما يقال عن هذا العصر بأنه العصر العلمى للانسان.

●● **قلت**: وفى تاريخنا صور كثيرة للتعامل بالعفو بين الانسان فى علاقته مع قاعدته، وعلاقته مع قيادته.

وربما ظننا ان هذه الصور تضعف او تزول عندما يتعرض المجتمع لنكسة من نكسات التسيير وتزدهر عندما يتغلب على هذه النكسات ولكن تاريخنا يوضح أن التعامل بالعفو سلوك من سلوك انساننا بصرف النظر عن الواقع الذى يعيشه أو مرارة العلاقة التى قد تكون بينه وبين خصمه.

ولعل الشاهد على ذلك تلك الفترات «المتقلبة» التى كانت فيها القيادات تتغير بسرعة، وما كان يصاحب ذلك التغيير من اختلاف فى الرأى وتباين فى التوجه وانشقاق فى الصفوف ربما كان يؤدى الى حقد وانتقام. . ومع ذلك كان واقع انساننا يرى العفو من افضل الرتب وأسمى المنازل، وارفع الدرجات وفى ذلك روى الوزير المنتصرى أحمد بن الخصيب بن الضحاك الجرجانى ان محمد بن جعفر المنتصر كان يقول. . . ان لذة العفو اعذب لديه من لذة التشفى، وان أقبح الافعال التى يرتكبها القادر الانتقام.

قالها المنتصر بالله قولا ونفذها فعلا مع الخارج أبى العمود الشارى حين خرج عليه فى اليمن ودارت بينهما حروب أُسِرَ فيها الشارى وجيىء به الى المنتصر فلم يعامله الا بالعفو عنه واخلاء سبيله رغم ما كان بينهما من مرارة الحروب.

وفى مجال آخر روى عن المنتصر وهو الصغير فى سنه، اشاعة العفو، وبسط التسامح وغرس المحبة بين الفئات والطوائف فى عصره حتى استطاع ان ينزع منهم الخصام ويشيع فيهم الألفة والوئام فقال فيه شاعرهم:

وردت ألفة هاشم فرأيتهم
بعد العداوة بينهم إخوانا
آنست ليلهم وجدت عليهم
حتى نسوا الأحقاد والأضغانا
لو يعلم الأسلاف كيف بدرتهم
لرأوك أفضل من بها ميزانا

●● **قلت**: إن جزءاً هاما من «المشكلة» التى يعانى منها الانسان المعاصر ربما يعود الى سيطرة لذة الانتقام وغياب لذة العفو. . وربما سيجد الانسان فى وقت ما ان هناك ضرورة قصوى لدعوة انسانية شاملة تضع لذة العفو فوق لذة الانتقام لتنتهى بذلك مشكلة من اعقد المشكلات التى يواجهها الانسان المعاصر فى علاقته مع نفسه وعلاقته مع غيره.

الهامش

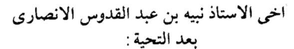
(١) مختصر تفسير بن كثير ٣١٨-٣١٩ تحقيق الصابونى

(٢) مسؤلية الادارة: للكاتب منشور فى مجلة «الادارة العامة» العدد ٣٦/١٤٠٣هـ.









اخى الاستاذ نبيه بن عبد القدوس الانصارى
بعد التحية :

سبق ان ارسلنا لك فقرتين نشرتا فى «المنهل» عدد ٤٥٢ المجلد ٤٨ لشهر رجب ١٤٠٧هـ وكانت الفقـرتـان تتحدث اولاهما عن المنافقين والثانية عن الخنثى المشكـل والتى عنـوانها «قدرة الله» ولما كان الشيـخ صالـح بن عبـد العزيز الغصن من العلماء الاجلاء والباحثين الفضلاء وهو المدير العام لمكتب سماحـة الشيـخ الـراحل عبد الله بن حميد رحمه الله وعمل فى القضاء الاعلى والهيئة القضائية العليا وله اطـلاع واسع وعمق فى البحوث الدينية فقد لاحظ على فقرتينا جزاه الله خيراً ونورا بما يستحق أن يطلع عليه القارىء ويستفيد منه الباحث وها انا انقل اليك ،رسالته التى تقول:

استاذى الشيخ عثمان الصالح

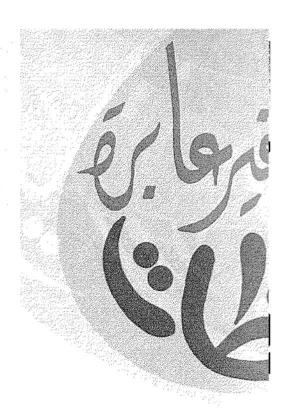
قد اطلعت على ما كتبتم بمجلة المنهل عدد ٤٥٢ لشهر رجب ١٤٠٧هـ تحت عنوان : ملاحظات غير عابـرة . . افتتحتم المقـال عن المنـافقـين بالاية الكريمة : ﴿ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار﴾ ثم قلتم : والمشـركون والكافرون على ما فيهم من الخـروج عن الحقيقـة وكفرهم بالله فانهم ليسوا فى الدرك الأسفل من النار وان كان النوعان فى نار جهنم . أ . هـ

فكـون المنافقين فى الدرك الأسفل من النار أمر مقطوع به لدلالة النص عليه ولا يلزم من ذلك أن لا يشاركهم فى هذا العذاب أحد فلا نقطع بشىء الا مع وجود الدليل .

قال ابن عمر : ان اشد الناس عذابا يوم القيامة ثلاثة : المنافقون . . ومن كفر من اصحاب المائدة وآل فرعون . . تصديق ذلك فى كتاب الله قال الله تعالى : **﴿إن المنـافقـين فى الـدرك الأسفل من النار﴾** وقال تعـالى فى اصحـاب المـائده **﴿فانى اعذبه عذابا لا اعـذبـه احـدا من العالمين﴾** . . وقال فى آل فرعون **﴿ادخلوا آل فرعون اشد العذاب﴾** . . وقد قال الله تعالى **﴿إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا﴾** .

ونقل عن ابن الانبارى : انه قال : انه تعالى اخبر عن آل فرعون بقوله : **﴿ادخلوا آل فرعون اشد العذاب﴾** .

وعن المنافقين فى هذه الآية ان المنافقين فى الدرك الأسفـل من النـار . . فأيها اشد عذابا فاجاب بأنه يحتمل ان اشد العذاب انما يكون فى الدرك الأسفل وقد اجتمع فيه الفريقان . . والله اعلم .



ويواصل رسالته فيقول:

أمـا التساؤل الذى طرحتم هل ان أمرأة تحولت رجلا بعد ما انجبت، وان رجلا تحول امرأة فانجبت: يعنى بالصـورة التى نقلتم عن قراءتكم فى احـدى الكتب الفقهية القديمة ان عالما معروفا يقول كنت امشى مع جنازة ووراءها مشيعون فريقان: احدهم يبكى على امه المتوفاة والفريق الآخر يبكى على ابيه المتوفى وطلبتم حفظكم الله ممن اطلع على كلمتكم أن يعلق عليها بما سمع او رأى أو اطلع للفائدة.

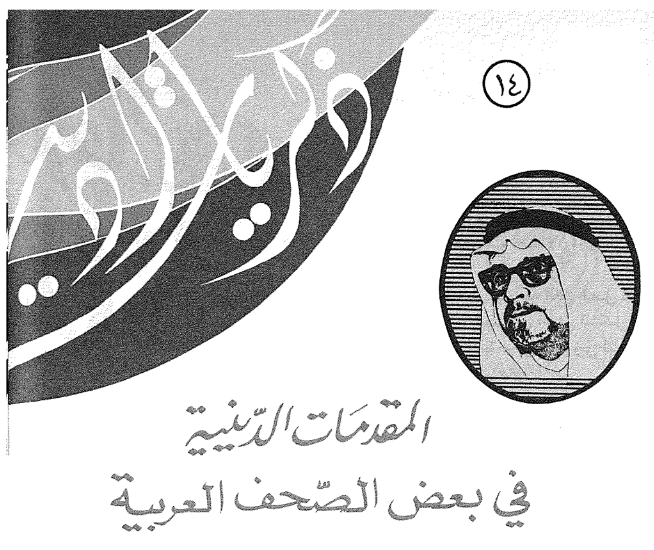
فقد اطلعت على رسالة لأبى محمد جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الأسنوى المتوفى سنة ٧٧٢هـ سماهـا ايضـاح المشكـل فى احكـام الخنثى المشكل حققت برسـالة ماجستير جرت مناقشتها قبل سنتين تقريبا.. وقد وجه محقق الرسالة نفس السؤال الذى طرحتم على عدد من الأطباء والمستشفيات وكليات الطب.. ألخص لكم ما أوردته كلية الطب بجامعة الملك سعـود: انـه يستحيـل ذلك طبياً الا انه من الممكن ان يوجد رجل فيتزوج فيولد له ثم ينقلب الى امرأة ولكن لا يولد لها فى هذه الحالة لان الجهاز الآخر يكون ضامرا.

وكـذلك كلية الطب بجامعة الملك فيصل نفوا ذلـك لأن المبيض والخصيـة فى الخنثى المشكـل لا تنتجـان حيـوانـات منوية او بويضات ومن ثم فان الخنثى المشكل تكون دائما عاقرا. أ. هـ

وقدرة الله لا حد لها كما قلتم وابلغ من ذلك قوله تعالى ﴿ان الله على كل شىء قدير﴾ وقوله تعالى: ﴿انما امره اذا اراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾.

ولما كان الشىء بالشىء يذكر فهناك قصة مثيرة كما يقول الامام النووى فى كتابه بستان العارفين وهو انه وجد فى زمانه وتواردت به الاخبار وثبتت عند القضاة: أن رجلا بقرية ببلاد بصرى فى اوائل سنة خمس وستين وستمائة ـ كان شابا سىء الاعتقاد فى اهل الخير وله ابن يعتقد فيهم فجاء ابنه يوما من عند شيخ صالح ومعـه مسواك.. فقال ما اعطاك شيخك؟ مستهزئا قال: هذا المسواك فاخذه منه وادخله فى دبره احتقارا له فبقى مدة ثم ولد ذلك الرجل الذى ادخل المسواك فى دبـره جروا قريب الشبه بالسمكه فقتله ثم مات الرجل فى الحال أو بعد يومين.. عافانا الله الكريم من بلائه ووفقنا الله لتنزيه السنن وتعظيم شعائره.

فهذه مشاركة حررتها لتجديد عهد ومحافظة على ود واعتراف لكم بعد الله بالفضل ولا ادرى عن صلاحية ما كتب للنشر اترك ذلك لكم وحسبى أن تطلعوا عليه.



١٤

المقدمات الدينية في بعض الصحف العربية

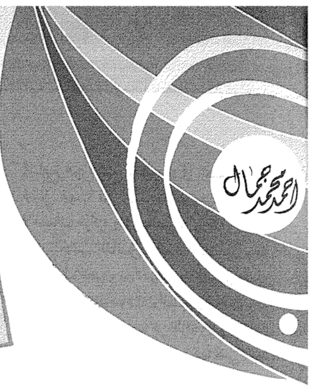
منذ اثنين وثلاثين عاما . . كنت ألاحظ على بعض الصحف والمجلات المصرية انها لا ترعى حقوق المقدسات الدينية فيما تكتب من مقالات او تنشر من صور مضحكة . . فكتبت فى مجلة (الحج) سنة ١٣٧٥هـ نقدا لهذه الظاهرة فى عدد رجب ١٣٧٥هـ اقتطفت منه هذه السطور:

● **الصحافة المصرية** : استاذة الصحافات العربية جمعاء بلا مراء، فقد بلغت الآن من وجاهة المظهر وقوة المخبر مبلغا تغبط عليه وينصبها بين زميلاتها العربيات منصب الاعجاب والإتباع . . والاعجاب لا يمنع العتاب.

والمأخذ الذى نريد أن نؤاخذها عليه اليوم هو اتخاذها إسمَىْ **«آدم وحواء»** وصورتيهما رمزا للرجل والمرأة فى كل مجال فيه خطأ أو زلل او ندم . .

● تُصَوِّر هذه الصحافة العزيزة علينا كل امرأة ورجل بينهما حب او مغاضبة او معاتبة أو دعوة الى فجور وسفور بصورة آدم وحواء، وتنطقهما بلسان آدم وحواء، كأنهما رمز غواية وشقاء بينما هما أول خلق الله تبارك وتعالى، وأصل البشرية وسبب هذه الدنيا الزاخرة الزاهرة . . عدى طائفة إبليس الذى هو عدوهما وعدو الصالحين من ذريتهما وقرين هؤلاء الذين لا يرعون لابوتهما حرمة ولا لاصطفاء الله إياهما كرامة، وبدلا من ذكرهما مع الصلاة والسلام عليهما . . يذكرونهما فى قصص الاخطاء والزلات.

● وآخر ما قرأت من سخرية صحافية بآدم وحواء عليهما السلام ما نشرته مجلة **«آخر ساعة»** منذ بضعة شهور تحت عنوان **«القمار . . المشكلة التى شغلت مصر»** بقلم فتحى غانم صاحب باب **«أدب . . وقلة أدب»** فى المجلة المذكورة . .



ذكريات ماتعة تتدفق عبر قنوات الزمن فتلد جديدا عبقا مستلا من سجف الحياة الفكرية والأدبية.. لأديب وباحث ومفكر له قيمته وقدره ومكانته.. استجاب بكرم الأحافل لدعوتنا فى رصد هذه (المذكرات) إن صحت التسمية فأفرغ بعض وقته المكثف لتطالع القارىء الحصيف فى حلقات يتضاعف بها عطاؤنا وتتعاظم بها مسيرتنا ونهجنا.

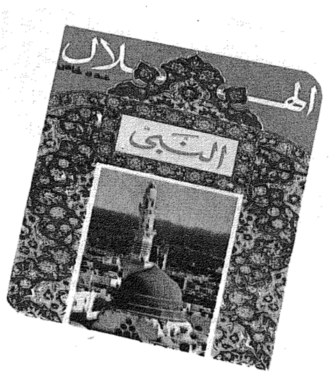
فقد قال الكاتب فى صدر مقاله: (لا شك أن المغفور لهما آدم وحواء هما أول من لعبا القمار. . قامرا بالجنة فخسراها. . وكسبا هذه الأرض التى نعيش عليها نحن أحفادهما المقامرين. ان غريزة التملك والرغبة فى الحصول على التفاحة التى حرم منها آدم. . هى التى دفعته بحماقته الخالدة الى الخروج من الجنة التى نجاهد ونشقى فى سبيل العودة اليها - عبثا - بعد عمر طويل). .

● ونشرت مجلة الهلال فى عدد جمادى الثانية **١٣٧٥هـ** مقالا للدكتور محمد عوض محمد الذى كان وزيرا للمعارف المصرية مقالا بعنوان «**ليلة القدر**» جاء فى صدره (منذ ظهر آدم يدب على أديم الثرى يكد ويكدح، والى جانبه حواء بتنشف ريقه وتدفعه دفعا بلسان من حديد وبشبشب لا يرحم ولا يلين، وهو لها خادم مطيع).

تفعل ذلك بعض الصحف والمجلات المصرية إزاء آدم عليه السلام. . بينما هو رمز التجلة والتكريم بما اسجد الله له من ملائكته ورمز الرفعة والمعرفة بما علمه الله من اسماء خلقه، ورمز الافضلية والأولية بما جعل الله له من أستاذية فى السماء وخلافة فى الارض.

والذين يكتبون عن «**التفاحة**» المحرمة وخروج آدم وحواء من الجنة بسببها أجهل الجهلاء واسفه السفهاء وإن حملوا أرقى الشهادات وتزيوا بزى العلماء والعقلاء.





● اليس من العلم والعقل ان يلمسوا لمس اليدين تحقيق حكمة الله فى خلق آدم وحواء واهباطهما الى الارض ـ ليكون هذا الكون وتحيا هذه الحياة وتعترك هذه المعركة الخالدة بين الانسان وبين الشيطان العدو الخالد لآدم وذريته حتى تنتهى الى نهايتها المحتومة فريق فى الجنة حيث كان آدم وحواء وفريق فى السعير حيث يكون ابليس عدو الانسانية المبين.

ولكنها الاساطير والحكايات والاسرائيليات الموضوعة المفتراة يَرِدُ حياضها ويصدر عنها الفارغون من العلم والعقل والايمان.

●● بقيت مسألة «الشيخ متلوف» الذى تتخذه الصحافة المصرية رمزا لرجل الدين الزائف وتصوره باستمرار وباصرار عجيب فى الملاهى والشواطىء يعاكس الفتيات أو يحل الحرام او يبيح المحظور فى أساليب دينية تهكمية ساخرة..

لقد أعجبنى ما نشرته مجلة أخبار الظهران منذ بضعة أسابيع عن الشيخ «متلوف» فى الصحافة المصرية وما قيل فيها من أنها حملات مدبرة ضد الاسلام لاضعاف مركزه وتشويه سمعة رجاله.. كما أعجبنى قول الكاتب الفاضل: إنه اذا كان بين رجال الدين بعض الزائفين او الزائغين فإنه يوجد بين رجال الصحافة والمحاماة والطب والتجارة وغيرهم من طوائف البشر، كثيرون من الزائفين والزائغين، **فلماذا تقصر الصحافة المصرية سخريتها على رجال الدين دون أمثالهم من الطوائف الاخرى؟.**

● أما أنا فأتساءل هل رأيتم صحافة مسيحية أو يهودية تسخر من رجال الكنيسة أو المعبد بمثل هذه الصور والقصص التى تسخر بها بعض الصحافة العربية الاسلامية من رجال الاسلام؟.

●● الجواب عندكم أيها القراء ـ وعلى ضوئه تتحدد تهمة هذه الصحافة الساخرة من رجال الدين الاسلامى، ويظهر مدى النية السيئة التى تنطوى عليها محاولاتها.



●● وهناك بعض الكتاب السعوديين - مع الأسف الشديد - الذين ينهجون هذا المنهج فى كتاباتهم باسلوب آخر. اسلوب الازدراء بالمقدسات الدينية الموضوعية.. فهذا «احدهم» يكتب فى جريدة «عكاظ» فى ١١/٥/١٣٩٠هـ كلمة تحت عنوان (حانة الاقدار) نقل تحته ابياتا من شعر سخيف اللفظ والمعنى للشاعر المعروف عبد الوهاب البياتى.

ولا نظن ان الكاتب لم يدرك معنى عبارة (حانة الاقدار) فهى مفهومة معروفة حتى للعامة.. فالحانة هى مكان بيع الخمر وتناوله - كما تحدد ذلك كتب اللغة، وكما هو معروف واقعيا فى كل بلاد العالم التى تبيح التجارة فى الخمر صناعة وبيعاً وشراباً - والأقدار معروفة المعنى ايضا..

ومعنى العبارة أو العنوان هو: أن الأقدار من تصرفات مخمور - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - فهل يصح أو يجوز أو يليق بهذا الكاتب المسلم الذى يعيش فى بلد اسلامى ان يتهم الأقدار بأنها من تصرفات مخمور؟.

اما ما نقله الكاتب تحت هذا العنوان - الذى يخرج صاحبه من الملة إذا كان متعمداً له ومعتقداً إياه - من شعر الشاعر البياتى فهو قوله:

اسود أنفه فى السماء
فى إبطه رائحة الانبياء

ونصيحتى للكاتب: ان يستقيم على الجادة.. فهو عربى مسلم يعيش فى موطن العروبة الاصيل ومنار الاسلام الوضاح.

فتاوى شرعية

لفضيلة الشيخ

صالح بن سعد اللحيدان الأمين العام للبحث العلمي - وزارة العدل

يسأل: بن شاربه طارق.. وبن معافر كريمه.. من.. الجزائر.. إدارة التعليم.

نحن على مذهب مالك وقد قرأنا كلاماً مخطوطاً يعـود تاريخه الى قرابة الف عام ولا ندرى كاتبه.. تقول المخطوطة: «**يستتاب مالك فإن وإلا ضربت عنقه**» وقد سألنا فقيل لنا قائله أحد الجهمية لكنا لم نقف على حقيقـة مادية ولما كان هذا يخصنا فنحن نطلب بيان هذا الأمر وأنتم فى عافية ؟.

جواب: قائل هذا الكلام هو العالم المدرك أبو ذئب ليس جهمياً بل هو: أحد العلماء الذين وثَّقهم خلق مبـارك.. من علماء السلف إشتغـل بالـروايـة والدراية.. وسبب قول أبى ذئب هذا هو أن مالكا رحمه الله: لم يعمل بالحديث الصحيح وهو «البيعان بالخيار مالم يفترقا..» فلما وصل هذا الخبر إلى أبى ذئب أنكره لكونه حديثاً صحيحاً ولكونه يبين قاعدة شرعيـة من قواعـد المعاملات الجارية بين المسلمين فقال: «**يستتاب مالك فإن تاب وإلا ضربت عنقه**».

وهذه عادة السلف فى التمسك بالنص الصحيح ما لم يقيد أو يخصص أو ينسخ - لكن هل مالك رده باعتبار عدم العمل به أصلا رداً للشرع الصحيح أو أنه تأول ذلك؟. نحن نقول بهذا فمالك لا يمكن أن يرد حديثاً ثابتاً لكن لكلٍ رأيه وما يجنح اليه.. يقول القاضى أبو يعلى وهو حنبلى فى كتابه «**طبقات الحنابلة**» ١/٢٥١ ومـالـك لم يرد الحـديث ولكن تأوله على ذلك»..

ويقول - القرافى - فى كتابه المعروف تنقيح الفصول ٢/٢١٤ «ومما شنع على مالـك رحمه الله مخالفته لحديث بيـع الخيـار، مع روايته له وهو مهيع متسع ومسلك غير ممتنع ولا يوجد عالم إلا وقد خالف من كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام أدلة كثيرة ولكن لمعارض راجح عليها عند مخالفتها». قلت وهذا حسن جدا فانه لا يوجد عالم إلا وقد خالف من كتاب الله وسنـة نبيـه ﴿ﷺ﴾ أدلـة كثيرة لمعارض راجح» ومالك لا يُظَنّ به سوى ذلك بل إن المتبع لسير الائمة ليجد العجب لكن يقال فى هذا إنهم تأولوا أو لديهم معـارض غلب على ظنهم أنه الحق - ولا يعنى أن مالكاً ترك هذا الحديث لشىء بل يقال تركه لأن لديه معارضاً وهو عمل اهل المدينة.

ولعل القارىء الفطن جداً يدرك أسباب كلام العلماء بعضهم فى بعض بصواب وبغير صواب لكن على العالم الذى يأتى بعدهم تقديم حسن الظن بالعلماء وتقديرهم وأنهم مجتهدون يقول: تاج الدين السبكى فى كتـابه طبقات الشافعية ٢/٣٩/٤٠ «ينبغى لك أيهـا المسترشـد أن تسلك سبيل الأدب مع الائمة الماضين وأن لا تنظر إلى كلام بعضهم فى بعض إلا إذا أتى ببرهان واضح، ثم إن قدرت على التأويل وتحسين الظن فدونك وإلا فاضرب صفحا عما جرى بينهم فإنك لم تخلق لهذا.. فاشتغل بما يعنيك ودع مالا يعنيك ولا يزال طالب العلم نبيلا حتى يخوض فيما جرى بين *السلف الماضين*».

قلت هذا ما قال ونعم ما قال ونحن فى زماننا هذا واجب علينا الاخذ بهذا بعين الاعتبار.

قلت ايضا المشكلة اليوم هى مشكلة . . الحسد . . بين الناس فإنهم يحسد بعضهم بعضاً بالكلام عن فلان وفلان عند من لا يعلم شيئاً والمنصب اليوم صار هو المطلب لذلك ترى كلا يريد لنفسه وصلا له ولو أدى ذلك الى الحسد الظاهر . وتلفيق الكلام وقول الزور بل ان بعض الناس إذا خاف من أحد ما أن يكون مكانه أو أنه يزاحمه فى العمل ضايقه حتى ينتقل عنه أو حطم معنويته بطرق عجيبة فلا حول ولا قوة إلا بالله .

يسأل : محمود صابر أبو هادى . . جدة

إذا كانت الزوجة تطلب الطلاق وتلح على طلبه دون مبرر ظاهر فهل بمجرد طلبها للطلاق تعطى إياه؟ .

الجـواب : الطلاق فى الحياة الزوجية لا يلجأ إليه هكذا ودون سابق إدراك لسببه الذى يجب أن يكون معقولا . . واسباب ذلك :

(١) تعذر العشرة الزوجية

(٢) المشاكل بين الزوجين التى تؤدى غالباً الى الانتقام

(٣) سوء خلق المرأة وضعف دينها .

(٤) جهل الزوج بحق الزوجة واهمالها والاضرار بها سواء كان ذلك لاجل زوجة أخرى أو حصل دون ذلك .

أما مطالبة الزوجة الطلاق والاصرار عليه دون عذر واضح لطلبه فهذا أمر مشكل جداً لأنها لا يمكن أن تطلب الطلاق دون سبب معلوم وان لم يظهر سبب فلابد من البحث عنه لديها فان المرأة كثيراً ما تخفى أشياء ليس من الصالح إبداؤها بالنسبة لها أو بالنسبة للآخرين . . من أجل ذلك فلعله من الصالح للطرفين عدم تلبية رغبتها فانها ندم . . فالمرأة كما يقولون «عزامة ندامة» وان كان الالحاح شديداً فلابد من دراسة هذا الوضع دراسة مستوفاة على شكل مختصر تكون نتائجه حميدة أو هى تقرب من ذلك . . تمهلوا إذن إذا كان هذا قد حصل ولا تتعجلوا بتلبية طلبها .

يسأل : سكيت . م . ن . ن . . دولة الامارات العربية

إذا وجد إنسان ما سيارة خربة فى الطريق قد تركها أهلها فهل يجوز له أخذ شيء منها؟ . .

الجواب : من حيث الأصل الشرعى فانه لا يجوز للمسلم أخذ شيىء من أى سيارة تكون سواء كانت تالفة أو صالحة ـ وكنت قد ذكرت ذلك حينما زرت جامعة العين . . وبيَّنتُ الادلة وآراء العلماء فى هذا فنلخص هنا ما ذكرناه هناك .

أولا : إن كان صاحب السيارة معه عائلة والطريق طويلة ـ والسيارة التالفة غير صالحة أصلا ولا يمكن تصليحها ففى هذه يجوز أخذ اللازم بقدر الضرورة ـ إذا كان ذلك ممكنا .

ثانياً : إذا توقفت السيارة وأصابها تلف لا يصلحه إلا أخذ جزء من تلك السيارة التالفة فيجوز.

ثالثاً : إذا لم يكن الأمر ضروريا ولا حاجة إليه فيحرم .

وفى هذه الحالات الافضل الاتصال بصاحب السيارة إن عرف أو الاتصال (بالمرور) واخبارهم بما حصل لتبرأ الذمة بذلك .

المجلة الأولى
العدد الثلاثون - ذو الحجة ١٤٠٧

السائح

تغرب عن الأوطان في طلب العلا
وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة
وعلم وآداب وصحبة ماجد



- البنغال — محمد يوسف صديق
- بلجيكا — عبدالله الحقيل
- تركيا — د. أنور طاهر

عواصم

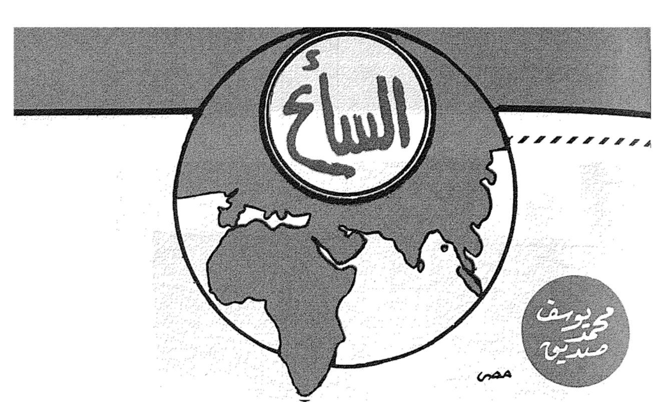
العاصمة الاسلامية الاولى في بلاد البنغال

أنشأ المسلمون عددا من المدن والمراكز والعواصم فى البنغال بعد دخولهم اليها والتى نجد وصفها فى المؤلفات القديمة وفى كتب الرحالة . . وتعتبر مدينة غور المدينة الأولى التى اتخذها المسلمون عاصمة لهم فى البنغال وقد ورد ذكر هذه المدينة فى مؤلفات القرون الوسطى باسم (لكهنوتى)(١)

وتشير بعض المصادر ان هذه المدينة كانت موجودة قبل ان يتخذها المسلمون عاصمة لهم . . فكانت عاصمة للأسرة الملكية البوذية (بال) ومن جاؤا بعدهم وان كان لا يوجد بين ايدينا دليل مادى لذلك . . ولكن لو لاحظنا المواد البنائية لبعض العمائر الاسلامية بدقة ، لوجدنا ان بعض احجارها تحمل رسوما واشكالا هندوكية(٢) وهذا دليل بأن هذه الاحجار قد جلبت من العمائر الهندوكية التى بنيت فى عصور ما قبل فتح المسلمين لبلاد البنغال ، مما يدل على وجود مدينة مزدهرة فى فترة ما قبل الاسلام(٣) .

وتقع غور على خط عرض ٥٤ ، ٢٤ شمالا وعلى خط طول ٨ ، ٨٨ شرقا . . وفى فترة الاستعمار الانكليزى كانت هذه المدينة تعتبر جزءا من مقاطعة مالدهة(٤) ولكن عندما استقلت الهند وباكستان فى عام ١٩٤٧م . . كانت هذه المدينة على الحدود بينهما

في البنغال - تركيا - وبلجيكا.. جولتنا لهذا الشهر - في العاصمة الاسلامية "غور" نتعرف على بعض الآثار والجسور .. وفي تركيا نستعرض بعض معطيات الحياة فيها من زراعة وصناعة وسياحة ، وثقافة .. أما بلجيكا ذلك البلد الجميل تستوقفنا فيه متاحفه وآثاره وأسلوب حياته.. ومع الساعة نتجول في البلدان والمدن ..



ونتيجة لذلك انقسمت هذه المدينة الى قسمين قسم فى ولاية البنغال الغربية وقسم آخر فى الباكستان فى منطقة البنغال الشرقية (بنغلاديش الحالية) وعلى الرغم من هذا التقسيم السياسى فان معظم مساحة هذه المدينة تقع فى ولاية البنغال الغربية (الحالية).

واختلف المؤرخون فى تسمية هذه المدينة فيرى (Sir Alexander Cunningham) ان الاسم (غور) مشتق من (غوره) وهو اسم قبيلة كانت تسكن فى هذه الاراضى(٥) وجدير بالذكر ان بعض ملوك أسرة (بال) قد تلقبوا بـ (غوريشر) ومعناه حاكم غور او ملك غور، الأمر الذى يدل على أن هذه المدينة كانت معروفة باسم (غور) حتى قبل حكم المسلمين. . ويظن ايضا أن هذا الاسم (غور) مشتق من كلمة (غور) وهى كلمة فى اللهجة المحلية تستعمل للسكر الريفى الاحمر الذى ينتج فى هذه المناطق بكثرة ولأجل هذا يمكن أن تكون قد سميت بهذا الاسم (غور)(٦).

وكما أشرنا سابقا أن هذه المدينة قد ورد ذكرها فى كثير من كتب الرحالة فى القرون الوسطى . . ومن المؤلفين البرتغاليين (فارياسوزا)(٧) الذى تكلم عنها ووصف هذه المدينة بقوله انها كانت من أهم مدن البنغال التى تقع على شاطىء نهر (غنغا) وتسكن فيها مائتا الف أسرة وهى محاطة بالأسوار وشوارعها واسعة توجد على طرفيها سلسلة من الاشجار(٨).

ولما زارها De Barros فى عهد السلطان محمود شاه الثالث كانت هذه المدينة مزدحمة بالسكان يصل عددها حوالى مائتى الف وزارها (William Hedge) فى سنة ١٦٨٣م ووجد معظم عمائر هذه المدينة فى حالة سليمة(٩). وزار هذه المدينة ايضا (روين بارو) فى سنة ١٧٨٧م ولكنه وجد معظم معالم هذه المدينة متهدمة(١٠) وكذلك تكلم (Manor Runnell) فى كتابه (Memoirs of a Map of Hindoostan) او (مذكرة فى خريطة هندوستان).

أما الرحالة العربى ابن بطوطة فقد ذكرها باسم لكهنوتى . . ولكنه لم يزر هذه المدينة على الرغم من انه زار بعض المدن الاخرى فى البنغال(١١).

ونعرف من المصادر القديمة أن هذه المدينة كانت مساحتها حوالى عشرة اميال طولا وحوالى ميلا ونصفاً عرضا . . وكانت تقع هذه المدينة على شاطىء غنغا. وقد بنى الحكام المسلمون على شاطىء نهر غنغا سدا لمنع المياه من التسرب الى المدينة ولكن بمرور الزمن قد تغير مجرى النهر وأدى هذا التغيير الى سوء الحالة الصحية لسكانها ولذلك انتقلت العاصمة



● نقش كتابى عربى عثر عليه فى مدينة غور وهو يسجل التاريخ سنة ٨٨٥ هجرية. وكتب هذا النقش بخط الثلث ويمثل مثالا رائعا لجودة الخط العربى فى بلاد البنغال.

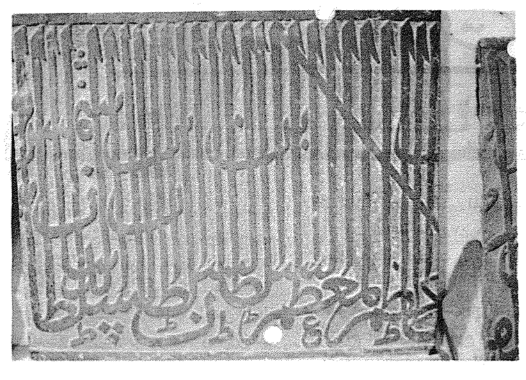
الى بندوه لمدة مائة عام تقريبا ولكن بعد هذه الفترة عاد الحكام الى غور واتخذوها حاضرة لهم للمرة الثانية حتى نقل سليمان قرانى عاصمة البنغال من غور الى تانده فى عام ١٥٦٥م(١٢) ونعرف من المصادر القديمة ايضا أن هذه المدينة كانت لها مداخل ضخمة وأشهرها (داخل دروازه) او باب الدخول الذى كان يضم نقشا عربيا من العصر السلطانى.. وقد شيدت فى هذه المدينة مساجد كثيرة ذات عناصر معمارية رائعة ومنها المسجد الذهبى الكبير والمسجد الذهبى الصغير ومسجد جمكتى ومسجد لتن.. وقد وجدت فى كل من هذه المساجد النقوش العربية التى تسجل لنا تاريخ انشائها واسم السلطان الذى امر ببنائها وتوفر لدينا الكثير من المعلومات والبيانات ومعظم واجهات هذه المساجد بنيت بالاحجار المزخرفة.

ومن اكبر مساجد غور واشهرها المسجد الذهبى الكبير الذى لا يزال يحتفظ ببعض معالمه ولا نعرف لماذا سمى هذا المسجد بالمسجد الذهبى؟.. فاغلب الظن ان سبب هذه التسمية يعود الى زخرفته الكثيفة بالطلاء الذهبى.. ويقال أن قباب هذا المسجد كانت مدهونة ايضا باللون الذهبى.. وكان ينعكس منها شعاع الشمس فى النهار وشعاع القمر فى الليل(١٣) وقد وجُدت نقوش عديدة فى هذا المسجد التى سنتناولها فيها بعد.

وأنشىء فى المدينة العديد من الجسور على القنوات التى كانت تربط نهر غنغا مع جهيل ساغر (بركة كبيرة) ووجد نقش عربى على احد هذه الجسور الذى أنشىء فى عهد السلطان ناصر الدنيا والدين محمود شاه الاول فى سنة ٨٦٢هـ/١٤٥٨م.. وبنى هذا الجسر على نظام المداميك وله خمسة عقود وكذلك اشتهرت منارة فيروز شاه بطرازها الفنى الجميل وللأسف لم تبق منها الا الأطلال.

ونقش هذا المنار (برج) قد حمله فرنكلين الى بريطانيا ولا يزال محفوظا فى المتحف البريطانى بلندن.





● نقش أخر من مدينة غور الذى يسجل القاب احد السلاطين المسلمين فى البنغال ونلاحظ فى هذا النقش ان الخطوط الرأسية لجميع الحروف رتبت بشكل منتظم ومتناسق حتى يكون لها تأثير جمالى قوى

وعلى الرغم من كل هذا الازدهار والشهرة التى شهدتها هذه المدينة فى القرون الوسطى ، فانها مرت فى العصور المتأخرة بالعديد من الكوارث حيث نقل كثير من موادها البنائية من عمائرها القديمة الى كلكتا والأماكن الاخرى وتهدمت عمائرها واحدة بعد أخرى حتى انها صارت اطلالا واصبحت مدينة مهجورة ولم تعد اليها عظمتها الاولى .

وفى اواخر القرن الثالث عشر الهجرى اتخذ الحكام المستعمرون البريطانيون بعض القرارات لصيانة الاماكن الأثرية فى الهند . . فاصبحت مدينة (غور) من المدن الأثرية التى تهتم بها الحكومة فرمموا بعضا من عمائرها المتهدمة وتهتم بها حاليا دائرة الاثار فى الهند وبنغلاديش حتى تجذب السائحين اليها ولا شك ان هذه العاصمة القديمة سوف تذكر فى تاريخ العواصم الاسلامية التى لها أثر عظيم فى ازدهار الحضارة العمرانية فى البنغال الاسلامية .

الهوامش

(١) وقد زارها سراج الدين منهاج وهو يستخدم اسم لكهنوتى فى معظم الاحيان
See Tabaqat-E-Nasiri: (Trans. by Raverty) Amir publications, Lahore, 1977, Vol. I, p 536

(٢) Ahmad Hasan Dani; Muslim Architecture of Bengal, Dhaka 1961, pp 86-88.

(٣) Encyclopedia of Islam: Leiden; 1927, Vol. 11, P 131.

(٤) Ibid; 131-132.

(٥) Alexander Cunningham: Archeaological Survey of India, Delhi; 1969, Vol. XV pp 40-41

(٦) Archeaological Survey of India: Op. Cit. pp 40-41

(٧) قد عاش فى الفترة ما بين ١٥٨١م/ ١٦٤٩م وطبع كتابه Asia portuguesa) لأول مرة فى سنة ١٦١٦م.

(٨) سوخومائى موخوباد هائى : تاريخ البنغال (باللغة البنغالية) كلكتا ١٩٨٠م ص١٠٥

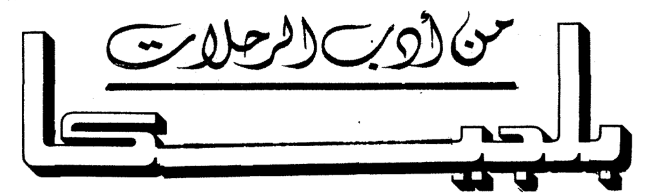
(٩) Creighton's Gaur; p6

(١٠) Franklins Gaur; Appendix

(١١) رحلة ابن بطوطة : القاهرة ١٩٣٤م ص٢٣١-٢٣٤

(١٢) Encyclopedia of Islam: First Ed. Vol 11, p 131.

(١٣) Muslim Architecture of Bengal: p 50



● في صبيحة يوم الاربعاء الموافق ١٤٠٧/١١/٢٩هـ غادرنا هولندا وتوجهنا صوب بلجيكا في شمال غرب اوروبا بطريق السيارات. . وقد استغرقت الرحلة اكثر من ثلاث ساعات حتى وصلنا الى الحدود البلجيكية الهولندية ولم تكن الرحلة شاقة او متعبة. . حيث كان الجو بديعا وممطرا وكانت الاجراءات سهلة. .

● فقد عبرنا من بوابة كان عليها احد الموظفين وبعد ان اطلع على جوازاتنا لوح بيده للدخول ودخلنا الى بلجيكا وكان الجو جميلا والنسيم العليل مما ذكرني بقول القائل:

اتاني نسيم السد طيبا من الحمى
فذكرني نجدا وقطعني وجدا

● وعلى طول الطريق يغطى ارضها بساط نضير. . كنا نشاهد حقول الكروم والبساتين والوان الفواكه والخضار ومعظم ارضها منبسطة في بعض الاماكن. . تتحول الارض الى جبلية وغابات في الجنوب الشرقي فيما يسمى بمنطقة الاردين وتحدها فرنسا من الجنوب الغربي ولوكسمبرج من الجنوب الشرقي والمانيا الغربية من الشرق وهولندا من الشمال. . اما اللغة فان ٥٧٪ من السكان يتكلمون اللغة الهولندية و٣٣٪ اللغة الفرنسية و٠١٪ اللغة الألمانية و١٠٪ من السكان يتكلمون اللغتين الهولندية والفرنسية.

اما الديانة فان ٧٥٪ هم من الروم الكاثوليك و٢٥٪ من البروتستانت.

●● اسم بلجيكا مشتق من اسم اول قبيلة سجلها التاريخ تقيم في هذا الموقع وهي قبيلة البلجاي وقد فتحها يوليوس قيصر. . وعاشت ١٨٠٠ عاما في ظل حكم الغزاة من الرومان والافرنج والاسبان والنمساويين والفرنسيين.

وبعد عام ١٨١٥ اصبحت بلجيكا جزءا من هولندا ولكنها تحولت الى مملكة دستورية مستقلة عام ١٨٣٠م.

ويتكلم سكان شمال بلجيكا اللغة الهولندية بينما الفرنسية هي لغة الجنوب ويتحدث معظم السكان اللغة الانجليزية حيث لم نجد صعوبة في التفاهم. . وتعيش بلجيكا على التجارة إذ ان حوالى ٥٠٪ من مجمل انتاجها للخارج.

ومن اهم صناعاتها الصلب والزجاج والماس والمنسوجات والكيماويات والفحم والاخشاب.

● ومضت بنا السيارة بين السهول والقرى والمزارع والتلال وكنت استمتع برؤية تلك المناظر وروعتها واستجلي ذكريات التاريخ. . وتذكرت كتبا تاريخية كنت قد قرأتها عن هذه البلاد وتاريخها. . وكانت أشجار الفاكهة فواحة بأريج ازهارها تياهة بطيب





ثمارها . . وبينما نحن نعبر الاودية تذكرت قول الشاعر الصديق الاستاذ حسن القرشي :

وادٍ أغَنُّ سرى النسيمُ بأرضه
مترقرقا بندى النمير الصافي
تشدو العنادل فيه ألحان المنى
فتثير من شجن المشوق الغافي
وتفيض من نغماتها خطراته
فتشع بالبسمات والالطاف

ولا شك ان رؤى الربيع ومناظر الطبيعة التى مررنا بها والمروج الخضراء كانت جذابة وخلابة . . وكان الطريق مليئا بحركة السيارات ولوحات الارشاد بين الطرق وتوقفنا قليلا للراحة والاستجمام ولتزويد السيارة بالوقود ثم اصلنا المسيرة وكنا نشاهد الريف البلجيكى الجميل وبيوته التى ترمز الى متانة البناء ودقة التصميم . . حيث يقع البعض منها على قمم عالية وذلك تجنبا لمخاطر السيول وبلغنا العاصمة بروكسل قبيل الثانية ظهرا وكانت تعج بالحركة والنشاط . . فالناس فى عجلة دائبة وذهبنا توا الى احد الفنادق ويسمى اميجو وبعد استراحة وتناول طعام الغداء مضينا فى جولة الى شوارع العاصمة وميادينها ومحلاتها واسواقها .

●● ومدينة بروكسل تمثل القلب النابض للحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية لبلجيكا . . كما انها تفخر باحتوائها على اجمل ميدان فى العالم وعدد كبير من المتاحف والابنية الشاهقة وبها مجمعات ادارية وتجارية ضخمة . . ويتخلل ذلك الحدائق الفسيحة التى يمكنك الاستراحة فيها من ضجيج وسط المدينة . . ويستمتع المرء فيها بالبهجة والجمال .

وعدد السكان حوالى مليون نسمة . . ومن اهم المعالم السياحية التى تسنى لنا زيارتها :

- الميدان الكبير وهو من اجمل الميادين فى اوربا . . حافل بما يقر النواظر ويسر الخواطر

- قصر الملك وبه متحف البلدية

- قصر العدالة وهو قصر ضخم تتجلى فيه الفنون المعمارية .



منظر عام لحديقة القصر فى بروكسل

المركز الاسلامى فى بروكسل:

لقد تكون المجلس الاسلامى فى بلجيكا ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م كان هدفه تأسيس مسجد جامع فى بروكسل ومركز ثقافى اسلامى ومقبرة للمسلمين.. اعترفت الحكومة البلجيكية بالمجلس فى ١٣٨٨-١٩٦٨م وتشكلت له لجنة تنفيذية ضمت بعض الاعضاء من السفراء المسلمين واعضاء من الجالية المسلمة فى بلجيكا.. اقيم المركز الاسلامى فى الحديقة الخمسينية فى قلب بروكسل وعلى مقربة من مبانى المقر العام للسوق الاوربية المشتركة.. استلم ارض المركز المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز «رحمه الله» وافتتحه المغفور له الملك خالد بن عبد العزيز فى ١٣٩٨هـ وحضر الافتتاح الملك (بودوان) ملك بلجيكا.

يتكون المركز من اربعة طوابق.. يشمل مدرسة - قاعة للاجتماعات والمناسبات الاجتماعية.. قاعة للسيدات ومسجدا صغيرا.. ادارة للدراسات الاسلامية.. مختبر لتعليم اللغات.. مكتبة.. المسجد يعد من ابدع المساجد الاسلامية فى اوربا معماريا.. وبجوار مبنى المركز مبنى اخر اهداه ملك بلجيكا الى جلالة الملك خالد ليكون متحفا اسلاميا.. وتضم مدينة بروكسل (المجلس القارى للمساجد) وعدد المسلمين فى بلجيكا (٨٠٠ر٢٠٠) تقريبا..

●● كما قمنا بزيارة المتاحف الموجودة بها:

- **متحف الفن الكلاسيكى.**
- **متحف الفن الحديث.**
- **المتحف الملكى للفنون والتاريخ.**

البرج الكبير فى بروكسل

ـ المتحف الحربى كما ان هناك متحفا آخر لم نقم بزيارته وهو متحف الآلات الموسيقية.

وقد حدثنى بعض الاخوة الذين التقيت بهم هناك عن هذا المتحف التاريخى والآلات القديمة الموجودة فيه منذ مئات السنين.

●● كما قمنا بزيارة الى واترلو

وهى موقع على مسافة ١٨ كيلا جنوب بروكسل وقد حدثنا الدليل السياحى عن هذا المكان حيث حدثت به موقعة واترلو الشهيرة التى كانت فيها نهاية نابليون بونابرت وكانت فى يونية ١٨١٥م.

● ثم توجهنا لزيارة مدينة انتفيرب : Antwerp

وهى مدينة غنية ومليئة بالحياة ليس فقط بسبب مينائها الشهير او صناعتها ولكن ايضا لاحتوائها على الكثير من الابنية والمتاحف التاريخية.. وسكان المدينة انفسهم يحرصون على المحافظة على هذه الصورة لها.. والمدينة تعج بالحركة ليل نهار اذ بها صناعة الماس الفائقة الشهيرة والبتروكيماويات ويجد السائح ايضا الهدوء الكامل اذا اراد تأمل مبانيها الرائعة وازقتها القديمة المتعرجة وفى مساحاتها الخضراء الهائلة.. وان مدينة انتفيرب ذات ماض عريق وسكانها حوالى نصف مليون وهى اكبر مدن بلجيكا وترتبط بمجموعة من المدن الكبيرة بواسطة ٤ قطارات كل ساعة تصلها ببروكسل واكثر من ٢٠ قطارا يوميا تربطها بمدن روتردام وامستردام وعشرة قطارات يوميا تربطها بباريس.

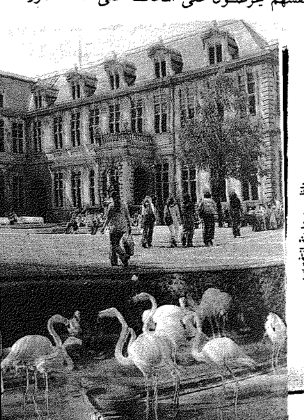
ومن المشاهد السياحية :

الحدائق والمنتزهات والمتاحف.. كنيسة السيدة مريم (١٣٥٢م ـ ١٥٢١م) وقد بنيت على طراز الفن القوطى بأبهائها السبعة واعمدتها ال ١٢٥.

ومن اهم المتاحف..

المتحف الملكى للفنون الجميلة:

يحتوى على اكثر من ١٠٠٠ لوحة زيتية لفنانين قدماء



مناظر من مدينة انتفيرب



لوحة من المتحف الملكى للفنون الجميلة

وكذلك ١٥٠٠ لوحة اخرى لفنانين محدثين . . والمتحف به اعظم مجموعة عالمية من روائع الفنان روبين .

متحف ريدر شميث فان جلدر

هو اساسا قصر بنى فى القرن الثامن عشر تحيطه حدائق غناء . . ويمتلىء بالسواح من عشاق الآثار القديمة حيث يستمتعون برؤية البروسلين النادر .

متحف روبين Rubens House

وكان فى السابق المقر الخاص والمرسم لفنان مدينة انتفيرب ويتميز بأثاثه الاثرى والتحف الفنية التى تنتمى لعصر ذلك الفنان على حد قول المرشد السياحى . .

●● ومن المتاحف الجميلة ايضا : متحف التماثيل المفتوح . . متحف الفن الشعبى . .

ومن اهم معالم المدينة :

الميناء : فهو الى جانب اهميته الكبرى فى التجارة الدولية مشهد سياحى جميل ويمكن للسائح فى رحلة بحرية قصيرة او بالسيارة ان يلم سريعا بنشاط المدينة الصناعى وكذلك معامل تكرير البترول والمجمعات الكيميائية والبتروكيميائية ومصانع تجميع السيارات . . الخ . . الى جانب المناظر الطبيعية والمباهج الخلابة .

القديم والجديد .. التراث والحديث كلاهما تتلاقى اكفهما فى مهرجان رائع نشاهده فى العديد من المدن البلجيكية .



ـ ميناء مدينة انتفيرب



السوق المفتوح فى مدينة بينش

صناعة الماس:

منذ عدة قرون حتى الآن ومدينة انتفيرب هى قلب تجارة الماس وصناعة تقطيعه.. ويمكن للسائح ان يرى بنفسه قطاع الماس وهم يمارسون صناعتهم وقد اتيح لنا دخول احد المحلات المتخصصة وشاهدناهم وهم يعملون فى صناعتهم وعرضوا علينا نماذج عديدة ولكن اسعارها كانت غالية ومرتفعة.

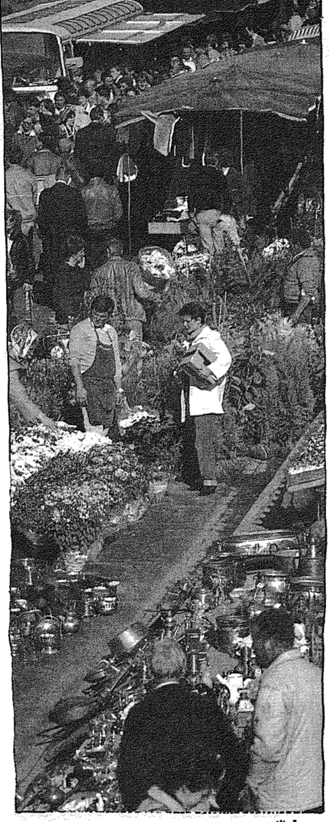
●● كما قمنا بزيارة الى حديقة الحيوان بالمدينة ولها شهرة عالمية انها واحة خضراء فى قلب المدينة حيث بنيت فيها متاحف الحيوانات المائية وبيوت الزواحف وبيوت للحيوانات الليلية وغيرها.

ومما تجدر رؤيته بالنسبة للسائح الاسواق مثل سوق الطيور كل يوم احد وسوق الفن عصر السبت من كل اسبوع وسوق الاثاث القديم صباح كل اربعاء وجمعة.

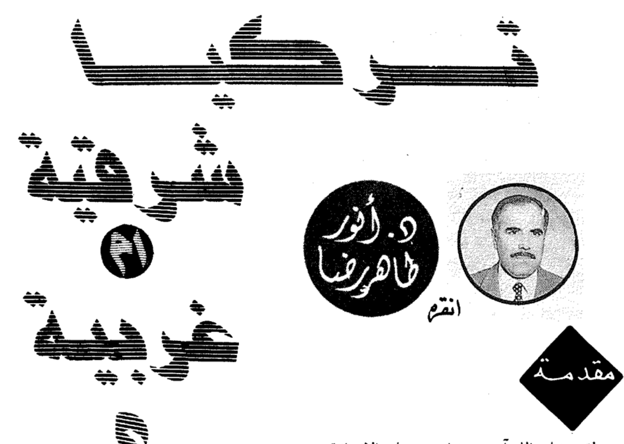
●● ومن معالم المدينة ايضا مطاعمها الفاخرة والمعارض الدولية.. والمنتزهات الجميلة.. وهناك مدن اخرى مثل مدينة بويلون Boulllon.

وبعد جولة فى تلك البلاد اخذنا طريقنا متوجهين الى الاراضى الفرنسية وهكذا نكون بين شد الرحال وحطها وعلى حد تعبير قول القائل:

نزلنا ها هنا ثم ارتحلنا
فدنيانا نزول وارتحال



سوق الفن



لقد خلق الله آدم من تراب، وخلق الانسانية جميعا من آدم . . وعندما ازداد ابناء آدم عددا انتشروا على هذه البسيطة فتكونت اللغات وتعددت اللهجات وتميز الناس وانقسموا الى قوميات وشعوب وقبائل بألوان متباينة . . وكانت حكمة الله فى ذلك ان يتعارف الناس ببعضهم البعض.

والناس على كثرتهم انها ينتمون الى قوميات وثقافات وديانات معينة . . وقد تكون مشاعرهم مسجمة مع هذه الانتماءات او مغايرة لها . . فالحالات الاولى تمثل التكيف، وتمثل الحالات الاخيرة سوء التكيف، الذى قد يضر بالمرء وبمن يحيط به . . والناس دائما يقلدون بعضهم البعض بناء على اسس معينة يتمتع بها بعضهم، وينعدم لدى بعضهم الاخر.

والشعوب ليست الا اناس واناس، تجمعوا على جزء من ارض الله تحت هذه الانتماءات التى يتوقع ان تكون جامعة . . ويقدر ما تكون هناك مشاعر واهداف مشتركة لابناء بلد ما بقدر ما يتحقق التكيف والانسجام فى هذا البلد المعين.

الشرق والغرب انتماءان من انتماءات الافراد والامم والبلدان . . تؤثر عوامل مختلفة على شرقية بلد ما او غربيته . . قد تكون هذه العوامل مفروضة من خارج البلد او نابعة من داخله وقد تتجمع هذه العوامل معا لتلعب تأثيرا مزدوجا . . قد يتقرب بلد من هذا الطرف فى حقبة زمنية معينة لينتقل الى الطرف الآخر فى حقبة زمنية اخرى.

الشرق منبع الديانات قديما وارض الخيرات



حديثا والغرب مالك التقنيات والعلم معا.

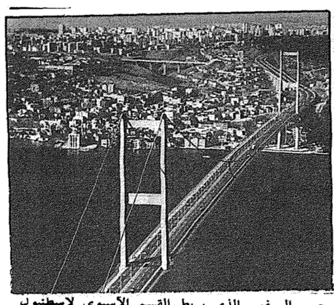
لغرض تحديد شرقية تركيا او غربيتها علينا ان نتناول العوامل المختلفة التى ترتبط بالتاريخ والموقع الجغرافى والسكان والثقافة والزراعة والصناعة والسياحة والتجارة والطاقة والنقل ورؤوس الاموال المستثمرة فى تركيا.

١ ـ العامل التاريخى:

كانت هذه الارض التى يعيش عليها الاتراك اليوم موطنا لغير الاتراك فى العصور السحيقة من التاريخ سكنت من قبل مختلف الجماعات الانسانية.. لقد انشأ اليونانيون المدن فى هذه المنطقة قبل ولادة المسيح بفترة طويلة وترعرعت حضارتهم فى ارجاء هذا البلد.. انشأ البيزنطيون امبراطوريتهم التى مدت نفوذها الى العراق وسوريا الكبرى وشمال افريقيا.. وعندما تقوت الحضارة الاسلامية مدت نفوذها شمالا وصارعت اقوى امبراطوريتين فى ذلك العهد: الامبراطورية الفارسية والامبراطورية البزنطية وضمت اليها مسافات شاسعة من الارض التى كانت تحت احتلال هاتين الامبراطوريتين لفترة طويلة من الزمن.. على ان الدولة الاسلامية فى عهد الخلفاء الراشدين والامويين والعباسيين لم تستطع السيطرة على ارض تركيا اليوم.

الاتراك قوم من الناس سكنوا اواسط اسيا ومنها خرجوا جنوبا وشمالا وغربا على شكل تيارات فى فترات مختلفة من الزمن وانشأوا دولا قوية اينما ذهبوا بفضل تدريبهم العسكرى والحياة الصعبة التى نشأوا عليها.

ان المهجرات التركية التى امتدت غربا أهلت الاتراك

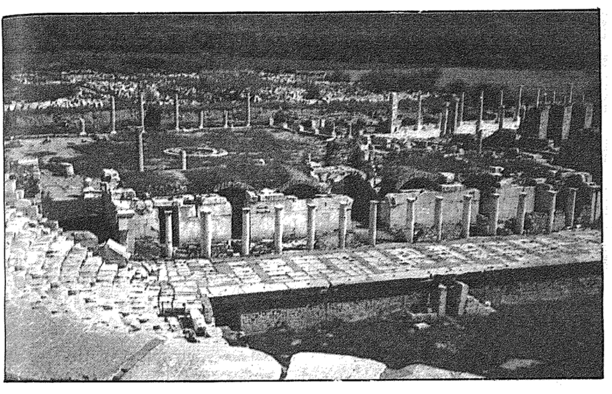


جسر البسفور الذى يربط القسم الآسيوى لاسطنبول بقسمها الاوروبى

للاتصال بالحضارة الاسلامية فوجدوا فيها ما تغذى ارواحهم خير تغذية.. لم يلبثوا طويلا حتى اعتنقوا الدين الاسلامى ولقد انطبق ذلك حتى على من جاء منهم فاتحين.. وباعتناقهم هذا الدين الحنيف طفقوا يدافعون عنه ويمدون نفوذ امبراطوريتهم الاسلامية نحو الشمال.

وانشأت الدولة السلجوقية فى الاجزاء الجنوبية الشرقية من تركيا اليوم.. واستطاع العثمانيون بفضل عدالة الاسلام ان يوسعوا امبراطوريتهم شمالا نحو اوربا واستولوا فعلا على اجزاء كبيرة منها وحكمت الامبراطورية العثمانية اطول فترة يمكن لامبراطورية ان تحكم بفضل تمسك سلاطينها بالاسلام.

ظلت الامبراطورية العثمانية شرقية فى اتجاهها واسلامية فى نظام حكمها طيلة القرون الطويلة التى شاء الله لها ان تحكم.. وكانت هذه الامبراطورية تقض مضجع الصليبيين فلم يَرُق لهم ان تكون هناك قوة اسلامية تنافسها هذه المنافسة.. فاخذوا يدبرون لها المؤامرات من الداخل والخارج حتى ابتعدت عن سيرها القويم واصبحت رجلا مريضا تقسمت مخلفاته



مدينة افسوس الأثرية التى تبعد حوالى ٢٥٠ كم عن ازمير

قبل ان تدركه المنية . . يبدو ان للامبراطوريات والامم والحضارات عمرا كالانسان، وفى ذلك يقول القرآن الكريم: **﴿وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم. . ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون﴾** (سورة الحجر ٤-٥).

وانتهت الخلافة الاسلامية فى هذه البقعة من الارض وبدلا من تلك الامبراطورية انشأت جمهورية على الطراز الغربى . . قام مؤسس هذه الجمهورية بعدد من الاجراءات التى من شأنها تقريب تركيا من الغرب، لعل اهمها ما يأتى:

١ - انشاء جمهورية علمانية اسوة بما حصل فى الغرب، وفصل الدين عن الدولة.

٢ - تبديل الحروف العربية بحروف اخرى غربية ومنع القراءة والكتابة بهذه اللغة الشرقية وبذلك احكم حاجز متين بين التأريخ التركى العثمانى وعصره الحديث.

٣ - منع الزى الشرقى واقرار الزى الغربى، وطبق ذلك قديما ولا يزال يطبق فى المؤسسات والدوائر الرسمية.

٤ - اقرار التقويم الغربى وتبديل عطلة الاسبوع من الجمعة الى السبت والاحد.

كانت هذه الاجراءات التى تسمى بانقلابات مصطفى كمال تستهدف قلب اتجاه تركيا من شرقية اسلامية الى غربية علمانية ويمكن القول ان هذه الاجراءات لم تحقق كل اهدافها فتركيا اليوم تعيش تحت وطأة هذين التيارين وتتأرجح بين الشرق والغرب . . اخذت من الغرب بعضا مما ارادته وفقدت من الشرق الشىء الاخر.

٢ - الموقع الجغرافى:

تركيا بلد مترامى الاطراف تقع بين قارتين كبيرتين هما آسيا واوربا تبلغ مساحة الاراضى التركية ٧٨١ الف كيلومتر مربع من السهول والهضاب التى تحيطها سلاسل جبلية وعرة وهى من ناحية اخرى شبيهة



بجزيرة تحيطها البحار من جهات عديدة فالبحر الاسود من الشمال وبحرا مرمرة وايجة من الغرب والبحر المتوسط من الجنوب وهى فى هذا الخصوص تمتلك مفاتيح مضايق مهمة توصل هذه البحار بعضها بالبعض الاخر. . تحد تركيا بلاد لها معها علاقات ايجابية كايران والعراق وسوريا ويدين اهلها بما يدين به الاتراك فى حين تحدها بلدان اخرى خاض معها الاتراك تأريخيا حروبا كانت مريرة فى معظم الاحيان وتختلف معها فكريا وحضاريا ودينياً كالاتحاد السوفيتى واليونان وبلغاريا.

●● تقع معظم الاراضى التركية فى آسيا ولقد سميت بالاناضول التى تعنى امتلاءها بالامهات الاتراك واطلق عليها «آسيا الصغرى» لكونها جزء مصغرا من آسيا بارضها وجوها وسكانها ومنتوجاتها على ان تركيا تملك ارضا اوربيا يطلق عليها تراقيا وتقع فى الجزء الشمالى الغربى منها غير ان هذا الجزء صغير قياسا بالاناضول، ولا يعدو عُشر مساحة تركيا.

لقد اجريت جهود جبارة لايصال هاتين القارتين المنفصلتين بجسر على مضيق البسفور فى مدينة استانبول. . وقد اعطى هذا الجسر الذى انشىء منذ سنة ١٩٧٤ ميزة الاتصال والربط بين الشرق والغرب. . تستمر الجهود الان لاقامة جسر اخر ويتوقع ان ينتهى انشاؤه فى عام ١٩٨٨. . اما الجسر الثالث الذى تخطط اقامته فى التسعينات من هذا القرن مثل اخر يراد منه لتركيا ان تلعب دور الوصل البرى بين هاتين القارتين.

اذا كانت هذه الروابط البرية حديثة فان الروابط البحرية قديمة قدم التجارة على هذه الارض. . ولا شك ان تاريخ ذلك يرجع الى فترة زمنية تسبق احتلال الاتراك لهذه البقعة من الارض. . لا يقل الرابط الجوى اهمية عن الرابطين الاخريين اذ ان الطيران الطويل بين الشرق والغرب يحتاج الى بعض الراحة والتزود بالوقود فتمر الطائرات بمطار استانبول لهذا الغرض.

٣ ـ السكان:

تشير الاحصائية الاخيرة الى ان سكان تركيا ٥١٫٤ مليون نسمة من الاتراك والاكراد والعرب واقليات ضئيلة من بقايا الروم واليهود. . يعتنق ٩٩٪ من السكان الدين الاسلامى الحنيف وهذا سبب كاف وحده للنمو السكانى السريع فى هذه البقعة من الارض. . تقدر نسبة الزيادة السنوية فى السكان حوالى ٢٫٧٪ تؤهل هذه الزيادة تركيا ان تكون فى مصاف الدول المزدحمة بالسكان. . ولا شك ان ارضها الواسعة وخيراتها الكثيرة تؤهلها لهذا الموقع. . ان معدل الكثافة السكانية فى الوقت الحاضر هو ٦٦ نسمة للكيلومتر المربع الواحد. . على ان السكان لم ينتشروا بشكل متوازن فى ارجاء تركيا اذ تزداد الكثافة السكانية فى القسم الغربى من تركيا وتكون فى المدن اعلى مما هى عليه فى الارياف.

اما المدن الكثيفة بالسكان فهى استانبول ٥٫٨ مليون نسمة وانقرة ٣٫٤ مليون نسمة وازمير ٣٫٣ مليون نسمة وقونية ١٫٨ مليون نسمة وادنه ١٫٧ مليون نسمة.

والاتراك شرقيون بحكم منشئهم الاصلى فى اواسط آسيا وبحكم دمائهم التى تجرى فى عروقهم وبحكم دينهم الاسلامى الذى يعتنقونه وبحكم علاقاتهم التاريخية الحسنة مع البلدان الاسلامية الشرقية.

٤ ـ الثقافة:

كان الاتراك يدينون بغير الاسلام فى موطنهم

الاصلى فى اواسط آسيا وكانوا على اتصال بالحضارة الصينيـة التى ترعـرعت بجـانب مملكتهم . . ان الهجـرات الـتركية التى توجهت نحو الغرب اهلت الاتـراك للاتصال بالحضارة الاسلامية ولم يمر وقت طويل الا وقد انبهروا بهذه الحضارة واخذوا ينهلون منها جرعات كبيرة تشرب منها العظم واللحم . . ان اعتناق الاتراك الدين الاسلامى عن طيب خاطر كان سببا اخر فى تأثر الاتراك بالثقافة الاسلامية . وما ان مرت قرون حتى كان من الاتـراك شعراء وفلاسفة وادباء واطباء ومهندسون ومؤرخون فاقوا فى ميادين الثقافة الاسلامية .

لقد تفاعل الاتراك مع قوميات الامة الاسلامية تفاعلا منقطع النظير . لعل ابسط دليل على ذلك هو المفـردات اللغـويـة الكثـيرة التى تتضمنها اللغة التركية سواء كانت عربية او فارسية . . لقد افتخر فى يوم ما الشعراء والادباء الاتراك لانهم كانوا يكتبون مؤلفـاتهم باللغـة العـربيـة .او الفارسية او بزيادة ما استخدموا من مفردات هاتين اللغتين فى اثارهم .

ولان كان الاتراك نشروا الثقافة الاسلامية اينما توجهوا فانهم تأثروا من ناحية اخرى بثقافات الاماكن المختلفة التى حكمتها الامبراطورية العثمانية . . ان الارض التى يعيش فيهـا الاتراك اليوم كانت مهدا لحضـارات كثـيرة سادت ثم بادت ولعـل ابرز هذه الحضارات هى الحضارة اليونانية والرومانية .

ومن ناحية اخرى ادت زيادة تمسك الاتراك بالـدين الاسـلامى فى العهـد المتأخـر من حكم الامـبراطورية العثمانية الى التعصب لهذا الدين ايما تعصب، ولان كان هذا التعصب مفيدا فى جوانب، الا انه اضر فى جوانب اخرى . . لعل ابرز مشكلة

عانتها الثقافة الاسلامية فى العهد العثمانى المتأخر انعزالها على نفسها، وعدم الاتصال بالثقافة الغربية التى بدأت تنمـو نمـوا سريعـا خلال وبعـد عصر النهضـة . . ورغم ان اخذ العلم من غير المسلم لا يحرمه الاسلام مطلقا، بل يجزم عليه حتى ولو كان فى الصـين . . لقد نظر الاتراك الى الغرب بانهم كفار وحرموا على انفسهم كل اتصال بهم حتى ولو كان ذلك علميا . . لعل ابسط مثل على خطأ هذه النظرة هو ان نبينا محمدا ﴿ﷺ﴾ اجاز اسرى بدر، وهم من الكفار، ان يعلموا صبيان المسلمين القراءة والكتابة مقابل اطلاق سراحهم .

شعر بعض الاتراك بانعزالهم عن الثقافة الغربية فى عهد الجمهورية التركية، فبدؤا يرسلون البعثات والـزمالات الى الغرب وينهلون من ثقافة هؤلاء ما فاتهم ان ينهلوا . . ولا يزال الاتراك شأنهم شأن من يشعـر بالتأخـر ينظـرون الى الثقـافـة الغربية نظرة الاعجـاب ويبـذلـون قصارى جهودهم فى اللحاق بالـركب الغـربى حتى اضحى ذلـك احيـانا على حساب فقدان هوياتهم الشرقية .

٥ ـ الزراعــة :

تتمتـع تركيـا بطـاقة زراعية هائلة تعود لطبيعة الاراضى الـتركيـة الخصبـة وجـوهـا المسـاعد على الانبات واراضيها الواسعة التى تصلح لمختلف النباتات .

تمتلك تركيا ثمانية اقاليم مناخية مختلفة عن بعضها البعض . . ان الثروة المائية فى تركيا لا تناظرها ثروة مائية اخرى فى العالم . . اضف الى ذلك فان الرياح القادمة من دول البلقان تجلب معها الامطار والثلوج وتنزل بكميات تكفى لكثير من الغلات الزراعية ان تنبت انباتا حسنا . . خلقت هذه الظروف جميعا يدا عاملة شغـولـة لانتـاج الكثـير من المـواد الزراعية، واهلت تركيا ان تكون فى مصاف الدول القليلة التى تكتفى اكتفاء ذاتيا . . وليس هذا فحسب بل تصدر كثيرا من غلاتها الى الاسواق العالمية لزيادة الانتاج

عن حاجة الاستهلاك المحلى .

تنتج تركيا جميع المواد الزراعية . . وبكميات كبيرة عدا تلك المحاصيل الاستوائية . . تحتل الحبوب والفواكه الطازجة والخضروات والبندق والفواكه المجففة والاقطان الاولوية فى الانتاج الزراعى .

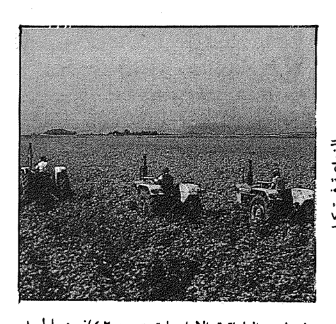
تدعم الحكومة التركية اليوم انتاج المحاصيل الزراعية التى من شأنها ان تصدر الى الخارج لقد بدأت الصادرات الزراعية بالنمو السريع فى السنوات الأخيرة .

وصل دخل تركيا من الصادرات الزراعية ١٫٧٢ بليون دولار فى سنة ١٩٨٥ مقارنة بـ ١٫٣٤ بليون دولار سنة ١٩٧٩ . . لقد حذت تركيا فى السنوات الاخيرة حذوا اخر وهو تصنيع المنتجات الزراعية ومن ثم تصديرها الى الخارج . . وفرت المعلبات الزراعية المتنوعة وصدرت الى مختلف بقاع العالم .

●● السؤال الذى يتبادر الى الذهن : **ترى اين تصدر تركيا هذه المواد الزراعية؟** . . ان تركيا تتمتع بعلاقات تجارية حسنة مع بلاد الله فى الشرق والغرب وتصدر منتجاتها الزراعية الى اوربا الغربية والشرقية والولايات المتحدة واليابان والشرق الاوسط وشمال افريقيا واقطار اخرى غيرها . . وهناك نوع من التوازن فى مقدار ما يصدر الى الغرب من ناحية والشرق من ناحية اخرى .

٦ ـ الطاقة :

ان مصادر الطاقة الاولية فى تركيا هى الفحم الحجرى والطاقة المتولدة من المياه والطاقة المستخرجة من حرارة الارض والنفط والغاز الطبيعى والاخشاب وفضلات الحيوانات والنباتات وبعض من الطاقة الشمسية . . لا تملك تركيا الطاقة النووية فى الوقت الحاضر ويتوقع ان تحصل عليها فى القريب العاجل . . رغم ان تركيا تمتلك امكانات واسعة



الزراعة فى تركيا .

لتوليد الطاقة الا انها تستورد ٤٢٪ منها لسد احتياجاتها . . يأتى النفط والغاز الطبيعى والكهرباء فى مقدمة مصادر الطاقة التى تستوردها تركيا من الخارج . . تستورد تركيا النفط بالدرجة الاولى من العراق وايران وليبيا والجزائر وغيرها . . وقد مد انبوب نفط يوصل النفط العراقى الى البحر المتوسط وتسد تركيا جزءاً من حاجتها من هذا النفط ويخطط الان لمد انبوب اخر .

● تجرى الاتصالات من ناحية اخرى لمد انبوب غاز من ايران واخر من الاتحاد السوفيتى لسد حاجة تركيا من الغاز الطبيعى .

● تبذل تركيا جهودا جبارة فى سد نفقات الكميات الكبيرة من الطاقة التى تستوردها . . ولقد تأثرت كثيرا بازمة النفط الحادة فى السبعينات ولا تزال تدفع مبالغ هائلة لسد نفقات الطاقة التى يقرب دخلها من مجموع صادراتها . . على ان سد هذه النفقات العالية والارتباط بالخارج لسد احتياجات الطاقة تؤثر فى جميع مرافق الحياة التركية وحتى السياسية منها . . ان الارتباط الشديد بالخارج ليس من صالح تركيا ابدا وعليها ان تضمن استقلالها فى ايجاد مصادر بديلة عن النفط والغاز الطبيعى .

لعل جهدا لا بأس به يبذل من اجل انشاء سدود كثيرة على مصادر المياه الموزعة فى ارجاء مختلفة من تركيا يحتل مشروع سد اتاتورك فى الجنوب الشرقى من الاناضول موقعا بارزا بين مشاريع استثمارات الطاقة. . تبدأ الوحدة الاولى من السد بانتاج الطاقة الكهربائية فى سنة ١٩٩١ تستعمل الوحدات كاملة فى سنة ١٩٩٣، وبسعة انتاجية تقدر بـ ٨٫٩ مليون كيلو واط سنويا.

٧ ـ الصناعة :

اظهرت الصناعة التركية تقدما ملموسا فى السنوات الاخيرة وقد بدأت الحكومة بتطبيق سياسة صناعية مستقرة لعل من اهمها:

أ ـ تشجيع التصدير والاستثمارات الصناعية التى يستهدف منها التصدير.

ب ـ تشجيع استثمار رؤوس الاموال الاجنبية.

ج ـ تحويل جهود الدولة من الصناعة الى الاستثمارات الاساسية والتحول التدريجى من مشاريع اقتصاد الدولة الى القطاع الخاص.

د ـ تشجيع المنافسة فى داخل تركيا من خلال اطلاق حرية الاستيراد باتباع سياسة الانفتاح نحو العالم الخارجى. . اعطيت الاهمية لاستيراد المصانع والمواد الخام والسلع المستثمرة لزيادة كفاءة المنافسة للمنتوجات التركية فى الاسواق الاجنبية والمساهمة فى تحسين الصناعة من خلال المنافسة الاجنبية.

هـ ـ تشجيع انتشار الصناعة فى مناطق تركيا غير المتطورة.

● ارتفعت صادرات تركيا من السلع المصنوعة ارتفاعا بيِّنا نتيجة لهذه الاجراءات، وقد اشارت الاحصاءات الاخيرة الى ان المواد الصناعية تمثل اليوم ٧٤٪ من صادرات تركيا، بينما كانت قبل خمس سنوات ٣٦٪ فقط.

● تتضمن صادرات الصناعة الانتاجية المواد الاستهلاكية والغذائية والتبوغ والمنسوجات والالبسة الجاهزة والاثاث (الموبيليا) والاحذية. . وهناك سلع اخرى تصدرها تركيا تقع فى صنف السلع الوسيطة منها: نشارة الخشب ومنتوجات الغابات والورق والكتب والجلود والفرو والمطاط والبلاستك والكيمياويات والبتروكيمياويات والمنتوجات النفطية والاسمنت والفخاريات والخزفيات والزجاج والحديد ـ الصلب والمعادن غير الحديدية. . اما السلع المستثمرة فتتضمن السلع الحديدية والمكائن غير الكهربائية والمكائن الزراعية والادوات الكهربائية والاجهزة والالكترونيات ووسائط النقل والسكك الحديدية والسفن والطائرات.

●● يبدو مما سبق ان تركيا تملك اليوم صناعة لا بأس بها وقد قطعت شوطا جيدا فى كثير من الميادين الا انها لا تزال بحاجة الى تطوير فى ميدان الاجهزة الدقيقة والصناعات الثقيلة. . يبدو ان هذين الجانبين ليسا بالامر اليسير. . ومن ناحية اخرى فقد اضرت سياسة الانفتاح التام الصناعة المحلية. . ان نظرة الاعجاب التى يحملها الاتراك عن الصناعة الغربية والاقبال الشديد عليها قد كسدت الصناعة فى الداخل الى حد ما واغلقت بعض المعامل ابوابها نتيجة لذلك. . ولكن يبدو ان للمنافسة نتائج ايجابية اخرى، لعل اهمها هو البقاء للاصلح.

٨ ـ السياحة :

تعتبر السياحة فى الوقت الحاضر مظهرا من مظاهر الاقتصاد وتحتل مكانة مهمة فى اقتصاد البلدان ولا سيما فى الحصول على العملات الصعبة التى يحتاجها البلد. . والسياحة من هذا المنطلق عامل من عوامل

مكملات الاقتصاد واستقراره.. المسألة المهمة فى السياحة انها تحتاج الى استثمار رؤوس اموال ضخمة لغرض توفير تسهيلات النقل ومنشآت اسكان السواح وفتح اسواق تسهل عمليات البيع والشراء.

● **تمتلك تركيا امكانات سياحية كبيرة.. تتجلى امكانات تركيا السياحية فى الظروف الجوية والجمال الطبيعى والتراث التأريخى... ان امكانات تركيا السياحية لم تستغل بعد الاستغلال التام فشواطىء البحر الاسود الدافئة وجمالها الطبيعى الذى لا يناظره جمال اخر لا تستقبل الا اليسير من السواح.. وفى اواسط الاناضول المواصلات وعدم توفر محلات الاقامة.. يبدو ان السواح انهم يزدحمون كثيرا على شواطىء بحر مرمرة وايجة والبحر المتوسط.. ولكن هذه المناطق لا توفر للسواح مطالبهم الكاملة.**

ان التراث الثقافى الاسلامى الذى يتجلى فى الجوامع التى تناطح منائرها السحاب، والمتاحف والمكتبات والمياه المعدنية والاسواق المليئة بالسلع المتنوعة والهدايا التذكارية والاطعمة الشرقية اللذيذة تجلب السواح من الشرق الأوسط وشمال افريقيا بينما تجذب شواطىء البحر الدافئة السواح من الغرب للتنعم بالشمس الحارة والرمال الكثيفة.

٩ ـ النقل:

نظرا للموقع الجغرافى الفريد لتركيا فقد اصبحت جسرا يربط بين اوربا والشرق الاوسط.. ان الطرق البرية والسكك الحديدية تنقل البضائع من اوربا الى الشرق الاوسط.. تقطع الشاحنات والقطارات الاف الكيلومترات لتوصل البضائع من البائع الى المشترى.

● تمتلك تركيا من ناحية اخرى موانىء على البحار الاربعة لعل من اهمها: «**استانبول وازمير وطرابزون ومرسين والاسكندرونة**».. تبذل الحكومة الان جهودا جبارة وتستثمر مبالغ طائلة فى تطوير هذه الموانىء وغيرها.. وكثيرا ما تستقبل هذه الموانىء البضائع التى تنقل الى الشرق الاوسط عبر الاراضى التركية.

ولقد نشطت حركة النقل البرى نشاطا ملموسا فى السنوات الاخيرة نتيجة لذلك.. ومن ناحية اخرى تمتلك تركيا مطارات فى عدد كبير من المدن التركية الا ان معظم هذه المطارات تستقبل الطائرات القادمة من داخل تركيا.. اما المطارات الدولية فى استانبول وانقره وادنه ودالامان وانطاليا فانها تستقبل الطائرات من مختلف بقاع العالم بطريقة منظمة.

١٠ ـ التجارة:

انتعشت التجارة فى تركيا فى السنوات الخمس الاخيرة.. تجلى هذا الانتعاش فى كل من ميدانى الصادرات والواردات فى آن واحد.. يبدو ان سياسة الحكومة فى تشجيع التصدير والانفتاح نحو العالم الخارجى أدت دورا فى هذا الانتعاش.

●● بلغت صادرات تركيا الخارجية ١٨ بليون دولار فى سنة ١٩٨٤ بزيادة سنوية تعادل ١٩٫٦٪ مقارنة بالسنة السابقة.. وفى سنة ١٩٨٥ بلغت الصادرات ١٩٫٣ بليون دولار، اما فى الاشهر التسعة الاولى من سنة ١٩٨٦ فقد بلغت ١٣٫٣ بليون دولار.

●● تصدر تركيا المنتوجات الزراعية من ناحية والمنتوجات الصناعية من ناحية اخرى.. اما المنتوجات الزراعية فهى المنتوجات الخضرية والحبوب والاقطان والبذور الزيتية والفواكه ومنتوجات الدواجن والاسماك واللحوم ومنتوجات الغابات والتعدين والاحجار.. اما المنتوجات الصناعية

فهى المعلبات والبتروكيماويات والاسمنت والصناعة الكيمياوية والمطاط والبلاستك والجلود الحيوانية والاخشاب والمنسوجات والملابس والزجاجيات والخزفيات والحديد والصلب والمعادن غير الحديدية والمنتوجات الحديدية والمكائن الصناعية والاجهزة الكهربائية ووسائل النقل.

أن الدول التى تملك تركيا معها علاقة تجارية ثابتة هى الدول الاوربية والولايات المتحدة من ناحية والشرق الاوسط وشمال افريقيا من ناحية ثانية ودول الشرق الادنى من ناحية ثالثة اضافة الى دول اوربا الشرقية.

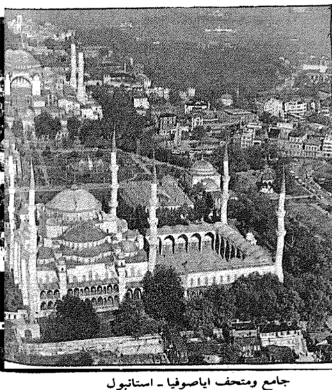
لقد زادت واردات تركيا بجانب زيادة صادراتها بحيث بلغت ١١ر٣ بليون دولار امريكى فى سنة ١٩٨٥ وبزيادة سنوية تقدر ٥ر٥٪ مقارنة بالسنة السابقة.. يمكن تصنيف الواردات التركية تحت اصناف السلع الزراعية والتعدين والصناعة.. احتلت المنتجات الصناعية فى سنة ١٩٨٥ اعلى المراتب وقدرت ٦٤ر٧٪ من مجموع الواردات، كانت حصة التعدين ٣١ر٩٪ والمنتجات الزراعية ٣ر٣٪.

اما الدول التى تستورد منها تركيا احتياجاتها فهى دول اوربا الغربية والشرق الاوسط وشمال افريقيا اضافة الى دول شرق اوربا.

إن الصادرات التجارية الى الشرق الاوسط وشمال افريقيا تكاد تصل الى نصف حجم الصادرات التركية مع غيرها من الدول وهذا يشكل بحد ذاته نوعا من التوازن بين الشرق والغرب فى العلاقات التجارية.. ان تركيا تستورد اكثر مما تصدر، وهذا يخلق نوعا من عدم التوازن فى ميزان المدفوعات وتضطر ان تقترض من الغرب نتيجة لذلك.. وتزداد هذه القروض سنة بعد اخرى والمسؤولون فيها بحاجة الى اعادة النظر فى كفتى الميزان.

تمشيا مع السياسة التجارية الجديدة فى تركيا ذات النظرة الخارجية وتكييف السوق فقد قررت الحكومة التركية انشاء مناطق حرة للتجارة والتصدير، مستهدفة بذلك توسيع وتنويع الصادرات التركية وتشجيع الاستثمار الاجنبى.. اقترحت ان تكون مرسين وانطاليا وادنه وازمير مناطق حرة فى الساحل الجنوبى الشرقى.. لقد حددت مواقعها الجغرافية تحديدا جيدا لتكون رأس الجسر الذى يربط امكانات التجارة التركية بالشرق الاوسط.

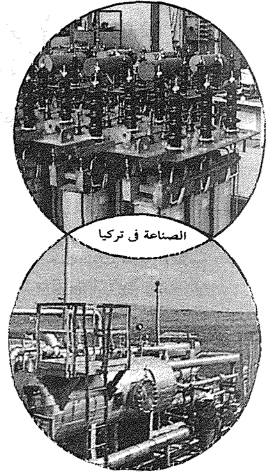
لقد افتتحت المنطقة الحرة فى مرسين ويتوقع ان تفتتح المنطقة الحرة فى انطاليا قريبا.. خصصت هاتان المنطقتان لنشاطات التجارة التقليدية فى حين ان المناطق الحرة فى ادنه وازمير ستوظف كمناطق صناعية وعمليات للتصدير.


جامع ومتحف اياصوفيا ـ استانبول



كلمة أخيرة

ينتاب الشباب اليوم رغبة عارمة فى تقليد الغربيين فى مأكلهم ومشربهم وملبسهم وسكناتهم واحاديثهم وثقافتهم. . مرد ذلك ان الغربيين قد تقدموا خطوات واسعة فى التقنيات ولم تستطع البلدان الشرقية الاسلامية ان تواكب هذا التقدم. . الامر نفسى يحمل فى ثناياه ان يكون القوى والمتقدم دائما هو النموذج الذى يضعه الاخرون نصب العيون. . تقع الطامة الكبرى اذا راود الانسان شعور بالنقص والدونية واقتصر فى تقليده على المظاهر دون الجوهر. . لا عيب ان يقلد الانسان علوم غيره ولكن عليه ان يطورها بما يتناسب وظروفه. . لا غرابة ان يكون المرء قويا كالاقوياء ولكن العيب كل العيب ان يتحدث عن قوة غيره ويقلل من شأنه هو ولا يطور نفسه وهو يملك اسباب التطور.


الصناعة فى تركيا

١١ ـ رأس المال الاجنبى :

لقد اصدرت الحكومة التركية قانونا لتنظيم الاستثمار الاجنبى يضمن بموجبه الحقوق والامتيازات للمستثمرين الاجانب اسوة بالمستثمرين الاتراك. . أنشىء مجلس ادارة الاستثمار الاجنبى على انه السلطة الوحيدة المسؤولة عن جميع الاستثمارات الاجنبية ما عدا التنقيب عن النفط. . تتولى هذه الادارة تقييم خطط الاستثمار ومنح الاجازات ومراقبة برامج الاستثمار الاجنبى. . تقوم هذه المديرية بمنح اجازات الاستثمار لرؤوس الاموال المحدودة التى تقل عن ٥٠ مليون دولار. . اما المشاريع التى تزداد عن ذلك فتعرض على مجلس الوزراء للحصول على موافقته. .ولا تنطبق بعض القيود على اصناف معينة من الاستثمار الاجنبى

لقد بقيت تركيا فى الاتجاه الغربى سنوات طويلة وكونت علاقات جيدة مع بلدان اوربا دون ان تنتبه الى جاراتها الاسلامية الشرقية. . والانسان ينظر فى العادة الى البعيد قبل ان يلاحظ القريب. . انتبهت تركيا فى السنوات الاخيرة الى بلدان الشرق الاسلامى القريب ومدت يدها اليها فقوبلت بحرارة الشرق الاصيل.

تمتلك تركيا ثروات كثيرة لا تملكها بلدان الشرق الاسلامية وتفتقر الى مصادر الطاقة التى تجدها مع غيرها من الامكانات وفيرة فى هذه البلدان. . تركيا بحاجة الى التقنيات الدقيقة والصناعة الثقيلة وهذه متوفرة فى الغرب. . فما احوج تركيا ان تحصل الشىء المناسب من المكان المناسب وتوازن بين كفتى الميزان.

الأقليمية في الأدب



فكـرة الاقليميـة كقضيـة من قضـايـا الأدب أو مصطلح من مصطلحـاتـه فكـرة حديثة ظهرت مع مطلع القرن العشرين، حيث لم تكن معروفة من قبل أو عرض لها أحد من مؤرخي الأدب الاقدمين.

صحيح أن هناك دراسات قديمة ظهرت فى محيط الأدب منذ القرن الرابع الهجرى اقتصر فيها أصحابها على تناول حركة الأدب فى إقليم معين لم يتعدوه الى غيره كالـذى قام به الثعالبى صاحب كتاب **«يتيمة الدهر»** حيث تناول الحياة الادبية فى عصره مخصصا كل إقليم بدراسة مستقلة فيعرض لمجموعة من شعراء وكتاب الدولة البويهية فى إقليم فارس وخراسان وبلاد الجبـل، ثم يعرض لاقليم الشام ومصر وغيرها من الاقاليم الاخرى التى راح يعرضها إقليما إقليما.

والشىء نفسه هو ما صنعه العماد الاصفهانى فى كتابه **«خريدة القصر وجريدة العصر»** حين عرض لحركـة الأدب فى عدد من الاقاليم وقسم كتابه هذا الى عدة أقسـام مستقلة: قسم لشعـراء العراق.. وقسم آخـر لشعراء الشام.. وآخر لشعراء مصر.. وقسم لشعراء المغرب والأندلس.. وكذلك فعل ابن بسام فى كتابه **«الذخيرة فى محاسن اهل الجزيرة»** ولكنه جعله قاصرا على أقاليم الجزيرة الأندلسية وحدها.

●● هؤلاء وغيرهم ممن عرضوا لمثل هذه الدراسات لم يكـونـوا يقصدون بعملهم هذا الاقليمية بمعناها الدقيق، وإنما كان كل قصدهم هو التبويب والتقسيم والتنظيم فقــط.. ولكن الأمـر اختلف فى العصـر الحديث حيث أثيرت قضية الاقليمية وكثر الحديث عن أثرها فى حركة الأدب وأسرف البعض فى الدعوة إليها والتركيز عليها وراح ينادى بدراسة أدبنا العربى دراسـة إقليميـة مستقلة مدعيا أن هناك العديد من الاختلافات الجوهرية بين أدب الأقاليم العربية قديما وحديثا تحتم القيام بتلك الدراسة المستقلة.. وبدأت بالفعل بعض الدراسات التى تبنت تلك الدعوة فى مطلع القرن الحالى.

لكن هذه الـدعـوة لم تلق قبـولا لدى الكثـيرين من الغيورين على اللغة العربية وتراثها المجيد، الذين هبوا يعارضون تلك الفكرة ويفندون مزاعم الداعين لها ويكشفون عن أخطار تلك الدعوة ومضارها على العربية وثقافتها الخالدة..

فهل كان للاقليمية التى ترتبت على ظهور الدول والـولايـات التى استقلت عن الخـلافة العباسية فى عصـرهـا الثـانى أثـر على حركة الأدب كما يدعى أصحاب هذه الدعوة؟.

بادىء ذى بدء، وقبل أن نخوض فى تلك القضية لابـد لنا من أن نحدد المقصود بعبارة **«الاقليمية فى الأدب»** حتى تتضح الأمور أمامنا من البداية وضوحا كاملا.

يقصد بالاقليمية فى الأدب أن ينفرد أدب كل إقليم

العربي

بقلم
د. حسن ذكري مدرة
أستاذ مشارك ـ كلية اللغة العربية
جامعة أم القرى

بطابع خاص به يميزه عما سواه من اداب الاقاليم الأخرى على حسب ما تهيأت له من الظروف والملابسات الطبيعية منها والاجتماعية والاقتصادية وغيرها من العوامل والمؤثرات التى تترك أثرها واضحا فى الادب والأديب معا.

لا يستطيع أحد أن ينكر ما تحدثه البيئة من أثر فى الشعر والشعراء والأدب والأدباء بشكل عام فالأديب بحق ابن بيئته وصورة حية لإقليمه بكل ما فيه من أنهار وأشجار وبساتين وقصور وما يشرق فى سمائه من كواكب ونجوم وما يضرم به من وقائع وأحداث وما يموج فيه من ثقافات وأفكار مختلفة فيتأثر بما تقع عليه عينه من مخلوقات وما يخالطه من الناس كل ذلك ـ دون شك ـ يؤثر فى فنه ويلون مزاجه ويوجه تفكيره مما يترتب عليه لون من التباين والتغاير بينه وبين غيره من أدباء الأقاليم الأخرى ويتوقف مقدار هذا التباين على مدى ما بينهم من اختلاف وتغاير فى تلك الأمور المتقدمة.

لقد عاش الشعراء والأدباء قبل تمزق الخلافة العباسية واستقلال العديد من ولاياتها وأقاليمها عنها فى وطن موحد الأجزاء ينهلون من معين ثقافى واحد وهو الثقافة العربية والاسلامية التى ربطت بين الجميع فى مختلف الأقطار والأمصار برباط متين، فكانوا يصدرون عن مورد واحد ويرى كل منهم بعينه ما يراه الآخر فلا مجال إذن لتفاوت فى الحس ولا سبيل الى اختلاف فى الشعور فروح الشعر والأدب واحدة وطابع الحياة الأدبية فى هذا الوطن الكبير على نسق متفق ومتقارب الى حد كبير.

فلما انتهت الحال بالخلافة العباسية الى ما آلت اليه فى عصرها الثانى من الضعف والتفكك والانقسام والتمزق فاختلفت من بعد اتفاق وتعددت أقاليمها التى خضعت لسيطرة عناصر مختلفة من الفرس والأتراك والعرب الذين عملوا جاهدين على منافسة الخلافة سياسيا وثقافيا مما حتم أن تتفاوت هذه الأقاليم فيما بينها فى النشاط الأدبى والحياة الثقافية التى ازدهرت فى كنف بعض أمراء هذه الدويلات الجديدة كالدولة الحمدانية فى الشام والفاطمية فى مصر كما ازدهرت فى ظل بعض أمراء الامارات غير العربية أيضا كالبويهيين والسامانيين فى المشرق وذلك لبصرهم بالآداب وكونهم أصحاب حضارة قديمة وملك بائد.

وتبعا لذلك فقد وجدت بعض مظاهر الاختلاف فى حركة الأدب بين هذه الأقاليم ولعل من الآثار المهمة لهذه الاقليمية ما انطبع به الأدب فى العهد الفاطمى حيث عمد الفاطميون فى مصر الى استغلاله فى الدعاية لمذهبهم الشيعى وتجلى ذلك فى شعر العديد من شعرائهم من أمثال ابن هانىء الأندلسى وتميم بن المعز وعمارة اليمنى وغيرهم من الشعراء الذين راحوا

يتسابقون فى ذلك الاتجاه الذى تجلى واضحا فى اشعارهم.

كما بدت مظاهر الاقليمية أيضا فى الأساليب الانشائية خلال العصر المملوكى فى مصر حيث عمل الأدب الى التنفيس عن الشعب والتخفيف عليه من آثار التسلط والاستبداد من حكامه الأتراك مما ظهر أثره واضحا فى هندسة الألفاظ وزخرفتها وتحلية الأساليب والتفنن فى تنميقها عن طريق حشد كثير من ألوان الصنعة الأسلوبية من تورية وإشارة وتلميح ونكات وطرف لترمز الى ما تضطرم به النفوس من غيظ وحنق دون أن يتعرضوا لأذى أو اضطهاد من قبل هؤلاء الحكام المتسلطين.

والشىء ذاته هو ما حدث فى بقية الأقاليم شرقا وغربا فى الشام والمغرب والأندلس وخراسان وظهرت ملامح ذلك الاختلاف على الأدب بشكل عام والشعر بشكل خاص مما لا يخفى على المرء تمييزه عما سواه من أدب العصور والأقاليم الأخرى.

لكن هذه الآثار الاقليمية لم تصل إلى حد التغاير فى أصول الأدب ولم تبلغ نهاية التخالف والتضاد بين أدب إقليم وآخر لدرجة تجعلنا نحكم بالاختلاف والتباين التام بين حركة الأدب فى هذه الاقاليم وإنما بدت هذه الفروق هينة لينة وظهرت فى خفر وحياء ومرجع ذلك الى أن الأدباء فى هذه الأقاليم لم يتخلصوا من سمتهم العربى الأصيل مهما تباعدت بهم الأقطار وتوزعت بهم الأقاليم والديار ومهما عانوا من حكم تركى هنا أو قاسوا من حكم فارسى هناك وظلت الصلات الثقافية والفكرية والدينية قائمة وقوية متينة تجمع بينهم مما خفف من حدة التصدع وقلل من عوامل التفرق والاختلاف.

لم يستطع التيار الفارسى المتعصب أن يتصدى للثقافة العربية.. بل أصبح الأدب والشعر الفارسى عالة على الأدب والشعر العربى

لقد كان هناك دائما شعور عام فى كل مكان بأن هذه الأقاليم وتلك الدويلات جميعها تؤلف فيما بينها وطنا عربياً واحدا لا تحدث فيه هذه الانقسامات أى تقاطع علمى أو تثير أى تنابذ أدبى.

وطن تتواصل أجزاؤه ووحداته تواصل الأفراد فى أسرة واحدة.. وكان لهذا التواصل والترابط مظاهره المتعددة التى عملت على الحد من مظاهر الاختلاف وإزالة أسباب التباعد بين هذه الأقاليم وسعت للتقريب بينها فى شتى مجالات الثقافة والأدب فى تلك الفترة.

وتتمثل هذه المظاهر فى عدد من الأمور المهمة منها:

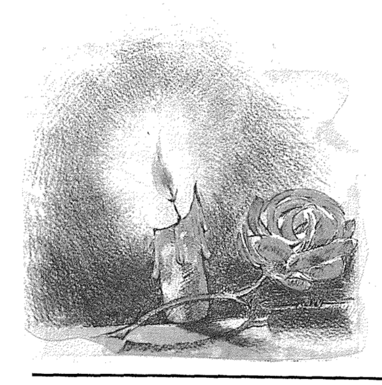
أولا: أن العلماء حين كانوا يؤلفون كتاب تراجم عاما يجمعون فيه بين من عاشوا من النابهين فى هذا الوطن

الكبير، سواء اكانوا فقهاء أم شعراء أم علماء متناسين بل ومهملين الفواصل السياسية والجغرافية بين تلك الأقاليم التى كانت فى نظرهم أقواس وهمية لا تدل أدنى دلالة على فوارق علمية أو أدبية فلا تكاد تعرف العراقى من الفارسى أو الشامى من المصرى إلى آخره.

ثانيا: كما كان الكتاب حين يؤلف ـ هنا أو هناك ـ يصبح ملكا مشاعا للعلماء فى شتى الأقطار يشرحونه ويعلقون عليه ويكتبون التقارير عنه نقداً وتحليلا ويشترك فى ذلك الجميع، فعندما ظهر ديوان المتنبى مثلا لم يبق بلد عربى إلا وتجرد له عالم من علمائه وعرض له بالشرح والتحليل والنقد والتعليق فكان من أهم شروحه شرح ابن جنى وشرح العكبرى فى العراق وشرح ابن المستوفى فى إربل وشرح أبى العلاء المعرى فى الشام وشرح الواحدى فى إيران وشرح الافليلى وابن سيده فى الأندلس وغيرها من الشروح والدراسات الأدبية والنقدية التى قامت حول هذا الديوان الذى اعتبر ديوان الأمة العربية وليس ديوان بلد أو إقليم معين.

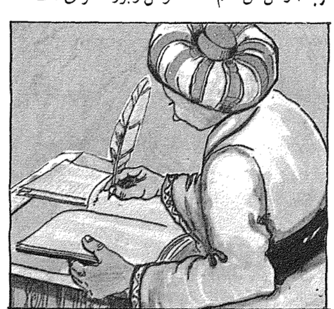
[illegible] ما حدث لغيره من الكتب والمؤلفات العلمية والأدبية التى ظهرت هنا أو هناك فى تلك الفترة بل الأكثر من هذا أن الكتاب كان يؤلف فى المشرق فينشر ويظهر فى المغرب والأندلس قبل أن يرى النور فى بغداد والمشرق والعكس أيضا، يؤلف ابن عبد ربه كتابه **«العقد الفريد»** فيتلقفه أدباء المشرق يحدوهم الأمل فى أن يطالعوا فيه جديداً ليس لديهم مثله فيجدونه لا يكاد يختلف عما بين أيديهم من كتب ومؤلفات فيسجلون فيه هذه الكلمة المشهورة قائلين **«هذه بضاعتنا ردت إلينا»** وهم محقون فيما قالوا.

ثالثا: كما كان من أهم المظاهر التى ساعدت على تعميق الوحدة العلمية والأدبية رحلات العلماء والأدباء فى تلك الفترة وهجرتهم من إقليم إلى إقليم بحثا عن الأمن والاستقرار ليؤدوا رسالتهم كاملة مما أسهم فى التقريب بين المذاهب الأدبية والاتجاهات الفنية المختلفة بين هذه الاقاليم ولم تؤثر الحدود السياسية واختلاف الحكام آنذاك على الحياة العلمية والأدبية حيث بقيت الحدود مفتوحة أمام العلماء والأدباء يرحلون أو يقيمون دون تضييق أو مطاردة من أحد فقام العديد من الشعراء الأدباء بالطواف على أبواب كثير من الملوك والأمراء ينتقلون من بلاط الى بلاط كما تنتقل البلابل مغردة من فنن الى فنن فوحدوا مناهج الشعر والأدب وذلك كان شأن العديد من العلماء الذين لم يستقر بهم مقام حتى أصبح من العسير نسبتهم الى بلد معين دون الآخر عند نسبتهم أو الترجمة لهم فهم علماء وأدباء الأقاليم جميعها دون تمييز.



●● والأمثلة على ذلك كثيرة تحتاج الى بحث خاص بها فالأديب الكبير أبو على القالى صاحب كتاب **«الأمالى»** يرحل عن بغداد متجها الى ديار المغرب ومنها الى بلاد الأندلس حيث يلقى كل ترحيب من حكامها كما يتنقل شاعر العربية الكبير **«أبو الطيب المتنبى»** ما بين العراق والشام وهناك فى حلب يطيب له المقام فى رحاب سيف الدولة الذى يحتفى به احتفاء بالغا حدثتنا عنه كثير من كتب التراث مما أغرى المتنبى بالمكوث لديه قرابة تسع سنوات دبج خلالها أجمل أشعاره ثم يواصل المتنبى رحلته بعد أن أوغر حساده صدر الأمير الحمدانى عليه الى مصر ثم يغادرها الى العراق فبلاد فارس وهناك يتنافس عليه العديد من الأمراء والوزراء ويفتنون فى إغرائه والظفر به. ومنها رحلات بديع الزمان الهمذانى بين إمارات المشرق وكذلك رحلات القاضى الجرجانى وأبو بكر بن دريد وأبو الحسن السلامى وغيرهم من الأدباء والعلماء الذين طوفوا بحكام هذه الأقاليم شرقا وغربا وأقاموا لديهم وقدموا بين أيديهم العديد من المؤلفات والأشعار.

رابعاً: ولعل من أهم هذه العوامل وأبرزها أثراً فى ذلك



هو الاتحاد التام ـ الذى ظل قائما بين تلك الأقاليم ـ فى الدين واللغة وهما من أقوى عوامل الاتحاد والتماسك التى حفظت على الأمة الاسلامية والعربية أدبها وثقافتها التى يفهمها الجميع مهما تناءت بهم الديار وتباعدت بهم الأوطان وظلت بلغة عربية خالصة حتى فى الأقطار التى حنت الى تراثها القديم كما حدث فى فارس والمشرق.

وعلى الرغم من أن العديد من الدويلات المشرقية عملت على إعادة الفارسية وآدابها وتعصبت لها حتى ظهر بعض الشعراء الذين قالوا شعراً بها إلا أن المقام الأول فى تلك الديار ظل للأدب العربى والشعر العربى وبقيت اللغة العربية هى المسيطرة على السكان وتمكنت منهم باعتبارها لغة القرآن والاسلام وعاش الأدب الفارسى والشعر الفارسى عالة على الشعر العربى واللغة العربية وأفاد منها الكثير.

لقد ظل الأدب والعلم فى تلك الديار المشرقية بلغته العربية طوال هذا العصر بل إن الدولة البويهية وهى من أعظم هذه الدول لم تشجع الفارسية أو تتعصب لها بل جعلت من العربية لغتها الرسمية فى كل شئونها حتى سقطت على الرغم من أنها كانت فارسية النزعة.

وهكذا لم يستطع التيار الفارسى المتعصب أن يتصدى للثقافة العربية بل أصبح الأدب والشعر الفارسى عالة على الأدب والشعر العربي وتأثره وأفاد منه الكثير وظل النشاط الفارسى محدوداً بحيث لا يمكن أن يؤثر على حركة الأدب العربى أو ينافسه فى مكانته فى تلك الديار لعدة قرون ولم يجد الظروف المواتية إلا فيما بعد عندما سقطت الخلافة العباسية وعمد المغول إلى إحياء القوميات القديمة وتشجيعها انتقاماً من

فكرة الإقليمية كقضية من قضايا الأدب أو مصطلح من مصطلحاته فكرة حديثة ظهرت مع مطلع القرن العشرين.

العربية والاسلام وإضعافا لمكانتها فى تلك الديار حتى يضمنوا استقرار الأمور لهم بها.

هذه العوامل وغيرها ضعفت مظاهر الاقليمية وهانت الفروق الثقافية والأدبية بين الأقاليم المختلفة التى ظهرت على أنقاض الخلافة العباسية وإن كان هذا لا يمنع من وجود بعض السمات والخصائص المميزة لإقليم عن غيره تكشف عن شخصيته التى جاءت نتيجة حتمية لاختلاف البيئات الطبيعية والاجتماعية الخاصة بكل إقليم دون أن تعرض لمصادر الثقافة وأصولها الأساسية. . ومع ذلك فقد كانت هذه المظاهر غامضة وخفية لا ترى إلا بالنظر الدقيق وبعد معاودة بحث وتنقيب وأكثر ما يظهر ذلك فى منبع الظاهرة العلمية أو الأدبية حين تظهر، فظهورها فى إقليم خاص خاضع لبعض المؤثرات الخاصة بهذا الاقليم كظهور فن المقامات فى إقليم فارس والموشحات فى الأندلس والأسلوب المسجوع المحلى بالبديع فى «الرّى» وما حولها وشيوع التورية فى مصر وغيرها من الظواهر الأدبية الأخرى التى كانت لها علل اجتماعية وتاريخية أو إقليمية مرتبطة بهذه الظواهر ارتباطا وثيقا وكانت سبباً مباشراً فى وجودها فى هذا الاقليم أو ذاك. . ولكنها لا تلبث بعد مدة أن تقلد فى بقية الأقاليم الأخرى وتأخذ مكانها بين ألوان الثقافة العربية وتختفى الشخصية الأولى وراء المظهر العام للوحدة المشتركة بين هذه الأقاليم وذلك يصور بقوة وحدة الشعور والفكر فى هذا العصر وهى وحدة ظل الشعر كما ظل النثر وظل الأدب كما ظل العلم مرآتها الصافية فلا نستطيع ان نلمح اختلافاً كبيراً بين آداب هذه الأقاليم التى كانت الى الوحدة والتمازج أقرب وأشمل حيث لم تؤثر البيئة أو الاقليمية فيها تأثيرا يذكر كما لم تترك بها أثراً ملحوظا يمكن الاعتماد عليه فى إثبات التفاوت أو التباين فيما بينها والتعويل عليه فى ادعاء الفصل بين آدابها وأن تلك الدراسات التى أرخت لحركة الادب فى هذه الفترة على أساس إقليمى لم يقصد بها تلك الدراسة الاقليمية بمعناها الذى عناه الداعون لها من المحدثين وإنما كان جل هدفها ومقصدها الرئيسى هو التيسير على الباحثين والدارسين مهمة الوقوف على الأبعاد الحقيقية لحركة الأدب فى هذه الأقاليم خلال تلك الفترة والكشف عما وصلت إليه من تقدم وازدهار ولهذا سلكوا منهجا جديدا فى دراساتهم هذه يقوم على التنظيم والترتيب والتبويب والتقويم لحركة الأدب فى كل إقليم على حدة. .

اهم المراجع:

١ ـ يتيمة الدهر لأبى منصور الثعالبى
٢ ـ خريدة القصر للعماد الأصفهانى
٣ ـ الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة لابن بسام
٤ ـ الاقليمية فى الأدب العربى لعبد العزيز هلال
٥ ـ الأدب فى العصر العباسى الثانى للدكتور محمد كامل الفقى
٦ ـ الآداب الاقليمية فى العصر الثانى للدكتور حامد حفنى داود
٧ ـ تاريخ الأدب العربى: عصر الدول والامارات للدكتور شوقى ضيف

شعر الت

في العص



تحتل المراثى مساحة كبيرة من ديوان الشعر الجاهلى على حين لم تحظ التعازى من ذلك بأدنى نصيب. .

ولعل السبب فى ذلك يعود الى كثرة الحروب وكثرة من يقتل فيها وما يترتب على ذلك من الثارات التى لا يكاد يخبو لها أوار. . فقد كانت الحروب قانون الحياة الجاهلية وكانت الثارات أقوى أسباب هذه الحروب فمن الطبيعى ان يظهر الرثاء على صفحة الشعر وتختفى التعزية فى هذه البيئة القاسية.

فالرثاء فى حقيقته بكاء على الميت وتحسر على فراقه ومن اهم اهدافه تحفيز الهمم والعزائم على الأخذ بثأره أما التعازى فانها على خلاف ذلك فهى تنطوى على تهوين المصيبه وتخفيفها على المصاب ودعوته الى التغلب عليها بالصبر والسلوان.

هذا لم يؤثر عن شعراء الجاهلية تعزية بعضهم لبعض فى أشعارهم وانما كان المصاب فى عزيز عليه يجتر آلامه ويعزى نفسه بنفسه باظهار التجلد خشية شماتة الشامتين وبتعداد محاسن الفقيد وأنه مات راضيا عن الراثى مرضى السيرة فى حياته وبالاعتبار بالموت وحلوله بكل نفس وبالتآسى بكثرة الباكين والمحزونين.

ثم جاء الاسلام بفضائله وآدابه الاجتماعية السامية فكانت التعزية احدى هذه الاداب التى من شأنها توثيق الروابط الاخوية بين أعضاء المجتمع وتقوية الاحساس المشترك بينهم.

فتعزية المسلم فى مصيبته بما يهونها عليه من سنن الاسلام كما قال علىّ لعمر رضى الله عنهما:

إنا نعزِّيك لا أنّا على ثقة
من الحياة ولكن سنّة الدين
فلا المعزِّى بباق بعد ميِّته
ولا المعزَّى وإن عاشا إلى حين

وقد طرق الشعراء الاسلاميون هذا اللون فى شعرهم ووجدوا فى القرآن الكريم معينا ثرا لمعانيهم وأفكارهم فى هذا المجال. . فمن أمثلة ذلك قول حسان بن ثابت يعزى أمامة بنت حمزة فى ابيها مستمدا معانيه من معين الاسلام والقرآن وما اعد الله للشهداء الابرار من حياة راضية وجنات فيها السعادة والسرور.

فقلتُ لها إنَّ الشهادة راحةٌ
ورضوان ربٍّ يا أمام غفور
دعاه إلّه الخلق ذو العرش دعوة
إلى جنّة يرضى بها وسرور

وقد جاءت التعازى ـ فى صدر الاسلام ـ مقطوعات صغيرة بعضها مستقل وبعضها الاخر ورد فى تضاعيف قصائد الرثاء فمن امثلة التعازى المستقلة قول سعيد بن يربوع يعزى أخته فى زوجها بموته شهيدا فى طاعة الله ومرافقته لحمزة أسد الله.

ـعازي

ـر العباسي

د. محمد عثمان الملا
جامعة البترول والمعادن
الظهران

اقـنـى حيـاءك فى ستر وفى كرم
فانـما كان شماس من الـنـاس
لا تقـتلى النفس اذ حانت منيتـه
فى طاعـة الله يوم الـروع والبـاس
قد كان حمزة ليث الله فاصطـبرى
فذاق يومئـذ من كأس شماس

ومن ذلك أيضا قول أراكه الثقفى فى تعزيته لابنه فى أخيـه الأكـبر حين ذهب به الحزن على شقيقه كل مذهب وسفح الدموع الغزار عليه يقول مازجا بين القياس العقلى والدينى.

وقـلت لعبـد الله اذ جد باكيـا
حزينـا وماء العين منحـدر يجرى
لعمرى لئن اتبعت عينيك ما مضى
به الـدهـرُ اوساق الحمام الى البكر
لتسـتنفـدن ماء الشؤون بأسـره
ولـو كنت تمرين من ثبـج البحـر
تأمـل فإن البـكـا ما ردّ هالكـا
على احـد فاجهـد بكاء على عمر
ولاتبـك ميتـابعـد ميت أجنـه
على وعبـاس وآل أبـى بكـر

ومن امثلة التعازى المشتركة قول عبد الله بن رواحة من قصيدة له رثى فيها حمزة (عم الرسول) ﴿ﷺ﴾ فأظهـر بكـاءه عليه لما منى به المسلمون من خسارة كبرى بفقـده هدت اركـانهم حزنـا وألما ووجه تحية الاسلام الى الشهيد الراحل فى نعيم الجنة ثم عزى بنى هاشم فى مصابهم فدعاهم الى التحلى بالصبر ورغبهم فى ذلـك بتـذكـيرهم بفعـالهم النبيلة، وبالاقتداء برسول الله الذى اصطبر على هذا الخطب بأمر الله.. يقول:

أصـيـب المسـلمـون به جميعـا
هنـاك وقـد اصيب به الـرسـولُ
أبـا يعـلـى لك الاركـان هدّت
وأنت المـاجـد الـبرّ الـوصـول
عليـك سلام ربّـك فى جنـان
مخالطـهـا نعيـم لا يزول
ألا ياهـاشـم الاخـيـار صبرا
فكـل فعـالـكـم حسن جميـل
رسـول الله مصطـبر كريـم
بأمـر الله ينطـق إذ يقـول

■ ورثى حسان بن ثابت (حمزه) وعزى ابنته (أمامه) عندما قدمت المدينة تسأل عن قبر أبيها ومصرعه فأدار تعزيته على المعانى الاسلامية الجديدة كإعلاء شأن الشهادة وما فيها من مغفرة ورضوان ومكانة حمزة وقربه

من النبى ﴿ﷺ﴾ وان حمزة فى استشهاده إنما كان يلبى دعوة الله له الى الجنة ونعيمها المقيم وهذا المصير الذى انتهى اليه حمزة هو ما يرجوه كل محب له ومن القصيدة قوله:

فان أبـاك الخـير حمزة فاعـلمى
وزيـر رسـول الله خير وزيـر
دعـاه إلَـهُ الخلق ذو العـرش دعوة
إلـى جنـة يرضـى بها وسـرور
فذلـك ما كنّـا نُرَجِّى ونـرتجى
لحمـزة يوم الحشـر خير مصـير

وفى العصر الأموى ظهرت القصيدة المتفردة بالتعزية الى جانب المقطوعة المستقلة بهذا الموضوع. **يقول احدهم** يعزى ابن عم له فى ولده حين جزع عليه جزعا شديدا مستمدا تعزيته من حتمية الموت وحلوله بكل حى:

وان أخـاك الـكـاره الـورْدَ واردٌ
وانّـك مَرْآى من أخيـك ومسمع
وانـك لا تدرى بأيـة بلدة
صداك ولا عن أى جنبيـك تصرع
أتجـزع إنْ نفس اتـاهـا حمامهـا
فهـلا التى من بين جنبيـك تدفـع

وعزّى الفرزدق الحجاج بن يوسف ويذكر راوى الابيات فى مناسبة التعزية ـ مشهدا طريفا للامير فى مجلسه لفت نظر الشاعر فيقول: وجلس الحجاج للمعزين ووضع بين يديه مرآة وولى الناس ظهره وقعد فى مجلسه فكان ينظر الى ما يصنعون فدخل الفرزدق فلما نظر الى ما فعل الحجاج تبسم فلما رأى الحجـاج ذلـك منه قال: اتضحك وقد هلك المحمـدان، فأنشأ يقول مازجا تعزيته للأمير بتأبين الفقيدين اللذين كانا خيارا من خيار وكانا للمعزى كجناحى العقاب حيث كان أخوه (محمد) عامله فى اليمن وكان ابنه نائبه على العراق وعلى الرغم من فداحة المصاب فان الحجاج لم يضعف أو يستكن لما عرف عنه من قوة وصبر وجلد يقول:

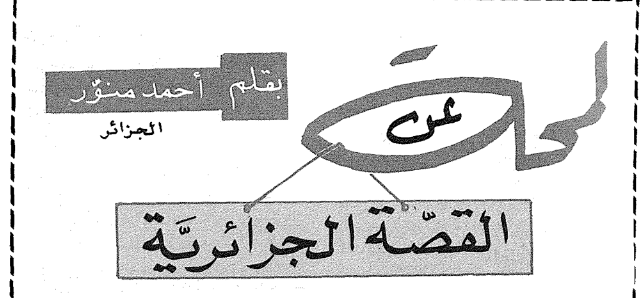
لئـن جزع الحجـاجُ ما من مصيبـة
تكـون لمحـزون أجـل واوجـعـا
من المصطفى والمصطفى من خيـارهم
جنـاحـيـه لما فارقـاه فودعـا
جنـاحـا عقـاب فارقـاه كلاهما
ولـو قطعـا من غيره لتضـعـضـعـا
سَمِـيًّـا نبـىّ الـله سماهما به
أب لم يكـن عنـد النـوائب اخضعـا

وكـان عبد الله بن همام السلولى مكينا عند آل حرب حظيا فيهم وقد عزى يزيد بن معاوية فى وفاة ابيه ودعا آله الى التحلى بالصبر وعدم الجزع وأفاض فى الاشـادة بخصال الفقيد وما يتحلى به من حلم وجود وأمانة وايمان وحكمة وعدالة.. ودعا للخلافة بالدوام والعز يقول:

تعـزوا يا بنـى حرب بصـبر
فمـن هذا الـذى يرجـو الخـلودا
لعـمـر منـاخـهـن ببطـن جمع
لقـد جهـزتهـم ميـتـا فقيـدا
لقـد وارى قليـبـكـم بيـانـا
وحـلـما لاكـفـاء له وجـودا
وجـدنـاه بفيضـا فى الأعـادى
حبـيـبـا فى رعـيـتـه حميـدا
أمـيـنـا مؤمـنـا لم يقض امـرا
فيـوحـد غبـه إلاّ رشـيـدا

■ وجدّ فى هذا العصر الجمع بين التعزية والتهنئة وأول من جمع فى شعر بين ذلك (عبد الله بن همام السلولى) فهو الذى فتح للشعراء باب القول فى هذا اللون من الشعر. ويذكر صاحب العقد الفريد ان معاوية ابن أبى سفيان مات ويزيد غائب ثم قدم من يومه ذاك فلم يقدم احد على تعزيته حتى دخل عليه الشاعر فدعاه الى الصبر على الرزية وحمد الله على حسن العطية فقال:

اصبر يزيد فقد فارقت دامقة
واشكر بلاء الذى بالملك حاباكا
لا رزء اعظم فى الاقوام نعلمه
كما رزئت ولا عقبى كعقباكا
اصبحت راعى اهل الدين كلهم
فأنت ترعاهم والله يرعاكا
وفى معاوية الباقى لنا خلف
اذا نعيت ولا نسمع بمنعاكا



ظهرت القصة فى الأدب الجزائرى متأخرة بالقياس الى العديد من الأقطار العربية الأخرى نظرا للظروف الاستعمارية الخاصة التى كانت مفروضة على الجزائر والتى كان لها تأثيرها السلبى فى جميع المجالات.. ويحدد الدكتور عبد الله ركيبى بداية القصة فى الجزائر بسنة ١٩٢٨م/ ١٣٤٧هـ وذلك بظهور كتيب صغير فى هذه السنة للشاعر والصحفى الجزائرى القدير محمد سعيد الزاهرى بعنوان **«الاسلام فى حاجة الى دعاية وتبشير»** وقد ضم الكتاب مجموعة مقالات كان صاحبها قد نشرها فى مجلات وصحف جزائرية ومشرقية يعالج فيها قضايا فكرية واجتماعية من وجهة نظر اسلامية بأسلوب يجمع بين السرد القصصى والمقال الدينى الاجتماعى وقد شاع بعد التاريخ المذكور هذا الصنف الجديد من الكتابة واشتهر به محمد بن العابد الجلالى والطيب العقبى.

● بعد الحرب العالمية الثانية عرف المقال القصصى تطورا ملموسا حيث أخذ الكتاب يتخلصون شيئا فشيئا من الحوار الطويل ومن الوعظ الدينى المباشر ومن عدم التناسب والاتساق بين الأجزاء المكونة له الى الاختصار فى الحوار والى التلميح والاشارة السريعة والى العناية أكثر

←

بالناحية الأدبية والفنية واصطلح على تسمية هذا الشكل المطور للمقال الأدبى بالصورة القصصية .

وكان فى طليعة كتاب هذه المرحلة وأكثرهم نشاطا وإنتاجا الشهيد أحمد رضا حوحو الذى ارتقى بالصورة القصصية الى مستوى جيد لا سيما بالنظر الى بعض التقنيات القصصية التى كان يستعملها والى براعته فى استعمال الوصف والسرد والحوار استعمالا جيدا لا توازيه الا براعته فى وضع النكتة وقدرته على التصوير الساخر المضحك . . نذكر على سبيل المثال قصة **«ثرى الحرب»** من مجموعته الأولى **«صاحبة الوعى»** التى يبدأها من النهاية و**«فتاة أحلامى»** من نفس المجموعة التى لا ينكشف لنا سرها إلا فى آخر عبارة فيها .

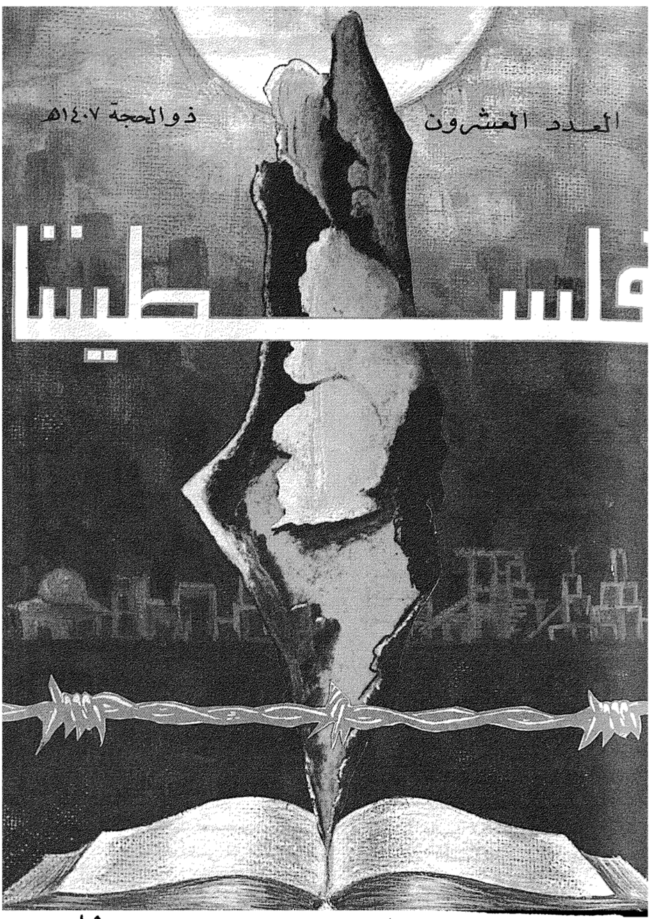
ونلاحظ هنا أنه يحاول استعمال بعض تقنيات الرواية البوليسية فى القصة القصيرة .

أما عن موضوعات قصص هذه المرحلة التى تمتد من عهد التأسيس الأول لتقاليد القصة عندنا الى بداية ثورة التحرير المسلحة فأهمها وأبرزها فى الأول التشهير برجال الطرق الصوفية الذين كانوا يمارسون الشعوذة والدجل ويلصقون بالدين الحنيف عادات وتقاليد ما أنزل الله بها من سلطان وكانت هذه الحملة بتأثير الشيخ المصلح عبد الحميد بن باديس الذى كان حربا على البدع والمبتدعين لم تعرف هوادة ولا مهادنة فكان القصاصون يصورون تلك الطقوس الوثنية فى أصلها ويكشفون أساليبها وألاعيبها فى تضليل الشعب ثم اهتم **«القصاصون»** فى مرحلة ثانية بموضوع تربية البنت وتعليم المرأة ومشكلة الزواج بالأجنبيات فكان القصاصون غالبا ما يقفون فى صف الداعين الى تعليم البنت وتنشئتها تنشئة اسلامية صحيحة كما كانوا يحذرون من خلال النماذج التى يصورونها من مغبة الوقوع فى فخ الزواج المختلط وهم يقصدون بالضبط الزواج من الفرنسيات وما يترتب عليه من ضياع الأبناء بين الأب المسلم والأم المسيحية .

وعندما جاءت حرب التحرير الكبرى أعطت للقصاصين آفاقا فنية رحبة وموضوعات ثرة لا ينضب معينها وقد اندمج القصاصون فى أتون الثورة متفاعلين معها مصورين لأحداثها فكتبوا الكثير عن تضحيات الشعب الجزائرى وآلامه وعن صبره وقوة إيمانه فى مواجهة العدو وصوروا بطولات جيش التحرير وهزائم جيش الاعداء وكان أبرز من مثلوا هذه المرحلة بحق القصاصون عثمان سعدى وعبد الله ركيبى وأبو العيد دودو وعبد الحميد بن هدوقة .

وقد ظل موضوع ثورة التحرير على رأس قائمة إبداعات القصاصين حتى بعد أن انتهت سنوات الثورة المسلحة لفترة لا تقل عن عقد من السنين الى أن بدأت الكفة تميل نحو موضوع الاصلاح الزراعى الذى عرف باسم الثورة الزراعية ويجدر بنا أن نلاحظ أن النقد أصبح فى السنوات الأخيرة يتهم قصة ثورة التحرير بالتصوير السطحى للأحداث وبالحماس الزائد عن الحد وبالخطاب المباشر الذى لا يتفق والفن الرفيع .

وقد عرفت القصة الجزائرية فى بداية السبعينات تطورا هاما على يد مجموعة من الشباب راح عددها يزداد يوما فيوما وعرفت باسم جيل السبعينات أو جيل الاستقلال وهذه المجموعة لم تنفصل انفصالا كليا عن الجيل السابق ولكنها اختلفت عنه بشكل بارز فى الاهتمام وفى النظرة الى الأشياء وهو أمر طبيعى جدا وقد سادت فى قصص جيل السبعينات هذا نزعة واقعية بلغت حد الاسراف أحيانا وكررت بصورة أخرى واقعية القرن الماضى فى أوربا إن لم نقل واقعيته الطبيعية وذلك باهتمامها الشديد بالمضمون الاجتماعى وكثرة التفاصيل والتصوير الفوتوغرافى البارد كل ذلك على حساب الشكل الفنى الجيد والتشكيل اللغوى الحى وقد بدأ هؤلاء القصاصون منذ منتصف الثمانينات يحاولون الخروج من تلك الواقعية المملة ويبذلون قصارى جهدهم فى البحث عن اشكال جديدة نذكر منهم على سبيل المثال خلّاص جيلالى الذى اتجه مؤخرا نحو كتابه الرواية ومحمد الصالح حرزالية والعيد بن عروس وعلاوة وهبى ولكن بعضهم كما بالغ وأفرط فى العناية بالمضمون على حساب الشكل بالغ أيضا فى العناية بالأشكال القصصية الجديدة فجاءت بعض القصص نموذجا لا مثيل له فى الشقشقة اللفظية والحذلقة الأسلوبية واللغوية لكن هناك اسماء بدأت تلمع فى مجال القصة فى الفترة الاخيرة وتقدم عطاء متميزا وكتابتها على العموم مطبوعة بطابع سريالى واضح وما دامت تجربتها لم تكتمل بعد فإنه من السابق لأوانه الحكم لها أو عليها .



- يوم البراق — محمد محمد حسن شراب
- فلسطين في شعر أبي سلمى — زياد عودة
- الاستراتيجية الاسرائيلية — حسن خضر

شعر : روحي عبد الغنى صالح

أيها التاريخُ سجِّل قصَّتى
بدماء كاللظى من مهجتى
وارْوِ للأكوان ما لم تَرْوِهِ
أسْمِع الدنيا دويَّ الثورة
أنا كالطَّود. هنا فى معقلى

وإذا ما صلتُ أشفتْ صولتى
أنا كالبتَّار يهفو نصلُه
لا عداءً بل لأحمى عزَّتى

***

ألفُ مليون خسيس حاصرو
نى فما لانت لصَعْبٍ شوكتى
فاجمعوا جمعكمو إنى هنا
فوق جرحى صامدٌ فى خيمتى
واقصفوا بالمدفع المسعور بالـ
ـقاذفاتِ الموتِ أقصى غُرْبتى
وامنعوا قوتى وصبوا ناركم
وازرعوا الحقدَ وأردوا صبيتى

***

ويلكم قد غرَّكم طغيانُكُم
فافرحوا لن تهنئوا بالفرحة
إنَّ أخذَ الله يأتى بغتة
فافرحوا عما قريب ضربتى
أعتلى هاماتكم فى وثبة
تدرأ الظلمَ وتجلو شِدَّتى

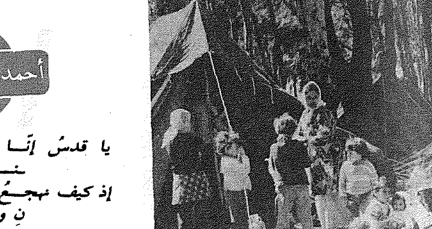
***

أمَّةَ الاسلامِ آه أمتى
أمة الاسلام آه أمتى
أمَّةَ الاسلام هذى صيحتى
صُعِقَ الصخْرُ لهول الصيحة
قَتَّلوا الأطفال أفنوا أسرتى
قَطَّعوا الاجسامَ داسوا إخوتى
رَوَّعوا عاثوا فسادا عطَّشوا
أشعَلوا النيرانَ هدّوا خيمتى

***

رغم هذا سوف أبنى خيمتى
وتسُدّ الأفق سدًا رايتى





سنعود

شعر
أحمد محمود مبارك
مصر

هل دام ظلمٌ فى الوجودْ؟
هل ظلَّ للبغى الخلودْ؟
هل ضاع حقٌّ مُطالِبٍ
عن حقِّهِ دوماً يذودْ؟
لا تيأسى يا قدسُ إنْ
طالت على الأسْرِ العهودْ
إن أثقلوا يدَكِ الكريـ
ـمةَ بالسلاسلِ والقيود
إنْ دنَّس الأقصى المبا
ركَ رجْسُ أوغادِ اليهود
إنْ بدّلوا عطر البنفـ
ـسجِ فوقَ أرضِكِ «بالبَرودْ»(*)
لا تجزعى إذ كلما
سالت دِما بطلٍ شهيدْ
فدماؤه تُزكى بنا
نارَ البسالةِ والصمودْ
وسَيَحمِلُ العلمَ العزيزَ
بعزَّة بطلٌ جديد
فالعزمُ فينا لا يُبا
دُ على المدى لكن يُبيدْ

* * *

يا قدسُ إنّا مُذْ نُكبْـ
ـنا بالفجيعة لا ننامْ
إذ كيف نهجعُ فى السّجو
نِ وفى الفيافى والخيامْ
لسنا بمن يرضى الحيا
ة ويبتغى فيها المقامْ
ما دام يهنأ فى أرا
ضينا الصّهاينةُ اللئامْ
سنثور كالبركان يُرْ
دى بطشَ أعداء السلام
من خرَّبوا الأقصى وألـ
ـقوا فى جوانبه الضّرام
أعلامُهمْ سنحيلها
مزقاً يلطّخها الرغام
والـيُتْمُ سوف يصير فى
صدرِ الصبيَّةِ والغُلام
مليون قنبلة تصبُّ على
أعاديكِ الحِمَامْ
مليون قنبلة تفجّرها
أيادى الإنتقام
وتفرُّ.. حينَ تلوحُ شمـ
ـسُ النصر ـ أشباحُ الظلام
ويعودُ يهدل بالغنا
ء على منازلكِ الحَمَامْ
فالحقُّ مهما غاب عَنْ
كِ فلن يغيب على الدوام

هامش:
(*) كتبت كلمة «البرود» على هذا النحو بدون ألف بعد الباء لضرورة الوزن بالاضافة الى أنها كلمة غير عربية فى الأصل.



الحلقة الأولى: تمهيد وتعريف.

● يوم البُراق ـ بضم الباء الموحدة ـ من أيام الدفاع عن المقدسات فى فلسطين يوم أثبت فيه عرب فلسطين تمسكهم بالعقيدة وثباتهم عليها وإيمانهم بكتاب الله القرآن الكريم، وحبهم محمدا رسول الله ﴿ﷺ﴾ وكل أثر من آثاره.

وقولنا: يوم البراق على حذف مضاف تقديره «يوم حائط البراق» والحائط: هو الجدار لأنه يحوط ما فيه وقد يطلق على بستان النخيل إذا كان عليه حائط..

وهو هنا «الجدار» ونريد به: جدار المسجد الأقصى.. وأضيف الى «البراق» وهو اسم الدابة التى ركبها النبى ﴿ﷺ﴾ ليلة الاسراء.. سمى بذلك لشدة بريقه ولمعانه أو لسرعة سيره وطيرانه فهو كالبرق.

و**«حائط البراق»** هو الجدار الغربى للحرم القدسى الشريف وسمى بذلك لاعتقاد المسلمين أنه الحائط الذى ربط فيه الرسول عليه السلام دابة البراق التى امتطاها من مكة المكرمة الى القدس ليلة الاسراء.

● وقد ثبت الاسراء بالقرآن الكريم فى قوله تعالى: **﴿سبحانَ الذى أَسْرَى بعبده ليلاً مِنَ المسجدِ الحرامِ الى المسجدِ الأقصى الذي باركنا حولَهُ﴾**.. واتفق علماء الأمة على أن الذى أسرى به محمد ﴿ﷺ﴾ وأن المسجد الحرام هو مسجد مكة وأن المسجد الأقصى هو مسجد القدس فى فلسطين.. قال الحافظ السهيلى: قوله عز وجل **«الى المسجد الأقصى»** يعنى بيت المقدس وهو إيلياء ومعنى ـ إيلياء ـ بيت الله. وقوله تعالى: **﴿باركنا حوله﴾** يعنى الشام والشام بالسريانية: الطيب فسميت بذلك لطيبها وخصبها.

● وثبت الاسراء الى القدس أيضا بالأحاديث الصحيحة فروى الامام مسلم فى صحيحه عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله قال **«أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه، قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس، فربطته بالحلقة التى يربط بها الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت.. الحديث»** وقريب من هذا اللفظ عند البيهقى ـ وفى مسند الامام أحمد.. وقد جمع ابن كثير فى تفسير سورة الاسراء الأحاديث التى ذكرت الاسراء ثم قال «واذا حصل الوقوف على مجموع هذه الأحاديث يحصل مضمون ما اتفقت عليه من مسرى رسول الله ﴿ﷺ﴾ من مكة الى بيت المقدس راكباً البراق فلما انتهى الى باب المسجد ربط الدابة عند الباب ودخله فصلى فى قبلته تحية المسجد ركعتين ثم قال: وحديث الاسراء أجمع عليه المسلمون وأعرض



عنه الزنادقة والملحدون ﴿يريدون ليُطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كَرِهَ الكافرون﴾.

● وفي بدء رحلة الاسراء من المسجد الحرام بمكة وانتهائها بالأرض المباركة فى المسجد الأقصى ما يدل على قداسة هذين المسجدين وما يحيط بهما من أرض شهدت مبعث النبوات والرسالات.. ولهذا كان أحدهما القبلة الأولى التى لا تنسى للمسلمين وكان الآخر القبلة الدائمة التى يتوجهون اليها كل يوم ويحجون اليها كل عام وذلك كله يحمل المسلمين فى كل مكان عبء الدفاع عن هذه البلاد المقدسه والابقاء عليها فى حوزتهم تتردد بين جنباتها كلمة الله وتخفق فى ساحاتها راية التوحيد.

● وقد تكلم العلماء فى الحكمة فى الاسراء برسول الله ﴿ﷺ﴾ أولا الى بيت المقدس قبل المعراج فذكر السيوطى فى كتاب «الآية الكبرى» منها: ان يجمع تلك الليلة بين القبلتين وقيل: لأن بيت المقدس كان هجرة غالب الأنبياء قبله فحصل له صلى الله عليه وسلم الرحيل اليه فى الجملة ليجمع بين أشتات الفضائل.. وقيل: لأن المسجد الأقصى محل الحشر، وغالب ما اتفق له فى تلك الليلة يناسب الأحوال الأخروية فكان المعراج منه أليَق.

وكشف سيد قطب رحمه الله - عن معنى دقيق وعن حكمة بالغة فى الاسراء برسول الله الى بيت المقدس أولا فقال: «فى ظلال القرآن ج١٥/١٢» والرحلة من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى رحلة مختارة من اللطيف الخبير تربط بين عقائد التوحيد الكبرى من لدن ابراهيم واسماعيل عليهما السلام الى محمد خاتم النبيين وتربط بين الأماكن المقدسة لديانات التوحيد جميعاً وكأنما أريد بهذه الرحلة العجيبة إعلان وراثة الرسول ﴿ﷺ﴾ الأخير لمقدسات الرسل قبله واشتمال رسالته على هذه المقدسات وارتباط رسالته بها جميعاً.

● ويقول الاستاذ محمد الغزالى فى «فقه السيرة» ص١٠٣ لماذا كانت الرحلة الى بيت المقدس ولم تبدأ من المسجد الحرام الى سدرة المنتهى مباشرة؟ إن هذا يرجع بنا الى تاريخ قديم فقد ظلت النبوات دهورا طوالا وهى وقف على بنى اسرائيل وظل بيت المقدس مهبط الوحى ومشرق أنواره على الأرض وقصة الوطن المحبب الى بنى اسرائيل فلما أهدر اليهود كرامة الوحى وأسقطوا أحكام السماء حلّت بهم لعنة الله وتقرر تحويل النبوة عنهم الى الأبد ومن ثم كان مجيء الرسالة الى محمد ﴿ﷺ﴾ انتقالا بالقيادة الروحية فى العالم من أمة ومن بلد الى بلد ومن ذرية اسرائيل الى

ذريـة اسـماعيـل. . يقـول: لكن ارادة الله مضت وحملت الأمـة الجديدة رسالتها وورث النبى العربى تعـاليم ابـراهيم واسـماعيـل واسحق ويعقوب وقام يكـافـح لنشرها وجمع الناس عليها فكان من وصل الحاضر بالماضى وإدماج الكل فى حقيقة واحدة أن يعتبر المسجد الأقصى ثالث الحرمين فى الاسلام وأن ينتقـل اليـه الرسول فى اسرائه فيكون هذا الانتقال احتراما للايمان الذى درج قديما فى رحابه.

● ونلحـظ من جهة أخرى أن هذه الرحلة اتخذت المسار نفسه الذى كان يسلكه أبو الأنبياء ابراهيم عليه السلام فى تردده بين مكة والأرض المباركة حين أسكن هاجـر وابنهـا اسـماعيل فى مكة وأسكن سارة وابنها اسحق فى فلسطين. . وقد قال المؤرخون ان فى مسار هذه الرحلة دليلا على وحدة أرض الشام مع ارض قلب الجـزيرة العربية ودليلا على وحدة الشعب فى هذه البقـاع وقـد ارسـل الله النبى محمدا الى قومه العرب أولا ثم الى الناس كافة فبدأ الدعوة فى عشيرته الأقربين ثم أخذت تتسع دائرة الدعوة ليصل بها الى سكان بلاد الشام العرب بل الى الأرض التى تعتبر من شبه جزيرة العرب. . ففى العام السابع للهجرة غزا رسول الله خيبر وفدك وطهرهما من اليهود لأنهما يقعـان فى الطـريق الى بلاد الشام ولا يأمن الدعاة الطرق إذا كان فيها اليهود الغادرون الذين يدبرون المكائد للمسلمين. . وفى شهر ربيع الأول سنة ثمان بعث رسول الله سرية بقيادة كعب بن عمير الغفارى فى خمسة عشر رجلا حتى انتهوا الى ذات أطلاح من أرض الشام، وفى شهر جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة بعث الرسول عليه السلام جيش مؤتة الذى اشتبـك مع الروم فى مؤتة من أرض البلقاء بالشام ويقـول المؤرخـون: إن موقع مؤتة متقدم كثيرا الى الشمال ويقع قريباً من البحر الميت الى الشرق من قسمه الجنوبى..

وفى شهر جمادى الآخرة سنة ثمان من الهجرة بعث رسول الله عمرو بن العاص على سرية الى ماء يقال له «السلسل» بجذام من أرض بنى عذرة وراء وادى القرى بينها وبين المدينة عشرة أيام. . وفى أول رجب سنة تسع من الهجرة كانت غزوة تبوك. . وفتح وقتها دومة الجندل وصالح أهل «أيلة» (على خليج العقبة) وتيماء وجرباء وأذرح على أداء الجزية. . ثم كان بعث أسـامـة قبـل وفـاة النبى «ﷺ». . هذه البعـوث والسرايا كانت تطبيقا لمنهج الاسراء للربط بين أجزاء الأرض الواحدة التى قسمتها القبلية حينا واستيلاء الرومان حيناً آخر ولإيصال الرسالة الاسلامية التى نزلت على النبى العـربى الى كل عربى وإزالـة الحواجز التى تحول دون انتشار الهدى.

● ونحن لا ننكر أن داود وسليمان عليهما السلام قد ملكا القدس واتخذاها عاصمة ملكهما ولكن القدس وفلسطـين كان يسكنهـا العـرب الكنعانيون قبل أن تطأها قدم أى اسرائيلى حيث كانت أولى هجرات العـرب اليهـا من الجـزيرة العربية سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد وعلى هذا فإن العرب يوجدون فى فلسطين منذ



خمسة آلاف سنة على الأقل وكان قسم من الكنعانيين العرب هم اليبوسيون قد أقاموا مملكة عاصمتها القدس وكانت تسمى «يبوس» وتسمى «أورو ساليم» بمعنى مدينة السلام وكانوا على درجة كبيرة من الحضارة وقد قاوم اليبوسيون الاسرائيليين مقاومة عنيدة أخرت احتلال (أوروساليم) مائة وأربعين عاما حيث استطاع الملك داود احتلالها عام ١٠٤٩ قبل الميلاد واتخذ منها عاصمة لمملكته وبقى أهلها اليبوسيون فيها.

● أما هيكل سليمان الذى يحتج به اليهود فى حقهم بمدينة القدس، فقد اندثر وانمحى منذ انتهى ملك سليمان عليه السلام ومنذ ترك اليهود التعاليم الالهية وأفسدوا فى الأرض فالمعابد أو أماكنها إنما هى لعباد الله الصالحين الذين يؤمنون بتعاليم السماء التى تنزل على رسل الله فقد عادت أرض الهيكل الى أهلها الكنعانيين بعد زوال ملك سليمان ثم جاء اخوانهم العرب المسلمون حملة الرسالة الخاتمة وبنوا المسجد الأقصى ليكون معبداً لكل من يؤمن بالله والرسل أجمعين قال تعالى **﴿قُولُوا آمنَّا بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزلَ الى إبراهيمَ واسماعيلَ واسحقَ ويعقوبَ والأسباطِ وما أُوتى موُسى وعيسىَ وما أُوتى النبيُّون من ربِّهم لا نُفرِّقُ بين أحد مِنْهُمْ ونَحْنَ لهُ مسلمون فإن آمنوا بمثل ما آمنتُمْ به فقد اهتدوا وان تولَّوا فإنَّما هُمْ فى شقاقٍ فسيكفيكهُمُ الله وهو السميعُ العليمُ﴾** (البقرة ١٣٦-١٣٧) ولم يثبت التاريخ لهم حقا فى مكان من أرض القدس ولا غيرها، بل كان عهد عمر بن الخطاب الذى أعطاه لأهل بيت المقدس **﴿أن لا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود﴾** (الطبرى ج٣).

● والبُراق أو حائط البراق الذى نشبت الثورة العربية الفلسطينية دفاعا عنه يطلق على مكان ملاصق لجدار الحرم القدسى الغربى فيه باب يعتقد المسلمون أنه الباب الذى دخل منه النبى ﴿ﷺ﴾ فى اسرائه من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى وعنده ربط جبريل دابة البراق التى ركبها النبى فى اسرائه.

ويدعى اليهود كاذبين أنه حائط المبكى ويذكرون أنه آخر باقية من معبد (هيرودوس) الذى بنى عام ١١ قبل الميلاد على موقع هيكل سليمان.. وادعاؤهم مبنى على الوهم بل هو من خرافات الصهيونيين التى لفقوها عندما بدأت الأفكار الأولى لتجميع اليهود فى فلسطين ولم يذكر التاريخ القديم اسم حائط المبكى أو مبكى اليهود ولم تظهر هذه الأسماء إلا فى القرن التاسع عشر فى كتب الرحالة الأوربيين إما نقلا عن أتباع العقيدة اليهودية أو بناء على المشاهدة حيث كان يختلس أحدهم الفرصة فيقف فى ذلك المكان للبكاء.

وكانت بداية السماح لهم بزيارة هذا المكان بموجب أوامر محمد على باشا حين احتلال الجيش المصرى فلسطين فى الثلث الأول من القرن التاسع عشر وبموجب أوامر الدولة العثمانية من بعده.

● وقد أقرت لجنة البراق التى كونتها بريطانيا حق المسلمين فى حائط البراق ولم يستطع اليهود اظهار حجة واحدة فى حقهم حيث كانت حجة المسلمين هى الأقوى واستطاع دفاعهم المدعم بالحجج أن يثبت أن جميع المنطقة التى تحيط بالجدار الغربى وقف اسلامى بموجب وثائق وسجلات المحكمة الشرعية القديمة التى اطلع عليها اعضاء اللجنة وأن نصوص القرآن وتقاليد الاسلام صريحة بقدسية المكان عندهم وأن زيارة اليهود منحة ضيقة بموجب أوامر محمد على باشا. وكان لسجلات المحكمة الشرعية القديمة تأثير فى نفوس اعضاء لجنة البراق لأنهم اطلعوا على تسجيل حجة شهادة متواترة على وقف ارض حى

المغاربة وهى المحيطة بالجدار من قبل الملك الأفضل ابن السلطان صلاح الدين الأيوبى على المدرسة التى أقامها فى هذا الحى وسماها الأفضلية والتى مازالت بقاياها قائمة.

● وكان ملوك المسلمين وامراؤهم بعد الحروب الصليبية قد رأوا أن ما فى فلسطين من مقدسات عرضة للغزوات والمطامع فبذلوا ما استطاعوا بذله بعد انقاذها من الغزاة الصليبيين فى سبيل صيانتها فى مستقبل الأيام فأحاطوا الحرم القدسى مثلا بسلسلة من المدارس الدينية على بعد مئة متر أو أكثر من سوره وأوقفوها لتصون هذه المنطقة الواسعة من البيع واليد الغريبة.. وقد أوقفوا الأوقاف الكثيرة فى القدس وغير القدس على هذه المدارس وعلى المساجد والمنشآت الاسلامية لتكون حبساً فى ايرادها وأعيانها. ولولا تهاون المسلمين فى زمن الدولة العثمانية وتهاون حكامها وقصر نظرهم الى المستقبل لما استطاع اليهود أن ينجحوا فى غزوتهم بطريق شراء الأراضى لأن ثلث أراضى فلسطين تقريبا من هذه الأوقاف ولكن الحال تطورت بسبب قصر النظر فانقلبت وقفيتها من العينية الى العشرية وأبيح انتقالها من يد الى يد بالبيع مع بقاء عشرها وقفا فلم تنجها صفة الوقف المتطورة على هذا الوجه من هذه الغزوة.

وقد كانت مساحة واسعة مما اشتراه اليهود وأقاموا عليه مستعمراتهم وبياراتهم منها، ولم ينج إلا جزء يسير جداً بالنسبة الى المجموع يقدر بنحو سبعين ألف دونم.. وقد بذل اليهود جهوداً مضنية فى عهد الانتداب لامتلاك ما حول حائط البراق وأخذوا يساومون على شراء المنطقة الوقفية الواسعة المحيطة بمحل البراق وحائط المبكى والموصلة اليه، ويذكرون أرقاما باهظة للاغراء ولكنهم فشلوا فى كل محاولاتهم.

فلسطين

في شِعْرِ أبي سَلمى

بقلم زياد عودة

من يعرف سهول وجبال وربوع فلسطين يتمنى لو يعيش فيها الى الأبد. ومن يشرب من قيعان وديانها وآبارها يظل يحن الى نقطة ماء عذبة مهما نأت به الأيام.

فلسطين التاريخ والأمل.. البناء والحضارة.. الجبل والسهل.. النهر والبحر.. القرية والبادية.. الحلم والواقع.. الحب والروعة.

فلسطين البساطة والعظمة.. القدسية والطهارة.. المجد والخلود.. الجمال والسناء، تطل علينا كل لحظة من لحظات العمر.. وتمثل دائما فى أذهان أولادها وأولاد أولادها المشردين فى بقاع الدنيا الواسعة يحلمون بالعودة إليها كل ساعة من ساعات النهار والليل.

وقد خلد الشعراء الفلسطينيون هذا الحب وسجلوه على شرايين قلوبهم قبل أن ينقلوه الى الورق.. ويهمنا هنا أن نتوقف قليلا عند الشاعر الراحل عبد



كريم الكرمى «أبو سلمى» ابن طولكرم الشاعر ذى أحب وطنه حبا ملك عليه حواسه ومشاعره . . جر هذا الحب فى قصائد رائعة نابضة بالحياة . .

كلما تصفحت دواوين الشاعر عبد الكريم الكرمى تى ضمهـا مجلد واحـد حمل عنـوان «**ديـوان أبى سلمى**» الـذى صدر عن الاتحـاد العـام للكتـاب لصحفيين الفلسطينيين وجدت رغبة ملحة فى إعادة ه القصائد . . فالمضمون العام لقصائده يدفعك ى أن تعيـد قراءة القصيـدة كلمـة كلمة للتفاعل صادق فى أجـوائهـا الفسيحة . . حيث ينقلك فى حلة رائعـة فوق بسـاط سحـرى فجاءت تعبر عما جيش فى صدره من شوق وحنـين الى تلك الربوع غالية التى صارت ذكرى تجول فى الخاطر وأمنية شبه ستحيلة ما دام العدو الصهيونى يجول ويصول فى لوطن المحتل .

لقد رحـل «**أبـو سلمى**» عن هذه الدنيا وهو يحلم بالعـودة . . ذلـك الحلم الـذى اخـترقه الموت دونها عودة . . فمات فى المنفى ودفن بعيدا عن وطنه ومسقط أسه .

لقد أحب الشاعر بلده فلسطين حبا ملك عليه نفسه وحواسـه وكتب من أجلهـا أحلى القصـائد وأجمل لأناشيد . . فكل قرية ومدينة فى فلسطين كانت لها مكانة خاصة فى نفسه أفرد لها القصائد الكثيرة . .

فى ديوانه الصادر عن مطبعة العودة ببيروت والذى اعتمـدنا عليه فى هذه الدراسة ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٨١ ـ فقد صدرت الطبعة الأولى سنة ١٩٧٨ . .

جاءت المقدمة بقلم أبى سلمى . . تلك المقدمة التى أضاءت الطريق أمام القارىء . . حيث تحدث فيها بمرارة عن ضياع قسم كبير مما قاله فى وطنه فلسطين قبـل النكبـة حيث كان يحتفـظ بأشعـاره المخطوطة والمطبوعة فى الصحف والمجلات فى أدراج مكتبه فى حيفا حيث كان يعمل محاميا ولم يكن يحتفظ فى داره إلا بالقليل مما نظم وكتب . . وسقطت حيفا بتاريخ ٢٢ نيسان سنة ١٩٤٨ مما اضطره الى مغادرتها الى مدينة عكا التى رحل منها مع عائلته الى دمشق ومعه مفـاتيـح البيت والمكتب على أمـل العـودة خلال أسبوعين . . ولكن بعد أيام قليلة تم احتلال معظم المدن والقـرى الفلسطينيـة من قبـل الصهـاينة . . وصارت المفاتيح ذكرى وأى ذكرى؟ .

فقد احتوى ديوانه على الدواوين التالية : «**أغنيات بلادى**» الصـادر فى دمشق سنـة ١٩٥٩ ، وديـوان «**المشـرد**» المطبوع سنة ١٩٦٣ وديوان «**من فلسطين ريشتى**» المطبـوع سنة ١٩٧١ بالاضافة الى قصائد متفرقة فى الغزل وأناشيد للأطفال .

فلسطين : القصيدة الخالدة

القصيـدة الأولى فى ديـوانه الكبير حملت عنوان «**فلسطـين**» التى يبدو أنها كتبت بعد إنشاء جامعة الدول العربية حيث يتغنى ببلاده ويرسم لشعبه أجمل صورة .

فلسطـينُ يا حلمَ الـثـائـريـن
فلسطـينُ يا وطـنَ الخـالـديـن



أطِـلِّي على أفـق الارجـوان
معطـرة بشـذا الـدارعـين
وسـيرى على ربـوات الـزمـان
مجنـحـة بجـهـاد الـسـنـين
تنـامُ على راحـتيـك الـنجـومُ
وفـجـر الأمـانـى فوق الجبـين

● وهـا هو يشيـد بالـدور الكبير الذى قام به أبناء فلسطين على مر العصور:

فلسطـين إنـا بنينـا الحضـارة
فوق الـعـصـور كما تذكـريـن
ونـحن الـذين أنـرنـا الطـريق
وكـنـا مشـاعـل حق وديـن
تسـير على جانـبنـا الـشعـوب
ونـحـن امـام المـصبـاح المبـين

وادى الحوارث

وقد خلد الشاعر مأساة أهالى «وادى الحوارث» إثر إجلائهم بالقوة سنة ١٩٣٣ مما تسبب فى مقتل بعض الأشخاص الأبرياء. . وحرمتهم من مصدر رزقهم. . وقد حركت هذه الاحداث الدامية أشجان شاعرنا فأوحت له بهذه القصيدة الرائعة التى جاءت تحت عنوان «حمام الوادى» حيث يقول فيها:

ودِّع ظلالَـكَ يا حمامَ الـوادى
ألْـوَى الـزمـانُ بغصنـك الميـادِ
من بعـد سرحتـه وعـذب نميره
نم فى الهـجـير وأنـت طاو صاد
أرسـل نواحـك يا حمام وقـل لنا
هل فى حمى الـوادى حمام سادِ

● وفى الجزء الأخير من القصيدة يناشد الشاعر العرب فى كل مكان للوقوف الى جانب أهالى وادى الحوارث فى محنتهم ويذكرهم بامجاد الماضى. . ذلك الماضى المجيد الذى يتمنى لو يعود فى هذا الزمن الأغبر. . تلك الدعوة التى مازالت قائمة على امتداد عشرات السنين.

ياجـيرة الـوادى الحـزين تحيـة
حمراء أنطـقـهـا دم الأكـبـاد
نتـلمس المـاضـى فتبـصـر ظله
خلف الـدمـوع على شفار العادى
كانـت تزيـن بروده سمـر القنـا
فتعى السنـون عجـائب الأبـراد
ما تملكـون ؟ أخى النفـوس حمية
عربـيـة شدت على الأصفـاد؟

جبل النـار

وفى قصيـدة «جبل النار» وهو لقب يطلق على جبـل نابلس مكـون من سلسلة جبـال دارت فيه المعـارك بين المجاهـدين والقوات الـبريطانية سنة ١٩٣٦ حيث أشـاد بالثـوار الـذين صنعـوا أروع البطولات واستبسلوا فى سبيل الدفاع عن وطنهم. . وصمدوا أمام الدبابات والمدافع والطائرات. . فها هو يتغنى بجبل النار مشيدا به وبأبطاله الميامين:

جبـل الـنـار يا أعـز الجبـال
أنـت لازلـت معـقـد الآمـال
تنـبـت المجـد فوق سفحـك
فينـان وتسقيـه من دم الأبطـال

الى ان يقول:



يها الثـائـرون فى جبـل النـار
سلامـا يا زينـة الأبطـال
لكـم الله يا حماة فلسطـين
زحمـتـم مصـارع الآجـال
تحملون الأرواح فوق أكـف
وتـبـيـعـونهـا ولـكـن غوالـى
ورصـاصـاتـكـم تمر على الأيـام
حُمرا مضـيئـة فى الـليـالـى
تصرع الطـائـرات مثـل طيور الجـو
تهوى ما فوق تلك التـلال

جبـل المكبر

قامت الحكومة البريطانية ببناء قصر للمندوب السامى البريطانى فوق جبل المكبر المشرف على مدينة القدس وهو الجبل الذى وقف عليه الخليفة عمر بن الخطاب وكبر قبل دخول بيت المقدس.. وقد أوحى هذا لشاعرنا أن ينظم قصيدة حملت إسم «يا فلسطين» حيث يهيب بفلسطين وأبنائها أن يكونوا خير جنود للدفاع عن كل ذرة فيها.

فـاقـك الحُمـر انتشت راياتهـا
قد أقـسـمـت ألا تُظـلّ ذلـيـلا
ورى ولـو فرش الذين طغوا علىٍ
طرق الجـهـاد أسنّـة ونـصـولا
يـه فلسطـين اغضبى وتحـررى
ضاعت حقـوقـك بين قال وقيـلا
جبـل المكـبر.. طال نومـك فانتبه
قم واسـمـع التكبـير والتهليـلا

● وفى قصيدة «بقايا أهلى» احدى قصائد ديوانه «المشرد» المطبوع سنة ١٩٦٣ والذى أهداه «الى أجمل وأقدس وطن وطنى فلسطين» يقول فى هذه القصائد التى عرج فيها على ذكر بعض المدن والقرى الفلسطينية:

قَبِّـل الـتُّرب لا تقـل أنـا حالم
هذه غزة الـعـلى والمـكـارم
هذه أرضـك الحبيبـة يا قلبى
وهـذه رسـومـهـا والمـعـالم

وينتقل الى قريتى «قبية» و«كفر قاسم» فى محاولة لتذكيرنا بالمجازر التى أرتكبت على أرضهما حيث يقول:

ورأينـا هنـاك «قـبـيـة» تبـكـى
ورأينـا من خلفهـا «كفـر قاسم»

وينتقل بنا فى رحلة شوق الى حيفا ويافا وعين كارم:

نسبق الشـوق بين «حيفـا» و«يافـا»
ونخيمى الـنجـوم فى «عـين كارم»

فلسطينية

ومن ديوان «من فلسطين ريشتى» المطبوع سنة ١٩٧١ نختار بعض الأبيات من قصيدة «فلسطينية»:

سأل الفجـر: أين «خولة» فانهلت
طيـوب وتمـتـمـت: كيف تسأل؟
هى فى كل زهـرة من بلادى
عبـق فى صمـيـمـنـا يتـغـلـغـلْ
إنهـا من مروج «عكـاء» و«الرملة»
و«الـلـد» نشـوة تتـنـقـل
من كروم «الجليـل» خمرية الأنداء
نشـوى ومـن كروم «المجـدل»
عطـرهـا منـذ كان أنفاس «بيسان»
ورغـم الـزمـان لم يتـبـدل

حفنة الطيب من ثرى الوطن الغالى
وآه على الـثـرى لو يقـبـل
خطرت والشموخ من جبل «الجرمق»

فيـهـا ومـن شعـاف الـقـسطـل

من فلسطين ريشتى

وقد تجلى الشاعر فى مهرجان الشعر الثامن الذى عقد فى القاهرة فى أواخر آذار سنة ١٩٦٨ فى أعقاب المؤتمر السادس للأدباء العرب حيث ألقى قصيدته العصماء «من فلسطين ريشتى» وانتزع اعجاب الجميع بما جاء فيها من كلمات رائعة سجلها الزمن بمداد من نور عرج فيها الشاعر على ذكر عدد من المدن الفلسطينية المحتلة حيث نقتطف منها هذه الابيات:

من «فـلسطـين» ريـشـتـى وبـيـانـى
فعـلى الخـلد والهـوى يدرجـان
من «فلسطـين» ريشتى ومن «الـرملة»
و«الـلدة صغـت حمر الأغـانـى
من شذا برتـقـال «يـافـا» قوافيهـا
ومـن سهـل «طـولـكـرم» المعـانى
أحـرق من قطاع «غـزة» والشاطىء
تمشـى مصـبـوغـة الأردان
يوم غابـت «نـابـلس» مخضـلة
الـعـيـنين لم تغـتـمض لنـا عينـان

* * *

ريـشـتـى فى يدى ومـن جبـل النـار
لظـاهـا فالحـرف أحمـر قانـى
ريشتى فى مدادهـا الـدم والـدمـع
وراء الـسطـور يمـتـزجـان
ريـشتى فى حفيفهـا جهشـة الأقصى
على أهـله ونـوح الأذان

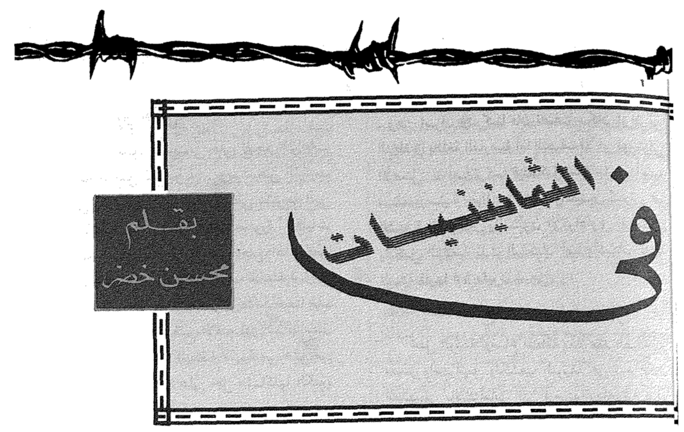
الاستراتيجية الاسرائيلية

لماذا

لم ندرس هذه الوثيقة السرية حتى الآن؟

تعـد هذه الـوثيقة السرية أخطر ما صدر عن العدو الصهيونى بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣م وخاصة انها صادرة من احد الدبلوماسيين الاسرائيليين وهو اودينـون.. وكشف عنهـا استاذ الكيمياء العضوية بالجامعة العبرية بالقدس اسرائيل شاهاك.. وتحمل الـوثيقـة عنـوانـا هو **«الاستراتيجية الاسرائيلية فى الثمانينيات»** وتهدف هذه الوثيقة الى تفتيت الدول العربية الى طوائف دينية ودويلات صغيرة كمقدمة لخلق امبراطورية اسرائيلية.. وبالرغم من ان هذه الفكرة قديمة الا ان اعادة نشرها فى الثمانينيات تعبر عن مضى للمخطـط الاسـرائيلى فى تحقيقهـا والاستفادة من المتغيرات المستجدة فى المنطقة.

● وتشير الوثيقة الاسرائيلية الخطيرة الى حدود الدولة الصهيـونيـة فى الـوطن العـربى، فتمتد من سوريا



وجنوب تركيا والعراق والكويت وجنوبا الى وسط المملكة العربية السعودية حتى المدينة المنورة وغربا الى القاهرة ومرسى مطروح وبعد أن تكون قد ابتلعت لبنان والأردن . .

وتفصل خريطة Dream of Zionism المرفقة بالوثيقة حدود الدولة الصهيونية المستهدفة .

تشير الوثيقة الى التكتيك الاسرائيلى فى سبيل تحقيق هذه الاستراتيجية فحجم الجيش الاسرائيلى غير كاف لاحتلال هذه المناطق المتسعة ولذا فإن الحل العسكرى لمثل هذه القضية يكون بدفع اطراف آخرين ليقوموا بمثل هذا الدور (قوات سعد حداد مثلا» أو عن طريق قوات محلية منفصلة عن الشعب وليس لها جذور.

وستلجأ اسرائيل إلى قمع أى ثورة أو مقاومة عن طريق الاذلال الجماعى (كما يحدث فى الضفة الغربية وغزة أو عن طريق تدمير المدن (غزو بيروت ٨٢) . . ويتصور المخطط الاسرائيلى اقامة حاميات اسرائيلية فى مناطق هامة بين الدويلات الصغيرة وتزوّد بالمعدات والقوات خفيفة الحركة .

الخطر العربى والخطر السوفيتى

تفرق الوثيقة بين التهديد العربى الاسلامى للدولة الصهيونية والتهديد السوفيتى فترى «**ان العالم العربى الاسلامى لا يعتبر بالنسبة لنا مشكلة استراتيجية سنواجهها فى الثمانينيات**» بالرغم من أنه يشكل تهديدا رئيسيا لاسرائيل نتيجة لنمو قوته العسكرية، ففى العالم العربى الاسلامى الكثير من المشاكل حيث الاقليات العرقية والانقسامات والازمات والنزعات الحزبية «**الخلافات الداخلية**» فهذه المشاكل تثير الاستهجان لما فيها من تدمير ذاتى وهذا ما يظهر جليا فى لبنان وفى ايران،

أى أن النظرة الصهيونية تعتبر التهديد العربى الاسلامى تهديدا مرحليا، أما التهديد الاستراتيجى والأبعد فهو التهديد السوفيتى وهذه التفرقة تدعو الى التساؤل: هل يدخل ذلك فى اطار العمل على استمالة الحليف الأمريكى وكسب تأييده باعتبار الكيان الصهيونى نقطة مقاومة متقدمة ضد الخطر الشيوعى؟ .



اللعب على الوتر الطائفي:

يعتمد المخطط الصهيونى على تفجير النزاعات الطائفية داخل كل دولة . . ويستعرض التركيب الداخلى للدول العربية ليخلص الى النتيجة التى يريد الانطلاق منها «إن هذه الصورة للأقليات العرقية والتى تمتد من مراكش حتى الهند ومن الصومال حتى تركيا تشير الى غياب الاستقرار والى التفسخ السريع للمنطقة بكاملها وإذا ما أضفنا هذه الصورة القائمة الى الوضع الاقتصادى نستطيع ان نكتشف كيف أن هذه المنطقة مبنية من هش من الورق وانها غير قادرة على حل مشاكلها الكبيرة المعقدة» .

فكل دول المغرب (كما تقول الوثيقة) تقوم على خليط من العرب وغير العرب من البربر ففى الجزائر توجد مشاكل بين القبائل كما أن المغرب والجزائر هما ايضا على خلاف معا حول الصحراء الاسبانية، أما فى تونس فهناك حركة تدعو للعودة الى الاسلام .

وبالنسبة الى السودان فهى اكبر دولة عربية اسلامية من حيث الطوائف الموجودة فيها وهم العرب السنيون ثم الأغلبية الافريقية غير العربية ثم الوثنيون فالمسيحيون .

أما مصر ففيها أغلبية سنية مسلمة كما يوجد أقلية كبيرة من المسيحيين الذين يقطنون الصعيد حيث يبلغ تعدادهم ٧ مليون نسمة .

وفى الشرق العربى لا تخلو من مشاكل (كما تقول الوثيقة)وفى العراق فالأغلبية الشيعية تحكمها أقلية سنية وتوجد الأقلية الكردية فى الشمال ولولا قبضة السلطة الحاكمة القوية والجيش وعائدات النفط لا تفصل الاكراد فى الشمال وشكلوا دولة خاصة بهم .

ـ اما بالنسبة الى دول الخليج فان هذه الدول تعتمد كليا فى اقتصادها على عائدات النفط .

ـ اما الأردن فهى عبارة عن فلسطين يحكمهم نظام أردنى

ـ وعن ايران وتركيا فان نصف سكان ايران من الناطقين باللغة الفارسية أما النصف الآخر فهو تركى الأصل . . أما تركيا فيتشكل سكانها من أغلبية مسلمة سنية حوالى (٥٠٪) واقليتين كبيرتين هما الشيعة العلويين والسنّيون الأكراد وفى افغانستان يشكل الشيعة ثلث السكان أما باكستان الدولة السنية ففيها ١٥ مليون شيعى .

● ما بعد الصلح بين مصر واسرائيل

تحلل الوثيقة اوضاع المنطقة بعد عقد الصلح بين مصر واسرائيل وتكشف الوثيقة عن تبرم الكيان الصهيونى بالالتزامات التى فرضتها معاهدة االصلح على اسرائيل . . فينتقد تقصير الادارة الاسرائيلية بعد حرب ٦٧ فى اعطاء الاردن للفلسطينيين . . «فلو **كنا قد فعلنا ذلك لجنبنا أنفسنا مشاكل كثيرة وكنا قد استطعنا بذلك تحديد المشكلة الفلسطينية التى نواجهها الآن**» .

وتحدد الوثيقة الخطوات التى يجب أن تقطعها اسرائيل خلال الثمانينيات والتى بدونها لن تستمر ولن يعد لها بقاء كدولة . . «وخلال الثمانينيات فإنه يتعين على اسرائيل على المستوى المحلى ان تقوم بتغييرات جذرية متطرفة على مستوى السياسة الخارجية وذلك من أجل مواجهة التحديات العالمية والاقليمية فضياع حقول النفط فى منطقة قناة السويس الغنية بالنفط والغاز بالاضافة الى ضياع الكثير من الثروات الطبيعية الاخرى فى شبه جزيرة سيناء سوف ينتج عنه فى المستقبل القريب نقص فى الطاقة وسوف يحطم اقتصادنا الوطنى . . إن ربع انتاجنا القومى العام بالاضافة الى ثلث الميزانية يذهب لشراء النفط كما أن البحث عن المواد الخام فى صحراء النقب وفى الساحل سوف يؤدى فى المستقبل القريب الى تغيير أو تبديل الاوضاع فى الدولة» .



وتضيف الوثيقة انه على المدى القريب وبسبب [ر]جوع سيناء فإن مصر ستكسب مزايا كثيرة على [ح]سابنا نحن إلا أن هذا الأمر سيكون لفترة وجيزة [ل]كنه لن يغير ميزان القوى لصالحها. . وعليه فإن [ه]دف اسرائيل السياسى على الجبهة الغربية (سيناء) [فى] المستقبل يتلخص فى تقسيم مصر الى مناطق [إ]قليمية متميزة. . فتفكيك مصر وتجزأتها سوف يؤدى [إ]لى تفكيك ليبيا والسودان وبلدان عربية أخرى [و]وجود دولة مسيحية قبطية فى أعالى مصر بالاضافة الى عدد من الدويلات الضعيفة التى لا ترتبط بسلطة مركزية يعتبر تطورا تاريخيا، الا أن تطورات السلام هى التى أخرت هذا الوضع.

وتعرب الوثيقة صراحة عن ضرورة «أن تعمل اسرائيل من أجل اعادة الأمور فى سيناء الى ما كانت عليه قبل الانسحاب والسيطرة عليها كرصيد استراتيجى واقتصادى وكمصدر للطاقة على المدى البعيد.

● تفتيت الشرق العربى:

اما المخطط الصهيونى فى الشرق العربى (**الشام [و]العراق ودول الخليج العربى**) فلها تصور مماثل [ف]تعترف الوثيقة أن ما حدث فى لبنان هو الهدف الاسرائيلى الأول على الجهة الشرقية على المدى البعيد وتقسم لبنان الى خمس أقاليم وأما سوريا فستكون هناك دولة شيعية على طول الساحل كما ستكون هناك دولة أخرى سنية فى منطقة حلب. . [و]دولة سنية أخرى فى دمشق وستكون هذه الدويلة على عداء مع جارتها فى الشمال اضافة الى الدويلة التى سيقيمها الدروز فى الجولان. . وربما تمتد الى حوران وشمال الأردن.

[أ]ما العراق الغنى بالنفط فهو مرشح لأن يكون أحد [أ]هداف اسرائيل. . اما المناطق الشيعية فى الجنوب [ف]سوف تفصل عن المناطق السنية والكردية فى الشمال [و]ستؤدى المواجهة الايرانية العراقية الحالية الى تعميق هذا الاستقطاب وهكذا تقوم ثلاث دول أو أكثر حول [ا]لمدن المهمة كالبصرة وبغداد والموصل.

[أ]ما الأردن فهو يمثل بالنسبة لاسرائيل - كما تنص [ا]لوثيقة - هدفا استراتيجيا فوريا. . ولهذا يجب أن [ت]توجه سياسة اسرائيل - سواء فى السلم أو الحرب - [ل]تصفية الأردن ويجب رفض أى خطة تتقدم بها منظمة التحرير الفلسطينية أو العرب الاسرائيليون.

[و]عن مستقبل الأرض العربية المحتلة فان الوثيقة ترى أن مناطق الضفة الغربية وغزة والجليل هى الضمان الوحيد للوجود القومى ومن ثم فإعادة التوازن السكانى والاستراتيجى والاقتصادى للكيان الصهيونى هو من أهم الاهداف وأكثرها مركزية كما أن السيطرة على منابع المياه فى الجبال من بئر السبع الى الجليل الأعلى هو هدف قومى استراتيجى.

[و]يختتم أودنيون وثيقته الهامة بتحذير هام الى يهود العالم: «**ان التغييرات المضطرة فى العالم سوف تؤثر على وضع اليهود فى كل مكان وعندها لن تصبح اسرائيل فى الملاذ الوحيد لهم بل هى الخيار النهائى [ل]بقائهم**».

●● وبرغم خطورة هذه الوثيقة والتى مضى على [ن]شرها خمس سنوات كاملة ومع التسليم بخطورتها وما [ت]كشفه من جوانب فى الايديولوجية الصهيونية الا أن الغريب فى الأمر أننا لم نعكف على قراءة ودراسة هذه الوثيقة والخروج باتجاهات محددة يمكن التعامل على اساسها. . ولكن يبدو أن الخطاب السياسى العربى مازال غائبا عن التعامل الدينامى مع الفكر المضاد. .



يعتــبر الحكم المصــرى لبــلاد الشــام (١٨٣١ ـ ١٨٤٠) حاجزا بين دورين متمايزين من الادارة العثمانية فيها . . الــدور الاول (١٥١٦ ـ ١٨٣١) والــدور الثــانى (١٨٤٠ـ١٩١٨) ويــرجــع ذلــك التــمايــز الى عدة أسبــاب منهــا ان الاصــلاحات التى قام بها الحكم المصرى فى بلاد الشام كانت اكثر اهمية من تلك التى قام بها السلطــان محمود الثانى (١٨٠٧ـ١٨٣٩) فى ولايــات الــدولــة الأخــرى . . فقــد حالت حروب السلطان الخاسرة فى الداخل والخارج دون استفادة الــولايــات العثــمانيــة من الاصــلاحات التى حاول ادخالها الى الدولة بعد القضاء على الانكشارية فى يونيه ١٨٢٦ وقد تمثلت سياسة محمود الثانى فى اعلان الحــرب على اصحــاب العصبيــات والعصــابــات واصحــاب الحقوق المكتسبة من المتنفذين واخضاع العناصر المتمردة من الولاة واصحاب الاقطاع وتقوية قبضــة الدولة على ولاياتها واصلاح الحكم المركزى فيها(١) ولكنه فشل فى تحقيق هذه الاهداف لعدم توفر القوة العسكرية الكافية من ناحية ولمعارضة اصحاب العصبيات والعصابات للتغيير من ناحية أخرى(٢) .

أما الحكم المصرى فقد أدخل عدة تغييرات فى مختلف مجالات الحكم والادارة وذلــك بتعيينــه بعض أبنــاء البــلاد المحليين فى المناصب الادارية وتأليفه مجالس للنظــر فى الشئــون المحليــة فتمرن ابناء البلاد على اصــول الحكم واعتــادوا على ادارة بعض شئــونهم المحليــة بأنفسهم(٣) كذلــك أخــذ الحكم المصــرى بتقسيم ادارى جديد بعد الغاء التقسيمات العثمانية السابقة لبلاد الشام والتى كانت ممثلة بايالات حلب والشــام وطرابلس وصيدا فعين ابراهيم باشا «السر عسكر والمشرف على الأدارة المدنية والعسكرية»(٤) فى ديسمبر ١٨٣١ متسلمين على المدن الساحلية ـ صور وصيدا وبيروت وطرابلس ـ وربطهم مباشرة به وعين فى خريف ١٨٣٢ محمد شريف باشا حاكما مدنيا عاما «حكمداراً»(٥) على جميع ولايات الشام باستثناء جبل لبنــان حيث بقيت ادارتــه تحت اشراف الأمير بشير الشهــابى وأقــام محمد شريف باشا فى دمشق وعين بدوره متسلمين من ابناء البلاد على المدن السورية .

وهكذا أقام الحكم المصرى وحدة ادارية وحكما مركزيا فى بلاد الشام ولكن لأمد قصير حيث اضطر بسبب اضطــراب الأمن واستمـــرار الثــورات الى اعــادة التشكيلات الادارية العثمانية السابقة(٦) فأعاد تشكيل أيــالة صيدا مرة اخرى بعد ان فصل لواء عكا عنها

في بلاد الشام



وعين سليمان باشا الفرنساوى حاكما عليها فاتخذ من مدينة صيدا مقرا له(٧) كما فصل حلب عن أيالة الشام وعين اسماعيل بك حاكما عليها فى عام ١٨٣٤(٨) ومع واخر العهد المصرى (١٨٣٩) اصبحت التقسيمات الأدارية تشتمل على ايالات الشام وحلب وصيدا وطرابلس مع اضافة ايالة يافا الجديدة(٩) والتى ضمت لواء القدس اليها. ويبدو ان اختيار مدينة يافا مركزا للايالة الجديدة بدلا من مدينة القدس له علاقة بعدم استقرار الاوضاع فى المدن الداخلية من ناحية ولسهولة الاتصال بها بحرا من ناحية اخرى.

وفى مجال الزراعة انهى محمد على باشا الاقطاع فى بلاد الشام كنظام ارض(١٠) عندما حل الجيوش الاقطاعية (١٨٣١-١٨٣٥) وكان ذلك الاجراء مقدمة لحل النظام الاقطاعى فيما يتعلق بالأراضى ولا سيما بعد ان حررت الادارة المصرية الفلاحين ومنحتهم حق رفع الشكوى على الملتزمين(١١) ورفعت عنهم عوائد المتسلمين والأعيان وحظرت فرض أى زيادة على الأموال الأميرية العائدة للخزينة(١٢) كما اعادت الادارة المصرية إعمار عدد من القرى واستصلحت بعض الاراضى الزراعية(١٣) وادخلت تحسينات مهمة على الزراعة بادخال اساليب وغلال جديدة فطرأ تحسن ملحوظ على حالة الفلاح ومما اسهم فى تقدم الزراعة فى بلاد الشام وتحسن احوالها اقرار الأمن والنظام والغاء الاقطاع والالتزام واعلان المساواة وتشجيع زراعة القطن وازدهار زراعة التوت ورواج التجارة المحلية بسبب ازدياد طلبات الجيش.

ولكن سياسة الاحتكار التى مارسها محمد على باشاه فى مصر وسوريا على حد سواء(١٤) وفرضه الضرائب الباهظة والكثيرة وتشدده فى تحصيلها(١٥) وفرضه التجنيد الاجبارى وعلى نطاق واسع افقد الزراعة العناصر الشابة الضرورية لازدهارها بالاضافة الى مصادرة حيوان النقل وتسخيره لنقل المؤن والعتاد

للجيش(١٦) ولمسافات بعيدة تستغرق اياما كثيرة وفى وقت تكون فيه الزراعة فى امس الحاجة الى الانسان والحيوان معا(١٧) ويبدو ان حرج مركز محمد على فى بلاد االشام بسبب دسائس الدولة العثمانية وبريطانيا لإثارة الفتن والثورات ضده ارغمه على اتخاذ الاجراءات السابقة.

كذلك مهدت الادارة المصرية لتطور التعليم بفضل المدارس الابتدائية التى انشأها ابراهيم باشا فى بلاد الشام وتطبيقه برنامجا واسعا للتعليم على نمط النظام الذى جرى تطبيقه فى مصر من قبل(١٨) وكان للمدارس العالية التى انشأها محمد على فى مصر لتعليم الهندسة والطب والصناعات(١٩) تأثير مهم على ابناء بلاد الشام الذين تلقوا العلم فيها.

ومن تأثير الإدارة المصرية فى بلاد الشام قضاء محمد عليّ على جيوش الاقطاع واضعافه نفوذ اصحاب العصبيات فيها، فقد سجن ابراهيم باشا بعضهم ونفى البعض الآخر ونزع مقاليد الحكم من عصبية واسندها لأخرى واسترضى بعضهم بتعيينهم متسلمين على المدن او بتعيين مخصصات مالية لهم وفى كل محاولات استخدام القوة والاسترضاء السابقة كان ابراهيم باشا حريصا على اضعاف نفوذهم ومنعهم من آخذ الأموال من الأهالى والطوائف والاجانب.

وإذا كانت جذور الاقطاع القوية فى لبنان قد حالت دون القضاء تماما على العصبيات المحلية فيه واذا كان انسحاب محمد على باشا من بلاد الشام ١٨٤٠ يعتبر انتصارا للاقطاع فى لبنان فان الضربة القوية التى وجهها الحكم المصرى للاقطاع اللبنانى كان لها كبير الاثر فى تهديم ذلك النظام فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر حيث أدت ثورة الفلاحين فى عام ١٨٥٤ الى ازالة الاقطاع من لبنان الشمالى بينما الغى لبنان الاساسى ١٨٦٤ الاقطاع فى لبنان الجنوبى(٢٠) وكما حرصت الادارة المصرية على اخضاع اصحاب العصبيات حاولت ايضا القضاء على قوة القبائل البدوية والتى اظهرت مقاومتها منذ البداية وظلت تقوم بالاخلال بالأمن والاستقرار من حين لآخر(٢١).

اما فيما يتعلق بالطوائف غير الاسلامية فى بلاد الشام فقد اعلن الحكم المصرى منذ البداية مساواتها جميعا فى مجال المعاملات المدنية والحرية الدينية وامر برفع كافة العوائد والمرتبات والأغفار - الحراسة - التى كانت تؤخذ من الأديرة واليهود(٢٢) وتعهدت الأدارة المصرية بصرف المرتبات لاصحابها من الخزينة بعد تنظيم دفاتر خاصة بها(٢٣) وقد شجعت الاجراءات السابقة على توافد المبشرين والتجار الاجانب بأعداد كبيرة فأسهموا فى انشاء المدارس ونشر التعليم وكان للمساواة التى اعلنها ابراهيم باشا صدى قوى فى الأوساط الطائفية حيث قابلها نصارى الشام بسرور وبالغوا فى التشبه بالمسلمين ولما عاد العثمانيون الى بلاد الشام فى عام ١٨٤٠ تابعوا سياسة اقرار المساواة بين الطوائف(٢٤).

ومهما يكن من امر فان الاساليب الجديدة فى الحكم التى اتبعتها الادارة المصرية لم تكن مألوفة من الأهالى فى بلاد الشام الذين اعتادوا السطحية والجمود والتشتت فى جهاز الحكم والأدارة وعدم تدخل الدولة فى شئون المجتمع والأفراد لعدة قرون واستغل الساخطون من اصحاب العصبيات فى الريف وشيوخ القرى واعيان المدن وابناء العائلات المتنفذة تذمر الأهالى من بعض الاجراءات المصرية فحرضوهم على الثورة ونقم الأهالى على الحكم المصرى للأسباب التالية:

- **نظام التجنيد العام الاجبارى للذكور**

المسلمين وفرضه على السكان بالقوة على الرغم من مقاومتهم له بالثورة المسلحة(٢٥).

- تجريد الأهالى من السلاح ودون تمييز بين الاعيان والاشراف وغيرهم(٢٦) فى مجتمع كان يرى فى سلاحه الوسيلة لأمن أفراده واستغل اصحاب العصبيات تذمر الاهالى فحرضوا على الثورة المسلحة فى عام ١٨٣٤ وتمكن ابراهيم باشا من اخمادها بصعوبة بالغة(٢٧).
- ضريبة الفردة وهى ضريبة شخصية فرضها محمد علىّ على الذكور ابتداء من سن ١٢ عاما وتراوحت قيمتها من ١٥-٥٠٠ قرش حسب ثراء المكلف(٢٨).
- احتكار تجارة الحرير وارغام الفلاح فى بلاد الشام على زراعة محاصيل معينة(٢٩).

هذا وبعد انسحاب محمد على من بلاد الشام ١٨٤٠ عادت الولايات السورية الى حوزة الدولة العثمانية وقد عرفت من معانى الطاعة والنظام ما لم تكن تعرفه قبل خضوعها للادارة المصرية، وبذلك سهل محمد علىّ على الدولة العثمانية امر القضاء على اصحاب العصبيات بعد ان خضد شوكتهم واضعف سطوتهم، فعلى الرغم من قصر عهد الادارة المصرية فى بلاد الشام (١٨٣١-١٨٤٠) فقد كانت مثالا يحتذى وتجربة ناجحة فى الحكم المركزى(٣٠) مهدت السبيل امام الدولة العثمانية لتطبيق تنظيماتها التى انهت الحكم السطحى واعلنت المساواة بين الطوائف واهتمت بشئون التعليم والقضاء والمواصلات والصحة العامة ونظمت التجارة والزراعة والصناعة.

كذلك ازدادت الدولة العثمانية دقة وحزما فى تنفيذ قراراتها واخذت بنظام الحكم المركزى الذى رسخ فى بلاد الشام بعد اعلان نظام الولايات ١٨٦٤ وكفل للحكومة المركزية فى استانبول الهيمنة التامة

الحكم المصرى كان له تأثيره فى بلاد الشام فى مجالات التنظيم الادارى والحكم والزراعة والتربية.

والاشراف الكامل على مختلف الشؤون الادارية فى الولايات العثمانية. ويكفى القاء نظرة سريعة على العهد العثمانى الأول الذى سبق الحكم المصرى لبلاد الشام حيث امتاز جهاز الحكم فيه بالسطحية وتحرجه عن التدخل فى شئون المجتمع والطوائف وعلى العهد العثمانى الثانى الذى اعقب الانسحاب المصرى من بلاد الشام ١٨٤٠ وامتاز جهاز الحكم فيه بالتغلغل فى اوساط المجتمع والتعقيد فى التسلسل الوظيفى.

الحواشـــى:

(١) محمد شفيق غربال: منهاج مفصل لدروس العوامل التاريخية فى بناء الأمة العربية على ما هى عليه اليوم (القاهرة ١٩٦١) ص٩٤، ١٤٨ وانظر ايضا
Lewis, Bernard The Emergence of Modern Turkey. (London 1961) PP. 2527.

(٢) Maloz, Moshe. Ottoman Reform In Syria and Palestine. 1840-1861. (Oxford 1968) P.10, 17.

(٣) سليمان ابو عز الدين: ابراهيم باشا فى سوريا (بيروت ١٩٢٩) ص١٦٩-١٧٤.

(٤) Ma'oz Moshe. Op. Cit. P.12

(٥) اسد رستم: بيان بوثائق الشام وما يساعد على فهمها ويوضح مقاصد محمد على باشا (بيروت) مجلد٢ ص٨٦، ٩١، ١٤٤.

(٦) عبد العزيز محمد عوض: الادارة العثمانية فى ولاية سورية ١٨٦٤-١٩١٤ (القاهرة ١٩٦٩) ص٦٤.

(٧) سليمان ابو عز الدين : مرجع سبق ذكره ص١٣١-١٣٢ .
(٨) أسد رستم : مرجع سبق ذكره مجلد ٢ ص٣٤-٤٠
(٩) المرجع السابق مجلد ٤ ص١٥
(١٠) بولياك : الاقطاع في مصر وسوريا وفلسطين ولبنان ترجمة عاطف كرم (بيروت ١٩٤٨) ص٢٠١ .
(١١) كان محمد على باشا قد منح فلاحي مصر هذا الحق في عام ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م وكان غرضه ازاحة الملتزمين من طريقه فقد كانوا يشكلون حاجزا بينه وبين الفلاحين. انظر عبد الرحمن الجبرتي : تاريخ عجائب الاثار في التراجم والأخبار (بيروت ١٩٧٨) ج٣ ص٣٣٩، ويذكر الجبرتي في ٣-ص٤٥٥ . فيقول الحرفوش منهم اذا دعى للشغل باجرته روح انظر غيرى. انا مشغول في شغلى، انتم ايش بقالكم في البلاد قد انقضت ايامكم احنا صرنا فلاحين الباشا .
(١٢) أسد رستم : الأصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد على باشا (منشورات الجامعة الامريكية في بيروت) . مجلد ٢ ص٣٥-٣٦ . ويذكر الجبرتي في ج٣ ص٢١٩ في حوادث شهر شعبان ١٢٢٢هـ . . واول ما بدأ به محمد على باشا - انه أبطل مسموح المشايخ والفقهاء معا في البلاد التي التزموا بها لأنه لما ابتدع المغارم والشهريات والفرض التي فرضها على القرى ومظالم الكشوفية جعل ذلك عاما على جميع الالتزامات والحصص التي بأيدى جميع الناس حتى اكابر العسكر واصاغرهم .
(١٣) بلغ عدد القرى التي استصلحت في بلاد الشام حتى جمادى الأولى ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦م ٨٥ قرية اما مجموع الاراضى فبلغ ١٠٣٧ فدانا . انظر اسد رستم : بيان بوثائق الشام. مجلد ٣ ص١٤٨ .

(١٤) بدأ محمد على بتجربة الاحتكار في مصر اولا حيث يذكر الجبرتي في تاريخه ج٣ ص٥٢٣ في حوادث شهر ذى القعدة ١٢٣١هـ . استمر التحجير على الأرز ومزارعه على مثل هذا النسق - الكتان والقطن والنيلة - بحيث ان الزارعين له التعبانين فيه لا يمكنون من اخذ حبة منه فيؤخذ بأجمعه لطرف الباشا بما قدره من الثمن .
(١٥) على الحسنى : تاريخ سوريا الاقتصادى (دمشق ١٣٤٢هـ) ص١٦٢-١٦٤ وانظر عبد الرحمن الجبرتي ج٣ ص٣٩٣ حيث يصف اسلوب محمد على باشا في تحصيل الضرائب في مصر بالعبارة التالية التي وردت في حوادث شهر المحرم ١٢٢٨هـ . فلما استقل هذا الباشا - محمد على - بمملكة الديار المصرية واستغول في تحصيل الأموال بأى وجه واستحدث اقلام المكوس وجعلها في دفاتر تحت ايدى الافندية وكتبة الروزنامة فصارت من جملة الأموال الميرية في قبضها وصرفها وتحاويلها» . اما ولده ابراهيم باشا فقد استعمل القسوة في تحصيل الضرائب من فلاحى مصر فيذكر الجبرتي في ج٣ ص٦١١ حوادث شهر شعبان ١٢٣٥هـ . فكان - ابراهيم باشا - يطلب مجموع ما على القرية من المال والبواقى في ظرف ثلاثة ايام . ففزعت الفلاحون ومشايخ البلاد وتركوا غلاتهم في الاجران وطفشوا في االنواحى بنسائهم واولاهم وكان يحبس من يجده من النساء ويضربهن .
(١٦) اسد رستم : الاصول العربية لتاريخ سورية مجلد ٢ ص٣٠
(١٧) في بعض الاحيان كانت الادارة المصرية تلجأ الى تأجيل التجنيد خوفا من عرقلة الأعمال الزراعية، انظر، اسد رستم : بيان بوثائق الشام، مجلد ٢ ص٣٠٢ .
(١٨) Antonius, George. The Arab Awakening (London 1955). P.37.
(١٩) بدأ محمد على باشا بتدريب ابناء مصر على الصناعة في عام ١٢٣٣هـ . حيث يذكر الجبرتي في تاريخه ج٣ ص٥٨٤ حوادث شهر ذى الحجة ١٢٣٣هـ ما يلى . . وفى اواخر هذا العام جمعوا مشايخ الحارات والزموهم بجمع اربعة آلاف غلام من اولاد البلد ليشتغلوا تحت ايدى الصناع ويتعلموا ويأخذوا اجرة يومية ويرجعوا لاهاليهم اواخر المشوار .
(٢٠) نصت المادة الخامسة من النظام الاساسى لمتصرفية جبل لبنان ١٨٦٤ على ما يلى «قد تقرر امر المساواة بين الجميع في شمول احكام القانون وفسخ والغاء كل الامتيازات العائلية لاعيان لبنان خصوصا اصحاب المقاطعات انظر سالنامة جبل لبنان دفعة ٤ ص٢٨ .
(٢١) Ma'oz Moshe. Op Cit. p.16
(٢٢) صدر امر السلطان العثماني في شهر صفر ١٢٤٧هـ بالتأكيد على عدم اخذ شيء على سبيل الهدية من الطوائف غير الاسلامية انظر اسد رستم : الاصول العربية لتاريخ سورية مجلد ١ ص٥٣-٤٤
(٢٣) اسد رستم : الاصول العربية لتاريخ سورية، مجلد ١ ص١٣١ مجلد ٢ ص٤ .
(٢٤) ارشيف استانبول : داخلية وثيقة رقم ٢٥٨٠ تاريخ ٢٧ جمادى الآخرة ١٢٥٧هـ . وانظر ايضا مجموعة التنظيمات العثمانية المنشورة

باسم «الدستور» ترجمة نوفل نعمة الله نوفل (بيروت ١٣٠١هـ) مجلد ١ ص٢-٤ .
(٢٥) اسد رستم : الاصول العربية لتاريخ سورية، مجلد ٢ ص١١٥-١٢٦ .
(٢٦) بولياك : مرجع سبق ذكره ص٢٠١
(٢٧) Rustum, Asad, Newlight On The Peasents Revolt In Palestine: April-september 1834, The Royal Archives of Egypt And The Disturbances In Palestine 1834. (Beirut 1938). P.37.
(٢٨) Ma'oz, Moshe. Op. Cit.P.16.
(٢٩) بدأ محمد على باشا بتجربة الاحتكار وارغام الفلاحين على زراعة محاصيل معينة في مصر أولا . انظر ج٣ ص٥٢٣ من تاريخ الجبرتي (عجائب الآثار) .
(٣٠) كان لعبد الرحمن الجبرتي رأى في حكم محمد على باشا في مصر عبر عنه بقوله «وكان له مندوحة لم تكن لغيره من ملوك هذه الأزمان فلو وفقه الله لشيء من العدالة على ما فيه من العزم والرياسة والشهامة والتدبير والمطاولة لكان اعجوبة زمانه وفريد أوانه» انظر ج٣ ص٥٢٨ من تاريخ الجبرتي (عجائب الآثار) .

صلح البقط أو صلح النوبة في صورة الأولى

دكتور
محمد بركات البيلي
مصر

ما أن فتح العرب المسلمون مصر حتى تطلعوا الى النوبة يبغون فتحها، ففضلا عن الدوافع العامة لحركة الفتوح الاسلامية وفى مقدمتها الجهاد فى سبيل نشر الدعوة الاسلامية وتبليغها للعالمين كان فتح النوبة ضرورة أمنية لتأمين الحدود الجنوبية لمصر الاسلامية من إغارات النوبة المسيحية(١) وكان عمرو بن العاص - فاتح مصر - يعتبر فتح النوبة استكمالا لفتح مصر. يدل على ذلك اقدامه على فتح تلك النواحى دون الرجوع الى الخليفة(٢) فضلا عما رواه الطبرى عن ذكر النوبة فى عهد الأمان الذى أعطاه عمرو بن العاص لأهل مصر بعد فتحها ودعا فيه أهل النوبة للدخول فى الصلح ليسرى عليهم وليكن لهم ما لأهل مصر وعليهم(٣).

● ويبدو أن هذه الدعوة لم تلق من النوبه آذانا صاغية فوجه اليهم عمرو بن العاص عدة سرايا(٤) فلقى المسلمون منهم مقاومة شديدة وأطلق المسلمون على النوبه اسم رماة الحدق لمهارتهم فى رمى السهام التى كانوا يصيبون بها حدق المسلمين(٥) ثم عقد المسلمون صلحا مع أهل النوبة يكاد المؤرخون أن يجمعوا على أن عبد الله بن سعد بن أبى سرح هو الذى عقده مع النوبة إبان توليه على مصر من قبل الخليفة عثمان بن عفان غير أن المقريزى يذكر أن هذا الصلح تقرر أول ما تقرر فى ولاية عمرو بن العاص على مصر ثم نقض النوبة الصلح وأغاروا على صعيد مصر فغزاهم عبد الله بن سعد بعد توليه وحاصر عاصمتهم دنقلة حتى اضطروا الى طلب الصلح مرة أخرى فجدده لهم عبد الله بن سعد فى سنة احدى وثلاثين بعد الهجرة(٦).

● يعد صلح النوبة ظاهرة فريدة بين عهود الصلح التى عقدها المسلمون لأهالى البلدان التى فتحوها على مدار الفتوح الاسلامية اذ انفرد هذا الصلح

بتسمية لا نجد لها مثيلا من قبل ولا من بعد هى تسميته بالبقط التى وان كانت فى حقيقة أمرها تسمية للجزية التى قيل انها تقررت بموجب هذا الصلح الا أنها ـ لتفردها ـ صارت بعد ذلك علماً على الصلح نفسه فأصبح يتسمى بها وقيل له صلح البقط أو معاهدة البقط ومثل هذه التسمية الفريدة تستحق التفسير وقد قيلت فى تفسيرها أقوال كثيرة فالمقريزى وهو اوفى من كتب عن البقط ـ لا يؤكد أن الكلمة عربية الأصل وانما يقول ان كانت هذه الكلمة عربية فهى اما من قولهم فى الأرض بقط من بقل وعشب أى نبذ من مرعى فيكون معناه نبذة من المال ويمضى المقريزى على هذا المنوال لنفهم فى النهاية مما كتبه أن البقط ـ فى رأيه بعض ما فى أيدى النوبة(٧) ويرى بعض الباحثين أن البقط لفظ مشتق من أحد أصلين أولهما يونانى ـ لاتينى هو (Pactum) ومعناه الاتفاق أو الموادعة . . وثانيهما مصرى قديم هو باق ومعناه الضريبة التى تفرض عينا(٨) ويظن بيكر (Becher) فى الفقرة الموجزة التى كتبها عن البقط فى دائرة المعارف الاسلامية أن كلمة البقط ربما كانت كلمة مصرية قديمة معناها عبد ثم ظهرت الكلمة فى المصنفات العربية اصطلاحا على الجزية التى كانت النوبة المسيحية تدفعها للمسلمين(٩).

ولكننا نستطيع أن نجد للكلمة تفسيرا آخر، ففى لسان العرب يذكر أن البقط عكس القبط والمعاكسة المقصودة لا تقتصر على مجرد رسم الحروف أو ترتيبها ولكنها تتعداها الى المعنى ولما كان من معانى القبط البياض ومنه الثياب القبطية التى هى رقيقة البياض(١٠)، فان المعنى المضاد هو السواد بمعنى أن كلمة البقط تعنى السواد وربما يتصل هذا على نحو أو آخر بتفسير بيكر الذى يرى احتمال أن تكون كلمة البقط مشتقة من أصل مصرى قديم هو باق بمعنى عبد، ويمكننا أن نستخلص من هذا كله أن كلمة البقط ربما كانت تعنى أهل النوبة أنفسهم فيكون صلح البقط بمعنى صلح النوبة(١١).

● وانفرد صلح البقط أيضا بأنه قرر نوعا من الجزية لم يقرره الاسلام ولم يأخذ به المسلمون فى فتوحهم الأخرى وهو الأمر الذى يطرح علينا أكثر من علامة استفهام لاتصاله بقضية هامة هى موقف الاسلام من الرق.

فى اعتقادنا أن الاسلام كان يعمل على تصفية الرقيق وحتى اذا سايرنا هؤلاء الذين يدعون أن الاسلام لم يحرم الرق فلا يستطيع أحد أن يدعى أن الاسلام قد شجع عليه. . ففضلا عن الأحاديث النبوية التى تظهر اهتمام الرسول ﴿ﷺ﴾ بتحسين أوضاع الرقيق وعدم الاساءة اليهم حتى انه ﴿ﷺ﴾ حرص على أن يوصى بهم وهو فى النزع الأخير توصية مقرونة بالصلاة التى هى عماد الدين مما يدل على أهمية الوصية التى حرص ﴿ﷺ﴾ على أن تكون آخر وصاياه وفضلا عن هذا فليس هناك شك فى أن الاسلام كان يسير نحو تصفية الرق بطريقة منظمة لا تحدث تصدعاً فى المجتمع الذى لم يكن الاسلام يهدف الى هدمه بقدر ما كان يهدف الى اصلاحه ومن ثم فقد ضيق الاسلام مصادر الرق وقصرها على مصدر واحد هو الحرب الشرعية ولم يبح الا استرقاق الكفار من غير العرب وفرض على كفار العرب أن يختاروا بين الاسلام أو القتل بينما توسع فى دائرة أهل الذمة فأضاف الى أهل الكتاب جماعات المجوس والصابئة وكان يخيرهم بين الاسلام أو الجزية وتوسع الاسلام أيضا فى منافذ تحريم الرقيق فجعل كثيراً من كفارات الذنوب تحرير الرقاب كالقتل الخطأ وحنث اليمين ومعاودة الزوجات بعد مظاهرتهن وشرع الاسلام أن ينفق جزء من الصدقات لتحرير الرقاب وغير ذلك من السبل التى اتخذها الاسلام لتصحيح الأوضاع الاجتماعية وليرد للرقيق حرياتهم.

ولم يحدث طيلة الفتوح الاسلامية أن نص عهد

من عهود الصلح على الجمع بين الجزية والاسترقاق إلا فى صلح النوبة وكان الغالب على الفتوح الاسلامية هو تقرير الجزية حتى على أهالى البلاد المفتوحة عنوة ولنا فى فتوح الشام ومصر ما يدل دلالة قاطعة على أن المسلمين فى فتوحهم الأولى لم يجمعوا بين الجزية والاسترقاق بل انهم كثيرا ما عاملوا البلاد المفتوحة عنوة معاملة البلاد المفتوحة صلحا فلم يسترقوا أهلها حتى ان الخليفة عمر بن الخطاب أعاد الى مصر السبى من أهل القرى المصرية بلهيت والخيس وسلطيس بعد أن كانوا قد وصلوا الى المدينة وصيرهم وجماعة القبط أهل ذمة(١٢).

إلا أن المصادر تطالعنا - بل تفاجئنا - فى فتوح النوبة وافريقية بروايات عن الجزية لم نعهد لها مثيلا فى غيرها من الفتوح الاسلامية.

يتفق البلاذرى وابن عبد الحكم ولكل منهما اسناده - فى أن عمرو بن العاص صالح أهل برقة على جزية مقدارها ثلاثة عشر ألف دينار يبيعون فيها من أبنائهم من أحبوا بيعه(١٣).

أما فى صلح النوبة فتوجد عدة روايات وأوفى ما ورد الينا عن نص هذا الصلح ما ذكره المقريزى اذ يقول بعد البسملة «عهد من الأمير عبد الله بن سعد بن أبى سرح لعظيم النوبة ولجميع أهل مملكته، عهد عقده على الكبير والصغير من النوبة من حد أرض أسوان الى حد أرض علوه - أن عبد الله بن سعد جعل لهم أمانا وهدنة جارية بينهم وبين المسلمين مما جاورهم من أهل صعيد مصر وغيرهم من المسلمين وأهل الذمة أنكم معاشر النوبة آمنون بأمان الله وأمان رسوله محمد النبى ﴿ﷺ﴾ أن لا نحاربكم ولا ننصب لكم حربا ولا نغزوكم ما أقمتم على الشرائط التى بيننا وبينكم على أن تدخلوا بلدنا مجتازين غير مقيمين فيه وندخل بلدكم مجتازين غير مقيمين فيه وعليكم حفظ بلدكم أو من يطرقه من مسلم أو معاهد حتى يخرج عنكم وأن عليكم رد كل آبق خرج اليكم من عبيد المسلمين حتى تردوه الى أرض الاسلام ولا تستولوا عليه ولا تمنعوا منه ولا تتعرضوا لمسلم قصده وحاوره الى أن ينصرف عنكم وعليكم حفظ المسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم ولا تمنعوا منه مصليا وعليكم كنسه واسراجه وتكرمته وعليكم فى كل سنة ثلثمائة وستون رأسا تدفعونها الى امام المسلمين من أوسط رقيق بلادكم غير المعيب يكون فيها ذكران وأناث ليس فيها شيخ هرم ولا عجوز ولا طفل لم يبلغ الحلم تدفعون ذلك الى والى أسوان وليس على مسلم دفع عدو عرض لكم ولا منعه عنكم من حد أرض علوه الى أرض أسوان فان أنتم أويتم عبد المسلمين أو قتلتم مسلما أو معاهدا أو تعرضتم للمسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم برئت منكم هذه الهدنة والامان وعدنا نحن وأنتم على سواء حتى يحكم الله بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين علينا بذلك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله محمد ﴿ﷺ﴾ ولنا عليكم بذلك أعظم ما تدينون به من ذمة المسيح وذمة الحواريين وذمة من تعظمونه من أهل دينكم وملتكم.. الله الشاهد بيننا وبينكم على ذلك.. كتبه عمرو بن شرحبيل فى رمضان سنة احدى وثلاثين»(١٤).

هذا ما أورده المقريزى ولنا عليه بعض التحفظات:

أولا ما أورده المقريزى على لسان ابن أبى سرح لا يُعَدّ فى نظر القانون الدولى الا تصريحاً من جانب واحد تقرر بموجبه الدولة التى أصدرته التزامها لموقف معين(١٥) وهو على هذا النحو أشبه ما يكون بتصريح الثامن والعشرين من فبراير المشهور الذى أملته

بريطانيا على مصر سنة ١٩٢٢م ابان الاحتلال ومن ثم فلا ينبغي أن يطلق على البقط اسم معاهدة ويبدو أن كثيرا من المؤرخين كانوا على وعى بهذا فأطلقوا على البقط صلح النوبة.

ثانيا: مع كامل تقديرنا واحترامنا للمقريزى فإنه يغلب على ظننا أن نص المقريزى صورة لما انتهى اليه أمر البقط فى عصره وليس لما تقرر عليه البقط أول ما تقرر فى ولاية عبد الله بن سعد بن أبى سرح فصلح النوبة كان حين اقراره هدنة بين المسلمين والنوبة يذكر البلاذرى فى ذلك رواية عن يزيد بن أبى حبيب «انما هى هدنة» ويردف برواية أخرى عن الليث بن سعد «انما الصلح بيننا وبين النوبة على أن لا نقاتلهم ولا يقاتلونا»(١٦).. ويبدو أن ظروف مصر الاسلامية حينذاك كانت تستدعى ضرورة عقد الهدنة والعودة الى مصر فى سرعة حتى لا تسوء الأحوال فيها خصوصا بعد أن لاحت فى الأفق نذر المعارضة التى بدأ بعض المناهضين فى اثارتها ضد الخليفة عثمان بن عفان.

ثالثا: ان صح أن الصلح كان مجرد هدنة فلا يعقل أن يفرض ابن أبى السرح جزية على أهل النوبة ولكنه اتفق معهم على صورة من صور التبادل يروى البلاذرى عن يزيد بن أبى حبيب فى الرواية التى ذكرنا طرفا منها «انما هى هدنة على أن نعطيهم شيئا من قمح وعدس ويعطونا رقيقا فلا بأس بشراء رقيقهم منهم أو من غيرهم ورواية الليث بن سعد التى أشرنا اليها أيضا تؤكد هى الأخرى ذلك أى أن كلتا الروايتين تثبتان أنه تم الاتفاق على نوع من التبادل لكنهما جعلا ما يدفعه النوبة ثمنا للقمح والعدس هو الرقيق وهذا يجعلنا نطرح عدة تساؤلات:

(١) هل كان يصح ذلك من الوجهة الشرعية؟ أغلب الظن أنه لم يكن يصح ذلك فى ضوء ما ذكرناه عن كيفية الاسترقاق فى الاسلام ولقد ذكر المقريزى أن الامام مالك بن أنس - إمام دار الهجرة - كان يرى أن «أرض النوبة الى حد علوة صلح وكان لا يجيز شراء رقيقهم»(١٧). لكن فقهاء مصر كيزيد بن أبى حبيب والليث بن سعد وعبد الله بن وهب وعبد الله بن عبد الحكم يرون خلاف ذلك ويرى الليث بن سعد موقفهم هذا كما يقول المقريزى - بقوله: «نحن أعرف بأرض النوبة من الامام مالك بن أنس انما صولحوا على الا نغزوهم ولا نمنع منهم عدوا فما استرقه تملكهم أو غزا بعضهم بعضا فشراؤه جائز وما استرقه بغاة المسلمين وسراقهم فغير جائز»(١٨) ومع أن المقريزى قد سبقنا الى نقد رأى هؤلاء الفقهاء مبينا تأثرهم فيه بمصالحهم الخاصة اذ كان عند جماعة منهم جوار نوبيات لفرشهم الا أننا لا نجد فى قول الليث ما يبين أن البقط فرض كجزية جوار نوبيات لِفُرشِهم.

(٢) ما الذى يدعو المسلمين آنذاك ليقرروا على النوبة جزية مقدارها ثلاثمائة وستين رأسا من الرقيق وهل كانت الدولة الاسلامية فى سنة ٣١هـ فى حاجة الى الرقيق؟.. لندع جانبا ماروى عن أن عمرو بن العاص قرر على بربر لِواته حين فتح برقة جزية ثلاثة عشر ألف دينار يبيعون فيها من أحبوا بيعه من أبنائهم ولن نناقش معقولية أن يبيع الناس أبناءهم ولكننا ببعض العمليات الحسابية البسيطة سنجد الأمر مثيرا للاستهزاء فقد كان ثمن الجارية الواحدة من جوارى البربر يتراوح على ما ذكره ابن عبد الحكم بين ستمائة دينار وألف دينار(١٩).

ومعنى هذا أن الالاف الثلاثة عشر التى قررها عمرو بن العاص على لواته لم تكن تكفى الا لشراء نحو عشرين جارية بربرية إن باع البربر بناتهم فى الجزية ولا أعتقد أن عمرو بن العاص كان على هذه الدرجة

من السخف حتى أنه يخوض حربا من أجل الحصول على ما يساوى عشرين جارية.

ولندع جانبا أيضا ما روى عن أن عقبة بن نافع فرض على كل من أهل ودان وأهل فزان وأهل قصور كور جزية ثلاثمائة وستين عبدا على كل منهم(٢٠) فهذا الرقم يعطى مقابلا من الدنانير على كل قرية من القرى الثلاث أكثر من مائة ألف دينار على اعتبار أن الجارية كانت تقوم تقريبا بضعف ثمن العبد فكيف لقرية صغيرة أن تعطى مثل هذه الجزية الثقيلة.. ويستوقفنا رقم الثلاثمائة والستون هذا اذ يطالعنا كثير حتى فى صلح النوبة ومع أن المسعودى فى مروجه قد أضاف الى هذا الرقم خمسة أعداد وجعل مقدار البقط ثلاثمائة وخمسة وستين رأسا ليفسره لنا تفسيرا ظريفا، اذ يقول ان هذا الرقم بعدد أيام السنة(٢١) ورغم ظرف المسعودى يتبقى رقم الثلاثمائة والستون الذى يطالعنا كثيرا فى حاجة الى تفسير ولابد أنه نتج عن الخلط فى الروايات خصوصا وأنها تكاد تخرج عن مصدر واحد هو الليث بن سعد.

ومع ذلك فلندع هذا كله جانبا ولنعد الى بدء السؤال هل كانت الدولة الاسلامية عند نهاية العقد الثالث الهجرى فى حاجة الى مثل هذا الرقيق؟.. نحن لا ننكر أن الفتوح الاسلامية نتج عنها كثير من الرق لكن هذا الرق كان عن طريق الحرب الشرعية ولم يكن العرب حين تقرير صلح النوبة فى حاجة الى الاستزادة فى الرقيق عن طريق الجزية فلم يكن الرقيق قد استخدموا فى الجيوش الاسلامية ولم يكن مسموحا للعرب بعد أن يعملوا بالزراعة فيستزيدوا من الرقيق ليعمل لهم فيها ولم يحدث ذلك الا بعد فترة طويلة فى القرن الرابع الهجرى ولم يكن الرقيق اناثا للفرش والتوليد وانما يصف المقريزى هذا الرقيق المطلوب من النوبة بما نصه: «من أوسط رقيق بلادكم غير المعيب يكون فيها ذكرانا واناثا ليس فيها شيخ هرم ولا عجوز ولا طفل لم يبلغ الحلم» وهى أوصاف تكاد تذكرنا بأسواق النخاسة وما يحدث فيها من شرى الرقيق وتقليب العبيد ان جاز لنا أن نستعير فى هذا الموضع عنوان رسالة ابن بطلان الشهيرة(٢٢).

رابعاً: على الرغم من كل ما ذكرناه فلا نستطيع أن نتجاهل ما ورد فى النصوص عن أنه تم الاتفاق بين المسلمين والنوبة على مبادلة القمح بعدد من الرؤوس ولكننا نطرح تساؤلا أخيرا لماذا لا تكون هذه الرؤوس لشىء آخر غير الرقيق لقد روى ابن عبد الحكم أن عبيد الله بن الحبحاب صالح البجة بصلح أشبه ما يكون بصلح النوبة مع اختلاف واحد لكنه اختلاف خطير: هو أن عبيد الله بن الحبحاب شرط عليهم ثلاثمائة بكر(٢٣) أى ثلاثمائة رأس من الابل والبجة أشبه الناس بالنوبة بل كان عبد الله بن سعد بن أبى سرح يرى أنهم أقل شأنا من النوبة فعاد الى مصر دون أن يقاتلهم(٢٤) ومع ذلك فقد صالحهم عبيد الله بن الحبحاب على رؤس من الابل فلماذا لا يكون صلح النوبة قد تقرر على ثلاثمائة وستين رأسا من الابل أيضا ثم استبدلت النصوص بعد ذلك الابل بالرقيق اما عمدا أو عن غير عمد.

خامساً: وحتى اذا سلمنا بصحة ما ورد فى النصوص وأنه تم الاتفاق على مبادلة الطعام بالرقيق فأغلب الظن أن هذا لم يكن فرضا فرضه المسلمون على أهل النوبة وانما كان فيما نعتقد مطلبا طلبه النوب أنفسهم من المسلمين لأن النوبة كانت تعتمد أساسا على قمح مصر وحبوبها ولعلهم لم يجدوا سلعة يدفعون بها ثمن القمح الا الرقيق الذى كانوا يستخدمونه كسلعة اقتصادية خصوصا وأنهم كانوا يحصلون عليه فى حروبهم مع جيرانهم لكن ذلك لم يتيسر لهم دائما خصوصا بعد أن ضعفت قواهم فى فترة لاحقة فلم يمكنهم الحصول على ما يكفى من الرقيق لسداد ثمن القمح الذى يطلبونه فى الوقت الذى تمسك فيه المسلمون باستيفاء بند الرقيق بعد ازدياد الطلب عليه



فى الدولة الاسلامية وبعد خمول الفتوح الاسلامية فجأر النوبة بالشكوى ودفعوا بعدم صحة هذا البند أو على الأقل خطأ تفسيره ويبدو أن هذا الأمر أثار جدلا بين فقهاء المسلمين واختلفوا فيه كالخلاف بين فقهاء مصر ومالك بن أنس الذى أشرنا اليه ويبدو أن الحكام أعادوا بحث الموضوع وعقدوا له المجالس الفقهية كذلك المجلس الذى عقده عبد الله بن طاهر سنة ٢١١هـ(٢٥) ويبدو أن الأمر لم يحسم ولم يتفق على رأى فيه خصوصا وأن السجلات الخاصة بصورة الصلح لم تكن فى حالة جيدة(٢٦) ومن ثم لجأ المعتصم فى خلافته الى ما يمكن أن نسميه بالحل الوسط فبعد أن وازن بين ما يدفعه المسلمون للنوبة وما يؤديه النوبة من بقط ووجد أن ما يدفعه المسلمون للنوبة أكثر فى قيمته من قيمة البقط، وقرر تخفيفا عن أهل النوبة أن يدفعوا البقط مرة كل ثلاث سنوات(٢٧).

وختاما: فلا يزال الموضوع فى حاجة الى مزيد من البحث اذ أنه لازال كما قال عنه بيكر **«تعوزنا عنه المعلومات الوثيقة»**.

الهوامش

(١) ذكر الواقدى أن البيزنطيين طلبوا معونة ملك النوبة وملك البجة ضد الفاتحين المسلمين - الا أن الظروف الداخلية لهما حالت دون تقديمها المعونة للبيزنطيين (الواقدى.. كتاب فتوح مصر والاسكندرية.. النص الوارد ضمن المكتبة السودانية العربية ص١-٦).

(٢) لم يذكر أحد من المؤرخين أن عمرو بن العاص استأذن الخليفة عمر بن الخطاب فى فتح النوبة الا المسعودى الذى ذكر أن عمر بن الخطاب كتب الى عمرو ابن العاص بمحاربة النوبة.

(٣) الطبرى: تاريخه - ج٤ ص١٠٩

(٤) عن شيخ من حمير قال: شهدت النوبة مرتين فى ولاية عمر بن الخطاب (البلاذرى: فتح البلدان: ج١ ص٢٨٠

(٥) أنظر فى ذلك البلاذرى: (فتح البلدان) والطبرى: (تاريخه) وابن الأثير: (الكامل).. النصوص التى جمعها مصطفى مسعد فى كتابه المكتبة السودانية العربية.

(٦) المقريزى: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: ج١ ص١٩٩.

(٧) المقريزى: المصدر السابق: ج١ ص١٩٩

(٨) مصطفى مسعد: الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى: ص١١٢ نقلا عن (Trimingham, G.S. :Islam in the Sudan, P. 62 Note) 3

(٩) Becker, Ency. of Islam, 11, Artbakt.

(١٠) لسان العرب: مادة بقط ومادة قبط.

(١١) وضع كل من البلاذرى والطبرى صلح البقط تحت عنوان صلح النوبة.

(١٢، ١٣) البلاذرى: فتوح البلدان: ج١ ص٢٥٣، ص٢٦٥.

(١٤) المقريزى: المصدر السابق: ج١ ص٢٠٠.

(١٥) عن التصريح والمعاهدة فى القانون الدولى: أنظر محمد حافظ غانم «مبادىء القانون الدولى العام» ص٥٥٧-٥٥٨.

(١٦) البلاذرى: فتوح البلدان ج١ ص٢٨١.

(١٧، ١٨) الخطط: ج١ ص٢٠١.

(١٩) ابن عبد الحكم فتوح افريقية والأندلس: ص٢٩.

(٢٠) نفس المصدر: ص٥١-٥٢

(٢١) مروج الذهب ومعادن الجوهر: ج٢ ص٢١.

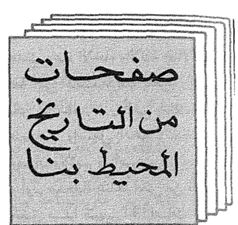
(٢٢) لابن بطلان الطبيب رسالة مشهورة عنوانها: رسالة فى شرى الرقيق وتقليب العبيد، جمعها عبد السلام هارون فى المجموعة الرابعة من نوادر المخطوطات.

(٢٣، ٢٤) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها ص١٨٩.

(٢٥) المقريزى: المصدر السابق ج١ ص٢٠٠.

(٢٦) يروى ابن عبد الحكم عن بعض المشايخ المتقدمين الذى ذكر أنه نظر فى بعض الدواوين بالفسطاط وقرأه قبل أن يحرق (فتوح مصر: ص١٨٩).

(٢٧) المقريزى: المصدر السابق ج١ ص٢٠١.





المعالجة الاجتماعية في الخطة القرمطية

لقد عانت الفئات العربية فى العهد العباسى الكثير من المتاعب بسبب تسلط الأتراك بعد ان انحدرت الخلافة العباسية الى درك من الذل والهوان على أيدى هؤلاء المتسلطين تارة وعلى ايدى المتسلطين من الفرس تارة اخرى.. هذه الفئات التى وجدت فى ضعف الخلفاء واعتمادهم عليها فى تسيير شئون الدولة الحق فى تسيير كل شىء حسب رغباتهم واهوائهم.. وقد وصلت الخلافة الى ذلك المهوى السحيق منذ مقتل المتوكل سنة ٢٤٧هـ.

ولقد انعكس هذا التسلط على طبقات المجتمع الاسلامى التى عانت الكثير من الظلم والارهاب والتعسف الى درجة ان هؤلاء المتسلطين كانوا يطأون الصبية والشيوخ تحت سنابك الخيل فى الطرقات دون رحمة او شفقة تماما كما فعل المستعمرون الانجليز والفرنسيون فى البلاد العربية التى رزحت تحت نيرهم.

وامتدادا لذلك فقد تدنت الحالة الاقتصادية.. وتدنى مستوى المعيشة اذ انصرف الفلاحون والصناع عن مزاولة مهنهم الى المحافظة على انفسهم واولادهم مفضلين الموت جوعا على الموت تحت سنابك الخيل أو لسع السياط.. وكنتيجة حتمية لهذه الأوضاع غير الآمنة والفقر فقد ازداد طلب الجند للأموال كما ازداد السلب والنهب وسفك الدماء فى سبيل المادة.

ولقد أدت هذه الأوضاع السيئة الى الكثير من الفتن والخروج على طاعة السلطان فى اكثر النواحى.. فانشغلت الدولة بقمع الفتن والثورات مما زاد الأوضاع سوءا.. وهنا وجد ابو سعيد الجنابى ـ الذى كان واحدا من اكبر دعاة الاسماعيلية ان يتغلغل الى الشعب خاصة تلك الفئات المطحونة التى كانت

تعانى من الظلم والفقر والاستعباد من العبيد والفلاحين والعمال والقبائل البدوية الضعيفة مبشرا

بمجتمع يسوده العدل والرخاء متخذا من المبادىء الاسماعيلية دستورا ينشره على الناس حتى يتحقق له ما يريد . . وكانت اهم مواد ذلك التنظيم الذى عرف بنظام الألفة والاخاء:

١ ـ صهر كافة الجماعات من عمال وحرفيين وفلاحين وتجار فى بوتقة واحدة.
٢ ـ السيطرة الفعلية وبالتدريج على كافة الأراضى والملكيات الزراعية والصناعية والتجارية.
٣ ـ يدفع كل مستجيب اشتراكا شهريا قدره دينارا واحدا بالاضافة الى اموال الزكاة.
٤ ـ تجمع هذه الاموال فى الخزنة العامة وتنفق على المشاريع الاجتماعية والعلمية والصناعية.
٥ ـ نشر العلم والمعرفة بين الجميع.
٦ ـ تنمية الاخاء والمحبة بين الجميع ليصبحوا كعائلة واحدة.
٧ ـ تضحية الفرد فى سبيل اصلاح اخوانه وتقويم اعوجاجهم وتقديم المساعدة لهم.
٨ ـ نشر العدل والمساواة والمحبة والاخاء والطاعة المطلقة لأولى الأمر.
٩ ـ اعطاء المرأة كافة الحقوق ومساواتها بالرجل.
١٠ ـ العمل بسرية تامة(١)

ولقد حاول أبو سعيد الجنابى تطبيق هذه المبادىء بكاملها فى البداية الا انه اخذ يلغى ماليس فى حاجة اليه بعد ان قرر الاستقلال وتكوين دولة وراثية له ولبيته . . مستثمرا كل بند من نظام الاخاء.

وتعالوا نرى كيف طبقت تلك المبادىء؟

فبالنسبة للبند الأول وهو صهر الجماعات فى بوتقه واحدة فان التاريخ يحدثنا انه ـ اى (ابو سعيد) ـ قد انشأ دارا للهجرة اطلق عليها اسم (المأمونية) فى الاحساء . . واخذ يجمع فيها الأموال والسلاح . . حتى ان المرأة اذا باعت غزلها جاءت به اليه لتعطيه الامام.

ولقد وجدت دعوة الاخاء والالفة اقبالا من القبائل المستضعفة التى كانت عرضة للغزو والنهب . . الا انه لم يكن لها مناصر . . فألغى بذلك مبدأ القبيلة داخل مجتمعه . . واستغل الدعوة لآل البيت لاحتواء الشيعة وضمان ولائهم ومناصرتهم . . ومع ذلك فقد كانوا هم أول ضحاياه عندما تمكن من البلاد.

ولتحقيق مبدأ صهر الجماعات فانه عندما استجابت له بعض القبائل رد اليها ما أخذه منها من اهل وولد . . ولم يرد عبدا ولا أمة ولا أيما ولا صبيا دون الرابعة(٢) . . وقد كان يجمع الصبيان من سن الرابعة فى دور وأقام لهم ما يحتاجون اليه ـ ووسمهم لئلا يختلطون بغيرهم . . ونصب لهم عرفاء واخذ يعلمهم ركوب الخيل والطعان.

فنشأوا نشأة حربية وتسربت دعوة ابى سعيد فى عقولهم وسيطرت على حراسهم . . ومن اجل ذلك ايضا قبض على كل الأموال من الذهب والفضة والثمار والماشية . . ووكل بالماشية رعاة لحفظها والتنقل معها وأجرى لاصحابه جرايات تكفى مؤونة الطعام والمعيشة دون زيادة(٣) واستورد الرقيق لفلاحة البساتين . . وقد قدر ناصر خسرو عدد الرقيق العاملين بالفلاحة بثلاثين الف عبد . . ثم قال: اذا افتقر الانسان او استدان يتعهدونه حتى يتيسر حاله . . واذا كان لأحدهم دَيْناً على آخر لا يطالبه بأكثر من رأسماله . . وكل غريب ينزل فى هذه المدينة وله صناعة يعطى ما يكفيه من المال حتى يشترى ما يلزم صناعته من عُدد وآلات.

الى ان قال: وفى الحساء مطاحن مملوكة للسلطان تطحن الحبوب للرعية مجانا(٤).

ومع ان ناصر خسرو قد زار الاحساء فى نهاية القرن الرابع فانه لم يعط ما شاهده ذلك الوصف الكامل الذى يثرى المعلومات . . مما يجعل معلوماته

محل شك لأنه تكلم بكلام قد يسمعه من زار تلك البلاد من العامة.

امـا ما كتبه المقريزى عن امتلاك البلاد والأراضى فهو يحقق البند الثانى من نظام الألفة المشار اليه.

أما ما جاء من اعطاء المرأة كافة حقوقها كما جاء فى البند التاسع فبالرغم من مرور قرنين من الزمن على دولة القرمطى فانه لم يبرز على الساحة اسماء نسائية اكثر من اسم ليلى بنت الجنابى التى تزوجها الحسين بن زكرويه ورقية بنت زكرويه التى تزوجها سعيد الجنابى(٥). ولولا انهما كانتا من الدعاة الى الاسماعيلية وزوجتين لقائدين من قواد القرامطة لما برزتا. ولعل المقصود بالمساواة واعطاء المرأة حقوقها هو استغلالها فى العمل والانتاج لاثراء خزانة الدولة. وتخفيف أعباء تربية الأبناء عن كاهلها لأن الدولة تتعهد كما جاء آنفا بتربية الأولاد حتى تتفرغ للانتاج. فهل هذه هى الشيوعية التى نادى بها فردك قبل ألفى عام؟.

ان هذه المبادىء الخطيرة التى حملها الدعاة الاسماعيليون ـ والتى دافع عنها الدكتور (مصطفى غالب) بحرارة بصفته اسماعيليا تذكرنا بما يحدث فى ظل الأنظمة الشيوعية حيث يذوب فيها الانسان وتضيع شخصيته ويصبح مجرد رقم فى سجلات الحزب او الدولة.

ولقد *دافع الدكتور مصطفى غالب بأن هذه الدعوة كانت دعوة مخلصة لتحطيم عبادة الفرد. ولا أدرى ان كان يعنى عبادة الفرد بالنسبة للسلطة الحاكمة. ام عبادة افراد معنيين لمركزهم الدينى أو لنسبهم. وفى كل الحالات لقد كان تقديس الامام المختفى فى سلمية واطاعة اوامره وتنفيذها. قد لا يصل الى درجة التقديس للفرد بقدر ما يصل اليها وزن زعيم الطائفة ـ فى القرن العشرين ـ بما يعادله من الألماس. من الأموال التى تقتطع من قوت الشعب لتسلم لذلك الفرد يتصرف فيها كيف يشاء.*

ومع شكى فى ان ناصر خسرو قد وطىء ارض الاحساء الا اننى مضطر لايراد فقرة تتعلق بالناحية التجارية والانتاج الزراعى والصناعى اذ قال:

والبيع والشراء. والعطاء والأخذ يتم هناك بواسطة رصاص فى زنبيل يزن ستة آلاف درهم فيدفع الثمن عددا من الزنابيل. وهذه العملة لا تسرى فى الخارج. وينسجون هناك قوطا جميلة ويصدرونها للبصرة وغيرها.

وقال فى موقف آخر:

«وفى الحساء تمر كثير حتى انهم يسمنون به المواشى. ويأتى وقت يباع فيه اكثر من الف من. والمن ـ مائتين واربعين كيلو جراما بدينار واحد(٦).

وهذه معلومات عامة يمكن لأى انسان ان يسأل المسافرين عنها. ثم ان تصدير القوط والتمور يصل الى آفاق كثيرة. ولمعرفة قيمة الصادارات فى الداخل يمكن مقارنة قيمتها فى الخارج بعد حسم الأرباح والمصاريف ـ وان كانت القوط قد اندثرت صناعتها فقد حلت محلها صناعة المنسوجات الصوفية التى كانت قائمة الى وقتن قريب. اما التمور فلا يزال انتاجها مستمرا وفى ازدياد اذ يبلغ انتاج الاحساء من التمور اكثر من عشرين الف طنا يصدر اكثرها للخارج.

والغريب ان موضوع تنمية الاخاء والمحبة قد تأصل لدى ابى سعيد وابنائه فعاملوا به اسراهم من كبار الشخصيات ليكسبوهم فى الدعاية أو ليضموهم الى نحلهم حيث انهم كانوا يعاملون الأسرى معاملة تختلف عما يُعاملون به لدى الغير منهم ـ اى الأسرى ـ مطلقوا الحرية يعيشون فى مساكن نظيفة. تتاح لهم فرصة الالتقاء برئيس الدولة فى اى وقت. ومن ذلك ما نقله بعض المؤرخين من ان ابا سعيد لما هزم

جيش الخلافة واسر قائده (العباسى بن عمرو الغنوى) أبقاه لديه أياما ثم اطلق سراحه وقال له: امض لصاحبك وابلغه ما رأيت وحمله على رواحل حتى اوصله الى بعض السواحل فركب البحر الى الأبله(٧).

ومثل هذا الموقف يتكرر عندما أسر ابو طاهر كلا من ابى الهيجاء بن حمدان وزير الخلافة.. وأبى العباس بن كشمرد اذ نقل عن الأخير انه كان ممن أسر مع ابى الهيجاء وكان ابو طاهر مُكْرما لأبى الهيجاء.. وكان يستدعيه الى طعامه فيأكل معه ويسامره بالليل.

قال ابو العباس ابن كشمرد: وكان من عادة ابى الهيجاء ان يزورنى ورفيقى كل ليلة (٨) ومن ناحية اخرى فقد اجمعت كل التواريخ على ان ابا طاهر اذا تسلط على بلد يقتل كل الرجال ما عدا ارباب الصناعات فانه ينقلهم معه الى الاحساء.

ومن الناحية الأخلاقية فقد أورد المؤرخون بعض الحكايات التى تتعلق بمسلك القرامطة من الناحية الاخلاقية اذ نسبوا اليهم التهاون فى الأعراض والاباحية فى النساء وتشجيع البغاء وهى اشارات لو صحت لاعتبرنا هؤلاء القوم خارجين عن الملة.. وقد يتبادر الى الذهن ان أولئك المؤرخين قد حملوا تلك الحوادث والتقطوها من افواه العامة الذين يميلون الى اختراع الحكايات وتضخيم الأحداث والزيادة فى التفاصيل.. ومن تلك ما حكاه ثابت بن سفان الصابى قال:

«حكى انسان منهم يقال له ابراهيم الصائغ انه كان عند ابى سعيد الجنابى وأبتاه يحيى بن المهدى فأكلوا طعاما.. فلما فرغوا منه خرج ابو سعيد من بيته وأمر امرأته ان تدخل الى يحيى وألا تمنعه ان اراد.. فانتهى هذا الخبر الى الوالى فأخذ يحيى وضربه وحلق رأسه ولحيته وهرب ابو سعيد وسار يحيى الى بنى كلاب وعقيل والحريش فاجتمعوا معه ومع ابى سعيد».

وحكاية اخرى قال فيها:

«ومما يذكر عن متطبب بباب المحول - ببغداد - يدعى ابا الحسين قال: جاءتنى امرأة بعدما ادخل القرمطى صاحب الشامة بغداد وذلك فى سلخ ذى الحجة وقالت: اريد ان تعالج لى جرحا فى كتفى.. فقلت هاهنا امرأة تعالج النساء فانتظرتها وقعدت باكية مكروبة.. فسألتها عن قصتها فقالت كان لى ولد طالت غيبته عنى فخرجت اطوف عليه فى البلاد فلم أره.. فسرت من الرقة حتى وقعت فى عسكر القرمطى فوجدته وحدثته عن حالى وحال اخوته.. فقال: دعينى من هذا واخبرينى ما دينك فقلت يا ولدى الاسلام كما تعلم.. فقال: يا اماه اتركى هذا الدين وادخلى معى فى هذه الدعوة.. فتعجبت من ذلك.. ثم خرج وعاد لى بخبز لم أمسه وأتاه احد اصحابه فسألنى ان كنت احسن من امر النساء شيئا فقلت: نعم.. فأدخلنى دارا فاذا امرأة تطلق.. فقعدت بين يديها حتى ولدت غلاما فأصلحت شأنها وتلطفت بها وسألتها عن حالها.. فأخبرتنى انها امرأة من بنى هاشم اخذها القرامطة بعد ذبح عشيرتها واخذها زعيم القوم ومكثت عنده خمسة ايام ثم امر بقتلها.. فطلبها منه اربعة من رجاله فوهبها لهم.. فأقامت معهم وهى لا تدرى ممن هذا الولد(٩).

وقد اشار (محمد العبد القادر) الى ما اراده بن

مقرب العيونى فى قوله:

«منا الذى ابطل الماشوش فانقطعت اثاره وانمحى فى الناس وانطمس»

قال ومن عوائدهم القبيحة المشهورة ليلة الماشوش - وهى ليلة عيد لهم - تجتمع فيه النساء والرجال فيغنون ويلعبون ويشربون الخمور فاذا انتشوا اخذ كل رجل امرأة مما يليه من النساء فقضى حاجته واستمرت هذه العادة فيهم ثم زالت ثرواتهم(١٠).

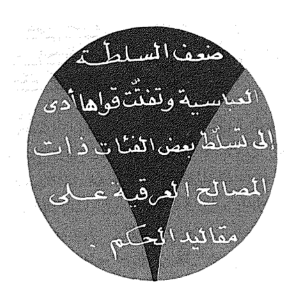
وقال ايضا فى الحديث عن مدينة هجر:

«هى بقرب قرية (البطالية) وهناك قصر يعرف بقصر قريمط بالتصغير والتحقير.. وجعل للبغاء موضعا خاصا يعرف حتى الآن بالقحيبات يعنى محل القحيبات(١١).

والباحث عندما يريد مناقشة مثل هذه الأمور يقف محتارا بين ما أورده المؤرخون اذ يجد التناقض فى كتاباتهم ولا أدرى كيف يستطيع الانسان ان يخرج بنتيجة هذا الخلط المتناقض.

اما أن القحيبات موضعا للبغاء كما ذكر الشيخ محمد العبد القادر فهو غير صحيح لأن ذلك المكان الواقع بقرية البطالية وبين النخيل ملتقى نهر الجوهرية ونهر قريمط الذى بقرب قصر قريمط فاذا ارتفعت مناسيب المياه فيه أصبح لخرير المياه صريرا يدوى بين النخيل بشكل متقطع يشبه سعال الشيخ(١٢).

وانا هنا لا ادافع عن هؤلاء القوم بقدر ما اتألم لحال المثقف العربي الذى يقرأ التاريخ فلا يدرى خطأه من صوابه.. فهو بين حالتين متناقضتين.. حالة الكره الشديدة التي تبدو فيها كل المساوىء والعيوب بل وتضاف اليها عيوب اخرى زيادة فى الاجتهاد وهو للمناهضين والمعارضين.



وحالة الرضا التام والتأييد الخالص وهو ما تضفي فيه الحسنات وتمحي فيه السيئات وهو موقف المؤرخين من الاسماعيلية الذين يجدون ان القرامطة جزء من الدعوة الاسماعيلية.

■■ وليس ادل على التناقض الواضح فى هذه القضية قول احد المؤرخين «وجعل للبغاء موضعا خاصا يعرف بالقحيبات»(١٣).. ثم يقول «ومن عوائدهم القبيحة المشهورة ليلة الماشوش»(١٤).. لأنه لو تحققت الرواية عن ليلة الماشوش فلن تكون هناك حاجة لموضع يخصص للبغاء مادامت هناك اباحة لا تمنع المرأة من نفسها.

والمشكلة ان اصحاب الشأن لم يتركوا اثرا من اثارهم وكتبهم التى تشرح حالهم.. ومثل هؤلاء القرامطة حال العيونيين الذين لولا شعر ابن مقرب العيونى لم يعرف عنهم التاريخ شيئا من ان ابن مقرب كواحد منهم اختص بالمدح وتبيان الفضائل دون تفصيل او دراسة لأنه شاعر وليس مؤرخا..

● ولكن الا يوجد مؤرخون وكتاب وفقهاء فى العهد العيونى.؟

● هل صحيح ان فترة العيونيين الذهبية كان يسودها ظلام الجهل.؟

بطبيعة الحال لا.. لأن فترة انجبت ابن مقرب جديرة بأن تنجب مثله مئات.. فأين ذهب ذلك التراث؟ هذا هو السؤال الذى يقف امامه العقل حائرا.

ولا شك ان هؤلاء القوم قد ارتكبوا الكثير من الموبقات فى حق الأمة الاسلامية وفى حق الاسلام.. ولعل اعظمها شق عصا الاسلام بتلك الدعاوى التى انتحلوها باسم آل البيت ثم تنكروا لهم وقتلوهم فى مواقف عديدة.. وثانيها الهجوم على المسلمين فى حرم الله وفى الشهر الحرام.. وقتل الحجاج فى صحن الحرم.. واقتلاع الحجر الأسود وهى واقعة لم ينكرها مؤرخو الاسماعيلية ولا مؤرخو القاطميين الذين استنكروها بطريقة مستهجنة بالاضافة الى هذا وذاك قطع السبيل واخافة الطريق واشاعة الدمار فى القرى الآمنة.

ولعل اهم المنكرات هى خلع الحجر الاسود ونقله الى بلادهم، اما الحروب والغارات والسلب والنهب فهى امور كانت سائدة قبل الاسلام بين القبائل.. وكذلك شق عصا الطاعة.. فلم يكن عملهم بدعا فى التاريخ اذ سبقهم الى ذلك العديد من الخوارج على مقدمتهم - عبد الرحمن الداخل - الذى اسس الدولة الأموية بالأندلس.. ثم صاحب الزنج فى البحرين.. وكذلك العلوى فى طبرستان.. والاخشيديون فى مصر.

ويعلل انصار الدعوة القرمطية إقدام ابى طاهر على قتل الحجاج وقلع باب الكعبة وفيه زمزم والحجر الأسود ما هو الا نتيجة حتمية لتلك الحمى التى أعقبت الانتصارات المتوالية التى صورت له انه قادر على فعل كل ما يريد دون ان تستطيع الدولة العباسية ان تقف امامه او ان تحجب شيئا مما يريد.. وحتى يبرهن للناس عن شجاعته النادرة واقدامه على فعل المعجزات ليفتنهم ويدعوهم الى مذهبه فيزيد بذلك اتباعه ويقوى جيشه وينشر نحلته فى الآفاق(١٥).

وقبل ان اختتم هذا الفصل يجدر بى ان اسرد على القارىء بتصرف ما ورد فى كتاب الكبير(١٦) مصورا الناحية الاجتماعية حسبما روى له.. حيث جاء عند الحديث عن قرمط:

«فقوى قرمط واخذ يجمع اموالهم.. فكان اول ما فرض عليهم الفطرة وهى درهم يؤخذ عن كل واحد من الرجال والنساء والصبيان فسارعوا الى ذلك وحملوه اليه.. ثم فرض عليهم الهجرة وهى دينار عن كل رأس ادرك الحنث وتلا قوله تعالى ***﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم﴾****(١٧) وقال لهم: هذا تأويل فدفعوا ذلك اليه وتعاونوا عليه حتى ان من كان منهم فقيرا أسعفوه.. ثم فرض عليهم البلغة وهى سبعة دنانير وقال: هذا هو البرهان الذى أراده الله بقوله* ***﴿قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين﴾*** *وقال هذا بلاغ من يريد الايمان والدخول فى السابقين.*

فكان من أدى سبعة دنانير (البلغة) أطعمه شيئا حلوا لذيذا فى قدر البندقة.. وقال له: هذا طعام اهل الجنة نزل الى الامام.. وصار يبعث الى كل داع منها مائة بلغة ويطالبه بسبعمائة دينار.. ثم فرض عليهم الخمس عن كل ما يملكونه وما يكتسبونه مدللا بقوله تعالى ***﴿واعلموا ان ما غنمتم من شىء فإن لله خمسه﴾****.. فبادروا الى ذلك وقوموا سائر ما يملكونه من ثوب وغيره وأدوا منه الخمس.. حتى ان المرأة كانت تخرج من غزلها خمسه والرجل يخرج الخمس مما يكسبه.*

ثم فرض عليهم الالفة.. وهى انهم يجمعون اموالهم فى موضع واحد وان يكونوا كلهم فيه اسرة واحدة ولا يفضل احد من اصحابه على صاحبه ولا اخيه فى شىء يملكه البتة وتلا عليهم قوله تعالى:



﴿واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا﴾.. وقال لا حاجة بكم الى الأموال فان الأرض بأسرها ستكون لكم دون غيركم.

وأقام فى كل قرية مختارا من الثقات يجمع عنده اموال قريته من غنم وبقر وحلى ومتاع وغيره.. فيكسو عاريهم وينفق عليهم ما يكفيهم حتى لم يبق من بينهم فقير ولا محتاج.. واخذ كل رجل منهم بالانكماش فى صناعته والكسب بجهده ليكون له الفضل فى رتبته وجمعت اليه المرأة كسبها من مغزلها.. وأدى اليه الصبى أجرة نظارته وحراسته للطير ونحوه ولم يبق فى ملك احد منهم غير سيفه وسلاحه.

ثم لما استقام له الأمر أمر الدعاة أن تجمع النساء فى ليلة عينها ويخلطهن بالرجال حتى يتراكبوا وقال: هذا من صحة الود.. والألفة.. ففعلوا ذلك.. ثم انه أفشى فيهم اباحة الأموال والفروج والغناء عن الصوم والصلاة وجميع الفرائض وقال: هذا كله موضوع عنكم.. ودماء المخالفين واموالهم حلال لكم.. وان معرفة صاحب الحق تغنى عن كل شىء ولا يخاف معه اثم ولا عذاب.

الا ان مؤرخا من المؤرخين المعاصرين هو الأستاذ عارف تامر يبسط الحديث عن الحياة الاجتماعية الا انه لا يستطيع ان يرجع الى سند يعتمد عليه.. فهو يطلق آراء عائمة معتمدا على ما كتبه المستشرقون المتعاطفون مع المذاهب الاشتراكية والذين يجدون فى الدعوة القرمطية بداية لذلك المذهب الذى برز منذ الف عام فى فارس على يدى منروك.. وبابك.. وفى العصر الحديث على دعوة من كارل ماركس الذى ارسى قواعد المذهب الشيوعى على اسس ونظريات اقتصادية وعلمية اقنعت الكثيرين ممن ليست لهم عقيدة دينية ذات قاعدة صلبة تحمى النفوس من الدمار.. والتعلق بالأوهام الخادعة والحلم بحياة مليئة بالسعادة والعدل والمساواة خلافا لما أودعه الله فى طبيعة البشر من تفاوت وتفاضل تستقيم بهما مسيرة الحياة المعتمدة على تبادل المنافع بين الخلق.. حيث من المعروف ان بين فئات البشر اثرياء يعملون بمالهم ومتعلمون يعملون بفكرهم.. وعمال يعملون بعرقهم.. وهؤلاء جميعا يعمرون الأرض.. والأرض تعطى اسباب استمرار الحياة من الماء والخضرة والهواء والشمس تعطى الجميع الحرارة.. والحيوانات تعددت خدماتها فمنها ما هو للركوب ومنها ما هو للغذاء مما هو مفصل فى القرآن الكريم.. فيكون بذلك دورة الحياة كاملة فى سلسلة مترابطة لا تستغنى عن بعضها البعض.. وكل نظام يخرج من هذا النطاق فهو مخالف للطبيعة ولا يمكن له ان يؤدى ما علق عليه من نظريات ولا ما طرحت خلاله من امنيات.

وهناك من يحاول فلسفة الأفكار القرمطية فى تنظيم الحياة الاجتماعية بأن (حمدان) المسئول الأول عن الدعوة القرمطية كانت لديه جذور الأفكار الشيوعية التى حققت فيها بعد الاشتراكية.. وهى نظرية غير واردة فى النظام الاقتصادى الاسلامى الذى اعطى كل ذى حق حقه بقدر جهده وعمله وانتاجه.. وما تلك الأفكار التى اشار اليها مؤرخو الحركة القرمطية الا حصيلة ترسبات تاريخية ذات جذور عميقة ترجع الى تلك الحركات التى قامت قبل الاسلام فى بلاد فارس واعتنقها المجوس.. وحاولوا عن طريقها ان يفتتوا المجتمع الاسلامى ويقضوا على عصبيته لأن الفلسفة اليونانية التى بشروا بها تقوم على تنظيف المجتمع من التعصب والوحشية.. وهى وحشية لا

لعله من الطبيعي في مثل هذا الوضع الذي تغيب فيه سلطة الحاكم أن تظهر الفتن وتثور النزاعات وتسود الناس بعض الأفكار الخاطئة المضللة..

تقارن بتلك الوحشية التى اتصف بها القرامطه وهم يقطعون طريق الحجاج ويهجمون على الحرم ويقتلون الأبرياء فى بيت الله. لكنهم لو ارادوا اصلاحا حقا لعادوا الى كتاب الله وهو خير دستور كفل سعادة الدارين.. وأوضح الطريق امام البشر وناقش كل شأن من شئون الحياة.. وكفل لكل انسان حريته فى العيش دون تناقض ودون حاجة الى الرجوع الى الفلسفات اليونانية والزرادشتية والبابكية.

ومادامو يدعون بأنهم قد ثاروا على الفساد فان بامكانهم الدعوة الى ازالة الظلم والفساد وبالرجوع الى كتاب الله.. لأن استغلال الغوغاء والعبيد واستجابتهم لا يعطى الدليل على صحة تلك الأفكار التى دعى اليها (حمدان قرمط) واتباعه وحاولوا تأصيلها فلما كانت تقوم على نظريات واجتهادات بشرية زالت بزوال سلطانها وان انتشارها فى المجتمعات غير المسلمة ـ مع انها زحفت عليها بالقوة ـ يبعدها عن العمل الاسلامى الذى طالما تشدق اولئك الهراطقة بالدفاع عنه.

(١، ٥، ١٦) القرامطة بين المد والجزر ص٤١٠
(٢، ٣) اتعاظ الحنفاء
(٤) سفرنامــة
(٦) سفرنامة ـ ناصر خسرو
(٧) تاريخ الطبرى
(٨) أنوار البدرين
(٩) تاريخ اخبار القرامطة
(١٠، ١١، ١٤، ١٥) تحفة المستفيد ٩٧، ٩٠، ١/ ٩٠، ١/ ٩٧
(١٢، ١٧) اخبار القرامطة (سهيل زكار ص٨٤، ص٣٩٥)
(١٣) لسان حال العرب

المختار

إذا الشعر لم يهززك عند سماعه فليس خليقاً أن يقال له شعر

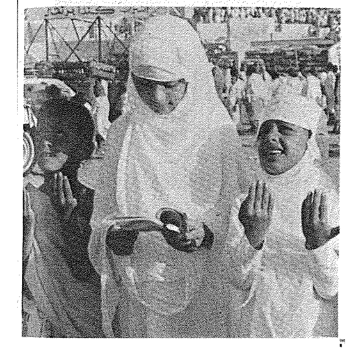


العدد الرابع والثلاثون _ ذو الحجة ١٤٠٧هـ

المشرف
محمود عارف

ربّاه

أنور عدي



ربّـاهُ . . .

هذا الطين كيفَ أردُّه عني

وكيفَ البعدُ عن هذا الجسدْ

أنتَ الذى

علَّقْتَ جِسْمِى بالثَّرى

وتركتَ روحى

تنشُدُ الروحَ الصمدْ

وتركت أظفار الهوى

تطأ الحياة

وماها إلاَّ الغِواية من سند

ربّـاهُ . . .

إنىِّ مُفردٌ

ما بين أرتالٍ

تسيلُ ـ كما الجراد ـ

بلا عدد

تأتى على كُلِّ الدروب

المُوصِلاتِ الى الأبدْ

ربّـاهُ . . .

هل من مُنْحنى

يُعطي لحادِيَتى المددْ

أنا مؤمنٌ

ومسـلِّمٌ

لكنما

الزيتُ الذى بسراجِ رُشْدِي

قد نفـدْ

ربّـاهُ . . .

إنسانٌ أنا

ومقيّدٌ

والطينُ عاتٍ

والصُّوى تنهدُّ

فاصنع فى مسارِى ما تودْ

سيروا على درب الرسول



أبيتُ على الآلام فى كلِّ لحظةٍ
وارحل وحدى فى صحارى تَيَتُّمى
وأحملُ اشواقى إلى العربِ كلّهم
لواعج فى صدرى تزيد تألمى
أمرّ بها فى كلِّ قطرٍ ودولةٍ
مرور عليل مُذْنَفَ القلبِ مُسْقَمِ
فتؤلمنى فاسٌ ومصرُ وجُدّه
ومن باتَ فى أرضِ العراق المحطّم
وترتسمُ الخرطومُ جرحاً مُفَتَّقاً
على شفتى عمّان لم يتبسم
ويممتُ وجهى صوبَ حيفا فلم اجد
على الشاطىء المكلوم داراً لأحتمى
فناديتُ ملء الصوتِ ابناء يَعْرُب
اما من تلاقٍ بعد هذا التَّقَسُّمِ
تعالوا نشيّدُ صرحَ مجد مؤثّلٍ
اساطينه اشلاء شعب غشمشم
عجبتُ لكم تُغْزَون فى عُقْرِ دارِكُم
وانتم شتاتٌ بين اعمى وابكم
تُحبّون أعداء احبّوا عدوكم
فهم عندكم اوفى صديق مُنَعَّم
تسوقون خيراتِ اليهم وفيرة
فيعطونَكُمْ موتاً بوعدٍ مسمّمِ

أتحبَسُ عن ساحِ الوغى خيلُ عزّة
وتُغْمد اسيافٌ مقابل درهم
وما عُوِّدَتْ إلّا على العيش حُرّه
وما أرضِعَتْ غير الإباء المصتم
تخوضُ غمارَ الحربِ عُرْباً رجالُها
وتمضى على اسمِ الله دون تبرُّمِ
وتسلُكُ دَرْبَ الفَتْحِ كُلَمَى عزيزه
فلم تشتك ضعفاً عليها وتحجم
فيالكِ من خيلٍ خيالك مؤنس
يحرك فى قلبى جوى المتضرم
تغرّبت فاخضلّتْ جفونُكَ حَسْره
على ذكرياتٍ حين نوديتِ أقدمى
غفا السيف فى الغمد المدّمى وقُيّدتْ
يدُ الفارس الدامى ورجلُ المَطَهَّمِ
فواجب ان نروى بدماء نضالنا
ونحمل على الأعداء حمله ضيغم
فانتم شبابَ العُرْبِ للعربِ دِرْعُهُ
وانتم لنا جيشُ التحدى المدمدم
وانتم لهذا العالِم فكرٌ وناظرٌ
وقلبٌ وحدّ للحسام المصمم
وفيكم اذا ما وُحّدَ الشملُ بينكم
ورممتم بقايا البناء المهدّم
بوارقَ أتت تحملُ الخيرَ كلّه
ويقتل بل ويسقط كلِ فكر مسمم
فصونوا تراثَ العرب فكراً ومنهجاً
وسيروا على درب الرسول المعلم

للمشتار خاصة

شعر محمد حسن فقي



سح من الهتون الدافق يتهاطل من مشاعر شاعر العروبة الكبير، ويتعاظم به أعطاف سخائه الفكري، فينهمر على قراء العربية - هنا وهناك - متجاوزاً جفاف الكلم موصلاً ثراءه.. مؤكداً ذاتيته فيتساكن مع الوجد، وينسكب في الوجدان ممزوجاً بشفافية رائدة وأحاسيس صائبة.

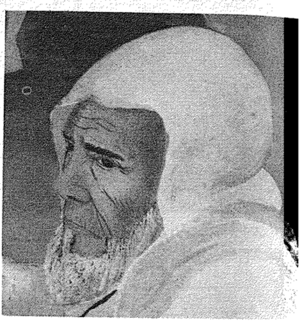
أنـا في حالـةِ احـتـضـارٍ بطيء
بين دُنـيـا تَبدو وأُخرى تغيبُ
لستُ أرجـو ولا أخـافُ.. فما عا
د ثنـاء يحلو.. ولا تثـريـبُ
كان لي في الحـيـاة هذي نصيبٌ
ثم ولَّـت عنـي وولَّـى النَّصـيبُ
ما الـذي منها أرجِّـي وقدَّامـي
مصيرٌ - مما اقترفتُ - رهـيبُ؟
ولقـد يَستَبينُ لي مرحُ اللاهي عجيـ
ـبـاً.. والهـولُ منـه قريبُ
كان أولى به التـفـكُّـرُ في الـمُـقْبِي
وفـيـهـا - إن لم يجدَّ قليبُ
ليس ندري بما نلاقـي غداً فيـه
وفـيـه خصيـبُـنـا والجـديـبُ

* * *

يا مُشيحاً عن المدى أنت في الرَّحْب
فحـاذر فقـد يضـيـقُ الـرحـيـبُ
وتـوقَّ الـيـومَ العصيبَ هنـا الـيـومَ
وإلَّا أتـاك يومٌ عصيـبُ

رُبَّ نفسٍ تغـورُ في حمأة الـرِّجْس
ويـدعـو الـمـدى فما تستجيبُ
فاذا ما ضاقَ الخـنـاقُ عليـهـا
واعـتَراهـا.. بعد الشبابِ - المشيبُ
حاولتْ بعـدَ أنْ ونَت توبـة العَجْـز
وقـد صوَّح الأريضُ الخـصيبُ
يا هلوكاً جفَّ الندى فيكِ من قَبلُ
ومـا عاد في الحـنـايـا لهيبُ
أين منـكِ الهـوى.. وأين دواعيهِ؟
وأيـن الـغـنـاء والـتـشـبـيبُ؟
أيُّ روضٍ يُصَـدِّقُ الـبـومَ إنْ قال
كذابـاً بأنَّـه الـعـنـدلـيبُ
فهـو الشَّـدو يُطربُ الكَرْم والنَّخلَ
ويُـشْـجـي وأنتِ انتِ النَّعيبُ
وتأملتُ فاستبـان لعيـنيَّ وميضٌ
يجلو كثـيـف الظـلامِ
إنَّ نفسـي كانتْ كهـذي التي باءتْ
بلومـي على الهـوى وخصامـي

حوار نفس



بل وشراً منها فقد كانتْ لعُوباً
تمرّغتْ في الرّغامِ
ما تُبالي إذا استَبدَّ بها الوَجدُ
بطول السُّرى وحرِّ الضّرامِ
حيرّتني بنزوة بعد أخرى
وهوتْ بي للدّركِ بعد التّسامي
فكلانا أمسى صريع غرامِ
وكلانا أمسى صريع مدام
كيف يا نفسُ تنكرين على الناسِ
عيوباً وانت لم تتحامى
ما أُماري فانني كنتُ أُرضيكِ
وأرضى كبائرَ الآثامِ
حلّتني السفوحُ وهي نشاوى
عن هبوطي المريع عن آكامي

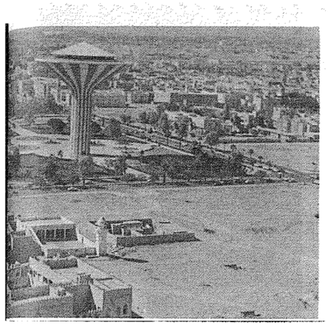
فصامتُ وانطويتُ على الجُرحِ
وابديتُ للنشاوى ابتسامي
ثم غمغمتُ بالكلام ولم أفصحْ
فلا غيثَ في السحابِ الجهامِ
إنحَدَرْنا يا نفسُ للقاع
والقاعُ مريرُ الجنى شديدُ الزّحام
فانتصري واحتمي بعزم على
الثورة يأبى الحياة مثل النّعام
كيف ترضى من كان اوّلُهُ المجْدَ
سريّا بسوء هذا الختام
انا يا هذه وانتِ كلانا
ساخطٌ من حقارة الاقزام

* * *

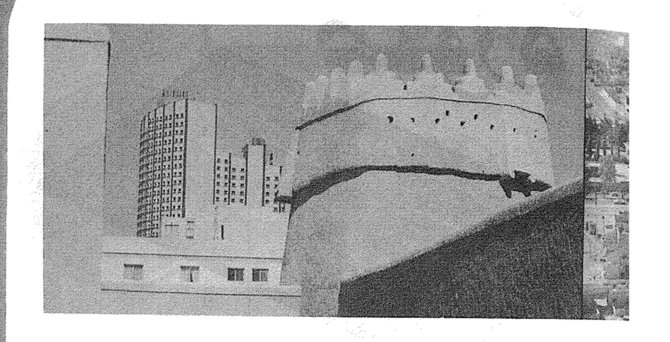
واصَغتْ إليَّ النفسُ وهي كليمةً
تنزّ دما بعد الدموع الزوارف
وقالتْ لقد أوْجَعْتَ بالقول صادقا
ابيّاً .. فما القيعانُ مثل المشارف
شقينا زمانا بالتّدلّي وذلّه
على حلو لذاتٍ به وطرائف
وأوحشنا عزّ السموّ ومجده
فما كان اغلى ما به من عوارف
ولو أنها حيناً تعزّ على النُّهى
وتوشك ان تودى بها للمتالف
فهيا تسلق حائط القاع ناجياً
وايّاى من حيّاتِه والزّواحفِ
فقُلتُ لها مرحىً وبادرتُ صاعدا
الى النّور من هذا الدُّجى المتكاثِفِ
كانتْ معي يا بارك اللهُ سعينا
وصَوّدَتنا للدّربِ بعد الصوارفِ
قد أمرتْ بالسوء يوماً فاسقمتْ
ولامتْ فاشفتْ من جنونِ العواطِف

السعودية بين الأمس واليوم

عدنان أسعد - القاهرة
بمناسبة المعرض السعودي بالقاهرة



شَتَّـانَ بين الـيـوم والأمسِ
شتَّـان بين الجـهْـر والهمْسِ
شتَّـانَ بينهـما.. هنـا حضـرٌ
عالـى البـنـاء مُمَهَّـد الأُسِّ
وهـنـاك فى الآفـاق مُرْتَـبَـعٌ
صحـراؤه جرداء كالـرَّمْسِ
مسَّتْ يدُ الانسـانِ ساحتهـا
فتـمـثلتْ روضـاً من الأُنسِ
شمْسُ الحضـارة أشرقتْ فكـراً
تَبْنى الـربـوعَ بلمسـةِ الحِسِّ
بالـعـزمِ بالاصـرارِ فى ثقـةٍ
هدّ الـرجـالُ نواقضَ الأمسِ
الـعـلمُ ديْـدَنُهُـم ورائـدُهُـم
والـدينُ مُرْشِـدُهُم بلا حَدْسِ
هذى القـلاعُ دليـلُ نهضتهم
وهـى الـدليـل لعـزّة النَّفْسِ
يا باركَ الـرحـمنُ قِبْلَتـهُ
بالطّهر.. والحرمين والقدس
ورعـاه دوْمـاً (خـادم الحرمـين)
موفـقـاً للخيـرِ والـغَـرْسِ



تار

صورة م

من الشعر ما يشجيك
ومن الشعر ما يدميك
وهذه "الصورة" توصيف
أخاذ لشريحة من حياة الغرب
تمثلت في هذه الفتاة التعسة.

عجبتُ .. لغادةٍ كانتْ
تبثّ الكأسَ شَكْوَاها
تُقلّبُ طرفها .. وهناً
كأنّ النومَ .. أعياها
وتشهقُ .. كلّما همّتْ
برفع الكأس .. يُمْنَاها
تُحَملقُ في الورى حيناً
فتبدو .. باسماً فاها
وتهذي .. تارة أخرى
وتلعنُ .. ظلمَ دنياها
ودنيا الغرب كم أشقتْ
بسوطِ الكدّ .. أنثاها
فقلبُ الغربِ .. عربيدٌ
وما أشقاه .. أشقاها

أمن بؤس تكابده
شكتْ للكأس .. بلواها؟

أم اعتادت على كأس؟؟
فأمسى عين .. ليلاها
وأتعس مدمنٍ أنثى
ترى في الخمر .. سلواها

* * *

فتاة .. لم تجع حسناً
تراه .. في محياها
عجبتُ لصنعها حقاً
واشقتني .. بمرآها
فانّ الحسن يشقيني
باحساسي .. إذا تاها
وضعف الغيد أرحمه
ولا أنسى .. له جاها
لئن تاهتْ .. بدنياها
ووجه الغرب قد شاها
سألتُ الله أن يهفو
لها قلبٌ .. ويهواها

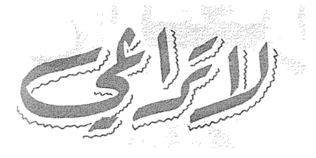
ن الغرب

لشاعرنا

مقبل عبد العزيز العيسي



تار



لا تُراعى إنْ هدّنى وجلُ
فقدْ مُسْرعُ الخُطا عجلُ
وغدُ مُرْزِمٌ وذو دَجَنٍ
شامخٌ فى خُطُوبِهِ جَبَلُ
آذَنَتْنى بقُربه رِغَرٌ
غامَ فوقى من هولها ظُلَلُ
ضاقَ ذَرْعى ولستُ فى سعةٍ
أنْ تَراءتْ هَيَّابة جَلَلُ
ليتَ أنّى غَنيتُ عن زمنٍ
قد تمطَّى فى طَيِّه دغلُ
وهو بَلْوى وكيفَ أدْفعُها
وبلاء الزمانِ مُتَّصلُ
فاللّيالى تُحيلنا غرضاً
وشُخوصاً أودى بها شللُ
وكأنّا وقد أريد لنا
أن نُوارى سَوْآتِنا همَلُ
كم نعانى مالا نطيقُ له
ونُدارى ظلماً ونَحتَمِلُ
هو همٌّ صلَيتُ وقْدَتَهُ
تتخفَّى طوراً وتشتَعِلُ
وهو جُرْحٌ نكأتُه بيدى
عمركَ الله كيف يندمِلُ
لا تُراعى إنْ ضاقَ بى زمنٌ
أو تهاوتْ فى دربىَ الحِيَلُ
فعذيرى أنّى تهضّمنى
طارقٌ مُسْرعُ الخُطى وَذِلُ
ليته أخطأ السبيل وقدْ
عاقه عنِ بلائه فشلُ
وطماحى ما إنْ نشطتُ له
بإبائى إلاِ عرتْ عللُ

●●●●●●●●●

أتحرَّى إلى السَّنا سبباً
فاذا ألاح قَصَّرَتْ سُبُلُ
ضلَّ سعيى وزادَ من ألمى
أنَّ سهمى فى القومِ مُنخذِلُ
وأمانىَّ قد شقيتُ بها
ولكمْ يُلهِبُ الأسى شُغُلُ
لا تُراعى إن اقشعرَّ بنا
كلُّ نضرٍ وأوحشتْ حِلَلُ
وأذيلتْ مِنّا مُنوَّرة
والليالى فى عَسْفِنا دُوَلُ
وكأنّى منها على نبأ
يتراءى فى شجوه أجلُ
إنْ تَرَيْنى أسرفتُ فى حزن
فالرَّزايا طوالعٌ رتلُ
أو تَرَينى الهبتُ قافيتى
فدليلى الى الهوى شُعَلُ

* * *

لا تُراعى إنْ أرزمتْ ديمٌ
بالذى حشرجتْ به هُطُلُ
أنا منها بما سَيُعْقِبُها
مُسْتَفَزٌّ من غرّها وَهِلُ



للشاعر

الدكتور إبراهيم السامرائي

الأردن

أتَّـقيهـا ببعضِ قافيـة
وروِيٍّ قد ضامـه وَشَـلُ
قد تأبَّى وكـان من نسبـى
وهوِ طوْعى إنْ رُحْتُ أرتجِلُ
وهـو منّى وبعضُ ذى رحِمى
وهـو نفسى لا المبْعَدُ الوغِلُ
لسـتُ إلّا به أنـالُ رضـىً
وهـو زادى إن أخلف النُزُلُ

* * *

لا تراعـى إن رحت فى ألمى
أتّـقـى فتنـة وأبتَـهـلُ
او ترْينـى قد شفَّنـى كلِمٌ
بارعٌ مُلْحَم الـسَّـدَى خَمَلُ
فوريـفٌ مُفـوَّفٌ أنـقٌ
ورفـيـفٌ مُهـدّلٌ رَفِـلُ
حافلٌ بالـرؤى وقـد يُلْهِبُه
منهـا مُسْـتـوْسـقٌ رَسَـلُ
هو فى الأرضِ والحِمى شجنٌ
وربـوعٌ فيهـا الأسى أهـلُ

* * *

لا تُراعـى إن أوجَـعَ النغمُ
واسْتُـثـيرتْ مسعـورة جُمَلُ
لا تُراعـى أنىّ تضيَّفَنـى
حشـدُ هولٍ يكـادُ يَقْتتِـلُ
أأداجـى بـه وأنـخَـذِلُ
أم أصـادى به وأنـفـعِـلُ
أيـكـونُ المـراحُ والجـذلُ
وديـارُ الـكـرام تُخْتَـزَلُ
فربـوعٌ فى «القُدْس» مَنْهبَةٌ
ورحـابُـهُ بالفرش تؤتَكَـلُ
خُضبتْ أرضُنا الطهـور دما
فسـفـوحٌ تُزهـى به قُلَلُ
إن ترْينـى غُرِّزْتُ فى أمـلٍ
فلكم غاب فى دجى أمـلُ
او ترينـى قد صاننى أدبى
عن فُضـول قد شابها خطلُ
او اكـنْ لم أنـلْ سماحتـه
فخلوى عن حليـه عطـلُ

* * *

لهف نفسـى لهفـاً يضيق به
ذو مراحٍ الـوى به مللُ
يتعـزّى بالشعـر فى جلل
أيـن منـه مُحبَّرٌ حُلَلُ
السـيـغُ الأسـى فأنْهـلَهُ
وهـو ملحٌ يشـقى به عَلَلُ
لا تُراعـى إنْ أوحشتْ نغـماً
كلماتٌ فمطـلَبُـهُ خجـلُ
ليت أنـى أقيـلُ عثْـرتَهـا
بقـشـيـبٍ باهـى به غزلُ
أنـا بيـنـى وبيـن موعـدِه
خطـواتٌ تدنـو فتنفصـلُ
ليت من ودَّعـوا وقـد رَحلوا
أفتـديهم بالـروحِ لو وَصَلوا



نصيحة ميت

للشاعر: منصور سرور الجودي

يا نفسُ لا تسعين للذّاتِ
فغدا يسيرُ القومُ خلف رُفاتى
وتَضُمُّنى الظلماتُ فى جوفِ الثّرى
ويدبُّ دودُ الأرض فى جنباتى
أين الصحابُ واين أهلى أين مَنْ
كانوا ربيعاً عابقَ النسماتِ
الكلّ ألقانى وولّى مدبراً
يبكوننى وأنا بكيتُ حياتى
هذى هى الدنيا صحائف تنطوى
وانا من الدنيا انطوت صفحاتى
أين الذى قد هِمْتَ فى تكديسه
ماذا تراه فاعلاً بمماتى
ماذا تراه بفاعل لى إننى
وسط القبور تحطّمتْ نغماتى
يا من قضيتَ العمرَ فى جمع الغنى
وغدوتَ عبدَ المالِ واللذاتِ
أنميتَه أكثرتَه فتركتَه
للوارثين وأنتَ للحسراتِ
يامَنْ قضيتَ العمرَ تسرقُ لقمةً
من فاه شيخٍ خائر العزماتِ
وغدوت طول الدهرِ تشربُ هانئا
من مقلتين تفيضُ بالدمعاتِ
وتتوق فى ولع لتمنع قطرة
عن فاه لهفانٍ الى القطراتِ
ومضيتَ تسعى فى متاهاتِ الردى
لم تعتبر أو تتعظ بعظات
ماذا تقول إذا الجموعُ تزاحمتْ
واغتصت الأحداقُ بالعبرات
ارجع لنفسك إنّ عمرَك فانٍ
إنّ الغنى فى البر والحسنات

العودة

للشاعر
مفرج السيد

بعد ان نقل الشاعر من مدينته المهد التى عاش فيها عهداً هو من أحلى أيام حياته إذ يمثل عهد الشباب والحب والآمال والانطلاقة الشعرية والآن عاد الشاعر ولكن كما قال:

عدتُ للمَهدِ بعد أن طالَ عهدى
مِثلَ طفلٍ يعودُ توّاً لمهدِ
غير أنى محمل بهمومٍ
وغموم حملتها اليومَ وحدى
الشبابُ الفتيُّ قد ضاعَ منى
مثل ما ضاعَ فى أسى العمرِ سعدى
أينَ حبى العفيفُ أينَ وعودى
للتلاقى نسيتُ وعدى ووجدى
أين تلكَ المرابعُ الخضرُ وفيها
كنتُ ألهو براءة الطفل عندى
أين لا أين فى القديم كفاحى
فى طريق العلاء بل أين مجدى
فى خيالى وواقعى امنيات
بلدتها السنون تبليدَ جهدى

* * *

عدتُ للمهدِ هل أنا اليوم حيٌ
أم أنا ميتٌ سكنتُ بلحدى
لا فؤادى المقيم بين الحنايا
خافق بالهوى كأيام سهدى
أسهرُ الليلَ كلّه فى لقاء
وأقضى النهارَ أرنو لوعد
كم رحيق رشفتُهُ من ثغورٍ
كم قطفتُ الورودَ من كل خدّ
يا جبالَ الرمال فى كل وادٍ
يا صخورَ الجبال من كل صَلدِ
يا زهورَ الربيع فى كلِّ شِعبٍ
حفَّها الشيحُ من عرار ورند
أذكرُ الربعَ والصبا وغرامى
كلما هفهفتْ صبا أرضِ نجد

سداسيات

وضاح

للشاعر : شهاب غانم
لندن

وضّاح يا قمراً يُملى على وترى
لحناً تميسُ على انغامه الحُورُ
القاكَ حين هموم العيش تدحَرُنى
فينجلى الهمُّ عنى وهو مَدْحورُ
فيكَ البشاشةُ مثل النور يَغمرُنى
رشاشُها فإذا فى مهجتى نورُ
والطُهرُ ينبعُ من عينيكَ مُؤتلقاً
فى عالمٍ كلّه لؤمٌ وتزويرُ
فيصدَحُ اللحنُ فى صدرى كأنَّ به
أغصانَ دوح تُناغيها الشحاريرُ
ويملأ الشعرُ اقداحى فيسكرُنى
رحيقُهُ فهو تشكيلٌ وتصويرُ

مناجاة

يارَبِّ أنت ملاذى كلّما اكتأبتْ
نفسى وعاثَتْ باحلامى يَدُ المحنِ
فليس إلّاك فى قلبى وفى شفتى
اسما أردّده فى غمرة الحزنِ

إنى أرى النورَ فى قلب الظلام اذا
ذكرتُ مالَكَ من فضلٍ ومن مِنَنِ

أراه فى كلّ حسنٍ أنت مُبدعُهُ
فى النهرِ فى الصخرِ فى الاطيارِ فى الفَنَنِ
فى الَبرِّ فى البحر فى الأرجاء قاطبة
فى الصّبح فى اللّيل فى أنشودة الزّمَنِ
فى الأنجم الزُّهر فى الافواه باسمة
فى كل حبَّةِ رملٍ من ثرى وطنى



أحبك

احبُكِ .. أدركى أنى محبّ
وان شاب الهوى حنق وعتب
فمهما لاحَ فى طبعى جفافٌ
فنهرُ الحبّ من قلبى يصُب
ومهما كان صحراء لسانى
فقلبى واحة وندى وعُشبُ
نظنّينَ الهوى الفاظَ حبٍّ
مزخرفة ويستهويك كذبُ
ومهما نمّقوا فى الحبّ نثراً
واشعاراً فإن الحبّ حُبّ
غرامٌ لا يموتُ له اتّقادٌ
ونارٌ فى الجوانحِ ليس يخبو

فصول العمر

لا تقُلْ لى ضاعَ الشبابُ وولّى
ربّما كان ما سيُقبِلُ أحلَى
نزَقٌ يملأ الشبابَ وطيشٌ
ويفيضُ الكهُولُ نضجاً وعقلا

قُلْ لِمَنْ ينْدُبُ الشبابَ ولّما
يرتحل .. خوفَ أنْ يغادر مهلا
أو ما كان فى الطفولةِ لهْوٌ
تتمنى لأجله العود طفلا
وبفجر الصِّبا الغرير غرامٌ
إذ فتاة الاحلامِ تمنحُ وصلا
كل فصلٍ فى العمرِ يحمل سحرا
فتمتّع بالعمر فصلا .. فصلا

(*) وضاح طفل الشاعر

أَلاَ حَبَّذا البَيْتُ

الفرزدق

ألا حبّـذا الـبيتُ الـذى أنتَ هايبُـهْ
تزورُ بيوتاً حولـهُ وتُجانِبُـهْ

تجانِبُـهُ من غير هجرٍ لأهـله
ولكـنّ عينـاً من عدوٍ تراقِبُـهْ

أرى الـدّهـرَ أيّامُ المشيـب أمـرّه
علينـا وأيـامُ الشبـابِ أطايبُـهْ

وفى الشّـيْبِ لذّاتٌ وقُـرّة أعْيُنٍ
ومن قبلِه عيشٌ تعلّل جاذِبُـهْ(١)

إذا نازل الشّيْبُ الشبـابَ فأصْلتا
بسيفيهما فالشيبُ لابدّ غالِبُـهْ(٢)

فيا خيرَ مهزومٍ، ويا شرَّ هازمٍ،
إذا الشيبُ راقتْ للشبابِ كتايبُـهْ

وليسَ شبابٌ بعدَ شيبٍ براجعٍ،
يدَ الدهرِ حتى يرجع الدّرّ حالِبُـهْ

ومن يتخمَّطْ بالمظالمِ قومَهُ
ولو كرُمت فيهم وعزّتْ مضارِبُه(٣)
يُخدَّشْ بأظفار العشيرة خدُّه
وتُجرَح ركوباً صفحتاه وغارِبُه(٤)
وإنَّ ابن عمِّ المرء عزُّ ابن عمِّه
متى ما يهج لا يُحلُّ للقومِ جانِبُهْ
ورُبَّ ابنِ عمٍّ حاضرِ الشر خيرُه
مع النجم من حيث استقلّتْ كواكبه(٥)
فلا ما نأى منه من الشر نازحٌ
ولا ما دنا منهُ من الخيرِ جالبُهْ
فما المرء منفوعاً بتجريب واعظ
إذا لم تَعظْهُ نفسُهُ وتجارِبُهْ
ولا خيرَ ما لم ينفعِ الغُصْنُ أصلَهُ
وإن مات لم تحزن عليه أقارِبُهْ(٦)

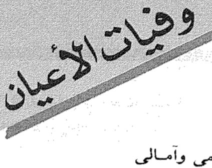
الهامش

(١) تعلل : أبدى حجة وتمسك بها . جادبه : عايبه .
(٢) أصلت السيف : جرده من غمده . والباء في بسيفيهما زائدة .
(٣) تخمط : قهر .
(٤) أراد بصفحتيه : جانبيه . أي أنهم يذلونه ركوباً عليه كما تركب الدابة .
(٥) أي أن شره حاضر وخير معدوم .
(٦) يريد أنه لا خير في المرء إذا لم ينفع أهله .
ديوان الفرزدق، المجلد الأول، دار صادر ص ص٤٨، ٤٩ .

دمعة حرّى ...

وقلب كليم

قمتان من قمم الشعر والأدب رحلا عن دنيانا
طاهر زمخشرى - و - محمد بن على السنوسى
رحمهما الله واحسن مثواهما
فى دروب الأدب والشعر التقيا وتعانقا . . وأبدعا
ثم ارتحلا . . وفارقٌ ما بين رحيلهما لم يتجاوز بضع أيام
أنهكهما المرض وعانيا منه عناءاً مرّاً . . ولكنه الأجل المحتوم
ارتحلا والبسمة لا تزال مخضرة على شفاههما
الابتسامة رغم المعاناه!! ؟ نعم . . الابتسامة رغم المعاناة . .
إنها سماحة الخُلق ورهافة الحسّ وطيب الخاطر . . وهكذا كانت حياتهما . . الموت فجيعة للأحياء فى موتاهم . . من كان ملء السمع والبصر يختفى عن السمع والأبصار . . لكنه سبيل الخلود فى رحمة الله باذن الله سبحانه .
رغم رحيلهما فانهما باقيان معنا بما خلداه وأبقياه . . سيظلان خالدين فى ذاكرة الأجيال . . وهكذا بقيا فى أعماقنا نشيداً خالداً نردده وتردده الأجيال بعدنا . .
أخذا بعناق الريادة فى الشعر والادب وبلغا فيه القمة . . وانتاجهما فى كل ذلك ماثل بين أعيننا .
انهما يمثلان جيل الرومانسية المرهف الحس - مجنّح الخيال - جياش العاطفة . . شعرهما نماذج رفيعة لجودة الصورة والأسلوب - واختيار الكلمة وانتقائها وعمق الاحساس بالقيمة الخُلقية وضرورة رسوخها . .





في مدينة جازان حاضرة الجنوب كان مولده ونشأته .. تعليمه وتربيته .. تقلب في أحضان مدارسها .. وحمله والده بين عينيه يهذِّبه ويعلِّمه ويقوِّم عوده علماً وثقافة وأدبا .. فتشرب من أبيه ما منحه .. والوالد (السيد علي بن محمد السنوسي) كان عالما أديبا شاعراً .. قاضيا .. وهكذا قام الفتى .. والدٌ عالم يَرْعَى .. وفَتَىً نابه يستوعب .. وموهبة صقلتها البراعة فكان منها الابداع.

أبدع في عالم الشعر فأتحفنا بما ضمته (القلائد - الاغاريد - الأزاهير - الينابيع - نفحات الجنوب) وهذه الدواوين يصفها بقوله (هؤلاء أبنائي أيها الاحبه أقدمهم اليكم بلا غرور وأعْرُف بهم بلا عُجْب .. اختلفتْ ألوانهم وتباينت أسماؤهم ولكنهم يحملون سحنة واحدة وملامح واحدة هي سحنة (محمد بن علي السنوسي) .. أجل ايها الأحبة هؤلاء أبناء فكري واولاد روحي منذ صدح فمي بالشعر وزقزق بالغناء معبراً من خلال تلك القوافي عن أفراحي واتراحي وآمالي وآلامي وسروري وحزني وارتعاشة حسي ونبضات قلبي ..).

هذه ألحان قلبي
وأغاريد شبابي
هي أحلامي وآمالي
وكأسي وشرابي
وصباباتي وأشجاني
وحبي وعذابي
إنها صورة نفسي
قد تجلت في كتابي

الصدق مع النفس والذات .. الصدق في التجربة .. الصدق في الشعور والاحاسيس .. كلها تنتج من الشعر ما كان نبضاً حياً يعطينا النفس والحياة والمجتمع .. وهكذا جاء شعره.

شعر السنوسي يصفه صديقه وحبيبه وأول من اطلق عليه شاعر الجنوب الاستاذ عبد القدوس الانصاري عليه رحمة الله بقوله (ما أروع الشعر ينبع من عاطفة شاعر متمكن في اللغة، جامع لأعنة الاسلوب العربي الرائع مع سعة أفق وذهن واخلاص مبدأ وصدق عاطفة وصحة بيان .. وهذه الصفحات اللامعة احتشرت كلها في هذا الديوان الاغرّ (القلائد).

الشاعر الأديب السنوسي - عليه رحمة الله ورضوانه - رضع الشعر منذ الصغر وبرع فيه وأبدع وكان ذائع الصيت والشهرة في داخل المملكة وخارجها وتغنى بشعره الكثيرون فله مقام الريادة في الأدب السعودي. نشرت له مجلة (المنهل) معظم شعره اضافة الى بعض المجلات والصحف السعودية وفي العالم العربي .. وفي مجال النثر له باع طويل في النقد الأدبي وعدد من الموضوعات الاخرى وله في ذلك كتابه (مع الشعراء) دراسات وخواطر أدبية .. حاز مجموعة من الجوائز والميداليات منها:

● الميدالية الذهبية للريادة الأدبية.

● شهادة براءة في مشاركته في مؤتمر الأدباء السعوديين الاول

● ميدالية المتنبي من وزارة الثقافة العراقية.. كما ترجمت بعض قصائده الى اللغة الايطالية ونشرتها مجلة (الشعراء) بروما.

■ يصفه الاستاذ الاديب الشاعر عبد الله بلخير بقوله «الأستاذ السنوسي كان في جنوب الجزيرة العربية مناراً متواضعاً يشع على من حوله وما يتباعد عنه في هدوء وصمت واخلاص جدير بنا أن نذكره ولا ننساه.. ويتميز بتواضعه وسمو خلقه فهو شاعر اسلامي عربي ملتزم».

الصدق مع النفس.. وسمو العاطفة وتخيّر الكلمة علامات بارزة في شعر السنوسي.

ولمن أحبَّ فليقرأ له:

من الجزيرة من أرضي ومن بلدي
تألق النور نور الحق والرشد

ومن رباها رباها الطاهرات ثرى
تنفس الصبح من بدر ومن أحد
نور تألق من نور فرق به
قلب الحياة وبضّ الصخر بالبرد
وفاض عبر شعوب الأرض مندفعاً
يحيى القلوب ويشفي ثغر كل صدى
وأشرقت (بابن عبد الله) وائتلقت
(رسالة الله) زاه نورها الصمدي
محمد خير خلق الله قاطبة
خُلقاً وخَلقاً على السَّراء والفكر

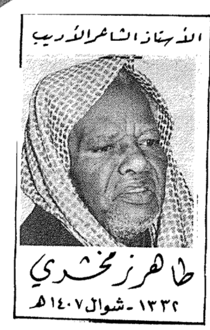
ويمكن ان تقرأ له في (أم القرى):
لمعت على الوادي المقدس شعلة
تركت دجى الدنيا نهاراً مسفرا
مست شرارتها الحياة فأشعلت
(مُثُلا) أشف سناً واكرم جوهرا
هزمت أشعتُها الظلامَ وزلزلتْ
(كسرى) وراء الخافقين و(قيصرا)
طلعت على التاريخ وهو سخافة
كبرى تخط به الخرافة أسطرا
(العنصرية) تستبيح كيانه
وشوائب التمييز تخزمه برى
وشريعة الغابات تنتظم الدنا
والحق مطلول الدماء مهدرا
(فاذا ابن عبد الله) يرفع صوته
ويدك ما شاد الضلال وسورا

وفيات الأعيان

●● نبض اسلامي دافق وروح عربية حرة محلقة ..

لا أحسبنا بسبيل تسجيل دراسة عنه وتصفح قوافيه ولكنه العزاء والتسرية عن النفس محاولة العيش في دنيا شعره مع ذاكرة الزمن التي دخلها من اول قصيدة وسيبقى مختزنا فيها باذن الله خالداً في ذاكرة الاجيال.. ولِمَ لا..؟ فقد احب أهله ووطنه وقومه.. بل احب الانسان ما دام يقيم للانسانية وزنا.. ويظل الحب والخير مبتغاه.

أتمنَّى لصديقي مثلما
أتمنَّاه لنفسي وزيادة
أتمنى أن أراه ابدا
مطمئن البال موفور السعادة
فاذا فتشت يوماً قلبه
لم أجد في قلبه الافساده
حسرة تملأ نفسي ألماً
يقدح الفكر ويستوري زناده
أتمنى لعدوي مسلكا
يأخذ الحق دليلا وسبيلا
فاذا خالفني في رأيه
لم يكن فظاً ولا كان جهولا
والخصومات على علاتها
في سبيل الحق قد ترضي العقولا
يا لنفس من مني جامحة
أبداً تهفو وتهوى المستحيلا
أتمنى ان أرى مجتمعي
لوزعيّ الفكر مصقول الشعور
يرفض الزيف نهاه ويرى
وعيه اليقظان ما خلف السطور
يعشق المجد ويمشي للعلا
مستقل الفكر شفاف الضمير
المنى يا للمنى من زورق
لم يزل يجري بنا عبر العصور



إيه يا نفسُ إلى الله أنيبي ثم توبي
وإذا وسوس شيطاني بإثم لا تجيبي
واذكري الله ففي صوتك تكفير ذنوبي
وثقي أن وراء الغيب علام الغيوب
وهو الله
سبِّحي لله يا نفس وصلِّي واشكُريه
وإذا عاثتْ بكِ البلوى وهاجتْ فاذكريه
إنه الشيطان يغويك لتشقى فاحذريه
فاذا غالك إثم جامح فاستغفريه
سبِّحي الله
كم ذنوب ضَيّعتْ منّي أيام شبابي
والردى القانص جاثٍ واجمٌ طيّ ثيابي
وأنا السادر لا أدري فقد أغفى صوابي
فمن العاصم إن وافى مع الصبح كتابي؟
حسبي الله

● عليك رحمة الله (بابا طاهر) فقد أحببت هذا الاسم.. «بابا طاهر» النفس تحمل ما تحمله جياشاً متقداً فى اعماقها فيفصح عنه اللسان همسات تظل خالدة فى اعماقنا..

لبى نداء ربه (بابا طاهر) وترك لنا أعماق نفسه وروحه نتصفحها بين سطور دواوينه.

(أحلام الربيع - همسات - أغاريد الصحراء - انفاس الربيع - على الضفاف - عودة الغريب - الافق الأخضر - الشراع الرفاف - معازف الاشجان - حقيبة الذكريات - نافذة على القمر - عبير الذكريات)

● وله مسرحية شعرية بعنوان (غرام ولادة).. وله ايضا كتابه (مع الأصيل) وهو مجموعة من التأملات والدراسات النفسية مع بعض الاشعار والرباعيات.. و(العين بحر) وهو بحث يتضمن ما قاله بعض الشعراء فى العين..

غلبه حنانُ الأبوّة فأحبَّ الطفولة وأعطاها من نفسه الكثير .. وتبنّى مواهب الشباب.. فكان لهم الموجِّه والمرشد.

وبهذا العطاء الغزير الثر امتد صوت ورنين قيثارته ليسمعها المهتمون بالثقافة والأدب والفكر فى عالمنا العربى.

● عبر كل هذه الدواوين تسرى روحه ويستوقفنا تفرده.. تفرده فى الصياغة والأسلوب.. فى الكلمة والتعبير.. فى الخيال والصورة.. فى النبض والاحساس.. فى كل ذلك تجد الأستاذ الشاعر طاهر زمخشرى.

كان وافر العطاء - غزير الاراء واسع الافق.. محبا للآخرين تواقاً للخير.. فبادلوه حباً بحب ووفاء بوفاء.

شعره عالم قائم بذاته طوّف به فى عوالم متسعة الأنحاء.. تغنى فيه بوطنه:

بلادى فداؤك روحى وعينى
بنور يشع من المسجدين
بلادى بلادى بلاد الهدى
تجاوزت بالعدل أقصى المدى
فكنت نشيداً طروب الصدى
وما زال يهتف فى الخافقين

هنا كان طه ينادى الأباة
لدين ينير سبيل الحياة
فشاد البناء ودك الطغاة
ورد الاباة من الجانبين
فسل أهل بدر ومن حولها
ألم يتنادوا بأنا لها
فكان الملائك أبطالها
إذ النصر يهتف فى العدوتين
من الشرق سار الى المغرب
شعاع السراج المنير النبى
ينادى العباد الى الطيب
الى الخير والخلد والحسنيين

وفيات الأعيان

● الأديب الشاعر طاهر زمخشري ـ عليه رحمة الله ورضوانه ـ تخرج في مدرسة الفلاح وعمل في عدة وظائف ولعل أخصبها فترة عمله في الاذاعة السعودية والتلفزيون فقد قدم اكثر من (عشرين برنامجا) اهتم ببرامج الأطفال وعنى بالمواهب وتبناها ممن أصبحوا اليوم من أصحاب الاداء المتميز في الفن وغيره.. أصدر أول مجلة سعودية عربية للطفل هي (مجلة الروضه) في عام ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م..

● منحه الحبيب بورقيبة وسامين تكريماً له: وسام الاستقلال الثالث في عام ١٩٦٣م.. ووسام الثقافة الثاني في ١٩٧٤م..

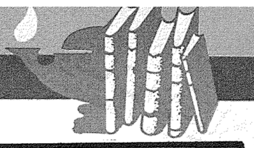
وفي عام ١٤٠٤هـ كرمته الدولة بمنحه جائزة الدولة التقديرية للأدب وتسلمها من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز..

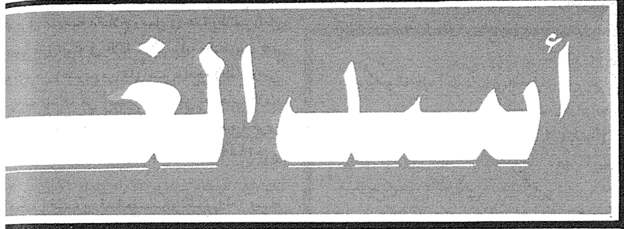
خلوتُ أسأل نفسي عن لواعجها
وعن لوافح آلامي وعن إحني
فقال لي كبدي: بلوى تحرقني
وقال لي الطرف: أشجان تؤرقني
وقال لي جسدي: حزن يمزقني
وقال لي القلب: بركان يبددني
كل شكا حالة نكراء غير فمي
فلاذ بالصمت لم ينطق ولم يَبِنِ
يخاف إن باح بالشكوى أؤاخذه
إذ لا تؤاخذ الا عثرة الُلسُنِ
فالصمت قيد إذا ما المرء لابسه
أقام في مأمن من سطوة الفتن
ومطبق الفك فوق الفك في دعة
ومرسل القول بالتهريج في محن
فقلت يا نفس ذوبي حسرة وشجى
حتما ساصمت حتى ينقضي زمني

شعره دفقات نفسه وموطن عواطفه وفكره... تغنى للخير والحب.. للوطن...

حمل في اعماقه هموم المجاهدين في سبيل الحرية والسلام وانتصار الحق:

الجوع يصرخ في البطون
والجرح ينزف في العيون
واليتم حاضنه البنون
والبؤس يقتحم الحصون
والناس تُشْوَى في أتون
وبكل ارض لاجئون
فالطفل يصرخ إيه امي
والام تهتف ياهمّي
والعرب تمخر في خضمّ
من ثورة الخطب الملمّ
تغفو بليل مدلهمّ
في مربض الهول الاصم





ثلاثة اخوة كانوا أئمة فى العلم عاشوا فى عصر الحروب الصليبية عصر الدولة الأيوبية التى كانت لها السيادة الكاملة على مصر والشام وفى ظلالها عاش العلماء الثلاثة:

(١) أبو الحسن على بن محمد الجزرى الملقب بعز الدين ابن الأثير صاحب كتابنا الذى نتحدث عنه اليوم.. وقد نشأ فى أسرةعلمية لها جلالها ومجدها ولها الشرف الباذخ فى إقليم الموصل الذى تنتمى هذه الأسرة الى قرية من قراه هى جزيرة ابن عمر يوسف الثقفى أمير العراقين.

وكان أحد المؤرخين المسلمين الأعلام فهو مؤلف كتاب «الكامل» فى التاريخ.

(٢) مجد الدين أبو السعادات المبارك «٥٤٤-٦٠٦هـ» وهومؤلف «جامع الأصول فى أحاديث الرسول».. وكتاب «النهاية فى غريب الحديث والأثر».. وكان مُحدِّثا كبيرا له شهرته فى مجال الحديث النبوى الشريف.

(٣) ضياء الدين أبو الفتح نصر الله (٥٥٨-٦٣٧) وكان أديبا شاعرا وكاتبا وناقدا وكتابه «المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر» مشهور بالنسبة الى كتب كثيرة له فى الأدب والنقد والبلاغة.

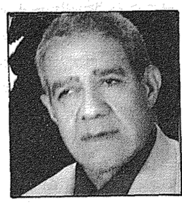
ويقول ابن حجر عن صاحب كتاب «أسد الغابة» فى أوائل القرن السابع جمع عز الدين ابن الأثير كتابا حافلا سماه «أسد الغابة» جمع فيه كثيرا من التصانيف المتقدمة».. وقد ترجم فى هذا الكتاب لسبعة آلاف وخمسمائة وخمس وأربعين صحابيا من صحابة رسول الله ﴿ﷺ﴾.

ولقد عنى العلماء المسلمون بالتاريخ لصحابة رسول الله ﴿ﷺ﴾ عناية كبيرة.. وكان من أشهر من ألف فى ذلك ابن سعد وهو محمد بن سعد الزهرى (١٦٨-٢٣٠هـ) وكتابه «الطبقات الكبرى» مطبوع ومشهور.

وممن عنى كذلك بضبط أسماء الصحابة والتاريخ لهم:

- *خليفة بن خياط (٢٤٠هـ).*
- *الامام البخارى محمد بن اسماعيل (١٩٤-٢٥٦هـ)*
- *الحافظ أبو بكر عبد الله بن أبى داود (٣١٦هـ) وكتابه «حلية الأولياء» معروف.*
- *أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى (٣٣٦-٤٣٠هـ).*
- *أبو عمر النمرى القرطبى ابن عبد البر (٣٦٨-٤٦٣هـ) صاحب كتاب «الاستيعاب فى أسماء الأصحاب» ذكر فيه ٤٢٢٥ صحابيا.*





د. محمد عبد المنعم خفاجي

- أبو موسى محمد بن عمر الأصبهانى المدنى المحدث (٥٠١-٥٨١هـ) . . وقد ألف ذيلا على كتاب ابن منده (٣٠١هـ) فى تاريخ الصحابة اشتمل على أسماء كثيرين منهم رضوان الله عليهم أجمعين . . وكثيرون آخرون من العلماء ممن عنوا بتاريخ صحابة رسول الله والتأليف فيه وممن يضيق هذا المقام عن ذكرهم .

وكتاب ابن الأثير من أجمع ما كتب فى هذا الباب ، وشهرته العلمية عند العلماء والمحدثين والمؤرخين معروفة .

■ ويقول ابن الأثير فى صدر كتابه : ان رواة سُنّة رسول الله ﴿ﷺ﴾ لم يضبطوا ولا حفظوا فى عصرهم كما فعل بالتابعين وغيرهم الى زماننا هذا» .

■ ويعرف الصحابة بأنهم الذين شهدوا رسول الله ﴿ﷺ﴾ وسمعوا كلامه وشاهدوا أحواله ونقلوا ذلك الى من بعدهم من الرجال والنساء .

ويشير ابن الأثير فى المقدمة بصنيع ابن منده وابن نعيم وابن عبد البر فى هذا الباب .

■ ويذكر سبب تأليف الكتاب بأنه قرأ ما كتبه ابن منده وأبو نعيم وأبو موسى الأصفهانى وابن عبد البر فعزم على أن يجمع بين كتبهم الأربعة ولكن الأيام لم تسعفه . . ثم يقول : واتفق أن سافرت الى البيت المقدس جعله الله داراً للاسلام أبدا فاجتمع بى جماعة من أعيان المحدثين حثوا عزمى على جمع كتاب لهم فى أسماء الصحابة استقصى فيه ما وصل الىّ من أسمائهم فثار العزم الأول وتجدد ماكنت أحدث به نفسى وشرعت فى جمعه والمبادرة إليه .

ويذكر ابن الأثير أنه رتب كتابه على حروف المعجم . . ويعنى بذكر المصادر التى رجع اليها فى تخريج الأحاديث التى أوردها فى كتابه هى ترجمة رسول الله ﴿ﷺ﴾ .

ثم يرتب تراجمه على حروف الهجاء فتأتى الترجمة للصحابى الجليل أبى اللحم الغفارى المقتول يوم حنين ثم تأتى الترجمة للصحابى أبان بن سعيد بن العاصى القرشى الأموى وهو صحابى تأخر إسلامه حيث أسلم فى أواخر عام ستة من الهجره وسبب إسلامه - كما يذكر ابن الأثير - مع ما كان عليه من الشدة على رسول الله والمسلمين أنه خرج فى تجارة الى الشام فلقى راهبا فسأله عن رسول الله وقال له : إنى رجل

من قريش وأن رجلا منا خرج فينا يزعم أنه رسول الله أرسله مثل ما ارسل موسى وعيسى، قال له الراهب وما اسم صاحبكم؟ فقال له أبان: محمد.. فرد عليه الراهب واصفا له محمداً رسول الله وسنه ونسبه فقال أبان: هو كما وصفت فقال الراهب: والله ليظهرن على العرب ثم ليظهرن على الأرض فإذا جئت مكة فاقرأ عليه مني السلام فعاد أبان الى مكة فلما سار رسول الله إلى الحديبية تبعه أبان فأسلم وحسن إسلامه وبعثه رسول الله إلى نجد على رأس سرية من المسلمين ثم ولاه البحرين بعد العلاء ابن الحضرمي.. فلما توفى رسول الله عاد أبان إلى المدينة فأراد أبو بكر أن يرده الى البحرين فأبى أبان وقال: لا أعمل لأحد بعد رسول الله وقتل ابان وأخوه سعيد يوم اليرموك فى رجب سنة خمس عشرة من الهجرة فى خلافة عمر.. وقيل: بل قتل يوم أجنادين فى جمادى الأولى سنة اثنتى عشرة من الهجرة فى خلافة أبى بكر وقبل وفاته بقليل.. وقيل بل توفى يوم مرج الصغر عند دمشق سنة أربع عشرة من الهجرة.. وقيل بل توفى عام تسعة وعشرين

ويؤيد هذا القول الأخير رواية من روى أنه قد أملى مصحف عثمان على زيد بن ثابت بأمر عثمان خليفة المسلمين.

ويترجم فى حرف الهمزة لابراهيم ابن رسول الله وأمه مارية القبطية التى أهداها المقوقس لرسول الله هى وأختها سيرين فوهب رسول الله سيرين لحسان بن ثابت فولدت عبد الرحمن بن حسان وقد ولد ابراهيم فى ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة فى مدينة رسول الله فى العالية وكانت قابلته سلمى مولاة رسول الله وبشّر أبو رافع مولى رسول الله النبى بمولده فوهب له عبدا وسر الرسول بمولده كثيرا. ثم دفعه الى امرأة بالمدينة ترضعه اسمها أم سيف.. وقال الزبير: ان الانصار تنافسوا فيمن يرضعه فجاءت أم برده من بنى النجار فكلمت رسول الله فى أن ترضعه فكانت ترضعه بلبن ابنها فى بنى مازن بن النجار وترجع به الى أمه. وتوفى إبـرهيم وهـو ابن ثمانية عشر شهراً كما قال الواقدى وقيل: توفى عن ستة عشر شهرا وثمانية أيام.. وصلى عليه رسول الله ﴿ﷺ﴾ ودفن بالبقيع وكان إبراهيم فى حجر أمه يجود بنفسه فأخذه رسول الله فوضعه فى حجره وهو يقول **«يا ابراهيم انا لا نغنى عنك من الله شيئا»**.. ثم ذرفت عيناه بالدموع ثم قال صلى الله عليه وسلم:

«يا إبراهيم: لولا أنه أمر حق.. ووعد صدق.. وإن آخرنا سيلحق أولنا لحزنا عليك حزنا هو أشد من هذا.. وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون تبكى العين.. ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب.

ولما توفى ابراهيم اتفق أن الشمس كسفت يومئذ فقال قوم: إن الشمس انكسفت لموته فخطبهم رسول الله فقال: إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله والصلاة.

وهكذا يستمر ابن الأثير فى تراجمه لصحابة رسول الله علما محققا ومدققا ومحاورا ومناقشا لمختلف الروايات ومخرجا للأحاديث ومسندا لها وضابطا للأعلام.

■ ولا يذكر من الأعلام إلا من لقى رسول الله ﴿ﷺ﴾ وسمع كلامه وشاهد أحواله.. ويعيب على من ترجموا للصحابة حين يعدون الأحنف بن قيس وهو لم يلق رسول الله وكان ظهوره فى خلافة عمر وإن كان عاش فى حياة النبى ولكنه لم يره ودليل أنه شاهد عصر الرسول أنه لقى عمر فى وفد أهل البصرة وهو رجل من أعيانهم. ويقول ابن الأثير فى صدر كتابه عن الأحنف: «ولا أعلم لم ذكروه وغيره ممن هذه حاله فإن كانوا ذكروهم لأنهم كانوا موجودين على عهد

رسول الله مسلمين فكان ينبغى أن يذكروا كل من أسلم فى حياة الرسول ووصل اليهم اسمه» مقدمة الكتاب.

■ وأول علم يذكره ابن الأثير فى حرف الباء هو «باقوم الرومى». وكان نجاراً بالمدينة فأسلم وهو مولى سعيد بن العاصى وهو الذى صنع لرسول الله منبره ثلاث درجات.

ويترجم لبلال بن رباح الحبشى فيذكر أنه شهد بدرا والمشاهد كلها وأنه كان من السابقين الى الاسلام وممن عذب فى الله فصبر على العذاب وكان يؤذن لرسول الله فى حياته سفراً وحلا.. وهو أول من أذن له فى الاسلام. وأقام فى الشام بعد وفاة رسول الله مجاهدا ولم يؤذن بعد رسول الله لأحد فلما دخل عمر الشام أذنّ له مرة واحدة ولم يُرَ باكيا أكثر من ذلك اليوم، ومات بلال سنة ١٧هـ أو ١٨هـ وقيل سنة ٢٠هـ بدمشق.

ويذكر ابن الأثير أن بلالا قدم من الشام لزيارة مسجد رسول الله فأقبل الى المدينة فأتى قبر رسول الله فأقبل الحسن والحسين فأخذ يقبلهما ويضمهما إلى صدره فقالا له: نشتهى أن تؤذّن فى السحر فعلا سطح مسجد رسول الله فارتجت المدينة حين سمعت صوت بلال مؤذن رسول الله.

ويترجم للحسن بن على بن فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين «٣-٤٩هـ» وفيه وفى الحسين أخيه قال رسول الله: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.. وقال فيهما هما ريحانتاى من الدنيا.

كما يترجم ابن الأثير للحسين بن على «٤-٦١هـ» سيد الشهداء.. ويترجم لخالد بن الوليد القائد البطل أو صاحب النصر فى معركة اليرموك وغيرها من كبريات المعارك فى الاسلام وتوفى خالد بحمص من الشام سنة احدى وعشرين فى خلافة عمر.

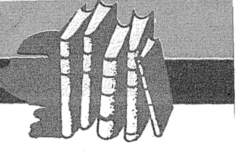
ويخصص ابن الأثير آخر الكتاب لتراجم الصحابيات من النساء ويرتبهن كذلك على حروف المعجم صحابية إثر صحابية.

●● والكتاب بحق موسوعة كبرى فى تاريخ الاسلام وأعلامه فى عصر رسول الله والخلفاء الراشدين وصدر من بنى أمية ولا يستغنى عنه مؤرخ يريد أن يؤرخ لحياة المسلمين فى تلك الحقبة الخالدة من تاريخ الاسلام كما لا يستغنى عنه مؤرخ لسيرة رسول الله ولسيرة أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين.. والكتاب فى جودة تحقيقاته وفى تثبت صاحبه فى الأخبار والروايات وفى كل ما يورده من أسباب وحقائق تاريخية واسلامية مثل يحتذى وعمل جليل ينتفع به.

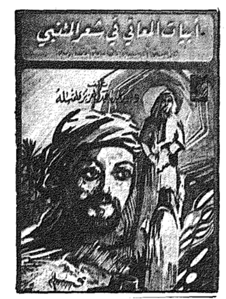
وهو مطبوع عدة طبعات منها طبعة فى إيران وأخرى فى القاهرة فى دار الشعب إضافة الى طبعات أخرى كثيرة.

وهكذا كان لابن الأثير المؤرخ عمل كبير فى تاريخه لصحابة رسول الله ﴿ﷺ﴾ فى هذا الكتاب الخالد كما كان له عمل كثير فى تأريخه لدول الاسلام وملوكه الى عصر الحروب الصليبية حتى عام ٦١٦هـ.. وعاش ابن الأثير المؤرخ وأدرك طرفا من غارات التتار على شرقى العالم الاسلامى ثم مات عام ٦٣٠هـ/١٢٢٣م ودفن بالموصل قبل سقوط بغداد فى أيدى التتار وانتهاء الخلافة العباسية بستة وعشرين عاما وكان النذير للمسلمين فى كتابه «الكامل» بما يهدد الاسلام والمسلمين على أيدى التتار من نكبات لا يتصورها عقل.

وإذا كان ابن الأثير المؤرخ قد انتقل الى عالم الخلود منذ ٧٦٠ عاما ميلاديا فإن كتابيه «أسد الغابة» و«الكامل» لسان ذكر له فى كل مكان منذ وفاته حتى عصرنا ـ رحمه الله ـ.



أبيات المعاني في شعر المتنبي



تأليف الدكتور

عبده عبد العزيز قلقيلة

●●●●●●●

عرض

نادر صلاح الدين

(وليس فى الأرض بيت من أبيات المعانى لقديم أو محدث إلا ومعناه غامض مستتر ولولا ذلك لم تكن إلا كغيرها من الشعر . ولم تفرد فيها الكتب المصنفة . . ولم تشغل باستخراجها الأفكار البارعة) .

بذلك النص التراثى من كتاب «الوساطة بين المتنبى وخصومه» للقاضى على بن عبد العزيز الجرجانى ـ صدر الدكتور عبده عبد العزيز قلقيلة دراسته الأدبية النقدية المقارنة لأبيات المعانى فى شعر المتنبى ـ يقع ذلك الكتاب القيِّم فى حوالى ٢٤٨ صفحة من القطع العادى وهو من إصدارات الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون .

أبيات المعانى . . أبيات تحتاج الى وقفة تطول حتى يتلمس قارؤها معانيها المقصوة فهى أبيات غامضة وكما يذكر المؤلف فهناك من وسَّع مفهومها حتى جعلها (كل شعر فيه نتوء تحول دون دخوله فى الذهن أو يعوق فهم الذهن له فهماً سليماً مستقيماً) .

● والمؤلف يعرض لنا من ألف فيها على الاطلاق وهم كثير منهم : الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة (ت ٢١٠ هـ) . . أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعى (ت ٢١٦ هـ) . . أبو عبيد االقاسم بن سلام (ت ٢٢٣ هـ) . . أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلى (ت ٢٣١ هـ) . . أبو العميثل عبد الله بن خليل مولى جعفر بن سليمان (ت ٢٤٠ هـ) . . ابن عبدوس على بن محمد الكوفى (ت ٢٤٥ هـ) . أبو عثمان سعيد بن هارون مسلم بن الاشناندانى (ت ٢٤٧ هـ) . أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) . . أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (ت ٢٧٦ هـ ، وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١ هـ) .

أما أبو الطيب المتنبى فكما يذكر المؤلف جاء بأبيات المعانى عجيبة غريبة ـ يحار الناس فى تفسيرها وتأويلها ـ ونشأ له حواريون فى مقدمتهم ابن جنى الذى ألف فيه كتابين هما (الفسر الصغير) و(الفسر الكبير) تناول فيهما من قذفه ومن عطف عليه .

منهج د. عبده قلقيلة :

فى هذه الدراسة اقتصر المؤلف على هؤلاء الذين قصروا بحوثهم وتفسيراتهم على مشكل شعر المتنبى أو أبيات المعانى فى شعره ـ وهم خمسة فتناول عشرة نماذج من كل كتاب عارضاً لموضوعات أخرى فى شعر المتنبى مثل سرقات المعانى والقيمة الفنية للأدب والأدب الموجه وخص المؤلف كل فصل بكتاب . . لذا جاء كتابه فى خمسة فصول وخاتمة واستطاع بدراسته النقدية المقارنة ان يجمع خمسة كتب تراثية .

فى الفصل الاول: عرض الدكتور لأبى القاسم الأصبهانى وكتابه ـ الواضح فى مشكلات شعر المتنبى فقدم لمحة سريعة عن أصبهان ثم ترجم لأبى القاسم والظروف التى ألف فيها «الواضح» وخرج المؤلف بإثبات علم وتأدب الأصفهانى وأصالته وبعده عن التقليد معتمداً على تعليقاته ونقده اللغوى والأدبى لابن جنى.

وجاء الفصل الثانى: عن ابن فورجة وكتابه «**الفتح على أبى الفتح**» ومن النماذج التى عرضها لابن فورجة وبلغت سبعاً واربعين ومائتى نموذج وما اشترك فيه مع ابن جنى وبلغ واحداً وعشرين ومائة نموذج ـ انتهى الدكتور الى أن ابن فورجة لم يخرج عن منافسته لابن جنى فى شرح شعر المتنبى كما أنه متساو مع الأصبهانى فى أسلوب شرح أبيات معانى المتنبى». .

وفى الفصل الثالث: عرض الدكتور لابن سيده وكتابه «شرح مشكل شعر المتنبى» وانتهى الى ان ابن سيده تعامل مع ابيات المعانى رأساً فلم يتأثر بمن سبقه كما كان الاطناب طابعاً مميزاً له.

أما الفصل الرابع: فكان عن ابن بسام وشطر كتابه سرقات المتنبى ومشكل معانيه. . ذلك الكتاب الذى عالج فيه اثنتين وعشرين ومائتى نموذج موزعة على سبعة عشر باباً، وشرحه كما يذكر د. قلقيله شرح موجز ايجازاً شديداً حتى بدا كأنه تعليقات على الأبيات ومنه ما كان جزئياً ومنه ما جاء غامضاً، وبين المؤلف الأمور التى وضعها ابن بسام لاعتبار البيت من ابيات المعانى وهى ما فى البيت من صورة أو صور بلاغية. . ما فيه من اشاره أو اشارات تاريخية ما فيه من ألغاز، ما فيه من تبرير حكم، وما فيه من بديع اقتضاء. .

والفصل الخامس والأخير: عرض فيه للقاضى الحضرمى وكتابه (تنبيه الأديب على ما فى شعر أبى الطيب من الحسن والمعيب.)

لا شك أن القارىء يتلمس بين آن وآخر. . وسط المتنبى وشراحه ـ ابن جنى، أبى القاسم الاصبهانى. . ابن فورجة. . ابن سيده. . ابن بسام. . القاضى الحضرمى ـ يتلمس آراء المؤلف ظاهرة جليه وتعليقاته ومقارناته ونقده العلمى الموضوعى ـ مثال على ذلك، بعد أن عرض شرح ابن جنى وأبى القاسم الأصبهانى لبيت المتنبى:

فتبينت تسند مسنداً فى نيها
اسادها فى المهمه الأنضاء

يقول فى تعليقه هنا: المفسران لم يختلفا فالشرحان متفقان لكأنهما شرح واحد، بل إنهما كذلك كل ما هنالك أن ابن جنى شرح فقط أما أبو القاسم فقد شرح ونقد ونقده مزدوج شقه الأول: إدانته للمتنبى بأخذ المعنى من أبى تمام الذى أخذه ـ بدوره ـ من البيتين المذكورين بعد بيته. . وشقه الثانى: فنى يتمثل فى قوله: إلا أنه عقّد الألفاظ وعوّصها وأظلم المعنى. . والأصبهانى محق فى هذه المؤاخذة المزدوجة للمتنبى ولو أنه سالم ابن جنى فالمتنبى بحق عقد الألفاظ وعوصها وأظلم المعنى). . الكتاب ص ٢٦، ٢٨.

ومثال آخر: بعد عرض شرح ابن فورجة وتعليقه على كلام «**الصاحب كافى الكفاة**» فى أوراقه: مساوىء المتنبى حول مطلع قصيدة المتنبى التى يعزى بها سيف الدولة عن عبده (يماك) التركى الذى مات بحلب سنة ٣٤٠هـ ويقول فيه:

لا يحزن الله الأمير فإننى
لآخذ من حالاته بنصيب

يعلق الدكتور قائلا: «انتهى كلام ابن فورجة وهو دحض لرأى الصاحب فى بيت المتنبى وتفنيد له والحق معه فقد أخطأ الصاحب حينما حول الكلام عن مجراه بجعله خبرياً لا طعم ولا لون ولا معنى له بينما هو انشائى بلاغى غرضه الدعاء لصاحبه وصفه سيف الدولة فى مناسبة حزينة لا يملك الصديق لصديقه فيها إلا مشاركة وجدانية يعبر عنها عمليا أو تلغرافيا بالمشاطرة فى الاحزان وبالدعاء له وللفقيد بالصبر والمغفرة (الكتاب ص٨١ـ٨٤).

والمجال لا يتسع للحصر فما من موضع إلا وللدكتور فيه رأى ولذا جاءت دراسته أدبية نقدية مقارنة وضع فيها ـ كما ذكر ـ اجتهادات العلماء فى فهم أبيات المعانى موضع الدراسة المباشرة كلياً وموضوعياً ونفذ من خلالها الى أبيات المعانى نفسها فقلبها على وجوهها ـ وهى بذلك أول تقييم لمن شرح ونقد أبيات المعانى وأول موازنة بينهم وكان من نتائج الدراسة تناولها للعلماء الذين عرضوا لأبيات المعانى بالشرح والنقد والرجوع الى قصائد الأبيات والنظرة اليها فى سياقها والموازنة بين دلالاتها فى قصائدها وعند شراحها الذين أخرجوها من ديوانها.



قال أبو تراب: جاء فى كتاب الإبدال لأبى الطيب الحلبىّ (ج٢ ص٤٠٢) .. يقال إسرائيل وإسرائين، قال الراجز:

قد جرتِ الطيرُ أيامِنينا
قالت: وكنتُ رجلًا فطينا
يقول أهل السوق لمّا جينا
هذا وعهد الله اسرائينا

وفى الابدال للزجاجى (ص٩٣): إسرائيل وإسرائين، وأنشد الفرّاء:

(هذا وعهد الله إسماعينا)

قال أبو تراب: هذا تصحيف والقصة الآتية تدل على انه اسرائين.

وفى الابدال ليعقوب (ص٩): وأنشد الفراء:

(هذا وربّ البيت إسرائينا)

قال أبو تراب: النون تبدل من اللام ومن ذلك اسماعين واسرائين، وجبرين، وميكائين وإسرافين، وإيل تلحق الاسماء العبرانية وقيل: معنى اسرائيل نَذْرُ الله.

وفى سمط اللآلىء للبكرى (ج٢ ص٦٨١): أنشد ابو على (ج٢ ص٤٦) وذكر الأشطار المذكورة بلفظ (إسرائينا) ثم ذكر الشارح عن الفراء قال: صاد أعرابى ضبًّا فأتى به السوق ليبيعه فقيل له: انه مسخ من بنى اسرائيل فقال:

مالكِ يا ناقةُ تأتلينا
علىّ والنِّطافُ قد فنينا

وبقية الأشطار كما سبق، هى فى شواهد العينى (ج٢ ص٤٢٥) والمعرب للجواليقى (ص١٤) والشاهد فى (هذا وبيت الله اسرائينا) فى همع الهوامع ص١٥٧ والدر اللوامع (ص١٣٩) وقال صاحبها: لم أعثر على قائلها وانظر ليس فى كلام العرب (ص٩٢) واللسان والتاج فى (فطن/يمن) والمخصص (ج١٣ ص٢٨٢) وانتصاب اسرائينا من ثلاثة وجوه أحدها إضمار فعل (أرى هذا إسرائينا) وثانيها ان إسرائى لغة فى اسرائيل تقول: هذا إسرائينا وثالثها تريد هذا إسرائيننا ثم حذفت النون الواحدة لاجتماع النونين.

وفى المعرّب للجواليقى (ص١٤) ذكر اسرائيل من الأسماء الأعجمية ثم قال: فيه لغات قالوا: إسرالُ وقالوا: اسرائيلُ، وقالوا ايضا اسرائينُ بالنون، قال أمية على إسرال:

قال ربّ إنى دعوتك فى الفجر
فأصلح على يدىّ اعتمالى
إننى زارد الحديد على الناس
دروعا سوابغ الأذيال
لا أرى من يُعيننى فى حياتى
غير نفسى الا بنى إسرال



وقال أعرابي صاد ضَباً فجاء به الى أهله، وقال: أنشده الحربيُّ:

يقـول أهـل الســوق لما جيـنـا
هذا ورب البـيـت إسـرائـيـنـا

وقال: أراد إسرائيل أي مما مُسخ من بني اسرائيل وكذلك نجد العرب اذا اوقع اليهم ما لم يكن من كلامهم تكلموا فيه بألفاظ مختلفة.

ونقل النووي في تهذيب الأسماء (ج ١ ص٩٨) عن ابن قتيبة قال: تحذف الألف من الأسماء الأعجمية وذكر منها اسرائيل استثقالاً لها كما تُركَ صرفُها فأما ما لا يكثر استعماله فلا تحذف في شيء منها:

قال أبو تراب: ورد في كتاب الأفعال للسرقسطي (ج١ ص١٠٧) قال: عمرو بن أذنية:

ان تك عن أحـسـنِ لمروءة مأفـو
كاً ففـي آخـريـنَ قد أفِـكـوا

معناه: إن لم تُوَفَّق للاحسان فأنت في قوم قد صُرِفُوا عن ذلك ايضا.

وهكذا هو في اللسان واسم الشاعر مُصَحَّف ولم يصحه محقق الأفعال حسين شرف ومهدي علام مع كون اسم القائل ورد صحيحاً في الصحاح والتاج والأساس وهو عروة ابن أُذَينه.

قال أبو تراب: جاء في نهاية ابن الأثير قوله صلى الله عليه وسلم: «لولا ربيعة لائتفكتِ الأرض بمن عليها أي انقلبت، رواه بشير بن الخصاصية، وفي الفائق: للزمخشري: بشير بن الخصَّاصيَّة، وتبعه في اللسان طبعة بولاق وطبعة دار المعارف الأخيرة التي حققها أعضاء المجمع اللغوي والصحيح كما في المشتبه للذهبي وابن ماكولا والاصابة: بشير بن الخَصَاصِيَة.

جاء في اللسان وتاج العروس قال رؤبة:

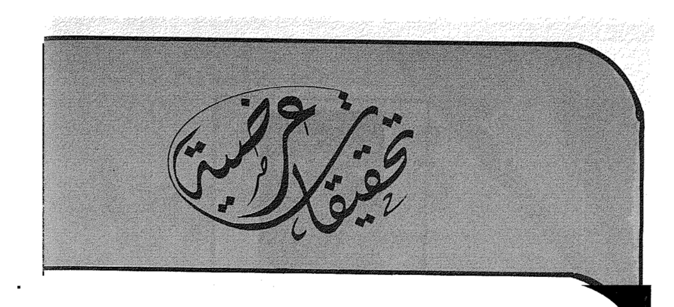
(وجونِ خرقٍ بالرياح مؤْتفك)

أي اختلفت الرياح عليه من كلِّ وجْه.

قال أبو تراب: وهذا خطأ والصواب: «وجوزِ خرقٍ» كما في تهذيب الأزهري (أفك) ولم يصححه عبد السلام هارون في تنبيهاته على اللسان، ونبه عليه عبد الله الكبير مصحح المعارف بمصر.

قال أبو تراب: ذكر في اللسان أن الأفيكة كالأفيقة وزنا ومعنى ويحتمل عندي أن يكون من الابدال وهذا كالأفك والأفن بمعنى ضعف العقل والرأي، وهو من الابدال كما في اللسان عن مجاهد واستدركه التنوخي على الابدال لأبي الطيب الحلبي.

قال أبو تراب: لم يذكر ابن الجوزي في غريب الحديث مادة الأفك مع أنها تكررت في الحديث ولم يذكرها ايضا ابو موسى المديني في مجموعه، وذكرها الخطابي وابن الأثير وغيرهما.



السيد تقي الدين (الدكتور) ـ أصول البحث الأدبي ومناهجه ـ البحث في مصادر التاريخ الديني ـ دراسة علمية ـ القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٨٤-٢١٤ص.

١ ـ هكذا جاء في العنوان على الغلافين: «. . . . البحث في مصادر التاريخ الديني . . .» ولا رائحة للتاريخ الديني في الكتاب. أيبلغ الخطأ المطبعي هذه الدرجة؟ ويبقى مع ذلك على الغلافين؟.

٢ ـ يتحدث المؤلف (ص ص ٢٦-٣٤) عن «جمع الدواوين وتصنيف المختارات» ولكنه وهو المؤلف في منهج البحث يعتمد مراراً وتكرارا وكلًّا وجزءاً على مرجع ثانوي وسيظل يعود اليه. . وانه ليعتمد في كثير من أموره على مراجع ثانوية فيبدو ملخصاً ومن ذلك «أنواع البحوث ومراحلها» (ص ص ١٢٩) «معنى كلمة المنهج» (ص ١٤٥) «تاريخ الأدب العربي بين المناهج والأصول الفنية» (ص١٦١) «نظرة عامة على المنهج وأنواعه (ص ١٤٣)

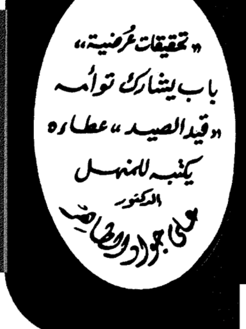
٣ ـ ص ٥٩ «أبو حيان التوحيدي ٤٠٠هـ» ومن قال إن أبا حيان التوحيدي توفى سنة ٤٠٠هـ؟ المحققون يرجحون ـ بل يؤكدون ـ وفاته بعد الـ ٤٠٠، ومنهم من جعلها سنة ٤١٤.

٤ ـ الفصل الرابع (ص٦٣) «أشهر كتب الأندلس . . العمدة لابن رشيق» ومن قال ان ابن رشيق أندلسي ليكون كتابه «العمدة» أندلسيا؟ ألم يكن لقبه الثابت: القيرواني فهل القيروان أندلسية؟ في اخبار ولادته بالمسيلة (المغرب) ثم رحل الى القيروان (تونس) ثم انتقل الى جزيرة صقلية وأقام بمازر إحدى قراها (أو مدنها) الى أن توفى فأين الأندلس جغرافية وتاريخاً من هذه المواقع.

٥ ـ القاضي أبو الحسن الجرجاني (٢٩٠-٣٦٦؟). . في كتابه الوساطة». ولم اختيار عام ٣٦٦ لوفاته؟ انه الرواية الأضعف اذا كان ولا بد وإلا فقد ثبت الخطأ فيها والصحيح هو الرواية الثانية ٣٩٢هـ ـ ينظر كتاب الدكتور محمود السمرا عن القاضي الجرجاني.

٦ ـ ص ص ٩٣ ـ ٩٤ «وللمرزباني . . . كتاب الموشح . . فلتكن لنا وقفة مع هذا الكتاب» وقد وقف ولكن كم وكيف؟ ستة أسطر وثلاث كلمات وماذا قال: «لمح المرزباني في هذا الكتاب المدارس الأدبية لمحاً خفيفا حين قسم الشعراء هذه القسمة الثلاثية: الشعراء الجاهليون والاسلاميون والمحدثون. . المدارس الكبرى التي اقتسمت الشعر العربي: المدرسة الجاهلية والاسلامية والمحدثة».

أهذا كل ما يقال في «وقفة»؟ ثم ما هذه المدارس، الكلمة التي لم تمر ببال المرزباني، وهل العصور مدارس؟ ويحيل في الهامش على «المرجع السابق ص ١٣٤ ـ ١٣٥» والمرجع السابق هو تاريخ بغداد للخطيب البغدادي واين للبغدادي كلمة ـ المدارس هذه؟ ثم إن «المنهج»



يمنع هذه الوقفة فى فصل عنوانه «كتب تراجم الأدباء» وما كان الموشح ليكون كتاب تراجم أدباء.

٧ ـ ص ٩٩ «معجم الأدباء لياقوت . . ومن المؤسف أن هذا الكتاب لم يتضمن تراجم الشعراء . .» لا موجب للأسف لأن ياقوت كتابا آخر خاصاً بالشعراء ـ لم يصل الينا ـ اسمه : معجم الشعراء.

٨ ـ ص ٢٠٥ « أهم المراجع» ألا يعلم منهج البحث الطالب طريقة علمية لتسلسل المراجع أية طريقة منهجية ولتكن على حروف الهجاء؟ ولكن أى شيىء من أية طريقة لم تتبع.

٩ ـ يبدو أن سببا ملحاً جداً ـ أو أسبابا ملحة جداً ـ دفعت الدكتور السيد تقى الدين الى تعجل فى تأليف كتابه العتيد.

مدخل الى علم اللغة ـ الدكتور محمد حسن عبد العزيز . . القاهرة، دار النمر للطباعة ١٩٨٣ ـ ٣٣٦ص.

١ ـ الكتاب جيد والمؤلف علمى ولكن الايجاز الشديد يجعله بعيداً عن متناول القارىء ويمكن أن نحول أبوابه الخمسه الى خمسة كتب.

٢ ـ ص ١٨٠ «المتوفي»، «المتوفي» بالياء ـ والصحيح المتوفى ـ بالألف ولابد من رد الخطأ الى المطبعة والخشية أن يشيع الخطأ وقد شاع أو كاد.

٣ ـ ص ٢٦٢ «كانت السريانية منتشرة فى (الرها) و(نصيبن) . . صحيح نصيبن : نصيبين.

٤ ـ ص ٢٦٢، «يرى بعض الباحثين أن النحو العربى نشأ متأثراً بالنحو السريانى وكانت السريانية منتشرة فى (الرها) و«نصيبن» (نصيبين) وغيرهما من المناطق المجاورة للعراق موطن النحاة العرب الأوائل :

أ ـ من هؤلاء الباحثون؟

ب ـ واذا كانت «الرها» و«نصيبين» . . مجاورتين للعراق . . فانها ليستا مجاورتين للبصرة أو الكوفة.

ج ـ صحيح أن الكتاب «مدخل» قائم على التعليم الوصفى . . ولكن الحسن فى هذه الحال قليل من المناقشة.

د ـ لم ينشأ النحو عند بعض الأمم أصيلا . . ولم ينشأ أصيلا عند العرب؟ الأصالة العربية أولى بدليل مجموع ظروف النشأة بين اعتزاز العرب بلغتهم واختلاطها لدى الانسياح فى العراق وغيره بغيرها وتأثرها . . ثم . . ثم هذا الدين المتمكن من النفوس و«القرآن» العزيز عليها وان أى لحن يبدو فظيعا للفصيح وكفراً للمؤمن، ولابد من تدارك الحال وان للذين تصدوا للأمر من الذكاء ـ والعبقرية ـ ما يؤهلهم للابداع.

القارئ العزيز

الصحافة جزء لا يتجزأ من المجتمع وهى عينه الباصرة الناقدة ولا غرو فى ذلك . . ومن هنا تحمل على عاتقها عبء ومسؤولية الملاحظة الدقيقة الواعية لما يستجد فى المجتمعات فى نطاقها الواسع على مساحة عالمنا الاسلامى والعربى مما قد تكون له عواقبه السيئة على هذه المجتمعات .

ومجلتكم المنهل إذ تخصص هذه الصفحات وهذا الملف لتطرح فيه موضوع (المخدرات) ـ هذا الوباء القاتل ـ فانها تنطلق فى ذلك من مسؤوليتها وواجبها الدينى والاجتماعى والانسانى نحو أمتنا الاسلامية والعربية وما يمليه عليها واجب التوجيه نحو حياة أفضل . . وحرصاً على اعطاء هذا الموضوع حقه فإنا نستهل هذا (الملف) بنشر البيان الصادر من وزارة الداخلية فى هذا الخصوص . . وذلك لتنبيه متعاطى ومروجى المخدرات عموماً بالعقوبات الصارمة . . ومن هنا يتأكد دور الباحثين والمفكرين والمهتمين بهذا الموضوع لبيان خطر المخدرات على الفرد والمجتمع صحيا واجتماعيا واقتصاديا . . وقد ثبت انها وراء الكثير من الكوارث والجرائم من هتك للاعراض وازهاق للارواح البريئة وغيرها . . ونسأل الله سبحانه ان يهدينا سواء السبيل .

المنهل

بيان من وزارة الداخليه

انطلاقا من اهتمام خادم الحرمين الشريفين بكل ما من شأنه حماية مجتمعنا الآمن المسلم من الشرور والجرائم المدمره وفقا لأحكام الشريعة الاسلامية العادلة.

ونظرا لتمادى بعض المنحرفين والمجرمين فى تهريب وترويج المخدرات المفسدة للروح والبدن فقد أصدر مجلس هيئة كبار العلماء بالاجماع قراره رقم ١٣٨ بتاريخ ٢٠/٦/١٤٠٧هـ متضمنا ما يلى:

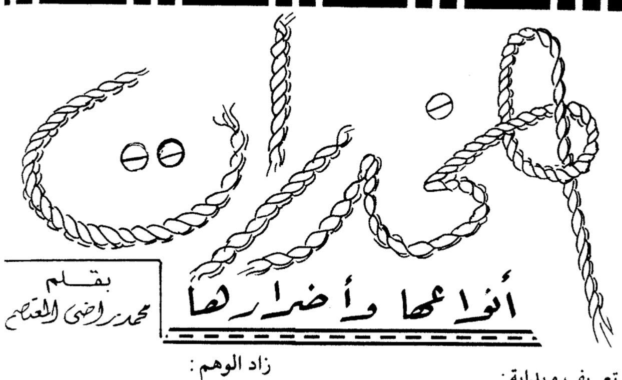
أولا: بالنسبة للمهرب للمخدرات فان عقوبته القتل لما يسببه تهريب المخدرات وادخالها البلاد من فساد عظيم لا يقتصر على المهرب نفسه واضرار جسيمة واخطار بليغه على الأمه بمجموعها ويلحق بالمهرب الشخص الذى يستورد أو يتلقى المخدرات من الخارج يمون بها المروجين.

ثانيا: أما بالنسبه لمروج المخدرات فقد أكد المجلس قراره رقم (٨٥) وتاريخ ١١/١١/١٤٠١هـ الذى نص على أن من يروج المخدرات فان كان للمرة الأولى فيعزر تعزيرا بليغا بالحبس والجلد أو الغرامة الماليه أو بهما جميعا حسبما يقتضيه النظر القضائى وان تكرر منه ذلك فيعزر بما يقطع شره عن المجتمع ولو كان بالقتل لأنه بفعله هذا يعتبر من المفسدين فى الأرض ومن تأصل الاجرام فى نفوسهم.

وبناءا عليه فقد صدر أمر خادم الحرمين الشريفين المبلغ لكل من وزارة العدل ووزارة الداخلية برقم ٤/ب/٩٦٦٦ وبتاريخ ١٠/٧/١٤٠٧هـ بالعمل بموجبه وتعميمه على المحاكم.

ووزير الداخلية اذ يعلن ذلك لكافة المواطنين والمقيمين ليأمل مخلصا أن يكون هذا القرار المستمد من أحكام شريعتنا الغراء قرار خير ونفع للمجتمع ووسيلة تذكير وانذار وردع للمتورطين فى هذه الجرائم ويدعوهم الى التوقف الفورى عن أعمالهم ويؤكد أن وزارة الداخلية ستقوم بتنفيذ الأحكام المقرره هذه حال صدورها من المحاكم الشرعية المختصه وبعد اقرارها من مقام خادم الحرمين الشريفين ومن أنذر فقد أعذر.

والله من وراء القصد . . . ،



تعريف وبداية :

يعرف المخدر لغة بأنه المادة التى تحدث فى الجسم ثقلا وشعوراً بالكسل(١) وله تعريفان أحدهما علمى والآخر قانونى :

التعريف العلمى : المخدر مادة كيميائية تسبب النعاس والنوم أو غياب الوعى المصحوب بتسكين الألم(٢).

التعريف القانونى : المخدر مجموعة من المواد تسبب الادمان وتسمم الجهاز العصبى ويحظر تداولها أو زراعتها أو صنعها إلا لأغراض يحددها القانون ولا تستعمل إلا بواسطة من يرخص له بذلك(٣).

زاد الوهم :

والمعروف أن الفرد يقبل على تعاطى المخدرات لأنه يعتقد أنها تحقق له متعاً ثلاثا(٤):

(١) إفاضة نوع من الراحة فى جسمه المتعب وأعصابه المرهقة وذهنه المكدود . . وهذا وهم . . فواقع الأمر أنها تؤثر على مراكز الحس والتفكير فيفقد الفرد كل شعور بما هو فيه فقداناً مؤقتاً ثم تعود حالته إلى ما كانت عليه مضافاً إليها الارهاق الذى خلفته هذه المخدرات.

(٢) خلق جو من السعادة والهناءة . . وهذا وهم . . فالمسألة ـ كما قلنا ـ ان المخدرات تؤثر على وعى الفرد، فيعيش فى أحلام كاذبة تزول مع زوال المخدر.

(٣) تمنحه قوة جنسية . . والحقائق تكذب هذا الادعاء، إذ أن الفرد وهو تحت تأثير المخدر لا يحسن تقدير الوقت مما يهيىء له أنه أمضى وقتاً أطول فى العملية الجنسية، ومن الناحية العلمية (أيضاً) فالتعاطى يؤثر سلبياً على النشاط الجنسى.

أنواعها :

والعلماء متفقون على تقسيمها الى ثلاث مجموعات :

الأولى: المنبهات والمنشطات مثل: المورفين والكوكايين والهيروين.

الثانية: المهدئات مثل: الأفيون والحشيش والأقراص المنومة.

الثالثة: المهلوسات مثل: (ل. س. د)، والمارجوانا.

وقد تكون صلبه أو سائلة أو مسحوقاً ناعماً أو بلورياً أو فى شكل أقراص أو كبسولات وفقا لطبيعة ونوع المخدر(٥).

أضرارها :

لا يشك شاكٌ فى أن المخدرات تدمر العقول والأبدان . .

وانها ضارة ومهلكة للفرد والأسرة والمجتمع.

ولذلك فليس من قبيل الدعاية أن نقول: إن المدمن يدمر عقله بنفسه ويودى بحياته ويتلف ماله ويضيع مستقبله ويخرب بيته.

يكفى المجتمعات تدميرا أن تنتشر فيها المخدرات ومشتقاتها .

ومعلوم أن المدمن انسان فوضوى غير ملتزم فعلى سبيل المثال هو لا يقوم بأداء فرائض الله عز وجل . . وليس حريصاً على فعل الطاعات وتجنب المحرمات . . وكأن هذه السموم التى يتعاطاها قد أحيت فيه كل باعث إلى الشر والعدوان وكل هاتف الى الاثم والمنكر والعداوة والبغضاء . . فلا صلة بربه ولا ذكر له ولا خشية منه ولا مراقبة له(٦).

ولانه أصبح غير قادر على الانضباط والالتزام فانه ـ لا محالة ـ مهمل فى القيام بواجباته تجاه أسرته ومجتمعه.

الأمر الذى يؤدى إلى خراب البيوت وتفكك الأسر وتشرد الأبناء . .

رحم الله قطب الدين العسقلانى إذ يقول: فى الحشيشة مائة وعشرون مضرة دنيوية وأخروية . .

(نذكر منها):

انها تورث الضجر من الناس . . . وتسقط المروءة وتفسد الفكرة، وتولد الخيال الفاسد ونسيان الحال والمال والفراغ من أمور الآخرة

وتنفى الفتوة.. وتورث الكسل عن الصلاة وحضور الجماعات والوقوع فى المحظورات وجماع الآثام....»(٧)...

ومن الناحية الصحية:

فهى تؤثر على جميع خلايا الجسد خصوصاً الخلايا العصبية بالمخ والجهاز العصبى وكذلك بعض العضلات ومعروف أن جميع المدمنين يصابون بتليف الكبد والامساك المزمن، وسوء الهضم، واضطراب التنفس وغيره)(٨)

ومن الناحية الاقتصادية:

فالمخدرات كما تفتك بالعقول والأبدان تفتك أيضاً بالاموال: أموال الفرد وأموال الأمة.

فالمدمن يسخر أمواله من أجل تأمين متطلباته واحتياجاته من هذه السموم.

والدولة مضطرة الى أن تخصص جزءاً من ميزانيتها يوجه لمكافحة أخطارها ولبناء المصحات العلاجية.

وبدون شك فإن هذه الأموال ـ وهى كثيرة ـ كان الأولى والأجدر أن تبنى بها المدارس والمصانع والمزارع وأن توجه لتحقيق حاجيات المجتمع الضرورية (المأكل ـ الملبس ـ المسكن ـ التعليم ـ الدفاع.. و...).

ومن جهة أخرى فالتعاطى يقلل من إنتاجية الشخص سواء أكان يؤدى عملا يدوياً أو فكرياً..

ومن الناحية الأمنية:

فالمدمن لا يتورع عن ارتكاب أبشع الجرائم ـ قتل ـ سرقة ـ تزوير ـ نصب ـ من أجل الحصول على الأموال التى يشترى بها المخدرات وقد قرأت فى إحدى المجلات العربية تصريحاً لأحد رجال الأمن العرب ذكر فيه:

أن ٩٩٪ من المدمنين على تعاطى (الهيرويين) لم يقفوا عند حد الادمان فقط.. بل انقلبوا إلى الاتجار فيه، وتثبت الوقائع كل يوم صحة هذه النظرية.. فمعظم الذين تم القبض عليهم كانوا جميعاً مدمنين وعندما ضاعت ثرواتهم بحثوا عن وسيلة اخرى لإشباع احتياجاتهم(٩).

وثمة أمر لا ينبغى نسيانه وهو أن منطقتنا العربية الاسلامية مستهدفة من قبل قوى الشر والبغى الحاقدة.

تلك القوى التى لا تريد لنا حياة ولا تريد لديننا تمكيناً ولمجتمعاتنا تقدما ورفاهية..

ولذلك فهم يغرقون مجتمعاتنا ـ وبصفة خاصة دول المواجهة ـ بالمخدرات.

يقول الدكتور على بن محمد التويجرى:

وهل ثمة من أدلة أشد سطوعاً عن نوعية هذه الحرب القذرة الفاتكة من أنه قد لوحظ

أن بعض المناطق التى تستخدم المواد المخدرة المهربة عبر الحدود الفاصلة بين مصر والكيان الاسـرائيلى قد انتشـر فيهـا فجأة نوع من الأمراض الخطيرة.

و ذلـك نتيجـة تلويث هذه المخدرات بجراثيم معدية(١٠)

ويقـول الأستاذ محمد الحيوان فى عموده اليومى بجـريـدة «الجمهورية»(١١) المصرية: أذاعت وكالات الأنباء أن اسرائيل جمعت كل المخدرات الموجودة فى جنوب لبنان ونقلتها إلى داخل حدودها.

ويضيف:

واسـرائيـل لا تنقـل هذه المخدرات كى توزعها على اليهود. .

وإنـما تفعـل ذلك لاعادة تصديرها الى العالم، والدول العربية خاصة.

من هذا يتضح أن هذه السموم ما هى إلا سلاح فى يد الأعـداء لا يقـل فتكـا عن أى سلاح حديث عرفتـه البشـريـة، ويزيد من خطـورتها أنها تمثل سلاحاً غير مشهر، فهى بذلـك تظل خفية فى الظلام تنفث سمها فى أبدان ضحاياها دون أن تبرق فترى أو تنفجر فتسمع(١٢).

وختامـا:

ما أجمل أن ننهى هذه السطور بقول شيخ الاسلام ابن تيمية «رحمه الله»:

«إن الحشيشـة حرام يُحَدُّ متناولها كما يحد شارب الخمـر، وهى أخبث من الخمـر من جهـة أنها تفسد العقل والمزاج. . وأنها تصد عن ذكـر الله وعن الصلاة، وهى داخلة فيما حرم الله ورسـولـه من الخمـر والمسكر لفظاً ومعنى، ومن استحل ذلك وزعم أنه حلال فإنـه يستتاب فإن تاب وإلا قتل مرتداً، ولا يصلى عليه، ولا يدفن فى مقابر المسلمين(١٣). .

والله من وراء القصيد. . .

---

(١) من كتاب: دائرة معارف القرن العشرين ـ محمد فريد وجدى/ ج٣/ ص٦٨٩/ ط القاهرة.

(٢، ٣) انظر: الادمان مظاهره وعلاجه/ د. عادل الدمرداش ـ ط المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت ص١٠، ١١

(٤) من كتاب: حكم تناول المخدرات والمفترات وتداولها فى التشريع الاسلامى ـ عادل رسلان ـ ط الأوقاف المصرية ص٤٧ ـ وانظر: اضرار المخدرات. رأفت سليمان على/ مجلة (الأمة) قطر/ عدد (٦٧).

(٥) انظر حكم تناول المخدرات ـ مرجع سابق ـ ص٢٨ بتصرف.

(٦) من رسالة بعنوان: «الدين والحياة» ـ من مطبوعات وزارة الأوقاف المصرية ص٦، ٥

(٧) راجع كتاب «المنن» للشيخ عبد الوهاب الشعرانى

(٨) أضرار المخدرات ـ مرجع سابق

(٩) انظـر روزا اليوسف ـ عدد رقم (٢٩٩١) (٧ اكتوبر ١٩٨٥) مصر

(١٠) غدا سوف يقتلون: بحث فى مجلة «رسالة الخليج العربى» ـ عدد رقم (١٦).

(١١) عدد يوم ١٤ ابريل ١٩٨٥م

(١٢) انظر حكم تناول المخدرات ـ مرجع سابق ـ ص٦١، ٦٢ باختصار.

(١٣) المرجع السابق ص ٩٩، ١٠٠



كثيرة الدلائل التى جاءت فى شأن المخدرات واخطارها وعواقبها السلبية على الانسان كفرد وعلى الاسرة والمجتمع بوجه عام . . واذا كانت هناك اضافة تضاف الى ما سبق هي ان علاج هذا المرض المزمن صعب لكونه مدعوماً بتواجد الفراغ الاخلاقى والروحى الذى يكتسح اوساطا كثيرة ويتسلل عبر تيار جارف نعصف به رياح الحداثة والمعاصرة ويستهدف عن قصد الاجيال الصاعدة والقلوب النابضة للامم والشعوب من اطفال وشباب الشيء الذى ساعد على انتشار المخدرات واتساع نطاق تداولها.

فالتدخين وحده كشطر من المخدرات اكدت الابحاث الميدانية والعلمية بانه يسرع بالشيخوخة المبكرة للانسان خصوصا اذا كان معه الخمر اذ لم يبق امام شخصية المرء الا الاستسلام للعجز والمعاناة المرضية ناهيك بما يترتب عن تعاطى الخمر من افات وما يسبب من مشاكل علق عليها احد الخبراء بكونها ترسم امام الانسان طريقاً ذا اتجاهات ثلاث : «السجن . . المستشفى . . القبر» فمادة النيكوتين، مثلا انتهت بخصوصها الابحاث والدراسات الطبية الى كونها تشكل خطرا كبيرا على صحة الانسان وخصوصا ارتفاع ضغط الدم بنسبة مهولة عن المستوى العادى.

●● والمخدرات مرض مزمن يتسلط على واقع الحياة الثقافية والاجتماعية وتبين للدارسين والباحثين ان للمسجد دوره الكبير فى العلاج وبذلك تزداد حاجة الانسانية الى الاسلام فاذا سادت روح الاسلام وعم اشعاع رسالته افاق الدنيا لم يبق اثر للامراض الناتجة عن الحياة المادية المريضة فى اساسها ومصدرها، بل سيتم العلاج لكل الانحرافات التى اقحمت الانسانية فى دوامة من القلق والتوتر، وجلبت الهوس والصراع وأشاعت بين الناس الفتنة وما المخدرات الا انصهار متفاعل مع ارادة الانسان ترسبت فى اعماقه فتحولت الى عادة مألوفة لديه ومنبه ومنشط مواكب لحركاته وسكناته تصاحبه فى شغله وفراغه وتعايشه حسب ظروفه سواء كانت هذه الظروف له أو عليه وللظروف احكامها على الناس ولذلك قيل : **اسألوا الظروف ولا تسألوا الناس.**

مفهوم المخدرات

مفهوم المخدرات كما حددته بعض التعاريف يعنى انها كل مادة خام سواء كانت مسحوقاً او نباتاً تستحضر بشكل خاص ومقصود لغاية اعداد شيء يحتوى على مسكنات ومنبهات اذا وقع استعماله بطرق خارجة على المنهجية الطبية والاغراض العلمية

هذا المرض القاتل

بقلم : علال البوزيد

يضر بالانسان مهما كانت حالته الصحية ، ذلك لكونه يعود على تعاطى مادة مخدرة اذا فقدها فقد اعصابه وانفعل واضطرب فى سلوكه وتصرفاته وارتبك فى عمله ودار فى رأسه مارد من مردة الشر فتجده مدفوعاً للاعتداء على الغير والاساءة للآخرين وهذا ما يسمى بالادمان الذى يضر بالفرد ويسيىء الى الاسرة والمجتمع جسديا ونفسيا واجتماعيا واخلاقيا واقتصاديا باعتبار ان المخدرات تلزم المتعاطى لها بتكلفة مادية قد لا يطيقها احيانا بل يعمل المستحيل من اجل الحصول عليها متحديا ظروفه المادية والاجتماعية والعائلية .

المخدرات من منظور تاريخى

من الحقائق التاريخية التى تعتمدها كل البحوث تقريبا هى ان تاريخ المخدرات بالتحديد هو ما اشارت له بعض الكتب القديمة والتى تفيد بان السومارييِن هم اول من استعمل مادة الافيون واعطوه اسم «متعة الحياة» وقام بعدهم الاريّيون بزراعته منذ ٤٠٠٠ سنة .

وتفيد المصادر التاريخية القديمة كذلك إلى ان استعمال المخدرات عاصر مراحل رقى وانهيار الامبراطوريات الاربعة القديمة فى كل من بابل ومصر واليونان والروم وحسب التسلسل التاريخى يتضح ان العالم عرف أنواعاً مختلفة من المخدرات غير ان مسألة الترويج والتصنيع والتقنية والانتشار الواسع الذى اصبحت عليه فى العصر الحاضر شىء يبعث على الذهول والقلق والاندهاش .

انواع المخدرات الشائعة قديما وحديثا

الماريخوانا «الحشيش» والكيف من ابرز انواع المخدرات التى لها تاريخ طويل والتى تنوعت استعمالاتها ومشتقاتها . . من ذلك اعتبارها كمخدر وكعقار طبى منذ ٥٠٠ سنة قبل الميلاد وشرع فى استعمالها بالهند فى الشعائر والطقوس الدينية وكانت شائعة كذلك فى اوروبا فى شكل اوراق شجرة الكوكا واول من استعملها الهنود الامريكيّون وبالاخص قبائل الانكالبيرو حاليا . . ومن هنا دخلت الى العالم الاروبى فى اواسط القرن الثامن عشر .

أما الافيون فقد وقع التعرف عليه كمخدر ذى فعالية قبل سنة ١٩٠٣ واستعمل فى شكله الخام حيث تم استعماله فى بداية الامر عن طريق التدخين او كسائل وهناك العديد من مركبات الافيون استعملت كعقار طبى لتخفيف الالام ففى بداية القرن التاسع عشر شرع فى استعمال مواد مركبة نشيطة استخرجت من مادة المورفين وبعد ثلاثين سنة اكتشفت عدة مواد

أخرى منها مواد «قلدية» كوداين نور كوتين وبابا فرين» وبعد ذلك اكتشفت الحقنة الجلدية في حدود سنة ١٩٣٩ على يد اينبيرج بينما في سنة ١٨٩٨ ظهرت مادة الهيروين التي كان يعتقد البعض انها غير مُدْمَنَة غير انها ما لبثت ان شاع انتشارها وكثر استعمالها من طرف الاجهزة الطبية واصبحت عناصرها المدمنة بارزة ومعروفة الفعالية وقد صدر قانون بمصادرتها من الاسواق غير انه في سنة ١٩٣٥ اصبح مخدر المدمنين ذا الاختيار المفضل هو مادة الهيروين وذلك نتيجة فعاليته الهائلة ولسهولة الحصول عليه وان كان غير مشروع قانوناً ولكن الحنين الى هذه المادة والاقبال عليها ساعد على استعمالها وانتشارها وخصوصا في الستينات والسبعينات.. ومن المخدرات الشائعة بكثرة في الوقت الحاضر مادة الكوكاين، والماريخوانا والقنب الهندي وقد تعددت استعمالات هذه الانواع بواسطة التدخين والمضغ وغير ذلك.

المخدرات مواجهة المشاكل بالمشاكل

هناك اسباب كثيرة ومغلوطة بان المخدرات مسألة تساعد الانسان على التفكير، بل هناك من يزعم بانه رسب في امتحان او فشل في عمل معين لانه كان في حالة غير عادية اي غير مخدر سواء كان هذا التخدير الذي يقصد به التدخين او مادة سائلة مسكرة (خمر) وفي جميع الاحوال ومن الناحية الموضوعية والمنطقية يتضح بان الذين يتعاطون المخدرات يعانون من نقص محسوس في حياتهم ويحيون حياة غير عادية ولعل هذه الاسباب هي التي جعلت المخدرات تشكل ظاهرة خطيرة وآفات اجتماعية انتشرت في العالم واصابت هذه الافة العديد من الناس وارهقت كاهل المجتمعات باشكاليات كثيرة كما اتسع نطاق انتشارها في الاسواق وكثر انتاجها اللا قانوني وراجت تجارتها في مختلف انحاء العالم لما تدره على المتاجرين فيها من ارباح على حساب خسارة الملايين من البشر، وعلق على خطورة هذه الآفة واثرها السلبي في حياة الناس الدكتور ماتشي من المكتب الفيدرالي للمخدرات يقول:

«العواقب الوخيمة التي تنتج عن تعاطي المخدرات يظهر انها ناتجة عن قلق تزداد حدته ولا رجعة فيه بالنسبة للجهاز العصبي المركزي».. ومن جهة أخرى يقول احد الخبراء عندما سئل عن الجرائم التي يمكن ان ترتكب نتيجة المخدرات فقال: **«ملفات المكاتب المكلفة بمكافحة المخدرات مليئة بقضايا وجرائم ارتكبت في حالة استعمال «مخدر» فاذا كانت الاجهزة الخبيرة تعترف بهول المخدرات وما تؤدي اليه من الاجرام والافلاس الثقافي والاجتماعي والاقتصادي وبالتالي انفصام الشخصية وحدوث العديد من الاعراض والاعاقة في حياة المدمنين على تعاطي المخدرات بشكل عام**.. فان الامر يقتضي مقاومة هذا الوباء بالجدية والحزم وبكل الوسائل وليس بالطرق المتبعة حيث نجد هناك من يندد بخطورة المخدرات وبعواقبها السلبية على الانسانية وهناك من يقوم بالدعاية لترويجها على قارعة الطرق وفي الواجهات التجارية والملاعب الرياضية وانه في الحقيقة التناقض المكشوف حيث هناك من يحرم وهناك من يحلل بل الادهى والامرّ ان الوسائل المتوفرة لدى العنصر الثاني اكثر من تلك المتوفرة لدى العنصر الاول، وبذلك تبقى الجهود الهادفة الى مكافحة المخدرات كصيحة في وادي او مجرد حبر على ورق.

من ابرز العوارض

يستفاد من بعض الملفات والتقارير الصادرة عن

المنظمات الدولية المهتمة بالموضوع ان الادمان على المخدرات يجسد العوارض الاتية :

«فقدان فى الذاكرة ٢٢٪ . . حاسة مفرطة ٩٢٪ . . هلوسة ٣٧٪ . . ارتفاع فى المزاج ٦١٪ . . اختلال عصبى ٨٠٪ . . قلق ٦١٪ . . شعور مميز فى التفكير ٨٨٪ . . ».

وقد توصل الخبراء الى تحديد هذه النسب بطبيعة الحال بعد اجراء بحوث ميدانية وبواسطة استمارات تم اعدادها على اساس علمى مدروس وما ينبغى استخلاصه من هذه العوارض التى وقع تشخيصها بطرق بحتة هو مضاعفة الحملات والضغط على كل الجهات التى تملك القرار بمواجهة هذه المعضلة بتطبيق القوانين وبالزجر والردع للحد من ترويجها وانتشارها ووقاية الافراد والجماعات من اخطارها .

حقائق وارقـــام

تفيد بعض الاحصائيات ان ١٦٠٠ نوع من المخدرات منتشرة فى العالم .

وفى مادة التدخين وهى جزء لا يتجزأ من المخدرات تشير الاحصائيات كذلك بانه يحتوى على ٦٠٠ مادة ضارة بجسم الانسان وان النفعية منعدمة فى التدخين ولذلك فان القولة المفتعلة لاغراض تجارية التى تقول بان التدخين يساعد على التفكير انما هى مجرد خدعة ليس الا .

فمشكل الادمان يعتبر من المشاكل التى توليها الحكومات اهمية كبرى فى كافة انحاء العالم بدون استثناء .

● وفى القارة الامريكية فالمشكل مطروح فى دول امريكا اللاتينية ولكن باقل حدة بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية حيث يقدر عدد مستعملى الحشيش بـ ٢٢ مليون نسمة .

● فى القارة الاسيوية كما يعلم الجميع فهى مقر المخدرات حيث تنتج وتروج .

ارقام لها اكثر من دلالة على خطورة المشكل

بلغت جملة الكمية المضبوطة من مادة الافيون خلال عام ١٩٧٩ فى الشرق العربى والولايات المتحدة الامريكية وآسيا ١٧٤٢١٧٨٦ كيلو غرام بزيادة ٦٠٠٪ عن العام الذى سبقه وفى سنوات ٨٠ ـ ٨١ الزيادة فى الكميات المضبوطة بين ٩٠ : ٩٧٪ .

وفى مادة المورفين قفزت الكمية المضبوطة حسب تقرير الانتروبول سنة ١٩٧٩ الى ٤٥٢١٤ كيلو غرام بزيادة طفيفة فى الشرق الاقصى وزيادة ٥٠٪ على وجه التقريب فى السنوات الاخيرة ٨٢ـ٨٣ كما يشير التقرير الى ان اكبر كمية ضبطت من هذه المادة فى ايران وباكستان وفى مادة الهيروين وصلت الكمية المضبوطة سنة ١٩٧٩ الى ١٥٨ر٢٤٢ر١ كيلو غرام ووصلت الزيادة الى ٣٠٪ سنة ١٩٨١ وحسب التقديرات فان ٢٠٪ من الكمية ضبطت فى اوربا وباقى الكمية ضبطت فى الشرقين الادنى والاوسط .

وفى مادة الكوكايين ضبطت سنة ١٩٧٩ كمية هائلة وصلت الى ٣٣٢٢١٣١ كيلو غرام ووصلت الزيادة سنة ١٩٨١ الى ٧٪ وسنة ١٩٨٢ الى ١٥٪ وحسب التقارير الرسمية ظلت حالات الضبط مرتفعة فى الولايات المتحدة الامريكية والسويد وبريطانيا .

وفى مادة حشيش القنب انخفضت الكمية المضبوطة عام ١٩٧٩ الى ٢٩٦٢٩٩٤١٤ كغ مقابل ٨٩٣٧٠١٥٩٣ كغ عام ١٩٧٨ وحسب التقارير شبه الرسمية فان هذا الرقم عرف زيادة كبيرة فى السنوات الاربع الماضية وبالاخص فى الكميات المضبوطة لهذه المادة .

ومن خلال هذه الارقام المشار اليها يتضاعف الشعور بخطورة المشكل وطرحه بجديّة على بساط الدرس وقد افرزت بالفعل سياسة التواصل والحوار جملة من الاراء والقرارات والتوصيات تهدف جميعها اقتضاء بعض الحلول العلاجية كما تعطى صورة متكاملة ومجسدة لحجم المشكل . . فعلى المستوى الافريقى انعقدت فى هذا المضمار بالرباط مناظرة افريقية للمخدرات فى اوائل شهر ابريل ١٩٨٤ صدرت عنها التوصيات التالية :

تصاعد نسبة التدخين فى الاقطار النامية خصوصا فى اوساط الطفولة والشباب والفتيات والنساء

(١) تعزيز التعاون الدولى فى اطار الاتفاقيات الدولية للامم المتحدة والمنظمات الدولية الجهوية لمكافحة المخدرات .

(٢) عقد ندوة أخرى لتقييم النتائج .

(٣) انشاء مكتب جهوى على المستوى الافريقى لمكافحة تجارة المخدرات وتكوين أطر متخصصة فى المادة .

(٤) تعزيز وتوسيع نشاط الادارات المتخصصة الوطنية لتطبيق بنود الاتفاقيات الدولية بهدف وضع استراتيجية وطنية .

(٥) تنسيق الجهود على المستوى الجهوى واقامة التعاون بين الادارات الوطنية .

(٦) تطبيق التدابير لتحديد الاتجاهات الوطنية والاقليمية .

(٧) اعداد تدابير علمية لتقليص الادمان على المخدرات .

(٨) التوفيق بين التشريعات الوطنية والاتفاقيات الدولية فى مجال مراقبة المخدرات .

(٩) تبنى الدول لتدابير تمكن من جمع وتحليل وتقييم المعطيات على استهلاك المخدرات .

(١٠) اعداد برامج تربية وقائية تستجيب للقيم الاجتماعية لكل بلد .

(١١) اعداد برنامج تعليمى وتكوين المهتمين بمشاكل الشباب والصحة العائلية .

(١٢) اتخاذ تدابير خاصة بالاطباء ومعاملتهم مع المرضى .

(١٣) تطبيق الابحاث وتقييم التدابير الاعلامية بهدف توعية الجمهور بخطورة المخدرات .

(١٤) البحث وتقييم اعلام خاص بمجموعات سكانية بخطورة الادمان على المخدرات .

(١٥) تبنى تدابير لتشجيع المشاركة المباشرة للقطاعات المعنية فى برامج واعادة التأهيل الاجتماعى والمهنى .

(١٦) اجراء تدريبات وطنية لتحسين نشاطات العلاج وكذا تعزيز مكافحة المخدرات .

(١٧) تكوين جماعات متعددة الاختصاصات .

(١٨) ضرورة الاستمرار على المستوى الوطنى والاقليمى والدولى فى البحث عن الوسائل الكفيلة لتحديد حاجيات الادوية المخدرة وتبنى تدابير تحد من انتاجها وتجارتها .

وفى نطاق الجهود الهادفة الى البحث عن الحلول العلاجية لمعضلة المخدرات انعقدت فى شهر اكتوبر من السنة ١٩٨٤ مناظرة دولية حول الكحول والمخدرات قامت بتنظيمها كلية الطب بالدار البيضاء تضمن برنامجها عدة مواضيع دارت على وجه الخصوص حول الجوانب الحسية والبيولوجية للكحول

وذلك فى اطار عقد موائد مستديرة لدراسة عروض علمية عالجت مسألة الادمان على المخدرات انطلاقا

من بعض التجارب الميدانية والعلمية التى اجريت على ٣٥٠ مدمنا للمخدرات.

ولقد تزامنت الجهود المكثفة التى بوشرت على اصعدة مختلفة من اجل تدارس المشكل ووضعه فى اطار العرض والعلاج مع الكثير من الكتابات والاخبار التى رددتها عدة مصادر اعلامية وتلتقى كلها حول موضوع واحد هو المخدرات وعواقبها السلبية على الانسانية.

موقف الاسلام من المخدرات

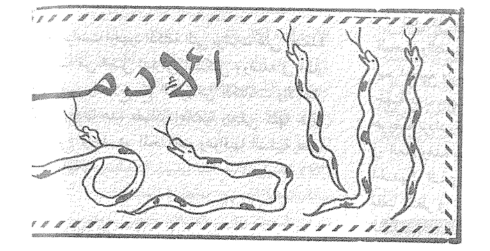
اجمعت كل الاراء على ان الاسلام جاء بالحلول الواقية لكل المشاكل والامراض النفسية والاجتماعية وان المسجد وحده يعالج العديد من الانحرافات والعوارض التى قد تصيب الانسان بما فى ذلك اولئك المصابين بمرض الادمان على المخدرات ومن مواقف بعض علماء المسلمين هناك ذلك الموقف الذى اتخذه ابن تيمية رحمه الله عندما تعالت الشكوك من كل جانب بما شاع فى الاوساط حينذاك من ادمان الناس على المخدرات وبالاخص الخمرة فما كان منه الا ان جمع اصحابه وتوجه الى الخمارات وكسروا واتلفوا كلما تحتوى عليه من كميات الخمور وكل ما كان بها من انواع التخدير المستعملة فى تلك الحقبة من التاريخ وأنبوا اصحابها والمتاجرين فيها بما يقتضيه الموقف من التأنيب والتعنيف.

● الاسلام يعتبر المخدرات مفسدة وهناك اجماع الفقهاء على تحريمها لانها تؤدى الى الخروج عن القاعدة الاسلامية وموقف الاسلام واضح من هذه القضية سواء بالنسبة للمستهلك والمدمن او بالنسبة للمتاجر والمزارع فان التحريم وارد فى جميع الحالات.

كلمة لابد منها

لعل كل من شغله موضوع المخدرات ينتهى به البحث والتقصى الى نتيجة حتمية هى ان الموضوع يهم الجميع وليس وقفاً على فرد او مجموعة محدودة او جهة دون جهة بل فالمشكل مطروح على ساحة عريضة تزداد رقعتها اتساعا كلما تزايد تعداد السكان فى العالم وهذه بطبيعة الحال ظاهرة من ظواهر العصر الحديث الذى يسجل فيها تاريخ الانسانية تزايدا ملفتا للنظر فى نسبة سكان العالم وقد صاحبت هذه الظاهرة عدة عوارض اجتماعية واقتصادية تعتبر معضلة المخدرات احدى انعكاساتها السلبية وعاقبة من عواقبها الوخيمة. . واذا كانت من ميزة تتميز بها البحوث والدراسات الميدانية هى انها تعطى لكل ذى رغبة فى قراءة المشكل قراءة واقعية شريحة وتحاليل لجوانب القضية من مختلف خلفياتها وتفاعلاتها واثرها السلبى فى التوجهات الفكرية والتصادم الحضارى للانسانية.





تأليف
د. عادل الدمرداش

ليس ثمة شك أن انتشار المخدرات وشيوع ظاهرة الاقبال عليها الى جانب تعاطى «المدمنين» العقاقير الطبية والحبوب والأقراص المخدرة بين قطاع عريض من شبابنا العربى اليوم على نحو ما كشفت عنه العديد من التحقيقات الصحفية فى عدد غير قليل من صحفنا العربية السيارة.. ليس ثمة شك أن ذلك يعد من الأمور المؤسفة بل والمفزعة فى عالمنا الاسلامى والعربى.

ومن ثم تبدو لنا أهمية عرض ومراجعة كتاب **(الادمان مظاهره وعلاجه)** للدكتور عادل الدمرداش أستاذ الطب النفسى المساعد بكلية طب الأزهر.

فى المقدمة:

أبرز المؤلف الأسباب والدوافع الواقعية والعلمية التى جعلته يهتم بتأليف الكتاب مشيرا فى ذلك الى مدى ما تسببه الخمر والمخدرات من مشاكل عديدة فى معظم بلاد العالم وما تتكلفه الدول من خسائر بشرية واقتصادية كبيرة لأنها ـ أى المخدرات ـ تدمر الانسان نفسيا واجتماعيا وجسميا وبصورة متزايدة.. مما جعل من الادمان مشكلة أولتها الهيئات الدولية والاقليمية أهمية كبيرة ورصدت الأموال وخصصت العقول لدراستها لمحاولة الوصول الى حلول تحد من تفشيها وتزايدها المضطرد.

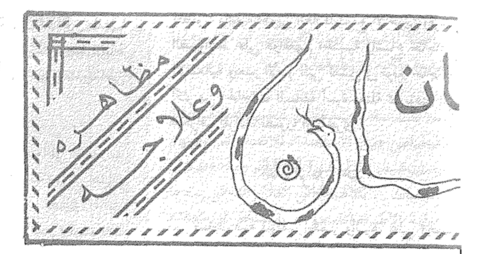
واستهدف المؤلف من ذلك الكتاب أن يكون عرضا لهذه المشكلة الخطيرة (الادمان) بأسلوب مبسط يضاف الى رصيدنا من التوعية حول هذا الموضوع.. خاصة أن تسرب المخدرات الى الشباب العربى ظاهرة جديدة صدرتها الينا الحضارة الغربية ذات الأثر السلبى فى أحد وجوهها والذى تعتنقه أغلبية مندفعة ومقلدة دون تبصر أو وعى.

وإجمالا: يضم الكتاب بين دفتيه أربعة عشر بابا ومقدمة بالاضافة الى قائمة تتضمن المراجع العربية والأجنبية التى استعان بها المؤلف فى هذا الكتاب الذى يقع فى (٣١٩ صفحة) من القطع المتوسط.

الباب الأول: تعريف عام بالخمر والمخدرات

وقد بدأه المؤلف بتعريف الخمر التى هى (عصير العنب اذا اختمر أو كل مسكر مخامر للعقل).. ثم





عرض وتحليل
السيد أحمد المخزنجي

بين أن للمخدرات تعريفان أحدهما علمى والآخر قانونى . . فأما الأول فانها . . «مادة كيميائية تسبب النعاس والنوم أو غياب الوعى المصحوب بتسكين الألم . . ثم بين بعد ذلك أنواع الخمر المختلفة والمشروبات الكحولية . . وكذلك الأفيون ومشتقاته والمواد المخدرة التى يحتوى عليها ونسبة كل منها به . . ثم عقاقير الهلوسة وهى مجموعة من المواد التى تسبب الهلوسات والخدع البصرية والسمعية واختلال الحواس والانفعالات .

الباب الثانى : الادمان ومصطلحات أخرى

وفيه نطالع تعريف المؤلف للعقار وهو «كل مادة تغير وظيفة أو اكثر من وظائف الكائن الحى عند تعاطيها» . . كما تحدث عن الأدوية النفسية «المهدئات» التى تستخدم فى علاج الأمراض النفسية والعقلية واضطرابات السلوك كالفصام والاكتئاب الذهانى والقلق المرضى . . ومن ثم فقد اعتمد المؤلف عدداً من المصطلحات العلمية والفنية لارتباطها بموضوع الادمان فى هذا الصدد .

الباب الثالث : أسباب الادمان وسوء الاستعمال

كشف فيه المؤلف عن الأسباب المختلفة التى تؤدى الى الاصابة بمرض الادمان والتى منها ما يتعلق بالعقار وخواصه وتركيبه الكيميائى وطريقة استعماله وسهولة الحصول على المادة المخدرة وصورها التى تتشكل فيها وكذلك نظرة المجتمعات المختلفة للعقار الذى يتعاطاه المدمن والتى تدور بين استهجان ذلك التعاطى أو التسامح فيه كما فى الدول الغربية عادة .

وتحدث عن الأسباب الأخرى التى ترجع «للمدمن» نفسه والتى تؤدى للاصابة بهذا المرض أيضا مثل العوامل الوراثية ومالها من دخل كبير فيه اذ أن ادمان الكحول ومضاعفاته يزيدان فى أسر المدمنين بصورة خاصة فقد تبين أن ما بين ٢٥٪ : ٥٠٪ من أباء مدمنى الخمر و٢٠٪ من أمهاتهم يدمنون الخمر وهى نسب أعلى من نسبة الادمان فى المجموع الكلى للسكان بحوالى «٥-١٠مرات» طبقا لما نشر باحدث الدراسات الطبية البريطانية سنة ١٩٨٠م .

ويعزو المؤلف انتشار تعاطى العقاقير بين الطلبة

فى بعض الأسر ـ لا سيما أسر المدمنين ـ لسوء استعمال هذه العقاقير بواسطة الوالدين ـ فالأم التى تسرف فى تعاطى المهدئات يزداد احتمال تعاطى طفلها «للمرايهوانا» ومشتقات الأفيون وثبت وجود ارتباط مشابه بين اسراف الأب فى تعاطى المهدئات وتعاطى الأبناء العقاقير المخدرة.

وفى نطاق البيئة التى يتعرض لها متعاطى المخدرات تحدث المؤلف عن (الأسرة والتربية) وركز اهتمامه على مالها من دور هام وكبير فى هذا الصدد. فأشار الى ما تجرى عليه العادة الغالبة فى الأسر والمجتمعات الغربية فى هذا الشأن حيث ان تعاطى الخمر شائع وينتشر فى هذه المجتمعات بالاضافة الى أن الحصول عليها سهل وميسور هناك بل ثبت أن معظم الأطفال يجربون تعاطى الخمر فى المرحلة الابتدائية وأن أسر المدمنين مضطربة من نواح متعددة.. وأرجع السبب فى ذلك لما يسمى (العوامل الحضارية) فى تلك البلدان الأوربية المختلفة ذات النزعات المادية وتشجيعها على أنماط الادمان وتعاطى العقاقير والمخدرات لأفرادها أو على أسوأ تقدير تسامحها مع هؤلاء فى ذلك.. مع اختلاف فيما بينهما فى بعض التفاصيل فى هذا التسامح.

وقد خرج المؤلف من ذلك بحقيقة اكدها أن «تغير تركيب الأسرة وضعف القيم الروحية والاتجاه نحو المادية المطلقة من العوامل التى تجعل المراهق يشعر بعدم الاطمئنان والتغرب مما يولد القلق والسلوك العدوانى الذى يؤدى الى الجنوح والانحراف والخروج على المجتمع وتكوين جماعات فرعية خاصة بهم من سماتها تعاطى المخدرات.

ولذلك نرى المؤلف يسارع الى بيان الصفات السليمة التى يجب أن تتوافر فى الأسرة وتتمثل فى التناسل والرفع من شأن أفرادها والمحافظة على صحتهم ووظائفهم الحيوية واكسابهم العادات الاجتماعية المطلوبة وكيفية تكوين العلاقات مع الآخرين وفرض الضوابط على دوافعهم الجنسية واشباع حاجاتهم الانفعالية وتعتبر الأسر التى تفشل فى توفير حاجة أو أكثر من الحاجات السابقة أسرة معتلة مما يؤدى الى انحراف أفرادها بصورة أو بأخرى.

الباب الرابع: الخمر

تناول فيه المؤلف الخمر وأثرها على الجسم ومضاعفات تعاطيها وادمانها النفسى والعقلى والمشكلات العديدة التى تسببها. لكن المؤسف حقا هو حديث المؤلف المقتضب بل المبتور عن نظرة (الدين) والشرائع السماوية للخمر وللذين يتعاطونها من أفراد المجتمع الانسانى بصفة عامة.

وعن أثر الخمر على أبناء المدمنين قال المؤلف «يواجه الطفل الذى نشأ فى أسرة يدمن فيها أحد الأبوين الخمر صعوبات كثيرة من الناحيتين المادية والعاطفية فنمو الطفل بصورة طبيعية مرهون باليسر المادى وثبات شخصية الأبوين بحيث يستطيع الطفل الاقتداء بهما، فى أسرة المدمنين حيث تضطرب العلاقة بين الأبوين يواجه الطفل موقفا أومواقف تعوق نموه بصورة سليمة.. فالأب المدمن عادة متقلب المزاج ولا يمكن التنبؤ بما سيفعله من لحظة الى أخرى.. كما أنه عدوانى مكتئب أو عليل أو كثير الغياب عن بيته وكثيرا ما يعامل زوجته وأبناءه بقسوة.. وهنا يشعر الطفل بالذل والخزى من سلوك أبيه فيتجنب دعوة أصحابه الى بيته لأنه لا يعلم أيجد أباه سكرانا أو واعيا حينئذ.

ومن ثم فهو يرى أن الوقاية من الادمان تتأسس على



مراحل أو مستويات ثلاثة: منها ما يرجع الى المواد المخدرة أصلا.. ومنها ما يتعلق بالمرض فيجب منع حدوث الادمان أصلا وذلك عن طريق التوعية وخاصة للشباب وسن القوانين أو التشريعات الصارمة والحزم فى تطبيقها.

وأما بالنسبة للمدمنين فيجب التعرف على الأشخاص ذوى الاستعداد للادمان ثم توعيتهم والتشخيص المبكر لحالاتهم بايداعهم فى المستشفيات.. بالاضافة الى العلاج الدوائى بمعرفة ورعاية الأطباء أنفسهم.. بالاضافة الى العلاج النفسى الفردى والجماعى والأسرى لهؤلاء المدمنين.

وهناك العلاج النفسى المسلكى SELF MONITORLNG الذى يهدف الى تعليم المدمن كراهية الخمر وتعلم الوسائل الصحية التى تزيل التوتر وطرق تأكيد الذات واثبات الوجود.

الباب الخامس: الأدوية النفسية

تناول فيه المؤلف الأدوية النفسية وتقسيمها الى فئاتها المختلفة والتى تشمل: مهدئات عظمى مثل اللارجاكتيل ومضادات الاكتئاب مثل التربيتزول والتوافرانيل والمهدئات الصغرى مثل مركبات البنزودايازبين Benzodiazepines وكالفياليوم والليبريوم ـ وهذه كلها تسبب الادمان وقد أدرجت من قبل هيئة الصحة العالمية مع الخمر والمنومات فى مجموعة واحدة.

أما عن الوقاية والعلاج: فيرى المؤلف أنه لابد من التوعية الخاصة بالمنومات والتى توجه أساسا للأطباء ثم للجمهور بصفة عامة.. وقد تتبع



● «من قضايا الفكر فى وسائل الاعلام» تأليف حمد بكر العليان.. الكتاب فى اثنين وعشرين ومائة صفحة من الحجم العادى ويمثل جزء من رسالة الباحث التى تقدم بها لكلية الدعوة والاعلام/ جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية لنيل درجة الماجستير. الكتاب يقدم دراسة لبعض ما تقدمه وسائل الاعلام (التلفاز ـ الصحافة ـ الاذاعة) وتعرضه من قضايا فكرية مع محاولة دراسة مالها وما عليها ومدى جدوى هذه الجوانب وأهميتها.. ومن هذه الجوانب الفكرية: قضية الحرية ـ قضية العلم ـ قضية التطور.. ونهاية دراسته يعرض الكاتب لمعايير معالجة قضايا الفكر وأساليب المعالجة.

● «المجموعة الشعرية الكاملة للدكتورة عاتكة الخزرجى» تضم المجموعة ستة دواوين هى (أنفاس السحر ـ لألاء القمر ـ أفواف الزهر ـ أطياف السمر ـ روح العبير ـ وهمس النسيم ـ والمسرحية الشعرية مجنون ليلى) المجموعة فى خمس وعشرين واربعمائة صفحة من الحجم العادى الكتاب طبع فى (مطبعة حكومة الكويت).



أساليب مشابهة كالتى تتبع فى حالة العلاج من ادمان الخمر.

الباب السادس: الأفيون ومشتقاته

فى عرض شبه تاريخى تحدث المؤلف فى هذا الباب عن نبات(الأفيون ومشتقاته) حيث ذكر أن الأطباء العرب قد استعملوا هذا النبات كما وصفه البيرونى - عالم عربى وبين تأثيره على الجسم فهو ينبه الجهاز العصبى المركزى ويهبطه فى آن واحد.

وعلى الجملة فان للأفيون والمورفين ومشتقاته آثاراً مزعجة منها: القىء وافراز العرق وبطء النبض وخفض ضغط الدم.. الخ.. كما أن من مضاعفاته فقدان الشهية والهزال والضعف الجنسى واضطراب العادة الشهرية بالنسبة للاناث وتقيح الجلد وتسمم الدم والتهاب الكبد وغشاء القلب المبطن والاصابة بالزهرى والأمراض المعدية الأخرى نتيجة لاستخدام حقن غير معقمة.. وكذلك الوفاة والانتحار وحوادث السيارات والطرق وارتكاب جرائم السرقة للحصول على النقود اللازمة لشراء المخدر واحتراف الدعارة.

وبالنسبة للوقاية والعلاج فهو نفس الأسلوب الذى سبق أن تحدث عنه المؤلف لكنه يضيف ضرورة وجود قانون يحرم استيراد أو تداول أو استعمال تلك المخدرات الا بواسطة مؤسسات حكومية مرخصة وفى أضيق الحدود.. كما فى مجال البحث العلمى فحسب.

البابان: السابع والثامن: (الكوكايين).. المنشطات والمنبهات)

عرض فى الأول (الكوكايين) وهوعبارة عن «المادة الفعالة أو المؤثرة الموجودة فى نبات الكوكا، والتى تسبب التخدير الموضعى عند ملامستها للجلد أو الأنسجة المخاطية ويسبب هذا النبات الاعتماد النفسى والسلوك المندفع والاجرامى والدعارة ويؤدى التسمم به الى عدم انتظام دقات القلب وهبوطه والتشنج وهو موجود فى أمريكا اللاتينية.

وللعلاج من هذا التسمم عدة طرق منها: التنفس الاصطناعى.. وخفض الرأس عن باقى الجسم.. وتدفئة الساقين والذراعين.. وعزل المصاب (المدمن).. وتبريد درجة حرارة الجسم بالكمادات.. وحقن ٥٠ مجم بنتوثال فى الوريد بالاضافة الى الأدوية التى تسبب استرخاء العضلات والاندرال ورسم القلب.

وفى الثانى (المنشطات والمنبهات) بيّن المؤلف أن مادة «الامفيتامين» صنعت لأول مرة سنة ١٨٨٧وأن استخدامها الطبى يسبب ارتفاع ضغط الدم والاعتماد النفسى عليها - بالاضافة الى ما يتسم به سلوك المريض (المدمن) من طابع العدوان والقتل.. الخ. اما اسلوب العلاج من ادمان تلك المنشطات فيتلخص فى اعطاء المهدئات العظمى والصدمات الكهربائية والعلاج فى المستشفى مع استخدام الوسائل النفسية الى أن يتم الشفاء.

الباب التاسع والعاشر: (الحشيش) و(عقاقير الهلوسة)

تحدث المؤلف فى الباب التاسع عن (الحشيش والماريهوانا) وتناول الحشيش عبر التاريخ.. وبين خواصة وادمانه ومضاعفات ذلك الادمان التى تتمثل فى انعدام الحوافز والمضاعفات العقلية.. كما أوضح ما للحشيش من دور بارز فى انتشار الجريمة والاقدام



عليها ـ بالاضافة الى ما يقوم به من تسهيل حدوثها بالنسبة للمتعاطى . . وعن مشكلة تعاطى الحشيش بين المنع والاباحة عارض المؤلف بشدة تلك السياسة التى تبيح أو تسهل تداول هذا المخدر فى العديد من دول العالم لا سيما الدول العربية نظرا للمضار العديدة والآثار السيئة التى تسببها مشكلة تعاطى الحشيش فضلا عن عدم تقبل الديانات السماوية اباحة مثل هذه المواد بل وتحريمها لها .

أما الباب العاشر (عقاقير الهلوسة) فلم نلحظ شيئا جديرا بالذكر سوى تقسيم المؤلف لتلك العقاقير الى فئتين هما : عقاقير مصنعة فى المختبر (المعمل) وأخرى موجودة فى النباتات الطبيعية كفطر الأمانتيا ـ مارسكاريا والميسكالين . . وبذور تمجيد الصباح ودودة الخشب ودى . ام . تى (D.M.T) وجوزة الطيب ومواد أخرى . . . الخ .

هذا ويصاب المتعاطى لهذه العقاقير أحيانا بالخلط الحاد فى الكلام والهذيان والمعتقدات الوهمية الباطلة كالاحساس بالاضطهاد أو الشعور بالتحدى من قبل الآخرين .

البابان الحادى عشر والثانى عشر : (القات) و(المذيبات المتطايرة)

لم نلمح ـ أيضا ـ فيهما ما يجدر بالملاحظة أو يفيد القارىء العادى غير اشارة المؤلف الى نمو شجر «القات» (كاثا أيديوليس) فى اليمن والصومال والحبشة ـ وكان الرحالة يسمونه (شاى العرب) واستعماله شائع فى اليمن وكينيا والصومال وأثيوبيا وأوغندا . . وهو من المواد التى تسبب الادمان النفسى وليس العضوى . ومن اهم مضاعفاته الكسل واهمال العمل والبطالة وتدنى المستوى الاقتصادى وضعف المناعة ضد الأمراض وسوء التغذية واهمال الأسرة وانحراف السلوك للحصول على تلك المادة . . وهذا أهم ما يتضمنه الباب الحادى عشر .

أما (المذيبات المتطايرة) فهى مجموعة من المواد أدرجتها هيئة الصحة العالمية أيضا مع المواد التى تسبب الادمان سنة ١٩٧٣م . . وتحتوى على الفحوم المائية المتطايرة ومن أهمها : التولوين وترايكلوا وأثيلين . . والبنزين . . ومواد أخرى من هذا القبيل . .

ومن أهم مضاعفات استعمال تلك المواد الوفاة الفجائية بسبب تقلص أذين القلب وتوقف النبض أو هبوط التنفس .

وللعلاج من هذه المواد المتطايرة يطالب المؤلف بالتشريع الصارم الذى يخضع هذه المواد أو خطرها للمراقبة والفحص الطبى الدورى بالاضافة الى ضرورة التقصى عن أسباب تعاطى هذه المواد من جانب المهنيين الذين يحتكون بالشباب .

الباب الثالث عشر : (التدخين)

تحدث المؤلف فيه عن نبات (التبغ) ونموه فى أمريكا الشمالية والجنوبية حيث كان يستخدم فى البداية كعلاج للزكام والصداع والقرح ثم استخدم من أجل الترويح بواسطة البحارة الأسبان الذين نشروا زراعته واستعماله أينما ذهبوا وانتشرت عادة التدخين فى باقى بلدان أوروبا بعد ذلك عن طريق هؤلاء البحارة الأسبان .



وتلعب مكونات التدخين دورا سيئاً على جسم الانسان المدخن اذ تتكون من أول اكسيد الكربون والقطران وغازات أخرى ضارة بالصحة والتى منها سيانور الهيدروجين الذى يتلف الأغشية التى تبطن الجهاز التنفسى وأكسيد النيتروجين المرتبط بحدوث أمراض الرئة المزمنة.. هذا وهناك أمراض القلب والجهاز التنفسى بالاضافة الى حدوث مضاعفات أخرى كقرحة فى المعدة والاثنى عشر بين المدخنين (ضعف) نسبتها عند غير المدخنين.

ويرد المؤلف أسباب التدخين الى كونه عادة كشأن العادات الادمانية الأخرى ويرى أن هناك نوعين للتدخين: احدهما ما يسميه بالتدخين غير (الفارماكولوجى) أى غير المرتبط بمستوى النيكوتين فى الدم. أو بالاحرى الذى تكون فيه تلك النسبة من النيكوتين غير مؤثرة فى الدم. والآخر هو التدخين «الفارماكولوجى» أى المرتبط بنسبة النيكوتين فى الدم.

لكن ما يجدر الالتفات اليه فى ذلك هو ما أوضحه المؤلف من مدى انتشار ظاهرة التدخين ذاتها على مستوى العالم اليوم وخصوصا فى الولايات المتحدة الامريكية حيث يبلغ اجمالى عدد المدخنين فيها حوالى ٥٠ (خمسين) مليون نسمة أو ٢٣٪ من اجمالى تعداد السكان هناك.

ومن المفزع حقا ما جاء فى تلك الدراسة التى أجريت على (٣٤٤٤٠) مدخنا لمدة ٢٠ سنة وقد أوردها المؤلف وتبين منها أن (١٠٠٧٢) مدخنا توفوا خلال هذه المدة وأن معدل وفاة المدخن ضعف معدل وفاة غير المدخن وأن التدخين كان سبب الوفاة لاصابة المدخن بمرض من امراض القلب وسرطان الرئة وأمراض الجهاز التنفسى وامراض الأوعية الدموية.

ومن ثم نرى المؤلف يفيض القول عن أسلوب الوقاية من التدخين والذى يتلخص فى شيئين هما:

١ - ابراز ايجابيات الحياة بدون تدخين أكثر من التركيز على التخويف من مضاعفاته الى جانب ضرورة وأهمية توعية أسر الطلاب والمهنيين الذين يحتكون بالناس فى المجتمع (كالأطباء.. والمربين.. والممرضين.. والصيادلة.. وتوعية الجمهور بصفة عامة عن طريق وسائل الاعلام بصورة غير مباشرة وشيقة فى آن واحد.

٢ - وأما الوسيلة الثانية: فهى تضمن منع التدخين فى المحال العامة أو المحال التجارية وقاعات الاجتماعات والوزارات وتخصيص اماكن للمدخنين فى المطاعم ووسائل المواصلات العامة كالباصات والطائرات والقطارات.

وبالنسبة للعلاج أو الاقلاع عن عادة التدخين هذه يذهب المؤلف من واقع تخصصه الطبى وخبرته العلمية - الى أن ذلك يتأتى لمريض التدخين عن طريق الاقلاع الفجائى (وهو امتناع المدخن عن تعاطى السجائر أو التبغ عموما).. وكذلك الاقلاع النهائى وتحمل أعراض أو وردود فعل ذلك الامتناع.. وكذلك التقليل التدريجى الذى يقوم على انقاص كمية الاستهلاك من عدد السجائر فى اليوم الواحد... أو استعمال البدائل كاللبان والحلوى والمكسرات بدلا من تدخين السجائر ولا يمنع - اذا لزم الأمر - من تناول المهدئات كذلك.

●● وكعادة المؤلف فى معظم أبواب كتابه وجه جملة من النصائح للمدخنين فى نهاية هذا الباب وهى لا تخرج فى مضمونها عن ما تهدف اليه أساليب الوقاية من الادمان ومضاره بصفة عامة.

الباب الرابع عشر (مركبات عبر النضد ومواد أخرى)

عرف فيه المؤلف المقصود باصطلاح مركبات «عبر النضد» والتى هى عبارة عن مواد كيميائية يعتبر



ستعمالها بواسطة الجمهور مأمون العواقب شريطة أن ستخدم وفق الارشادات المرفقة بكل مركب . . يؤدى معظم تلك المركبات وخاصة التى تحتوى على لصوديوم بنسبة (١٥٠ مجم أو أكثر) تسبب اضطراب ظائف القلب وانحباس الماء فى الجسم فى المصابين بأمراض القلب والدورة الدموية وأمراض الكلى .

لذا فان المؤلف يدلى بعدة نصائح علمية هامة من بينها : الا تستعمل مضادات الحموضة بصورة منتظمة لا تحت اشراف الطبيب . . وطالب المؤلف الذين يتناولون بافراط ودون دراية علمية مسكنات الألم كالأسبرين والفيتاستين والباراسيتامول وغيرها ـ طالبهم بضرورة قراءة النشرات الطبية المدون عليها طرق الاستعمال على علبها واتباع ارشاداتها لضمان وقايتهم من مضار استعمال تلك المسكنات .

وتحدث أخيرا عن الفيتامينات والملينات وتقسيمها حسب فئاتها المختلفة وأضرار الافراط فى استعمال كل منها ـ وان كان مع ذلك قد اقترح بعض البدائل للاستغناء عن تلك الملينات تفاديا لأضرار أو مخاطر سوء استعمالها فى هذا الصدد .

تقييم المؤلف وكتابه :

ليس ثمة شك فى الجهد العلمى الملحوظ الذى بذله المؤلف فى هذا الكتاب فهو يحفل بوافر من المعلومات العلمية والطبية الوافية فى موضوع «الادمان . . وعلاجه» بالاضافة الى مجال الطب النفسى المعاصر وما جاء فيه بصدد مشكلات ذلك الادمان وبيان مضاره وطرائق العلاج منه .

واذا كان ثمة احراز علمي حققه المؤلف فى هذا المجال خاصة فلا يمنعنا ذلك من الأشارة الى عدة ملاحظات نقدية موضوعية أمكنا أن نسجلها على المؤلف وكتابه .

اصدارات جديدة



● «شوق وشوق» (الجزء الثانى) للشاعر الاديب عبد الوهاب ابراهيم آشى . . وقد سبقه الجزء الاول وهو فى النشر . . صدر عن جمعية الثقافة والفنون فى (١٧٦) صفحة من القطع المتوسط . . صدر الاستاذ عبد الوهاب آشى هذا الديوان بمقدمة تحدث فيها عن (الشعر والشعراء) وقسم قصائد هذا الديوان الى ثلاثة انواع : القسم الاولى يحتوى على مختارات القصائد التى نظمت فى الاعوام (٤٠ ـ ٤١ ـ ٤٢) ويمثل بداياته الاولى فى الشعر ويضم هذا القسم ثمانية وعشرين قصيدة . . القسم الثانى يحتوى على المشطرات والمخمسات والمقطعات والمشجرات ويضم أربعة وعشرين قصيدة . . أما القسم الثالث فيضم تسعة وخمسين قصيده . . وهى من القصائد التى نظمها الشاعر فى عام ١٣٤٣هـ وما بعده ويصف هذا القسم بقوله (فيه تتمثل روحى ويتكيف شعورى وقد اخذت النفس بعض رشدها وبلغ العقل مبتدأ أشده . . وما نطقت الا عن معنى جاش به الضمير ومغزى توفاه الوجدان وشعر به القلب وتطلبته الحال) .



وتنصب ملاحظاتنا هنا على (الشكل والمضمون) الذى بدا فيه هذا الكتاب والتى نبرزها على النحو التالى :

* لم يكن العنوان الذى اختاره المؤلف لهذا الكتاب عنوانا جامعا مانعا أو متطابقا مع طبيعة الموضوع وتفصيلاته ككل . . فاذا كانت الخمر أو المخدرات والمكيفات عموما هى السبب المباشر الذى تؤدى كثرة الاعتياد عليها الى الادمان نفسه ومن ثم فان الادمان يتفرع بالضرورة عنها فمن المنطق الا يتقدم الفرع الأصل ولذلك فاننا نعتقد أن تسمية المؤلف كتابه (المخدرات مشكلات ادمانها وعلاجها) أقرب الى قصده أولا فضلا عما تعكسه تلك التسمية بجلاء من مضامين الأبواب التى يحويها كتاب المؤلف بين دفتيه ـ كما أننا لم نعرف دافعا أو سببا علميا لاصرار المؤلف على تقسيم كتابه الى أبواب وليس الى «فصول» وازاء هذا التقسيم نلاحظ عدم التناسب بين عدد الصفحات التى يحتلها كل «باب» من أبواب ذلك الكتاب مقارنة بنظيره الذى يتقدم عليه أو يتأخر عنه ومن الأمثلة على عدم التناسب هذا : أن الباب الثانى عدد صفحاته (٨ صفحات) فى حين أن الباب الثالث مباشرة عدد صفحاته (٤٤ صفحة) . . وأن الباب السابع عدد صفحاته (٦ صفحات) فى حين أن الباب الثامن عدد صفحاته (٢٢ صفحة) . . وأن الباب الثانى عشر (٦ صفحات) ويعقبه الباب الثالث عشر (٦٣ صفحة) .

ويعطى هذا التقسيم للمؤلف وعدم التناسب فيه دلالة واضحة على عدم احتياط المؤلف وعنايته أو اتباعه أصول المنهج العلمى وقواعده فى التأليف .

وقد كشف لنا هذا التقسيم أو التفتيت لأبواب الكتاب وموضوعاته عن تجزئة متلاحقة للأفكار وعدم الترتيب المنهجى فى عرضها ومعالجتها طبقا لقواعد «المنهج» الذى نؤسس عليه نقدنا للمؤلف وكتابه .

من ذلك على سبيل المثال : انه كان بإمكان المؤلف أن يعالج «القات والتدخين» فى باب واحد



● «رمضان عبر التاريخ» تأليف الأستاذ عبد الله حمد الحقيل فى (١٣٣ صفحة) من الحجم العادى كتاب فيه الامتاع والجدة من حيث موضوعاته . . صدر الكتاب عبارة عن جوانب فقهية عن حكمة مشروعيه الصيام ـ وآداب الصيام ـ رمضان فى القرآن الكريم والسنة النبوية ـ رؤية الهلال فى العالم الاسلامى . . ثم يتبع ذلك بموضوع عن رمضان فى الادب العربى . . وما تم فى هذا الشهر الكريم من فتوحات وانتصارات . . وفى وسط الكتاب يدخل فى جوله حول العالم الاسلامى والعربى والاوربى ليوقفنا على بعض العادات والتقاليد التى تتبعها تلك الشعوب فى شهر الصوم من عبادة واكل وشرب ومظاهر ابتهاج بهذا الشهر الكريم . . ويختم الكتاب بحديث عن فضل العشر الاواخر من رمضان وليلة القدر واسماء رمضان ثم يتحدث المؤلف فى نهاية الكتاب عن عيد الفطر المبارك . . والكتاب فى مجمعه رحلة ممتعة .

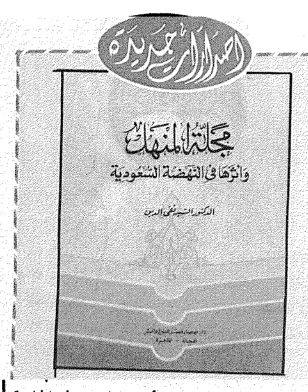
باعتبارهما من النباتات «التدخينية» ولتشابههما من حيث الأثر والنتيجة الضارة فى حالة الاعتماد عليهما . . وكذلك المنشطات والمنبهات مع عقاقير الهلوسة . . فى فصل أو باب واحد باعتبارها من المخدرات المصنعة معمليا ـ وتؤديان الى نفس النتيجة حال الاصابة بالاعتياد على أى منها . . وأيضا «للمذيبات المتطايرة مع مركبات عبر النضد ومواد أخرى» باعتبارها من بين المواد التى تؤدى كثيرة الاعتياد على تناولها أو تعاطيها من قبل المقبلين عليها الى توافر حالة الاعتماد (أى الادمان).

وأخيرا كان بامكان الدكتور عادل الدمرداش ادماج (الخمر والأفيون ومشتقاته والكوكايين ونبات الحشيش والماريهوانا) باعتبارها جميعا من المواد المخدرة والمؤدية للادمان نفسه لما تحتوى عليه من المادة المخدرة بنسبة كبيرة فى كل منها على حدة . . وان كان ثمة تفاوت فى ذات النسبة المخدرة بين بعض تلك المواد وبعضها الآخر فى كل نوع من تلك الأنواع المختلفة من حيث الشكل.

* وأما الملاحظة الثانية التى نأخذها على المؤلف وكتابه تبدو جلية فى التناقص أو عدم الترتيب (المنهجى) الذى تشكلت فيه تلك الدراسة الى الحد الذى يمكن معه القول دون شطط أو مبالغة بأنها دراسة خالفت صحيح الأوضاع وغايرت أصول (المنهج العلمى فى التأليف) المتعارف عليه فى مثل تلك الدراسات العلمية الجامعية ذات الطابع الأكاديمى المميز.

فاذا كان المؤلف ـ كأستاذ للطب النفسى ـ لا يحدد لمريضه العلاج أوالدواء قبل أن يوقع الكشف الطبى عليه فيشخص له مرضه ثم يصف له العلاج بعد ذلك . . الا أنه قد بدا فى تأليف كتابه على خلاف ذلك حيث بدا أكثر تناقضاً فى «منهج» دراسته هذه.

من ذلك على سبيل المثال: أن المؤلف قد عالج



● الدكتور عمار هلال أستاذ التاريخ فى الجامعة الجزائرية أهدى المجلة اثنين من مؤلفاته (الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام ١٨٤٧-١٩١٨) و(نشاط الطلبة الجزائريين إبان ثورة نوفمبر ١٩٥٤) طباعة مطبعة لافوميك.

الكتابان من الحجم المتوسط . . الاول فى ٣٨٤ صفحة . . والثانى فى ٢٣٧ صفحة.

● «مجلة المنهل وأثرها فى النهضة السعودية» الجزء الثانى للدكتور السيد تقى الدين ـ صدر عن دار نهضة مصر للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ الكتاب فى ٣٧٦ صفحة من القطع العادى . . وهذا الجزء يكمل فيه المؤلف ما بدأه من دراسة حول مجلة المنهل فى الجزء الأول . . تناول المؤلف ثلاثة فصول اساسية هى : فن القصة ـ فن الشعر ـ ثم فن السيرة أو ترجمة الحياة.



الجهاد في الإسلام

بين الطلب والدفاع

تأليف
صالح اللحيدان

● «الجهاد فى الاسلام بين الطلب والدفاع» تأليف فضيلة الشيخ صالح اللحيدان.. الكتاب فى (١٥١) صفحة من الحجم العادى.. الطبعة الرابعة.

الكتاب يعرض مفهوم الجهاد وتاريخه - الجهاد فى الديانات السماوية - الجهاد فى الاسلام - ويتناول فيه مراحل تشريع الجهاد وشروط وجوبه وفضله وطبيعته - الاستعداد للجهاد فى سبيل الله.. وحكم الجهاد فى الاسلام..

وموضوع الجهاد فى الاسلام من المواضيع ذات الاهمية والصلة الوثيقة بالمسلم والحياة التى يعيشها.. ولهذا يأخذ هذا الكتاب القيم أهميته.. والكتاب بحث عميق دقيق فى موضوعه.

● «محمد حسين هيكل فى ذكراه» تأليف الدكتور عبد العزيز شرف - سلسلة اقرأ - الكتاب فى ٢٠٨ صفحة من القطع الصغير - تناول فيه المؤلف: الدكتور هيكل من حيث النشأة - مدرسة الجريدة - هيكل فى عالم السياسة - شخصية الدكتور هيكل - عقيدة هيكل - مؤلفاته ومقالاته - الدكتور هيكل والقضية الوطنية - الدكتور هيكل وبعض القضايا الفكرية.

موضوع الخمر فى «الباب الرابع» مع أن منطق البحث العلمى يوجب عليه أن يجعل هذا الموضوع - الخمر - فى الباب الثانى مباشرة وليس هكذا.

وأن الأبواب (الثانى) و(الثالث) و(الخامس) من كتاب المؤلف مكانها الصحيح والمناسب بعد (الباب العاشر) طبقا لقاعدة الترتيب الموضوعى للموضوعات التى يتضمنها موضوع الكتاب ككل.

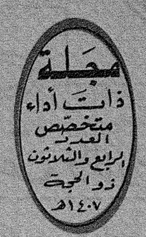
ومما يؤسف له حقاً وهو ما ألمحنا اليه أثناء حديثنا عن الباب الرابع من كتاب المؤلف عن موضوع (الخمر) أو المخدرات عموما فى الديانات السماوية (لا سيما الشريعة الاسلامية) قد خلا كتاب المؤلف من معالجة علمية طبية فقهية لهذا (الموضوع) وموقف الفكر الاسلامى وفقه الشريعة الغراء من الخمر والمخدرات ومن هؤلاء الذين يتعاطون تلك المواد المخدرة.. وكذلك موقف الاسلام من هؤلاء المدمنين للخمر وأنواعها وأشباهها وأسلوبه فى تقويمهم واصلاحهم.. الخ. فقد كنا نود أن يفرد المؤلف (بابا) مستقلا لهذا الموضوع بالذات يمزج فيه بين رأى الطب والدين مزجا موضوعيا ونظرتهما وموقفهما من المخدرات وأدمانها ومضار هذا الادمان الخطير على المجتمع الانسانى والاسلامى ولكننا - للأسف لم نجد مثل هذه المعالجة فى كتاب المؤلف وهو الأمر الذى لو تحقق سيجعل كتاب «المؤلف» قد جمع بين خيرين بل وميزتين فى آن واحد ربما لا تتوافران لباحث آخر.

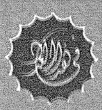
وختاما لا نملك الا أن نردد قول مؤلفنا العربى الأشهر العماد الاصفهانى (لا يكتب انسان كتابا فى يومه الا قال فى غده لو غير هذا لكان أحسن.. ولو زيد كذا لكان يستحسن.. ولو ترك هذا لكان أفضل - وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر».

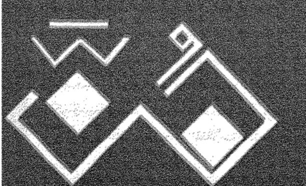
« وان الخلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية ».



النساء .. شقائق الرجال



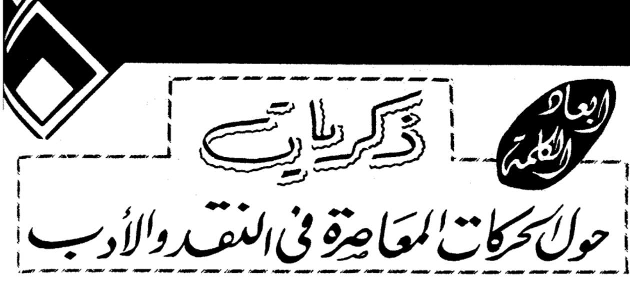




الاشراف

د. ابتسام صادق — الرياض

حياة عبدالحميد عنبر — جدة



حول الحركات المعاصرة فى النقد والأدب

بقلم : وداد سكاكينى

ردنى المقال الذى نشره الدكتور عبد العظيم أنيس الاستاذ الجامعى فى مجلة «العربى»(١) وعنوان المقال «ذكريات مع طه حسين» الى صور وانطباعات قبل الثورة المصرية عام ١٩٥٢ وبعدها جمعتها فى البال والخاطر حتى تململت فى صمتها وكنت أريد أن استنطقها وأعبر عنها فى كتاب لولا أن زحمتها حوادث وكوارث مازلنا نعيش فيها ولا يفارقنا الأمل بزوالها لاسترداد الحقوق المغتصبة منا بالدأب والاصرار والكفاح.

لقد دارت معارك نقدية وأدبية بعد الضجة التى قامت ضد طه حسين حول «الشعر الجاهلى» وكان ممن شارك فيها مصطفى صادق الرافعى والغمراوى ثم تجددت وتعددت بين رواد النقد والأدب وكان منهم عباس محمود العقاد وطه حسين وابراهيم عبد القادر المازنى وهيكل وأحمد أمين وغيرهم وكانت هذه المعارك تدور حول القديم والجديد واللاتينية والسكسونية والفصحى والعامية ثم فترت لتقوم بعدها معارك جديدة بين بعض آخر ممن جمعوا بين الثقافتين العربية والغربية كان منهم اسماعيل مظهر ورشاد رشدى ومحمد مندور كما تجددت معركة نقدية بين محمود محمد شاكر وسيد قطب من أجل الرافعى وتحيز كل منهما الى رأيه وكان أكثر هذه المقالات منشوراً فى مجلة «الرسالة» للزيات وبعضها ظهر فى جريدة «الجمهورية» التى كان يشرف على تحريرها الدكتور طه حسين بعد الثورة.

وكانت المقالات النقدية فى هذه الفترة المرة حول الشكل والمضمون والواقعية والخيالية والتعبير والتصوير وقد دار فى هذه المقالات الثائرة تحاور وتهاتر بين النقاد، ثم انبرى غيرهم من الشباب الثائر الحائر بعد قيام الثورة المصرية أخذوا يدعون بأن الذين تقدموهم ظلما وزعما قد وقفوا فى طريقهم فلم يستطيعوا أن يلحقوا بهم أو يغلبوهم بأقلامهم فى نقد لاذع وأن ما كانوا ينشرون من مقالات كانت لا تخلو من الملق والنفاق للحكام والرؤساء وفى طليعتهم طه حسين.

وكانت ثمة معركة عنيفة بين الرواد والنقاد من الشيوخ والشباب سئم الناس الترديد فيها والتعبير لنفوس حائرة كانت تتحفظ لنفض الغبار والدخان على أدب الرواد الذين شاركوا فى بناء الأدب المعاصر ولم تكن آثار هؤلاء الكبار للمصريين وحدهم بل لمصر والعالم العربى الذى كان يتلقى هذه الآثار بشوق وانتظار وفى مقدمة هؤلاء كان الأديبان الخالدان طه حسين والعقاد إذ كانا يتبادلان الآراء حول أهواء الناقمين ثم

حول الأدب والحياة الجديدة ويتهكمان فى مقالاتهما على الناشئين الحاقدين الذين لم يسكتوا بل ازدادوا عتوا وكان ممن شاركوا بقلم واحد: عبد العظيم أنيس.. ومحمود العالم.

كانا يقولان مع أمثالهما من الثوار ان طه حسين يستوحى أدبه من القديم وأنه يشارك أو يشرف على نفض الغبار عما يسمى بالتراث وانه لا يساير الواقع ولا العصر وبخاصة فإن طه حسين ينشر القصة مترجمة أو من إملائه فلا يحسن هذا الفن فى أدبه.. اما العقاد فقد قسا عليهم ونال منهم بقلمه ولسانه وشكاهم الى السلطة وكنت فى أثناء مقامى بمصر أرى جماعات من هؤلاء الناقمين يدخلون «نادى القصة»(٢) ليقتحموا مجلس الدكتور طه حسين غير متحرجين من اتهامه بالملق والنفاق وكان الدكتور طه حسين يستمع لما يقولون بهدوء وبشاشة مهدهدا نقمتهم وغيظهم وما كدت أصغى للتحاور الجائر حتى مضيت الى الاستاذ فريد شحادة مرافق العميد ورجوت منه أن لا يسمح بالدخول إلا لمن شاء فرداً فرداً فأسقط فى أيديهم ولم يعجبهم هذا الأمر فراحوا الى الصحف يتخبطون فى مقالاتهم ومزاعمهم ويصرون على أن الحق بجانبهم.

وعاد الدكتور طه حسين الى مقالاته النقدية فى الأدب وفى تحليل الكتب وترجمة الأقاصيص الفرنسية قائلا: ان حياتنا الأدبية مع كل ما قيل جامدة راكدة فالكتب القيمة نادرة الظهور تمر السنة بعد السنة ولا نقرأ كتاباً جيداً قيماً وتمر الشهور دون أن يظهر فى صحيفة اسبوعية أو شهرية مقال جيد والمجلات الأسبوعية تعنى بلون واحد هو القصة وأنها فى رأيى مقدمة سهلة يسيرة لا تكلف كاتبها تعباً ولا مراجعة ويفضل نشر المقالات الموجزة بلغة سهلة ويسيرة ونحن اليوم لا نريد أن نتعب فى الكتابة ولا فى القراءة وإذا قرأنا مقالا فسرعان ما ننساه ولا أحب أن أزعم أن حياتنا الأدبية أقامها شيوخ الأدب وحدهم فويل لهؤلاء الشيوخ اذا لم يكن لهم جيل من الشباب يقتدى بهم ولا أريد أن أعتقد أن منتوج الشيوخ كان كله قيماً أو نافعاً وإنما أريد أن أقول إنه كان خصباً طيباً وأن أكثر من جيل قد أفاد منهم فلا ينبغى أن نلوم الشيوخ أو الشباب لأنهم لا يكتبون بل نحمد لهم ما أنفقوا من مال وتعب لينشروا آثارهم وإن كثيرا من الكتاب الناشئين لا يجدون ناشراً لبواكيرهم لأن الناشر لن يضمن تكاليف النشر وان للجيل الناشىء على الجيل الذى سبقه الحق فى تقديره فليفكر شيوخ الأدب بهذا الشأن وعليهم أن يعلموا بأنهم لا يرضون الأدب بما يكتبون وإنما يرضونه حين يحملون التبعات فى تقدير الجيل الجديد حتى يتمكنوا من الكتابة ويشاركوهم فى الذوق والشعور، والأديب الصادق لا يحتاج الى رضا الناس فحسب بل أنه محتاج الى أن يرضى الناس عنه ويغضبوا وإلى أن يثنوا عليه أو ينقدوا منتوجه هو فى حاجة الى الاتصال بالناس لأنه يكتب لهم ويقرأ من أجلهم كما أنه يكتب لنفسه ليعبر عن شعوره وتفكيره على أن اتصاله بالناس أصبح مشكلة ولا يكاد يعرف لها شبيهاً فى تاريخ الأدب العربى على طوله واختلاف عصوره إذ كان هذا الاتصال فيما مضى ميسراً الى حد بعيد ولم يكن على الأديب إلا أن ينشىء مقالا أو قصة أو قصيدة ثم يكلف أحد النساخ لنقل الكلام بخطه أو يذيعه فى الراديو واليوم ليس من سبيل الى التفكير فى هذا والناس لا يقرؤون الكتب المخطوطة الا بعد طبعها وكانوا من العلماء والمحققين فيها وقد وقفوا أنفسهم على إحياء التراث



وقد اقتضى يسر الطبع والنشر أن تؤسس الصحف والمجلات لينشر الأدباء فيها كلامهم أو يؤلفون مما كتبوا مجموعات وقد ازداد فيها التعبير بالقصة القصيرة وهى التى أصبحت من ألوان الأدب الحديث كما اقتصر يسر الطباعة والنشر على تأسيس الصحف يومية وأسبوعية وشهرية يختار الأديب للنشر فيها ما يروق مزاجه ووجهتها وتتنافس الصحف فيما بينها لتتخذ الأدب وسيلة من وسائل .هذا التنافس يسعى اليها الأدباء ويتلاقى العلماء.

وقد مضت أمور الأدب على هذا النحو ميسرة لكن الأمور تتعقد فجأة فإن الطباعة والنشر يحتاجان الى المال الذى ينفق فى كثير من التدبير والتقتير والمال يجر المال.

وكان الأدباء فيما مضى من الزمان يتخذون الأدب فناً أى يتخذونه غاية لا وسيلة ينتجون لأن مواهبهم تضطرهم الى الانتاج وما كانوا يعولون على الربح من نتاجهم للمعيشة بل كانوا يتخذون للمعيشة وسائل عديدة قل أن تتصل بالأدب من قريب أو من بعيد.. كان من هؤلاء من يعملون فى الصناعات اليدوية أو فى التجارة يضطربون فى شؤون الحياة كما يضطرب غيرهم وربما وجد الأديب أو صاحب الفن من الملوك والأمراء أو الأغنياء من يريحه من التعب فيتفرغ للأدب ويشترى رضا الكبراء بما يهدون اليهم من ألوان المدح والثناء على أن عصر هؤلاء الكبراء والأمراء قد مضى الى غير رجعة وأصبح الأديب يعول على نفسه لينشر نتاجه أولا ثم ليلقى التقدير الذى يوفر القوت له أحيانا إذا لم يضطرب فى اسباب الحياة كما كان يضطرب فيها كثير من السلف.

كان الأديب فخوراً بهذا الاستقلال الذى أتيح له وبأنه قد استطاع أن ينصرف عن هذا الثناء الذى تنطق به الألسنة ولا تؤمن به القلوب والأديب الحق لا يكره شيئاً كما يكره تملق القراء وفى الأدب اعتزاز بالنفس وإيمان بالفن والجمال.. وهو يرى فى الادب نفسه غاية لا وسيلة ويجب أن يرقى إليه قراؤه ولا يجب أن ينزل اليهم وليس معنى هذا أن يتجافى عنهم وإنما معناه أن يستوحى منهم مادته ويستخلص منهم صفوهم وكدرهم ليجعل منه مادة للكتابة.

وهذا باب أفتحه للدارسين والباحثين لكى يتعاونوا على حماية الأدب وحياته من آفاتها ولكى يرد للأدب شبابه فإن الأدب الذى يفقد الشباب لا خير فيه ولا نفع منه.

وسيقول القائلون انى متشائمه ويعلم الله انى ما تشاءمت.. وما كنت إلا متفائلة لكنى رجعت الى الأدب وأردت أن أقرأ فلم أجد أمامى إلا كتب القدماء وكتب المجددين من الاميريكيين والفرنسيين وأردت أن أقرأ كتبا مصرية وعربية فأعدت قراءة كتاب لأديب معاصر وأخذت أقرأ فى المجلات فخفت إضاعة الوقت والتمست الروح والراحة والغذاء عند قدماء العرب وعند الكتاب الأجانب وكثيراً ما يخدع الأديب نفسه ويخيل الى هذه النفس أنه يكتب متفوقا غير أنه لا يكاد يكتب حتى يحس بحاجة ماسة الى أن يقرأ الناس ما يكتب فمن طبيعة نفسه ان يتصل بالناس ليقرؤا ما كتب فهو يخالطهم ويعاشرهم ثم ينفصل عنهم ثم يعود اليهم ويخرج نتيجة هذا صورا يعرضها على الناس فى الصورة التى يحبها هؤلاء وفى الصورة التى يحبونها.. كذلك يجد الأديب نفسه فى وطنه غريباً وهو من المواطنين بل هو خلاصة حياتهم

يذوب نفوسهم . . وكانت القراءة والكتابة فيما مضى وقفاً على فئة قليلة من الناس هم الذين يعنون بالأدب ويتفرغون له أو يمنحونه أجزاء من وقتهم فكان من اليسير على الأديب أن يتصل بالقراء دون مشقة فالقراء والكتاب كثيرون وسيزيد عددهم يوماً بعد يوم وأصبح الوصول الى القراء والمثقفين على اختلاف حظوظهم من القراءة والثقافة شاقاً عسيراً يحتاج من الوسائل ما لا يتاح الا بعد الجهد والتكلف.

نشر الدكتور طه حسين عدة مقالات حول «الأدب والحياة» و«الحياة والأدب» وصورة الأدب و«يونانى لا يقرأ» و«الحياة فى سبيل الأدب» و«أصداء وأدب الثورة وثورة فى الأدب» و«الكنوز الضائعة» بين «الفصحى والعامية» و«مشكلة» و«التمثيل» و«اسراف» و«جد أبى نواس» وقد نشرت هذه المقالات مجموعة فى كتاب «خصام ونقد»(٣).

وأنشأ الكاتبان محمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس مقالات تناولا فيها نتاج طائفة من الأدباء والكتاب بينهم طه حسين وتوفيق الحكيم وابراهيم عبد القادر المازنى والعقاد وأحمد شوقى وحافظ ابراهيم ونجيب محفوظ والشرقاوى ومحمد عبد الحليم عبد الله وعبد الرحمن بدوى زعم المؤلفان بأنهما ألقيا أضواء على مؤلفات هؤلاء القصصيين والمفكرين والنقاد وعنوان المقالة الأولى «من أجل ثقافة مصرية» والثانية «فى الأدب الواقعى» وقد نشرت هذه المقالة بعد معركة من الشيوخ والشباب أو بين أنصار المدرسة الواقعية وأعدائها فالمدرسة الحديثة بزعم هؤلاء الشباب تربط الأدب بالمجتمع ربطاً حيا وتريد أن تجعل من الأدب صورة صادقة لحياة المجتمع فى قلعة أشواقه وأمله وطموحه . . والمقال الثانى من أجل أدب واقعى . . والثالث «الأدب بين الصياغة والمضمون» و«عبقرية العقاد».

وقد كان هذا المقال رداً على العقاد الذى نشر فى جريدة «أخبار اليوم» المصرية مقالاته لأدعياء التجديد جاء فيه: اقرأوا ما تنقدون وقد ملأ العقاد مقاله هذا بالسباب فإن ما نادى به الكاتبان ليس جديداً على العقاد لأن العقاد ذكر مثل كلامهما منذ أربعين عاماً.

أما مقال «حصاد المعرفة» فكان رداً على طه حسين ومأساة الزمن عند توفيق الحكيم وقد سخر فيه المؤلفان من توفيق الحكيم كما تناولا عبد الرحمن بدوى بنقد مؤلفاته ومقالاته عن الوجودية وهناك مقال «الشعر المصرى الحديث» كان نقداً للشعراء: البارودى وحافظ ابراهيم وغيرهما . . وفى الرواية المصرية قال الدكتور عبد العظيم أنيس لم يكن هدفى من هذه الدراسة أن أتناول نتاج الروائيين المصريين كله بالدراسة والتحليل فربما احتاج هذا العمل الى كتاب جديد كامل وانما تداولت بالدراسة الروايات التى أعدها علامات مميزة أكثر من غيرها فى تاريخ كفاحنا الوطنى والفكرى فإلى هؤلاء الذين لم أتعرض لنتاجهم اعتذارى وإلى هؤلاء الذين تناولت أعمالهم الأدبية بالنقد والدراسة أملى فى ان يصفحوا عنى إذا كنت أسرفت فى تعميم الأحكام أو شططت فى النقد والتقدير فمن توفيق الحكيم إلى نجيب محفوظ ومن وقفة عند عبد الرحمن الشرقاوى الى وقفة عند غيره.

ولقد جمعت هذه المقالات ونشرت فى بيروت وتولت نشرها «دار الفكر الجديد» والمقدمة بقلم الشيخ حسين مروة صديق العالم وعبد العظيم.

وفى هذه الأثناء كان العقاد مشغولا بالتهاتر والتهكم مع الشيخ أمين الخولى وزوجته الثانية الدكتورة عائشة عبد الرحمن وذلك فى المفكرة الأسبوعية التى كان ينشرها العقاد فى جريدة (أخبار اليوم).



حق صغارنا

دعيت الى وليمه فى منزل أحد الاصدقاء.. حضرها عدد من المسنين والشباب.. وقد كان موضوع حديث ما قبل ـ الغداء ـ أطفال اليوم.. وأطفال الأمس.. وتربية أيام زمان.. وتربية اليوم.. تخلله نقاش وجدل.. استوقفتنى فيه عبارة لشيخ كبير قال فيها: أخشى على أطفال اليوم أن يكون صراخهم مشوباً بشىء من ـ الخوار.

للوهلة الأولى ـ والحق يقال ـ لم أتنبه الى ما عناه الرجل.. ثم ادركت قصده عندما واصل حديثه عن اتجاه جيل اليوم من الامهات الى الحليب الصناعى.. الذى من أصل ـ بقرى ـ.. الامر الذى جعلنى أعيد التفكير مرة أخرى فى اشارة موضوع الرضاعة الصناعية من جديد.. وان كان الموضوع قد كتب عنه فى اكثر من موقع.. ولأكثر من مرة.. ولكن طالما ان هناك حاجة فلا بأس من الكتابه مرات ومرات.

فانني اعجب ـ كغيري ـ لأولئك الامهات اللواتي يتحججن بالأعذار والمبررات ويلجأن الى ـ الببرون ـ وهن يعرفن جيدا أن العلم قد أثبت أن نمو الاطفال الذين يتغذون بحليب أمهاتهم أفضل بكثير من أولئك الذين يتغذون بالرضاعه الصناعية، هذا عدا دور الرضاعة على عودة الام بسرعة الى حالتها الطبيعية بعد الولاده.. وبعد ما اثبت الاطباء كذلك الا ترهل يلحق بجسد الأم المرضع بسبب مداومتها على ارضاع وليدها.. واننى هنا أود ان انحى باللائمة على كثير من الامهات اللواتي ينفد صبرهن بسرعه ويكففن عن الارضاع اذا فشلت تجاربه الأولى.. وقد لا يكون مستبعداً أن يكون هذا الانصراف ارضاءاً لرغبة مكبوتة عندهن بعدم الارضاع... كما أن كثيراً من الامهات للأسف ـ لا سيما من هذا الجيل ـ لا يفهمن لغة الطفل.. فتعمد الواحده منهن أحيانا الى تبديل ملابسه ولفائفه وهو يصرخ جائعاً أو يرضعنه وهو يصرخ من رطوبة

لفائفه . . فيثور ويتمادى فى [illegible] حيرة الأم الحديثة العهد بالأمومه .

كما أن بعض الأطفال اذا اعطى ثدى أمه فى أوقات خاطئة فانه يمتنع عن الرضاعة ويشيح عن ثدييها بوجهه فتفهم الأم ـ خطأ ـ ان صغيرها لا يقبل الرضاعة منها . . فتسارع به الى الطبيب ليحدد لها نوعية الحليب المناسب لطفلها . . والأدهى من هذا والأمر منه أن تعمم استنتاجها هذا على الاطفال والولادات التاليه فتحرمهم مسبقاً من الرضاعة منها .

وعدا كون حليب الأم يتغير تركيبه تبعا لعمر الرضيع واحتياجاته الجسمية مما لا يتوفر فى الحليب المسحوق أيا كانت نوعيته والاضافات المضافة اليه . . فانه لا يمكن لـ ـ الببرون ـ ان تعطى الطفل ما يشعر به من دفء وأمان وهو على ثدى أمه . . ولا شك أن أصعب ما يؤلم الطفل من أحداث هو أن يتضح له جذريا أن الأم ليست قطعة منه وانها كائن مستقل عنه كل الاستقلال .

وحتى الآن فاننى لم اتطرق فى حديثى الى ـ المربيات ـ او ـ الشغالات ـ اللواتى يشرفن على ارضاع الاطفال وتحضير وجباتهم . . مما يعمق شعور التشكك لدى الطفل الذى انتهت مهمة أمه بانجابه .

وينبغى الا يغرب عن بال الأمهات ـ وحتى الآباء ـ أن التصاق الطفل بجلد أمه وشعوره بدفئها يقوى ثقته بنفسه الى أن يتعود تدريجيا على الأوضاع الجديده . . وفى هذه الرضاعة يمتص الطفل مع الحليب اسمى عاطفه سرية من عواطف الانسانية . . انها عاطفة الميل للآخرين .

والرضاعة تؤدى الدور الفاصل فى العلاقة المتبادله بين الأم والوليد . . وكثير من الأمهات يرون الحليب وقد بدأ بالتنقيط من اثدائهن لمجرد سماعهن صراخ الطفل . . وهذا بحد ذاته دليل على عمق العلاقة بين الأم وطفلها بواسطة الرضاعة .

ومن هذا المنطلق ذهب بعض الاطباء النفسانيين الى القول : بأن الذين لا يعيشون فى سنىّ طفولتهم عيش الحب لأمهاتهم سينقصهن فى المستقبل ـ النموذج ـ وعليهم فى المستقبل أن يتعلمونه . . وقد لا يتعلمونه طيلة حياتهم . .

وقفة :

إن الطفل يحيا ويحب بفمه . .
والأم تحيا وتحب بواسطة ثديها .

ـ عالم النفس الامريكى ـ
اريكسون ERIKSON

دراسات :

● اظهرت دراسات عديده ارتفاع مستوى افراز الحليب فى المرأة التى اظهرت حماساً شديداً للرضاعة عنه فى أخرى كانت لها الرغبة للتوقف عن الرضاعة الطبيعية .

● رغبة الأم الاكيدة فى الارضاع تضمن افراز حليب يكفى رضيعها حتى لو كانت تعانى من سوء فى تغذيتها .

ذهول : . . تشاجر مع أمه . . فقال لها : ما الذى فعلتيه لى . . ارضعتينى عشرين علبة حليب . . ادفع لك ثمن مئة علبة .





إغفاءة على وسادة من قلق

بقلم
مريم جبر

زمن ليس بالقصير ذاك الذى مضى دون أن تستضيف مفكرتى مفردات جديدة تشهد حالات ليست بالجديدة من القلق والخوف والفوضى والترمد الذى يعشق جسدى باستماتة.. ولأننى كما أبدو دائما ورغم كل ذلك لست متشائمة فلم أركن لهذا الوباء الذى بدأ ينخر جسدى ـ الخواء والملل والأرق ـ فقد استرجعت وجها من وجوه طفولتى الاولى ورحت «اخربش» بصعوبة لدرجة ذهبت معها الى الخلط بين الارقام والحروف ولم أميز شيئاً.

● اكتشفت فجأة أننى لم أعد أفقه شيئا مما يدور حولى وأن العالم خارج كيانى الصغير صار غريباً.. أبحلق فى وجوه الناس.. أود لو أخترق مسامات وجوههم لأعرف ما يدور خلفها، أغرس عيونى فى الفضاء غير المتناهى لعلى اكتشف شيئاً جديداً يعيد الىّ وعيى بها ـ ومن ـ حولى.. الأشجار، الاحجار، الشمس، الناس، ال... الاشياء كلها غريبة الى درجة تعذبنى.

أفتح جريدة الصباح.. اطالع الأنباء والتقارير والأحداث.. أمر على أخبار الفن والمجتمع والآراء «الحرة» وانتهى بصفحة «الوفيات» لأجعلها محطتى الأخيرة.. أشعر بلذة غريبة لقراءتها حرفا حرفا.. كل الأخبار خاضعة للتبرير إلاها.. لا أملك إلا أن أردد بخشوع: «إنا لله وإنا اليه راجعون» لا النهار يرحم ولا الليل.. أمرّ من محطة لأخرى بحثاً عن لحظة أو لحظات لا يكون لها شكل شارات الاستفهام

أحشو أذنى بأطنان من القطن «المعقم» وأفرض التعتيم الكامل على «عيونى».. وأستسلم لصدر



والترصد أعود لممارسة الجريمة التى صارت وظيفة، أنبش قبوراً فى الهواء الطلق مودعة بعد أن ضاقت بها الأرض والملم بقايا الفرح والأمل المذبوح فى العيون وأجمعها بمنعة كبيرة وألم اكبر. . . هواية، تماماً كما يجمعون الطوابع والأشياء الغريبة. . والفرق أن هوايتى التى صارت جريمة ترفضها كل اللغات الحية وغير الحية. .

لم أعدم وسيلة أعيد بها حروف اللغة تحت لوائى. . حاصرتها من كل الجهات فقفزت من بين أصابعى، مللت لعبة الحروف فرحت أبحث عن لغة ألتحم بها مع الأشياء والحوادث التى أتسمر أمامها كبعض من صخرة ما لبثت امواج الشاطىء تسرق أطرافها ببراعة فبعد كل لحظة عناق تترك على تلك الاطراف وصمة ضعف تفتت مقدار ذرة من جلودها.

أريد الآن لغة جديدة. . لغة لا تأخذ منى وقتاً ولا ورقاً. . لا تفر من بين أصابعى ولا تستهلكنى إن حضرت لغة تحملنى الى دهاليز هذا الوجود فلا ترهقنى ولا ترهبنى. . لغة تفرد أمامى تفصيلات ما يعجز عقلى الصغير عن استيعابه دونها مساومة ولا استجداء.

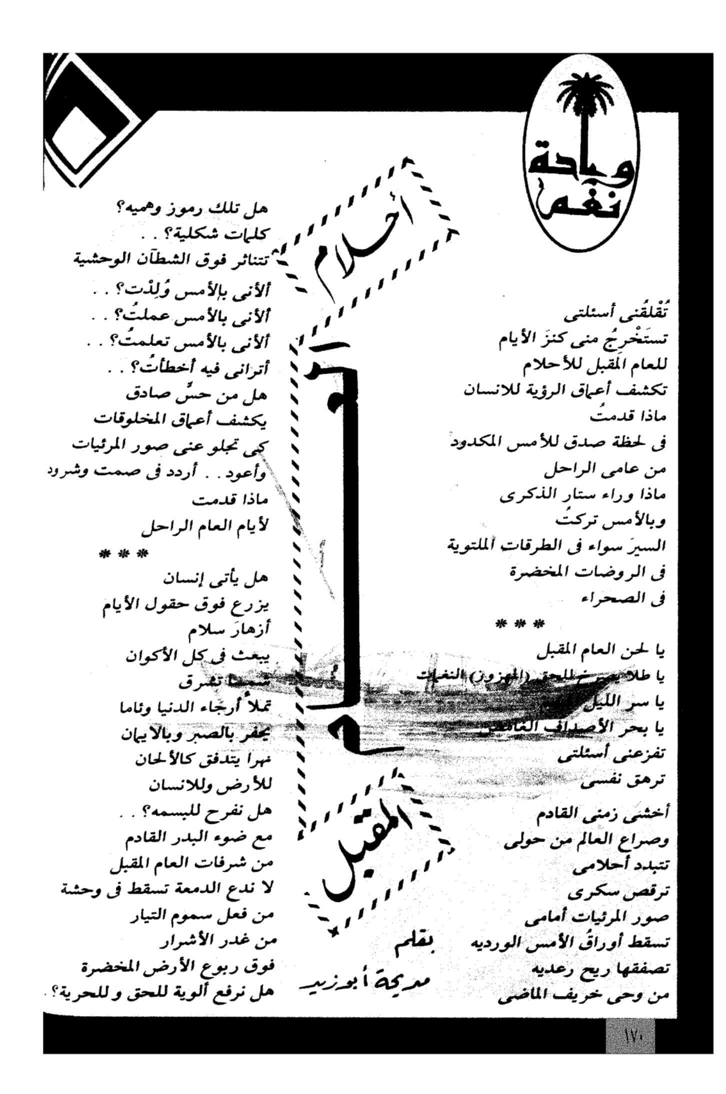




مدينة وديعة تتهادى على ضفاف حلم ليلى شهى. . مدينة لا يتصاعد الدخان من جهاتها «العشر». . بريئة لا تعرف حدود السكاكين ولا فوهات الكاتيوشا. . عذراء لم يغتصبها الحقد ولم يدنسها الارهاب. . مدينة تكون أنا واكون هى وكل أخبارنا تكون مسرات.

لو أنسى أنه حلم كأحلام «حريم العمدة» باستلام العرش كل على حدة.

أعدت تنظيم أجزائى المهلهلة لاكتشف أننى عزلتها عن غموض هذا العالم. . وفاتنى فقط أن أوصد نوافذ ذاكرتى اللعينة. . ومع سبق الاصرار



أحلام العام المقبل

بقلم
مديحة أبوزيد

تُقْلقُنى أسئلتى
تستَخْرجُ منى كنزَ الأيام
للعام المقبل للأحلام
تكشف أعماق الرؤية للانسان
ماذا قدمتُ
فى لحظة صدق للأمس المكدود
من عامى الراحل
ماذا وراء ستار الذكرى
وبالأمس تركتُ
السيرَ سواء فى الطرقات الملتوية
فى الروضات المخضرة
فى الصحراء

* * *

يا لحن العام المقبل
يا طلا يصرخ للحق (المهزوم) النغمات
يا سر الليل
يا بحر الأصداف العاطر
تفزعنى أسئلتى
ترهق نفسى
أخشى زمنى القادم
وصراع العالم من حولى
تتبدد أحلامى
ترقص سكرى
صور المرئيات أمامى
تسقط أوراقُ الأمس الورديه
تصفقها ريح رعديه
من وحى خريف الماضى

هل تلك رموز وهميه؟
كلمات شكلية؟ . .
تتناثر فوق الشطآن الوحشية
ألأنى بالأمس وُلِدْتُ؟ . .
ألأنى بالأمس عملتُ؟ . .
ألأنى بالأمس تعلمتُ؟ . .
أترانى فيه أخطأتُ؟ . .
هل من حسٍّ صادق
يكشف أعماق المخلوقات
كى تجلو عنى صور المرئيات
وأعود . . أردد فى صمت وشرود
ماذا قدمت
لأيام العام الراحل

* * *

هل يأتى إنسان
يزرع فوق حقول الأيام
أزهارَ سلام
يبعث فى كل الأكوان
شمسا تشرق
تملأُ أرجاء الدنيا وئاما
يحفر بالصبر وبالايمان
نهرا يتدفق كالألحان
للأرض وللانسان
هل نفرح للبسمه؟ . .
مع ضوء البدر القادم
من شرفات العام المقبل
لا ندع الدمعة تسقط فى وحشة
من فعل سموم التيار
من غدر الأشرار
فوق ربوع الأرض المخضرة
هل نرفع ألوية للحق و للحرية؟

شاعرات الزهد في العصر العباسي

بقلم : فاطمة حسين طعيمة

كان العصر العباسى هو عصر التقدم الحضارى للمسلمين الذى بلغ فيه المسلمون من العمران والسلطان مالم يبلغوه من قبل فقد اثمرت فيه الفنون الاسلامية وزهت الآداب العربية والثقافة والعلوم المختلفة.

ولقد استوعب هذا العصر تيارات كثيرة متناقضة نظرا لأن هذا العصر كان حافلا بالتغيرات السياسية وخرجت منه تيارات متناقضة عديدة مثل الشعوبية والمجون والزهد..
كان الزهد ظاهرة اسلامية خالصة سادت فى العصر العباسى لم تشبها أدنى شائبة من أى مؤثر خارجى.

كان الزهد فى ذلك العصر محاولة لايقاظ الناس من غفلتهم ومجونهم ولهوهم ودعوتهم الى التوبة والمغفرة بالوعظ والارشاد الدينى.. وكان الزهاد صورة مشرقة للقدرة على ردع النفس والتحرر من سيطرتها وذلك بالابتعاد عن زخرفها الزائف.

وكان للزهد شعراء اهتموا فى شعرهم بالوعظ والدعوة الى الزهد من أمثال عبد الله بن المبارك ومحمد بن كناسة ومحمود الوراق وأبى العتاهية.

الشاعرات الزاهدات:

لم يقتصر الزهد على الرجال فقط بل كانت هناك أيضا طائفة من النساء اشتهرن بالزهد والورع والعبادة بل نجد أن كثيرا من الرجال كانوا يذهبون الى هذه الطائفة من النساء يسألونهنّ فى الأمور الفقهية.. والأحاديث النبوية.. وما الى ذلك من الأمور الدينية.. ونجد على رأس هذه الطائفة امهات المؤمنين أزواج الرسول - كانت حياتهن نموذجا مشرفا يحتذى به فى حياة الزهد فى الدنيا ومتاعها فى كنف إمام الزاهدين سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾ نفسه.

وقد عرف العصر العباسى طائفة من أولئك الزاهدات أشهرهن رابعة العدوية - كما نذكر معها أيضا رابعة بنت اسماعيل.. وماجدة القرشية.. والسيدة عائشة بنت جعفر الصادق.. والسيدة فاطمة النيسابورية.. وأم هارون.. وعمرة امرأة حبيب.. ومعاذة العدوية.. وأمة الجليل.. وعفيرة العابدة.. وعبيدة بنت أبى الكلاب.. وشعرانة وآمنة الرملية.. والسيدة نفيسة ابنة الحسن بن زيد.



كانت رابعة كثيرة البكاء والحزن. . وكانت اذا سمعت ذكر النار غشى عليها زمنا. . وكانت تقول: استغفارنا يحتاج الى استغفار. . وكانت ترد ما أعطاه الناس لها وتقول: مالى حاجة بالدنيا. . وبعد ان بلغت الثمانين سنة كأنها شن بال تكاد تسقط إذا مشت. . وكان كفنها لم يزل موضوعا أمامها بموضع سجودها. . وكان موضع سجودها كهيئة الماء المستنقع من دموعها. . ولها ابيات مشهورة عن الحب الالهى تقول فيها:

أحبك حبين حبّ الهوى
وحبا لأنك أهل لذاك
فاما الذى هو حب الهوى
فشغلى بذكرك عمن سواك
واما الذى أنت أهل له
فكشفك لى الحجب حتى أراك
فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى
ولكن لك الحمد فى ذا وذاك

وكانت تقول: ما عبدتك خوفا من نارك ولا رغبة فى جنتك بل كرامة لوجهك الكريم.

رابعة بنت اسماعيل

كانت تقوم من أول الليل الى آخره وتقول: اذا عمل العبد بطاعة الله تعالى أطلق الجبار عليه مساوىء عمله فتشاغل بها دون خلقه. . وكانت تصوم الدهر وتقول: ما مثلى يفطر فى الدنيا - ما سمعت الأذان قط الا ذكرت منادى يوم القيامة ولا رأيت الثلج قط الا ذكرت تطاير الصحف ولا رأيت حرا الا ذكرت الحشر - وكانت تقول: ربما رأيت الجن يذهبون ويجيئون. . ، وربما رأيت الحور العين يستترن منى بأكمامهن.

ماجدة القرشية

كانت رضى الله عنها تقول: ما حركة تسمع ولا قدم يوضع الا ظننت أنى أموت فى اثرها. وكانت تقول: يالها من عقول ما انقصها. . سكان دار لو اذنوا بالنقلة وهم حيارى يركضون فى المهلة. . كأن المراد غيرهم والتأذين ليس لهم ولا عنى بالامر سواهم ومن اقوالها: «لم ينل المطيعون ما نالوا من دخول الجنان ورضا الرحمن الا بتعب الأبدان».

السيدة فاطمة النيسابورية

كان ذو النون المصرى يقول عنها: فاطمة أستاذتى. وكانت تقول: من لم يراقب الله تعالى فى كل حال فانه ينحدر فى كل ميدان ويتكلم بكل لسان. . ومن راقب الله تعالى فى كل حال أخرسه الا عن الصدق وألزمه الحياء منه والاخلاص له. . وكان أبو يزيد يقول عنها ما رأيت امرأة مثل فاطمة - ما أخبرتها عن مقام من المقامات إلا كان الخبر لها عيانا.

معاذة العلوية

كانت اذا جاء النهار قالت: هذا يومى الذى أموت فيه فما تنام حتى تمسى - واذا جاء الليل قالت:

هذه ليلتى التى أموت فيها فلا تنام حتى تصبح. وكانت اذا غلبها النوم قامت فجالت فى الدار وهى تقول: يا نفس النوم امامك ـ ثم لا تزال تدور فى الدار الى الصباح تخاف الموت على غفلة ونوم. . وكانت تصلى فى اليوم والليلة ستمائة ركعة ولم ترفع بصرها إلى السماء اربعين عاما. . ولما مات زوجها لم تتوسد فراشا حتى ماتت.

أمة الجليل

كانت من العابدات الزاهدات واختلف مرة العابدون فى تعريف الولاية على اقوال ـ فقالوا امضوا بنا الى أمة الجليل ـ فقالوا لها: ما الذى عندك من تعريف الولاية؟. . قالت ساعات الولى ساعات شغل من الدنيا. . ليس لولى فى الدنيا ساعة يتفرغ منها لشىء دون الله ـ ثم قالت لواحد منهم: من حدثكم ان ولياً لله تعالى له شغل بغير الله تعالى فكذبوه.

عفيرة العابدة

دخل عليها العابدون رضى الله عنهم يوما يزورونها فقالت لهم: ما شأنكم؟ قالوا: نسألك الدعاء. قالت: لو أن الخاطئين خرسوا ما تكلمت عجوزكم من البكم ولكن الدعاء سنة ثم قالت: جعل الله قراكم من نبق الجنة. . وجعل ذكر الموت منى ومنكم على بال. . وحفظ علينا الايمان الى الممات ـ وهو أرحم الراحمين.

شعرانة

كانت لا تفتر عن البكاء فقيل لها فى ذلك فقالت: والله لوددت أن أبكى حتى تنقطع دموعى ثم أبكى. . دما حتى لاتبقى جارحة من جسدى فيها دم وكانت تقول: من لم يستطع البكاء فليرحم الباكين ـ فإن الباكى انما يمكن لمعرفته بنفسه وما جنى عليها وما هو صائر اليه وكانت تبكى وتقول: الهى انك لتعلم أن العطشان من حبك لا يروى أبدا وكانت خادمتها تقول: منذ وقع بصرى على شعراته ما ملت قط الى الدنيا ببركتها. . ولا استصغرت فى عينى احدا من المسلمين. . وكان الفضيل بن عياض يأتيها ويتردد إليها ويسألها الدعاء.

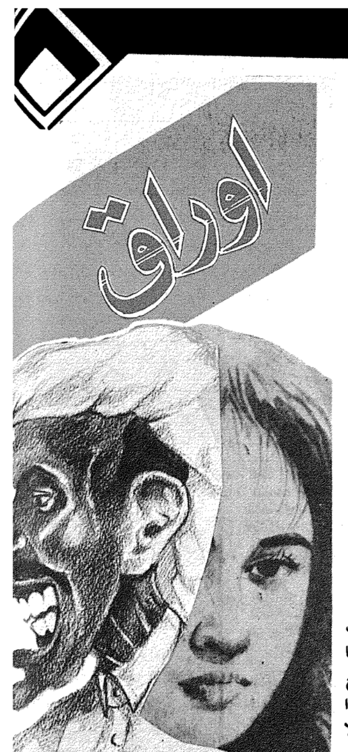
آمنة الرملية

كان بشر بن الحارث رضى الله عنه يزورها ـ ومرض بشر مرة فعاودته آمنة من الرملة. . فبينما هى عنده إذ دخل الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه يعوده كذلك ـ فنظر الى آمنة. فقال لبشر من هذه؟ فقال له بشر: هذه آمنة الرملية بلغها مرضى فجاءت من الرملة تعودنى. فقال أحمد لبشر: فاسألها تدعو لنا. . فقال لها بشر: أدع الله لنا. فقالت: اللهم إن بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل يستجيران بك من النار فأجرهما يا أرحم الراحمين قال الامام أحمد بن حنبل: فلما كان الليل طرحت الىّ رقعة من الهواء مكتوب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم قد فعلنا ذلك ولدينا مزيد.

عبيدة بنت ابى الكلاب

كانت تتردد الى مالك بن دينار وسمعت شخصا يقول: لا يبلغ التقى حقيقة التقوى حتى لا يكون شىء أحب اليه من القدوم على الله عز وجل ـ فخرّت مغشيا عليها. وكانت تقول: لا أبالى على أى حال اصبحت أو أمسيت.

●● إنها صفحات مشرقة من تاريخ نساء المسلمين الصالحات تشرق باستمرار على ذاكرتنا.





١٩٨

اعــرف أنـك لست فى حاجـة الى فستـان أو مجوهـرات. . لكن. . لأن فلانـة خرجت للاسواق واشـترت. . وفـلانـة. . وفلانة. . اصبح خروجك ضروره ملحة. . فاذا كان ازواجهن مقتدرين. . أو مغلوبـين على أمـرهم فأنا عنـدى اكثر من مبرر للاعتذار عن (طلعة السوق).

١٩٩

اذا عدت من خارج المنـزل. . وكـان لديـك شكـاوى ومـرافعات. . أو طلبات فليتك ترجئينها بعض الشىء ريثما القط أنفاسى. . وتقرئى ملامح وجهى. . ونفسيتى فربما لا يكون عندى استعدادا للتجارة بل وربما انقلبت الامور على نحو لا يسرك. .

٢٠٠

بوسـعـى أن اكـون (مثلهم). . وان أعيش لـ (يومى). . اطعمكم بلذيـذ الطعـام. . واكسوكم نفـيس الثيـاب. . ولكن ماذا لو دارت الأيـام. . وتبدلت الأحوال؟. .

٢٠١

أرأيت حين تمارس (الـزوجـة) الكـذب على زوجها. . ويعتاده منها. . أرأيت هل يصدق تبريرها او حجتها لدحض اتهام يوجه اليها؟.

يوسف ابو عواد



الورقة

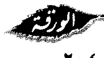
٢٠٢

نعم.. سأظل دائم التفكير.. ولن اسلم الأمور لغير تفكيري وعقلي فما هي قيمة الانسان عندما يتجرد من عقله وتفكيره؟..

الورقة

٢٠٣

انني مثلك.. احساسي يملأ على جوارحي.. لكني اكبتُ شعوري احياناً.. فتفهميني على غير حقيقتي.. صحيح صدر المرأة اكبر بـ حنانها.. ولكن صدورنا اكبر بـ همومها.



٢٠٤

(الحب) يا سيدتي - كلمة - امتهنها - صغار العاشقين.. ولم يبقوا من معانيها السامية شيئاً.. فان لم يكن بوسعنا استرجاع شيء من كرامتها أو ادخاله غرفة الانعاش فلا داع لمزيد من تشويه وجهها وتحريف معانيها

الورقة

٢٠٥

احضري - القلم - والقرطاس.. وتعالي سجلي اعترافي في الحال: اننا معشر الرجال فينا فئة تستحق أن ينفذ بحقها ما تقوم به شغالات النحل في جماعة الذكور عند المجاعات..

الورقة

٢٠٦

وحتى لا تستغرقي في فرحتك.. تعالي اصارحك بشيء آخر يخص بنات جنسك: فبعضهن قد جردن انفسهن من معاني الأنوثة.. حتى ان الواحده منهن لتجهر بغليظ صوتها في المجالس.. وتباهي أنه جهور..

الورقة

٢٠٧

اعلمي يا سيدتي أن الرجل لا يغريه منطق المرأة و(فهلويتها) كثيرا.. ولا يسيل لعابه لفصاحة لسانها وقوة بيانها.. بقدر ما يريدها انثى - خجولة - تتلعثم حياءاً بمفرداتها وتذوب في رقتها وانوثتها.. واذا لزم الأمر تقول بعيونها ما يعجز عنه لسانها.



٢٠٨

انا جئتك من فراغ الوحدة.. ودوامة الافكار.. ولهيب الشوق وقرصنة الاحلام.. وسراب الأماني.. فهل عرفت من اكون؟.



٢٠٩

تنامين فوق الفراش الوثير - تتيهين عزاً بثوب - الحرير.. ولكن من اليأس ما كان بُدّا..



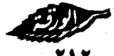
٢١٠

ليس بالخبز وحده يحيا الأزواج.. علمتيني أنك أشهر زوجة فى صنع الأطباق التى تستحث ابخرتها وتوابلها بل وروائحتها الزكية لعاب المصابين حتى بالتخمة.. فهل يمكن الانتقال للمشهد الثانى؟..



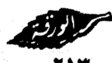
٢١١

ليتنى أستطيع كسر جمودى وأمثل دور الجمهور المنافق أمام ممثل فاشل.. ولكننى يا حبيبتى لا اصفق الا اذا اصطدمت كلتا يدى ولا اعتبره تصفيقا - الا اذا كان اصطداما من نوع الأفعال - غير الارادية.



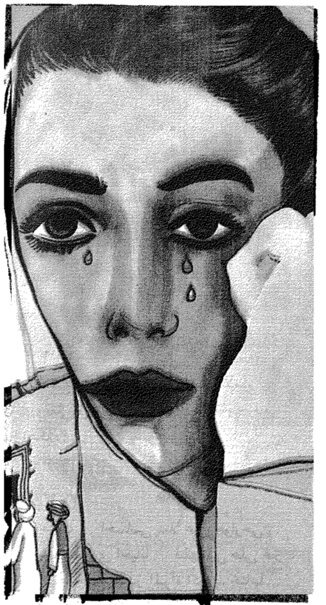
٢١٢

قلت لك الف مرّه.. اننى غير ملزم أن اكون على شاكلة فلان.. او - علان - وسأبقى على سجيتى وخصالى التى جربت وخبرت.. ولكننى على استعداد ان اكون مثلهم ولكن بايجابياتهم وسلبياتهم.. فقبل أن تأكلك الغيرة.. فتشى عن عيوب الأخرين.. وقارنيها بـ (عيوبى).. وبعدها تعالى نقرر الصفقة.



٢١٣

تقولين ما يجرح سمعى.. وتطهين ما يصد نفسى.. وترتدين ما ينفرنى منك.. لست ادرى ما اذا كنت فى مواجهة مع حواسى؟.. ام أننى اعانى من ازمة فى سمعى وذوقى ونظرى..





الورقة

٢١٤

لن أقبل بشروطك المجحفة وأحكم على نفسى بالاعـــدام بين اربعـــة جدران . . ولســـوف اذهب بمحض اختيارى الى ـ غرفة العمليات ـ واستأصل جزءا من كبدى . . واحلق بعدها حيث أشاء . . هذا ليس قفص ذهبى . . ولا حتى من خشب . . انــه قفص المشاعر الرهيبة . . انه مقصلة الاحاسيس . . ودفن للتذوّق والأمل والطموح . .

الورقة

٢١٥

امـعنى فى (ركـــوب الـــرأس) . . وسأمعن فى ملاحقـة الأفكار المحرمه زوجيا . . ولسوف اجعل المرقـد مرقـدين . . والدولاب دولابين . . والقلب قلبين . ولك بعد ذلك أن تعضى اصابع الندم حتى تنزف دماً . . عندها لن استطيع الحياة بنصف قلب . .

الورقة

٢١٦

مدرسـة الـزوجـة بيتها . . وأستاذها زوجها . . ومربى فصلها زوجها . . ونجاحها فى مدرستها يعنى نجاحها فى الحياة . . واذا اخفقت فى هذه المدرسة . . واذا حجب عنها استاذها النجاح . . فلن يمنحها اياه مخلوق .

الورقة

٢١٧

الجدل والخجل لا يتفقان . . فاختارى . . اما أن تكونين امرأة خجولة . . أو جدلية .



٢١٨

استـطـعـت ان تكبحى جماحى زهـــاء عشـــر سنوات . . ولكنك بعدها القيت الراية . . ليس لأننى عززت مقاومتى و . . . بل لأنك فقدت القدره على العطـاء . . فسقطت الـراية . . ولكنك عبثاً تحاولين الابقاء عليها مرفوعة . . مسكينة أنت . . ان الرجال لا يدينـون للانوثه التى تزكم الأنوف . . بل للانوثة المتجدده الدائمه التفتح كبكارى الزهور مع كل صباح .

إن الأنوثه الرتيبه تعنى ـ ربما ـ باهتا فى سيمفونية الـرجـل والمـرأة . . وتظـل مجرد صوت هامد يموت بملامسه الأذان .





● هو عبد الله بن محمد بن عاصم من شعراء بنى أمية . . امتاز شعره بالصفاء والعذوبة وعمق المعانى . . ومع ذلك فقد كان هجّاء خبيث اللسان.

حبيبتى أم جعفر :

لعلك الآن قريرة العين راضية بما أصابنى من نفي وتشريد بسبب اتهام الشانئين لى من أننى أغازل بعض غلمان الوليد بن عبد الملك . . لأنه ما إن بلغ الوليد الخبر حتى أمر والى المدينة بأن يجلدنى مائة جلدة ويصب على رأسى الزيت ويقيمنى فى الشمس للناس، هذا يزجرنى وذاك يلكزنى وآخر يبصق فى وجهى ورغم هذا فقد رفعت صوتى أعلن اننى برىء شريف عفيف فقلت للناس :

ما من مصيبة نكبة أمنى بها
إلا تشرفنى وترفع شانى
إنى إذا خفى اللئام رأيتنى
كالشمس لا تخفى بكل مكان
إنى على ما قد ترون محسّدُ
أنمى على البغضاء والشنآن

حبيبتى أم جعفر :

حقيقة إن قلبى يتعلق بالجمال يستهوينى فأهواه وألح فى عشقه وأبذل الجهد فى لقياه . . ثم أبعث بأشجان هواى إلى كبار المغنين ليضعوا فيها الألحان العذبة الشجية وقد سبب لى ذلك الكثير من المآسى الموجعة . . فعندما تغنى معبد بقولى :

قالت وقلت تحرجى وصلى
حبل امرىء بوصالكم صبّ
صاحبْ إذا بعلى فقلت لها
الغدر شىء ليس من طبعى
أما الخليل فلست فاجِعَه
والجار أوصانى به ربى

ولما تغنى الناس بتلك الأبيات طار صواب بعض وجهاء المدينة فقد ظن كل منهم أننى أقصد امرأته فذهب وفد منهم الى سليمان بن عبد الملك وشكونى إليه فأصدر أمره إلى والى المدينة بالقبض علىّ وضربى مائة سوط ثم إبعادى الى (دَهلُك) حيث ينفى المجرمون وقطاع الطرق وقد عجبت من موقفك



منى يا أم جعفر فقد كان ينبغى عليك أن تزورينى قبل ترحيلى إلى منفاى ولذلك فقدهجست نفسى المحزونة قائلة:

أرسلتْ أم جعفر لا تزرنا
ليت شعرى بالغيب من ذا دهاها
أتاها محرش بنميم
كاذب ما أراد إلا رداها

حبيبتى أم جعفر:

إن حبى لك جعلنى هتافاً باسمك أنشر آيات جمالك فى الدنيا كلها فيتغنى بها الناس فيرفعون عن صدورهم المحزونة أثقال همومها وآلامها.. هل تذكرين يوم أن تشوفت روحى إليك فجئتك بلواح الحنين يدفعنى ويسوقنى:

وإنى ليدعونى هَوَى أم جعفر
وجاراتها من ساعة فأجيب
وإنى لآتى البيت ما إن أحبه
وأكثر هجر البيت وهو حبيب

وأغضى على أشياء منكم تسوؤنى
وأدعى الى ما سركم فأجيب
هبينى امرأ إما بريئاً ظلمْتِهِ
وإما مسيئاً مذنباً فيتوبا

ولقد ظننت أنك سترقين لحالى وتعطفين علىَّ ولكننى وجدتك فى حالة من عدم الاكتراث فما علة ذلك يا أم جعفر؟.. خبرينى بالله:

أبثك ما ألقى وفى القلب حاجة
لها بين جلدى والعظام دبيب
لك الله إنى واصل ما وصلتنى
ومثن على ما أوليتنى ومُثيبُ
ولا تتركى نفسى شعاعاً فانها
من الحزن قد كادت عليك تذوب

حبيبتى أم جعفر:

إن ما يجعلنى أغضب منك هو أنك أبلغت أخاك «أيمن» بكل ما أسررته إليك وناجيتك به فقد ثارت



ثائرته وأسرع فى وفد من أصحابه الى عمر بن عبد العـزيـز واتهمنى بأننى أشهّـر بك أفلم يكن من الواجب عليك أن تكتمى عن أخيك أسرار حبنا؟ . .
ألم تعلمى يا أم جعفر ما حكم به عليّ عمر بن عبد العزيز عندما وقفنا بين يديه؟ طبعاً بلغك الخبر إن لم يكن من أخيك أيمن فعلى الأقل من الناقمين والشامتين، فقد أعطى كلا منا سوطاً وقال لنا: تجالدا . . فغلبنى أخوك بعد أن ضربنى ضرباً مبرحاً حتى أسهلت فى ثيابى وفررت من وجهه . . وأظنك سمعت ما هجانى به السائب بن عمرو ابن عوف الذى عيرنى بفرارى وأشاد بشجاعة أخيك أيمن فقد قال:

لقـد منـع المعـروفَ من أم جعفـر
أخـو ثقـة عنـد الجـلاد صبـور
علاك بمتـن السـيف حتى اتقيتـه
بأصـفـر من ماء الـصـفـاق يفـور

حبيبتى أم جعفر:
إن ما أريد أن تتأكدى منه وتثقى فيه هو أن أخاك «أيمن» رغم كرهـه لى ونقمته على حتى أصبحت أخشى طيفه فى منامى ورغم أنه سلقنى بسوطه وقد كان فى إمكانى أن أقسو عليه . . وأنت تعلمين مدى شجاعتى فى الطعان ومنازلة الأقران، إلا أننى كنت أتلقى ضرباته بابتسامة الرضى والامتنان وأقول فى نفسى: «**ضرب الحبيب كأكل الزبيب**» والحق أن «أيمن» أطعمنى زبيباً كثيرا.
رغم هذا كله فإننى قد غفرت له . . ولماذا لا أغفر له؟

إذا أنـا لم أغـفـر لأيـمـن ذنـبـه
فمن ذا الـذى يغفـر له ذنبه بعـدى
أريـد انـتـقـام الـذنـب ثم تردنى
يد لأدانـيـه تـبـاركـه عـنـدى

حبيبتى أم جعفر:
ولـيس خليـلى بالمـلول ولا الـذى
إذا غبـت عنـه باعـنـى بخـليـل
ولـكـن خليـلى من يدوم وصـالـه
ويحـفـظ سرى عنـد كل دخـيـل

ما الـذى جعلك تبيعيننى هكـذا بثمن بخس كأننى من العبيد الأخساء؟ ما الذى جعلك تمنعين أخاك «أيمن» فلا يذهب مع وفد الأتقياء إلى أمير المؤمنين عمر ابن عبد العزيز يسألونه أن يفرج عنى فيعيدنى من منفاى فى دهلك ذلك المنفى الرعيب؟
لقـد علمت بعدها كل ما دار بين أمير المؤمنين وبينهم . . لقد قال لهم من الذى يقول:

أدور ولـولا أن أرى أم جعـفـر
بأبـيـاتـكـم ما درت حيـث أدور
ومـا كنـت زواراً ولـكـن ذا الهـوى
إذا لم يزر لابـد أن سيـزور

قالوا: الأحوص . .
قال: ومن الذى يقول:

كأن لبـنـى صبـير غاديـة
أو دمـيـة زينـت بها البيـعُ
الـله بيـنـى وبـين قيـمهـا
يفـر منهـا وأتـبـع

قالوا: الأحوص . .
قال: الله بين قيمها وبينه . . فمن الذى يقول:
سيبقى لها فى مضمـر القلب والحشى
سريـرة حب يوم تبـلى الـسـرائـر

قالوا: الأحوص..
قال: إن الفاسق عنها يومئذ لمشغول والله لا أرده ما دام لي سلطان.. وهكذا كتب على أن أرسف في أغلال منفاي حتى أنعم الله عليّ بالحرية على يد مولانا أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك الذي:

عم معروفه فعز به الدين وذلت لملكه الكفار
وأقام الصراط فابتهج الحق منيراً كما أنار النهار

ولله در جاريته المغنية حُبَابة فلولاها لما عدت من المنفاى فقد غنّت ليلة بقولي:

ألا قف برسم الداروا ستنطق الرسما فقد هاج أحزاني وذكرني نُعْمى
فبت كأني شارب من مدامة إذا أذهبت همًّا أتاحت له همّا

فلما علم منها أنني صاحب البيتين وأنني مازلت في المنفى عفى عني وأخرجني من سجني وفضلني على كثير من الشعراء..

حبيبتي أم جعفر:

في سبيل حبك عذبت وسجنت ونفيت من وطني.. وكل هذا استعذبته وعددته من تكاليف الهوى وفرائض العشق التي لا ينبغي للمحب الصادق أن يستنكرها أو يتأفف منها.. ورغم هذا الضنى فإنك يا أم جعفر فعلت بي فعلة شنعاء ما اقترفها في العالمين أحد من العاشقين.. وهذا ما جعلني أرسل إليك رسالتي هذه.. والله رب البيت لا أعاود بعدها الكتابة إليك أبداً.. أو أشيد بذكرك في أشعاري أبداً.

ما الذي دهاك يا أم جعفر؟ ما الذي أصاب عقلك حتى تشمتي بي الأعداء على مرأى ومسمع من الناس أجمعين؟

لقد ذهلت لحظة أن جئت متنقبة ووقفت على في مجلس قومي وأنا لا أعرفك بسبب النقاب، ووجدتك تقولين لي: اقض ثمن الغنم التي ابتعتها مني.. فقلت لك: ما ابتعت منك شيئاً.. فبكيت وشكوت حاجة وضراً وفاقة وقلت: يا قوم كلموه.. فلامني قومي وقالوا: اقض المرأة حقها، فجعلت أحلف أنني لا أعرفك ولا رأيتك قط.. فلما كشفت عن وجهك قلت لي: ويلك أما تعرفني؟ فجعلت أحلف أنني ما رأيتك قط ولا عرفتك حتى استفاض قولي واجتمع الناس وكثروا وسمعوا ما دار بيننا وكثر لغطهم.. ثم وجدتك وقد قمت وقلت: يا عدو الله صدقت والله مالي حق ولا تعرفني وقد حلفت على ذلك وأنا أم جعفر، وأنت تقول: قلت لأم جعفر وقالت لي أم جعفر في شعرك..

حبيبتي أم جعفر:

أصدقك القول: ما أحببتك إلا في خيالي.. وما قابلت إلا طيفك في منامي ورؤى أحلامي.

ألا سحقا لذلك الخيال العربيد الجموح الذي أورثني حسرة الخجل وذل الانكسار، وشماتة العدو فضلا عن الأهل والجار.



سهـر الليـل . . عاش قلق النهـار . . يرسم ويخطط ويقيس الأبعاد ويتصور الألوان والأضواء . . كان مخاضا متعبا . . كان الفراغ الكبير أكبر من احتوائه . . الصوت . . الضـوء . . اللون . . المعـانـاة . . كانت هذه هى مواد اللوحة . . الصورة تغرق فى العمق . . تغيم . . تتبدد . . فكـر طويلا . . عجز عن رسم ملامحها فى ذهنه قبل أن يمسك بالفرشاه . . تجسدت فى داخله حقيقة مفحمة . . قال . . ان الانسان يفتقد ذاته عندما يفتقد القدرة على التصـور . . راعته المعادله تأملها لحظة وفكر . تساءل: ماذا يحدث عندما نفتقد القدرة على التصور؟ .

احس باعياء شديد . . غرق فى الضياع . . تاه فى عتمة كثيبة . . قرر أن العجز موت وافتقاد الثقة لدى من نحب موت أيضا . . تساءل عما اذا كان خياله قد اشتط بعيدا . . آه . . يا زمـان الـترقب والـذهـول والعيـون الـزائغـة فى الـلاشىء . . كانت هذه الاجـابـة المقهـورة للحـدث الحـزين . . كان أشـد ما يكـون حاجـة الى لحظة راحة حميمة . . لكن تبدد الفرح فجأة وذبل ذلك الضوء الذى كان يتمدد فى البقعة الكابية فى عتمة النفس . . غاص فى جراحـه متعبا حزينـا . . أحس بسـائـل دافىء يغسـل دواخله . . استفاق من دوار . . يتأمل ما كان وما سيكون وما لم يكن أيضا .

شعر بأن موضوع اللوحة تكامل فى ذهنه وأن بوسعه أن يعمل الآن . . حمل (باليتة) الألوان . . امسك بالفرشاة . . وقف يتأمل خطوط اللوحة . . يوزع الأبعاد . . يقيسها . . يوازن بين نسبها .

آه . . يا زمـان الـترقب والـذهول . . اجتاحه حماس شديد . . انفعل مع اللوحة تصبب العرق على وجهه . . وقف طويلا . . لم يأكل . . لم يشرب . . غابت الشمس . . كان اسمـه يتدفق بغزارة على اللوحة . على الألوان . . على الأضواء على الملامح انتصف الليل تورمت قدماه احس بأنهما عاجزتان عن حمله انهى لمساته الأخيرة بكل حب وبقى يتأمـل اللوحة ارتاح لانسجام الضوء واللون والملامح والصوت المهموس خلالها . . الوجه رائع ومذهل حقا . . كان هادئا جدا رقيقا جدا يضج بجمال وقور ذى

جذور عميقة . . العينان حزينتان تنضحان بحنين لا حدود له . تحس بأنها تغريانك برحلة مشوقة الى المجهول فى داخلها استراح لهذه النتيجة ألقى بنفسه فى اعياء شديد .

وقتها لم تسعه الدنيا . . نعم . . ولم يكفه الكون كله موضعا يسع ما فى جوانحه من عوالم ملونة ورائعة . . أحس بذلك الفراغ الرهيب يتحول الى موضع احتواء حميم قال اننا نعيش زمانا جافا بلا طعم وأن مواضع الاحتواء فى النفوس لم تعد تضيىء . . عاد ذلك السائل الدافىء يغمر جوانحه بحرارة . . تفجرت فى أعماقه نشوة سخية برغم الجراح . . قال . . آه . . يا زمن الجفاف . . يا زمن القحط برغم كل شىء يحدث كل شىء . يموت كل شىء . . ويحيا كل شىء .

عاتب نفسه وهو يذرع الليل الذى يطويه بشتى الأخيلة والهواجس وطيوف ملونة تلاحقه . . سرح مع الأحداث المتزاحمة عبر الألم . عبر جراح لا يبالى بأى شىء فكر طويلا . . قال : حين يعيش الانسان حالة ارتواء تنشأ فى أعماقه . . أحاسيس رائعة لكنها تفسد مسار التفكير . . قال . . ربما من خلالها نرى الأشياء . . نحسها . نلمسها . من خلالها نحب ونكره وتكون هى مركز الرؤية الذى يحدد الأبعاد ويقيس التوازنات ومواقع الأشياء وعلاقاتها بما حولها بصورة تحقق انسجاما فريداً . .

قال . ان عطاء الانسان لا يمكن أن يكون منحة ولا يمكن أن يكون مَنّا . . أحس بأنه يتهاوى أكثر ويغرق اكثر ويسقط فى هوة بلا قرار . قال . . لا شىء . . دون أن يبالى بأى شىء . . أخذت الهواجس بخناقه . . طوته الظنون . . لم يستطع أن يتصور كل شىء يتحطم فى دواخله . . أحس بسخونة تسرى فى جسده انتفض . . وقف دفعة واحدة . . انتصب امام اللوحة يتأملها ـ الوجه رائع الحزن يكسوه جمال ذو جذور عميقة . . العينان شديدتا التعلق بالداخل . . تشعان بريقا منطفئا يوحى بعوالم مذهلة . . ممتلئتان باستغاثة يائسة . . انهما تغريان بسفر الى المجهول . . سفر بلا عودة . . تأملها طويلا

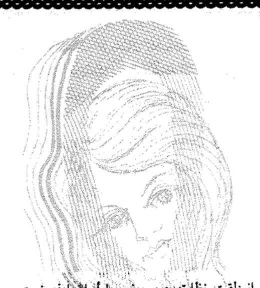


برغم انفعاله برغم توتره برغم الغضب الذى اجتاحه دفعة واحدة . . قال . . يالروعة هذا الحزن . . انطلق فى آفاق زاخرة بالمتناقضات . . قال . . ايه يازمن القحط والجفاف . . يازمن الألم الذى لا يرحم . . زمن الحنين الذى ينزف دون معنى . . راعه انسجام الخطوط والألوان والأضواء . . قرر أن خلفيات الأشياء تضفى عليها حياة جديدة . . الوجه لا يكف عن ضجيجه الصامت الوقور . . ضجيج يكاد يسمعه . . العينان المتعبتان تسترخيان فى لا مبالاة مميتة . . الفم الدقيق العامر بالطراوة يلوذ بصمت وحيرة لامتناهية الشفتان تحتضنان سرا رائعا كأنه وديعة غالية . . قال . . الله . . الله . . كم يقسو الجراح . . امتلأت عيناه فجأة بالدموع . . قاوم أن لا نسقط . . أحس بسخونة تسرى فى اوصاله . . انتفض جسمه . . أحس بدمعتين تتمددان بملء عينيه . . اهتزت الرؤية فيهما . . قرر أن يتأمل ويتأمل أكثر . . عله يستريح .

قال.. إن عطاء الفنان قطعة من عذابه.. يستله من روحه.. تنفس باحساس مقهور وهو يستفيق توا من دوار. غرق فى عينيها.. أحس بأنه يدخل حالة تشبه التصوف.. بقى يمارس التأمل ويتبدد فى الملامح ويتلاشى فى الحيرة اللامتناهية.

عاد يجر رجليه خائبا وشىء ما فى حلقه يخنقه.. الجو حار ورطوبة مالحة تدبغ الأشياء من حوله.. مسح الفراغ أمامه فى نظرة زائغة.. أحس بالضياع أكثر.. نبت فى داخله سؤال حائر.. لماذا.. لماذا.. شد شعره.. ضغط على صدغيه بقوة اهتزت الرؤية أمامه.. تمايلت الأشياء.. انحنت.. استدارت فى أشكال مشروخة فى كل اتجاه.. خلع نظارته فبدت عيناه رخوتين زائغتين مسح عدستيها بطرف ثوبه.. أعادها الى موضعها.. أحس ببعض الراحة. اعتدلت الأشياء واستقامت قال.. ان الأشياء تميل وتنحنى وتستدير عندما تكون عيوننا غائمة من الداخل.. فكر فى الوقت.. كم الساعة الآن؟..

تساءل دون أن يعنى ذلك فعلا فلم يعد للزمن معنى ولا لليل أو النهار أحس باختناق شديد.. فكر فى لوحته.. قال انها عصارة الروح وعمق الجراح.. كانت ماتزال منصوبة كما هى.. جامدة كما هى ـ قال انها فقدت وهجها واستكانت لا يمكن أن تكون الروح التى تحركت فى داخله هى نفس الروح التى تناصبه هذا العداء الناعم الذى يغتال كل شىء فيه.. حتى الأمل.. هل ذبل ضوؤها.. هل تبددت ظلالها الغافية فى الملامح الحزينة.. هل جف نبع عينيها الساهمتين.. أحس بأن حالة من اللا اقبال واليأس تحيط به من كل جانب فكر فيما وراء كل لمحة. كل ارتخاء جفن.. كل نبرة حزينة.. فكر فيما وراء الأشياء.. سرح بعيدا.. بعيدا فى محاولة لتقييم الأحداث من جديد. قرر أن لا جدوى من كل طروحات الماضى ولا تشنج الحاضر أو حتى اسقاطات المستقبل.. تأوه فى حزن يائس وتساءل.. لماذا يتحول طعم الأشياء الى مرارة.. تبدد السؤال الحائر فى نفسه دون معنى



انزلقت نظارته عن موضعها أعادها فى ضيق.. طرقت عيناه بسرعة.. شعر كأنه يعانى من سوء تفاهم مع الأشياء.. تذكر اللوحة.. تذكر أضواءها والألوان وكل خلفياتها الموحية.. كل مغريات السياحة الرائعة فى أرجائها البعيدة.. والقريبة.. قال: يا لهذه الدنيا الساحرة.. يا لهذا الحزن الحميم.. استلقى فى اعياء شديد.. أطلق لعينيه العنان تذرعان السقف، فى لهو عفوى لذيذ.. فجأة كانت أمامه وجها لوجه. يا لروعة اللحظة.. كان أول ما شده وجهها النقى الذى يتدفق بالعنفوان.. واستغاثة يائسة ما تزال تتلاحق دون جدوى.. جمع كل الخطوط التائهة فى السقف.. كل الشقوق.. كل الآثار القديمة والأضواء المائلة والظلال المتكسرة وخيوط العناكب المعلقة وحالة الانكسار والذهول الرائعة فيها.. استدارة الوجه العفوية دون حدود واضحة.. ضفتاها الحائرتان المفعمتان بالعافية برغم التوتر الذى يكسوهما.. برغم كل شىء.. وشعر غزير مائل الى الحمرة، بعثرته رياح عابثة فثار وجن جنونه فى كل اتجاه.. ظل يرسم ويرسم فى حماس حتى أصبحت حقيقة كائنة.. طيفا رائعا يملأ أطار السقف بكل أبعاده.. حتى أحس بها تتحرك.. تبتسم.. تغفو فى خدر لذيذ.. شعر براحة لا حدود لها.. تحدث اليها طويلا.. قال كلاما كثيرا وقالت هى كلاما كثيرا أبهجه حتى العظم.. ثم.. لا يدرى الى أين اتجه الحوار.

عددنا القادم

كل عام وأنتم بخير

مع مطلع العام القادم ١٤٠٨هـ
وفي غرة شهر المحرم .. يتجدد موعدكم
مع جديد مجلتكم المنهل في :
الموضوع .. التبويب .. الاخراج
مع الدراسات - التحقيقات
في العلوم - الطب - الادب
وذخائر المكتبة التراثية
.. القصة .. الشعر .. التاريخ -
هذه الموضوعات وغيرها ..
تجدونها في عددكم القادم من
مجلتكم المنهل .
وكل عام وأنتم بخير



القراء الكرام:

نسعد بكم وتسعدنا رسائلكم الكريمة التى تحمل بين طياتها اجمل معانى الشكر والتقدير. . وكان بودنا أن نجد من المساحة فى منهلكم ما يسع لنشر الكثير منها. . ونرجو ان يكون معنا العذر فى نشر بعضها. . ويزيد من سعادتنا ان (المنهل) بفضل من الله سبحانه استطاع أن يصل الى اكثر الدول الاسلامية والعربية مما نجد صداه واسعاً فى هذا الكم الهائل من رسائل الاخوة القراء.

ونكرر . . لكم التحية والشكر والتقدير.

«التحرير»

المكرم الاستاذ: نبيه الأنصارى

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . . وبعد

أرجو أن تكون وأسرة تحرير (المنهل) بخير وبركة.

إنه لما يثلج الصدر، ويفرشه بدثار الأمل. . ان يطالع المرؤ مجلة المنهل الزاهرة ـ تغرقه بالعطاء من كل لون.

والمنهل كتاب عامر بالعلم والفن والأدب حتى غدت الواحة الظليلة بألوان الثقافة المطلوبة فى هذا الزمان. . أناشدكم وأشد على أيديكم الاستمرار فى حمل هذا اللواء الذى ما فتىء يرسل سناه وشذاه منذ ستة أجيال. . وارجو ان يكون لى شرف الكتابة والمشاركة العلمية فى هذه المجلة.

المحب المخلص

عبد الغنى عبد الهادى

الأردن / عمان/ جبل الحسين

المنهل:

شكرا لك ومرحباً بك وامثالك. .

السيد نبيه بن عبد القدوس الانصارى

رئيس تحرير مجلة المنهل. . المحترم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله. .

وبعد. . لقد توصلت بأعداد من مجلتكم الغراء «المنهل» سررت بها غاية السرور.

سيدى المحترم: اشكركم جزيل الشكر وأتقدم اليكم طالبا من سيادتكم قبولى أو قبول بعض انتاجى إن حظى باهتمامكم والعمل على نشره ان كان يستحق النشر وتوجيه صاحبه الى الطريق الصحيح.

المنى من الله أن تجدكم رسالتى هذه متمتعين بالصحة والعافية أنتم والسيد المحترم زهير بن نبيه الانصارى وكافة الأخوان الساهرين على نجاح مجلة المنهل الغراء.

وتقبلوا فائق التقدير والاحترام. . والسلام.

السليمانى رشيد

المغرب

المنهل:

نرحب بكم صديقاً وبانتاجكم ما دام على الطريق.. ومن سار على الدرب وصل ما دامت النفس طموحة والعقل مستوعباً.

سيادة الاخ/ زهير نبيه عبد القدوس الانصارى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. . وبعد

لقد تسلمت خطابكم المؤرخ ١٤٠٧/٦/٣ ومعه عددا من مجلة المنهل الغراء ولكم خالص الشكر. . وفى عدد المنهل الجزء ١ السنة ٣٦ المجلد ٣١ المحرم ١٣٩٠هـ مارس آذار ١٩٧٠م وجدت فى صفحة ٧١ منها مقالا للأخ محمد بن صامل العليانى السلمى الحلقة الثالثة عن بنى سليم فى ماضيها وحاضرها وبما أنى لم اطلع على الحلقتين الاولى والثانية منه فانى اود ـ شاكراً ومقدراً ـ أن اجد صوراً لهاتين الحلقتين لحاجتى للموضوع فى بحث أعده الآن.

واكرر لكم الشكر والتقدير.

اخوكم

فريج بن حماد السلمى

الكويت

المنهل:

لكم ما طلبتم. . وسوف نرسل لكم صوراً من الحلقتين الاولى والثانية من المقال المذكور. . ولعلمكم فان الاستاذ المرحوم عبد القدوس الانصارى ألف كتاباً عن بنى سليم.

الاستاذ الاديب نبيه الانصارى

بعد التحية . .

بدأت طلائع المنهل التى توليتها تتوافد علينا ويبزغ نورها ونشم عبيرها ومنها وليس آخرها كتاب (نحو نظرية اسلامية للأدب) الذى اجد فيه متعة وتسلية : المتعة فى فقراته الصائبة نحو الأدب الاسلامى وروعته واصالته . . والتسلية فى كل ما طرقته من النظريات التى لها ما لها من الولوج فى الفكر والذهن اللذين صقلهما الاسلام لأنك ستجد من يقف دون ما كتب الدكتور محمد احمد حمدون ولولا تضارب الآراء ما تمخض الحق ولمسنا الصراح من الأمور . . من هنا أجد كتابه صفاء ونقاء فكر . . وان كانت صفحاته لا تزيد عن (١٧٢ صفحة) إلا أن الدسامة فيه والصراحة فى معناه . . والقول المدعم بالصواب والدليل والشاهد من الممكن ان يجعل الطرفين المتناقضين يلتقيان فى ساحة واحدة وفى قضية مشتركة .

ان الرموز فى الأوزان للخليل . . وهذه الفصول الستة مع الخاتمة تغنى عن كتب وموسوعات فقد صهرت المعانى فى عناصر جميلة واضحة الأسس والقواعد . . وفى فصل النقد والمدخل الدينى للأدب ما يعطى الدليل على سلامة فكره وسداد رأيه وصواب نظريته . . كما ان التراث والابداع ونقاطه الأربع جلاها احسن جلاء واستشهد بادلة سليمة . . وقد حاول تحديد المعالم . . وهذا الباب وإن كان واسعا إلا أن محاولته على إيجازها سديدة وأدلتها واضحة التفسير الأدبى للدين تعبير جديد وان كان مطروقا ولكن بتعابير اخرى فقد جلا المعنى واتى بتفاسير لمن سبق من اولئك العباقرة الذين إن كانوا - وهم كذلك - عباقرة فى الوصول الى المعانى كالزمخشرى وابى عبيدة وسيد قطب وغيرهم فانه لا يعيب الأولين الأثنين بعض الجنوح فى معتزليتهما كما أنه لا شك أن الصراع بين الادبين الغربى والعربى مستمر ولا يتضح لنا الأمر إلا إذا كان العربى مقاليده بيده لا يخضع فى ذلك لاى مؤثر خارجى يسلبه تفرده وشخصيته .

والادب الاسلامى هو أدب هادف موجه ولكى ينمو صحيحاً معافى لابد ان يهيأ له الجو المناسب . . اذ لا نتوقع نمو ادب اسلامى فى بلد يتسلط عليها فكر شيوعى أو مناهج منحرفة . . ومن هنا تاتى اهمية ان تكون الدولة محكومة حكماً اسلاميا . .

والاديب له حريته لكن بعيداً عن الحرية التى تهدم ولا تبنى فقد أضاعت الحرية الهادمة الفتيان والفتيات فى مهمه قفر لا صوى فيه ولا معالم . . وللكتاب فى جله مصادر دينية وادبية وتاريخية وعربية وغربية تزيد على المئات من اللغة العربية والانجليزية والكتاب وان لم اكن اديبا يقوم المعانى ويقيم المواضيع فإننى قارىء والقارىء له استيعابه . . ولكم الشكر على هديتكم وللمؤلف الشكر على تأليفه ومعذرة (يا دكتور محمد حمدون) إن كانت هذه العجالة ركيكة الخط واللفظ فقد دونتها وانا على وشك السفر ولم ارغب ان يفوتنى شكر المجلة واصحابها وشكر المؤلف على كتابه .

الرياض

اخوكم

عثمان الصالح

المنهل :

لعله من نافلة القول أن ننهى الى علم استاذنا (الصالح) أن المنهل اعد مجموعة من اصداراته التى يمثل هذا الكتاب فيها الاصدار (رقم٧) وفى المطبعة الآن كتاب (شذرات الذهب) للمرحوم الاديب الشاعر احمد بن ابراهيم الغزاوى كما نعد ايضاً لاصدار شعره الذى نشره فى المنهل على فترات متفاوتة فى ديوان يحمل اسمه . وباذن الله سبحانه لدينا مزيد . . وبكل معانى التقدير والاحترام نشكر لكم هذه الرسالة الطيبة .

=====================



حضرة سعادة رئيس التحرير/
الاستاذ نبيه الانصاري
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

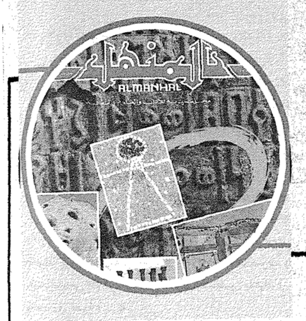
لقد عثرت على عدد من هذه المجلة عند احد الاصدقاء فهالني ما وجدت فيه من معلومات لم ارها من قبل . . فهذه المجلة النادرة الوصول الى بلدى العربى موريتانيا والتى أعتبرها موسوعة معارف فريدة من نوعها بين المجلات العربية وقد إستغربت عدم وجود هذه المجلة بين أيدى شبابنا المثقف فى موريتانيا .

ارجو ان تعيدو النظر فى قضية توزيع المجلة فى موريتانيا العربية حتى ينهل منها شبابنا العربى هذه الثمرة التى جاءت نتيجة الجهود التى بذلها الاب مؤسسها عبد القدوس الانصارى . .

ولكم دعواتي بالتوفيق محققين شعاركم الخالد «الى الامام على الدوام» .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

محمد قال بن الطالب النافع
نواكشوط ـ موريتانيا



المنهل :

شكرا لاهتمامك واخلاصك لمجلتك المنهل . . وقد بدأنا فعلًا فى ارسال المنهل الى موريتانيا الشقيق .

دمشـــق

حضرة الاخ الكريم الاستاذ زهير نبيه الانصارى المحترم

أخي الكريم :

بكل احترام استلمت موسوعتكم السنوية من المنهل العذب وهو العدد السنوي الخاص الذى يبحث فيه بين دفتيه عن الاثار . . فألف شكر لك ولهديتك الجميلة التى جمعت بين صفحاتها تاريخ العالم القديم وآثاره الخالدة والكثير من علومهم وفنونهم ومزاياهم .

ان هذا العمل الجليل كان مفخرة من المفاخر الصحفية والاعلامية وكان تراثا خالدا للأجيال الحاضرة والمقبلة للتعرف على معالم ونهضة بلادها وتراثها المجيد عن الامم التى سبقتها وتشاهد وتقرأ عنه من بين صفحات المنهل العذب ولتأخذ من القديم عبرة جليلة ولتقف وقفة رهيبة امام هذه الامم من حضارتها ومقوماتها . .

ولنقول : (الملك لله الواحد القهار)

ان ظهور هذه الموسوعة الأثرية حدث علمى تاريخى عظيم ، لقد اتحفت به المنهل قراء لغة الضاد وزودت بخبرتها الصحفية والاعلامية قراء العرب ومكتباتهم بتراث علمىّ عظيم مجموع ضمن عدد واحد ممتاز مما سهلت بهذا العمل الصحفى الجليل على المؤلف العناء والمشقة . . فكان هذا التراث الضخم زادا للمسافر ومرجعاً للكاتب وتراثا مضيئا للعالم وقد اتحفت قراء العربية بهذا السفر العظيم الذى يبحث فيه عن الآثار وتاريخ العرب والاسلام .

فكانت مجلة المنهل التى راحت أنامل الزمن تنسجها منذ زمن قديم من السنين كانت تبرز لنا فى كل عام من رحيقها الحلو الجميل العذب تحفة جديدة فى ثوب جديد وأدب جديد وزخرفة جديدة وعلم لا ينضب وقلم سيال لا يعرف الكلل ولا الملل حتى وصلت المجلة كما هى عليه الآن بمفاخرها هذه وانجازاتها العظيمة .

وانى قد عرفت المنهل العذب من عام ١٩٦٣ تقريبا وانى محتفظ بكل اعدادها . . عرفتها مجلة علم وادب وثقافة جمة وقد اصبحت المنهل اليوم بهمة المشرفين والقائمين عليها منارة فى كل بلد وفى كل مكتبة تنشر العلم انتشارا وتزرعه فى دروب السالكين ليتنعموا بشكله الجميل ولينهلوا من عذبه الرحيق ليروى به الظامىء والعطشان فهنيئا للمنهل وشكرا لمن اختط منهجها الصحفىّ والتاريخى والعلمى والادبى .

اخوكم المخلص
محمد الفاكيانى

دمشق

أسيوط

الاستاذ/ رئيس تحرير مجلة المنهل

تحية طيبة من عند الله مباركة وبعد . .

لقد وقع بين يدى عدد من مجلتكم العظيمة فاستحوذت على عقلى وقلبى ومشاعرى بما احتوت عليه من شتى العلوم الدينية والثقافية والأدبية والعلمية والفلسفية وما اشتملت عليه من فكر تنبهر به الألباب وتستنير به القلوب .

لقد سلكتم فى مجلتكم الموقرة مسلكا فريداً فجزاكم الله خير الجزاء . . ولقد كنت قرأت لوالدكم المبجل عليه رحمة الله وكم تمنيت أن أقرأ له المزيد ولكن لم يصلنا من مؤلفاته إلا القليل فله الأجر والثواب ضعفين .

سيدى : لقد سايرتم روح العصر فى مجلتكم فما أحوج الأمة الاسلامية إلى مثل هذا العمل الشامخ فى عصر أهتم فيه الناس بالماديات .

ارسلت الى سيادتكم كتابى هذا طامعا فى عظيم كرمكم أن أحصل على بعض الأعداد من مجلتكم الغراء طالبا من حضرتكم أن تقبلوا صداقتى ليكون لى بذلك عظيم الشرف .

سدد الله خطاكم وأثابكم عن الأمة الاسلامية خير الثواب إنه كريم عزيز .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

طه رمضان محمد

معيد بقسم البنات/ كلية العلوم

جامعة اسيوط

المنهل :

مرحباً بكم وباخوتكم العلمية والثقافية . . وارسلنا لكم بعضاً من اعداد المنهل . . وفق الله الجميع لما فيه الخير . .

الهند

حضرة المحترم رئيس التحرير

لمجلة المنهل الشهرية للأدب والعلوم والثقافة .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ببالغ الفرح والتقدير نكبر جهودكم فى خدمة الامة والثقافة والاسلام . . ندعو الله لكم بدوام التوفيق .

بلدنا «داناترا» تقع فى ولاية كيرالا الهند . . قد بدأنا فى انشاء دار للكتب والمطالعة المسماة «بدار العلوم» تحت رعاية جمعية الشبان المسلمين تعمل اهدافها العليا لنشر العلوم الاسلامية والدعوة اليها بين الهندوكية والنصرانية وغيرها من الأديان .

ولكن عامة سكان بلدنا فقراء يعيشون بالاعمال اليومية ولذلك نطلب من سماحتكم الموقرة ان ترسلوا الينا مجلتكم وسائر مطبوعاتكم مجانا حتى يكلل مرادنا بالنجاح .

وفى الختام نرجو منكم المداومة على المراسلة ومزيدا من اعداد مجلتكم وصحائفكم وغيرها . .

ولكم منا كل تقدير واحترام . .

اخوكم فى الدين

الامين العام

خالد بن محمد الحاج

دار الكتب والمطالعة دار العلوم

المنهل :

أعانكم الله سبحانه فيما انتم فى سبيله من نشر للعلم والمعرفة الاسلامية وسدد خطاكم على طريق الحق سبحانه . . وكلنا على الدرب سواء . . وقد ارسلنا لكم مجموعة من اعداد مجلة المنهل ومجموعة من اصداراتها . . والله يوفقنا جميعا . .



استحكمت بالشاعر محمد على السنوسى علل المنية واقضت مضجعه مدة غير قصيره من الزمن عانى من خلالها مرارة الالم ونكد الحياة كان صبوراً جلداً على بلوائها . . صبر كثيراً وعانى الكثير واخيراً وافته المنية يوم ١٤٠٧/١٠/٧ تاركاً وراءه عملاً خالداً تنتفع به الاجيال الحاضرة والقادمة من بعده إن شاء الله . . اهتزت لوفاته منطقة جازان وبكوه رجالا ونساء بكاء مراً لانهم فقدوا بموته علماً من اعلام الادب والشعر ونجماً كان ساطعاً فى الافق : ينظم شعراً تخاله درر العرش تتحلى بجماله وروعته المناسبات الادبية . . يفيض عذوبة ورقة تطرب لسماعه القلوب .

غَردٌ غَنّى فارَقنى
والدجا يجلو سنا قمره
راعنى ليلاً وقد خفقت
مهجى عطفاً على سهره
يسكب الالحان صافية
كصفاء المزن فى قطره
ويدير الراح فى نغم
نغمات السحر فى وتره
هز احساسى على زجل
طال ليل الشعر فى سمره

الهمتنى شعر قافية
من عيون الشعر اودرره

« كان محباً لاصدقائه وفياً لهم »

لقد وهب الحب لعارفيه فوهبوه حبا بحب . . كان من طبعه الوفاء لاصدقائه فى وقت قلّ فيه الوفاء بين الناس او كاد

ومن اهتمامه باصدقائه انه كان يتكلف السفر لزيارتهم متنقلا بين اماكنهم فى جده ومكة والمدينة والرياض وغيرها من مدن المملكة وكان يلتقى فى زيارته هذه بالاستاذ المرحوم عبد القدوس الانصارى والاستاذ عبد المجيد شبكشى والعمودى وعبد العزيز الرفاعى وعبد الله بن خميس وعبد الله بن ادريس وعلى هاشم وهاشم رشيد . . وكثير غيرهم ممن لا تحضرنى فى هذه العجالة اسماؤهم . . وكان يعود من لقاءاته هذه مرتاحاً بشكل ملحوظ وكأنه يردد قول الشاعر إيليا أبى ماضى فى قوله :

انا بين احبابى الذين احبهم
ما اجمل الدنيا مع الاصحاب

او انه يردد اغنيته الرائعة «مسافر» حيث يقول :

أنا ما زلت يا حبيبى مسافر
زورقى احرق وبحرى مشاعر



وشــراعــى عواطــف خفــاقــة
خفــقــان الــريــاح والمــوج زاخــر
انــا شاعــر ومــا الــشــعــر الا
رحــلة الــشعــر فى محيــط الخــواطــر

هكذا ابرز لنا خفقان قلبه وخلجات روحه . مبيناً ما بداخل نفسه فى صور واضحة جميلة لكن ترى هل كان سيتوقف عن سفره او سفراته هذه ام انه عاشق يبدأ من حيث ينتهى . . دعنا نسمعه يرد على ذلك :

سوف ابقى مســافــراً ما بقى عمرى
يحب الجــمــال والخــير شاعــر

لقد ظل مسافراً حتى اقعده المرض وحتى انتهى به عمره

« البساطة فى حياته »

كان بسيطا فى حياته لا يميل الى الترف ، يعشق البساطة فى اشكالها والوانها ويعتبرها مرفأ للامان فى هذه الحياة من تقلبات الزمان . . قضى كل حياته فى جازان يعيش حياة البساطة معتبراً مدينة جازان مركزاً لاحــلامـه ومحطاً لاماله ومهبطاً لشاعريته الفذه لان هذه المدينة مكان ولادته وهى كل شىء فى حياته لم يحاول او حتى يفكر مجرد تفكير فى حياته فى الانتقال الى احدى المدن الكبرى بالمملكة حيث يتوفر بها مناخ مناسب لادبه وشعره ويجد بها مكاناً رحباً يرتقى به فى سلم هذه الحيـاة . . نعم لم يفكر فى ذلك لان حبه لحياة البساطة ملأ قلبه ونفسه فى جازان وقد سأله من قبل مندوب لصحيفة الرياض وهو يستقبله فى احدى عشش المدينة من البناء القديم عن سبب عدم انتقاله لكبرى المدن فى المملكة فرد عليه فى تفضيله البقاء فى جازان انه يحب ان يكون بعيدا عن الاضواء المتوفرة فى كبريات المدن . . واذا كان الشىء بالشىء يذكر فانه يحضرنى هنا من الذاكرة انه كانت قد تهيأت له اثناء حياته الوظيفية فرص الترقية والترفيع فى السلم الوظيفى بمدينة جدة الا انه زهد ذلك راغباً أن تستمر حياته فى جازان التى يحبها حب العاشق

لا شك ان حبه لك ياجازان ووفاءه لهذا الحب جعله يعرض عن الانتقال لاى جهة كانت صارفاً نظره عن اى اغراء محبذاً ان يظل بين احضان محبوبته يبادلها حياة البساطة بها قانعاً بذلك مرددا قوله :

ما الــذى يأكــل الــغــنــى اذا جاع
سوى الخــبــز وهــو فى ظل واد
اتــراه ان جاع يأكــل تبراً
او يعــب الــنــضــار ان كان صاد
فلماذا هذا الــتــهــالــك
والــدنــيــا خيــال أو رؤيــة فى رقــاد

نتيجة مسابقة أرامكو السنوية الثامنة لرسوم الأطفال

وقع اختيار لجنة التحكيم على مائة لوحة ولوحة بزيادة ست وعشرين لوحة عمّا أعلن سابقاً، وذلك من بين ما يزيد على ثلاثة آلاف لوحة من الرسوم الجيدة التي تنمّ عن كثير من الأصالة والإتقان. لقد زيد عدد اللوحات المختارة نتيجة لتقارب المستويات الفنية للوحات واتسامها بالجودة والجمال، وإن دلّ ذلك على شيء فإنما يدل على المستوى الطيب الذي وصل إليه أطفال مملكتنا الحبيبة في هذا المضمار.

لقد تمّ الاتصال برقياً بأصحاب اللوحات المختارة، وتمّ تسليم مُعظم الجوائز. ويطيب لإدارة العلاقات العامة بأرامكو أن تنتهز هذه الفرصة لتُعرب عن بالغ شكرها لجميع الذين شاركوا في المسابقة وللأساتذة والمسؤولين في المدارس في جميع أنحاء المملكة لمساهمتهم في إنجاح هذه المسابقة وإظهارها بهذا المظهر الجيد، كما تجدد الدعوة لجميع الأطفال في المملكة للمشاركة في المسابقة القادمة التي سيُعلن عنها في بداية العام الدراسي القادم إن شاء الله. والله وليّ التوفيق.

فيما يلي أسماء أصحاب اللوحات التي اختارتها اللجنة:

أثير عبد الله خنفور
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

أحمد عبد الرحمن جاماكيا السيامي
مدرسة يحيى بن أكثم المتوسطة - الطائف

أسامة إبراهيم مصطفى العالم
مدارس الرياض - قسم الروضة - الرياض

أسامة رواس
أرامكو - الظهران

الحميدي عبد الله غيلان
مدرسة لينة الابتدائية - عرعر

أنجي محمد علي
المدرسة الابتدائية الأولى - الدمام

أنيقال أحمد
مدرسة البنات النموذجية الأهلية - الدمام

إياد عبد العزيز الدوسري
المدرسة النموذجية الأهلية للبنين - الدمام

أيمن إبراهيم أحمد الزاير
مدرسة البراء بن عازب - القطيف

بدر أحمد محمد الداهش
مدارس الرياض للبنين - الرياض

بدر عبد العزيز الدرعان
دار التربية الاجتماعية للبنين - حائل

بدر ناصر محمد حمود المطوّع
مدارس الرياض للبنين - الرياض

بندر فهد العتيبي
مدرسة متوسطة وثانوية أم القرى - الجبيل

ثامر عبد الله عبد العزيز اليمني
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

جمال عايد عوض الله السيالي
مدرسة خالد بن الوليد المتوسطة - الطائف

جهاد علي حاسن
مدرسة منارة أبها - أبها

جوهرة خالد محمد العنقري
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

حسين علي أحمد السويد
مدرسة حلة محيش الابتدائية - القطيف

حسين محمد أبو شوق
مدرسة الشاطئ - القطيف

حمد محمد الصالح الميمان
روضة المعارف الأهلية - جدة

حمود مناحي بشير الشراري
مدرسة ابن سيناء الابتدائية - عرعر

حنان حسن عبد المعطي عبد العال
المدرسة الابتدائية - سكاكا - الجوف

خالد تركي إبراهيم الذبياني
مدرسة خالد بن الوليد المتوسطة - الطائف

خالد محمد عبد الرحمن الفوزان
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

دانا فكري محمد السعيد
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

دغيم مقبل
إدارة التعليم - عرعر

رافع مكمي دريفيل رغيمان
المدرسة العزيزية الابتدائية - عرعر

ربيع عبد الواحد المقابي
مدرسة الشاطئ الابتدائية - القطيف

رشا خالد
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

رفعت أحمد عبد الله اليوسفي
مدرسة جبل الفيصل النموذجية الأهلية - جدة

ريم مناع خليل القطان
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

ريهام فريح الشرعان
الجوف

ريهام موسى خليفة
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

رامي خليل محمد نيازي
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

زبيدة عبد الباقي الذفندار
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

زهير أحمد علي هنيدي
مدرسة قرطبة الابتدائية - القطيف

سارة فهد الدخيل
مدارس الرياض - قسم الروضة - الرياض

سامي علي السويلم
مدرسة سعيد بن المسيب - عرعر

سامي عوض عيد
مدرسة ابن جبير الابتدائية - عرعر

سديم طارق
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

سلمان عبد الله نافع الفضلية
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

سلوى صالح القدهي المحمد
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

سوزان عفيف فريح الصوراني
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

شذا نزار الخطيب
مدرسة الحديقة الصغيرة - جدة

عايد مستور عواض الثبيتي
مدرسة خالد بن الوليد المتوسطة - الطائف

عبد السلام فوتي آدم برناوي
مدرسة عبد الله بن رواحة الابتدائية - مكة المكرمة

عبد العزيز حزيم عمير الشمري
مدرسة الفاروق المتوسطة - عرعر

عبد الله ماجد عطا الله
مدارس نجد الأهلية - الرياض

عبد الله مشعان عويض السحيمي
مدرسة الأبناء الثانية للبنين - حفر الباطن

عطا نينان
مدرسة ابن سينا - طريف

علي محمد حسين تحينا
مدرسة قرطبة الابتدائية - القطيف

علي محمد عبد الرحمن الشهري
مدرسة عمار بن ياسر - الرياض

علي منصور العنزي
مدرسة سعد بن أبي وقاص - حفر الباطن

علي يوسف الشرقي
مدرسة حلة محيش الابتدائية - القطيف

علياء أحمد عامر
منارة أبها للبنات - أبها

عماد حمدي علي أحمد
مدرسة متوسطة حي الشفا - الرياض

عمر فاروق قاوقجي
مدارس الجامعة - الظهران

عمرو فيصل محمد التميمي
مدارس الرياض - قسم الروضة - الرياض

عمرو محمد حسن عجلان
مدرسة منارة جدة الثانية - جدة

غادة مقداد
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

غالية نذير عابدين
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

فاطمة محمد الدخيلي
مدرسة منارة أبها - أبها

فهد حمد الهدبان
مدرسة المحمدية - حفر الباطن

فهد محمد عبد الله الفيصل
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

لطيفة رازيان
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

محمد عمر صالح أبو خليل
مدرسة أسامة بن زيد الابتدائية - عرعر

مروان عبد الله مجاهد عبد الكريم
مدرسة محمد بن عبد الوهاب الابتدائية - عرعر

ماجد مطر طرفي
مدرسة طارق بن زياد - عرعر

ماري خليل الصليبي
أرامكو - الظهران

مبارك زيد الدوسري
وزارة الإعلام - الرياض

محمد الحارثي
مدرسة روضة الأطفال النموذجية - الطائف

محمد خلف محمد المطيري
مدرسة ابن سينا الابتدائية - حفر الباطن

محمد سمير عبد الغني الشافعي
مدرسة محمد بن عبد الوهاب الابتدائية - عرعر

محمد علي منصور
مدرسة ابن جبير الابتدائية - عرعر

مدحت حسن ضيف
مدرسة قرطبة الابتدائية - القطيف

مرزوق عواض حمدان النفيعي
مدرسة خالد بن الوليد المتوسطة - الطائف

مشاعل إبراهيم محمد العبد اللطيف
مدارس الرياض للبنات - الرياض

مشاعل الحجيلان
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

مشعان سمير مشعان الشمري
مدرسة روضة عباس الابتدائية - عرعر

مشعل جزا فهد الحربي
المدرسة المساعدية - عرعر

مصلح خليفة
مدرسة الفاروق المتوسطة - عرعر

معتز محمد سالم عبد الله الصبّان
مدرسة منارة جدة الثالثة - جدة

ميسون أسامة السباعي
مدارس الرياض - قسم الروضة - الرياض

ناصر محمد يسلم الثيبة
مدرسة اليرموك المتوسطة - جدة

نانيس كامل محمود
المدرسة الابتدائية الأولى للبنات - الدمام

نايف عبد الله عبد الرحمن الطاسان
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

نجلاء فيصل العرجي
مدرسة الروضة الثانية - الدمام

نواف خليل عبد الله السيالي
مدرسة خالد بن الوليد المتوسطة - الطائف

نوف إبراهيم السفياني
مدرسة روضة الأطفال النموذجية - الطائف

هاني محمد صالح المغلوث
مدرسة عثمان بن عفان الابتدائية - الدمام

هبة أحمد نظيم عبد الرحمن سليمان
المدرسة الخامسة الابتدائية للبنات - الطائف

هدى بكر السيد بسام
المدرسة العاشرة والخمسون الابتدائية - جدة

هدى سليمان عبد الله الرميح
المدرسة الابتدائية الثالثة - الرس

هديل زيد إبراهيم الجويرة
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

هديل محمد القويحص
مدارس الرياض - قسم الروضة - الرياض

هيا عبد الحميد النعمان
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

هيفاء أحمد فوزان الربيعة
مدارس الرياض - قسم الروضة - الرياض

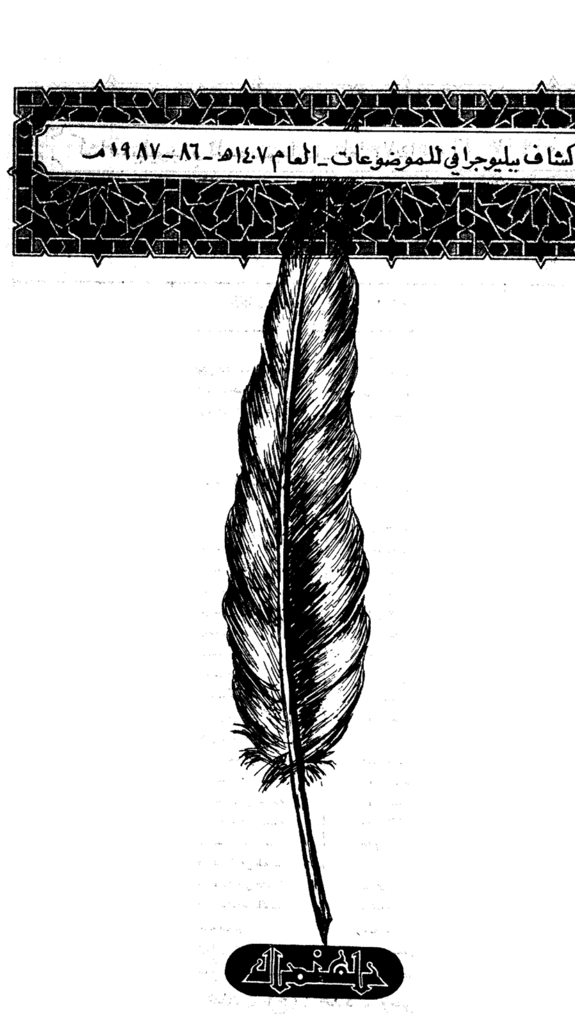
هيفاء عبد الله محمد البليهد
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

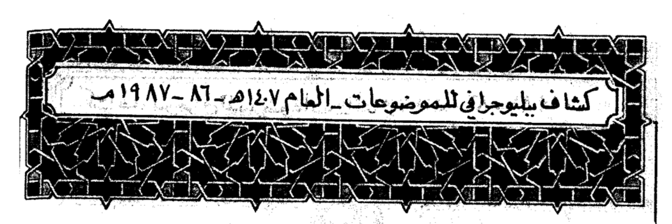
وائل آدم بخيت
مدرسة روضة الأطفال النموذجية - الطائف

وسام سامي حسن
مدارس منارة الشرقية - الدمام

ياسمين تركستاني
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

أرامكو


كشاف بيليوجرافي للموضوعات _ العام ١٤٠٧هـ - ٨٦ - ٨٧ ١٩م
دار المنار



الموضوع	الكاتب	١٤٠٧هـ/ ٨٦/ ٨٧م	مج	ع	ص ص
● اجتماعيات :					
هى والبيت	ليلى عبد السلام حسنى	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	١٦٢، ١٦٣
الثقة والراحة النفسية	بثينة اسماعيل	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	١٦٨-١٦٩
من القلب للقلب	حياة عبد الحميد عنبر	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	١٦٦-١٦٧
● الأدب					
● الحكايات :					
جنون من الشرق والغرب	أحمد عبد السلام البقالى	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	١٠٠-١٠١
● الخواطــر					
اعترافات وليد	نجاة عمر الشيخ	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	١٦٤-١٦٧
اغفـــاءة	مريم جبير	ذو الحجة/ يونيو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	١٦٨-١٦٩
أوراق زوجية	يوسف أبو عواد	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	١٩٦، ١٩٧
أوراق زوجية	يوسف أبو عواد	صفر/ اكتوبر نوفمبر	٤٨	٤٤٨	١٨٢، ١٨٣
أوراق زوجية	يوسف أبو عواد	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	١٧٨، ١٧٩
أوراق زوجية	يوسف أبو عواد	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	١٧٨، ١٧٩
أوراق زوجية	يوسف أبو عواد	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٧٨، ١٧٩
أوراق زوجية	يوسف أبو عواد	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	١٧٦-١٧٩
أوراق زوجية	يوسف أبو عواد	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	١٧٤-١٧٧
بين الكرم والتبذير	روكس بن زائد العزيزى	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٨٠، ١٨١
جلست يستغرقنى البحر	يحيى توفيق حسن	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٨١
الحياة ربيع دائم	امل مصطفى كمال	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	١٧١
خطرات الأدب(١)	د. عبد الرحمن النفيسة	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	٤٢، ٤٣
خطرات الأدب(٢)	د. عبد الرحمن النفيسة	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	٢٠، ٢١
خطرات الأدب(٣)	د. عبد الرحمن النفيسة	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	٤٤-٤٧
خطرات الأدب(٤)	د. عبد الرحمن النفيسة	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	٤٠، ٤١
خطرات الأدب(٥)	د. عبد الرحمن النفيسة	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	٤٤، ٤٥
خطرات الأدب(٦)	د. عبد الرحمن النفيسة	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	٧٦، ٧٧
خطرات الأدب(٧)	د. عبد الرحمن النفيسة	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	٢٦-٢٩
خواطر فى الصداقة	فاطمة النجار	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٧٠
خير الأمور الوسط	فاروق باسلامه	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	٢٠٦-٢٠٧

* (مج) : مجلد ، (ع) : عدد ، (ص ص) : صفحة

الموضوع	الكاتب	١٤٠٧هـ/ ٨٦/ ٨٧م	مج	ع	ص ص
الربيع الحياة	مصطفى محمد مصطفى	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	١٩٠
الرسالة الأخيرة	عبد الله الدارى	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	١٨٨
رسالة الى صديقتى	حياة عبد الحميد عنبر	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	١٦٨
الصباح يعتذر	ناديا العتيبى	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	١٦٣،١٦٢
العشق من الوريد الى الوريد	على خالد الغامدى	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	١٧٠
فرحـــة	صفية عبد الحميد عنبر	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	٢٠٧-٢٠٦
لست أدرى	صفية عبد الحميد عنبر	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٧١
مقاديـــر	أمين عثمان قاضى	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٨٢
موازيـــن	منى عباس	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٦٨
هوامش الى وجه قد يجيىء	مريم جبر	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	١٧٩-١٧٨
● الدراسات الادبية :					
الآثار فى الشعر العربى	د. محمد أحمد حمدون	رمضان وشوال/ مايو/ يونية	٤٨	٤٥٤	١١٣-١٠٠
الأدب إثراء للفكر وليس ترفا	أحمد جبر	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	٧٤-٧٠
أدب القصة الكبيرة	وداد سكاكينى	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٦٣،٦٢
الاقليمية فى الادب العربى	د. حسن ذكرى مدرة	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	٦٥-٦٠
البنية الذهنية فى القصيدة العربية	عبد القادر فيدوح	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	٦٩-٦٢
الجمال فى قصيدة احمد الصافى	فريدة الخليلى	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٦٧،١٦٦
الحركات المعاصرة فى النقد	وداد سكاكينى	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	١٦٥-١٦٢
الحيز فى القصة الجزائرية	عبد الملك مرتاض	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	٨٩-٧٤
دور الأديب فى توجيه المجتمع	فاطمة النجار	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	١٦٥-١٦٤
شاعرات الزهد	فاطمة حسين	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٥٥	١٨٧-١٨٤
شعر الأرض المحتلة	فاطمة النجار	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	٨٧-٨٤
شعر التعازى فى العصر العباسى	د. محمد عثمان الملا	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	٦٩-٦٦
الصحـــراء	وداد سكاكينى	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	١٦٤-١٦٢
ظاهرة القلق فى أدب الشباب	مصطفى احمد النجار	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	٥٩-٥٨
العرب وأثر البيئة(١)	حسين نصار	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	٤٩-٤٦
العرب وأثر البيئة(٢)	حسين نصار	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	٢٧-٢٤
العرب وأثر البيئة(٣)	د. حسين نصار	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	٤٣-٣٨
العرب وأثر البيئة(٤)	د. حسين نصار	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	٢٩-٢٤
العرب وأثر البيئة(٥)	د. محمد حسين نصار	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	٣٣-٢٨
غزل ربات الخدور	محمد عبد الحفيظ علوان	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	١٦٨-١٦٤
فلسطين فى شعر ابى سلمى	زياد عودة	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	٨٢-٧٨
فلسفة الموت فى أدب المهجر	د. صابر عبد الدايم	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	٦٣-٦٤
قراءات فى القصيدة الجاهلية	أحمد عبد المعطى حجازى	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	٢٥-١٤
القضية العربية فى الشعر الفلسطينى	محمد محمد حسن شراب	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	١٢٧-١١٨
القضية العربية فى الشعر الفلسطينى	محمد محمد حسن شراب	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	١٠٥-١٠٠
لمحة عن القصة الجزائرية	احمد منور	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	٧٠،٦٩
محاورات فى الأدب(١)	محمد عبد الواحد حجازى	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	٥٩-٥٠
محاورات فى الأدب(٢)	محمد عبد الواحد حجازى	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	٦٩-٦٦

الموضوع	الكاتب	١٤٠٧هـ/ ٨٦/ ٨٧م	مج	ع	ص ص
محاورات فى الأدب(٣)	محمد عبد الواحد حجازى	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	٧٤-٨١
مظاهر التجديد فى شعر ولى الدين	جميل علوش	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	٦٨-٧٣
مظاهر الحضارة فى شعر ابن زيدون(١)	عثمان عثمان اسماعيل	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	١٣٦-١٣٩
مظاهر الحضارة فى شعر ابن زيدون(٢)	عثمان عثمان اسماعيل	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	١٢٤-١٢٨
مظاهر الحضارة فى شعر ابن زيدون(٣)	عثمان عثمان اسماعيل	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	١٢٨-١٣٣
مظاهر الحضارة فى شعر ابن زيدون(٤)	عثمان عثمان اسماعيل	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	١٤٨-١٥٥
مظاهر الحضارة فى شعر ابن زيدون(٥)	عثمان عثمان اسماعيل	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٤٢-١٤٩
مظاهر الحضارة فى شعر ابن زيدون(٦)	عثمان عثمان اسماعيل	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	١٥٨-١٦٠
مقامات مجهولة لابن شرف القيروانى	حسن ذكرى مدره	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	٧٤-٨٠
المدينة فى الشعر العباسى	محمد عثمان الملا	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	٣٠-٦٧
● الرسائل الأدبية :					
رسالة من أبى دهبل	محمد عبد الواحد حجازى	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	١٨٠-١٨٣
رسالة من الأحوص	محمد عبد الواحد حجازى	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	١٧٨-١٨١
رسالة من أعشى همدان	محمد عبد الواحد حجازى	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	١٨٤-١٨٧
رسالة من المتنبى	محمد عبد الواحد حجازى	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	١٨٠-١٨٣
● الشــعر :					
آراء وعظات	الأعشــى	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	١٤٤، ١٤٥
ابتهــال	وفيقة عواد سلامة	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	١٧٠، ١٧١
أحب بكبرياء	د. محمد العيد الخطراوى	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	١٢٠
أشرق على هذه الربوع	يس الفيل	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	١٣٤، ١٣٥
أقلى اللوم	عروة بن الورد	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	١٢٦، ١٢٧
أغنيات لعينيها	يس قطب الفيل	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	١٢٢، ١٢٣
ألا حبذا البيت	الفــرزدق	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	١٢٠-١٢١
ألا مرحبا بك شهر التقاة	محمد البلغمى	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	١٣٦، ١٣٧
الى شاعر العروبة المتنبى	عبد الله حمد الحقيل	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٢٨
إليك يا أمى	بنت الجزيرة	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٦٨
الانسان ذلك الكائن العجيب	قدور الورطاسى	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	١٥٤، ١٥٥
آهات مغترب	شهاب غانم	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	١٤٠
أهواك عشقا لا حدود له	أحمد دوغان	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٣٤، ١٣٥
أوانس	جهاد جميل الجيوسى	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	١٦٠
أوصى الأطفال	يوسف حمدان	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	١٩٣
أيتها اللؤلؤة أنت منى ولكن	محمد عبد الرحمن صان الدين	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	١٩٤
أين الطفولة فى توقدها	عمر بهاء الدين الأميرى	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٣٠، ١٣١
بدوية حسناء	حسين أحمد النجمى	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	١١٥، ١١٦
البدوية الحسناء	د. احمد عبد القادر	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	١١٧
البوح والخفاء	سامية محمود البكرى	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	١٦٨
تحيــة	عبد الواحد أعريف	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	١٠٨-١١٠
تحية للمقبل	محمد حسن علوى	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	١٢٤
تحية وولاء	عدنان أسعد	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	١٠٩

الموضوع	الكاتب	١٤٠٧هـ/ ٨٦/ ٨٧م	مج	ع	ص ص
جافيتني عمداً	لطفي عز الدين	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٣٥
الجبـــل	ابن خفاجه	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	١٢٠-١٢١
جل هذا الحسن	د. نور الدين صمود	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٣٣
الجـواب	روحي محمد عبد الغني	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	٨٢-٨٣
الحـب	جهاد الجيوسي	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	١٦٨
حرمـان	أ. ش	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	١١٨
حصاد الايمان	يس الفيل	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	١٥٦
حصاد المخيمات	روحي عبد الغني	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	٧٢
حكايـة	محمد حسن فقي	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	١٣٢-١٣٣
الحلم الآتي	د. محمد العيد الخطراوي	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	١٥٧
حلم الهجرة	مبارك المغربي	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	١٩٦-١٩٧
حـواء	محمد تاج الدين أحمد عبده	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	١٩٥
حوار نفس	محمد حسن فقي	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	١٠٨، ١٠٩
حـوراء	د. سامح درويش	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	١١٧
الدمعة السجينة	جليلة رضا	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	١٦٨-١٦٩
الذكرى المشرقة	أحمد بن ابراهيم الغزاوي	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	١١٨-١١٩
ربـاه	أنور عـدي	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	١٠٦
رحلة عمر ضائع	سعد البواردي	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	١٣٨
رحلة في زورق اليأس	حسين أحمد النجمي	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٢٩
الرحيل الى الأعماق	أحمد غراب	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	١٣٧
رماد القرنفل	فريد أبو سعدة	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	١٢١
الرمز الجميل	مصطفى النجار	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	١٣٩
السـراب	محمد الحلوي	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	١٤٠
سـر الحياة	الحسيني عبد العاطي حرى	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	١١٥
السعودية بين الأمس واليوم	عدنان أسعد	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	١١٠، ١١١
سـتعود	أحمد مبارك	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	٧٣
سوف آتي إليك في يوم حج	أحمد مصطفى حافظ	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	١١١
سيروا على درب الرسول	محمد المرزوقي	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	١٠٧
الشيخ والبنت	مفرج السيد	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	١١٤
صغيرتي لا تبكي	يحيى توفيق حسن	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٣٢، ١٣٣
صورة من الغرب	مقبل العيسى	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	١١٢، ١١٣
عبد القدوس الانصاري	أحمد عامر	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	١٢٥
عبرة وعبرات	عمر بهاء الدين الأميري	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	١١٣
العطر لا يرفع القلب	ابراهيم فودة	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	٩٨
على ضفاف نهر الراين	محمد بن أحمد العقيلي	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	١١٦، ١١٧
على عرفات	شريف قاسم	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	١٥٠-١٥١
عمق بجـواء	سيد عبد الرؤوف	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	١٨٩
عندما ينتحر الأمل	احمد سالم باعطب	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	١١٤-٢١٧

الموضوع	الكاتب	١٤٠٧هـ/ ٨٦/ ٨٧م	مج	ع	ص ص
العـودة	مفرج السيد	ذو الحجة/ يوليو واغسطس	٤٨	٤٥٥	١١٧
عودي يا بيروت	سامح درويش	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	١٣٥
عيناك والحقيقة الباكية	يس الفيل	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	١٣٨
غربة الأديب	عبد الله السيد شرف	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	١٤١
غزو الصحراء	سهام اسماعيل حجي	جمادى الأولى/ يناير		٤٥٠	١٧١
فجري طالع	عبد الرحمن صالح العشماوي	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	١١٣،١١٢
فدائي يعذب	أحمد عبد الهادي	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	٧٧،٧٦
فضل أمي	م. صان الدين	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	١٦٩
في كل حال أحبك	محجوب محمد موسى	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	١٢٣
فيروز وعين القمر	فريد أبو سعدة	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٧٧،١٧٦
قبضة الليل	عبد الفتاح الخطيب	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	١٣٦
قصائد فلسطينية	يوسف حمدان	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	٩٣
القطا	أحمد مصطفى حافظ	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	١٣٥،١٣٤
كبدي التي وأدوها	عبد السلام هاشم حافظ	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	١٤٤-١٤٢
لا تراعي	د. ابراهيم السامرائي	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	١٧١
لا تفتري	كمال عبد الكريم الوحيدي	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	١٤١
لست ترقي	أحمد محمود مبارك	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	١١٩،١١٨
لن أنسى بلادي	يوسف حمدان	جمادى الاولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	٧٧
المحسن الرحمن	محمد بن محمد العلمي	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	١٥٣،١٥٢
محمد ﷺ ورحلة اليقين	د. صابر عبد الدايم	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٢٧،١٢٦
مدينتي الحزينة	فدوى طوقان	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	٩٩
مصباح يهزم الظلام	د. ابراهيم زيد الكيلاني	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	١٣٩
ملحمة النبي	عمر أبو ريشة	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	١٦١-١٦٠
من صور العطاء	روحي عبد الغني صالح	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	٨٤
من المدينة الى القدس	عبد السلام هاشم حافظ	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	١٥٤-١٥٢
من غزليات	البحتري	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	١٥٩،١٥٨
موطني	ابراهيم طوقان	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	٨٥
نصيحة ميت	منصور سرور	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	١١٦
الهمزية النبوية	احمد شوقي	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	٥٣-٥٢
همسة قلب	يحيى توفيق حسن	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	١٤٥
وأضاء النور مكة	محمد الحسين عبد الكريم	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	١٣٣،١٣٢
وحدي في جنيف	عمر بهاء الدين الأميري	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	١١٩،١١٨
ومضات من المعاناة	حسين أحمد النجمي	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	١٤٣،١٤٢
وإني لنجم	المتنبي	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	١٤٧،١٤٦
وضـاح	شهاب غانم	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	١١٩،١١٨
يا أطفال بلادي	يوسف حمدان	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	١٧٧
يارب	يحيى توفيق حسن	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	١٤٩،١٤٨
يطير الحمام	محمود درويش	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	٨٦-٨٤
يقولون لي أهلكت مالك	حاتم الطائي	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٣٧،١٣٦

الموضوع	الكاتب	١٤٠٧هـ/ ٨٦/ ٨٧م	مج	ع	ص ص
● **الشعر المنثور:**					
إحساس	فوزية حمزة غوث	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	١٧٠، ١٧١
أحلام العام المقبل	مديحة أبو زيد	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	١٧٠
أربعة وصايا الى .	بلقاسم بن سعيد	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٨٣
إعدام	ميرفت على صادق	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥٢	١٦٩
تحول	عطيات أحمد دسوقى	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٧١
السيارة البيضاء	هدى محمد فرحات	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٦٩
نزف غريب	ميرفت على صادق	جمادى الاولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	١٧٠
ويا طيب ما كانت	احمد محمد طاشكندى	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	١٩١
يوميات طفلة فلسطينية	هدى الزين	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	١٣٤، ١٣٥
● **القصة:**					
لبقعة والضوء	السباعى عثمان	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	١٨٢-١٨٤
الدمية المكسورة	وفاء الطيب	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	١٩٨، ١٩٩
الصوت	سعيد بدر	جمادى الاولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	١٩٢، ١٩٣
العجوز ودائرة الطباشير	عنتر عبد المنعم غنيم	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	١٩٠-١٩٣
على جبين الليل	أحمد ربيع الأسوانى	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	١٩٢-١٩٤
فداك يا وطنى	أنور طاهر رضا	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	١٩٠-١٩٣
● **المسرح والمسرحية:**					
لمسات لم تتم	مصطفى عبد الشافى مصطفى	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٩٨، ١٩٩
إشكالية الصراع فى المسرحية	ابراهيم درديرى	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	٩٢-١٠٥
سر الفنان	أحمد مصطفى حافظ	جمادى الاولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	١٧٤-١٧٧
العرب وفن المسرح	محمد أبو صوفة	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	٨٢-٨٧
لغة الحوار المسرحى	أحمد زياد محبك	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	٨٨-٩١
● **نقد**					
الابداع الأدبى بين القيود والعمود	نبيه الأنصارى	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	٤، ٥
أزمة النقد العربى المعاصر	أحمد مبية	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	١٨٠-١٨٣
أسطر فى الشعر	محمد هلال فخرو	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	١٤٦، ١٤٧
أسطر فى الشعر	محمد فريد أبو سعدة	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	١٣٠، ١٣١
أسطر فى الشعر	د. نور الدين صمود	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	١٠٤-١٠٧
أسطر فى الشعر	د. محمد حمدون	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	١١٢-١١٤
أسطر فى الشعر	د. صابر عبد الدايم	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٢٠-١٢٥
أسطر فى الشعر	د. عمر الطيب الساسى	شعبان/ أبريل	٤٨	٤٥٣	١٢٨-١٣١
الحداثة	محمد بن أحمد العقيلى	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	٢٠٦، ٢٠٧
الخصومة فى النقد الأدبى المعاصر	وداد سكاكينى	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	١٦٤-١٦٧
خواطر حول النقد	الغلاب سعيد	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	٧٨، ٧٩
قراءة فى صحيفة يومية	محمد فريد أبو سعدة	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	١٩٤-٢٠١
● **الأدب الشعبى:**					
الزواج من السعالى	د. عبد الملك مرتاض	شعبان/ ابريل		٤٥٣	٤٠-٤٨

الموضوع	الكاتب	١٤٠٧هـ/ ٨٦/ ٨٧م	مج	ع	ص ص
● الأدب المقارن:					
من الأدب المقارن	سهام اسماعيل حجي	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٦٥،١٦٤
● الأدب المترجم:					
الابداع في الشعر(ستيفن)	د. شاكر عبد الحميد	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	١٨٧-١٨٤
تجربة كاتب	عبير عبد القادر سلطان	جمادى الاولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	١٤٧-١٤٤
حوار تحت الشجرة(بول فاليري)	مصطفى القصري	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	١٦٠-١٤٨
الذاتية والموضوعية(هنري جيمس)	ابتسام صادق	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	١٨٧-١٨٠
الأشجار تلتهم أشعة الشمس(أوبديك	نادر صلاح الدين	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	١٤٧
المقبرة البحرية(بول فاليري)	مصطفى القصري	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	١٨٩،١٨٨
● اسلاميات:					
أثر الخطابة الدينية في المجتمع	د. عبد الباسط حمودة	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	١٩٥-١٩٠
الاسلام بين دعاته وأدعيائه	د. رشدي فكار	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	٩٩-٨٨
الاسلام دعوة عالمية	د. محمد عقلة	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٣-٨
أسلوب تربية الاسلام للناشئة	هاشم دفتر دار	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	٥،٤
إعجاز القرآن	د. ابراهيم زيدان	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	١٥-١٠
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	عمر حافظ عاصي	ربيع الاول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	٧١-٦٨
أهمية الدعوي	محمود شيت خطاب	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	٢٩-٢٢
أوضاع المسلمين	أبو بكر القادري	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	١٧٧-١٦٨
التدرب على الدعوة الاسلامية	أحمد محمد جمال	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	١١٤-١١٠
الحضارة والدعوة	د. عبد الله نصيف	ربيع الاول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	٤١-٣٨
دعوة الاسلام الى العلم	د. أحمد عبد الرحيم السايح	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	٢١-١٨
الدعوة في العهد الحاضر	د. محمد عبده يماني	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	١٠٩-١٠٤
الدعوة في مواجهة التيارات الهدامة	عبد الرحمن حسن الميداني	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	٤٥-٤٢
الدعوة مسؤولية عظمى	صالح بن سعد اللحيدان	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	٦٧-٦٤
استفتاء: الدعوة والدعاة	د. محمد أبو فارس	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	٢٣٧-٢٣٦
استفتاء: الدعوة والدعاة	د. عبد الله صالح العبيد	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	٢٣٧
استفتاء: الدعوة والدعاة	عبد الله حمد الحقيل	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	٢٣٨-٢٣٧
استفتاء: الدعوة والدعاة	د. علي العميريني	ربيع الاول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	٢٤٠-٢٣٨
استفتاء: الدعوة والدعاة	أحمد فراج	ربيع الاول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	٢٤١-٢٤٠
استفتاء: الدعوة والدعاة	أمينة الصاوي	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	٢٤٢-٢٤١
استفتاء: الدعوة والدعاة	عبد الحميد السائح	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	٢٤٤-٢٤٢
استفتاء: الدعوة والدعاة	عثمان الصالح	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	٢٤٥-٢٤٤
السمات المطلوبة في هذا العصر	أبو الحسن الندوي	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	٣٧-٣٠
شروط الافتاء وصفات المفتي	د. صلاح الدين المنجد	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	١٥٩-١٥٦
فضل الدعوة الى الله	عبد العزيز بن باز	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	٢١-١٠
في الدعوة والدعاة	د. عبد الله كنون	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	١١٧-١١٤
المحن وعلاجها	د. حسن الشرقاوي	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	١٣-١١
المسرح المفتوح (حديث الشهر)	السماني كمال الدين	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	٥،٤
مسؤولية الفتوى بين السائل والمجيب	د. محمود محمد لبدة	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	١٢٩-١٢٦
			٤٨	٤٤٩	١٥٥-١٤٤

الموضوع	الكاتب	١٤٠٧هـ/٨٦/٨٧م	مج	ع	ص ص
مشكلات الدعوة والدعاة	د. محمد حسين الذهبي	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	١٤٤-١٥٥
مكانة الحق في الاسلام	د. حسين نصار	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	٦-٩
من ميراث الرسول	محمد يوسف مصطفى	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	١٨٤-١٨٩
منهج الدعوة ومسلك الداعية	أبو تراب الظاهري	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	٤٦-٥١
نداء الحق (حديث الشهر)	نبيه الانصاري	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	٤، ٥
نظام الحسبة في الاسلام	عبد الرحيم بن سلامة	ربيع الاول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	٦٠-٦٣
هل يرتفع المسلمون الى مستوى دينهم	محمد الغزالي	ربيع الاول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	١٠٠-١٠٣
الواقع الاسلامي في لغة العصر	عبد الفتاح محمد المنسي	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	١٠-١٣
الوسيلة الناجحة للداعية	عبد العزيز بن عبد الرحمن المسند	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	٧٢-٧٤
● تشريع:					
زيارة القبور المشروعة والممنوعة	د. صالح بن غانم السدلان	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	٢٢-٢٧
الشريعة الاسلامية	أمين عبد الله القرقوري	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	١٢-٢٣
عظمة الأخلاق الاسلامية	د. محمد شلبي شتيوي	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	١٠-١٨
فتاوى شرعية	صالح بن سعد اللحيدان	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٤٥	٣٦، ٣٧
لمحة تاريخية عن الربا(١)	محمد علي الحريري	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	١٦-٢٣
مراحل تحريم الربا(٢)	محمد علي الحريري	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	٢٢-٢٧
وظيفة المحتسب في الاسلام	د. احسان هندي	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٦-٢١
أثر الكلمة في بناء الانسان	عبد الله محمد حريري	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	٢٤٦-٢٤٧
محاسبة النفس	د. فهد بن عبد الرحمن	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٤، ١٥
الاجتهاد وحركة الفكر	د. محمود محمد سفر	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	٢٠٦، ٢٠٧
● جامعات ومؤسسات اسلامية:					
الأزهر والدعوة	جاد الحق علي جاد الحق	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	٧٦-٧٩
الجامع الأزهر	محمد سيد علي الدين	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	٨٠-٨٧
جامع عقبة بالقيروان	د. نور الدين صمود	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	١٣٦-١٤٣
الجامعة الاسلامية بالمدينة	قسم التحقيقات	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	١٩٨-٢٠٥
جامعة الامام محمد بن سعود	قسم التحقيقات	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	١٦٢-١٦٧
جامعة القرويين	قسم التحقيقات	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	١٢٠-١٢٥
رابطة العالم الاسلامي	قسم التحقيقات	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	٥٤-٥٩
منظمة الدعوة الاسلامية	السباني كمال الدين	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	١٧٨-١٨٣
● اقتصاد إسلامي:					
الاكتناز في الدراسات الفقهية	محمد علي الحريري	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	١٢-١٩
تقدير الدرهم والدينار	محمد علي الحريري	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	١١٠-١٢٢
الدينار الاسلامي (حوار)	زهير الانصاري	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	١٢٣-١٢٦
الدينار الاسلامي (حوار)	د. أحمد محمد علي	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	١٢٣-١٢٦
السياسة المالية في الاسلام	عبد الرحيم بن سلامة	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	٩٨-١٠٩
مفهوم الزكاة وأبعادها	عبد الكريم التواتي	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	٢٤-٤١

الموضوع	الكاتب	١٤٠٧هـ/٨٦/٨٧م	مج	ع	ص ص
● أعلام الدعوة الاسلامية :					
الشيخ أحمد الطيب بن البشير	السماني كمال الدين	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	٢٣٥-٢٣٢
جمال الدين الأفغاني	التحريـــر	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	٢١٩
د. صبحي الصالح	محمد أحمد القابسي	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	١٣٥-١٣٠
عبد الرحمن الكواكبي	نادر صلاح الدين	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	٢٢٣-٢٢٠
عبد القادر الجزائري	التحريـــر	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	٢٣٥
الشيخ فاضل حبيب الله رشيدي	التحريـــر	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	٢٣١
الشيخ محمد البشير الابراهيمي	د. محمد عبد المنعم خفاجي	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	٢٢٧-٢٢٤
الشيخ محمد الطاهر بن عاشور	د. محمد عبد المنعم خفاجي	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	٢٣١-٢٢٨
الشيخ محمد عبده	التحريـــر	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	٢١٩-٢١٤
الشيخ محمد بن عبد الوهاب	عبد الله سعد الرويشد	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	٢١٣-٢٠٦
الشيخ محمد بن علي السنوسي	قسم التحرير	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	٢١٣
بين شاعرين	مروان العطية	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	٧٣-٧٠
طاهر زمخشري	نبيه الانصاري	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	١٢٤-١٢٢
عبد الرحيم محمود	زياد عودة	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٠٠-٩٦
● أعلام الشعراء :					
محمد بن علي السنوسي	نبيه الأنصاري	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	١٢٧-١٢٥
محمد بن علي السنوسي	عبد الوهاب السنوسي	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	١٩٤،١٩٣
محمود درويش	رابح لطفي جمعة	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	٩٣-٨٨
يهودا عميداي	شمس الدين العجلاني	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	٨٨-٨٦
● أعـــلام الفـن :					
فتحي غبن	هارون هاشم رشيد	جمادى الاولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	٨٩-٨٦
● ســيرة ذاتية :					
ذكريات أديب(٧)	احمد محمد جمال	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	٦٤-٦٠
ذكريات أديب(٨)	أحمد محمد جمال	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	٥٩-٥٦
ذكريات أديب(٩)	أحمد محمد جمال	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	٥٣-٥٠
ذكريات أديب(١٠)	أحمد محمد جمال	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	٥٠-٤٦
ذكريات أديب(١١)	أحمد محمد جمال	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	٤٨-٤٦
ذكريات أديب(١٢)	أحمد محمد جمال	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	٨٢-٨٠
ذكريات أديب(١٣)	أحمد محمد جمال	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	٣٥-٣٢
عودة الى الغد	هارون هاشم رشيد	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	٨٧
من الذكريات القريبة منا	نبيه الانصاري	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	٤٧،١٤٦
● تربية وتعليم :					
أهمية التعليم في بناء الانسان	صبري عبد الله قنديل	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	١٨٥-١٨٢
تعريب التعليم في الجامعات الجزائرية	د. بكري عبد الكريم	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١١٧-١١١
● الثقافة :					
● عـــام :					
الأرقام العربية الحقيقية	د. محمد القاسي	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	٤١-٤٠

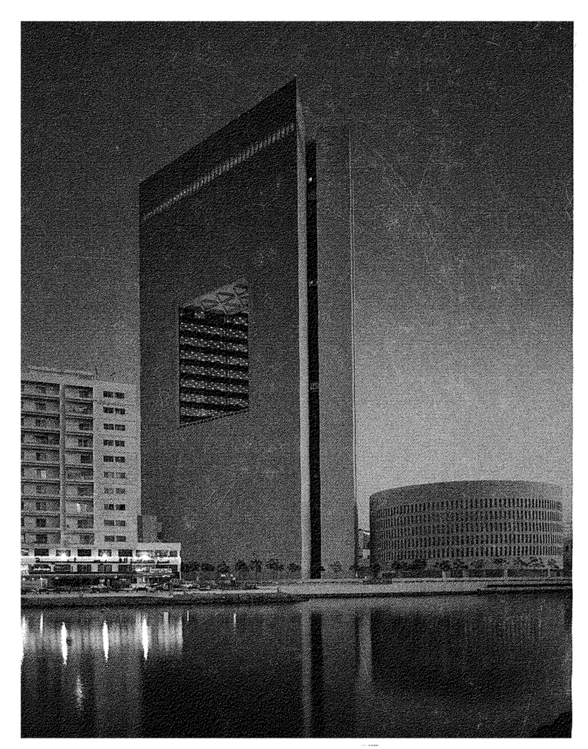
الموضوع	الكاتب	١٤٠٧هـ/٨٦/٨٧م	مج	ع	ص ص
ثلاث حقائق يجب أن تجلى	روكس بن زائد العزيزي	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	٤٢-٤٥
سقيط الندى وفوح الشذا	عاتق البلادي	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	٤٤-٤٥
سقيط الندى وفوح الشذا	عاتق البلادي	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	٢٢-٢٣
سقيط الندى وفوح الشذا	عاتق البلادي	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	٢٨، ٢٩
سقيط الندى وفوح الشذا	عاتق البلادي	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	٧٤، ٧٥
هي والعلم	نجاة عمر الشيخ	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	١٦٢-١٦٤
● آراء وتعليقات :					
تحقيقات عرضية	علي جواد الطاهر	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	١٦٢-١٦٣
تحقيقات عرضية	علي جواد الطاهر	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	١٥٠-١٥١
تحقيقات عرضية	علي جواد الطاهر	جمادى الاولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	١٩٠، ١٩١
تحقيقات عرضية	علي جواد الطاهر	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	١٨٦، ١٨٧
تحقيقات عرضية	علي جواد الطاهر	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٥٦، ١٥٧
تحقيقات عرضية	علي جواد الطاهر	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	١٩٦، ١٩٧
تحقيقات عرضية	علي جواد الطاهر	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	١٣٦، ١٣٧
الخبر في وفق أمتي	نبيه الانصاري	ربيع الأول والثاني/ نوفمبر وديسمبر	٤٨	٤٤٩	٨-٩
ملاحظات غير عابرة	عثمان الصالح	جمادى الاولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	٤٨-٤٩
ملاحظات غير عابرة	عثمان الصالح	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	٤٢، ٤٣
ملاحظات غير عابرة	عثمان الصالح	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	٣٠، ٣١
من الموصول الى المقصور	نبيه الأنصاري	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	٤-٧
ومضـات	عثمان الصالح	جمادى الاولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	١٨٥-١٨٧
● أخبار ثقافية :					
أحداث ومتابعات	التحريـر	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	٨-١١
أحداث ومتابعات	التحريـر	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	٨-١١
أحداث ومتابعات	التحريـر	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	٦-١٠
أحداث ومتابعات	التحريـر	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	٦-٩
أحداث ومتابعات	التحريـر	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	٦، ٧
أحداث ومتابعات	التحريـر	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	٦-٩
أحداث ومتابعات	التحريـر				
● بيانـات :					
أيها العرب أفيقوا	عبد الرازق أحمد قنديل	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	١١٨، ١١٩
● ثقافة الطفل :					
جنة الأطفال	فريد أبو سعدة (بابا فريد)	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	١٨٨، ١٨٩
جنة الأطفال	فريد أبو سعدة	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	١٧٢، ١٧٣
جنة الأطفال	فريد أبو سعدة	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	١٧٢، ١٧٣
جنة الأطفال	فريد أبو سعدة	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	١٧٢، ١٧٣
جنة الأطفال	فريد أبو سعدة	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٧٢، ١٧٣
جنة الأطفال	فريد أبو سعدة	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	١٧٢، ١٧٣
جنة الأطفال					
● الحضارة الاسلامية :					
مقومات الحضارة بين الاسلام	د. عبد القادر طاش	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	١٠٢-١١٠

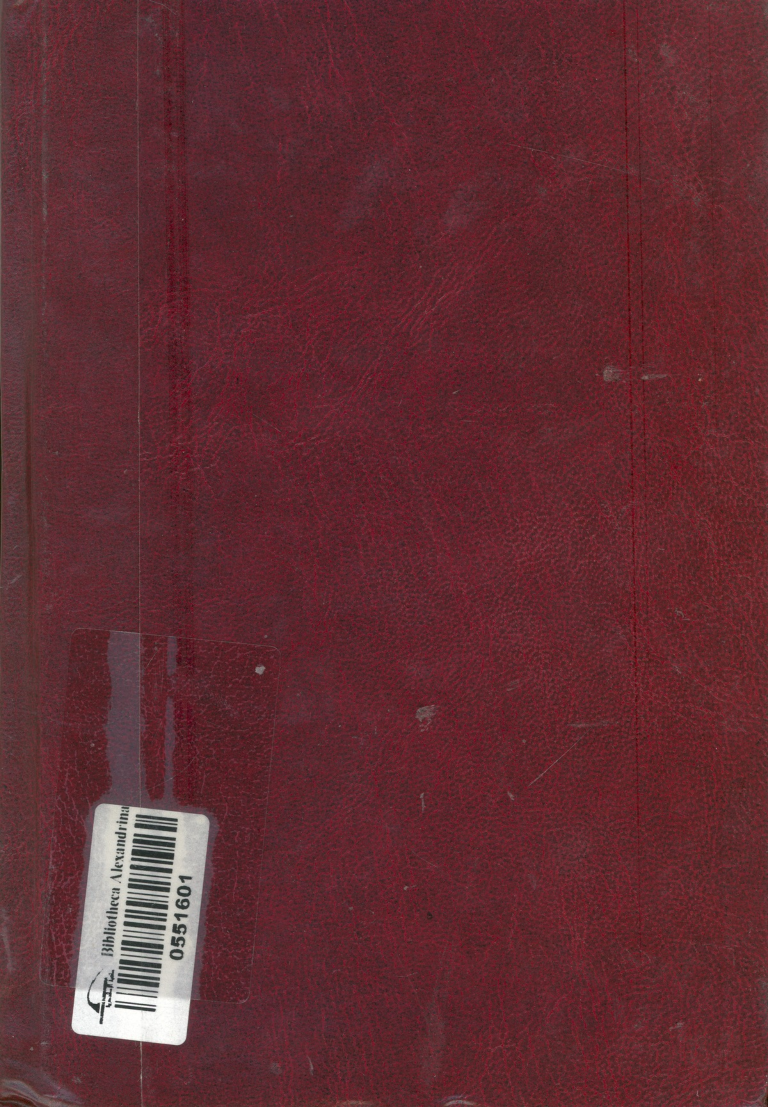
الموضوع	الكاتب	١٤٠٧هـ/ ٨٦/ ٨٧م	مج	ع	ص ص
● الرحـــلات:					
بلجيكا	عبد الله الحقيل	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	٤٤-٤٩
البنغـال	محمد يوسف صديق	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	٤٠-٤٣
البنغـال	محمد يوسف صديق	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	٥٠-٥٩
تركيـا	د. أنور طاهر	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	٦٢-٦٥
تونس جوهرة المتوسط	نادر صلاح الدين	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	٥٨-٦٣
حدائق وكهوف	د. أنور طاهر رضا	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	٥٦-٦١
خليج مسليدن	محمد عبد الحميد مرداد	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	٤٠-٥٥
دول أوزوبا الصغرى	د. إحسان هندي	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	٦٤-٧٣
رحلة الى المانيا	عبد الله الحقيل	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	٥٢-٥٧
رحلة الى سويسرا	عبد الله الحقيل	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	٥٠-٥٥
رومـا	عبد الله الحقيل	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	٥٠-٦٣
الفلبين.. الأرخبيل الجميل	مصطفى محمد مصطفى	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	٥٦-٦١
فيينا.. حدائق وموسيقى	قسم التحقيقات	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	٦٦-٧٥
● الصحافة والصحف:					
الأثر والآثار لماذا؟	د. عبد الرحمن الأنصارى	رمضان وشوال/ مايو ويونيو	٤٨	٤٥٤	٨، ٩
المنهل ومسيرة خمسين عاما	عبد الله الدارى	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	٢٠٦، ٢٠٧
المنهل وهذا العدد	د. منصور التركى	رمضان وشوال/ مايو ويونيه	٤٨	٤٥٤	٦، ٧
● علم الاجتماع:					
لانسان والبيئة فى الاردن	د. معاوية ابراهيم	رمضان وشوال/ مايو ويونية	٤٨	٤٥٤	١٣٠-١٤٣
● علم الحشرات:					
الجـــراد	د. كارم السيد غنيم	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	٧٦-٨١
نغمات فى دنيا الحشرات	د. كارم السيد غنيم	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	١٢٨-١٣٩
● الطـب:					
الايدز ضربة الشيطان	د. واصف عبد الحليم عبد الله	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	١٦٤-١٧١
بين المعدة والتليين	د. نبيل سليم على	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٩٠-١٩٧
الجديد فى تشخيص أمراض العيون	د. ابراهيم محمد عامر	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٨٤-١٨٩
المخدرات أنواعها وأضرارها	محمد راضى المتصم	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	١٤٠-١٤٣
المخدرات هذا المرض القاتل	علال البوزيدى	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	١٤٤-١٤٩
مرض الكزاز	د. عماد ابراهيم الخطيب	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	١٧٢-١٧٦
● علم المنطق:					
المنطق من زوايا أربع	أحمد جبر	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	٣٤-٣٩
● علم النفس:					
خيال الأطفال	محمد يسرى حسين	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٧٤-١٧٥
سيكولوجية الانفعال لدى الاطفال	محمد عيسوى الفيومى	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	١٧٤-١٧٧
الطفل اكثر ذكاء	ليلى عبد السلام حسنى	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	١٧٤-١٧٥

الموضوع	الكاتب	١٤٠٧هـ/ ٨٦/ ٨٧م	مج	ع	ص ص
● علم النفس التربوي:					
أنس والتليفزيون	د. أمل المخزومي	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	١٧٧-١٧٤
حتى لا يخور صغارنا	يوسف أبو عواد	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	١٦٧-١٦٦
التقنية التربوية داء أم دواء	د. أنور طاهر رضا	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	١٩٩-١٨٨
● علوم العرب:					
مسيرة الفكر العلمي(١)	د. أحمد سعيد الدمرداش	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	١٢٧-١٢٢
مسيرة الفكر العلمي(٢)	د. أحمد سعيد الدمرداش	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	١٤٧-١٤٠
مسيرة الفكر العلمي(٣)	د. احمد سعيد الدمرداش	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٤١-١٣٨
مسيرة الفكر العلمي(٤)	د. أحمد سعيد الدمرداش	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	١٥٧-١٤٨
● فن إسلامي:					
الفنون الاسلامية	د. صفوان خلف التل	رمضان وشوال/ مايو ويونية	٤٨	٤٥٤	٣٦٩-٣٦٢
● الكتابة والمخطوطات:					
تحركات خطوط الكتابة	د. عبد القادر محمود عبد الله	رمضان وشوال/ مايو ويونية	٤٨	٤٥٤	١٢٩-١١٤
صورة من التشكيل الخطي	د. محمد عبد العزيز محمود	رمضان وشوال/ مايو ويونية	٤٨	٤٥٤	٣٤٥-٣٤٠
المخطوطات العربية	د. محمد نادر العطار	رمضان وشوال/ مايو ويونية	٤٨	٤٥٤	٣٣٩-٣١٦
● الكتب (عرض):					
الشاعر أبو سلمى	زياد عودة	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	١١١-١٠٦
أبيات المعاني	نادر صلاح الدين	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	١٣٣،١٣٢
الادمان مظاهرة وعلاجه	السيد احمد المخزنجي	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	١٦٠-١٥٠
أسد الغابة	د. محمد عبد المنعم خفاجي	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	١٣٠-١٢٨
أسطورة أوديب في المسرح	يوسف عز الدين عيسى	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	١١١-١٠٦
الأسوة الحسنة	عبد المنعم قنديل	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	٢٠٣-٢٠٠
اعجاز القرآن	د. هند شلبي	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	١٩-١٤
اغاني الأطفال الشعبية	فردوس عبد الرازق	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	١٨١-١٧٨
الامامة والسياسة لابن قتيبة	بنيونس الزاكي	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	١٤٤-١٤٢
التاريخ المفصل للكعبة	خالد محمد غازي	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	١٩٩-١٩٤
كتاب التنبيه	فؤاد نصر الدين حسين	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٥٣-١٥٠
أبو القاسم الزجاجي	بنيونس الزاكي	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٥٥-١٥٣
الرسالة الكاملية	ضاحي عبد الباقي	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	١٤٢-١٤٠
لغة تميم	نادر صلاح الدين	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	٢٠٣-٢٠٠
مائة ليلة وليلة	عبد الجبار محمود السامرائي	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	١٢٣-١٢٠
مجلة المنهل واثرها في النهضة السعودية	د. محمد عبد المنعم خفاجي	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	٢٠١-٢٠٠
من ملفات الارهاب الصهيوني	زياد عودة	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	٩٩-٩٤
قراءة في الموسوعة العربية	مصطفى محمد الفار	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	٢٠٢-١٩٨
نحو الكتاب السعودي(١)	د. علي جواد الطاهر	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	٣٩-٣٤
نحو الكتاب السعودي(٢)	د. علي جواد الطاهر	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	٣٥-٢٨
قراءة في كتاب الابانة	أحمد محمود مبارك	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	١٤٢-١٣٨
تاريخ الاسلام	د. عبد العزيز شرف	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	١٥٨-١٥٦
رسالة في الاشكال المساحية	محمد العربي الخطابي	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	١٣٨-١٣٤
مجدل عسقلان	محمد حسن شراب	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	٩٢-٨٩
دراسة المساجد في المملكة	أحمد أبو القاسم الحسن	رمضان وشوال/ مايو ويونية	٤٨	٤٥٤	٨٩-٢٨٠

الموضوع	الكاتب	١٤٠٧هـ/ ٨٦/ ٨٧م	مج	ع	ص ص
● **اللغـة :**					
التعريب ومشكلاته	د. على القاسمى	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١١٠-١٠٢
قيد الصيد	أبو تراب الظاهرى	المحرم/ سبتمبر واكتوبر	٤٨	٤٤٧	١٦١-١٦٠
قيد الصيد	أبو تراب الظاهرى	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	١٤٩-١٤٨
قيد الصيد	أبو تراب الظاهرى	جمادى الأولى/ يناير	٤٨	٤٥٠	١٨٩-١٨٨
قيد الصيد	أبو تراب الظاهرى	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	١٨٥، ١٨٤
قيد الصيد	أبو تراب الظاهرى	رجب/ مارس	٤٨	٤٥٢	١٥٩، ١٥٨
قيد الصيد	أبو تراب الظاهرى	شعبان/ ابريل	٤٨	٤٥٣	١٩٥، ١٩٤
قيد الصيد	أبو تراب الظاهرى	ذو الحجة/ يوليو وأغسطس	٤٨	٤٥٥	١٣٥-١٣٤
عين الأجوف	د. ضاحى عبد الباقى	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	١٦٠-١٥٦
لغتنا الخالدة	محمود فاخورى	صفر/ اكتوبر ونوفمبر	٤٨	٤٤٨	١٥٥-١٥٢
● **الميزانية والعملة :**					
تعريب النقود ومدلوله الحضارى	د. عبد الرحمن فهمى	رمضان وشوال/ مايو ويونيه	٤٨	٤٥٤	٣٩٣-٣٨٢
على طريق الخير سائرون	زهير الانصارى (افتتاحية)	جمادى الثانية/ فبراير	٤٨	٤٥١	٥ ، ٤
النقود وثائق تاريخية	د. عبد العزيز حميد صالح	رمضان وشوال/ مايو ويونية	٤٨	٤٥٤	٣٨١-٣٧٠
● **الهندسة والمعمار :**					
أصالة العمارة والفنون	د. كمال الدين سامح	رمضان وشوال/ مايو ويونية	٤٨	٤٥٤	٣٠٩-٣٠٠
حول أمثلة من الابتكارات المعمارية	د. السيد عبد العزيز	رمضان وشوال/ مايو ويونية	٤٨	٤٥٤	٣١٥-٣١٠
العمارة الاسلامية شاهد على التطور	د. محمد ابراهيم حسين	رمضان وشوال/ مايو ويونية	٤٨	٤٥٤	٢٤٥-٢٣٦
المفهوم الاسلامى لتخطيط المدينة	د. محمد عبد الستار عثمان	رمضان وشوال/ مايو ويونية	٤٨	٤٥٤	٢٣٥-٢٢٢


عيد مبارك
بمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك
يطيب لشركة ارامكو أن تتقدم
بأسمى التهانى وأجمل الأمانى
الى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود
وصاحب السمو الملكى الامير عبد الله بن عبد العزيز
ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطنى
وصاحب السمو الملكى الامير سلطان بن عبد العزيز
النائب الثانى لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام
وحكومة المملكة العربية السعودية الرشيدة
والشعب السعودى الكريم
اعاده الله على الجميع باليمن والبركات
ارامكو
(PRS-3-87)




Bibliotheca Alexandrina
0551601